٤/٤٩٤٣

٦ر٣ ٢١
م٥٠٢

مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح، تأليف الملا علي القاري، علي بن محمد سلطان ١٠١٤هـ. كتبه محمد ابن احمد نعمان - ١١٧٩هـ.

ج ١، ٢، ٣، ٤، ٤٠٢)، ٥٠٤، ٥٠٤٥، ٤١٢، ق، ٣٥س ٣١×٢٣سم.

٤٩٤٣ نسخة جيده، خطها نسخ ممتاز، طبع.

الاعلام ٥: ١٦٦، كشف الظنون ١: ٤٤٥

١- الاحاديث السنية الاخرى ١- المؤلف ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ

٦٩ من تواضع لله رفعه الله الحديث

٥٦ مطلب رجل شتم ابا بكر رضي الله تعالى عنه

٢٤ مناقب اعمش ٧٢ الحديث في حق الظلم

١٥٠

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"

الرقم: ٤٩٤٣ ف ٦٨١

العنوان: مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح

المؤلف: علي بن محمد سلطان الهروي

تاريخ النسخ: ١١٧٩هـ

اسم الناسخ: محمد بن حسن لعمان

عدد الأوراق: ج ١ (٤١٤ق) ٢٤×٢١سم

ملاحظات:

٧٧ مطلب حقيقة المفلس وحق العباد ٥٨ مطلب الغضب
٧٩ باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٨ مضرة الظلم عائد الى الظالم ومضرة المشي مع الظالم الي[illegible]
٧٦ لزوم اختيار رضاء الله تعالى على رضى الناس

١٤٤ اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ١٥٠ حديث كاد الفقر ان يكون كفراً
ودرعه رهونة عند يهودى ١٨٦ مطلب جف القلم وما اخطئك لم يكن ليصيبك الخ

٢٩٨ جريان الشمس ٢٦٤ بيان حرص بني آدم ٢٠٦ الحديث في حق المسيح
٢٤٢ الخلافة والملك العضوض
٢٤٧ العبادة في زمن الفتن
٢٥٨ لا تقوم الساعة وحين لا ينفع نفسا ايمانها
٢٦٨ الملحمة العظمى
٢٧٧ رفع العلم كثرة النساء وقلة الرجال من اشراط الساعة
٢٦٨ خراب يثرب وملحمة وخروج الدجال
٢٧٠ مطلب التوفيق بين قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وبين يستخرج كنز الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
٢٦٤ ينزل الروم الاعماق
٢٧٦ جاء اعرابي فقال متى الساعة
٢٠٥ بيان تقدير وقت الصلوات عند خروج الدجال

٤٧٧ مطلب الحواريين وقيد يوسف بجري رحمه الله تعالى ٤٨٥ كيفية خلقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
٤٠٦ بيان اوصاف اهل الجنة ٤٥٢ لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات
٢٩٤ شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام
٢٧٢ مطلب شفاعة المؤمنين من المذنبين
٢٧٤ كذا شفاعة عامة المؤمنين من العصاة

٤٢٦ مطلب رؤية الله تعالى ٤٦٤ جاء ملك الموت الى موسى بن عمران الخ
٥٤٥ كيفية الوحي
٥٤٧ محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلوة من الناس وتعبده في غار حراء وبداية الوحي

٦٨٧ ام ابي بكر الصديق ونسبه واول الرجال اسلاماً وخلافته ووفاته رضي الله تعالى عنه
٦٨٥ بيان احوال ابي بكر في الجاهلية وروي عنه انه لم يسجد لصنم قط رضي الله تعالى عنه
٧٧٥ بيان خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه اول حكم اجمع عليه المسلمون في هذه الامة
٧٧٨ بيان التوجيهات في حديث انا مدينة العلم وعلي بابها
٧٢٢ بيان اوصاف علي وسنه ومدة خلافته ووفاته رضي الله عنه

٨١٩ مثل امتي مثل المطر ٧٩٩ مناقب معاوية رضي الله تعالى عنه

٥٧١ رؤية نبينا عليه الصلاة والسلام الأنبياء في السموات في ليلة المعراج
٥٧٢ كذا

مطلب يخرج رجل صالح من ما وراء النهر

١٤٨

مما أودعه الله تعالى الى عند البيهقي

عبد الله ابن اسيد

٢٩٧ ثلاث اذا خرجت لا ينفع نفسا ايمانها

محمد ابن لطف

غفر الله تعالى له

٧٧٢ رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العائشة في المنام قبل النبوة او بعدها على اختلاف

وقف سعو[illegible]

٤٧٤ بيان عذاب ابي طالب

المجلد الخامس من مرقاة المفاتيح شرح لمشكاة المصابيح تاليف خادم كلام الله القديم
وحديث نبيه الكريم والبحر الغطامطم المستغرق برحمة ربه الباري علي بن سلطان محمد
القاري هروي الاصل ثم المكي عفي عنهما وتجاوز عن سيئاتهما وهذا كتاب
الحب في الله باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع وتتبع العورات باب
الحذر باب الرفق والحيا وحسن الخلق باب الغضب والكبر باب
الظلم باب ٧٩ الامر بالمعروف كتاب الرقاق باب فضل الفقرا باب
الحرص والامل باب التوكل والصبر باب ٢٩٢ الريا والسمعة باب
البكا والخوف كتاب الفتن باب الملاحم باب اشراط الساعة
باب العلامات بين يدي الساعة باب قصة ابن الصياد
باب نزول عيسى عليه السلام باب قرب الساعة باب
لا تقوم الساعة الا على شرار الناس باب الحشر باب الحساب
والقصاص والميزان باب الحوض والشفاعة باب صفة
الجنة باب روية الله تعالى باب ٤٤٩ خلق الجنة والنار باب
بدء الخلق وذكر الانبيا باب ٤٨٤ فضايل سيد المرسلين باب اسما
النبي صلى الله عليه وسلم باب في اخلاقه وشمايله صلى الله عليه وسلم
باب المبعث وبدء الوحي باب علامات النبوة باب
في المعراج باب المعجزات باب الكرامات باب في بيان الهجرة
واصحابه من مكة باب مناقب قريش وذكر القبايل باب مناقب
الصحابة رضي الله عنهم باب ٦٧٧ مناقب ابي بكر باب مناقب عمر باب
مناقب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما باب مناقب عثمان باب مناقب هولا
الثلاثة رضي الله عنهم باب ٧١٩ مناقب علي بن ابي طالب باب
مناقب العشرة المبشرة باب ٧٤٧ مناقب اهل بيت النبوة للنبي صلى
الله عليه وسلم باب مناقب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم باب جامع
المناقب باب تسمية من سمي من اهل بدر في الجامع البخاري باب
ذكر اليمن والشام وذكر اويس القرني باب ثواب هذه الامة والله
اعلم

باب استحباب المال والعمر للطاعة ١٦٩

باب في ذكر الانذار والتحذير ٢٢٤

باب صفة النار ٤٢٢

باب نفخ الصور ٣٤١

باب ما نزل سورة بهود ديها ٤٥٦

قال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر ٤٩٨

باب الحب في الله ومن الله

الحب في الله اي في ذات الله وجهته
لا يشوبه الريا والهوى ومن الله اي من جهة الله اي اذا احب عبدا احب لاجل الله
وسببه ومن هنا كما في قوله تعالى تفيض من الدمع وكما في قوله والذين جاهدوا فينا
وهو ابلغ حيث جعل المحبة ظرفا كذا حققه الطيبي وفيه ان مالهما الى معنى واحد
والظاهران مراده من عنوان الباب فضيلة الحب لله وما يترتب عليه الحب من جانب
الله كما سيصرح به الاحاديث الاتية بهذا المعنى فالصواب ان يقال ان في تعليلية ومن
ابتدائية والمعنى حب العبد العبد لاجل رضى الله والحب الكاين من الله للعبد فالثاني
نتيجة الاول كما في الشريعة او مقدمة له كما في الطريقة وهو محفوف بهما كما في الحقيقة
على ما حقق في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله والله اعلم

الفصل الاول

عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه ٧
وسلم الارواح اي ارواح الانسان جنود جمع جند اي جموع مجندة بفتح النون المشددة
اي مجتمعة متقابلة او مختلطة منها حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ومنها حزب
الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وفي قوله تعالى ولله جنود السموات والارض
اشارة الى ان الجنود حيث احدهما علوي الهمة والاخر سفلي الهمة فما تعارف معنى التعارف
جريان المعرفة بين اثنين والتناكر ضده اي فما تعارف بعضها من بعض قبل حلولها في الابدان
ائتلف بهمزة وصل ثم همزة ساكنة تبدل الفا في الوصل جوازا وتبدل ياء حال الابتداء وجوبا
اي حصل بينها الالفة والرافة حال اجتماعها بالاجساد في الدنيا وما تناكر منها اي في عالم الارواح
اختلف في عالم الاشباح والافراد والتذكير في الفعلين باعتبار لفظ ما والمراد منه بطريق
الاجمال والله اعلم بحقيقة الحال ان الارواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة
الى ضرايب مختلفة وشواكل متباينة وكل ما تشاكل منها في عالم الامر في شاكلته تعارفت
في عالم الخلق وايتلفت واجتمعت وكل ما كان على غير ذلك في عالم الامر تناكرت في عالم
الخلق فاختلفت وافترقت فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه وبالتناكر
ما بينهما من التنافي والتباين فتارة على وجه الكمال وتارة على وجه النقصان اذ قد يوجد
كل من التعارف والتناكر بادني مشاكلة بينهما اما ظاهرا واما باطنا وتحقيقه يطول
ويخاف من اعراض الملوك واعتراض الفضول هذا وقيل هذا الاجتماع كان يوم
الميثاق فمن تقابل منهم اثنان يوميذ يأتلفان في الدنيا غاية المؤالفة ومن تدابر منهم
شخصان يختلفان في نهاية المخالفة ومن وقع في الاحباب له مشلكة من مشاكلة كل
باب كالمنافقين واشباههم مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ثم لا يمنع من
هذا التعارف والتناكر صلة الاجانب وشحنة الاقارب شعر كانت مودة سلمان
له نسبا ولم يكن بين نوح وابنه رحم ولا يدفعه بعد الدار ولا يجمعه قرب المزار ومناسبة
الارواح بيني وبينها ۔ والا فاين الترك من ساكني نجد ۔ قال الحكيم اقرب القرب مودة
القلب وان تباعد جسم احدهما من الثاني وابعد البعد تنافر الثاني وفي النهاية قوله
جنود مجندة اي مجموعة كما يقال الوف مولفة وقناطير مقنطرة ومعناه الاخبار عن مبدا
كون الارواح وتقدمها الاجساد اي انها خلقت اول خلقها على قسمين من ايتلاف واختلاف
كالجنود المجندة المجموعة اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الارواح ما جعلها الله عليه

من السعادة

من السعادة والشقاوة والاخلاق في مبدا الخلق يقول ان الاجساد التي فيها الارواح
تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الخير
مع الخير يحب الاخيار ويميل اليهم والشرير يحب الاشرار ويميل اليهم انتهى وفيه
الاشارة الى المناسبة بين الحديث وعنوان الباب لا سيما وهو صدر الخطاب
وفي شرح السنة فيه دليل على ان الارواح ليست باعراض وعلى انها كانت
موجودة قبل الاجساد في الخلقة رواه البخاري اي عن عايشة ورواه مسلم
عن ابي هريرة وفي الجامع الصغير رواه البخاري عن عايشة ورواه احمد
ومسلم وابو داود عن ابي هريرة والطبراني عن ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح
وزاد فيه تلتقي فتتشام كما تتشام الخيل قال البيهقي سالت الحاكم عن معناه
فقال المومن والكافر لا يسكن قلبه الا الى شكله ورواه مسلم عن ابي هريرة ايضا
بلفظ الارواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ايتلف وما تناكر منها في الله اختلف
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا اي ٨
اذا اراد اظهار محبة لعبد من عباده وهي اما من صفات الذات فمعناها ارادة
الخير او من صفات الافعال فهي بمعنى اكرامه واحسانه به وانعامه عليه دعا جبريل
بدل على جلالته حيث خصه من بين افراد الملايكة فيكون افضل من اسرافيل
وميكاييل وساير حملة العرش والملايكة المقربين ويحتمل ان يكون وجه
تخصيصه لكونه سفيرا بين الله ورسله المبعوثين الى المخلوقين فقال اي الله
اني احب فلانا وفي عدم ذكر سبب المحبة من اوصافه عمده اشارة الى ان
افعاله تعالى مبراة عن الاعراض والعلل يترتب على محبته تعالى محبة
العبد اياه بسلوك سبله واتباع رسله ودوام اشتغاله بذكره ودعايه
وثنايه والشوق الى رضايه ولقايه فاحبه اي انت ايضا زيادة لاكرام العبد
والا فكفى بالله محبا ومحبوبا وطالبا ومطلوبا وحامدا ومحمودا قال اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحبه جبريل اي ضرورة عدم عصيانه امر ربه فيحبه
لحبه وهذا من المحبة في الله ان لا يحبه لغرض سوى مرضاة مولاه ومحبة
جبريل دعاوه واستغفاره له والميل اليه الاجتماع ونحوه كذلك ثم ينادي
اي جبريل بامر الملك الجليل في السما اي في اهل السما كما في قرينته الاتية والمعنى
بحيث يصل سماع كلامه الى اهلها كلهم ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السما اي جميعهم ثم يوضع له القبول وهو اثار المحبة ثم هذا الوضع يتبدا جبريل
او غيره في الارض اي في قلوب اهلها من اهل المحبة فلا يرد ان كثيرا من الاوليا
ليس لهم قبول عند اهل الدنيا لان العبرة بخواص الانام لا بالعوام كالانعام واذا
ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل
قال النووي محبة الله العبد هي ارادة الخير له وهدايته وانعامه عليه ورحمته
وبغضه ارادة عقوبته وشقاوته ونحوه كذلك وحب جبريل والملايكة يحتمل
وجهين احدهما استغفارهم له وثناوهم عليه ودعاوهم له وثانيهما ان محبتهم
على ظاهرها المعروفة من المخلوقين وهو ميل القلب اليه واشتياقه الى لقايه

قلت هذا هو الاظهر لانه متى صح حمل اللفظ على معناه الحقيقي فلا وجه للعدول
عنه الى المجاز مع ان المعنى الاول متفرع على الثاني قال وسبب حبهم اياه كونه
مطيعا لله محبوبا له قلت كونه مطيعا اما سابقا او لاحقا لما حقق في مرتبتي
السالك والمجذوب والمريد والمراد قال ومعنى يوضع القبول في الارض الحب في قلوب
الناس ورضاهم عنه فتميل اليه القلوب وترضى عنه وقد جاء في رواية فتوضع
له المحبة قال الطيبي والكلام في المحبة وبيان اقسامها قد مضى مستوفى في اسماء الله
الحسنى قلت وبقي كثير محله كتاب الاحياء ثم ينادي اي جبريل في اهل السماء
ان الله بالكسر على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين على ان في النداء
معنى القول ذكره ابن الملك ويحتمل ان يكون بالفتح كما في بعض النسخ على اضمار
الباء كما ذكر المفسرون في قوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
ان الله فان جميع القراء فيه بالفتح وقد يفرق بينهما بان ان اذا كانت مكسورة
تكون من جملة المنادى بخلاف ما اذا كانت مفتوحة وحاصله ان الله سبحانه يبغض
فلانا فابغضوه وفيه اشعار بان الملا الاعلى ليس لهم شعور بمحبوبه تعالى
ومبغوضه الا باعلامه اياهم ثم مثل هذا المحبوب والمبغوض لا ينقلب حكمه لئلا
يلزم خلف في اخباره تعالى قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الارض رواه
مسلم وفي الدر المنثور عند قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا اخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا ما هو قال المحبة في صدور
المومنين والملائكة المقربين يا علي ان الله اعطى المومن المقة والمحبة والحلاوة
والمهابة في صدور الصالحين واخرج ابن ابي شيبة وعبد الله بن حميد وهنا
وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم
واخرج عبد الله بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن ابي
حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا
فاحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في اهل الارض فذلك قول الله تعالى ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واذا ابغض الله عبدا
نادى جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في اهل السماء ثم ينزل له البغض في
الارض انتهى فحديث المشكاة متفق عليه في المعنى وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة اي على ٩
رووس الاشهاد تعظيما لبعض العباد اين المتحابون بجلالي اي بسبب
عظمتي ولاجل تعظيمي والذين يكون التحابب بينهم لاجل رضاي حنا وجزا
ثوابي قال الطيبي الباء فيه بمعنى في وفيه ما فيه وخص الجلال بالذكر لدلالته
على الهيبة والسطوة اي المتنزهون عن شايبة الهوى والنفس والشيطان
في المحبة فلا يتحابون الا لاجلي ولوجهي قلت ويمكن ان يكون من باب
الاكتفاء والتقدير بجلالي وجمالي اي المتحابون لي في حالتي القبض والبسط

والخوف

ووقع ـــــ سه عزوجل

والخوف والرجا والمحنة والمنحة فليغيبه دوام تحابيهم اليوم قال الشارح ظرف
متعلق باين قلت الاظهر انه ظرف لقوله اظلهم في ظلي اي ادخلهم في ظل حمايتي او
اريحهم من حرارة الموقف راحة من استظل او اظلهم في ظل عرشي وهو الاظهر
فتدبر ويويده ما رواه الطبراني في الكبير عن ايوب المتحابون في الله على
كراسي من ياقوت تحت العرش وقوله يوم لا ظل الا ظلي بدل من اليوم المتقدم
كما قاله الطيبي او منصوب بتقدير اعني وهو الاظهر وفي شرح مسلم للنووي قال
القاضي الظاهر انه في ظل الله عن الحر ووهج الموقف وقال عيسى بن دينار كناية عن
كونه في كنفه وستره ومنه قولهم السلطان ظل الله في الارض ويحتمل ان يكون
عبارة عن الراحة والتنعم يقال هو في عيش ظليل اي طيب ذكره الطيبي واوسط
الاقوال هو الاوسط اذ لا يصح اسناد الظل حقيقة الى الله تعالى فينبغي تاويله
بارتكاب المجاز او بحذف المضاف وما ابعد الاحتمالان الاخيران اذ يصير التقدير
انعمهم في تنعمي ولكن التقليد منقلب على الاعمى وحب الشي يعمي ويصم رواه
مسلم وكذا احمد وعنه اي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
زار اخا له اي اراد زيارة اخيه المسلم او متواخيه في الله وهو اعم من ان يكون
اخاه حقيقة او مجازا في قرية اخرى اي غير مكان الزاير فارصد الله له على
مدرجته اي اعد وهيا او اقعد في طريقه ملكا وفي النهاية اي وكله بحفظ
مدرجته يقال رصدته اذا قعدت له على طريقه تترقبه انتهى فقوله تعالى ان
ان ربك لبالمرصاد وفيه تجريد المعنى انه مراقب للعباد وقال المدرجة بفتح الميم
والراء هي الطريق سمي بذلك لان الناس يدرجون عليها اي يمضون ويمشون
انتهى والاظهر ان المدرجة من الطريق مكان مرتفع يمشي فيه درجة درجة
في الطلوع والنزول ومنه درجة منى التي هي وصلتها الى المنى يعرفها من
ذهب في طريق الموقف الى عرفات ايضا من هنا قال استيناف جوابا لمن قال
وما بعد ذلك اي الملك للزاير اين تريد الظاهر ان هذا من باب تجاهل العارف
مع ما فيه من التورية حيث ان مقصوده الاصلي من تريد وما كان من
القواعد المقررة ان من احب شيئا اكثر ذكره والاناير تترشح بما فيه قال اي
الزاير اريد اخا اي زيارة اخ لي اي مختصا بي في هذه القرية ولعل تعيينها علم
بالاشارة واطنب في الكلام لتصميم المرام على نوع من اسلوب الحكيم فكانه قال له لا تسال
عن المحل واكتف بالسوال عن الحال فان هذا طريق ارباب الحال بلا محال قال
الطيبي فان قلت كيف طابق هذا سواله بقوله اين تريد قلت من حيث
ان السوال متضمن لقوله اين تتوجه ومن تقصد ولما كان قصده الاولى
الزيارة ذكره وترك ما لا يهمه قلت هذا انما يتم لو لم يقل في هذه القرية ونظيره
قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك
رب لترضى لما كان الغرض من السوال في استعجاله انكار تركه القوم ولما ويتقدمه
عليهم قدمه في الجواب واخر ما وقع السوال عنه قلت في كونه نظيرا له نظر بل مثال
له بحسب المعنى وتوضيحه ما ذكره البيضاوي من ان قوله تعالى وما اعجلك

عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها
نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب
موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري اي ما
تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة
قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة
الى امتثال امرك والوفا بوعدك يوجب مرضاتك انتهى قال اي الملك للزاير هل لك
عليه اي على المزور من نعمة تربها بضم الراء والموحدة والمشددة اي تقوم
باصلاحها واتمامها اي هل هو مملوكك او ولدك او غيرهما ممن هو في نفقتك وشفقتك
لتحسن اليه من رب فلان الضيعة اي اصلحها واتمها وفي بعض النسخ هل له عليك
من نعمة تربها اي تحفظها وتستزيد بالقيام على شكرها وقال الطيبي اي
هل اوجبت عليه حقا من النعم الدنيوية تذهب اليها فتربها اي تملكها منه وتستوفيها
قال لا غير اني احببته في الله قال اي ليس لي داعية الى زيارته الا محبتي في
طلب مرضاة الله قال اي الملك فاني رسول الله اليك بان الله قد احبك كما احببته
ولعل وجه الشبه انه كما احب من غير سبب دنيوي كذلك الحق احبه
من غير باعث اخر من عمل اخروي ويمكن ان تكون الكاف للتعليل كقوله تعالى
واذكروه كما هداكم قال النووي فيه فضل المحبة في الله وانها سبب لحب
الله وفضيلة زيارة الصالحين وان الانسان قد يرى الملايكة قلت رويت
غير الانبيا والرسل من المومنين للملايكة على صورة البشر امر واضح ثبت
في ضرب الكتاب في حديث جبريل وغيره وانما يقال هنا فيه دليل على ارسال
الله الملك الى الاوليا ومخاطبته اياهم بتبليغ المرام زيادة على مرتبة الالهام والظاهر
ان هذا من خصايص الامم السابقة تحقيقا لختم النبوة والله سبحانه اعلم رواه مسلم
وعن ابن مسعود قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف
تقول في رجل احب قوما اي من العلما او الصالحين ولم يلحق بهم اي بالصحبة او العلم او
العمل او بمجموعها اي لم يصاحبهم ولم يعامل معاملتهم وقيل اي لم يرهم فقال المرء مع
من احب اي يحشر مع محبوبه ويكون رفيقا لمطلوبه قال تعالى ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية وظاهر الحديث العموم الشامل للصالح ويويده
حديث المرء على دين خليله كما سياتي ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد متفق
عليه وفي الجامع الصغير المرء مع من احب رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذي
والنساي عن انس والشيخان ايضا عن ابن مسعود وفي رواية للترمذي المرء مع من
احب وله ما اكتسب وعن انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة اي وقت قيام
القيامة ولما كان السوال محتملا لان يكون تعنتا وانكارا لها وان يكون تصديقا بها واشفاقا
منها واشتياقا للقاء ربها قال امتحانا له ويلك ما اعددت لها والا لو تحقق عنده صلى
الله عليه وسلم ايمانه بها واتيانه لها ويحك بدل ويلك قال ما اعددت لها الا اني احب
الله ورسوله ولم يذكر غيره من العبادات القلبية والبدنية والمالية لانها كلها فروع
للمحبة مترتبة عليها ولان المحبة هي اعلى منازل السايرين واعلى مقامات الطايرين

فانها باعثة

ويقف ــــــــ عز وجل

فانها باعثة لمحبة الله او نتيجته لها قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال ان كنتم تحبون
الله ولان المحبة فاتبعوني يحببكم الله فكا ومن المعلوم الواضح عندهم ان المحبة المجردة
من غير المتابعة ليس بها كثير فايدة ولا كبير عايدة قال انت مع من احببت اي ملحق بهم
غلب محبته على محبة غيره من النفس والاهل والمال ويدخل في زمرته ومن علامة
المحبة الصادقة ان يختار امر المحبوب ونهيه على مراد غيره ولذا قالت رابعة

تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع

وقال الطيبي سلك مع السايل طريق الاسلوب الحكيم لانه سال عن وقت الساعة
فقيل له فيم انت من ذكراها وانما يهمك ان تهتم باهبتها وتعتني بما ينفعك عند
ارسايها من العقايد الحقة والاعمال الصالحة فاجاب بقوله ما اعددت لها الا اني
احب الله ورسوله انتهى وبعده من المبنى والمعنى لا يخفى قال انس فما رايت
المسلمين فرحوا بشي بعد الاسلام اي بعد فرحهم به او دخولهم فيه فرحهم بها
اي كفرحهم بها اي بتلك الكلمة وهي انت مع من احببت قال الخطابي الحقه صلى
الله عليه وسلم بحسن النية من غير زيادة عمل باصحاب الاعمال الصالحة انتهى
ولان يخلوا عن ابهام وايهام والتحقيق انهم حسبوا ان لا تحصل المعية بمجرده
مع وجود المتابعة بل تتوقف على كثرة العبادة وزيادة الرياضات والمجاهدات
ويدل عليه ما اورده عماد الدين ابن كثير في تفسيره باسناده الى عايشة
قالت جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب الي
من نفسي واحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك
فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت
مع النبيين وان دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى
نزلت ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا فتبين بهذا ان المراد بالمعية هنا معية
خاصة وهي ان تحصل فيها الملاقات بين المحب والمحبوب لا انهما يكونان في درجة واحدة
لانه بديهي البطلان وقد روى مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اهل الجنة ليتراون في الجنة كما تراون او ترون الكوكب الدري الغارب في الافق الطالع
في مفاضل الدرجات قالوا يا رسول الله اولئك النبيون قال بلى والذي نفسي بيده واقوام
امنوا بالله وصدقوا المرسلين يعني وانهم عملوا بمقتضى ايمانهم وتصديقهم ما يدل
على ايمانهم وتحقيقهم ثم جا في حديث بيان كيفية الملاقاة المذكورة وهو ما ذكره ابن
كثير في تفسيره عن ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا ابن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع
في قوله تعالى ومن يطع الله والرسول الاية قال ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
قد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم له فضل على من امن به في درجات الجنان على من اتبعه
وصدقه وكيف لهم اذا اجتمعوا في الجنة ان يرى بعضهم بعضا فانزل الله في ذلك يعني
هذه الاية فقال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعلين ينحدرون الى من
هو اسفل منهم فيجتمعون في رياضها فيذكرون ما انعم الله عليهم ويثنون عليه وينزل

لهم اهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به فهم في روضة يحبرون
ويتنعمون فيه ثم الظاهر ان هذه المعية والمواجهة المجاملة تختلف باختلاف حسن
المعاملة والله اعلم متفق عليه وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه
١٢ وسلم مثل الجليس اي المجالس الصالح والسوء بفتح السين وبضم والجليس الصالح
كحامل المسك ناظر الي الاول ونافخ الكير بكسر الكاف زق ينفخ فيه الحداد واما
المبني من الطين فكور كذا في القاموس فحامل المسك اما ان يحذيك من الاحذا
اي يعطيك مجانا واما ان تبتاع منه رائحة طيبة اي يشتري واما ان تجد منه
رائحة طيبة وهذا بيان اقل المنفعة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك من الحراق اي يكون
سببا للاحراق او تقديره يحرق بناره ثيابك ولعله وقع اختصار حيث لم يقل اما ان يحرق
اعضايك اوثيابك واما ان تجد منه رائحة خبيثة اي دخانه وهذا اقل المضرة
والمعنى فعليك بمحبة الاول او مصاحبته واياك مودة الثاني فحسن مرافقته قيل فيه
ارشاد الي الرغبة في صحبة الصلحا والعلما ومجالستهم فانها تنفع في الدنيا والاخرة والي
الاجتناب عن صحبة الاشرار والفساق فانها تضر دنيا ودينا قيل مصاحبة الاخيار
تورث الخير ومصاحبة الاشرار تورث الشر كالريح ان هبت على الطيب عبقت طيبا
وان مرت على النتن حملت نتنا وقيل اذا جالست الحمقا علق بك من حماقتهم ما لا يعلق
بك من العقل اذا جالست مع العقلا لان الفساد اسرع الي الناس واشد اقتحاما
في الطبايع والحاصل ان الصحبة تؤثر ولذا قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين وقال بعض العارفين كونوا مع الله فان لم تقدروا ان تكونوا مع
الله فكونوا مع من يكون مع الله وتفصيل هذه المسيلة وتفصيل الخلطة والعزلة
في الاحيا بطريق الاستقصا متفق عليه في الجامع الصغير مثل الجليس الصالح والجليس
السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك ما تشتري به
او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة رواه البخاري
عن ابي موسى مثل الجليس الصالح مثل العطار ان لم يعطك من عطره اصابك من
ريحه رواه ابو داود والحاكم عن انس مثل المومن كمثل العطار ان جالسته نفعك
وان ماشيته نفعك وان شاركته نفعك رواه الطبراني عن ابن عمر والله اعلم

الفصل الثاني

عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله تعالى وجبت اي ثبتت او تقدمت محبتي للمتحابين
في بتشديد الباء التحتية اي لاجلي والمتجالسين في اي في حبي او سبيلي والمتزاورين
١٤ في اي رضاي رواه مالك وفي الجامع الصغير رواه احمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن
معاذ وفي رواية الترمذي بالاضافة قال يقول الله تعالى المتحابون في جلالي اي لاجل
اجلالي وتعظيمي وهو من باب الاكتفا كما سبق لهم منابر من نور يغبطهم النبيون
والشهدا بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر وهي تمني نعمة على ان لا تتحول عن صاحبها
بخلاف الحسد فانه تمني زوالها عن صاحبها فالغبطة في الحقيقة عبارة عن حسن الحال
كذا قيل وفي القاموس الغبط حسن الحال والمسرة فمعناها الحقيقي مطابق للمعنى
اللغوي فمعنى الحديث يستحسن احوالهم الانبيا والشهدا وبهذا يزول الاشكال الذي

تخيرفيه

تخيرفيه العلما وفي الجامع الصغير المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش
رواه الطبراني عن ابي ايوب وقال القاضي كل ما يتحلى به الانسان ويتعاطاه من علم
وعمل فان له عند الله تعالى منزلة لا يشارك فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك
وان كان له من نوع اخر ما هو ارفع قدرا واعز ذخرا فيغبطه بان يتمنى ويحب
ان يكون له مثل ذلك مضموما الي ما له من المراتب الرفيعة والمنازل الشريفة وذلك
معنى قوله يغبطهم النبيون والشهدا فان الانبيا قد استغرقوا فيما هو اعلى
من ذلك من دعوة الخلق واظهار الحق واعلا الدين وارشاد العامة والخاصة
الي غير ذلك من كليات اشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزييات كحقوقها
والشهدا وان نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الاكبر فلعلهم لم يعاملوا مع
الله معاملة هولا فاذا راوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم
عند الله ودوا لو كانوا ضامين خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين فايزين
بالمرتبتين هذا والظاهر انه لم يقصد في ذلك الي اثبات الغبطة لهم على حال هولا بل بيان
فضلهم وعلو شانهم وارتفاع مكانهم وتقريرها على اكد وجه وابلغه والمعنى ان
حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهدا يوميذ مع جلالة
قدرهم ونباهة امرهم حال غيرهم لغبطوهم وقال الطيبي يمكن ان يحمل الغبطة هنا على
استحسان الامر المرضي المحمود فعله لانه لا يغبط الا في الامر المحمود المرضي كان الانبيا
والشهدا يحمدون اليهم فعلهم ويرضون عنهم فيما تحروا من المحبة في الله وبغضه
ما رويناه في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم تبوك قال فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الفجر للوضوء وحملت
معه اداوة ثم اقبلنا حتى نجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فادرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الاخرة
فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فافزع ذلك
المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل عليهم
ثم قال احسنتم او قال اصبتم يغبطهم ان صلوا الصلاة لوقتها فقوله يغبطهم
الي اخره كلام الراوي تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم احسنتم او اصبتم قال
وايضا لا يبعد ان هذه الحالة في المحشر قبل دخول الناس في الجنة او النار
لقوله يعني في الحديث الاتي لا يخافون اذا خاف الناس والتعريف للاستغراق
فيحصل لهولا الامن والفراغ في بعض الاوقات ما لا يحصل لغيرهم لاشتغالهم
بحال انفسهم او حال اممهم فيغبطونهم لذلك انتهى وقوله فيحصل لهولا الامن
ما لا يحصل لغيرهم غير صحيح لقوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وايضا تصور امن الاوليا على الانبيا كما يشعر به هذا الحديث
والعلما عاملون في تاويله بوجه يزيل الاشكال والله اعلم بالحال وكذا قول بعض
الشراح يغبطهم وقت الحساب قبل دخولهم الجنة يعني هم على المنابر والخلق في
الحساب انتهى وهو بظاهره معزول عن صوب الصواب وعن عمر قال قال رسول ١٥
الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله اي الكاملين في الايمان العاملين بالاحسان

وقعـــــ لله عز وجل

لا ناسا اي جماعة عظيمة من الاوليا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا اي ممن فاتهم التزاور والالفا التحابب والتجالس لله بين كل نبي وامته حاصل بلا شبهة اللهم الا ان يراد بالتحابب ونحوه وجود الفعل بين المتماثلين والشهدا اي ممن فاتهم المجالسة ونحوها يوم القيامة بمكانهم اي بمنزلة الاوليا المتحابين ومكانتهم ومرتبتهم الزايدة على غيرهم من الله اي من قربه سبحانه قالوا يا رسول الله تخبرنا بهمزة مقدرة او خبر معناه الامر يعني الالتماس اي اخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا اقتصر عليه لان ما سبق من التجالس والتزاور والتباذل فرع التحابب والمعنى تحابب بعضهم بعضا بروح الله اي بحبوبه بضم الرا وهو ما يحيى به الخلق ويكون حياة لهم وفي بعض النسخ بفتحها ففي النهاية الروح بفتح الرا نسيم الريح فالمعنى انه باذن الله او بنفحة من نفحاته ومنه ما روي اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وان لله في ايام دهركم الا فتعرضوا لها فيه ايما الي هذه النعمة لم تحصل لكل احد ولا توجد في كل وقت لانها تتوقف على جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين فالتحابب سبب التجاذب واما رواية الضم فقال القاضي الروح بضم الرا قيل اراد به هنا القران لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سمي بذلك لانه يحيى به القلب كما يحيى بالروح البدن والمعنى انهم يتحابون بداعية الاسلام ومتابعة القران حثهم عليه من موالات المسلمين ومصادقتهم انتهى وخلاصته ان السبب الداعي الي تحابهم هو الوحي المنزل الهادي الي سوء السبيل لا شي اخر من الاغراض وقيل المراد بالروح المحبة فانه يقال انت روحي اي محبوبي كالروح اي تحابوا بما القى الله في قلوبهم من المحبة الخالصة لله عز وجل واما قول الطيبي ومنه قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فبعيد جدا اذ المراد به جبريل باتفاق المفسرين وسمي روحا لان الدين يحيى به وبوحيه على غير ارحام اي حال كون تحابهم على غير ارحام بينهم اي بغير سبب نسب صوري بل لاجل قرب معنوي ولا اموال اي ولا اشتراك اموال يتعاطونها اي بالمعاملة او المجاملة ولما كان الاغراض الفاسدة في المحبة منحصرة في انها اما ان تكون للقرابة على ما هو مركوز في الطبايع او للمال من حيث انه مطمح الاطماع اقتصر عليها والمقصود تحسين النية وتزيين الطوية فوالله ان وجوههم لنور اي منورة او ذات نور وهي نفس النور مبالغة كرجل عدل وانهم لعلى نور اي على منابر من نور كما جا في حديث اخر قال القاضي وهو تمثيل لمنزلتهم ومحلهم شبه بما هو اعلى ما يكاس عليه في المجالس والمحافل على اعلى الاوضاع واشرفها من جنس ما ابهج واحسن ما يشاهد ليدل على رفعتهم في الغاية القصوى من العلا والشرف والبها انتهى او عبر عنهما بالنور مبالغة فهو نور على نور في غاية من الظهور ولهم سرور على سرور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس لسرالتوفيق اي النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا للفقرة الاخيرة من الحديث او قرا الصحابي اعتضادا هذه الاية الا للتنبيه ان اولياء الله المتقون الاثم من المتحابين لا خوف عليهم اي يوم القيامة من لحوق عقاب ولا هم يحزنون من فوت ثواب رواه ابو داود اي عن عمر بلفظ المشكاة

ورواه

ورواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناد عن ابي مالك قال المولف في فصل الصحابة هو كعب بن عاصم الاشعري كذا قاله البخاري في التاريخ وغيره روى عنه جماعة مات في خلافة عمر بلفظ المصابيح مع زوايده اي مع كلمات زايدة او مع زوايد فوايد على حديث ابي داود وكذا اي مثل حديث المصابيح في شعب الايمان اي للبيهقي ولفظ المصابيح هكذا عن ابي مالك الاشعري انه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ان لله عز وجل عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة فقال اعرابي حدثنا من هم قال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبايل شتى لم تكن بينهم ارحام يتواصلون ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن قال ابن الملك من شراحه هذا عبارة من قرب المنزلة من الله عز وجل وقال شارح اخر قوله قدام الرحمن اي قدام عرش الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون قال ابن ملك الفرق بين الفزع والخوف ان الفزع اشد انواع الخوف وقيل الفزع خوف من جبن والخوف غم يلحق الانسان لسبب امر مكروه سيقع انتهى والاظهر في الفرق ان المراد بالفزع هنا الاستغاثة على ما في القاموس وهي قد تنشا من خوف العقوبة وهي تكون من طمع تعلية الدرجة والله اعلم هذا اذا كان حق المولف ان يصدر الحديث بقوله عن ابي مالك ويأتي بالحديث على ملفظ المصابيح بمقتضى اصله فيقول رواه البيهقي في الشعب وكذا رواه في رواة في شرح السنة ثم يقول رواه ابو داود نحوه مع تغيير يسير لكن من رواية عمر لان التضعيف منها امكن حقه ان لا يغير وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر اي عرى الايمان بضم عين وفتح را جمع عروة وهي في الاصل ما يتعلق به من طرف الدلو والكوز ونحوهما فاستعير لما يتمسك به في امر الدين ويتعلق به من شعب الايمان وقوله اوثق اي احكم قال الله ورسوله اعلم وبوله الحكمة في السوال ان يقع الجواب في حال التوجه اليه واقبال الفكر عليه فهو بمنزلة التاكيد لديه قال الموالاة اي المعاونة والمحابة من الطرفين والحب في الله اي لاجله ولو من طرف واحد كحب البعض من اوليا الله ممن لم يرنا ولا نراه والبغض في الله اي في سبيله قال تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان الاية رواه البيهقي في شعب الايمان ورواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا بلفظ اوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل وروى ابو داود والضيا عن ابي امامة مرفوعا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي رواية استكمل ايمانه وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عاد المسلم اخاه اي مريضا او زاره اي صحيحا فاو للتنويع ويحتمل ان يكون للشك بنا على تغليب احدهما ونظرا لاصل المعنى اللغوي لان العيادة والزيارة متقاربان في المعنى الا ان العيادة تستعمل غالبا في المرض والزيارة في

ومعـــــــ لله عزوجل

١١
الصحة والاطهران الزيارة اعم من العيادة كما ان كلا منهما اخص من العبادة قال الله تعالى
اي بلا واسطة وعلى السنة بعض الملايكة طبت عيش فيها وهو اخبار يحتمل الدعا وطاب
ممشاك اي صار مشيك سبب طيب عيشك فيها كذا ذكره بعض الشراح ولا بعد
في تعميم طيب العيش ليشمل طيب الحياة في الدنيا بالقناعة والرضا وبركة الرزق
وسعة القلب وحسن الخلق وتوفيق العلم والعمل ويمكن ان يكون الطيب كناية
عن قبول نيته وشكر سعيه وتبوات من الجنة منزلا اي هيات منها بهذه العيادة
منزلة عظيمة ومرتبة جسيمة فان ادخال السرور في قلب المومن افضل من عبادة
الثقلين لاسيما والعيادة فرض كفاية وفيها موعظة وعبرة وتذكرة وتنبيه على
استغنام الصحة والحياة ورفع الهموم الزايدة نسال الله العفو والعافية وحسن ١٧
الخاتمة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن المقدام بن معدي كرب
ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الرجل اخاه فليخبره انه يحبه اي ليعلمه
ايضا وليدعوه لمحبة الله له كما سيأتي فيكونا من المتحابين قال الخطابي معناه الحث ١٨
على التودد والتالف وذلك انه اذا اخبره انه يحبه استمال به قلبه واجتلب به وده وفيه
انه اذا علم انه محب له وادا قبل نصحه ولم يرد عليه قوله في عيب ان اخبره به نفسه
رواه ابو داود والترمذي اي وقال حسن صحيح قال ميرك ورواه النسائي
في اليوم والليلة انتهي وفي الجامع الصغير اذا احب احدكم اخاه فليعلمه انه يحبه
رواه احمد والبخاري في تاريخه وابو داود والترمذي والحاكم وابن حبان عن المقدام
وابن حبان ايضا عن انس وفي رواية لاحمد والضيا عن ابي ذر بلفظ اذا احب
احدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره انه يحبه لله ورواه البيهقي عن ابن
عمر ولفظه اذا احب احدكم ان توافي له عدوا فيخبرك بما ليس فيه عيبا فليخبره
فانه يجد مثل الذي يجد له وفي حديث معاذ رواه ابو نعيم في الحلية
اذا احببت رجلا فلا تماره ولا تشاره ولا تسال عنه احدا فعسى
ان توافي له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه وعن
انس قال مر رجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده الناس جملة حالية
فقال رجل ممن عنده اني احب هذا لله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعلمته بهمزة مقدرة محققة او مسهلة ويجوز ان يقرا بهمزة ممدودة على
ان الثانية منقلبة قال لا قال قم اليه اي مبادرة فاعلمه فقام اليه فاعلمه
فقال اي الرجل الاول احبك الذي اي لله كما في نسخة الذي احببتني له
قال اي الراوي ثم رجع اي الرجل الثاني فساله النبي صلى الله عليه وسلم
اي عما جرى بينهما او عما اجاب له فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه ١٩
وسلم انت مع من احببت اي دنيا واخرى ولك ما احتسبت اي اجر ما احتسبت
والاحتساب طلب الثواب واصل الاحتساب بالشي الاعتداد به ولعله ما
خوذ من الحساب او الحسب واحتسبت بالعمل اذا قصد به مرضات
ربه رواه البيهقي في شعب الايمان وفي رواية الترمذي المرء مع من
احب وله ما اكتسب قال التوربشتي وكلا اللفظين قريب من الاخر في

المعنى

١٤
في المعنى المراد منه قال الطيبي وذلك لان معنى ما اكتسب كسب يعتد به ولا يرد عليه
لسبب الريا والسمعة وهذا هو معنى الاحتساب لان الافتعال للاعتمال في النهاية
الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدد وانما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله
احتسبه لان له حينئذ ان يعتد عمله فجعل في حال مباشرة الفعل كانه معتد به والحسبة
اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد وبهذا الحديث حصن الحزري واذا قال له اني احبك
وفي رواية في الله قال احبك الذي احببتني له رواه النسائي وابو داود وابن
حبان وابن السني في عمل اليوم والليلة وعن ابي سعيد اي الخدري انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تصاحب اي لا تقصد في المصاحبة الا مومنا
اي كاملا بل مكملا والمراد النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين لان مصاحبتهم
مضرة في الدين فالمراد بالمومن جنس المومنين ولا ياكل طعامك الا تقي اي مومن او متورع
يصرف قوة الطعام الى عبادة الملك العلام والنهي وان نسب الى التقي ففي الحقيقة
مسند الى صاحب الطعام فهو من قبيل لا اربنك ههنا فالمعنى لا تطعم طعامك الا ٢٠
تقيا وفي رواية زيادة ولا تاكل الا طعام تقي فان طعامه غالبا يكون حلالا او لنزاهة
تحصيل العبادة وقال الخطابي هذا انما جا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة وذلك
ان الله تعالى قال ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ومعلوم ان
اسراهم كانوا كفارا غير مومنين وانما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن
مخالطته ومواكلته لان المطاعمة توقع الالفة والمودة في القلوب قال الطيبي فان قلت
المومن يجوز ان يراد به العام وان يراد به الخاص الذي تقابله الفاسق كقوله تعالى افمن
كان مومنا كمن كان فاسقا فيكون المعنى لا تصاحب الا صالحا قلت المراد بالفاسق هنا
الكافر باتفاق المفسرين ويدل عليه ما بعده من قوله تعالى لا يستوون اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقال البيضاوي هذا عبارة عن خلودهم وفي
تفسير السيد معين الدين الصفوي نزلت في علي رضي الله عنه والوليد بن عقبة
ابن ابي معيط وكان بينهما تنازع فقال لعلي انا اصبى وانا والله ابسط لسانا واشجع
منك جنانا فقال له علي واحد سنانا اسكت فانك فاسق هكذا قاله عطا بن يسار
والسدي وغيرهما فالفاسق ها هنا معناه الخارج عن الايمان الثابت على الكفر فلا
يشكل بان الوليد اسلم اخر عمره فقال الطيبي ولا ياكل نهي لغير التقي ان ياكل طعامه
والمراد نهيه عن ان يتعرض لما لا ياكل التقي طعامه من حيث كسب الحرام وتعاطي
ما ينفر عنه التقي فالمعنى لا تصاحب الا مطيعا ولا تخالل الا تقيا انتهي وهو في غاية
من البها غير انه لا يستقيم به وجه الحصر فالصواب ما قدمناه والله اعلم رواه الترمذي
وابو داود والدارمي وكذا احمد وابن حبان والحاكم عنه وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله اي غالبا والخلة
الحقيقية لا تتصور الا في الموافقة الدينية او الخلة الظاهرة قد تفضي الى حصول
ما غلب على خليله من الخصلة الدينية ويويده قوله فلينظر احدكم من يخالل قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الغزالي مجالسة

الحريص ومخالطته يحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا لان الطباع مجبولة
على التشبه والاقتدا بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري هذا وفي النهاية الخليل
الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول والخلة بالضم الصداقة والمحبة
التي تخللت القلب فصارت خلاله اي في باطنه انتهى واختلف في ان المحبة اولى والخلة
اعلى والظاهر الاولى وبسطه يطول فينبغي العدول رواه احمد والترمذي وابو داود
والبيهقي في شعب الايمان وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال النووي
في نسخة بزيادة الف اسناده صحيح قال الطيبي ذكره في رياض الصالحين وغرض
المولف من ايراده والاطناب فيه دفع الطعن في الحاصل هذا الحديث ورفع توهم من
توهم انه موضوع قال السيوطي هذا الحديث احد الاحاديث التي انتقدها الحافظ
سراج الدين القزويني وفي المصابيح وقال انه موضوع وقال الحافظ ابن حجر يعني
العسقلاني في رده عليه قد حسنه الترمذي وصححه الحاكم وعن يزيد بن نعامة
بفتح النون والعين المهملة ضبي روى عنه سعيد بن سلمان وكان قد شهد
حنينا مشركا ثم اسلم بعد ذلك وقال الترمذي لا يعرف له سماع من النبي صلى الله عليه
وسلم ذكره المولف في فصل الصحابة وسياتي في اخر الحديث ان صحبته مختلف فيها قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخا الرجل الرجل بمد الهمزة من المواخاة اي اتخذه اخا
في الله فليسأله من باب المفاعلة وفي نسخة صحيحة فليسأله عن اسمه واسم ابيه وممن
هو اي وليسأله من اي قبيلة وقوم هو فانه اي السوال عما ذكر اوصل اي اكثر وصلة للمودة
اي المحبة في الاخوة وفي شرح المصابيح اوصل اي للمودة رواه الترمذي وكذا ابن سعد
والبخاري في تاريخه عنه وقال الترمذي غريب لا نعرف ليزيد سماعا عن النبي صلى الله
عليه وسلم انتهى ورجاله اسناده موثقون ويزيد بن نعامة بفتح النون ابو امر دود الضبي
ذكره ابن عبد البر في الصحابة وحكى عن البخاري انه قال ان له صحبة وقال ابن عبد
البر شهد حنينا مشركا ثم انه اسلم بعد انتهى والجمهور على انه تابعي ثقة قال ابن
ابي حاتم لا صحبة له وسيل ابي عنه فقال صالح الحديث وقال في تهذيب الكمال
الصواب انه يرسل وهو صدوق روى عن انس وروى عنه ابو خلدة وسلام
ابن مسكين نقله ميرك عن التصحيح وخلاصة الخلاف ان الصحبة السابقة
على الاسلام هل هي معتبرة لهم ام لا والصحيح الثاني مع اتفاقهم على جواز تحمل
الحديث في حال الكفر وتاديته حال الاسلام فان صحت له الصحبة والسماع
فيها ونعمت وان ثلث الصحبة ولم يصح سماعه فالحديث من مراسيل الصحابة
وهو حجة عند الكل والا فالحديث من مراسيل التابعي وهو غير مضر لانه حجة
عند الجمهور وعليه مذهبنا المنصور هذا وقد اعتضد الحديث برواية
ابن عمر على ما اخرجه البيهقي في شعب الايمان ولفظه اذا احببت رجلا فلسائله
عن اسمه واسم ابيه فان كان غايبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات
شهدته وهذا الحديث كالتفسير للسابق والله اعلم بالحقايق الفصل
الثالث عن ابي ذر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
من الحجرة الشريفة قال استينافا في بيان جواب السوال مقدر اتدرون اي الاعمال

اي اي نوع من انواعها احب الى الله تعالى اي افضل واما ما قيل من ان الاحبية لا تستلزم
الافضلية ففي هذا المقام غير مستقيمة نعم يتصور بالنسبة الى المخلوق لان ولده احب
اليه وليس يلزم منه انه افضل وكذا كان علي رضي الله تعالى عنه احب الى السيد السني مع
انه ليس افضل من الشيخين وهذا قد يكون مباشر علم او مباشر عمل احب عند احد
مع انه ليس بافضل عنده ايضا قال قايل الصلاة والزكاة الظاهر ان الواو بمعنى
او والتقدير وقال قايل وفي نسخة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان احب الاعمال الى
الله تعالى الحب في الله والبغض في الله ويويده غبطة الانبيا والشهدا ولعل وجه
كونه افضل من اركان الاسلام وعموده وان هذا امر زايد بعد حصول الفرايض نعم يلزم
منه ان يكون افضل من نوافل العبادات وهو كذلك ولا محذور فيه وحاصله
ان بعد ارتكاب المامورات الشرعية واجتناب المحظورات المنهية الحب في الله
والبغض لله افضل العبادات واكمل الطاعات فعليكم بهما ومن الواضح المعلوم انه
ليس المراد انهما افضل من نحو الصلاة والزكاة بمعنى انهما يختاران عليهما او ثوابهما
اكثر من ثوابهما مطلقا ويويده ما رواه الطبراني عن ابن عباس احب الاعمال الى الله
بعد الفرايض ادخال السرور في قلب المومن ورواه ايضا عن الحكيم ابن عمير بلفظ
احب الاعمال الى الله من اطعم مسكينا من جوع او دفع عنه مغرما او كشف عنه كربا انتهى
والكل من باب الحب في الله ولا شك ان العبادة المتقدمة افضل من النوافل القاصرة وقال
الطيبي فان قلت كيف يكون الحب في الله احب الى الله من الصلاة والزكاة والجهاد قلت
من احب في الله يحب الانبيا والاوليا ومن شرط محبتهم ان يقفوا اثرهم وكذلك من
ابغض في الله ابغض اعداه وبذل جهده في المجاهدة معهم بالسنان واللسان انتهى وهو
جواب غير شاف كما لا يخفى بل ولا مناسبة بينهما في المبنى والمعنى رواه اي مجموع
الحديث احمد وروى ابو داود والفصل الاخير اي قوله ان احب الاعمال الى اخره
وفي الجامع الصغير رواه احمد عن ابي ذر بلفظ احب الاعمال الحب في الله والبغض
في الله وعن ابي امامة اي الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب عبد
عبد الله لا ابتغا مرضاته الا اكرم ربه اي عظمه عز اي بهاوه وجل اي ثناوه او ذاته وصفاته
او عز وجليل بغير اعزاز واجلال واكرام من مخلوق كما قال في اية الفرقان وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه
احمد وعن اسما بنت يزيد اي ابن السكن انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا انبيكم بخياركم جمع خير بمعنى اخير اي افاضلكم قالوا بلى يا رسول الله قال خياركم
الذين اذا راوا بصيغة المفعول وكذا قوله ذكر الله رواه احمد وسبق الحديث مسوقا
بطريق مباينة وبيان معانيه في اواخر الفصل الثالث من باب حفظ اللسان وفي الجامع
الصغير بلفظ الا انبيكم بخياركم خياركم الذين اذا راوا ذكر الله رواه احمد وابن ماجة عنها
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدين تحابا في الله اي
تحابا لله عز اي عز له وجل اي فضله واحد بكسر الحا ويجوز فتحها وفي نسخة واحدهما
في المشرق واخر في المغرب اي مثلا لجمع الله بينهما يوم القيامة اي لشفاعة احدهما
للاخر او في الجنة على سبيل المصاحبة والمزاورة والمجاورة يقول اي سيقول اذ

يقال ليس عند الله صباح ولا مساء والاظهر انه حال من الفاعل وهو محتمل ان يقول على لسان ملك او بغير واسطة لكل واحد منهما هذا الذي كنت تخبره وعن ابي رزين بفتح را وكسر زاي قال المولف هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي صحابي مشهور روي عنه عاصم وابن عمرو وغيرهما انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا للتنبيه او الهمزة للاستفهام الانكاري ولا للنفي ونفي النفي اثبات الا انه على ان يلي في جوابه وهو غير لازم فالمعني تنبيه لقولي الا ادلك على ملاك هذا الامر الملاك بكسر الميم ما يتقوم به الشي والمشار اليه ما في الذهن وهو مبهم ببينه وصفه بقوله الذي تصيب به خير الدنيا والاخرة عليك بمجالس اهل الذكر اي الزمها جميعها لانها رياض الجنة على ما رواه الترمذي من حديث انس مرفوعا اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر والمعني اذا مررتم بجماعة يذكرون الله تعالى فاذكروا الله انتم ايضا موافقة لهم فانهم في رياض الجنة وفي رواية من حديث ابي هريرة مرفوعا بلفظ اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال بعض الشراح الحديث مطلقا في المكان والذكر فيحمل المطلق على المقيد ذكره ميرك والصحيح ان المساجد والاذكار المذكورة ذكرها على سبيل المثال نعم المساجد خير المجالس فيحمل على انه خصها لكونها افضل والاذكار هي الباقيات الصالحات وهن من القران ولذا نص عليهما والا فمجالس الذكر يشمل مجالس العلما ومحافل الوعاظ والاوليا ممن يكون مجالسهم مشحونة بذكر الله وما يتعلق به من معرفة العقايد الخفية والشرايع الدينية من العبادات البدنية والمالية وما يتعلق بالحلال والحرام والترغيب والترهيب وامثال ذلك والله اعلم واذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله ومجملة انه لا تغفل عن ذكر الله لا في الملا ولا في الخلا فقد روي البزار باسناد صحيح من حديث ابن عباس مرفوعا قال الله تعالى يا ابن ادم اذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا واذا ذكرتني في ملا ذكرتك في ملا خير من الذين تذكرني فيهم وفي حديث رواه الجماعة الا ابا داود يقول الله انا عند ظن عبدي بي انا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم فقوله في نفسه ظاهر ان المراد به الذكر القلبي لمقابلته بالذكر النفسي الذي هو من جملة الكلام النفسي ففيه اشارة الي بيان الافضل من نوعي الذكر الخفي فقوله فحرك لسانك محمول علي المبتدي حيث احتاج الي انه يذكر الله بجنانه باستعانة لسانه كما حقق في بحث النيه او اشارة الي ان يجمع بينهما او الكمل صل وان كان احدهما افضل لما لما روي ابو يعلي عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفا اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلايق لحسابهم وجات الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال لهم انظروا هل بقي له من شي فيقولون ما تركنا شيا مما علمناه وحفظناه الا وقد احصيناه وكتبناه فيقول الله ان لك عندي حسنا لا تعلمه وانا اجزيك به وهو الذكر الخفي انتهي وفي قوله لا تعلمه اشارة خفية الي ما قالت الصوفية من فنا الذكر وبقايه بالمذكور كما في قوله تعالى واذكر

ربك اذا

ربك اذا نسيت اي نسيت نفسك او ذكرها ايضا بل الشعور عنها والشعور عن عدم الشعور وهو المقام المعبر عنه بفنا الفنا رزقنا الله البقا واللقا واحب في الله اي من يعينك على ذكر الله يا ابا رزين تكرار الندا المستطاب لزيادة الاقتراب ورفع الحجاب هل شعرت بفتح العين ويجوز ضمه ففي القاموس شعر به كنصر وكرم علم به وفطن والمعني هل علمت ان الرجل اذا خرج من بيته زايرا اخاه اي حال كونه مريدا زيارة اخيه في الله شيعه سبعون الف ملك كلهم يصلون عليه اي يدعون له ويستغفرون او يثنون عليه ويقولون ربنا انه وصل اي اخاه فيك لاجلك فصله اي بوصلك المعبر عن قربك جزا وفاقا او صله بصلة من عندك فان استطعت اي دايما ان تعمل جسدك من الاعمال اي قدرت ان تبذل جهد بدنك وتستفرغ طاقتك في ذلك اي مجموع ما ذكر من الحب في الله والبغض فيه او في زيارة الاخ به فافعل اي ولا تمل في حصول العمل رجا الوصول الامل وعن ابي هريرة قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وحدي ليترتب فايدة على ذكر الجملة الكونية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لعمدا بضمتين جمع عمود بمعني الاسطوانة وفي نسخة بفتحهما وقرئ بالوجهين في عمد ممددة وفي القاموس العمود معروف والجمع اعمدة وعمد وعمد من ياقوت عليها اي على العمد غرف بضم ففتح جمع غرفة من زبرجد بفتحتين فسكون مفتحة لها اي للغرف ابواب مفتحة اشارة الي كمال الامن او انتظار الي مقدم صاحبها تضي اي الابواب او الغرف بما فيها والفا لازم ومتعد كما يضي الكوكب الدري بضم الدال وبكسر وتشديد الراو التحتية وفي القاموس ويثلث قال البيضاوي في قوله تعالى كانها كوكب دري اي مضي متلالي كالزهرة في صفايه وزهرته منسوب الي الدر او فعيل كمريق اي العصفر من الدر فانه يرفع الظلام بضويه او بعض ضويه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته يا ويدل عليه قراة حمزة وابي بكر على الاصل وقراة ابي عمرو والكسائي دري كشريب اي لكثير الشرب وقد قرا به مقلوبا اي بكسر الدال وقلب همزته ياء لكنه شاذ قرا به الزهري فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه من يسكنها اي هذه الغرف قال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون اي المتزاورون او المتصاحبون في الله رواه البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وروي الحديث الاخير ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان

باب ما ينهي عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

الهجر ضد الوصل والتهاجر اخص من التقاطع والاتباع بمعني التتبع والتجسس والعورة ما في المرء من عيب وخلل

الفصل الاول

عن ابي ايوب الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل ان يهجر بضم الجيم اخاه اي المسلم قال الطيبي وتخصيصه بالذكر اشعار بالعلية والمراد به اخوة الاسلام ويفهم منه انه ان خالف هذه الشرايط وقطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاث انتهي وفيه انه يجب هجرانه وقوله فوق ثلاث ليال اي بايامها وانما جاز الهجر في ثلاث وما دونه لما جبل عليه الادمي من الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع فيها وزوال ذلك الغرض ذكره السيوطي وقال اكمل الدين من ايمتنا في الحديث دلالة على

وقف لله عزوجل

حرمة هجران الاخ المسلم فوق ثلاثة ايام واما جواز هجرانه في ثلاثة ايام فمفهوم منه
لا منطوق فمن قال بحجيته المفهوم يعني كالشافعية جاز له ان يقول باباحته ومن
لا فلا انتهي وفيه ان الاصل في الاشيا الاباحة والشارع انما حرم المهاجرة المقيدة
لا المطلقة مع ان في اطلاقها حرجا عظيما حيث يلزم منه ان مطلق الغضب المودي الي مطلق
الهجران يكون حراما قال الخطابي رخص للمسلم ان يغضب علي اخيه ثلاث ليال لقلته ولا يجوز
فوقها الا اذا كان الهجران في حق من حقوق الله تعالي فيجوز فوق ذلك وفي حاشية
السيوطي علي الموطا قال ابن عبد البر هذا مخصوص بحديث كعب بن مالك ورفيقه
حيث امر صلي الله عليه وسلم اصحابه بهجرهم يعني زيادة علي ثلاث الي ان بلغ خمسين
يوما قال واجمع العلما علي ان من خاف من مكالمة احد وصلته ما يفسد عليه دينه او يدخل
مضرة في دنياه يجوز له مجانبته وبعده ورب صرم جميل خير من مخالطة يوذيه وفي النهاية
يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة او تقصير
يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين فان هجرة اهل
الاهوا والبدع واجبة علي مر الاوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع الي الحق فانه
صلي الله عليه وسلم لما خاف علي كعب بن مالك واصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة
تبوك امر بهجرانهم خمسين يوما وقد هجر نساءه شهرا وهجرت عايشة ابن الزبير مدة
وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وماتوا متهاجرين ولعل احد الامرين منسوخ بالاخر
قلت الاظهر ان يحمل نحو هذا الحديث علي المتواخيين او المتساويين بخلاف الوالد مع
الولد والاستاذ مع تلميذه وعليه يحمل ما وقع من السلف علي الخلف لبعض الخلف ويمكن
ان يقال الهجرة المحرمة انما تكون مع العداوة والشحنا كما يدل عليه الحديث الذي يليه
فغيرها اما مباح او خلاف الاولي يلتقيان اي يتلاقيان وهو مع ما عطف عليه من
قوله فيعرض هذا اي وجهه عنه ويعرض هذا استيناف لبيان كيفية الهجران او حال
من فاعل يهجر ومفعوله فيقيد انه اذا لم يحصل التلاقي والاعراض فلا باس بالهجران
المطلق وهل يعتبر التثليث ام لا محل بحث او توقف وخيرهما عطف علي لا يحل وقال الطيبي
عطف علي يلتقيان من حيث المعني لما يفهم منهما ان ذلك الفعل ليس بخير انتهي
وتكلفه بل تعسفه لا يخفي والمعني افضلهما في طريق الاخلاق وحسن المعاشرة الذي
يبدا بالسلام اي ثم الذي يرده وفيه ايما الي ان من لم يرده ليس فيه خير اصلا فيجوز
هجرانه بل يجب لانه بترك رد السلام صار فاسقا وانما يكون البادي خيرهما لدلالة
فعله علي انه اقرب الي التواضع وانسب الي الصفا وحسن الخلق وللاشعار بانه معترف
بالتقصير وللايما الي حسن العهد وحفظ المودة القديمة او كانه بادي في المحبة والصحبة ٢
والله اعلم قال الاكمل وفيه حث علي ازالة الهجران وانه يزول بمجرد السلام انتهي وفيه ايما
بانه لا ينبغي لمسلم ان يبدا بالكلام قبل السلام كما ورد فيما سبق متفق عليه وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اياكم والظن اي احذروا اتباع الظن
في امر الدين الذي مبناه علي اليقين قال تعالي وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني
من الحق شيا قال القاضي التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع او التحدث به
عند الاستغنا عنه او عما يظن كذبه انتهي او اجتنبوا الظن في التحديث والاخبار

وقف لله عزوجل

ويوبره قوله فان الظن في وضع الظاهر زيادة تمكين في ذهن السامع حثا علي الاجتناب
اكذب الحديث ويقويه حديث كفي بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع وقيل اي اكذب حديث
النفس لانه يكون بالقا الشيطان او اتقوا سوء الظن بالمسلمين قال تعالي يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وهو ما يستنق عليه صاحبه دون ما يخطر بقلبه
ان بعض الظن وهو ان يظن ويتكلم اثم فلا تجسسوا وهو الملايم لقوله ولا تجسسوا
بحا مهملة في الاول وبالجيم في الثاني فقال ابن الملك اي لا تطلبوا التطلع علي خير احد
ولا علي شره وكلاهما منهي عنه لانه لو اطلعت علي خير احد ربما يحصل له حسد
بان لا يكون ذلك الخير فيك ولو اطلعت علي شره تعيبه وتفضحه وقد ورد طوبي
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وفي شرح مسلم للنووي قال بعض العلما
التحسس بالحا الاستماع لحديث القوم
وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر
وقيل هما بمعني وهو طلب معرفة الاخبار الغايبة والاحوال قلت وهذا اقرب الاقوال لكن الانسب ان يقيد
بالاخبار التي تفضي الي سوء الظن كما تقيده الاية الشريفة وقد قري فيهما
بالحرفين لكن الحا شاذ قال البيضاوي اي لا تبحثوا عن عورات تفعل من الجس
باعتبار ما فيه من معني الطلب كالتلمس وقري بالحا من الحس الذي هو
اثر الجس وغايته لذلك قيل للحواس الجواس انتهي وقيل بالجيم التفتيش
عن بواطن الامور بتلطف ومنه الجاسوس وبالحا تطلب الشي بالحاسة كاستراق
السمع وابصار الشي خفية وقيل الاول التفحص عن عورات الناس وبواطن
امورهم بنفسه او بغيره والثاني بنفسه وقيل الاول مخصوص بالشر والثاني ولا تناجشوا
من التنجش بالجيم والمعجمة قيل المراد طلب الترفع والعلو علي الناس وهو المناسب
لسابقه ولاحقه وقيل ان يغري بعض بعضا علي الشر والخصومة وهو من نتايج
التجسس وقيل هو الزيادة في الثمن بغير رغبة في السلعة بل ليخدع المشتري بالترغيب
من الناجش دفع الثمن وهذا المعني هو المشهور عند الفقها وقيل من التنجش بمعني
التنفير اي لا ينفر بعضكم بعضا بان يسمعه كلاما او يعمل شيا يكون سبب نفرته
ولا تحاسدوا اي لا يتمني بعضكم زوال نعمة بعض سوا ارادها لنفسه او لا قال
تعالي ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض الي ان قال واسيلوا الله من فضله
اي مثل تلك النعمة او مثل منها وهذا الحسد المحمود المسمي بالغبط لما تقدم
في حديث لا حسد الا في اثنين الحديث ولا تباغضوا اي لا تختلفوا في الاهوا
والمذاهب لان البدعة في الدين والضلال في الطريق المستقيم يوجب البغض
كذا قيل والاظهر ان النهي عن التباغض تاكيد للامر بالتحابب مطلقا الا ما
يخل به الدين فانه لا يجوز التحابب ويجب التباغض لان غرض الشارع
اجتماع كلمة الامة لقوله تعالي واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولا شك
ان التحابب سبب الاجتماع والتباغض يوجب الافتراق فالمعني لا يبغض
بعضكم بعضا وقال بعض المحققين اي لا تشتغلوا باسباب العداوة والمحبة
ما لا اختيار فيه فان البغض من نفار النفس عما يرغب عنه واوله الكراهة

واوسطه البقرة واخره الصداوة ومكان الحب من انجذاب النفس الى ما يرغب فيه
ومبداه الميل ثم الارادة ثم المودة وهما من غرايز الطبع والله اعلم وقيل لا توقعوا
الفراوح بين المسلمين فيكون نهيا عن النميمة لما فيه من تاسيس الفساد
وهذا اذا لم يكن لمصلحة فاذا دعت كما اخبران انسانا يريد الفتك به او
باهله او بماله فلا منع بل قد يكون واجبا ولا تدابروا بحذف احدى التاءين
فيه او فيما قبله من الافعال الخمسة ويجوز تشديد التاء وصلا كما قرا به البزي
روى ابن كثير في نحو لا تيمموا اي لا تقاطعوا ولا تولوا ظهوركم عن اخوانكم ولا
تعرضوا عنهم ماخوذ من الدبر لان كلا من المتقاطعين يولي دبره صاحبه
وقيل معناه لا تغتابوا وكونوا عباد الله اخوانا خبر اخر او بدل او هو الخبر وعباد
الله منصوب على الاختصاص بالندا قال الطيبي وهذا الوجه اوجه قلت
بل وقوعه خبرا اوفقا تحت الامر اوجه لكون هذا الوصف مشعرا بالعلية من حيث
العبودية ويؤيده ان في رواية ضبط عبادا بالنصب وباللام الاجلية والمعنى انتم
مستوون في كونكم عبيد الله وملتكم واحدة والتحاسد والتباغض والتقاطع
منافية لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة في المودة والمعاونة
على البر والنصيحة بكل حسنة فعل الاخ الشي يجي على الاخوة قال الله تعالى فان
كان له اخوة والمجاز على الاخوان قال تعالى اخوانا على سرر متقابلين فقوله تعالى
انما المؤمنون اخوة للمبالغة والمفهوم من القاموس عدم الفرق بينهما فالله اعلم
وفي رواية ولا تنافسوا ظاهره ان محله بعد الكل ويحتمل ان يكون بدلا عن
احدى صيغ النهي ويمكن ان يكون بعد لا تحاسدوا وهو الاظهر ولذا قال الشراح
التنافس والتحاسد في المعنى وان اختلفا في الاصل قلت لكن التنافس
يفيد المبالغة التي قد يفضي الى المنازعة فالمعنى لا تحاسدوا ولا تنازعوا
في الامور الخسيسة الدينية والدنيوية بل ينبغي ان يكون تنافسكم في الاشيا
النفيسة الرضية الاخروية كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وما احسن نفس الشاطبي حيث ذكر مضمون هذا الكلام النفيس

عليك بها ما عشت فيها منافسا • وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلى

متفق عليه وزاد في الجامع الصغير قوله ولا يخطب الرجل على خطبة اخيه حتى
ينكح او يترك وقال رواه مالك واحمد والشيخان وابو داود والترمذي **وعنه** اي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح بالتذكير ويونث
مخففا مجهولا ابواب الجنة اي ابواب طبقاتها او غرفاتها او درجاتها يوم الاثنين ٢٢
ويوم الخميس اي لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على المغفرة وفي شرح مسلم قال
القاضي عياض معنى يفتح ابواب الجنة كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل واعطا الثواب
الجزيل ويحتمل ان يكون على ظاهره وان فتح ابوابها علامة لذلك فيغفر اي فيهما
كما في رواية الجامع لكل عبد لا يشرك بالله صفة عبد شيا اي من الاشراك او
من الاشيا او شيا من شرك جلي او خفي وفي رواية لكل عبد مومن ولعل المراد به
مومن كامل الا رجل بالرفع في جميع نسخ المشكاة اي الا ذنب رجل فالمضاف مقدر

وقف سوو جل

والا فالظاهر النصب كذا قاله السيد جلال الدين وفيه ان تقدير المضاف لا يجوز
كونه رفعا نعم لو روي بالجر كان له وجه بان حذف المضاف المنصوب وابقي المضاف
اليه مجرورا على حال اصله قال الطيبي والظاهر فيه النصب الا انه استثنا من كلام
موجب ويمكن ان يقال ان الكلام محمول على المعنى اي لا يبقى ذنب احد الا ذنب رجل
ونحوه قال تعالى فشربوا منه الا قليل اي فلم يطيعوه الا قليل منهم انتهى وقراة
الرفع شاذة والمتواترة بالنصب وقيل وجه رفعه انه صفة لكل عبد فان محله
الرفع والا بمعنى غير اي رجل كانت وفي نسخة كان بينه اي بين الرجل وبين
اخيه المسلم شحنا فعلا من الشحن اي عداوة تملا القلب فيقال انظروا بقطع
الهمزة وكسر الظا اي امهلوا هذين الرجلين واخروا مغفرتهما من ذنوبهما مطلقا
زجرا لهما او من ذنب الهجران فقط وهو الاظهر حتى يصطلحا اي يتصالحا ويزول
عنهما الشحنا فلا يفيد التصالح للسمعة والريا والظاهر ان مغفرة كل واحد
متوقفة على صفا ئه وزوال عداوته سوا صفا صاحبه ام لا والله اعلم
قال الطيبي واتى باسم الاشارة بدل الضمير لمزيد التمييز والتعيين رواه
مسلم وكذا البخاري في الادب المفرد وابو داود والترمذي عنه **وعنه**
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض بالتذكير
ويونث اعمال الناس يحتمل اختصاصه بالمومنين فانهم الناس في كل جمعة
بضمتين ويسكن الثاني اي اسبوع مرتين اي عرضتين يوم الاثنين ويوم
الخميس فيغفر لكل عبد مومن نصبا على الظرفية والاظهر انها بدل من مرتين لئلا
يتوهم ان العرض مرتين في كل من اليومين قال القاضي اراد بالجمعة الاسبوع وعبر
عن الشي باخره وما يتم به ويوجد عنده والمعروض عليه هو الله تعالى او ملك وكله
الله على جميع صحف الاعمال وضبطها والاول هو الصحيح لما سياتي به التصريح
الا عبدا قال النووي هكذا وجدناه في كتاب المصابيح الا عبد على الرفع وهو في
كتاب مسلم بالنصب وهو الاوجه فانه استثنا من كلام موجب وبه وردت الرواية
الصحيحة بينه وبين اخيه شحنا فيقال اتركوا هذين اي اوقفوا امر مغفرتهما حتى
يفيا مضارع مثنى من فاء رجع اي حتى يرجعا من العداوة الى المحبة رواه مسلم وروى ٢٢
الطبراني عن اسامة بن زيد بلفظ تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله فيغفر
الله الا ما كان من متشاحنين او قاطع رحم وفي رواية الحكيم عن والد
عبد العزيز ولفظه تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض
على الانبيا وعلى الابا والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم
بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا مواتاكم وبهذه الاحاديث يظهر وجه حكمة
النهي عن المهاجرة فوق ثلاث كيلا يفضي محروما عن المغفرة في يومي عرض الاعمال والله
اعلم بالاحوال **وعن** ام كلثوم بضم الكاف ويفتح ففي المغني بضم كاف وسكون اللام وضم
مثلثة وفي القاموس الكلثوم كزنبور الكثير لحم الخدين واطلق الزنبوري في بابه
فمقتضاه الفتح قال وام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا ارتقها المولف
بقوله مبدلا بنت عقبة بن ابي معيط بالتصغير اسلمت بمكة وهاجرت ماشية

١ فقه اكبر
٢ ...
٣ ...
٤ ...
٥ ...
٦ ...
٧ ...

وبايعت وسبق بقيت ترجمتها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس
الكذاب اي ذ والكذب الذي وفي رواية الجامع بالذي يصلح بين الناس اي يكذبه ويقول
خيرا اي لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المفضية الي الخير والتقدير كلاما خيرا وقول
خيرا اي حسنا او يقول كلاما خيرا الذي ربما سمعه منه ويترع شره عنه وينمي خيرا
بفتح اليا وكسر الميم اي ويبلغه لكل ما لم يسمعه منهما من الخير بان يقول فلان يسلم
عليك ويحبك وما يقول فيك الا خيرا ونحو ذلك وهذا ظاهر الحديث وقال
القاضي اي يبلغ خيرا ما سمعه ويدع شره قلت فلا يظهر وجه نفي الكذب عنه مع ان
الكلام في معني استثنا الكذب وسياق صريح الاستثنا قال يقال نميت الحديث
مخففا في الاصلاح ونميته مثقلا في الافساد وكذا الاول من النما لانه رفع لما يبلغه
والثاني من النميمة قلت مراده ان اصل الثاني نممته بالميمين وابدل الثانية كما في
تقضي البازي ولكنه خلاف الظاهر ففي القاموس ذكرهما في مادة واحدة فقال نما ينمو
زاد كنما ينمي وانمي ونمي والحديث مررفعه واشاه اذاعه علي وجه النميمة
انتهي ومفهومه ان المخفف منهما لا فرق بينهما وانما الانما يستعمل في الافساد
وعبر عنه بالنميمة لانه مشتق منها وعلي كل تقدير فينمي المخفف في الحديث متعين
لمعني الاصلاح فقوله خبر لافادة التاكيد علي قاعدة التجريد او علي انه بالمعني
الاعم فيحتاج الي التقييد وهو الاظهر فتدبر ثم قال وانما نفي عن المصلح كونه كذابا
باعتبار قصده دون قوله قلت القصد صحيح واما قوله دون قوله فمناقض
لقوله الاول فتامل وسياتي تحقيق المرام نقلا عن العلما الكرام متفق عليه
وفي الجامع بلفظ فينمي خيرا ويقول خيرا رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذي
عنهما والطبراني عن شداد ابن اوس وفي رواية لابي داود والترمذي عنهما والطبراني ٢٥
عن شداد ابن اوس وفي رواية لابي داود عنها بلفظ لم يكذب من يمني بين اثنين
ليصلح وزاد مسلم اي علي البخاري قالت ام كلثوم حيث قالت اي الراوية ولم اسمعه لعل الواو
عاطفة علي كلام سبق لها غير حديث البخاري والا فيلزم التكرار كما لا يخفي وضمير
المفعول راجع اليه صلى الله عليه وسلم ولذا قال الراوي عنها تعني اي تريد بضمير اسمعه النبي
صلى الله عليه وسلم يرخص في شي قال ميرك هذه الزيادة في البخاري ايضا لكن قال ابن ٢٦
شهاب ولم يرخص في شي مما يقول الناس كذب بالرفع وفي نسخة بالنصب وفي اخري
بالجر وهو بفتح الكاف وكسر الذال ويجوز الكسر والسكون قال الطيبي كذب مرفوع علي
انه خبر مبتدا محذوف مقول للقول ومما يقول بيان لقوله في شي اي في شي من
اقوال الناس هو كذب اقول الاظهر انه خبر مبتدا ومن تبعيضية فالمعني لم اسمعه
يرخص في شي من جملة ما يقول الناس فيه اي في حقه كذب الا في ثلاث اي كذبات
استثنا من شي باعادة العامل قال وان روي منصوبا كان مفعولا مطلقا اي قولا
كذبا اقول ويمكن ان يكون حالا من مفعول يقول المقدر العايد الي الموصول قال
وان روي مجرورا كان صفة اخري لشي اقول الاظهر انه بدل من شي او من الموصول الحرب
بالجر بدل من ثلاث وسبق تحقيقه وفي نسخة بالرفع علي تقدير احدها او اولها منها
ويجوز نصبه باعني والرواية في جامع الاصول وفي اكثر نسخ المصابيح هي الاولي

فهي الاولي

ووقف عز وجل

فهي الاولي قيل الكذب بالحرب كان يقول في جيش المسلمين كثرة وجاءهم مددا كثيرا ويقول
انظر الي خلفك فان فلانا قد اتاك من ورايك ليضربك ذكره ابن الملك والاصلاح بين
الناس اي ثانيتها فثالثتها مجموع قوله وحديث الرجل امراته وحديث المراة زوجها
اي فيما يتعلق بامر المعاشرة وحصول الالفة بينهما قالوا والاخيرة عاطفة علي ما قبلها وما
قبلها مع ما عطف عليه عطف علي السابق قال ابن الملك كان يقول لاحد احب اليّ منك
ومثله حديث المراة زوجها وهما في قوة حديث الزوجين ليكون الثالث قال
الخطابي هذه امور قد يضطر الانسان فيها الي زيادة القول ومجاوزة الصدق
طلبا للسلامة ودفعا للضرر وقد رخص في بعض الاحوال في اليسير من الافساد لما يؤمل
فيه الكثير من الاصلاح فالكذب في الاصلاح بين اثنين هو ان ينمي من احدهما الي
صاحبه خيرا ويبلغه جميلا وان لم يكن سمعه منه يريد بذلك الاصلاح والكذب
في الحرب ان يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يقوي به ويكيد به عدوه وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحرب خدعة واما كذب الرجل زوجته
هو ان يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة اكثر مما في نفسه يستديم بذلك صحبتها
ويستصلح به خلقها قال سفيان بن عيينة او ان رجلا اعتذر الي رجل يحرف الكلام
ويحسنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذبا وقوله وحديث الرجل امراته وحديث المراة زوجها
في معني حديث احد الزوجين الاخر ليستقيم مع الا في ثلاث وذكر احد بن جابر
ان الشيطان قد ايس اي من ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش
بينهم في باب الوسوسة اي لكونه انسب به في حاصل المعني لا سيما صدر الحديث
وان كان التحريش مفسرا بالمعاصي التي من جملتها ما عنون به هذا الباب والله اعلم بالصواب
الفصل الثاني عن اسما بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يحل الكذب الا في ثلاث اي ثلاث كذبات كذب الرجل بالجر علي البدلية
ويجوز وجهان اخران باعتبار قواعد العربية امراته اي لها ليرضيها اي في المباشرة
والمعاشرة وحذف قرينته للاكتفا او المقايسة او وقع اختصار من الراوي والكذب
٢٧ في الحرب مع الكفرة والكذب ليصلح بين الناس اي فيما بينهم من المخاصمة المالية وغيرها
رواه احمد والترمذي وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكون اي
لا ينبغي ولا يصح او لا يوجد مبالغة في النفي لتاكيد النهي او لا يكون حلالا لمسلم ان يهجر
مسلما فوق ثلاثة اي ثلاثة ايام فاذا لقيه اي المسلم المسلم بعد ثلاثة سلم عليه حال
من فاعل لقيه او بدل من لقيه ويؤيد الاول قوله في حديث ابي خراش فلقيه فليسلم
عليه ثلاث مرات اي ان لم يرد عليه في الاولي والثانية او ثلاث دفعات من الملاقاة
وهو الاظهر كل ذلك بالرفع مبتدا خبره لا يرد عليه الجملة صفة ثلاث مرات والعايد
محذوف اي لا يرد فيها اي في المرات وفي نسخة بالنصب علي انه ظرف لا يرد فقد باء باثمه
قال الطيبي هو جواب اذا اي سلم عليه ثلاث غير مردود فيها جوابه فقد رجع باثمه
والضمير فيه يحتمل ان يكون للثاني اي لمن لم يرد فالمعني ان المسلم خرج من اثم الهجران
ونفي عن الوزر وبقي الاثم علي الذي لم يرد السلام اي فهو قد باء باثم هجرانه ويحتمل
ان يكون للمسلم والمعني انه ضم اثم هجران المسلم الي اثم هجرانه وباء بهما لان التهاجر

بعدمنه وبسببه رواه ابوداود وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٨
قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث اي ثلاث ليال فقيه تفتي ويحتمل من
مجموعها ان المراد ثلاثة ايام ولياليها كما في قضية زكريا عليه السلام فمن هجر فوق
ثلاث ظاهره ولو ساعة ويحتمل ان يكون المراد بها فوق الثلاث الاربع لانه
به يتم زيادة عدد المعدود فتامل فمات اي على تلك الحالة من غير توبة دخل
النار وقال التوربشتي اي استوجب دخول النار فالواقع في الاثم في العقوبة
ان شا عذبه وان شا غفر له رواه احمد وابوداود وكذا النسائي باسناد على
شرط الشيخين ذكره ميرك وعن ابي خراش بكسر الخا المعجمة وتخفيف الراء
وبالشين المعجمة واسمه حداد بفتح الحا وسكون الدال المهملتين وفتح الراء صحابي اسلمي
ذكره المولف فقوله السلمي بضم ففتح من خطاه الكتابة وقد قاله ميرك صوابه الاسلمي
قال المنذري ابو خراش حدرد بن ابي حدرد الاسلمي وقال العسقلاني في الكنى ابو
خراش الاسلمي اسمه حدرد بن ابي حدرد وقد تقدم وقال في الاسما حدرد بن
ابي حدرد الاسلمي صحابي له حديث واحد سمع رسول الله صلى الله عليه ٢٩
وسلم يقول من هجر اخاه سنة فهو اي هجره سنة كسفك دمه اي كسفكه الاراقة
والصب يعني مهاجرة الاخ المسلم سنة توجب العقوبة كما ان سفك دمه يوجبها
فهي شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها لا انها مثله في العقوبة
لان القتل كبيرة عظيمة لا يكون بعد الشرك اعظم منه فنسبته الهجران به تاكيدا
في المنع عنه في المشابهة يكفي المساواة في بعض الصفات كذا ذكره بعض الشراح
الحديث وقال الطيبي التشبيه انما يصار اليه للمبالغة كما يقال زيد كالاسد
الحاق له بالاسد في الجراة وانه نظيره فيها ولم يقصد به انه دونه كذلك هنا لان
قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمومن ان يهجر مومنا فوق ثلاث دل على ان
التهاجر فوق الثلاث حرام ومرتكبه مرتكب الاثم فاذا امتد الى هذه يهجر فيها
الغايب والتسافر عن اهله غالبا بلغ التهاجر والتقاطع الى الغاية فيبلغ اثمه ايضا
الى الغاية وهذا معنى تخصيص ذكر السنة والله اعلم انتهى ويمكن ان تكون
تخصيص السنة بالذكر لاشتمالها على الفصول الاربعة فاذا لم يمتد له مراجعة
بمرور السنة عليه فلا يرجى رجوعه ونظيره مسيلة العينين المنقولة في الفروع
المعلولة بما قلنا في الاصول رواه ابوداود قال ميرك ورواه الحاكم وقال
صحيح واقره الذهبي ورواه البيهقي ايضا وفي الجامع الصغير رواه احمد
والبخاري في تاريخه وابوداود والحاكم وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمومن ان يهجر مومنا فوق ثلاث فان مرت به ثلاث ٣٠
فليلقه فيسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا في الاجر اي في اجر السلام اي في
اجر ترك الهجر اوفيهما وان لم يرد عليه اي السلام فقد باء بالاثم اي رجع باثم الهجران
كذا قاله شارح والاظهر انه باثم الهجران الذي يقارب سفك الدم وخرج المسلم
بتشديد اللام المكسورة من الهجرة اي من اثم الهجران رواه ابوداود اي
من طريق بلال بن ابي هلال مولى بني كعب عن ابي هريرة قال احمد في هلال

لا اعرفه

ومعه سرعوجل

لا اعرفه وقال ابو حاتم ليس بالمشهور ووثقه بعضهم ذكره ميرك وعن ابي الدرداء قال
قال رسول الله الا اخبركم بافضل اي بعمل افضل درجة واكثر مثوبة من درجة الصيام
اي نفلا بقرينة وقوله والصدقة فانها المندوبة غالبا والصلاة لعل تاخيرها للترقي
وظاهر الواو للجمع فالمعنى انه افضل من فعل مجموعها ويحتمل ان يكون بمعنى او فالمعنى
انه افضل من كل منها واحد وهو ابلغ في مقام الترغيب كما لا يخفى قال الاشرف المراد بهذه
المذكورات النوافل دون الفرايض قلت والله اعلم بالمراد اذ قد يتصور ان يكون الاصلاح
في فساد يتفرع عليه سفك الدما ونهب الاموال وهتك الحرم افضل من فرايض
هذه العباد انه القاصرة مع امكان قضايها على فرض تركها فهي من حقوق الله التي اهون
عنده سبحانه من حقوق العباد فاذا كان كذلك فيصح ان يقال هذا الجنس من العمل افضل
هذا الجنس لكون بعض افراده افضل كالبشر خير من الملك والرجل خير من المراة
٣١ قال اي ابوداود قلنا بلى اي اخبرنا وفي نسخة زيادة يا رسول الله قال اصلاح ذات
البين اي هو هذا اقيل يريد بذات البين الخصلة التي تكون بين القوم من
قرابة ومودة ونحوهما وقيل المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين
بحيث يحصل بينهما بين اي فرقة والبين من اضداد الوصل والفرق وقال
الطيبي اصلاح ذات البين اي احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون
الاحوال الفة ومحبة واتفاق كقوله تعالى والله عليم بذات الصدور وهي
مضمراتها ولما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني
ذا اناك يريدون ما في الانا من الشراب كذا في الكشاف في قوله تعالى واصلحوا
ذات بينكم انتهى ولما كان الكلام السابق في قوة صلاح ذات البين هي الخصلة
الصادقة قال وفساد ذات البين هي الحالقة اي الماحية والمزيلة للمثوبات
والخيرات والمعنى يمنعه شوم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات
وقيل المهلكة من حلق بعضهم بعضا اي قتل ماخوذ من حلق الشعر
وفي النهاية هي الخصلة التي من شانها ان تحلق اي تهلك وتستاصل
الدين كما يستاصل الموسى الشعر وقيل هي قطيعة الرحم والتظالم وقال
الطيبي فيه حث وترغيب في اصلاح ذات البين واجتناب عن فساد فيها لان
الاصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين وفساد
ذات البين ثلمة في الدين فمن تعاطى اصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق
ما يناله القايم المشتغل بخويصة نفسه فعلى هذا ينبغي ان تحمل الصلاة والصيام
على الاطلاق والحالقة على ما يحتاج اليه امر الدين رواه ابوداود والترمذي
وكذا الامام احمد وقال اي الترمذي هذا حديث صحيح قال ويروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين
انتهى وفي الباب احاديث كثيرة منها ما نقله ميرك عن المنذري عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل شي افضل من الصلاة واصلاح
ذات البين رواه الاصبهاني وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين رواه الطبراني والبزار وفي سنده عبد الرحمن

ابن زياد بن انعم وحديثه حسن لحديث ابي داود والترمذي عن ابي الدردا
وعن ابي ايوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب الا ادلك على صدقة يحب الله موضعها
قلت بلي يارسول الله بابي انت وامي قال تصلح بين الناس فانها صدقة يحب الله موضعها
رواه الاصبهاني وفي رواية له والطبراني ايضا الا ادلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح
بين الناس اذا تغاضبوا وتفاسدوا وفي رواية للطبراني والبزار الا ادلك على عمل يرضاه الله ورسوله
قال من اصلح بين الناس اصلح الله امره واعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا
له ما تقدم من ذنبه رواه الاصبهاني وهو حديث غريب جدا وعن الزبير ابن العوام
احد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب بفتح الدال المهملة وتشديد
الموحدة اي نقل وسرى ومشى بخفيه اليكم داء الامم قبلكم الحسد اي في الباطن والبغضا
اي العداوة في الظاهر وفرهما اي في مال اوجاه ودنيوي فانه مذموم بخلاف الغبطة في الامر الاخروي
فان الحسد اي باعتبار ما ينتج في حق المحسود من ارتكاب السيات ياكل الحسنات اي يفني ويذهب
طاعات الحاسد كما تاكل النار الحطب لان الحسد يفضي بصاحبه الي اغتياب المحسود ونحوه
فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيده المحسود نعمة على نعمة والحاسد حسرة
على حسرة فهو كما قال تعالى خسر الدنيا والاخرة قال القاضي تمسك به من يرى احباط الطاعات
بالمعاصي كالمعتزلة واجيب عنه بان المعني ان الحسد يذهب حسنات الحاسد ويتلفها عليه
بان يحمله على ان يفعل بالمحسود من اتلاف مال وهتك عرض وقصد نفس ما يقتضي صرف
تلك الحسنات باسرها في عوضه كما يرى في صحاح باب الظلم عن ابي هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقيام ويأتي
قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من
حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار لا لاحباط الطاعات بالمعاصي والاثم بكن يبقى لهذا الاتي المتعاطي
لتلك الكبائر حسنة يقضي بها حق خصمه انتهى كلامه وهذا اخر الوجهين ما ذكره الشيخ التوربشتي
والوجه الاخر له ان يقال ان التضعيف في الحسنات يوجد على حسب استعداد العبد
وصلاحه فمهما كان مرتكبا للخطايا نقص من ثواب عمله فيما يتعلق بالتضعيف ما يوازي
الخطا طه في المرتبة بما اجترحه من الخطايا مثل ان يقدر ان ذا وهق عمل حسنة فاثيب عليها
عشرا ولم يكن رهقه لا يثيب اضعاف ذلك فهذا الذي نقص من التضعيف بسبب ما ارتكبه
من الذنب هو المراد من الاحباط وقال الطيبي ما خلاصته ان الحسنات لا تقبل بواسطة الحسد
لا انها تحبط به قلت المعنيان متقاربان مع ان الاحاديث الواردة في نفي القبول محمولة
على نفي الكمال وكذا قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين عند اهل السنة فقوله ان تلك
الحسنات الصادرة عنه مردودة عليه وليست ثابتة في ديوان اعماله الصالحة حتى تحبط
كمن صلي في دار مغصوبة انت تعلم ان العبادة الصحيحة في الشريعة لا يصح ان يقال فيها
انها ليست ثابتة في ديوان الاعمال بل اظن انه خلاف الاجماع هذا وظاهر التشبيه
انه يذهب بالشي الموجود لا المعدوم المفقود وقد ورد عن معاوية ابن حيدة
مرفوعا على ما رواه الديلمي في الفردوس الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
فهذا الحديث صريح في المعني الذي قلنا من انه يفسد ويبطل كمال الايمان وسائر الحسنات

وقف سعيد جبل

لانه يذهبها بالمرة ويفنيها فتاويل الحديث يتم بتقدير المضاف وكذا يوافقه التشبيه من حيث ان النار
تاخذ نور الحطب وتخلي اصله الذي هو الرماد فلا يعارض الحديث حينيذ قوله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيات وقد سنح بالبال والله اعلم بالحال انه يحتمل ان يكون معني الحديث ان الحسد ياكل حسنات
المحسود الي صاحب الحسد بمعني انها لا توثر فيه ولا تغيره ولا يوجد لها قدر عنده كما تاكل النار
الحطب ففيه تشبيه تنبيه على ان الاحسان الي الحاسد غير نافع وان التقرب بالتودد اليه
ضايع وان الحسد اقوي من كل عداوة كانه ولي حميم وانشد شعر

كل العداوة قد يرجي ازالتها :: الا عداوة من عاداك من حسد

رواه ابوا داود اي من طريق ابراهيم بن ابا سيد عن جده عن ابي هريرة وجد ابراهيم لم يسم وذكر
البخاري ابراهيم هذا في التاريخ الكبير وذكر له هذا الحديث وقال لا يصح كذا ذكره الشيخ الجزري وقال
ميرك لكن له شاهد من حديث انس مرفوعا الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب رواه
ابن ماجة والبيهقي وعن ابي صرمة بكسر الصاد وسكون الرا المهملتين قال المولف هو مالك
ابن قيس المازني شهد بدرا وما بعده من المشاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
ضار اي مومنا كما في الرواية الاتية بان اوصل الضرر اليه ابتدا ضار الله به اي جازاه بما له
وعامله معاملته ففيه نوع من المشاكلة والمقابلة ومن شاق اي خالفه وعاداه شاق الله
عليه اي عاقبه قال تعالى ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وفي وضع المومن
موضع ذاته اعتنا بعلو درجاته كما قال عز وجل في رواية اخري ومن يشاق الله ورسوله
وفي اخري ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المومنين
نوله ما تولي ونصله جهنم والمشاقة بين المتنازعين ان احدهما اخذ بشق دون
شق الاخر او يبعد عنه في شق او يريد كل منهما مشقة الاخر فهو اما ماخوذ من الشق
بالكسر وهو المشقة ومنه قوله تعالى الا بشق الانفس او من الشق بمعني نصف الشي
ومنه ما ورد اتقوا النار ولو بشق تمرة فكان المتنازعين بعد ان كانا مجتمعين صارا نصفين
او من الشق الفصل في الشي وهو الفرق قيل ان الضرر والمشقة متقاربان لكن
الضرر يستعمل في اتلاف المال والمشقة في ايصال الاذية الي البدن كتكليف عمل شاق
انتهي والاظهر ان الضرر يشمل البدني والمالي والدنيوي والاخروي والمشاقة فهي
المخالفة التي تودي الي المنازعة المحاربة وامثال ذلك هذا وفي جامع الاصول المضارة
المضرة والمشاقة النزاع فمن اخر غيره تعديا وشاقه ظلما بغير حق فان الله يجازيه على
فعله بمثله انتهي وحاصله ان معناهما واحد والثاني تاكيد وما قدمناه اولي لانه يفيد
التقييد والتاسيس واما قول الطيبي ويجوز ان يحمل على المشقة ايضا بان يكلف صاحبه
فوق طاقته فيقع في التعب والمشقة فداخل ايضا في المضرة رواه ابن ماجة والترمذي
وقال هذا حديث غريب وفي التصحيح رواه ابن ماجة والترمذي وابوا داود والنسائي
ايضا وقال الترمذي حسن غريب ذكره ميرك وفي الجامع الصغير بلفظ من ضار
ضار الله به ومن شاق شق الله عليه رواه احمد والاربعة عن ابي صرمة وعن
ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملعون اي مبعود من الخير من ضار مومنا اي ضررا ظاهرا او مكر به اي باتصال
الضرر اليه حقيقة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال صاحب

التصحيح وفي سنده ابو اسامة الكلبدي لا يعرف عن فرقد السبخي وثقه بن معين وضعفه
غيره ذكره ميرك وعن بن عمر قال صعد بكسر العين اي طلع رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع اي عال فقال بيان لقوله نادى يا معشر من
اسلم بلسانه ليشترك فيه المومن والمنافق ولم تفض من الافضا اي لم يصل
الايمان اي اصله او كماله الى قلبه فيشمل الفاسق وهو الاظهر لما سياتي من
قوله من يتتبع عورة اخيه المسلم ولا اخوة بين المنافق والمسلم فما اختاره الطيبي
من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق والحمل بالاعم هو الوجه
الاتم والله اعلم لا تؤذوا المسلمين الكاملين في الاسلام وهم الذين اسلموا بلسانهم
وامنوا بقلوبهم ولا تعيروهم من التعيير وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم
من قديم العهد سواء علم توبتهم ام لا واما التعيير في حال المباشرة او بعيدة قبل
ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه وربما يجب الحد والتعزير فهو من باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تتبعوا من باب الافتعال اي لا تجسسوا عوراتهم فيما
تجهلونها ولا تكشفوها فيما تعرفونها فانه اي الشان من يتتبع بتشديد التا
مجزوما وقيل مرفوعا وفي بعض النسخ المقروة على المشايخ بصيغة الماضي المعلوم
من باب التفعل يتتبع الله عورته ذكره على سبيل المشاكلة اي هنا وفيما بعده من
الموضعين اي من يطلب عورة اخيه اي ظهور عورة اخيه المسلم اي الكامل بخلاف
الفاسق فانه يجب الحذر والتحذير عنه يتتبع الله عورته ذكره على سبيل المشاكلة
اي يكشف عيوبه ومن اقبحها تتبع عورة الاخ المسلم وهذا في الاخرة ومن يتتبع الله
عورته يفضحه من عورة الاخ المسلم وهذا في فضح كمنع اي يكشف مساويه ولو في جوف ٢٥
رحله اي ولو كان في وسط منزله مخفيا من الناس قال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون
قال الغزالي التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم والقلب لا يقنع بالظن ويطلب
التحقيق فيودي الى هتك الستر وحد الاستتار اذ يغلق باب داره ويستتر بحيطانه
فلا يجوز استراق السمع على داره ليسمع صوت الاوتار ولا الدخول لروية المعصية
الا ان يظهر بحيث يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والسكارى بالكلمات
المالوفة بينهم وكذلك اذا ستروا اواني الخمر وظروفها والات الملاهي في الكم وتحت
الذيل فاذا راهم لم يجز ان يكشف عنه وكذلك لا يجوز ان يستنشق ليدرك
شعر
رايحة الخمر ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره وانشد في معناه

لا تلتمس مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ... ولا تعب احدا منهم بما فيكا

وفي قوله لم يفض الايمان الى قلبه اشارة الى انه ما لم يصل الايمان الى القلب لم يحصل
له المعرفة بالله ولم يود حقوقه فاذن علاج جميع امراض القلب المعرفة بالله تعالى
لتودي الى اداء حقوق الله وحقوق المسلمين فلا يوذي ولا يضر ولا يعير ولا يتجسس
احوالهم انتهى كلام الامام وحصل تمام المرام رواه الترمذي وقال حسن غريب
نقله ميرك وعن سعيد بن زيد قال المولف عدوي احد العشرة المبشرة بالجنة ٢٦

اسلم قديما

اسلم قديما وكانت فاطمة اخت عمر تحته وبسببها كان اسلام عمر مات بالعقيق فحمل الى
المدينة ودفن بالبقيع روى عنه جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من
اربى الربا اي من اكثرها انواعها وبالاوزان اثما افرادها الاستطالة اي اطالة اللسان
في عرض المسلم واصل التطاول استحقار الناس والترفع عليهم واصل الربوا الزيادة والكثرة
لغة اما شرعا فهو معروف بانواعه المحرمة في كتب الفقه وانما يكون هذا اشدها
تحريما لان العرض عند ارباب الكمال اعز على النفس من المال وانشد شعر
اصون عرضي بمالي لا ادنسه ... لا بارك الله بعد العرض بالمال وانما عبر عنه بلفظ الربو
لان المعتدي يضع عرضه عليه فكانه قال ازيد الزيادات التي تتجاوز عن الحد الاستطالة
في عرض المسلم الذي هو اقوى من ماله وقال الطيبي ادخل العرض في جنس المال على
سبيل المبالغة وجعل الربو نوعين متعارف وهو ما يوخذ من الزيادة على ماله من
المديون وغير متعارف وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ثم فضل
احد النوعين على الاخر وقال القاضي الاستطالة في عرض المسلم ان يتناول منه اكثر
مما يستحقه على ما قيل له او اكثر مما رخص له فيه ولذلك مثله بالربو وعدوه من عداده
ثم فضله على سائر افراده لانه اكثر مضرة واشد فسادا فان العرض شرعا وعقلا
اعز على النفس من المال واعظم منه خطرا ولذلك اوجب الشارع بالمجاهرة بهتك
الاعراض ما يوجب الرجم ونهب المال فقط لم يوجب القتل قال التوربشتي
وقوله بغير حق فيه تنبيه على ان العرض ربما تجوز استباحته في بعض الاحوال
وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لي الواجد يحل عرضه فيجوز لصاحب
الحق ان يقول فيه انه ظالم وانه متعد ونحو ذلك ومثله الكلام في جرح الشاهد
ونحو ذلك اي من ذكر مساوي الخاطب والمبتدعة والفسقة على قصد
التحذير رواه ابو داود والبيهقي في شعب الايمان وكذا الامام احمد في مسنده
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي اي اسري
٢٧ بي مررت باقوام لهم اظفار من نحاس يخمشون بكسر الميم اي يخدشون وجوههم
وصدورهم ففي المصباح خمشت المراة وجهها بظفرها جرحت ظاهر البشرة
فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس اي يغتابون
المسلمين ويقعون في اعراضهم قال الطيبي لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النسا
النايحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في اعراض المسلمين اشعارا بانهما ليستا
من صفات الرجال بل هما من صفات النساء في اقبح حالة واشوه صورة رواه ابو داود
وهو حديث حسن سكت عليه هو والمنذري وقد روي عن سعيد بن جبير مرسلا
ذكره ميرك وفي الجامع الصغير رواه احمد وابو داود والضيا عن انس وعن
المستورد اي ابن شداد يقال انه كان غلاما يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم
٢٨ ولكنه سمع منه وروى جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل برجل مسلم
اي بسبب غيبته او قذفه او وقوعه في عرضه او بتعرضه له بالاذية عند من
لم يعاديه اكلة بالضم اي لقمة وفي نسخة بالفتح اي مرة من الاكل فان الله تعالى يطعمه
مثلها اي قليلا او كثيرا من جهنم اي من نارها او من عذابها ومن كسي بصيغة

وقف لله عز وجل

الفاعل اي البس شخصا ثوبا برجل مسلم اي بسبب اهانته وفي نسخة بصيغة
المفعول وهو المناسب للقرينة السابقة فان الله يكسوه مثله من جهنم وقيل
معني الاول كسي نفسه ثوبا ومعني الثاني اكتسي ثوبا فصار ردالها واحد
وفي النهاية معناه الرجل يكون صديقا ثم يذهب الي عدوه فيتكلم فيه بغير الجميل
ليجيزه عليه بجائزة فلا يبارك الله له فيها قال الطيبي فعلي هذا فالبا برجل
للسببية والجايزة عامة في المطعوم والملبوس وعليه كلام الشارحين ومن
قام برجل البا للتعدية والمراد بالرجل نفسه اوغيره مقام سمعة وريا فان
الله يقوم اي مشتهرا ومتشهرا له اي لاجل افضاح القائم القائم به مقام سمعة وريا
يوم القيامة وهو كناية عن افضاحه اياه الناشي عن مقت الله وقد جا
في رواية الطبراني عن عبد الله الخزاعي مرفوعا من قام مقام ريا سمعة فانه
في مقت الله حتي يجلس قال التوربشتي اي من قام بنفسه الي ذكره وشهره
به فيما بين الناس فضحه الله وشهره بذلك علي رؤس الاشهاد يوم القيامة
عذبه عذاب المرائين وقال المظهر البا في برجل يحتمل ان تكون للتعدية
وللسببية فان كانت للتعدية يكون معناه من اقام رجلا مقام سمعة وريا
يعني من اظهر رجلا بالصلاح والتقوي ليعتقد الناس فيه اعتقادا حسنا
ويعزونه ويخدمونه ويجعله حبالا ومصيدة كما يري في زماننا لينال بسببه
المال والجاه فان الله تعالي يقوم له مقام سمعة وريا بان يامر ملائكته بان
يفعلوا معه مثل فعاله ويظهروا انه كذاب وان كانت للسببية فمعناه ان
من قام واظهر من نفسه الصلاح والتقوي لاجل ان يعتقد فيه رجل
عظيم القدر كثير المال ليحصل له مال وجاه كما يقول الناس في العرف هذا زاهد
الامير قال الطيبي ومعني الكناية عن التهديد في قوله فان الله يقوم له كما
في قوله تعالي سنفرغ لكم ايها الثقلان الكشاف سنفرغ مستعار من قول الرجل
لمن يتهدده سافرغ لك اي سانجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتي
لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر علي النكاية فيه والانتقام منه وقال الاشرف
معني السببية لا يستقيم في قوله ومن كسي ثوبا برجل مسلم فالبا فيه صلة
قلت وهذا لا يستقيم ايضا اذ يصير التقدير ومن كسي ثوبا رجلا مسلما وهو
فاسد المعني فالوجه ما قدمناه كما لا يخفي ثم رايت الطيبي قال ولعله اراد ان
كسا متعد الي مفعولين وليس هنا الا مفعول واحد فيجب ان يكون برجل ثاني مفعوليه
وفيه نظر الي ما يودي الي فساد المعني كما لا يخفي فالواجب ان يقدر من كسي نفسه
ثوبا برجل رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
حسن الظن اي بالله من حسن العبادة اي لله والمعني ان حسن الظن
بالله تعالي من جملة العبادة الحسنة فلا ينبغي ان يعكسها خلاف ما يظنه العامة
من ان حسن الظن هو ان يترك العمل ويعتمد علي الله ويقول انه كريم غفور
رحيم ويمكن ان يكون المعني بعض حسن العبادة حسن الظن وقدم
الخبر اهتماما فان السالك اذا احسن الظن بالله علي سبيل الرجا حسن

عبادة الله

عبادة الله في الخلا والملا فيستحسن مامولة ويرجي قبوله قال الله تعالي ان الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله واما من يترك العبادة
ويدعي حسن الظن بالمعبود فهو مغرور ومخدوع ومردود ومثلها الغزالي بمن
زرع ومن لم يزرع راجيين للحصاد ولا شك ان الثاني ظاهر الفساد والله رؤوف بالعباد
وقال المظهر يعني اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة قال الطيبي فعلي هذا
من للتبعيض اي من جملة عبادة الله والاخلاص فيها حسن المعاشرة مع عباده ويحتمل
ان يكون للابتدا اي حسن الظن بعباد الله ناش من عبادة الله ينصره قوله المسلم من
سلم المسلمون من لسانه ويده انتهي فان قلت قد ورد احترسوا من الناس بسوء
الظن علي ما رواه ابن عدي والطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا قلت التقدير
من بعضهم ولذا قال تعالي اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم او يقال يحترس
منهم بسوء الظن في الباطن علي ما اشار اليه صلي الله عليه وسلم اخبر تقله علي ما رواه جماعة
عن ابي الدردا ودل عليه ما ورد في حديث ثابت كابل مائة لا تجد فيها راحلة او يعاملهم
في الظاهر بحسن الظن بنا علي الامر المبهم والله اعلم رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه
وعن عايشة قالت اعتل بتشديد اللام اي مرض بعير وعند زينب فضل ظهر صفية
المراد بها هنا بنت حيي بن اخطب من بني اسرايل سبط هارون عليه السلام كانت
تحت كنانة بن ابي الحقيق فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في
السبي فاصطفاها رسول الله صلي الله عليه وسلم فاعتقها ثم تزوجها النبي صلي الله عليه
وسلم سنة خمس مناقبها جمة روت عنها عايشة وام حبيبة وغيرهما فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لزينب اعطيها اي صفية بعيرا فقالت انا اعطي
بتقدير الاستفهام الانكاري وتقل حذف المفعول لافادة العموم مبالغة في النفي
اي انا ما اعطي شيا تلك اليهودية اي باعتبار ما كانت وانما حملها علي هذا
القول الغيرة المتضمنة الي كونها من العرب قرشية لكن ما خالفت من حيث
المخالفة وسوء المخالفة فغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة
والمحرم بالنصب وبعض صفر قال ابن الملك فيه جواز الهجران فوق ثلاث
لفعل قبيح يعني علي قصد الزجر والتاديب لا علي ارادة العداوة والبغضا الشحنا وبه يحصل
الجمع بين الاحاديث كما سبق رواه ابو داود قال صاحب التصحيح رجاله رجال مسلم
الا سمية البصرية الراوية عن عايشة فلم يخرج لها مسلم انتهي وقال المنذري سمية
لم تثبت وقال العسقلاني مقبولة من الثالثة نقله ميرك وذكر حديث معاذ ابن
انس من حمي مومنا اي من منافق الحديث بطوله في باب الشفقة والرحمة الفصل
الثالث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم راي عيسي ابن
مريم رجلا يسرق فقال له عيسي سرقت اي اسرقت والظاهر انه سرق ولعل العدول
عنه ابا الي تحققه قال كلا اي حاشا والذي لا اله الا هو ويمكن ان يكون في الكلام
تورية اي ارتدع عن هذا الفعل او عن هذا السوال والذي لا اله الا هو فقال عيسي
امنت بالله اي بوحدانيته المفهومة من الجملة القسمية او التقدير صدقت قسمك
بالله وكذبت نفسي اي فيما قلت بنا علي الظاهر لاحتمال انه ذكر الاخذ كفعله لا

يكون سرقة لفقدان احد الشروط المعتبرة في حدها الشرعية وقال الطيبي اي صدقتك
في حلفك بعزتك والذي لا اله الا هو وبرائتك ورجعت عما ظننت بك وكذبت نفسي قال
تعالي يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم انتهى وفيه ما لا
يخفي رواه مسلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان
يكون كفرا اي كاد ان يكون الفقر القلبي سببا للكفر اما بالاعتراض على الله واما
بعدم الرضا بقضا الله تعالي او بالشكوى الي ما سواه او بالميل الي الكفر لما راي
ان غالب الكفار اغنيا متنعمين واكثر المسلمين فقرا ممتحنين بمقتضي ما ورد عنه
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقد قال تعالي تسلية
للعباد لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبيس
المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار قال البيضاوي وسبب نزول
هذه الاية ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين في رخا ولين عيش فيقولون
ان اعدا الله فيما نري من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد وفي معالم التنزيل
باسناده المتصل الي البخاري المنتهي الي ابن عباس قال قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة ايا
غرفة وانه لعلي حصير ما بينه وبينه شي وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف
وان عند رجليه قرظا مصبوبا وهو ما يدبغ به وعند راسه اهب معلقة فرايت
اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسري
وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضي ان تكون لهم الدنيا ولنا
الاخرة قال الطيبي الفقر يحمل الانسان على ركوب كل صعب وذلول فيما لا ينبغي طالبا
ازالته عنه بالقتل والنهب والسرقة وغير ذلك وربما يوديه الي الاعتراض على
الله والتصرف في ملكه كما فعل ابن الراوندي في قوله

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ∴ وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حايرة ∴ وصير العالم النحرير زنديقا

وكاد الحسد ان يغلب القدر سبق معناه انتهى محل المعني انه لو فرض
ان شيا يسبق القدر ويغالبه لكان الحسد وقيل كاد الحسد في زعم الحاسد
ان يغلب القدر وفي الجامع الصغير بلفظ وكاد الحسد ان يكون سبق القدر
على ما رواه ابو نعيم في الحلية والمناسبة بين القرينتين ان الحسد غالبا ينشا
من الفقر وقد يكون من انواع الكفر فانه يريد زوال نعمة الله عن عبده
فهو معارضة بالقضا ومنازعة بالقدر في حق نفسه وفي حق غيره فالحسد
اقرب الي الكفر من الفقر المجرد فالترتيب الذكري للترقي او لكون الاول سببا
لحصول الثاني مع ان الحسد مرض زمن لا يرجي برؤه والفقر قد يبدل بالغنا
او بالصبر والرضي وهو الذي عليه اكثر الانبيا وغالب الاوليا حتى اجمعت
الصوفية على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وعليه ايضا اكثر العلما
والله اعلم واما حديث الفقر فخري وبه افتخر فباطل موضوع كما قاله

الحافظ العسقلاني وغيره وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اعتذر الي اخيه اي المسلم فلم يعذره بفتح اليا وكسر الذال ولم يقبل عذره شك
من الراوي وهو تفسير لما قبله كان عليه مثل خطية صاحب مكس بفتح الميم
اي صاحب عشر ولما كان الغالب عليهم الظلم وعدم العمل بالعلم اطلق ذمه
والمراد بالمكس اخذ مال الناس بالظلم ثم رايت القاموس فقال المكس النقص والظلم
رواه البيهقي في شعب الايمان وفي الجامع رواه ابن ماجة والضياء عن جودان
ولفظه من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطية مثل صاحب المكس
وقال اي البيهقي في تفسير حديثه المكاس العشار وفي بعض الاصول
الماكس العشار ولعل المناسبة التشبيه ان صاحب المكس ايضا لم يقبل اعتذار
التاجر في قوله ان ماله مال امانة او اخذ منه في بندر اخر وانه مديون ونحو
ذلك وكون المشبه به اقوي هو انه مع هذا الظلم عليه باخذ ماله مع التعدي الي
الزايد ونقل ميرك عن المنذري انه حديث جابر رواه الطبراني ايضا في الاوسط
وروي عن عايشة مرفوعا من اعتذر الي اخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد على الحوض
رواه الطبراني في الاوسط وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انبيكم بشراركم قالوا بلي ان شيت يا رسول الله قال ان شراركم الذي
ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده الا انبيكم بشر من ذلك قالوا بلي ان شيت
يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال الا انبيكم بشر من ذلك
قالوا بلي ان شيت يا رسول الله قال الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة
ولا يغفرون ذنبا قال افلا انبيكم بشر من ذلك قالوا بلي يا رسول الله قال من
لا يرجي خيره ولا يومن شره رواه الطبراني وغيره وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال عفوا عن نسا الناس تعف نساوكم وبروا اباكم
يبركم ابناكم ومن اتاه اخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا او مبطلا فان لم
يفعل لم يرد على الحوض رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد والتنصل الاعتذار
الحذر والتاني في الامور الحذر الاحتراس من الضرر والتاني ضد العجلة
من تانى في الامر اذا توقف فيه **الفصل الاول** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المومن برفع الغين على النفي وروي بكسر الغين
على النهي والمراد بالمومن الكامل في عقد من جحر بضم جيم وسكون حا اي نقب وخرق
واحد مرتين اي كرتين ومرة بعد اخري قال الخطابي هذا يروي على وجهين
احدهما على الخبر وهو ان المومن الممدوح وهو المتيقظ الحازم لا يوتي من ناحية
الغفلة فيخدع مرة اخري ولا يفطن هو به وقد قيل انه الخداع امر الاخرة دون
امر الدنيا وثانيهما على النهي اي لا يخدع عن المومن ولا يوتين من ناحية الغفلة فيقع
في مكروه وهذا يصلح ان يكون في امر الدنيا والاخرة قال التوربشتي واري ان الحديث
لم يبلغه الخطابي على ما كان عليه وهو مشهور عند اهل السير وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم من على بعض اهل مكة وهو ابو عزة الشاعر الجمحي وشرط عليه ان لا يجلب
عليه فلما بلغ ما منه عاد الي ما كان عليه فاسر تارة اخري فامر بضرب عنقه فكلمه بعض

الناس في المن عليه فقال لا يلدغ المومن الحديث وروى النووي عن القاضي عياض هذه
القصة وقال سبب هذا الحديث معروف وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر ابا عزة
الشاعر يوم بدر فمن عليه وعاهده ان لا يحرض عليه ولا يهجوه فاطلقه فلحق بقومه
ثم رجع الى التحريض والهجا ثم اسر يوم احد فسأله المن فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يلدغ المومن الحديث وهذا السبب ضعيف الوجه الثاني ذكره الطيبي ولم
يظهر لي وجه ضعفه على انه قد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
والا لكان المومن مختصا به صلى الله عليه وسلم لكونه اخبر عن نفسه وقد اطنب الطيبي
في نصرة الخطابي الى ان قال فظهر ان القول بالنهي اولى والمقام له او عبه انتهى
وبعده لا يخفى متفق عليه ورواه احمد وابو داود والترمذي عنه واحمد ايضا
٤٤ وابن ماجة عن ابن عمر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا شج عبد القيس بالاضافة وهو
كان رئيس عبد القيس وهي قبيلة وفي نسخة بالفتح على انه غير منصرف وان عبد
القيس بدل منه او عطف بيان له على حذف مضاف اي رئيس عبد القيس واسمه
المنذر بن عايذ ولم يذكره المولف ان فيك لخصلتين يحبهما الله اي فيك وفي غيرك الحلم
وهو بكسر الحا تاخير مكافاة الظالم في الاصل ثم يستعمل في العفو عن الذنب قيل والمراد
به هنا عدم استعجاله وترخيه حتى ينظر في مصلحته قلت فيبقى مكررا مع قوله والاناة
بفتح الهمزة على وزن نواة وهي اسم من التاني فقيل معناه الوقار والتثبيت وقيل
الثبات في الطاعات وقيل المراد جودة نظره في العواقب وضبطا في اصل النسبة
بالرفع فيهما وجوز نصبهما لكن الاظهر هو النصب على البدلية من الخصلتين كما خفي
في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين وفي حديث بني الاسلام على خمس هذا وفي
شرح السنة يروى عن المنذري الاشج انه قال يا رسول الله انا الخلق بهما
ام الله جبلني عليهما قال بل الله جبلك عليهما قال الحمد لله الذي جبلني على
خلقين يحبهما الله ورسوله انتهى وانما عطف رسوله عليه لان محبته صلى الله
عليه وسلم تابعة لمحبته تعالى لا تنفك عنها رواه مسلم وكذا الترمذي الفصل
٤٥ الثاني عن سهل بن سعد الساعدي صحابيان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الاناة من الله اي من الهداية والعجلة اي في امور الدنيا من الشيطان اي
وسوسته قيل ويستثنى منه كل ما لا شبهة في خيريته فان تعالى قال انهم
كانوا يسارعون في الخيرات قالت نون بين بين المسارعة والمبادرة الى
الطاعات وبين العجلة في نفس العبادات فالاول محمود والثاني مذموم
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك وفي بعض النسخ
حسن غريب وقد تكلم بعض اهل الحديث اي من العارفين باحوال
رجال الاسناد في عبد المهيمن بن عباس الراوي بسكون البا اي احد رواة هذا
الحديث من قبل حفظه اي وقع طعن البعض فيه من جهة حفظه فانه عدل
ثقة فامره سهل وقد رواه البيهقي في شعب الايمان عن انس مرفوعا ولفظه
التاني من الله والعجلة من الشيطان وعن ابي سعيد قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا حليم الا ذو عثرة بفتح العين وسكون المثلثة حليم كاملا الا من
وقع في زلة وحصل منه الخطأ فعفي عنه فعرف به رتبة العفو فيحلم عند عثرة
لانه عند ذلك يصير ثابت القدم ولا حكيم الا ذو التجربة اي صاحب امتحان في
نفسه وفي غيره قال الشارح اي لا حكيم كاملا الا من جرب الامور وعلم المصالح
والمفاسد فانه لا يفعل فعلا الا عن حكمة اذ الحكمة احكام الشي واصلاحه عن الخلل
انتهى وهو موافق لما في النهاية وشرح المظهر لكن ينبغي ان يقال لا حليم ولا حكيم
من المخلوقين الا كذا ليصلح الحصر وقد عرفت وصفه تعالى بهما في الاسما الحسنى
ويمكن ان يقال المعنى لا حليم الا وقد يعثر كما قيل نعوذ بالله من غضب الحليم
ولا حكيم من الحكما الطبية الا صاحب التجربة في الامور الدانية والروانية والله اعلم
رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وكذا ابن حبان في صحيحه
والحاكم في مستدركه وعن انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني اي انتي
٤٦ بين بل يخبرني في امري فقال خذ الامر اي الذي تريد ان تفعله بالتدبير من باب
التفصيل اي بالتفكير في دبره والتامل في مصالحه ومفاسده والنظر في عاقبة امره
فان رايت في عاقبته خيرا اي نفعا دنيويا او اخرويا فامضه بقطع الهمزة اي فافعله
وان خفت اي رايت بقرينة العرفية فيه تغني وما احسن موقعه في الشبه المعبر
عنه بقوله غيا اي ضلالة وانما ترك مراعاة المقابلة ليفيد زيادة المشاكلة فكانه
قال في الاول خير وهو هداية وفي الثاني شر وضلالة وهذا بعض الصنيع من
صنايع البديع ثم قوله رايت يعني علمت او ظننت والثاني اظهر لان مبنى
الامور الشرعية غالبها والمطالب العرفية كلها انما هو على الظن لا سيما بالنسبة
المخاطب فان ارباب اليقين في كل قضيته لا يوجد الا في الانبيا وكمل العارفين
مع ان الحكم العلم يعلم بالاولى كما لا يخفى وقال الطيبي الخوف هنا بمعنى الظن
كما في قوله تعالى الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله ويجوز ان يكون بمعنى
العلم واليقين لان من خاف من شي احترز عنه وتجريب حقيقته انتهى وفيه
بحث ليتحقق حقيقته قال وهذا انسب بالمقام لانه وقع في مقابلة
رايت وهو معنى العلم وهما نتيجة التفكر والتدبير قلت بل هما المتفرعات
عليهما المنتجان للفعل المعني عنه بالامضا والترك المعبر عنه بالترك بقوله
فامسك اي كف عنه او تركه رواه في شرح السنة وذكر السيوطي المرفوع في الجامع
الصغير وقال رواه عبد الرزاق في الجامع وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب
الايمان وعن مصعب بصيغة المفعول ابو زرارة بن سعد اي ابي وقاص عن
ابيه اي سعد وهو احد العشرة المبشرة واما مصعب فسمع اباه وعليا وابن عمر و
روى عنه سماك بن حرب وغيره قال الاعمش اي احد الرواة وهو تابعي جليل
قال المولف اسمه سليمان بن مهران الكاهلي الاسدي مولى بني كاهل بطن من بني
اسد خزيمة ولد سنة ستين بارض الري فجي به حميلا الى الكوفة فاشتراه رجل
من بني كاهل فاعتقه وهو احد اعلام المشهورين بعلم الحديث والقراة وعليه
مدار الكثير الكوفيين روى عنه خلق كثير مات سنة ثمان واربعين ومائة لا اعلمه

وعمره ٨٨

ووصــــهووجل

اي قول سعد هذا الاعن النبي صلى الله عليه وسلم اي نقل رواية عنه اولا اعلم
الحديث الا مرفوعا الي النبي صلى الله عليه وسلم قال التوده بضم التا وفتح الهمزة اي
التاني في كل شي اي من الاعمال خيراي مستحسن الا في عمل الاخرة لان في
تاخير الخيرات افات وان اكثر صياح اهل النار من تسويف العمل قال الطيبي
وذلك لان الامور الدنيوية لا يعلم عواقبها في ابتدايها انها محمودة العواقب حتى
تتعجل فيها او مذمومة فيتاخر عنها بخلاف الامور الاخروية لقوله تعالى
فاستبقوا الخيرات وسارعوا الى مغفرة من ربكم قال الغزالي في قوله تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ينبغي للمومن اذا تحركت له داعية البذل ان لا يتوقف لان الشيطان يعده ويخوفه
ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا له فقال له انزع عني القميص
وادفعه الي فلان فقال هل لا صبرت حتى تخرج قال خطر لي بذله ولا امن على نفسي ان
تتغير رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الايمان عن
سعد مرفوعا وعن عبد الله بن سرجس كنرجس بكسر الجيم وفتح السين وفي
نسخة بفتح الجيم وكسر السين وسبق تحقيقه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السمت
الحسن اي السيرة المرضية والطريقة المستحسنة قال شارح السمت الطريق يستعار
لهيئة اهل الخير وفي الفايق السمت اخذ المنهج ولزوم المحجة والتودة اي التاني
في جميع الامور والاقتصاد اي التوسط في الاحوال والتحرز عن طرفي الافراط والتفريط
قال التوربشتي الاقتصاد على ضربين احدهما ما كان متوسطا بين محمود ومذموم كالمتوسط
بين الجور والعدل والبخل والجود وهذا الضرب اريد بقوله تعالى ومنهم مقتصد والثاني
محمود على الاطلاق وذلك فيما له طرفان افراط وتفريط كالجود فانه بين الاسراف والبخل
والشجاعة فانها بين التهور والجبن وهذا الذي في الحديث هو الاقتصاد المحمود على
الاطلاق قلت ومن هذا القبيل الاقتصاد في الاعتقاد فانه بين التعطيل والتشبيه
وبين الجبر والقدر والاقتصاد في المعيشة ومنه قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومنه حديث الاقتصاد في النفقة ذكر المعيشة وحديث
ما عال من اقتصد وكذا حكم الاقتصاد في ساير الافعال ومنه قوله تعالى واقصد في
مشيك واغضض من صوتك وقوله عز وجل كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال بعض
العارفين اطلب العلم بحيث لم يمنعك عن العمل واعمل بحيث لم يشغلك عن العلم جزا
اي كلها او كل منها من اربع وعشرين جزا ويويد الاخير ما رواه الضيا عن انس
مرفوعا السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزا من النبوة مع زيادة افادة
ان المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد ويبصره الحديث الاتي حيث قال جزء من
خمس وعشرين على انه يمكن الاختلاف بحسب اختلاف الكمية والكيفية الحاصلتين
المتصف به واما ما قال شارح من ان التفاوت بين العددين من خمس واربع يحتمل ان
يكون من غلط الرواة فهو احتمال غلط منه وسببه الغفلة عما ذكرناه نقلا وعقلا والله
اعلم قال القاضي كان الصواب ان يقول اربعة على التذكير فلعله انث على تاويل الخصلة
او القطعة والاجزا الجزء مجرى الكل في التذكير والتانيث قلت التاويلات كلها
مستحسنة واما قوله فكان الصواب خطا ظاهر لا يخفى من النبوة اي من اجزايها

قال الخطابي

قال الخطابي الهدي والسمت حالة الرجل ومذهبه والاقتصاد سلوك القصد في الامور والدخول
فيها برفق على سبيل يمكن الدوام عليها يريد ان هذه الخصال من شمايل الانبيا عليهم
السلام وانها جزء من اجزا فضايلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها وليس معناه
ان النبوة تتجزى ولا ان من جمع هذه الخلال كان نبيا فان النبوة غير مكتسبة
وانما هي كرامة يخص بها الله من يشا من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته ويحتمل
ان يكون معناه ان هذه الخلال مما جات به النبوة ودعا اليها الانبيا وقيل معناه ان
من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير والتعظيم والبسه الله لباس التقوى
الذي البسه انبياه عليهم السلام فكانها جزء من النبوة قال التوربشتي والطريق الى
معرفة ذلك العدد ووجهه بالاختصاص من قبل الراي والاستنباط مسدود فانه من
علوم النبوة وقد سبق القول في هذا المعنى في كتاب الرويا رواه الترمذي وعن
ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الهدي بفتح فسكون الصالح اي السيرة ٤٧
الحسنة والسمت الصالح اي الطريقة المستحسنة من زي الصالحين وحاصل
الفرق بينهما ان الهدي متعلق بالاحوال الباطنة والسمت بالاخلاق الظاهرة
فهما في الطريقة بمنزلة الايمان والاسلام في الشريعة والجمع بينهما نور على نور به تتم
الحقيقة والاقتصاد اي التوسط في الامر المعيشة والمعاد جزء من خمس وفي رواية
الجامع خمسة بالتا وهو الظاهر وعشرين جزا من النبوة رواه ابو داود وكذا الحاكم وعن
جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حدث الرجل اي عندك او عند احد ٤٨
وهو الاظهر الحديث اي الذي يريد اخفاه ثم التفت اي غاب عنك وعنه بمفارقة المجلس
فهي اي ذلك الحديث وانث باعتبار خبره وهو قوله امانة وقيل لان الحديث بمعنى
الحكاية والمعنى التعقيب ان حكمه حكم الامانة فلا يجوز اضاعتها باشاعتها وقد فسر المظهر
قوله التفت بغاب وحمل ثم على بابه من التراخي المستفاد منه حكم التعقيب بالاولى وقال الطيبي
والظاهر ان التفت هنا عبارة عن التفات ظاهرة الى ما تكلم فالتفت يمينا وشمالا لا احتياطا
فثم للتراخي في الرتبة ويدل على هذا ترتب الفا وان الثاني مسبب عن الاول قلت هذا
تكلف ظاهر مستغني عنه فان الحكم عام غير مخصوص بما يفهم منه والفا لازمة الجزا
فليس فيها دلالة على ما ادعاه اصلا وحاصله اجمالا معنى الحديث الاتي المجالس بالامانة
ويستثني منها ما سياتي والله اعلم رواه الترمذي وابو داود وكذا احمد والضيا
عن جابر وابو على مسنده عن انس وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لابي الهيثم بن التيهان بفتح التا المثناة الفوقية وكسر المثناة التحتية المشددة ٤٩
وبالنون ذكره في جامع الاصول وقد تقدم ترجمته في باب الضيافة وهذا الحديث
ذيل لذلك الحديث وقد بيناه هناك هل لك خادم اي عبد قال لا قال فاذا اتانا
سبي اي اسارى فاتنا فاتي اي جي النبي صلى الله عليه وسلم براسين من العبيد
فاتاه ابو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهما اي واحدا منهما او بعضهما
فقال يا نبي الله اختر لي اي انت اولى بالاختيار فانك المصطفى المختار وعلى
اختيارك المدار فقال النبي صلى الله عليه وسلم توطية وتمهيدا ان المستشار
من استشاره طلب رايه فيما فيه المصلحة موتمن اسم مفعول من الامن او

الامانة ومعناه ان المستشار امين فيما يسال من الامور فلا ينبغي ان يخون المستشير
بكتمان مصلحته خذ هذا اي مشارا الى احدهما فاني رايته يصلح فيه انه يستدل على
خيرته الرجل بما يظهر عليه من اثار الصلاح لاسيما الصلاة فانها تنهى عن الفحشا والمنكر
واستوص به معروفا اي استيصا معروف قيل معناه لاتامره الا بالمعروف والنصح له
وقيل وص في حقه بمعروف كذا ذكره زين العرب وقال الطيبي اي اقبل وصيتي في
حقه واحسن ملكته بالعرف رواه الترمذي اي في جامعه وكذا في الشمايل مطولا كما اوردناه
في باب الضيافة وفيه انه اعتق العبد لاجل وصيته عليه السلام واما حديث المستشار
موتمن فقد رواه الاربعة عن ابي هريرة والترمذي عن ام سلمة وابن ماجة
عن ابي مسعود وفي رواية الطبراني في الكبير عن سمرة بلفظ المستشار موتمن
ان شا اشار وان شا لم يشر وفي رواية له عن علي في الاوسط بلفظ المستشار موتمن
فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس اي احد الثلاثة من المجالس والمعنى
ينبغي للمومن اذا راي اهل مجلس على منكر ان لا يشيع ما راي منهم الا ثلاث مجالس
سفك دم بالرفع بتقدير هي مجالس اراقة دم حرام بالجر صفة دم اي دم حرام
سفكه او دم محترم في الشرع او فرج حرام او اقتطاع مال بغير حق قيد للاخير
فقط ولعل العدول عن حرام هنا لاجل مفهومه من الحلال فان اقتطاع مال الناس
ظلما حرام سوا يكون المال حلالا او حراما فالجار متعلق بالاقتطاع كما لا يخفى قال
المظهر كما اذا سمع من قال في مجلس اريد قتل فلان او الزنا بفلانة او اخذ مال
فلان فانه لا يجوز ستر ذلك حتى يكونوا على حذر منه رواه ابو داود واما
صدر الحديث وهو قوله المجالس بالامانة فقد رواه الخطيب عن علي ايضا وذكر
حديث ابي سعيد ان اعظم الامانة اي عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى
امراته وتفضي اليه ثم ينشر سرها رواه مسلم في باب المباشرة في الفصل الاول
قال الطيبي تنبيه على ان هذا الحديث جا مكررا في المصابيح وعلي ان ايراده في الصحاح
اولى منه في الحسان اقول الظاهر ان المولف حول الحديث من هنا الى ذلك الباب
لانه انسب به فهو اعتراض واعتذار لئلا يتوهم اسقاطه والله اعلم وعن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام ثم
قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له اقعد فقعد ظاهر الحديث انه خلق
مجسدا مجسما كما يخلق الموت على صورة كبش يذبح بين الجنة والنار والمراد
بالقيام والقعود والاقبال والادبار امور معنوية حاصلة منه وناشية عنه باعتبار
اختلاف ارباب العقول ولعل القيام كناية عن الظهور والقعود عن خفايه والاقبال
عن توجهه الى شي والادبار اعراضه عنه بحسب ما تعلق به المشية والارادة الازلية
قال الطيبي المجموع كناية عن ان العقل هو محل التكليف واليه يتوجه الاوامر
والنواهي وبه يتم غرض خلق المكلفين من العبادة التي ما خلقت السموات
والارض الا لاجلها ويدل عليه ما بعده قلت الصواب وضع الحكمة موضع
الغرض لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض ثم قال له ما خلقت خلقا هو خير منك

اي في حد

اي في حد ذاته فانه جوهر شريف يحتاج اليه الوضيع والشريف ومن جملة الدلالة على
كماله ان كل احد يغضب من نسبة فقده ونقصانه اليه ولا افضل منك لحصول الفضايل
والفواضل وزيادة العبادات والدرجات ولا احسن منك اي في حسن المعاشرة وكسب
المعاملة بك اي بسببك او بقدرك اخذ العبادات من عبادي وبك اعطي اي الثواب
والدرجات وبك اعرف بصيغة المجهول اي ذاتا وصفة وحكما وبك اعاتب اي على من
اعاتب فان المجنون ونحوه لا عتب عليه وبك الثواب اي وصوله حال الاقبال وعليك
العقاب اي حصوله وقت الادبار واعلم ان اشرف العقل انما هو لكونه سببا للعلم
المنتج للعمل المودي الى السعادة الابدية وسمي عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا
ينبغي كما يسمى نهية لانه ينهى عن الفحشا والمنكر وقال الراغب العقل
يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك
القوة عقل ولهذا قيل شعر العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول اشار بقوله
صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والى الثاني اشار
بقوله ما كسب احد شيا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى
وهذا العقل هو المعني بقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون قلت الظاهر انه كما
لا ينفع مسموع بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا مسموع الا ترى ان الحكما زعموا
انهم اكبر العقلا ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير متابعتهم للانبيا واقوالهم
المسموعة وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ونظيره المشاهد
لكل احد الاصم الخلقي فانه ينتفع بعقله المطبوع وليس له حظ من العقل المسموع ثم
هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان كما اجمله المولف في الفصل وقال هنا
وقد تكلم فيه اي في ضعف هذا الحديث او قد طعن في ثبوته بعض العلما ففيه تنبيه على
اختلاف العلما في حقه لكن قال السخاوي في المقاصد انه كذب موضوع اتفاقا ثم رايت
في مختصر الشيخ محمد بن يعقوب الفيروزابادي انه قال اول ما خلق الله العقل اه
ضعيف وما خلق الله خلقا اكرم من العقل الحكيم ضعيف وفي شرح الطيبي قال
الشيخ تقي الدين بن ابي تيمية الحديث الذي ذكروه كذب موضوع عند اهل المعرفة
بالحديث كما ذكر ذلك ابو جعفر العقيلي وابو حاتم البستي وابو الحسن الدارقطني
وابن الجوزي وغيرهم انتهى ووجه ذكر هذا الحديث في باب الحذر والتاني في الامور
ظاهر لانهما من نتايج العقل والله اعلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة حتى ذكر
سهام الخير اي ابوابه وانواعه كلها اي جميعها وما يجزى بصيغة المجهول اي ما يثاب
يوم القيامة الا بقدر عقله اي بمقدار استعماله في هذه العبادات ويحتمل ان
يكون المراد بالعقل هنا المستعد بالعقل فيفيد ان زيادة المثوبات والدرجات
في العبادات باختلاف مراتب علوم اصحابها وعقول اربابها قال الطيبي اشارة الى
ان المسموع لا ينفع كل النفع الا بالعقل المطبوع لانه هو المميز الذي يضع كل شي في موضعه
وبه يتفاوت صلاة عن صلاة وصدقة عن صدقة وصوم عن صوم لانه ربما يكون ركعة

في مقام بفضل الفرد كعة في غيره وكذا ذلك الصدقة وغيرها ذلك من اعمال البر وبما يعمل ويظن
به خيرا فيرجع عليه وبالا قلت لا خفا ان العقل المطبوع ليس له التميز في الامر المشروع
ولهذا لا يعتبر التحسين والتقبيح العقليين فالمراد هنا على العقل المسموع لكن بمساعدة العقل
المطبوع بان يصلي على ما ينبغي من المعلوم في الشريعة وفي مقام يلقاه به من المسموع في الطريقة
ولذا سائر العبادات والله اعلم بالنيات فمدار كمال الصلاة مثلا بعد مراعاة الشروط والاركان
وواجباتها وسننها وادابها المسموعة المعروفة على حضور القلب مع الله وقطع النظر
عما سواه فقد روى احمد وابو داود وابن حبان عن عمار بن ياسر مرفوعا ان الرجل لينصرف
وما كتب له الا عشر صلواته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وعن
٥٢ ابي ذر قال قال لي مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر لا عقل كالتدبير قال الطيبي
اراد بالتدبير العقل المطبوع لما سبق ان العقل المسموع لا يعتد به ولا يكتسب صاحبه
الا بالعقل المطبوع قلت وقد تقدم ان العقل المطبوع لا نفع له بدون العقل المسموع
بل ربما ينفع المسموع بدون المطبوع كمن امن لمجرد التقليد فالمعنى لا عقل كعقل التدبير
اي كالعقل الذي يصحبه التدبير وهو الذي ينظر في دبر الامر وعاقبته ويميز ما يحمد ويذم
في اخره ولا شك ان مداره على العقل المسموع ولا ورع كالكف اي ولا تورع عن المحرمات
والشبهات مثل الكف عن المعاملات وترك المباحات الا الضروريات ولا حسب اي
لا مكرمة ولا شرف كحسن الخلق اي كمداراة الخلق مع مراعاة الحق هذا وفي النهاية
الورع في الاصل الكف عن المباح والحلال قلت فالمراد بالورع في الحديث معناه الاصلي
وبالكف معناه العرفي على ما قررناه ولما غفل الطيبي عما حررناه قال بعد كلام صاحب
النهاية فان قلت فعلى هذا الورع هو الكف فكيف قيل ولا ورع كالكف قلت الكف اذا
اطلق فهم منه الاذى او كف اللسان كما قال صلى الله عليه وسلم كف هذا واخذ بلسانه كما
قيل ولا ورع كالصمت او الكف عن اذى المسلمين ولا حسب كحسن الخلق اي الاحكام مكتسبة
كحسن الخلق مع الخلق فالاول عام والثاني خاص قلت الصواب ان الاول خاص والثاني
عام لان حسن الخلق شامل لجميع انواع المستحسنات ولذا ورد المحسوس الخلق الحسن
حسن الحسن وقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وكل الصيد في جوف الفرا والله اعلم
٥٤ وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد في النفقة اي في صرفها
اي في الانفاق نصف المعيشة وهو مقتبس من قوله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والتودد الى الناس اي التحبب الى المومنين
الصالحين نصف العقل اي استعمال نصفه او تسبب تحصيل نصفه فانه بالاستصحاب
يحصل للعقل الاكتساب فكان عقل المنفرد نصف العقل فيكمل بعقل صاحب ولذا
قيل علمان خير من علم واحد وكان بعض العارفين يقول لبعض تلاميذه انا وانت
انسان كامل لانك حافظ القران وانا مفسره ولعل هذا معنى ما رواه ابن ابي الدنيا
في الاخوان عن سهل بن سعد مرفوعا المرء كثير باخيه ولا شك ان مصاحبة
ارباب الكمال تورث كمال العقل في جميع الاحوال وحسن السوال نصف العلم
فان السائل الغبي عما يهمه وهو شانه اعني وهذا يحتاج الى فضل تمييز بين
مسئول فاذا ظفر بمبتغاه وفاز به كمل علمه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله لا ادري

نصف العلم

ومع ... سوء جل

نصف العلم بخلاف من يسال من غير تامل وحسن مقال فانه يكون نصا على نقصان
عقله وكمال جهله حكي ان تلميذا كان لابي يوسف رحمه الله كان ساكتا في المجالس
فقال له اذا اشكل عليك شي فسل ولا تستح فان الحيا يمنع العلم وكان الامام يتكلم
في تعريف الصوم انه من الصبح الى الغروب فقال فاذا لم تغرب فالى متى فقال له اسكت فان
سكوتك خير من كلامك وما احسن ما قال بعض ارباب الكمال ان الجاهل اذا تكلم فهو
كالحمار واذا سكت فهو كالجدار هذا والصحيح في معنى قوله لا ادري نصف العلم بيان
ان العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم فانه لابد له من الجهل ببعضه ففي ذلك جوابه
لا ادري وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري اعزير نبي ام لا وفي القران ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وقل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد حكي
ان عليا كرم الله وجهه سيل عن شي وهو على المنبر فقال لا ادري فقيل له فاذا
كنت لا تدري فلم صعدت المنبر قال انما طلعت بقدر علمي ولو صعدت بقدر جهلي
لوصلت السما وفي قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا تنبيه على ذلك
والله اعلم قلت والحديث الاخير رواه الطبراني في مكارم الاخلاق عن ابن عمر ايضا
ورواه الخطيب عن انس مرفوعا الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف
الدين وروى احمد عن ابن مسعود مرفوعا ما عال من اقتصد باب
الرفق والحيا وحسن الخلق الرفق بالكسر ضد العنف وهو المداراة مع الرفقا
ولين الجانب واللطف في اخذ الامر باحسن الوجوه وايسرها واما الحيا فقال
الحكما هو تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام به وقال الجنيد حالة
تتولد من روية الالا والتقصير في شكر النعما وقال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب
مع وحشة ما سبق منك الى ربك وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى
واما حسن الخلق فقال هو الانصاف في المعاملة وبذل الاحسان والعدل في
الاحكام والاظهر انه هو الاتباع بما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم من احكام الشريعة
واداب الطريقة واحوال الحقيقة ولذا لما سيلت عايشة رضي الله عنها عن
خلقه صلى الله عليه وسلم الوارد في حقه وانك لعلى خلق عظيم فقالت كان خلقه
القران تعني ان كلما فيه من خصلة محمودة كان يتصف بها وكل فعلة مذمومة فيه
يجتنب عنها ثم الاتباع بقدر المحبة والتوفيق للمتابعة باخذ كل سهمه ونصيبه
وقد اثنى الحي ذكره الشاطبي رحمه الله في وصفه للقرا اولوا البر والاحسان والصبر
٥٥ والتقى حلاهم بها جا القران مفصلا الفصل الاول عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفيق اي لطيف بعباده يريد
بهم اليسر فيسامحهم ولا يكلفهم فوق وسعهم او يحب ان يرفق العباد بعضهم
بعضا كما بينه بقوله يحب الرفق برضى ويثني عليه ويعطي على الرفق اي
المثوبات والمارب او من الاغراض والمطالب ما لا يعطي على العنف بالضم وفي
القاموس هو مثلث العين ضد الرفق وما لا يعطي على ما سواه اي سوى
الرفق وهو العنف ففي الكلام زيادة مبالغة وتاكيد للحكم والاظهر ان
التقدير ما سوى الرفق من الخصال الحسنة قال القاضي والظاهر انه

لا يجوز اطلاق الرفيق على الله تعالى اسما لانه لم يتواتر ولم يستعمل ايضا على قصد الاسمية وانما اخبر
به عنه تمهيدا للحكم الذي بعده فكانه قال هو الذي يرفق عباده في امورهم فيعطيهم بالرفق
ما لا يعطيهم على ما سواه وانما ذكره قوله وما لا يعطي على ما سواه بعد قوله ما لا يعطي
على العنف ليدل على ان الرفق انجح الاسباب كلها وانفعها باسرها قال الطيبي وفي
معناه قول الشاعر ∴ يا طالب الرزق الهني بقوة ∴ هيهات انت بباطل مشغوف ∴
اكل العقاب بقوة جيف الفلا ∴ ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف ∴
المعنى ينبغي للمرء ان لا يحرص في رزقه بل يكل امره الى الله تعالى الذي تولى القسمة
في خلقه فالنسر ياكل الجيفة بعنفه والنحل يرعى العسل برفقه قال التوربشتي
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انت رفيق والله الطبيب قلنا الطبيب الحاذق
بالشيء الموقوف ولم يرد بهذا القول نفي هذا الاسم فمن يتعاطى ذلك وانما حول
المعنى الطبيعة الى الشريعة ويعلمهم ان الذي هو يرجون من الطبيب فالله فاعله
والمنان به على عباده وهذا كقوله فان الله هو الدهر وليس الطبيب بموجود في
اسماء الله سبحانه ولا الرفيق فلا يجوز ان يقال في الدعا يا طبيب ولا يا رفيق انتهى
وفيه ايماء الى انه يجوز ان يقال هو الطبيب وهو رفيق على منوال ما ورد واما قوله
صلى الله عليه وسلم في آخر كلامه عند خروجه من الدنيا الرفيق الاعلى فيحتمل
ان يراد به الله تعالى وان يراد به الملا الاعلى فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال وفي شرح
مسلم للنووي قال الماوردي لا يوصف الله سبحانه وتعالى الا بما سمى به نفسه او سماه
به رسوله صلى الله عليه وسلم او اجمعت الامة عليه واما ما لم يرد اذن في اطلاقه ولا ورد
منع فيه ففيه خلاف فمنهم من قال يبقى على ما كان قبل ورود الشرع فلا يوصف به ولا
يمنع منه ومنهم من منعه وبين الاصوليين خلاف في تسمية الله تعالى بما ثبت
بخبر الاحاد فقال بعضهم يجوز لان خبر الواحد عنده يقتضي العمل به وبعضهم لا يجوز
ذلك لانه من باب العمليات فلا يثبت بالاقيسة وان كانت يعمل بها في المسايل
الفقهية العملية قال النووي والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقا وغيره
مما يثبت بخبر الواحد رواه مسلم وفي الجامع الصغير ان الله رفيق يحب الرفق
ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف رواه البخاري في الادب المفرد وابو داود وفي
جامعه عن عبد الله بن مغفل وابن ماجة وابن حبان عن ابي هريرة واحمد
في مسنده والبيهقي في شعب الايمان عن علي والطبراني عن ابن ماجة
والبزار عن انس فكاد الحديث ان يكون متواترا عند بعضهم وفي رواية لمسلم
قال لعايشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش اي المتولد منه ان الرفق
استيناف فيه بيان لا يكون اي لا يوجد في شيء اي من الذوات والاعراض الا زانه
اي زينه وكمله ولا ينزع بصيغة المجهول اي لا يفقد ولا يعدم من شيء الا شانه اي
عيبه ونقصه قال الطيبي قوله يكون يحتمل ان تكون تامة وفي شيء متعلق بها وان
تكون ناقصة وفي خبر كان والاستثنا مفرغ من اعم عام وصف الشيء اي لا يكون الرفق
مستقرا في شيء يتصف بوصف من الاوصاف الا بصفة الزينة وفي الجامع
الصغير عليك بالرفق واياك والعنف والفحش رواه البخاري في الادب

المفرد

نووي ج ٢ ص ٤٧

وعن سووجل

٤٢

المفرد عن عايشة وروى مسلم عن عايشة عليكم بالرفق واياكم والعنف والفحش ان
الرفق لا يكون في شيء الحديث والله اعلم وعن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم من يحرم ٥٥
بصيغة المجهول يحرم وما وقيل مرفوعا الرفق بالنصب على انه مفعول ثان اي من
يصير محروما منه يحرم الخير كله كما في الجامع ففيه فضل الرفق والحث على التخلق به
وذم العنف وان الرفق سبب كل خير رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجة
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الانصار وهو يعظ اخاه ٥٧
اي ينصحه في الحيا بان لا يكثر منه فان الحيا يمنع الرزق ويمنع العلم على ما روي
قال الطيبي اي يحذره قال الراغب الوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو
التذكير بالخير فيما يرق له القلب انتهى كلامه والوعظ هنا بمعنى العتاب لما جاء في شرح
السنة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يعاتب اخاه في الحيا يقول انه يستحيي
كانه يقول قد اضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه اي اتركه على حاله من
كثرة الحيا فان الحيا من الايمان اي بعضه او من شعبه قال النووي يعظ في الحيا
اي ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
اي دعه على فعل الحيا وكف عن نهيه ووقعت لفظة دعه في البخاري ولم تقع في مسلم
متفق عليه قلت اما قوله الحيا من الايمان فقد رواه الترمذي ايضا عن ابن عمر وكذا
الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة والبخاري في الادب المفرد وابن ماجة والحاكم
والبيهقي عن ابي بكرة الثقفي والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين والبيهقي
وابن عساكر عن ابي هريرة وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله ٥٨
عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير اي لا يفوت الانسان الا بخير والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان
من تخوف ما يعاب به ويذم ذكره الطيبي وقال النووي قد شكل على بعض الناس هذا الحديث
من حيث ان صاحب الحيا قد يستحيي ان يواجه بالحق من يجله ويعظمه فيترك امره بالمعروف
ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحيا على الاخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في
العادة والجواب ما اجاب عنه جماعة من العلما منهم الشيخ ابو عمرو بن الصلاح ان هذا المانع الذي
ذكرناه ليس بحيا حقيقة بل عجز وخور وتسمية حيا بحسب اللغة وانما حقيقة
الحيا في اصطلاح اهل الشرع خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي
الحق يدل عليه ما روي الامام ابو القاسم القشيري عن السيد الجليل ابي القاسم
الجنيد قال الحيا رؤية الالاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحيا قال
القاضي عياض وغيره انما جعل الحيا من الايمان لانه قد يكون تخلقا واكتسابا كسائر اعمال البر
وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج الى اكتساب ونية وعلم وهذا
المعنى بقوله عليه السلام الحيا من الايمان قال الطيبي ويمكن ان يحمل التعريف فيه على العهد
ويكون اشارة الى ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم الاستحيا من الله ان يحفظ الراس
وما وعى والبطن وما حوى الحديث انتهى وهو معنى حسن وقد مستحسن يزول
به الاشكال السابق وبيانه ان الحيا من الله هو الذي خير كله وهو الذي لا ياتي الا بخير وهو
الذي لا ينفك عن الايمان واما الحيا من الخلق فالغالب فيه ايضا ان يكون محمودا
فانحصار دعاي او كله محمود الا اذا عارضه ترك الحيا من الله فيترك جانبه من

اداالحقوق ويراعي جانب المخلوق فحينيذ يستحق ذلك الحيا ان يسمي حيا فالحيا خير
كله والله اعلم وفي رواية اي لهما علي هو الظاهر لكن في الجامع اسندها الي مسلم وابي داود
والحيا خير كله قيل عام اريد به الخاص اي الحيا عن فعل ما لا يرضاه الله سبحانه
متفق عليه وفي رواية الطبراني عن قرة الحيا هو الدين كله وعن ابي مسعود
هو عقبة بن عمر الانصاري شهد العقبة روي عنه ابنه بشير وخلق سواه
قال ميرك وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان مما ادرك الناس بالرفع نص الحافظ روحي علي انه الرواية وفي بعض النسخ بالنصب ٥٦
اي وصل اليهم وظفروا به ولحقوه من كلام النبوة من تبعيضية والمعني اي من
جملة اخبار اصحاب النبوة الاولي اي السابقة من الانبياء الرسل اضافه اليهم اعلاما
بانه من نتايج الوحي اذا لم تستحي بسكون الحا وكسر اليا وحذف الثانية للجزم فاصنع
ما شيت اي الرادع عما لا ينبغي هو الحيا فاذا لم يكن صدر كل ما لا ينبغي فالامر
بمعني الخبر او الامر للتهديد والتشدد اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشا
فلا والله ما في العيش خير ولا في الدنيا اذا ذهب الحيا قال الطيبي من في مما ابتدايية
وهو خبر ان واسمه قوله اذا لم تستحي علي تاويل ان هذا القول مما ادرك الناس والراجع
الي ما محذوف والناس فاعل ادرك وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال المعني
ان مما بقي بين الناس وادركوه من كلام الانبيا نحو ان يكون فاعل ادرك
ضمير الراجع الي ما والناس مفعوله وعليه كلام القاضي اي مما بلغ الناس من كلام
الانبيا المتقدمين ان الحيا هو المانع عن اقتران القبايح والاشتغال بمنهيات
الشرع ومستقبحات العقل وقوله اذا لم تستحي والجملة الشرطية اسم ان علي ان الحكاية
قال الخطابي قوله من كلام النبوة الاولي معناه اتفاق كلام الانبيا عليهم السلام
علي استحسان الحيا فما من نبي الا وقد ندب اليه وبعث ولم ينسخ فيما نسخ من
شرايعهم ولم يبدل فيما بدل منها وذلك انه امر قد علم صوابه وبان فضله واتفقت
العقول علي حسنه وما كان هذا صفته لم يجر عليه النسخ والتبديل وقيد النبوة
بالاولي للارشاد الي اتفاق كلمة الانبيا عليهم السلام من اولهم الي اخرهم وفي شرح السنة
قوله فاصنع ما شيت فيه اقاويل احدها ان معناه الخبر وان كان لفظه الامر كانه يقول
اذا لم يمنعك الحيا فعلت ما شيت مما تدعوك اليه نفسك من القبيح والي هذا المعني
ذهب ابو عبيد وثانيها ان معناه الوعيد كقوله تعالي اعملوا ما شيتم اي اصنع ما شيت فان
الله مجازيك واليه ذهب ابو العباس وثالثها معناه ينبغي ان تنظر الي ما تريد ان تفعله
فان كان ذلك مما لا تستحي منه فافعله وان كان مما تستحي منه فدعه واليه ذهب ابو
اسحاق المروزي وروي هذا الحديث جرير عن منصور باسناده ثم قال جرير معناه
ان يريد الرجل ان يعمل الخير فيدعه حيا من الناس كانه يخاف من مذهب الريا يقول فلا يمنعك
الحيا من مضي ما اردت قال ابو عبيد وهو شبيه بالحديث الاخر اذا جاءك الشيطان
وانت تصلي فقال انك ترائي فزدها طولا قلت ويؤيده كلام الفضيل بن عياض ترك
العمل لاجل الناس ريا والعمل لاجلهم شرك والاخلاص ان يخلصك الله منهما واختار
النووي ان صيغة الامر للاباحة اي اذا اردت ان تفعل شيا فان كان بحيث لا تستحي

وفقـــــــه عز وجل

من الله ومن الناس في فعله فافعله والا فلا ومدار الاسلام علي ذلك الخ هو كلام انك اذا لم تستحي من صنيع
امر فدلالة الكلام دليل علي جواز ارتكابه ثم قال وعلي هذا مدار الاسلام وتوجيهه ان افعال الانسان
اما ان يستحي منها ام لا فالاول يشمل الحرام والمكروه وتركها يشمل المشروع والثاني يشمل
الواجب والمندوب والمباح وفعلها مشروع في الاولين جايز في الثالث فعلي هذا يتضمن
الحديث الاحكام الخمسة وقال بعض العارفين التحقيق ان الحيا ينشا عن علم القلب
بان الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما صدر من
هفواته ويتحمل انواع البلا في نظره نشطا ولا يشتكي الي غيره فاذا ترقي عن ذلك
وتحقق ان الله اقرب الاشيا اليه بلا ريب استحيا من قربه فوق ما يستحي من
رويته فيدعوه ذلك الي محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار مستلذا بانس
الملك الغفار حتي تطلع عليه طوالع انوار التوحيد وتلمع في سره بوارق اسرار التفريد
فيستحي من شهود مشهوده فانيا عن الخلق باقيا مع الحق قال العارف السهروردي
الحيا اطراق الروح اجلالا لعظم الجلال ومن هذا القبيل حيا اسرافيل لما ورد انه يستتر
بجناحه حيا من الله عز وجل وحيا عثمان رضي الله تعالي عنه كما قال اني لاغتسل في البيت
المظلم فانطوي حيا من الله عز وجل قلت روي ابن عساكر عن ابي هريرة مرفوعا الحيا من
الايمان واحيي امتي عثمان رواه البخاري وكذا رواه احمد وابو داود وابن
ماجة عن ابي مسعود واحمد ايضا عن حذيفة وعن النواس بتشديد الواو
ابن سمعان بكسر السين وبفتح كان من اصحاب الصفة قال سالت رسول الله صلي الله
عليه وسلم عن البر اي عن الطاعة والاثم اي المعصية فقال البر اي اعظم خصاله
او البر كله مجملا حسن الخلق اي مع الخالق بامر الحق او مداراة الخلق ومراعاة الحق
قيل فسر البر في الحديث بمعان شتي ففسره في موضع بما اطمانت اليه النفس واطمان اليه
القلب وفسر موضع بالايمان وفي موضع بما يقربك الي الله وهنا بحسن الخلق وفسر
حسن الخلق باحتمال الاذي وقلة الغضب وبسط الوجه وطيب الكلام وكلها
متقاربة في المعني ذكره الطيبي وقال الترمذي البر هنا الصلة والتصدق والطاعة
ويجمعها حسن الخلق وقال بعض المحققين تلخيص الكلام في هذا المقام ان يقال
البر اسم جامع لانواع الطاعات والاعمال المقربات ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما
بكل ما امكن وقد قيل ان البر من خواص الانبيا عليهم السلام اي كمال البر اذ لا يستبعد
ان يوجد في الامة من يوصف به وقد اشار اليهما من اوتي جوامع الكلم صلي الله عليه وسلم
بقوله حسن الخلق لانه عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بان
يعرف انهم اسرا الاقدار وان كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق والاجل بمقدار
فيحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنون منه ويحبونه بالاختيار قلت وقد
اشار الشاطبي الي هذا المعني بقوله يعد جميع الناس مولا لانهم
علي ما قضاه الله يجرون افعلا ∴ هذا مع الخلق واما مع الحق بان يشتغل بجميع
الفرايض والنوافل وياتي بانواع الفضايل عالما بان كلما اتي منه ناقص يحتاج الي العذر
وكل ما صدر من الحق كاملا يوجب الشكر قلت واليه الايما في قول الشاطبي
يري نفسه بالذم اولي لانها علي المجد لم تلعق من الصبر والالا

ثم يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض عما سواه والاقبال عليه ودوام ذكره حتي يكتحل
القلب بنور ذكر الذات فصار بحرا مواجا من نسمات القرب وجري في جدال اخلاف
النفس صفا النعوت والصفات وح يحصل نهاية التحقيق بعناية التوفيق والاثم
ما حاك اي تردد وتحرك واثر في صدرك ور واية الاربعين في نفسك بان ينشرح له
وجل في القلب منه الشك والخوف من كونه ذنبا واقلقه ولم يطمين اليه قال التوربشتي
يريد ان الاثم ما طمان في القلب منه شي فلا ينشرح له الصدر والاقرب ان ذلك امر
يتهيا لمن شرح الله صدره للاسلام دون عموم المومنين وقال شارح يعني الاثم
ما اثر قبحه في قلبك او تردد في قلبك ولم ترد ان تظهره لكونه قبيحا وهو المعني
بقوله وكرهت ان يطلع عليه الناس اي اعيانهم واماثلهم اذ الجنس ينصرف
الي الكامل وذلك لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس علي خيرها فاذا كرهت
الاطلاع علي بعض افعالها فهي غير ما تقرب به الي الله او غير ما اذن الشرع فيه
ولابر فهو اذن اثم وشر رواه مسلم في الجامع الصغير البر حسن الخلق والحديث
رواه البخاري في الادب المفرد ومسلم والترمذي عن نواس ورواه احمد عن
ابي ثعلبة ولفظه البر ما سكنت اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما لم تسكن
اليه النفس ولم يطمين له القلب وان افتاك المفتون هذا وفي الاربعين للامام
النووي عن وابصة بن معبد الاسدي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال جئت تسال عن البر فقلت نعم استفت قلبك البر ما اطمانت اليه النفس
واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس
وافتوك حديث حسن رويناه في مسندي الامامين احمد بن حنبل والدارمي
باسناد حسن قال الطيبي في شرح حديث المشكاة مراعاة المطابقة تقتضي
ان يفسر حسن الخلق بما يقابل ما حاك في الصدر وهو ما اطمانت اليه النفس
والقلب كما في حديث وابصة فوضع موضعه حسن الخلق ليودن ان حسن
الخلق هو ما اطمانت اليه النفوس الشريفة الطاهرة من اوضار الذنوب الباطنة
والظاهرة وتبديل مساوي الاخلاق من الصدق في المقال واللطف في الاحوال
والافعال احسن معاملته مع الرحمن ومعاشرته مع الاخوان وصلة الرحم والسخاوة
اقول الاحسن في تحسين المقابلة بين القرينتين الحسنتين ان يقال المراد
بحسن الخلق مستحسن الطبع الجبلي الفطري العاري عن التعلقات
التقليدية والتقيدات العرفية فان الانسان اذا خلي وطبعه الاصلي اختار الوجه
الاحسن من العقايد والاخلاق والافعال وساير الاحوال كما حقق في حديث كل
مولود يولد علي الفطرة وحاصل الجواب علي طريق الاستيعاب ان الامر لا يخلو اما
ان يجزم العقل باستحسانه او باستقباحه او يتردد فيما بينهما فالاول هو
البر وما عداه الاثم وهذا التمهيد قاعدة كلية تحتها مسايل جزية فيما لم يوف
من الشرع حسنه وقبحه علي طريق اليقين في العمليات وعلي سبيل الظن ايضا
في العمليات والله اعلم وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من احبكم الي اي اكثركم محبة لي واكرمكم محسوبية عندي احسنكم اخلاقا

فقال لي

اي مماثل

ووصـــــــ سخ وجل

اي مماثل مرضية مراعات فيها حقوق الربوبية والعبودية وقد رواه الحاكم عن العلا
ابن كثير مرسلا ان محاسن الاخلاق مخزونة عند الله تعالي فاذا احب الله عبدا منحه
خلقا حسنا ومن اراد به سوء منحه سيئا ثم الظاهر ان من زايدة علي مذهب من يجوز زيادتها
في الكلام المثبت او المراد احسنكم خلقا مع الخلق ويويده ما رواه الترمذي والحاكم عن عايشة
ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله ويويد الاول ما في الجامع الصغير
علي ما رواه الشيخان والترمذي عن ابن عمرو بلفظ خياركم احاسنكم اخلاقا رواه البخاري
وعنه اي عن ابن عمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خياركم احاسنكم وفي نسخة
صحيحة احسنكم اخلاقا متفق عليه **الفصل الثاني** عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي بصيغة المفعول حظه اي
نصيبه من الرفق اي اللطف اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم علي بنا
المفعول حظه بالنصب اي نصيبه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة هذا تصريح
بما علم ضمنا للمبالغة والتاكيد في الحكم رواه في شرح السنة ورواه احمد والترمذي عن
ابي الدرداء لكن لفظه من الخير بدل من خير الدنيا والاخرة فالحديثان متفقان في المعني
لان المراد بالخير جنسه الشامل لنوعيه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحيا من الايمان والايمان اي اهله في الجنة قال الطيبي جعل اهل الايمان عين الايمان
دلالة علي انهم تمحضوا منه وتمكنوا من بعض شعبه الذي هو اعلي فرع منه كما جعل
الايمان مقرا ومبوا لاهله في قوله تعالي والذين تبوءوا الدار والايمان لتمكنهم من الايمان
واستقرارهم عليه والبذا بفتح البا خلاف الحيا الناشي منه الفحش في القول والسو
في الخلق من الجفا وهو خلاف البر الصادر من الوفا والجفا اي اهله التاركون للوفا والثابتون
عليه غلاظة الطبع وقساوة القلب في النار امامدة او ابدا الاخير في مقابل الايمان الكامل
بل او مطلقة فصاحبها امامن اهل الكفران او الكفر رواه احمد والترمذي وكذا الحاكم والترمذي
والبيهقي عن ابي بكرة الثقفي والطبراني عن عمران بن حصين وفي رواية لاحمد والترمذي
والحاكم عن ابي امامة الحيا والعي شعبتان من الايمان والبذا والبيان شعبتان من النفاق
وعن رجل بالتصغير قبيلته معروفة وجهالة الصحابي لا يضر لانهم كلهم عدول ومرسلهم
عند الكل مقبول قال قالوا اي بعض الاصحاب يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان
بالرفع اي اعطيه الانسان فالمفعول الثاني محذوف من الصلة وفي نسخة بالنصب
فنايب الفاعل ضمير راجع الي ما قال الخلق الحسن اي هو هذا رواه البيهقي
في شعب الايمان وفي شرح السنة عن اسامة بن شريك قال ميرك ظاهره ان البيهقي
يرد الحديث عن ابن اسامة لكن قال الشيخ الجزري رواه البيهقي في الشعب من حديث
اسامة قلت وفي الجامع خير ما اعطي الناس خلق حسن رواه احمد والنسايي وابن
ماجة والحاكم عن اسامة بن شريك ورواه ابن ابي شيبة عن رجل من جهينة
ولفظه خير ما اعطي الرجل المومن خلق حسن وشر ما اعطي الرجل قلب سوء في
صورة حسنة وقد روي البيهقي عن الحسن مرسلا ثلاث خلال من لم يكن
فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل وحلم يرد
به جهل جاهل او حسن خلق يعيش به في وقد ذكر السيوطي عن الحسن عن

من مزينة صح

ابن الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن وعن حارثة بن وهب
قال المولف في فضل الصحابة هو خزاعي اخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لامه روى
عنه ابو اسحاق السبيعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة الجواظ بفتح جيم وتشديد واو وظا معجمة ولا الجعظري بفتح جيم وسكون ٦٥
عين مهملة وفتح ظا معجمة فتحتية مشددة قال اي الراوي والجواظ الغليظ
الفظ بتشديد الظا اي سي الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
قالا لا يبعد ان يفسر الجعظري بغليظ القلب وكان غلاظ القلب اساوا باطنه
من الاحوال والفظ اشارة الى قبح ظاهره من الافعال وقدم الجواظ لظهوره واما
لان مدار الحكم عليه وانما اتى بلا المزيدة اشارة الى الموصوف بكل من الخصلتين
لا يدخل الجنة مطلقا ان كان من المنافقين ولا يدخلها مع الفائزين ان كان من
المومنين رواه ابو داود والبيهقي في شعب الايمان قال الطيبي قوله الجواظ الغليظ
الفظ كذا في سنن ابي داود والبيهقي وفي النهاية وشرح التوربشتي وكلام
القاضي الجواظ المختال وقيل المجموع المنوع وقيل هو السمين وقيل الصياح
المهذار والجعظري الفظ الغليظ وقيل القصير المنتفخ بما ليس عنده وقيل العظيم
الجسيم الاكول المانع لمن شانه هذا ان يدخل الجنة حيث ما يدخلها الاخرون
بجبنهم وسوء خلقهم وشرههم على الطعام واقراطهم في الكلام انتهى والاظهر ما قدمناه
من ان المراد غليظ القلب سي الخلق وسببه ما روى الخطيب عن عايشة مرفوعا
ان لكل شي توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من الا وقع في شر منه وصاحب
جامع الاصول اي رواه ايضا فيه اي في الجامع عن حارثة وكذا في شرح السنة
عنه اي مروي عن حارثة ولفظه اي ولفظ ما في شرح السنة او لفظ صاحب
شرح او لفظ حارثة في الشرح قال لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري اي من
غير عاطفة وزيادة لا ولعله عن الموصوف انه واحد الكمال لاتحاد بين الوصفين
او المراد الجامع بينهما فهو الفرد الكامل في القبح وفي نسخ المصابيح عن عكرمة
ابن وهب اي في بعضها والا ففي اكثرها عن حارثة ابن وهب ولفظه اي لفظ
المصابيح وفيه نحو والجواظ الذي جمع اي ما لا يحوز ومنع اي منعه
من الصرف فيما يجب عليه والجعظري الفظ الغليظ قال الطيبي اشار المولف
بهذا ان راوي الحديث في الاصول المذكورة هو حارثة بن وهب وهو
صحابي وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب وقد قال الشيخ التوربشتي
لم يذكره احد في الصحابة فالحديث مرسل اي ان صح كونه تابعيا وكذا
قوله الذي جمع مالا ومنع ليس في الاصول وقد اثبت في حواشي المصابيح
فالحق بالمتن وكذا قوله الغليظ في المصابيح تفسير للجعظري وفي الاصول
تفسير للجواظ ثم كلامه وفي الجامع رواية الطبراني عن ابي الدردا الا اخبرك
باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع الا اخبرك باهل الجنة كل
مسكين لو اقسم على الله لابره وعن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم ٦٦
قال ان اثقل شي يوضع اي ثوابه او صحيفته او عينه المجسد في ميزان

المومن يوم القيامة خلق حسن فانه تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه وان الله يبغض
الفاحش اي المتفحش اي والمتفحش ايضا البذي فعيل من البذي وهو ضد الحيا ذكره
شارح وهو المناسب للمقام وفي القريبين رجل بذي اي فاحش سي الخلق انتهى ومن
المقرر ان كل ما يكون مبغوضا لله ليس له وزن وقدر كما ان كل ما يكون محبوبا له يكون
ثقيلا ومعتبرا قال تعالى في حق الكفار فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وفي الحديث
المشهور كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبهذا تمت المقابلة بين القرينتين
هذا وقال الطيبي اوقع قوله وان الله يبغض الفاحش البذي مقابلا لقوله
ان اثقل شي يوضع في الميزان دلالة على ان اخف ما يوضع فيه هو سوء الخلق وان
احسن الخلق له حب الاشياء عند الله والخلق السي ابغضها وان الفحش
والبذاذة اسوء شي في مساوي الاخلاق رواه اي الحديث بكماله الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وروى ابو داود الفصل الاول اي القرينة
الاولى دون الثانية وقد روى احمد عن اسامة بن زيد ان الله يبغض الفاحش
المتفحش وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه ان الله
٦٧ يبغض المعبس في وجوه اخوانه وعن عايشة قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن اي الكامل العالم العامل ليدرك بحسن
خلقه درجة قايم الليل في الطاعة وصايم النهار قال الحسن حسن الخلق بسط
الوجه وبذل الندا وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله
تعالى وقال ايضا هو ارضا الخلق في السرا والضرا وقال سهل ادنى حسن الخلق الاحتمال
وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه رواه ابو داود وفي الجامع بلفظ
درجة القايم الصايم رواه ابو داود في الجامع بلفظ درجة القايم الصايم رواه ابو داود وابن
حبان في صحيحه وعن ابي ذر اي الغفاري رابع الاسلام او خامسه زاد النووي
في اربعينه ومعاذ ابن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مختصا
٦٨ اي بخطابه وهو لا ينافي التعدد لاحتمال اختلاف المجلس مع انه غير مذكور في الاربعين
اتق الله اي بالاتيان بجميع الواجبات والانتها عن ساير المنكرات فان التقوى اساس
الدين وبه يرتقى الى مراتب اليقين ثم التحقيق ان التقوى ادناها التبري عن الشرك
بالله واعلاها الاعراض عما سواه وما بينهما مراتب بعضها فوق بعض من ترك المحظور
ثم المكروه ثم المباح مما لا يعني ولله در من قال من اهل الحال شعر

من عرف الله فلا تغنه معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بغير الغنى فالغنى كل الغنى للمتقي

حيث ما كنت اي في الخلا والملا وفي النعما والبلا فان الله عالم بسرك كما انه مطلع
على ظواهرك فعليك برعاية دقايق الادب في حفظ مراضيه والاحتراز عن مساخطه
ومساويه وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم ازل الم اصل الم اصم الم افعل
كذا فاجيب بلى يا عبد الله ولكن اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه واتبع امر
من باب الافعال ومتعد الى مفعولين السيئة الحسنة اي التوبة والطاعة او

بان تباشر حسنات تضاد آثارها تلك السيآت قال الطيبي فسماع الملاهي يكفر
بسماع القرآن وبمجالس الذكر والوعظ عن المناهي وشرب الخمر يكفر بالتصدق
بكل شراب حلال وعلى هذا فقس لان المرض يعالج بضده والمتضادات هي
المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة تلك كي يضادها فالبياض
يزال بالسواد لا بغيره وحب الدنيا لان اثر السرور بها في القلب فلا جرم كفارته
كل اذى يصيب المسلم الهم والغم انتهى ولا خفا انه لا يظهر حسن المقابلة بين
حب الدنيا وما ذكره من المشاكلة لان الهم والغم ليسا من الامور الاختيارية
المراد بها في الحديث على ما هو ظاهر من قوله اتبع فالصواب انها مقابلة حب
ان مقابلة حب الدنيا بغضها وهو ضدها بان يتصدق ولو ببعضها على ان هذه
المناسبات غير لازمة في محو السيآت لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيآت وقد وردت الاية فيمن قبل امراة ثم صلى معه صلى الله عليه وسلم
والله اعلم تمحها اي تدفع الحسنة السيئة وترفعها والمعنى لاسناد مجازي
والمعنى يمحو الله بها اثارها من القلب او من ديوان الحفظة هذا اذا كانت
بينه وبين الله تعالى فان تعلقت بالعبد فترفع الحسنة الى خصمه عوضا
عن المظلمة او يرضيه الله تعالى من فضله حكي عن بعضهم انه روي في
المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي واحسن لي الا انه جالسني حتى طالبني
بيوم كنت صايما فلما كانت وقت الافطار اخذت حنطة من حانوت صديق لي
فكسرتها فذكرت انها ليست لي فالقيتها على حنطته والحديث فاخذ من حسناتي
مقدار ارش كسرها قال البيضاوي صغاير الذنوب تقع مكفرة بالحسنات وكذا
ما خفي من الكبائر لعموم قوله تعالى نكفر عنكم سيآتكم والحديث واما ما ظهر
منها وتحقق عند الحاكم فلا يسقط حدها الا بالتوبة فلما وصاه بما يتعلق
بحقوق الله واصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد فقال وخالق الناس
امر من المخالقة ماخوذ من الخلق مع الخلق اي خالطهم وعاملهم بخلق حسن
وهو بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الاذى رواه احمد والترمذي والدارمي وفي
الاربعين رواه احمد والترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح انتهى
كلامه وفي الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي ذر واحمد والترمذي
والبيهقي عن معاذ وابن عساكر عن انس وعن عبد الله بن مسعود قال
٦٩ الا اخبركم بمن يحرم بضم الراء على النار اي يمتنع منها وبمن تحرم النار عليه
زيادة تاكيد والا فالمعنيان متلازمان ولما كان مالهما واحد التفي بالجواب
عن الاول لانه المعول والثاني مؤكد مجمل مجمل فقال فقيل قولهم بلى
على كل هين لين بتشديد التحتية فيهما اي تحرم على كل سهل طلق حليم
لين الجانب قيل هما يطلقان على الانسان بالتشديد والتخفيف وعلى
غيره بالتشديد وعن ربيعة الاعرابي بالتخفيف للمدح وبالتشديد
للذم ذكره ابن الملك ثم قوله هين فيعل من الهون وهو السكون والوقار
والسهولة فعينه واو فابدلت وادغمت واما اللين فياتي قريبا اي من

الناس بمجالسهم في محافل الطاعة وملاطفتهم بقدر الطاقة سهل اي في قضاء حوائجهم
او معناه انه سمح القضا سمح الاقتضا سمح البيع سمح الشرا على ما ورد في مفضل المومن
الكامل هذا وقال الطيبي قوله على كل هين لين هذا جواب عن السؤال لين
والجواب الظاهر منها كل هين لين ثم في الدرجة الثانية ان يقال عن الاول
يحرم على النار كل هين لين فاتى بجواب موجز يدل عليها بالتفصيل ولو اتى به كما
يقتضيه الظاهر وهو قوله كل هين لين وعلى الثاني يحرم على النار كل هين لين لم
يدل على التفصيل انتهى وهو غريب منه فان دلالة ما يقتضيه الظاهر على
التفصيل اظهر من دلالة الجواب الموجز عنده عليه كما يظهر بادنى تامل فان
تقديره ح كل هين لين ويكون مرجع الضمير ما ذكر من الوصفين وهو من يحرم
على النار ومن تحرم النار عليه بل لو حققت النظر ودققت التامل لوجدت ان
جوابه الموجز على ما زعمه لا دلالة له على التفصيل اصلا بل دلالته اجمالية كما قدمناه
وقد يقال انه من باب الاكتفا كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فكذلك هنا
يقدر وعلى كل هين لين بقرينة القرينة الثانية زادية من بعض الرواة لاجل المبالغة
ويؤيده ما في الجامع بلفظ الا اخبركم بمن يحرم عليه النار غدا على كل هين لين
سهل والله اعلم رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وفي الجامع
رواه ابو يعلي في مسنده عن جابر والترمذي والطبراني عن ابن مسعود وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن اي الكامل غر بكسر الغين المعجمة
٧٠ وتشديد الراء كريم اي موصوف بالوصفين اي له الاغترار لكرمه وله المسامحة
في حظوظ الدنيا لا الجهلة والفاجر خب بفتح خاء معجمة وتشديد موحدة اي
خداع لئيم اي موصوف بخيل لجوج سيء الخلق وفي كل منها الوصف الثاني
سبب للاول وهو نتيجة الثاني فتامل فكلاهما من باب التذييل والتكميل
وفي النهاية اي ليس بذي مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد
الخب يريد ان المومن المحمود من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك
البحث عنه لا على انه غفل عنه بل خبث ولؤم انتهى قال الفرزدق

ان الكرام اذا خادعته انخدعا

وقيل هم الذين لم يجربوا الامور
فهم قليل الشر منقاد دون خان من اثر الخمول واصطلاح نعمه والتوردي
لمعان ونحو امور الدنيا فليس غرافيها قصده ولا مذموم بنوع من الذم قال
الطيبي والاول هو الوجه لما سبق في قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المومن
من جحر مرتين ولان المومن قد ينخدع في مقام اللين والتعطف مع الاغيار
روي ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كلما صلى عبد له اعتقه فقيل له فقال من
خادعنا بالله نتخدع قلت ومنه ذلك انخداع ادم وحوى بكلام ابليس
حيث قاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال ولفظ الحديث ايضا يساعده
لانه صلى الله عليه وسلم لما وصفه بالغر غير كامل كمله بقوله كريم لئلا يتوهم
فيه ذلك نقصا والخب بالفتح الخداع وهو الجربز الذي يسعى بين الناس
بالفساد يقال رجل خب وقد تكسر خاوه واما المصدر فبالكسر لا غير انتهى

ما لكسر يحتمل وجهين فتامل رواه احمد والترمذي وابو داود وكذا الحاكم ورواه البيهقي
عن ابي هريرة بلفظ المومن هين لين حتي تخاله من اللين احمق وعن مكحول تابعي جليل
٧١ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنون هينون لينون بالتشديد ويخففان
ففي النهاية هما تخفيف الهين واللين انتهي وكانه اعتمد علي كلام بن الاعرابي وقد
سبقانه ضعيف خلاف الاصل فلا يثبت الا بثبت فالجزم به غير تثبت وعن
الفايق والمحد وفة من باي هين ولين الاولي وقيل الثانية قلت الثانية
اولي من الاولي للاحتياج عندها للتخفيف وليلا يحتاج الي تخفيف اخر فتدبر
كالجمل الانف بفتح الهمزة ويمد وكسر النون ففي القاموس انف البعير كفرح
اشتكي انفه من البرة فهو انف ككتف وصاحب والاول اصح وافصح وقال
شارح المرغبه خطا وهو يحتمل انه اراد رواية او دراية وفي النهاية الانف بمعني
الماتوف وهو الذي عقر الخشاش انفه فهو لا يمتنع علي قاعده للوجه الذي به وقيل
الانف الذلول يقال انف البعير فهو انف اذا اشتكي انفه من الخشاش وكان
الاصل ان يقال ماتوف لانه مفعول به كما يقال مصدور ومبطون للذي
يشتكي صدره وبطنه وانما جاء هذا شاذا ويروي كالجمل الانف بالمد وهو
بمعناه الجوهري الخشاش بالكسر خشب يدخل في انف البعير بالكاف
مرفوعة المحل علي انها خبر ثالث والمعني ان كل واحد منهم كالجمل الانف
ويجوز ان ينصب محلها علي انها صفة لمصدر محذوف تقديره لينون
لينا مثل الجمل الانف ذكره الطيبي والثاني اظهر والاول ادق وبالاعتماد
احق لا يحتاج الي تقدير كل واحد بل المعني ان المومنين كلهم من كمال
انقيادهم واجتماعهم في سبيل رضي مولاهم مثل الجمل الواحد المانوف فالجمل
صحيح مع افادة المبالغة كما ورد المومنون كرجل واحد ان اشتكي راسه
اشتكي كله وان اشتكي عينه اشتكي كله رواه احمد ومسلم عن النعمان
ابن بشير او المراد بالجمل الجنس فيستفاد منه معني الجمعية بلا اشكال ان
قيد مجهول قاده جره وقوله انقاد مطاوع له اي مطاوعه وانسحب معه
وان انيخ مجهول اناخ البعير اذا تركه ومنه حديث منا مناخ من سبق علي
صخرة اي فرضا او مثلا استناخ في شرح سنة معني الحديث ان المومن شديد
الانقياد للشارع في اوامره ونواهيه وفي قوله ان انيخ استناخ اي ان بكثرة تحمل
المشاق لان الاناخة علي الصخرة شاقه رواه الترمذي مرسلا وفي الجامع رواه ابن المبارك
عن مكحول والبيهقي عن ابن عمر اي متصلا مرفوعا وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
٧٢ وسلم قال المسلم الذي يخالط الناس ويصبر علي اذاهم افضل من الذي لا يخالطهم
ولا يصبر علي اذاهم فيه فضيلة الخلطة علي العزلة وذكره مما يختلف باختلاف الازمنة
والامكنة واهلها مع الشروط المعتبرة في اداب الصحبة ففي الاحيا اختلفوا في المخالطة
والعزلة وتفضيل احدهما علي الاخري فقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة
واستكثار المعارف والاحوال للتالف والتحبب الي المومنين والاستعانة بهم في
الدين تعاونا علي البر والتقوي وروي عن علي رضي الله عنه انه قال عليكم بالاخوان فانهم

عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع الي قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وهذا
الحديث اول علي المخالطة ومال اكثر العباد والزهاد الي اختيار العزلة وتفضيلها علي
المخالصة ومال اكثر العباد والزهاد الي احتيا العزلة وتفضيلها علي المخالطة
وعليه الفضيل واحمد بن حنبل وغيرهم قال عمر رضي الله عنه خذوا بحظكم من العزلة
وقال فضيل كفي بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع
الناس جانبا واوصي داود الطائي ابا الربيع فقال صم من الدنيا واجعل فطرك الاخرة
وفر من الناس فرارك من الاسد وقال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزا تسعة
منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس ودخل علي حاتم الاصم بعض الامرا فقال الك
حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقال ابن عباس افضل المجالس مجالس
في قعر بيتك لا تري ولا تري وقيل اداب العزلة اربعة ان ينوي بها كف شره اولا
ثم السلامة من الشر ثانيا ثم الخلاص من الاخلال بالحقوق ثالثا ثم التجرد بكنه
الهمة للعبادة رابعا انتهي والمختار هو التوسط بين العزلة عن اكثر الناس وعوامهم
والخلطة بالصالحين منهم وخواصهم والاجتماع مع عامتهم في نحو جمعتهم وجماعتهم بعد
حصول العلم المحتاج الي العمل ووصول الزهد الموجب لقطع الطمع عن الخلق ولذا
قال بعض العارفين العزلة بغير عين العلم زلة وبغير راي الزهد علة وهذا
طريق الكمل من صوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية فهو كاينون باينون
قريبون غريبون فرشيون عرشيون كما قيل كن وسطا وامش جانبا رواه الترمذي
وابن ماجة وفي الجامع بلفظ المومن الذي يخالط الناس ويصبر علي اذاهم
افضل من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر علي اذاهم رواه احمد والبخاري في
الادب المفرد والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر وعن سهل بن معاذ اي ابن انس كما
في المعالم عن ابيه المتبادر ان معاذا هو ابن جبل لانه المشهور بين الصحابة الا انه
في المقام معاذ بن انس بقرينة قوله سهل بن معاذ فانه ولد معاذ بن انس فقد قال
المولف في اسما رجاله هو معاذ بن انس الجهني معدود في اهل مصر وحديثه عندهم
روي عنه ابنه سهل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا اي اجترع غضبا كامنا
فيه وهو يقدر علي ان ينفذه بتشديد الفا اي يمضيه وفي رواية علي انفاذه
فيجوز تخفيف الفا والجملة حالية وجواب الشرط دعاه الله علي رووس الخلايق يوم ٧٣
القيامة اي شهره بين الناس واثني عليه وتباهي به ويقال في حقه هذا الذي صدرت
منه هذه الخصلة العظيمة حتي يخيره اي يجعله مخيرا في اي الحور شا اي في اي اخذ
ايهن شا وهو كناية عن ادخال الجنة المنيفة وايصاله الدرجة الرفيعة وفي النهاية
كظم الغيظ تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه قال الطيبي وانما حمد الكظم لانه
قهر النفس الامارة بالسوء ولذلك مدحهم الله تعالي بقوله والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس ومن نهي النفس عن هواه فان الجنة ماواه والحور العين جزاه قلت
وهذا الثنا الجميل والجزا الجزيل اذا ترتب علي مجرد كظم الغيظ فكيف اذا انضم العفو
اليه او زاد بالاحسان عليه قال النووي الاحسان ان تحسن الي المسيء فان الاحسان
الي المحسن متاجرة وفي البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولا في امتي قليل الا من

عصم الله وقد كانوا كثيرا من الامم التي مضت انتهى وهو قد ذكره الثعلبي عن مقاتل
ابن حيان قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هولاء آه ولعله ماخوذ
من قوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة
من الاولين وقليل من الاخرين رواه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
هذا حديث غريب وكذا رواه احمد في مسنده وفي رواية لابي داود عن
سويد بن وهب ذكره المولف في التابعين وقال هو شيخ لابن عجلان عن
رجل من ابنا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ابيه اي الصحابي ويحتمل ان ٧٤
يكون الابن ايضا صحابيا وان يكون تابعيا قال اي بدل الجزا السابق مع محافظة
الابقا على شرطه عن ابيه اي الصحابي ويحتمل ان يكون الابن ايضا قرا ان
ينفذه فان اصول هذا الحديث اتفقت على تنبيه بقوله على انفاذه ملا الله
قلبه امنا وايمانا وفي الجامع رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن ابي هريرة
وذكر حديث سويد اي ابن وهب باسناده المذكور من ترك لبس ثوب
جمال اي وهو يقدر عليه كساه الله حلة الكرامة في كتاب اللباس وهو يحتمل
ان يكون عن تكبر اسقطه وان يكون حوله من هنا ان ذكر الباب لمناسبته
الى ذلك الكتاب والله اعلم **الفصل الثالث** عن زيد بن
طلحة تابعي روى عنه سلمة بن صفوان الزرقي اخرج حديثه مالك في الحيا
ذكره المولف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل دين خلقا اي مختصا ٧٥
به او غالبا فيه وخلق الاسلام الحيا اي فيما شرع فيه الحيا بخلاف ما لم يشرع
فيه كتعليم العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالحق والقيام به واد
الشهادات على وجهها كذا ذكره السيوطي وفيه ان ارتكاب المذكورات لا تخلو
عن الحيا عن الحق وعدم الالتفات الى الخلق على ما سبق تحقيقه وحقق
طريقه فالحمل على عمومه من استعمال الحيا عن الله في جميع الاحكام بان يستحيي من
فعل الاثام ومن ترك شعب من الاسلام بل ولا عبرة بالحيا من الانام لا فعلا
ولا تركا عند علما الاعلام وفي النهاية الخلق الدين والطبع والسجية قلت المراد
هنا السجية اي بمعنى الخصلة اي لكل دين سجية شرعت فيه وخص اهل
ذلك الدين عليه قال الطيبي والمعنى ان الغالب على اهل كل دين سجية سوى
الحيا والغالب على اهل ديننا الحيا لانه متمم لمكارم الاخلاق وانما بعث
صلى الله عليه وسلم لاتمامها وقال يوما لاصحابه استحيوا من الله حق الحيا
الحديث قلت الظاهر ان المعنى الغالب على اهل كل دين سجية سوى الحيا فانه مختصة
بالغالبية لنا مع اشتراكنا لجميع الملل في سائر السجيات لقوله عليه السلام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق بل الاظهر ان الاخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا وانما كملت
في ديننا ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم ولذا قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
الاية رواه مالك عن زيد بن طلحة مرسلا لانه تابعي ورواه ابن ماجة والبيهقي
في شعب الايمان عن انس وابن عباس اي مرفوعا لا موقوفا لما يتوهم من الاطلاق
ثم ظاهره ان كلا منهما يروي عن كليهما ويحتمل ان يكون على طريق اللف والنشر والله

اعلم ثم رايت في الجامع الصغير اسند الحديث الى ابن ماجة برواية عنهما فدل على ان
البيهقي كذلك **وعن** ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحيا والايمان اي الكامل
٧٦ قرنا جمع قرين قال الطيبي فيه دليل لمن يقول اقل الجمع اثنان انتهى وفي نسخة
قرنا بالماضي المثنى المجهول اي جعلا مقرونين جميعا اي مجتمعين وهو تاكيد في
المعنى فاذا رفع احدهما رفع الاخر وفي رواية ابن عباس فاذا سلب احدهما تبعه الاخر
رواه البيهقي في شعب الايمان ووافقه الحاكم وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر ووافقه
الطبراني في الاوسط عن ابن عباس لكن لفظه الحيا والايمان في قرن فاذا سلب احدهما
تبعه الاخر وفي رواية له ايضا عن ابي موسى بلفظ الحيا والايمان مقرونان لا يفترقان
الا جميعا **وعن** معاذ بن جبل قال كان اخر ما اوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حالة
٧٧ توجهي الى اليمن بامره حين وضعت رجلي في الغرز بغين معجمة مفتوحة فسكون را فزاي
في موضع الركاب من رحل البعير كالركاب للسرج قاله الباجي وفي النهاية الغرز ركاب كور
الجمل اذا كان من جلد او خشب وقيل هو الكور مطلقا كالركاب للسرج ان قال يا معاذ احسن
خلقك للناس قال الطيبي ان قال خبر كان وحين وضعت ظرف قاله حين بعثه الى اليمن
للقضا فوصاه ليعامل الناس بحسن الخلق قال السيوطي تحسين خلقه ان يظهر لمن
يجالسه او ورد عليه البشر والحلم والاشفاق والصبر على التعليم والتودد الى الصغير والكبير
والمراد بالناس من يستحق ذلك فاما اهل الكفر والاصرار على الكبائر والتمادي على
الظلم فلا يامر بتحسين الخلق لهم بل يومر بان يغلظ عليهم قلت قد يقال ان
الرفق من جملة حسن الخلق فيمكن ان يعم جميع الخلق قال تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الاية رواه مالك **وعن** مالك بلغه بتخفيف
اللام وضمير المفعول اليه والفاعل قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتمل
ان يكون متصلا عند مالك لكنه لم يذكر التابعي ولا الصحابي وان يكون منقطعا بان فيه
روايان فيه روايان وهذا هو الظاهر واذا ذكر الصحابي فكان مرفوعا وذكر التابعي فكان مرسلا
وقال الطيبي هذا يحتمل ان يكون متصلا وراوي مالك لم يذكر الاتصال وان يكون مرسلا
وان لم يذكر مالك التابعي ولا الصحابي وقيل انه منقطع قلت هذه كلها احتمالات عقلية
وكونه منقطعا هو الموافق للقواعد الحديثية اذ لا يقال في غيره انه بلغه بل التحقيق
انه من قبيل المعلق وفيه بحث طويل بينته في شرح شرح النخبة في اصول الحديث
قال بعثت بصيغة المجهول اي ارسلت الى الخلق لاتمم حسن الاخلاق بضم حا وسكون
سين اي الاخلاق الحسنة والافعال المستحسنة وفي نسخة بفتحتين اي
لان جمل حسنها احسنها قال البيضاوي كانت العرب احسن اخلاقا بما بقي عندهم
من شريعة ابراهيم عليه السلام وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث صلى الله عليه
وسلم ليتمم محاسن الاخلاق ذكره السيوطي والتحقيق ما قدمناه فيما سبق
وقال الطيبي قوله لاتمم آه يحتمل ان يراد به انه كملها بعد النقصان وانه جمعها
بعد التفرقة وعليه قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قال
الامام فخر الدين الاية دالة على فضله صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبيا
عليهم السلام لانه تعالى امره بالاقتدا بهديهم ولا بد له من امتثاله لذلك

وفقه الله عز وجل

الامر فوجب ان يجمع فيه جميع خصالهم واخلاقهم المتفرقة والى معنى الاول اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله مثلي كمثل الانبيا كمثل قصر احسن بنايه وترك موضع لبنة منه الى ان قال فكنت
انا سددت موضع تلك اللبنة حتى تم الى البنيان انتهى ولا منع من الجمع بين القولين لانه
صلى الله عليه وسلم كان في مرتبة جمع الجمع الله يجمع بيننا في السير واليه المصير رواه اي مالك
في الموطا وتقدم ما فيه من المناقشة اذ يصير التقدير رواه مالك عن مالك فحق المولفات
يقول كذا في الموطا رواه احمد عن ابي هريرة اي مرفوعا وفي الجامع انما بعثت لاتمم صالح ٧٨
الاخلاق رواه ابن سعد والبخاري في الادب المفرد والحاكم والبيهقي في شعبه عن ابي
هريرة وعن جعفر اي الصادق بن محمد اي الباقر عن ابيه تابعي ادرك جابرا وبلغه السلام من
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اي وجهه الشريف في المرآة
بكسر الميم قال الحمد لله الذي حسن بتشديد السين اي احسن خلقي وخلقي بفتح
الاول وضم الثاني وقدم الاول لظهوره اولا او نظرا اليه الترقي وزان اي زين مني اي من
خلقي وخلقي ما شان اي عابه وقبحه من غيري سوا في خلقه او خلقه وفيه دلالة
صريحة على صورته وسيرته على اتم الحسن بالنسبة الى غيره قال الطيبي فيه معنى
قوله بعثت لاتمم حسن الاخلاق فجعل النقصان شيئا كما قال ابو الطيب
ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام
وعلى هذا الحمد حمد داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين
وفيه استحباب النظر في المراة والحمد على حسن الخلقة والخلق لانهما نعمتان موهوبتان
من الله تعالى يجب الشكر عليهما انتهى بقي ان معرفة حسن الظاهر من المراة ظاهره
باعتبار المظاهر فما معنى ذكر الخلق والسيرة فانه امر باطن ويمكن ان يقال ان الظاهر
عنوان الباطن او انه من باب الشي بالشي يذكر فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به ويقول
هذا الحمد او هذا مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون لغيره ان يدعو بما سياتي في الحديث
الذي يليه قلت يجوز لكل مومن ان يقول ذلك القول لان الانسان من حيث هو خلق
على احسن تقويم وصاحب الايمان لا شك انه خلق مستقيم ودين قويم وفوق كل ذي علم
عليم رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلا وكذا رواه البزار عن انس مرفوعا ولفظه
الحمد لله الذي سوى خلقي واحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري وفي رواية
الطبراني وابن السني عن انس ايضا الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وصور صورة
وجهي فاحسنها وجعلني من المسلمين وعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اي مطلقا او عند نظره الى المراة على ما خرج به الجزري في الحصن وهو ٧٩
اللائق للحديث السابق اللهم حسنت خلقي فاحسن خلقي يحتمل ان يريد به
طلب الكمال واتمام النعمة عليه باكمال دينه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي وفيه اشارة الى قول عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه
القران وان يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان قلت طلب الثبات على ما كان
بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به الكامل
فالحقيق انه لطلب المزيد مما يعنيه قوله تعالى وقل رب زدني علما وقد
صرح بعض العارفين ان الترقيات الباطنية لا تتناهى حتى في الجنة

لانها

لانها حاصلة من التجليات الالهية وهي لا تحصى ولعل في قوله سبحانه للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ايما الى هذه الافادة رواه احمد وكذا رواه الدارمي عن عائشة
وابن حبان عن ابن مسعود ولفظهما اللهم انت حسنت خلقي فحسن خلقي
رواه البزار عن عائشة وابي هريرة ايضا بلفظ اللهم كما حسنت خلقي
فاحسن خلقي وحرم وجهي على النار وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله ٨٠
عليه وسلم الا انبيكم بخياركم قالوا بلى قال خياركم اطولكم اعمالا اي في الكمية والكيفية
واحسنكم اخلاقا اي الحسية والنسانية او عبر عن الاعمال بالاخلاق لانها
منبعها ومعدنها ولان مدارها في الحسن والقبح عليها لقوله عليه السلام
على ما رواه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعا طوبى
لمن طال عمره وحسن عمله قال الطيبي فيه اشارة الى ما قال صلى الله عليه
وسلم في جواب من ساله اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله
فقوله واحسنكم اخلاقا كقوله وحسن عمله في ارادة الجمع بين طول العمر
وحسن الخلق رواه احمد وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله ٨١
صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا رواه ابو داود والدارمي
وكذا احمد وابن حبان والحاكم وزاد الترمذي وابن حبان في رواية وخياركم
خياركم لنسائهم وعنه اي عن ابي هريرة ان رجلا شتم ابا بكر والنبي صلى
الله عليه وسلم جالس جملة حالية يتعجب من شتم الرجل وقلة حيائه
ومن صبر ابي بكر وكثرة وفائه ويتبسم لما يرى من الفرق بين الشخصين
وما يترتب على فعلهما من العقوبة الكاملة والرحمة النازلة ولما ظهر له من
مظاهر الجلال والجمال على ما هو مشهود اهل الكمال فلما اكثر اي الرجل في مقاله
رد اي اجاب ابو بكر عليه اي على الرجل بعض قوله عملا بالرخصة المجوزة للعوام
وتركا للعزيمة المناسبة لمرتبة الخواص قال تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله عز وجل وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهو
رضي الله عنه وان كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين الصبر عن بعضه
لكن لما كان المطلوب منه الكمال المناسب لمرتبته من الصديقية ما استحسنه
صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم اي تغير
منه تغير الغضبان وقام اي من ذلك المجلس وخلاهما عملا بقوله تعالى واذا
سمعوا اللغو اعرضوا عنه فلحقه ابو بكر اي مقتديا ومستفهما وقال يا رسول
الله كان الرجل يشتمني بنظم التا وكسرها وانت جالس فلما رددت عليه بعض قوله
اي من الشتم بعينه او بما يناسبه غضبت وقمت يعني فما الحكمة في ذلك قال
كان معك ملك يرد عليه اي بدلك وبدل لك على الصبر فلما رددت عليه اي بنفسك
ودخل فيه حظ النفس وقع الشيطان اي وقع الملك والشيطان انما يامر بالفحشاء
والمنكر فخفت عليك اي تتعدى على خصمك وترجع ظالما بعد ان كنت مظلوما
وروي كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم وفي رواية كن خير ابني

مطلب

سورة شورى

آخر سورة نحل

قاله ابو بكر

سورة قصص

آدم قال تعالى حكاية عن هابيل جوابا للقابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك مع انه كان يجوز له قتله دفاعا عن نفسه وكان اقوى
منه لكن اختار الطريق الاكمل من الطريق الكمال ثم قال يا ابا كبشة ثلاث اي خصال
كلهن حق اي ثابت وصدق ما من عبد ظلم بصيغة المجهول بمظلمة بكسر اللام
على المشهور وقيل بفتحها ايضا وانكره بعض وحكي القل الضم ايضا في المغرب المظلمة
الظلم واسم الماخوذ وفي القاموس الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمظلمة بكسر
اللام ما يظلمه الرجل فيغض من الاغضا بالغين والضاد المعجمتين وهو ادني
الجفون بمعني الاغماض والمراد منه هنا الاعراض وفي نسخة فيعفي بالعين المهملة
والفا من الاعفا وهو لغة في العفو والمعني فيسامح عنها اي عن تلك المظلمة ويترك
جوابها والمطالبة بها في الدنيا او مطلقا لله عز وجل اي لا للفخر ولا للسمعة وريا الا اعز
الله به اي بمقابلة تلك المظلمة والاهانة او بسبب تلك الخصلة المعانة نصره اي
اعانته في الدنيا والاخرة وما فتح رجل باب عطية اي صدقة يريد بها صلة اي
للرحم والقرابة او صلة للقربة وفي رواية باب عطية بصدقة او صلة الا زاده الله
بها كثرة اي بركة صورية او معنوية وما فتح الله باب مسئلة اي سوال عن مخلوق
يريد بها كثرة اي لا دفع حاجة ضرورية تلجيه الا زاده الله بها قلة اي حسية او حقيقية
وفي رواية الا زاده الله تعالى في الموضعين رواه احمد ورواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب
عن عبد الرحمن بن عوف ولفظه ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة
فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا زاده الله تعالى بها عزا فاعفوا يزدكم الله
عزا ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة ليسال الناس الا فتح الله عليه باب فقر رواه
احمد والترمذي عن ابي كبشة الانماري ولفظه ثلاث اقسم عليهن ما نقص
مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عز وجل عزا ولا فتح
عبد باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر واحد ثكم فاحفظوه انما الدنيا لاربعة
نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه
حقا فهذا بافضل المنازل ورجل رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية
يقول لو ان لي مالا لعملت عمل فلان فهو بنيته فاجرهما سوا وعبد رزقه الله مالا ولم
يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه
حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي
٩٢ مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما واحد وعن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد الله باهل بيت رفقا الا نفعهم اي الله به ولا يحرمه
بفتح اوله وقيل بضمه اولا يمنع اهل بيت اياه اي الرفق الا ضرهم اي اضرهم الله به رواه البيهقي
في شعب الايمان باب الغضب والكبر قال بعض المحققين الغضب فوران دم
القلب او عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات قبل وقوعها وللانتقام بعد وقوعها فاطلاقه
على الله كما في الحديث رواه الترمذي وغيره من لم يسال الله يغضب عليه مجازا اي يفعل
به كما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام وايراد العقوبة واما الكبر فقال
الراغب هو حالة التي يتخصص بها الانسان من اعجاب نفسه بان يري نفسه اكبر من

غيره واعظمه

غيره واعظمه الامتناع عن قبول الحق عن الله تعالى والاذعان للعبادة والاستكبار على وجهين
احدهما ان يتحري الانسان ان يصير كبيرا وذلك متى ما كان على ما يجب فهو المحمود والثاني ان
يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم كقوله ابي واستكبر والمتكبر ايضا على وجهين
اما محمود وهو ان يكون افعاله الحسنة كثيرة زايدة في الحقيقة على محاسن غيره وعلى هذا
وصف الله تعالى بالمتكبر في قوله تعالى العزيز الجبار المتكبر او مذموم وذلك اذا كان متكلفا متشبعا
كذلك وهذا وصف عامة الناس نحو قوله تعالى فبيس مثوى المتكبرين وقال الغزالي الكبر
ينقسم الي ظاهر وباطن فاذا ظهر علي الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل
هو الخلق في النفس وهو الاسترواح والركون الي روية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر
يستدعي متكبرا عليه ليري نفسه في صفات الكمال ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب
فان العجب لا يستدعي غير المعجب به بل هو لو لم يخلق الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا
٩٣ يتصور ان يكون متكبرا الفصل الاول عن ابي هريرة ان رجلا هو ابن
عمر او حارثة ابن قدامة او سفيان بن عبد الله قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني
بخصوص الي عموم ما ينفعني دينا ودنيا ويقربني الي الله زلفي قال لا تغضب فردد
الرجل السوال وهو المشار اليه بن ذلك على ما في بعض النسخ مرارا اي ثلاثا او مرة بعد اخري
رجاء ان يضم معه ايضا اخر قال لا تغضب قال بعض المحققين الغضب من نزعات الشيطان
يخرج به الانسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة حتى يتكلم بالباطل ويفعل المذموم
شرعا وعرفا وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبايح التي كلها من اثر سوء الخلق
بل قد يكون ولهذا قال لا تغضب واصبر عليه مع الحاح السايل مريدا للزيادة او التبديل
بدايع فكانه قال له حسن خلقك وهو من جوامع الكلم فالحديث من جوامع الكلم ثم علاجه معجون
مركب من العلم والعمل بان يري الكل من الله ويذكر نفسه ان غضب الله اعظم وفضله
اكثر وكم خالف امره ولم يغضب عليه ويتقود ويتوضا ويشغل نفسه بشي قال
التوربشتي قد كان صلى الله عليه وسلم كاشفا باوضاع الخلق عارفا بادوايهم يضع
الهنا موضع النقب يامرهم بما هو اولي بهم فلما استوصاه الرجل وقدره عملوا بالقوة الغضبية
يرله خيرا من ان يتجنب عن دواعي الغضب ويزحزح نفسه عنه وقال القاضي
لعله بالنسبة صلى الله عليه وسلم لما راي ان جميع المفاسد التي تعرض للانسان وتعتريه
انما تعرض له من فرط شهوته واستيلا غضبه والشهوة مكسورة الي ما يقتضيه الغضب
غير ملتفت اليها فلما ساله الرجل ان يشير الثنية الي ما يتوسل به الي التجنب عن القبايح
والتحرز عن مظانها نهاه عن الغضب الداعي الي ما هو اعظم ضررا واكثر وزرا
فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسببا ته لا محالة قلت هو كلام حسن
وبيان مستحسن الا ان التحقيق ان مدار الغضب على شهوة النفس فان
الانسان لا يغضب غضبا مذموما الا بتوهم فوت شهوة له او بعد تحقق فوتها
ولهذا تري كل من كانت شهوته اكثر كالملوك والامرا يكون غضبه اكبر ويجب عليه الحذر
ويويده الحديث الذي يليه رواه البخاري وكذا احمد والترمذي عن ابي هريرة
واحمد والحاكم عن حارثة بن قدامة ورواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن رجل ولفظه
لا تغضب فان الغضب مفسدة وفي رواية لابن ابي الدنيا والطبراني عن ابي

الدردا الا تغضب ولك الجنة وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله ٨٤
عليه وسلم ليس الشديد اي القوي كامل القوة بالصرعة بضم ففتح كهمزة من يكثر
الصرع وهو اسقاط المصارع له لانه قوة بدنية صورية نفسية فانية انما
الشديد اي الكامل الذي يملك نفسه عند الغضب فانه قوة دينية
معنوية الصية باقية تحول النبي صلى الله عليه وسلم معنى هذا الاسم من
القوة الظاهرة الى الباطنة ومن امر الدنيا الى الدين وفي النهاية الصرعة
بضم الصاد وفتح الرا المبالغ في الصراع الذي لا يغلب فنقله الى الذي
يملك نفسه عند الغضب فانه اذا ملكها كان قد قهر اقوى اعدايه وشر
خصومه ولذلك قال اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وهذا من الالفاظ
التي نقلها عن وضعها اللغوي لضرب من التوسع والمجاز وهو من فصيح الكلام
لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شهوة الغضب
فقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه
متفق عليه ورواه الامام احمد في مسنده وعن حارثة بن وهب ذكره
المولف في الصحابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل ٨٥
الجنة كل ضعيف بالرفع على تقدير هو وفي نسخة بالجر على البدلية قال شارح
معناه انه لا يسقط الناس والاظهر ان معناه انه ليس بمتكبر جبار ويدل
عليه قرينته الاتية فالحكم كلي لا اغلبي على ما سيجي وقوله متضعف بفتح
العين وبكسر من باب التاكيد كجنود مجندة والقناطير المقنطرة وظل ظليل
وفايدة التا الموضوع للطلب ان الضعف الحاصل فيه كانه مطلوب منه التذلل
والتواضع مع اخوانه وان كان قويا مترجلا مع اعدايه قال تعالى اشداء على
الكفار رحما بينهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ففيه اشارة الى ان
من كثر تواضعه مع المومنين يكون في اعلى مراتب المقربين كما ان من يكون
التجبر والتكبر يكون في اسفل السافلين وقال النووي ضبطوه بفتح العين
وكسرها والمشهور الفتح ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون
عليه لضعف حاله في الدنيا يقال تضعفه واستضعفه واما على الكسر
فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه والمراد ان اغلب اهل الجنة هولا
كما ان معظم اهل النار القسم الاخير لو اقسم على الله اي في فعل او ترك لابره اي
لامضاه على الصادق وجعله بارا غير حانث في طمعه من الحق وقال الطيبي اي
لو حلف يمينا طمعا في كرم الله بابراره لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل بضمتين
فتشديد اي جاف شديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ
جواظ بتشديد الواو اي جموع منوع او مختال وقيل السمين من التنعم وقيل
الفاجر بالجيم وقيل الفاجر بالجيم وقيل بالخا مستكبر اي متكبر عن الحق او على
اهله متفق عليه ورواه ابن ماجه عن معاذ ولفظه الا اخبركم عن ملوك الجنة رجل
ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره ورواه الطبراني عن ابي
الدردا بلفظ الا اخبركم باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع الا اخبركم باهل

قسطلاني جلد ٩

ومع ... عزوجل

الجنة كل مسكين لو اقسم على الله لابره وفي رواية لمسلم كل جواظ زنيم متكبر والزنيم
الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم تشبيها له بالزنمة وهي شي يقطع
من اذن الشاة ويترك معلقا بها ذكره الطيبي وهو المناسب للاية الكريمة الواردة
في حق الوليد بن المغيرة واضرابه واما الحديث فينبغي ان يفسر بالمعنى الاعم
وهو اللئيم المعروف بلومه او شره على ما في القاموس ويمكن ان يكون الزنيم
كناية عن هذا الوصف فانه لازمه غالبا وقد ورد في حديث رواه احمد
وغيره عن ابي هريرة ولد الزنى شر الثلاثة وفي رواية اذا عمل بعمل ابويه واما
حديث ولد الزنى لا يدخل الجنة فلا اصل له اصلا والله اعلم وعن ابن ٨٦
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار اي دخول خلود
احد في قلبه مثقال حبة اي مقدار وزن حبة خردل قيل انه حبة السوداء وهو تمثيل
القلة كما جا مثقال ذرة من ايمان اي من ثمراته وهي اخلاقه المتعلقة بالباطن او
الظاهر الصادر من نور الايمان وظهور الايقان فان حقيقة الايمان وهو التصديق
ليس قابلا للزيادة والنقصان فقول الطيبي فيه اشعار بان الايمان قابل للزيادة
والنقصان صدر من غير شعور بحقيقة الايقان والاتقان فان الايمان لا يتجزى
الا باعتبار تعدد المومن به ولا شك ان الايمان ببعض ما يجب الايمان به كلا
ايمان نعم له شعب كثيرة خارجة عن حقيقته وماهيته كالصلاة والزكاة وساير
احكام الاسلام الظاهرة وكالتواضع والترحم وساير الاخلاق الباطنة الباهرة ومنه
الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة ويدل على ما ذكرناه قوله والحيا شعبة
من الايمان ويدل عليه ايضا مقابلته بقوله ولا يدخل الجنة اي مع السابقين
احد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر فانه لا نزاع ان الكبر المجرد ليس بكفر
كما ان الكبر عن قبول الحق كفر اجماعا ثم الكفر قابل للزيادة والنقصان على ما لا يخفى
ولذا قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من
انواع الظلمات الكفر والكفران الى النور اي نور التوحيد والايمان فمعنى الحديث
انه لا يدخل الجنة مع الكبر بل يصفى منه ومن كل خصلة مذمومة اما بالتعذيب
او بعفو الله ثم يدخل الجنة قال الخطابي للحديث تاويلان احدهما ان يراد بالكبر
الكفر والشرك الا ترى انه قد قابله في نقيضه بالايمان وثانيهما ان الله تعالى
اذا اراد ان يدخله الجنة نزع من قلبه ما كان في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا
كبر وغل في قلبه وقوله لا يدخل النار يعني دخول تابيد وتخليد انتهى واراد
في المعنى الثاني في الكبر المتكبر على الناس قال الطيبي الوجه الاول من باب
المقابلة المعنوية وهو من انفسها فانه اشار بالايمان الى ان الكبر من
صفات الكافرين فيجب ان يتجنب عنه وبالكبر تلويح الى ان التواضع من
سمات المومنين فينبغي ان يرغب عنه وهو الوجه لان القصد الاولي في
سياق الكلام واراده الى معنى الوصفين للترغيب في احدهما والتنفير عن
الاخر لا الى حكم الموصوفين وان لزمه تبعا انتهى وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق
رواه مسلم وعنه اي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل

الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل هو معاذ بن جبل او عبد الله بن عمرو
ابن العاص او ربيعة ابن عامر اقوال ان الرجل اي جنسه والمراد به الشخص يحب
ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا اي من غير ان يراعي نظر الخلق وما
يترتب عليه من الكبر والخيلا والسمعة والريا وعلامة صدقه ان يحب ذلك ايضا
في الخلاء النعل ما وقيت به القدم وهي مونثة سماعية ذكرها ابن الحاجب
في رسالته فيما يجب تانيثه وفي المشارق ونعله حسنة فالتذكير هنا باعتبار
معناها وهو ما وقيت به القدم ذكره بعضهم ويمكن ان يقال ونعله ذات
حسن او عدل عن فعلا الي فعل للمشاكلة مع قابلية اللفظ ان يذكر لكن
ولعل سبب السوال ما ذكره الطيبي انه لما راي الرجل العادة في المتكبرين
لبس الثياب الفاخرة ونحو ذلك سال ما سال قال اي مجيبا له ان الله جميل
اي في ذاته وصفاته وفعاله وكل جمال صوري او جميل معنوي فهو اثر جماله
فلا جمال ولا جلال ولا كمال الا الله سبحانه يحب الجمال اي ظهوره في مخلوقاته
وكذلك اظهرهم وجملهم مظاهره ويوبده حديث ان الله يحب ان يري اثر
نعمته علي عبده الكبر بطر الحق بفتح الموحدة المهملة اي الكبر المذموم بطلان
جمال الحق وغمص الناس اي استحقار الخلق واصل البطر شدة الفرح والنشاط والمراد
هنا قيل سوء احتمال الغني وقيل الطغيان عند النعمة والمعنيان متقاربان وفي
النهاية بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله تعالي حقا من توحيده وعبادته باطلا
وقيل هو ان يتجبر عند الحق فلا يراه حقا وقيل هو ان يتكبر عن الحق فلا يقبله
قال النوربشتي وتفسيره علي الباطل توجه اشبه لما ورد في غير الرواية
انما ذلك من سفه الحق وغمص الناس اي الحق سفها رواه مسلم ولكن الترمذي
عن ابن مسعود والطبراني عن ابي امامة والحاكم عن ابن عمر وابن عساكر عن جابر وابن
عمر ورواه البيهقي عن ابي سعيد بزيادة ويحب ان يري اثر نعمته علي عبده ويبغض
البوس والتباوس ورواه ابن عدي بزيادة سخي يحب السخاوة نظيف
٨٧ يحب النظافة **وعن ابي** هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة
اي اشخاص لا يكلمهم الله اي كلام رضي او مطلقا يوم القيامة اي وقت ظهور عدله
وفضله وغضبه ورضاه ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم تخلا وسيار المومنين
او لا يطهرهم من دنس الذنوب بالعفو عنهم وفي رواية اي بدلا عما قبله او
زيادة عليه وهو الظاهر **ولا** ينظر اليهم اي نظر لطف وعناية ورحمة ورعاية
ولهم عذاب اليم يحتمل ان يكون من تتمة الرواية وان يكون عودا الي اصل
الحديث وهو المعتمد كقوله شيخ زان لان الزني اذا كان قبيحا من الشباب
مع كونه معذورا طبعا من الشيخ المنطفي شهوته المستخفي غلته تكون اقبح
وفي نظر العقل اسمج وملك كذاب اي كثير الكذب او ذو كذب بناء علي ان الصيغة
للمبالغة او للنسبة والثاني ابلغ وعايل مستكبر اي فقير متكبر لان كبره
مع ان عدام سببه فيه من الجاه والمال يدل علي كونه ليما بالطبع ذميما

في الشرع

في الشرع وقيل المراد بالعايل ذو العيال فتكبره عن اخذ صدقة قدر ما يسد خلته
وخلة عياله لم يكن الا لاستيلا هذه الرذيلة عليه بحيث يلحقه وعياله الضرر الشديد
من تكبره قال الطيبي يعني الزنا قبيح ومن الشيخ اقبح والكذب سمج ومن الملك اسمج
والتكبر مذموم ومن الفقير اذم انتهي ويمكن ان يقال المراد بالشيخ المحصن سواء كان شابا
او لا ولكون الزنا افحش منه شرعا وعرفا وجب فيه الرجم كما في الاية المنسوخة الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم والمراد بالملك الغني
فان الفقير قد يكذب لغرض فاسد من منفعة دنيوية ضرورية والغني لا يحتاج اليه مطلقا
فالكذب منه اقبح والمراد بالفقير الذي يتكبر علي الفقرا لان التكبر علي المتكبر من الاغنيا صدقة
والظاهر ان المراد به الفقير المتكبر علي الكسب والكذب لنفسه وعياله مع القدرة عليه كما هو
مشاهد في اهله زماننا ولا شك ان هذا التكبر المتضمن للرعونة والريا والسمعة مع
اضرار النفس وارتكاب السوال واخذ المال من غير وجه حلال اقبح من تكبر الاغنيا
لا سيما اذا كان يتكلف ويتزيا بزي الاكابر لبعض الفقها القايلين بان الحلال ما حل
بنا وان الحرام ما حرم منا فان العلل المركبة داب عضالك يعجز عنه الحكما وان بلغوا مبلغ
الكمال رواه مسلم وفي الجامع بلفظ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر **وعنه** اي عن
٨٨ ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله تعالي الكبريا
ردائي اي بمنزلته عندكم والعظمة اي الصفاتي ازاري اي في مرتبته لديكم
فان رتبة الصفة دون رتبة الذات ولذا خص التكبير بكونه تحريمة للصلاة
في القيام لله تعالي والتعظيم بالركوع المندوب فيه سبحان ربي العظيم ومنه
التعظيم لامر الله وحقيقته ترك الاشتغال بما سواه فالتركيب نوع من
التعظيم بالنسبة البليغ والمعني انهما مختصان بي خصا ظاهرا كنسبة
الثوبين اليكم حيث لا يمكن المنازعة في واحد منهما لاحد عليكم فاذا عرفتم ذلك
وعلمتم ما هنالك فمن نازعني واحدا منهما اي من الوصفين بان تكبر باعتبار
ذاته او تعظم من حيثية صفاته واراد نوعا من المشاركة معي في نعوت
ذاتي وصفاتي ادخلته النار اي نار العذاب وعقاب الحجاب فانها جزا
الكافرين وبيس مثوي المتكبرين وفي رواية قذفته اي رميته
من غير مبالاة له في النار هذا مجمل المرام في هذا المقام واما تفصيله ففي
النهاية الكبريا العظمة والملك وقيل هي عبارة عن كمال الذات
وكمال الوجود ولا يوصف بها الا الله تعالي وهو من الكبر بالكسر
وهو العظمة ويقال كبر بالضم يكبر اي عظم فهو كبير انتهي وقيل ان
الكبريا والكبر والعظمة الفاظ مترادفة متحدة المعني ولم يفرض معظمهم
الفرق ولا بد من الفرق اذ الاصل عدم الترادف وهو ما يقتضيه المقام
من الفرق في مرتبة الجمع قال الامام فخر الدين الردا ارفع درجة من الازار
فوجب ان يكون صفة الكبريا ارفع حالا من صفة العظمة ثم قال نسبه ان
يكون متكبرا في ذاته سوا استكبره غيره ام لا وسوا عرف هذه الصفة احد

ام لا واما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره واذا كان كذلك
كانت الصفة الاولى ذاتية والثاني اضافية والذاتي اعلى من الاضافي
انتهى واطنب الطيبي في توجيه قول الفخر وتوضيحه ثم قال وقد
عرفت ما قيل ان الكبر هو الاعراض عن الحق وتحقير الناس فالتواضع هو
الاذعان للحق وتوقير الناس وهو المعنى بقوله التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله فالمعنى من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى في الدنيا بالذل
والهوان وفي الاخرة بقذفه في اقصى درجات النيران ومن تواضع لله مع الخلق
رفع الله درجته في الدنيا والاخرة رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجة
عن ابي هريرة وابن ماجة ايضا عن ابن عباس رواه الحاكم عن ابي هريرة مختصرا
بلفظ الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته ورواية سموية عن ابي سعيد
وابي هريرة بلفظ الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته ورواية سموية عن ابي
سعيد وابي هريرة بلفظ الكبرياء ردائي والفزاري من نازعني في شيء منهما
عذبته **الفصل الثاني** عن سلمة بن الاكوع صحابي مشهور قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه قال المظهر وغيره ٨٩
البا للتعدية اي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة
ويعتقدها عظيمة القدر او للمصاحبة اي يرافق نفسه في ذهابها الى الكبر
ويعززها ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة وفي اساس البلاغة
يقال ذهب به مر به مع نفسه قلت ومن قبيل الاول قوله تعالى ذهب الله بنورهم
اي اذهب نورهم وخلاصة المعنى انه لا يزال يذهبها عن درجتها ومرتبتها الى
مرتبة اعلى وهكذا حتى يكتب اسمه او يثبت رسمه في الجبارين اي في ديوان الظالمين
والمتكبرين او معهم في اسفل السافلين فيصيبه بالنصب وقيل بالرفع اي فينال
الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى ما اصابهم اي الجبارين كفرعون وهامان
وقارون رواه الترمذي **وعن** عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون امثال الذر اي في الصغر والحقارة ٩٠
يوم القيامة في صور الرجال اي من جهة وجوههم او من حيثية هيئتهم من
انتصاب القامة يغشاهم اي ياتيهم الذل من كل مكان اي من كل جانب والمعنى
انهم يكونون في غاية من المذلة والمنقصة يطاهم اهل المحشر بارجلهم من
هوانهم على الله كذا سياق في رواية الجامع هذا وفي النهاية الذر النمل
الاحمر الصغير واحدها ذرة وقيل الذرة يراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل
في النافذة قلت نعم قد يراد بها لكن الظاهر انه المراد في قوله فمن يعمل مثقال
ذرة كما انه المراد جزما في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة واما ارادة هذا
المعنى في هذا المقام فغير صحيح لقوله في صورة الرجال وما فيه من المقال
قال التوربشتي يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة اي اذلاء مهانين يطاهم
الناس بارجلهم وانما منعنا عن القول بظاهره مما اخبرنا به الصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم ان الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزا

حتى انهم

وقع ... الله عز وجل

حتى انهم يعاد منهم ما انفصل عنهم في القلفة والى هذا المعنى اشار بقوله يغشاهم
الذل من كل مكان قال الاشرف انما قال في صور الرجال بعد قوله امثال الذر
قطعا منه حمل قوله امثال الذر على الحقيقة ودفعا لوهم من يتوهم ان المتكبر
لا يحشر في صورة الانسان وتحقيقا لاعادة الاجساد المعدومة على ما كانت عليه
من الاجزا وقال المظهر يعني صورهم صور الانسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر
قال الطيبي لفظ الحديث يساعد هذا المعنى لان قوله امثال الذر
تشبيه لهم بالذل ولا بد من بيان وجه الشبه لانه يحتمل ان يكون وجه الشبه الصغر
في الجثة وان يكون الحقارة والصغارة فقوله في صور الرجال بيان للوجه ودفع
وهم من يتوهم خلافه واما قوله ان الاجساد تعاد على ما كانت عليه من
الاجزا فليس منه انه لا يعاد تلك الاجزا الاصلية في مثل الذر لانه تعالى
قادر عليه وفيه الخلاف المشهور بين الاصوليين وعلى هذا الحقارة ملزوم هذا
التركيب فلا ينافي ارادة الجثة مع الحقارة انتهى وفيه انه لا كلام في قدرته تعالى
على كل شيء وانما الكلام في انه هل تتعلق القدرة به ام لا واذا صح في الخبر ان
الخلق كلهم يحشرون غرلا فلا شك انه لا بد من تحقق اعادة جميع الاجزا
الاصلية من المتصلة والمنفصلة كالاظفار المقطوعة والاسنان المقلوعة
والشعور المحلوقة وامثال ذلك تصديقا لكلام الشارع وتحقيقا لما اخبره
به وحصول هذا كله في ذرة من المحال العقلية ونفيها معتبر في القواعد
النقلية منها قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فان
المراد به ان دخول الكفار الجنة من المحال الذي لا يقع ابدا كولوج الجمل في سم
الخياط اذا عرفت هذا علمت ان الشيخ التوربشتي عدل عن الحقيقة الى المجاز
للضرورة الملجئة له اليه لكن يأباه سياق الحديث على ما حققه بقية الشراح
فالتحقيق ان الله يعيدهم عند اخراجهم من قبورهم على اكمل صورهم وجميع
اجزائهم المعدومة تحقيقا لوصف الاعادة على وجه الكمال ثم يجعلهم
في موقف الجزاء على الصورة المذكورة اهانة وتذليلا لهم جزاء وفاقا او يتصاغرون
من الهيبة الالهية عند مجيئهم الى موضع الحساب وظهور آثار العقوبة
السلطانية التي لو وضعت على الجبال لصارت هباء منثورا وقد ثبت تبديل
صور اهل جهنم على اشكال مختلفة وصور متباينة كصور الكلاب والخنازير
والحمير بحسب ما يليق بصفاتهم وحالاتهم وقد يكبر جثتهم حتى يكون
ضرس الكافر كجبل احد على ما ورد في الحديث وكذا تغيير صور اهل الجنة
من السواد الى البياض ومن القصر الى الطول المعتدل ومن الكبر الى
السن المتوسط وجعلهم جردا مردا مكحلين وامثال ذلك وبه يندفع
الاشكال والله اعلم بحقيقة الحال ويدل على ما قررنا ان تبديلهم
انما هو في آخر امرهم قوله بطريق الاستئناف البياني او على الحال التبياني
يساقون بضم القاف او يسحبون ويجرون الى سجن اي مكان حبس مظلم مضيق
منقطع فيه عن غيره يسمى اي ذلك السجن بولس بفتح موحدة وسكون واو

وفتح اللام سحبن جهنم وقال المنذري هو بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام ذكره ميرك
وقال شارح بفتح الموحدة وفتح اللام وكسرها فوعل من الابلاس بمعنى الياس
داخله من الخلاص وفي النهاية هكذا جاء في الحديث مسمي ذكره الطيبي من غير
تعرض لضبطه فالاعتماد على ما ذكره المنذري وصاحب القاموس اولي من
كلام غيرهما لانهما في علم الحديث والسما اعلم انتقلوهم اي تخبطهم وتغشاهم
كالما يعلوا الفريق نار الانيار اي نار النيران قال الشارح انيار جمع نار كانياب
جمع ناب وفيه ان الناب يائي والنار واوي ولذا لم يذكر انيار في القاموس
لكونه شاذا والقياس الانوار الا انه قيل الانيار لئلا يشتبه بجمع النور قال
القاضي واضافة النار اليها للمبالغة كان هذه النار لفرط احراقها وشدة
حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها اقول او لانها اصل نيران
العالم لقوله تعالى الذي يصلي النار الكبرى ولقوله عليه السلام ناركم هذه
جزء من سبعين جزء من نار جهنم على ما ذكره البيضاوي وفي النهاية قوله
نار الانيار لم اجده مشروحا ولكن هكذا يروي فان صحت الرواية فيحتمل ان
يكون معناه نار النيران بجمع النار على انيار واصلها انوار لانها من الواو كما جاء في ريح
وعيد ارياح واعياد وهما من الواو ذكره الطيبي ولم يبين وجههما وتوجيهه ما
قدمنا من مخافة الالتباس فان الاعواد بمعنى الاخشاب والارواح جمع الروح
يسقون بصيغة المجهول وفيه اشارة الى الاكراه وايماء الى زيادة الاحراق الموصل
الى بطونهم ايضا من عصارة اهل النار اي صديدهم المنتن المحمي غاية الحرارة المعبر
عنه بحميم طينة الخبال تفسير لما قبله وهو بفتح الخاء بمعنى الفساد قال شارح هو اسم
عصارة اهل النار وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم رواه الترمذي واخرج
عبد الله احمد في زوائد الزهد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء
بالجبارين والمتكبرين رجالا في صور الذر يطاهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضي
بين الناس ثم يذهب بهم الى نار الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة اهل
النار ذكره السيوطي في بدور السافرة في احوال الاخرة **وعن** عطية بن عروة السعدي
منسوب الى سعد ولم يذكره المولف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب
من الشيطان اي من اثر وسوسته وان الشيطان خلق من النار قال تعالى والجان خلقناه ٩٦
من قبل من نار السموم وقال خلقتني من نار وهذا دليل على انه من الجن لان الملائكة
خلقوا من النور ومعنى خلق منها ان عنصره الناري غالب على سائر اجزائه بخلاف
الانسان وانما يطفا بصيغة المجهول مهموزا اي يدفع النار اي الحسية بالما اي
الحقيقي فاذا غضب احدكم اي واشتعلت نار غضبه من جوفه وتريد احراق المغضوب
عليه بنوع من عذابه فليتوضا فان الوضوء مركب معجون من الما الحسي والمطهر المعنوي
الموثر في الظاهر والباطن وهذا من طب الانبيا الذي غفلوا عنه الحكما واغرب الطيبي
حيث اخرج الحديث عن حقيقته الاصلية من غير باعث من الامور النقلية والعقلية
فقال اراد ان تقول اذا غضب احدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان
الغضب من الشيطان فصور حالة الغضب ومنشاه ثم الارشاد الى تسكينه

فاخرج

وفي نسخة لله عز وجل

فاخرج الكلام هذا المخرج ليكون اجمع وانفع للموانع ازجر واردع وهذا التصوير لا يمنع
من اجرايه على الحقيقة لانه من باب الكناية انتهى والصواب ان الاستعاذة علاج اخر
مستقل كما ورد به الاثر على ما ذكره الجزري في الحصن حيث قال ومن غضب فقال اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد ونسبه الى البخاري ومسلم وابي داود والنسائي
عن سليمان بن صرد وهو مقتبس من قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله ورواه ابن عدي في الكامل عن ابي هريرة بلفظ اذا غضب الرجل فقال اعوذ بالله
سكن غضبه وجملة الامر ان هذا علاج قولي سهل التناول والحصول والوضوء معالجة فعلية صعب
الوصول لاسيما والوضوء مقدمة للصلاة فهو بمنزلة المعجون المسهل المخرج للمواد الفاسدة
من اصلها واما مجرد الاستعاذة فهو بمنزلة الاستفراغ لتخلية المعدة من اثار التخمة
وحاصله ان الحكيم الكامل يتدرج في المعالجة ويعلم علاج كل صاحب علة بما
يوافقه ويناسبه من خواص الاشيا المفردة والمركبة وانواع الغضب
كالامراض المختلفة فعلى العليل ان يسلم تسليما فيجعل نفسه بين يدي الطبيب
الحبيب الكامل كالميت بين يدي الغاسل وخلاصة الكلام انه اذا احس
بالغضب فيتعوذ بالله اولا ثم اذا راى انه ما يزول به يقوم ويتوضا
ويصلي ركعتين لله تعالى فانه دوا اصبر من كربه على الطبع الشيطاني
والمزاج النفساني بل هو كعرق السوس يخرج كل مرض مدسوس قال
الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
رواه ابو داود وكذا احمد **وعن** ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه
٩٧ وسلم قال اذا غضب احدكم اي ظهر اثر غضبه على احد وهو قايم فليجلس
لان المعالجة بالاضداد والقوة الغضبية الناشية من الوسوسة الشيطانية
تقتضي الخفة والنفلية التي من خواص النار والقيام لاجل الانتقام
فعالجه بالجلوس المشير الى القعود عن الفتنة نافعة جدا فان ذهب
عنه الغضب اي اثر حرارته وقوة مرارته بالجلوس فيها ونعمت والا اي
وان لم يذهب به فليضطجع مبالغة في المعالجة المذكورة مع ما فيه من الاشارة الى رجوع
الانسان الى ماخذه من التربة المناسبة للتواضع في مقابلة عمل الشيطان بمقتضى
جبلته من الشعلة النارية المقتضية للتكبر وكل شي يرجع الى اصله هذا وفي شرح
السنة انما امره بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه في حال غضبه ما يندم
عليه فان المضطجع ابعد من الحركة والبطش من القاعد من القايم وقال الطيبي
لعله اراد به التواضع والخفض لان الغضب منشاه التكبر والترفع قلت لا منع من
الجمع فان كلامه صلى الله عليه وسلم منبع الحكم والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذا الصنيع
منه قبل الوضوء وهو الظاهر وان يكون بعده ان لم يطهر يذهب الغضب والله اعلم بالسراير
رواه احمد والترمذي وكذا ابو داود وابن حبان في صحيحه **وعن** اسما بنت عميس بالسين
المهملة مصغرا وقد تقدمت ترجمتها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيس
العبد لم يقل بيس الرجل والمراد تنبيها على ان الاوصاف الاتية ليست من مقتضيات
العبدية ولا من نعوت العبودية عبد تخيل اي تكبر وتجبر واختال اي تمايل وتبختر

من الخيلا وهو الكبر والعجب بالجاه والمال والجمال والعلوم والاعمال والاحوال وتوهم الكمال
حيث تخيل له انه وصل الى الكمال قال التوربشتي اي تخيل له انه خير من غيره واختال
اي تكبر ونسي الكبير المتعال بحذف اليا مراعاة للفاصلة وهو لغة في المنقوص المعرف
وعليه قراءة الجمهور في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال واثبته ابن
كثير في الحالين ومعنى الكبير العلي الشان على البرهان والمتعال اي عن الاشباه والاضداد
والانداد اي نسي ان الكبريا والتعالي ليس الا لله تعالى او نسي محاسبته ومعاقبته
ومعاقبته في العقبى حيث لم يراع مراقبته في الدنيا بالتقوى بيس العبد عبد تجبر
اي قهر على المظلومين واعتدى اي تجاوز على المساكين او تجاوز قدره وما راعى
حكم ربه وامره ونسي الجبار الاعلى اي القهار الذي فوق عباده الغالب على امره
بيس العبد عبد سها ولها حقهما ان تكتبا بالالف لانهما واويان ماخوذان من
السهو واللهو وفي كثير من النسخ باليا فلعله لمشاكلة اللفظية في الفواصل السجعية
ومعنى سها اي صار غافلا عن الحق والطاعة والاقتدا بالانبيا وعامة الصلحا
قد سهو ومنه قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال بعض
العارفين الحمد لله لم يقل في صلاتهم والا لكان الويل على الكل في اليوم والليل ولها
اي اشتغل باللهو واللعب ومنه قوله تعالى الهاكم التكاثر وخلاصته انه سها
عن امر الدين المرضيه ولها بامر الدنيا الدنية ونسي المقابر اي اهلها بالتذكر والعبرة
بهم او بذكرهم على سبيل الرحمة وزيارتهم وذكر المقابر كناية عن الموت اي نسي
الموت بعدم الاستعداد له وكفى بالموت واعظا او نسي مرجع الاحيا من اماكن الاموات
وما يحصل لهم فيها من الوحشة والظلمة والغربة والضيق وغيرها مما يعسر ضبطها
وحصرها والبلا بكسر الموحدة وهو تفتت الاعضا وتشتت الاجزا الى ان يصير
رميما ورفاتا بيس العبد عبد عتا من العتو اي فسد وطغى من الطغيان اي
تجاوز عن الحد وقيل معناهما واحد واتى بهما تاكيدا والثاني تفسيرا واتى
به للفاصلة ونسي المبتدا والمنتهى بصيغتي المفعول قال الاشرف اي
نسي ابتدا خلقه وهو كونه نطفة وانتها حاله الذي يؤول اليه وهو صيرورته ترابا
اي من كان ذلك ابتداه ويكون انتهاه هذا جدير بان يطيع الله تعالى فيما بينهما
وقيل المراد بهما الله اي نسي الذي صدر ابتدا وجوده منه ولا بد من انتها
رجوعه اليه فترك مراعاة امره اولا ومحافظة نهيه اخرا بيس العبد عبد يختل
بكسر التا اي يطلب الدنيا بالدين اي بعمل الاخرة من ختله اذا خدعه كذا في
النهاية والمعنى يخدع اهل الدنيا بعمل الصلحا ليعتقد فيه وينال منهم مالا
او جاها من ختل الذيب الصيد خدعه وخفي له وقال القاضي ختل الصايد
اذا مشى للصيد قليلا قليلا لئلا يحس به شبه فعل من يري ورعا ودينا ليتوسل به
الى المطالب الدنيوية بختل الذيب الصايد بيس العبد عبد يختل الدين
اي يفسده بالشبهات بضمتين وبفتح الثاني بيس العبد عبد طمع او ذو
طمع او وصف بالمصدر مبالغة ولو قرئ باضافة العبد لاستقام من غير تكلف وقوله
يقوده اي يسحبه الطمع عن وجهة المولى الى جهة السوى ومن الغرايب

ما حكي

ما حكي عن السيد الشاذلي قدس سره انه قد سيل عن علم الكيميا فقال هو كلمتان اطرح الخلق عن نظرك
واقطع طمعك عن الحق ان يعطيك غير ما قسم لك ومن هذا القبيل حديث القناعة مال لا ينفد
على ما رواه القضاعي عن انس بيس العبد عبد هوى يضله قال الاشرف كانه من كثرة الطمع والهوى
اللازمين للعبد وشدة اتصاله بهما اطلق نفس الطمع والهوى عليه وان كانا قايمين به وتقديره
ذو طمع فاعل يقوده وهوى فاعل يضله مقدم بني على فعلهما على مذهب الكوفيين قال الشاعر
صددت فاطولت الصدود وقلما ❊ وصال على طول الصدود يدوم
اي قلما يدوم وصال على الصدود يدوم اي قلما يدوم وصال على الصدود قال الطيبي الوجه
الثاني اقرب من الاول لما يلزم منه وصف الوصف لان قوله يقوده على هذا صفة طمع وهو
صفة عبد والاشبه ان يكون بطمع مبتدا ويقوده خبره اي طمع عظيم يقوده نحو شراهم
ذا ناب والجملة صفة عبد قلت هذا مراعاة للمبنى وغفلة عن المعنى فان الذم مترتب
على مطلق الطمع الذي يقوده الى الهوى وكذا حكم الهوى على ما لا يخفى بيس العبد
عبد رغب بضم الراء وفتحها وبفتحات ففي القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة
اراده واليه رغبة محركة وفي المشارق الرغب بسكون الغين وبفتحها وبضم الراء وفتحها
وفي نسخة بالاضافة واقتصر عليها القاضي كما سياتي ويوبد جواز كونها فيما قبلها
من الوصفين ايضا وقال ابن الملك هو بضم الراء وسكون الغين المعجمة الشره والحرص
على الدنيا وقيل الرغب سعة الامل وطلب الكثير ويروى بفتح الراء بمعنى الرغبة في الدنيا
وقوله يذله اي يجعله ذليلا وقال الامام التوربشتي الرواية عندي بفتح الغين
اي يذله الرغبة في الدنيا ومن الناس من يقول الرغب بضم الراء وهو الشره يقال
الرغب شوم ولعل الاصل فيه السعة يقال حوض رغيب اي واسع فكنى به عن
الحرص والشره كذا ذكره شارح وفي القاموس الرغب بالضم وبضمتين كثرة الاكل وشدة
النهم وفعله ككرم فهو رغيب كامير قال القاضي واضافة العبد للاهانة كقولهم
عبد البطن لان مجامع همته واجتهاده مقصور عليه عابد اليه انتهى ولا
يخفى ان تكرار جملة الذم في صدر الجمل المذكورة والنعوت المسطورة للاشعار
بان كل واحدة من الصفات مستقلة في استحقاق ذم فاعلها وان مراعاة السجع
من غير تكلف الطبع غير مكروه في الشرع رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان
وقالا اي كلاهما ليس اسناده بالقوي قال التوربشتي روى الترمذي باسناد
له عن هاشم ابن سعيد الكوفي وقد ذكره ابن عدي في كتابه وقال عامة ما يرونه
لا يتابع عليه قلت قد وجد لهذا الحديث متابع فانه رواه الطبراني والبيهقي
عن نعيم ابن همار ورواه الحاكم ايضا في مستدركه عن اسما بنت عميس ولا شك
ان كثرة الطرق تقويه الضعيف وتجعله حسنا لغيره وبه يتم المقصود والله اعلم
وقال الترمذي ايضا اي مع قوله انه ليس بقوي هذا حديث غريب وانت تعرف
ان الغرابة لا تنافي الصحة والحسن وغايته ان الحديث ضعيف وهو يعمل به في فضايل الاعمال
اتفاقا ففي المواعظ ينبغي ان يكون بالاولى الفصل الثالث عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد افضل اي تجرعا افضل عند الله من جرعة غيظ
يكظمها بكسر الظا اي يبلعها ويمنعها من اظهارها مع كثرتها وملا باطنه منها من

وعن ——— لله عز وجل

كظم القربة ملاها وشدها على ما في اساس البلاغة وفي رواية الجامع كظمها بصيغة الماضي
ابتغاء وجه الله تعالى اي طلبا لمرضاته لا لغرض اخر ولا يعجز عن امضاء رواه احمد وكذا الطبراني
وعن ابن عباس في قوله تعالى ادفع اي السيئة لدلالة ما قبله عليه وهو قوله سبحانه
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي اي بالخصلة التي هي احسن فيه مبالغة
عظيمة حيث عدل عن الحسنة الى الاحسن مع الرخصة المفهومة من قوله عز وجل
وجزاء سيئة سيئة مثلها او المراد انها احسن من مجازاة السيئة بالسيئة فانها حسن
وانما سمي سيئة في الاية للمشاكلة او بالنسبة والاضافة الى الاحسن والله اعلم وما
بعدها فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم ففي الاية اشارة الى ان العمل بها اكمل الاخلاق الانسانية التي
يعجز عنها اكثر الافراد البشرية قال اي ابن عباس بيان للخصلة الصبر عند
الغضب قيل المراد به غضب الغير فانه سيئة منه فيقابل بالصبر الذي احسن
من مجازاته بالغضب ويمكن ان يكون المعنى انه يصبر عند اثر الغضب فان كظم الغيظ
احسن من امضائه والعفو اي عن المسيء عند الاساءة اي وقت تحققها والواو
بمعنى او فان كلا منهما من افراد الخصلة التي هي احسن وكانه رضي الله عنه مثل
باقل المطلوب من السالك والا فالسادة الصوفية على المجازاة بها احسن ما يتصور
له من انواع الاحسان اليه من التواضع وتقبيل اليد والرجل وامثال ذلك وباعطا
البر المالي من قليل وكثير واقل المراتب ان يحلله ويدعو له بالتوبة والهداية وزاد
بعضهم الوعد له بالشفاعة يوم القيامة وهذه كلها خوارق عادات تطوي بساط
كرامات ربما يكون تحتها غرور في بدايات او نهايات ولذا قالوا الاستقامة خير من الف
كرامة وقد ورد شيبتني سورة هود فقيل لما فيها من وقايع الامم والله اعلم فاذا فعلوا
اي ما ذكر من المثالين وامثالها عصمهم الله اي حفظهم من الزيغ والتعدي على
احبابهم وخضع لهم عدوهم اي حيا منهم ورجعوا عن اساءتهم اليهم والغضب عليهم
كانه اي العدو يستوي فيه الجمع والفرد ولي اي ناصرهم حميم اي صديق يهتم
لامرهم وحاجتهم ويحمي بحرارتهم وحرقتهم قريب اي ذي قرابة منهم منكم والحاصل
ان هذه الخصلة التي هي احسن تقلب العداوة محبة وتنزع الاخلاق الذميمة
من الحقد والحسد والفتنة ونحوها قال الطيبي هذا التفسير على ان يكون لا في
قوله ولا السيئة مزيدة والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة فعلى هذا
يراد بالتي هي احسن التي هي حسنة فوضع الاحسن ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة
واذا لم يجعل لا مزيدة يكون المعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ
بالحسنة التي هي احسن من اختها فاذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة
التي هي ترد عليك من بعض اعدائك ومثاله رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو
عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه
فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك رواه
البخاري تعليقا اي بلا اسناد وتقدم ان ما علقه بصيغة المجهول ضعيف وما رواه

بصيغة

بصيغة المجهول ضعيف وما رواه بصيغة المعلوم صحيح والله اعلم وعن بهز بفتح
موحدة وسكون هاء فزاي تابعي بن حكيم عن ابيه تابعي حسن الحديث عن
جده اي معاوية بن حيدة القشيري وتقدم ذكره المولف قال قال رسول الله صلى
٩٤ الله عليه وسلم ان الغضب ليفسد الايمان اي كماله اونوره وبهاوه وقد يجر
الى بطلانه نعوذ بالله من ذلك ولما كان بعض افراده كذلك صح التشبيه
له كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح الصاد وكسر الباء ويسكن على ما في نسخة
لكن قال صاحب القاموس الصبر ككتف ولا يسكن الا في ضرورة الشعر عصارة
شجر مر انتهى واما كسر الصاد وسكون الباء على ما اشتهر على الالسنة فلعله
ماخوذ من قوله ككتف فان التكتف فيه لغتان والله اعلم وعن عمر رضي الله
تعالى عنه قال وهو اي عمر على المنبر فيه اشارة الى حفظ القضية داي الى ان
انه كالمسئلة الاجمالية لكونه في محضر من الصحابة يا ايها الناس ولعل العدول عن
المومنين اليه لافادة العموم ونفي توهم الخصوص تواضعوا اي ليتواضع بعضكم
لبعض وبترك التكبر على اخوانه المومنين لقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة
على الكافرين والتعبير بالاذلة للاشعار بكمال التواضع على سبيل المبالغة فاني مطلب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تواضع لله رفعه الله
٩٥ هذه الجملة فقط رواها ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة فهو الغا تقريبية
فالمتواضع المرفوع نتيجته او علامته انه في نفسه صغير او جزاه وتقديره
واذا رفعه الله فهو في نفسه صغير اي خال عن العجب والكبر وفي اعين الناس
عظيم اي عظيم القدر جليل الشان لرفعه تعالى اياه بهذه الخصلة الحميدة
وقد جاء في بعض الدعوات المأثورة اللهم اجعلني في نفسي صغيرا وفي
اعين الناس كبيرا ومن تكبر وضعه الله فهو في اعين الناس صغير وفي
نفسه كبير حتى منفاق بقوله صغير والحاصل المجموع ثم الظاهر
ان حتى هذه ابتدائية فالمعنى ان حتى قد تكون حرف ابتدا اي
حرفا يبتدا بعده الجمل اي تستانف فيدخل على الجملة الاسمية كقول
جرير: فما زالت القتلى تمج دماءها ✽ بدجلة حتى ماء دجلة اشكل ✽
يوكد هذا المعنى دخول لام الابتداء في قوله لهو اي المتكبر الموضوع اهون عليهم
اي اقل واحقر على الناس من كلب او خنزير والتنويع اما باختلاف حال المتكبر
او باعتبار احوال الناس قال الطيبي الفا في قوله فهو جزا شرط محذوف يعني
من تواضع لله هضم حقه من نفسه فجعل نفسه دون منزلته وهو المراد بقوله صغير
في نفسه ثم ان الله يرفعه من تلك المنزلة التي حقه الى ما هي ارفع منها ويعظمه عند
الناس وبعكسه في القرينة الاخرى وفي شرح السنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان الرجل اذا تواضع رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك فهو في نفسه صغير وفي
اعين الناس كبير واذا بطر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسا اخساك
الله فهو في نفسه صغير وفي اعين الناس كبير واذا بطر وعدا طوره كبير وفي اعين
٩٦ الناس صغير حتى يكون اهون على الله من الخنزير وعن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عمران عليه السلام يا رب من اعز عبادك عندك
قال من اذا قدر غفر والمعنى ان الاعز في المرتبة الجمعية الربوبية العندية هو
الذي اختار كونه اذل في طريق العبودية العبدية فان الصبر والعبادة ماخوذان
من طريق معبد اي مذلل وقد قالوا العبادة هي اقصى غاية الخضوع والتذلل
ولذلك لا تستعمل الا لله تعالى وان الغفران مع القدرة انما هو من باب التخلق
باخلاق الله تعالى سبحانه واشار الى هذا المعنى في قوله ان تبدوا خيرا
او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ولهذا نبه له عليه
السلام على العفو لما كان الغالب عليه الحدة الجلالية ليحصل له الاعتدال كما
يقتضيه الكمال بل ينبغي غلبة نعمة الجمال كما اشار اليه الحديث القدسي
سبقت رحمتي غضبي ولكون الرحمة غالبة على نبينا صلى الله عليه وسلم
وصف بكونه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة فان الراحمين يرحمهم الرحمن
على ما سبق فيه البيان وفي الجامع الصغير من عفا عند القدرة عفى
الله عنه يوم العسرة رواه الطبراني عن ابي امامة وعن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من خزن بفتح الزاي اي حفظ لسانه قال ٩٧
امرؤ القيس شعر اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
وقال الطيبي اي من ستر عيوب الناس وكتمها ستر الله عورته اي عيبه عن الناس
او عن الحفظة ولا منه من الجمع ومن كف اي منع غضبه اي عن الناس كف الله
عنه عذابه اي الذي يجاز غضبه يوم القيامة جزاء وفاقا وفي الجامع برواية ابن
ابي الدنيا عن ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته اي بان لم يعذبه
فتوافق الحديثان ومن اعتذر فيما وقع له من التقصير الى الله اي بالرجوع اليه واظهار
العجز لديه قبل الله عذره ظاهر نظرا الى ان يقال ومن قبل عذر اخيه قبل الله عذره
ولعله من تصرفات الرواة والحكمة اقتضت ذكره والله اعلم بما هنالك وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اي من الخصال منجيات اي اسباب ٩٨
نجاة وخلاص وثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله اي خوفه في السر والعلانية
والقول بالحق في الرضى والسخط اي لا يترك القول الحق لاجل محبته ورضاه عن
احد او سخطه وغضبه على احد والقصد اي التوسط في النفقة في الغنى والفقر اي
في الحالين بالاجتناب عن طرفي الافراط والتفريط واما المهلكات فهوى اي
للنفس متبع احترازا عن متروك فان مخالفة النفس من اكبر المنجيات كما ان متابعتها
من اكثر المهلكات وشح اي بخل مطاع اي مطاوع له مطيع لمقتضاه فقيل الشح
منع الواجب وقيل البخل منع مال الغير وقيل العمل بمعاصي الله وقيل الشح بما في يد غيرك
والبخل بما في يدك والاظهر ان الشح هو البخل المقرون بالحرص واعجاب المرء بنفسه اي
باستحسان اعمالها وجمالها وسائر ما يتوهم انه من كمالها وهي اي الخصلة
الاخيرة اشدهن اي اعظمهن وزرا واكثرهن ضررا لانه يتصور ان يتوب
من متابعة الهوى ومن رذيلة البخل والمعجب مغرور وحزبي فهو محجوب
لا يرجى زواله كالمبتدع فانه قل ان يتوب من بدعته وقال الطيبي لان

المعجب بنفسه

المعجب بنفسه متبع هواه ومن هوى النفس الشح المطاع قال تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون حيث اضاف الشح الى النفس روى البيهقي الاحاديث الخمسة في
شعب الايمان باب الظلم الظلم قال الراغب الظلم عند اهل اللغة وضع الشيء في
غير موضعه المختص به اما بنقصان او بزيادة واما بعدول عن وقته او مكانه وقال
القطب الرباني الشيخ عبد الكبير اليماني ان الله سبحانه وتعالى خلق قلب عبده
لذكره وفكره فمن وضع فيه غيره فهو ظالم لنفسه وقال العارف ابن الفارض موميا الى
الاشتغال بالوحدة والنبوة او الذكر والصلاة او الكتاب والسنة عليك بها صرفا
وان شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم الفصل الاول عن
٩٦ ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم اي جنسه الشامل للتعدي والقاصر
الصادر من الكافر والفاجر ظلمات اي اسباب ظلمة لمرتكبه او موجبات شدة لصاحبه
يوم القيامة ومفهومه ان العدل بانواعه انوار يوم القيامة لان الدنيا مزرعة
الاخرة في شرح مسلم للنووي قال القاضي هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه
لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا كما ان المؤمن يسعى بنور هو مسبب
عن ايمانه في الدنيا قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويحتمل ان يراد بالظلمات
هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدائدهما
ويحتمل انها عبارة عن الانكال والعقوبات قال الطيبي قوله على ظاهره يوهم ان قوله
ظلمات هنا ليس مجازا بل حقيقة لكنه مجاز لانه حمل المسبب على السبب فالمراد
ظلمات حقيقة مسببة عن الظلم قلت انما اراد القاضي بالحقيقة المقابلة للمجاز
المفسرة بالشدة نظرا الى جوهر المعنى مع قطع النظر عن حمل اللفظ بالاعراب
والمبنى ثم قال والفرق بين الشدائد والانكال ان الشدائد كائنة في العرصات
قبل دخول النار والانكال بعد الدخول قلت فالمراد بيوم القيامة الدار
٩٩ الاخرة متفق عليه وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليملي للظالم من الاملاء اي يمهله ويؤخره ويطول عمره حتى يكثر منه الظلم حتى اذا اخذه
لم يفلته من الافلات وهو الخروج من ضيق مع قد ذكره شارح والمعنى لم يتركه بل اخذه اخذا
شديدا ذكره ابن الملك قيل افلت الشيء وتفلت وانفلت بمعنى وافلته غيره ففي
النهاية اي لم ينفلت منه ويجوز ان يكون المعنى لم يفلته منه احد اي لم يخلصه قلت
هذا المعنى هو الظاهر على ما يدل عليه الضمير والقول الاول اما على المعنى او يقال بالحذف
والايصال وفيه تسلية للمظلوم في الحال ووعيد للظالم لئلا يغتر بالامهال كما قال تعالى ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ثم قرا
اي النبي صلى الله عليه وسلم اعتضادا او ابو موسى استشهادا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى اي اهلها وهي ظالمة الاية اي ان اخذه اليم شديد كما في نسخة بدل الاية
متفق عليه وفي الجامع الى قوله ثم قرا رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه وعن
١٠٠ ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مر اي اراد المرور بالحجر بكسر الحاء اي الحجر منازل ثمود
اي ديار ثمود قوم صالح قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم اي بالكفر الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم اي لئلا يصيبكم او مخافة ان يصيبكم ما اصابهم من العقاب اذ لا يخلو احد

ومصـــ لله عز وجل

منكم من الذنوب اذا شدد عليه الحساب ويمكن ان يكون المراد ان يصيب مناقبكم
عين ما اصابهم فعم الحكم بالتخويف تسترا عليهم ثم قنع راسه بتشديد النون مبالغة
من الاقناع اي اطرق راسه ولم يلتفت يمينا وشمالا كالخائف لئلا يقع نظره على مساكنهم
او جعل قناعة على راسه شبه الطيلسان او اسرع السير حتى اجتاز الوادي اي تجاوز
وقيل قطع عرضه وخرج عن حده وانما فعل ذلك تعليما للامة ليقتدوا به وجمع
بين القول والفعل تاكيدا في القضية او لانه صلى الله عليه وسلم كان في غاية في الخشية
لانها انما تكون على قدر المعرفة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد قال
انا اعلمكم بالله واخشاكم له هذا مجمل معنى الحديث واما تفصيله فقال التوربشتي
الحجر منازل ثمود وذلك في مسيره الى تبوك خشي على اصحابه ان يجتازوا على تلك
الديار ساهين غير متفطنين بما اصاب اهل تلك الديار وقد امرهم الله بالانتباه
والاعتبار في مثل تلك المواطن قال القاضي ولذلك استثنى عن النهي فان يصيبكم
نصب على المفعول له اي مخافة ان يصيبكم قال الطيبي المعنى لا تدخلوا مساكنهم في
حال من الاحوال الا حال كونكم باكين قال الخطابي معناه الداخل في دار قوم اهلكوا بخسف
او عذاب اذا لم يكن باكيا اما شفقة عليهم واما خوفا من حلول مثلها به كان قاسي
القلب قليل الخشوع فلا يامن اذا كان هكذا ان يصيبه ما اصابهم انتهى وما اصاب
في قوله اما شفقة عليهم لقوله تعالى ولا تحزن عليهم وقوله عز وجل فلا تاس على
القوم الفاسقين قال التوربشتي وفي الحديث انهم نهاهم ان يشربوا اما ماوه كانوا
قد خمروا به عجينهم فامرهم ان يلقوها ويابهم ولم يرخص لهم في الاكل منها وفي شرح
السنة فيه دليل على ان منازل هولاء لا تتخذ مسكنا ووطنا لانه صلى الله عليه وسلم
قد نهى عن دخولها الا مع البكا فالمواطن يكون دهره باكيا قلت ويلايمه ظاهر قوله
تعالى تعريضا وتوبيخا وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا
بهم وفيه تنبيه نبيه على ان الاماكن لها تاثير من عند الله بالنسبة الى سكانها
محنة ومنحة كما في الازمنة من موسم الطاعات وساعات الاجابة ومنه ماروي ان لله في ايام
نفحات الا فتعرضوا لها وقد تقدم ان احب البلاد الى الله المساجد وابغضها اليه
الاسواق ونظير ذلك تاثير صحبة الاخيار والاشرار على ما ورد به الاخبار واثار الابرار
متفق عليه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت
له مظلمة بكسر اللام ويفتح اسم ما اخذه الظالم او تعرض له لاخيه اي في الدين من عرضه
بيان للمظلمة وهو بكسر العين جانبه الذي يصونه من نفسه ونسبه وحسبه ويتحامى
ان ينتقص او شيء من امر اخر كاخذ ماله او المنع من الانتفاع به وهو تعميم بعد تخصيص
فليتحلله اي فليطلب الظالم حل ما ذكر منه اي من المظلوم في النهاية يقال تحللته
واستحللته اذا سالته ان يجعلك في حل اليوم اي في ايام الدنيا المقابلة بقوله
قبل ان لا يكون اي لا يوجد دينار ولا درهم وهو تعبير عن يوم القيامة وفي
التعبير به تنبيه على انه يجب عليه ان يتحلل منه ولو ببذل الدينار والدرهم في
بذل مظلمته لان اخذ الدينار والدرهم اليوم على التحلل اهون من اخذ الحسنات
او وضع السيئات على تقدير عدم التحلل كما اشار اليه بقوله ان كان له عمل صالح اي بان

يكون

يكون موصوفا بانه غير معفو من مظلومه اخذه بصيغة المجهول اي عمله الصالح منه اي
من صاحبه الظالم على غيره بقدر مظلمته ومعرفة مقدار الطاعة والمعصية وكمية
وكيفية مفوض علمها الى الله سبحانه وتعالى هذا وقال الطيبي قوله ان كان
استئناف كانه لما قيل فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم يوخذ
منه بدل مظلمته توجه لسايل ان يسال فيما يوخذ منه بدل مظلمته بعد ان
كان الى اخره انتهى وان لم يكن اي لم يبق له حسنات اي باقية او مطلقا اخذ من
سيئات صاحبه اي المظلوم فحمل عليه بصيغة المجهول مخففا اي فوضع على الظالم قال
ابن الملك يحتمل ان يكون الماخوذ نفس الاعمال بان تتجسم فتصير كالجواهر وان
يكون ما عدلها من النعم والنقم اطلاقا للسبب على المسبب ولا ينافي قوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى لان الظالم في الحقيقة مجزي باثم وزره وانما
اخذ من سيئات المظلوم تخفيفا له وتحقيقا للعدل رواه البخاري وعنه
اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون اي تعلمون
ما المفلس كذا في صحيح مسلم وجامع الترمذي وكتاب الحميدي وجامع الاصول وشرح
السنة فمعنى هذا السوال عن وصف المفلس لا عن حقيقته ومن ثم اجاب
صلى الله عليه وسلم في وصفه بقوله شتم وكل وقذف وفي مشارق الانوار
وبعض نسخ المصابيح من المفلس وهذا السوال ارشاد لا استعلام ولذلك
قالوا المفلس كذا وكذا قالت الظاهر يعني له ان المراد بقوله ما المفلس من
المفلس بدليل ما بعده في جواب الصحابة في كلامه صلى الله عليه وسلم ايضا
من التفسير بمن قالوا اي بعض الصحابة المفلس فينا اي فيما بيننا من لا درهم
اي من لا نقد له اي ملكا ولا متاع اي مما يحصل به النقد ويتمتع به من الاقمشة
والعقار والجواهر والمواشي والعبيد وامثال ذلك والحاصل انهم اجابوا بما
عندهم من العلم بحسب عرف اهل الدنيا كما يدل عليه قولهم فينا وغفلوا
عن امر الاخرة وكان حقهم ان يقولوا الله ورسوله اعلم لان المعنى الذي
ذكروه كان واضحا عنده صلى الله عليه وسلم فلما اجابوا بما اجابوه قال ان المفلس
اي الحقيقي والمفلس في الاخرة من امتي اي امة الاجابة ولو كان غنيا في الدنيا
بالدرهم والمتاع من ياتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة اي مقبولات
والباء للتعدية اي مصحوبا بها ويأتي اي يحضر ايضا حال كونه قد شتم هذا
اي وقع له لاحد وقذف هذا اي بالزنا ونحوه واكل مال هذا اي بالباطل وسفك
اي اراق دم هذا اي بغير حق وضرب هذا اي من غير استحقاق او زيادة على
ما يستحقه والمعنى جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات ولا يبعد ان يكون
الواو بمعنى او ولكن لفظ المفلس يلايم كثرة المعاصي الموجبة لافلاسه والله
اعلم فيعطى بصيغة المفعول هذا اي المظلوم من حسناته فان فنيت حسناته
قبل ان يقضى بصيغة المفعول اي يودي ما عليه من الحقوق اخذ من خطاياهم
اي من سيئات اصحاب الحقوق فطرحت عليه اي وضعت على الظالم ثم طرح
اي القي ورمي في النار وفيه اشعار بانه لا عفو ولا شفاعة في حقوق العباد

الا ان شاء الله ان يرضي خصمه بما اراد قال النووي يعني حقيقة المفلس هذا الذي
ذكرت واما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس
هو حقيقة المفلس لان هذا امر يزول وينقطع بموته وربما انقطع بيسار
يحصل له بعد ذلك في حياته بخلاف ذلك المفلس فانه يهلك الهلاك التام
قال المازري زعم بعض المبتدعة ان هذا الحديث معارض لقوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر اخرى وهو باطل وجهالة بينة لانه انما عوقب بفعله ووزره
فتوجهت عليه حقوق لغرمايه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت
حسناته اخذ من سياته خصومه فوضعت عليه فحقيقة العقوبة
مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه قلت وهذا من ضرورة قضية
العدل الثابت له تعالى بالنقل والعقل فان الظالم اذا اكثر من الحسنات وثقلت
موازينه منها وغلبت على سياته فان ادخل الجنة يبقى حق المظلوم ضايعا
وان ادخل النار ينافي قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
وسياتي ان حقوق العباد مما لا يتركها الله تعالى فلا بد من احد الامرين اما اخذ
الحسنات واما وضع السيئات حتى يتحقق خفة ميزان عمله فيدخل النار
فيعذب بقدر استحقاقه ثم يخرج ويدخل الجنة بسبب الحسنات الباقية
ان كانت هناك والا ببركة الايمان فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا وهذا
من البراهين الواضحة المؤيدة بالشواهد والادلة اللايحة رواه مسلم وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن بفتح الدال المشددة
وفي بعض النسخ بضمها فقوله الحقوق بالرفع على الاول وبالنصب على الثاني الى اهلها
يوم القيامة وجزم شارح وقال هو بفتح الدال على بنا المجهول والحقوق اقيم مقام
فاعلها وقال ابن الملك اللام فيه جواب قسم مقدر والدال فيه مضمومة والفعل
مسند الى الجماعة الذين خوطبوا به والحقوق مفعوله وقيل الدال فيه مفتوحة
على بنا المجهول والحقوق نايب الفاعل لكن هذا غير مستقيم لانه لو كان كذلك
لظهر اليا وقال لتؤدين انتهى واراد انه حسب صيغة الواحدة فيكون حكمه حكم
اخشين واغزون وارمين برد اللامات وفتحها على طبق التثنية كما تقول اخشيا
وارميا واغزوا وعلى ما حقق في محله قال التوربشتي هو على بنا المجهول والحقوق
مرفوع هذه هي الرواية المعتد بها وزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوق
والفعل مسند الى الجماعة الذين خوطبوا به والصحيح ما قدمناه انتهى والظاهر
انه اراد صحة الرواية والا فقد تقدم صحة الدراية باعتبار الصيغة التصريفية ويويده
كلام الشيخ ضبط الكلمة بفتح الدال في اصل السيد وساير الاصول المعتمدة والنسخ
المصححة ولعل وجهه انه عومل معاملة الفعل الصحيح حيث يقال في المفرد المجهول
لتضربن بفتح الموحدة وقد غفل الطيبي عن هذا المبنى وذهب الى رعاية المعنى
حيث قال اذا كان دلالة الرواية فلا مقال وان كان بحسب الدراية فان باب
التغليب واسع فيكون قد غلب العقلا على غيرهم وجعل قوله حتى يقاد للشاة الجلحا من
الشاة القرنا غاية بحسب التغليب انتهى والمعنى يكثركم كما في قوله تعالى جعل لكم من

انفسكم

مطلب

انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه فالضمير في يذرؤكم راجع الى الاناسي والانعام
على التغليب والمعنى يكثركم من الذرو وهو البث وقوله فيه اي في هذا التدبير وهو جعل
الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ذكره البيضاوي
وجعل في بديع طريقة المعنوية وشبه التدبير بالمنبع وفي الاتقان ان في بمعنى
البا اي بسببه وهو ظاهر جدا وهذا اريد بالجلحا والقرنا الشاتان المعروفتان
واما اذا اريد بالجلحا الفقير والمظلوم وبالقرنا الغني والظالم على ما قيل فلا يحتاج الى ارتكاب
التغليب والامر قريب ثم الجلحا بجيم ولام ممدودة وحا مهملة قال النووي الجلحا بالمد هي الجما التي
لا قرن لها والقرنا ضدها وهذا تصريح بحشر البهايم يوم القيامة واعادتها كما يعاد اهل
التكليف من الادميين والاطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلايل
القران والسنة قال تعالى واذا الوحوش حشرت واذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع
من اجرايه على ظاهره شرع ولا عقل وجب حمله على ظاهره قالوا وليس من شرط
الحشر والاعادة في القيامة المجازات والعقاب والثواب واما القصاص من
القرنا للجلحا فليس هو من قصاص التكليف بل هو قصاص مقابلة وفي كونه قصاص
مقابلة نظر لا يخفى مع ان قصاص المقابلة نحن مكلفون به ايضا قال ابن الملك
اي لو نطحت شاة قرنا شاة جلحا في الدنيا فاذا كان يوم القيامة يوخذ القرن من
القرنا ويعطى الجلحا حتى تقتص لنفسها من الشاة القرنا فان قيل الشاة غير مكلفة
فكيف تقتص منها قلنا ان الله تعالى فعال لما يريد ولا يسال عما يفعل والغرض منه اعلام
العباد بان الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم انتهى وهو وجه حسن
وتوجيه مستحسن الا ان التعبير عن الحكمة بالغرض وقع في غير موضعه وجملة الامر
ان القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين فانه اذا كان هذا
حال الحيوانات الخارجية فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي
والضعيف رواه مسلم وفي الجامع بزيادة تنطحها رواه احمد ومسلم والبخاري
في الادب والترمذي وذكر حديث جابر اتقوا الظلم بتمامه فان الظلم ظلمات يوم القيامة
واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم
في باب الانفاق من كتاب الزكاة وهذا من المولف ان كان عن تكرير اسقطه فهو
اعتذار حسن واما ان كان من باب تحويل الحديث الى باب انسب منه فهو اعتراض
لكن في غير المحل فتامل

الفصل الثاني

عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة بكسر الهمزة وتشديد الميم والها للمبالغة وهمزة
اصلية ولا يستعمل ذلك في النسا فلا يقال امراة امعة كذا في النهاية وقال صاحب
الفايق هو الذي يتابع كل ناعق ويقول لكل احد انا معك لانه لا راي له يرجع اليه
ووزنه فعلة كريمة ولا يحوز الحكم عليه بزيادة الهمزة لانه ليست في الصفات افعلة
وهي في الاسما ايضا قليلة ومعناه المقلد الذي يجعل دينه تابعا لدين غيره بلا روية
ولا تخص برهان انتهى كلامه وفيه اشعار بالنهي عن التقاليد المجردة حتى في الاخلاق
عن الاعتقادات والعبادات ثم الاظهر ان الكلمة غير موضوعة لصفة او اسم بل
موضوعة مركبة من الكلمتين المعبر عنها بانا معك ونظيرها البسملة والحيعلة

ونحوهما وفي القاموس الامعة كهلع وهلعة ويفتحان الرجل يتابع كل احد على رايه لا يثبت
على شي او متبع الناس الى الطعام من غير ان يدعى والمعقب للناس دينه والمتردد
في غير صنعة ومن يقول انا مع الناس ولا يقال امراة امعة اذ قد يقال وتامع واستامع
صار امعة وقال شارح الامع والامعة عند اهل اللغة الرجل الذي يكون يضعف
مع كل احد والمراد هنا من يكون مع يوافق هواه ويلايم ارب نفسه ومايتمناه
وقيل المراد هنا الذي يقول انا الكون مع الناس كما يكونون معي ان خيرا فخير وان
شرا فشر قلت هذا المعنى هو المنفي كما يدل عليه قوله يقولون الظاهر ان
الامعة يستوي فيه المفرد وغيره او المعنى الموصوف بهذا الوصف يقولون
ان احسن الناس اي الينا او الى غيرنا احسنا اي جزاء او تبعا لهم وان ظلموا اي
ظلمونا او ظلموا غيرنا فكذلك نحن ظلمنا على وفق اعمالهم قال الطيبي قوله يقولون
الى اخره بيان وتفسير للامعة لان معنى قوله ان احسن الناس وان ظلموا
انا مقلد الناس في احسانهم وظلمهم ونقتفي اثرهم ولكن وطنوا انفسكم امر من
التوطين وهو العزم والجزم عن العقل اي عزموا انفسكم على ان احسن الناس
ان تحسنوا اي فعليكم ان تحسنوا وان اساوا فلا تظلموا قال في اساس البلاغة
اوطن الارض ووطنها واستوطنها ومن المجاز وطنت نفسي على كذا فتوطنت قال
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه • على نايبات الدهر حين تنوب
ومعنى الحديث اوجبوا على انفسكم الاحسان بان تجعلوها وطنا للاحسان قال
الطيبي فعلى هذا ان تحسنوا متعلق بقوله وطنوا وجواب الشرط محذوف
يدل عليه ان تحسنوا والتقدير وطنوا انفسكم على الاحسان ان احسن الناس
فاحسنوا وان اساوا فلا تظلموا لان عدم الظلم احسان رواه الترمذي وعن
معاوية اي ابن ابي سفيان صحابيا مشهورا انه كتب الى عايشة اي ام المومنين
ان اكتبي ان مصدرية او مفسرة لما في الكتابة معنى القول الي اي مرسلا او موصولا
حال او متعلق بقوله كتابا توصيني فيه اي في ذلك الكتاب من كل باب ولا تكثري
اي بالاطناب بل اوجزي بكلام جامع يكون فصل الخطاب لانها اهل بيت من
اوتي جوامع الكلم او بدايع الكلم فكتبت سلام عليك واقتصرت على تحية السلام
خوف السامة اما بعد اي بعد السلام او بعد ما سبق من الكلام فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الله بسخط الناس
اي من طلب رضاه في شي يسخط الناس عليه بسببه كفاه الله مونة الناس
اي مونة شرهم من الظلم عليه والاسا اليه ومن التمس رضى الناس بسخط
الله وكله الله بتخفيف الكاف اي خلاه وتركه نصرة وفوضه الى الناس وهذه
وصية جامعة لجميع الناس قال المظهر يعني اذا ظهر اي عرض له امر في فعله رضى
الله وغضب الناس او عكسه فان فعل الاول رضي الله عنه ورفع شر الناس
وان فعل الثاني وكله الى الناس يعني سلط الناس حتى يوذوه ويظلموا عليه
ولم يرفع عنه شرهم وفي النهاية وكلت امري الى فلان اي الجاته اليه واعتمدت
فيه عليه السلام عليك فالاول بمنزلة سلام الملاقاة والثاني في مرتبة

المواعدة او كانها قالت السلام عليك اولا واخرا او في الدنيا والاخرة او في تكرار السلام اشارة
خفية الى تاكيد طلب السلامة وترك ما يودي الى السامة الفصل
الثالث عن ابن مسعود قال لما نزلت بالتانيث لكون ما بعده من فاعله اية
او التقدير لما نزلت اية الذين امنوا ولم يلبسوا بكسر الموحدة اي لم يخلطوا ايمانهم
بظلم تمامه اوليك لهم الامن اي في الاخرة وهم مهتدون اي في الدنيا شق ذلك اي
صعب ذلك الكلام او الحكم على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ظنا منهم ان
المراد بالظلم مطلق المعاصي كما يتبادر الى الفهم لاسيما من التنكير الذي يفيد العموم
وقالوا يا رسول الله اينا لم يظلم اي ظلما قاصرا او متعديا موان الثاني ايضا يرجع
الى ظلم النفس لقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسا تم فلها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك اي ليس معناه كما توهمتم انما هو اي الظلم الشرك
ففي التنكير اشارة الى ان المراد اي نوع من الكفر او اريد به التعظيم اي لظلم عظيم كما يدل
عليه قوله الم تسمعوا قول لقمان لابنه اي وهو موعظة يا بني بفتح اليا وكسرها لا تشرك
بالله اي لا تخلط الاشراك بالايمان بالله وساير ما يجب الايمان به ان الشرك لظلم
عظيم استيناف تعليل فانه يبطل الايمان ويستاصله ولا يجتمع معه اصلا فضلا
عن غيره من الاعمال قال تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله بخلاف ساير
المعاصي فانه لا ينافي الايمان على مذهب الحق الذي عليه السنة والجماعة خلافا
للخوارج والمعتزلة وساير المبتدعة فالصحابة رضي الله تعالى عنهم فهموا
خلط المعصية بالايمان لان الشرك لا يتوهم خلطه به فاجاب بان خلطه ممكن
بان يومن بالله ويشرك في عبادته غيره فيكون ايمانا لغويا لا شرعيا والا فالايمان
بالله انما يكون معتبرا اذا اشتمل على اثبات صفات الكمال وتنزيهه عن نعوت
النقص والا فيلزم ان يكون جميع الكفار مومنين بالله حقيقة قال تعالى ولين سالتهم من
خلقهم ليقولن الله ويقولون هولا شفعاونا عند الله ولكن الله تعالى لم يرض بالاشراك
الصوري ايضا كما ورد في الحديث القدسي انا اغنى الشركا عن الشرك واذا تاملت ظهر لك ان
لا يتصور وجود الشرك الحقيقي بالله سبحانه اذ لا يمكن تعدد واجب الوجود كما هو مقرر
ومحرر وانه ليس هو اي الامر او الظلم او الحكم كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه
اي الى اخره قال الطيبي فهو من معنى اللبس ان المراد من الظلم المعصية لا ان
لفظ اللبس يابى ان يراد به الشرك فالمعنى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم كذا
في الكشاف وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك معناه ليس كما تعتقدون
ان اللبس يقتضي الخلط ولا يتصور خلط الشرك بالايمان بل هو واقع لمن يومن
بالله ويشرك في عبادته غيره واليه الاشارة بقوله تعالى وما يومن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون قال الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وقيل النفاق
لبس الايمان الظاهر بالكفر الباطن وفي الاية شاهد على ان المراد بالظلم فيها الشرك
ومن اراد زيادة اطلاع عليه فلينظر في فتوح الغيب متفق عليه وعن ابي
امامة اي الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شر الناس وفي الجامع
زيادة ان الثالثة منزلة اي عند الله كما في نسخة يوم القيامة قيده لظهوره

الامر فيه عيد اذهب اخرته اي ضيعها بدنيا غيره رواه ابن ماجة وكذا الطبراني وعن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين اي صحايف الاعمال ثلاثة
اي ثلاثة انواع من الدواوين وفي المغرب الديوان الجريدة من دون الكتب اذا جمع الانه
قطع من القراطيس مجموعة ديوان لا يغفره الله اي لا يغفر ولا يعفو عنه البتة الاشراك
بالله والمراد منه الكفر بانواعه بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء اي بلا توبة او لا يغفر الاشراك به يوم القيامة وديوان لا يتركه الله
اي بلا محاسبة ولا مطالبة لا محالة ظلم العباد فيما بينهم حتى يقتص متعلق بلا يتركه
وفي نسخة صحيحة حتى يقتص بعضهم من بعض او يتفضل الله على بعضهم بارضا
خصومهم فانه بمنزلة الاقتصاص قايم مقام الدية في الدنيا وديوان لا يعبا الله
بفتح الموحدة وضم الهمزة اي لا يبالي به ولا يعتني له وزنا من العبد وهو النقل ظلم العباد
فيما بينهم وبين وهذا يتعلق به حق الله ايضا لانه لا يوجد حق عبد الا ويتعلق به
حق الله ايضا فحقوق العباد مركبة من الجهتين والجهة المتعلقة بالعبد
مقدمة على الاخرى لفقر العبد واستغنايه سبحانه فذاك بالالف دون اللام في
الاصول المعتبرة والمراد به الاشارة الى القريب من حق العبد الى الله اي مفوض
الى مشيته ان شاء عذبه اي بقدر ذنبه او باقل منه وان شاء تجاوز عنه اي عفره
مجانا او تفضلا هذا ايضا مما يرد فيه من الاشكال حيث ظاهر الحديث من
التقسيم قد ينافيه اية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك قال الطيبي
وانما قال في القرينة الاولى يغفر ليدل على ان الشرك لا يغفر اصلا وفي الثانية لا يترك
ليؤذن بان حق الغير لا يهمل قطعا اما بان يقتص عن خصمه او يرضيه الله تعالى
وفي الثالثة لا يعبا بان حق الله تعالى على المساهلة فيترك حقه كرما ولطفا وعن
علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم
اي ولو ذميا فانما يسال الله حقه اي سوال محاسبة ومطالبة وان الله لا يمنع ذا
حق حقه اي بل يعطي كل ذي حق حقه فان قوله حق ووعده صدق وفعله
عدل ثم بعده فصل وعن اوس بن شرحبيل بضم معجمة وفتح راء وسكون مهملة وكسر موحدة
وترك صرف كذا في المغني ولم يذكره المولف انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من مشى مع ظالم ليقويه وفي الجامع ليعينه وهو يعلم انه ظالم اي فيه فقد خرج
من الاسلام اي من كمال الايمان او من حقيقة الاسلام المقتضي ان يسلم المسلمون
من لسانه ويده وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه
وهذا الكلام حق لقوله تعالى وكانوا انفسهم يظلمون وقوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وكان ابا هريرة فهم انه اراد بهذا انه لا يسري اثر ظلمه
الا الى نفسه مما يدل عليه الحصر فقال بلى اي بلى قد يضر غيره ايضا وليس
يحصل اثر ضرره على نفسه والله حتى اي يتعدى الى غيره من الانسان والحيوان
المستانس وغيره حتى الحبارى بضم الحاء طير مشهور لتموت في وكرها اي
بيتها وعشها هزلا بضم هاء وسكون زاي نقيض السمن لظلم الظالم اي لاجل
ظلمه ولكن الله يعفو عن كثير ويمهل عن بعضهم ولا يهمل حق المظلوم واليه

لمن يشاء

مط

ومعه ... وصل

الاشارة بقوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها عليها من دابة الاية وفي النهاية
يعني ان الله تعالى يحبس القطر عن الحبارى لشوم ذنوب الظالم وانما خصها بالذكر لانها
ابعد الطير نجعة اي طلبا للكلا الناشي من الغيث فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها
الحبة الخضراء وبين البصرة ومنتهاه مسيرة ايام قال الطيبي قوله بلى ايجاب
لما نفي قبله وهنا وقعت جوابا للمثبت فالوجه ان يقال ان مفهوم قوله لا يضر
الا نفسه ولا يضر غيره فقال بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى روى البيهقي الاحاديث
الاربعة في شعب الايمان اما الحديث الاخر فهو موقوف على ابي هريرة واما
الاول فقد رواه احمد والحاكم في مستدركه ايضا على ما في الجامع ولفظه الدواوين
ثلاثة فديوان لا يغفر الله منه شيا وديوان لا يعبا الله به شيا فظلم العبد
نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه او صلاة تركها فان الله يغفر ذلك
ان شاء ويتجاوز واما الديوان الذي لا يترك الله منه شيا فظلم العباد
بينهم القصاص لا محالة واما الحديث الثاني فقد اخرجه سموية عن انس اياك ودعوة المظلوم
وان كانت من كافر فانه ليس لها حجاب دون الله عز وجل رواه احمد وابو يعلى في مسنديهما
والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كافرا فانه ليس لها دونه حجاب رواه الحاكم
عن ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة رواه
الطبراني والضياء عن خزيمة بن ثابت ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانما تحمل على
الغمام ثم يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين واما الثالث فقد
اخرجه الطبراني والضياء عن اوس بن شرحبيل ايضا باب الامر بالمعروف
في النهاية المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان
الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو
من الصفات الغالبة اي امر معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه والمعروف النصفة
وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه انتهى وكان حق
المولف ان يقول والنهي عن المنكر ولعله تركه لان الامر بالمعروف يعم النهي عن المنكر
او من باب الاكتفاء بذكر احد الضدين عن الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
اي والبرد والله اعلم الفصل الاول عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من راى اي علم منكم منكرا اي لنفي غيره من المومنين والخطاب
للصحابة اصالة ولغيرهم من الامة تبعا في الاتيان بمن التبعيضية اشعارا بانه من
فروض الكفاية والايماء الى انه ما يباشره الا من يعرف مراتب الاحسان وتفاوت
المنكرات ويميز بين المتفق عليه والمختلف فيه منها وهذا المعنى مقتبس من قوله
تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون وخلاصة الكلام من ابصر ما انكره الشرع فليغيره بيده اي بان يمنعه
بالفعل بان يكسر الالات ويريق الخمر ويرد المغصوب الى مالكه فان لم يستطع
اي التغيير باليد وازالته بالفعل لكون فاعله اقوى منه فبلسانه اي فليغيره
بالقول وتلاوة ما انزل الله من الوعيد وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة فان لم يستطع
اي التغيير باللسان ايضا فبقلبه بان لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون

تغيير امنوا اذ ليس فيه وسعة الا هذا القدر من التغيير وقيل التقدير فليكرهه بقلبه
لان التغيير لا يتصور بالقلب فيكون التركيب من باب علفتها تبنا وماء باردا ومنه
قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان وذلك اي الانكار بالقلب وهو الكراهية
اضعف الايمان اي شعبه او خصال اهله والمعنى انه اقلها ثمرة فمن غير المراتب
مع القدرة كان عاصيا ومن تركها بلا قدرة او ترى المفسدة اكثر ويكون منكرا
بقلبه فهو من المؤمنين وقيل معناه وذلك اضعف زمن الايمان اذ لو كان
ايمان اهل زمانه قويا لقدروا على الانكار القولي او الفعلي ولما احتاج الى الاقتصار
على الانكار القلبي او وذلك الشخص المنكر بالقلب فقط اضعف اهل الايمان فانه
لو كان قويا صلبا في الدين لما اكتفى به ويؤيده الحديث المشهور افضل الجهاد
كلمة حق عند سلطان جائر وقد قال تعالى ولا يخافون لومة لائم هذا وقد
قال بعض علمائنا الامر الاول للامراء والثاني للعلماء والثالث لعامة المؤمنين
وقيل المعنى ان كان انكار المعصية بالقلب اضعف مراتب الايمان لانه اذا رأى
منكرا معلوما من الدين بالضرورة فلم ينكره ولم يكرهه ورضي به واستحسنه كان
كافرا ولعل الاطلاق الدال على العموم لافادة التهديد والوعيد الشديد قال
ابن الملك فان قلت هذا الحديث يدل على ان الايمان يزيد وينقص كما ذهب
اليه الشافعي فما تاويله عند الحنفية قلنا معناه اضعف ثمرات الايمان
والانكار بالقلب منها فان قلت لو كان كذا لزم ان لا يخرج من الايمان بانتفائه
وليس كذلك لما جاء في بعض الروايات وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل
قلت اراد به ان الثمرات القوية والضعيفة اذا انتفت كان الايمان كالمعدوم
انتهى وفيه انه خرج الحديث دليلا فالصواب ان يقال التقدير وليس
وراء ذلك من كمال الايمان او من الايمان الكامل حبة خردل لا يقال هذا ايضا
يدل على تحقق الكمال والنقصان بالنسبة الى الايمان فانا نقول الخلاف
انما هو في حقيقة الايمان وهو التصديق القلبي اهل هو قابل للزيادة
والنقصان ام لا بل المحققون من العلماء حققوا ايضا على ان النزاع لفظي فان
نفس الايمان وجوهره لا يتجزى وانما كماله ان ينضم اليه وجود الاعمال
الصالحة لان الله تعالى حيث مدح المؤمنين الكاملين عطف الاعمال
على الايمان وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات من المعلوم ان الاصل
في العطف التغاير واما كون الاعمال جزء للايمان حقيقة فانما هو مذهب
الخوارج والمعتزلة واما الايات والاحاديث الدالة على الزيادة والنقصان
فاما محمول على ما ذكرنا واما بالنظر الى تعدد المؤمن به وهذا البحث طويل الذيل
محله كتب العقايد ومباحث الكلام والله اعلم بحقيقة المرام ثم اعلم انه اذا كان المنكر
حراما وجب الزجر عنه واذا كان مكروها ندب والامر بالمعروف ايضا تبع لما
يؤمر به فان وجب فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض له في الحديث
لان النهي عن المنكر شامل له اذ النهي عن المنكر لشيء امر بضده وضد المنهي
اما واجب واما مندوب او مباح والكل معروف وشرطهما ان لا يؤدي الى

الفتنة كما علم من الحديث وان يظن قبوله فان ظن انه لا يقبل فيستحب لحسن اظهار
لشعار الاسلام ولفظ من بعمومه يشمل كل احد رجلا او امراة عدلا او فاسقا
او صبيا مميزا اذا كان وان كان يستقبح ذلك قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقال عز وجل لم تقولون ما لا تفعلون انشد وقيل

وغير تقي يامر الناس بالتقى • طبيب يداوي الناس وهو مريض

قال النووي في شرح مسلم قوله فليغيره بيده هو امر ايجاب وقد تطابق على وجوبه
الكتاب والسنة واجماع الامة وهي ايضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك
الا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم قال امام الحرمين ابو المعالي لا يكترث بخلافهم
ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة فمن وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب
فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه ادى ما عليه وما عليه ان يقبل منه وهو فرض
كفاية ومن تمكن منه وتركه بلا عذر اثم وقد يتعين كما اذا كان في موضع لا يعلم به الا
هو او لا يتمكن من ازالته الا هو وكمن يرى زوجته او ولده او غلامه على منكر قالوا
ولا يسقط عن المكلف لظنه انه لا يفيد بل يجب فعله فان الذكرى
تنفع المؤمنين وما على الرسول الا البلاغ المبين ولا يشترط في الامر والنهي ان يكون
كامل الحال ممتثلا ما يامر به مجتنبا ما ينهى عنه بل يجب عليه مطلقا لان الواجب
عليه شيئان يامر نفسه وينهاها ويامر غيره وينهاه فاذا اخل باحدهما كيف يباح
له الاخلال بالاخر قالوا ولا يختص ذلك باصحاب الولايات بل هو ثابت على احاد
المسلمين فان السلف الصالح كانوا يامرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر
مع تقرير المسلمين اياهم وترك توبيخهم على التشاغل به ثم انه انما يامر وينهى
من كان عالما بما يامر به وينهى عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء فان كان من
الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر
ونحوها فكل المسلمين عالم بها وان كان من دقائق الافعال والاقوال ومما
يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم انكاره بل ذلك للعلماء ثم العلماء
انما ينكرون ما اجمع عليه الائمة واما المختلف فيه فلا انكار فيه لان على احد المذهبين
كل مجتهد مصيب وينبغي للامر والناهي ان يرفق ليكون اقرب الى تحصيل المطلوب
فقد قال الامام الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه على
نية فقد فضحه وشانه قال القاضي عياض ان هذا الباب باب عظيم في الدين به قوام
الامر وملاكه فاذا [illegible] عم العقاب الصالح والطالح قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة رواه مسلم وكذا احمد والاربعة وعن النعمان بن بشير
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المدهن اي المداهن المساهل في حدود
الله اي بترك القيام باقامتها او بالنهي عن ارتكاب المعاصي فذكر الحدود للتغليب
الاقوى او لان حد كل معصية معروفة مقررة والواقع فيها اي ومثل الفاعل للمناهي
وفي التعبير بالواقع فيها اشارة الى انه بسبب المعصية كانه طارح من علو
منزلته هوى في بير عميق ومكان سحيق مثل قوم بالرفع اي كمثل جمع مجتمع
من الصالحين وغيرهم استهموا سفينة اي اقتسموا محالها ومنازلها بالقرعة

وهذا قيد اتفاقي وانما يتصور في جمع خاص ملكوها بالشركة والمساواة والاتفق يكون
الاقتسام بحسب امر صاحب السفينة على مقتضى الاجارة وغيرها وقال بعضهم فيه
ندب القرعة اذا تشاجروا على الجلوس في الاعلا والاسفل وذكر اذا نزلوا فيها جملة
اما اذا نزلوا متفرقين فمن سبق منهم الى مكان فهو احق به من غيره قلت وهذا لا يصح
الا اذا كانت السفينة موقوفة على الفقرا او على الحجاج والقراة بخلاف ما اذا كانت السفينة
~~موقوفة على الفقرا او على الحجاج والقراة~~ مملوكة لاحد او لجماعة على سبيل
الاشتراك فصار بعضهم في اسفلها اي من المنازل وصار بعضهم في اعلاها اي من
المجالس فكان الذي اي ولو كان واحدا في اسفلها اي البعض الذي مستقر في اسفلها
فافرد الموصول نظرا الى لفظ البعض وايما الى انه ولو كان واحدا اقل لامر كذلك
واشعار بان الطلحا في الامة كثيرون وان الصلحا قليلون مغلوبون مقهورون اوايما
الى ان الصالح وان كان واحدا فهو كثير كبير عالي بعلو الدين والفسقة وان كانوا
جماعة فهم في مرتبة القلة ومنزلة الذلة في مقام اسفل السافلين يمرون بالما
اي بسببه على الذين في اعلاها فتاذوا به اي فتاذى من باعلاها بمرورهم عليهم
وحاصله انه يجي من اسفلها الى اعلاها لياخذ الما ويذهب الى موضع خفي ذهابه وايابه
وامراره بالما عليهم تاذوا منه بحيث ظهر له او اظهروا له بالقول الغليظ او الفعل الشنيع
لاسيما اذا كان الما كناية عن البول والغايط وامراره لطرحه في البحر فانه حينئذ يوجد
التاذي اكثر ووجه المضايقة والمخالفة اظهر خصوصا اذا كان اهل السفل فقرا على
ما هو الغالب على مقتضى طباعهم ونازلهم في الحط على المنازل لهم ثم الاظهر انه صور
محل الاولين اعلى لخلوهم بانفسهم عن المعاصي وجعل مقابلهم اسفل لارتكابه
المنهي فاخذ فاسا بسكون الهمزة ويبدل الفا فجعل اي شرع ينقر بضم القاف اي يرق
ويخرق ويقطع اسفل السفينة اي حتى الواحها فاتوه اي فجاوه اهل العوالي فقالوا
مالك اي اي شي لك باعثا على ما ذكر قال تاذيتم بي ولابد من الما اي من استعماله او طرحه
فان اخذوا على يديه اي منعوه يقال اخذ فلان على يد فلان اذا منعته عما يريد ان يفعله
كانك امسكت يده كذا في النهاية انجوه اي اخلصوه ونجوا بالتشديد اي وخلصوا
انفسهم ايضا فخلصوا من الهلاك جميعا وفي الجمع بين اللفظين تفنن في العبارة وان
تركوه اي على فعله اهلكوه واهلكوا انفسهم والمعنى انه كذلك ان منع الناس
الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى وان تركوه على فعل المعصية
ولم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب وهلكوا بشومه وهذا معنى قوله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم
والفرق بين المداهنة والمداراة المامورة ان المداهنة في الشريعة ان يرى منكرا
ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظا لجانب مرتكبه او جانب غيره لخوف او طمع
او لاستحيا منه او قلة مبالاة في الدين والمداراة موافقته بترك حظ نفسه
وحق يتعلق بماله وعرضه فيسكت عنه دفعا للشر ووقوع الضرر ومنه قول الشاعر
فدارهم ما دمت في دارهم • وحاصل تحمل الاذى من الخلق
رضا بما قضى له الحق ومجمله ان المداهنة انما تكون في الباطل مع الاعدا والمداراة

في امر

ومع ... عز وجل

في امر حق مع الاخيار قال الاشرف شبه النبي صلى الله عليه وسلم المداهن في حدود
الله بالذي في اعلا السفينة وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في اسفلها وشبه
انهماكم في تلك الحدود وعدم تركهم اياها بنقرة اسفل السفينة وعبر عن نهي
الناهي الواقع في تلك الحدود بالاخذ على يديه ويمنعه اياه عن النقر وعبر عن
فايدة ذلك المنع بنجاة الناهي والمنهي وعبر عن عدم نهي النهاة بالترك وعبر
عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله باهلاكهم اياه
وانفسهم وكان السفينة عبارة عن الاسلام المحيط بالفريقين وانما جمع فرقة
النهاة ارشادا الى ان المسلمين لابد وان يتعاونوا على امثال هذا النهي او الى من يصدر
عنه هذا النهي فهو كالجمع قال تعالى ان ابراهيم كان امة وافرد الواقع في حدود الله
لادايه الى ضد الكمال رواه البخاري وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا اي يوتى بالرجل اي المقصر في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر يوم القيامة فيلقى اي فيطرح في النار فتندلق اي تخرج سريعا اقتابه اي امعاوه في النار
فليطحن بصيغة الفاعل على الصحيح اي يدور فيها اي في اقتابه واقصابه كطحن
الحمار برحاه اي كدورانه حول رحاه قال الطيبي قوله فيطحن فيها هو على بنا الفاعل
والضمير للرجل وفي فيها للامعا وفي بعض نسخ المصابيح هو على بنا المفعول وهو
خطا لما ورد في رواية اخرى فيدور كما يدور الحمار برحاه قال المظهر اي يدور
ويتردد في اقتابه يعني يدور حول اقتابه ويضربها برجله ويمكن ان يكون
المعنى فيدور في النار وما حولها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه
من الفسقة فيقولون اي فلان كناية عن اسمه ووصفه بالعلم والمشيخة
ما شانك اي حالك الغريب وما لك العجيب اليس كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن
المنكر قال كنت امركم بصيغة المتكلم بالمعروف ولا اتيه اي لا افعله وانهاكم عن المنكر
واتيه متفق عليه **الفصل الثاني** عن حذيفة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليوشكن اي ليسرعن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه اي تسالنه ولا يستجاب لكم والمعنى والله ان احد الامرين كاين اما
الامر والنهي منكم واما انزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعا له في دفعه
عنه رواه الترمذي ورواه البزار والطبراني في الاوسط عن ابي هريرة ولفظه
لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو
خياركم فلا يستجاب لهم وعن العرس بضم العين المهملة وسكون الرا والسين مهملة
ابن عميرة بفتح وكسر ميم وبرا ولا يعرف في الرجال عميرة بالضم بل كله بالفتح كذا في المغني
وقال المولف في فصل الصحابة هو كندي روى عنه عدي بن عدي بن اخيه وغيره
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة بصيغة المجهول اي اذا فعلت
السيئة في الارض اي على وجه الارض جميعا من شهدها جواب الشرط والفا محذوفة
كما في قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون ذكره الطيبي وانما حسن حذف
الفا فيه لان الشرط بلفظ الماضي ذكره القاضي والمعنى من حضرها فكرهها

اي فنكرها ولو بقلبه كان كمن غاب عنها اي ولم يعلم بها ومن غاب عنها اي ولم ينكرها رواه
ابو داود وفي لفظ الجامع مسند اليه اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها
فكرهها كمن غاب عنها الحديث وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال ايها الناس
انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
اي الزموا حفظ انفسكم عن المعاصي فاذا حفظتم انفسكم لم يضركم اذا عجزتم عن
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضلال من ضل بارتكاب المناهي اذا اهتديتم
الى اجتنابها فاني قال الطيبي الفا فصيحة يدل على محذوف كانه قال انكم تقرؤون
هذه الاية وتجرون على عمومها وتمتنعون عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وليس كذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا منكرا فلم يغيروه اي مع القدرة على انكاره يوشك ان يعمهم الله بعقابه قال
الطيبي انما قلت ليس كذلك لان الاية نزلت في اقوام امروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر فابوا القبول كل الابا فذهبت انفس المؤمنين حسرة عليهم فقيل لهم عليكم
انفسكم وما لطفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن
دينكم اذا كنتم مهتدين ويشهد لذلك ما قبل هذه الاية واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول وهذا تخصيص بحسب الاشخاص واما بحسب
الزمان فيدل عليه الحديث الاتي لابي ثعلبة فان العام قد يخص مرة اخرى
انتهى ولا يخفى انه غير صحيح المبنى وصريح المعنى من وجهين اولا فقوله نزلت
الاية في قوم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فابوا كل الابا فلا يعرف له اصل اصلا
ولا يتصور له ابدا لان من المعلوم انه لا يامر بالمعروف الا المؤمنون ولا يمكن انهم
يابوا كل الابا ولم يثبت ان قوما ارتدوا بسبب هذا الامر حتى يصح قوله فذهبت
انفس المؤمنين حسرة عليهم الى اخره واما ثانيا فقوله ويشهد لذلك ما قبل هذه
الاية لا تعلق له بباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقا بالمطلوب منهم ان يؤمنوا
بما انزل الله والى الرسول ويتركوا تقليد ابائهم في ضلالتهم واباهم قاصر واعلى
بطلانهم وقالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا فقال تعالى اولو كان اباؤهم لا يعلمون
شيا ولا يهتدون ثم ورد ما يناسب بين اقتران الايتين على ما اخرجه ابن
ابي حاتم انه انما انزلت هذه الاية لان الرجل كان يسلم ويكفر ابوه ويسلم الرجل
ويكفر اخوه فلما دخل قلوبهم حلاوة الايمان دعوا اباءهم واخوانهم فقالوا
حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الاية
وهذا معنى قول البيضاوي والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على
الكفرة ويتمنون ايمانهم وفي تفسير المعين الصفوي في هذه الاية رخصة في
ترك الحسبة اذا علم عدم قبولها او فيها مفسدة او اضرار له منها اتفقت كلمة
السلف على ذلك والاحاديث تدل عليه او معنى اذا اهتديتم اذا ائتمرتم
بالمعروف وامرتم به وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه كذا رواه ابن جرير عن
سعيد بن المسيب وروي عن غير واحد من السلف قال الا تفسد الا يحصل
الاياتان ما يجب عليه ومنه الامر بالمعروف او المراد المنع عن هلاك النفس اسفا

على ما عليه

على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال النووي
واما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا الاية فليست مخالفة لوجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لان المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الاية انكم اذا فعلتم ما كلفتم به
فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فاذا كان كذلك فمما
كلف به الامر بالمعروف اذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه ادى
ما عليه رواه ابن ماجة والترمذي وصححه وفي رواية ابي داود اذا راى الناس الظالم
اي الفاسق فلم ياخذوا على يديه اي لم يمنعوه عن ظلمه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
اي بنوع من العذاب فاذا شدة العجاب وفي اخرى له اي لابي داود ما من قوم يعمل
فيهم بصيغة المجهول والجار هو النايب او التقدير يعمل احد فيما بينهم بالمعاصي
ثم يقدرون على ان يغيروا ثم لا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وفي اخرى له
ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اكثر ممن يعمله هم صفة قوم اي اذا كان الذين لا يعملون
المعاصي اكثر من الذين يعملونها فلم يمنعوهم عنها عمهم العذاب قال الطيبي يزاد بعده
قوله ثم لا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وهم صفة قوم والا يوشك خبر
ما قلت هذه التقادير مستفادة مما قبله وانما اراد المص اختلاف الرواية في صدر
الحديث وقال البغوي في رواية لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن
الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم
قال ابو عبيد خاف الصديق ان يتاول الناس الاية غير تاويلها فيدعوهم الى ترك
الامر بالمعروف فاعلمهم انها ليست كذلك وان الذي اذن في الامساك عن تغييره من
المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من اجل انهم يتدينون به وقد صولحوا عليه
فاما الفسوق والعصيان والريب من اهل الاسلام فلا يدخل فيه وقال مجاهد
وسعيد بن جبير الاية في اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود قال في هذه
الاية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم
قال ان القران نزل منه اي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن
يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة
ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا وانهوا فاذا اختلفت القلوب
والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك
جاء تاويل هذه الاية انتهى وهو مطابق لما في حديث ابي ثعلبة الاتي وعن جرير
ابن عبد الله اي البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
رجل يكون في قوم يعمل بفتح الياء صفة ثانية لرجل او حال منه وسوغه
وصفه اي يفعل فيهم بالمعاصي اي بهذا الجنس من العمل يقدرون اي القوم
على ان يغيروا اي على الرجل باليد او اللسان فانه لا مانع من انكار الجنان
ولا يغيرون الا اصابهم الله منه اي من عنده تعالى بعقاب قبل ان يموتوا

قال الطيبي الضمير المجرور اما عايد على الرجل او على عدم التغيير ويكون من ابتدائية اي
بسبب شومه وان يعود الى الله تعالى اي عذابا من عنده وهذا ابلغ كقوله تعالى اني
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن رواه ابو داود وابن ماجة واخرج عبد الرزاق
وعبد حميد عن جرير البجلي ولفظه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم
يكون بين اظهرهم رجل يعمل بالمعاصي هم اصنع منه واعز ثم لا يغيرون عليه الا اوشك
ان يعمهم الله منه بعقاب قال الطيبي وهذا الحديث مخالف للحديث الذي في المصابيح
بحسب اللفظ وكان موضعه الفصل الثالث الا انه ذكره هنا تنبيها على ان المولف
ما وجد في الاصول كما في المصابيح قلت هذا التنبيه موجه نبيه متضمن الاعتراض
الفعلي واما كون موضعه الفصل الثالث فليس في موضعه وعن ابي ثعلبة
اي ابن جرهم بن ثابت الخشني بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان وارسله
الى قومه فاسلموا ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وخمسين في قوله
تعالى عليكم انفسكم قال البيضاوي اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور
جعل اسما لالزموا ولكن لكم نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم اي لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر
حسب طاقته على ما سبق من الحديث ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف
ولا يريده ان قرئ لا يضركم والجزم على الجواب اي للامر وعلى النهي لكنه ضمن
الرا اتباعا لضمة ايضا المنقولة اليها من الرا المدغمة ويويده قراة من قرا لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها اي مع سكون الرامن ضاره يضيره ويضوره
قال الطيبي يقول الراوي سيل ابو ثعلبة في شان قوله تعالى عليكم انفسكم فقال
اي ابو ثعلبة اما بتخفيف الميم للتنبيه والله لقد سالت عنها اي عن الاية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ايتمروا اي امتثلوا بالمعروف اي ومنه الامر به وتناهوا
اي انتهوا واجتنبوا عن المنكر ومنه الامتناع عن نهيه والايتمار بمعنى التامر كالاختصام
بمعنى التخاصم ويويده التناهي والمعنى ليامر بعضكم بعضا بالمعروف وينهى طايفة
منكم طايفة منكم عن المنكر وقال الطيبي قوله بل ايتمروا اضراب عن مقدر اي سالت عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت اما نترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء على
ظاهر الاية فقال صلى الله عليه وسلم لا تتركوا بل ايتمروا بالمعروف وانتهوا والمعنى كونوا قايمين
بهما على وجه كمالهما حتى اذا رايت ايها المخاطب خطابا عاما ونكتة الافراد افراد المستقيم
واجتماع العامة على العدول عن طريق القويم والمعنى اذا علمت الغالب على الناس شحا
مطاعا واذا عرفت شحا اي بخلا مطاعا بان اطاعته نفسك وطاوعه غيرك وهوى متبعا
بصيغة المفعول اي وهو النفس متبوعا وطريق الهدى مرفوعا وحاصله ان كلا يتبع هواه
وما تامره نفسه الامارة وتتمناه ودنيا بالقصر وفي نسخة بالتنوين وهي عبارة عن المال
والجاه في الدار الدنية موثرة اي مختارة على امور الدين ودرجات الاخرة واعجاب
كل ذي راي برايه اي من نظر الى الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس على قوي
الادلة وترك الاقتدا بنحو الايمة والاعجاب بكسر الهمزة وهو وجدان الشي حسنا ورويته
مستحسنا بحيث يصير صاحبه به معجبا وعن قبول كلام الغير مجتنبا وان كان قبيحا في

نفس الامر

نفس الامر ورايت امرا لا بد لك منه بضم الموحدة وتشديد المهملة في جميع النسخ المصححة
والاصول المعتمدة وقال الطيبي يحتمل ان يكون بالبا الموحدة بمعنى لا فراق لك منه والمعنى
رايت امرا يميل اليه هواك ونفسك من الصفات الذميمة حتى ان اقمت بين الناس
لا محالة ان تقع فيها فعليك نفسك واعتزل عن الناس حذرا من الوقوع وان يكون
بالتا المثناة كما في بعض نسخ المصابيح فان رايت امرا لا طاقة لك من دفعه فعليك
نفسك انتهى ونفسك منصوب وقيل مرفوع اي فالواجب او فيجب عليك حفظها
من المعاصي لكن يويد الاول وهو ان يكون للاغرا بمعنى الزم خاصة نفسك قوله
ودع امر العوام اي واترك امر عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص وحاصله
انه اذا رايت بعض الناس يعملون المعاصي ولا بد لك من السكوت لعجزك فاحفظ
نفسك عن المعاصي واترك الامر والنهي واشتغل بنفسك ودع امر الناس الى
الله فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فان وراءكم اي قدامكم من الزمان ايام الصبر
اي ايام لا طريق لكم فيها الا الصبر او ايام ما يحمد فيها الصبر وهو الحبس على خلاف
النفس من اختيار العزلة وترك الخلطة والجلوة فمن صبر فيهن اي في تلك الايام قبض
على الجمر يعني يلحقه المشقة بالصبر كمشقة الصابر على قبض الجمر بيده وقد اشار اليه الشاطبي
بقوله • وهذا زمان الصبر من لك بالتي • كقبض على جمر فتنجو من البلا
للعامل فيهن اي الكامل ولو لم يكن مكملا لغيره اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله اي
في غير زمانه قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم اي منا او منهم قيل فيه تاويلان احدهما
ان يكون اجر كل واحد منهم على تقدير انه غير مبتلى ولم يضاعف اجره ثانيهما ان يراد اجر خمسين
منهم اجمعين لم يبتلوا ببلائه قال اجر خمسين منكم رواه الترمذي وابن ماجة وقد صححه
الترمذي ورواه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذري وابن ابي حاتم
والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي عن ابي امية
الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الاية
قال اي اية قلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم قال اما والله لقد
سالت خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الى ان قال فان من
وراءكم ايام الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين
رجلا يعملون مثل عملكم وقد ذكر البغوي في تفسيره باسناده الى ابن المبارك
عن عتيبة ابن ابي حكيم كما في اصل المشكاة الى قوله مثل عمله ثم قال وزاد في غيره
قال يا رسول الله اجر خمسين منكم وعن ابي سعيد الخدري قال قام فينا اي فيما
بيننا او في حقنا او لاجلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا اي واعظا لقوله
بعد العصر فلم يدع اي لم يترك شيا اي مما يتعلق بامر الدين مما لا بد يكون اي يقع
ذلك الشي الى قيام الساعة اي ساعة القيامة الا ذكره اي عينه وبينه
حفظه من حفظه اي ممن وفقه الله وحفظه ونسيه من نسيه اي ممن انساه
الله وترك نصرته وكان فيما قال اي من خطبته وموعظته ان الدنيا وفي الجامع
اما بعد فان الدنيا حلوة بضم الواو اي لذيذة حسنة خضرة بفتح فكسر اي ناعمة طرية
وفي الجامع بتقديم خضرة وانما وصفها بالخضرة لان العرب تسمي الشي الناعم خضرا

اولشبهها بالخضراوات في خصوص كمالها وسرعة زوالها وفيه بيان انها غدارة مكارة
سحارة تفتن الناس بلونها وطعمها وتوضيحه ان الدنيا طيبة مالحة في عيون اربابها
وقلوب اصحابها لايشبعون من جمع المال ولا من سعة الجاه وكثرة الاقبال وطول
الامال وفيه ايذان بشدة انجذاب النفوس اليها لان كلا من هذين الوصفين يميل
اليه النفوس الناقصة فاذا اجتمعا كانت اليها اميل وعليها اقبل وان الله مستخلفكم
فيها اي جاعلكم خلفا في الدنيا ومعناه ان اموالكم ليست في الحقيقة لكم وانما هي
لله جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلا وجاعلكم خلفا فيمن كان قبلكم واعطى ماكان
في ايديهم اياكم فناظر كيف تعملون اي تعتبرون بحالهم وتتفكرون في مالهم وتتصرفون
في دنياكم وتراعون في دينكم لعقباكم وحاصله انه يتعلق به العلم التنجيزي على
طبق العلم الازلي التقديري الا للتنبيه فاتقوا الدنيا اي احذروا زيادتها على
قدر الحاجة المقيتة للدين النافعة في الاخرى واتقوا النسا اي مكرهن وغدرهن
وحبهن البالغ الباعث على جمع المال المانع عن تحصيل العلم والعمل من اسباب الكمال
وفي الجامع زيادة فان اول فتنة بني اسرايل كانت في النسا وذكر اي النبي صلى
الله عليه وسلم في جملة ما ذكر ان بفتح الهمزة وبكسر لكل غادر من الغدر وهو ترك الوفا
لوا بكسر اي علما اعلاما لسوء حاله وقبح ماله يوم القيامة اي يوم الفضيحة بقدر
غدرته مصدر بمعنى الغدر ولعل وجه الاتيان بصيغة المرة مجازي بقدره في
العقبى ولوكان كره في الدنيا ولاشك ان الغدر فيها له مراتب مختلفة فلهذا قال
ولا غدر اكبر من غدر امير العامة قال التوربشتي اراد به المتغلب الذي يستولي
على امور المسلمين وبلادهم بتامير العامة ومعاضدتهم من غير موامرة من الخاصة
واهل العقد من اولي العلم ومن ينضم اليهم من ذوي السابقة ووجوه الناس وقوله
يغرز لواءه عند استه من شان الامراء ان يكون لواءهم خلفهم ليعرفوا به فيوم القيامة
يكون لكل من دعا الى حق او باطل لواء ليعرف به وذكر عند استه استهانة وتنبيها
على انه يلصق به ويدني منه ولعلا يكون معه اشتباه انتهى فقوله يغرز بصيغة المجهول
اي ينصب لواءه عند استه تحقيرا له وهو بهمزة وصل مكسورة العجز او حلقة الدبر قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمنعن بالتذكير ويونث احدا منكم هيبة الناس اي
عظمتهم وشوكتهم ومخافتهم ومهابتهم ان يقول بحق اي من ان يتكلم به او يامر به
اذا علمه وفي النهاية يجعل العرب القول عبارة عن جميع الافعال ويطلقه على غير الكلام
فيقول قال بيده اي اخذ وقال برجله اي مشى وفي رواية اي بدلا من قوله اذ يقول
بحق ان راي مشكلا بان الشرطية ان يغيره مفعول لا يمنعن اي من تغير المنكر فبكى
ابوسعيد وقال قد رايناه اي المنكر فمنعتنا هيبة الناس ان نتكلم فيه اي عملا بما
في بعض الاحاديث من رخصة السكوت على المخافة على نفسه او عرضه او ماله عند
العجز وضعف زمن الايمان واما العزيمة فان لا يبالي بشي ما ذكر ولذا ورد افضل الجهاد
كلمة حق عند سلطان جاير على ما رواه ابن ماجة عن ابي سعيد وجماعة عن
ابي ماجة وغيره وفي قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات
الله اي يبيعها يبذلها في الجهاد او بامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل

طلب الرضا لا الفرض سواه فاذا كان اهل الصحابة في الصدر الاول عجزوا مع كمال قوتهم في
الدين واليقين والمعرفة ولم يقدروا على اظهار الحق لاهل البطلان كيزيد والحجاج وامثالهما
من الظلمة والفسقة فكيف بحالنا والحال انا بعد الالف ايام تقهقر الاسلام وتسلط السلاطين
على جميع الانام من غير تحققهم بشروط الامامة والخلافة وقلة العلما العاملين وكثرة
الفضلا الجاهلين والقضاة الظالمين والمشايخ المرايين فانا لله وانا اليه راجعون ممضنا
لاشك انه زمان الصبر المقرون بالشكر المنضم الى الرضا بالقضا المتفق فيه السكوت
وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت ثم قال اي النبي عليه السلام الا
للتنبيه اي بني ادم خصوا بالذكر لان الملايكة خلقوا للخير فقط والشياطين خلقوا
للشر فقط فالاولون مظاهر الجمال والاخرون مظاهر الجلال وبنوا ادم خلقوا على وجه الكمال
ولعل هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته اي على
صفة الكمال الجامعة لنعوت الجلال والجمال ولما خلق فيهم هذه القابلية الكاملية
قدروا على حمل الامانة الشاملة التي عرض على السموات والارض والجبال اي على اهلها من
العلويات والسفليات فابين ان يحملنها اي امتنعن لعدم استطاعتهن وحملها الانسان
معجون مركب من النعوت الملكية الموجبة لعناية الجمال الرباني والصفات الشيطانية
المقتضية لغضب الجلال الصمداني فان مال السالك الى الملك صار خيرا منه وان
مال الى الشيطان صار شرا منه وهم مع هذا الوصف الاجمالي والنعت الاكمالي كما قال
صلى الله عليه وسلم خلقوا اي جبلوا على ما خلق الله فيهم من اختيار الخير والشر
على طبقات شتى اي مراتب مختلفة باعتبار اختلاف احوال الايمان والكفر اوقا
فمنهم من يولد مومنا اي من ابوين المومنين او في بلاد المومنين فانه حين
يولد قبل التمييز لا ينسب اليه الايمان الا باعتبار ما علم الله فيه من الازل
او باعتبار ما يؤول امره اليه وفي الاستقبال ويحيى اي يعيش في جميع
عمره من حين تمييزه الى انتهاء عمره مومنا كاملا او ناقصا ويموت مومنا اي
كذلك جعلنا الله منهم ومنهم من يولد كافرا اي بخلاف ما سبق وهو لا ينافي
قوله فابواه يهودانه الحديث ويحيى كافرا ويموت كافرا نسال الله العافية
من خاتمة الهاوية ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مومنا فالعبرة
بالخواتم اللاحقة المطابقة للكتابة السابقة من السعادة الكاملة والشقاوة
الشاملة وكان التقسيم غالبي والا فمنهم من يولد مومنا ويحيى كافرا ويموت
مومنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى مومنا ويموت كافرا ولعل عدم ذكرهما
لان المقصود منه ان العبرة بالخاتمة وقد علمت مما ذكر اجمالا قال ابوسعيد
وذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم الغضب وهو فرد من انواع الاخلاق اشارة الى
انه ايضا كالايمان مجبولة محمولة في افراد الانسان وان الجميع على طبقات
شتى ويقاس عليه ساير الشمايل الرضية والاخلاق الدنية فمنهم اي من
بني ادم مع انهم كلهم من نسل نبي الله وصفيه ولكنه لما كان طينة معجونة
بوصف خلقه بيدي اقتضت هذه القضية المختلفة التي وقعت له اولا من
الصعود والهبوط والاجتبا اخرا ان يكون على طبقها طبقات اولاده من

ومعه ـــــــ لله عز وجل

الايمان والكفر على ما سبق ومن الاخلاق الناشية عنهما بقوله فمنهم من يكون سريع
الغضب اي بمقتضى الخلق النفساني سريع الفي اي الرجوع من الغضب فاحديهما
بالاخرى اي الخصلتين متقابلة بالاخرى ولا يستحق المدح والذم فاعلها لاستوا
الحالتين فيه فيقال في حقه انه خير الناس ولا شرهم ومنهم من يكون بطي الغضب
فعيل من الابطا مهموز وقد يبان بدغم وهو ضد السريع بطي الفي فاحديهما
بالاخرى كما سبق بيانه في الاولى وخياركم من يكون بطي الغضب سريع الفي
وشراركم من يكون سريع الغضب بطي الفي والتقسيم العقلي رباعي لا خامس
له وفيه اشارة الي ان الانسان خلق فيه جميع الاخلاق الرضية والدنية والدنية وان
كماله ان يغلب الصفات الحميدة على الذميمة لانها تكون معدومة فيه بالكلية واليه
الاشارة بقوله تعالى والكاظمين الغيظ حيث لم يقول والفاقدين اذ اصل الخلق لا
يتغير ولا يتبدل ولذا ورد ولو سمعتم ان جبلا زال عن مكانه فصدقوه وان
سمعتم ان رجلا تغير عن خلقه اي الاصلي فلا تصدقوه ومما يدل على جواز تبديل
الاخلاق في الجملة دعاوه صلى الله عليه وسلم اللهم اهدني لصالح الاعمال والاخلاق
لا يهدي لصالحها الا انت واصرف عني سيها لا يصرف عني سيها الا انت قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم وفي اعادة قاله اشارة الي انه لم يحفظ الحديث بكماله لطوله الا فاتقوا الغضب
اي ما يودي اليه السبب او بالتقوة عنه الي الرب فانه جمرة اي قطعة نار غريزة وجدت
جليلة مشتعلة كجمرة نار مكمونة في كانون النفس على قلب ابن ادم اي منغالبة
عليه عند غلبته بحيث لا تخلي القلب والعقل معها مجال تصرف وتفعل الاترون
اي الا تنظرون الي انتفاخ اوداجه اي عروق حلق الغضبان وحمرة عينيه كما يوجد
مثل هذا عند حرارة الطبيعة في اثر الحمى فان الظاهر عنوان الباطن وكل اناء يترشح
بما فيه فمن احس بشي من ذلك اي من ادرك ظهور اثره منه او من علم في باطنه شيا
منه فليضطجع اي تواضعا لله واظهارا للعجز عنه وليتلبد بالارض اي ليلتصق
وليلتزق بها حال اضطجاعه او يتمرغ عليه بالتمرغ في ترابها حتى يسكن غضبه وانما
امر به لما فيه من الضعة عن الاستعلا وتذكار ان من كان اصله من التراب لا يستحق
ان يتكبر ويتجبر على الاصحاب وان الانانية الناشية عن غلبة العنصر النارية
من صفة الشيطان وما يترتب عليها من الافساد وان الانسان خلق من تراب
يقتضي التواضع والتحمل وسائر ما يقتضي صلاح العباد والعباد قال اي ابو سعيد
وذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم الدين اي انواع قضايه فقال منكم من يكون حسن
القضا اي مستحسن الادا اذا كان عليه الدين واذا كان اي الدين له اي على
احد فحش في الطلب بان لم يراع الادب واذى في تقاضيه وعسر على صاحبه في الطلب
فاحديهما بالاخرى اي فالخصلتان متعارضتان متساقطتان ومنهم من يكون سيي
القضا وان كان له اي الدين اجمل اي سهل ويسر في الطلب اي في طلب دينه فاحديهما
بالاخرى اذ لا خير في اجتماعهما وخياركم من اذا كان عليه الدين احسن القضا
وان كان له اي الدين اجمل في الطلب وشراركم من اذا كان عليه الدين اساء القضا
وان كان له اي الدين افحش في الطلب في التقسيم عقلي رباعي حتى اذا كانت الشمس

قال الطيبي

قال الطيبي غاية قوله قام فينا خطيبا اي قام فلم يدع شيا الا ذكره حتى اذا كانت الشمس
اي وقفت على روس النخل واطراف الحيطان جمع حائط بمعنى الجدار ثم قوله اذا للمستقبل
وكانت ماض وفايدته استحضار الحال الماضية كقوله حتى يضربون في الارض فقال
اما للتنبيه انه اي الشان لم يبق من الدنيا فيما مضى منها اي في جملة ما مضى وتجيء
ما سبق منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه يعني نسبة ما بقي من ايام الدنيا
جملة ما مضى كنسبة ما بقي من يومكم هذا الي ما مضى منه وقوله الا كما بقي مستثنى
من فاعل لم يبق اي لم يبق شي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومكم هذا منه رواه
الترمذي وفي الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي سعيد لكن مع
نوع تغيير وزيادة يسيرة وعن ابي البختري بموحدة وسكون معجمة فمثناة
فوقية مفتوحة فرا فتحتية مشددة اسمه سعيد بن فيروز ذكره المولف في
التابعين وقال حديثه في روية الهلال عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وكلهم عدول فلا يضر جهالته ولا توهم ارساله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لن يهلك بفتح ثم كسر اي لن يفسد ولن يتلف الناس اي دينهم وكمالهم او مفاده
لن يعذبوا في الدنيا حتى يعذروا بضم اليا وكسر الذال وبفتح وفي نسخة بالفتح والكسر من
القسم قال القاضي قيل انه من اعذر فلان اذا كثر ذنبه فكانه سلب عذره بكثرة
اقتراف الذنوب او من اعذر غيره اذا جعله معذورا فكانه اعذر من يعاقبهم
بكثرة ذنوبهم او من اعذر اي صار ذا عذر والمعنى حتى يذنبون فيعذرون انفسهم
بنا ويلات الفية واعذار فاسدة من قبلها ويحسبون انهم يحسنون صنعا
قال الطيبي الوجه الثالث انسب بباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان
الناهي ينكر عليه ذنبه وهو يتبرا من الذنب ويعذر لنفسه ولا قدامه عليه وقال
ابن الملك هو من اعذر الرجل اذا صار ذا ذنب كثيرا اي حتى يكثر ذنوبهم وعيوبهم
فيستوجبوا العقوبة ويقيموا لمن عاقبهم العذر في ذلك ومن للتبيين اي
بكثرة ذنوب انفسهم لذنوب غيرهم ويروا نيا المجهول من اعذره اذا سلب عذره
اي حتى يجعلهم الله بحيث لا يقدرون على العذر بان يبعث اليهم الرسل حتى
يبينوا اليهم الرشاد من الضلال والحلال من الحرام والحق من الباطل ويروى
بفتح اليا اي حتى يعذروا انفسهم تاويلا زايغة واعذارا باطلة رواه ابو داود وكذا
الامام احمد في مسنده باسناد حسن وعن عدي بن عدي الكندي بكسر الكاف تابعي روى
عن ابيه وعن رجا بن حيوة وعنه عيسى بن عاصم وغيره ذكره المولف ولم يذكر
اباه قال حدثنا مولى لنا انه سمع جدي وهو عميرة الكندي الحضرمي
بفتح العين وكسر الميم سكن الكوفة ثم انتقل الي الجزيرة وسكنها ومات بها روى
عنه قيس بن ابي حازم وغيره يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله لا يعذب العامة اي الاكثر من الناس بعمل الخاصة اي بعصيان
الاقل منهم حتى يروا اي الاكثرون المنكر بين ظهرانيهم فيما بينهم ظاهرا فاشيا وهم
قادرون على ان ينكروه جملة حالية معترضة احترازا عن عجز الاكثر الضامكافرة مانعا
فلا ينكروا عطف على قوله يروا المنكر فاذا فعلوا ذلك اي ما ذكر من سكوتهم عن المنكر

مع قدرة الاكثر عذب الله العامة والخاصة كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة رواه في شرح السنة وعن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي اي من
الزنا وصيد يوم السبت وغيرهما نهتهم علماؤهم اي اولا فلم ينتهوا اي فلم يقبلوا
النهي ولم يتركوا المنهي فجالسوهم اي العلماء في مجالسهم اي مجالس بني اسرائيل العصاة
ومساكنهم وآكلوهم بمد الهمزة من المواكلة مفاعلة للمشاركة في الاكل ولذا
قوله وشاربوهم فضرب الله اي خلط قلوب بعضهم ببعض يقال ضرب اللبن بعضه
ببعض اي خلط ذكره الراغب وقال ابن الملك الباء للسببية اي سود الله
قلب من لم يعص بشوم من عصى فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة
عن قبول الحق والخير او الرحمة لسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضا انتهى
وقوله قلب من لم يعص ليس على اطلاقه لان مواكلتهم ومشاربتهم من غير اكراه
والجا بعد عدم انتهائهم عن معاصيهم معصية ظاهرة لان مقتضى البغض في
الله ان يبعدوا عنهم ويهاجروهم ويقاطعوهم ولم يواصلوهم ولذا قال فلعنهم
اي العاصين والساكتين المصاحبين ففيه تغليب كما في قوله تعالى لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك اي لعنهم بما عصوا
اي بسبب عصيانهم مباشرة ومعاشرة وكانوا يعتدون اي يتجاوزون
عن الحد بان جروا المعاصي الى الكفر بالاستحلال ونحوه وبالرضى للمعاصي واستحسانها
من اهلها قال اي ابن مسعود فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من
مكان اعراضه فثوة اعتراضه وكان متكئا اي على احد شقيه او مستندا
الى ظهره فقبل ذلك فجلس مستويا للاهتمام باتمام الكلام فقال لا والذي
نفسي بيده لا تعذرون ولا تنجون من العذاب انتم ايها الامة خلف اهل
تلك الامة حتى تأطروهم بهمزة ساكنة ويبدل وبكسر الطاء اطرا بفتح الهمزة
مفعول مطلق للتاكيد اي حتى تمنعوا امثالهم من اهل المعصية وان
لم ينتهوا عن افعالهم فتمتنعوا انتم عن مواصلتهم ومواكلتهم ومجالستهم
وقال شارح الاطر الامالة والتعريف من جانب الى جانب اي حتى تمنعوا
الظلمة والفسقة عن الظلم والفسق وتميلوهم عن الباطل الى الحق
وفي الفايق حتى متعلقة بلا كان قايلا قال له عند ذكر مظالم بني
اسرائيل لعذر في تخلية الظالمين وشانهم فقال لا حتى تأطروهم وتأخذوا
على ايديهم والمعنى لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الاذعان للحق واعطا
النصفة للمظلوم واليمين معترضة بين لا وحتى وليست هذه بتلك التي
يجيء بها المقسم تاكيد القسم رواه الترمذي وابو داود وفي رواية الضمير
لابي داود وفي نسخة وفي رواية اي لابي داود على ما هو الظاهر ويحتمل للترمذي
اولهما ولغيرهما اي النبي صلى الله عليه وسلم كلا اي حقا او ارتدعوا عن حسبان
ما لا ينبغي من جواز السكوت عن المنكر والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر اي بطريق فرض الكفاية ومراتب الاحتساب على الناحية والنهاية

ولتاخذن على يدي الظالم بالتثنية مبالغة وفي نسخة بالافراد اما على ارادة الجنس او على قصد
الاكتفا بالواحدة ولتاطرنه اي لتميلن الظالم باللسان عند العجز عن اخذ اليد باليد
على الحق اي على اجباره على الحق وانكاره على الباطل اطرا اي منعا ظاهرا ليس فيه لومة لايم ولتقصرنه
بضم الصاد اي ولتحبسنه على الحق اي على قبوله قصرا اي بالهجرة عنه اذا عجزتم عما سبق
حتى يضيق الارض بما رحبت فانه حبس معنوي اقوى من سجن صوري او ليضربن
الله اي ليخلطن بقلوب بعضكم بعضا الباء زائدة لتاكيد التعدية لما سبق انه متعد
بنفسه ثم ليلعننكم اي الله كما لعنهم اي بني اسرائيل على كفرهم ومعاصيهم والمعنى ان احد
الامرين واقع قطعا وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري
بي بالاضافة الى الفعل المجهول وفي نسخة بالتنوين نصبا على الظرفية اي
ابصرت ليلة اسري بي فيها رجالا تقرض بصيغة المفعول اي تقطع شفاههم
بكسر الفاء جمع شفة بالفتح وبكسر ولامها ها كما يدل عليه جمعها بمقاريض
جمع مقراض بكسر الميم آلة القطع المعروفة من نار اي مخلوقة منها قلت من هولاء اي هولاء الرجال
بهذه الحال يا جبريل قال هولاء خطباء من امتك من بيانية وفي نسخة خطباء امتك اي علماؤهم
ووعاظهم ومشايخهم يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم محط الانكار الجملة الثانية وانما
ذكر الجملة الاولى تقبيحا لسوء افعالهم واحوالهم وتوبيخا على علومهم المقرونة بترك اعمالهم
كما قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون
اي سوء صنيعكم وقال عز وجل كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكما قال
صلى الله عليه وسلم ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وكما ورد في الحديث المشهور
اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه رواه البغوي في شرح السنة
والبيهقي عطف على الفاعل المقدر في شعب الايمان وفي روايته اي رواية البيهقي
قال خطباء من امتك بدون البيانية الذين يقولون ما لا يفعلون بدل من قوله خطباء ويجوز
ان يكون صفة له لانه لا توقيت فيه على عكس قوله ولقد امر على اللئيم يسبني ويجوز
ان يكون منصوبا على الذم وهو الاوجه يتفطن لذلك من رزق الذهن السليم والطبع
المستقيم ذكره الطيبي وفيه ان اهل العربية اطبقوا في مثل هذا التركيب على ان البدل
اوجه الوجوه المحتملة كما حقق في الاستعاذة والبسملة وفي قوله تعالى الحمد لله رب
العالمين وقوله سبحانه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وقوله عز وجل وما
يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون وفي قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على
خمس شهادة ان لا اله الا الله ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون وفيه اقتباس من الايتين
الشريفتين اللتين ذكرناهما اولا وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت المائدة من السما قال الراغب المائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال لكل منهما مائدة
اي على الحقيقة المشتركة او على احدهما مجازا باعتبار المجاورة او بذكر المحل وارادة الحال
وقوله خبزا ولحما تمييز بحوز اي او دخلا وامروا ان لا يخونوا اي بقصد اكل الاحسن والاكثر
من غيرهم ولا يدخروا بتشديد الدال المهملة المبدلة من الذال المعجمة من باب الافتعال من
الذخيرة فهو للخيانة لغد اي ليوم عقب يوم نزول المائدة او لوقت مستقبل بعده فخانوا
وادخروا ورفعوا لغد تفسير لما قبله فمسخوا اي فغير الله صورهم الانسانية بعد تغير

سيرتهم الانسية قردة وخنازير منصوبان على انهما مفعولان ثان على ما يستفاد من القاموس
حيث قال مسخه كمنعه حول صورته الى اخرى اقبح ومسخه الله قردا فهو ممسوخ
ومسيخ وقال الطيبي حالان مقدرتان كقوله تعالى وتنحتون من الجبال
بيوتا انتهى والظاهر ان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير رواه الترمذي

الفصل الثالث

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه اي الشان تصيب امتي في آخر الزمان من سلطانهم يحتمل الجنس
والشخص كيزيد والحجاج وامثالهما شدائد اي محن دنيوية او دينية او مركبة
منها لا ينجو استئناف او حال اي لا يتخلص منه اي من السلطان وشدائده
الناشئة من ظلمه فهما في حكم واحد فيجوز ان يعبر عنه بضمير مفرد الا رجل عرف
دين الله قال الطيبي الضمير في منه يعود الى السلطان او يحمل على واقع موقع اسم
الاشارة او يعود على شدائد باعتبار المذكور او المنكر وهو الشدائد وقوله لا ينجو
على الاول استئناف وعلى الثاني صفة قوله شدائد انتهى والحاصل انه لا يتخلص
في زمان ذلك السلطان المشابه بالشيطان الا من جمع بين العلم والعمل والكمال والتكميل
فعرف دين الله اولا بتفصيله من الاصول والفروع وعمل لنفسه على ما يقتضيه الامر
المشروع فجاهد عليه اي على تحصيل دين الله بلسانه اي بطريق النصيحة والبيان
ويده اي ان كان له قوة وقدرة وقلبه اي بانكاره عند العجز عملا بقوله تعالى ادع الى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقياما بقوله عز وجل
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم
المفلحون وهذا معنى قوله فذلك الذي سبقت له السوابق اي السعادات السابقة
حيث جمع بين الاحوال الثلاث الملاحقة وفيها اشارة الى قوله تعالى والسابقون
السابقون اي الجامعون بين مراتب الكمال والتكميل ودرجات العلم والتعليم اولئك
المقربون وفي كلام عيسى عليه السلام من علم وعمل يدعى في الملكوت عظيما ورجل
عرف دين الله فصدق به اي فتكلم بلسانه ما يجب تصديقه من الامر بالحق
والنهي عن الباطل واكتفى به عن الانكار باليد لعجزه او ضعف قلبه وقوة خصمه
ورجل عرف دين الله فسكت عليه اي تاركا الامر والنهي لغيره مكتفيا بانكار قلبه
لضعف ايمانه او ضعف اهل زمانه ويدل على تحقق انكار قلبه قوله فان راى
من يعمل الخير اي يعمل حق احبه اي بقلبه عليه اي على ذلك العمل ولاجله وان
راى من يعمل بالباطل اي من يعمل الشر ابغضه عليه اي وترك مصاحبته
ومجالسته ولو كان من كان فذلك ينجو على ابطانه اي ابطان ما ذكر في قلبه
من محبة الخير او بغض الباطل كله تاكيد مفيد لان يكون جامعا للامرين
لا مقتصرا على احدهما فتامل هذا وقد قال الطيبي السوابق جمع سابقة
وهي الخصلة المفضلة اما السعادة واما البشرى بالثواب من الله تعالى واما
التوفيق من الله للطاعة كقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقوله
عرف دين الله فجاهد عليه الى اخر الحديث هو من باب التقسيم الحاصر لان الناهي
عن المنكر اما سابق او مقتصد او دونهما فالفاءات في قوله فجاهد فصدق فسكت

مسيئات عن العرفان فمعنى الاول من عرف دين الله تعالى حق معرفته وتصلب
في دينه فبذل جهده في المجاهدة بلسانه ويده وقلبه ومعنى الثالث من عرف
دين الله ادنى معرفته سكت فلم يجهد فيه الا على قدر ايمانه وذلك بالكراهة بالقلب
وهو المراد من قوله في الحديث الآخر وذلك اضعف الايمان فبقي قوله فصدق
به في درجة المقتصد فينبغي ان يفسر بما هو دون الاولى وفوق الثالثة وهو ان
يجاهد بلسانه وقلبه والتصديق يستعمل حقيقة في اللسان مجازا في العمل فتصديقه
هنا معبر عن رفع المنكر بلسانه وقلبه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام ان اقلب بهمزة وصل ولام مكسورة
مدينة كذا وكذا باهلها اي مصحوبة معهم قال الطيبي ان مفسرة لما في اوحى من
معنى القول انتهى ويجوز ان تكون مصدرية والبا مقدرة فقال يا رب ان فيهم
عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فيه دلالة على حفظ الاوليا قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم او قال جبريل عليه السلام فقال اي الله تعالى
اقلبها عليه وعليهم في تقديمه عليهم ايذان بوعيد شديد فان وجهه لم يتمعر
اي لم يتغير في بكسر الفا وتشديد اليا اي في حقي ولاجلي والحاصل انه لم يظهر اثر
غضب انكار القلب على مرتكب المنكر ساعة اي واحدة قط اي ابدا وفيه توسعة
بل اشعار بانه غضب عليه مرة لله فسومح في بقية اوقات عمره وعن ابي
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يسال العبد يوم
القيامة فيقول ما لك اذا رايت المنكر فلم تنكره اي بلسانك او بيدك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيلقى بتشديد القاف المفتوحة حجته بالنصب اي بينة عليه
ويلقن بها اذا كان الله يريد انجاءه فيقول يا رب خفت الناس ورجوتك فيه
اعتراف عليها بالذنب والعجز واعتماد على كرم الرب قال البيهقي يحتمل ان يكون
هذا فيمن يخاف سطوتهم وهو لا يستطيع دفعها عن نفسه ذكره الطيبي وفيه
ان مثل هذا معذور في الشرع فلا يعاتب عليه فيحتاج الى تلقي الحجة بل انما
هو في من قصر في الجملة فيلهمه الله المعذرة روى البيهقي الاحاديث الثلاثة
في شعب الايمان وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان المعروف والمنكر خليقتان اي مخلوقتان
ذكره الطيبي والظاهر ان المعنى سيخلقان خلقا اخر فيجسدان كسائر
المعاني من الاعمال والموت ونحو ذلك فيجسدان او يجسمان لقوله تنصبان بصيغة
التانيث على بنا المجهول وفي نسخة بالتذكير وهو الظاهر للمبالغة والمعنى
انهما نوعان من المخلوقات تظهران للناس يوم القيامة فاما المعروف
فيبشر اصحابه اي اهل المعروف بالفعل او الامر ويعدهم الخير اي ويعدهم الثنا
الجميل والجزا الجزيل وبالمواصلة بينه وبينهم واما المنكر فيقول اي لاصحاب
المنكر بلسان القال او بيان الحال اليكم اي ابعدوا عني وتنحوا من قربي وما
يستطيعون له الا لزوما اي لصوقا وقربا من نتيجة المنكر وما يترتب عليه من
عنائه والحاصل ان العمل الصالح يظهر في احسن صورة واطيب ريح في القبر

وكذا يوم القيامة والعمل الصالح بخلاف ذلك ويؤيده ما ورد في حديث قدسي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وتحقيق المرام في هذا المقام ان افعال العباد وان كانت غير موجبة للثواب والعقاب بل وانها الا انه تعالى اجرى عادته بربطها ربط المسببات وانشد بعض ارباب الالباب

اخاف وارجوا عفوه • واعلم حقا انه حكم عدل

فان يك عفوا فهو منه تفضل • وان يك نقدا فاني له اهل

والتدقيق والله ولي التوفيق ان السبب الفاعلي للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله وبموجب جماله وجلاله واما السبب القابلي فهو وان كان ايضا في الحقيقة الان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي هو من الفيض الاقدس الذي لا مدخل الاختيار فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال الحاجبة القلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الغسل بالرزايا والبلايا ونحوهما ولذا قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وههنا يتموج امواج بحر القضا والقدر لتقسيم العباد فيما يفعلون وسفينة النجاة قوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان

كتاب الرقاق

بكسر الراء جمع رقيق وهو الذي فيه رقة اي لطافة قاله شارح والظاهر ما قاله السيوطي من ان المراد بها الكلمات التي يرق بها القلوب اذا سمعت وترغب عن الدنيا بسببها وتزهد فيها سميت هذه الاحاديث بذلك لانها تحدث رقة ورحمة

الفصل الاول

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس صفة له وخبره الصحة والفراغ اي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ الخاطر بحصول الامن ووصول كفاية الامنية والمعنى قدرها تين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الاعمال ايام معاشهم ما يحتاجون اليه في معادهم فيندمون على تضييع اعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن وقال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حاشية السيوطي قال العلما معناه ان الانسان لا يتفرغ للطاعة الا اذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الامران وكسل عن الطاعة فهو المغبون اي الخاسر في التجارة ماخوذ من الغبن في البيع انتهى ويمكن ان يكون الغبن كناية عن فساد حاله وضياع ماله كما قال بعضهم

ان الشباب والفراغ والجدة • مفسدة للمرء اي مفسدة

وقال العارف ابن الفارض على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم رواه البخاري وفي الجامع الصغير رواه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجة عنه وعن المستورد بن شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله قسم للمبالغة في تحقيق الحكم ما الدنيا ما نافية اي ما مثل

الدنيا من نعيمها وزمانها في الاخرة اي من جنبها ومقابلة نعيمها واياما الا مثل بكسر الميم ورفع اللام وفي نسخة بنصبها وما في قوله ما يجعل احدكم مصدرية اي مثل جعل احدكم اصبعه وفي الجامع زيادة هذه والظاهر ان المراد بها اصغر الاصابع في اليم اي مغموسا في البحر المفسر بالما الكثير فلينظر اي فليتامل احدكم بم يرجع اي باي شي يرجع اصبع احدكم من ذلك الما واعلم ان قوله يرجع بالتذكير في اكثر الاصول وفي بعض النسخ بالتانيث وهو الاظهر لان ضميره يرجع الى الاصبع وهو مونث وقد يذكر على ما في القاموس والمعنى فليتفكر باي مقدار من البلة الملتصقة باليم يرجع اصبعه الى صاحبه اللهم الا ان يقال المعنى بم يرجع الحال وينتقل المال وحاصله ان قبح الدنيا ومحنتها في كسب الجاه والمال من الامور الفانية السريعة الزوال فلا ينبغي لاحد ان يفرح ويغتر بسعتها ولا ان يجزع ويشكوا عن ضيقها بل يقول في الحالتين اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فانه قاله صلى الله عليه وسلم مرة في يوم الاحزاب واخرى في حجة الوداع وجمعيته الاصحاب ثم يعلم ان الدنيا مزرعة الاخرة وان الدنيا ساعة فيصرفها في الطاعة قال الطيبي وضع يرجع موضع قوله فلا يرجع بشي كانه صلى الله عليه وسلم يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ثم يامره بالتامل والتفكر هل يرجع بشي الا وهذا تمثيل على سبيل التقريب والا فاين المناسبة بين المتناهي وغيره رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجة وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي اي ولد معز اسك بتشديد الكاف اي صغير الاذن او عديمها او مقطوعها ميت قال ايكم يحب ان هذا له بدرهم مثلا فقالوا ما نحب انه لنا بشي اي بشي مما يطلق عليه اسم الشي من تراب وغيره والمراد انا لا نحبه بلا شي ايضا قال فوالله للدنيا اي لجميع انواع لذاتها اهون اي اسهل واحقر واذل على الله اي عنده تعالى من هذا اي من هوان هذا الجدي عليكم ويؤيده ما سياتي ان الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ما ء والمقصود منه التزهيد في الدنيا والترغيب في العقبى فان حب الدنيا راس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلا كما ان ترك الدنيا راس كل عبادة والسبب في ذلك ان محب الدنيا ولو اشتغل بامور الدين يكون اعماله مدخولة باعمال فاسدة وتارك الدنيا لو اشتغل بامر دنيوي يكون له مصحح اخروي ولذا قال بعض العارفين من ارباب اليقين من احب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر اي هي كالسجن للمومن في جنب ما اعد له في الاخرة من المثوبة والعذاب الاليم وقيل ان المومن عزف نفسه عن الملاذ واخذها بالشدايد فكانه في السجن والكافر موجها بالشهوات فهي له كالجنة كذا ذكره في الفايق ويؤيد القول الاخير ما قاله فضيل بن عياض من ترك لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن فاما الذي لا يترك لذاتها وتمتعاتها فاي سجن عليه واقول الظاهر ان مراتب السجن ومنازله مختلفة باختلاف احوال اهله مع انه لا يخلوا احد من ضيق

التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات الفعلية واجتناب الامور المنهية وكذا من
مشقات الاحوال الكونية من البرد والحر في الصيف والشتا والبلا والغلا وموت
الاحبا وغلبة الاعدا وامثال ذلك من ابتدا خلق النطفة واطوارها في مشيمة
البطن الي الظهور في المهد والبطونة في اللحد وما بينهما من انواع الكد والكبد
ولذا قال تعالى ولقد خلقنا الانسان في كبد اي لا نزاله في نفث عظيم مرة
ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت وما بعده الي ان يكون ما بعد هذا التنكيد
اما الباس الخلع السلطانية والقرار في المناصب العلية واما تسليط الزبانية
بموجب الغضب الالهي عليه ونقله من السجن السهل الغالط الي الحبس الصعب
الباقي نعوذ بالله من ذلك ولما مات داود الطاي سمع هاتف يهتف اطلق داود
من السجن قال ابو حفص السهروردي ان السجن والخروج منه يتعاقبان
على قلب العبد المومن على الساعات ومرور الاوقات لان النفس كلما ظهرت بصفاتها
اظلم الوقت على القلب حتى ضاق واكمد وهل السجن الا التضييق وحجر من
الخروج والولوج فكلما هم القلب بالتبرز عن مشايم الاهوا الدنيوية والتخلص عن
قيود الشهوات العاجلة تسببا الي الاجلة وتنزها في فضا الملكوت ومشاهدة
للجمال الازلي حجره الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب فبذلك يحبس
النفس الامارة الية فتكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه
وهذا من اعظم السجون واضيقها فان من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت
عليه الارض بما رحبت وضاقت عليه نفسه ولهذا المعنى اخبر الله تعالى
عن جماعة من الصحابة حيث تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض الغزوات قال تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت الاية رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني
والحاكم عن سلمان والبزار عن ابن عمر ورواه احمد والطبراني وابو نعيم في الحلية
والحاكم عن ابن عمرو بن العاص ولفظه الدنيا سجن المومن وسنته فاذا فارق الدنيا
فارق السجن والسنة بفتح فسكون اوله القحط والجدب واخرج ابن المبارك عن
ابن عمر قال ان الدنيا جنة الكافر وسجن المومن وانما مثل المومن حين يخرج
نفسه كمثل رجل كان في سجن فاخرج منه فجعل يتقلب في الارض ويتفسح
فيها واخرجه ابن ابي شيبة عنه نحوه واخرج ابو نعيم عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر يا ابا ذر ان الدنيا سجن المومن والقبر امنه
والجنة مصيره يا ابا ذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره
وروي ابن لال عن عايشة الدنيا لا تصفو للمومن كيف وهي سجنه وبلاوه
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مومنا حسنة قال
شارح ان الله لا يضيع اجر حسنة المومن ولا يخفى انه حاصل المعنى واما بحسب
التركيب والمبنى فالظلم يتعدى الي مفعولين قال تعالى ان الله لا يظلم الناس
شيا وفي القاموس ظلمه حقه اي منعه اياه فالحديث تفسير لما في القران
وتبيين لما فيه من نوعي جنس الانسان وبيان ان الله يجازي عباده المومن

والكافر

ووصف الله عز وجل

والكافر على التغير والتطهير والتعليل والكثير من الخير والشر اما في الدنيا واما في العقبى كما
قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال عز وجل ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما ولذا قال
عمر رضي الله تعالى عنه لو كانت لي حسنة واحدة لكفتني بناء على المضاعفة المذكورة
والمثوبة العظيمة المسطورة يعطى استينافا بيان بصيغة المجهول اي يعطي
المومن كل خير لها اي بسبب تلك الحسنة في الدنيا من دفع البلا وتوسعة
الرزق وغير ذلك من النعما وفي نسخة بصيغة الفاعل اي يعطي الله بها اي بمثل الحسنة
اجرا في الدنيا ويجزي بها في الاخرة على بنا المفعول او الفاعل طبق ما قبله واما
الكافر فيطعم بصيغة المجهول لا غير اي فيعطي ومنه العدو اشارة الي ان مطمح نظر
الكافر في العطا انما هو بطنه والمعنى انه يجزي بحسنات ما عمل بها لله اي من
طعام فقير واحسان بيتيم واغاثة ملهوف ونحوها من طاعات لا يشترط في صحتها الاسلام
في الدنيا ظرف ليطعم حتى اذا افضى اي وصل الي الاخرة لم تكن بالتانيث ويذكر
اي لم يبق ولم توجد له حسنة يجزي بها فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا في شرح
السنة قوله لا يظلم لا ينقص وهو متعدي الي مفعولين احدهما مومنا والاخر حسنة
ومعناه ان المومن اذا اكتسب حسنة يكافيه الله تعالى بان يوسع عليه رزقه ويرغد
عيشه في الدنيا وبان يجزي ويثاب في الاخرة والكافر اذا اكتسب حسنة في الدنيا
بان يفك اسيرا او ينقذ غريقا يكافيه الله تعالى في الدنيا ولا يجزي بها في الاخرة انتهى
وحاصله ان الله تعالى يعامل عبده المومن بالفضل والكافر بالعدل ولا يسال
عما يفعل ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الاخرة من نصيب
رواه مسلم وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن انس بلفظ ان الله لا يظلم المومن
حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في
الدنيا حتى اذا افضى الي الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا انتهى ومقتضى
المقابلة ما ورد في حديث اخر ان المومن يجزي بسيئاته في الدنيا انواع المحنة والمشقة
والرزايا حتى اذا افضى الي الاخرة لم يكن له سيئة يعاقب عليها ويويده ما روي
احمد وابن حبان انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوا يجز به قال ابو بكر رضي
الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام غفر الله لك يا ابا
بكر الست تحزن الست تنصب الست تمرض الست يصيبك اللاوا قال بلى يا رسول
الله قال هو مما تجزون به وقد صحح على ما رواه الترمذي وابن جرير المصايب
والامراض في الدنيا جزا وروي الحاكم في مستدركه عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه
مرفوعا من يعمل سوا يجز به في الدنيا وعن ابن عمر قال لا يصيب عبد من الدنيا
شيا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريما رواه ابن ابي الدنيا وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت اي احيطت النار
بالشهوات كالخمر والزنى وحجبت الجنة بالمكاره كالصلاة والزكاة متفق عليه
الا عند مسلم حفت بدل حجبت يعني حجبت للبخاري ولفظ حفت لمسلم

فالحديث عليه من ابي هريرة معني وقد وافق مسلما احمد والترمذي عن انس لكن
حد بثهم فيه تقديم وتاخير مخالف للبخاري في ترتيبه عبا ما ذكره في الجامع
بلفظ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والله اعلم باصح الروايات
قال النووي معناه لا يوصل الي الجنة الا بارتكاب المكاره ولا يوصل الي النار الا بارتكاب
الشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل الي المحجوب فهتك
حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجب النار بارتكاب الشهوات واما المكاره
فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عبا الطاعات والصبر علي الشهوات
ونحو ذلك واما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر انها الشهوات المحرمة
كالخمر والزنى والغيبة ونحو ذلك واما الشهوات المباحة فلا يدخل في هذا انتهى
ويناسب هذا الحديث ما ذكر السيوطي في الجامع الكبير انه صلى الله عليه
وسلم نهي قال ان الله بني مكة عبا المكروهات والدرجات اي لا تحصل درجاتها الا
بالتحمل علي مكروهاتها والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعس بكسر العين وبفتح اي خاب وخسر عبد الدينار اي الذي
اختاره عبا رضى معبوده الجبار بان ياخذه من غير حله وان لا يصرفه في محله
وكذا قوله وعبد الدرهم وهذان مثالان وخصا بالذكر لانهما النقدان الحاصل
بهما جميع مقاصد النفس والشيطان وعبد الخميصة وهي ثوب خز او صوف معلم
وخصت بالذكر لان الغالب في لبسها الخيلا والرعونة والريا والسمعة ومن كمال
ميل النفس اليها وعدم الطاقة عبا مفارقتها فكانها عبد لها وقيل هي كسا اسود مربع
له علمان اراد به محب كثرة الثياب النفيسة والحريص عبا التجمل فوق الطاقة وحاصله
ذم التقيد بالزينة الظاهرة مما يتعلق بالثياب الجميلة لا سيما اذا كانت محرمة او مكروهة
وعدم التعلق بتحلية الباطن عن الاوصاف الدنية وتحليتها بالنعوت الرضية فان من
لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة ومن رق ثوبه رق دينه ثم تطويل الاكمام و
الاذيال حرام عبا وجه التكبر والخيلا ومكروه اذا كان بخلافه واما اذا كان اللبس عبا
الوجه المباح في الشريعة فيختلف باختلاف النية في اختيار التكلف والتقشف فقد
قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية واختلف
السادة الصوفية في ايهما افضل ويختار الشاذلية والنقشبندية والبكرية التلبس
بلباس الاغنيا كما عليه بعض السلف من الاوليا روي ان فرقد السبخي دخل علي
الحسن وعليه كسا وعلي الحسن حلة يلبسها فقال الحسن مالك تنظر الي ثيابي
ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية
ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدهم
بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه ثم الجملة اما خبر او دعا عبا ما استعبده
حب الدنيا واسترقه الهوى واعرض عن عبودية المولى ولذا قال بعض العارفين

امتن علي الزمان محال ... ان تري مقلتاي طلعة حر

وكم يقل صاحبها ابدا بان من يكون اسير الجمع المال بحيث لا يودي حق الملك المتعال
ان اعطي اي هذا التعيس رضي وان لم يعط سخط بكسر الخا اي غضب والجملة بيان لشدة

حرصه

وقف سعود

حرصه وانقلاب حاله كما اخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله ومنهم من يلمزك
في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وكما قال عز
وجل ومن الناس من يعبد الله عبا حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة
انقلب عبا وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين تعس كرره للتاكيد وليعطف
عبا التشديد وانتكس اي ذليلا واذا شيك بكسر اوله اي ادخل شوكة في عضوه فلا
انتقش بصيغة المجهول وفي نسخة عبا بنا المعلوم اي فلا يقدر علي اخراجه او لا يجد
من يخرجه والمعني انه اذا وقع في البلا لا يرحم عليه ولا يقدر عبا دفعه بنفسه ايضا
هذا وفي النهاية تعس اذا عثر وانكب عبا وجهه وقد يفتح العين وهو دعا عليه بالهلاك
وانتكس اي انقلب عبا راسه وهو دعا عليه بالخيبة لان من انتكس في امره فقد
خاب وخسر واذا شيك اي شاكته شوكة فلا يقدر علي انتقاشها وهو اخراجها بالمناقش
والخميصة ثوب خز او صوف معلم وقيل لا تسمى خميصة الا اذا كان سودا معلمة وكانت
من لباس الناس قديما قال الطيبي قيل خص العبد بالذكر ليوذن بانغماسه في محبة
الدنيا وشهواتها كالاسير الذي لا خلاص له عن اسره ولم يقل مالك الدنيا ولا جامع
الدنيا لان المذموم من الدنيا الزيادة عبا قدر الحاجة لا قدر الحاجة وقوله ان اعطي رضي
وان لم يعط سخط يوذن الي شدة حرصه جميع الدنيا وطمعه فيما في ايدي الناس
وفي قوله وانتكس صيغة الترديد مع الترقي اما تعس الذي هو الانكباب عبا الوجه
ليضم معه الانتكاس الذي هو الانقلاب عبا الراس ليترقى في الدعا عليه من الاهون الي
اغلظ ثم ترقى منه الي قوله واذا شيك فلا انتقش علي معنى انه اذا وقع في البلا
فلا يترحم عليه فان من وقع في البلا اذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ويتسلى
بعض التسلي وهولا بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الاعدا وتمام تقريره انما خص
انتقاش الشوك بالذكر لان الانتقاش اسهل ما يتصور من المعاونة بان
اصابه مكروه فاذا نفي ذلك الاهون فيكون ما فوق ذلك منفيا بالطريق الاولى
طوبى اي الحالة الطيبة او شجرة في الجنة لعبد اي خالص لله تعالى اخذ بصيغة
الفاعل اي ماسك بعنان فرسه بكسر العين اي بلجامه في سبيل اي طريق الجهاد اشعث
بالنصب عبا انه صفة عبد او حال منه وقوله راسه مرفوع عبا الفاعلية لاشعث
وهو مغبر الراس وفي نسخة برفعه عبا انه خبر مبتدا محذوف والجملة صفة عبد وقوله
مغبرة بالنصب وفي نسخة بالرفع وفي اخرى بالجر عبا انها صفة عبد وقوله قدماه فاعله
وقال الطيبي اشعث ومغبرة حالان من الضمير في اخذ لاعتماده عبا الموصوف ويجوز ان يكونا
حالين من العبد لانه موصوف ان كان اي ذلك العبد في الحراسة بكسر الحا اي حماية
الجيش ومحافظتهم ان لا يتهجم عليهم عدوهم كان اي كاملا في الحراسة غير مقصر فيها بالنوم
والغفلة ونحوهما والحراسة وان كانت في اللغة اعم لكنها في العرف مختصة بمقدمة العسكر
ولذا قال وان كان في الساقة اي في موخر الجيش ويلزم منها الحراسة ايضا كان اي
كاملا في الساقة في تلك الحالة ايضا بان لا يخاف من الانقطاع ولا يهتم الي السبق
بل يلازم ما هو لاجله وقد تقرر في علم المعاني ان الشرط والجزا اذا اتحدا يراد بالجزا
الكمال فالمعني ان كان في الحراسة او الساقة يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها

على وجه الكمال قال التوربشتي اراد بالحراسة حراسة من العدوان يهجم عليهم وذلك
ان يكون في مقدمة الجيش والساقة موخرة فالمعني ايثاره نهما امروا قامته حيث
اقيم لا يفقد من مكانه بحال وانما ذكر الحراسة والساقة لانهما اشد مشقة واكثر افتها
الاول عند دخولهم دار الحرب والاخر عند خروجهم ان استاذن اي طلب الاذن
في دخول محفل وفي نسخة اذا استاذن لم يوذن اي لعدم ماله وجاهه وان
شفع اي لاحد لم يشفع اي لاحد لم يشفع بتشديد الفا المفتوحة اي لم
يقبل شفاعته وتوضيحه ما قيل ان فيه اشارة الي عدم التفاته الي الدنيا
وارباتها بحيث يفني بكليته في نفسه لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس
بل يكون عند الله وجيها ولم يقبل الناس شفاعته وعند الله يكون شفيعا
مشفعا رواه البخاري وروي الترمذي صدر الحديث بلفظ لعن عبد الدينار
لعن عبد الدرهم مختصرا وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان مما اخاف عليكم اي من جملة ما اخشي عليكم ايها الصحابة او ايها الامة من
بعدي اي بعد وفاتي وفقد حياتي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا بفتح الزا وسكون
الها وبفتح ففي القاموس الزهرة وتحرك النبات او نوره او الاصفر منه المراد
حسنها وبهجتها فقوله وزينتها عطف تفسيري وانما عبر بالزهرة اشارة الي
حدوثها خضرة وحلوة وسرعة فنايها والمعنى اني اخاف عليكم ان كثرة اموالكم
عند فتح بلادكم تمنعكم عن الاعمال الصالحة وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث
فيكم الاخلاق الدنية من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه وما يتعلق
بهما من لوازم الامور الدنيوية والاعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الاحوال
الاخروية فقال رجل يا رسول الله او ياتي الخير بالشر بفتح الواو والاستفهام للاسترشاد
والمعني ايفتح علينا ويأتي الخير من الغنائم والمال الحلال وتوسيع الرزق مصحوبا
بالشر مترتب عليه ترك الخير من الطاعة والعبادة مما يخاف علينا وقيل البا صلة
ياتي وهي للتعدية اي هل يستجلب الخير وتوضيحه ان حصول الغنيمة لنا خير
وهل يكون ذلك الخير سببا للشر فسكت اي متاملا او مستغرقا او منتظر الوحي
اما وحيا جليا وخفيا قال اي الراوي فمسح عنه عن وجهه الشريف الرحضا
بضم الرا وفتح الحا المهملة وبالضاد المعجمة وبالمد عرق الحمي على ما في المقدمة والمراد
عنها عرق يظهر عليه عليه السلام عند نزول الوحي عليه فالتركيب من باب التشبيه
البليغ والمعنى انه مسح عنه عرقا كعرق اثر الحمي ترحض الجسد اي تغسله من كثرته
وقال اين السايل وكانه اي النبي صلى الله عليه وسلم حمده اي حمد السايل واستحسنه
في سواله لكونه سوال استرشاد وتنبيه العباد والعباد فقال انه اي الشان لا ياتي
الخير بالشر اي حقيقة لتنافيهما لكن قد يكون الخير سببا للشر فضرب كذلك مثلا
بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال وان مما ينبت الربيع اي بتقديره
تعالي وارادته وخلق اسبابه والة ما يقتل نباتا اي نباتا او شيا يهلك الدواب
حبطا بفتحتين اي انتفاخ بطن من الامتلا وهو تمييز والمراد انه قد يقتل حقيقة
او يلم بضم يا وتشديد ميم اي يكاد ان يقتل ويقرب ان يهلك فاو للتنويع والمعنى

ان الربيع

ووصـــ الله عز وجل

ان الربيع ينبت الخيار العشب فيستكثر منه الماشية لاستطابتها اياه حتى ينتفخ
بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاوها من ذلك فتموت
او تقرب الموت ومن المعلوم ان الربيع ينبت اضراب العشب فهي كلها خير في
نفسها وانما ياتي الشر من قبل افراط الاكل فكذلك المفرط في جمع المال من غير
حلها ومن الحلال المشغل عن حاله يكثر في التنعم بماله من غير تامل في ماله فيقسو
قلبه من كثرة الاكل فيورث الاخلاق الدنية فيتكبر ويتجبر ويحقر الناس يمنع ذا الحق حقه
منها تحبب المال المال الهلاك في الدنيا ولعذابه يصير سببا للوبال وشدة النكال وسوء الحال
الا اكلة الخضر بفتح الخا وكسر الضاد المعجمتين وهو الطري الغض من النبات وفي نسخة بضم
ففتح على انه جمع خضرة وروي بزيادة الها والمعني يقتل او يلم كل اكلة الخضر على الوجه
المذكور والبيان المسطور بقوله اكلت اي الماشية الاكلة المعوط في اكلها حتى
امتدت اي امتلات وشبعت خاصرتاها اي جنباها وعبر عن الشبع بامتدادها لانهما
يمتدا عند امتلا البطن استقبلت عين الشمس اي ذاتها وقرصها والمعني انها
تركت مستقبلة اليها تستمري بذلك ما اكلت وقال شارح اي تركت الاكل ولم يا
ما فوق طاقة كرشها حتى يقتلها كثرة الاكل وتوجهت اي مسقط ضوئها واستراحت
فيه فثلطت اي القت روثها رقيقا سهلا وبالت اي فزال عنها الحبط ثم عادت
فاكلت اي ثم اذا حصل لها خفة واحتاجت الي الاكل عادت فاكلت كذلك من اخرج
ما في المال من الحقوق وعالج نفسه بالاحتمال عن مساوي الاغنيا وعرف الدوا
والدوا تتبع كلام الحكما من الانبيا والاوليا فيكون المال خيرا له لانه معونة
له في تحصيل الخير ودفع الشر لما كان الخطر فيه كثيرا بحيث يضر السالكين بحسب
الاغلب اختيار الله لاكثر الانبيا والاوليا طريق الفقر والفاقة وذهب الصوفية
اجمعهم والعلما اكثرهم الي ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر والله سبحانه
اعلم هذا مجمل الكلام في مرام المقام واما تفصيله لغة وحلا من جهة المبني
والمعنى ففي النهاية الحبط بالتحريك الهلاك يقال حبطت الدابة تحبط
حبطا بالتحريك اذا اصابت مرعي طيبا فافرطت في الاكل حتى تنتفخ فتموت
وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فيستكثر منه الماشية ويلم اي يقرب
ويدنو من الهلاك والخضر بكسر الضاد نوع من البقول ليس من احرارها وجيدها
وانما ترعاها المواشي اذا لم تجد غيرها فلا يكثر من اكلها ولا يستمريها قال القاضي
اكلة نصب على انه مفعول يقتل والاستثنا مفرغ والاصل ان مما ينبت الربيع
ما يقتل اكله الا اكلة الخضر على هذا الوجه وانما صح الاستثنا المفرغ من المثبت
لقصد التعميم فيه وتطبيق قران الابعد كذا قاله الطيبي وعليه ظاهر كلام المظهر
والاظهر ان الاستثنا منقطع لوقوعه في الكلام المثبت وهو غير جايز عند
الكسائي الا بالتاويل وفيه لان ما يقتل حبطا بعض الربيع ما ينبت الربيع لالتزام
من التبعيضية عليه والتقسيم في قوله الا اكلة الخضر لان الخضر غير ما يقتل
حبطا يشهد له ما في شرح السنة قال الازهري فيه مثلان ضرب احدهما
للمفرط في جميع الدنيا ومنعها من حقها وضرب الاخر للمقتصد في اخذها والانتفاع

بها واما قوله ومما ينبت الربيع ما يقتل حبطا فهو مثل للمفرط الذي ياخذها بغير
حق وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فيكثر منها الماشية حتى ينتفخ
بطونها لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنفتق امعاؤها فتهلك كذلك الذي يجمع
الدنيا من غير حلها ويمنع ذا الحق حقه يهلك في الاخرة بدخول النار واما
مثل المقتصد فقوله صلى الله عليه وسلم الا اكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست
من احرار البقول التي ينبتها الربيع فيكثر منها الماشية ولكنها من كلا الصيف
التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيئا فشيئا من غير استكثار فيضرب
مثلا لمن يقتصد في اخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على اخذها فهو محفوظ
وبالها قال الاشرف في قوله حتى امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس
ان المقتصد المحمود العاقبة وان جاوز حد الاقتصاد في بعض الاحيان
وقرب من المسرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الانسان وهو
المعني بقوله الممت حتى امتدت خاصرتاها لكنه يرجع عن قريب
عن ذلك الحد المذموم ولا يلبث عليه بل يلتجي الى الدلايل النيرة والبراهين
الواضحة الدافعة للحرص المهلك القامعة له وهو المدلول عليه بقوله استقبلت
عين الشمس وثلطت وبالت فحذف ما حذف في المرة الثانية لدلالة ما قبلها
عليه وفيه ارشاد الى المحمود العاقبة وان تكرر منه الخروج عن حد
الاقتصاد والتقرب من حد الاسراف مرة بعد اخرى وثانية بعد اخرى لغلبة
الشهوة عليه وقوة نهاضيه لكنه يمكن ان يبعد بمشية الله تعالى عن الحد
المذموم الذي هو الاسراف ويقرب من الاقتصاد والذي هو الحد المحمود
قال الطيبي فعلى هذا الاستثنا متصل لكن يجب التاويل في المستثنى منه
والمعنى ان من جملة ما ينبت الربيع شيئا يقتل اكله الا الخضر منه اذا
اقتصد فيه اكله ويتحرى رفع ما يؤدي به الى الهلاك وان هذا المال اي
المحسوس في المال خضرة بفتح فكسر حلوة بضم الحا اي حسنة المنظر
لزيادة المذاق والتانيث باعتبار ان هذا المال عبارة عن الدنيا وزينتها والتقدير
ان زهرة هذا المال خضرة حلوة قال التوربشتي كذا رويه من كتاب البخاري
على التانيث وقدر وي ايضا خضر حلو والوجه ان يقال انما انث على معنى
تانيث المشبه به اي ان هذا المال شي كالخضرة وقيل معناه كالبقلة الخضرة
ويكون على معنى فايدة المال اي ان الحياة به او المعيشة خضرة قال الطيبي
ويمكن ان يعبر عن المال الدنيا لانه اعظم زينة الحياة الدنيا لقوله تعالى
المال والبنون زينة الحياة الدنيا فيوافق حديث ابي سعيد الخدري
الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم على ما مر في الباب السابق انتهى والمعنى
ان هذا المال جنسه او نوع خاص منه من مال بيت المال ونحوه ناعم مستحسن
لونا وطعما مشتهى لا نفس اكثر الانام مشبه بالمرعى المشتهى للانعام فمن اخذه
بحقه اي بقدر احتياجه من طريقه ووضعه في حقه اي في محله الواجب
او ندبية فنعم المعونة اي ما يعان به على طاعة ويدفع به ضرورات المونة

والمراد

وعنه عزوجل

والمراد بالمعونة الوصف مبالغة اي فنعم المعين على الدين هو اي المال ونظيره
ما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح ومن اخذه بغير حقه اي من غير احتياج
اليه وجمعه من حرام ولم يصرفه في مرضات ربه كان كالذي ياكل ولا يشبع
في الدا العضال والورطة المهلكة بغلبة الحرص كالذي به جوع البقرة وكالمريض
الذي به الاستسقا حيث ما يروى وكل ما يشرب يزيد عطشا وانتفاخا
ويكون اي المال شهيدا عليه يوم القيامة اي حجة عليه يوم يشهد على
حرصه واسرافه وانه انفقه فيما لا يرضاه الله ولم يوجد حقه من مال الله
لعباد الله قال الغزالي مثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع
فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز من شرها وطريق استخراج
ترياقها كانت نعمة وان اصابها السوادي المعني فهي عليه بلا مهلك وتوضيح
ما قاله الخواجه عبيد الله النقشبندي ان الدنيا كالحية فكل من يعرف
رقيتها يجوز له اخذها والا فلا فقيل وما رقيتها فقال ان يعرف من اين ياخذها
وفي اين يصرفها متفق عليه وعن عمرو بن عوف قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوالله لا الفقر بالنصب مفعول مقدم للاهتمام على عامله وهو قوله
اخشى عليكم والمعنى ما اخشى عليكم الفقر لان الغالب عليه السلامة وانه
انفع لكم ولذا قيل ان من العصمة ان لا تقدر وان كان كاد الفقر ان يكون كفرا
ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا فتعملوا معاملة الاغنيا فتهلكوا بانواع
البلا كما بسطت على من كان قبلكم اي فهلكوا بسبب عدم ترحمهم على الفقرا لاجل
الميل الى المال فتنافسوها بحذف احدى التائين عطف على تبسط من نافست
في الشي اي رغبت فيه وتحقيقه ان المنافسة والتنافس ميل النفس الى
الشي النفيس ولذا قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والمعنى
فتختاروها انتم وترغبون فيها غاية الرغبة كما تنافسوها بصيغة الماضي
اي كما رغب فيها من قبلكم وتهلككم اي الدنيا كما اهلكتهم قال الطيبي فان قلت
ما الفايدة في تقديم المفعول في القرينة الاولى دون الثانية قلت فايدته
الاهتمام بشان الفقر لان الاب المشفق اذا احتضر انما يكون اهتمامه بشان
الولد وضياعه واعدامه المال كانه صلى الله عليه وسلم يقول حالي معكم خلاف
حال الوالد فاني لا اخشى الفقر كما يخشاه الوالد لكن خوفي من الغنى الذي
هو مطلوب الوالد للولد ثم التعريف في الفقر اما ان يكون للعهد فهو الفقر
الذي كانت الصحابة عليه من الاعدام والقلة والبسط الله عليهم من فتح البلاد
واما للجنس وهو الفقر الذي يعرفه كل احد وتطيره ما فسر به قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا انتهى والظاهر ان المراد بالفقر ما لم يكن
عند جميع ما يحتاج اليه من ضروريات الدين والبدن وبالغنى الزيادة على
مقدار الكفاية الموجبة للطغيان وشغل الانسان عن عبادة الرحمن فالمعنى
كما قال الطيبي ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها وتحرصون على امساكها فتطغون
بها فتهلكون لها قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ويحتمل ان

يكون هلاكهم من اجل ان المال مرغوب فيه فيجمع الناس ويتوقعون منه نفعه
منهم فيقع العدوان بينهم فيفضي ذلك الى الهلاك انتهى وهذا الاحتمال بعيد
عن ان يكون مراد الحديث بل محال متفق عليه وروى الطبراني في الصغير
عن انس مرفوعا قال من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه تعالى
ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما يشكو الله تعالى ومن تضعضع
لغني لينال مما في يديه اسخط الله تعالى ومن اعطي القران فدخل النار
فابعده الله تعالى ورواه ابو الشيخ في الثواب من حديث ابي الدرداء الا انه
قال في اخره ومن قعد او جلس الى غني فتضعضع له لدنيا ليصيبه ذهب
ثلثا دينه ودخل النار وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اجعل رزق ال محمد اي ذريته واهل بيته او اتباع محمد واحبابه على وجه
الكمال قوتا اي ما يكتسب قوتا على الطاعة ويسد رمقا في المعيشة وفي رواية
كفافا بفتح الكاف وهو من القوت ما يكف الرجل عن الجوع او عن السوال والظاهر
ان هذه الرواية تفسير الاولى وبيان ان الاكتفا بادنى المعيشة هو الطريق
الاولى وقد استجاب الله دعاه فحقق من شاء ممن اراد اصطفاه واجتباه ويويد
القول الثاني وهو ان يكون المراد بالال خواص امته من ارباب الكمال ما ورد في
دعايه عليه السلام على ما رواه ابن ماجة عن عمرو بن غيلان الثقفي والطبراني
عن معاذ بن جبل اللهم من امن بي وصدقني وعلم ان ما جيت به هو الحق
من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاك وعجل له القضا ومن لم
يومن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جيت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده
واطل عمره ولعل السبب في ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك وفي رواية قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه
ونعم ما قال بعض ارباب الاحوال• زيادة المرء في دنياه نقصان •
وربحه غير محض الخير خسران • هذا وفي النهاية الكفاف هو الذي لا يفضل
عن الشي ويكون بقدر الحاجة اليه قال الطيبي هذه الرواية مفسرة للرواية
الاولى لان القوت ما يسد به الرمق وقيل سمي قوتا لحصول القوة منه
سلك صلى الله عليه وسلم طريق الاقتصاد المحمود فان كثرة المال تلهي
وقلته تنسي فما قل وكفى خير مما كثر منه والهى وفي دعا النبي صلى الله
عليه وسلم ارشاد لامته كلهم الى ان الزيادة على الكفاف لا ينبغي
ان يتعب الرجل في طلبه لانه لا خير فيه وحكم الكفاف يختلف باختلاف الاشخاص
والاحوال فمنهم من يعتاد قلة الاكل حتى انه ياكل في كل اسبوع مرة فكفافه وقوته
تلك المرة في اسبوع ومنهم من يعتاد الاكل في كل يوم مرة او مرتين فكفافه ذلك
ايضا لانه ان تركه اضره ذلك ولم يقو على الطاعة ومنهم من يكون بكثرة العيال
فكفافه ما يسد رمق عياله ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج الى طلب الزيادة
وكثرة الاشتغال فاذن قدر الكفاف غير مقدر ومقداره غير معين الا ان
المحمود ما يعين القوت على الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة متفق عليه

وفي الجامع

وفي الجامع اللهم ارزق ال محمد في الدنيا قوتا رواه مسلم والترمذي وابن ماجة عن ابي
هريرة وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح
اي فاز وظفر بالمقصود من اسلم اي انقاد لربه المعبود ورزق اي من الحلال
كفافا اي ما كفاه في امر دنياه وكفه عما سواه وقنعه الله اي جعله قانعا بما اتاه
اي بما اعطاه اياه بل جعله شاكرا لما اعطاه راضيا بكل ما قدره وقضاه رواه مسلم
وكذا احمد والترمذي وابن ماجة وفي رواية لاحمد عن ابي ذر مرفوعا قد افلح
من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه ولسانه صادق وجعل نفسه مطمينة
وخليقته مستقيمة وعينه ناظرة وحافي روايته مختصر قد افلح من رزق
لبا رواه البيهقي عن قرة ابن هبيرة وقد قال تعالى قد افلح المومنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون الايات والله اعلم بحقيقة البيان وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد اي مع ان العبد وما في يده لمولاه
ولا ينبغي له ان ينسب اليه بنفسه شيا كما قالت الصوفية بصيغة مالي
مالي اي مالي كذا مالي كذا والمعنى يعده افتخارا او يذكره احتقارا ولم يعرف المقصود
من المال ولا يترتب عليه في المال من الوبال ان ماله من ماله ثلاث ما الاولى موصولة
وله صلة ومن ماله يتعلق بالصلة وثلاث خبر وانما انثه على تاويل المنافع ذكره
الطيبي والمعنى ان الذي يحصل له من ماله ثلاث منافع في الجملة لكن منفعة واحدة
منها حقيقة باقية والباقي منها صورة فانية ما اكل اي ما استعمل من جنس الماكولات
والمشروبات فيه تغليب او اكتفا فافنى اي جعله فنيا ودخرة للعقبى وما
سوى ذلك اي وما عدا ما ذكر من ساير انواع المال من المواشي والعقار
والخدم والنقود والجواهر ونحو ذلك فهو اي العبد ذاهب اي عنه وتاركه
للناس اي من الورثة او غيرهم بلا فايدة راجعة اليه مع ان مطالبة المحاسبة
والمعاقبة عليه رواه مسلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع
الميت اي الى قبره ثلاثة اي من انواع الاشيا فيرجع اثنان اي الى مكانهما ويترك انه
وحده ويبقى معه واحد اي لا ينفك عنه يتبعه اهله اي اولاده واقاربه واهل
صحبته ومعرفته وماله كالعبيد والاما والدابة والخيمة ونحوها قال المظهر
اراد بعض ماله وهو مماليكه وقال الطيبي اتباع الاهل على الحقيقة واتباع
المال على الاتساع فان المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز ومونته
الغسل والحمل والدفن فاذا دفن انقطع تعلقه بالكلية وعمله اي من الصلاح
وغيره فيرجع اهله وماله اي كما تشاهد اله وماله ويبقى اي معه عمله
اي ما يترتب عليه من ثواب وعقاب ولذا قيل القبر صندوق العمل
وفي الحديث القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله اي من مال نفسه قالوا
يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال فان ماله اي
حقيقة ما قدم اي ما قدمه على موته بارساله الى الدار الاخرة فان النافع الباقي

لديها قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ومال وارثه
ما اخر اي ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدره الله عليهم من الخير والشر
قال تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت رواه البخاري وعن مطرف بضم الميم
وكسر الرا المشددة عن ابيه اي عبد الله بن الشخير بكسر فتشديد
ومرة كره قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا الهكم التكاثر اي اشغلكم
كثرة المال قال يقول ابن ادم اي لكونه ظلوما جهولا في حمل الامانة
المانعة عن الخيانة مالي مالي اي يفتخر بنسبة المال تارة ويفتخر به اخرى
فالاعيد للتاكيد ودفعا لتوهم ان يكون من قول الراوي وهل لك اي
وهل يحصل لك من المال وينفعك في المال يا ابن ادم الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت اي فامضيته من الافنا والابلا وابقيته لنفسك
يوم الجزا قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال عز وجل من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم رواه مسلم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى اي المعتبر عند ارباب
الحقيقة غنى صادرا عن كثرة العرض وهو غنى اليد من الامور العارضة والاموال
الحادثة وهو بفتح العين والراي متاع الدنيا وحطامها على ما في النهاية وقال
شارح العرض بالتحريك يتناول النقود وغيرها من الاموال وبالسكون لا
يتناول النقود قال الطيبي وعن هذه مثلها في قوله تعالى فازلهما الشيطان
عنها الكشاف اي فحملها الشيطان على الزلة بسببها وتحققه فاحذر الشيطان
زلتها عنه ولكن بتشديد النون ويجوز تخفيفه الغنى اي الغنى الحقيقي
غنى النفس اي عن المخلوق فاصدرا لاستغنا القلب باغنا الرب والمعنى
ان الغنى الحقيقي هو قناعة النفس بما اعطاه المولى والتجنب عن الحرص في
طلب الدنيا فمن كان قلبه حريصا على جمع المال فهو فقير في حقيقة الحال
ونتيجة المال وان كان له كثير من الاموال لانه محتاج الى طلب الزيادة بموجب
طول الامل ومن كان له قلب قانع بالقوت وراض بعطية مالك الملك والملكوت فهو
غني بقلبه مستغن عن الغير به سوا يكون في يده مال او لا اذ لا يطلب الزيادة
على القوت ولا يتعب نفسه في طلب الدنيا الى ان يموت بل يستغني بالقليل من
الدنيا لتحصيل الثواب الجميل في العقبى والثنا الجزيل من المولى رزقنا الله
المقام الاعلى وفي الحديث القناعة كنز لا يفنى وفي رواية لا تنفد وما احسن
ما قال من ارباب الحال • عزيز النفس من لزم القناعة • ولم يكشف لمخلوق قناعة •
قال الاشرف المراد بغنى النفس القناعة ويمكن ان يراد به ما يسد الحاجة
قال الشاعر • غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة • فان زاد شيئا عاد ذاك
الغنى فقر • قال الطيبي ويمكن ان يراد بغنى النفس حصول الكمالات العملية
والعلمية وانشد ابو الطيب معناه • ومن ينفق الساعات في جمع ماله •
مخافة فقر فالذي فعل الفقر • يعني ينبغي ان ينفق ساعاته واوقاته في الغنى
الحقيقي وهو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا في المال لانه فقر بعد فقر

انتهى

انتهى وقد قال بعض ارباب الكمال • رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللاعدا مال •
فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال • ومن المعلوم ان المال ارث
فرعون وقارون وساير الكفار والفجار وان العلم ارث الانبيا والاوليا والعلما الابرار
متفق عليه ورواه احمد والترمذي وابن ماجة

الفصل الثاني

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عني هذه الكلمات
اي الاحكام الاتية المسامع المصورة في ذهن المتكلم ومن الاستفهام فيعمل بهن
او يعلم من يعمل بهن او بمعنى الواو كما في قوله تعالى عذرا او نذرا ذكره الطيبي وتبعه
غيره والظاهر ان او في الاية للتنويع كما اشار اليه البيضاوي بقوله عذرا للمحقين
او نذرا للمبطلين ويمكن ان يكون او في الحديث بمعنى بل اشارة الى الترقي من مرتبة
الكمال الى منصة التكميل على ان كونها للتنويع وجه وجيه وتنبيه نبيه على
ان العاجز عن فعل قد يكون باعثا لغيره على مثله كقوله رب حامل فقه الى من
هو افقه منه قلت انا اي اخذها عنك يا رسول الله وهذه مبالغة تامة
ومعاهدة خالصة نظير ما عاهد بعض اصحابه بانه لا يسال مخلوقا وكان اذا
وقع سوطه من يده وهو راكب نزل واخذه من غير ان يستعين باحد من اصحابه
فاخذ بيدي اي لتحقيق القضية وتقريبا للخصوصية فعد خمسا اي من
الخصال او من الاصابع على ما هو المتعارف واحدة فقال اتق المحارم وهي شاملة
لجميع المحرمات من فعل المنهيات وترك المامورات تكن اعبد الناس اذ العبادة
افضل من الخروج عن عهدة الفرايض وعوام الناس يتركونها ويعتنون
بكثرة النوافل فيضيعون الاصول ويقومون بالفضايل فربما يكون على شخص
قضا صلوات ويغفل عن ادايها ويطلب علما او يجتهد عمل في طواف وعبادات
نفل او يكون على احد من الزكاة او حقوق الناس فيطعم الفقرا او يبني المساجد
والمدارس ونحوها ولعل التعبير بالاتقا اعتنا لجانب الاحتما على قاعدة الحكما
في معالجة الدا بالدوا وارض بما قسم الله لك اي سوا يعطيكه بواسطة مخلوق او
بغيرها تكن اغنى الناس سال شخص السيد ابا الحسن الشاذلي عن الكيميا
قال هي كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير
ما قسم لك وقال السيد عبد القادر الجيلي اعلم ان القسم لا يفوتك بترك
الطلب وما ليس يقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد فاصبر
والزم الحال وارض به ليرضى عنك ذو الجلال واحسن الى جارك اي ولو اسا اليك
تكن مومنا اي كاملا او مطيعا له الا من قوله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم
يومن جاره بوايقه اي شروره وغوايله واحب للناس اي عموما ما تحب
لنفسك اي مثل ما تحبه لك خاصة حتى تحب الايمان للكافر والتوبة
للفاجر ونحو ذلك تكن مسلما اي كاملا وهذا الحديث اعم من حديث
المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وقد استشهد الطيبي به
على اظهره فيما اعتضده لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولا تكثر
الضحك اي تكن طيب القلب وحيا بذكر الرب فان كثرة الضحك اي الموذي للغفلة

عن الاستعداد الي الموت وما بعده من الزاد للمعاد بتمييت القلب اي ان كان حياوتي
سوددا ان كان ميتا رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وفي التصحيح
للجزري رواه الترمذي من حديث الحسن عن ابي هريرة والحسن لم يسمع
قال وروي ابو عبيدة الباجي عن الحسن هذا الحديث قوله ولم يذكر عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي
الحسن لم يسمع من ابي هريرة رواه البزار والبيهقي بنحوه في كتاب الزهد
له عن مكحول عن واثلة لكن بقية اسناده فيه ضعف ذكره ميرك وفيه
ان حديث الحسن اعتضد بحديث مكحول فترقي عن درجة الضعف مع انه
معتبر في فضايل الاعمال اجماعا وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يقول ابن ادم خص بالندا لانه عمدة العابدين واضيف الي ادم اشعارا بانه يتبعه في مرتبة التابعين
تفرغ لعبادتي اي بالغ في فراغ قلبك لعبادة ربك املا صدرك غني اي احشر قلبك علوما ومعارف
تورث الغني عن غير المولي واسد فقرك اي واسد باب حاجتك الي الناس وهو بفتح الدال المشددة
في النسخ المصححة لعطفه علي المجزوم من جواب الامر وفي نسخة بضمها المتابعة عينيها وعدجوز
في لم يمد الحركات الثلاث مع الادغام وان لا تفعل اي ما امرتك به من الاعراض عن الدنيا والاقبال
علي عبادة المولي النافعة في الدنيا والاخرة ملات يديك اي جوارحك كما يدل عليه رواية يدك وفي
الجامع يديك بصيغة التثنية وانما خصت اليد لانها الة لاشغال فعال بها شغلا بضم فسكون وبضمتين
ضمهما وفتحها وفتح فسكون علي ما في القاموس اي اشتغالا من غير منفعة ولم اسد فقرك اي لا تستغني
ولا من غيره وحاصله انك تتعب نفسك بكثرة التردد في طلب المال ولا تنال الا ما قدرت لك من المال
في الازل وتحرم عن غني القلب لترك عبادة الرب رواه احمد وابن ماجة وكذا الترمذي والحاكم علي ما
ذكره في التصحيح والجامع رواه الترمذي وابن ماجة من طريق ابي خالد الوالبي واسمه هرمز ويقال
هرم عن ابي هريرة قال ابن عدي في حديثه ابي خالد لين وقال الحافظ المنذري في الترغيب رواه
ابن ماجة والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن وابن حبان في صحيحه باختصار لانه قال بدنك
شغلا والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي في كتاب الزهد قال ميرك وله شاهد من حديث معقل
ابن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ربكم يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املا قلبك غني واملا
يدك رزقا يا ابن ادم لا تباعد مني املا قلبك فقرا واملا يدك شغلا رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد
وروي ابن عساكر والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا خير سليمان بين المال
والملك والعلم فاختار العلم فاعطي الملك والمال لاختياره العلم وروي البيهقي عن عمران بن حصين
مرفوعا من انقطع الي الله عز وجل كفاه كل مونته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الي الدنيا
وكله الله اليها وروي الديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة والبيهقي عن علي مرفوعا ابي الله
ان يرزق عبده المومن الا من حيث لا يحتسب وعن جابر قال ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعبادة واجتهاد اي في طاعة مع قلة ورع عن معصية والتنوين فيهما للتعظيم والتنكير وذكر اي
عند النبي برعة بكسر الراء على وزن عدة اي بورع من حرام مع قلة عبادة والمعني انه طلب منه
صلى الله عليه وسلم بيان الافضل منهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدل بصيغة الفاعل مجزوما وقيل بصيغة
المفعول مرفوعا اي لا تزن ولا تقابل العبادة بالرعة يعني بالورع تفسير من الراوي والمراد بالورع
التقوي عن المحرمات فانه قد يفضي الي امتثال الواجبات من العبادات قال المظهر لا تعدل يجوز ان

يكون

يكون نهيا عن المخاطب المذكور مجزوم اللام يعني لا تقابل شيا بالرعة وهو بكسر الراء وتخفيف العين الورع
فان الورع افضل كل خصلة ويجوز ان يكون خبرا منفيا بضم التاء وفتح الدال اي لا تقابل خصلة بالورع
فانه افضل الخصال قال الراغب الورع في عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع الي تناول اعراض
الدنيا وذلك ثلاثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف
عن الشبهات وذلك للاوسط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصاد على اقل الضرورات
وذلك للنبيين والصديقين والشهدا والصالحين رواه الترمذي قال الطيبي وقد الحق في بعض
نسخ المصابيح بعد قوله لا تعدل بالرعة قوله شيا وليس في جامع الترمذي واكثر نسخ المصابيح منه
انتهى قلت وفي الجامع لا يعدل بصيغة المذكر المجهول علي ان الجار والمجرور نايب الفاعل وهو ظاهر
جدا حيث لا يحتاج الي تقدير شي مطلقا وعن عمرو بن ميمون الاودي بفتح فسكون فمهملة
نسبة الي اود بن صعب ذكره السيوطي وقال المولف ادرك الجاهلية واسلم في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو معدود في كبار التابعين من اهل الكوفة روي عن عمر بن
الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه
اغتنم من الاغتنام وهو اخذ الغنيمة خمسا من الاحوال الموجودة في الحال قبل خمس
من العوارض المتوقعة في الاستقبال شبابك اي زمان قوتك علي العبادة قبل هرمك
بفتحتين اي قبل كبرك وضعفك عن الطاعة وصحتك اي ولو في هرمك قبل سقمك بفتحتين
وبضم فسكون اي مرضك وغناك اي قدرتك علي العبادات المالية والخيرات والمبرات
الاخروية في مطلق الاحوال ومن اعم الاموال قبل فقرك اي فقدك اياه بالحياة او الممات
فان المال في صدد الزوال وفراغك قبل شغلك سبق بيان مبناه ومعناه وحياتك
ولو في الكبر المقرون بالمرض والفقر الممكن فيها الاتيان بذكر الله قبل موتك اي وقت
اتيان اجلك وانقطاع عملك رواه الترمذي مرسلا قال الجزري في التصحيح حديث عمرو
ابن ميمون رواه النسايي هكذا مرسلا وعمرو بن ميمون تابعي كبير من المخضرمين ادرك الجاهلية واسلم
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قال ميرك وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس
الحديث بهذا اللفظ اخرجه الحاكم وقال صحيح علي شرطهما قلت وفي الجامع بلفظ اغتنم خمسا قبل
خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل
هرمك وغناك قبل فقرك رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ورواه احمد في الزهد
وابو نعيم في الحلية والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما ينتظر احدكم خرج مخرج التوبيخ علي تقصير المكلفين في امر دينهم اي متي تعبدون
ربكم فانكم اذا لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل
وضعف القوي ولعل احدكم ما ينتظر الا غني مطغيا اي جاعلك طاغيا اي عاصيا مجاوزا
للحد او فقرا منسيا من باب الافعال ويجوز ان يكون من باب التفعيل ولكن الاول اولي لمشاكلة
الاولي جاعلا صاحبه مدهوشا فتنسيه الطاعة من الجوع والعري والتردد في طلب القوت او
مرضا مفسدا اي للبدن لشدته او للدين لاجل الكسل الحاصل به بالتخفيف او مبلغا صاحبه الي
الفند وهو ضعف الراي يقال افند اذا جعل رايه ضعيفا وقال شارح يقال فند الرجل اذا
كثر كلامه من الخرف وافنده الكبر يعني الذي لا يدري ما يقول من غاية كبره انتهي والاظهر ان
التقييد للنبة الي الخرف ومنه قوله تعالي حكاية عن يعقوب عليه السلام اني لاجد ريح

يوسف لولا ان تفندون قال البيضاوي ان تنسبوني قال البيضاوي تنسبوني الي الفند وهو
نقصان عقل يحدث من هرم وفي القاموس الفند بالتحريك الخرف وانكار العقل لهرم او مرض
والخطاء في القول والراي والكذب كالافناد وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطا رايه كافنده ولا
يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات راي ابدا انتهي وكذا قال البيضاوي معللا بكون نقصان
عقلها ذاتي اقول ولا شك ان نقصان عقلها اضافي ومع هذا لا اباء في صحة اطلاقه عليها النقصان
عرضي وفي النهاية الفند في الاصل الكذب وافند تكلم بالفند وفي الفايق قال للشيخ اذا هرم
قد افند لانه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة فشبه بالكاذب في تحريفه والهرم
المفند من احوات قولهم نهاره صايم جعل الفند للهرم ويقال ايضا افنده الهرم وفي كتاب
العين شيخ مفند يعني منسوب الي الفند ولا يقال امراة مفندة لانها لا تكون في شبيبتها ذات
راي فتفند في كبرتها قال التوربشتي فقوله مفند الرواية فيه بالتخفيف ومن شدد فليس
بمصيب او موتا مجهزا بالتحقيق اي قاتلا بغتة من غير ان يقدر علي توبة ووصية
ففي النهاية المجهز هو السريع يقال اجهز علي الجريح اذا اسرع قتله قال القاضي الموت المجهز
المسرع يريد به الفجاة ونحوها مما لم يكن بسبب مرض او كبر سن كقتل وغرق وهدم او الدجال
فالدجال وفي نسخة والدجال شر غايب ينتظر اي اسوه او الساعة اي القيامة والساعة
ادهي وامر اي اشد الدواهي وافظعها واصعبها وامر اي اكثر مرارة من جميع ما يكابده الانسان
في الدنيا من الشدايد لمن غفل عن امرها ولم يعد لها قبل حلولها قال الطيبي الفاء في قوله
فالدجال تفسيرية لانه فسر ما ابهم مما سبق والواو والساعة نايبة مناب الفا الملابسة
للعطف قلت الظاهر ان الواو للحال والله اعلم وحاصل مجمل الحديث انه استنبطا لمن تفرغ لامر
وهو لا يغتنم الفرصة فيه فالمعني ان الجاهل ينتظر احد الحالات المشهورة فالسعيد من
انتهز الفرصة واغتنم المكنة واشتغل بادا مفترضه ومسنونه قبل حلول رمسه وهذه موعظة
بليغة وتذكرة بالغة رواه الترمذي والنساي وعنه اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال الا للتنبيه ان الدنيا ملعونة اي مبعودة عن الله لكونها مبعدة عن الله ملعون
ما فيها اي مما يشغل عن الله الا ذكر الله بالرفع وفي نسخة بالنصب وهو استثنا منقطع وما والاه
اي احبه الله من الاعمال البر وافعال القرب او معناه ما والي ذكر الله اي قاربه من ذكر خير
او تابعه من اتباع امره ونهيه لان ذكره يوجب ذلك قال المظهر اي ما يحبه الله في الدنيا
والموالات المحبة بين اثنين وقد تكون من واحد وهو المراد ههنا يعني ملعون ما في
الدنيا الا ذكر الله وما احبه الله مما يجري في الدنيا وما سواه ملعون وقال الاشرف
هو من الموالات وهي المتابعة ويجوز ان يراد بها ما يوالي ذكر الله تعالي طاعته واجتناب
نهيه وعالم او متعلم في اكثر النسخ مرفوع واللغة العربية تقتضي ان يكون عطفا علي ذكر
الله فانه منصوب مستثني من الموجب قال الطيبي هو في جامع الترمذي هكذا وما والاه
وعالم او متعلم بالرفع وكذا في جامع الاصول الا انه بدل او فيه الواو وفي سنن
ابن ماجة او عالما او متعلما بالنصب مع او مكررا والنصب في القراين الثلاث هو الظاهر والرفع
فيها علي التاويل كانه قيل الدنيا مذمومة لا يحمد مما فيها الا ذكر الله وعالم ومتعلم قال في
مختصر الاحيا الدنيا ادني المنزلتين ولذلك سميت دنيا وهي معبرة الي الاخرة والمهد
هو الميل الاول واللحد هو اليوم الثاني وبينهما مسافة هي القنطرة وهي عبارة عن

اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل ويعني بالاعيان الارض وما عليها
من النبات والحيوان والمعادن ويعني بالحظ حبها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالرياء
والحقد وغيرهما ونعني بقولنا له في اصلاحها شغل انه يصلحها بحظ له او لغيره دنيوي او
اخروي فيندرج فيه الحرف والصناعات واذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك ما لك فيه
لذة في العاجل وهي مذمومة فليست وسايل العبادات من الدنيا كما لا يخفي مثلا للتقوي
عليها واليه الاشارة بكون الدنيا مزرعة الاخرة وبقوله صلي الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
وملعون ما فيها الا ذكر الله وقال ابن عباس ان الله تعالي جعل الدنيا ثلاثة اجزا جز للمومن
وجز للمنافق وجز للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع قال الطيبي ويمكن
من حق الظاهر ان يكتفي بقوله وما والاه لاحتوايه علي جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات
الشرع ثم ثنيه في المرتبة الثانية بقوله والعلم تخصيصا بعد التعميم دلالة علي فضله
فعدل الي قوله عالم ومتعلم تفخيما لشانهما صريحا بخلاف ذكره الترتيب فان دلالته
عليه بالالتزام وليعلم ان جميع الناس سوي العالم والمتعلم همج ولينبه علي
ان العالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل فيخرج منه الجهلاء والعالم الذي
لم يعمل بعلمه ومن تعلم علم الفضول وما لا يتعلق بالدين وفي الحديث ان ذكر الله اس
كل عبادة بل هو كالحياة للابدان والروح للانسان وهل الانسان عن الحياة غني
وهل له عن الروح معدن وان شيت قلت به بقا الدنيا وقيام السموات والارض كما
روينا عن مسلم قال صلي الله عليه وسلم لا تقوم الساعة علي احد يقول الله الله فالحديث
اذا من بدايع الحكم وجوامع الكلم الذي خص بها هذا النبي المكرم صلي الله عليه وسلم
لانه دل بالمنطوق علي جميع الخلال الحميدة وبالمفهوم علي رذايلها رواه الترمذي
اي وقال حسن وابن ماجة وكذا البيهقي وفي الجامع نسبه اليهما بدون لفظ الا وبالنصب
ولفظ او في قوله عالما او متعلما وهذا في باب الهمزة وما في باب الدال فقال الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان منها لله عز وجل رواه ابو نعيم في الحلية وايضا عن جابر وايضا
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما او متعلما رواه ابن ماجة عن ابي
هريرة والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد وايضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امرا
بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله رواه البزار عن ابن مسعود ايضا الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل رواه الطبراني عن ابي الدردا وعن
سهل بن سعد اي الساعدي الانصاري صحابيا جليلا قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لو كانت الدنيا تعدل بفتح الرا وكسر الدال اي تزن وتساوي عند الله جناح
بعوضة اي ريشة ناموسة وهي مثل القلة والحقارة والمعني انه لو كان لها ادني قدر
ما سقي كافرا منها اي من مياه الدنيا شربة ماء اي يمنع الكافر منها ادني تمتع فان الكافر عدو
الله والعدو لا يعطي شيا مما له قدر عند المعطي فمن حقارتها عنده لا يعطي لاوليايه كما
اشار اليه حديث ان الله يحمي عبده المومن عن الدنيا كما يحمي احدكم المريض عن الماء وحديث
ما زويت الدنيا عن احد الا كانت خيرة له ومن كلام الصوفيه ان من العصمة ان لا تقدر وفي دعايه
صلي الله عليه وسلم الجامع المانع الفايق في مقام الرضا القانع بما جري عليه من القضا اللهم ما
رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم وما زويت عني مما احب فاجعله فراغا لي فيما

تحب ومن دناءتها لديه يكثرها على الكفار والفجار بل قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية وقال صلى الله عليه وسلم لهم وما ترضى ان تكون لهم
الدنيا ولنا الاخرة قال تعالى وما عند الله خير للابرار ورزق ربك خير وابقى رواه
احمد والترمذي وابن ماجة وكذا الضيا وقال الترمذي حديث صحيح وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة وهي البستان والقرية والمزرعة
وفي النهاية الضيعة في الاصل المرة من الضياع وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة
والتجارة والزراعة وغير ذلك فترغبوا في الدنيا اي فتميلوا اليها عن الاخرى والمراد النهي عن
الاشتغال بها وبامثالها مما يكون مانعا عن القيام بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي
الى امور العقبى وقال الطيبي المعنى لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله
قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية رواه الترمذي والبيهقي
في شعب الايمان وكذا احمد والحاكم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احب دنياه اي حبا يغالب على حب مولاه اضر باخرته الباء للتعدية وكذا في القرينة
الاتية اي نقص درجته في الاخرة لانه يشتغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلا يكون له
فراغ للامر الاخروي ولطاعة المولى ومن احب اخرته اضر بدنياه اي لعدم توجه فكره
وخاطره لامرها لاشتغاله بامر الاخرى ومهما فاثروا والتفريع على ما قبله او جواب شرط
مقدر فكانه قال اذا عرفتم انهما ضدان لا يجتمعان وكذا قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في
الدنيا اشبعكم في العقبى ورب كاسية في الدنيا عارية في الاخرى قال تعالى في
حق الساعة خافضة رافعة فاثروا بالمد اي فاختاروا ما يبقى على ما يفنى
فان العاقل يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس ولذا قال الغزالي
اقل العلم بل اقل الايمان بل اقل العقل ان يعرف صاحبه ان الدنيا فانية وان الاخرة باقية
ونتيجة هذا العلم ان تعرض عن الفاني وتقبل على الباقي وعلامته الاقبال على العقبى
والاعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد قال الطيبي انهما كفتا ميزان
فاذا رجحت احدى الكفتين خفت الاخرى وبالعكس وذلك ان محبة الدنيا سبب
لاشتغاله بها والانهماك وذلك للاشتغال عن الاخرة فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة
فيفوته الفوز بدرجاتها وثوابها وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن
والغم والهم والتعب في دفع الحسنات وتجشم المصاعب حفظ الاموال وكسبها في البلاد رواه
احمد ورواته ثقات والبيهقي في شعب الايمان وكذا الحاكم في مستدركه وروى الخطيب في
الجامع عن انس مرفوعا خيركم من لم يترك اخرته لدنياه ولا دنياه لاخرته ولم يكن كلا على الناس
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن عبد الدينار ولعن عبد الدرهم كذا بالعطف
على الاصول المعتمدة والنسخ المصححة ووقع في الجامع بغير الواو العاطفة والله اعلم ونظيره
والله اعلم من حديث تعس عبد الدينار قد تقدم رواه الترمذي وعن كعب بن مالك
انصاري خزرجي شهد العقبة الثانية عن ابيه هكذا في النسخ الحاضرة جميعا وهو سهو
قلم وخطأ ولذا قال ميرك صوابه عن ابن كعب بن مالك عن ابيه وعن كعب بن مالك بدون
ابيه وقال السيد جمال الدين هكذا وقع في اكثر نسخ المشكاة التي رايناها وكذا وجدناه
في غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو والظاهر انه كان واقعا من كتاب المصابيح

ووقع من صاحب المشكاة تقليدا وصوابه عن ابن كعب بن مالك عن ابيه كما في اصل الترمذي والابن
المذكور هو عبد الله كما هو مصرح في جامع الاصول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نافية ذئبان بهمزة ساكنة ويبدل جائعان اتى به للمبالغة ارسلا اي خليا وتركا في غنم
اي في قطيعة غنم بافسد الباء زائدة اي اكثر فسادا لها اي لتلك والتانيث باعتبار الجنس او
القطعة من حرص المرء المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيئين ظاهرا وباطنا وهما قوله على المال اي
الكثير والشرف اي الجاه الوسيع وقوله لدينه متعلق بافسد والمعنى ان حرص المرء عليهما
اكثر فسادا لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين الغنم قال
الطيبي ما بمعنى ليس وذئبان اسمها وجائعان صفة له وارسلا في غنم الجملة في محل الرفع
على انها صفة وقوله بافسد خبرها والباء زائدة وهو فعل تفضيل اي باشد افسادا والضمير
في لها للغنم واعتبر فيها الجنسية فلذا انث وقوله من حرص المرء هو المفضل عليه لاسم التفضيل وقوله
على المال يتعلق بالحرص والشرف عطف على المال والمراد به الجاه وقوله لدينه اللام فيه بيان كما في قوله تعالى
لمن اراد ان يتم الرضاعة كانه قيل بافسد لاي شيء قيل لدينه ومعناه ليس ذئبان جائعان ارسلا
في جماعة من جنس الغنم باشد افسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه فان افساده لدين
المرء اشد من فساد الذئبين الجائعين لجماعة الغنم اذا ارسلا فيها واما المال فافساده انه نوع من القدرة
يحرك داعية الشهوات ويجر الى التنعم في المباحات فيصير التنعم مالوفا وربما يشتد انسه
بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم عن كسب الحلال في الشبهات مع انها ملهية عن ذكر الله
تعالى وهذه لا ينفك عنها احد واما الجاه فكفى به افسادا ان المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال
وهو الشرك الخفي فيخوض في المرايات والمداهنة والنفاق وسائر الاخلاق الذميمة فهو افسد افسادها
وقد قالت السادة الصوفية ان اخر ما يخرج من راس الصديقين محبة الجاه فان الجاه وان كان في
الامور العلمية والمشيخة والحالات الكشفية فمن حيث النظر الى المخلوق والغفلة عن الغيرة الربوبية
والرؤية الاثنينية بعد ظهور انوار الاحدية يحجب السالك عن الخلوة في الجلوة بوصف البقا بالله والفنا
عما سواه هذا وقد روى صاحب الكشاف في ربيع الابرار عن ابن مسعود رضي الله عنه يكون الرجل
مرائيا في حياته وبعد موته قيل كيف ذلك قال يحب ان يكثر الناس جنازته رواه الترمذي والدارمي
لعل لفظ الحديث للترمذي والا فحق الترتيب ان يقدم الدارمي فانه روى عنه مسلم وابو
داود والترمذي وغيرهم هذا وفي الجامع رواه احمد والترمذي عن كعب بن مالك من غير ذكر
ابيه وعن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى وهو ابن الارت بفتحتين وتشديد
الفوقية يكنى ابا عبد الله التميمي وانما لحقه سبا في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة واعتقته
اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على اسلامه فصبر نزل الكوفة
ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة روى عنه جماعة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما انفق مومن من نفقة الا اجر بصيغة المجهول اي اثيب فيها اي في تلك النفقة
وانفاقها الا نفقته بالنصب على الاستثنا من الموجب لان النفي عاد الى الايجاب بالاستثنا الاول
فتامل في هذا التراب اي البنا فوق الحاجة وهذا للتحقير وقيل التراب كناية عن البدن وما يحصل
له من اللذات الزائدة على قدر الضرورة الدينية والدنيوية قال الطيبي نفقته منصوبة على الاستثنا
من الكلام الموجب اذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفي فيكون موجبا رواه الترمذي وابن
ماجة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النفقة كلها في سبيل الله اي ثابت في طريق رضاه

الا البنا اللازم للعبد اي الا البنا الزايدة علي مقدار الحاجة فلا خير فيه لوقوع الاسراف وان الله لا يحب المسرفين واما النفقة فلا ينقصها غير السرف لانه من باب الاطعام والانعام ويكن منها خير سوا وقطع لمستحقها او غيره من الانام والفاء في قوله فلا خير فيه تفريعية وهي ثابتة في جميع النسخ الحاضرة وكانه وقع في اصل الطيبي بالواو حيث قال في شرحه قوله ولا خير فيه حال موكدة من الجملة رواه الترمذي وقال حديث غريب وعنه اي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما اي وقتا ونحن معه جملة حالية فراى قبة مشرفة اي بناء عاليا فقال ما هذه استينافا انكاري اي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها قال اصحابه هذه لفلان رجل بالجر وفي نسخة بالرفع من الانصار فسكت وحملها اي اضمر تلك الفعلة في نفسه غضبا علي فاعلها في فعلها ففي اساس البلاغة حملت الحقد عليه اذا اضمرته قال الشاعر ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد حتى لما جا صاحبها فسلم اي اصحابها عليه اي علي النبي عليه السلام او رد واعرض عن الالتفات اليه كما هو دابه من الملاطفة لديه صلى الله عليه وسلم تاديبا له وتنبيها لغيره صنع ذلك مرارا الى بعض ان يكون جواب لما ويحتمل ان يكون مدخول حتى ولما الحينية ظرف معترضة بين العامل والمعمول ان يقدر جواب لما اي كرهه فاعرض عنه وقوله حتى عرف الرجل الغضب فيه اي عرف ان الغضب كان لاجله والاعراض عنه اي بسببه فشكا ذلك اي ما راه من اثر الغضب والاعراض الى اصحابه اي اصحابه خاصة او اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم وقال تغيير لما قبله والله لا انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ارى منه ما لم اعهده من الغضب والكراهة ولا اعرف له سببا وفي نسخة الى رسول الله ولا يظهر لها وجه قالوا خرج فراى قبتك فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها بالارض اختيارا لرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي نفسه وما تهواه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها اي القبة قال استينافا في بيان ما فعلت القبة بصيغة الفاعل وفي نسخة علي بنا المجهول قالوا شكى الينا صاحبها اعراضك اي سببه فاخبرناه اي بانه لاجل بنايه القبة فهدمها فقال اما بتخفيف الميم للتنبيه اي كل بنا بكسر الموحدة وهو اما مصدر او اريد به المبني وبال علي صاحبه الا ما لا مكرر للتاكيد يعني الا ما لا بد منه اي فراق قيل معنى الحديث ان كل بنا بناه صاحبه فهو وبال اي عذاب في الاخرة والوبال في الاصل الثقل والمكروه اراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة لا ابنية الخير من المساجد والمدارس والرباطات فانها من الاخرة وكذا ما لا بد منه للرجل من القوت والملبس والمسكن رواه ابو داود وروى البيهقي عن انس مرفوعا كل بنا وبال علي صاحبه يوم القيامة الا مسجدا وروى الطبراني عن واثلة مرفوعا كل بنا وبال علي صاحبه الا ما كان هكذا واشار بكفه وكل علم وبال علي صاحبه يوم القيامة الا من عمل به وعن ابي هاشم بن عتبة بضم عين فسكون فوقية فموحدة بعدها قال المولف هو شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشي وهو خال معاوية بن ابي سفيان اسلم يوم الفتح وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلا صالحا روى عنه ابو هريرة وغيره قال عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اوصاني قال بدل من عهد او تفسير وبيان للعهد واختار الطيبي الاول حيث قال بدل منه بدل الفعل من الفعل كما في قوله

• متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

ابدل تلمم بنا من قوله تاتنا انما يكفيك من جمع المال اي للوسيلة بحسن المال خادم

اي في السفر

وومـــــــــــ سووجل

اي في السفر لضرورة الحاجة اليه ومركب اي مركوب يسار عليه في سبيل الله اي في الجهاد او الحج او طلب العلم والمقصود منه القناعة والاكتفا بقدر الكفاية مما يصلح ان يكون زاد اللاخرة كما رواه الطبراني والبيهقي عن خباب انما يكفي احدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب ورواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وفي الجامع من قوله انما يكفيك الى اخره ونسبه للثلاثة الاخيرة عن ابي هاشم بن عتبة وللحديث تتمة قصة تاتي في الفصل الثالث وفي بعض نسخ المصابيح عن ابي هاشم بن عتبة بضم فسكون فوقية ففتح موحدة بالدال اي المهملة المنونة بدل التاء اي الفوقية الواقعة في اخر لفظ عتبة وهو تصحيف اذ لم يوجد في الاسما مع مخالفته لما سبق من الضبط الواقع في الاصول وهنا تحريف في بعض النسخ وبعض الحواشي ايضا حذرنا ان الصواب ما تحرر وعن عثمان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن ادم حق اي حاجة في سوى هذه الخصال قال الطيبي موصوف سوى محذوف اي شي سوى هذه انتهى وفي نسخة موافقة لما في الجامع فيما سوى هذه الخصال والمراد بها ضروريات بدنه المقوي على دينه بيت بالجر وروي بالرفع وكذا فيما بعده من الخصال المبنية يسكنه اي دفعا للحر والبرد وثوب يواري اي يستر به عورته عن اعين الناس او حال الصلوات لكونه شرطا فيها وجلف الخبز بكسر جيم وسكون لام ويفتح ففي القاموس الجلف بالكسر الغليظ اليابس من الخبز غير المادوم او جرف الخبز والظرف الوعاء وقال شارح الجلف ظرفه من جواب وركوة واراد المظروف والاظهر انه اراد الظرف والمظروف واكتفى بذكر احدهما عن الاخر لتلازمهما في الحاجة والما بالجر عطفا علي الجلف او الخبز وهو الظاهر المفهوم من كلام الشرح وفي بعض النسخ بالرفع بنا علي انه احدى الخصال قال شارح اراد بالحق ما وجب له من الله من غير تبعية في الاخرة وسوال عنه واذا اكتفى بذلك من الحلال لم يسال عنه لانه من الحقوق التي لا بد للنفس منها واما ما سواه من الحظوظ يسال عنه ويطالب بشكره وقال القاضي اراد بالحق ما يستحقه الانسان لافتقاره اليه توقف تعيشه عليه وما هو المقصود الحقيقي من المال وقيل اراد به ما لم يكن تبعة حساب اذا كان مكتسبا من وجه حلال وفي النهاية الجلف الخبز وحده لا ادم معه وقيل هو الخبز الغليظ اليابس قال ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهي الكسرة من الخبز وفي الغريبين قال شمر عن ابن الاعرابي الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق قال القاضي ذكر الظرف واراد به المظروف اي كسرة خبز وشربة ما انتهى والمقصود غاية القناعة ونهاية الكفاية كما نقل عن ابن ادهم • وما هي الا جوعة قد سددتها • وكل طعام بين جنبي واحد • وللشافعي رضي الله تعالى عنه • ايا نفس يكفيك طول الحياة اذا ما قنعت ورب الفلق • رغيف بحد بيخ يابس • وما روي ليس خالق • وخيش تكنك حد رانه • فما ذا الغنا وما ذا القلق • رواه الترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وعن سهل بن سعد قال جا رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل اي جامع مانع باب المحبة اذا انا للتاكيد عملته احبني الله واحبني الناس بفتح يا المتكلم ويسكن قال ازهد في الدنيا اي بترك حبها والاعراض عن زوايدها والاقبال علي الاخرة وعوايدها يحبك الله اي لعدم محبتك عدوه الله تعالى وهو بفتح الموحدة المشددة للجزم علي جواب الامر وقيل

مرفوع على الاستيناف وازهد فيما عند الناس اي من المال والجاه يحبك الناس لترك محبوبهم
وعدم المزاحمة على مطلوبهم وانشد بعضهم شعر

وما الزهد الا في انقطاع الخلائق • وما الحق الا في وجود الحقائق •
وما الحب الا حب من كان قلبه • عن الخلق مشغولا برب الخلائق •

قيل الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا من النار
او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد شرح الصدر
بنور اليقين ولا يتصور الزهد فيمن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد قال
الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جائته الدنيا راغبة فتركها واما انا ففي ما زهدت قلت هذا
بيان كمال الزهد والا فاصل الزهد هو عدم الميل الى الشي وهو في الحقيقة لا يحصل الا بجذبة
الالهية بصرف السالك عن الامور الفانية وبشغله بالاحوال الباقية وغايته ان النفس
مدعية للزهد ولا يظهر صدقها من كذبها الا عند القدرة على الدنيا ووجودها واما عند
فقدها فالامر دائر بين احد الاحتمالين والله اعلم وثمرة القناعة من الدنيا بقدر
الضرورة من زاد الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه
عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه كما سبق في الحديث المتقدم وفي المنازل ما
حاصله ان الزهد اسقاط الرغبة في الشي عنه بالكلية وهو على ثلاث مراتب
فالزهد في الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت
باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار
ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستوا الزهد وعدمه عنده والذهاب عن
الاكتساب بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق فيشاهد تصرف
المنع العطا والمنع والاخذ والترك قال الطيبي فيه دليل على ان الزهد اعلى المقامات
وافضلها لانه جعله سببا لمحبة الله تعالى وان محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه
رواه الترمذي وابن ماجة قال ميرك اظن ان ذكر الترمذي وقع سهوا من نساخ الكتاب
او من صاحبه فان الحافظ المنذري والامام النووي والشيخ الجزري قالوا كلهم رواه ابن
ماجة فقط فتامل قلت ذكر النووي في اربعينه انه حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره
انتهى لكن الترمذي غير مذكور في الاصول ويؤيده انه ذكر في الجامع من قوله ازهد في
الدنيا الخ وقال رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد
نعم في حديث رواه الترمذي وابن ماجة عن ابي ذر مرفوعا الزهادة في الدنيا ليست بتحريم
الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك اوثق منك بما في
يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك فيها لو انها ابقيت لك
وفي حديث رواه احمد في الزهد والبيهقي عن طاوس مرسلا الزهد في الدنيا
يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن ورواه القضاعي عن ابن
عمر مرفوعا ولفظ يكثر بدل تطيل ورواه الطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي
عن ابي هريرة مرفوعا بلفظ تشغب القلب والبدن وروي البيهقي عن الضحاك مرسلا
ازهد الناس من لم ينس القبر والبلا وترك افضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على
ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى وعن ابن عمر مرفوعا صلاح اول هذه

الامة بالزهادة واليقين وهلاك اخرها بالبخل والامل رواه الطبراني وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام اي عن النوم وقد اثر الحصير في جسده اي غاية
التاثير فقال ابن مسعود لو امرتنا ان نبسط بضم السين يحتمل ان يكون لو للتمني وان
تكون للشرطية والتقدير لو اذنت لنا ان نبسط لك فراشا لينا ونعمل اي لك ثوبا حسنا
لكان احسن من اضطجاعك على هذا الحصير الخشن فقال ما لي وللدنيا وما انا والدنيا
ما نافية اي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا الفة ومحبة معي حتى ارغب اليها
وانبسط عليها واجمع ما فيها ولذتها او استفهامية اي الفة ومحبة لي مع الدنيا او
اي شي لي مع الميل الى الدنيا او ميلها الي فاني طالب الاخرة وهي ضرتها المضادة لها هذا
وقال الطيبي قوله ونعمل متعلقه محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق وهو
وجوه التنعم والتلذذ بالاعراض الدنيوية اعم من ان يكون بساطا ومن ثم طابقه قوله
ما لي وللدنيا وقوله وما انا والدنيا اي ليس حالي مع الدنيا الا كراكب استظل تحت
شجرة ثم راح وتركها وهو من التشبيه التمثيلي وهو التشبيه بسرعة الرحيل
وقلة المكث ومن ثم خص الراكب واللام في الدنيا مقحم للتاكيد ان كان الواو بمعنى
مع وان للعطف فالتقدير ما لي مع الدنيا وما للدنيا معي رواه احمد والترمذي وابن
ماجة وكذا الحاكم والضيا وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اغبط
اوليائي افعل تفضيل مبني للمفعول لان المغبوط به حال اي احسنهم حالا وافضلهم
مالا عندي اي في ديني ومذهبي لمؤمن اللام زائدة خبر المبتدا للتاكيد وهي
للابتدا والمبتدا محذوف اي لهو مؤمن خفيف الحاذ بتخفيف الذال المعجمة اي
خفيف الحال الذي يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال فيتمكن من السير في
طريق الخالق بين الخلائق ولا يمنعه شي من العلائق والعوائق ومحل المعنى
احق احبابي وانصاري عندي بان يغبط ويتمنى حاله مؤمن بهذه الصفة
ذو حظ من الصلاة اي ومع هذا هو صاحب لذات وراحة من المناجاة مع الله
والمراقبة واستغراق في المشاهدة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قرة عيني في الصلاة
وارحنا بها يا بلال اي بوجودها وحصولها وما اقرب الراحة من قرة العين وما
ابعدها ما قيل معناه اذن بالصلاة نستريح بادائها من شغل القلب بها وقوله احسن
عبادة ربه تعميم بعد تخصيص ذكره الطيبي او الاول اشارة الى الكمية والثاني عبارة
عن الكيفية واطاعه في السر اي كما اطاعه في العلانية فهو من باب الاكتفا والتخصيص
لما فيه من الاعتنا وجعل الطيبي عطف تفسير على احسن وتفسيرنا احسن ويمكن
ان يكون المعنى واطاعه في عبادته بالاخفا ولا يظهر طاعته في الملا الاعلى عادة الملامية
من الصوفية ويناسبه قوله وكان غامضا اي خاملا خافيا غير مشهور في الناس
اي فيما بينهم وفيه اشارة الى انه لا يخرج عنهم وفيه ايما الى ان المراد بالناس عمومهم
فلا يضره معرفة خصوصهم من الاوليا والصلحا ممن يصاحبهم كما يدل عليه قوله لا يشار
اليه بالاصابع اي علما وعملا وهو بيان وتقرير لمعنى الغموض وكان رزقه كفافا اي
قدر كفايته بحيث يكفه ويمنعه عن الاحتياج الى الكافة فصبر على ذلك اي على
الرزق الكفاف او على الخمول والغموض او على ما ذكر دلالة على ان ملاك الامر الصبر

وبه يتقوى على الطاعة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وقال اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا ثم نقد بالنون والقاف والدال
المهملة المفتوحات بيده اي نقد النبي صلى الله عليه وسلم بيده بان ضرب احدى الانملة
على الاخرى حتى سمع منه صوت وهو في النهاية من نقدت الشي باصبعي انقده
واحدا بعد واحد نقد الدراهم ونقد الطائر الحب اذا لقطه واحدا بعد واحد وهو
مثل النقر ويروى بالراء انتهى وهو كذا في نسخة اي صوت باصبعه وفي رواية
وهي الظاهر من جهة المعنى جدا ثم نفض بيده فقال عجلت بصيغة المجهول من باب
التفعيل منيته اي موته قلت بواكيه جمع باكية وهي المراة التي تبكي على الميت قلت
تراثه اي ميراثه وماله المؤخر عنه ما يورث عنه حمل على سبيل التفداد قال التوربشتي
اريد بالنقد هاهنا ضرب الانملة على الانملة اي ضربها على الارض كالمتقلل للشي اي لم
يلبث قليلا حتى قبضه الله تعالى يقلل مدة عمره وعدد بواكيه ومبلغ تراثه
وقيل الضرب على هذه الهيئة يفعله المتعجب من الشي او من راى ما يعجبه حسنه
وانما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالات بشي او يفعل طربا او فرحا بالشي انتهى والمعنى
من كان هذه صفته فهو يتعجب من حسن حاله وجمال ماله وقيل قوله عجلت
منيته انه يسلم روحه سريعا لقلة تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه الى المولى لحديث
الموت تحفة المؤمن قال الاشرف ويمكن ان اراد به انه قليل مؤنة الممات كما كان
قليل مؤن الحياة رواه الترمذي وابن ماجة وفي الجامع رواه احمد والترمذي
والحاكم والبيهقي عن ابي امامة ولفظ اغبط الناس عندي مومن خفيف الحاذ
ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله واحسن عبادة ربه وكان
غامضا في الناس عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وروى ابو يعلى في مسنده
عن حذيفة خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد قال شيخ مشايخنا
السخاوي في المقاصد الحسنة في الاحاديث المشهورة على الالسنة علة رواه ولذا قال
الخليل منفة الحافظ وخطاه انتهى فان صح فهو محمول على جواز العزوبة ايام الفتن وفي
معناه احاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث بن ابي اسامة من حديث ابن
مسعود مرفوعا ياتي على الناس زمان تحل فيه العزبة ولا يسلم لذي دين دينه
الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالطائر بفراخه وكالثعلب
باشباله واقام الصلاة واتى الزكاة واعتزل الناس الا من خير الحديث ومنها ما
رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي عن ابن حذيفة عن ابن اليمان
عن ابي حذيفة مرفوعا خيركم بعد ستين وماتين العواقر وخيرا اولادكم بعد اربع
وخمسين البنات وفي الترمذي من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة مرفوعا
ان اغبط اوليائي الى ان قال فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته الحديث
وقال عقبه على ضعيف وقد اخرجه احمد والبيهقي في الزهد والحاكم في اطعمة من مستدركه
وقال هذا اسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه انتهى ولم ينفرد به علي بن يزيد فقد
اخرجه ابن ماجة في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة ابن عبد الله عن
ابراهيم بن مرة عن ايوب بن سليمان عن ابي امامة ولفظه اغبط الناس عندي مومن

ووقف ــــ لله عز وجل

خفيف الحاذ وذكر نحوه من شواهده ما للخطيب وغيره من حديث ابن مسعود رفعه اذا
احب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد وللديلمي من حديث
عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي عن داود بن عفال عن انس رفعه ياتي على
الناس زمان لان يربي احدكم جروا كلب خير له من ان يربي ولدا من صلبه وعنه
اي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي اي ربي عرضا حسيا او
معنويا وهو الاظهر والمعنى شاورني وخيرني بين الوسع في الدنيا واختيار البلغة لزاد
العقبى من غير حساب ولا عقاب ليجعل لي اي لاجلي او مخصوصا لاجلي على تقدير
اقبالي عليها والتفاتي اليها ويصير بطحاء مكة اي ارضها ورمالها ذهبا اي بدل
حجرها ومدرها واصل البطحاء سيل الماء واراد هنا عرصة مكة وصحاريها فاضافته
بيانية قال الطيبي قوله بطحاء مكة تنازع فيه عرض وليجعل اي عرض على بطحاء
مكة ليجعلها لي ذهبا فقلت لا اريد ولا اختار يا رب ولكن اشبع يوما اي اختار او اريد
ان اشبع وقتا فاشكر واجوع يوما اي فاصبر كما فصله وبينه بقوله فاذا جعت
تضرعت اليك اي بعرض الافتقار اليك وذكرتك اي بسببه فان الفقر يورث
الذكر كما ان الغنى يورث الكفر فصيرته على بلائك لقوله واذا شبعت حمدتك
اي بالصفتين من ثنائك وشكرتك على اشباعك وسائر نعمائك قال الطيبي
جمع في القرينتين بين الصبر والشكر وهما صفتا المؤمن الكامل قال تعالى ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور الكشاف صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
المخلص فجعلهما كناية اقول وتحقيقه على طريقة الصوفية السادة الصفية ان
الصفتين المذكورتين والخصلتين المسطورتين ناشئتان من تربية الله
للسالك بين صفتي الجلال والجمال اذ بهما يتم مرتبة الكمال وهو الرضى عن المولى
على كل حال بخلاف حال المحجوبين وفعال المتحيرين بينهما المذبذبين حيث قال تعالى
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وقال ومن الناس من
يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين رواه احمد والترمذي وعن عبيد
ابن محصن بكسر الميم وفتح الصاد قال المؤلف في فصل الصحابة انصاري خطمي يعد
في اهل المدينة وحديثه فيهم روى عنه ابنه سلمة قال ابن ابي سلمة ومن
الناس من يرسل حديثه انتهى وهو يحتمل كونه صحابيا لكن ليس له سماع منه
صلى الله عليه وسلم فحديثه من مراسيل الصحابة وهو حجة اتفاقا ويحتمل كونه
تابعيا فمرسله معتبر عند الجمهور خلافا للشافعية والله اعلم والاول اظهر لا
طلاقهم حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم اي ايها
المؤمنون امنا اي غير خائف من عدو او من اسبابه عند الله تعالى بالتوبة عن
المعاصي والعصمة عن المناهي ولذا قيل السبيل العبد لمن لسبيل لحديث انما العبد لمن
امن من الوعيد في سربه المشهور كسر السين اي في نفسه وقيل السرب الجماعة
فالمعنى في اهله وعياله وقيل بفتح السين اي في مسلكه وطريقه وقيل بفتحتين
اي في بيته كذا ذكره شارح وقال التوربشتي ابى بعضهم الا السرب بفتح السين

والراقي بيته ولم يذكر فيه رواية ولو سلم له قوله ان يطلق السرب على بيت يمكن قوله هذا
حريا بان تكون اقوي الاقاويل الاان السرب يقال للبيت الذي هو في الارض وفي القاموس
السرب الطريق وبالكسر الطريق والبال والقلب والنفس وبالتحريك جحر الوحشي والحفير
تحت الارض انتهي فيكون المراد من الحديث المبالغة حصول الامن ولو في بيت تحت
الارض ضيق كجحر الوحشي او التشبيه به في خفايه وعدم ضيايه معافي اسم مفعول
من باب المفاعلة اي صحيحا سالما من العيوب في جسده اي في بدنه ظاهرا وباطنا
عنده قوت يومه اي كفايته وقوته من وجه الحلال فكانما حيزت بصيغة المجهول من
الحيازة وهي الجمع والضم له الضمير عايد لمن رابط للجملة اي جمعت له الدنيا اي بحذافيرها
كما في نسخة مصححة اي بتمامها والحذافير الجوانب وقيل الاعالي واحدها حذفار او حذفور
والمعني فكانها اعطي الدنيا باسرها رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الجامع
رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجة من غير ذكر حذافيرها وعن المقدام
ابن معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملا ادمي وعاء اي ظرفا
شرا من بطن صفة وعاء بحسب ابن ادم مبتدا والباء زايدة وقوله اكلات بضمتين خبره نحو
قوله بحسبك درهم والاكلة بالضم اللقمة وفي رواية لقيمات بالتصغير للاشارة الى التحقير
مع الدلالة على القلة بالتنكير يقمن صلبه اي ظهره له قامة الطاعة ويقام المعيشة والاسناد
الاقامة الى الاكلات مجازية سببية فان كان لا محالة بفتح الميم وبضم اي لابد من الزيادة
فثلث بضمها ويسكن اللام طعام مبتدا وخبر اي ثلث منه للطعام وكذا قوله وثلث
شراب واللام مقدرة فيهما بقرينة قوله وثلث لنفسه بحركتين والمعني فان لا يكفي باقل
قوة البنية ولابد ان يملا بطنه فليجعل ثلث بطنه الطعام وثلثه للشراب وليترك ثلثه
خاليا لخروج النفس ولا ينبغي ان يكون كطايفة القلندرية حيث يقولون يملا البطن
من الطعام والما يحصل مكانه ولو في المسام والنفس ان انتهى خرج والا فلا بعد
تمام المرام فاوليك كالانعام بل هم اضل قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون وسبق ان المومن ياكل في معي واحد والكافر ياكل في سبعة امعا
وقال الطيبي اي الحق الواجب ان لا يجاوز عما يقام به ليتقوي به على طاعة الله
تعالى فان اراد البتة التجاوز فلا يتجاوز عن القسم المذكور جعل البطن اولا وعا
كالاوعية التي يتخذ واظروفا لحوايج البيت توهينا لشانه ثم جعله شر الاوعية لانها
استعملت فيما هي له والبطن خلق لانه يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاه يفضي الى الفساد
في الدين والدنيا فيكون شرا منها قال الشيخ ابو حامد في الجوع عشر فوايد الاولى صفا القلب
وانقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ
كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان
وثانيها رقة القلب وصفاوته الذي به هياه لادراك لذة المناجاة والتاثر
بالذكر وثالثها الانكسار والذل وزوال البطر والاشر والفرح الذي هو مبتدي الطغيان
ولا ينكسر النفس بشي ولا تذل كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتقف على عجزها
ورابعها ان لا ينسي بلاالله وعذابه واهل البلا فان الشبعان ينسي الجايع والجوع
وخامسها وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة

وقع ... لله عز وجل

بالسو وتقليلها يضعف كل شهوة وقوة والسعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان
تملكه نفسه وسادستها دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه
وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر
وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر وسابعتها تيسير المواظبة
على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل بالاكل وربما
يحتاج الى زمان في شرا الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الما
ولو صرف هذه الاوقات في الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي
الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى
الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة وثامنتها من قلة
الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط
في المعدة والعروق ثم المرض يمنع عن العبادات ويشوش القلب ويحوج الى الفصد
والحجامة والدوا والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مون وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك
وتاسعتها خفة المونة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير وعاشرتها ان
يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على المساكين فيكون يوم القيامة في ظل
صدقته فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته الله تعالى رواه الترمذي وابن
ماجة وفي الجامع رواه احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم بلفظ فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشا بتشديد الشين
المعجمة بعدها همزة اي يخرج الجشا من صدره وهو صوت مع ريح يخرج عنه عند الشبع
وقيل عند امتلا المعدة قيل الرجل وهب ابن عبد الله وهو معدود في صغار الصحابة
وكان في زمانه عليه السلام لم يبلغ الحلم روي انه لم يملا بطنه بعد ذلك قال التوربشتي الرجل
هو وهب ابو جحيفة السوائي روي عنه انه قال اكلت ثريدة بلحم واتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا اتجشا فقال اقصر بفتح الهمزة وكسر الصاد اي امتنع من
جشاك بضم الجيم ممدودا وكان في اصل الطيبي اقصر عنا فقال معناه اكفف عنا والنهي
عن الجشا هو النهي عن الشبع لانه السبب الجالب انتهي وقيل الجشا التملي فان
اطول الناس اي اكثرهم في الزمان جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا بكسر ففتح في الدنيا
رواه في شرح السنة قال ميرك هو وهب ابن عبد الله ابو جحيفة روي عنه انه قال اكلت
ثريدة بلحم واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتجشا فقال يا هذا كف من جشاك
فان اكثر الناس شبعا في الدنيا اكثرهم جوعا يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد
واحد رواته ثقات ورواه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي وزاد قال
الراوي فما اكل ابو جحيفة ملا بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشي لا يتغدي واذا تغدي
لا يتعشي وفي رواية لابن ابي الدنيا قال ابو جحيفة فما ملات بطني منذ ثلاثين سنة انتهي
وروي الترمذي نحوه قال ميرك ولفظه عن ابن عمر قال تجشا رجل عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له كف عنا جشاك فان اكثرهم شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم
القيامة ورواه ابن ماجة والبيهقي كلهم من رواية يحيي البكا عن ابن عمر وقال الترمذي
حديث حسن كذا في الترغيب للمنذري وقال الشيخ الجزري في سند هذا الحديث

عبد العزيز بن عبد الله عن يحيى البكا وهما ضعيفان لكن للحديث شاهد من حديث ابي جحيفة
وهب بن عبد الله السوائي وعن كعب بن عياض اي الاشعري معدود في الشاميين روى
عنه جابر بن عبد الله وجبير بن نفير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل
امة فتنة وهي ما يوقع احد في الضلالة والمعصية وفتنة امتي بالرفع وفي نسخة بالنصب
المال لانه جامع لحصول المنال ومانع عن كمال المآل رواه الترمذي وعن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يجاء اي يؤتى بابن ادم يوم القيامة كانه من كمال ضعفه بذج بفتح
موحدة وذال معجمة فجيم ولد الضان معرب بذ اراد بذلك هوانه وعجزه وفي بعض
الطرق كانه بذج من الذل وفي شرح السنة شبه ابن ادم بالبذج لصغاره وصغره اي يكون
حقيرا ذليلا فيوقف اي فيحبس قائما بين يدي الله اي عند حكمه وامره سبحانه فيقول له
اي بلسان ملك او بلا واسطة ببيان القال او الحال اعطيتك اي الحياة والحواس والصحة
والعافية ونحوها وخولتك اي جعلتك ذا خول من الخدم والحشم والمال والجاه وامثالها
وقيل معناه جعلتك مالكا لبعض ومملوكا لبعض وانعمت عليك اي بانزال الكتاب وبارسال
الرسل وغيرها لك فما صنعت اي فيما ذكر فيقول رب جمعته اي المال وثمرته بتشديد الميم
اي انميته وكثرته وتركته اي في الدنيا عند موتي اكثر ما كان اي في ايام حياتي فارجعني
بهمزة وصل اي ردني الى الدنيا اتك به اي بانفاقه في سبيلك كما اخبر عن الكفار انهم يقولون
في الاخرة رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فيقول له اي الرب ارني ما قدمت اي
لاجل الاخرة من الخير فيقول اي ثانيا كما قال اولا رب جمعته وثمرته وتركته اكثر ما كان
فارجعني اتك به كله فاذا عبد الفاء فصيحة تدل على مقدر واذا للمفاجاة وعبد خبر
مبتدا محذوف اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو عبد لم يقدم خيرا اي فيما اعطي
ولم يمتثل ما امر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فيمضي بصيغة المجهول اي فيذهب به الى
النار قال الطيبي فظهر مما حكي عن هذا الرجل انه كان كعبد اعطاه سيده راس مال ليتجر به
ويربح فلم يمتثل امر سيده فاتلف راس ماله بان وضعه في غير موضعه واتجر فيما لم يومر
بالتجارة فيه فاذا هو عبد خايب خاسر قال تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فما احسن موقع العبد وذكره في هذا المقام
قال الشيخ ابو حامد اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب وموثر يسمى نعمة ولكن
النعمة الحقيقية هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها سعادة غلط او مجاز كتسمية السعادة
الدنيوية التي لا تعين عليها الى الاخرة فان ذلك غلط محض وكل سبب يوصل الى السعادة
الاخروية ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسايط فان تسميته نعمة صحيحة وصدق
لاجل ان يفضي الى النعمة الحقيقية رواه الترمذي اي ونسب اسناده الى الضعف وان كان
معناه صحيحا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال عن العبد
اي عنه يوم القيامة ما موصوف اي اول شيء يحاسب به في الاخرة من النعيم بيان
لما ان يقال له خبر ان وكان الطيبي جعل من النعيم متعلقا بيسال حيث قال ما فيه
مصدرية وان يقال خبر ان اي اول سوال العبد هو ان يقال له الم نصح اي بعظمتنا جسمك
من الاصحاح وهو اعطاء الصحة ونرويك بتشديد الواو وفي نسخة من الارواء من الماء البارد

فالماء البارد

وهو —— لله عز وجل

فالماء البارد نعمة عظيمة ومصحة جسيمة عند الذوق السليم وعدم البدن السقيم ولذا
بالغ صلى الله عليه وسلم في مدحه حيث قال في دعايه اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي
ومن الماء البارد ومن غرايب حال الماء انه لا قيمة له في الرخا ولا في الغلا اذ حال كثرة وجوده لا يشترى ووقت
فقده لا يباع ومن عجايب ما حكي فيه ان ملكا وقع في برية وعطش عطشا شديدا واراد ان يهلك
فظهر له عارف او ملك فقال ما تعطيني ان سقيتك فقال نصف ملكي فسقاه فحبس له البول
حتى اشتد عليه الامر فظهر له ثانيا فقال ما تنعم علي ان اعالجك فيه فقال اعطيك النصف الاخر
من المملكة فعالجه مرة فلم يبل فقال له خذ ملكك واعرف قيمته ولا يغرك زهرته وفي الجوهري
نعمة الصحة وثني وفي الماء اشارة الى ذلك والله اعلم رواه الترمذي وكذا ابن حبان
والحاكم ولفظهما اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال له الم اصح لك جسمك واروك
من الماء البارد وقال الحاكم صحيح الاسناد ذكره ميرك وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تزول قدما ابن ادم يوم القيامة حتى يسال عن خمس احوال والخصال يذكر ويونث وقال
الطيبي انثه بتاويل الخصال عن عمره بضمتين وبسكون الميم اي عن مدة اجله فيما افناه اي
صرفه وعن شبابه اي قوته في وسط عمره فيما ابلاه اي ضيعه وفيه تخصيص بعد تعميم واشارة
الى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره قال الطيبي فان قلت هذا داخل في الخصلة الاولى
فما وجهه قلت المراد سواله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على اقوى العبادة وعن ماله
من اين اكتسبه اي من حلال او حرام وفيما انفقه اي في طاعة او معصية وماذا عمل فيما علم ولعل
العدول عن الاسلوب المتعين في العبارة المودية للمطلوب واما ما ذكره الطيبي من انه انما غير السوال
في الخصلة الخامسة حيث لم يقل وعن علمه ماذا عمل به لانها اهم شيء واولاه فغير ظاهر نعم يمكن
ان يكون نكتة لختم الخصال بها ثم قال وفيه ايذان بان العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد
به لولا العمل انتهى وهو غير صحيح باطلاقه وانما يصلح هذا في العلم بالفروع الدنيوية اما العلم
بذات الله وصفاته ومعرفة كتابه واياته ونحو ذلك من الاصول الدينية فاشرف العلوم
وافضلها والطفها واكملها ولذا قال الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير قدس الله سره لابي علي بن
سينا سامحه الله تعالى ما نعلم علما ينتقل معك بانتقالك وفيه اشارة الى ما ورد من ان اهل
الجنة فيها يحتاجون الى العلماء ايضا هذا وفي حديث رواه ابن عساكر عن ابي الدرداء كيف
انت يا عويمر اذا قيل لك يوم القيامة اعلمت ام جهلت فان قلت علمت قيل لك فماذا عملت
فيما علمت وان قلت جهلت قيل لك فما كان عذرك فيما جهلت الا تعلمت ومع هذا روي ويل
للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وفي حديث صحيح اشد الناس عذابا يوم القيامة
عالم لم ينفعه الله بعلمه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وتمامه لا نعرفه من حديث
ابن مسعود الا من حديث حسين ابن قيس وهو ضعيف في الحديث ذكره ميرك ٤٥

الفصل الثالث

عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انك لست
بخير اي بافضل من احمر اي جسما ولا اسود اي لونا والمراد ان الفضيلة ليست باللون
دون لون وانما خصهما بالذكر مثلا لكونهما اكثر وجودا والاظهر وجودا ان المراد
بهما لون السيد والعبد كما هو الغالب واغرب الطيبي حيث جزم وقال المراد
بالاحمر العجم وبالاسود العرب الا ان تفضله بتقوى اي تزيد انت احدهما بتقوى
بالقصر وفي نسخة بالتنوين وقد قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى

من الله فهي قراءة شاذة بالتنوين والمعنى ان الفضيلة ليست بالصورة الظاهرة ولا بالنسبة
الباهرة بل بالتقوى الطاهرة كما قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى ان قال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم قال الطيبي والضمير في تفضله عائد الى كل واحد منهما او لهما تناول الانسان
والاستثناء مفرغ والتقدير ليست بافضل منهما بشيء من الاشياء الا بالتقوى وقوله ان تفضله
تكرير تاكيدا انتهى فتامل فيه فان جعل الضمير الى كل واحد منهما مع دلالتهما على العموم من الجنس
الذي وقع المخاطب فردا منه غير صحيح وكذا تاويلهما بالانسان المراد به الجنس فتدبر ثم
الظاهر ان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ليست بافضل عند الله من احد النوعين في
حال من الاحوال الا حال زيادة تكون عليه بتقوى معتبرة في الشرع وهي لها مراتب ادناها التقوى
عن الشرك الجلي واوسطها عن المعاصي والمناهي والملاهي وعن الشرك الخفي وهو الريا
والسمعة في الطاعة واعلاها ان يكون دائم الحضور مع الله غائبا عن خطور ما سواه واليه
الاشارة فيما روي عنه صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء
وقر في قلبه ذكره الغزالي وقال العراقي لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي في النوادر
من قول بكر بن عبد الله المزني رواه احمد وفي الجامع اتقوا فانكم لستم بخير الحديث وعنه
اي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زهد بكسر الهاء عبد في الدنيا اي زيادة
على قدر الحاجة من مال او جاه الا انبت الله الحكمة اي اثبت المعرفة المتقنة في قلبه وانطق
بها لسانه وبصره بتشديد الصاد اي جعله بصيرا بها من كثرة عثارتها وقلة غنائها وخستها
شريكها وسرعة فنائها وغير ذلك من القاء البين واكثار الحزن واشتغال القلب عن ذكر الرب
قال الطيبي هو اشارة الى الدرجة الثانية يعني لما زهد في الدنيا لما حصل له من علم
اليقين بعيوب الدنيا اورثه الله تعالى به بصيرة حتى حصل له به حق اليقين وداءها
اي علة محبتها وسبب طلبتها ودواءها اي معالجتها بمعجون العلم والعمل والاجتناب عنها بالصبر
والقناعة والرضا بما قسم له منها واخرجه اي الله تعالى منها اي من الدنيا وآفاتها وبلياتها
سالما اي بالاعراض عنها والاقبال على العقبى الى دار السلام وفيه اشارة الى ان من لم يزهد فيها
ولم يطلع على عيبها ودائها ودوائها لم يدخل الجنة اصلا ولم يدخل بسلام بل بعد سابقة
عذاب او لاحقة حجاب والله اعلم رواه البيهقي في شعب الايمان وروى ابو نعيم في
الحلية عن ابن عمر ما زان الله العبد بزينة افضل من زهادة في الدنيا وعفاف في بطنه
وفرجه وعنه اي ابي الدرداء ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص
الله قلبه للايمان اي جعل قلبه خالصا للايمان بحيث لا يسعه غيره وما يتبعه وجعل
قلبه سليما اي عن الحسد والحقد والبغض وسائر الاخلاق الذميمة والاحوال الردية
من حب الدنيا والغفلة عن المولى والذهول عن العقبى قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم ولسانه صادقا اي في قوله ووعده وعهده ونفسه مطمئنة اي
بذكر ربه وحبه وخليقته اي جبلته اي جبلته التي خلق عليها مع امثالها مع قطع النظر
عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة مستقيمة اي غير مائلة الى طرفي الافراط والتفريط وجعل
اذنه بضمتين ويسكن الثانية مستمعة اي للحق واعية للعلم وعينه ناظرة اي الى دلائل الصنع
من الافاق والانفس فاما بالفاء العاطفة ولعل المعطوف عليه مقدر والمعنى اما ما سبق
من القلب واللسان وغيرهما فامره ظاهر في كونه شرطا للافلاح واما الاذن فقمع بفتح فسكون

ويكسر

ويكسر القاف مع سكون الميم وفتحها ففي القاموس القمع بالفتح والكسر وكعنب ما يوضع في فم
الاناء فيصب فيه الدهن وغيره وفي النهاية القمع كضلع اناء يترك في رؤوس الظروف اعلاها لتملا
من الاشربة والادهان قال الطيبي شبه اسماع الذين يستمعون القول ويعونه بقلوبهم
لا قماع واما العين فمقرة بضم الميم وكسر القاف وتشديد الراء كذا في اصل الاصيل وفي اكثر
النسخ بفتحات وهو الاظهر اي محل قرار لما يوعى اي يحفظ القلب بالرفع وفي بعض النسخ
بالنصب وهو بعيد بما في الاصيل وبما سبب الايعا قال الطيبي قوله مقرة وارد على سبيل
الاستعارة لانها تثبت في القلب وتقر فيه ما ادركته بحاستها وكان القلب لها وعاء وهي
تقر فيه ما رآنه قال في اساس البلاغة ومن المجاز قر الكلام في اذنه وضع فاه على اذنه فاسمعه
وهو من قر الماء في الاناء اذا اصبه فيه والقلب مرفوع على انه فاعل يوعى ويحتمل النصب اي يوعي
القلب اي يحفظ وانما خص السمع والبصر لان الايات الدالة على وحدانية الله اما سمعية فالاذن
هي التي تجعل القلب وعاء لها او نظرية فالعين هي التي تقرها في القلب وتجعله وعاء لها ومن ثم جعل
قوله وقد افلح من جعل قلبه واعيا اي حافظا تخلصا لقد لكن للقرينتين قلت وبه يتم لان العلم
واسبابه ولذا قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وفي تقديم
السمع بان العمدة هي العلوم الشرعية التي تعرف من الادلة السمعية المورثة لعلم اليقين
ثم يرتقي الى مرتبة النظر ونتيجة الفكر الى ان يصير علمه عين اليقين وينتهي الى القلب الذي
هو عرش الرب وبه يصل الى كمال حق اليقين رزقنا الله تعالى جميع مراتب اليقين في درجات
الدين المعبر عنها بقوله سبحانه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ووجه الغاية ان لا يتصور
بعد تحقق اليقين ترك العبادة في الدين بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدي الغاسل
كما قيل موتوا قبل ان تموتوا ولذا اجمع المفسرون على ان المراد باليقين في الاية هو
الموت وما احسن هذا الموت الذي هو عين الحياة اذاقنا الله منه بعض الذوق
الممزوج بحلاوة الشوق رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان وعن عقبة ابن
عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا
على معاصيه مع وجود فعله ما يحب اي من اسبابها فانما هو اي ذلك الاعطا
استدراج اي مكر منه سبحانه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الطيبي
الاستدراج هو الاخذ في الشيء والذهاب فيه درجة كالمراقي والمنازل في ارتقائه
ونزوله ومعنى استدرج الله استدراجهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من
حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان تواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم
نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين
ان متواتر النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد ثم تلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي استشهادا واعتضادا فلما نسوا اي عهده سبحانه او تركوا امره ونهيه
وهو المعنى بقوله ما ذكروا به وعظوا فتحنا بالتخفيف ويشدد عليهم ابواب كل شيء اي
من اسباب النعم التي في الحقيقة من موجبات النقم حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي اعطوا من
المال والجاه وصحة البدن وطول العمر اخذناهم بغتة اي فجاة بالموت والعذاب فانه اشد
في تلك الحالة فاذا هم مبلسون اي واجمون ساكتون متحسرون متحيرون ايسون
رواه احمد وفي الجامع عنه بلفظ اذا رايت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب

وهو مقيم على معاصيه فان ذلك منه استدراج رواه الطبراني واحمد والبيهقي وعن
ابي امامة ان رجلا من اهل الصفة في النهاية فقرا المهاجرين ومن لم يكن لهم منزل يسكنه وكانوا
ياوون الى موضع مظلل في مسجد المدينة ليسكنونه قال الطيبي وفي وصف الرجل
بهذا النعت اشعار بان الحكم الذي يليه معلل به يعني انتماه الى الفقرا الذين زهدوا
في الدنيا مع وجود الدينارين او دينار دعوى كاذبة يستحق به العقاب والا فقد
كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله
يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان
الاعراض اختيار الافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناع فيها مباح
مرخص لا يذم صاحبه ولكل شي حد والحاصل ان رجلا منهم توفي بصيغة المجهول
وجوز المعلوم اي قبض ومات وترك دينارا اي وجد عنده او عند غيره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كية اي هو كيته للمبالغة او سبب كيته او لته كيته
وهو الاظهر لقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم الاية قال اي
الراوي ثم توفي اخر اي من اهل الصفة فترك دينارين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيتان وتوضيح المرام في هذا المقام انهما لما كانا مع الفقرا الذين كان الناس
يتصدقون عليهم بنا على نهاية حاجتهم وغاية فقرهم فهم بمنزلة السايلين اما قالا
واما حالا ولا يحل لاحد يسال وعنده قوت يوم فوقع الكهما مع وجود الدينار لهما حراما
وكذا كل من اظهر نفسه بصورة الفقرا بلبس الثوب الخلق او زي المشايخ وعنده
شي من النقود او ما يقوم مقامها واخذ ما في ايدي الناس واكل فهو حرام عليه
وكذا من اظهر نفسه عالما او صالحا او شريفا ولم يكن في نفس الامر مطابقا واعطي
لعلمه او صلاحه او شرفه فيكون حراما عليه وقد حكي ان الشيخ ابا اسحاق الكازروني
راي جمعا من الفقرا ياكلون من الطعام الموضوع للمستحقين من تكية فقال يا اهل
الحرام فامتنعوا من الاكل فقال كل من لم يكن معه شي من الدنيا ياكل والا فلا
فاكل بعضهم وامتنع بعضهم فقال سبحان الله طعام واحد حرام لقوم وحلال للاخرين
فليحذر اهل الحرمين الشريفين اعزهما الله تعالى في الدارين من ان ياكل احد منهم
والحال انه غني شرعي من الاوقاف الموضوعة للفقرا وكذلك من سكن الخلاوي
الموقوفة للمساكين فقد صرح ابن الهمام بان الغني يحرم عليه ان يسكن في خلاوي
الاربطة ولا يغتر احد بما اشتهر من ان اوقاف الحرمين عام للفقير والغني فانه على
تقدير صحته لا يصح الوقف عندنا على الاغنيا اذا كانوا غير محصورين وبهذا يظهر
ان امامنا الاعظم ومقتدانا الا قوم لو كان في هذا الزمان وشاهد سكان هذا المكان لقال
بحرمة المجاورة خلافا لما قال في الصدر الاول من كراهتها لعدم من يقوم بحق عظمتها وحرمتها
الان دار والنادر لا حكم له رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان وعن معاوية ابن ابي سفيان
وهو خال المومنين انه دخل على خاله اي النسبي ابي هشام بن عتبة ومر ترجمته يعوده
حال او استيناف بيان اي يزوره لمرضه فبكى ابو هاشم فقال ما يبكيك اي شي يجعلك باكيا
يا خال بكسر اللام وفي نسخة بضمها على حد يا غلام او وجع يشيزك بضم اليا وكسر الهمزة اي
يقلقك ويتعبك فيبكيك ففي القاموس شيز مكانا شاذا غلظ واشتد ويقال قلق واشازه

اقلقه ام حرص على الدنيا اي يقلقك فيبكيك وفيه تنبيه الى ان الامر لا يخلو اما من اشتداد مرض
صوري او غرض معنوي تكون كل منهما باعثا على تلك ظاهري وباطني قال كلا اي ارتدع عن حسبانك
كلا ومعناه ليس الباعث احدهما ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا لم اخذ
به والمراد بالعهد اما وصية عامة او مبايعة خاصة قال وما ذلك اي العهد وفي نسخة وما ذاك
قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال اي الذي يحصل منه الى المال خادم ومركب في سبيل
الله واني اراني بضم الهمزة اي اظن وفي نسخة بفتحها اي ابصر واعلم قد جمعت اي زيادة على ما عهد
واغرب الطيبي حيث قال حذف متعلقه ليدل على الكثرة من انواع المال والله اعلم بالحال رواه
احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وعن ام الدردا قالت لابي الدردا ما لك لا تطلب اي مالا
او منصبا كما يطلب فلان اي وهو من نظرايك فقال اني بكسر الهمزة وبجوز فتحها بتقدير
لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم بفتح الهمزة اي قدامكم وهو ظرف
وقع خبرا مقدما والاسم قوله عقبة بفتحات اي مرقى صعبا من الجبال على ما في القاموس
كوودا بفتح فضم همز فدال فواو اي شاقة فاصلة بينكم وبين دخول الجنة قال الطيبي والمراد
بها الموت والقبر والحشر واهوالها وشدايدها شبهها بصعود العقبة ومكابدة ما يلحق
الرجل من قطعها لا يجوزها اي لا يتجاوز تلك العقبة على طريق السهولة المثقلون من بل
الاثقال اي الحاملون ثقل المال ومونة الجاه وسعة الحال ولذا قيل فاز المخفون وهلك
المثقلون فاحب ان يخفف والصبر على قلة المونة لتلك العقبة ليلا يحصل الى التعب
فيها وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من احد يمشي على الما الا ابتلت
قدماه اي هل يمشي على الما في حال من الاحوال الا في حال الابتلال وحاصل معناه هل
يتحقق المشي على الما بلا ابتلال قالوا لا يا رسول الله قال كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب
اي من المعاصي اللازمة لصاحب حب الدنيا قال الطيبي فيه تخويف شديد للمتقين وحث
اكيد على الزهد وايثار الاخرة على الاولى وكفى بها تبعة ان يدخل الفقرا في الجنة قبل الاغنيا
بخمسماية عام عافانا الله منها بكرمه وفضله رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان
وكذا الحاكم روى الحديث الاول وقال ميرك نقلا عن المنذري حديث ام الدردا رواه
الطبراني باسناد صحيح ورواه البزار عن ابي الدردا رفعه بين ايديكم عقبة كوودا لا ينجوا
منها الا كل مخف واسناده حسن وعن جبير بن نفير بالتصغير فيهما قال المولف تابعي
حضرمي ادرك الجاهلية والاسلام وهو من ثقات الشاميين وحديثه فيهم روى عن ابي
الدردا روى عنه جماعة مرسلا اي بحذف الصحابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اوحي الي اي يوحى الي ان اجمع المال ان مصدرية والبا مقدرة وقوله واكون عطف
عليه من التاجرين اي المتوغلين في التجارة ولكن اوحي الي اي قيل لي بالوحي ان سبح ان مفسرة
لما في الوحي من معنى القول اي سبح بحمد ربك اي مقرونا به والمعنى نزه ربك عما لا يليق بذاته وصفاته
منتهيا الى ثنا ربك باثبات صفات الجلال والجمال له وكن من الساجدين اي المصلين بذكر احد الاركان
وارادة تمام الصلاة فهو من قبيل مجاز اطلاق الجزء وارادة الكل ووجه تخصيص السجدة ما ورد
في حديث مسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد واعبد ربك تعميم بعد تخصيص
سواء كان المراد به الامر بالعبادة او بالعبودية حتى ياتيك اليقين اي الموت باجماع المفسرين وفيه
اقتباس من قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين

حتى يأتيك اليقين رواه اي البغوي في شرح السنة اي عن جبير بن نفير وابو نعيم بالتصغير في الحلية عن
ابي مسلم قال المولف هو ابو مسلم الخولاني الزاهد لقي ابا بكر وعمر ومعاذا وروى عنه جبير بن نفير
وعروة وابو قلابة ومناقبه كثيرة مات سنة اثنين وستين انتهى فيحتمل ان الحديث مروي
عن طريق جبير عن ابي مسلم او من طريق غيره عنه والله اعلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا اي فضلا عن ان يطلب حراما مكاثرا اي حال كونه طالبا لكثرة
المال لا لحسن الحال ولا صرفه في تحسين المال مفاخرا اي على الغير كما هو دأب الاغنيا من الاغنيا
مرايا اي ان فرض عنه صدور خير او عطا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ولعله صلى الله عليه وسلم
لم يذكر من طلب الحرام اما اكتفا بما يفهم من فحوى الكلام واما ايما الي انه ليس من صنيع اهل الاسلام
او اشعارا بان الحرام جملة وقربه حرام ولعلم يكن هناك طلب ومرام قال الطيبي وفي الحديث معنى
قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهما عبارتان عن رضى الله وسخطه فقوله ووجهه مثل
القمر مبالغة في حصول الرضا بدلالة قوله في مقابلته وهو عليه غضبان رواه البيهقي في شعب
الايمان وابو نعيم في الحلية وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الخير
اي هذا الجنس من الخير المدسوس المعلوم كالمحسوس خزائن اي انواع كثيرة مخزونة مكنونة
مركوزة موضوعة فيما بين عباده لتلك الخزائن خبر مقدم على مبتدائه وهو قوله مفاتيح اي على
ايدي عبيده الذين هم بمنزلته ولما يتم الظاهر ان ذكر الخير بدون ذكر الشر من باب الاكتفا
او اشارة الي ان الشر ما خلق لذاته ولذا ورد في قوله تعالى بيده الخير مع ان الامر كله لله وفي
الحديث الشريف الخير كله بيديك والشر ليس اليك فقيل المعنى انه لا ينسب اليك والاظهر ان
الشر انما يحصل بترك الخير فيكون بينهما نسبة التضاد كالنور والظلمة والوجود والعدم ومما
يدل على ان له خزائن الشر ايضا قوله فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير اي علما او عملا او حالا او
مالا مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مغلاقا مفتاحا للشر اي للكفر والعصيان والبطر والطغيان
والبخل وسوء العشرة مع الاخوان مغلاقا للخير قال الراغب الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل
والفضل والشي النافع والشر ضده والخير والشر قد يتفيدان هو ان يكون خير الواحد شرا للاخر كالمال الذي
ربما كان خيرا لزيد وشرا لعمرو ولذلك وصفه تعالى بالامرين فقال في موضع ان ترك خيرا اي مالا وقال
في موضع آخر ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ولذا لا العلم بالنسبة الي
بعضهم حجاب وسبب العذاب وبالنسبة الي بعض اخر اقتراب الي رب الارباب وقس على هذا العبادة
فان منها ما يورث العجب والغرور ومنها ما يورث النور والسرور والحبور وكالسيف والخيل
ونحوهما قد يجعل آلة للجهاد مع الكفار ويتوسل بها الي القرار في دار الابرار وقد يتوصل بهما
الي قتل الانبيا والاوليا وينتهي بها الي الدرك الاسفل من النار وهذا معنى ما سيأتي من
قوله صلى الله عليه وسلم الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في
النار بحسب ما قسم لاهلها قسمة ازلية ابدية مبنية على جعل بعضهم مظاهر الجمال وبعضهم
مظاهر الجلال كما قال فريق في الجنة وفريق في السعير وقد قال خلقت هولا للجنة ولا
ابالي وخلقت هولا للنار ولا ابالي مشيرا الي قوله سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فبحر القضا والقدر عريض عميق لا يغوص فيه الا من له تحقيق بتوفيق يتحير فيه ارباب
السواحل ويمضي منه اصحاب سفن والشرايع الكوامل رواه ابن ماجة وروى الطبراني
في الاوسط عن ابي هريرة مرفوعا ان هذه الاخلاق من الله فمن اراد الله تعالى به خيرا منحه

خلقا

خلقا حسنا ومن اراد به سوا منحه سيئا وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا لم يبارك للعبد في ماله اي بان لا يصرفه في رضى مولاه وعمارة عقباه وحسن
ماله جعله اي انفق ماله وضيعه في الما والطين اي المعبر بهما عن عمارة الدنيا بسبب اعراضه
عن اغراض الدين وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحرام اي احذروا انفاقه
وفي الجامع اتقوا الحجر الحرام في البنيان اي في صرف عمارة الدنيا الفانية فانه اساس الخراب
اي في الايام الآتية كما ورد لدوا للموت وابنوا للخراب والتقييد بالحرام ليس له مفهوم
معتبر بل فيه اشارة الي ان مال الحلال لم يتفق صرفه في غير حسن المال فقد قال الامام الغزالي
لو اكل الناس اربعين يوما من الحلال لخرب الدنيا ولم يبق لها نظام في الحال ولذا قيل لولا
الحمقا لخربت الدنيا وقال بعضهم الغفلة رحمة وقد قال تعالى اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون قيل التقدير اسباب خراب الدين او اساس خراب البنيان فعلى
الاول يدل على جواز انفاق الحلال في البنيان وعلى الثاني لا وهذا انسب بالباب
والله اعلم بالصواب رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان وروى الطبراني
الحديث الاول عن ابي هريرة مرفوعا ولفظه الرجل بدل العبد وعن عايشة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا دار من لا دار له قال الطيبي لما كان القصد
الاولي من الدار الاقامة مع عيش هني ودار الدنيا خالية عنها لا يستحق كذلك
ان تسمى دارا فمن داره الدنيا فلا دار له قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ومال من
لا مال له فان المقصود من المال هو الانفاق في المبرات والصرف في وجوه الخيرات
ممن اتلفه في تحصيل الشهوات واستيفا اللذات فحقيق بان يقال لا مال له قال تعالى
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ولذا قدم الظرف عليه على ما في قوله ولها اي الدنيا
يجمع اي المال من لا عقل له اي عقلا كاملا وعقل الدين دلالته على ان الجمع للدار
الآخرة للتزود وهو المحمود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قلت ومجمل
المعنى ان الدنيا لا يستحق ان يعد دار الا من لا دار له ولا مالا الا من لا مال له والمقصود
استحقارها وانحطاطها عن ان يعد دارا او مالا لمن كانت الآخرة له قرارا ومالا قال الراغب
كل اسم نوع يستعمل على وجهين احدهما دلالته على المسمى وفصلا بينه وبين غيره
والثاني لوجود المعنى المختص به وذلك هو الذي يمدح به فكل شي لم يوجد كاملا
لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقا بل قد ينفى عنه كقولهم فلان ليس بانسان لا يوجد
فيه المعنى الذي خلق لاجله رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان ورواه البيهقي
ايضا في الشعب عن ابن مسعود موقوفا وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول في خطبته اي موعظته الخمر جماع الاثم بكسر الجيم اي مجمعه ومظنته
واصل الجماع عددا ويؤيده حديث ابن عباس على ما رواه الطبراني مرفوعا الخمر ام الفواحش
واكبر الكباير من شربها وقع على امه وخالته وعمته وفي رواية البيهقي عن ابن عمر بلفظ الخمر
ام الفواحش واكبر الكباير ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على امه وخالته وعمته
قيل دعي رجل الي سجدة الصنم فابى ثم الي قتل النفس فابى ثم الي الزنى فابى ثم الي
شرب الخمر فاتى فلما شرب فعل بجميع ما طلب منه والنسا اي جنسهن حبائل الشيطان

والمراد به الجنس او رئيسهم ويويد الاول ما في نسخة بلفظ الشياطين اي مصايدهم واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من اي شي كان قيل ما ايس الشيطان من بني ادم الا اتاهن قبل النسا وحب الدنيا راس كل خطية اي ملاكها ومفهومه ان ترك الدنيا راس كل عبادة وقد قيل من احب الدنيا لا يهديه جميع المرشدين ومن تركها لا يغويه جميع المفسدين قال الطيبي والكلمات الثلاث كلها من الجوامع لان كل واحدة منها على الانفراد اصل في الملائم والملوم قال اي حذيفة وسمعته اي النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخر والنسا حيث اخرهن الله قال الطيبي حيث للتعليل اي اخرهن الله تعالى في الذكر وفي الحكم وفي المرتبة فلا تقدموهن ذكرا وحكما ومرتبة قلت واصحابنا استدلوا به على بطلان محاذاة المراة بشروطها المعتبرة على ما هو مقرر عندهم ومحقق عند المحقق ابن الهمام رواه اي الحديث كما له رزين وفي التمييز لابن الربيع حديث اخروهن من حيث اخرهن الله يعني النسا قال شيخنا في مصنف عبد الرزاق وذكر احاديث بمعناه من طريقه الطبراني ثم قال ولا نطيل بها واشار شيخنا لبعضها في مختصر تخريج الهداية انتهى فالحديث مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي فانه يطلق على القريب من المتواتر القطعي ولذا قال ابن الهمام عند قول صاحب الهداية لنا الحديث المشهور لا يثبت رفعه فضلا عن شهرته والصحيح انه موقوف على ابن مسعود لكنه في حكم المرفوع وروى البيهقي منه اي من الحديث الطويل المشتمل على جمل من الكلام في شعب الايمان اي باسناد حسن عن الحسن مرسلا حب الدنيا راس كل خطية قلت وهو عند ابي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى ابن مريم عليهما السلام وعند ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان لمعنى قول مالك بن دينار وكذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه السلام قال السيوطي وقد عد العسقلاني بان ابن المديني اثنى على مراسيل الحسن والاسناد حسن اليه وقد رواه الديلمي من حديث علي بن ابي طالب في مسنده ولم يذكر له اسنادا وهو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي التابعي بلفظ حب الدنيا راس كل الخطايا وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخوف على امتي الهوى اي هوى النفس ومشتهياتها وطول الامل اي بتسويف العمل وتاخيره الى اخر حياته فاما الهوى اي المخالف للهدى الموافق للباطل فيصد اي يمنع صاحبه عن الحق اي عن قبوله وانقياده واما طول الامل فينسي من الانسا ويجوز بالتشديد الاخرة لان ذكرها يقطع الامل ويوجب العمل وهذه الدنيا اي المعلومة ذهنا والمفهومة حسا مرتحلة اي ساعة فساعة ذاهبة اي رايحة من حيث لا يدري صاحبها كما اشير بسير السفينة راكبها ولذا قيل انفس خطوة الى اجل راعيها وهذه الاخرة مرتحلة قادمة اي اتية شبههما بالمطيتين المختلفتين في طريقهما وفيه اشعار بان كل ما هو ات قريب وايما الى ان كل ساعة يحتمل انها نفس الاخر المقتضي بان يصرفها في طاعة ولكل واحدة منهما بنون اي ملازمون ومحبون وراكبون وراعون والجمع بينهما من الاضداد المعلومة كما حققه العلما العاملون فان استطعتم ان لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا وفيه اهتمام تمام بترك الدنيا ومبالغة بليغة في ملازمة

امر الاخرة

امر الاخرة حيث لم يقل فان استطعتم ان تكونوا من ابنا الاخرة فافعلوا واعل العدول لما يلزم من ترك حب الدنيا حصول الاخرة ولا يلزم من وصول الاخرة ترك حظ الدنيا لقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب ولقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاوليك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هولا وهولا من عطا ربك وما كان عطا ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فانكم اليوم في دار العمل اي في دار يطلب منكم عمل الاخرة فان الدنيا دار التكليف فاغتنموا العمل قبل حلول الاجل بترك الامل لان الدنيا ساعة فينبغي ان تصرف في طاعة ولا حساب اي اليوم بحسب الظاهر بالنسبة الى الفاجر والاخروي خطابا للابرار حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ويدل عليه قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وانتم غدا في دار الاخرة اي وفي الحساب المترتب عليه العقاب والثواب ولا عمل اي يومه لانقطاعه بالاجل قال السيوطي قوله ولا حساب بالفتح بغير التنوين ويجوز الرفع بالتنوين وكذا قوله ولا عمل قال الطيبي اشار بهذه الدنيا الى تحقير شانها وشك زوالها وفي الاخرة اشار الى تعظيم امرها وقرب نزولها وقوله فان استطعتم يعني بينت لكم حال الدنيا من غرورها وفنايها وحال الاخرة من نعيمها وبقايها وجعلت ايام الاختيار في ايديكم فاختاروا ايهما شيتم وكان من حق الظاهر ان يقال فانكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب فوضع دار العمل موضعها ليوذن بان الدنيا ما خلقت الا للعمل والتزود منها للدار الاخرة ولم يعكس ثم بان الدار هي دار الاخرة رواه البيهقي في شعب الايمان قال الطيبي وهذا الحديث رواه جابر مرفوعا وفي رواية البخاري عن علي رضي الله عنه كما سياتي موقوف وهذا الحديث يدل على ان حديث علي كرم الله وجهه ايضا مرفوع قلت وفيه بحث لانه ان يقال في الموقوف الذي لا مجال للراي فيه انه في حكم المرفوع ولا شك ان هذا الموقوف ليس من ذلك القبيل المعروف فيحتمل ان يكون مرفوعا ومسموعا ويحتمل ان يكون وقع منه رضي الله تعالى عنه توارد مطابقا مطبوعا وعن علي رضي الله تعالى عنه اي موقوفا قال ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الاخرة مقبلة اي ظهر ادبار الدنيا وفناوها واقبال الاخرة وبقاوها ولكل واحدة منهما بنون اي جميع متعلقون فكونوا من ابنا الاخرة اي بالتوجه اليها ولا تكونوا من ابنا الدنيا اي بالاعراض عنها وعدم الاقبال عليها فان اليوم عمل اي وقت عمل ولا حساب ولا عمل وتقدم ما في الحساب والعمل من اختلاف الاعراب رواه البخاري اي في ترجمة باب اي من غير ذكر اسناد في كتاب وعن عمرو بالواو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال في خطبته الا للتنبيه ان الدنيا عرض بفتحتين اي مال حادث وحال عارض حاضر اي عاجل محسوس يأكل منه اي من العرض وفي نسخة منها اي من الدنيا البر والفاجر اي المومن والكافر فانه تعالى قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال كلا نمد هولا وهولا من عطا ربك وما كان عطا ربك محظورا اي ممنوعا هذا وقال الراغب العرض ما لا يكون له ثبات ومنه استعار المتكلمون قولهم العرض لما لا ثبات له الا بالجواهر كاللون والطعم وقيل للدنيا عرض حاضر تنبيها على ان لا ثبات لها الا وان الاخرة قال الطيبي حرف التنبيه هنا

متحمة وما بعده معطوف علي قوله ان الدنيا قوبلت القرينة السابقة بقوله الا وان الاخرة اجل
اي موجل صادق اي وقوعها ويقضي اي يحكم فيها ملك قادر اي مميز بين البر والفاجر والمومن
والكافر بالثواب والعقاب قال الطيبي الاجل الوقت المضروب الموعود وصفه بالصدق دلالة علي
تحققه وثباته ونفاذه وقال الراغب يستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق يقال صدقني
فعله وكتابه وفي المثل صدقني سن بكره وصدق في القتال اذا وفي حقه وفعل علي ما يجب
وكما يجب الا وان الخير اي اصحابه بحمه اي بجميع اصنافه بحذافيره اي بجوانبه واطرافه
في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الظاهر ان المعطوف والمعطوف عليه اتي بحرف
التنبيه اشارة الي استقلال كل من الجملتين خلافا لما سبق عن الطيبي فتدبر الا فاعملوا
اي الخير وانتم من الله علي حذر اي علي خوف من وقوع شر واعلموا انكم معروضون علي
اعمالكم قال الطيبي اي الاعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم عرضت الناقة علي القلب
انتهي والاظهر ان معناه متقابلون باعمالكم مجزيون علي اعمالكم كعرض العسكر علي الامير
ومنه قوله تعالي يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية علي انها تحتمل ان تكون علي للعلة
كما قال تعالي ولتكبروا الله علي ما هداكم او التركيب من قبيل علفتها تبنا وماء باردا والتقدير
معروضون علي مجازون علي اعمالكم ان كان خيرا فخير وان شرا فشر فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره اي جزاءه في احد الدارين ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال السيوطي الذرة
النمل الاحمر الصغير وسيل ثعلب عنها فقال ان مائة نملة وزن حبة وقيل الذرة
ليس لها وزن ويراد بها ما يري في شعاع الشمس الداخل في الكوة النافذة رواه الشافعي
وعن شداد بتشديد الدال الاولي اي ابن اوس قال سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول ايها الناس ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها اي من الدنيا ويتمتع
بها البر والفاجر اي المومن والكافر وان الاخرة وعد اي موعود صادق اي وقوعه غير
كاذب في مختصر الطيبي وصف الوعد بالصدق علي الاسناد المجازي صادق واعده في
وعده يحكم فيها اي يقضي في الاخرة ملك اي سلطان عادل اي غير ظالم قادر اي غير عاجز يحق
اي يثبت ويبين الحق ويبطل اي يزهق الباطل والمعني يميز بين اهليهما ويفصل بينهما
بالثواب والعقاب كونوا من ابنا الاخرة ولا تكونوا من ابنا الدنيا فان كل ام يتبعها
ولدها فكان الدنيا الباطلة مقرها النار وبيس القرار والاخرة الحقة محلها الجنة فنعم الدار
وعن ابي الدردا قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس الا بجنبيها
بفتح الجيم والنون ويسكن وفتح الموحدة وسكون التحتية تثنية الجنبة وهي الناحية
ففي المغرب انها بالتحريك وفي القاموس الجنب والجانب والجنبة محركة شق الانسان
وغيره وجانبتا الانف وجنبتاه محرك جنباه قال الطيبي الواو للحال والاستثنا مفرغ
من اعم عام الاحوال وقوله ملكان يجوز ان يكون فاعل الجار والمجرور علي راي او هو مبتدا
والجار والمجرور خبره انتهي وقوله ينادیان حال او استيناف او صفة لقوله ملكان
وقوله يسمعان الخلايق غير الثقلين بدل مما قبله او حال من ضميره او بيان لينادیان
والظاهر حمل الاسماع للخليقة علي الحقيقة ثم لعل السر لعدم اسماع الثقلين ان
لا يرتفع التكليف لمعاينة الغيب كما حقق في قوله صلي الله عليه وسلم لولا ان
لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر فان قلت فما فايدة الندا

لغيرهما مع انهما المحتاجان للتنبيه عن غفلتهما الابا قلت فايدته ان يخبر الصادق المصدوق بقوله
لهما كما سمع بنفسه وبما اخبر به الحق المطلق يا ايها الناس هلموا اي تعالوا الي ربكم اي امره
وحكمه او انقطعوا اليه من غيره كما قال تعالي ففروا الي الله وتبتل اليه تبتيلا ما قل اي من
المال وما موصولة وكفي اي في امر الدنيا وزاد العقبي خير مما كثر اي من المال والهي اي شغل عن
المولي وحسن الحال وتحسين المال وقال الطيبي يجوز ان يكون الاسماع علي الحقيقة وان يكون
علي التنبيه عن الغفلة مجازا فمعني يسمعان الخلايق غير الثقلين انهما يقصدان بالاسماع
الثقلين فيسمعان غيرهما ثم خص من الثقلين الانسان بقوله يا ايها الناس تنبيها علي تماديهم
في الغفلة وانهماكهم في الحرص وجمع حطام الدنيا حتي الهاهم ذلك عن الاقبال الي ذكر الله تعالي
وعبادته فقيل لهم الي كم هذه الغفلة والاعراض عن ذكر الله هلموا الي طاعة ربكم ما قل من
المال ويكفيكم ولا يلهيكم خير مما كثر والهي سمع هذا الندا من الثقلين السمع وهو شهيد
اولئك الذين اشاد الله بذكرهم ورفع من منزلتهم في قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله الاية ومعني اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما يراد منها وان من شي
الا يسبح بحمده انتهي ولا يخفي ان صحة كلامه يحتاج الي ان يقال التقدير غير عامة الثقلين
والله اعلم رواهما اي الحديثين ابو نعيم في الحلية وقد روي ابن حبان الاول في صحيحه
وعن ابي هريرة يبلغ بفتح اليا به والبا للتعدية والمعني يرفع مرويه الي النبي صلي الله عليه
وسلم قال اذا مات الميت قال الطيبي هو من باب المجاز باعتبار ما يوول فان الميت لا يموت بل
الحي هو الذي يموت قلت الا الحي الذي لا يموت وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالي
اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض ويضل الضالة فسمي المشارف للمرض وللضلال
مريضا وضالة وعلي هذا يسمي المشارف للموت ميتا قلت ومنه قوله تعالي انك ميت وانهم
ميتون ومال القولين واحد وانما الخلاف باعتبار النظر في اول امره واخر حاله كنظر الصوفية
في امر السابقة واللاحقة والاولي هي الاولي قالت وفي رواية الجامع بقول الملايكة ما قدم
بتشديد الدال اي من الاعمال وقال بنو ادم وفي رواية الجامع ويقول الناس ما خلف
بتشديد اللام اي اخر من الاموال قال الطيبي وفايدته اهتمام شان الملايكة بالاعمال اي ما
قدم من عمل حتي يثاب به او يعاقب عليه واهتمام الوارث بما له ليرثوه رواه البيهقي في شعب
الايمان وعن مالك اي ابن انس ان لقمان قال لابنه يا بني بتشديد اليا المفتوحة ويكسر علي
صيغة التصغير للشفقة ان الناس اي من عهد ادم الي يومنا هذا قد تطاول اي بعد عليهم
ما يوعدون اي من البعث والحساب وما بعدهما من الثواب والعقاب وقال الطيبي اي طال
عليهم مدة ما وعدوا به وهم الي الاخرة سراعا اي مسرعين حال من المبتدا او من ضمير الخبر
وهو قوله يذهبون قدم اهتماما والجملة حال من ضمير ما يوعدون والمعني تطاول علي الناس
بعد الوعد وقرب العهد والحال انهم كل ساعة بل كل نفس يذهبون الي ما يوعدون كالقافلة
السيارة لكنهم لا يحسون كالسكان في الفلك المشحون ثم بين هذا المعني بقوله وانك اي ايها
الولد واريد به خطاب العامة الشامل لنفسه قد استدبرت اي انت الدنيا اي ساعة فساعة
منذ كنت اي وجدت وولدت واستقبلت الاخرة اي نفسا فنفسا من غير اختيار لك في هذا
المسير من البدء والمصير ثم اوضح له القضية بطريق الحكمة حيث بين الدارين المقنوستين

بالدارين المحسوسين فقال وان دارا انسير اليها اقرب اليك من دار تخرج منها والمقصود من هذه
الموعظة دفع الغفلة عن امر الاخرة رواه رزين وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال كل مخموم القلب بالخاء المعجمة اي سليم القلب لقوله تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم من خممت البيت اذا كنسته على ما في القاموس وغيره فيا لمعنى ان يكون
قلبه مكنوسا من غبار الاغيار ومنظفا من اخلاق الاقذار صدوق اللسان بالجر اي كل مبالغ الصدق
في لسانه فيحصل به المطابقة بين جنانيه وبيانه فيخرج عن كونه منافقا او مرائيا فالخاء في العامري
اللسان بالجعل الحكاية ويجوز رفعه على اعراب الابتدا والخبر قوله نعرفه فما مخموم القلب قال
هو النقي اي نقي القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى التقي اي المجتنب عن خطوة السوء
لا اثم عليه فانه محفوظ وبعين العناية ملحوظ وبالعفو والغفران محظوظ ومن المعلوم ان لا التقي
الجنس فقوله ولا بغي اي لاظلم له ولا غل اي لا حقد ولا حسد اي لا تمني زوال نعمة الغير من
باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتتميم لئلا يتوهم اختصاص الاثم بحق الله فصرح
بانه لا مطالبة له عليه لا من الخالق ولا من جهة المخلوق والله اعلم بالحقايق قال الطيبي الجواب
ينظر الى قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اخلصها للتقوى من
قولهم امتحن الذهب والفضة اذا به وخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله
تعالى عنه اذهب الشهوات عنها رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان وعنه اي عن ابن
عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع اي من الخصال اذا كن فيك اي وجد في وجودك
ظاهرا او باطنا فلا عليك اي لا باس ما فاتك الدنيا وفي الجامع ما فاتك من الدنيا قال الطيبي
يحتمل ان يكون ما مصدرية والوقت مقدر اي لا باس عليك وقت فوت الدنيا ان حصلت لك
هذه الخصال وان يكون نافية اي لا باس عليك لانه لم يفتك الدنيا ان حصلت لك هذه الخصال انتهى
والاول اظهر كما لا يخفى حفظ امانة لتشمل امانة الاقوال والاعمال وصدق حديث يعم الاقوال
وحسن خليقة اي خلق والتعبير بها اشارة الى الحسن الجبلي لا التكلف والتصنع في الاحوال
وعفة في طعمة بضم الطاء مع تنوين التا اي احترازا من الحرام واحتياطا في الحلال رواه احمد والبيهقي
في شعب الايمان ولفظ الجامع صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق رواه احمد والطبراني
والحاكم والبيهقي عن ابن عمر بلا واو والطبراني عن ابن عمرو بالواو وابن عدي وابن عساكر عن عبد الله
ابن عباس وعن مالك اي الامام قال بلغني انه قيل للقمان الحكيم ما بلغ اي بك ما نرى يعني الفضل
يحتمل ان يكون من كلام مالك او غيره تعبيرا بالمعنى ويريد لقمان بما الموصولة في قوله ما نرى
الفضل واما ما الاولى استفهامية والمعنى اي شي اوصلك هذه المرتبة التي نراها فيك من الفضيلة الزايدة
على غيرك قال صدق الحديث اي ملازمة صدق الحديث قولا ونقلا واداء الامانة اي مالا وفعلا وترك
ما لا يعنيني اي ما لا ينفعني حالا ومآلا رواه اي مالك في الموطا اي عن مالك وقد تقدم بحث ذلك وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجي بالتانيث ويجوز تذكيرها اي تاتي الاعمال اي مجسمة
لتحتج لصاحبها وتشفع لمراعيها او تخاصم لنا لغفها وتاركها فتجي الصلاة اي بلسان القال ويمكن ان
يكون بيان الحال والمراد بالمجي ظهور اثار الاعمال ونتيجة الافعال في المال فتقول يا رب انا الصلاة اي
المعدودة في كتابك عن جميع الاعمال حيث قلت الا المصلين الذين هم على صلاتهم دايمون والمختوم منها
بقولك والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون وقيل التقدير انا الموفقة المنهوم

بالفضل والمزية كما يقال انا العالم ومنه قول القايل انا ابو النجم وشعري شعري وقال الطيبي اي انا لي
مرتبة الشفاعة لا اقف على دالدين فيقول اي الرب انك على خير وهنا دلها على العطف وجه اي انت
ثابتة مستقرة على خير كقوله تعالى اولئك على هدى ولكن لست مستقلة فيها ولا كافية
الاحتجاج وعلى هذا المنوال ساير الاعمال من الصدقة والصيام وبقية الافعال فتجي الصدقة
فتقول يا رب انا الصدقة فيقول انك على خير ثم تجي الصيام ولعل وجه تاخيره عن الصدقة
في العقبي تاخير وجوبه عنها في الدنيا فيقول يا رب انا الصيام فيقول انك على خير ثم تجي الاعمال
اي سايرها من الحج والجهاد وطلب العلم ونحوها على ذلك اي على هذا المنوال متفقة على هذا
المقال يقول استيناف او حال وكان مقتضى الظاهر فيقول الله تعالى وفي نسخة صحيحة عز
وجل انك اي الكل على خير ثم تجي الاسلام اي الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه
بالايمان وعلى ترادفهما اصحاب الايقان وارباب الاتقان فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام
اي وبيننا مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلما الرسمية والوسمية كما حقق في
حديث الرحم شجنة من الرحمن فانا المقتضي بذلك ان القايم بي يدخل دارك دار السلام فيقول
الله تعالى انك على خير اي خير عظيم لاشتمالك على الدين وسمي بك اليوم اخذ بصيغة المتكلم اي اخذ
بك منه او اخذه بالعقوبة وبك اعطي اي من اسامحه بالمثوبة فانك انت الاصل المدار عليك في امر
الطاعة والمعصية قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة
من الخاسرين وفيه اشارة لطيفة متضمنة لبشارة شريفة وهي ان من مات على الاسلام
ليس من الخاسرين ابدا بل من المفلحين الناجين مالا ومنالا وان لم يكن كامل الطاعة والعبادة مع قوت
الاسلام يرجى فيها المسامحة نسال الله العفو والعافية ونعوذ بالله من دركة الهاوية وعن
عايشة رضي الله عنها قالت كان لنا ستر بكسر السين اي شي يستر به الجدار او باب الدار فيه
تماثيل طير اي تصاوير طيور او طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة حوليه اي
غيري تبديد بله او تنقلبه فاني اذا رايته ذكرت الدنيا وفي هذا التعليل دليل على ان الصور كانت
صغيرة جدا او قبل العلم بتحريم التصوير وامتناع دخول ملايكة الرحمة في مكانه مع الايما الى ان رويته اسباب
يتنعم بها الاغنيا مما تذهب بحلاوة قلوب الفقرا وقد قال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وعن ابي ايوب الانصاري قال جا رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عظني واوجز اي اختصر وعلى المهم اقتصر فقال اذا قمت اي شرعت
في صلاتك فصل صلاة مودع بكسر الدال المشددة اي مودع ما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه
والمعنى صل صلاة من يودع الصلاة ومنه حجة الوداع اي اجعل صلاتك اخر الصلوات فرضا فحسن
خاتمة عملك واقصر طول املك لاحتمال قرب اجلك وقال الطيبي فاقبل على الله تعالى بشراشرك وودع
غيرك لمناجاة ربك ولا تكلم بحذف احدى التايين وفي نسخة باثباتهما اي لا تتحدث بكلام تعذر
بفتح التا وكسر الذال اي تحتاج ان تعتذر منه اي من اجل ذلك الكلام غدا اي يوم القيامة وهو
المعنى بقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه واجمع الاياس بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز
عكسه ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم فقد قرا ابو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم من جمع يجمع والباقون
بقطعها والكسر من اجمع بمعنى عزم على الامر وهما لغتان بمعنى الجمع فالمعنى اعزم على قطع الياس
او اجمع خاطرك على قصد الياس وترك الطمع مما في ايدي الناس اي قناعة بالكفاية المقدرة
بالقسمة المحررة المقررة في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الى ان قال

وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وفي الحديث اشارة الى ان الاستيناس
باليأس من علامة الافلاس وان الغني الغني القلب هو اليأس مما في ايدي الناس وقال الطيبي اي اجمعوا ايكم
على اليأس من الناس وصمموا عليه وهو من قوله تعالى فاجمعوا كيدكم قال والظاهر ان الاياس وقع
موقع اليأس سهوا من الكتاب لان الياس مصدر ايسه اذا اقنطه وليس مصدر ايس مقلوب
ييس لان مصدر المقلوب يوافق الفعل الاصلي لا المقلوب ويمكن ان يقال انه من ايس نفسه
مما في ايدي الناس اياسا بتخفيف الهمزة والحذف انتهى ايس منه كسمع اياسا قنط فبطل تخليطه
الرواة الحفاظ المعتمد بن على ذ وان الصدور لا على ما في السطور خصوصا وقد جاء هذا الحديث
من طرق متفردة مصححة على ما ذكره ميرك نقلا عن المنذري بعد قول المولف رواه احمد
اي عن ابي ايوب ولهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن ابي وقاص قال جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوصني قال عليك بالاياس مما في ايدي الناس واياك
والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاتك وانت مودع واياك وما يعتذر منه رواه الحاكم والبيهقي
في الزهد وقال الحاكم واللفظ له صحيح الاسناد ورواه الطبراني من حديث ابن عمر نحوه انتهى
من المحال اتفاق الحفاظ على سهو من احد الكتاب والله اعلم بالصواب وعن معاذ بن جبل
قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لما اراد ارساله قاضيا او عاملا الى اليمن خرج معه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه بالتخفيف وبتشديد ومعاذ راكب اي بامره ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته اي تواضعا لله وتلطفا للمومنين ومنه يوخذ استحباب متابعة
الاصحاب فلما فرغ اي من الوصية قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك ان
تمر بمسجدي هذا وقبري اي مع قبري على ان الواو بمعنى مع ذكره الطيبي والظاهر انه عطف على
مسجدي والتقدير ان تمر بمسجدي هذا او قبري ايضا وابهمه لعدم ظهوره وجح على ما لا يخفى ثم
اعلم ان عسى معناه الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه وقد اجتمعا في قوله تعالى عسى ان
تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم واما لعل فمعناه التوقع وهو ترجي
المحبوب والاشفاق من المكروه نحو لعل الحبيب واصل ولعل الرقيب حاصل وتختص بالممكن
بخلاف ليت فانه يستعمل في المحال نحو ليت الشباب يعود فاستعمال عسى ولعل في الحديث
بالمعنيين الاخرين على ما هو الظاهر المتبادر نحو في المغني فبري خبر لعل بان كثيرا حملا على عسى
كقوله لعلك يوما ان تلم ملمة عليك من اللائي يدعنك اجدعا وقال الطيبي استعمال لعل على الحقيقة
لكونه صلى الله عليه وسلم راغبا للقاء الله تعالى وادخل ان في الخبر تشبيها للعل بعسى تلويحا الى قوله
عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فبكى معاذ جشعا بفتح الجيم والشين اي جزعا وفزعا
ففي النهاية الجشع الجزع لفراق الالف فقوله لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم للتاكيد او للتجريد
ثم التفت اي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاذ فاقبل بوجهه نحو المدينة تفسير للالتفات ولعل
وجه الالتفات بادارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يزيد بكاوه ويصير سببا لبكايه عليه السلام
ويشتد الحزن في ذلك المقام مع الايمان بانه لا بد من المفارقة في الدنيا والمواجهة في العقبى فسالاه
فعلا ووصاه قولا حيث بين فيه انك تفارقني وتفارق المدينة وتترك المدينة ولا تترك في
واشار الى ان مجمع الانبياء والاتقياء في دار البقاء فقال ان اولى الناس بي اي بشفاعتي واقرب الناس
الي منزلتي المتقون من كانوا وحيث كانوا جمع باعتبار معنى من والمعنى كائنا من كان عربيا او عجميا ابيض او
اسود شريفا او وضيعا وحيث كانوا اي سواء كانوا بمكة والمدينة او باليمن والكوفة والبصرة فمنزلة

وقف لله عز وجل

فانظر الى رتبة اويس القرني باليمن على كمال التقوى وحالة جماعة من اكابر الحرمين الشريفين من حرمان
المنزلة الزلفى بل من ايصال الضرر اليه صلى الله عليه وسلم حتى من بعض ذوي القربى وحاصله انه لا يترك
بعدك الصوري عني مع وجود قربك المعنوي لي فان العبرة بالتقوى كما يستفاد من اطلاق قوله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم من غير اختصاص بزمان او مكان او نوع انسان ففيه تحريض على
مراعاة التقوى لمناسبته للوصية عند المفارقة الصغرى والكبرى وقد قال تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله مع ما فيه من التسلية لبقية الامة
الذين لم يدركوا زمن الحضرة ومكان الخدمة هذا الذي سنح لي في هذا المقام فرحل الكلام
على ظهور المرام وقال الطيبي لعل الالتفات كان تسليا لمعاذ بعد ما نعى نفسه اليه يعني
اذا رجعت المدينة بعدي فاقتد بي باولى الناس بي وهم المتقون وكنى به عن ابي بكر الصديق
ونحوه حديث جبير بن مطعم ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فامرها ان ترجع
اليه فقالت يا رسول الله ارايت ان جئت ولم اجدك كانها تريد الموت قلت والذي يظهر انه المراد خلاف
الادب على ما هو المتبادر بل الظاهر انها تريد عدم وجوده في المدينة او البيت قال فان لم تجديني
فاتي ابا بكر قال وفيه دليل على انه رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
وقايم مقامه قلت لما لم يكن صريحا في المدعا لاحتمال ان القضية تتعلق بابي بكر رضي الله عنه صرح العلما
بانه لا نص في امر الخلافة لا على الصديق ولا على المرتضى روى الاحاديث الاربعة احمد اي في مسنده
واقل مراتب اسانيده انه حسن وعن ابن مسعود قال تلا اي قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن يرد الله ان يهديه اي هداية الخاص الموصل الى مقام الاختصاص يشرح صدره اي يوسع
قلبه للاسلام اي لشرايعه على سبيل الاخلاص قال قال الطيبي اي يلطف به ويقذف النور فيه
حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه قلت هذا معنى صحيح في نفس
الامر لكنه غير ملايم لما سيجي في تفسير شرح الصدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اي
نور الهداية اذا دخل الصدر انفسح اي انشرح وتوسع بحيث يسعه قبول شرايع الاسلام ويحلو
في مذاقه مرارة ما قدره وقضاه من الاحكام وهذا القلب في الحقيقة عرش الرب الذي عبر عنه
بالحديث القدسي لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المومن لان السفليات
والعلويات ليس لهن قابلية ادراك الكليات والجزئيات المتعلقة بالذات والصفات ولهذا
قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الايات وهذا فيمن شرح الله صدره
واراد هدايته بخلاف غيره ممن يرد الله غوايته كما اخبر عنه بقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السما فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لتلك اي الخصلة كذا قيل
والصواب هل لتلك الحالة المعبر عنها بالانفساح من علم اي علامة وامارة ومن زايدة للمبالغة
تعرف اي تلك الحالة وفي نسخة بالتذكير نظرا الى معناها وهو الانفساح به اي بذلك العلم
حتى تنفيس حالنا عليه ونرجع عند اختلاف الارا اليه قال نعم اي فيه علم بل علامات وهي
التجافي المبالغة والتكلف في البعد على طريق الزهد لتحصيل السعد من دار الغرور اي الدنيا
الغرارة السحارة الغدارة المكارة كما قال تعالى ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فانها
دار العنا والشقا وان كان صورتها اذا الفنا كسراب بقيعة يحسبه الظمان انه ما حتى النعيم
فيها الملوك والامرا والاغنيا الاغنيا والانابة اي الرجوع والميل التام الى دار الخلود اي
دار البقا واللقا والاستعداد للموت بالتوبة والمبادرة الى العبادة وصرف الطاقة في الطاعة

قبل نزوله اي قبل حلول الموت او ظهور مقدمات من المرض والهرم حيث لم يقدر ح على تحصيل علم او
عمل ولا ينفعه الندم وثم ان هذا قد تكلمه لما قبله وهو العمدة لكونه علما له وما قبله انما هو باعث
بطرفيه هنالك على اقدام السالك على ذلك وعن ابي هريرة وابي خلاد بتشديد اللام
قال المولف ابو خلاد رجل من الصحابة وقال ابن عبد البر لم اقف له على اسم ولا نسبة حديثه
عند يحيى بن سعيد عن ابي فروة عن ابي خلاد قال اذا رايتم المومن قد اعطي زهدا
في الدنيا وقلته منطق فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وفي رواية مثله ولكن بين ابي فروة وابي خلاد
ابو مريم وهذا اصح انتهى ففيه اشارة الى الخلاف في ان هذا الحديث منقطع او متصل وان
اراد روايته مثله ما ذكره المص بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم العبد
اي قلة رغبة في الدنيا وقلة منطق اي في اللغو والهوى فاقتربوا منه اي اطلبوا القرب
منه والتمسوا في مجالسته القرب الى المولى فانه يلقى بتشديد القاف المفتوحة وفي
نسخة بتخفيفها اي يلقن ويوفق الحكمة اي الموعظة المطابقة للكتاب والسنة لقوله تعالى
يوتي الحكمة من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب والحكمة
في الحقيقة اتفاق العلم والعمل على سبل الشريعة والطريقة وصاحبها يتكلم حديث من
اخلص لله اربعين صباحا اظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه هو العالم العامل
المخلص الكامل يكون مرشدا مكملا فيجب على كل احد ان يطلب مجالسته ويحصل محادثته
قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اي قالا وحالا وقال بعض
العارفين اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا من يصحب مع الله وعلامة صحة احواله
بعد تصحيح اقواله وافعاله ما تقدم في الحديث السابق من علامة انشراح الصدر
بوجد صحته في جميع الامور بين بزاهتمامه في الدنيا وتوابعها من تحصيل المال والجاه زيادة على
قدر الحاجة الموصلة الى زاد العقبى بل يجعلهم فارغين عن امور الكونين على ما اشار اليه
خلع النعلين غايبين عن السوى حاضرين في حضرة المولى ذاهلين من مراقبة
الفنا واصلين الى مشاهدة البقا حاصلين في الجنة العاجلة على لذة اللقا فهذا العارف
ح خليفة الانبيا وقايم مقام الاوليا الاصفيا رزقنا الله رتبته وخدمته وصحبته
رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان والحديث الاول منهما اخرجه ابن المبارك
في الزهد والفريابي وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن
المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسما والصفات عن ابي جعفر المدايني
من اجل بني هاشم وليس هو محمد بن علي قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم اي المومنين اكيس قال
اكثرهم ذكرا للموت واحسنهم لما بعده استعدادا قال وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله فقال
نور يقذف فيه فينشرح وينفسح له قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقا الموت وفي رواية
قبل نزول الموت واخرج عبد ابن حميد وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقول يوسع قلبه للتوحيد والايمان به ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول شاكا كانما يصعد في السما يقول كما لا يستطيع
ابن ادم ان يبلغ السما فكذلك لا يقدر على ان يدخل التوحيد والايمان قلبه

حتى

وومـــــ لله عز وجل

حتى يدخل الله في قلبه وللحديث في الدر المنثور طرق كثيرة والله اعلم باب فضل الفقرا
وما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم المراد بالفضل هنا زيادة الاجر والثواب لا فضيلة فضلة
المال وزيادة تحسين الثياب وقوله وما كان من عيش النبي اي معيشته وفي نسخة من
عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل الفقرا على ما لا يخفى ونكتة الجمع بينهما انه صلى
الله عليه وسلم كان عيشه عيش الفقرا كاكثر الانبيا والاوليا وكفى به فضلا للفقرا على الاغنيا
وان خفي هذا الامر على الاغنيا ممن ادعى انه من العلما الفصل الاول عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اي رب رجل متفرق شعر راسه مدفوع بالابواب
اي ممنوع منها باليد واللسان والمعنى انه لا يدخله احد في بيته لو وقف وقوفه على بابه من
غاية حقارته في نظر الناس وذلك لما اراد الله ستر حاله عن الخلق لئلا يحصل له بالغير شي
من الاستيناس فيحفظه من الوقوف على ابواب الظلمة واكلة الحرام كما يحمي احدنا المريض
عن استعمال فلا يحضر الا باب مولاه ولا يسال عما سواه من كمال غناه وليس المراد منه انه ياتي
ارباب الدنيا فيطردونه عنها ويدفعونه عن دخوله منها فان الاوليا محفوظون عن هذه
المذلة وان كان قد يقع لبعضهم من اختيار ارباب الملامتية او ممن صدر عنه الذلة ولعل
في بعض النسخ مرفوع بالرا حتى قال البيضاوي الاشعث هو المغبر الراس المتفرق الشعر
واصل التركيب هو التفرق والانتشار والصواب مرفوع بالدال اي يدفع عن الدخول
على الاعيان والحضور في المحافل فلا يترك ان يلج الباب فضلا ان يحضر معهم ويجلس فيما
بينهم لو اقسم على الله اي على فعله سبحانه بان حلف ان الله يفعل كذا او لا يفعله لابره اي
لصدقه وصدق يمينه وابره فيها بان ياتي بما يوافقه كما وقع لانس ابن النضر في قوله والله
لا تكسر ثنيتها بعد قوله صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص فرضوا اهلها بالدية بعد ما ابوا على بها
وقال القاضي اي لو سال الله شيا واقسم عليه ان يفعله لم يخيب دعوته فشبه اجابته المقسم
والمقسم على غيره يوفي الحالف على يمينه وبره فيها وقال شارح قيل معناه لو اقسم على الله بان
يقول اللهم اني اقسمت عليك بجلالك ان تفعل كذا ولا يستقيم هذا المعنى في الموضع فيه خلل
الابرار قلت اللهم الا ان يقال المعنى صدق رجاه عنه بلفظ رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو
عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وعن مصعب بن سعد اي ابن ابي وقاص القرشي سمع
اباه وعلي بن ابي طالب وابن عمر وروى عنه سماك ابن حرب وغيره قال راى سعد اي ظن او توهم ان
له فضلا اي زيادة فضيلة او مثوبة من جهة الشجاعة والسخاوة ونحوها على من دونه
اي من الفقرا والضعفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جوابا له واسماعا لغيره هل
تنصرون اي على اعدايكم وترزقون اي الاموال من القسمة وغيرها الا بضعفايكم اي
ببركة وجود ضعفايكم ووجود فقرايكم فهم بمنزلة الاقطاب والاوتاد لثبات العباد والبلاد
وحاصله انه انما جعل النصر على الاعدا وقدر توسيع الرزق على الاغنيا ببركة الفقرا
فاكرموهم ولا تتكبروا عليهم فانهم اهل سلوك المحبة على ضيق المحجة وملوك الجنة في اعلى مراتب
المنة وقال الطيبي قوله ان له فضلا اي شجاعة وكرما وسخاوة فاجابه صلى الله عليه وسلم
بان تلك الشجاعة ببركة ضعفا المسلمين وتلك السخاوة ايضا ببركتهم وابرزه في صورة الاستفهام
ليدل على مزيد التقرير والتوبيخ رواه البخاري ورواه ابو نعيم في الحلية عنه بلفظ هل تنصرون
الا بضعفايكم بدعوتهم واخلاصهم وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ه

حضرت صلاح

فضیلتمآب افندیدر قرده‌شم

تحیات لائقه و تلطیفات فائقه تقدیم و رضوانیه‌لرینك

سجایای نجیبه تمامه الاخوه اسباب دوستانه نائل

و موفقیتلری دعاسی طرف لطیف بیان کمال اجیبه عرضه

و استرحام اولنمغه کسب افتخار ایدرم مقام معناده

تولدیکم دعالری تکری داوده مبارکده عید دل

قولندیغی داوده استرحام ایدرم غفلتم دولتلرنده کبی

ایدیکز حضورده فضیلتماب فخر افندی حضرتلرینه کمال

احترامله سلام ایدرم دعالرینی بکلرم

مسئله مقدره‌یه کلنجه استشاره‌ی و استخاره‌یی سیری

سوه به وارد ایدیه مبارکنك شرکله حضرتلرنی

شوقدرکه بو قدر فقط بیاره حرف

تأیید ایتمکده‌ده

اوزرینی ظن اولنمقده‌در بوده استشاره استخاره‌ده

تشویقیدر کرچه شیدر استشاره دوستلر کوستنسر

معلومدر استخاره دوستی بر معلومدر دوستی

دوستلری کرچه شبهه السه‌ده استشاره دها قولیدر

استخاره مجموعه‌ده کوره دها ایدر فقط محبوب

اولمیانه کوره السنده عبادته دولتیده دها

قولیدر سوزلرا یا قده معروفکز اوزرینی

قیده‌یم ابه و بسوق بولونسنده عرض ایدیکم

بیتم خلو باره خلو قد و مبارك عادتیه جه

ایده‌یك حفظکزده ربنا آتنا فی الدنیا حسنة وفی الآخرة

حسنة دعاسی قبول بویورسون آمین

کبی نوقتایه حقیقی لوتریسکز کمالی نوقتایه اسلامی بیلنمه

اکملك لطفکزدر ارتکبه تکرده احبابکزه قولده

اولمقده‌یه سزدن ایکیله مسرور حقکزده محروم

اولاحقده‌یه نائل مسئله‌نی بر اره کلمه‌کی

بکی طهدری حیاتی نتیجه بیدر و موفقیت

اولمقده‌یه دعا حقکزده تحیله بر موسمده

السنده انشط امدر حاکم بانجی عجیبه حاکم

قیرحاسه دائم حرمتلر عرض

فقط کوری حسب فقرادن

ابنم محمد کلری

تحت عيا بابه الجنة اي ليلة المعراج او في المنام او حالة كشف المقام او بطريق دلالة المرام فكان
عامة من دخلها اي اكثرها وهي مرفوعة وقيل منصوبة فيعكس المساكين اي الفقرا والضعفا
واصحاب الجد وفي الجامع واذا اصحاب الجد بفتح الجيم اي ارباب الغني من المومنين الاغنيا
والامرا محبوسون اي موقوفون يوم القيامة في الصحرا وخلاصته ان اصحاب الحظ الغاني من
ارباب الاموال والمناصب محبوسون في العرصات لطول حسابهم في المتاعب بسبب كثرة
اموالهم وتوسيع جاههم وتلذذهم بها في الدنيا وتمتعهم علي وفق شهوات النفس والهوي
قال حلال الدنيا له حساب وحرمها عقاب والفقرا من هنا لا يحاسبون بل قبل الاغنيا
باربعين خريفا في الجنة يدخلون مكافات لهم في العقبي لما فاتهم من الدنيا غير ان اصحاب
النار اي الكفار قد امر بهم الي النار وفي الجامع الا اصحاب النار فقد امر بهم الي النار اي من غير وقوف
في العرصات قال الطيبي اي يساق الكفار الي النار وتوقف المومنون في العرصات للحساب والفقرا
هم السابقون الجنة لفقرهم وخلاصة التاخير بمعني لكن والمعني ان اصحاب الجنة جعلوا قسمين
محبوسين وغير محبوسين ولكن اصحاب النار جعلوا قسما واحدا امر بادخالهم النار وقمت
علي باب النار فاذا عامة من دخلها اي اكثر من دخل النار مع الكفار النسا لكثرة ميلهن
الي الدنيا وامنعهن الرجال عن طريق العقبي متفق عليه ورواه احمد والنسايي عنه وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اطلعت في الجنة اي اشرفت عليها لقوله
تعالي لو اطلعت عليهم ففي بمعني علي لقوله تعالي لاصلبنكم في جذوع النخل وحاصله نظرت
اليها واوقعت الاطلاع فيها فرايت اي علمت اكثر اهلها الفقرا وقال الطيبي ضمن اطلعت معني تاملت
ورايت معني علمت ولذا عداه الي مفعولين ولو كان الاطلاع بمعناه الحقيقي لكفاه مفعول واحد
انتهي وفيه انه لم يتعد هنا الي مفعولين كما لا يخفي واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها النسا متفق
عليه هذا الحديث رواه البخاري من حديث عمران بن حصين ومن حديث ابي هريرة ايضا
رواه مسلم من حديث ابن عباس ورواه الترمذي من حديث عمران وابن عباس كذا قال
الشيخ الجزري وعلي هذا فقول المولف في اخر حديث ابن عباس متفق عليه لا يخلو عن
تامل ذكره ميرك وفيه ان مبناه علي المسامحة حيث وقع الاتفاق علي لفظ الحديث وان
اختلفا في المروي عنه من الصحابة نعم كان حقه ان يقول رواه مسلم ورواه البخاري عن عمران بن
حصين كما قال في الجامع بعد ايراد الحديث بعينه رواه احمد ومسلم والترمذي عن ابن عباس
والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان فقرا المهاجرين يسبقون الاغنيا اي من المهاجرين فغيرهم بالاولي ولذا
اطلق الاغنيا وعلي هذا فقرا كل طايفة من اهل زمان ومكان علي اغنيايهم يوم القيامة
اي لمحاسبة الاغنيا وخلاص الفقرا عن العسا فان المفلس في امان الله دنيا واخري الي الجنة
متعلق بيسبقون اي يسابقون ويبادرون اليها باربعين خريفا قال الطيبي نقلا عن
النهاية الخريف الزمان المعروف بين الصيف والشتا ويريد به اربعين سنة لان الخريف لا يكون
في السنة الا مرة واحدة انتهي فالمعني بمقدار اربعين سنة من اعوام الدنيا والاخري مع احتمال
ان يراد بها الكثرة ويختلف باختلاف احوال الفقرا والاغنيا في الكمية والكيفية المعتبرة وخلاصته
ان الفقرا في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبي مجازاة لما فاتهم من التنعم في الدنيا كما قال
تعالي كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية اي الماضية او الخالية عن الماكل والمشرب

صياما

وو[illegible] لله عز وجل

صياما او وقت المجاعة وقد ورد علي ما سبق ان اطول الناس جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا
في الدنيا ويويد ما ذكرناه من تفاوت المراتب انه جا في رواية ابن ماجة عن ابي سعيد بلفظ
ان فقرا المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيايهم بمقدار خمسماية رواه مسلم وعن سهل
ابن سعد قال مر رجل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لرجل عنده الظاهر انه كان
من الاغنيا فيكون في سواله وجوابه تنبيه نبيه علي فضل الفقرا جالس بالجر صفة
رجل وفي نسخة بالرفع وعلي انه فاعل للظرف او خبر بعد خبر لمبتدا محذوف هو هو
ما رايك بفتح اي ما ظنك في حق هذا الرجل المار لظنه خيرا او شرا ذكره ابن الملك فقال اي الذي
عنده رجل اي هو او هو اي يعني المار من اشراف الناس اي كبرايهم وعظمايهم هذا اي هذا
الرجل بعينه او هذا الشخص بجنسه اي مثل هذا الرجل والله حري علي وزن فعيل
وهو خبر هذا والقسم معترض بينهما اي جدير وحقيق ان خطب اي طلب ان يتزوج امراة
ان ينكح بصيغة المفعول مشددا اي يقبل شفاعته قال اي الراوي فسكت رسول الله
صلي الله عليه وسلم اي عن الجواب ولم يذكرها يقتضيه المحاورة من الخطاب ثم مر رجل اي اخر
فقال له اي للرجل الذي عنده ما رايك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقرا المسلمين هذا
حري ترك القسم لاحتمال التخلف واما تاكيد الحكم به سابقا فللمبالغة في تحقيق الظن
والمعني هذا الايق ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال اي بكلام وان كان
صدقا او حقا ان لا يسمع بصيغة المجهول ونايب الفاعل قوله لقوله والمعني ان
احدا لا يسمع كلامه ولا يلتفت اليه من غاية فقره وقلة نظام امره ففي غرايب ما يحكي
ان رجلا غريبا فقيرا رافق شخصا ملك بعيرا وحمله ثقيلا فقال ما حملك هذا وما حملك
علي هذا قال عدل منه حب الطعام وعدل اخر ما لي من البطحا ليعتدل النظام قال
الفقير لو كببت البطحا وقسمت الحب في العدلين متناصفين لخف حملك وركبت وحملت
علي جملك فقال بارك الله فيك لما صدر من فكرك فاطاعه فيما بينه وركب علي وجه عينه
فساله هل انت بهذا العقل كنت في بلادك سلطانا فقال لا فقال فوزيرا فقال لا فقال فتاجرا
فيما فصاحب ابل وصاحب خيل او غنم او ذراعة ونحو ذلك فيقول لا فقال اكنت في بلدك
فقيرا علي هذا الحال وحقيرا علي هذا المنوال فقام ثم فقال انت شوم ووجهك شوم وكلامك
شوم ومن يسمعك ايضا شوم ونزل عن بعيره وامر علي تغيير من سوي تدبيره ومثل هذا
مشاهد في العالم كثيرا مثل اذا كان العالم فقيرا والشيخ اذا كان حقيرا حيث لا يلتفت احد
ولا يقطع علي قدر مقامه بخلاف العالم والشيخ اذا كان مشهورا وعلم جاهه بين العوام
مشتهرا فشانه يقبل قوله ويتبع فعله ولو كان في نفس الامر ناقصا في علمه او عمله والله
ولي دينه وناصر نبيه ومن هذا القبيل قول اهل الجاهلية في حقه صلي الله عليه وسلم
لما كان تاركا للمال والجاه علي ما حكاه الله تعالي عنهم بقوله لولا نزل هذا القران علي رجل
من القريتين عظيم واراد والقريتين مكة والطايف كان كل اهل قومه قالوا هذه المقالة
فلف النشر اعتمادا علي معرفته تلك الحالة فقال تعالي ردا عليهم اهم يقسمون رحمة ربك
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الايات فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
هذا اي هذا الرجل وحده وكذا امثاله خير من ملا الارض مثل هذا اي مثل هذا الرجل
الاول ووجهه والله اعلم ان الفقير لصفا قلبه اقرب الي قبول امر ربه والوصول الي

وان شفعوا ان يشفعوا

مرتبة حبه بخلاف الاغنيا فان لهم الطغيان والاستغنا والتكبر والخيلا وقد قال تعالي سأصرف عن
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهذا امر مشاهد مري في تلامذة العلما ومن يدين
للصلحا والتابعين او للانبيا بل السابقين الي العبادات من الصلوات وغيرها حتي الحج الذي
لم يجب الا علي الاغنيا فالفايزون به لاسيما علي وجه الاخلاص المبرا عن الاغراض الفاسدة
والمكاسب الكاسدة انما هم الفقرا هذا وقال شارح مثل منصوب علي التمييز من ملا الارض
ويويده قول الطيبي وقع ملا الارض مفضلا عليه باعتبار مميزه وهو قوله مثل هذا لان
البيان والمبين شي واحد انتهي ويمكن ان يكون نصبه بنزع الخافض ويويده انه وقع
في بعض النسخ بالجر اي من مثل هذا الرجل الاول لكن النسخ المصححة من نسخة وغيرها
علي الاول فهو المعول ولا يغرك قول ابن حجر مثل هذا بكسر اللام ويجوز فتحها ثم المراد من الرجل
الاول المعبر عنه بانه من اشراف الناس واحد من اغنيا المومنين وانما عبر عن الخاص بلفظ
العام للمبالغة في تحصيل المرام فان الغني تقتنيه الخواص والعوام ولا يتوهم ان المراد بالرجل
الاول احد من الكفار لعدم انتظام الكلام ح في قوله عليه السلام هذا خير بمعني افضل منه
اذ لا مفاضلة بين الكفار واهل الاسلام لانه لا خير في كفار الانام حتي قال بعض العلما
الاعلام ان من قال النصراني خير من اليهودي يخشي عليه اذا ثبت الخير قسمين لا خير
فيهم وانما لم يجزم بكفره لانه قد يقصد بالخير انه اقرب الي الحق ولذا قال تعالي لتجدن
اشد الناس عداوة للذين امنوا الذين قالوا انا نصاري كما انه قد يقصد بالخير مجرد
زيادة الحسن ومنه قوله تعالي اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا
لكن ايراد الحديث في هذا الباب يدل علي ان ما ذكرناه هو الصواب وهو لا ينافي ما ذكره
الغزالي ان عذاب الكافر الفقير الدني اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكافر
في النار فما ظنك بنفعه للابرار في دار القرار متفق عليه وعن عايشة قالت ما شبع
ال محمد اي اهل بيته من حرمه وخدمه من خبز الشعير فمن البر بالاولي يومين متتابعين اي
بل ان حصل الشبع يوما وقع الجوع يوما علي ما اختاره صلي الله عليه وسلم حين عرض عليه
خزاين الارض وان يجعل جبال مكة ذهبا فاختار الفقر قايلا اجوع يوما فاصبر واشبع
يوما فاشكر لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر كما قال تعالي ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور اي لكل مومن كامل بالوصفين عالم عامل حتي اي استمر عدم الشبع
علي الوجه المذكور حتي قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم اي ودرعه مرهونة عند
يهودي في جملة صاع من الشعير وفيه رد علي من قال صار صلي الله عليه وسلم في اخر عمره غنيا
نعم وقع مال كثير في يده لكنه ما امسكه بل صرفه في مرضاة ربه وكان دايما غني القلب بغني
الرب متفق عليه ورواه الترمذي في شمايله عنها وروي عن ابن عباس قال كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا اي جايعا هو واهله لا يجدون عشاء
وكان اكثر خبزهم خبز الشعير وبهذا الحديث يتبين ان احدا في زماننا من الفقرا ما يعيش
عيشه صلي الله عليه وسلم وهو افضل الانبيا ففي فعله صلي الله عليه وسلم تسلية عظيمة للفقرا
كما ان في حوله توصية جسيمة للاغنيا فهو رحمة للعالمين وامام العالمين العاملين وعن
سعيد في نسخة ابي سعيد وهو خطا مخالف للاصول المعتبرة والنسخ المصححة علي ما صرح
به بعضهم وقال هو سعيد بن ابي سعيد المقبري واسم ابي سعيد كيسان وكان

يسكن

وقف [illegible]

يسكن عند مقبرة فنسب اليها انتهي ولم يذكرهما المولف في اسمايه المقبري بفتح الميم وسكون
قاف وضم موحدة ويفتح ويكسر نسبة الي موضع القبور والمراد ابو سعيد وابنه سعيد كذا في
انساب المغني عن ابي هريرة انه مر بقوم بين ايديهم شاة مصلية اسم مفعول من صلي
علي وزن مرمية اي مشوية فدعوه اي ابا هريرة الي اكلها فابي ان ياكل اي فامتنع من اكله
اياها وقال اي منتقدا خرج النبي صلي الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه
البخاري وعن انس انه مشي الي النبي صلي الله عليه وسلم بخبز شعير اي مصحوبا به واهالة
اي دهن يوتدم به سنخة بفتح سين مهملة وكسر نون وفتح خا معجمة بعدها ها اي متغير
الريح لطول المكث في النهاية الاهالة كل ما اذيب من الالية والشحم وقيل الدسم الجامدة والسنخة
المتغيرة الريح ولقد رهن النبي صلي الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي واخذ منه شعيرا
اي مقدارا معينا من الشعير لاهل بيته ولعل وجه الاخذ منه ليكون الحجة بالغة عليهم او يستترا
لحاله عن المساكين او لييلا يثقل عليهم فيعطوه استحيا او لم ياخذوا منه وقت العطا ربا والاظهر
انه مبالغة في تنزهه صلي الله عليه وسلم عن طلب الاجر من الامة ولو صورة حيث قال تعالي قل لا
اسيلكم عليه اجرا ان اجري الا علي الله ونظيره ما وقع لامامنا الاعظم حيث لم يقف في ظل جدار من
كان يطالبه بدين معللا بحديث كل قرض جر منفعة فهو ربا وروي ان الامام حمزة احد الايمة
القرا السبعة الذي قال الشاطبي في حقه من المنقبة وحمزة ما ازكاه من متورع اماما صبورا
للقران مرتلا كان لا ياخذ اجرا علي الاقرا لانه يذهب بحديث التغليظ في اخذ الاجرة عليه ومن كمال
تورعه حتي عرض تلميذه عليه ما في يوم حار فابي وقيل انه وقع في بير فلما جا يستخرجه منها
ساله هل قرات علي فيقول بلي فيتمنع ان يستعين به الي الخروج من الخلا الي الملا واهل الكوفة كانوا
كلهم تلاميذه فعجزوا حتي راوا اعرابيا فاتاه فاخرجه منها بعد ان بين له انه قط ما قرا عليه ولا
سمع مما يقرا لديه ولقد سمعته بقل قال الطيبي ضمير المفعول في سمعته عايد الي انس والفاعل هو
راوي انس انتهي وتبعه ابن الملك وغيره من الشراح اي قال راوي الحديث عن انس سمعت
[illegible] ما امسي اي للذخيرة عند ال محمد صاع بر اي للقوت ولا صاع حب تعميم بعد تخصيص
والمعني انه لم يدخر في الليل للغد وان عنده لتسع نسوة بكسر الهمزة والجملة حالية وفي بعض
الروايات وان عنده يوميذ لتسع نسوة وهذه الجملة من كلام الراوي قطعا لقوله عنده والتاويل
بالالتفات مما لا يلتفت اليه ولا يعول عليه وانما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم الحق الضمير
المفعول راجع الي النبي صلي الله عليه وسلم والفاعل هو انس كما صرح به الشيخ ابن حجر العسقلاني
ويدل عليه رواية احمد قال ولقد سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم الخ ويويده قوله ما امسي
عند ال محمد اذ لو كان من كلام الراوي لناسب ان يقول عند ال النبي صلي الله عليه وسلم والله
اعلم رواه البخاري وعن عمر رضي الله تعالي عنه قال دخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا
هو مضطجع علي رمال حصير بالاضافة اي علي رمال من حصير قال شارح الرمال بكسر
الرا وضمها جمع رميل بمعني مرمول اي منسوج ويستعمل في الواحد وهذا من اضافة الجنس
الي النوع كخاتم فضة والمراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهي وقيل الرمال ما نسج
عودا عودا والظاهر ان ضم الرا اشهر ولذا صاحب القاموس اقتصر وقال رمال الحصير كغراب
مرموله وفي النهاية الرمال ما رمل اي نسج قال الزمخشري ونظيره الحطام والركام لما حطم وركم
وقال غيره الرمال جمع رمل بمعني مرمول كخلق الله تعالي بمعني مخلوقه والمراد انه كان السرير

قد يسبح وجهه بالسعف ثم لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير ذكره الطيبي لكن كون المراد برمال
الحصير شريط السرير بعيد عند الفقير بل الظاهر انه مضطجع على منسوج من حصير ليس بينه
اي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينه اي بين الحصير فراش اي لا من القطن ولا من الحرير
قد اثر الرمال بجنبه من بدنه لا سيما عند كشفه من ثوبه متكيا اي حال كونه معتمدا على وسادة
اي مخدة من ادم بفتحتين اي جلد حشوها اي محشوة الوسادة ليف في القاموس ليف النخل
بالكسر معلوم قلت يا رسول الله ادع الله فليوسع بكسر السين المشددة وسكون
العين على امتك اي فانهم لا يطيقون مثل ما تطيقه في تحمل مشقة فربما ينفرون عن الميل
الى ملتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله وكان ابن الخطاب
الناطق بالصواب الموافق لاية الكتاب اخذ هذا المعنى من قوله تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية
ومفهومها انه ما وسع عليهم توسيعا لحبها ولا ضيق على المومنين تضييقا لحبها
وان كان ذلك مقتضى ظاهر العدل من تقسيم الدارين بين الفريقين كما اخبر به صلى الله
عليه وسلم في حديث الدنيا سجن المومن وجنة الكافر فالحكمة البالغة هي المانعة من ميل
المومنين الى طريقة الكافرين وهي الحالة الوسطى بالنسبة الى عموم الخلق وان كانت
المرتبة العليا بالاضافة الى الخواص من الانبيا والاوليا كمال الزهد في الدنيا والقناعة باقل
ما يتصور من متاعها ليكون تمتعهم تاما في العقبى فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اوفي هذا
انت بفتح الواو بعد استفهام انكاري والمعطوف عليه مقدر اي اتقول هذا الكلام وانت
الى الان في هذا المقام حتى يحصل لك الترقي الى فهم المرام وقيل قدم الاستفهام لصدارته
والواو لمجرد الربط بين الكلام السابق واللاحق يا ابن الخطاب قيل في خطابه يا ابن الخطاب دون
عمر ايذان بان الالتذاذ بطيبات الدنيا من خصال ذوي الجهل والعمى وكانه يقول يا ابن ذلك
المعتقد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم العقبى اولئك اي فارس والروم وسائر الكفار عجلت
لهم طيباتهم في الحياة الدنيا اي كما اخبر الله تعالى في كتابه انه يقال عليهم يوم القيامة
بخطابه حيث قال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون هذا وقد قال الطيبي قوله فليوسع الظاهر نصبه ليكون جواب
الامر اي ادع الله فيوسع واللام للتاكيد والرواية الجزم على انه امر للغايب كانه التمس من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا لامته بالتوسعة وطلب من الله الاجابة وكان من حق الظاهر
ان يقال ادع ليوسع عليك فعدل الى الدعا للامة احلالا لمحله صلى الله عليه وسلم ورد بالمنزلة من
رسخ للنبوة ان يطلب من الله تعالى هذا الدني الخسيس لنفسه النفيس ومع ذلك انكر عليه
هذا الانكار البليغ وقوله او في هذا مدخول الهمزة محذوف اي اطلب هذا او في هذا انت وكيف
يليق بمثلك ان يطلب من الله التوسعة في الدنيا وفي رواية اما ترضى ان تكون لهم الدنيا اي موسعة
خاصة ولنا الاخرة اي مرصعة خالصة متفق عليه وروى ابن ماجة الرواية الاخيرة وعن
ابي هريرة قال لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة وفي نسخة من اهل الصفة وهم كانوا اربعمائة
من المهاجرين تهيؤا للتعلم القران والخروج في السرايا للقتال اهل الطغيان وكان ابو هريرة ناظرهم
ونقيبهم ومتفقد حالهم ورقيبهم وكانوا ياوون في صفة اخر مسجده صلى الله عليه وسلم وقد ذكر

في حقهم

في حقهم للفقرا الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنيا من
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا اي اصلا بل كانوا متوكلين ومتقنعين بلقاط النواة
ونحوها من جهة الزاد للمعاش والمعاد واما من جهة الكسوة فكما بينه ابو هريرة بقوله ما منهم
رجل عليه ردا ففي النهاية هو الثوب والبرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه فوق
ثيابه قال السيد جمال الدين قوله فوق ثيابه قال السيد جمال الدين قوله فوق ثيابه خلاف
ما عليه ائمة اللغة وانما الردا هو الذي يستر اعالي البدن فقط قالت ويؤيده قوله اما ازار واما
كسا اي ازار واحد يستر عورته واما كسا واحد يشتمل به كما بينه بقوله قد ربطوا اي طرفه في
اعناقهم وحاصل المعنى انه لم يكن له ثوب يتوارى به بل كان له اما ازار فحسب وفي العدول عن
ضمير المفرد الى الجمع في قوله قد ربطها في اعناقهم حيث لم يقل حيث ربطه في عنقه اشعار بان
حال جميعهم كان على هذا المنوال كما يفيده تنكير رجل واستغراق النفي زيادة المبالغة بزيادة
من في قوله منهم ثم تانيث الضمير في قوله فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين
مع انه راجع الى الكسا والازار باعتبار الجمعية في الاكسية والازر او الاكسية وحدها لقربها ولمقايسة
غيرها عليها ولها نظائر من قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
ومن قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فان المفرد يدخل
على الجمع لا سيما والمراد به الجنس الذي قد يعبر عنه بالتانيث لدلالته على جمعيته الجامعة
كما قد يفرد باعتبار لفظه وهذا المعنى بقوله فيجمعه اي يجمع الرجل ذلك الثوب من الكسا والازار
بيده لئلا يفترق احد طرفيه من الاخر كراهية ان ترى عورته اي في نظر غيره وحال صلاته هذا
وقد قال الطيبي التانيث باعتبار الجمعية في الاكسية والازر وتفرد الملتبسين والازار في
بيده باعتبار الرجل المذكور رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بصيغة المجهول من التفضيل اي زيد عليه في
المال والخلق اي في الصورة او في الخدم والحشم وحاصله انه اذا راى احدكم من هو اكثر منه حشمة
ومالا ولباسا وجمالا ولم يعرف انه في الاخرة به وبالا فلينظر الى من هو اسفل منه بفتح
اللام ويضم اي من هو دونه في الدنيا واقل رتبة منه بالاوصاف ولو له في الاخرة الدرجة العليا فان في
الحديث دلالة على ان اكثر الخلق هو الاعتدال ولو بحسب الاضافة والانتقال فالسالك بالنظر
الى حال طرفيه يحصل له حسن الحال وانما البيان المفضل على الخلق كلهم من جميع الوجوه
مثلا او فرضا لا ينظر الى من تحته لئلا يحصل العجب والغرور والافتخار والتكبر والخيلاء بل
يجب عليه ان يقوم بحق شكره على النعماء واما من لم يكن تحته احد في الفقر فينبغي ان يشكر
ربه حيث لم يبتله بالدنيا وقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها
ولذا كان الشبلي اذا راى احدا من ارباب الدنيا قال اللهم اني اسالك العفو والعافية من الدنيا
والغنى ويناسبه ما حكي ان شخصا من الفقرا قام في مجلس واعظ من الاوليا وشكى انه
لم ياكل كذا مدة في الخلا والملا فقال الشيخ كذبت يا عدو الله فانه لا يعطي الجوع الشديد الا لاصفيائه
وخاصة انبيائه وخلاصة اوليائه ولعلك منهم لما اظهرت هذه الشكاية وسترت عن الخلق هذه
الغاية ومحل الحال وخلاصة المقال ان المومن اذا سلم دينه من الخلل والزوال فلا يبالي بنقصان الحال
والمال وساير المشقات الكائنة في الحال والاستقبال كما روي ان صاحبا للقرافي ضرب وحبس
فشكى اليه فقال اشكر فان البلا قد يكون اعظم من هذا ثم طرح في بير من الجب فشكى

اليه ورد بما سبق عليه ثم اتي بيهودي يسهل كل ساعة ووضع معه مسلسلا بسلسلة يحتاج
كل نفس الي موافقته ومصاحبته مع ضيق المكان وظلمة الزمان والعفونة في كل ان فشكي
الي الامام من ضيق الصدر فامره بالشكر والصبر فاجاب جزعا اي بلا اشد من هذا العذاب
فقال الامام في الجواب هو ان يوضع في رقبتك طوق الكفر والحجاب ويسلك بك عن صوب
الصواب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
متفق عليه ورواه احمد وفي رواية لمسلم وقد اخرجها احمد والترمذي وابن ماجة عنه
ايضا مرفوعا قال انظروا الي من هو اسفل منكم اي دونكم رتبته ولا تنظروا الي من هو
فوقكم اي مرتبة فهو اي النظر المذكور اثباتا ونفيا اجدر اي حق واولي ان لا تزدروا
نعمة الله عليكم اي بعدم الازدراء والاحتقار بما قسم الله عليكم في هذه الدار فانه يظهر لكم بذلك
النظر ان لله تعالي نعما كثيرة بالنسبة الي من دونكم او نعما كثيرة حيث اختار لكم الفقر والبلا
وجعلكم من اهل الولا وشبهكم بالانبيا والاوليا وخلصكم عن ظلم الامرا وظلمة الاغنيا الاغبيا

الفصل الثاني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يدخل الفقرا اي الصابرون
وقيل او الشاكرون الجنة قبل الاغنيا اي الشاكرين بخمس ماية عام اي سنة نصف يوم
بالجر علي انه صفة فارقة او بدل او عطف بيان عن خمسماية فان اليوم الاخروي مقدار طوله
الف سنة من سني الدنيا لقوله تعالي وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فنصفه خمسماية
واما قوله تعالي في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون فمخصوص عن عموم ما سبق
ومحمول علي تطويل ذلك اليوم علي الكفار كما يطوي حتي يصير كساعة بالنسبة الي الابرار
كما يدل عليه قوله تعالي فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير علي الكافرين غير
يسير قال الاشرف فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله
باربعين خريفا قلت يمكن ان يكون المراد من الاغنيا في الحديث الاول اغنيا المهاجرين اي يسبق
فقرا المهاجرين الي الجنة باربعين خريفا ومن الاغنيا في الحديث الثاني الاغنيا الذين ليسوا
من المهاجرين فلا تناقض بين الحديثين انتهي وفيه ان هذا انما يتم اذا اريد بالفقرا الخاص
وبالاغنيا العام فلا يفهم حكم الفقرا من غير المهاجرين فالاولي حمل الحديث علي معني يفهم
الكل وهو بان يقال المراد بكل من العددين انما هو التكثير لا التحديد فتارة عبر به واخري بغيره
تفننا ومالهما واحد واخبر اولا بالاربعين كما اوحي اليه ثم اخبر ثانيا بخمسماية عام زيادة من فضله
علي الفقرا ببركته صلي الله عليه وسلم او التقدير باربعين خريفا اشارة الي اقل المراتب وبخمسماية
عام الي اكثرها ويدل عليه ما رواه الطبراني عن مسلمة بن مخلد ولفظه المهاجرون الناس
باربعين خريفا الي الجنة ثم يكون الزمرة الثانية ماية خريف انتهي فالمعني ان يكون الزمرة
الثالثة مايتين وهلم جرا وكانهم محصورون في خمس زمر والله اعلم والاختلاف في مراتب
اشخاص الفقرا فيما لصبرهم ورضاهم وشكرهم وهو الاظهر المطابق لما في جامع الاصول
حيث قال وجه الجمع بينهما ان الاربعين اراد بها تقدم الفقير الحريص علي الغني الحريص واراد
بالخمسماية تقدم الفقير الزاهد علي الغني الراغب فكان الفقير الحريص علي درجتين من
خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الي الخمسماية ولا يظن
ان هذا التقدير وامثاله يجري علي لسان النبي صلي الله عليه وسلم جزافا ولا باتفاق بل لسر
ادركه ونسبة احاط بها علمه فانه صلي الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوي ان هو الا

وحي

وحي يوحي رواه الترمذي اي وقال حسن صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه قال المنذري ورجاله محتج
بهم في الصحيح ورواه ابن ماجة بزيادة من طريق موسي بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد
الله بن عمر وعن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اللهم احييني مسكينا ولم يقل فقيرا لئلا يتوهم
كونه محتاجا حقيرا فينا فيه دعاه اللهم اجعلني في نفسي صغيرا وفي اعين الناس كبيرا واما المسكين
فهو من مادة المسكنة وهو التواضع علي وجه المبالغة ولو افضي الي المذلة او من السكون
والسكينة وهو الوقار والاطمينان والقرار تحت احكام الاقدار رضا بقضا الجبار وقال بعضهم
اي اجعلني متواضعا لا جبارا متكبرا وفيه تعليم الامة ليعرفوا فضل الفقرا فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم
بركتهم وفيه تسلية للمساكين وبينة علي علو درجاتهم ويجوز ان يراد به هنا ان يجعل قوته كفافا
ولا يشغله بالمال فان كثرة المال في حق المقربين مونة من الوبال في خشية المال وخشونة
الحال وامتني وفي رواية الحاكم وتوفني مسكينا دل علي انه صلي الله عليه وسلم كان علي وصف
المسكنة الي اخر العمر واحشرني في زمرة المساكين اي في قربهم وجماعتهم وفيه مبالغة لا تخفي
لانه لو قال واحشرهم في زمرتي لكان لهم فضل كثير وعلو كبير ونظيره ما قال صلي الله عليه
وسلم فضل العالم علي العابد كفضلي علي ادناكم حيث لم يقل كفضلي علي اعلاكم هذا وقد
مر بعض سلاطين الاسلام علي طايفة من الفقرا والصلحا الكرام فلم يلتفتوا اليه ولم يقبلوا عليه فقال
من انتم فقالوا نحن قوم محبتنا ترك الدنيا وعداوتنا ترك العقبي فجاوزهم وتجاوز عنهم وقال
نحن لم نقدر علي محبتكم ولا طاقة لنا علي عداوتكم فقالت عايشة لم يا رسول الله صلي الله عليه
وسلم اي لاي شي دعوت هذا الدعا واخترت الحياة والممات والبعثة مع المساكين والفقرا دون
الكبرا الاغنيا قال انهم استيناف في معني التعليل اي لانهم مع قطع النظر عن بقية فضايلهم
وحسن اخلاقهم وشمايلهم يدخلون الجنة قبل اغنيايهم اي زمانا ومكانا ومكانة باربعين
خريفا والاكتفا به لانه اقل موعود في مدة المسابقة لمضاعفة الحسنه بالعشرة في الطاعة
يا عايشة لا تردي المسكين اي لا تردنه خايبا بل سامحيه جابيا وابيا واحسني اليه كثيرا
او قليلا ولو بشق تمرة بنصفها او ببعضها او رديه ردا جميلا تستحقي به خيرا جميلا جزيلا
ولذا لما وقف مسكين عندها واعطته حبة عنب بقيت في يدها وعابت المسكين ولم يدر
ما القي من القيم اليها قالت فمن يعمل مثقال ذرة والحبة مشتملة علي مقدار كثير من الذرة
يا عايشة احبي المساكين اي بقلبك وقربيهم اي الي مجلسك حال تحديثك فان الله
يقربك يوم القيامة اي بتقريبهم تقربا الي الله سبحانه رواه اي الحديث بكماله الترمذي والبيهقي
في شعب الايمان اي انس وروي وفي نسخة ورواه ابن ماجة عن ابي سعيد الي قوله في زمرة
المساكين قاله ميرك نقلا عن الترمذي ورواه الحاكم اي عن ابي سعيد وزاد وان اشقي الاشقيا
من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة وقال صحيح الاسناد ورواه ابو الشيخ والبيهقي
عن عطا بن ابي رباح سمع ابا سعيد يقول ايها الناس لا يحملنكم العسر علي طلب الرزق
من غير حله فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني
غنيا واحشرني في زمرة المساكين فان اشقي الاشقيا من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب
الاخرة قال ابو الشيخ زاد فيه غير ابي ذرعة عن سليمان بن عبد الرحمن ولا تحشرني في
زمرة الاغنيا قلت انه لم يكن ذلك لا اخر غير هذا الحديث الشريف لكفي حجة واضحة
وبينة لايحة علي ان الفقير الصابر خير من الغني الشاكر واما حديث الفقر فخري

وبه افتح فباطل لا اصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلاني وغيره واما حديث كاد الفقر ان
يكون كفرا فضعيف جدا وعلى تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبي المودي الى الجزع
والفزع بحيث يفضي الى عدم الرضا بالقضا والاعتراض على تقسيم رب الارض والسما ولذا
قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد روي الفقر ازين
على المومن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني عن شداد بن اوس وروي
الفقر امانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد اخوانه المسلمين رواه ابن
عساكر عن عمر وعن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغوني بهمزة قطع مفتوحة
وفي بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة اي اطلبوا رضاي في ضعفائكم اي فقرائكم بالاحسان
اليهم والمظلومين ولو بالمساعدة لديهم فانما ترزقون اي رزقا حسيا ومعنويا او تنصرون
اي على الاعدا الظاهرة والباطنة واو للتنويع ويؤيده رواية الواو ويحتمل ان يكون او للشك
من الراوي بضعفائكم اي ببركة وجودهم واحسانهم اذ منهم الاقطاب والاوتاد وبهم نظام
البلاد والعباد قال ابن الملك يعني اطلبوا لي حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم فاني معهم بالصورة
في بعض الاوقات وبالقلب في جميعها لاعلامي من شرفهم وعظيم منزلتهم عند الله تعالى فمن اكرمهم
فقد اكرمني ومن اذاهم فقد اذاني انتهى ويؤيده الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب
قال الطيبي قوله ابغوني بهمزة القطع والوصل يقال بغى يبغي بغيا اذا طلب وهذا نهي عن مخالطة
الاغنيا وتعليم منه انتهى ويؤيده حديث اتقوا مجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنيا
وفي مختصر النهاية ابغني كذا بهمزة الوصل اي اطلبه ولي وبهمزة القطع اعني على الطلب وفي
القاموس بغيته طلبته وابغاه الشي طلبه له كبغاه اياه كرماه او اعانه على طلبه رواه ابو داود
وكذا الترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح نقله ميرك عن التصحيح وفي
الجامع بلفظ ابغوني في الضعفا فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم رواه احمد والثلاثة
والحاكم وابن حبان عنه وعن امية بالتصغير ابن خالد بن اسيد بفتح فكسر لم يذكره
المولف في اسمائه ونقل ميرك عن التصحيح انه قال ابن عبد البر امية بن خالد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم روى كرهذا الحديث وقال لا يصح عندي صحبته عندي والحديث مرسلا
قلت مرسل التابعي حجة عند الجمهور فكيف مرسل من اختلف في صحبته عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يستفتح اي يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله تعالى بصعاليك المهاجرين اي بفقرائهم
وبركة دعائهم وفي النهاية اي يستنصر بهم ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال ابن
الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعدا بحق عبادك الفقرا والرغبة الى دعائهم والتبرك بوجوههم
اقول ولعل وجه التقييد بالمهاجرين لانهم فقرا غربا مظلومين مجاهدين مجاهدين فيرجى
ان يرد عليهم اكثر من عوام المومنين واغنيائهم والصعاليك جمع الصعلوك كعصفور الفقير على
ما في القاموس رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده وحيث اطلقه وما بين ارساله دل على
انه قال بصحبة الراوي واتصال سنده مع انه مقتصد في المعنى بما سبق انما تنصرون بضعفائكم
ثم رايت في الجامع انه رواه ابن ابي شيبة والطبراني عن امية بن عبد الله ولفظه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن بكسر الموحدة وتشديد النون المؤكدة فاجرا اي كافرا اي
كافرا او فاسقا بنعمة اي بنعمة هو فيها من طول عمر او كثرة اولاد او سعة مال او وجاهة بات

فطلب

فطلب زوالها عنه او تريد مثلها لنفسك فانك لا تدري ما هو لاق اي ملاق في مقابلة تلك النعمة من
النقمة والمحنة بعد موته اي في القبر والحشر ان له اي للفاجر عند الله قاتلا اي مهلكا له او معذبا
عذابا شديدا من شانه ان يقتل لا يموت اي لا يفنى ولا ينعدم ذلك القاتل بل موجود دايما
ولا ينقطع يعني النار قال الطيبي هذا تفسير عبد الله بن مريم راوي ابي هريرة كذا في شرح السنة
انتهى وقال الجزري قيل قوله قاتلا بهمزة مكسورة من القيلولة اي مقيلا باقيا يعني يحشر معه
النار وتقيل حيث قال وتبيت حيث بات وقيل هو بالتا المثناة من فوق اي من يقتله اي النار رواه
اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وفي الجامع رواه البيهقي في الشعب ولفظه لا تغبطن فاجرا
بنعمته ان له عند الله قاتلا لا يموت وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدنيا سجن المومن اي حبسه وعذابه بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من نعيمه وثوابه
وسنته بفتحتين اي قحط وشدة معيشة ولذا روي المومن لا يخلوا من قلته او علته او
ذلته وقد يجمع للمومن الكامل جميع ذلك قال الطيبي السنة من الاسما الغالبة للقحط وقال
ابن عطا ما دمت في شدة الدار لا تستغرب وقوع الاكدار اي بالاستغراب خلاف ذلك ان
وقع شي هنالك واذا فارق الدنيا اي المومن فارق السجن والسنة ولعل الجمع بينهما
لدفع ما يتوهم ان السجن قد يكون فيه السعة كما قد يتفق نادرا فهذا الفهم بقوله
والسنة فيكون زيادته من باب التذييل والتكميل واطلق فيما سبق من الحديث الصحيح اعتمادا
على غالب الاحوال مع انه لا يخلوا من نوع ضيق مكان منيف ويطور رزق وتشتت البال
ولو قام بخدمة الرجال رواه في شرح السنة وقد اخرجه ابن المبارك والطبراني عنه قال
ميرك رواه الحاكم في صحيحه كلهم في سنده عبد الله بن ايوب المعافري انتهى وقد سبق
طرق هذا الحديث وبعض معانيه في اول الباب والله اعلم بالصواب قال الامام الحافظ
ابو القاسم الوراق ان قيل كيف يكون معنى الحديث وقد نرى مومنا في عيش رغد
وكافرا في ضنك وعسر قلنا الجواب من وجهين احدهما ان الدنيا جنة للكافر في جنب
ما اعد الله له من العقوبة في الاخرة وانها كالسجن للمومن بالاضافة الى ما وعده الله له من
الثواب في الاخرة ونعيمها فالكافر يحب المقام فيها ويكره مفارقتها والمومن يتشوق الخروج
منها ويطلب الخلاص من افاتها كالمسجون الذي يريد ان يخلى سبيله الثاني ان يكون
هذا صفة المومن المستكمل الايمان الذي قد عزف نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها
فصارت عليه بمنزلة السجن في الضيق والشدة واما الكافر فقد اهمل نفسه وامرجها
في طلب اللذات وتناول الشهوات فصارت الدنيا جنة له في السعة والنعمة وعن قتادة
ابن النعمان بضم اوله قال المولف انصاري عقبي بدري شهد المشاهد كلها وروى عنه اخوه
لامه ابو سعيد الخدري وعمر ابنه وغيرهما مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون
سنة وصلى عليه عمر وكان من فضلا الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا
حماه الدنيا اي حفظه من مال الدنيا ومنصبه وما يضر بدينه وينقصه في العقبى قال الاشرف
اي منعه عنها ووقاه من ان يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بدا محبتها كما يظل يتقي الظا
منظلا يرحما اي صار والمعنى كما يكون احدكم يحمي سقيمه اي مريضه لاسيما اذا
كان معه مرض الاستسقا وضعف المعدة ونحوها مما يضره الما فيمنعه الما لئلا يزيد مرضه
بشربه ولا ينظر الى راي العليل من طلب الما وحبه من ان الما ارخص شي مما يبا فلا يتصور فيه

البخل خصوصا بالنسبة الى المريض الذي يحتف عليه كل احد والحاصل ان الحكمة تقتضي ان المحبوب
عند اهله واله يكون ممنوعا من كل شي يضره في حاله رواه احمد والترمذي ولفظ الجامع اذا احب
الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي احدكم سقيمه الما رواه الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب
وفي رواية للبيهقي عن حذيفة بلفظ ان الله يحمي عبده المومن كما يحمي الراعي الشفيق غنمه
عن مراتع الهلكة وهذا المعنى مقتبس من قول التنزيل وهو قوله انت ارحم الراحمين وعن
محمود بن لبيد بفتح فكسر قال المولف انصاري اشهلي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحدث عنه احاديث قال البخاري له صحبة وقال ابو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين
في الطبقة الثانية منهم قال ابن عبد البر والصواب قول البخاري فاثبت له صحبة وكان محمودا
احد العلما روى عن ابن عباس وعتبان بن مالك مات سنة ست وتسعين ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اثنتان اي خصلتان يكرههما اي بالطبع ابن ادم واي هما خبر له بالشي كما بينه
بقوله يكره الموت والموت خير للمومن من الفتنة قال ابن الملك الفتنة التي الموت خير
منها هي الوقوع في الشرك او فتنة يفسخ بها الانسان ويجري على لسانه ما لا يليق وفي
اعتقاده ما لا يجوز وقال الراغب الفتنة من الافعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد
كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة قال الطيبي وقد
يكون الفتنة في الدين مثل الارتداد واكراه الغير على المعاصي واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم
اذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون قلت وقد اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي عبد الله
الصابحي قال الدنيا تدعوا الى فتنة والشيطان يدعوا الى خطية ولقا الله خير من الاقامة
معهما ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب اي ما بعد من العذاب رواه احمد وكذا سعيد
ابن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد واخرج البيهقي في شعب الايمان
عن زرعة ابن عبد الله مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحب الانسان الحياة والموت
خير لنفسه ويحب الانسان كثرة المال وقلة المال اقل لحسابه هذا واخرجه الحاكم
في المستدرك والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد والبيهقي في شعب
الايمان عنه عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفة المومن
الموت المروزي في الجنائز وابن ابي شيبة في المص والطبراني عن ابن مسعود قال ذهب
صفو الدنيا فلم يبق منها الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم واخرج المروزي وابن
ابي الدنيا والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر
والموت واخرج احمد في الزهد وابن ابي الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمومن راحة
دون لقا الله واخرج ابن ابي الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن لمخي الموت خير من
خيره في الحياة قلت وكذا من لم يكن له خير في الحياة فلا خير له في الممات واخرج ابن ابي شيبة في المص وعبد
الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال ما من
نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحياة فان كان بارا فقد قال الله تعالى وما عند الله خير
للابرار وان كان فاجرا فقد قال عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وعن عبد الله بن مغفل قال جا رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني احبك اي حبا بليغا والا فكل مومن يحبه قال انظر ما تقول
اي تفكر فيما تقول فانك تدعي امرا عظيما وتقصد خطبا جسيما فقال والله اني لاحبك

ثلاث مرات ظرف لقال قال ان كنت صادقا اي في دعوى محبتي وعلى تحمل محبتي ولفظ الجامع ان كنت
تحبني فاعد اي فهيئ اي بالصبر عليه بل الشكر والميل اليه تجفافا بكسر الفوقية وسكون الجيم
اي درعا وجنة ففي المغرب هو شي يلبس على الخيل عند الحرب كانه درع تفعال من
جف لما فيه من الصلابة واليبوسة انتهى فتاؤه زائدة على ما صرح به في النهاية وفي
القاموس التجفاف بالكسر آلة للحرب يلبس الفرس والانسان ليقيه في الحرب وفي
الحديث ان كنت صادقا في الدعوى ومحقا في المعنى فهيئ آلة تتعقل حال البلوى
فان البلا والولا متلازمان في الخلا والملا ومجمله انه تهيأ للصبر خصوصا على الفقر لتدفع به عن دينك
بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة وكنى بالتجفاف
عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر التجفاف البدن عن الضر فالفقر بلام مفتوحة وهي لام الابتدا
اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه اي الكثير الى منتهاه والمعنى انه لا بد من وصول الفقر
بسرعة اليه ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه فان اشد الناس بلا الانبيا ثم
الامثل فالامثل فالامثل سيد الانبيا فيكون بلاؤه اشد من بلائهم ويكون لاتباعه
نصيب على قدر ولايتهم والمرء مع من احب ومشاركة فيما كره واحب وفيه ان الفقر
اشد البلايا لاشتماله على جميع المحن والرزايا لكنه مع مرارته في الدنيا يورث
حلاوة في العقبى بمزيد العطايا رواه الترمذي وكذا احمد وقال اي الترمذي هذا
حديث حسن غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت بمجهول
ماض من الاخافة اي خوفت في الله اي في اظهار دينه وما يخاف بضم اوله اي مثل ما اخفت
احد اي غيري ولقد اوذيت اي بالفعل بعد التخويف بالقول في الله اي في سبيله وطريق رضاه
وما يوذى احد اي خوفت وحدي واوذيت بانفرادي وفائدة التقييد بالجملة الحالية
في الجملتين ان امرهما صعب في تينك الحالتين فان البلية اذا عمت طابت وخلاصة المعنى
ان حكايته لا لشكاية بال بل تحدث بالنعمة وتوفيق بالصبر على المحنة اي ان تنتهي
الى المنحة على ما تقتضيه المحبة وتسليته للامة لازالته ما قد يصيبهم من الفتنة وحيد
في ابتدا اظهار الدين فخوفني في ذلك واذاني الكفار الملاعين ولم يكن معي من يوافقني
في تحمل الاذى الا مساعدة الموطي ومعاونة الرفيق الاعلى ثم بين انه كان مع ذلك كله قلة
الزاد وعدم الاستعداد بقوله ولقد اتت اي مضت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم
اي من بين اوقات وهي الليلة واليوم وقال الطيبي تاكيد للشمول اي ثلاثون يوما
وليلة متوازيات لا ينقص منها شي من الزمان وما لي اي والحال انه ليس لي ولبلال طعام
ياكله ذو كبد بفتح فكسر وفي القاموس بالفتح والكسر وكالكتف معلوم اي حيوان
قال الطيبي اي ما معنا طعام سواء كان مما ياكله الدواب او الانسان الا شي اي قليل يواريه
اي يستره ويغطيه ابط بلال بكسر الهمزة وسكون الموحدة وبكسر ففي الصحاح الابط بسكون
البا ما تحت الجناح وفي القاموس الابط ما تحت المنكب ويكسر البا وقد يؤنث والمعنى
ان بلالا كان رفيقي في ذلك الوقت وما كان لنا من الطعام الا شي قليل بقدر ما يوخذه
بالابط ولم يكن لنا ظرف الطعام فيه رواه الترمذي وفي الجامع بتقديم لقد اوذيت رواه
احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عنه قال اي الترمذي وفي نسخة قال ومعنى
هذا الحديث حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة اي فارا من الخلق الى الله

كما قال تعالى ففروا الى الله روي انه صلى الله عليه وسلم خرج من مكة هاربا الى عبد ياليل بالطائف يحميه
من كفار مكة حتى يودي رسالة ربه فسلط عليه صبيانه فرموه بالاحجار حتى ادموا كعبه صلى الله
عليه وسلم كذا ذكره بعضهم وفي المواهب اللدنية خروجه عليه السلام الى الطائف كان بعد موت
خديجة بثلاثة اشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما نال له من قريش بعد
موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعوا اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم
يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى ابن عقبة رجموا عراقيبه بالحجارة حتى
اختضب نعلاه بالدما زاد غيره وكان اذا ازلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه
فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في
راسه شجاجا وفي الصحيحين عن عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم
اشد من يوم احد قال لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على
عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا
بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني
فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما
شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك
الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
وفي القاموس هما جبلا مكة ابو قبيس والاحمر وجبلا منى فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا وعبد ياليل
بتحتانية بعدها الف فلام مكسورة فتحتانية ساكنة فلام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف
اللام وكان ابن عبد ياليل من اكابر الطايف من ثقيف وقرن الثعالب هو ميقات اهل
نجد ويقال له قرن المنازل وروى الطبراني في كتاب الدعا عن عبد الله بن جعفر قال
لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطايف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه
فاتى تحت ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو
بعيد يتجهمني اي يلقاني بغلظة ووجه كريه على ما في النهاية ام الى صديق قريب كلفته
امري ان لم تكن غضبانا علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي بنور وجهك الذي اشرقت
له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى حتى
ترضى ولا حول ولا قوة الا بك انتهى قوله ومعه بلال لا ينافي كون زيد بن حارثة معه ايضا
مع احتمال تعدد خروجه عليه السلام لكن افاد بقوله معه بلال انه لم يكن هذا الخروج في الهجرة
من مكة الى المدينة لانه لم يكن معه بلال حينئذ انما كان مع بلال من الطعام ما يحمل تحت ابطه
وهو كناية عن كمال قلته وخفة مونته وعن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله
وفي نسخة الى النبي صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا اي كشفنا ثيابنا عنها
كشفا صادرا عن حجر حجر اي لكل منا حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين
قال الطيبي عن الاولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف والثانية صفة مصدر
محذوف اي كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر ويجوز ان يحمل التنكير في حجر على النوعي
عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلا وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه ان يشد

علي بطنه

علي بطنه حجرا ليتقوم به صلبه انتهى وتوضيحه ان تعلق حرفي جر بمعنى لعامل في مرتبة
واحدة غير جايزة واما تعلق الثاني بعد تقييد الاول فجائز كما تقرر في محله فكونه صفة مصدر
محذوف ظاهر لا غبار عليه واما تجويز البدل على انه بدل الاشتمال باعادة الجار مع ان بدل
الاشتمال لا يخلوا عن ضمير المبدل فمبني على ان يراد بالحجر النوع والتقدير عن حجر مشدود عليها
وكلام الطيبي يوهم ان القول بالبدل كلامه وقد نقل ميرك عن زين العرب انه قال بدل
اشتمال كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق ثم قيل فايدة شد الحجر على البطن
ان لا يدخل النفخ في الامعا الخالية وان نفس شد الامعا اعانته على شد الصلب وقال انما
ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن ويتنزل المعى فيشق التحرك فاذا ربط حجرا على
بطنه يشتد بطنه وظهره فيسهل عليه الحركة واذا اشتد جوعا واكثرهم رياضة فربط
على بطنه حجرين قال صاحب المظهر وهذا عادة اصحاب الرياضة وقال ابن حجر هذا
عادة العرب واهل المدينة وقال صاحب الازهار في ربط الحجر على البطن اقوال احدها ان
ذلك احجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا اذا جاع احدهم يربط على بطنه حجرا من ذلك
وكان الله خلق فيه برودة يسكن الجوع والحرارة وقال بعضهم يقال لمن يامر بالصبر
اربط على قلبك حجرا فكانه صلى الله عليه وسلم امر بالصبر وامر امته بالصبر قولا وحالا والله
اعلم رواه الترمذي اي في جامعه وقال هذا حديث غريب وهو ما يتفرد برواية عدل
ضابط من رجال النقل فان كان المتفرد بروايته ستر فهو غريب متنا او بروايته عن غير
المعروف عنه كان يروى الحديث عن صحابي فيرويه عدل وحده عن صحابي اخر فهو غريب
اسنادا وهذا هو الذي يقول فيه الترمذي غريب من هذا الوجه قد صرح في التسهيل
بقوله هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد صرح في
انتهى فغرابته ناشية عن طريق ابي طلحة لا من ساير الطرق مع انه قال ميرك رواته ثقات
وعن ابي هريرة انه اصابهم اي الصحابة والظاهر انهم اصحاب الصفة جوع اي شديد
والظاهر انه في سفر بعيد فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة تمرة اي مقدارا قليلا
من التمر يجب عند توزيعه عليهم وتقسيمه اليهم وصل لكل واحد منهم تمرة واحدة اذا كانوا
اربعمائة بل اكثر وربما وقعت البركة في تلك التمرة حتى كانت تمرتها ترفع المحنة وحبتها
ابتحت المحبة التي فوق كل منحة رواه الترمذي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
اي ابن عمرو وعلى ما صرح به في الجامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصلتان من كانتا
فيه كتبه الله صابرا شاكرا اي مومنا كاملا لقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وفي
الحديث الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فاصبر عن السيات واشكر على الطاعات
وزاد في الجامع ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا من نظر في دينه اي خصلة من
نظر في امر دينه من الاعمال الصالحة الى من هو فوقه اي الى من هو اكثر منه علما وعبادة
وقناعة وزيادة احيا واموتا فاقتدى به اي في الصبر على مشاق الطاعات وعن
ارتكاب السيات او تاسف على ما فاته من الكمالات ويمكن ان يكون قوله من نظر استيناف
مبين للصابر والشاكر المتضمن لذي الخصلتين المبهمتين احدهما هذه والثانية مبينة
بقوله ونظر في دنياه الى من هو دونه اي الى من هو اقل منه مالا وجاها
فحمد الله على ما فضله الله عليه اي فشكره على ما زاده عليه من فضله وفي رواية الجامع

لحمد الله على فضله به كتبه الله شاكرا اي للخصلة الثانية صابرا اي للخصلة السابقة ففيه لف
ونشر مشوش اعتماد على فهم ذوي العقول بالنسبة الى الفذلكة وان كان مرتبا باعتبار المقدمة
ولما كان المفهوم قد يعتبر وقد لا يعتبر ومع اعتباره المنطوق اقوي ايضا صرح بما علم ضمنا
حيث قال ومن نظر في دينه الى من هو دونه اي في الاعمال الصالحة واتجه الغرور والخيلا والعجب ونظر
في دنياه الى من هو فوقه اي من اصحاب المال والجاه وارباب الحرص والامل والريا فاسف بكسر السين اي
حزن على ما فاته منه اي من المال وغيره بعدم وجوده ان بحصول قصد وقد قال تعالى لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ورد وي عنه صلى الله عليه وسلم من اسف على دنيا فاتته
اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة
لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران والجزع والفزع
باللسان والجنان رواه الترمذي وذكر حديث ابي سعيد في ضمن حديث طويل صدره في اسباب
باب القراة ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين اي بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة
قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة رواه ابو داود في باب اي بغير عنوان
بعد فضايل القران اي بعد كتاب فضايل القران

الفصل الثالث

عن ابي عبد الرحمن الحبلي بحا مهملة وموحدة وضمها قال المولف اسم عبد الله بن يزيد المصري تابعي
قال سمعت عبد الله بن عمرو بالواو قال الطيبي لا بد من محذوف اي سمعته يقول قولا
يفسره ما بعده اقول ويمكن ان يقدر مضافا ويقال سمعت قول ابن عمرو وساله اي وقد
ساله رجل قال اي الرجل استيناف مبين السوال اي لسنا اي نحن ومثلنا من فقرا المهاجرين
اي من خواصهم الذين يسبقون اغنياهم فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها اي تضمها
وتسكن اليها وتقبل عليها قال نعم قال الك مسكن بفتح الكاف وبكسرها اي مكان تسكنه
قال نعم قال فانت من الاغنيا اي اغنيا المهاجرين فان فقراهم ما كان لهم امراة ولا مسكن
وان كان لاحدهم احدهما ما كان له الاخر منهما قال فان لي خادما اي عبدا او جارية
او اخيرا على زيادة على ما سبق قال فانت من الملوك اي ولا يصح ان يقال لك الصعلوك
فلست من صعاليك المهاجرين ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى وجعلكم ملوكا
على ما رواه عبد الرزاق وعبد حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال
الزوجة والخادم وزاد ابن جرير عنه وكان الرجل من بني اسرايل اذا كانت له الزوجة والخادم
والدار يسمى ملكا قال عبد الرحمن هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة وصوابه ابو عبد الرحمن لما
سبق قال السيد جمال الدين المحدث هكذا في اكثر نسخ المشكاة التي رايناها وهو غلط ظاهر
والصواب ابو عبد الرحمن وهو رواية كما في مسلم وجا ثلاثة نفر بالاضافة كقوله تعالى تسعة
رهط والجملة عطف قوله وساله رجل اي والحال انه اتى ثلاثة نفر فقرا الى عبد الله بن عمرو
وانا عنده فقالوا يا ابا محمد والله لا نقدر على شي لا نفقة تقيم مبنى ولا دابة اي لنجاهد عليها
او نحج بها ولا متاع اي زايد يباع ويصرف ثمنه في النفقة والدابة فقال لهم ما شيتم ما استفهامية
اي اي شي شيتم ويمكن ان يكون موصولة مبتدا والخبر محذوف اي ما اردتم من الامور
المعروضة عليكم فعلناه ان شيتم اي ان نعطيكم شيا من عندنا رجعتم الينا فانه لا يحضرنا
الان شي فاعطيناكم اي بعد هذا ما يسر الله لكم اي ما سهله على ايدينا وان شيتم اي ان
نرفع امركم الى الخليفة ومن يقوم مقامه ذكرنا امركم للسلطان اي للمتسلط على خزانة

بيت

وقعـ عز وجل

بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم المال وان شيتم صبرتم اي على هذا الحال فانه مقام ارباب الكمال واصحاب
حسن المال وطيب المآل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المهاجرين يسبقون الاغنيا
اي اغنياهم فضلا عن غيرهم يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا اي سنة قالوا فانا نصبر لا نسال
شيئا اي حال كوننا لا نطلب شيا من احد بعد ذلك رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بالواو
قال بينا وفي نسخة بينما انا قاعد في المسجد اي مسجد المدينة وحلقة بفتح فسكون ويفتح
اي وجماعة متحلقة وقلوبهم بهم متعلقة من فقرا المهاجرين قعود اي قاعدون او ذو قعود
ففي القاموس حلقة الباب والقوم وقد يفتح لامها ويكسر اوليس في الكلام حلقة الا جمع حالق
او لغة ضعيفة والجمع حلق محركة او كبدر اذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم فقعد اليهم اي مجلس
متوجها الي الفقرا لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه الاية فقمت اليهم اي مايلا اليهم ميلا للمتابعة ونيلا للقربة اليهم ولاطلع على كلام من
طلع عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليبشر امر مجهول من البشرة ويجوز من البشارة
اريد به الخبر والدعا فقرا المهاجرين بما يسر وجوههم اي بشي يفرح قلوبهم ويظهر
اثر السرور على ظاهر اشرف بشرتهم والطف جلدتهم وفي نسخة برفع وجوههم فيكون
التقدير بما يسر به وجوههم فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنيا باربعين عاما قال اي
ابن عمرو فلقد اي اللام جواب القسم اي فوالله ولقد رايت الوانهم اسفرت اي اضات من
الاسفار وهو اشراق اللون قال الله تعالى وجوه يوميذ مسفرة والصبح اذا اسفر وفي
الحديث اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر قال عبد الله بن عمرو حتى تمنيت متعلقة باسفرت
اي اشرقت اشراقا كاملا تاما حتى وددت ان اكون معهم اي في الدنيا اما موصوفا
بحالهم او منهم اي في العقبى محشورا في زمرتهم وحسن مالهم فاو للتنويع او للشك
والمعنى احببت ان اكون من جملة فقرا المهاجرين رواه الدارمي ورواه ابو نعيم في الحلية
عن ابي سعيد ولفظه ليبشر فقرا المهاجرين بالفوز يوم القيامة قبل الاغنيا بمقدار
خمسماية عام هولا في الجنة ينعمون وهولا يحاسبون وعن ابي ذر قال امرني خليلي
اي حبيبي وسولي بسبع اي بسبع خصال امرني بحب المساكين والدنو منهم اي والقرب
من حالهم او التقرب من مالهم وامرني ان انظر الى من هو دوني اي في الامور الدنيوية
ولا انظر الى من هو فوقي اي في المال والجاه والمناصب الدنية وامرني ان اصل الرحم
وان ادبرت اي ولو ولت بان غابت او بعدت والمراد اهلها ويويده حديث صلوا ارحامكم
ولو بالسلام وقال الطيبي وان قطعت على ما ورد صل من قطعك واشبه الادبار الى
الرحم مجاز لازمة لصاحبها وامرني ان لا اسال اي لا اطلب احدا شيا ومن دعا الامام احمد
اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسالة غيرك ويمكن ان يكون احدا
على عمومه بنا على ما قاله بعض ارباب الكمال الهي كفى علمك بالحال عن المقال وكرمك عن
السوال وهو المقام الجليل الماخوذ من حال الخليل حيث قال له جبريل الك حاجة
قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي وهو معنى قوله تعالى
حكاية عن اصحاب الجمال حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحكم لابن عطا الله ربما استحى
العارف ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفا بمشيته فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى خليقته
وامرني ان اقول بالحق اي اتكلم به وان كان مرا اي على السامع او صعبا علي وامرني ان لا اخاف

اي ظاهرا وباطنا في الله اي في حقه او في سبيله او لاجله لومة لايم ملامة احد من خلقه وامرني
ان اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله اي للاستعانة على الطاعة واصابة المصيبة والاستعانة
علي دفع المعصية خصوصا العجب والغرور والخيلة فانهن اي هذه الكلمات من كنز تحت
العرش اي من جملة كنز معنوي موضوع تحت عرش الرحمن لا يصل اليه احد الا بحول
الله وقوته او كنز من كنوز الجنة لان العرش سقفها وابعد من قال فانهن اي الخصال
السبع من كنز تحت العرش اذ لا طايل تحته بل ورد من طرق كثيرة اخرجه الستة عن
ابي موسي الاشعري واحمد والبزار عن ابي هريرة والطبراني عن معاذ والنسائي عن
ابي هريرة وابي ذر ايضا مرفوعا قل لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة
واختلف العلما في معناه فقيل سمي هذه الكلمة كنزا لانها كالكنز في نفاسته وصيانته
من اعين الناس وانها من ذخاير الجنة او من محصلات نفايس الجنة وقال النووي
المعني ان قولها يحصل ثوابا نفيسا يدخرها صاحبها في الجنة انتهي ويحتمل ان يقال انها
كنز من كنوز الجنة العاجلة فمن قام بها وادرك معناها واستمر علي مبناها فانه
ظفر بكنز عظيم مشتمل علي كنوز لا يعرف كنهها ومنتهاها فقد روي البزار عن ابن مسعود
قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلتها قال تدري ما تفسيرها قلت الله ورسوله
اعلم قال لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة علي طاعة الله الا بعون الله قال
النووي هي كلمة استسلام وتفويض وان العبد لا يملك شيا وليس له حيلة في دفع شر ولا
قوة في جلب خير الا بارادة الله تعالي انتهي فيكون صاحبها في ملك جسيم وكنز عظيم حال كونه
حاضرا بقلبه مشاهدا فعل ربه بالنسبة الي جميع خلقه فصح ما قال بعض العارفين
في قوله تعالي ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبي وقال بعض الصوفية
في معني قول رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الي استغفار كثير اذ ما الاعتذار من
الذنب مشتمل علي ذنوب كثيرة تستحق ان تكون كبيرة من دعوي الوجود الا صيا ودعوي
الفعل الحقيقي ودعوي الاقتدار الاستقلالي وقد قال صلى الله عليه وسلم انا الي بما سوي الله
لا حول ولا قوة الا بالله رواه احمد وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعجبه من الدنيا ثلاثة اي ثلاثة اشيا كما في رواية الطعام اي حفظا للبدن وتقوية علي
دينه والنسا اي صونا للنفس النفيسة عن الخواطر الخسيسة والطيب اي
لتقوية الدماغ الذي هو محل العقل عند بعض الحكما فاصاب اثنين اي شيين
بوصفا الكثرة ولم يصب واحدا اصاب النسا اي حتي بلغ تسعا والطيب اي من الخارج
مع ان عرقه كان من افضل انواع الطيب ولم يصب الطعام اي الا بوصف القلة فاطلاق
النفي للمبالغة لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم لم يشبع من خبز الشعير يومين متتابعين
حتي قبض واغرب الطيبي في قوله اي لم يكثر من اصابته اكثارهما حيث انه يوهم انه وقع
له اكثار من الطعام اقل من اكثار النسا والطيب رواه احمد قال السيوطي في تخريج احاديث
الشفا اسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حبب الي اي من دنياكم كما في رواية النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
كذا في نسخ المشكاة بلفظ جعلت وكانه غير موجود في اصل الطيبي كما ورد في رواية
او غفل عنه حيث قال قوله وقرة عيني في الصلاة جملة اسمية عطفت على جملة فعلية

لدلالته

ووصــــ عز وجل

لدلالته علي الثبات والدوام في الثانية والتجدد في الاولي قلت وفيه بحث اذ القول بالتجدد
انما هو في الفعل المضارع والماضي فهو للثبات حتي اذا عبر عن المضارع بالماضي يقال بانه
لتحققه كانه قد وقع قال وجي بالفعل مجهولا دلالة علي ان ذلك لم يكن من جبلة وطبعه وانه
مجبور علي الحب رحمة للعباد بخلاف الصلاة فانها محبوبة لذاتها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ارحنا يا بلال اي شغلنا عما سواها بها فانه تعب وكدح وانما الاستراحة في الصلاة فارحنا
بها ابكي بها رواه احمد والنسائي وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب كذا
في الجامع وذكر ابن الربيع في مختصر المقاصد للسخاوي وان الطبراني رواه في الكبير
والنسائي في سننه بهذا اللفظ والحاكم في مستدركه بدون لفظ جعلت وقال انه صحيح
علي شرط مسلم واما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوي لم اقف عليه الا
في موضعين من الاحيا وفي تفسير ال عمران من الكشاف وما رايتها في شي من طرق هذا الحديث
بعد مزيد التفتيش وبذلك صرح الزركشي فقال انه لم يرو فيه لفظ ثلاث قال وزيادة
محيلة للمعني فان الصلاة ليست من الدنيا وزاد ابن الجوزي بعد قوله حبب الي من الدنيا
اي قوله من الدنيا منصوبا علي انه مفعول له وقد ذكرها فقط السيوطي في الفتاوي الحديثية
مسالة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
بدا بالنسا واخر الصلاة الجواب لما كان المقصود من سياق الحديث ما اصاب النبي صلى الله عليه
وسلم من متاع الدنيا بدا به كما قال في الحديث ما اصابنا من دنياكم هذه الا النسا ولما كان الذي
حبب اليه من متاع الدنيا هو افضلها وهو النسا بدليل قوله في الحديث الاخر الدنيا
متاع وخير متاعها المراة الصالحة ناسب ان يضم اليه بيان افضل الامور الدينية وذلك
الصلاة فانها افضل العبادات بعد الايمان وكان الحديث علي اسلوب البلاغة من جمعه بين
افضل امور الدنيا وافضل امور الدين وفي ذلك ضم الشي الي نظيره وعبر في امر الدين
بعبارة ابلغ مما عبر به في الدنيا علي مجرد التحبيب وقال في امر الدين جعلت قرة عيني فان
قرة العين من التعظيم في المحبة ما لا يخفي انتهي ولعل المسكوت عن الطيب لانه تابع
للنسا وجودا وعدما علي ما في الروايتين ثم الصلاة عند الجمهور محمولة علي العبادة المعروفة
وقيل المراد بالصلاة في هذا الحديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وشرفه لديه وعن
معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به اي ارسله الي اليمن اي قاضيا
وواليا قال اياك والتنعم هو المبالغة في تحصيل قضا الشهوة علي وجه التكلف في
البغية بتكثير النعمة والحرص علي النهمة فان عباد الله اي المخلصين ليسوا بالمتنعمين
بل التنعم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالي ذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ياكلون كما تاكل الانعام
والنار مثوي لهم وقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين رواه احمد وكذا البيهقي في
شعب الايمان وعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رضي من الله باليسير من الرزق اي من قنع منه بقليل من العطا رضي
الله منه وفي نسخة عنه بالقليل وفي نسخة باليسير من العمل اي من الطاعة
وفي حديث رواه ابن عساكر عن عايشة من رضي عن الله رضي الله عنه فان قلت
هذا الحديث يدل علي ان رضي العبد مقدم وفي قوله سبحانه رضي الله عنهم ورضوا

عنه ايما اليه انه رضي العبد متاخر قلت التحقيق ان رضي العبد محفوف برضايين من
الله رضي ازلي تعلق به العلم الاولي ورضي ابدي تعلق بعمل العبد يترتب على الجزاء
الاخروي وفي الحقيقة رضي العبد انما هو اثر رضي الله عنه اولا واما رضي الله
اخرا فانما هو غاية الرضي الذاتي من النعت الصفاتي وهو الاحسان والانعام
وكذا لك القول في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله **وعن** ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جاع اي في نفسه بالفعل او احتاج اي الي ما يدفع الجوع او غيره فا والتنويع
فكتمه الناس قيل اي من الناس ففيه اشارة الي ان الرواية بتحقيق التا وانه
متعد الي واحد فنصب الناس على نزع الخافض ويحتمل ان يكون الرواية
بتشديدها وانه متعد الي اثنين على ما في القاموس كتمه وكتما وكتمانا وكتمه
اياه كان حقا على الله عز وجل اي وعدا ثابتا عليه او امرا لازما اليه ان يرزقه رزق
سنة من حلال والمراد بالجوع جوع يتصور معه الصبر ويجوز فيه الكتمان والا فقد
صرح العلماء ان الشخص اذا مات جوعا ولم يسال او لم ياكل ولو من الميتة ومات يموت
عاصيا رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان **وعن** عمران بن حصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب عبده المومن الفقير المتعفف ابا
العيال المعني انه مع كونه صاحب العيال وفقير الحال وكسير البال يتعفف عن
السوال فهو المومن على وجه الكمال فلذا احبه ذو الجلال والجمال رواه ابن ماجة
وعن زيد بن اسلم قال المولف يكني ابا اسامة مولي عمر بن الخطاب مدني من كبار
التابعين سمع جماعة من الصحابة وروي عنه الثوري ابو ايوب السختياني ومالك
وابن عيينة مات سنة ست وثلاثين ومائة قال استسقي اي طلب الماء يوما عمر
فجي بما قد شيب بكسر اوله اي خلط بعسل فقال انه اي ما العسل لطيب اي طبعا
وشرعا وروحا ونفعا لكني اسمع الله عز وجل قال الطيبي مستدرك عن مقدر
يعني انه لطيب تشتهيه لكني اعرض عنه لاني سمعت الله عز وجل نعي اي عاب على
قوم شهواتهم اي استيفاها فقال اذهبتم بهمزة انكاري مقدرة وهي في قراءة موجودة
اذهبتم طيباتكم اي اخذتم لذاتكم في حياتكم الدنيا اي في مدة الحياة الدنيوية الدنية
فاستمتعتم بها اي متابعة الشهوات النفسية وما تركتم شيا ذخيرة للدار الاخروية
فاخاف ان يكون حسناتنا اي مثوبات حسناتنا عجلت لنا قال الطيبي اي ثواب حسناتنا
التي نعملها نستوفيها في الدنيا قبل الاخرة قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا قلت الايتان
وان كانتا انزلتا في الكفار لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلم يشرب
اي لم يشرب عمر ذلك الماء تورعا ومخالفة للنفس والهوي رواه رزين **وعن**
ابن عمر قال ما شبعنا من تمر اي اهل بيت عمر او نحن معشر الصحابة مع النبي صلى الله عليه
وسلم وهو الاظهر حتي فتحنا خيبر رواه البخاري **باب** الامل والحرص الجوهري
الامل الرجا وقال الراغب الحرص فرط الشره في الارادة قال تعالى ان تحرص على
هداهم ان تفرط ارادتك في هدايتهم وفي القاموس اسوء الحرص ان تاخذ نصيبك

ونظيره

وقف لله عز وجل

ونظيره في نصيب غيرك انتهي والمراد بالامل هنا طول الامل في امر الدنيا غافلا عن الاستعداد للموت
وزاد العقبي كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل واما هنا طول الامل او في تحصيل
العلم والعمل فمحمود بالاجماع كما قال صلى الله عليه وسلم طوبي لمن طال عمره وقال لو عشت الي قابل
لاصومن التاسع وكذلك الحرص في امر جمع المال وكثرة الجاه والاقبال مذموم والا فالحرص على
القتال وعلى تحصيل العلوم وتكثير الاعمال فمستحسن بلا نزاع ثم تحقيق الامل على ما حققه
المحققون من اهل اليقين ما ذكره الغزالي من منهاج العابدين انه قال اكثر علمائنا انه ارادة الحياة
للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده بالاسناد لمشية الله تعالى وعلمه
في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا انك ذكرت حياتك بان عشت بعد نفس ثان او
ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت اما لو ذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب وان
قيدته بالمشية والعلم من الله فقد خرجت عن حكم الامل فتامل وانما جمع بينهما في العنوان
لتلازمهما في الامكان وقدم الامل لانه الباعث على تاخير العمل او الحرص على النوال **الفصل الاول**
عن عبد الله بن مسعود قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا الظاهر انه كان بيده المباركة
على الارض ولذا قال الطيبي المراد بالخط الرسم والشكل وخط اي خطا كما في نسخ مصححة والمعني
وخط خطا اخر في الوسط اي وسط التربيع خارجا منه اي حال كون الخط خارجا من احد طرفي
المربع وخط خططا بضم الخا المعجمة والطا الاولي للاكثر وجوز فتح الطا اي خطوطا صغارا جمع
صغيرة الي هذا اي متوجهة ومايلة ومنتهية الي هذا الخط الذي في الوسط من
جانبه الذي في الوسط اي من جانبيه اللذين في الوسط فالمراد بالمفرد الجنس فقال
هذا اي الخط الوسط كذا قاله شارح والظاهر ان المراد بهذا هذا المركز الدايرة المربعة
فانه كان ليس له صورة مستقلة في الخط الظاهري او المراد بهذا مجموع التصوير المعلوم
خطا المفهوم ذهنا بان الانسان مع ما فيه من الامل والعوارض المنتهية الي الاجل هو المشار
اليه بهذا فالتقدير ان هذا الخط المصور بمجموعه هو الانسان وهذا اي الخط المربع
اجله اي مدة اجله ومدة عمره محيط به اي من كل جانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه
وهذا اي الخط الذي هو خارج اي من المربع امله اي مرجوه ومامولة الذي يظن انه
يدركه قبل حلول اجله وهذا خطا منه لان امله طويل لا يفرغ عنه واجله اقرب اليه منه
وهذه الخطط اي الخطوط الصغار الاعراض اي الافات والعاهات والبليات من المرض والجوع
والعطش وغيرها مما يعرض للانسان وهو جمع عرض بالتحريك فان اخطاه هذا اي احد الاعراض
نهسه بسين مهملة وقيل معجمة اي اصابه وعضه هذا اي عرض اخر وعبر عن الاصابة بالنهش
وهو لدغ ذات السم مبالغة في المضرة وان اخطاه هذا اي عرض اخر نهشه هذا اي عرض اخر وهلم
جرا الي انقضا الاجل وعدم انتها الامل وصورة الخط هذه عند بعضهم قال الشيخ ابن حجر العسقلاني

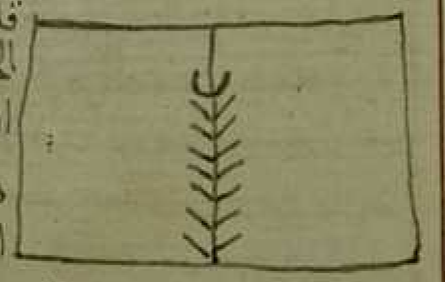

قال الشيخ ابن حجر العسقلاني هذه الصفة هي المعتمدة وسياق
الحديث يتنزل عليها فالاشارة بقوله هذا الانسان الي النقطة
الداخلة وبقوله وهذا اجله محيط به الي المربع وبقوله وهذا الذي
هو خارج امله الي الخط المستطيل المنفرد وبقوله وهذه
الي الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال لان المراد انحصارها
في عدد معين ويويده قوله في حديث انس بعده اذ جاءه الاقرب الي الخط المحيط به ولا شك

ان الذي يحيط اقربه اليه من خارج عنه انتهي والاولي ان يجعل عدد الخطوط سبعا لاتيانات
هذا العدد كثيرا علي لسان الشارع ولانه عشر العدد الذي يعبر به عن الكثرة مع الايما
الي اعضا السبعة للانسان والاطوار السبعة في مراتب الايمان ومرور الايام السبعة
علي دوليك الافلاك السبعة المحيط بالاراضي السبعة ثم اعلم ان ما اشار الشيخ به الي
النقط الداخلة فغير مستفاد من التصوير النبوي ولذا ما صورح غير واحد من الشراح
كالطيبي ثم رايت صورة اخري غير الصورة المشهورة وهي هذا

خصه الهيبة هي المطابقة لما قاله بعض الشراح والاظهر
في التصوير فتدبر رواه البخاري وعن انس قال خط النبي
صلي الله عليه وسلم خطوطا اي مختلفة علي الهيبة المصورة السابقة فقال هذا الترتيب
الامل اي امل الانسان وهذا اي الخط المربع المحيط به اجله فبينما هو كذلك اي بين
اوقاته هو اي امره داير كما صور في الدايرة بين طلبه الامل وطلب الاجل اياه اذ جاءه الخط
الاقرب وهو الاجل المحيط به من كل جانب واخطاه الخط الابعد الخارج من دايرة الاحاطة
وهو خطه من تصور الامل وقال الطيبي قوله فبينما هو كذلك اي هو طالب لاحاله البعيد فيدركه
الاقرب التي هي اقرب اليه فتوديه الي الاجل المحيط وهذا التاويل يحمول علي معني الحديث
السابق ويجوز ان يحمل علي حديث ابي سعيد في الفصل الثاني ان النبي صلي الله
عليه وسلم غرز عودا بين يديه الحديث قلت حمل هذا الحديث مع التصريح بقوله
خط خطوطا علي الغرز خطا ظاهر لان الظاهر المتبادر ان يكون الخط خطا ظاهرا
رواه البخاري وعنه اي عن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يهرم بضم
الراي يشيب كما في رواية والمعني يضعف ابن ادم ويشب بكسر الشين المعجمة
وتشديد الموحدة اي ينمو ويقوي منه اي من اخلاقه اثنان ففي التاج مليهقي
وكذا في القاموس ان الهرم كبر السن من باب علم وشب شبابا من باب ضرب الحرص علي
المال اي علي جمعه ومنعه والحرص علي العمر اي بتطويل امله وتسويف عمله وتبعيد
اجله قال النووي قوله يشب اثنان ومعناه ان قلب الشيخ كامل الحب لماله احتكاما مثل
احتكام قوة الشباب في شبابه قال الطيبي يجوز ان يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله
يهرم اي بمعني يشب متفق عليه قال ميرك هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري يكبر
ابن ادم والباقي مثله ورواه الترمذي وابن ماجة انتهي فقوله متفق عليه معناه انهما
اتفقا علي روايتهما في المعني دون اللفظ في جمع المعني المبني وهذا مبني علي ما ذكره والا فلفظ
الجامع ايضا يهرم ابن ادم ويبقي اثنان الحرص والامل رواه احمد والشيخان والنسايي عن
انس فالظاهر ان لفظ يكبر رواية للبخاري وان في الصحيحين روايات متعددة كما يدل عليه
كلام السخاوي في المقاصد حيث يهرم ابن ادم ويبقي فيه اثنان الحرص والامل متفق عليه وفي
لفظ يشيب ابن ادم ويشب فيه وعن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يزال
قلب الكبير شابا اي قويا نشطا في اثنين اي في امرين في حب الدنيا ويلزم منه كراهة
الاجل وطول الامل وهو يقتضي تاخير العمل متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اعذر الله قبل الهمزة للسلب اي ازال الله العذر منتهيا الي امري
اجله اي منتهاه وفي رواية عمر حتي بلغه بتشديد اللام اي اوصله وفي رواية حتي بلغ ستين

هي سعزوجل

سنة اي ولم يتب عن ذنوبه ولم يقم باصلاح عيوبه ولم يغلب خيره شره فيكون من لم يبق
الله له عذرا في ترك الطاعة وفيما ضيع عمره وحاصله من بلغ ستين وقيل اربعين ولم
يغلب خيره شره فالموت خير له قال التوربشتي المعني انه افضي بعذره اليه فلم يبق
له عذر يقال اعذر الرجل الي فلان اي بلغ به اقصي من القول فان العذر لا يتوجه علي
الله وانما يتوجه له علي العبيد وحقيقة المعني فيه ان الله تعالي لم يترك له سببا في
الاعتذار يتمسك به انتهي فالمعني انه ازال اعذاره بالمهلة فكانه اقام عذره فيما
يفعل به من العقوبة والبلية وفي مختصر النهاية اي لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث
امهله طول هذه المدة ولم يعتبر رواه البخاري وكذا احمد وعبد بن حميد والنسايي
والبزار وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي عنه واخرج عبد بن حميد
والطبراني والروياني والرامهرمزي في الامثال والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اذا بلغ العبد ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر وقد قال تعالي
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر واخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد
ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس
انه قال في تفسيره ستين سنة واخرج ابن جرير عن علي في الاية قال العمر الذي اعذرهم
الله منه ستون سنة واخرج عبد ابن حميد وابن ابي حاتم عن الحسن في الاية قال اربعين
سنة واما قوله تعالي وجاءكم النذير فاخرج ابن ابي حاتم وعبد ابن حميد وابن المنذر
عن عكرمة قال الشيب وكذا اخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه
الشيب وعن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لو كان لابن ادم اي فرضا وتقديرا
واديان من مال وفي رواية من ذهب لابتغي اي لطلب ثالثا اي واديا اخر اعظم منهما دخلا وهلم
جرا كما يشير اليه بقوله ولا يملا جوف ابن ادم اي بطنه او وسط عينه الا التراب اي تراب
القبر ففيه تنبيه عظيم علي ان البخل المورث للحرص مركوز في جبلة الانسان كما اخبر الله
عنه سبحانه في القران حيث قال ابلغ من هذا الحديث والمقال قل لو انتم تملكون خزاين
رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا فهذا يدل علي ان حرص بني
ادم وخوفه من الفقر الباعث له علي البخل حتي علي نفسه اقوي من الطير الذي يموت عطشا
علي ساحل البحر خوفا من نفاده ومن الدودة التي فوقها التراب وتموت جوعا خشية من فراغه
لان ذكر من الما والتراب في جنب خزاين رحمة رب الارباب كقطرة من السحاب ويتوب الله
اي يرجع بالرحمة علي من تاب اي رجع اليه بطلب العصمة او يتفضل الله بتوفيق التوبة
وتحقيق استفادة العقبي علي من تاب اي من محبة الدنيا والغفلة عن حضرة المولي
قال النووي معناه انه لا يزال حريصا علي الدنيا حتي يموت ويمتلي جوفه من تراب قبره
وهذا الحديث خرج علي حكم غالب بني ادم في الحرص علي الدنيا ويويده قوله ويتوب
الله علي من تاب وهو متعلق بما قبله ومعناه ان الله يقبل التوبة من الحرص المذموم
وغيره من المذمومات قال الطيبي ويمكن ان يقال معناه ان بني ادم كلهم مجبولون
علي حب المال والسعي في طلبه وان لا يشبع منهم الا من عصمه الله تعالي ووفقه لازالته
هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم فوضع ويتوب الله علي من تاب موضعه اشعار
بان هذه الجبلة المذكورة فيه مذمومة جارة مجري الذنب وان ازالتها ممكنة ولكن

بتوفيق الله وتسديده وهو قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اضاف
الشيخ والبيهقي عنه فاخرج عبد بن حميد والطبراني والروياني والرامهرمزي في الامثال والحاكم وابن
مردويه عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد ستين سنة
فقد اعذر الله اليه في العمر وقد قال الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر واخرج عبد
الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو
الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس انه قال في تفسيره ستين سنة
واخرج ابن جرير عن علي في الاية قال العمر الذي عذر الله منه ستون سنة واخرج
عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن الحسن في الاية قال اربعين سنة واما قوله تعالى
وقد جاءكم النذير فاخرج ابن ابي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة
قال الشيب وكذا اخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه
الشيب وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان لابن ادم اي فرضا
وتقديرا واديان من مال وفي رواية من ذهب لابتغى اي لطلب ثالثا اي واديا اخر اعظم
منها دخرا وعلم حرا كما يشير اليه بقوله ولا يملا جوف ابن ادم اي بطنه او وسط عينه
الا التراب اي تراب القبر ففيه تنبيه نبيه على ان البخل الموروث للحرص مذكور في جبلة
الانسان كما اخبر الله عنه سبحانه في القران حيث قال ابلغ من هذا الحديث وقال
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان
قتورا ابدا لعله اي النفس دلالة على انها غريزة فيها وبين ازالته بقوله يوق ومن تاب
عليه قوله فاولئك هم المفلحون وههنا نكتة رقيقة فانه ذكر بني ادم تلويحا انه مخلوق من
التراب ومن طبيعة القبض واليبس فيمكن ازالته بان يمطر الله سبحانه وتعالى عليه السحاب
من غمائم توفيقه فيثمر الخصال الزكية والشمائل الرضية كما قال تعالى والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا فمن يتداركه التوفيق وتركه
وحرصه لم يزدد حرصا وتهالكا على جمع المال وموقع قوله ولا يملا جوف ابن ادم موقع كون
الجبلة وينيط به حكما اشمل واعم كانه قيل ولا يشبع من خلق من التراب الا بالتراب وموقع
ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني ان ذلك لعسر صعب ولكن يسير على من
يسره الله تعالى عليه فحقيق ان لا يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى
والقدر روينا عن الترمذي عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله امرني ان اقرا عليك القران فقرا عليه لم يكن الذين كفروا وقرا فيها ان الدين عند
الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقرا
عليه لو ان لابن ادم واديا من مال لابتغى ثانيا ولو ان له ثانيا لابتغى اليه ثالثا ولا يملا جوف ابن
ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب انتهى رواه البخاري قال ميرك ناقلا عن التصحيح
حديث لو كان لابن ادم واديان الخ رواه البخاري بهذا اللفظ من حديث ابن عباس
ومعناه من حديث انس ومسلم بهذا اللفظ ومعناه من حديث ابن عباس ورواه
الترمذي ايضا وقد ثبت في الحديث ان هذا كان قرانا فنسخ خطه رواه احمد وغيره
وفي رواية لابن عباس وانس فلا ندري اشيء انزل ام شيء كان يقوله ولانس عن ابي
قال كنا نرى هذا من القران حتى نزل الهاكم التكاثر اخرجه البخاري انتهى وفي الجامع

لو كان

ومعـــــ سدووجل

لو كان لابن ادم واد من مال لابتغى اليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن
ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب رواه احمد والشيخان والترمذي عن انس واحمد والشيخان
عن ابن عباس والبخاري عن ابن الزبير والنسائي عن ابي هريرة واحمد عن ابي واقد
والبخاري في تاريخه والبزار عن بريدة ورواه احمد وابن حبان عن جابر ولفظ لو كان
لابن ادم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى اودية ولا يملا جوف ابن ادم
الا التراب وعن ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي اي منكبي
كما في رواية والنكتة الاخذ تقريبه اليه وتوجهه عليه ليتمكن في ذهنه ما يلقي لديه
وفيه ايماء الى ان هذه الحالة الرضية لا توجد الا بالجذبة الالهية فقال كن اي عش
وحيدا وعن الخلق بعيدا في الدنيا كانك غريب اي فيما بينهم لعدم موانستك بهم
وقلة مجالستك معهم قال النووي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها
الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه انتهى وذلك لان الدنيا دار مرور وجسر عبور فينبغي
للمومن ان يشتغل بالعبادة والطاعة وينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيا
لاسباب الارتحال بترك المظالم والاستحلال مشتاقا الى الوطن الحقيقي فانها سفره
بلفته مستقبلا للبليات الكثيرة في سفره غير مشتغل بما لا يعنيه من الامل الطويل
والحرص الكثير او عابر سبيل اي مسافر بطريق واو للتنويع او بمعنى بل للترقي والمعنى
بل كن كانك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق وهذا ابلغ من الغربة لانه قد
يسكن الغريب في غير وطنه ويقيم في منزل مدة زمنه فلله در طايفة رفضوا الدنيا
وتوجهوا الى العقبى شوقا الى لقاء المولى واعتزلوا بالكلية عن الناس فان الاستيناس
بالناس علامة الافلاس وتجردوا عما عليهم من الاثقال ولا مقياس لباس بل صاروا حفاة
عراة حاسري الراس وهم العقلاء الاكياس للخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس
القياس شعر ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما عرفوا
انها ليست لحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا وعد نفسك بضم العين
وفتح الدال المشددة اي اجعلها معدودة في اهل القبور او عدها كاينة وساكنة فيهم وفي
بعض النسخ المصححة من اهل القبور من جملتهم وواحدة من جماعة ففيه اشارة الى ما قيل
موتوا قبل ان تموتوا وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا رواه البخاري قال
ميرك فيه نظر لان الذي اورده هو لفظ الترمذي ولفظ البخاري عن ابن عمر قال
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
وليس في البخاري وعد نفسك في اهل القبور بل هو في الترمذي والبيهقي والله
اعلم اقول وفي الجامع كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل رواه البخاري عن ابن
عمر زاد احمد والترمذي وابن ماجة وعد نفسك من اهل القبور وزاد النووي في اربعينه
وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك وخذ من حياتك لموتك وزاد الامام الفقيه
في الاربعين قوله فان يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وجعل صدر الحديث مرفوعا
بان قال قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت الى اخره والله اعلم الفصل
الثاني عن عبد الله بن عمرو بالواو قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وامي

نطين فبتشديد اليا المكسورة نصلح بالطين شيا اي مكانا او جزا من البيت فقال ماهذا
اي استعمال الطين يا عبد الله اي لاعبد الهوى قلت شي اي من البيت نصلحه اي خوفا
من فساده او زيادة علي استحكامه واستبداده قال الامر اسرع من ذلك اي الامر
الذي ينبغي لنا ان نعتني وعلي تعميرنا القدر ما نعتبره اعجل مما ذكرته من ان نصلحه
ونقومه والظاهر ان عمارته لم تكن ضرورة بل كانت ناشية عن امل في تقوية او صادرة
عن ميل الي زينة قال الطيبي اي كوننا في الدنيا كعابر سبيل او راكب مستظل تحت
شجرة اسرع مما انت فيه من اشتغالك بالبنا وقال شارح اي الاجل اقرب من تخرب
هذا البيت اي تصلح بيتكم خشية ان ينهدم قبل ان تموت وربما تموت قبل ان
ينهدم فاصلاح عملك اولي من اصلاح بيتك رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث
غريب قال ميرك نقلا عن المنذري حديث عبد الله بن عمرو رواه ابو داود
والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وقال السيد
جمال الدين هذا الحديث بهذا اللفظ لم اجد في جامع الترمذي ولكن اخرج عن
عبد الله بن عمرو قال مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا قال
ماهذا فقلنا قد وهي فنحن نصلح فقال ما ارى الامر الا اعجل من ذلك وقال هذا حديث
حسن صحيح وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الما
بضم اليا وفتح الها ويسكن اي يصب والما كناية عن البول فالمعني انه كان يبول
احيانا فيتيمم بالتراب اي او بما يقوم مقامه لما ثبت انه اكتفي بوضع يديه على الجدار
حال التيمم من غير وجود الغبار فاقول يا رسول الله ان الما منك قريب اي فالتيمم
حرج غريب يقول استيناف ما يدريني ما للاستفهام لعلي للاشفاق اي اخاف لا الاقه
اي لا اصل الما لمسارعة اجلي مبادرا فاحب ان اكون طاهرا باطنا وظاهرا وما ابعد
قول الاشرف وما اقربه الي الوجه الاضعف حمل الحديث على معني غير مناسب بابا
ومبني حيث قال اي يستعمل الما قبل الوقت فاذا لم يبق يتيمم والله اعلم رواه اي البغوي
في شرح السنة وابن الجوزي في كتاب الوفا اسم كتاب له الظنه في شرف المصطفى وعن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا ابن ادم الظاهر ان هذا اشارة حسية الي صورة معنوية
وكذا قوله وهذا اجله وتوضيحه انه اشار بيده الي قدامه في مساحة الارض او في مسافة
الهوى بالطول او العرض وقال هذا ابن ادم ثم اخرها واوقفها قريبا مما قبله وقال هذا
اجله ووضع يده اي عند تلفظه بقوله هذا ابن ادم وهذا اجله عند قفاه اي في عقب
المكان الذي اشار به الي الاجل ثم بسط اي نشر يده على هيئة فتح البشير بكفه واصابعه
او معني بسط وسع في المسافة من المحل الذي اشار به الي الاجل فقال وثم بفتح المثلثة
وتشديد الميم اي هنالك واشار الي بعد مكان ذلك امله اي ماموله وهو مبتدا خبره ظرف
قدم عليه للاختصاص والاهتمام وخلاصة العبارات والاعتبارات ان هذه الاشارات
المويدة بالبشارات الموكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية المطابقة لما سبق
من التصورات الصورية انما هو للاشارة المعنوية المنبهة من نوم الغفلة المبينة
ان اجل ابن ادم اقرب اليه من امله والموت ادنى من شراك نعله هذا ما سنح في هذا
المقام من توضيح المرام وقال الطيبي ممتازا عن ساير الشراح الفخام قوله ووضع يده

الواو

الواو للحال وفي قوله وهذا اجله الجمع مطلقا فالمشار اليه ايضا مركب فوضع اليد على قفاه معناه ان هذا
الانسان الذي يتبعه اجله هو المشار اليه وبسط اليد عبارة عن مدها الي قدام انتهى الكلام
رواه الترمذي وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غرز اي ادخل في الارض عودا اي خشبا طويلا بين يديه
واخر الي جنبه اي غرز عودا اخر الي جانب العود الاول واخر بعد اي من الثاني او منهما فقال
اتدرون ما هذا اي مجموع ما فعلت والمعني اتعلمون ما المراد بهذا الغرز والتقريب وما الغرض
من هذا التصوير قالوا الله ورسوله اعلم بما في الضمير قال هذا الانسان اي العود الاول
مثاله وهذا الاجل اي وهذا العود الثاني المتصل الي جنبه اجله اي انتهاء عمره وانقطاع عمله
اراه بضم الهمزة اي قال الراوي اظنه قال وهذا الامل اي هذا العود الابعد هو طول امله
ومآل آماله فيتعاطى اي يتناول الانسان الامل بان يباشره ويستعمله ويشتغل بما
يامله ويريد ان يحصله فلحقه الاجل اي فيلحقه الموت قبل ان يصله وعبر عن المضارع
بالماضي مبالغة في تحقق حاله ووقوعه دون الامل اي قبل ان يتم امله ويكمل عمله قال
الطيبي دون الاجل حال من الضمير المنصوب اي لحقه وهو متجاوز عما قصده من الامل
قال امية يا نفس مالك دون الله من واق رواه اي البغوي في شرح السنة وعن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر امتي اي غالبا من ستين سنة الي سبعين
قبل معناه اخر عمر امتي ابتداوه اذا بلغ ستين سنة الي سبعين سنة وقل من يجوز
سبعين وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فان منهم من لم يبلغ ستين ومنهم
من يجوز سبعين ذكره الطيبي وفيه ان اعتبار الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح
جدا واما كون الغالب في اخر عمر الامة بلوغ ستين في غاية من الغرابة المخالفة لما
هو ظاهر في المشاهدة فالظاهر ان المراد به ان عمر الامة من سن المحمود الوسط المعتدل
الذي مات فيه غالب الامة ما بين العددين منهم سيد الانبيا واكابر الخلفا كالصديق
والفاروق والمرتضي وغيرهم من العلما والاوليا مما يصعب فيه الاستقصا ويعسر الاستحصا
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الي السبعين اي نهاية اكثر اعمار امتي غالبا ما بينهما
واقلهم من يجوز ذلك اي السبعين فيصل الي المائة فما فوقها واكثر ما اطلعنا على
طول العمر في هذه الامة من المعمرين في الصحابة والايمة سن انس بن مالك فانه
مات وله من العمر مائة وثلاثون سنين واسما بنت ابي بكر ماتت ولها مائة سنة
ولم يقع لها سن ولم يتغير في عقلها شي فازيد منها عمر حسان بن ثابت مات وله مائة
وعشرون عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الاسلام واكثر منه عمر سلمان
الفارسي فقيل عاش مايتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة
والاول اصح والله اعلم ثم من تاريخ موته يعلم انه عاش في الاسلام قليلا لانه
ذكر المولف انه مات بالمداين سنة خمس وثلاثين وقد ادركنا سيدنا السيد
زكريا وسمعنا منه ان عمره مائة وعشرين سنة رحمه الله رواه الترمذي وابن
ماجة وكذا ابو يعلي في مسنده عن انس قال ابن الربيع وصححه ابن حبان والحاكم
وقال انه صحيح على شرط مسلم وقال الترمذي حسن غريب وفي لفظ لاحمد

وانتهاوه
صح

والترمذي مرفوعا معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين انتهى لكن في الجامع اسنده الى الحكيم
الترمذي والله اعلم وذكر حديث عبد الله بن الشخير بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين
وضبط فيما سبق بدون لام التعريف في باب عيادة المريض في اواخر الفصل الثاني وهو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ابن ادم اي صورته والى جنبه تسع وتسعون
منية اي مهلكة ان اخطاته المنايا وقع في الهرم حتى يموت انتهى ولا شك ان مناسبته هنا اظهر
من هناك فان حملوه اليه فالحجة عليه وان اسقط عن تكرار فهو يسلم لديه الفصل الثالث
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول صلاح هذه الامة اليقين
اي تمام العقبى والزهد اي في شان الدنيا واول فسادها البخل بضم فسكون وبفتحتين وهو الانسب
هنا لمشاكلة قوله والامل فالامل انما هو للغفلة عن سرعة القيامة الصغرى والكبرى والبخل انما ينشا
من حب الدنيا ويقرب من الحديث معنى القول الحسن البصري صلاح الدين الورع وفساده الطمع وقال
الطيبي معناه ان اليقين بان الله هو الرزاق المتكفل للارزاق وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها فمن تيقن هذا زهد في الدنيا فلم يامل ولم يبخل لان البخل انما يمسك المال لطول الامل وعدم
اليقين روي عن الاصمعي انه قال تلوت على اعرابي والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون
قال حسبك واقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما
وولى فلقيته في الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح وقال
قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال
سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى الجاه الى اليمين قالها
ثلاثا وخرجت معها نفسه رواه البيهقي في شعب الايمان وعن سفيان الثوري اي الكوفي امام
المسلمين وحجة في شعب الايمان وعن سفيان الثوري اي الكوفي امام المسلمين وحجة الله على
خلقه اجمعين جمع بينه بين الفقه والاجتهاد فيه والحديث والزهد والعبادة والورع والفقه واليه
المنتهى في علم الحديث وغيره من العلوم اجتمع الناس على دينه وزهده وورعه وثقته وهو احد الفقها
وهو احد الايمة المجتهدين واحد الاقطاب الاسلام واركان الدين ولد في ايام الاسلام سليمان
ابن عبد الملك سنة تسع وتسعين سمع خلقا كثيرا وروي عن معمر والاوزاعي وابن جريج ومالك
وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير سواهم مات سنة احدى وستين ومائة ذكره
ذكره المولف قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ اي في الغزل والخشن بفتح فكسر اي في
النسج واكل الجشب بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة اي ولا باكل الغليظ الخشن من الطعام وقيل
غير المادوم انما الزهد في الدنيا قصر الامل بكسر قاف ففتح صاد وفي نسخة بضم فسكون اي اقتصار الامل
والاستعداد للاجل بالمسارعة الى التوبة والعلم والعمل وحاصله ان الزهد الحقيقي هو ما
يكون في الحال القلبي من عزوف النفس عن الدنيا وميلها الى العقبى وليس المدار على الانتفاع
القالبي فانه يستوي الامران فيه باعتبار الحقيقة وان كان التقشف في اللبس والتقلل في
كمية الاكل وكيفيته له تاثير بليغ في استقامة العبد على الطريقة والحاصل ان حب الدنيا في القلب
هو المهلك للهالك لا وجودها على ما قالب السالك وشبه القلب بالسفينة حيث ان الما المشبه
بالدنيا في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما انه دخل داخل السفينة اغرقها
مع اهلها وان كان خارجها وحولها سيرها واوصلها الى محلها ولذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال
الصالح للرجل الصالح وقد اختار جماعة من الصوفية واكابر الملامية لبس العوام وبعضهم

لبسها بالغمام تسترا لاحوالهم من انظارهم الكرام ويبتعدا عن ما ينادي لبس المرقع من الشكاية من
الحق الى الخلق والى السوال بلسان الحال ومن الطمع في غير المطمع ومن المظنة في موضع الريا والسمعة
وقد اخرج الديلمي في مسند الفردوس عن ابي سعيد الخدري مرفوعا ليس البر في حسن
اللباس والزي ولكن البر السكينة والوقار هذا والطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق
والمدار على الاخلاص والخلاص عن العلايق رواه في شرح السنة وعن زيد بن الحسين لم يذكره
المولف في اسمائه لكونه من رواة مالك وهو وشيخه ليسا من الصحابة والتابعين قال سمعت
مالكا وسيل اي والحال انه سيل اي شي الزهد في الدنيا قال طيب الكسب اي المكسوب
من الماكول والمشروب بان يكون حلالا طيبا ويورث علما نافعا وعملا صالحا لانه قال تعالى للرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله
ان كنتم اياه تعبدون وقصر الامل اي تكثير العمل مخافة اتيان الاجل المزهد في الدنيا المرغب في
العقبى قال الطيبي فان قلت اي مدخل لطيب الكسب في الزهد قلت هذا رد على من زعم ان الزهد
في مجرد ترك الدنيا ولبس الخشن واكل الجشب اي ليس حقيقة الزهد ما زعمه بل حقيقته ان تاكل
الحلال وتلبس الحلال وتقنع بالكفاف وتقصر الامل ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم الزهادة في الدنيا
ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا بان لا تكون بما في يديك اوثق
بما في ايدي الناس انتهى وتمامه على ما في الجامع برواية الترمذي وابن ماجة عن ابي ذر وان
تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك فيها لو انها ابقيت لك وسياتي
هذا الحديث في اصل الكتاب من اواخر الباب ونظيره انه قيل للامام محمد صاحب ابي
حنيفة رضي الله عنهما لم تصنف في التصوف فقال صنفته والفته فقيل ما هو قال
كتاب البيع فمن لم يعرف صحته وفساده يأكل حراما ومن اكل حراما لا يصلح حاله ابدا رواه
البيهقي في شعب الايمان باب استحباب المال والعمر للطاعة اي جواز طلب حب المال
وطول العمر لصرفهما في الطاعة والعبادة الفصل الاول عن سعد اي ابن ابي وقاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي اي من يتقي المناهي او من لا يصرف ماله
في الملاهي وقيل هو الذي يتقي المحرمات والشبهات ويتورع عن المشتبهات والمباحات الغني
قال النووي المراد بالغنا غنا النفس وهذا هو الغني المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم الغنى غنى
النفس وهذا هو الغني المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم الغنى غنى النفس واشار القاضي الى ان
المراد به غنى المال قلت وهذا هو المناسب لعنوان الباب وهو لا ينافي غنى النفس فانه
الاصل في الغنى والفرد الاكمل في المعنى ويترتب عليه غنى اليد الموجب لتحصيل الخيرات في
الدنيا ووصول الدرجات العاليات في العقبى والحاصل ان المراد به الغني الشاكر وقد يستدل به
على انه افضل من الفقير الصابر لكن المعتمد خلافه لما سبق بيانه وتحقيق برهانه الخفي الخا
المعجمة اي الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل بامور نفسه او الخفي الخير بان يعمل ويصرف ماله
في مرضاة ربه حيث لا يطلع عليه غير الشامل للفقير ايضا كما ورد حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
وهو الاظهر وروي بالمهملة اي المشفق وقال النووي معناه الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم
من الضعفا والصحيح الاول وفيه حجة لمن يقول الاعتزال في وقت الفتنة اقول او يحمل على
اختلاط ارباب البطالة وقال ابن الملك اراد به الخفي عن اعين الناس في نوافله لئلا
يدخل الريا وقيل هو من لا يتكبر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال بل يجعل نفسه منكسرة

من التواضع وقيل اراد به قليل التردد والخروج الي كولا سواق رواه مسلم اي عن طريق عامر
ابن سعيد بن ابي وقاص ذكره الجزري وقال في الجامع رواه احمد ومسلم عن سعيد بن ابي وقاص
قال الطيبي وفي بعض نسخ المصابيح الحق بعد قوله التقي ولم يوجد في صحيح مسلم وشرح
ولا في الحميدي وجامع الاصول وذكر حديث ابن عمر لا حسد الا في اثنتين اي رجل اتاه الله
القران ورجل اتاه الله مالا في باب فضائل القران صوابه في كتاب فضائل القران ثم لما كان
الحديث مشتملا علي المعنيين المناسبين للبابين باعتبار الرجلين والاول منها متعلق بفضل
القران خص بها ولا معترض ومما الثاني مستدركا **الفصل الثاني** عن ابي بكرة بالتا
ان رجلا قال يا رسول الله صلي الله عليه وسلم اي الناس اي اي اصنافهم خير اي اخير قال من طال
عمره بضمتين علي ما هو الافصح الوارد في كلامه سبحانه وبضم وسكون علي ما هو المشهور علي
السنة العامة تخفيفا وفتح العين وسكون الميم لغة فيه ومنقول لنا لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون وفي القاموس العمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة وحسن عمله قال فاي
الناس شر اي اشر قال من طال عمره وساء عمله قال الطيبي وقد سبق ان الاوقات والساعات كراس
المال للتاجر فينبغي ان يتجر فيما يربح فيه وكلما كان راس ماله كثيرا كان الربح اكثر فمن
مضي لطيبه فاز وافلح ومن اضاع راس ماله لم يربح وخسر خسرانا مبينا انتهي ويعني
صنفان مستويان ليس فيهما زيادة من الخير والشر وهما من قصر عمره وحسن عليه عمله
او ساء عمله رواه احمد والترمذي وفي نسخة طال عمره وحسن عمله وروي الحاكم عن جابر
مرفوعا خياركم اطولكم اعمارا واحسنكم اعمالا **وعن** عبيد بالتصغير بن خالد قال المولف
في فصل الصحابة سلمي بهزي مهاجري سكن الكوفة روي عنه جماعة من الكوفيين
ان النبي صلي الله عليه وسلم اخي اي عقد عقد الاخوة وبيعة الصحبة والمحبة بين رجلين
اي من اصحابه فقتل احدهما اي استشهد في سبيل الله اي في الجهاد ثم مات الاخر اي علي
فراشه بعده وفي نسخة بعض الدال ميتا والمعني بعد قتل اخيه بجمعة اي باسبوع ونحوها اي قريبا
منها تخمينا اقل اكثر وانما اتي به احتياطا فصلوا اي المسلمون عليه اي علي الاخر فقال النبي صلي
الله عليه وسلم ما قلتم في حقه من الكلام وما للاستفهام قالوا دعونا الله ان يغفر له اي ذنوبه
ويرحمه اي يتفضل عليه ويثيبه ويلحقه من الالحاق اي يوصله بصاحبه اي في علو درجته
لكي يكونا في منزلة واحدة من الجنة في العقبي كما كانا في مرتبة واحدة من المحبة في الدنيا
فقال النبي صلي الله عليه وسلم فاين جوابه لشرط مقدر اي اذا كنتم تدعون الله بان يلحقه
بصاحبه زعما منكم ان مرتبته دون مرتبة اخيه فاين صلاته اي الزايدة للميت بعد
صلاته اي الواقعة للشهيد وعمله بعد عمله تعميم بعد تخصيص والتقديم وسائر عمله
اي عمل الميت بعد انقطاع عمل الشهيد وقال شك من الراوي صيامه بعد صيامه
ولعله كانا في رمضان والمتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيرا لما بينهما قال ابن الملك اللام
فيه توطية للقسم او للابتدا قلت الثاني هو الصحيح لان شرط الموطية ان يكون مقرونة
بان الشرطية نحو قوله لئن اشركت الاية نعم يمكن اللام في جواب القسم المقدر اي والله لما
بينهما والمعني التفاوت الذي بين الاخوين في القرب عند الله تعالي ابعد مما بين السما
والارض يعني مرتبة الميت اعلي فالحاق الشهيد به اولي وذلك لانه ايضا كان مرابطا
في سبيل الله فله المشاركة في الشهادة حكما وطريقة وله زيادة الطاعة والعبادة شرعية

وحقيقة والا فمن المعلوم ان الاعمال ازيد ثوابا علي الشهادة جهادا في سبيل الله واظهار الدينه لاسيما في
مبادي الدعوة مع قلة اعوانه من اهل الملة وقال الطيبي فان قلت كيف تفضل هذه الزيادة
في العمل بلا شهادة علي عمله معها قلت قد عرف صلي الله عليه وسلم ان عمل هذا بلا شهادة
ساوي عمله مع شهادته بسبب مزيد اخلاصه وخشوعه ثم زاد عليه بما عمل بعده وكم من شهيد
لا يدرك شيا والصديق رضي الله تعالي عنه في العمل انتهي فتامل فانه ليس في الحديث اشعار
بقلة اخلاص الشهيد فهذا الظن بالصحابة ليس بالسديد مع انه لو كان هذا علة التفضيل بينه
صلي الله عليه وسلم في وجه التقليل ولا كلام في الصديق انه ممن تفضل عليه سبحانه بزيادة التوفيق
مع انه رضي الله تعالي عنه شهيد حكما وقد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين علي الشهدا
في مواضع من كتابه والله اعلم رواه ابو داود والنسائي رجال هذا الحديث رجال الصحيح
الا عبد الله بن ربيعة السلمي عن عبيد بن خالد قال النسائي انه صحابي وعلي تقدير
ان لا يكون صحابيا فهو تابعي ولم يذكره احد بضعف واما عبيد بن خالد وهو ابو عبيد
الله السلمي البهزي فله صحبة ونزيل الكوفة روي عنه عبد الله بن ربيعة وتميم بن
سلمة وسعيد بن عبيدة نقله ميرك عن التصحيح وفي التقريب عبد الله بن ربيعة
ابن فرقد السلمي ذكر في الصحابة ونفاها ابو حاتم ووثقه ابن حبان انتهي وسياتي زيادة
تمام في هذا المرام **وعن** ابي كبشة الانماري قال المولف هو عمرو بن سعيد نزل بالشام
روي عنه سالم بن ابي الجعد ونعيم بن زيادة انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ثلاث
اي من الخصال اقسم اي احلف عليهن واحدثكم عطف علي قوله ثلاث بحسب المعني
فكانه قال اخبركم بثلاث اوكدهن بالقسم عليهن واحدثكم حديثا اي بحديث عظيما
او بحديث اخر فاحفظوه اي الاخير او المجموع ومما يدل علي ما اخترناه من التقدير المذكور والتحرير
المسطور قوله فاما الذي اقسم عليهن اي الذي اخبركم بثلاث واحلف عليهن هو هذا الذي ابينه
فانه اي الشان ما نقص مال عبد اي بركته من صدقة اي من اجل اعطا صدقة لانها مخلوقة
معوضة كمية او كيفية في الدار الدنيوية والاخروية قال تعالي وما انفقتم من شي فهو يخلفه ولا ظلم
عبد بصيغة المجهول مظلمة بفتح الميم وكسر اللام اسم ما اخذه الظالم ظلما كذا ذكره ابن الملك وفي
القاموس المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل والظاهر انه هنا مصدر بمعني المفعول صفة قوله
صبر اي العبد عليها اي علي تلك المظلمة ولو كان متضمنا لنوع من المذلة الا زاده الله بها عزا اي
عنده تعالي كما انه يزين للظالم عند دلاذهاوزين يده الله بها عز اله في الدنيا عاقبته كما تحصل
للظالم ذل بها ولو بعد حين من المدة بل ربما ينقلب الامر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم
جزاوفاقا ولا فتح عبد اي علي نفسه باب مسالة اي باب سوال وطلب من الناس لا لحاجة
وضرورة بل لقصد غني وزيادة الا فتح الله عليه باب فقر اي بابا احتياج اخر وهلم جرا او بان
سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد في اصحاب النهمة ومثل في
حاله بالحمار الذي له الذنب وهو دابر في الطلب فدخل في بستان حريصا عليه فقطع الحارس
اذنيه ويشبه ايضا بكلب في فمه عظم ومر علي نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف
ففتح الكلب فمه حرصا علي اخذ ما في قعر الانا فوقع ما في فمه من العظم في الما فالحريص مشوم
والحريص محروم هذا وقال الطيبي في قوله فاما الذي اقسم عليهن افرده وذكره باعتبار
كون المذكور موعودا وجمع الراجع الي الموصول باعتبار الخصال المذكورات وبه فسر

قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد في وجه اي الجمع او الفوج وفي المصابيح اما اللاتي اقسم عليهن وهو
ظاهر وليس المراد تحقيق الحلف بل تاكيده تنويعا فان المدعي يثبت بذكر القسم تارة واخرى بلفظ
القسم انتهى قال الطيبي يقال التقدير فاما قولي الذي اقسم فيه على الخصال الثلاث واكده فانه
الخ واما الذي احدثكم حديثا فاحفظوه فقال انما الدنيا فهو تفسير وبيان بل قال جملة مقترنة
للتاكيد والتقدير فاما الدنيا ويؤيده انه ليس في الجامع لفظ فقال بل فيه انما الدنيا لاربعة
نفر اي كل واحد عبارة عن جمع وصنف عبد بالجر ويرفع رزقه الله مالا وعلما فيه ايماء الى ان العلم رزق
ايضا وان الله تعالى هو الذي يرزق العلم والمال وبتوفيقه وفتحه ينفتح باب الكمال وقد ورد
في حديث ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون ثم فيه اشعار بان المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال فهو يتقي فيه اي في المال
ربه بان لا يصرفه في معصية خالقه ويصل رحمه اي بالمواساة الى اقاربه ويعامل
الله فيه اي في العلم بحقه اي قياما بحق العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده
فقسمه لفا ونشرا مرتب ويؤيده لفظ الجامع ويعلم الله فيه حقا ويمكن رجوع كل من الضميرين
الى كل من المال والعلم وافراده باعتبار ما ذكر وقال ابن الملك اي بحق المال والمعنى يؤدي
ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة واطعام الضيف ونحو الموصوف بما ذكر
بافضل المنازل اي في اكمل مراتب الثناء بل في الدنيا او في اعلى الدرجات في العقبى وعبد رزقه
الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية اي ظاهره مطابق لما في الطوية يقول اي بلسان
القال او بلسان الحال وهو استئناف بيان او حال لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان اي من اهل
الخير فاجرهما سواء ولفظ الجامع فهو بنيته فاجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو
يخبط وفي الجامع يخبط بكسر الباء بدون فهو فهو حال او استئناف بيان والمعنى يقوم
ويقعد بالجمع والمنع في ماله او يختلف في حاله باعتبار الانفاق والامساك في ماله بغير علم
اي بغير استعمال العلم بان يمسك تارة حرصا وحبا للدنيا وينفق اخرى للسمعة والرياء
والفخر والخيلاء لا يتقي فيه ربه اي لعدم علمه في اخذه وصرفه ولا يصل فيه رحمه اي
لقلة رحمته وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله ولا يعمل فيه بحق اي بنوع من الحقوق
المتعلقة بالله تعالى وبعباده ولفظ الجامع ولا يعلم الله فيه حقا فهذا باخبث المنازل
وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان اي من اهل
الشر فهو نيته اي فهو مجلوب نيته ومحكوم طويته والحمل بطريقة المبالغة فكانه عين
نيته كرجل عدل وفي نسخة فهو بنيته كذا في الجامع اي يجزى بها ويعاقب عليها ومكان
الظاهر انه اثم بمجرد نيته دون اثم العامل المشتمل عمله على النية والمباشرة اكد الوعيد
وشدد التهديد بقوله فوزرهما سواء ولفظ الجامع فوزرهما سواء قال الطيبي فهو
نيته مبتدأ وخبر اي فهو سيء النية يدل عليه وقوعه في مقابله قوله فهو صادق النية
في القرينة الاولى وقوله يقول لو ان لي مالا الخ تفسير لقوله صادق النية وقوله فهو
يقول لو ان لي مالا الخ مقابل له وقوله فاجرهما سواء وقوله فوزرهما سواء متقابلان قال
ابن الملك هذا الحديث لا ينافي خبر ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها
ما لم تعمل به لانه عمل هنا بالقول اللساني والمتجاوز عنه هو القول النفساني انتهى والمعتمد
ما قاله العلماء المحققون ان هذا اذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه بفعلها فان عزم

واستقر

واستقر يكتب معصية ولو لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله اعلم رواه الترمذي وقال هذا
حديث صحيح قال المنذري حديث ابي كبشة رواه احمد والترمذي واللفظ له وقال
حسن صحيح وابن ماجة بمعناه ذكره ميرك وفي الجامع وكذا رواه احمد في مسنده وروى
ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف صدر الحديث فقط ولفظه ثلاث
اقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا
زاده الله بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل باب مسألة يسأل الناس الا فتح الله
عليه باب فقر فهذا يدل على ان الحديث الاول مركب من حديثين جمعهما الراوي وجعلهما
حديثا واحدا ومما يدل عليه ان لفظ الجامع عن الانماري ثلاث اقسم عليهن الى قوله
باب فقر ثم قال واحدثكم حديثا فاحفظوه انما الدنيا الخ فالتفسيرات المحتاجة الى
التاويلات انما هي من تصرفات بعض الرواة والله اعلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا اي في عاقبته استعمله اي جعله عاملا في
الطاعة فانه الغرض الاكمل عند اطلاق العمل عند اطلاق العمل فقيل وكيف يستعمله
يا رسول الله اي والحال انه دار الاستعمال قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت اي حتى
يموت على التوبة والعبادة فيكون له حسن الخاتمة وزاد في الجامع ثم يقبضه عليه
رواه الترمذي وقال صحيح الاسناد نقله ميرك عن التصحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما
ذكره المنذري وفي الجامع رواه احمد والترمذي وابن حبان والحاكم ورواه الطبراني عن ابي امامة
ولفظه اذا اراد الله بعبده خيرا طهره قبل موته قالوا وما طهور العبد قال عمل صالح يلقيه اياه حتى
يقبضه عليه ورواه احمد والطبراني عن ابي عتبة ولفظه اذا اراد الله بعبد خيرا غسله
بفتح الغين والسين المهملة قالوا وما غسله بالضبط المذكور على الحكاية قال يفتح له عملا صالحا
قبل موته ثم يقبضه عليه ورواه احمد والحاكم عن عمرو بن الحمق بفتح فكسر ولفظه اذا اراد
الله بعبد خيرا استعمله قيل وما استعمله قال يفتح له عملا صالحا بين يدي موته حتى يرضى
عنه من حوله هذا ورواه احمد وابن حبان عن ابي سعيد مرفوعا ان الله اذا رضي
عن العبد اثنى عليه بسبعة اصناف من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد اثنى عليه بسبعة
اصناف من الشر لم يعمله انتهى وكان العمل في الموضعين مبني على نيته او محمول على اخذ عبادة ظالم
لمظلوم ووضع مظلمة من مظلوم على ظالم والله اعلم وعن شداد بتشديد الدال الاولى
ابن اوس بفتح فسكون قال المؤلف يكنى ابا يعلى ابا يعلى الانصاري قال عبادة ابن
الصامت وابو الدرداء كان شداد من اوتي العلم والحلم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكيس بفتح الكاف وتشديد الياء اي العاقل الحازم المحتاط في الامور من دان
نفسه اي جعلها دينة مطيعة لامره تعالى منقادة لحكمه وقضائه وقدره وفي النهاية
اي اذلها واستعبدها وقيل حاسبها وذكر النووي انه قال الترمذي وغيره من العلماء
معنى دان نفسه حاسبها انتهى اي حاسب اعمالها واحوالها واقوالها في الدنيا فان
كانت خيرا حمد الله تعالى وان كانت شرا تاب منها واستدرك ما فاتها قبل ان يحاسب
في العقبى كما روي حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقد قال تعالى ولتنظر نفس
ما قدمت لغد وعمل اي عملا نافعا لما بعد الموت والعاجز اي عن استعمال العقل والاحتياط
في الامور فالحاصل ان الكيس هو المؤمن القوي والعاجز هو المؤمن الضعيف وهو من

اتبع نفسه هواها من الاتباع اي جعلها تابعة لهواها من تحصيل الشهوات واستعمال اللذات والشهوات
بل من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات وتمني علي الله قائلا ربي كريم رحيم وقد قال تعالى ما
غرك بربك الكريم وقال نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال
ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اولئك يرجون رحمة الله وقد عبر عن الرجاء مع غير الطاعة بلفظ التمني اشارة الي ان
وقوعه قريب من المحال وان كان يمكن صدوره من الملك المتفضل علي طريق الافضال قال
الطيبي والعاجز الذي غلبت عليه نفسه وعمل ما امرته به نفسه فصار عاجزا لنفسه فاتبع
نفسه هواها واعطاها ما اشتهته قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه
الرأي وللعاجز القادر ليؤذن بان الكيس هو القادر والعاجز هو السفيه وتمني علي الله
ان يذنب ويتمني الجنة من غير الاستغفار والتوبة رواه الترمذي وابن ماجة وكذا
احمد والحاكم **الفصل الثالث** عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
سياتي اسمه قال كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فظهر لنا كطلعة
الشمس وعلي راسه اثر ماء اي من الغسل فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس اي طاهر
البشر والسرور ومنشرح الخاطر علي ما يتلالا منك من النور قال اجل بفتحتين وسكون
الجيم المخففة اي نعم قال اي الرجل الراوي ثم خاض القوم اي شرعوا وبالغوا في ذكر
الغني اي في سواله او ذم حاله او سوء ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا باس بالغني
لمن اتقى الله تعالى عز وجل اشار بقوله لا باس ان الفقر افضل لمن اتقى الله والصحة
اي صحة البدن ولو مع الفقر خير من الغني اي مطلقا والمعنى وصحة المال لمن اتقى
الله خير من الغني الموجب للحساب والعقاب في المال وطيب النفس اي انشراح الصدر
المقتضي للشكر والصبر المستوي عنده الغني والفقر من النعيم اي من جملة النعيم
الذي يعبر عنه بجنة نعيم علي ما قاله بعض العارفين في قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان علي ما قاله بعض العارفين في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في
الدنيا وجنة في العقبى وقيل من النعيم المسؤول عنه المذكور في قوله تعالى ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم وهو لا ينافي ما ذكرناه فانه الفرد الاكمل من جنس النعيم الذي ينبغي
ان يقال لغيره بالنسبة اليه انه النعيم فان ما عداه قد يعد كونه من المال الجحيم او من عذاب
الجحيم رواه احمد وكذا ابن ماجة والحاكم عن يسار بن عبد علي ما في الجامع فتبين ابهام الرجل
مع ان جهالة الصحابي لا تضر فان الصحابة كلهم عدول **وعن** سفيان الثوري قال كان المال
فيما مضى يكره اي عند ارباب الحال فاما اليوم اي في هذا الزمان فهو ترس المومن اي جنته من
جنته وجنته بلا منة وحاصله ان المال الحلال يتقي صاحب الحال من الوقوع في الشبهة والحرام
ويمنعه عن ملازمة الظلمة ومصاحبتهم في الظلام او يتستر المومن عن الريا والسمعة والشهرة
عند العوام وقال لولا هذه الدنانير اي وجودها عندنا وظهور استغنائنا بها عند الخلق لتمندل
بنا هولاء الملوك اي لجعلونا مناديل اوساخهم وهي كناية عن الابتذال والمذلة الظلمة او عن
موافقتهم في تصوير اساءة حيل المسالة قيل هو ماخوذ من البذلة وهو الوسخ قيل لبعضهم ان
المال يدنيك من الدنيا فقال ان ادناني من الدنيا لقد صانني عنها وقيل لان تترك ما لا يحاسبني
الله عليه خير من احتاج الي الناس يعني احتياج الي الله خير من احتياج الي ما سواه وقد

اخرج

اخرج الطبراني في الاوسط عن المقدام بن معديكرب مرفوعا يأتي علي الناس زمان من لم يكن معه اصفر ولا ابيض
لم يتهن بالعيش وهو عند الامام احمد بلفظ يأتي علي الناس زمان لا ينفع فيه الا الدرهم والدينار
هذا وقد قيل الدراهم للجراحات مراهم وقال اي الثوري من كان في يده من هذه اي الدنانير والاموال
شيء اي قليل علي قدر الكفاية فليصلحه اي ليصرفه علي وجه القناعة ولا يتلفه بل يستره بنوع من
التجارة فانه اي زماننا زمان اي عجيب من وصفه ان احتاج اي الشخص فيه كان اول من يبذل
دينه اي لتحصيل دنياه واول منصوب وقيل مرفوع قال الطيبي اي كان ذلك الشخص اول
شخص يبذل دينه فيما يحتاج اليه هو ولو حمل من علي ما كما نقل المالكي عن قطرب لكان ابين
ويؤيده رواية الكشاف من كان اول ما يبذل دينه فما موصوفة واول اسم كان ودينه خبره قلت
ويمكن عكسه بل هو الاظهر فتدبر وقال اي الثوري الحلال اي لانه قليل الوجود في المال
لا يحتمل السرف اي صرفه بالاكثار قال الطيبي يحتمل معنيين احدهما ان الحلال لا يكون كثيرا
فلا يحتمل الاسراف وثانيهما ان الحلال لا ينبغي ان يسرف فيه ثم يحتاج الي الغير انتهى وفي
كل منهما نظر اذ معنى الاسراف هو التجاوز عن الحد بان يصرفه في غير محله زيادة علي قدره
وهو يحتمل في القليل والكثير ويشمل المال الحلال والحرام فالاوجه ان يقال ان الحلال من
خاصيته ان لا يقع في الاسراف كصرفه في الما والطين بلا ضرورة ولزيادة اعطاء الاطعمة علي
طريق الريا والسمعة ولذا قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف وفيه تنبيه انه ينبغي للطالب
ان يجتهد في تحصيل الحلال ولو كان القليل من المال وان يقنع به ولا يصرفه علي طريق
الاسراف لئلا يحوج نفسه الي الاكابر والاشراف رواه في شرح السنة **وعن** ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة اين ابناء
الستين اي اصحابها ممن وصل عمره اليها وهو العمر الذي قال الله تعالى اي في حقه اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال الطيبي ما موصوفة اي عمرناكم عمرا يتعظ فيه العاقل
الذي من شانه ان يتعظ وجاءكم النذير اي المنذر والانذار وهو الشيب او القرآن
او الرسول او الموت او جنس المنذر فيشمل الكل والجملة حالية رواه البيهقي في شعب الايمان وقد
سبق ما يتعلق به رواية ودراية **وعن** عبد الله بن شداد تابعي جليل كما سيجيء بيانه ولم يذكره
المؤلف في اسمائه قال ان نفرا من بني عذرة بضم فسكون قبيلة مشهورة ثلاثة بالنصب بدلا او بيانا
من نفرا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم اي جاءوا فاسلموا اي وارادوا الاقامة بنية المجاهدة وهم ال الفقر
والفاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استئناف بيان من يكفيهم اي مؤنتهم من طعامهم وشرابهم ونحو
ذلك قال الطيبي هم ثاني مفعولي يكفي علي تقدير مضاف قال ابو طلحة انا اي اكفيهم فكانوا اي الثلاثة
او النفر عنده اي عند ابي طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا اي ارسل سرية فالبعث بمعنى
المبعوث فخرج فيه اي في ذلك البعث احدهم فاستشهد بصيغة المجهول اي صار شهيدا ثم بعث
بعثا فخرج فيه الاخر فاستشهد ثم مات الثالث علي فراشه اي مرابطا ناويا الجهاد قال اي ابن شداد
قال طلحة فرايتهم اي في المنام او في كشف المقام هولاء الثلاثة في الجنة ورايت الميت علي فراشه اي الذي مات
علي فراشه امامهم بفتح الهمزة اي قدامهم قال الطيبي الظاهر ان يقال امامهما الان يقال المراد المقدم من
بينهم او يذهب الي ان اقل الجمع اثنان والذي عطف علي الميت وفي نسخة فالذي استشهد اخرا
يليه اي يقرب الميت واولهم بالنصب وقيل برفعه يليه اي يلي المستشهد اخرا فدخلني اي شيء
واشكال من ذلك اي مما رايته من التقديم والتاخير علي خلاف ما كان يخطر في الضمير والفاعل

بحدوف علي من هب ابن مالك فقال الفاصبحة اي بحنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرته له ذلك
مستغربا ومستنكرا فقال وما انكرت اي واي شي انكرته من ذلك والمعني لا تنكر شيا منه فانه ليس
احد افضل عند الله فالاستيناف مبني متضمن للعلة اي ليس احد اكثر ثوابا عنده سبحانه من
مومن يعمر بتشديد الميم المفتوحة اي يطول عمره في الاسلام لتسبيحه اي لاجل تسبيحه
وتكبيره وتهليله اي ونحو ذلك من ساير عباداته القولية والفعلية ولفظ الجامع رواية
عن احمد لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله قال ميرك حديث عبد الله بن شداد رواه
احمد وابو يعلي ورواتهما رواة الصحيح وفي اوله عند احمد ارسال لكن وصله ابو يعلي بذكر
طلحة فيه كذا قاله المنذري في الترغيب وكانه يشير انه عبد الله بن شداد ليست له
صحبة وانه ولد علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره العجلي انه من كبار التابعين الثقات
وكان معدودا في الفقها ولم يصرح في هذا الحديث عند احمد بالسماع بل قال ان نفرا
الي اخره وصرح ابو يعلي بانه رواه عن طلحة ومما ناسب حديث عبد الله بن
شداد هذا وحديث عبيد بن خالد الذي سبق في الفصل الثاني ما رواه احمد
باسناد حسن عن ابي هريرة قال كان رجلان من بلي حي من بني قضاعة اسلما
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد احدهما واخر الاخر سنة قال طلحة
ابن عبيد الله فرايت المؤخر منهما ادخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فاصبحت
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم اليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة الاف
وكذا كذا ركعة صلاة سنة ورواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه والبيهقي
كلهم عن طلحة بنحوه اطول منه وزاد ابن ماجة في اخره فلما بينهما ابعد مما
بين السما والارض وعن محمد بن عميرة بفتح العين وكسر الميم قال المولف مزني يعد
في الشاميين روي عنه جبير بن نفير وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان عبدا لو ان يخر بفتح الخا المعجمة وتشديد الراي اي سقط علي وجهه من يوم
ولد بفتح الميم علي البنا وقيل بجرها موتا الي ان يموت هرما بفتحتين اي ذاهم وفي
نسخة بكسر الراي شيخا كبيرا في طاعة الله لحقره بتشديد القاف اي بعده قليلا
لما يري من في ذلك اليوم ولود اي لاحب وتمني انه رد الي الدنيا كما يزداد اي ليزيد من
الاجر والثواب اي من اجل العمل بمقتضي الوعد والعدل وزيادة المثوبة علي طريق روايتهما
اي الحديثين احمد اي في مسنده لكن الثاني رواه موقوفا والاول رواه مرسلا كما تقدم
والله اعلم وروي احمد والبخاري في تاريخه والطبراني عن عتبة بن عبد مرفوعا ان
رجلا يخر علي وجهه من يوم ولد الي يوم يموت هرما في مرضات الله لحقره يوم القيامة

باب التوكل والصبر

قال تعالي ومن يتوكل علي الله فهو حسبه ان الله يحب
المتوكلين قال واصبر وما صبرك الا بالله ان الله مع الصابرين جمع بينهما لتلازمهما وعدم
انفكاكهما وقدم التوكل لانه منتج الصبر وبه تحلو المر وينكشف الضر فان النصر مع الصبر
ومن توكل علي الله كفاه فقال بعضهم التوكل علي احد هو ان يجعله بمنزلة الوكيل القايم
بامره المتكفل باصلاح حاله علي قدره وقال ابن الملك المراد بالتوكل هو ان يتيقن انه لا
يصيبه الا ما كتبه الله له من النفع والضر انتهي والصبر علي مراتب من حبس النفس عن
المناهي وعن المشتبهات والملاهي وعلي تحمل المشاق في ادا العبادات وعلي تجرع

وعن ... لله عز وجل

المرارات عند حصول المصيبات ووصول البليات هذا وفي النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن
القيام به ووكلت امري الي فلان اي الجاته اليه واعتمدت فيه عليه ووكل فلان فلانا
اذا استكفاه امره ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه والوكيل هو القيم الكفيل بارزاق العباد
وحقيقته انه مستقل بامر الموكول اليه وقال الراغب الصبر الامساك في ضيق يقال صبرت
الدابة حبستها بلا علف والصبر حبس النفس علي ما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان
حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمايه بحسب اختلاف ما وقعه فان
كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة
ويضاده الجبن وان كان في نايبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في امساك
الكلام سمي كتمانا وضده الافشا وزاد في عين العلم وفي فضول العيش زهد وضده الحرص
وفي اليسير من الدنيا قناعة وضده الشره انتهي والتوكل بلسان العارفين علي ما قال السري
السقطي هو الانخلاع من الحول والقوة بلا انتزاع وقال ابن مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان
القضا في الاحكام وقال الجنيد التوكل ان يكون الله كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل ثم قيل الصبر
علي ثلاثة انواع صبر العوام وهو حبس النفس علي ما يكره وصبر الخواص وهو تجرع المرارة
من غير تعبيس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلا وبه يصل الي مرتبة الشكر وغاية
الرضا بالقضا وقد ورد اعبد الله علي الرضا فان لم تستطع فالصبر علي ما تكره خير كثير وقال
تعالي فعسي ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا **الفصل الاول** عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب اي مستقلين من
غير ملاحظة اتباعهم فلا ينافي ما ورد من ان مع كل واحد منهم سبعون الفا هم الذين لا يسترقون
اي لا يطلبون الرقية مطلقا او بغير كلمات القرانية والاسما الصمدانية ولا يتطيرون اي لا يتشامون بنحو
الطير ولا ياخذون من الحيوانات والكلمات المسموعات علامة الشر والخير كما يقولون كما ورد
اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب
بالسيات الا انت وعلي ربهم يتوكلون اي في جميع ما يفعلون ويتركون قال الطيبي الجمع بين جملتي
لا يسترقون ولا يتطيرون من التناهي الذي يراد به الاستيعاب نحو قولهم لا ينفع زيد ولا عمرو
علي معني لا ينفع الناس ما قاله صاحب النهاية هذا من صفة الاوليا المعرضين عن سبب الدنيا وعوايقها
الذين لا يلتفتون الي شي من علايقها تلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم واما العوام فرخص لهم
في التداوي والمعالجات ومن صبر علي البلا وانتظر الفرج من الله سبحانه بالدعا كان من جملة
الخواص والاوليا ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدوا الا تري ان الصديق لما
تصدق بجميع ماله لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم علما منه بيقينه ولما اتاه الرجل بمثل بيضة
الحمام من الذهب وقال لا املك غيره فضربه بحيث لو اصابه عقره وقال فيه ما قلت الظاهر
ان سبب غضبه صلى الله عليه وسلم لم يكن اتيانه بجميع ماله بل افشا سره واظهار حاله بقوله
لا املك غيره مع الايما الي توهم السمعة والريا والله اعلم وفي شرح مسلم للنووي قال المازري احتج بعضهم
علي ان التداوي مكروه ومعظم العلما علي خلاف ذلك واحتجوا بالاحاديث الواردة في منافع الادوية
وبانه صلى الله عليه وسلم تداوي وباخبار عايشة رضي الله تعالي عنها عن كثرة تداويه وبما علم من الاستشفا
برقيات فاذا ثبت هذا حمل الحديث علي قوم يعتقدون ان الادوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الامر الي
الله تعالي قلت لا يصح حمل الحديث المذكور علي القوم المسطور فانه صريح في انهم من كمل الاوليا وخلص

الاصفيا فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من الاولي في حق اهل الهداية عدم تعاطي الاسباب الغير العادية
وان كان جائزا للعوام وارباب البداية ويحمل فعله صلى الله عليه وسلم في المعالجة بالادوية على اختيار
الرخصة رعاية لعامة الامة او على مرتبة جمع الجمع المشهورة عند الصوفية من ان مشاهدة
الاسباب وملاحظة صنايع رب الارباب هو الاكمل والافضل عند الكمل فتدبر وتامل
ولعل الحديث مقتبس من احد معني قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والله اعلم بالصواب متفق عليه وعنه اي عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فقال عرضت علي اي اظهرت لدي الامم اي مع انبيائهم فجعل يمر النبي صلى الله
عليه وسلم التعريف فيه للجنس وهو ما يعرفه كل احد انه ما هو فهو بمنزلة النكرات
ذكره الطيبي فالمعني انه يمر نبي منهم عند العرض علي ومعه الرجل اي الواحد من
اتباعه ليس له تابع غيره والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط اي الجماعة
او المراد الرجال والنبي وليس معه احد اي لا من الرجال ولا من النساء والمراد من النبي
هنا الرسول المامور بالتبليغ وقيد الرجولية واقعية غالبية او قضيته مثالية والمراد
الوحدة والتثنية والجمعية فرايت اي من امامي سوادا كثيرا اي جمعا عظيما وفوجا
جسيما سد الافق اي سد طرف السما بكثرته فرجوت ان يكون اي السواد الكثير امتي
فقيل هذا موسى في قومه اي ممن امن به ولم يتغير عن دينه ثم قيل لي انظر فكانه
صلى الله عليه وسلم اطرق ثم واعرض عن موضع العرض حيا فقيل له انظر ثم رحبا ورايت
اي من قدامي سوادا كثيرا سد الافق اي فقنعت بذلك وشكرت لها هنا كلام فقيل لي
اي بل لك الزيادة علي ما ذكرت من الاستفادة انظر هكذا وهكذا اي الى اليمين والشمال
فرايت سوادا كثيرا سد الافق فقيل اي الي هولا اي مجموع ما بين يديك وطرفيك
امتك ومع هولا اي من جملتهم او زيادة عليهم سبعون الفا قدامهم وفيه منقبة عظيمة
لهم كما في قوله يدخلون الجنة بغير حساب قال النووي يحتمل هذا ان يكون معناه
وسبعون الفا امتك غير هولا وان يكون معناه في جملتهم سبعون الفا ويويد هذا
رواية البخاري هذه امتك ويدخلون الجنة من هولا سبعون الفا هم استثنيا في بيان الذين
لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون اي الا عند الضرورة لما وقع الكي من بعض الصحابة
منهم سعد بن ابي وقاص احد العشرة او مطلقا استسلاما للقضا وتلذذا بالبلا مع
علمهم بانه لا يضر ولا ينفع الا الله ولا تاثير بحسب الحقيقة لما سواه فهم في مرتبة الشهود
خارجون عن دائرة الوجود فانون عن حظوظ انفسهم باقون بحق الله في حراسة
انفاسهم فقام عكاشة بضم العين وتشديد الكاف ويخفف على ما في القاموس والمغني
ابن محصن بكسر ميم وفتح صاد قال المولف اسدي شهد بدرا وما بعدها وانكسر
سيفه يوم بدر فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عرجونا او عودا فصار في يده سيفا
وكان من فضلا الصحابة مات في خلافة الصديق وله خمس واربعون سنة
روي عنه ابو هريرة وابن عباس واخته ام قيس فقال ادع الله ان يجعلني
منهم ما احسن هذا السوال المشير الى انه من اصحاب الكمال بل من ارباب الوصال حيث
علم انه لم يصل الى هذا المقام والحال الا بوسيلة دعايه صلى الله عليه وسلم من ذوي الجلال
والجمال قال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم والظاهر

انه الاول كان ناويا او قاصدا للقيام نافعا لهم بل متصفا باحوالهم وان الثاني طلبه على وجه التمني
من غير التفتيش وطريقه التقليد في التحلي من غير قصد التخلي قال سبقك بها اي بهذه
الدعوة عكاشة وقد استجيب له وبهذه المسالة والمعني فيها هي الاولية كما ورد ان الصبر
عند الصدمة الاولى ولعل وجه الامتناع من الدعا ان لا ينفتح هذا الباب المتفرع عليه [illegible]
قال ابن الملك لانه لم يوذن له في ذلك المجلس بالدعا الا لواحد وفيه حث على المسارعة الى
الخيرات وطلب دعا الصالحين لان في التاخير افات وقيل كان ذا الرجل منافقا فاجابه صلى الله عليه
وسلم بكلام محتمل ولم يصرح بانك لست منهم لحسن خلقه انتهى وقيل قد يكون سبق
عكاشة بوحي ولم يحصل ذلك للاخر وقال القاضي عياض قيل ان الرجل الثاني لم
يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة اهلها بخلاف عكاشة وهو في شرح الطيبي
قال الشيخ وقد ذكر الخطيب البغدادي انه قال في كتابه في الاسما المبهمة انه يقال ان هذا
الرجل هو سعد بن عبادة فان صح هذا بطل قول من زعم انه منافق متفق عليه وعن
صهيب بالتصغير قال المولف هو ابن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى
ابا يحيى كانت منازلهم بارض الموصل فيما بين دجلة والفرات فاغارت الروم على تلك
الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدم به مكة
فاشتراه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام معه الى ان هلك واسلم قديما بمكة وكان
من المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل ومن الناس
من يشري نفسه ابتغا مرضات الله روى عنه جماعة مات سنة ثمانين وهو
ابن تسعين ودفن في البقيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا اي عجبت عجبا
لامر المومن اي لشانه وماله في كل حاله ان امره كله بالنصب ويجوز رفعه كما قرا
بالوجهين في قوله تعالى قل ان الامر كله لله اي جميع اموره له خير في المال وان كان بعضها
صورة في الحال وقدم الظرف اهتماما وليس ذلك لاحد الا للمومن قال الطيبي مظهر وقع موقع
المضمر ليشعر بالعلية انتهى وفيه ان الاظهار والاضمار مستويان في الاشعار بالعلية ولعل النكتة
هي اظهار الاشعار على وجه التصريح فانه اكد من طريق التلويح ثم بينه على وجه التوضيح
ان اصابته سرا اي نعما وسعة عيش ورخا وتوفيق طاعة من ادا او قضا شكر فكان اي شكره
خيرا له وان اصابته ضرا اي فقر ومرض ومحنة وبلية صبر فكان اي صبره خيرا له وبهذا
تبين قول بعض العارفين انه لا يقال على الاطلاق ان الفقير الصابر افضل من الغني
الشاكر بل حالة التفويض والتسليم اولى والقيام بمقتضى الوقت اعلى بحسب اختلاف
الاحوال وتفاوت الرجال قال تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال تعالى ان ربك
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي
ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر فلو اغنيته لفسد حاله ومن عبادي من لا يصلحه
الا الغنى فلو افقرته لضاع حاله ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه الفقر والغنى مطيتان
لا ابالي ايهما اركب وعلى هذا الاختلاف الواقع بين القوم في طلب طول العمر لطاعة الله
او طلب الموت لخوف الفتنة او للاشتياق الى لقا الله ثم المعتمد التفويض والتسليم
كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم اللهم احييني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت
الوفاة خيرا لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر

ثم وجه حصر الخير في كل حال للمومن الكامل لان غيره ان اصابته سرا بشيء وبطرا وان اصابته
ضرا جزع وكفر بخلاف حال المومن فانه كما قال بعض ارباب الكمال • اذا كان شكري نعمة الله نعمة •
علي له في مثلها يجب الشكر • فكيف بلوغ الشكر الا بفضله • وان طالت الايام واتسع العمر • اذا مس
بالنعماء عم سرورها • وان مس بالضرا اعقبه اجر • رواه مسلم وكذا الامام احمد وروى احمد
وابن حبان عن انس مرفوعا عجبت للمومن ان الله تعالى لم يقض له قضا الا كان خيرا له
وروى الطيالسي والبيهقي في شعب الايمان عن سعد مرفوعا عجبت للمسلم اذا اصابته
مصيبة احتسب وصبر واذا اصابه خير حمد الله وشكر ان المسلم يوجر في كل شي حتى
في اللقمة يرفعها الى فيه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن
القوي اي القادر على تكثير الطاعة خير واحب الى الله عطف تفسيري من المومن
الضعيف اي العاجز عنه وفي كل خير اي اصل الخير موجود في كل منهما قيل المراد بالمومن القوي
الصابر على مخالطة الناس وتحمل اذيتهم وتعليمهم الخير وارشادهم الى الهدى ويويده ما رواه
احمد وغيره عن ابن عمر مرفوعا المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من
المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وقيل اراد بالمومن القوي الذي
قوي في ايمانه وصلب في ايقانه بحيث لا يرى الاسباب والمومن الضعيف بخلافه وهو
ادنى مراتب الايمان وقال النووي القوة هنا يراد بها عزيمة النفس في امور الاخرة
فيكون صاحب هذا الوصف اكثر اقداما على العدو والجهاد واسرع وجاوزها باقي طلبه واشد
عزيمة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى في كل ذلك وقوله خير
معناه في كل من فريقي القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الايمان مع ما ياتي به الضعيف
من العبادات احرص بكسر الرا ومنه قوله تعالى ان تحرص على هداهم وفي نسخة بفتحها
ففي القاموس حرص كضرب وسمع والمعنى كن حريصا على ما ينفعك اي من امر الدين
واستعن بالله اي على فعلك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ولا تعجز بكسر الجيم ومنه
قوله تعالى اعجزت وفي نسخة بالفتح ففي القاموس عجز كضرب وسمع اي ولا تعجز عن
الحرص والاستعانة فان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعطيك قوة على طاعته اذا
استعنت على استعانته وقيل معناه لا تعجز عن العمل بما امرت ولا تتركه مقتصرا على
الاستعانة به فان كمال الايمان بجمع بينهما قال الطيبي يمكن ان يذهب الى اللف والنشر
فيكون قوله احرص على ما ينفعك ولا تترك الجهد بيان للقوي ولا تعجز بيان للضعيف
وان اصابك شي اي من امر دينك او دنياك فلا تقل لو اني فعلت اي كذا وكذا لكان اي
لصار كذا وكذا فان هذا القول غير سديد ومع هذا غير مفيد فانه قال تعالى قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا وقال صلى الله عليه وسلم ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك
وقد قال عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولكن قل اي بلسان القال او لسان الحال قدر
الله بتشديد الدال اي قل قدر الله كذا وكذا اي وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى
وفق قدره وما شا اي الله فعله فانه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
فان لو اي كلمة الشرط ولو ان تفتح عمل الشيطان قال الشاطبي رحمه الله ولو وليت تورث
القلب الغلا قال بعض شراح المصابيح اي ان قول لو واعتقاد معناها يفضي بالعبد
الى التكذيب بالقدر او عدم الرضا بصنع الله لان القدر اذا ظهر بما يكره العبد قال لو

فعلت كذا

لله عزوجل ——— ووصح

فعلت كذا لم يكن كذا وقد قدر في علم الله انه لا يفعل الا الذي فعل ولا يكون الا الذي كان وقد اشار صلى
الله عليه وسلم بقوله قبل ذلك ولكن قدر الله وما شا فعل ولم يرد كراهة التلفظ بلو في جميع الاحوال
وساير الصور وانما عنى الاتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة القدر والتاسف على ما فات
من امور الدنيا والا فقد ورد في القران مثل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل وفي
الحديث لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لانه لم يرد به منازعة القدر وقال القاضي فان
لو يفتح اي لو كان الامر لي وكنت مستبدا بالفعل والترك كان كذا او كذا فيه تاسف على الفايت
ومنازعة القدر وايهام بان ما كان يفعله باستبداده ومقتضى رايه خير مما ساقه القدر اليه
بحيث لو بدل على انتفا الشي لانتفا غيره فيما مضى وكذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل
الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فسخ الحج الى العمرة ولو اني استقبلت من
امري ما استدبرت ليس من هذا القبيل وانما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم
على التحلل باعمال العمرة وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض هذا النهي انما هو لمن قاله
معتقدا ذلك حتما واما قول ابي بكر رضي الله تعالى عنه لو ان احدهم رفع راسه لرانا فهذا
لا حجة فيه لانه انما اخبر عن مستقبل وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت راجما بغير بينة
لرجمت هذا وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لانه انما اخبر عن اعتقاده
فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته واما الماضي فليس في قدرته واما معنى قوله فان
لو يفتح عمل الشيطان انه يلقي في القلب معارضة القدر يوسوس به الشيطان قال الشيخ
وقد جا استعمال لو في الماضي كقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت
لم اسق الهدي فالظاهر ان ما ورد فيما لا فايدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم واما من قال
متاسفا على ما فات من طاعة الله تعالى او هو متعذر من ذلك فلا باس به وعليه يحمل
اكثر استعمال لو الموجودة في الاحاديث اقول بل التاسف على فوت طاعة الله مما يثاب
فينبغي ان يعد من باب الاستحباب فقد روى الرازي في مشيخته عن ابي عمر من اسف
على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب من
الجنة مسيرة الف سنة ذكره السيوطي في الجامع رواه مسلم ولفظ الجزري في الحصن ومن
وقوله ما لا يختاره فلا يقل لو اني فعلت كذا وكذا اي لكان كذا وكذا ولو للتمني ولكن ليقل قدر
الله وما شا فعل رواه مسلم والنسايي وابن ماجة وابن السني قدر الله موضع تقدير الله وقد
ضبط بصيغة الفعل مشددا ومخففا وبصيغة المصدر بالرفع مضافا وايضا لفظها ضبع
بدل فعل والله اعلم وروى ابو داود والنسايي وابن السني عن عوف بن مالك الاشجعي
مرفوعا من غلبه امر فليقل حسبي الله ونعم الوكيل الفصل الثاني عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون
وفي رواية الجامع بحذف احدى التايين اي تعتمدون على الله حق توكله اي بان تعلموا
يقينا ان لا فاعل في الوجود موجود الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطا
ومنع وضر ونفع وفقر وغنى ومرض وصحة وموت وحياة وغيره كذلك مما يطلق عليه اسم
الوجود من الله تعالى ثم تسعى في الطلب على الوجه الجميل ويشهد لذلك تشبيهه
بالطيور فانها تغدو خماصا ثم تسرح في طلب القوت فتروح بطانا لرزقكم اي ولو ترك الاسباب
فانه يرزق البطال والعمال وقد يرزق الضعيف بحيث يتعجب القوي كما يرزق الطير

بصيغة الفاعل تغدوا اي تذهب اول النهار خماصا بكسر الخا المعجمة جمع خميص اي جياعا
وتروح اي ترجع اخر النهار بطانا بكسر الموحدة جمع بطن وهو عظيم البطن والمراد شباعا
وفي قوله تغدوا ايما الي ان السعي بالاجمال لا ينافي الاعتماد علي الملك المتعال كما قال
تعالي وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالحديث للتنبيه علي ان الكسب
ليس برازق بل الرازق هو الله تعالي لا للمنع عن الكسب فان التوكل محله القلب فلا ينافيه
حركة الجوارح مع انه قد يرزق ايضا من غير حركة بل بتحريك غيره اليه يصل رزق الله
ببركته كما يستفاد العموم من قوله تعالي وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها
وقد حكي ان فرخ الغراب عند خروجه من بيضته يكون ابيض فيكرهه الغراب
فيتركه ويذهب ويبقي الفرخ ضايعا فيرسل الله تعالي اليه الذباب والنمل فيلتقطهما الي
ان يكبر قليلا ويسود فيرجع اليه الغراب فيراه اسود فيضمه الي نفسه فيغذيه فهذا
يصل اليه رزقه بلا سعي والحكايات في ذلك كثيرة والروايات به شهيرة ومن غرايب ما حكي انه سبحانه
وتعالي قال لعزرايل هل رحمت علي احد عند نزع الارواح فقال نعم يارب حين غرق اهل
سفينة وبقي بعض اهل علي الالواح وكانت امراة بولدها ترضعه فوق لوح فامرتني بقبض
روحها فرحمت علي ولدها قال تعالي فالقيته علي جزيرة وارسلت اليه اسدا ترضعه
الي ان كبر قليلا ثم قيضت له بعضا من الجن ليعلموه لسان الانس الي ان نشا نشاة
كاملة ودخل في العمارة وحصل له الامارة ووصل الي مرتبة السلطنة واحاط بجميع
المملكة فادعي الالوهية ونسي العبودية وحقوق الربوبية واسمه شداد والله رءوف
بالعباد فالرحيم الذي يرزق اعداه كيف ينسي احباه قال الشيخ ابو حامد قد يظن
ان معني التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط علي الارض
كالخرقة الملقاة او كلحم علي وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع قد اثني علي
المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الذي بمحظور من محظورات الدين بل نكشف
عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الي مقاصده
وقال الامام ابو القاسم القشيري اعلم ان التوكل محله القلب واما الحركة بالظاهر
فلا ينافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد ان الرزق من قبل الله تعالي فان تعسر شي
فبتقديره وان تيسر شي فبتيسيره رواه الترمذي وابن ماجة وكذا احمد والحاكم **وعن**
ابن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ايها الناس ليس من شي من زايدة مبالغة
اي ليس شي ما من الاشيا يقربكم بتشديد الرا اي يجعلكم قريبا الي الجنة ويباعدكم اي ومن
شي يبعدكم من النار الا علي وجه التنسيبه فالنسبة في الفعلين مجازية الا قد امرتكم اي بماذكر او وجه
النسبة فالنسبة في الفعلين مجازية الا بكل منها وليس شي ليس من هنا في الاصول يقربكم
من النار ويباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه وفيه صريح علي ان جميع العلوم من الامور
النافعة والامور الدافعة يستفاد من الكتاب والسنة وان الاشتغال بغيرهما
تضييع العمر من غير المنفعة وان الروح الامين وفي نسخة وان روح الامين اي
جبريل كما قال تعالي نزل به الروح الامين وفي رواية وان روح القدس بضمتين
ويسكن الدال كقوله تعالي وايدناه بروح القدس اي الروح المقدسة من
الاخلاق المدنسة قال الطيبي هو كما يقول حاتم الوجود ورجل صدق فهو

من باب

دليلهم

من باب اضافة الموصوف الي الصفة للمبالغة في الاختصاص ففي الصفة القدس منسوب
اليها وفي الاضافة بالعكس نحو مال زيد نفث في روعي بضم الراي اي اوحي الي والقي من النفث
بالضم وهو شبه بالنفخ وهو اقل من التفل لان التفل لا يكون الا ومعه شي من الريق
والروع الجلد والنفث كذا في النهاية والمعني انه اوحي الي وحيا خفيا ان نفسا بفتح الهمزة ويجوز
الكسر لان الايحا في معني القول والمعني ان نفسا ذات نفس وهي حي مخلوق لن تموت حتي
تستكمل رزقها اي المقدر لها كما اشار اليه سبحانه بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
الا فاتقوا الله اي تنبهوا فاتقوا الله فانكم مامورون بالتقوي وبالسعي الي الدرجات العلي
واجملوا من الاجمال اي واحسنوا في الطلب اي في تحصيل الرزق ولا تبالغوا في طلبه
فانكم غير مكلفين في طلب الرزق قال تعالي وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما
اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال
عز وجل وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوي
فالامر للاباحة والمعني اطلبوا من الحلال فالامر للوجوب ويؤيده قوله ولا يحملنكم
بكسر الميم اي لا يبعثكم استبطا الرزق اي تاخيره ومكثه عليكم ان تطلبوه اي علي ان تطلبوه
بمعاصي الله اي بسبب ارتكابها بطريق من طرق الحرام كسرقة وغصب وخيانة واظهار
سيادة وعبادة وديانة واخذ من بيت المال علي وجه زيادة ونحو ذلك فانه اي الشان
لا يدرك ما عند الله اي من الرزق الحلال او من الجنة وحسن المال الا بطاعته اي لا
تحصيل المال من طريق الوبال قال الطيبي قوله فاجملوا اي اكتسبوا المال بوجه جميل
وهو الا تطلبه الا بالوجه الشرعي والاستبطا بمعني الابطا والسين فيه للمبالغة
كما ان استعف بمعني عف في قوله تعالي ومن كان غنيا فليستعفف وفيه ان
الرزق مقدر مقسوم لابد من وصوله الي العبد لكن العبد اذا سعي وطلب علي وجه
مشروع وصف بانه حلال واذا طلب بوجه غير مشروع فانه حرام فقوله ما عند الله
اشارة الي ان الرزق كله من عند الله الحلال والحرام وقوله ان تطلبوه بمعاصي
الله اشارة الي ان ما عند الله اذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفي هذا دليل
بين لاهل السنة علي ان الحلال والحرام يسمي رزقا وكله من عند الله خلافا
للمعتزلة رواه البغوي في شرح السنة والبيهقي في شعب الايمان الا انه
اي البيهقي لم يذكر وان روح القدس فرواية روح القدس من رواية البغوي
او غيره قال ميرك ورواه ابن ابي الدنيا في القناعة والحاكم وصححه عنه وعن
جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ايها الناس اتقوا الله واجملوا في
الطلب وخذوا ما حل ودعوا ما حرم رواه ابن ماجة والحاكم وقال
الصحيح علي شرط مسلم قالت وروي ابو نعيم في الحلية عن ابي امامة مرفوعا ان روح
القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتي تستكمل اجلها وتستوعب رزقها فاجملوا في الطلب
فان نفسا لن تموت حتي تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله فاجملوا في الطلب
ولا يحملن احدكم استبطا الرزق ان يطلبه بمعصية الله فان الله تعالي لا ينال ما عنده الا
بطاعته **وعن** ابي ذر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الزهادة بفتح الزاي اي ترك
الرغبة في الدنيا ليست بتحريم الحلال كما يفعله بعض الجهال زعما منهم ان هذا من الكمال فيمتنع

من الماء اللحم او الحلوا او الفواكه ولبس الثوب الجديد ومن التزوج ونحو ذلك وقد قال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد ثبت انه
صلى الله عليه وسلم فعل هذه الافعال ولا اكمل من حاله الكمال ولا اضاعة المال اي بتضييعه وصرفه
في غير محله بان يرميه في بحر او يعطيه للناس من غير تمييز بين غني وفقير حاصله انه لا عبرة
بالزهادة الظاهرة وخلو اليد عن الاموال الطاهرة ثم توجه القلب الى الخلق عند الاحتياج
الى المعيشة الحاضرة بل المدار على الزهد القلبي بالانجذاب الربي ولذا استدرك ما سبقه من المقال
حيث قال ولكن الزهادة بتشديد النون ويخفف اي ولكن الزهادة المعتبرة الكاملة في الدنيا
اي في شانها ان لا تكون بما في يديك اي من الاموال او من الصنايع والاعمال اوثق اي ارجى منك
بما في يدي الله بصيغة التثنية اي بجزانية الظاهرة والباطنة وفيه نوع من المشاكلة والمعنى
ليكن اعتمادك بوعد الله لك من ايصال الرزق اليك ومن انعامه عليك من حيث لا تحتسب
ومن وجه لا تكتسب اقوى واشد بما في يديك من الجاه والمال والعقار وانواع الصنايع
من الاستغال ولو علم الكيميا وعلم السيميا فان ما في يديك يمكن تلفه وفناه بخلاف ما في خزاينه
فانه محقق بقاه كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وان تكون عطف على
ان لا تكون والزهادة فيها ايضا ان لا تلتفت الى التنعم فيها والتلذذ بوجود نعمتها بل وان
تغتنم حصول المحنة ووصول البلية فيها الى لا تميل قلبك اليها ولا تستانس نفسك
بما عليها فتكون حينيذ في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها بصيغة المجهول ارغب فيها
اي في حصول المصيبة لو انها اي لو فرض ان تلك المصيبة ابقيت لك اي منعت لاجلك
واخرت عنك فوضع ابقيت موضع لم تصب وجواب لو ما دل عليه ما قبلها وحاصله ان تكون
رغبتك في وجود المصيبة لاجل ثوابها اكثر من رغبتك في عدمها فهذان الامران شاهدان
عدلان على زهدك في الدنيا وميلك في العقبى وقال الطيبي لو انها ابقيت لك حال من فاعل
ارغب وجواب لو محذوف واذا ظرف والمعنى ان تكون في حال المصيبة وقت اصابتها
ارغب من نفسك في المصيبة وقت اصابتها ارغب من نفسك في المصيبة حال كونك
غير مصاب بها لانك تثاب بوصولها اليك ويفوتك الثواب اذا لم تصل اليك رواه الترمذي
وابن ماجة وقال الترمذي هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث
قلت وغايته انه حديث ضعيف مبنى لكنه حديث شريف معنى ومثله يعتبر في فضايل
الاعمال في جميع الاقوال ومن جملتها الزهادة في الدنيا والرغبة في العقبى وعن ابن عباس
قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما في رديفة وفيه اشعار بكمال حفظه
واستحضار لفظه واتقانه فهذا الحديث من جملة احاديثه التي سمعها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم والا فالاكثر مروياته بالواسطة لكنها معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة
وما ذاك الا لاجل صغره في زمانه صلى الله عليه وسلم قال المولف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة لكن صار حبر هذه
الامة وعالمها لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة والفقه والتاويل وراى جبريل عليه السلام مرتين
وكف بصره في اخر عمره ومات بالطايف سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وهو ابن احدى
وسبعين سنة وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين قيل المعنى امشي خلفه لانه
ركب رديفة وهو مردود لما في وسيط الواحدي عن ابن عباس انه اهدى كسرى الى النبي

صلى الله

رمع — لله وجل

صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي ميلا ثم التفت فقال يا غلام بالرفع
كذا في الاصول المعتبرة والنسخ المتعددة والغلام بكسر الميم بناء على ان اصله يا غلامي بفتح اليا وسكونها
ثم بعد حذفها تخفيفا اكتفي بكسرة ما قبلها كما قد يضم وذكره في الاسم الغالب عليه الاضافة الى اليا لعلم
بالمراد ومنه القراة الشاذة رب احكم بضم اليا على انه يحتمل وقوع ضمها لمشاكلة ضم الكاف كما حقق
في وان احكم حيث قرى بالوجهين ثم في يا غلام لغة اخرى وهي قلب اليا الفا وقد جاء شاذا يا غلام
بالفتح اكتفا بالفتحة عن الالف ثم الاظهر انه صلى الله عليه وسلم وقف عليه بالسكون ولم يظهر عليه اعرابا
على ما هو المتعارف في مثله هذا والمراد بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك ففي القاموس الغلام
الطارد والشارب والكهل ضد او من حين يولد الى حين يشيب والمقصود من النداء استحضاره
لديه وتوجهه الى ما يلقي اليه وزاد في الاربعين اني اعلمك كلمات اي فصولا مفيدة في دفع البلا
او جلب المنافع والالا احفظ الله اي امره ونهيه يحفظك اي يحفظك في الدنيا
من الافات والمكروهات وفي العقبى من انواع العقاب والدركات جزاء وفاقا فان من كان لله كان
الله له احفظ الله اي حقه من دوام ذكره وتمام فكره وقيام شكره تجده تجاهك بضم التاء اي امامك
والمعنى انك تجده كانه حاضر بلقائك وقدامك وتشاهد في مقام احسانك وايقانك وكمال
ايمانك كانك تراه بحيث تغني بالكلية عن نظرك ما سواه فالاول حال المراقبة والثاني مقام المشاهدة
وقيل المعنى اذا حفظت طاعة الله وجدته يحفظك وينصرك في مهماتك اينما توجهت ويسهل
لك الامور التي قصدت وقيل المعنى تجد عنايته ورافته قريبا منك راعيك في جميع الحالات وينقذك
من جميع التراث ويبعدك بانواع التحف والكرامات فهو تلميح الى قوله تعالى وهو اقرب اليه من
حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر
عليها قريب من وجوده اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد فقط بل بمعنى اخر لا يجوز كشفه
رمزت اليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب حبيب اذا ما تلاشت في نوره يقول لي ادع فلي
قريب قال الطيبي اي راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك اي مقابلك وحذاك والتا بدل
من الواو وكما في تقات وتخمة اي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والاخرى
واذا سالت اي اردت السوال فسل الله بانبات الهمزة وبحذفه اي نقلها اي فسال الله وحده فان
خزاين العطايا عنده ومفاتيح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية
فانها تصل الى العبد او تندفع عنه برحمة من غير شايبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد
المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا نقمته ويلتجى في عظام المهام
اليه ويعتمد في جمهور الامور عليه ولا يسال غيره لان غيره غير قادر على العطا والمنع ودفع
الضر وجلب النفع فانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
ولا يترك السوال بلسان الحال او ببيان المقال في جميع الاحوال ففي الحديث من
لم يسال الله يغضب عليه اذ السوال اظهار شعاير الانكسار والاقرار بسمت العجز والافتقار
والافلاس عن درجة القوة والطاعة الى حضيض الاستكانة والفاقة ونعم ما قيل الله
يغضب ان تركت سواله وابن ادم حين يسال يغضب واذا استعنت اي اردت
الاستعانة في الطاعة وغيرها من امور الدنيا والاخرة فاستعن بالله فانه المستعان
وعليه التكلان في كل زمان ومكان واعلم زيادة حث على التوجه اليه والتقرب بالاستفادة
لديه ان الامة اي جميع الخلق من الخاصة والعامة والانبيا والاوليا وساير الادمة لو اجتمعت

اي اتفقت فرضا او تقديرا علي ان ينفعوك بشي اي في امر دينك او دنياك لم ينفعوك اي لم
يقدروا ان ينفعوك الا بشي قد كتبه الله لك اي قدره واثبته في الذكر وفرغ منه وقد
اذنهم في ذلك ولو اجتمعوا وقع في الاربعين هنا بلفظ وان اجتمعوا فقال بعض الشراح
من المحققين ان لفظ لو فيما سبق بمعني ان اذ المعني علي الاستقبال كقوله تعالي لو تركوا
من خلفهم ونكتة العدول هو ان اجتماعهم علي الامداد من المستحيل ان بخلاف الاتفاق
علي الايذا فانه ممكن ولذا قيل الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم انتهي
كلامه وهو غفلة منه عن الحكم المقرر في الاعتقاد ان اجتماعهم علي ايصال النفع والضر دون
المشية من المحال فانه ثبتت الرواية بالاختلاف فهذا من باب التفنن واختيار لو في
القرينة الاولي اولي لانها ادل علي الفرضية المحالية ووقوع ان في الثانية علي اصلها مع استفادة
الحكم من المعطوف عليها علي ان يضروك بشي اي من سلب نفع او جلب ضر لم يضروك اي لم يقدروا
ان يضروك الا بشي قد كتبه الله عليك وخلاصة المعني انك وحد الله في المطلب والمهرب
فهو الضار والنافع والمعطي المانع وفي بعض الكتب الالهية وعزتي وجلالي لاقطعن من
يومل غيري والبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه
متفكرا حيران ايومل غيري في الشدايد والشدايد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر
ابواب غيري في الشدايد ~~بيد الشدايد~~ وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن
دعاني هذا واورد اللام في جانب النفع لانه للملك وحقيقة الاختصاص النافع وقوله
وان اساتم فلها مجاز وفي صورة الضر علي ما هو المشهور عند الجمهور رفعت الاقلام اي
من كتابة الاحكام وجفت الصحف اي نشفت ما ذو يافيها من اقضية المخلوقين الي
يوم الدين فلا يوضع عليها قلم يقدرون بشي وتغيير امر وخلا منه ان كتب في اللوح المحفوظ
ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شي اخر فعبر عن سبق القضا والقدر
برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته وقد سبق في
اول الكتاب حديث ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر
فكتب ما كان وما هو كاين الي الابد وحديث جف القلم علي علم الله اي علي ما علمه الله
وحكم به في الازل لا يتغير ولا يتبدل وجفاف القلم عبارة عنه والله اعلم لا يقال هذا
ينافي قوله تعالي يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب لانا نقول المحو والاثبات
ايضا مما جفت الصحف لان القضا قسمان مبرم ومعلق وهذا بالنسبة الي اللوح المحفوظ
واما بالاضافة الي علم الله فلا تبديل ولا تغيير ولهذا قال وعنده ام الكتاب وقيل
عند الله كتابان اللوح وهو الذي لا يتغير والذي يكتبه الملك علي الخلق وهو محل
المحو والاثبات فهذا القدر من الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن
صحيح كما قاله النووي ثم قال وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك
تعرف الي الله بتشديد الرا اي تحبب اليه بحفظ احكامه ذكره النووي لان المعرفة
سبب المحبة يعرفك في الشدة بتشديد الرا اي يجازيك فيها واعلم ان ما اخطاك اي
جاوزك عنك من النعمة والرخا والشدة والبلا واصل الخطا العدول عن الجهة لم يكن
ليصيبك اي محال ان يصيبك وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام الموكدة
للنفي علي الخبر وتسليط النفي علي الكينونية وسرايته في الخبر وما اصابك لم يكن ليخطيك

مط

حصن ١٥٠ / ١

فيه الحث

فيه الحث علي التوكل والرضي ونفي الحول والقوة عنه اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر
ويسر وخير وشر ونفع وضر وواجد ورزق الا وتعلق الله بقدره وقضايه قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف عام جري قلم القضا بما يكون فسيان التحرك والسكون
فيجب الشكر في حال السرا والصبر في حال الضرا الا كما قال الله تعالي قل كل من عند الله
واعلم ان النصر اي علي الاعدا مع الصبر اي علي المحن والبلا وان الفرج وهو الخروج
من الغم مع الكرب اي الغم الذي ياخذ بنفس النفس ولذي ورد اشتدي ازمة تنفرجي
وان مع العسر يسرا قال شارح وقد وقع الاية في القران مكررة ليعلم انه لا يوجد عسر
الا مع يسران وهذا مبني علي القاعدة المشهورة ان النكرة المعادة غير الاولي والمعرفة المعادة
عين الاولي لكنها غالبة لان قوله تعالي قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك لا شك فيه ان
اللام الاولي للاستغراق والثانية للجنس الذي يحصل بوجود فرد منه ثم قيل بمعني
بعد وهذا بعيد عن حقيقة المعني وارادة المبالغة في المبني حيث قصد معاقبة
احدهما الاخر واتصاله به حتي جعله كالمقارن لزيادة في التسلية والتنفس علي ان المحن
لما يخلو علي المنح بل انها عينها وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
هذا وقد قال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الجيلاني في فتوحات
الغيب ينبغي لكل مومن ان يجعل هذا الحديث مراة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه
فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتي يسلم في الدنيا والاخرة ويجد العزة فيهما برحمة
الله رواه احمد والترمذي قال الطيبي وزاد بعد قوله تجاهك في رواية رزين تعرف الي
الله في الرخا يعرفك في الشدة وفي اخره فان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل
فان لم تستطع فان في الصبر علي ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر اي علي المحن والبلا
وان الفرج وهو الخروج من الغم مع الكرب اي الغم الذي ياخذ بنفس النفس ولذا ورد
اشتدي ازمة تنفرجي وان مع العسر يسرا قال شارح وقد وقع الاية في القران مكررة ليعلم
انه لا يوجد عسر الا مع يسران وهذا مبني علي القاعدة المشهورة ان النكرة المعادة غير الاولي
والمعرفة المعادة عين الاولي لكنها غالبة لان قوله تعالي قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
لا شك فيه ان اللام الاولي للاستغراق والثانية للجنس الذي يحصل بوجود فرد منه
ثم قيل بمعني بعد وهذا بعيد عن حقيقة المعني وارادة المبالغة في المبني حيث
قصد معاقبة احدهما الاخر واتصاله به حتي جعله كالمقارن لزيادة في التسلية والتنفس
علي ان المحن لما يخلو علي المنح بل انها عينها وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم وما يلقاها الا ذو
حظ عظيم وقد قال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الجيلاني
في فتوحات الغيب ينبغي لكل مومن ان يجعل هذا الحديث مراة قلبه وشعاره
ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتي يسلم في الدنيا والاخرة
ويجد العزة فيهما برحمة الله رواه احمد والترمذي قال الطيبي وزاد بعد قوله
تجاهك في رواية رزين تعرف الي الله في الرخا يعرفك في الشدة وفي اخره فان
استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر علي ما
تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن
يغلب عسر يسرين والحديث بطوله تجد جا شاما ونحوه في مسند احمد بن حنبل

مط

في النهاية معنى تعرف الى الله اجعل تعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك من نعمته فانه
يجازيك عند الشدة والحاجة اليه في الدنيا والاخرة واراد بقوله لن يغلب عسر يسرين
ان التعريف يعني العسر الثاني في قوله تعالى للعهد والتنكير في يسرا للنوع فيكون العسر
واحد واليسر اثنين فالعسر ما كانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها في الدنيا
الفتح والنصر على الاعدا وفي العقبى الفوز بالحسنى ولقاء الحبا وعن سعد اي
ابن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن ادم رضاه بما
قضى الله له اي ومن سعادة ابن ادم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به وقدره وقضاه
كما يدل عليه مقابلته بقوله ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله اي طلب الخيرة منه
فانه يختار له ما هو خير له ولذا قال بعض العارفين اترك الاختيار وان كنت لا بد
ان تختار فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد قال تعالى وما كان
لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن شقاوة
ابن ادم سخطه اي غضبه وعدم رضاه بما قضى الله فالرضى بالقضا باب الله الاعظم
وهو من بين منازل السايرين موسوم بالمقام الافخم ثم تقديم الاستخارة لانه سبب
للرضا ولانها توجد قبل تحقيق القضا قال الطيبي اي الرضا بالقضا وهو ترك السخط
علامة سعادته وانما جعله علامة سعادة العبد لامرين احدهما ليتفرغ للعبادة
لانه اذا لم يرض بالقضا يكون ابدا مهموما مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول لم
كان كذا ولم لا يكون كذا والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه وسخط العبد
ان يذكر غير ما قضى الله له وقال انه اصلح واولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه
فان قلت ما موقع قوله ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله بين المتقابلين
قلت موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة ويفوض امره بالكلية
انتهى وفيه ان الاستخارة والتفويض مآلهما واحد ولذا اكتفى بالاستخارة
في القرينتين في رواية على ما سياتي ثم لا يشكل ان التسليم المطلق اولى من الاستخارة
لانها نوع طلب وارادة وصنف منازعة في امر قد تحقق هنا وحقيقة الاستخارة
هي ان يطلب الخير من الله في جميع امره بل وان يعتقد ان الانسان لا يعلم خيره من شره
كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر
لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ثم يترقى بان يرى ان لا يقع في الكون غير الخير ولذلك ورد
الخير بيديك والشر ليس اليك ثم المستحب دعا الاستخارة بعد تحقق المشاورة
في الامر المهم من الامور الدينية والدنيوية واقله ان يقول اللهم خر لي واختر لي ولا
تكلني الى اختياري والاكمل ان يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعا
المشهور في السنة على ما قدمنا من كتاب الصلاة رواه احمد والترمذي وقال هذا
حديث غريب تمامه ولا نعرفه الا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي
عند اهل الحديث ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه من سعادة ابن ادم استخارته
الله ومن شقاوته تركه استخارة الله رواه الحاكم والترمذي قال ميرك كلاهما من
حديث سعد بن ابي وقاص وقال الترمذي غريب ولفظه من سعادة ابن
ادم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له وفي الجامع اسند الحديث

الى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه من سعادة ابن ادم استخارته الله تعالى ومن شقاوة
ابن ادم سخطه بما قضى الله فهذا وما قبله مما يدل على لفظ المشكاة وقع فيه اختصار
مخل والله سبحانه اعلم وروى الطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد وقال بعض الحكما من اعطي اربعا لم يمنع اربعا
من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة
لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب

الفصل الثالث

عن جابر انه غزا مع النبي وفي نسخة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل نجد بكسر القاف وفتح البا اي جهته وجانبه وفي النهاية النجد ما ارتفع
من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجع
وسمي القافلة قافلة ولو كانت ذاهبة تفاولا بما لها قفل معه اي قفل جابر مع النبي صلى
الله عليه وسلم فادركتهم اي الصحابة او القافلة القايلة اي الظهيرة او وقت القيلولة في
واد كثير العضاة بكسر العين وهو الشجر الذي له شوك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي اراد النزول او امر بالنزول وتفرق الناس يستظلون بالشجر اي تحته من انواع
الاشجار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة بفتح فضم شجر من
الطلح وهي العظام من شجر العضاة فعلق بها اي بغصن من اغصانها سيفه ونمنا
بكسل وله نومة اي خفيفة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا اي ينادينا
ويطلبنا واذا وفي نسخة فاذا عنده اعرابي اي بدوي كافر فقال اي النبي صلى الله
عليه وسلم هذا اي الاعرابي اخترط اي سل علي سيفي اي المعلق وانا نائم حال
فاستيقظت وهو اي والحال ان سيفي في يده صلتا بضم الصاد ويفتح اي مسلولا مجردا
عن الغمد قال الجوهري هو بفتح الصاد وضمها وفي القاموس الصلت السيف الصقيل
الماضي ويضم وفي النهاية وسيف مجرد قال اي الاعرابي من يمنعك مني اي من اذيتي
فالفعل على حقيقته والمضاف مقدر قال الطيبي اي من يحميك مني قال في اساس
البلاغة ومن المجاز فلان يمنع الجار يحميه من ان يضام فقلت الله اي الله يمنعني على
الحقيقة او نظرا الى العصمة الموعودة بقوله سبحانه والله يعصمك من الناس
ثلاثا اي ثلاث مرات وفيه ايما الى انه يستحب تثليث لفظ الجلالة حالة الاستغاثة
والاستعانة ولم يعاقبه اي الاعرابي وجلس اي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما كان قايما
او مضطجعا ثم يحتمل ان يكون القضية وقعت قبل المناداة فاخبرهم بما وقع من خرق العادة
ويمكن ان يكون بعدها فناداهم ليريهم المعجزة والاول اظهر والله اعلم وفي رواية ابي بكر
الاسماعيلي في صحيحه فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ اي متناول السيف
وهو كناية للعفو مع القدرة وقال الطيبي اي بالجنايات ليريد العفو انتهى فالاخذ بمعنى
المواخذة فقال تشهد اي اتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال لا اي لا اشهد ولكني
اعاهدك على ان لا اقاتلك اي بانفرادي ولا اكون اي ولا ان اكون رفيقا مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله
اي تركه حتى مضى الى طريقه فاتى اي الاعرابي اصحابه اي قومه فقال جيتكم من عند خير الناس
اي كرما وحلما هكذا اي هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة في كتاب الحميدي وفي رياض وكذا في

كتاب رياض الصالحين النووي وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم اية لو اخذ الناس
اي عملوا بها وصلى بانفرادها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي من البلايا ويرزقه من حيث
لا يحتسب اي من العطايا وما بعده ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله
لكل شي قدرا قال الطيبي يريد الاية بتمامها فقوله ومن يتق الله الى قوله من حيث لا يحتسب
اشارة الى انه تعالى يكفيه جميع ما يخشى ويكره من امور الدنيا والاخرة وقوله ومن يتوكل الى
اخره اشارة الى ان الله تعالى يكفيه جميع ما يطلبه ويبتغيه من امور الدنيا والاخرة وبالغ
امره فيه بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شي من الرزق
ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والقضا والتوكل وانشد
لتقديره وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والقضا والتوكل وانشد

اذا المرا مسى حليف التقى ... فلم يخش من طارق حمله

الم تسمع الله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا رواه احمد وابن ماجة والدارمي وعن ابن
مسعود قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حملني على ان اقرا ذكره الطيبي والاظهر ان
معناه علمني اني انا الرزاق اي قراته هكذا قال الطيبي هي قراة شاذة منسوبة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمشهور ان الله هو الرزاق انتهى والمراد انها كانت قراة قطعية متواترة
معنوية وكان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بن مسعود كانها نسخت او شذت طرقها بعد ابن
مسعود ذو القوة المتين اي الشديد القوة والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر
البليغ الاقتدار على كل شي وقوله ذو القوة خبر بعد خبر وفيه من المبالغات لصدر الجملة
بان وتوسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص وتعريف الخبر بلام الجنس ثم ارداف بقوله ذو
القوة وتتميمه بالمتانة فوجب ان لا يتوكل الا عليه ولا يفوض الامور الا اليه ذكره الطيبي رواه
احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن انس قال كان اخوان اي اثنان
من الاخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمنه فكان احدهما ياتي النبي صلى
الله عليه وسلم اي في زمنه لطلب العلم والمعرفة والاخر يحترف اي يكتسب اسباب
المعيشة فكانهما كانا ياكلان فشكا المحترف اي في عدم مساعدة اخيه اياه في حرفته او في كسب
اخر لمعيشته اخاه النبي بنزع الخافض اي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به بصيغة المجهول
اي ارجوا واخاف انك مرزوق ببركته لا انه مرزوق بحرفته فلا تمنن عليه بصنعتك وفي
الحديث دليل على جواز ان يترك الانسان شغل الدنيا وان يقبل على العلم والعمل والتجرد
زاد الفقير قال الطيبي ومعنى لعل في قوله لعلك يجوز ان يرجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيفيد القطع والتوبيخ كما ورد فهل ترزقون الا بضعفائكم وان يرجع الى المخاطب
ليبعثه على التفكر والتامل فينتصف من نفسه رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح
غريب ورواه الحاكم ايضا وعن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان قلب ابن ادم بكل واد شعبة بالرفع اي لقطعه قطعته والمعنى بعض توجه منه
لان القلب واحد واودية الهموم متعددة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ففي النهاية الشعبة الطايفة من كل شي والقطعة منه قال الطيبي ولا بد فيه من
تقدير اي في كل واد له شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها من الاتباع اي من جعل
قلبه تابعا لشعب الهموم في اودية الغموم لم يبال الله باي واد هلكه ومن توكل على

الله كفاه

الله كفاه الشعب اي كفاه الله مون حاجاته المتشعبة المختلفة وفي معناه ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والاخرة
رواه ابن ماجة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو ان
عبيدي اطاعوني اي في امري ونهيي لاسقيتهم اي لانزلت عليهم المطر بالليل اي وهم
نايمون مستريحون واطلعت من باب الافعال اي اظهرت وابرزت عليهم الشمس بالنهار
اي وهم بامورهم ومكاسبهم مشتغلون ولم اسمعهم وفي رواية الجامع ولما اسمعتهم
صوت الرعد اي لا ليلا ولا نهارا كيلا يخافوا ولا ينجمعوا فلا ينتشروا قال الطيبي هو من
باب التتميم فان السحاب مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف لقوله تعالى هو الذي
يريكم البرق خوفا وطمعا فنفاه ليكون رحمته مختصة رواه احمد وكذا الحاكم وعن ابي هريرة
قال دخل رجل على اهله اي اهل بيته واصحاب نفقته فلما راى ما بهم من الحاجة اي من
الجوع والفاقة خرج الى البرية اي الى قطعة من الارض منسوبة الى البر للتضرع الى الخالق
فلما رات امراته اي خلو بيت الرجل وادباره عن الاهل من الحيا والخجل قامت الى الرحى فوضعتها
اي الطبقة العليا على السفلى والمعنى فهياتها ونظفتها والى التنور فسجرته بتخفيف الجيم
وتشديدها اي اوقدته ثم قالت فيه اشارة الى ان العبد يسعى في طلب الحلال ما امكنه الوقت
ويقتضيه الحال ثم يستعين في تحصيل امره الى الملك المتعال بالدعا بنحو اللهم ارزقنا اي
من عندك فانك خير الرازقين وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع الا في خيرك فنظرت اي
الى الرحى فاذا الجفنة وهي القصعة على ما في القاموس والقصعة الكبيرة على ما في خلاصة اللغة
والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق قد امتلات اي من الدقيق قال اي الراوي
وذهبت وفي نسخة صحيحة فذهب الى التنور اي لتخبز فيه من الدقيق بعد عجنه فوجدته
ممتليا اي من الخبز الملتصق به قال اي الراوي فرجع الزوج اي راجيا لما قام بامر الله داعيا قال
اي الزوج وهو استيناف بيان اصبتم اي الهمتم او حصلتم بعدي شيا اي من الاشيا او من الاسباب
قالت امراته نعم اي اصبنا من ربنا اي من عند ربنا او من رزقه وما احطنا واغرب الطيبي في
قولها اللهم ارزقنا حيث قال دعت ان تصيب زوجها ما تطحنه وتعجنه وتخبزه فهيات
الاسباب لذلك انتهى وقام اي فتعجب الزوج وقام الى الرحى اي ورفعها اي ازالها فذكر بصيغة المجهول
وفي نسخة صحيحة فذكر اي هو بنفسه ذلك اي ما ذكر من القضية بتمامها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
اما بالتخفيف للتنبيه انه اي الشان لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة رواه احمد وعن ابي
الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله اي قوله بل حصول
الرزق اسبق واسرع من وصول اجله لان الاجل لا ياتي الا بعد فراغ الرزق قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم رواه ابو نعيم في الحلية قال ميرك نقلا عن المنذري رواه ابن ماجة في
صحيحه والبزار ورواه الطبراني باسناد جيد الا انه قال ان الرزق ليطلب العبد اكثر مما يطلبه اجله قلت
ولذا رواه ابن عدي في الكامل وهو يويد ما قدرته فيما سبق من المعنى حررته وروى ابو نعيم في
الحلية عن جابر مرفوعا لو ان ابن ادم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت
وعن ابن مسعود قال كاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في استحضار القضية واستحفاظ
القصة يحكي نبيا اي حال كونه يحكي حال نبي من الانبيا ضربه قومه فهو حال متعدد قد
يجوز بدونه ايضا قال الطيبي قوله نبيا يخرج على وجه التاويل منصوب على شرط التفسير

ذكره

بقرينة قوله ضربه وهو حكاية لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يقدر مضافا اي يحكي حال
نبي من الانبيا وهو معنى ما تلفظ وح ضربه يجوز ان يكون صفة للنبي وان يكون استينافا
كان سائلا سال ما حكاه فقيل ضربه قومه فادموه اي جعلوه صاحب دم خارج من راسه وهو
يمسح الدم عن وجهه اي خوفا من الوقوع في فمه او عينيه يقول اي من كمال صبره اللهم اغفر لقومي
اي فعلهم هذا بمعنى لا تعذبهم به في الدنيا ولا تستاصلهم والا فمن المعلوم ان مغفرة الكفار بمعنى
العفو عن شركهم وكفرهم غير جائز بالاجماع ويمكن ان يكون المغفرة كناية عن التوبة الموجبة
للمغفرة واليه الاشارة بقوله فانهم لا يعلمون وهذا من كمال حلمه وحسن خلقه حيث
اذنب القوم وهو يعتذر عنهم عذرا به انهم ما فعلوا ما فعلوا الا لجهلهم بالله ورسوله
ففيه اشعار بان الذنب مع الجهل اهون في الجملة بالنسبة الى الذنب مع العلم ولذا ورد
ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع متفق عليه باب الريا والسمعة في المغرب يقال
فعل ذلك سمعة اي ليريه الناس من غير ان يكون قصد به التحقيق وسمع بكذا اي شهره
تسميعا انتهى والتحقيق ان الريا ماخوذ من الروية فهو ما يفعل ليراه الناس ولا يكتفي
برواية الله سبحانه والسمعة بالضم ماخوذة من السمع فهو ما يفعل او يقال ليسمعه
الناس ولا يكتفي فيه بسمعه تعالى ثم يستعمل كل منهما موضع الاخر وقد يجمع بينهما
تاكيدا والارادة اصل المعنيين تفصيلا وضدهما الاخلاص في العمل بعثه على قصد الخلاص
ثم الروايات الصحيحة في الريا الهمزة وعليه السمعة ويجوز ابداله ياء وبه قرا بعض القرا وهو
المشهور على السنة العامة الفصل الاول عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر اي نظر اعتبار الى صوركم اذ لا اعتبار بحسنها
وقبحها واموالكم اذ لا اعتبار بكثرتها وقلتها ولكن وزاد في الجامع وكلكن انما ينظر الى
قلوبكم اي الى ما فيها من اليقين والصدق والاخلاص وقصد الريا والسمعة وسائر
الاخلاق الرضية والاحوال الردية واعمالكم اي من صلاحها وفسادها فيجازيكم على
وفقها هذا وفي النهاية معنى النظر هنا الاختيار والرحمة والعطف لان النظر في الشاهد
دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل الناس الى الصور المعجبة
والاموال الفانية والله يتقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الى ما هو السر واللب
وهو القلب والعمل والنظر يقع على الاجسام والمعاني فما كان بالابصار فهو للاجسام
وما كان بالبصاير كان للمعاني ذكره الطيبي ولا يخفى بعد المراد من النظر هنا ما ذكره
من الرحمة والعطف لا سيما في جانب النفي فتدبر خصوصا في ما ذكره من تفصيل النظر فان
نفيه في حقه تعالى لا يتصور والله اعلم رواه مسلم وكذا ابن ماجة وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا اغنى الشركا اي انا اغنى من يزعم انه
شريكا وعلى فرض ان لهم غنا عن الشرك اي عما يشركون به ما بيني وبين غيري في قصد العمل
والمعنى ما اقبل الا ما كان خالصا لوجهي وابتغا لمرضاتي فالشرك اسم المصدر الذي هو
الشركة مستعمل في معنى المفعول وبوبه ما قرنا ما او صحه بطريق الاستيناف بقوله
من عمل عملا اشرك فيه اي في قصده ذلك العمل معي اي مع ابتغا وجهي غيري اي من المخلوقين
فلا يضر قصد الجنة وثوابها مثلا فانها من جملة مرضاته سبحانه وان كان من المقام الاكمل
ان لا يعبده لطمع جنته او خوف ناره على ما عرف عند بعض العارفين لكن التحقيق فيه

انه لو

انه لو كان يحتسب لم يخلق جنة ولا نار لما عبده سبحانه لكان كافرا فانه يستحق العبادة لذاته
ولذا امدح صهيب بما روي في حقه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ما عصاه وقوله تركته
وشركه خبر من والواو بمعنى مع او المعنى تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك
عن درجة القبول وفي رواية فانا منه بري قيل من ذلك العمل والاظهر من عامل ذلك
العمل لئلا يكون تكرارا في قوله هو اي ذلك العمل الذي عمله اي لاجله ممن قصده بذلك
العمل ريا وسمعة وهو تاكيد لما قبله وقال شارح اي هو لفاعله يعني تركت ذلك
العمل وفاعله لا اقبله ولا اجازي فاعله بذلك العمل لانه لم يعمله لي انتهى وفيه انه
يلزم منه ان يكون عمله ح مباحا مع ان العمل على وجه الاشراك حرام اجماعا فيعاقب
فاعله بذلك العمل فتامل فلنذكر بقية كلام الشراح فقال ابن الملك اغنى اسم التفضيل
من غني به عنه غنية اي استغنى به عنه واضافته اما للزيادة المطلقة اي انا غني
من بين الشركا واما الزيادة على من اضيف اليه اي انا اكثر الشركا استغنا عن الشرك لكون
استغنايه من جميع الجهات وفي جميع الاوقات انتهى وفيما ذكره من الوجه الثاني ما لا يخفى وقال
الطيبي اسم التفضيل هنا لمجرد الزيادة والاضافة فيه للبيان او على زعم القوم وفيه
ان وجه الاضافة للبيان يحتاج الى مزيد البيان وكانه اراد ان معناه انا غني مما بينهم
دونهم ثم قال والضمير المنصوب في تركته يجوز ان يرجع الى العمل والمراد من الشرك الشريك
قال النووي معناه انا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيا لي ولغيري لم اقبله بل اتركه مع
ذلك الغير ويدل عليه الحديث الاول من الفصل الثاني اي العامل لما عمل به من الشرك يعني
يختص به ولا يتجاوز عنه وكذا الضمير في منه اقول ويمكن ان يقال معناه انا اغنى كل
من يطلق عليه اسم الشريك كقوله تعالى احسن الخالقين فان كثيرا من الشركا في الدنيا
من الاغنيا اذا وقع لهم سهم مع الفقرا فانهم يسامحونهم به ويعطونهم اياه او يهبونه لواحد
منهم من فقرهم فاذا كان هذا وصف بعض الشركا من الضعفا فكيف بالذي لا شريك له وله وصف
العظمة والكبريا هذا وقال الامام حجة الاسلام درجات الريا اربعة اقسام الاولى وهي اغلظها
ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لا يصلي بل ربما
يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للريا فهو الممقوت عند الله تعالى والثانية
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا
يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الريا يحمله على العمل
فقصد الثواب فيه لا ينفي عنه المقت والثالثة ان يكون قصد الثواب والريا متساويين
بحيث لو كان واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وظواهر
الاخبار تدل على انه لا يسلم راسا براس والرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا مقويا
لنشاطه ولو لم يكن لم يترك العبادة ولو كان قصد الريا وحده لما اقدم فالذي نظنه
والعلم عند الله تعالى انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار
قصد الريا وحده لما قدم فالذي نظنه والعلم عند الله تعالى انه لا يحبط اصل الثواب
ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الريا ويثاب على مقدار قصد الثواب واما
قوله صلى الله عليه وسلم انا اغنى الشركا فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان
قصد الريا ارجح رواه مسلم وكذا ابن ماجة الرواية الاولى وعن جندب مرة كره

قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بتشديد الميم اي من عمل عملا
للسمعة بان نوه بعمله وشهره ليسمع الناس به ويمدحوه سمع الله به بتشديد الميم ايضا
اي شهره الله بين اهل العرصات وفضحه على روس الاشهاد واما ما نقله الطيبي عن
التوربشتي بان معناه من اظهر عمله للناس ريا فهو غير ملايم لمقام التفضيل والتمييز بين
المفسدين من السمعة والريا حيث قال ومن يرائي يرائي الله به باثبات اليائي العلتين على
انه من موصولة مبتدا والمعنى من يعمل عملا ليراه الناس في الدنيا يجازيه الله تعالى به بان يظهر رياه
على الخلق وخلاصة القرينتين وزبدة الجملتين ان المعنى يسمع الله الخلق بكونه مسمعا
ويظهر لهم بكونه مرايا وفي شرح مسلم معنى من يرائي من اظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم
وليس هو كذلك يرائي الله به اي اظهر سريرته على روس الخلايق وفيه ان قيده بقوله وليس
هو كذلك ظاهره انه ليس كذلك بل هو على اطلاق سوا يكون كذلك او لا يكون كذلك ثم قيل
وقيل معناه من سمع بعيوب الناس واذاعها اظهر الله الناس عيوبه وقيل اسمعه المكروه
وقيل اراه الله ثواب ذلك من غير ان يعطيه اياه ليكون حسرة عليه وقيل معناه من اراد
ان يعلمه الناس اسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه قال الشيخ ابو حامد الريا مشتق
من الروية والسمعة من السماع وانما الريا اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارايهم الخصال
المحمودة فحد الريا هو ارادة العبادة بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمرائي له الناس
والمرائي به هو الخصال الحميدة والريا هو قصده اظهار ذلك متفق عليه ورواه احمد
ومسلم عن ابن عباس ولفظه من سمع سمع الله به ومن رائى رائى الله به وعن
ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت اي اخبرني كما قاله شارح فقوله الرجل
يعمل العمل مبتدا وخبر في محل النصب وقال الطيبي اي اخبرنا بحاله فالرجل منصوب بنزع الخافض
والمراد بالعمل جنسه وقوله من الخير بيان له ومن المعلوم ان لا خير في العمل للريا فيكون عمله خالصا ويحمده
الناس عليه اي يثنون عليه على ذلك العمل او على ذلك الخير وفي رواية ويحبه الناس اي يعظمونه عليه
اي على ذلك الخير او لاجل ذلك العمل قال تلك اي المحمدة والمحبة والخصلة او المثوبة عاجل بشرى
المومن اي معجل بشارته واما موجلها فباق الى ايام اخرته وظاهره انه يستوي فيه انه يعجبه حمدهم
ومحبتهم اولا والثاني اولى والاول اظهر وسيجي التصريح به في حديث ابي هريرة من الفصل الاتي
قال المظهر اي اخبرنا بحال من يعمل عملا صالحا لله تعالى لا للناس ويحمدونه هل يبطل ثوابه فقال
صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المومن يعني هو في عمله ذلك ليس مرائيا فيعطيه الله تعالى
به ثوابين في الدنيا وهو حمد الناس له وفي الاخرة ما اعد له رواه مسلم

الفصل الثاني عن

ابي سعد بن ابي فضالة بفتح الفا قال الطيبي ابو اسعد بسكون السين انتهى وقال الجزري هو
تصحيف وقال المولف اسمه كنيته وهو حارثي انصاري يعد في اهل المدينة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم اي لحسابه وجزايه لا ريب فيه اي في وقوع
ذلك اليوم او في حصول ذلك الجمع قال الطيبي اللام متعلق بجمع ومعناه جمع الله الخلق ليوم لا بد من
حصوله ولا تشكوا في وقوعه ليجزي كل نفس بما كسبت وقوله يوم القيامة توطية له ويجوز له ان يكون
ظرفا للجمع كما جا في الاستيعاب اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ليوم لا ريب فيه
الحديث فعلى هذا قوله مظهر وقع مقام المضمر اي جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه
نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا منصوب مفعول اشرك اي احدا غير الله

ولذا قال

ولذا قال فليطلب ثوابه من عند غير الله ولعل وجه العدول عن قوله من عنده ذلك الاحد ما يحصل
به من ابهام الايهام ويخل به مقام المرام فان الله اغنى الشركا عن الشرك فهذا الحديث يويد ما
قررناه اخرا في معنى الحديث الاول فتامل رواه احمد وكذا الترمذي وابن ماجة ورجاله رجال
مسلم الا زياد بن منيا وقد وثقوه ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ذكره ميرك وعن
عبد الله بن عمرو بالواو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بتشديد
الميم اي راهم بعمله اي المطلوب منه ان يخفيه عن نظر الخلق فاظهره لهم فكانه نادى سمع
الله بتشديد الميم ايضا اي سمع به اي بعمله الريائي والسمعة اسامع خلقه اي اذانهم ومحال
سماعهم والمعنى جعله مسموعا لهم ومشهورا فيما بينهم في العقبى او اظهر لهم سريرته وملا اسماعهم
بما ينطوي عليه من خبث سرايره جزا لفعله ويمكن ان يكون الضمير في قوله راجعا الى الموصول
ففي شرح السنة يقال سمعت بالرجل تسميعا اذا اشهرته وقوله اسامع خلقه هي جمع اسمع
يقال سمع واسمع واسامع جمع الجمع يريد ان الله يسمع اسماع خلقه به يوم القيامة وحاصله
ان سامع بالنصب مفعول سمع اي بلغ الله مسامع خلقه انه مرا مزور واشهره بذلك فيما
بين الناس فاسامع جمع اسمع وهو جمع سمع بمعنى الاذن وروي سامع خلقه مرفوعا على
انه صفة لله فالمعنى سمع الله الذي هو سامع خلقه يعني افضحه الله قال صاحب الفايق
في هذه الرواية ولو روي بالنصب لكان المعنى سمع الله به من كان له سمع من خلقه وحقره وصغره
بالتشديد فيهما اي جعله حقيرا ذليلا من الصغار وهو الذل ولا يبعد ان يجعله كالذر صغيرا كما
ورد في المتكبرين والله سبحانه اعلم رواه البيهقي وفي نسخة صحيحة رواه احمد والبيهقي في شعب
الايمان قال ميرك حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني باسانيد احدها صحيح والبيهقي كذا قاله
المنذري وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته اي قصده الاصلي في الامر
العلمي والعملي طلب الاخرة اي مرضاة مولاه جعل الله غناه في قلبه بان جعله قانعا بالكفاف
والكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة وجمع له شمله اي اموره المتفرقة بان جعله مجموع الخاطر
بتهيئة اسبابه من حيث لا يشعر به واتته الدنيا اي ما قدر وقسم له منها وهي راغمة اي ذليلة
حقيرة تابعة له لا يحتاج في طلبها الى سعي كثير بل تاتيه هينة لينة على رغم انفها وانف اربابها
ولذا قيل العلم يعطي ولو يبطي ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر اي جنس الاحتياج
الى الخلق كالامر المحسوس منصوبا بين عينيه وشتت بتشديد التا الاولى اي فرق عليه
امره ولا ياتيه منها اي من الدنيا الا ما كتب له اي وهو راغم فلا ياتيه ما يطلبه من الزيادة على
رغم انفه وانف اصحابه قال الطيبي يقال جمع الله شمله اي ما تشتت من امره وفرق الله شمله
اي ما اجتمع من امره فهو من الاضداد والحديث من باب التقابل والمطابقة فقوله جعل الله
غناه في قلبه مقابل لقوله جعل الله الفقر بين عينيه وقوله جمع له شمله لقوله شتت عليه
امره وقوله واتته الدنيا وهي راغمة لقوله ولا ياتيه منها الا ما كتب له فيكون معنى الاول
واتاه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ومعنى الثاني واتاه ما كتب له من الدنيا وهو
راغم رواه الترمذي اي عن انس ورواه احمد والدارمي عن ابان بفتح همزة وتخفيف
موحدة ينصرف ولا ينصرف وهو ابن عثمان بن عفان تابعي سمع اباه وكثيرا من
الصحابة عن زيد بن ثابت قال ميرك ورواه البزار والطبراني معناه وابن
حبان في صحيحه وعن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله بينما انا في بيتي في

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات

مصلاي اذ دخل علي رجل فاعجبني الحالة التي راني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله
يا ابا هريرة قال الطيبي صدر الحديث اخبار فيه معنى الاستخبار يعني هل تحكم علي هذا انه رياء ام لا
وكذلك طابقه قوله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر اي لاخلاصك واجر العلانية
اي للاقتداء بك او لفرحك بالطاعة وظهورها منك قيل معناه فاعجبه رجاء ان يعمل من راه مثل عمله
فيكون له مثل اجره وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر
من عمل بها ذكره في شرح السنة والاظهر ان اعجابه بحسب اصل الطبع المطابق للشرع من
انه يعجبه انه راه احد على حالة حسنة ويكره ان يراه على حالة قبيحة مع قطع النظر عن ان
يكون ذلك العمل مطمح الريا مطمعا للسمعة فيكون من قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه
الطبراني عن ابي موسى من سرته حسنة وساته سيئة فهو مومن وقد قال تعالى قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالمومن يفرح بتوفيق الاعمال
كما ان غيره يفرح بكثرة الاموال والله اعلم بالاحوال رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
اي اسناده قال ميرك نقلا عن الجزري رحمه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا السياق
من طريق سعيد بن بشر عن الاعمش عن ابي هريرة ثم قال قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث
غريب وظاهر هذا الكلام يدل على ان الترمذي رواه هكذا والذي في الترمذي بغير هذا اللفظ فقال
حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو سنان الشيباني عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي صالح عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه
اعجبه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجران اجر السر واجر العلانية قال ابو عيسى
هذا حديث غريب وقد روى الاعمش وغيره عن حبيب عن ابي صالح عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا انتهى كلام الترمذي والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج في اخر الزمان اي يظهر رجال يختلون بسكون الخاء وكسر التاء اي يطلبون الدنيا بالدين
اي بعمل اهل الاخرة او يستبدلون ذهابها ويختارونها عنه والاظهر ان معناه يخدعون اهل الدنيا
بعمل الدين من ختلته اذا خدعته والمعنى يحتالون في طلبها بملامسة الامور الدينية
والتذرع بالتباسها على وجه الريا والسمعة وسائر الاحوال الدنية كما يدل عليه قوله
يلبسون للناس اي لاجله جلود الضان بسكون الهمزة ويبدل والمراد به عينه او ما
عليه من الصوف وهو الاظهر فالمعنى انهم يلبسون الاصواف ليظنهم الناس زهادا عبادا
تاركين الدنيا راغبين في العقبى من اللين اي من اجل اظهار التلين والتلطف والتمسكن
والتقشف مع الناس وارادوا به في حقيقة الامر التملق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا
مريديهم ومعتقدين لاحوالهم السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذياب
بهمزة ويبدل اي امرهن مرارتها من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة البغض والعداوة
لاهل التقوى وغلبة الصفات البهيمية والشهوات الحيوانية والارادات النفسانية
كما قال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في
قلبه وهو الد الخصام اي على الطعام وعلى تحصيل مال الحرام يقول الله ابي اي بامهالي
يغترون اي بعدم انتقامي اهمل ولا اهمل والمراد بالاغترار هنا عدم الخوف من الله تعالى
وترك التوبة من فعلهم القبيح اي افلا يخافون من سخطي وعقابي ام علي اي علي
مخالفتي يجترئون اي يمكرهم الناس في اظهار الاعمال الصالحة افتعال من الجرءة ولذا

رجل م

ومـــــ لله عز وجل

قيل الاجترا الانبساط والتشجع قال الطيبي ام منقطعة انكر اولا اغترارهم بالله وباهماله اياهم حتى اغتروا ثم
اضرب عن ذلك وانكر عليهم ما هو اعظم منهم وهو اجتراؤهم على الله فبي اي فبذاتي وصفاتي حلفت لابعثن
من البعث اي لاسلطن او لاقضين على اولئك اي الموصوفين بما ذكر منهم اي مما بينهم بتسليط بعضهم بعض
افتنة تدع الحليم اي تترك العالم الحازم فضلا عن غيره وفي بعض النسخ للمصابيح الحكيم بالكاف بدل
الحليم باللام والمودي واحد فيهم اي فيما بينهم حيران اي حال كونه متحيرا في الفتنة لا يقدر على
دفعها ولا على الخلاص منها لا بالاقامة فيها ولا بالفرار منها قال الاشرف من في منهم يجوز ان يكون للتبيين
بمعنى الذين والاشارة الى الرجال والتقدير على اولئك الذين يختلون الدنيا بالدين وان
يجعل متعلقا بالفتنة اي لابعثن على الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشية منهم
رواه الترمذي وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك اي تكاثر خيره وبره
وتعالى اي تعظم ان يدرك كنهه قال لقد خلقت خلقا اي جمعا من المخلوقين السنتهم احلى من
السكر اي لما يظهر عليهم من الوعظ والذكر اثر الصبر والشكر وقلوبهم امر من الصبر ضبط
في اكثر النسخ بكسر الباء وفي بعضها بسكونها وفي القاموس الصبر ككتف ولا يسكن الا في ضرورة
الشعر عصارة شجر مر والمشهور على السنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء ولعله ماخوذ من
لغات الكتف فيكون من باب النقل تخفيفا فبي لاتيحنهم من الاتاحة بمعنى التقدير يقال اتاح الله
لفلان كذا اي قدره له وانزله به فالفعل من باب الحذف والايصال فالمعنى لاتيحن لهم فتنة
تدع الحليم فيهم حيران فبي يغترون بتقدير الاستفهام ام علي يجترئون رواه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وعن ابي هريرة قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل شيء شرة بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء الحرص على الشيء والنشاط فيه والرغبة ولكل شرة
فترة بفتح الفاء وسكون التاء اي وهنا وضعفا وفي نسخة برفعها والمعنى ان العابد يبالغ في
العبادة في اول امره وكل مبالغ يفتر ويسكن حدته ومبالغته ولو بعد حين فان صاحبها فاعل
فعل دل عليه قوله سدد اي قصد السداد والاستقامة او اقتصد في امره على مداومته
الطاعة والعبادة وقارب اي دنا من التوسط واحترز عن الافراط والتفريط فارجوه اي ان يكون
من الفائزين فان من سلك الطريق المتوسط يقدر على مداومته لكن لا تقطعوا له فان الله
هو الذي يتولى السرائر وان اشير اليه بالاصابع اي وان اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهورا
بالزهد والعبادة وصار مشهورا ومشارا اليه فيها فلا تعدوه اي شيئا ولا تعتقدوه صالحا
لكونه من المرائين حيث جعل اوقات فترته عبادة وهو لا يتصور الا فيما يتعلق به ريا وسمعة
وايضا اذا اقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد في العبادة وحصل له عجب وغرور فصار من الهالكين
الا ان يتداركه الله بفضله وجعله من المخلصين وتوضيحه ان الانسان يشتغل بالاشيا
على حرص شديد ومبالغة عظيمة في اول الامر ثم ان تلك الشرة يتبعها فترة فان كان مقتصدا
محترزا عن جانبي الافراط والتفريط وسالكا طريق المستقيم فارجوا كونه من الفائزين
الكاملين وان سلك طريق الافراط حتى يشار اليه بالاصابع فلا تعتقدوا ولا تعولوا عليه
فانه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بانه من الخاسرين ولا تعدوه منهم كما لا ترجوه كما
رجوتم المقتصد اذ قد يعصم الله في صورة الافراط والشهرة كما انه قد يعفو عن صاحب
التفريط والرعي المقتصر في العبادة قال الطيبي ويؤيد هذا التاويل الحديث الذي يليه
والاستثنا فيه متروك ما القسم الثالث لظهوره رواه الترمذي ورواه البيهقي عن ابن

عمر مرفوعا ولفظه ان لكل شي شره ولكل شره فترة فمن كانت فترته الي سنتي فقد اهتدي ومن كانت فترته
الي غير ذلك فقد هلك وعن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال بحسب امر البلاء ان يشار اليه اي
يكفيه من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا فانه من اشتهر بخصلة فلا يسلم من الافات
الخفية كالكبر والعجب والريا والسمعة وغير ذلك من الاخلاق الدنية الا من عصمه الله اي
حفظه الله في مقام تقواه ولذا اختار طايفة من الصوفية طريقة الملامية في كتمان العبادات
الدينية واظهار الشهوات النفسية الدنية قيل للحسن البصري ان الناس قد اشاروا اليك
بالاصابع فقال لايريد النبي صلي الله عليه وسلم ذلك وانما عني به المبتدع في دينه والفاسق
في دنياه انتهي ووجهه ان الاشارة انما تكون في البدعة والغرابة لكن قد توجد في الكثرة
المجاوزة عن حد العبادة فيحصل به الاشارة والشهرة فتارة تفضي بصاحبها الي الريا
والسمعة والطمع من الناس في المنزلة وتارة يعصمه من نظر ما سواه فلا يلتفت الي
الغير ويعرف ان الغير لا يقدر علي دفع الشر ولا جلب الخير ولا اعتبار بالخلق مدحا وذما
لا في العبارة ولا في الاشارة كما ورد لا يؤمن احدكم حتي يكون الخلق عنده كالاباعر فهذه
حالة فيها اشارة الي كمال البشارة لكنه منزلة اقدام الرجال ومزلقة اقدام الجبال فانه ما
ابلد عوي وما اعسر المعني وتوضيحه ما ذكره الطيبي باحسن عبارة وازين اشارة حيث
قال ومن الحالة يعني حب الرياسة والجاه في قلوب الناس هو من اخر غوايل النفس ومواطن
مكايدها يبتلي به العلما والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الاخرة من
الزهاد فانهم مهما قهروا انفسهم وفطموها من الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر
علي اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة علي الجوارح فطلبت
الاستراحة الي التظاهر بالخير واظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة
الي لذة القبول عند الخلايق فلم يقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الله ولم تقنع بحمد الله وحده
فاحب مدحهم وتركهم بمشاهدته وخلاصته واكرامه وتقديمه في المحافل فاصابت
النفس في ذلك اعظم اللذات والذ الشهوات وهو يظن ان حياته بالله تعالي وبعباداته
وانما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمي عن دركها الا العقول النافذة قد اثبت
اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن انه عند الله من عباده المقربين فهذه مكيدة للنفس
لا يسلم عنها الا الصديقون من المخلصين وكذلك قيل ما اخر ما يخرج من روس الصديقين حب
الرياسة وهو اعظم شبكة للشياطين فاذن المحمود هو الخمول الا من شهره الله تعالي لنشر دينه
من غير تكلف منه كالانبيا والمرسلين والخلفا الراشدين والعلما المحققين والسلف الصالحين
والحمد لله رب العالمين رواه البيهقي في شعب الايمان اي عن انس وعن ابي هريرة ايضا
علي ما في الجامع الفصل الثالث عن ابي تميمة قال المولف هو طريف بن مجالد
الجهيمي البصري كان اصله من عرب اليمن فباعه عمه وهو تابعي روي عنه نفر من الصحابة
وعنه قتادة وغيره مات سنة خمس وتسعين قال شهدت صفوان واصحابه
الظاهر ان المراد به صفوان بن سليم الزهري مولي حميد بن عبد الرحمن بن عوف
تابعي جليل القدر من اهل المدينة مشهور روي عن انس بن مالك ونفر من التابعين
كان من خيار عباد الله الصالحين يقال انه لم يضع جبهته علي الارض اربعين سنة ويقولون
ان جبهته ثقبت من كثرة السجود وكان لا يقبل جوايز السلاطين ومناقبه كثيرة روي عنه

[illegible] وجل

ابن عيينة ذكره المولف ثم الظاهر ان المراد باصحابه اتباعه في العلم والعمل وجندب اي حضرتهم والحال
ان جندبا بن عبد الله بن سفيان البجلي وهو من اكابر الصحابة يوصيهم بالتخفيف ويشدد
والمعني بعضهم في الاستقامة علي المجاهدة او زيادة العبادة او بالاقتصاد في الطاعة رويا
الاحتراز عن الريا والسمعة وعن الاشارة والشهرة والاظهار اخبار لما يدل عليه
السوال والجواب فقالوا هل سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم شيا اي من الاحاديث
فحدثنا به واقتدانا من كلامه فانه اقوي تاثيرا والطف تعبيرا قال سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة سبق مبناه ومعناه ومن شاق صيغة
المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة فالمعني ان من شق علي نفسه بان يكلفها فوق
طاقتها او شق علي غيره بان حمله فوق استطاعته ومنه قوله صلي الله عليه وسلم لولا ان اشق
علي امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال الطيبي الطف ليشمل فتامل شق الله وفي
نسخة صحيحة شاق الله عليه يوم القيامة قالوا اي الصحابة للنبي صلي الله عليه وسلم بدلالة
المقام علي ذكرهم وهو الظاهر او صفوان واصحابه لجندب علي ما هو المتبادر من قاعدة
رجوع الضمير اوصنا فقال ان اول ما ينتن بضم اوله اي ما يفسد من الانسان بطنه اي في الدنيا
لانه محل النتن او في القبر بالتفقع فمن استطاع ان لا ياكل الا طيبا اي حلالا فليفعل ما استطاع او معناه
فليتحمل فان من عرف ان مال الماكول من الاحوال فلا ينبغي له ان تجتهد في لذات النفس من طريق
الوبال ولو بتقليل من المال وقد انشد ابن ادهم وما هي الا جوعة قد سددتها وكل طعام بين جنبي واحد
فتكلف الطيبي حيث قال نتن البطن كناية عن معصية النار وانما يفتقر الي هذا التاويل ليطابق
قوله فمن استطاع ان لا ياكل الا طيبا اي حلالا ونظيره قوله تعالي ان الذين ياكلون اموال اليتامي
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ولا دلالة علي ان اول ما يمس النار منه هو البطن ومن استطاع ان لا
يحول اي من قدر ان لا يمنع بينه وبين الجنة او دخولها او لامع الفايزين ملا كف من دم اهراقه
بفتح الها وسكون اي صبه فليفعل اي ما استطاع مما ذكر وقلله بقوله ملا كف اشارة الي ان
القليل يحول فكيف بالكثير وقيل اشعار الي تسفيه القايل بان فوت الجنة علي نفسه بهذا
الشي الحقير المتنزل رواه البخاري وذكره السيوطي في باب نتن الميت وبلا جسده الا
الانبيا ومن الحق بهم من كتابه شرح الصدور في احوال القبور اخرج البخاري من
حديث جندب البجلي اول ما ينتن من الانسان بطنه انتهي والظاهر من عبارته
ان الحديث بكماله مرفوع والله اعلم وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه انه خرج يوما
الي مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبي صلي
الله عليه وسلم يبكي فقال اي عمر ما يبكيك اي اي شي يحملك بالبكا اي شوقا الي المقام وخوفا
من الله بعض البلا او غير ذلك من اسباب البكا قال يبكيني شي سمعته من رسول الله صلي
الله عليه وسلم جواب سوال مقدر بقوله ان يسير الريا اي قليله شرك اي عظيم ونوع من
الشرك يعني وهو في غاية من الخفا لانه ادق من دبيب النملة السودا علي الصخرة الصافي
الليلة الظلمة وقل ما يسلم منه الا الاقويا فكيف الضعفا فهو من جملة اسباب البكا وسبب اخر
اذي الاوليا وغالبهم اخفيا لما في الحديث القدسي اوليايي تحت قبايي لا يعرفهم غيري
والانسان لا يخلو عن بذاذة اللسان مع الاخوان مما يجر الي العصيان وكانه اراد هذا
المعني بقوله ومن عادي اي اذي واغضب بالفعل او القول لله وليا اي واحدا من اوليايه

تعالى فقد بارز الله اي اظهر له نفسه بالمحاربة وفي التعبير عن المخالفة بالمحاربة اشارة الى انها
جراة عظيمة وجناية جسيمة قال الطيبي قوله لله لا يجوز ان يكون متعلقا بعادي فهو اما
متعلق بقوله وليا او صفة له قدم فصار حالا منه ان الله يحب الابرار اي الذين يعملون عمل
البر وهي الطاعة للحق والاحسان للخلق ولذا قال بعض العارفين مدار الدين على
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله الاتقيا اي عن الشرك الجلي والخفي وعن
المناهي والملاهي الاخفيا اي عن نظر الخلق من عامتهم وعن مخالطتهم ومعاشرتهم الذين
اذا غابوا اي من غاية الخمول لم يتفقدوا بصيغة المجهول ففي القاموس تفقده طلبه عند
غيبته ومنه قوله تعالى وتفقد الطير وان حضروا اي فيما بينهم لم يدعوا بصيغة المجهول اي لم
يطلبوا الى الدعوة وغيرها ولم يقربوا بالمجهول ايضا اي ولم تقربهم العامة ولم يعرفوا قدرهم ومقدار
منزلتهم قال الطيبي قوله ان الله استئناف مبين لحقيقة الولي وذكر لهم احوالا ثلاثا اذا كانوا
سفرا لم يتفقدوا واذا كانوا حاضرين لم يدعوا الى مادبة وان حضروها لم يقربوا وتركوا في صف
النعال وهذا تفصيل ما ورد رب اشعث اغبر لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره قلوبهم مصابيح الهدى
اي هم ادلة الهداية وهداة الغاية فيستحقون الرعاية بل ينبغي ان يطلب منهم الحاجة يخرجون
من كل غبراء مظلمة اي من عهدة كل مسالة مشكلة وبلية معضلة وقال الطيبي كناية عن حقارة
مساكنهم وانها مظلمة مغبرة لفقدان ادات ما يتنور به ويتنظف رواه ابن ماجة اي في سننه والبيهقي
في شعب الايمان وقد جلي صدر حديث من احاديث الاربعين مما رواه البخاري عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب قال اي اعلمته بمحاربته
ومعاداته معي او باني ساحاربه واقهره وانتقم منه وانتقم له دفعي روايته واني لاغضب لاوليائي كما
يغضب الليث الحروي لولده وفيه اخرى انه ينتقم بعد وصف الولي بحسب التركيب يدل على القرب فكانه
قريب منه سبحانه لاستغراقه في نور معرفته وجماله وجلاله وكمال مشاهدته واختلفوا
في تعريفه فقال المتكلمون الولي من كان اتيا بالاعتقاد والصحيح المبني على الدليل وبالاعمال الصالحة
اي كذلك ويؤيده ما قاله بعض الكبراء انه ان كان العلماء ليسوا باولياء فليس لله ولي وقال الغزالي الولي
من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر باصلاح الناس وفي كلمة منها نظر اذ اكثر الاولياء لا سيما من
السلف الصالحين لم يظهر عليهم كرامة وكشف حالة بخلاف بعض الخلف المتاخرين فقيل
لقوة قلوب الاولين وضعف دين الاخرين ولان الاولياء هم العلماء العاملون لا شك انهم كاملون
في انفسهم مكملون لغيرهم فهم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود
الله والواعظون عن الاشتغال بما سواه كما اشار اليه الحديث بقوله مصابيح الهدى
فطوبى لمن بهم اقتدى وبنورهم استضا واهتدى فالاقرب في معناه ما ذكره
القشيري من ان الولي اما فعيل من المفعول وهو من يتولى الله حفظه وحراسته
على التوالي او بمعنى الفاعل اي من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها
من غير تخلل معصية وكلا الوصفين شرط في الولاية انتهى كلامه وفيه اشعار بان او
للتنويع واياما في الاول الى المجذوب والسالك المعبر عنه بالمراد وقد اشار اليهما سبحانه
في قوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وتحقيقه ان يقال الولي
هو من يتولى الله بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل
ولا وصف فهو الفاني بيد الباقي كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشا حتى

يمحو

يمحو رسمه واسمه فيمحو عينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه ويوصله الى لقائه وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا صلى في العلانية فاحسن اي في ادا صلاته
بالقيام بشرائط واجباته وسننه ومستحباته وكذا في سائر طاعاته وعباداته او صلى في السر اي
في الخلوة عن الخلق فاحسن اي عمله اكتفاء بنظر الحق قال الله تعالى هذا اي العبد عبدي اي المخلص لي
حقا اي صدقا خاليا عن ان يكون عمله في العلانية نفاقا ولعل هذا هو السر في حقه صلى الله عليه
وسلم ليصلي السنن والنوافل في البيت رواه ابن ماجة وعن معاذ بن جبل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يكون اي يوجد ويحدث في اخر الزمان اقوام اي جماعة كثيرة او
مختلفة متفرقة اخوان العلانية اعداء السريرة اي احباء في الظواهر واعداء في السرائر ذكرهما
من غير عطف على سبيل التعداد ومن قبيل الخبر بعد الخبر قال الطيبي في مفردة فيها
وفي قرينتها الجوهري السر ما يكتم والسريرة مثله فقيل يا رسول الله وكيف يكون ذلك
اي ما ذكر وما يكون سببه قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض اي بسبب طمع طائفة منهم
الى اخرى ورهبة بعضهم اي خوفهم من بعض والحاصل انهم ليسوا من اهل الحب في
الله والبغض لله بل امورهم متعلقة بالاغراض الفاسدة والمقاصد الكاسدة فتارة
يرغبون في قوم لاغراض فيظهرون لهم الصداقة وتارة يكرهون قوما لعلل فيظهرون
لهم العداوة وخلاصته انه لا عبرة بمحبة الخلق وعداوتهم فانهما مبنيتان على غرضهم
وشهوتهم وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
يرائي اي مرائيا فقد اشرك اي شركا خفيا كما سيجي مصرحا فيما يليه من حديثه ومن
صام يرائي فقد اشرك فيه اشعار ان الريا له مدخل في الصيام ايضا خلافا لمن نفاه وعلله
بان مدار الصوم على النية ولا يدخل فيها الريا ولا عبرة بعدم اكله وشربه مع عدم صحة الطوية
فانا نقول الريا لا يتصور في الصوم لكن الريا قد يكون على وجه الاشتراك بان يريد به وجه
الله ويريد به ايضا التشهير او غرضا سواه سوا يكون المقصدان متساويين او متغالبين
على ما يتقدم تفصيل المرام في كلام الامام حجة الاسلام ومن تصدق يرائي فقد اشرك رواهما
اي الحديثين احمد وعنه اي عن شداد انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شي اي يبكيني شي سمعته
اي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه استئناف من على اصله يقول اي حال كونه قائلا
وفيه نوع من التاكيد فذكرته اي المسموع او المقول فابكاني اي فصار ذكره سببا لحزني
وبكائي وفيه نوع من الاجمال ولذا استانف ببيانه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اتخوف قال الراغب الخوف توقع امر مكروه عن امارة مظنونة او معلومة والتخوف
ظهور الخوف من الانسان انتهى والظاهر ان التا للمبالغة والمعنى اخاف خوفا كثيرا على امتي
الشرك اي الخفي ويدل على صحة تقديرها ما جا في رواية اخرى ما اخاف على امتي الاشراك
بالله والشهوة الخفية اي التي لا يدركها الا اصحاب الرياضات الرضية والمجاهدة القدسية والمخالفات
النفسية قال قلت يا رسول الله اتشرك بالتذكير ويؤنث امتك من بعدك قال نعم اما بالتخفيف
للتنبيه على انه لا يريد به الشرك الجلي انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا
ولا صنما ونحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص ولكن يراءون باعمالهم وقد قال تعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والشهوة الخفية ان يصبح احدهم
صائما اي ناويا للصوم فتعرض بكسر الراء مرفوعا ومنصوبا اي فتظهر له شهوة من شهواته

اي كالاكل والجماع وغيرهما ذكره الطيبي والاظهران المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة غريزة
الجود من بني مشتهياته وبحيث لا توجد في جميع اوقاته فيميل اليها بالطبع ولا يلاحظ
مخالفته للشرع حيث قال تعالي ولا تبطلوا اعمالكم والنفل يلزم بالشروع فيجب تمامه
فيترك صومه اي وهو حرام عليه من غير ضرورة داعية اليه قال الطيبي يعني
اذا كان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالي فيعرض له شهوات من شهوات نفسه
يرجح جانب النفس علي جانب الله تعالي فيتبع هوي نفسه فيوديه ذلك الي الهلاك
والردي قال تعالي فاما من طغي واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوي واما من
خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة هي الماوي انتهي وفيه ان المراد
بالهوي في الاية الشهوة الجلية وهي المحرمات والامور المنهية ثم قال وسمي خفيا
لخفا هلاكه او مشاتمه لقوله المشرك لان المراد منه الشرك الخفي بدلالة ما ذكر في
الحديث الاتي انتهي وفيه انه لا يظهر وجه المشابهة لا في الاطلاق ولا في التقييد
بحسب المقابلة رواه احمد اي في مسنده والبيهقي في شعب الايمان قال
ميرك ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي الجامع الشهوة الخفية والريا شرك رواه
الطبراني عن شداد ورواه ابن ماجة عنه ولفظه ان اخوف ما اخاف علي امتي الاشراك
بالله اما اني لست اقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة
خفية وعن ابي سعيد اي الخدري كما في نسخة قال خرج علينا رسول الله
صلي الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال الا اخبركم قال الطيبي ليست
للتنبيه بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام يعني بقرينة لا في جوابهم
والمعني الا اعلمكم بما هو اخوف عليكم اي لعمومه وخفايه عندي اي في شان يعني وطريقتي من المسيح
الدجال اي لخصوص وقته ولظهور مقته فيجب عليكم رعايته محافظته فقلنا بلي يا رسول الله قال
الشرك الخفي ان يقوم بدل مما قبله او التقدير هو ان يقوم الرجل فيصلي بالرفع والنصب وكذا
قوله فيزيد اي في الكمية او الكيفية صلاته اي في جميع اركانها او بعضها لما يري من نظر رجل
اي مخلوق متلفت اليه ولم يكتف باطلاعه سبحانه عليه رواه ابن ماجة وعن محمود بن
لبيد انصاري اشهلي ولد في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وحدث عنه احاديث قال
البخاري له صحبة وقال ابو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين وقال ابن عبد
البر الصحيح قول البخاري ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر قالوا يا رسول الله صلي الله عليه وسلم وما الشرك الاصغر فيه دلالة علي ان
التعبير بالشرك الاصغر وقع في هذا الحديث اولا قال الريا اي جنس الريا والسمعة
من الظهور والخفا رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان يقول الله لهم اي للمرائين يوم
يجازي الحرمي العباد علي بنا الفاعل ونصب العباد وفي نسخة علي بنا المفعول ورفع
العباد باعمالهم اي ان خيرا فخير وان شرا فشر اذهبوا اي ايها المراوون الي الذين كنتم تراؤون اي
في حسن العبادة او اصلها تطرهم تراعون فانظروا هل تجدون عندهم جزا وخيرا الواو لمطلق الجمع
وكما في نسخة او عطف تفسير والله اعلم قال الحافظ المنذري حديث محمود بن لبيد هذا
رواه احمد باسناد جيد وابن ابي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو ان رجلا عمل عملا في صخرة اي في داخل حجر صلب فرضا

اوفي

وقيـــد عز وجل

اوفي جوف كهف جبل لا باب لها ولا كوة بفتح الكاف وتضم وتشديد الواو اي طاقة وقيل هي بالفتح اذا
كانت غير نافذة وبالضم اذا كانت نافذة فالاولي ولي لانها في باب المبالغة علي خرج عمله الي الناس
اي ظهر عليهم كاينا اي ذلك العمل ما كان اي من الاعمال ونصب كاينا علي الحال اي حال كونه ذكره
اي شي كان خيرا او شرا من الاقوال والافعال وفي نسخة من كان فالتقدير كاينا ذلك العامل
او صاحب العمل من كان اي سوا اراد ظهوره او لم يرده لقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون وعن
عثمان بن عفان بلا صرف ويصرف رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
من كانت بالتانيث وفي نسخة من كان له سريرة اي طوية صالحة او سيئة اظهر الله منها
اي من تلك السريرة ردا اي علامة من هيبة وصورة يعرف به اي يمتاز به عن غيره كما يعرف
بالردا كونه الرجل من الاعيان او غيره من الاعوان وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه عن النبي
رضي الله تعالي عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال انما اخاف علي هذه الامة اي امة الاجابة كل منافق
بالنصب والمعني ما اخاف عليهم الا من كل منافق اي سرا وفاسق يتكلم بالحكمة اي بالشريعة
والموعظة الحسنة ويعمل بالجور اي بالظلم والسيئة ويبعد عن جادة الاستقامة وقال العر
الطيبي حيث جوز ان يكون كل منافق مجرورا بدلا من هذه الامة فانه يقتضي ان يكون
التقدير ما اخاف الا علي كل منافق ولا يخفي فساده اللاحق سوا جعل بدل الكل والبعض
فان المبدل ح يكون في قوة المطروح ونفي الاهتمام بشان البدل فتامل ثم لا يبعد استدراكه
بقوله اي اخاف عليهم من النفاق فان هذا المعني صحيح في نفس الامر بالوفاق روي البيهقي
الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وعن المهاجرين حبيب لم يذكره المولف في اسمايه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني لست كل كلام الحكيم اي جميع قول العالم وهو مفعول
مقدم لخبر ليس اتقبل لاني لا انظر الي الاقوال وحركة اللسان بل انظر الي الاحوال وبركة الجنان
ولكن اعني قوله ولكني اتقبل همه اي نيته ولو كانت في اوايل مراتب الخواطر وهواه اي
وقصده المقرر في الاواخر لان نية المومن خير من عمله حتي له الاجر علي طول امله ولو بعد
حلول اجله فان كان همه وهواه في طاعتي اي في موافقتي جعلت صمته اي سكوته حمدا
لي اي بمنزلة الثنا اللساني علي وقارا اي سكينة وطمانينة ورزانة في الحكم ومتانة في العلم
ولو لم يتكلم اي بالحمد ونحوه ومفهومه فان كان همه وهواه في معصيتي اي مخالفتي جعلت
كلامه كله وزرا وان تكلم بالحمد واظهر علما وذكرا رواه الدارمي اي في مسنده باب البكا
والخوف جمع بينهما تنبيها لتلازمهما غالبا وقدم البكا ولو سببه الخوف لظهوره اولا او لازدياد
التخوف التفهيم فذكره بعوالكا لتتميم ثم البكا بالقصر خروج الدمع مع الحزن وبالمد خروجه
مع رفع الصوت كذا قيل والمد اشهر والظاهر ان المراد به هنا المعني الاعم فحمله علي التجريد في
احد معنييه هو الاتم الفصل الاول عن ابي هريرة قال قال ابو القاسم صلي الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم اي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة
وكشف السراير وخبث النيات لبكيتم جواب القسم الساد مسد جواب لو كثيرا اي بكا كثيرا او زمانا
كثيرا من خشية الله ترجيحا للخوف علي الرجا وخوفا من سوء الخاتمة ولضحكتم قليلا وكان
الحديث مقتبس من قوله تعالي فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال الغزالي هذا الحديث من الاسرار
التي اودعها قلب محمد الصادق الامين ولا يجوز افشا السر فان صدور الاحرار قبور الاسرار بل كان
يذكر ذلك حتي يبكوا ولا يضحكوا فان البكا ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله استشعار عظمته

وهيبته وجلاله والضحك ينتجه القلب الغافل عن ذكره فبالحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتفود
من القلب الغافل رواه البخاري اي من حديث ابي هريرة وهو متفق عليه من حديث انس
وكذا رواه الترمذي والنسايي ذكره ميرك وفي الجامع رواه احمد والشيخان والترمذي والنسايي
وابن ماجة عن انس والحاكم عن ابي هريرة ورواه الضيا عن ابي ذر وزاد ولما ساغ لكم الطعام
والشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابي الدردا ولفظه لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا
ولضحكتم قليلا ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى لا تدرون تنجون او لا تنجون
وسياتي هذا الحديث في الفصل الثاني مطولا وروي ان ذا المنادي ينادي من السما
ليت هذه الخلق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لما خلقوا وعن الصديق الاكبر انه
قال وددت اني اكون خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر الفاروق انه سمع انسانا
يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت بل ورد عنه
صلى الله عليه وسلم في رواية انه قال ليت ربي محمدا لم يخلق محمدا وعن الفضيل انه قال
اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هولا يعاينون يوم القيامة انما
اغبط من لا يخلق وعن ام العلا الانصارية هي من المبايعات روى عنها خارجة بن زيد بن
ابن ثابت وهي امه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها في مرضها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله لا ادري وفي نسخة والله لا ادري مكررا وانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جملة حالية ما يفعل بي ولا بكم مفعول لا ادري ودخول لا لمزيد التاكيد ليفيد اشتمال
النفي على كل واحد من القبيلين على حدة قال الطيبي فيه وجوه احدها ان هذا القول منه
حين قالت امراة عثمان بن مظعون لما توفي هنيا لك الجنة زجرا لها على سوء الادب بالحكم
ونظيره قوله لعايشة حين سمعها تقول طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة قلت لا يخفى
ان هذا سبب ورود الحديث وزمان صدوره ولا مدخل له في ازالة اشكال مضله وثانيها
ان يكون هذا منسوخا بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما ذكره ابن عباس في
قوله تعالى لا ادري ما يفعل بي ولا بكم قلت وفيه ان النسخ على تقدير صحته تاخير الناسخ انما
يكون في الاحكام لا في الاخبار كما هو مقرر في الاعتبار وثالثها ان يكون نفيا للدراية المفصلة لا
الجملة قلت هذا هو الصحيح ورابعها ان يكون مخصوصا بامور الدنيوية من غير نظر الى سبب
الى ورود الحديث قالت وهذا مندرج فيما قبله والحكم بطريق الاعم هو الوجه الاتم والمراد من
الامور الدنيوية بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم عليه هي الجوع والعطش والشبع والري والمرض
والصحة والفقر والغنى وكذا حال الامة وقيل المعنى اخرج من بلده ام اقتل كما فعل بالانبيا قبلي
وارتفون بالحجارة ام يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم والحاصل انه يريد نفي علم الغيب عن نفسه
وانه ليس بمطلع على المكنون قال التوربشتي لا يجوز حمل هذا وما ورد في معناه على ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مترددا في عاقبة امره غير متيقن بما له عند الله من الحسنى لما ورد عنه
صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك واني يحمل على
ذلك وهو المخبر عن الله تعالى انه يبلغه المقام المحمود انه اكرم الخلايق على الله تعالى وانه
اول شافع واول مشفع الى غيره لك رواه البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرضت على النار اي اظهرت لي ولعلها فرايت فيها امراة من بني اسرايل اي مومنيهم تعذب
في هرة اي في شان هرة ولاجلها وفي نسخة في هرة لها ربطتها استيناف بيان فلم تطعمها اي

كفايتها

كفايتها ولم تدعها اي ولم تتركها تاكل بالرفع والجملة حال اي تصيد وتاكل من خشاش الارض بفتح
الخا المعجمة ويكسر ويضم ففي القاموس الخشاش مثلثة حشرات الارض وقال ابن الملك هو
بفتح الخا المعجمة وكسرها وضمها والفتح اظهر وفي النهاية وروي بالحا المهملة يابس النبات
وهو وهم حتى ماتت اي الهرة جوعا ورايت عمرو بن عامر الخزاعي بضم الخا المعجمة نسبة الى بني
خزاعة قبيلة مشهورة قال التوربشتي هو اول من سن عبادة الاصنام بمكة وحمل اهلها بالتقرب
اليها بتسييب السوايب وهو ان يترك العابة فتسيب حيث شات فلا ترد عن حوض
ولا علف ولا يتعرض لها بركوب ولا حمل وكانوا يسيبون العبيد ايضا بان يعتقوهم ولا يكون الولا
للمعتق ولا على المعتق حجر في ماله فيصنعه حيث شا وقد قال له انه سايبة يجر اي يجذب
قصبه بضم قاف فسكون صاد مهملة اي امعاوه في النار وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم كوشف
من سايبة كان يعاقب به في النار بجر قصبه في النار لانه استخرج من باطنه بدعته جريها
الجبهة الى قومه الجريية وكان اول من سيب اي وضع تحتهم السوايب جمع سايبة وهي
ناقته سيبها الرجل عند برية من المرض او قدومه من السفر فيفعل ناقتي سايبة فلا
يمنع من المرعى ولا ترد عن حوض ولا عن علف ولا يحمل عليها ولا يركب ولا يجلب وكان
ذلك تقربا منهم الى اصنامهم هي ناقته ولدت عشر اناث على التوالي ذكره ابن الملك رواه مسلم
اي من حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر واتفق هو والبخاري على اخراج
حديث الهرة عن ابن عمر وعن ابي هريرة ايضا اليس فيه ذكر عمرو بن عامر لكن روى احاديث عمرو
من حديث ابي هريرة كذا نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع رايت عمرو بن عامر الخزاعي
يجر قصبه في النار وكان اول من سيب السوايب وبحر البحاير يعني اذا نتجت الناقة خمسة
ابطن بحر اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وعن زينب بنت جحش احدى
امهات المومنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا بفتح فكسر اي خايفا
يقول لا اله الا الله ويل للعرب ففي القاموس الويل حلول الشر وهو تفجيع انتهى وخص بذلك
العرب لانهم كانوا معظم من اسلم من شر اي خروج جيش يقاتل العرب قد اقترب اي قرب
ذلك الشر في غاية القرب بيانه قوله فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج بالالف وبهمز
فيهما بلا انصراف والمراد بالردم السد والاسم والمصدر فيه سوا وهو السد الذي بناه ذو
القرنين مثل هذه بالرفع على انه نايب الفاعل لقوله فتح الاشارة الى الحلقة المبينة بقوله
وحلق بتشديد اللام اي جعل حلقة باصبعه اي بضمها الابهام والتي تليها بالنصب
على انه مفعول حلق او على تفسير الاصبعين بتقدير اعني ويجوز جرهما على البدلية
والمراد انه لم يكن في ذلك الردم ثقبة الى اليوم وقد انفتحت فيه اذ انفتاحها من علامات
قرب الساعة فاذا انشقت خرجوا وذلك بعد خروج الدجال كما سياتي قريبا وياجوج
وماجوج جنسان من بني ادم وطايفتان كافرتان من الترك قالت زينب يا رسول الله افنهلك
بصيغة المجهول من الاهلاك وفي نسخة صحيحة بفتح النون وكسر اللام وفينا الصالحون
اي انعذب فنهلك نحن معشر الامة والحال اي بعضنا مومنون وفينا الطيبون الطاهرون
ويمكن ان يكون من باب الاكتفا على تقدير الا ستعنا اي وفينا الصالحون ومنا القاسطون قال نعم
نهلك الطيب ايضا اذا كثر الخبث بفتحتين اي الفسق والفجور والشرك والكفر وقيل معناه
الزنى والمقصود ان النار اذا وقعت في موضع واشتدت اهلكت الرطب واليابس وغلبت على الطاهر

والجنس ولا تفرق بين المومن والمنافق والمخالف والموافق وسياتي ان الله اذا انزل بقوم
عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم وفي نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون
اي الفواحش والفسوق او معناهما واحد متفق عليه وروى ابو داود والحاكم عن ابي هريرة
ويل للعرب من شر قد اقترب افلح من كف يده وعن ابي عامر هو عم ابي موسى الاشعري واسمه
عبيد بن وهب او ابي مالك الاشعري ويقال له الاشجعي واسمه مختلف فيه وقد اخرج
حديثه البخاري بالشك فقال عن ابي مالك الاشعري او ابي عامر قال اي احدهما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن من امتي كذا هو في نسخ البخاري اي من جملتهم
ووقع في المصابيح في امتي اقوام اي جماعات يستحلون الخز بفتح الخا المعجمة وتشديد الزا نوع من
الحرير ردية والحرير تخصيص بعد تعميم او المراد بالنهي عن الخز هو الركوب عليه وفرشه للوطي
لانه من الاسراف وهو مكروه والا فلا ونهيه عن لبسه فانه مشروب شيخ وصوف وابريسم
نعم اذا كان لحمته حرير وسداة غيره ممنوع لبسه الا في الحرب بخلاف العكس فانه قطعي
مشروع لبسه والمعازف بفتح الميم اي الات اللهو يضرب بها كالطنبور والعود والمزمار
ونحوها والمعنى يعدون هذه المحرمات حلالات بايرادات شبهات وادلة واهيات
منها ما ذكره بعض علمائنا من ان الحرير انما يحرم اذا كان ملتصقا بالجسد واما اذا لبس
من فوق الثياب فلا باس به فهذا يفيد من غير دليل نقلي ولا عقلي ولا طلاق كلام
الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة
وكثير من الامرا والعوام اذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون لو كان حراما ما لبسه القضاة
وعلما الاعلام فيقعون في استحلال الحرام وكذلك لبعض العلما تعلقات بالمعازف يطول
بيانها فاعرضنا عن تفسير شانها فانه يحتاج الى مصنف مستقل في تبيانها وهذا
الحديث مويد لقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
بغير علم وروى ابن ابي الدنيا في ذم الملاهي عن انس مرفوعا ليكونن في هذه الامة
خسف وقذف ومسخ وذلك اذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا المعازف
اي اذا فعلوا هذه الا شيا مستحلين لها ولينزلن اقوام اي منهم على ما هو الظاهر من
استحقاقهم العذاب الى جنب علم اي الى جبل يروح اي يسير عليهم بسارحة لهم اي
ماشية لهم والبا زايدة في الفاعل وقيل الصواب يروح عليهم رجل بسارحة ذكره الطيبي
والاظهر ان الفعل نزل منزلة اللازم والتقدير يقع السير عليهم بسير ماشية وفيه اشارة
لطيفة الى انهم في سيرهم تابعون لحيوانهم على مقتضى الطباع الحيوانية والشهوات
النفسانية وتاركون متابعة العلما بالايات القرانية والاحاديث النورانية ولذا وقعوا
فيما وقعوا ولا وجوه وعلى ما فعلوا اخرا وفي الاظهر ان الفاعل ضمير مفهوم من
السياق اي باتيهم راعيهم كما يسارحة اي ماشية لهم يسرح بالغدوة يتنقون
بالبانها واوبارها ياتيهم رجل لحاجة اي ضرورية والاظهر مقصود من ان ياتيهم
الناس ومن ان يحصل لهم باحد من المومنين شي من الاستيناس فيقولون
اي تعللا او بخلا وتنزلا ارجع الينا غدا اي مقتضي حاجتك ولتودي طلبتك
من غير ان يقولوا ان شا الله فيبيتهم الله بالتشديد اي يهلكهم الله بالليل فانه
ادهى بالويل ويضع العلم اي الجبل على بعضهم ما يدل عليه قوله ويسقط ويضع وقوله

حتي صح

ويمسخ

ويمسخ اخرين قردة وخنازير اي ويحول صورهم او صور بعضهم الى صور القردة والخنازير
فيكون نصبها بنزع الخافض وايصال الفعل اليها ففي القاموس مسخه كمنعه حول
صورته الى اخرى ولعل المراد ان شبابهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير لكثرة ذنوب
الكبار وتخفيف امر الصغار فان القرد يبقى فيه نوع من المعرفة وصنف المشابهة لجنس
الانساني وقوله الى يوم القيامة اشارة ان مسخهم استدامة الى الموت وان من مات فقد قامت
قيامته ويمكن ان يكون حشرهم على تلك الصور ايضا رواه البخاري اي وكذا ابو داود
وروى الطبراني عن ابي امامة ليبيتن اقوام من امتي على اكل ولهو ولعب ثم ليصبحن
قردة وخنازير وفي بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء المكسورة والدال اي المخففة المهملتين
وهو تصحيف وانما هو بالخاء المفتوحة والزاي المشددة المعجمتين نص عليه الحميدي
اي الجامع بين الصحيحين ومن الاثير اي صاحب جامع الاصول في هذا الحديث وفي كتاب
الحميدي عن البخاري اي روايته عنه ايضا وكذا في شرحه اي شرح البخاري للخطابي تروح
قيل بالتانيث ويجوز تذكيره بل هو الاظهر فتقدير عليهم سارحة لهم اي نفر الى الجارة
بانيهم لحاجة اي بحذف الفاعل والتقدير ياتيهم الاتي والمحتاج والرجل على ما يفهم
من السياق وللاسماعيلي ياتيهم طالب حاجة على ما ذكره العسقلاني والله اعلم
ثم للشراح هنا مباحث شريفة واجوبة لطيفة منها قول الشيخ التوربشتي
الحر بتخفيف الرا الفرج وقد صحف هذا اللفظ في كتاب المصابيح وكذلك صحفه
بعض الرواة من اصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخا والزاي المنقوطتين حتى
ثبت لهم انه صحف او اتبع رواية بعض من لم يعلم والخز لا يحرم حتى يستحل ولقد
وجدته من الناس من اعتنى بخط من كان يعرف بعلم الحديث وحفظه فقد كان
قيده بالخا والزاي المنقوطتين حتى ثبت له انه صحف او اتبع رواية بعض من لم
يعلم ومنها قوله ايضا يرجع عليهم بسارحة سقط منهم فاعل يروح فالتبس المعنى على
من لم يعلم به وانما الصواب يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذا رواه مسلم في كتابه
وانما السهو من المولف لانا وجدنا النسخ سايرها على ذلك ومنها قوله ويضع العلم
سقط كلمة وهي عليهم انتهى ويويده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح المصابيح
من ان الحر بحا مهملة مكسورة ورا مهملة مخففة واصله الحرح فحذفت الحا الاخيرة وجمعه
حراح والحر الفرج يعني قد يكون جماعة في اخر الزمان يرتون انه اذا رضي الزوج والمراة
حل منها جميع انواع الاستمتاعات ويقولون المراة مثل البستان فكما ان لصاحب
البستان ان يبيح ثمرة بستانه لمن شا فكذلك الزوج ان يبيح زوجته لمن شا والذين
لهم هذا الاعتقاد هم الحرفيون والملاحدة واما لبس الحرير فهو حرام على الرجال ومن اعتقد
حله فهو كافر وفي هذا الحديث اختلف نسخ المصابيح في موضعين احدهما في الحر فانه في بعض
النسخ بالخا والزا المعجمتين والصواب ما قلنا فانه ذكر في سنن ابي داود بالحا والرا المهملتين
والموضع الثاني في قوله يروح عليهم رجل بسارحة لهم ففي بعض النسخ هكذا وفي بعضها
يروح عليهم من غير لفظ رجل والرجل مذكور في سنن ابي داود وافاد هذا الحديث
انه يكون في اخر الزمان نزول الفتن ومسخ الصور فليجتنب المومن المعاصي كيلا يقع
في العذاب ومسخ الصور قال الطيبي بعد نقله كلام الشارح الاول اما قوله فقد

قسطلاني ج ٨ ٢٧٧

ويعتقدون صح

صحف الخز فجوابه ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في هذا الحديث بعد ما روي فيستحلون
الخز بالخاء والزاء المعجمتين قلت معارضة الخصم لا تصلح ان يكون جوابا قاله والذي ذكره ابو
اسحاق الحربي في باب الحاء والراء المهملتين من هذا في شي انما هو حديث اخر عن ابي
ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول دينكم نبوة ورحمة ثم ملكا ورحمة وجبرية
ثم ملك عض يستحل فيه الحر والحرير يريد استحلال الحرام من الفروج وهذا لا يتفق
مع الذي اخرجه البخاري وكذلك اخرجه ابو داود في السنن في كتاب اللباس
في باب الخز ولباسه وانما ذكرنا ذلك لان من الناس من يتوهم في ذلك شيا
فبيناه وحديث ابي ثعلبة ليس من شرط الصحيح ثم كلامه اي كلام ابي اسحاق
وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية في باب الحاء والراء المهملتين قلت كونه حديثا
اخر مسلم لكنه مويد للمنازع فيه بل نص في المعنى المراد ولا يضره انه ليس على شرط
الشيخين اذا ثبت صحته والاصل توافق الاحاديث لان بعضها يفسر بعضا لا سيما
والخز بالزاي ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله من الكفريات ثم رايت في الجامع الصغير
ان ابن عساكر روى عن علي مرفوعا اوشك امتي ان تستحل فروج النسا والحرير واما قوله ثانيا
والخز له يحل حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الاثير في النهاية في حديث علي انه نهى عن ركوب
الخز والجلوس عليه والخز المعروف في الزمن الاول ثياب تنسج من صوف وابريسم وهي
مباحة وقد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لاجل التشبيه بالعجم وزي
المترفين وان اريد بالخز النوع الاخر وهو المعروف الان فهو حرام لان جميعه معمول من الابريسم
وعليه يحمل الحديث الاخر يعني هذا الحديث يستحلون الخز والحرير ثم كلامه اي كلام
ابن الاثير وفيه ان كون الركوب على الخز وفراشه مكروها مع ان الحبيب كذلك لا يقتضي ان
استباحته كفر يوجب العذاب لا سيما والخز لغة واصطلاحا منه صلى الله عليه وسلم
كان من جملة المباحات فكيف يصح ان يحمل عليه واما على ما تعورف عند بعض الناس من
حمل الخز على الابريسم فيبعد كلامه صلى الله عليه وسلم ان يفسر به لا سيما مع وقوع تكراره
مع صريح لفظ الحرير والاصل التغاير بين المتعاطفين قال الطيبي فلم يعطف الحرير على
الخز والاول مكروه والثاني حرام على المعنى الاول وعلى الثاني يلزم عطف الشي على نفسه
او كيف يحرم وانه لم يكن مصطلحا ح والجواب عن الاول انه صلى الله عليه وسلم ذهب الى
التغليب لارادة التغليظ قلت التغليب تغلب وعن ظاهره تقلب قال والجواب عن الثاني
انه عطف بيان وعن الثالث بانه اخبار عن الغيب فكان معجزة قلت عطف البيان مسلم لو كان
الخفي منه يطلق على الحرير واما جعله معجزة فانه يطلق بعده على الحرير ففي غاية من البعد قال واما
قوله ثالثا سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى فجوابه انه ما التبس منه بل رواه البخاري
كما في المصابيح ولكن الحميدي والخطابي وصاحب جامع الاصول ذكروا تروح عليهم بسارحة بالتا
المقيدة بنقطتين من فوق ورفع سارحة على الفاعلية فوجب ان يقال البازائدة على ان البا زائدة
في الفاعل كما استدل بقول امرء القيس شعر
الا هل اتاها والحوادث جمة بان امرء القيس بن تملك بيقرا قلت لا شك في وقوع
الالتباس على تلك النسخة وزيادة البا في النسخة وزيادة البا في الفاعل من مختصات
كفى والبيت ليس نصا في المعنى بل الاظهر فيه حذف الفاعل على ما جوزه بعضهم

قال واما

قال واما نسبة ابي مسلم وانه روى في كتابه كذا فسهو لاني ما وجدت الحديث في كتاب مسلم فليس
وقد اورده الحميدي في افراد البخاري فحسب وصاحب جامع الاصول رواه عن البخاري
وابي داود قلت من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي والشيخ ثقة
محقق لا سيما وهو في صدد الاحتجاج قال واما قوله رابعا وقد سقط منه كلمة عليهم فاني
ما وجدت في الاصول هذه الكلمة مثبتة قلت تكفينا المدعي بالاقرار مع اثبات وجوده
في بعض واسنده الى مسلم واسناده مسلم ثم قال فان قلت كيف يكون نزول بعضهم الى
جنب علم ورواح سارحتهم عليهم ودفع ذا الحاجة بالمطل والتسويف سببا لهذا
العقاب الاليم والنكال الهايل العظيم قلت انهم لما بالغوا في الشح والمنع بولغ في العذاب
وبيان ذلك ان في ايثار ذكر العلم على الجبل ايذانا بان المكان مخصب ممنع ومقصد
لذوي الحاجات فيلزم منه ان يكونوا ذوي ثروة ومويلا للملهوفين فلما دل خصوصية
المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان في قوله تروح عليهم سارحتهم ونفديه
بعلى المنبهة للاستعلا على ان ثروتهم ح اوفر والطف واوان احتياج الواردين اليهم
اشد واكثر لانهم احوج ما يكونون ح وفي قولهم ارجع الينا غدا ح ما ح لمعنى الكذب
وخلف الموعد واستهزا بالطالب فاذا تبين ما هلون قلت هذا الحكم لم يعد استحقاق العذاب
الشديد مع المسخ المقرر لانه لا يوجد في غير اهل الكفر فالصواب ما قررناه وفيما سبق
قد زناه وحررناه قال واما قلنا ان العلم يدل على الشهرة والمقصد لقول الخنساء في مدح
اخيها كانه علم في راسه نار ينبهت به على ان اخاها مشهور وموقد وملجا للملهوفين وما من
للمضطرين فان رواح السارحة دل على وفور الثروة وظهورها كقوله تعالى ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قدمت الاراحة
على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملا البطون حافلة الضروع ثم
ادرت الى الحظائر قال الخطابي فيه بيان ان المسخ قد يكون في هذه الامة وكذلك الخسف
كما كانا في سائر الامم خلاف قول من زعم ان ذلك لا يكون انما مسخها بقلوبها اقول ما جاء في
الاحاديث من نفيها فهو اما محمول على اول زمان الامة فهو عام خص منه اخر الزمان بهذا
الحديث واما محمول على مسخ جميع الامة وخسفهم والمثبت منهما ما وقع لبعضهم والله اعلم
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب
العذاب من كان فيهم اي جميعهم الصالحين والطالحين ثم بعثوا اي يوم القيامة على اعمالهم
اي بعث الصالح على عمله وكذا الطالح قال المظهر يعني اذا اذنب بعض القوم نزل العذاب
بجميع من كان في القوم سوا فيه المذنب وغيره بشؤمه ولكنهم يجزون يوم القيامة على
حسب اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر متفق عليه اي من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب
عنهما فيعد ذكره ميركن فكان حق المولف ان يسنده الحديث الى عمر رضي الله عنه وعن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اي يحشر يوم القيامة كل عبد على ما مات عليه اي من
العمل خيرا كان او شرا فيجازي به رواه مسلم وكذا ابن ماجة وكذا في رواية احمد عن ابي هريرة
مرفوعا يبعث الناس على نياتهم الفصل الثاني عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما رايت فيه معنى التعجب اي ما علمت مثل النار اي شرة وهو لا تنام هاربها
مفعول ثان ويمكن ان يكون رايت بمعنى ابصرت فيكون الجملة صفة اي حال اي صار غافلا

مطلب

عنها وينبغي للهارب من عذاب النار ان يفر من عمل الفجار ولا مثل الجنة اي من نعمة ونزلا نام طالبها وينبغي له ان يجد كل الجد في امتثال الاوامر ليدرك الجد رواه الترمذي ورواه الطبراني في الاوسط عن انس وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون اي ابصر ما لا تبصرون بقرينة قوله واسمع ما لا تسمعون ثم بين سماعه لقربه ولكونه نتيجة ما راه بقوله اطت السما بتشديد الطا من الاطيط وهو صوت الاقتاب واطيط الابل اصواتها وحنينها على ما في النهاية اي صوتت وحق بصيغة المجهول اي ويستحق وينبغي لها ان تئط اي تصوت ثم بين سببه وهو ما راه من الكثرة بقوله والذي نفسي بيده ما فيها اي ليس في السما حينئذ موضع اربعة اصابع بالرفع على انه فاعل الظرف المعتمد على حرف النفي والمذكور بعد الا في قوله الا وملك حال منه اي وفيه ملك واضع جبهته لله ساجدا اي منقادا ليشمل ما قيل ان بعضهم قيام وبعضهم ركوع وبعضهم سجود كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم او خصه باعتبار الغالب منهم او هذا مختص باحدى السموات والله اعلم ثم اعلم ان اربعة بغير ها في جامع الترمذي وابن ماجة ومع الها في شرح السنة وبعض نسخ المصابيح وسببه ان الاصبع يذكر ويونث قال الطيبي ان كثرة ما فيها من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى قلت ما المحوج عن عدول كلامه صلى الله عليه وسلم من الحقيقة الى المجاز مع امكانه عقلا ونقلا حيث صرح بقوله واسمع ما لا تسمعون مع انه يحتمل ان يكون اطيط السما صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد لقوله سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده لا سيما وهي معبد المسبحين والعابدين ومنزل الراكعين والساجدين والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرشات بضم الفا والرا جمع فرش فهو جمع الجمع للمبالغة ولخرجتم اي من منازلكم الفليات الى الصعدات بضمتين اي الى الصحاري واختيار الجمع للمبالغة والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق وطرقات والصعيد هو الطريق وفي الاصل التراب اي لخرجتم الى الطرقات البراري والصحاري وعمر الناس كما يفعل المحزون لبث الشكوى والهم المكنون والاظهر ان الصعيد هو وجه الارض وقيل التراب ولا معنى له هنا قال التوربشتي المعنى لخرجتم من منازلكم الى الجبانة متضرعين الى الله تعالى ومن حال المحزون ان يضيق به المنزل فيطلب الفضا الخالي لبث شكوايه تجارون الى الله اي تتضرعون اليه بالدعا ليرفع عنكم البلا قال ابو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد بصيغة المجهول اي تقطع وتستاصل وهذا نشا من كمال خوفه من عذاب ربه رواه احمد والترمذي وابن ماجة قال التوربشتي قوله يا ليتني هو من قول ابي ذر ولكن ليس في كتاب احد ممن نقل هو عن كتابه قال ابو ذر بل ادرج في الحديث ومنهم من قال قيل هو من قول ابي ذر وقد علموا انه بكلام ابي ذر اشبه والنبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالله من يتمنى عليه حالا هي اوضع عما هو فيه ثم انها ما لا تكون قال الطيبي في جامع الترمذي وجامع الاصول هكذا تجارون الى الله لوددت اني شجرة تعضد وفي رواية ان ابا ذر قال لوددت اني شجرة تعضد وروي عن ابي ذر موقوف وفي سنن ابن ماجة كما في المتن ونسخ المصابيح قال ابو ذر يا ليتني الى اخره وللبحث فيه مجال وعن ابي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف اي البيات والاغارة من العدو وقت السحر ادلج اي سار اول الليل او من خاف فوت المطلوب اسهر في طلب المحبوب ومن ادلج اي بالسهر بلغ المنزل اي وصل الى المطلب قال الطيبي هذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لسالك الاخرة فان الشيطان على طريقه والنفس وامانيه الكاذبة اعوانه فان تيقظ في سيره واخلص النية في عمله امن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق باعوانه ثم ارشد الى ان سلوك طريق الاخرة صعب وتحصيل الاخرة متعسر لا يحصل بادنى سعي فقال الا بالتحقيق ان سلعة الله اي متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى وزيادة غالية بالغين المعجمة اي رفيعة القدر الا ان سلعة الله اي الغالية الجنة اي العالية والمعنى ثمنها الاعمال الباقية المشار اليها بقوله سبحانه والباقيات الصالحات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا والمومى اليها بقوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة رواه الترمذي وكذا الحاكم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله جل ذكره اي عظم ذكره وفخم ذكره وما احسن موقع ذكره في هذا المقام من حيث انه توطية لذكره في الايام وخوفه في كل مقام اخرجوا من النار من ذكرني اي بشرط كونه مومنا مخلصا يوما اي وقتا وزمانا او خافني في مقام اي مكانا في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى قال الطيبي اراد الذكر بالاخلاص وهو توحيد الله عن اخلاص القلب وصدق النية والا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي وتقييدها بالطاعة والا فهو حديث نفس وحركة لا يستحق ان يسمى خوفا وذلك عند مشاهدة سبب ما يل واذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لا كفرت واذا قلت نعم كذبت اشار به الى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي رواه الترمذي اي في سننه والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية والذين يوتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوه من الزكاة والصدقات وقرا يأتون ما اتوا بالقصر اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة اي خايفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللايق فيواخذون به وتمامه انهم الى ربهم راجعون اي لان مرجعهم الى الله اولئك يسارعون في الخيرات اي يرغبون اشد الرغبة فيبادرونها وهم لها سابقون اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة قال الطيبي هو كذا في نسخ المصابيح وهي القراة المشهورة ومعناه يعطون ما اعطوا وسوال عايشة رضي الله تعالى عنها لهم الذين يشربون الخمر ويسرقون لا يطابقها وقراة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتون ما اتوا بغير مد اي يفعلون ما فعلوا وسوالها مطابق لهذا القران وهكذا في تفسير الزجاج والكشاف فانت مودى القراتين واحد لان المراد بالقراة الشاذة المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم قبل قطع طرق التواتر يفعلون ما فعلوه من الطاعة لما ظنت عايشة ان المراد به ما فعلوه من المعصية ولا المعنى الاعم من الخير والشر لعدم مطابقته لقوله سبحانه اولئك يسارعون في الخيرات قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لا اي ليس هم او ليس المراد

من الاية امثالهم بابنت الصديق وفي نسخة باابنة الصديق وفي هذا النداء منقبة عظيمة لها
ولابيها علي وجه التحقيق فكانه قال ليس كذلك وانت الصادقة علي ماهو المتعارف من حسن
الادب بين الاحباب ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون فهذا تفسير لقوله تعالي
والذين يوتون ما اتوا علي القراتين غايته ان في كل نوع منها تغليب فالمشهورة ظاهرها متعلق
بالعبارة المالية والشاذة متعلق بالطاعة البدنية علي ان المشهورة يمكن ان يقال في تفسيرها
يعطون من القسم ما اعطوا من الطاعة فيشمل النوعين من العبادة وهم يخافون ان لا يقبل منهم
اي لانهم يخافون مما يدل عليه قوله تعالي اولئك يسارعون في الخيرات فانه لا يصح ان يحمل علي
شربة الخمر وسرقة المال وسائر السيئات رواه الترمذي وابن ماجة وعن ابي بن كعب قال
كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا ذهب ثلث الليل قام فقال يا ايها الناس اراد به النائمين من
اصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالي والتهجد وفي هذا
ماخذ للمذكرين من المنادين وانه ينبغي لهم ان لا يقوموا قبل مضي الثلثين من الليل وفيه
اشارة الي استحباب القيام في الثلث الاخير من الليل استحبابا موكدا اذكروا الله اي بوحدانية
ذاته وسائر صفاته اذكروا الله اي عقابه وثوابه لتكونوا بين الخوف والرجا وممن قال تعالي
فيهم تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وفي نسخة اذكروا الله ثلاث
مرات اي الاه ونعماه وسراه وضراه جات الراجفة فيه اشارة الي قوله تعالي يوم ترجف
الراجفة عبر بصيغة الماضي لتحقق وقوعها فكانها جات والمراد انه قارب وقوعها فاستعدوا
لتهوين امرها والراجفة هي الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ من الارض والجبال لقوله
تعالي يوم ترجف الارض والجبال او مجاز عن الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهذا
المعني انسب بالحديث في هذا المقام وهي النفخة الاولي تتبعها الرادفة اي التابعة
وهي السما والكواكب وتنشق وتنتشر او النفخة الثانية وهي التي يحيي فيها الخلق والجملة
في موقع الحال او استئناف بيان لما يقع بعد الرجفة قال الطيبي اراد بالراجفة النفخة
الاولي التي يموت منها جميع الخلق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد
اذا تمخض واراد بالرادفة النفخة الثانية ردفت النفخة الاولي انذرهم صلي الله عليه
وسلم باقتراب الساعة لئلا يغفلوا عن استعدادها جا الموت بما فيه اي مع ما فيه من
الشدايد الكاينة في حالة النزع والقبر وما بعده وفيه اشارة الي ان من مات فقد قامت
قيامته فهي القيامة الصغري المائلة الي القيامة الكبري جا الموت بما فيه لعل الاول
بيان ما وقع وتحقق لمن قبلنا لموعظة لنا فقد ورد كفي بالموت واعظا والثاني اشارة الي
قريب مجيئه للموجودين وهذا التاسيس لتسديد الموسس علي التاكيد اولي من
حمل الكلام علي التاكيد رواه الترمذي قال المنذري رواه احمد والترمذي والحاكم وصححه
وقال الترمذي حديث حسن صحيح وعن ابي سعيد قال خرج النبي صلي الله عليه وسلم لصلاة
اي لاداء صلاة والظاهر المتبادر من مقتضي المقام انها صلاة جنازة كانت انه عليه الصلاة
والسلام اذا راي جنازة روئيت عليه كابة اي حزن شديد واقل الكلام فراي الناس كانهم
يكتشرون اي يضحكون من الكشر وهو ظهور الاسنان للضحك ولعل التا للمبالغة ففي القاموس
كشر عن اسنانه ابدي يكون في الضحك وغيره انتهي فيوخذ منه انهم جمعوا بين الضحك
البالغ والكلام الكثير وقال التوربشتي اي يضحكون والمشهور في اللغة الكشر قال

اما بالتخفيف لتنبيه عن نوم الغفلة الباعث علي الضحك والمكالمة اكثروا اكثرتم من ذكر هادم اللذات بالدال المهملة
في اصل السيد واكثر النسخ المعتبرة وفي بعضها بالذال المعجمة واقتصر عليه السيوطي في حاشية الترمذي
وفي القاموس هذم بالمعجمة قطع واكل بسرعة وبالمهملة نقض البنا والمعني لو اكثرتم من ذكر قاطع اللذات
لشغلكم عما اري اي من الضحك وكلام اهل الغفلة الموت بالجر تفسير لهادم اللذات او بدل منه
لما ياتي فيما بعده وبالنصب باضمار اعني وبالرفع بتقدير هو الموت فاكثروا ذكر هادم اللذات
اي الموجودة المحمولة للاغنيا والمفقودة المسولة للفقرا فهو موعظة بليغة للطايفتين
ومن القريب ان ذكر الموت يحيي القلب النايم والنوم اخو الموت وكان شيخنا العارف بالله
تعالي العلي مولانا نور الدين علي المتقي يحمل كيسا مكتوبا عليه لفظ الموت يعلق في رقبة
المريد ليستفيد منه انه قريب غير بعيد فيقصر امله ويكثر عمله وكان بعض الصالحين من
السلاطين امر واحدا من امرايه ان يقف دايما من ورايه يقول الموت الموت ليكون دوامه
ثم انه صلي الله عليه وسلم بين للصحابة وجه حكمة الامر باكثار ذكر الموت واسبابه بقوله
فانه اي الشان لم يات علي القبر يوم اي وقت وزمان الا تكلم اي بلسان القال او بيان الحال
وفي رواية زيادة فيه اي في ذلك اليوم انا بيت الغربة اي فكن في الدنيا كانك غريب وانا
بيت الوحدة اي فلا ينفع الا التوحيد وشهود الواحد القهار وانا بيت التراب اي اصل كل
حي مخلوق فمن مرجعه التراب ينبغي ان يكون مسكينا ذا متربة لئلا يفوته جنسه المناسبة
وانا بيت الدود اي فلا ينبغي ان يكون همتكم ونهمتكم في استيفا اللذات من الماكول والمشروب
لان مال امرها الي الفنا ولا ينفع في ذلك المكان الا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل قيل
يتولد الدود من العقوبة وتاكل الاعضا ثم ياكل بعضها بعضا الا ان تبقي دودة واحدة
فتموت جوعا واستثنا الانبيا والشهدا والاوليا والعلما من ذلك فقد قال صلي الله
عليه وسلم ان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا وقال تعالي في الشهدا ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا والعلما العاملون المعبر عنهم بالاوليا احرهم
افضل من دما الشهدا واذا دفن العبد المومن قال له القبر او ما يقوم مقامه مرحبا
اي اتيت مكانا واسعا لرقدتك واهلا اي وحضرت اهلا لمحبتك اما بتخفيف الميم للتنبيه
ان كنت انه كنت فانه مخففة من المثقلة واللام فارقة بينها وبين ان النافية في قوله لاحب
وهو افعل تفضيل بني للمفعول اي لا فضل من يمشي علي ظهري اي متعلق باحب فاذا
بسكون الذال وابعد الطيبي حيث قال وجاذ معني التقليل والصحيح انه هنا ظرف محض
والعلة والسبب كونه مومنا اي تحيي وليتك من التولية مجهولا او من الولاية معلوما
اي صرت قادرا حاكما عليك اليوم هذا الوقت وهو ما بعد الموت والدفن وصرت الي اي
مقهورا ومحبوبا فستري اي ستبصر او تعلم صنيعي بك من الاحسان اليك بالتوسيع
عليك قال اي النبي صلي الله عليه وسلم وانما اعاده لطول الكلام ولئلا يتوهم ان ما بعده من
كلام الراوي تفسير للمرام فيتسع اي فيصير القبر وسيعا وفي رواية فيوسع له اي
للمومن مد بصره اي من كل جانب حقيقة او كشفا او مجازا عن عدم التضييق حسا ومعني
وفيه كناية عن تنويره ايضا ويفتح له باب الي الجنة اي ويعرض له مقعده منها باتيه من
روحها ونسيمها ويشم من طيبها وتتوسع عينه بما يري فيها من حورها وقصورها وانهارها
واشجارها واثمارها واذا دفن العبد الفاجر اي الفاسق والمراد به الفرد الاكمل

ووصه الله عز وجل

وهو الفاسق بقرينة مقابلته لقوله العبد المومن سابقا ولما سياتي من قول القبر له لكونه ابغض
من يمشي على ظهره ومنه قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الاية او الكافر شك
من الراوي لا للتنويع وقد جرت عادة الكتاب والسنة على بيان حكم الفريقين في الدارين
والسكوت عن حال المومن الفاسق سترا عليه او ليكون بين الرجا والخوف ولا اثبات
المنزلة بين المنزلتين كما توهمت المعتزلة فقال له القبر لا مرحبا ولا اهلا اما ان كنت لابغض
من يمشي على ظهري فاذا وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم فيلتئم اي ينضم القبر عليه حتى تختلف اضلاعه اي يدخل بعضها في بعض
وفي رواية حتى تلتقي وتختلف اضلاعه قال اي الراوي قال اي اشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم باصابعه اي من اليدين الكريمتين فادخل بعضها وهو اصابع اليد اليمنى
في جوف بعض وفيه اشارة الى تضييق القبر واختلاف الاضلاع حقيقي لا انه مجاز
عن ضيق الحال وان الاختلاف مبالغة فانه على وجه الكمال كما توهم بعض ارباب النقصان
حتى جعلوا عذاب القبر روحانيا لا جسمانيا والصواب ان عذاب الاخرة ونعيمها متعلقان
بها قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ويقيض بتشديد اليا المفتوحة اي يسلط ويوكل له اي
بخصوصه والا فهو عليه سبعون تنينا بكسرتين وتشديد النون الاولى مكسورة
اي حية عظيمة يقال له ازدر بالفارسي وبالعربي افعى وعدد السبعين يحتمل التحديد
والتكثير ويويد الثاني ما ذكر في الاحيا عن ابي هريرة مرفوعا هل تدرون فيما
ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في
قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما التنين تسعة
وتسعون راس يخدشه ويلحسه وينفخه في جسمه الى يوم القيامة انتهى لو ان واحدا منها
نفخ بالخا المعجمة اي تنفس في الارض ما انبتت اي الارض شيا اي من الانبات او النبات ما
بقيت الدنيا اي مدة بقايها فينهسه بفتح الها وسكون السين المهملة اي يلدغه في القاموس
نهس اللحم كمنع وفرح اخذه بمقدم اسنانه ونتفه ويخدشه اي يجرحه حتى يفضي بضم
فسكون ففتح ضاد معجمة اي يوصل به اي بالكافر الى الحساب اي وثم الى العقاب وفيه
دليل على ان الكافرين يحاسب خلافا لما توهم بعضهم ان الكافر يدخل النار بغير حساب
اللهم الا ان يقال المراد بالحساب الجزا واما ظواهر الايات من قوله ومن خفت موازينه
فيصرح في حسابهم نعم يمكن ان يكون بعضهم من العصاة العتاة يدخلون النار
من غير حساب والاكتساب كما يدخل بعض المومنين المبالغين في الصبر والتوكل
على ما سبق بغير حساب والله اعلم بالصواب قال اي الراوي وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي في هذا المحل او في وقت اخر فتامل انما القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النار بصيغة الافراد لمناسبة لفظة الجنة وفي نسخة النيران لمناسبة
جميع الحفر ولان المراد بالجنة الجنان قال الطيبي قوله من حفر النار كذا في جامع الترمذي
وجامع الاصول واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها النيران بالجمع رواه الترمذي قال السيوطي
وحسنه واخرج الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في جنازة فجلس الى قبر فقال ما ياتي على هذا القبر من يوم الا وهو ينادي
بصوت طلق ذلق يا ابن ادم كيف نسيتني الم تعلم اني بيت الوحدة وبيت الغربة

وبيت الوحشة وبيت الضيق الا من وسعه الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القبر روضة وفي نسخة اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قال سفيان
الثوري من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده
حفرة من حفر النار وعن ابي جحيفة بضم الجيم وفتح الحا المهملة وبالفا ذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم توفي ولم يبلغ الحلم ولكنه سمع منه وروى عنه ابنه عون وجماعة من
التابعين قال قالوا اي بعض الصحابة قد تبين عليك اثار الضعف قبل اوان الكبر ولعل المراد
منه ظهور كثرة الشعر الابيض عليه لما رواه الترمذي عن انس قال ما عددت في راس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربعة عشر شعرة بيضا قال شيبتني هود بغير انصراف وفي
نسخة بالصرف قيل ان جعل هود اسم السورة لم يصرف والا صرف فالمضاف مقدر اقول لانه
اذا لم يصرف كماه وجوز واذا صرف كان التقدير سورة هود ويويده ما في نسخة صحيحة سورة
هود واخواتها اي واشباهها من السور التي فيها ذكر القيامة والحوادث النازلة بالامم الماضية
اخذ مني ما اخذه حتى شبت قبل اوان المشيب خوفا على امتي وذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت باي اية قال قوله فاستقم كما امرت قال الامام محي الدين وذلك
ان الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل الى طرفي الافراط والتفريط في الاعتقادات والاعمال
الظاهرة والباطنة عسر جدا قلت لا شك ان الاستقامة خير من الف كرامة لكونها اصعب من جنس
القيامة مع انها ارق من الشعر وامر من الصبر واحد من السيف واحر من الصيف لكن حمل الحديث
على الاية غير ظاهر لقوله واخواتها المفسرة بالسور الاتية التي ليس فيها ذكر الاستقامة فاما ان
يقال المقصود من ذكر القيامة واهوالها النار واهوالها انما هو تحصيل الاستقامة للتخليص عن
الندامة والملامة فكانها مذكورة في جميعها او يقال الجواب للنايم كان على طبق ما يناسبه من المقام
الذي هو فيه والتحريض على ما هو المطلوب منه فيكون من باب اسلوب الحكيم والله سبحانه اعلم
رواه الترمذي اي عن ابي جحيفة ورواه الطبراني عن عقبة ابن عامر وعن ابي جحيفة
ايضا وزاد ابن مردويه عن ابي بكر قبل المشيب وعن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله
قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات بالرفع ويجوز كسرها على الحكاية وعم يتساءلون واذا
الشمس كورت يعني وامثالها مما فيه ذكر القيامة واهوالها رواه الترمذي وكذا الحاكم ورواه ايضا
عن ابي بكر ورواه ابن مردويه عن سعد ورواه سعيد بن مظعون في سننه عن انس وابن
مردويه عن عمران بلفظ شيبتني هود واخواتها من المفصل وفي رواية لابن مردويه عن
انس شيبتني سورة هود واخواتها الواقعة والقارعة والحاقة واذا الشمس كورت وسال
سايل وذكر حديث ابي هريرة لا يلج النار اي لا يدخلها من بكى في خشية الله الحديث بطوله
في كتاب الجهاد اي فاسقط للتكرار

الفصل الثالث

عن انس قال انكم لتعملون
اعمالا اي عظيمة في نفس الامر تستصغرونها وتعدونها من المكروهات وهذا معنى قوله
هي ادق في اعينكم من الشعر قال الطيبي عبارة عن تدقيق النظر في العمل وامعانه فيه والمعنى
انكم تعملون اعمالا وتحسبونها انكم تحسنون صنعا وليس كذلك في الحقيقة كنا نعدها اي
تلك الاعمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمانه من الموبقات بكسر الموحدة
يعني المهلكات تفسير من احد الرواة اي يريد انس بالموبقات المهلكات ومنه قوله تعالى
وجعلنا بينهم موبقا بفتح الميم اي مهلكا رواه البخاري وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب اي صغايرها وخصها فانه ربما يسامح صاحبها فيها بعدم تداركها بالتوبة وبعدم الالتفات بها في الخشية غفلة انه لا صغيرة مع الاصرار وان كل صغيرة بالنسبة الي عظمة الله وكبريايه كبيرة والقلية منها كثيرة ولذا قد يعفو الله عن الكبيرة ويعاقب علي الصغيرة كما يستفاد من قوله تعالي ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واما قوله تعالي ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم فمعناه نكفر عنكم سياتكم الصغيرة بسبب العبادات المكفرة لكن بشرط اجتنابكم الكباير لا بمجرد اجتناب الكباير علي ما ذهب اليه المعتزلة والله اعلم فان لها اي للمحقرات من الذنوب من الله اي من عنده سبحانه طالبا اي نوعا من العذاب يعقبه فكانه يطلبه طلبا لامرد له فالتنوين للتعظيم اي طالبا عظيما فلا ينبغي ان يغفل عنه بل ينبغي ان يخشي منه وقال الطيبي قوله من الله طالبا هو من باب التجريد كقول القايل شعر

دني الرحمن للضعفا كاف • واقول الظاهر في قول القايل

ان معناه وفي رحمة الرحمن للضعفا كفاية فان اسم الفاعل قد ياتي بمعني المصدر كما هو مذكور في مقامه المقرر رواه ابن ماجة اي في سننه والدارمي اي في مسنده والبيهقي في شعب الايمان ورواه احمد والطبراني والبيهقي والضيا عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجا ذا بعود وجا ذا بعود حتي جلوا ما انضجوا به خبزهم وان محقرات الذنوب متي يوخذ بها صاحبها تهلكه ورواه احمد والطبراني ايضا عن ابن مسعود نحوه وعن ابي بردة ابن ابي موسي قال المولف هو عامر بن عبد الله بن قيس الاشعري احد التابعين المشهورين المكثرين سمع اباه وعليا وغيرهما كان علي قضا الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج قال قال لي عبد الله بن عمر هل تدري ما قال ابي لابيك اي في امر غلبة الخوف المعنون به الباب قال اي ابو بردة او التقدير قال الراوي ناقلا عن ابي بردة قلت لا اي لا ادري قال فان ابي قال لابيك يا ابا موسي ناداه بكنيته اشعارا بعظمته وتقريبا لحضرته هل يسرك اي يوقعك في السرور ان اسلامنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم اي فيما مع بعثته وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كالصلاة والصوم والزكاة والحج وامثالها كله اي جميعه بجميع افراده واصنافه معه اي في زمنه برد اي ثبت دوام لنا ففي النهاية في الحديث الصوم في الشتا الغنيمة الباردة اي لا تعب فيه ولا مشقة وكل محبوب عندهم بارد وقيل معناه الغنيمة الثابتة المستقرة من قولهم برد لنا علي فلان حق اي ثبت انتهي كلامه وهو خبر قوله ان اسلامنا عملناه بعده اي بعد موت رسول الله صلي الله عليه وسلم نجونا منه اي من ذلك العمل كله كفافا بفتح الكاف اي سوا راسا براس بدل او بيان ونصبه علي الحال من فاعل نجونا اي متساويين لا يكون لنا ولا علينا بان لا يوجب ثوابا ولا عقابا وقال الطيبي قوله كفافا نصب علي الحال من الضمير المجرور اي نجونا منه في حالة كونه لا يفضل علينا شي منه او من الفاعل اي ملفوفا عنا شره فقال ابوك لابي لا والله اي لا يسرنا ذلك بسبب بقوله جاهدنا اي الكفار بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم وصلينا اي صلاة وصمنا اي سنوات وعملنا خيرا كثيرا اي من الصدقات ونوافل العبادات واسلم علي ايدينا اي بسببنا بشر كثير اي من فتح البلاد وانا نرجوا ذلك وفي نسخة ذلك اي ثواب ما ذكر زيادة علي ما سبق لنا من الاسلام والهجرة وساير الاعمال قال ابي يعني عمر لكني انا اريد

للتاكيد

للتاكيد والذي نفس عمر بيده لوددت ان ذلك اي ما سبق لنا من العمل معه صلي الله عليه وسلم برد لنا اي ثم وثبت ولم يبطل ولم ينقص ببركته وجوده وفضله وجوده صلي الله عليه وسلم وان كل شي عملناه بعده الضمير هنا بعده اي بعد مماته وفقد حياته وبعد بركاته نجونا منه كفافا راسا براس وذلك لانه اعلم ان التابع اسير المتبوع في الصحة والفساد اعتقادا واخلاصا او علما وعملا ما نري صحة صلاة المقتدي علي صلاة الامام المقتدي به وكذا فسادها ولا نشك في وصول الكمال وحصول صحة الاعمال في حال ملازمته صلي الله عليه وسلم واما بعده فما وقع من الطاعات لا يخلو من تغيير النيات وفساد الحالات ومراعات المرايات كما اخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله فما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه صلي الله عليه وسلم حتي انكرنا قلوبنا يعني بالظلمة الناشية عن غيبة نور شمس وجوده وقمر جوده فالغنيمة الباردة ان يكون في مرتبة السيات بين الطاعات والسيات وهذا بالنسبة الي اجلا الصحابة وعظما الخلافة واما من بعدهم فطاعاتهم المشحونة بالغرور والعجب والريا اسباب للمعاصي ووسايل العقوبات غالبا الا ان يتفضل الله برحمته وعين عنايته بان يلحق المسيين بالمحسنين بل قال بعض العارفين معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اورثت عجبا واستكبارا فقلت ان اباك ابي عمر والله كان خيرا من ابي اي ابي موسي في كل شي فهذا كذلك لان كلام السادات سادات الكلام وكيف وهو الناطق بالصواب والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل من كل باب والموافق رايه بنزول الكتاب ووافق قوله حديثه صلي الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخشيكم له وقال سبحانه وتعالي انما يخشي الله من عباده العلما هذا وقال الطيبي قوله لوددت خبر لكني مع اللام وهو ضعيف ويجوز ان يكون لوددت جواب القسم والجملة القسمية خبر لكني علي التاويل قلت بل الحديث حجة للكوفيين ففي المغني ولا يدخل اللام في خبر لكن خلافا للكوفيين احتجوا بقوله ولكنني من حبها لعميد وخرج علي زيادة اللام او علي ان الاصل لكن انا حذفت الهمزة تخفيفا ونون لكن للساكنين قلت هذه كلها تكلفات بعيدة وتعسفات مزيدة ما انزل الله بها من سلطان ولا دليل ولا برهان فالصواب انها للتاكيد كما جوز في بعض اخوات لكن علي القياس السديد لا سيما وقد ورد علي لسان الاوحدي من فصحا العرب باسناد هو اصح الاسانيد رواه البخاري من اعجب الغرايب واغرب العجايب انه لو حكي من طريق الاصمعي ونحوه ان اعرابيا ممن يبول علي عقبيه تكلم بمثله نثرا ونظما اخذ النحاة به وجعلوه اصلا ممهدا واساسا موبدا فصدق من قال ان ادلة النحويين والصرفيين كنار ابيت العنكبوت فتارة يطرد وتارة يفوت وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم امرني ربي بتسع اي خصال خشية الله بالجر ويجوز اخفاه اي خوفا مقرونا بالعظمة في السر والعلانية اي في القلب والقالب او في الخلا والملا وكلمة العدل في الغضب والرضا بالقصر اي في الحالين والقصد اي الاقتصاد في المعيشة او التوسط بين الصبر والشكر غير خارج عنهما بالجزع والطغيان في الفقر والغني وان اصل من قطعني اي من ذوي الارحام او غيرهم وهذا غاية الحلم ونهاية التواضع واعطي من حرمني وهذا كمال الكرم والجود واعفو عمن ظلمني اي مع قدرتي علي الانتقام وهذا نتيجة الصبر وقضية الشكر وغاية الاحسان والرحمة علي افراد الانسان وان يكون صمتي فكرا اي في اسمايك وصفاتك ومصنوعاتك ومعاني اياتك ونطقي ذكرا بتسبيحك وتحميدك وتقديسك وتمجيدك وتكبيرك وتوحيدك وتلاوة كتابك وموعظة عبادك ونظري عبرة اي في الافاق والانفس وملكوت السموات والارض وامر بالمعروف وقيل بالعرف اي بدلا عن العرف اللغوي والسكون ولم يقل والنهي عن المنكر اكتفا او العرف يشمل المعروف في الشرع اركانا واجبنا با قال

الطيبي ذكر تسعا واني بعشر فالوجه ان يحمل العاشر وهو الامر بالمعروف على انه مجمل عقب
التفصيل لان المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب بها والاحسان الى الناس
وكلما ندب اليه الشرع ونهى عن المحسنات والمقبحات كانه قيل امرني ربي بان اتصف بهذه
الصفات وامر غيري بالاتصاف بها فالواوات كلها عطفت المفرد على المفرد وفي قوله وامر
بالمعروف عطفت المجموع من حيث المعنى على المجموع بحسب اللفظ ونحوه في التفرقة بين الواوين
قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور رواه رزين
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخرج من عينيه
اي من احديهما دموع اي دمعات اقلها ثلاث وان كان اي الخارج او كل دمع مثل راس
الذباب اي كمية او كيفية من خشية الله ثم يصيب بالرفع وقيل بالنصب اي يصل
الدمع شيئا من حر وجهه بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين اي خالصة ففي القاموس
حر الوجه ما اقبل عليك وبدا لك منه الا حرمه الله على النار وضمير المفعول راجع
الى العبد المؤمن الموصوف ويمكن ان يرجع الى حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته
والله اعلم رواه ابن ماجة وفي الجامع بلفظ ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه من
الدموع مثل راس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار
ابدا رواه ابن ماجة عن ابن مسعود باب تغير الناس اي تغير الزمان على
ما هو المتبادر الموافق لمضمون احاديث الباب او المراد بالتغير اخلاقهم حالاتهم ومراتبهم
في منازلهم الشاملة لتغير ازمنتهم وعليه ظاهر الحديث الاول من الفصل الاول فتأمل
الفصل الاول عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الناس
اي في اختلاف حالاتهم وتغير صفاتهم كالابل المائة قال الطيبي اللام فيها للجنس قال
التوربشتي الرواية بخفيه على التثبت كابل مائة بغير الف ولام فيها لا تكاد اي لا تقرب ايها المخاطب
خطابا عاما تجد فيها اي في مائة من الابل راحلة اي ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب
فكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة فيعاون صاحبه
ويلين له جانبه وهذا زبدة كلام الشارح الاول ومن تابعه من شراح المصابيح وقال
الخطابي معناه ان الناس في احكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا رفيع
منهم على وضيع كالابل المائة لا يكون راحلة قال الطيبي على القول الاول لا تجد فيها راحلة
صفة لابل والتشبيه مركب تمثيلي وعلى الثاني هو وجه الشبه وبيان لمناسبة الناس
للابل قلت ولا يخفى ظهور المعنى الاول فتدبر وتامل وخلاصته ان المرضي المستحب
من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي
لا توجد في الابل الكثيرة القوية على الاحمال والاسفار فذكر المائة للتحديد فان وجود
العالم العامل المخلص من قبيل الكيميا او من تسمية العنقا ولذا قال بعض الوفا
انمي على الزمان محالا ۰ ان ترى مقلتاي طلعة حر ۰ واذا صفا لك من زمانك واحد
فهو المراد وابن ذلك الواحد ۰ وكان يقول بعض ارباب الحال ۰ هذا زمان قحط
الرجال وروي ان سهل التستري خرج من مسجد وراى خلقا كثيرا في داخله وخارجه
فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون قليل وقد نبه سبحانه على هذا المعنى في ايات منها
قوله وقليل من عبادي الشكور ومنها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم

ومنها

مومن
صح

ومع ... لله عز وجل

ومنها قوله في وصف السابقين المقربين ثلة من الاولين وقليل من الاخرين متفق عليه ورواه
الترمذي وهذا لفظ البخاري نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ انما الناس كابل
مائة بالتنكير رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة وعن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن بتشديد التاء الثانية وضم العين اي لتوافقن بالتبعية
سنن من قبلكم بضم السين وهي لغة الطريقة حسنة كانت او سيئة والمراد هنا طريقة
اهل الاهوا والبدع التي ابتدعوها من تلقاء انفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف
كتابهم كما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل وفي بعض النسخ بفتح السين ففي المقدمة
اي طريقهم شبرا بشبر حال مثل يدا بيد ولذا قوله ذراعا بذراع اي ستفعلون مثل فعلهم
سواء بسواء حتى لو دخلوا اي من كان قبلكم من بني اسرائيل جحر ضب وهو من اضيق انواع الجحر
واخبثها تبعتموهم ولعل الحكمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما بعث لاتمام مكارم الاخلاق
في اخر الامم فيقتضي ان يكون اهل الكمال منهم موصوفين بجميع الخصال الحميدة في الاديان المتقدمة
ومن لوازم ذلك ان يكون اهل النقصان منهم في كمال مرتبة القصور متصفين بجميع الخلال
الذميمة الكائنة في الامم السابقة ونظيره ان بعض المشايخ ذكر انه ارتاض بجميع ما سمع من
رياضات ارباب الولايات فاعطي له جميع اصناف الكرامات وخوارق العادات ويناسبه
ما ذكره بعض المحققين من ان التوقف لا يوجد في حق الانسان فان لم يكن في الزيادة فهو في
محل النقصان وايضا نوع بني ادم معجون مركب من الطبع الملكي الروحاني العلوي ومن
الطبع الحيواني النفساني السفلي فان كان يميل الى العلو فيصير الى المرتبة الاولى من
الملا الاعلى وان كان يميل الى اسفل فيسير في طريقه من مراتب البهائم ادنى كما اشار اليه سبحانه بقوله
ولئك كالانعام بل هم اضل وهنا ينفتح باب القضا والاخلاص الى القضا الا بقوله لا يسال عما يفعل
فتامل قيل يا رسول الله اليهود والنصارى بالنصب اي انعني بمن تبعهم او بمن قبلنا سنة
اليهود والنصارى قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فمن اي ان لم اردهم فمن سواهم والمعنى انهم الغالبون
المشهورون من اهل الكتاب وغيرهم مندرسون فاذا اطلق من قبلكم فهم المراد وكان غيرهم غير
موجودين في الاعتبار عند الاطلاق وقال شارح فمن استفهام اي فمن يكون غيرهم يعني
المتبدعون كلهم هم لا غيرهم وقال ابن الملك روي اليهود بالجر اي هل نتبع سنن اليهود وبالرفع
على انه خبر المبتدأ على تقدير حذف الاستفهام يعني من قبلنا هم اليهود انتهى وقيل التقدير
اي المبتدعون هم اليهود والنصارى ام غيرهم متفق عليه ورواه الحاكم عن ابن عباس
ولفظ لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب
لدخلتم وحتى لو ان احدهم جامع امراة بالطريق لفعلتموه وعن مرداس بكسر الميم الاسلمي
كان من اصحاب الشجرة يعد في الكوفيين روى عنه قيس بن ابي حازم حدثنا واحد ليس له غيره
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب اي
يموت الصالحون الاول فالاول بالرفع بدل من الصالحون وبالنصب حال اي واحدا بعد واحد
قرنا بعد قرن ويبقى حفالة بضم الحاء المهملة وفي نسخة حثالة بالثاء المثلثة بدل الفاء ومعناهما الرديء
من الشيء والتنكير في حفالة للتحقير كحفالة الشعير اي نخالته او التمر قله قال الطيبي الفاء للتعقيب
ولا بد من التقدير اي الاول منهم فالاول من الباقين منهم وهكذا حتى ينتهي الى الحفالة مثال الافضل
فالافضل قال القاضي الحفالة رذالة الشيء وكذا الحثالة والفاء والثاء يتعاقبان كثيرا لا يباليهم الله

اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا بالة اي مبالاة فيكون محذوف الميم والالف لكونها من الزوايد
كما قيل في لبيك من انه ماخوذ من اللب بالمكان اذا اقام به واصل بالة بالية مثل عافاه الله عافية
فحذف الياء منها تخفيفا يقال ما بالية وما باليت به ومنه ان لم اكترث به وقيل بالة بمعنى حالة اي لا يبالي
الله حالته من احواله ومنه البال بمعنى الحال رواه البخاري وكذا الامام احمد **الفصل الثاني** عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطيا بضم الميم الميم وفتح المهملة
الاولى وكسر الثانية ممدودة ويقصر بمعنى التمطي وهو مشي فيه التبختر ومد اليدين وروي
بغير الياء الاخيرة وهو لفظ الجامع ونصبه على انه مفعول مطلق اي مشي بتبختر وقيل انه حال
اي اذا صارت في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين وخدمتهم وفي الجامع خدمها وهو الانسب
بالسابق واللاحق والمعنى قام بخدمتهم وانقاد في حضرتهم ابنا الملوك ابنا فارس والروم
اي بدل مما قبله وبيان له سلط الله شرارها ولفظ الجامع سلط شرارها اي ظلمة الامة على
خيارها اي مظلومهم قال الشراح وهذا الحديث من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن
المغيب ووافق الواقع خبره فانهم لما فتحوا بلاد فارس والروم واخذوا اموالهم وتجلادهم
وسبوا اولادهم فاستخدموهم سلط الله قتلة عثمان رضي الله عنه عليه حتى قتلوه ثم سلط
بني امية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا وهكذا رواه الترمذي وكذا ابن حبان ذكره ميرك وقال
اي الترمذي هذا حديث غريب **وعن** حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم
الساعة حتى تقتلوا امامكم اي الخليفة او السلطان وتجتلدوا اي تتضاربوا باسيافكم
ويرث دنياكم شراركم بان يصير الملك والمال والمناصب في ايدي الظلمة وغير ارباب الاستحقاق
رواه الترمذي **وعنه** اي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى يكون اسعد الناس بنصب اسعد ويرفع اي اكثرهم مالا واطيبهم
عيشا وارفعهم منصبا وانفذهم حكما بالدنيا اي بامورها وفيها لكع ابن لكع بضم اللام
وفتح الكاف غير مصروف اي لييم بن لييم اي ردي النسب دني الحسب وقيل
اراد به من لا يعرف له اصل ولا يحمد له خلق وحذف الف ابن لاجرا اللفظين مجرى
علمين لشخصين خسيسين ليمني قال ابن الملك في بعض النسخ بنصب
اسعد على انه خبر يكون وفي بعضها برفعه على ان الضمير في يكون للشان
والجملة بعده تفسير الضمير المذكور انتهي ولا يجوز ان يكون اسعد اسما ولكع
بنصب على الخبرية لفساد المعني كما لا يخفي فلا يغرك ما في بعض النسخ من
نصب لكع فانه مخالف للرواية والدراية وقد اقتصر شارح على نصب اسعد
وقال لكع بالرفع اسم يكون وهو الاحمق وقيل العبد وهو معدول عن الكع يقال
لكع الوسخ عليه فهو لكع اذا لصق به وللرجل اللييم كما عدلت لكاح المراة اللييمة ثم
استعمل للاحمق والعبد لما فيهم من الذلة وللجحش لما فيه من الخفة وللصبي لما فيه من
الضعف ويقال للذليل الذي يكون نفسه العبيد واريد به ههنا الذي لا يعرف له اصل ولا
يحمد له خلق انتهي وبهذا ظهر معني قوله صلى الله عليه وسلم في حق الحسن بن علي رضي
الله عنهما اثم لكع وحاصله انه يطلق على الصغير قدرا وجثة بحسب ما يقتضيه
المقام من المعني المناسب للمرام ولذا قيل يقال للصبي الصغير لكع مصروفا ذهابا الى
صغر جثته ويطلق على العبد واللييم والاحمق لصغر قدرهم فاذا عرفت هذا فيصلح ان يراد

بلكع

ووقف لله عز وجل

بلكع كل من هذه المعاني من الصغير والحقير والعبد والاحمق واللييم ثم قال بعضهم للعوليين معدول
وانما هو مثل صرد ونغر فحقه ان ينون لانه ليس بمعدول وفي القاموس اللكع كصرد اللييم والعبد
والاحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره والمهر والصغير والوسخ ويقول في النداء يا لكع ولا يصرف في
المعرفة لانه معدول عن الكع انتهي وهذا يويد ان يكون لكع هنا مصروفا وقال الطيبي وهو
غير منصرف للعدل والصفة رواه الترمذي اي في سننه والبيهقي في دلايل النبوة وكذا احمد
والضيا وروي احمد وابو داود وابن ماجة وابن حبان عن انس مرفوعا لا تقوم الساعة
حتى يتباهي الناس في المساجد وروي ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى
يكون الزهد رواية والورع تصنيفا وروي احمد ومسلم عن ابن مسعود لا تقوم الساعة
الا على شرار الناس وروي ابو يعلى الموصلي والحاكم عن ابي سعيد لا تقوم الساعة
حتى لا يحج البيت وروي السجزي عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقران
وروي الطبراني عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا وروي احمد
ومسلم والترمذي عن انس لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله هذا وسياتي
في اول باب الملاحم من حديث ابي هريرة اشتمل على ثلاثة عشر علامة لقيام الساعة نستوفي
الكلام عليها ان شاء الله تعالى **وعن** محمد بن كعب القرظي بضم القاف وفتح الراء فظا معجمة
نسبة الى بني قريظة طايفة من يهود المدينة ذكره المؤلف في التابعين وقال سمع من امنا الصحابة
ومنه محمد بن المنكدر وغيره وكان ابوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك قال حدثني من سمع
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يسم هذا السامع لكن تابعي فجهالته مع احتمال كونه
صحابيا اخر فتنه قال اي علي انا لجلوس اي لجالسون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد اي مسجد المدينة او مسجد قبا فاطلع بتشديد الطا اي فظهر علينا مصعب
ابن عمير بضم الميم وفتح العين وعمير مصغرا ما عليه اي ليس عليه بدنه الا بردة له اي
لبسا مخلوط السواد والبياض مرقوعة بفرو اي مرقعة بجلد قال ميرك هو قرشي
هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وترك النعمة والاموال بمكة وهو من كبار اصحاب الصفة الساكنين
في مسجد قبا وقال المؤلف هو عبدري كان من اجلة الصحابة وفضلايهم هاجر الى ارض الحبشة
في اول من هاجر اليها ثم شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بعد
العقبة الثانية الى المدينة يقريهم القران ويفقههم في الدين وهو اول من جمع الجمعة بالمدينة
قبل الهجرة وكان في الجاهلية من انعم الناس عيشا والينهم لباسا فلما اسلم زهد في الدنيا
وقيل انه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى وكان ياتي الانصار في
دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشي الاسلام فيهم فكتب
الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه ان يجمع بهم فاذن له ثم قدم مع النبي صلى الله
عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثالثة فاقام بمكة قليلا
وفيه نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول النبي صلى الله
عليه وسلم دار الارقم فلما راه اي ابصر مصعبا بتلك الحال الصعبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكى للذي اي للامر الذي كان فيه اي قبل ذلك اليوم من النعمة والذي هو
فيه اي وللامر الذي هو فيه من المحنة والمشقة اليوم اي في الوقت الحاضر والظاهر
ان المنفي دران بكاه صلى الله عليه وسلم انما كان رحمة وشفقة عليه لما راه من فقره وفاقته

لا سيما وقد كان عزيزا في قومه ومتنعما في نعمته لكن ينافيه بعض المنافاة ما وقع له صلى الله
عليه وسلم مع عمر حيث بكى عمر رضي الله عنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعا على
حصير ليس بينه وبينه شيء وقد أثر الحصير على بدنه الشريف وتذكر من تنعم كسرى وقيصر
فقال له أنت في هذا المقام يا عمر أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فالأولى أن يحمل البكاء على الفرح في
أنه وجد في أمته من اختار الزهد في الدنيا والإقبال على العقبى أو على الحزن في فقد ما عنده من بعض
المساعدة لبعض الكسوة والمعاونة في بعض المعيشة والله أعلم ولو بتأويلنا نقل الراوي
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أي الحال بكم إذا غدا أي ذهب أول النهار أحدكم في حلة
بضم فتشديد أي في ثوب أوفي إزار ورداء وراح أي ذهب آخر النهار في حلة أي أخرى من
الأولى قال ابن الملك أي كيف يكون حالكم إذا كثرت أموالكم بحيث يلبس كل منكم أول النهار
حلة وآخره أخرى من غاية التنعم ووضعت بين يديه صحفة أي قصعة من مطعوم
ورفعت أخرى أي من نوع آخر كما هو شأن المترفين من طائفة الأروام وهو كناية عن
كثرة أصناف الأطعمة الموضوعة على الأطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الأعجام وسترتم
بيوتكم بضم الموحدة وكسرها أي جدرانها والمعنى زينتموها بالثياب النفيسة من
فرط التنعم كما تستر الكعبة وفيه إشارة إلى أن سترها من خصوصياتها لامتيازها فقالوا
يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم وبينوا سبب الخيرية بقولهم مستأنفا فيه معنى
التعليل نتفرغ أي عن العلائق والعوائق للعبادة أي بأنفسنا ونكفى بصيغة المجهول
المتكلم المؤونة أي بخدمنا والواو لمطلق الجمع فالمعنى تدفع عنا تحصيل القوت لحصوله بأسباب
مهيأة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية والعمل بالخيرات البدنية والمبرات
المالية قال وفي نسخة فقال لا أي ليس الأمر كما ظننتم أنتم اليوم خير منكم يومئذ لأن
الفقير الذي له كفاف خير من الغني لأن الغني يشتغل بدنياه ولا يتفرغ للعبادة
مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال فالحديث صريح في تفضيل الصابر
على الغني الشاكر فإن الغني بالنسبة إلى الصحابة وهم أقوياء إذا كان كذلك فما بال
غيرهم من الضعفاء ويؤيده ما رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر مرفوعا ما زويت
الدنيا عن أحد إلا كانت خيرة له أقول فقوله عن أحد على عمومه فإن الكافر الفقير
عذابه أخف من الكافر الغني في النار فإذا نفع الفقر الكافر في تلك الدار فكيف لا ينفع
المؤمن الصابر في دار القرار رواه الترمذي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأتي على الناس زمان الصابر فيهم أي في أهل ذلك الزمان على دينه أي على
حفظ أمر دينه بترك دنياه كالقابض أي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة على الجمر جمع
الجمرة وهي شعلة من نار قال الطيبي الجملة صفة زمان والراجع محذوف أي الصابر فيه
وفيه أن الرابط مذكور فيه بقوله كما أشرنا إليه سابقا قال والمعنى كما لا يقدر القابض
على الجمر أن يصبر لإحراق يده كذلك المتدين لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة
والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان انتهى والظاهر أن معنى الحديث كما لا يمكن
القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور
حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم وتعب جسيم ومن المعلوم أن المشبه به أقوى
فالمراد به المبالغة فلا ينافيه أن ما أحد أصبر على قبض الجمر ولذا قال تعالى فما أصبرهم

على النار

على النار مع أنه قد يقبض على الجمر أيضا عند الإكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس أو إحراق أو إغراق
ونحوها ولذا قال تعالى قل نار جهنم أشد حرا وقد أشار الشاطبي في زمانه إلى هذا المعنى بقوله
وهذا زمان الصبر من لك بالتي ۝ كقبض على جمر فتنجو من البلا
قال الجعبري أي إن هذا الزمان زمان صبر لأنه قد أنكر المعروف وعرف المنكر وفسدت النيات
وظهرت الخيانات وأوذي المحق وأكرم المبطل فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كالقابض
على الجمر النار فقد روى أبو ثعلبة الخشني عنه عليه السلام أنه قال ائتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك خاصة
نفسك ودع العوام فإن وراءكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر
خمسين رجلا يعملون مثل عملكم انتهى رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك
نقلا عن التصحيح هذا الحديث وقع له ثلاثيا وفي سنده عمر بن شاكر شيخ الترمذي وحده
وقد ذكره ابن حبان في الثقات انتهى وروى ابن عساكر عن أنس أيضا يأتي على الناس
زمان يكون فيه أذل من شاته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا كان ولفظ الجامع إذا كانت أمراؤكم خياركم أي أتقياءكم وأغنياؤكم سمحاءكم أي أسخياءكم واحد سميح
فكأنه جمع سميح بمعنى سمح وأموركم شورى بينكم مصدر بمعنى التشاور أي ذو وأن شورى
على تقدير مضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي متشاور فيها ومنه قوله تعالى
وأمرهم شورى بينهم وقد قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر
والمعنى ما دمتم متشاورين في أموركم فظهر الأرض خير لكم من بطنها أي لأجل أنكم تعملون
بما في كتاب الله والسنة وطوبى لمن طال عمره وحسن عمله وإذا كان أمراؤكم شراركم أي
بالفسق والظلم وأغنياؤكم بخلاءكم أي بقلة الرحمة والشفقة وأموركم إلى نسائكم
أي مفوض إلى رأيهن والحال أنهن من ناقصات العقل والدين وقد ورد شاوروهن
وخالفوهن وفي معناهن كل من يكون في مرتبة حالهن من الرجال ممن يغلب عليه حب
الجاه والمال وهو لم يعلم ما يتعلق بضرر الدين ووبال المال فبطن الأرض خير لكم من ظهرها أي
فإن من لم يغلب خيره شره فالموت خير له رواه الترمذي وقال حديث غريب وعن ثوبان
وهو مولى للنبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أي يقرب فرق
الكفر والضلالة أن تداعى بحذف إحدى التاءين أي تتداعى عليكم بأن يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم
وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال كما تداعى أي تتداعى الأكلة بالمد
وهي الزاوية على نعت الفئة الزاوية والجماعة أو نحو ذلك كذا روي لنا عن كتاب أبي داود
وهذا الحديث من أفراده ذكره الطيبي ولو روي الأكلة بفتحتين على أنه جمع آكل اسم فاعل
لكان له وجه وجيه والمعنى كما أنه يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا إلى قصعتها أي التي
يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا صفوا كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا
تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم وبأس يمنعهم فقال قائل ومن قلة خبر مبتدأ محذوف وقوله نحن
يومئذ مبتدأ وخبر صفة لها أي أذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ قال
بل أنتم يومئذ كثير أي عددا وقليل مددا وهذا معنى الاستدراك بقوله ولكنكم
غثاء بالضم ممدودا قال الطيبي كغثاء السيل قال الطيبي وبالتشديد أيضا ما يحمله
السيل من زبد ووسخ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة أحلامهم

وخلاصته ولكنكم تكونون متفرقين ضعيف الحال خفيف البال مشتت الامال ثم ذكر سببه بعطف البيان فقال ولينزعن اي ليخرجن الله من صدور عدوكم المهابة اي الخوف والرعب منكم اي جمعتكم وليقذفن بفتح اليا اي وليرمين اي الله في قلوبكم الوهن اي الضعف وكانه اراد بالوهن ما يوجبه وكذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت حيث قال قايل يا رسول الله وما الوهن اي ما سببه وما موجبه قال الطيبي سوال عن نوع الوهن اوكانه اراد من اي وجه اراد اي وجه يكون ذلك الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت وهما متلازمان فكانهما شي واحد يدعوهم الي اعطا الدنية في الدين واحتمال الذل من العدو المبين ونسال الله العافية فقد ابتلينا بذلك فكانا نحن المفتونون بما ذكر هنالك رواه ابوداود في اي سننه والبيهقي في دلايل النبوة الفصل الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما اي موقوفا قال ما ظهر الغلول بالضم اي خيانة المغنم في قوم الا القي الله في قلوبهم الرعب بسكون العين وضمها اي خوف العدو ولا فشا الزنا في اي انتشر في قوم الا كثر فيهم الموت اي بالوبا او الطاعون او موت القلب او موت العلما ولا نقص قوم المكيال والميزان اي وما في معناهما كالذراع والعدد من طريق الغش والخديعة الا قطع عنهم الرزق اي الحلال او بركة الرزق الذي في ايديهم ولا حكم قوم اي من الحكام بغير حق اي بغير استحقاق او بغير علم في احكامهم الفاسدة بل باراييهم الكاسدة الا فشا فيهم الدم اي القتل والمراد ما يجر اليه ولا ختر بفتح الخا المعجمة والفوقية ومنه قوله تعالى ان الله لا يحب كل ختار اي غدر قوم بالعهد اي بنقض خديعة رجا الغلبة الا سلط بصيغة المجهول اي بسط الله عليهم العدو رواه مالك اي في باب ما جا في الغلول من الموطا باب كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة من غير ترجمة وهو مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف او بالساكن على الوقف وقال ابن الملك باب في ذكر الانذار والتحذير والتخويف والتذكير الفصل الاول عن عياض ابن حمار المجاشعي بضم الميم قال المولف وكان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قديما روى عنه جماعة وهو تميمي يعد في الكوفيين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته اي المعروفة لوفي موعظته الا بالتخفيف للتنبيه ان ربي امرني ان اعلمكم ما جهلتم ما علمني يحتمل ان تكون من باب ما او تبعيضية على انه منقطع عما قبله خبر لما بعده مستانفا اي من جملة ما علمني يومي هذا اي مما اوحى الله الي في هذا اليوم بخصوصه كل مال نحلته اي اعطيته عبدا اي من عبادي وملكته اياه فلا يدخل الحرام حلال اي فلا يستطيع احد ان يحرمه من تلقا نفسه ويمنعه من التصرف فيه تصرف الملاك في املاكهم وهذا من مقول الله كما يدل عليه قوله واني خلقت عبادي حنفا اي مستعدين لقبول الحق وما يليني اليه عن الباطل كلهم اي جميعهم لقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهي التوحيد المطلق وما به تعلق ولقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله اي لا تبدلوا مخلوقاته باليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها ذلك الدين القيم اي المستقيم فلا تعدلوا عن الجادة الي الطريقة الزايغة كما قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي عن الطريق الحقيقي الواصل اليه المقبول لديه لمن اراد المنة عليه ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جاير ولو شا لهداكم اجمعين ثم بين سبب ضلالة الخلق وغوايتهم عن الحق بقوله وانهم اي عبادي الحنفا اتتهم الشياطين اي جاوهم بالوسوسة

فاجتالتهم

ووقع ... لله عزوجل

فاجتالتهم اي صرفتهم وساقتهم ما يلين عن دينهم وحرمت اي الشياطين ما احللت لهم اي من البحيرة والسايبة وغيرها وتوضيحه ما حققه القاضي حيث قال قوله كل مال نحلته حكاية ما علمه الله تعالى واوحي اليه في يومه هذا والمعنى ما اعطيت عبدا من مال فهو حلال له ليس لاحد ان يحرم عليه وليس لقايل ان يقول هذا يقتضي ان لا يكون الحرام رزقا لان كل رزق ساقه الله تعالى الي عبد فقد نحله واعطاه وكل ما نحله واعطاه فهو حلال فيكون كل رزق رزقه الله تعالى اياه فهو حلال وذلك يستلزم ان يكون كل ما ليس بحلال ليس برزق لانا نقول الرزق اعم من الاعطا فانه يتضمن التمليك ولذا قال الفقها لو قال الرجل لامراته ان اعطيتني الفا فانت طالق فاعطته الفا بانت ودخل الالف في ملكه ولا كذلك الرزق وامرتهم حجة وبرهانا سميت به لتسلطه على القلوب عند هجوم الخواطر عليها بالقهر والغلبة والمعنى ما ليس على اشراكه دليل عقلي ولا نقلي اذ لو كان احدهما لبينه سبحانه وتعالى بل الامر بخلافه حيث قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه والقران مشحون بالادلة على بطلان الاشراك بالله قال القاضي هو مفعول يشركوا يريد به الاصنام وسايرما عبد من دون الله اي امرتهم بالاشراك بالله بعبادة ما لم يامر الله بعبادته ولم ينصب دليلا على استحقاقه للعبادة وقال الطيبي قوله ما لم انزل به سلطانا انزال سلطان وارد على اسلوب قوله على لا حب لا يهتدي بمناره اي لا منار ولا اهتدا به قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل والفرع اي العقد والمقيد وقيل هذا على سبيل التهكم اذ لا يجوز على الله ان ينزل برهانا ان يشرك به غيره وان الله نظر الي اهل الارض اي راهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة فمقتهم اي ابغضهم عربهم وعجمهم بدل من الضمير والمراد بالعجم غير العرب والمعنى ابغضهم لسوء صنيعهم وخبث عقيدتهم واتفاقهم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم على الشرك وانقسامهم في الكفر قوم موسى كفروا بعيسى وعبدوا العزير ذهبوا الي انه ابن الله وقوم عيسى ذهبوا الي التثليث والي انه ابن الله وغير ذلك الا بقايا من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى تبروا عن الشرك كذا قاله بعضهم والاظهر ان المراد بهم جماعة من قوم عيسى بقوا على بعثته عليهم السلام الي ان امنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم وقال اي الله تعالى انما بعثتك اي ارسلتك يا محمد لابتليك اي لامتحنك كيف تصبر على ايذا قومك اياك وابتلي بك اي قومك هل يومنون بك ام يكفرون وانزلت عليك كتابا اي عظيما وهو القران لا يغسله الما اي لم نكتف بايداعه الكتب فيغسله الما بل جعلناه قرانا محفوظا في صدور المومنين قال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او المراد بالغسل النسخ والما مثل اي لا انزل بعده كتاب ينسخه ولا انزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الطيبي اي كتابا محفوظا في القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس او كتابا مستمرا متداولا بين الناس ما دامت السموات والارض لا ينسخ ولا ينسى بالكلية وعبر عن ابطال حكمه وترك قراته والاعراض عنه بغسل اوراقه بالما على سبيل الاستعارة او كتابا واضحا اياته بينا معجزاته لا يبطله جور جاير ولا يدحضه شبهة مناظر فمثل الابطال معنى بالابطال صورة وقيل كنى به عن غزارة معناه وكثرة جدواه من قولهم مال فلان لا يفنيه الما والنار وقوله تقروه اي انت نايما ويقظانا بسكون القاف والمعنى يصير لك ملكته بحيث يحضر في ذهنك وتلتفت اليه نفسك في اغلب الاحوال فلا تغفل عنه نايما ويقظان وقد تيال للقادر على الشي الماهر به هو يفعله نايما كذا ذكره الطيبي

وخلاصته انه في قلبك وانت نايم واقول لا احتاج الي التاويل بالنسبة الي قلبه الجليل لانه
تنام عيناه ولا ينام قلبه وقد شوهد كثيرا من الناس صغيرا وكبيرا انهم يقرون وهم نايمون
واغرب من هذا ما حكي بعض المريدين انه وشيخه كانا يبتدارسان وقت السحر في تلاوة القران
عشرا عشرا فلما توفي الشيخ رحمه الله اتاه المريد وقت السحر علي عادته عند قبره واراد ان يقرا
ورده فلما تم العشر سمع من القبر صوت شيخه انه قرا عشرا وسكت وهكذا كان الامر مستمرا
الي ان حكي المريد القضية لبعض اصحابه فوقع تحت حجابه ونظيره سماع سعيد بن المسيب
صوت الاذان من الضريح الانور ايام فتنة يزيد في المدينة العظيمة حيث لم يبق في المسجد احد
الا سعيد وكانوا يقولون انه شيخ مجنون قال ان الله امرني ان احرق اي اهلك قريشا اي كفارهم
فقلت رب اي يا رب اذا بالتنوين تثلغوا بفتح اللام اي تشدخوا وتكسروا راسي فيدعوه
بفتح الدال اي راسي خبزة اي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل الكروي مصحفا مثل خبزة
قال اي الله لنبيه صلي الله عليه وسلم استخرجهم قريشا والمراد كفارهم كما اخرجوك اي كاخراجهم
اياك خارجا وفاقا وان كان بين الاخراجين بون بين فان اخراجهم اياه بالباطل واخراجه اياهم بالحق
واغزهم اي وجاهدهم والواو لمطلق الجمع فان القتال مقدم علي الاخراج نغزك بضم النون من
اغزيته اذا جهزته للغزو وهيات له اسبابه وانفق اي ما في جهدك في سبيل الله فسننفق
عليك اي نخلف عليك بدله في الدنيا والاخري قال تعالي وما انفقتم من شي فهو يخلفه
وهو خير الرازقين وفيه وعد وتسلية وابعث اي انت جيشا اي كبيرا او صغيرا نبعث خمسة
اي مقدار خمسة مثله بالنصب والمعني نبعث من الملايكة خمسة امثال تعينهم كما
فعل ببدر قال تعالي ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملايكة مسومين وكان المشركون يوميذ الفا والمسلمون ثلثماية وقاتل
بمن اطاعك اي بمعونته او معه من عصاك اي بعد الايمان بك رواه مسلم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد بكسر العين وهو
جواب لما وفي بعض النسخ فصعد بالفا فلا وجه له اي طلع النبي صلي الله عليه وسلم الصفا وهو
جبل معروف بمكة من شعاير الله فجعل اي فشرع النبي صلي الله عليه وسلم ينادي اي قبايل العرب
يا بني فهر بكسر الفا وسكون الها قبيلة من قريش علي ما في القاموس يا بني عدي وهم قبيلة
ايضا علي ما في القاموس فقوله لبطون قريش فيه اشكال اذ البطن دون القبيلة او دون
الفخذ وفوق العمارة والقبيلة واحد قبايل الراس ليتقطع المشعوب بعضها الي بعض ومنه
قبايل العرب واحدهم قبيلة وهم بنو اب واحد كذا في القاموس والحاصل ان القبيلة بمنزلة
الجنس والبطن بمنزلة النوع والفخذ بمنزلة الفصل وقد يستفاد بعضها لبعض والله اعلم
قال الطيبي اللام فيه بيان كقوله تعالي لمن اراد ان يتم الرضاعة كانه قيل لمن قيل لبطون قريش
حتي اجتمعوا اي من كل قبيلة وبطن جمع فقال ارايتكم بفتح التا ويجوز تحقيق الهمزة الثانية
وتسهيلها وابدالها وحذفها والمعني اخبروني وتحقيقه ما ذكره الطيبي من ان الضمير
المتصل المرفوع من الخطاب العام والضمير الثاني لا محل له وهو كالبيان بل اول لان الاول
بمنزلة الجنس الشايع في المخاطبين فيستوي فيه التذكير والتانيث والافراد والجمع فاذا اريد
بيانه باحد هذه الانواع بين به فافي الحديث بعلامة الجمع بيانه للمراد انتهي فكانه قال ارايتم
فان رايتم فاعلموني لو اخبرتكم ان خيلا اي جيشا بالوادي اي نزل به قال شارح وهو موضع

مستقلا

معروف

معروف بقرب مكة وكانه اريد به الوادي المشهور بوادي فاطمة بين مكة والمدينة تريد اي الخيل ان
تغير عليكم من الاغارة وهي النهب طالبيونه بالغفلة يعني اصحابها علي احد المجازين في قوله تعالي
واسال القرية اكنتم مصدقي اي مصدقين لي في قولي قالوا نعم اي كنا نصدقك وسببه انا في
جميع عمرنا ما جربنا عليك الا صدقا قال الطيبي ضمن جرب معني الالقا وعداه بعلي اي ما القينا
عليك قولا جربنا لك فيه تكذيب فيه امرا لا فاسمعنا منك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد اي قبل نزول عذاب عظيم وعقاب اليم والمعني انكم لو تومنوا بي ينزل عليكم
عذاب قريب قال الطيبي قوله بين يدي ظرف لقوله نذير وهو بمعني قدام لان كان من يكون قدام
احد يكون بين الجهتين المسامتتين بيمينه وشماله وفيه تمثيل مثل انذاره القوم بعذاب الله
تعالي النازل علي القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم فقال ابو لهب مشهور
بكنيته واسمه عبد العزي وهو ابن عبد المطلب ابن هاشم عم النبي صلي الله عليه وسلم تبا لك
اي خسرانا وهلاكا ونصبه بعامل مضمر قاله القاضي فهو مما نصب علي المصدر والمعني تب
تبا اي باضمار فعل اي الزمك الله هلاكا وخسرانا والزم تبا لك ساير اليوم اي في باقي الاوقات
اي في جميع الايام قاله التوربشتي من ذهب في ساير الي البقية فانه غير مصيب لان الحرف
من السير لا من السور وفي امثالهم في الياس من الحاجة اساير اليوم وقد زال الظهر قال الطيبي
وفيه نظر لانه قال صاحب النهاية الساير مهموز الباقي والناس يستعملونه في معني الجميع
وليس بصحيح وقد تكررت هذه الالفاظ في الحديث وكلها بمعني باقي الشي ويدل علي تصحيح
ما في النهاية ما في اساس البلاغة فانه اورده في باب السين مع الهمزة يلا ساير الشارب في الانا
سوار وسورة اي بقية وفي المثل اساير اليوم وقد زال الظهر انتهي كلامه فعلي هذا المراد بساير
اليوم بقية الايام المستقبلة وفي القاموس السور البقية والفضلة واسار ابقاه كمنع والفاعل فيه
ساير والقياس مسير ويجوز والساير الباقي لا الجميع كما توهم جماعات او قد يستعمل له ومنه قول الاحوص
فجلتها لنا لبانة لما ٭ وقفه القوم ساير الحاجات ٭ شعر
وضاف الاعرابي قوما فامر الجارية بتطييبه فقال بطني عطري وسايري ذري واغير علي قوم
فاستصرخوا بني عمهم فابطاوا عنهم حتي اسروا وذهب بهم ثم جاوا يسالون عنهم فقال لهم المسيول
اساير اليوم وقد زال الظهر اي اتطمعون فيما بعد وقد تبين لكم الياس لان من كانت حاجته اليوم
باسره وزال الظهر وجب ان يياس منها بالغروب انتهي الهذا الاستخبار والاخبار جمعتنا اي
بالمناداة فنزلت تبت اي هلكت وخسرت يدا ابي لهب بفتح الها ويسكن اي نفسه كقوله تعالي ولا تلقوا
بايديكم الي التهلكة اي انفسكم والبا زايدة وقيل المراد بها دنياه واخراه وقيل انما خصتا لانه لما قال
الهذا دعوتنا اخذ حجرا ليرميه به فنزلت وانما كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبد
العزي فاستكره ذكره او لانه لما كان من اهل النار ووافقت الكنية حاله فكان كنيه كان لجماله
وقري ابو لهب كما قيل علي بن ابي طالب بعلي نفسه من قصر علي الواو في الاسما الستة كما قصر بعضهم
علي الالف فيها كقولها ان اباها وابا اباها وتب اخبار بعد خبر للتاكيد والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه
او الاول دعا والثاني اخبار متفق عليه وفي رواية قال ميرك هذه الرواية من افراد مسلم نادي يا بني
عبد مناف هو اخو هاشم وعبد شمس والمطلب ومناف صنم كذا في القاموس انما مثلي ومثلكم
كمثل رجل راي العدو اي بعينه فانطلق اي ذهب مسرعا بالفوج الموحدة وبالهمز اي يحفظ من العدو
اهله اي قومه ويريهم بقتالهم علي موضع عال فخشي اي الرجل ان يسبقوه اي يسبق العدو

الجاهلية ويصلوا الي القوم قبل ان يصل اليهم بنفسه فجعل اي فشرع يهتف بكسر التاء اي يصيح
وينادي من اعلي جبل وربما يجعل ثوبه علي يده او علي خشب يرفعه لزيادة الاعلام ومنه
النذير العريان (وهو كناية عن خلوه من الوصف اوايا) اي انه اخذ وسلب عنه ثوبه وهرب
منهم فجينبئ كما احد بصدقه في قوله ياصباحاه بسكون الها ولما كانت الغارة غالبا تكون في
الصباح خص به ولو كان في المسا ايضا والله اعلم فهي كلمة يقال لانذار امر مخوف والمعني يا قوم احذروا
الاغارة بالذهاب قبل مجي العدو فكانه صلي الله عليه وسلم قال احذروا عقاب الله بالايمان
قبل نزوله وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلي
الله عليه وسلم قريشا اي قبايله فاجتمعوا فعم اي النبي صلي الله عليه وسلم في النداء كما ذكره وخص
ثم بين الراوي كيفية العموم والخصوص بقوله فقال اي النبي صلي الله عليه وسلم يا بني كعب ابن
لوي بضم لام وفتح همز وقد يبدل واو فتحتية مشددة وهو ابن غالب ابن فهر انقذوا
بفتح همز وكسر قاف اي اخلصوا انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب بضم ميم وتشديد را اي
ابو قبيلة من قريش علي ما في القاموس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس في القاموس
انه بطن وقال بعضهم هذا عام لانه يشتمل بني هاشم وغيرهم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد
مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم
من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار ختم بها لانها خلاصة قومها ثم عمم في تحريك انقاذه اياهم
من النار بغير الايمان والعمل الصالح بقوله فاني لا املك لكم اي لجميعكم عامكم وخاصكم من الله اي من
عذابه شيا اي من الملك والقدرة والرفع والمنفعة والمعني اني لا اقدر ان ادفع عنكم من عذاب
الله شيا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل قال تعالي قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شا الله
وهو التوحيد علي وفق التقريب وهو صلي الله عليه وسلم وان كان قد ينفع للمومنين بالشفاعة
حيث يشفع ويشفع لكن اطلقه ترهيبا لهم علي الاتكال عليه وترغيبا لهم علي الاجتهاد في امر
المعاد والله روف بالعباد وهذا معني قوله غير ان لكم رحما اي قرابة سابلها بفتح الموحدة وتشديد
لام اي ساصلها ببلالها بكسر الموحدة وبفتح اي بصلتها والاحسان اليها ومجمله اني ساصل تلك
القرابة بالشي الذي يتوصل به الي الاقارب من الاحسان ودفع الظلم والنصر عنهم وغير
ذلك في النهاية البلال جمع بلل والعرب يطلقون النداوة علي الصلة كما يطلقون اليبس علي
القطيعة لانهم لما راوا ان بعض الاشيا يتصل بالنداوة ويحصل بينهما التجافي والتفرق باليبس
استعاروا البلل لمعني الوصل واليبس لمعني القطيعة والمعني اصلكم في الدنيا ولا اغني
عنكم من الله من شي رواه مسلم وفي المتفق عليه قال هذا موجود في بعض النسخ
المصححة يا معشر قريش اشتروا انفسكم اي استنقذوها وخلصوها من النار بالايمان
وبالقران وبالطاعة كما جيت به والانقياد لما منعت منه لا اغني عنكم من الله شيا
اي البعد منكم ولا ادفع عنكم شيا من عذاب الله يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله
شيا يا عباس بن عبد المطلب بالنصب فيهما وفي نسخة برفع عباس لا اغني عنك من
الله شيا ويا صفية بالواو العاطفة بخلاف ما قبله بخلاف ما قبله من الفاظ الندا فانها
كانت علي سبيل التعداد وصفية مرفوعة وقوله عمة رسول الله منصوبة لا اغني
عنك من الله شيا وكذا قوله ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شيت من مالي كذا في النسخ
من موصوله لا اغني عنك من الله شيا قال التوربشتي اري انه ليس من المال الموقوف

في شي

شي وانما عبر به عما يملكه من الامر وينفذ تصرفه فيه ولم يثبت عندنا انه كان ذا مال لا سيما بمكة ويحتمل
ان الكلمتين اعني من وما وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة فكتبها منفصلتين
انتهي وفيه انه يرده قوله تعالي ووجدك عايلا فاغني اي بمال خديجة رضي الله عنها علي
ما قاله المفسرون وايضا لم يلزم من عدم وجود المال الحاضر للجواد ان لا يدخل في يده شي من
المال في الاستقبال فيحمل الواحد المذكور علي تلك الحال ومهما امكن الجمع لتصحيح الدراية تعين
عدم التخطية في الرواية والله سبحانه وتعالي اعلم **الفصل الثاني** عن ابي موسي
الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم امتي هذه اي امة الاجابة
الموجودة ذهنا المعهودة معني كانها المذكورة حسا امة مرحومة اي رحمة زايدة
علي ساير الامم لكون نبيهم رحمة للعالمين بل مسمي نبي الرحمة وهم خير الامة ليس عليها
عذاب اي شديد بعد في الاخرة بل غالب عذابهم انهم يجزون باعمالهم في الدنيا بالمحن والامراض
وانواع البلايا كما حقق في قوله تعالي من يعمل منكم سوا يجز به علي ما تقدم والله اعلم
ويويده قوله عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والقتل اي بغير حق وقيل الحديث خاص
بجماعة لم تات كبيرة ويمكن ان يكون الاشارة الي جماعة خاصة من الامة وهم المشاهدون
من الصحابة او المشية مقدرة لقوله تعالي ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا وقال المظهر هذا حديث مشكل لان مفهومه ان لا يعذب احد من امته
صلي الله عليه وسلم سوا فيه من ارتكب الكباير وغيره فقد ورد الاحاديث بتعذيب مرتكبي
الكباير اللهم الا ان يأول بان المراد بالامة هنا من اقتدي به صلي الله عليه وسلم كما ينبغي
وتمتثل بما امر الله وينتهي عما نهاه قال الطيبي الحديث وارد في مدح امته صلي الله عليه
وسلم واختصاصهم بما بين ساير الامم بعناية الله تعالي ورحمته عليهم وانهم ان اصيبوا
بمصيبة في الدنيا حتي الشوكة يشاكها ان الله يكفر بها في الاخرة ذنبا من ذنوبهم وليست
هذه الخاصية لساير الامم ويويده ذكر هذه وتعقيبها بقوله مرحومة فانه يدل علي مزية
تمييزهم بعناية الله ورحمته والذهاب الي المفهوم مهجور في مثل هذا المقام وهذه
الرحمة هي المشار اليه بقوله تعالي ورحمتي وسعت كل شي فسأكتبها للذين يتقون
ويوتون الزكاة الي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي انتهي ولا يخفي عليك
ان هذا الجمع مما لا يدفع الاشكال فانه لا اشكال عند ارباب الحال ان رحمة هذه الامة انما
هي علي وجه الكمال وانما الكلام في ان الحديث بظاهره يدل علي ان احدا منهم لا يعذب في الاخرة
وقد تواترت الاحاديث في ان جماعة من هذه الامة من اهل الكباير يعذبون في النار ثم
يخرجون اما بالشفاعة واما بعفو الملك الغفار وهذا منطوق الحديث ومفاده الماخوذ من
الفاظه ومبناه وليس بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتي يصح قوله ان هذا المفهوم
مهجور بل المراد بمفهومه في كلام المظهر المعلوم من العبارة ثم قول الطيبي وليست هذه
الخاصية وهي كفارة الذنوب بالبلية لساير الامم تحتاج الي دليل مثبت ولا عبرة بما فهم من
المفهوم من قوله عذابها في الدنيا الفتن الي اخره فانه قابل للتقييد بكون وقوع عذابها
غالبا رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه وصححه واقره الذهبي ذكره ميرك وفي
الجامع بلفظ امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب انما عذابها في الدنيا الفتن
والزلازل والقتل والبلايا رواه ابو داود والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابي موسي

ووقف ——— لله عز وجل

ورجاه الحاكم في الكنى عن انس امتي امة مرحومة مغفور لها متاب عليها اي يتوب الله ولا يتركها مصرة
على الذنوب ففيه دليل على ان المراد به خواص هذه الامة والله اعلم وعن ابي عبيدة
ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر اي ما بعث
به من اصلاح الناس دينا ودنيا وهو الاسلام وما يتعلق به من الاحكام بدا بالالف اي
ظهر وفي نسخة بالهمز اي ابتدا اول الامر الديني اخر زمانه صلى الله عليه وسلم زمان نزول الوحي
والرحمة نبوة ورحمة نصبهما على التمييز او الحال اي ذو نبوة ورحمة كاملة من نبي الرحمة على الامة
المرحومة ثم يكون اي امر الدين خلافة اي نيابة عن حضرة النبوة ورحمة اي شفقة على
الامة بطريق كمال الولاية على وجه التبعية الى ثلاثين سنة فانقضت بستة اشهر ايام
الحسن فليس لمعاوية نصيب في الخلافة خلافا لمن خالفه ثم ملكا عضوضا بفتح العين
فعول للمبالغة من العض بالسن اي يصيب الرعية فيه ظلم يعضون فيه عضا وروي
بضم العين جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرس اي يكون ملوك يظلمون الناس ويوذونهم
بغير حق وهذا مبني على الغالب اذ النادر لا حكم له فلا يشكل بان عمر ابن عبد العزيز كان عادلا
حتى سمي عمر الثاني وقضاياه مشهورة ومناقبه مسطورة ثم كاين اي ذلك الامر وثم هذا الامر
كاين جبرية بفتح الجيم والموحدة على النصب اي قهرا وغلبة وعتوا بضمتين فتشديد
اي تكبرا وفسادا في الارض اي من الحرث والانعام وغير ذلك من منكرات العظام ولعل وجه العدول
في الكلام وهو الاستمرار والدوام كما هو مشاهد في هذه الايام حيث استقرت الخلافة في ايدي
الظلمة بطريق التسلط والغلبة من غير مراعاة شروط الامامة اولا ثم في زيادة الظلم والتعدي
على الرعايا والتحكم عليهم بانواع البلايا واصناف الرزايا ثانيا ثم في اعطاء المناصب لغير اربابها
المستحقين لها وعدم الالتفات الى العلماء العاملين والاولياء الصالحين ثالثا غالب سلاطين
زماننا تركوا القتال مع المشركين وتوجهوا الى مقاتلة المسلمين لاخذ البلاد واعطاء الفساد ولذا
قال بعض علمائنا من قال سلطان زماننا عادل فهو كافر وما اقبح ما صدر عن بعض خوانين
الازبك في زماننا انه امر بقتل العام في بلد عظيم من بلدان اهل الاسلام المشتمل على مشايخ
الكرام وسادات العظام وعلماء الاسلام والنساء والضعفاء والاطفال وساير المرضى والعميان والاهل
والقبايل الوف مؤلفة وصنوف موتلفة والحال ان اهل البلد المذكور على الملة الحنفية
ومذهب الحنفية من جملة اهل السنة والجماعة ومدعي السلطنة يزعم انه على تعظيم
العلم والشريعة وقد صرح علماونا بان المسلمين لو فتحوا قلعة من اهل الكفر ويوجد فيهم
الوف من اهل الحرب لكن فيهم ذمي واحد مجهول العين فيما بينهم لا يحل قتل العام فبذلك المقام فلا
حول ولا قوة الا بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان
الله قد احاط بكل شيء علما هذا وقد ظهر الفساد في البر والبحر حتى في الحرمين الشريفين
مما لم يمكن ذكره ومما لم يتصور فكره والله ولي التوفيق لدينه وناصر نبيه وكل عام بل كل يوم
وكل ساعة شرها قبله الى ان تقوم الساعة ولم يكن في الارض من يقول الله الله ويؤيده
قوله يستحلون الحر والحرير والخمور اي بانواعها كما سبق يرزقون وفي نسخة
ويرزقون اي والحال انهم يرزقون على ذلك اي ما ذكر من الاستحلال وساير قبايح
الافعال وينصرون اي على مقاصدهم من الاعمال لحكمة عجزت عن ادراكها ارباب الكمال حتى يلقوا
الله اشارة الى قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم

يتشخص

يتشخص فيه الابصار رواه البيهقي في شعب الايمان قلت وكان الاولى ان يذكره في كتابه دلايل النبوة
وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما يكفا
بصيغة المجهول مهموزا من كفات الاناء اي قلبته وامليته وكببته لافراغ ما فيه قيل انه صلى الله
عليه وسلم كان يتحدث في الخمر فقال في اثناء حديثه ان اول الخ فالخبر محذوف اي الخمر لكنه غير
ملايم لما بعده من نقل المولف قال زيد بن يحيى الراوي اي احد رواة هذا الحديث يعني الاسلام
فان الظاهر ان مراده تقدير الخبر وان معناه اول ما يتغير الاسلام وهو الانقياد والظاهر
المتعلق بارتكاب الطاعات واجتناب المحرمات ويؤيده قوله كما يكفا الاناء اي ما فيه
ولهذا قال الراوي يعني اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاناء الخمر اما على مجاز
الحذف اي مظروف الاناء واما على ذكر المحل وارادة الحال كما حقق في قوله تعالى واسئل القرية
لكن يشكل بقوله قيل فكيف يا رسول الله اي يتبين يعني الخمر ويمكن دفعه بان يقال المعنى فكيف
الحال في انقلاب احكام الاسلام وتبيان الحلال والحرام وقد بين الله فيها اي في الخمر مثلا ما بين
اي من تحريمها قال يسمونها من غير اسمها اي يسمونها باسم النبيذ والمثلث فيستحلونها
اي حقيقة فيصيرون كفرة اي فيظهرون انهم يشربون شيئا حلالا فيكونون فسقة مكرة ولذا
قال بعض الشراح يعني انهم يستترون بما ابيح لهم من الانبذة فيتوصلون بذلك الى استحلال
ما حرم عليهم منها هذا ما ظهر لي في هذا المقام من حل المرام وقال الطيبي خبر ان محذوف
وهو الخمر والكاف في كما يكفا صفة مصدر محذوف يعني اول ما يكفا من الاسلام اكفا مثل
اكفا ما في الاناء انتهى وافاد التقدير من الاسلام وان من تبعيضية ساقطة من الكلام اي
من احكامه وقال القاضي يكفا يقلب ويمال ويقال كفات القدر اذا قلبتها لينصب عنها
ما فيها والمراد به الشرب ههنا فان الشارب يكفا القدح عند الشرب وقول الراوي يعني
الاسلام ريب به في الاسلام ويسقط عنه والمعنى ان اول ما يشرب من المحرمات ويجترا على شربه
في الاسلام كما يشرب الماء ويجترا عليه هو الخمر ويأولون في تحليلها بان يسموها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث
انتهى فيفيد ان النبيذ والمثلث حلال الان وان حقيقة الشي لا يتغير باسم شي عليه كما يسمي
الزنجي بالكافور فلا يصح استدلال من توهم حرمة القهوة المحدثة بانها من اسماء الخمر ولا بانها
تشرب على هيئة اهل الشرب لانا نقول لا خصوصية ح بالقهوة فان اللبن والماء الورد كذلك
اذ الشرب المتعارف في الحرمين الشريفين وغيرهما ليس على منوال شرب الفسقة فانه يتناول
الزبادي المتعددة وشرب جماعة في حالة متحددة وبهذا يزول المشابهة وترتفع
الشبهة ويحال على اباحتها ما نص الله في كلامه بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وان
الاصل في الاشياء الاباحة ما لم يصرف عنها دليل من الكتاب والسنة واجماع الامة او القياس على وجه
الصحة رواه الدارمي وروى احمد والضياء عن عبادة بن الصامت مرفوعا لتستحلن طايفة

الفصل الثالث

من امتي الخمر باسم يسمونها اياه وعن النعمان بن بشير له ولابويه صحبة عن حذيفة اي صاحب
اسرار النبوة المحمدية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة بالرفع على ان تكون قايمة
اي توجد وتقع فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة بالرفع وفي بعض النسخ
المصححة بالنصب على ان يكون ناقصة وهو الملايم لما سياتي من قوله ثم يكون ملكا والمعنى
ثم تنقلب النبوة خلافة ان تكون الحكومة او الامارة خلافة اي نيابة حقيقة على منهاج
النبوة اي طريقها الصورية والمعنوية ما شاء الله ان تكون اي الخلافة وهي ثلاثون سنة

علي ما ورد ثم يرفعها الله تعالي ثم تكون ملكا عاضا اي يعض بعض اهله بعضا كعض الكلاب فيكون اي
الملك اي الامر علي هذا المنوال ما شا الله ان يكون ثم يرفعها الله تعالي اي تلك الحالة ثم تكون اي
الحكومة ملكا جبرية اي جبروتية وسلطنة عظموتية فيكون اي الامر علي ذلك ما شا الله ان يكون
ثم يرفعها الله تعالي اي الجبرية ثم تكون اي تنقلب وتصير خلافة وفي نسخة بالرفع اي تقع وتحدث
خلافة كاملة علي منهاج نبوة اي من كمال عدالته والمراد بها زمن عيسي والمهدي عليهما السلام
ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلام قال حبيب قال المولف هو حبيب بن سالم مولى النعمان
ابن بشير وكاتبه روي عنه وعنه محمد بن المنتشر وغيره فلما قام عمر بن عبد العزيز اي بامر الخلافة
كتبت اليه بهذا الحديث اذكره اياه بتشديد الكاف من التذكير يعني للموعظة وقلت ارجوا
ان تكون اي انت او الخليفة امير المومنين وفي نسخة بايعنه اي يكون الموعود امير المومنين
وقال الطيبي امير المومنين خبر يكون وقوله بعد الملك العاض والجبرية ظرف لجعلي تاويل
الحاكم العادل نحوه قوله تعالي وهو الله في السموات اي معبود فيها قلت وفي بعض النسخ
بالتذكير في يكون وبالرفع في امير المومنين فيكون قوله بعد الملك ظرفا واقعا خبر ليكون
فسر بضم السين وتشديد الراء اي فرح به اي بهذا الحديث رجاء ان يكون في حقه واعجبه
عطف تفسيري يعني اي رجي القايل بالضمير عمر بن عبد العزيز رواه احمد اي في مسنده
والبيهقي في دلايل النبوة وفي الجامع تكون امرا يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون في النار
تتبع بعضهم بعضا رواه الطبراني عن معاوية وروي ابن عساكر عن علي رضي الله عنه مرفوعا
تكون لاصحابي زلة يغفرها الله تعالي لسابقتهم معي

كتاب الفتن

الفتن جمع الفتنة وهي الامتحان والاختبار بالبلية

الفصل الاول

عن حذيفة قال قام اي خطيبا وواعظا فينا اي فيما بيننا او لاجل ان يعظنا ويخبرنا بما سيظهر من الفتن لنكون
علي حذر منها في كل الزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما اما مصدر ميمي او اسم مكان
وقيل اسم زمان والجملة المنفية وهي قوله ما ترك شيا الي اخره صفته وقوله يكون يعني
يوجد صفة شيا وقوله في مقامه متعلق بترك ووضع مقامه موضع ضمير الموصوف
وقوله ذلك صفة مقامه اشارة الي زمانه عليه السلام وقوله الي قيام الساعة غاية ليكون
والمعني قام مقاما ما ترك شيا يحدث فيه وينبغي ان يخبر بما يظهر من الفتن من ذلك الوقت الي قيام
الساعة الا حدث به اي بذلك الشي الكاين حفظه من حفظه اي المحدث به ونسيه من نسيه
قد علمه اي هذا القيام او هذا الكلام بطريق الاجمال اصحابي هولا اي الموجودون من جملة
الصحابة لكن بعضهم لا يعلمونه متصلا لما وقع لهم بعض النسيان الذي هو من خواص
الانسان وانا الاخرهم نسي بعضه وهذا معني قوله وانه اي الشان وابعد من قال ان
الضمير لقوله شيا ليكون منه الشي قد نسيته صفة لشي واللام فيه زايدة واللام في
ليكون مفتوحة علي انه جواب لقسم مقدر والمعني ليقع شي مما ذكره النبي صلى الله عليه
وسلم وقد نسيته فاراه فاذكره اي فاذا عاينته فذكرت ما نسيته والعدول من المضي
الي المضارع الاستحضار حكاية الحال ثم شبه الموصوف بالمعاين فقال كما يذكر الرجل وجه
الرجل اذا غاب عنه اي ثم ينساه ثم اذا راه عرفه متفق عليه وعنه اي عن حذيفة
رضي الله تعالي عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض بصيغة المجهول
اي توضع وتبسط الفتن اي البلايا والمحن وقيل العقايد الفاسدة والاهوا الكاسدة

علي القلوب وقيل تعرض عليها اي تظهر لها ويعرف ما يقبل منها وما يا باه ومنفر منها من عرض العود علي الانا
اذا وضعه عليه بعرضه وقيل هو من عرض الجند بين يدي السلطان لاظهارهم واختبار احوالهم
كالحصير اي كما يبسط الحصير عودا عودا بضم عين ودال مهملة وبنصبها علي الحال اي ينسج
الحصير حال كونه علي هذا المنوال وقال التوربشتي قد روي بالرفع وكذا رويناه عن كتاب مسلم
وعلي هذا الوجها ورده صاحب المصابيح والتقدير هو عود ورواه اخرون بالنصب انتهي
فهو خبر مبتدا مقدر او التقدير ينسج عود عود فهو مفعول ما لم يسم فاعله وفي نسخة
عوذا عوذا بفتح العين والذال المعجمة اي نعوذ بالله من ذلك عوذا بعد عوذ قال النووي هذان
الحرفان مما اختلف في ضبطه علي ثلاثة اوجه اشهرها واظهرها ضم العين والدال المهملة والثاني
فتح العين والدال المهملة والثالث فتح العين والذال المعجمة ومعني تعرض اي تلصق بعرض
القلوب اي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النايم وتوثر فيه شدة التصاقها ومعني عودا اي
يعاد ويكرر شيا بعد شي قال ابن سراج ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سوال الاستعاذة منها
كما يقال غفرا غفرا اي نسالك ان تعيذنا من ذلك وان تغفر لنا وقال الخطابي معناه تظهر علي القلوب
اي تظهر لها فتنة بعد اخري كما ينسج الحصير عودا وشطبة بعد اخري قال القاضي عياض وعلي
هذا يترجح رواية العين وذلك ان ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا اخذ اخر ونسجه
فشبه عرض الفتن علي القلوب واحدة بعد اخري بعدد قضبان الحصير علي صانعها واحدا بعد
واحد انتهي فاذا كان الامر كذلك فاي قلب اشربها بصيغة المفعول يقال اشرب في قلبه
حبه اي خالطه فالمعني خالط الفتن واختلط بها ودخلت فيه دخولا تاما ولزمها
لزوما كاملا وحلت منه محل الشراب في نفوذ المسام وتنفيذ المرام ومنه قوله تعالي
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل والاشراب خلط لون بلون كان احد
اللونين شرب الاخر وكسي لونا اخر فالمعني جعل متاثرا بالفتن بحيث تداخل فيه
حبها كما تتداخل الصبغ الثوب فكتبت بصيغة المجهول اي نقطت ولزقت فيه اي في
قلبه نكتة سودا واصل النكت ضرب الارض بقضيب فيوثر فيها واي قلب انكرها
اي رد الفتن وامتنع من قبولها نكتت فيه نكتة بيضا اي ان لم تكن فيه ابتدا والا فمعني نكتة
انبتت فيه ودامت واستمرت حتي غاية الامرين تصير بالفوقية وفي نسخة بالتحتية اي
تصير قلوب اهل ذلك الزمان او يصير الانسان باعتبار قلبه او يصير قلبه علي قلبين اي نوعين
وصنفين ابيض بالرفع اي احدهما ابيض مثل الصفا بالقصر اي مثل الحجر الاملس في غاية
البياض والصفا وفي نسخة بفتحهما علي ان الاول بدل البعض من قلبين والثاني علي الحال منه اي
مماثلا ومشابها للصفا في النور والبها فلا تضره فتنة وظلمة وبلية ما دامت السموات
والارض لانها قلوب صافية قد انكرت تلك الفتن في ذلك الزمن فحفظها عنها بعد تلك
الساعة الي يوم القيامة والاخر بالرفع وكذا قوله اسود مربادا بكسر الميم والدال المشددة
من اربادا كاحمار اي صار لكون الرماد من الربدة لون بين السواد والغبرة وهو حال او منصوب علي الذم
كالكوز اي يشبه الاخر الكوز حال كونه مجخيا بضم ميم وسكون جيم وخا مكسورة مشددة وقد تخفف
ويا اخر الحروف وفي النهاية وروي بتقديم الخا علي الجيم اي مايلا منكوسا شبه من هو خال من
العلوم والمعارف بكوز مايل لا يثبت فيه شي ولا يستقر وهذا معني قوله لا يعرف اي هذا القلب
معروفا ولا ينكر منكرا والمعني لا يبقي فيه عرفان ما هو معروف ولا انكار ما هو منكر الا ما اشرب اي

ومـــــ ـــــ لله عز وجل

القلب من هواه اي فيتبعه طبعا من غير ملاحظة كونه معروفا او منكرا شرعا هذا مجمل المقام
وتفصيله ما ذكره شراح الكرام في هذا المقام قال القاضي اي حتى يصير جنس الانس على قسمين قسم
ذو قلب ابيض كالصفا وذو قلب اسود مربدا قال المظهر الضمير في للقلوب اي تصير القلوب على
نوعين احدهما ابيض وثانيهما اسود قال التوربشتي الصفا الحجارة الصافية الملساء واريد به ههنا
النوع الذي صفا بياضه وعليه نبه بقوله ابيض وانما ضرب المثل به لان الاحجار اذا لم تكن معدنية
لم تتغير بطول الزمان ولم يدخلها لون اخر لاسيما النوع الذي ضرب به المثل فانه ابدا على البياض الخالص
الذي لا يشوبه كدرة وانما وصف القلب بالربدة لانه انكر ما يوجد من السواد بخلاف ما يشوبه صفا
وتعلوه طراوة من النوع الخالص وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ليس تشبيهه بالصفا بيانا
لبياضه لكنه صفة اخرى شدته على عقد الايمان وسلامته من الخلل وان الفتن لم تلصق به ولم تؤثر
فيه كالصفا وهو الحجر الاملس الذي لا يعلق به شي واما قوله مربادا فكذا هو في روايتنا واصول بلادنا
وهو منصوب على الحال وذكر القاضي عياض خلافا في ضبطه فان منهم من ضبطه كما ذكرناه ومنهم
من رويه مربئد بهمزة مكسورة بعد البا واصله ان لا يهمز ويكون مربدا مثل مسودا ومحمرا لانه من
اربد الا على لغة من قال احمأ وبهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين فيقال اربأد فهو مربئد والدال مشددة على
القولين قال المظهر قوله الا ما اشرب يعني لا يعرف القلب الا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة
والشهوات النفسانية وقال الطيبي ولعله اراد من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح اي ليس فيه
خير البتة الا هذا وهذا ليس بخير فيلزم منه ان لا يكون فيه خير رواه مسلم وعنه
اي عن حذيفة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين اي في امر
الامانة الحادثة في زمن الفتنة وبهذا يظهر وجه مناسبته ذكرها في الباب قال النووي الاول حدثنا
ان الامانة نزلت الى اخره والثاني حدثنا عن رفعها رأيت احدهما وهو نزول الامانة وانا انتظر
الاخر وهو رفع الامانة حدثنا وهو الحديث الاول ان الامانة وهي الايمان رمز قوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السماوات والارض وعبر عنه بها لانها مدار امر الديانة نزلت في جذر قلوب
الرجال بفتح الجيم وكسرها اي اصل قلوبهم شارح جذر كل شي اصله اي ان الامانة اول ما نزلت
في قلوب رجال الله واستولت عليها فكانت هي الباعثة على الاخذ بالكتاب والسنة وهذا هو
المعني بقوله ثم علموا اي بنور الايمان من القران اي مما يتلقون عنه صلى الله عليه وسلم واجبا كان او
نفلا حراما او مباحا ماخوذا من الكتاب او الحديث وقوله ثم من السنة وفي نسخة صحيحة
ثم علموا من السنة فيه اشارة الى تاخير رتبة الماخوذ من الحديث بالنسبة الى نص
كلام الحق ثم قال النووي الظاهر ان المراد بالامانة التكليف الذي كلف الله تعالى به
عباده والعهد الذي اخذه عليهم قال صاحب التقرير الامانة في الحديث هي الامانة
المذكورة في قوله تعالى انا عرضنا الامانة وهي عين الايمان انتهى والظاهر ان المراد بالعهد
في كلام النووي العهد الميثاقي وهو الايمان الفطري فنذكر قول صاحب التقرير لبيان
مزيد تحرير التقرير لا لانه مخالف للظاهر على ما هو المتبادر فانه غير موافق لصدر الحديث
السابق وكذا ما ياتيه من ختم الحديث بقوله اللاحق حيث قال وما في قلبه مثقال
حبة من خردل من ايمان على ان الايمان هو نبع الامانة واما قوله صلى الله عليه وسلم لا ايمان
لمن لا امانة له فالمراد به نفي الكمال والله اعلم بالحال وحدثنا وهو الحديث الثاني عن رفعها
اي ارتفاع ثمرة الايمان وانتقاضه فانه سيكون بعد عصره في عصر الصحابة قال ينام الرجل

النومة

النومة وهي على حقيقتها بعدم امر اضطراري واما النومة كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب السيئة
الباعثة على نقص الامانة ونقص الايمان فتقبض الامانة اي بعضها كما يدل عليه ما بعده والمعنى
ينقص بعض ثمرة الايمان من قلبه فيظل بفتحات فتشديد بدل لام اي فيصير اثرها اي اثر الامانة
وهي ثمرة الايمان مثل اثر الوكت بفتح الواو واسكان الكاف وبالفوقية وهو الاثر اليسير كالنقطة
في الشي من غير لونه ثم ينام النومة اي الاخرى فتقبض اي الامانة اي بعض ما بقي منها فيبقى معروفا وقيل
مجهول اثرها مثل اثر المجل بفتح الميم وسكون الجيم ويفتح وهو اثر العمل في اليد كجمر اي تاثيرا كتاثير
جمر وقال شارح ابدل من مثل اثر المجل اي يكون اثرها في القلب كاثر جمر او خبر مبتدا محذوف
اي هو يعني اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط بكسر الفاء ذكر الضمير فيه وكذا في قوله فتراه منتبرا
بكسر الموحدة منتفخا مع ان الرجل مونث سماعي على ارادة الموضع المدحرج عليه الجمر ومنه قول
عمر رضي الله عنه اياكم والتخلل بالقصب فان الفم ينتبر منه اي يرم وينتفط قيل المعنى تخيل
اليك ان الرجل ذو امانة وهو في ذلك بمثابة نفطة تراها منتفطة مرتفعة كبيرة لا طائل تحتها
وفي الفائق الفرق بين الوكت والمجل ان الوكت النقط في الشي من غير لونه والمجل غلظ
الجلد من العمل لا غير وبني لعليه قوله فتراه منتبرا وليس فيه شي اي صالح بل ما فاسد وفي
شرح مسلم قال صاحب التحرير معنى الحديث ان الامانة تزول عن القلوب شيا فشيا فاذا زال
اول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله فاذا
زال شي اخر صار كالمجل وهو اثر محكم لا يكاد يزول الا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها ثم شبه
زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة اياه بجمر يدحرجه
على رجله حتى يوثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى النفط وانما ذكر نفط ولم يقل نفطت اعتبارا بالعضو
انتهى وقال شارح من علامات ايمان الامانة ترفع عن القلوب عقوبة لاصحابها على ما اجترحوا
منه الذنوب حتى اذا استيقظوا من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه ويبقى فيه
اثرها تارة مثل الوكت وتارة مثل المجل وهو انتفاط اليد من العمل والمجل وان كان مصدرا
الا ان المراد به ههنا نفس النفطة وهذه اقل من المرة الاولى لانه شبهها بالمجوف بخلاف المرة الاولى
لانه شبهها بالمجوف اراد به خلو القلب عن الامانة مع بقاء اثرها من طريق الحسبان ويصبح
الناس اي بعد خلوهم في الصباح او يصيرون بتبايعون اي يجري بينهم التبايع او يقع عندهم
التعاهد ولا يكاد احد يؤدي الامانة بل يظهر من كل احد منهم الخيانة في المبايعة والمواعدة
والمعاهدة ومن المعلوم ان حفظ الامانة اثر كمال الايمان فاذا انقص الامانة نقص الايمان وبطل
الايقان وزال الاحسان فيقال اي من غاية قلة الامانة في الناس ان في بني فلان رجلا امينا اي
كامل الايمان وعامل الامانة ويقال اي في ذلك الزمان للرجل اي من ارباب الدنيا ممن له عقل
في تحصيل المال والجاه وطبع في الشعر والنثر وفصاحته وبلاغته وصباحته وقوة بدنية وشجاعة
وشوكة ما اعقله وما اظرفه وما اجلده تعجبا من كماله واستغرابا من مقاله واستبعادا من جماله
وحاصله انهم يمدحونه بكثرة العقل والظرافة والجلادة ويتعجبون منه ولا يمدحون احدا
بكثرة العلم النافع وصلاح العمل الصالح وما في قلبه حال من الرجل والحال انه ليس في قلبه مثقال
حبة اي مقدار شي قليل من خردل من بيانية لحبة اي هي خردل من ايمان اي كائنا منه
وهو يحتمل ان يكون المراد منه نفي اصل الايمان او كماله والله اعلم قال الطيبي لعله انما حملهم على تغيير
الامانة في قوله ان الامانة نزلت بالايمان لقوله اخرا وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان

سعى الاحملوها على حقيقتها لقوله ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يودي الامانة فيكون وضع الامانة
اخر موضعها تفخيما لشانها وحثا على ادايها قال صلى الله عليه وسلم لا دين لمن لا امانة له قلت انما حملهم عليه
ما ذكرنا اخرا وما صدر اولا من قوله نزلت في جذر قلوب الرجال فان نزول الامانة بمعنى الايمان هو
المناسب لجعل قلوب المومنين ثم يعلمون ايمانهم واتقانهم بتتبع الكتاب والسنة واما
الامانة فهي جزئية من كلية ما متعلق بالايمان والقران والله سبحانه اعلم متفق عليه
وعنه اي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال كان الناس اي اكثرهم يسالون رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الخير اي عن الطاعة ليمتثلوها او عن السعة والرخا ليفرحوا به ويستعينوا
بالدنيا على الاخرى وكنت اساله عن الشر اي عن المعصية او الفتنة المرتبة على التوسعة مخافة
ان يدركني اي خشية ان يلحقني الشر نفسه او سببه وهذا تعريف هو مختار الحكما وكثير
من الفضلا ان رعاية الاحتما اولى في دفع الدا من استعمال الدوا وان التخلية مقدمة على التحلية
وفي كلمة التوحيد اشارة الى ذلك حيث نفى السوى ثم اثبت المولى بل مدار معرفة الله على
النعوت التنزيهية كقوله تعالى ليس كمثله شي دون الصفات الثبوتية لظهور
وجودها في خالق الاشيا بالضرورة العقلية قال الطيبي المراد بالشر الفتنة ووهن عرى
الاسلام واستيلا الضلالة وفشو البدعة والخير عكسه يدل عليه ما نقل الراوي عنه
قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا في جاهلية اي ايام غلب فيها الجهل بالتوحيد
والنبوة وما يتبعهما من ساير احكام الشريعة فقوله وشر عطف تفسيري والمعني به
الكفر فهو تخصيص بعد تعميم فجانا الله بهذا الخير اي الخير العظيم وهو الاسلام ببركة
بعثتكم ومفهومه انه ذهب بالشرعنا بهدم قواعد الكفر والضلال والمحذوف وجعل من
باب الاكتفا لاسيما وهما ضدان لا يجتمعان فهل بعد هذا الخير اي الثابت من شر اي من
الاكتفا لاسيما وهما ضدان لا يجتمعان فهل بعد هذا الخير اي الثابت من شر اي من حدوث بعض شر
قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن بفتحتين اي كدورة اي سواد والمراد
ان لا يكون خيرا صفوا محضا بل يكون مشوبا بكدورة وظلمة قلت وما دخنه قال يستنون بتشديد
النون الاولى اي يقتدون بغير سنتي ويهدون اي يدلون الناس بغير هديي اي
بغير طريقتي ويتخذون سيرة غير سيرتي تعرف منهم وتنكر قال المظهر اي ترى فيهم
ما تعرف انه من ديني وترى ايضا ما تنكر انه ديني قال الاشرف تعرف منهم المنكر بان
يصدر المنكر عنهم وتنكر خبر بمعنى الامر اي انكر عليهم صدور المنكر عنهم قال الطيبي الوجه
الاول راجع الى معنى قوله نعم وفيه دخن اي تعرف فيهم الخير فتقبل والشر فتنكر فهو من المقابلة
المعنوية والوجه الثاني راجع الى معنى قوله يستنون بغير سنتي فالوجه ان يكون المعطوف
عليه كلاهما في معنى الامر اي اعرف منهم ذلك وانكر والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام اقول
وفيه نظر لا يخفى اذ ليس لكل احد له قابلية معرفة المعروف وانكار المنكر فالخطاب خاص لحذيفة
وامثاله من اهل العلم والديانة قيل المراد بالشر الاول الفتن التي وقعت عند قتل عثمان رضي
الله عنه وما بعده وبالخير الثاني ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز وبالذين تعرف
منهم وتنكر الامرا بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل ومنهم من يدعو الى البدعة
ويعمل بالجور ومنهم من يعمل بالمعروف تارة ويعمل بالمنكر اخرى بحسب ما يقع لهم من تتبع الهوى
وتحصيل عرضهم من اموال الدنيا لانهم لا يريدون تحري الاخرى ورعاية الدار الاخرى كما

عليه

عليه بعض امرائنا وقيل المراد من الشر الاول فتنة عثمان وما بعده وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن
مع معاوية والاجماع عليه وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الامراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف
عليه من الخوارج قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة جمع داع على ابواب جهنم قال الاشرف اي
جماعة يدعون الناس الى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بانواع من التلبيس ومن الخير الى الشر
ومن السنة الى البدعة ومن الزهد الى الرغبة جعل النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الدعاة واجابة المدعوين
سببا لادخالهم اياهم في جهنم ودخولهم فيها وجعل كل نوع من انواع التلبيس بمنزلة باب من ابواب
جهنم من اجابهم اي الدعاة اليها اي الى جهنم يعني الى الضلالة المودية اليها قذفوه فيها اي
رموه وصاروا سببا لقذفه في جهنم قيل المراد بالدعاة من قام في طلب الملك من الخوارج والروافض
وغيرهما ممن لم يوجد فيهم شروط الامارة والامامة والولاية وجعلوا دعاة على ابواب جهنم باعتبار
المال نحو قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل هو
كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فكانهم لا يكونون على ابواب جهنم داعين
الناس الى الدخول في ضيافتهم اولان المباشر بسبب شي فكانه واقع به داخل فيه قلت يا رسول
الله صفهم لنا اي اهم منا او من غيرنا قال هم جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا كذا في النهاية
وقيل معناه من اهل ملتنا ذكره الاشرف وهو الاظهر وقيل من ابنا جنسنا وفيه ان الجلدة
اخص من الجلد وجلد الشي ظاهره وهو في الاصل غشا البدن ويتكلمون بالسنتنا اي بالعربية
وبالمواعظ والحكم او بما قال الله وقال رسوله وما في قلوبهم شي من الخير يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم قلت فما تامرني اي ان افعل به فيهم ان ادركني ذلك اي ذلك الزمان قال تلزم
جماعة المسلمين اي طريقتهم وحضور جمعتهم وجماعتهم وامامهم اي ورعاية امامهم ومتابعتهم
ومساعدتهم قلت فان لم يكن لهم جماعة اي متفقة ولا امام اي امير يجتمعون عليه وهو
يحتمل فقدهما او فقد احدهما قال فاعتزل تلك الفرق كلها اي الفرق الضالة الواقعة على خلاف
الجادة من طريق اهل السنة والجماعة ولو ان تعض باصل شجرة اي ولو كان الاعتزال بالعض
وان مصدرية وتعض منصوب في النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقيل ان مخففة من
الثقيلة قال التوربشتي اي تمسك بما يصبرك وتقوى به على اعتزالك ولو بما لا يكاد يصح
ان يكون متمسكا قال الطيبي هذا شرط يعقب به الكلام تتميما ومبالغة اي اعتزل الناس
اعتزالا لا غاية بعده ولو قنعت فيه بعض اصل الشجر فافعل فانه خير لك حتى يدركك
الموت وانت على ذلك اي على ما ذكر من الاعتزال او العض او الخير متفق عليه وفي رواية لمسلم
قال ميرك اخرج مسلم هذه الرواية عقب الحديث المتقدم من حديث ابي سلام عن حذيفة
وذكر الدارقطني ان ابا سلام لم يسمع من حذيفة ولذا قال فيه قال حذيفة فيكون الحديث منقطعا
وقال بعض الحفاظ انما لم يخرج البخاري لابي سلام شيئا في صحيحه لان رواياته مرسلة انتهى وابو
سلام اسمه ممطور الاسود الحبشي وقال النووي ما قاله الدارقطني صحيح ولكن المتن صح بالطريق
الاول وانما اتى مسلم بهذا متابعة فان المرسل اذا اتى من طريق اخر تبين به صحة المرسل وجاز الاحتجاج
به ويصير في المسالة حديثان صحيحان والله اعلم اقول هذا الاشكال انما هو على قول الشافعي
ومن تبعه من ان المرسل ليس بحجة واما على قول الجمهور بانه حجة ومنهم ابو حنيفة فلا شبهة
فيه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعدي ايمة بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وابدالها جمع
امام على ان اصله اممة على وزن افعلة اي جماعة يطلق عليهم الايمة لا يهتدون بهديي اي

اي من حيث العلم ولا يستنون بسنتي اي من حيث العمل والمعني انهم لا ياخذون بالكتاب والسنة
وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين كقلوبهم في الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس
والاراء الكاسدة والاهوا الفاسدة في جثمان انس بضم الجيم اي في جسده والمراد به جنس الانس
فيطابق الجمع السابق قال حذيفة قلت كيف اصنع يا رسول الله ان ادركت ذلك اي ذلك الوقت
او ما ذكر من اهل ذلك الزمان قال تسمع اي ما يامرك الامير حتي يعني اي فيما لا معصية فيه الامر
وكذا قوله وتطيع اي فيما لا معصية فيه الامير مفعوله تنازع فيه الفعلان وان ضرب ظهرك
بصيغة المجهول اي ولو ضربت واخذ مالك وفي نسخة بصيغة المعلوم فيهما ففيهما ضمير الامير والاسناد
حقيقي او مجازي وتخصيص الظهر لبيان الواقع غالبا وقوله فاسمع واطع جزا الشرط اي لمزيد تقرير
واهتمام تحريض بشانه والا فما قبل الشرط اغني عنه قال ابن الملك الان امرك باثم فلا تطعه لكن لا
تقاتله بل فر منه **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بادروا
اي سابقوا وسارعوا بالاعمال اي بالاشتغال بالاعمال الصالحة فتنا اي وقوع فتن كقطع
الليل المظلم بكسر القاف وفتح الطاء جمع قطعة والمعني كقطع من الليل المظلم لفرط سوادها وظلمتها
وعدم تبين الصلاح والفساد فيها وفيه ايما الي ان اهل هذه الفتن ما قال تعالي في حقهم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما وقد قرا ابن كثير والكسايي في الاية بسكون الطاء الي ان المراد به جزء
من الليل او من سواده وبل دفه قطعة وحاصل المعني تعجلوا بالاعمال الصالحة قبل مجي الفتن
المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في امر الدنيا والدين فانكم لا تطيقون
الاعمال علي وجه الكمال فيها والمراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث انها تشيع فيها ولا
يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها فالمبادرة المسارعة بادراك الشي قبل فواته او دفعه قبل
وقوعه يصبح الرجل مومنا اي موصوفا باصل الايمان او بكماله ويمسي كافرا وقيل المعني يصبح
محرما ما حرمه الله ويمسي مستحلا اياه وبالعكس وحاصله التذبذب في امر الدين والتتبع
لامر الدنيا كما بينه بقوله يبيع اي الرجل او احدهم كما في الجامع دينه اي يتركه بعرض بفتحتين
اي باخذ متاع دني وثمن رديء من الدنيا زاد في الجامع قليل بالجر علي انه صفته عرض وقد روي
ابن ماجة والطبراني عن ابي امامة ستكون فتن يصبح الرجل فيها مومنا ويمسي كافرا الا
من احياه الله فقوله يصبح استينا في بيان لحال المشبه وهو قوله فتنا وقوله يبيع
الي اخره بيان للبيان قال المظهر فيه وجوه احدها ان يكون بين طايفتين من المسلمين قتال لمجرد
العصبية والغضب فيستحلون الدم والمال وثانيها ان يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون
دما المسلمين وياخذون اموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس
انهم علي الحق ويفتيهم بعض علما السوء علي جواز ما يفعلون من المحرمات من اراقة الدما
واخذ الاموال ونحوهما وثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها
فيستحلونها والله اعلم رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وروي البيهقي عن ابي امامة مرفوعا
بادروا باعمال سبعا ما تنتظرون الا فقرا منسيا او غني مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فانه شر منتظر والساعة ادهي وامر وروي الطبراني عن عابس
الغفاري مرفوعا بادروا بالاعمال ستا امارة السفها وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة
الرحم ونشوا يتخذون القران مزامير يقدمون احدهم ليغنيهم وان كان اقلهم فقها **وعنه** اي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ستكون فتن اي عظيمة او كثيرة

وهـ سعوما

متعاقبة متوالية او متراخية القاعد فيها اي في تلك الفتن خير من القايم لانه يري ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه
القاعد فيكون اقرب من عذاب تلك الفتنة بمشاهدته ما لا يشاهده القاعد ويمكن
ان يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحرك لما يقع من الفتن في زمانه
والمراد بالقايم ما يكون فيه نوع باعث وداعية لكنه متردد في اثارة الفتنة
والقايم فيها اي من بعيد متشرف عليها او القايم بمكانه في تلك الحالة خير من الماشي اي من الذاهب
علي رجله اليها والماشي فيها اي اليها او فيما بينها خير من الساعي اي من المسرع اليها ماشيا
او راكبا من تشرف لها بتشديد الراء اي من تطلع اليها تستشرفه بالجزم وبرفع اي تطلبه وتجذبه
اليها قال التوربشتي اي من تطلع لها دعته الي الوقوع فيها والتشرف التطلع واستعير هنا للاصابة
بشرها او اريد به انها تدعوه الي زيادة النظر اليها وقيل انه من استشرفت الشي اي علوته
يريد من انتصب لها انتصبت له وصرعته وقيل هو من المخاطرة والاشفاء علي الهلاك اي من
خاطر بنفسه فيها اهلكته قال الطيبي لعل الوجه الثالث اولي لما يظهر منه معني اللام في
لها وعليه كلام الفايق وهو قوله اي من غالبها غلبته قلت ولعل الوجه الاول اولي لما
فيه من رعاية المعني المفهوم منه المبالغة المفيدة للاحتراز واختيار الاخري النافع
في الدنيا والاخرة قال شارح تشرف واستشرف اي صعد شرفا اي مرتفعا لينظر الي
شي هذا هو الاصل ثم استعمل في النظر الي اي شي في اي مكان كان يعني من قرب من
تلك الفتن وتطلع اليها تطرق اليه الفتن وتجره الي نفسها فالخلاص في التباعد منها والهلاك
في مقاربتها فمن وجد ملجا اي ملاذا ومفرا ومهربا او معاذا بفتح الميم اي موضعا او تحصنا
ملاذا يتخلص بالذهاب اليه وبالعياذ به من الفتن فليعذ بضم العين اي فليستعذ
به اي بالمعاذ او بمن ذكر من الملجا والمعاذ اي فليذهب اليها متفق عليه ورواه
احمد وفي رواية لمسلم قال تكون فتنة اي عظيمة النايم فيها خير من اليقظان بسكون القاف
اي المنتبه لعدم شعور النايم عنها وفي معناه الغافل ولو كان يقظان فالمراد باليقظان هو العالم
بالفتنة سوا يكون مضطجعا او قاعدا او قايما واليقظان اي مضطجعا او جالسا خير من القايم اي
ليطلعه استرافه او لانه نوع حركته فيها والقايم فيها اي لتوقفه في مكانه خير من الساعي اي ماشيا
او راكبا اليها فمن وجد فيها ملجا او معاذا فليستعذ به وفي الجامع روي الحاكم عن خالد بن عرفطة
ستكون احداث وفتنة وفرقة واختلاف فان استطعت ان تكون المقتول لا القاتل فافعل
وعن ابي بكرة اي الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انها اي القصة
ستكون اي ستوجد وتحدث وتقع فتن الا للتنبيه ثم تكون فتنة اي عظيمة وفي بعض
النسخ المصححة الا انها تكون فتن بصيغة الجمع ثم بعده الا انها تكون فتنة بصيغة الوحدة قال
الطيبي فيه ثلاث مبالغات اقحم حرف التنبيه بين المعطوف عليه والمعطوف والتنبيه لها
وعطف بثم لتراخي مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيها علي عظمها وهولها علي انه من عطف
الخاص علي العام لاختصاصها بما يفارقها من ساير اشكالها وانها كالداهية الدهيا نسال
الله العافية منها بفضله وعميم طوله الا القاعد خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من
الساعي اليها اي بجعلها غاية سعيه ومنتهي غرضه لا يري مطلبا غيرها ولام الغرض والي
الغاية متقاربان معني في تقسيم التدرج والترقي من الماشي فيها الي الساعي اليها
الا للتنبيه زيادة للتاكيد فاذا وقعت اي الفتن او تلك الفتنة فمن كان له ابل

اي في البرية فليلحق بابله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له ارض اي عقار او
مزرعة بعيدة عن الخلق فليلحق بارضه فان الاعتزال والاشتغال بخويصة الحال ح واجب
لوقوع عموم الفتنة العمياء بين الرجال كما قال الشاعر شعر

ان السلامة من ليلى وجارتها • ان لا تمر على حال بواديها

فقال رجل يا رسول الله ارايت اي اخبرني من لم تكن له ابل ولا غنم ولا ارض اي فاين
يذهب او كيف يفعل قال يعمد بكسر الميم اي يقصد الي سيفه اي ان كان له فيدق على
حده اي فيضرب على جانب سيفه الحاد بحجر والمعنى فليكسر سلاحه كيلا يذهب به الى
الحرب لان تلك الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضورها ثم لينج بكسر اللام وسكونها وبفتح
اليا وسكون النون وضم الجيم اي ليفر ويسرع هربا حتى لا تصيبه الفتن ان استطاع النجا بفتح النون
والمد اي الاسراع قال الطيبي قوله ليعمد الخ عبارة عن تجرده تجردا تاما كانه قيل منكم لكي له ما يشتغل
به من مهماته فلينج براسه انتهى والظاهر انه حمل قوله فلينج على انه امر من النجاة وليس كذلك
كما يدل عليه قوله قوله ان استطاع النجا حيث لم يقل ان استطاع النجاة اللهم الا ان يراد به حاصل
المعنى مع قطع النظر عن المادة والمبنى والله اعلم اللهم اي قال صلى الله عليه وسلم بعد ذكر هذه
الفتن والتحذير عن الوقوع في محن ذلك الزمن اللهم اي يا الله هل بلغت اي قد بلغت الى عبادك
ما امرتني به ان ابلغه ايام ثلاثا مصدر الفعل المقدر اي قاله ثلاث مرات فقال رجل يا رسول الله
ارايت اي اخبرني ان اكرهت اي اخذت بالكره واجبرت حتى ينطلق بصيغة المجهول اي يذهب
بي الى احد الصفين به ان ابلغه ايام فضربني رجل بسيفه او التنويع بجي سهم بصيغة المفاعل
عطفا على الماضي فيقتلني الظاهر انه تفريع على الاخير والاسناد مجازي ويحتمل ان يشمل ايضا على
الاول فتامل والمعنى فما حكم القاتل والمقتول قال يبوء اي يرجع القاتل وقيل المكره باثمه
اي بعقوبة ما فعله من قبل عموما واثمك اي وبعقوبة قتله اياك خصوصا او المراد باثمه فقدره
القتل وباثمك لو مددت يدك اليه او المراد باثمك سيئاتك التي فعلتها بان توضع في رقبة
القاتل بعد فقد حسناته على ما ورد ويكون اي هو من اصحاب النار قال تعالى وذلك
جزاء الظالمين وانما لم يقل وانت من اصحاب الجنة وان كان هذا هو المفهوم منه وترك للاكتفا
احتياطا لتبادر الفهم الى الخطاب المعين لا المفروض المقيد المراد به الخطاب العام على طريق
الابهام ثم الحكم مقتبس من قوله سبحانه واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الخ وقد قال صلى الله
عليه وسلم كن كخير ابني ادم وفي رواية كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل قال
الطيبي قوله يبوء الخ فيه وجهان احدهما اراد بمثل اثمك على الاتساع اي يرجع باثمه ومثل
اثمك المقدر لو قتلته وثانيهما اراد بمثل قتلك على حذف المضاف واثمه السابق على القتل
رواه مسلم وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك اي يقرب
ان يكون خير مال مسلم بالنصب غنم اي قطعة من الغنم نكرة موصوفة وهو اسم يكون
والخبر قوله خير مال معروف فلا يجوز اللهم الا ان يراد بالمسلم الجنس فلا يعتبر فيه ح :
وفائدة التقديم ان المطلوب ح الاعتزال وتحري الخير باي وجه كان انتهى وقيل يجوز
رفع خير وغنم على الابتدا والخبر وفي يكون ضمير الشان كذا في المفاتيح يتبع بتشديد
التا وفي بعض النسخ بسكونها وفتح الموحدة اي يتتبع بها اي مع الغنم او بسببها
شعف الجبال بفتح الشين والعين اي رءوس الجبال او اعاليها واحدها شعفة

وهو سبحانه عز وجل

ومواقع القطر بفتح فسكون اي مواضع المطر واثاره من النباتات واوراق الشجر يريد بها المرعى من الصحرا
والجبال فهو تعميم بعد تخصيص وفي تقديم شعف الجبال اشعار بالمبالغة في فضيلة الاعتزال
عن الخلق في تلك الحال يفر بسببه اي بسبب حفظه من الفتن اي المحن الدينية او بسبب
من الفتن الدنيوية مصحوبا بدينه ليتخلص باقامته هناك عنها رواه البخاري وعن اسامة
ابن زيد صحابيان رضي الله عنهما قال اشرف النبي صلى الله عليه وسلم اي اطلع على اطم بضمتين
اي شاهق جبل او حصن او بناء مرتفع من اطام المدينة بمد اوله جمع الاطم فقال هل ترون
ما اري اي من الاشيا الظاهرة منه المرتفعة عنه قالوا لا قال فاني لاري الفتن تقع اي منه
خلال بيوتكم اي وسطها كوقع المطر والمعنى ان الله تعالى اري نبيه صلى الله عليه وسلم حين
راي ذلك الاطم او حين صعده اقتراب الفتن ليخبرها امته فيكونوا على حذر ويعرفوا انها
من قريب وبعيد وامور منها من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال الطيبي قوله تقع يحتمل ان يكون
مفعولا ثانيا والاقرب الى الذوق ان يكون حالا والرواية بمعنى النظر اي كشف لي فابصرتها
عيانا متفق عليه وفي الجامع برواية احمد والشيخين عن اسامة بلفظ هل ترى ما ارى اني لارى
مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هلكت امتي بفتح الها والكاف اي هلاك امتي والمراد بالامة الصحابة لانهم خيار الامة واكابر
الايمة على يدي تثنية مضاف الى غلمة بكسر الغين جمع غلام اي على ايدي الشبان الذين
ما وصلوا الى مرتبة كمال العقل والاحداث السن الذين لا مبالاة لهم باصحاب الوقار وارباب
النهي والظاهر ان المراد ما وقع بين عثمان رضي الله عنه وقتلته بين علي والحسين رضي الله
عنهم ومن قاتلهم وقال المظهر لعله اراد بهم الذين كانوا بعد الخلفا الراشدين مثل
يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما رواه البخاري ولفظ الجامع هلاك امتي على ايدي غلمة
من قريش رواه احمد والبخاري عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان اي زمان الدنيا وزمان الاخرة فيكون المراد
اقتراب الساعة قال التوربشتي يريد به اقتراب الساعة ويحتمل انه اراد بذلك
تقارب اهل الزمان بعضهم من بعض في الشر وتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه
اوله اخره وقيل بقصر اعمار اهله انتهى ويحتمل ان يكون كناية عن قلة بركة الزمان من
كثرة العصيان وقال القاضي يحتمل ان يكون المراد به ان يتسارع الدول الى الانقضا والقرون
الى الانقراض فيتقارب زمانهم ويتدانى اياتهم وينقص العلم اي في ذلك الزمان بنقص
العلما الاعيان وتظهر الفتن اي يترتب عليها المحن ويلقى الشح في قلوب اهله اي على اختلاف
احوالهم حتى يبخل العالم بعلمه والصانع بصنعته والغني بماله وليس المراد وجود اصل الشح
لانه موجود في جبلة الانسان الا من حفظه الله ولذا قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون ويكثر الهرج بفتح الها وسكون الرا وبالجيم قالوا وما الهرج قال القتل في القاموس
هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل انتهى فعلم ان المراد بالهرج قتل خاص وهو الممزوج
بالفتنة والاختلاط فاللام فيه للعهد متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا اي جميعها حتى ياتي على
الناس يوم اي يوم عظيم فيه شر جسيم لا يدري القاتل فيم قتل اي المقتول اهل يجوز له قتله ام لا
ولا المقتول اي نفسه او اهله فيم قتل هل بسبب شرعي او بغيره كما كثر النوعان في زماننا

فقيل كيف يكون ذلك اي ما سبب وقوع القتل بحيث لا يعرف القاتل ولا المقتول سببه
قال الهرج اي الفتنة والاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول والمعنى سببه ثوران
الهرج بالكثرة وهيجانه بالشدة والقاتل والمقتول في النار اما القاتل فلقتله مسلما واما المقتول
فانه كان حريصا على قتل مسلم ايضا ولم يجد الفرصة قال النووي اما القاتل فظاهر واما المقتول
فانه اراد قتل صاحبه وفيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور ان من نوى المعصية واصر على
النية يكون اثما وان لم يفعلها ولم يتكلم بها رواه مسلم وعن معقل بن يسار وهو من بايع تحت
الشجرة نزل في زمن البصرة واليه ينسب مات زمن ابن زياد وقيل زمن معاوية قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم العبادة اي ثوابها مع الاستقامة والاستدامة عليها في الهرج اي زمن الفتنة
ووقت المحاربة بين المسلمين كهجرة الي اي قبل فتح مكة وممن كانت هجرته الى الله ورسوله
ونظيره ما ورد ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين رواه مسلم وكذا احمد والترمذي
وابن ماجة وعن الزبير ابن عدي قال المؤلف همداني بسكون الميم كوفي كان قاضي الري وهو
تابعي سمع انس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج بفتح الحاء اي من ظلمه وهو حجاج بن
يوسف زعموا انه قتل مائة وعشرين الفا سوى ما قتل في حروبه فقال اصبروا فانه لا ياتي عليكم
زمان الا الذي بعده اشر منه اي غالبا ومن وجه دون وجه حتى تلقوا ربكم قال القاضي
اخير واشر اصلان متروكان لا يكاد يستعملان الا نادرا وانما المتعارف في التفضيل خير
وشر وفي القاموس هو شر منه واشر منه قليلة او رديئة وفيه ايضا هو اخير منك
كخير انتهى وفيه تنبيه ان استعمال اخير خير من استعمال اشر ولعل السبب فيه ان
الخير يستعمل للتفضيل وغيره فيكون اخير نصا في المقصود بخلاف الشر وانما يبالغ فيه
باتيان الهمز والله سبحانه اعلم سمعته اي قول اصبروا الى اخره والاظهر لما سياتي انه
لا ياتي عليكم زمان الخ من نبيكم صلى الله عليه وسلم قيل هذا الاطلاق يشكل بزمن
عمر بن عبد العزيز فانه بعد الحجاج بيسير وبزمن المهدي وعيسى عليه السلام
واجيب بانه محمول على الاكثر الاغلب وان المراد بالازمنة الفاضلة في السوء من زمن
الحجاج الى زمن الدجال واما زمان عيسى عليه السلام فله حكم مستانف اقول
الاظهر ان يقال ان زمن عيسى عليه السلام مستثنى شرعا من الكلام واما بقية
الازمنة فيمكن ان يكون الاشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية وباعتبار
دون اخر وفي موضع دون موضع وفي امر دون امر من علم وعمل وحال واستقامة
وغيرها مما يطول تفصيلها وهذا من مقتضيات البعد البعيدة عن زمان الحضرة النبوية
فانها بمنزلة المشعل المنور للعالم فكلما بعد عن قربه وقع في زيادة ظلمة وحجبه وقد ادركه
الصحابة رضي الله عنهم مع كمال صفا باطنهم التغير من انفسهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم
وحكي عن بعض المشايخ الكبار اني كنت في جامع شيراز مشغولا بورده في ليل
اذ هجم على الخاطر واراد بالخروج من غير ظهور داع وباعث له فخرجت فاذا امراة ملتصقة
بجدار فخطر لي انها تريد بيتها وتخاف في طريقها من اهل الفساد فكنت لها ذكرا فاشارت الى ان
نعم فتقدمت عليها وقلت لها ما قال موسى عليه السلام لابنة شعيب عليه السلام ان
اخطات الطريقة فقومي ارمي حصاة يدلني على الطريق المستقيم فاوصلتها الى بيتها ورجعت
الى حزبي ولم يخطر لي شيء من الخطرات النفسانية ثم بعد مدة من الازمنة المتاخرة عن

انس بن مالك روى عنه الثوري وغيره قال الا تثبيتا انس مع

تلك

وقف لله عز وجل

تلك الحالة الروحانية هجس في النفس وتوسوس في الخاطر من الامور الشيطانية فتاملت انه
هل باعث هذا تغير في ماكلي او مشربي او ملبسي او في قصدي لعبادتي وطاعتي او حدوث
حادث من صحبة اجنبي او خلطة ظالم وامثال ذلك فما رايت سببا لظهور هذه الظلمة
الا البعد عن زمان الحضرة الموجب لحصول هذه الخطرة رواه البخاري وفي الجامع عن
انس مرفوعا بلفظ لا ياتي عليكم عام ولا يوم الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم رواه
احمد والبخاري والنسائي واخرج الطبراني عن انس مرفوعا ما من عام الا الذي بعده شر
منه حتى تلقوا ربكم وفي الكبير للطبراني ايضا عن ابي الدرداء مرفوعا ما من عام الا ينقص الخير فيه
ويزيد الشر قال الزركشي واخرج الطبراني عن ابن عباس قال ما من عام الا ويحدث الناس
بدعة ويميتون سنة حتى تمات السنن وتحيى البدع فهذا الحديث صريح في ان المراد بالشر موت
السنن واحيا البدع ولا شك في تحقيق هذين الامرين في كل زمن من الملوين ويؤيده ما في البخاري
عن انس مرفوعا لا ياتي على الناس زمان الا الذي بعده شر منه واما ما اشتهر على الالسنة العامة
من حديث كل عام ترذلون فهو من كلام الحسن البصري في رسالته على ما ذكره الزركشي وغيره
والله اعلم **الفصل الثاني** عن حذيفة قال والله ما ادري انسي اصحابي من
صحابته ام تناسوا اي اظهروا النسيان والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة
اي داعي ضلالة وباعث بدعة ومن زائدة لتاكيد الاستغراق في النفي الى ان تنقضي الدنيا اي
الى انقضائها وانتهائها يبلغ صفة القائد اي يصل من معه اي مقدار اتباعه ثلاثمائة فصاعدا
اي فزائدا عليه الا قد سماه اي ذكر ذلك القائد لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته والمعنى
ما جعلته متصفا بوصف الا بوصف تسميته الخ يعني وصفا واضحا مفصلا لا مجملا فالاستثناء
متصل وقال الطيبي قوله الى ان ينقضي متعلق بمحذوف اي ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر قائد فتنة الى ان ينقضي الدنيا مهملا لكن قد سماه فالاستثناء منقطع قال المظهر اراد بقائد الفتنة
من يحدث بسببه بدعة او ضلالة او محاربة كعالم مبتدع يامر الناس بالبدعة او امير
جائر يحارب المسلمين رواه ابو داود وعن ثوبان هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اخاف على امتي الائمة المضلين الائمة جمع امام وهو مقتدى
القوم ورئيسهم ومن يدعوهم الى قول او فعل او اعتقاد واذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنهم
الى يوم القيامة اي فان لم يكن في بلد يكون في بلد اخر رواه ابو داود والترمذي وعن سفينة
هو ايضا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان سفينة لقب له واسمه مختلف فيه وان
النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وهو معه فاعيى رجل فالقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل
شيئا كثيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت سفينة روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد
وكثير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة اي الحقة او المرضية لله ورسوله او الكاملة
او المتصلة ثلاثون سنة ثم تكون اي تنقلب الخلافة وترجع ملكا بضم الميم اي سلطنة وغلبة على
اهل الحق قال في شرح العقائد وهذا مشكل لان اهل الحل والعقد كانوا متفقين على خلافة خلفاء
العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز ولعل المراد ان الخلافة الكاملة التي
لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون
وقد لا تكون انتهى واعلم ان المروانية اولهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية ابن
يزيد ثم عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز

جامعة الملك سعود * عمادة شئون المكتبات * قسم المخطوطات

ثم يزيد بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد ثم خرجت
منهم الخلافة الى بني العباس هذا وفي شرح السنة يعني ان الخلافة حق الخلافة
انما هي للذين صدقوا هذا الاسم باعمالهم وتمسكوا بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بعده فاذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وان كان اسمهم الخلفا
ولا باس ان يسمى القايم بامور المسلمين امير المومنين وان كان مخالفا لبعض سير
ايمة العدل الفتيا تسمية بامير المومنين ويسمى خليفة لانه خلف الماضي قبله وقام
مقامه ولا يسمى احد خليفة الله بعد ادم وداود عليهما من الله السلام قلت
ونبينا لاشكال ان نبينا عليه الصلاة والسلام خليفته خليفته بل لو قيل
اطلاقها على غيره صلى الله عليه وسلم ايضا لما سياتي من قوله صلى الله عليه وسلم فان كان لله
في الارض خليفة الحديث قال وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا خليفة الله فقال ويحك
لقد تناولت متناولا ان امي سمتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني
اموركم فسميتموني امير المومنين فلو دعوتني بذلك كفاك اي في رعاية الادب وقصد
التقطيع فهذا منه تواضع مع الخلق وتمسك مع الخالق فليس فيه دلالة على
ان مثله لا يقال له خليفة الله والله اعلم ثم تقول سفينة اي لراوية
ام المراد به خطاب العام امسك اي عد مدة الخلافة قال الطيبي لعل الوجه ان يقال امسك اي
اضبط الحساب عاقدا اصابعك حتى يكون امسك محمولا على اصله انتهى وخلاصة المعنى
احسب واحفظ خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة اي اعوام وعثمان اي خلافته
اثني عشرة سنة وفي نسخة اثني عشر اي عاما وعلي اي وخلافة علي ستة
اي ستة اعوام فعلي خاتم الخلفا كالنبي خاتم الانبيا والمهدي خاتم الاوليا رواه احمد
والترمذي وابو داود وكذا النسايي ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع الخلافة
بعدي في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن
حبان عن سفينة وروى البخاري في تاريخه والحاكم عن ابي هريرة الخلافة بالمدينة
والملك بالشام ففيه تنبيه على ان الخلافة الحقيقية ما توجد في مكان صاحب النبوة
على اتفاق جمهور اصحابه من اهل الحل والعقد فانه لا عبرة في الحقيقة باهل الحل والعقد
في غير ذلك المكان ومن امثال غير ذلك الزمان وانما ينعقد بطريق التسلط التي
تسمى ملكا للضرورة الداعية الى نظام حال العامة ولئلا يودي الى الفتنة الطامة
والله اعلم وعن حذيفة قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بعد هذا
الخير اي الاسلام والنظام التام المشار اليه بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
والمعنى ايوجد ويحدث بعد وجود هذا الخير شر كما كان قبله اي قبل الخير من
الاسلام وهو زمن الجاهلية شر قال نعم اي لان ما وراء الكمال زوال الا كمال ذي الجلال
والجمال قلت فما العصمة اي فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة على الوقوع في
ذلك الشر قال السيف اي تحصل العصمة باستعمال السيف او طريقها ان تقتلهم بالسيف
قال قتادة المراد بهذه الطايفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في زمن الصديق رضي الله عنه كذا ذكره الشراح ويمكن ان يشمل ما وقع من معاوية مع
علي رضي الله عنهما فان الحق كان مع علي وان العصمة كانت بالمقاتلة مع معاوية بدلا عليه

اهل ع

حديث

[illegible] لله عزوجل

حديث عمار تقتلك الفية الباغية وقد قال تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى امر الله
قلت وهل بعد السيف بقية اي من الشر او من الخير قال شارح اي هل يبقى الاسلام بعد
محاربتنا اياهم قال نعم تكون امارة بكسر الهمزة اي ولاية وسلطنة على اقذا في النهاية الاقذا
جمع قذى والقذى جمع قذاة وهي ما يقع في العين والما والشراب من تراب او تبن او وسخ
او غيره اراد ان اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين ونحوها
قال القاضي اي امارة مشوبة بشي من البدع وارتكاب المناهي وهدنة اي صلح على
دخن بفتحتين اي مع خداع ونفاق وخيانة وفي الفايق هدنة اي سكون ضربه مثلا لما
بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر انتهى ويمكن ان يكون المعنى ثم يكون اجتماع الناس
على من جعل اميرا بكراهية نفس لا بطيب قلب قال فعلته كذا وفي العين قذى اي فعلته على
كراهته واغماض عين كان العين التي يقع فيها القذى ظاهرها صحيح وباطنها جريح واصل
الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب الى السواد فيكون فيه اشعار الى انه صلاح مشوب
بالفساد فيكون اشارة الى صلح الحسن مع معاوية وتفويض الملك اليه واستقرار امر الامارة
عليه وبه يظهر ان معاوية بصلح الحسن لم يصر خليفة خلافا لمن يوهم خلاف ذلك والله
اعلم قلت ثم ماذا اي ماذا يكون قال ثم تنشا اي تظهر دعاة الضلال اي جماعة يدعون الناس الى
البدع والمعاصي فان كان لله في الارض خليفة اي موجودا فيها ولو صفته انه جلد ظهرك اي
ضربك بالباطل واخذ مالك اي بالغصب او مالك من الغصب والنصب بالتعدي فاطعه
اي ولا تخالفه لئلا يوثر فتنة والا اي وان لم يكن لله في الارض خليفة فمت امر من
مات يموت اشارة الى ما قيل موتوا قبل ان تموتوا وكانه عبر عن الخمول والعزلة بالموت
فان لذة غالب الحيوة تكون بالشهرة والخلطة والجلوة وانت عاض بتشديد الضاد والجملة
حالية اي حال كونك اخذا بقوة وماسكا بشدة على جذل شجرة بكسر الجيم ويفتح اصلها
قال القاضي اي فعليك بالعزلة والصبر على عضض الزمان والتحمل لمشاقه وشدايده وعض
جذل الشجر وهو اصله كناية عن مكابدة الشدايد من قولهم فلان يعض بالحجارة لشدة الالم
ويحتمل ان يكون المراد منه ان ينقطع عن الناس ويتبوا اجمة ويلزمها الى ان يموت او ينقلب
الامر من قولهم عض الرجل بصاحبه اذا لزمه ولصق به ومنه عضوا عليها بالنواجذ وقيل
هذه الجملة قسيمة قوله فاطعه ومعناه ان لم تطعه اذ تلك المخالفة الى ما لا تستطيع ان
تصبر عليه وتبدل على المعنى الاول قوله في الرواية الاخرى فتنة عميا صما عليها دعاة
على ابواب النار فان مت يا حذيفة وانت عاض على جذل خير لك من ان تتبع احدا
منهم قال الطيبي على الوجه الاول لفظة خبر ومعناه الامر وهو قسيم لقوله فان كان لله في
الارض خليفة وعلى الثاني هو مسبب من قوله فاطعه هذا وفي نسخة فمت بصيغة الخطاب
من القيام بدل فمت قال السيد جمال الدين اي فهو خبر بمعنى الامر كذا في الازهار قلت ثم ماذا من
الفتن قال ثم يخرج الدجال اي زمن المهدي بعد ذلك اي بعد ما ذكر من وقوع انواع الشرور
والفتن معه نهر بسكون الها وفتحها اي نهر ما ونار اي خندق نار قيل انهما على وجه
التخييل من طريق السحر والسيميا وقيل ماء في الحقيقة نار ونار ماء اي خندق
نار قيل انهما على وجه التخييل فمن وقع في ناره اي من خالفه حتى يلقيه في ناره والقاف
النار اليه ايما الى انه ليس بنار حقيقة بل سحر وحبط اجره اي ثبت وتحقق اجر الوقوع وحط

اي ونزع وسويح وبرده اي اثمه السابق ومن وقع في سهو اي حيث وافقه في امره وحبط وزره
اي اللاحق وحط اجره اي بطل عمله السابق قلت ثم ماذا قال ثم ينتج بصيغة المجهول
اي ثم يولد المهر بضم ميم وسكون ها اي ولد الفرس قال التوربشتي ينتج من النتج لا من
النتاج وهو الولادة ولا من الانتاج يقال نتجت الفرس والناقة على بنا ما لم يسم فاعله نتاجا
ونتجها اهلها نتجا والانتاج اقتراب ولادها وقيل استبانة حملها فلا يركبه بكسر الكاف
من قولهم اركب المهر اذا حل الفتنة او لقرب الزمن حتى تقوم الساعة وقيل المراد به زمن
عيسى عليه السلام فلا يركب المهر لعدم احتياج الناس فيه الى محاربة بعضهم بعضا او
المراد ان بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم الساعة اي يكون زمن قيام
الساعة قريبا قدر زمان انتاج المهر وارتكابه وهذا هو الظاهر والله اعلم بالسرائر وفي
رواية اي بدل يكون امارة على ما قال هدنة على دخن اي صلح مع كدورة وصفا مع
ظلمة وجماعة على اقذا اي واجتماع على اهوا مختلفة او عيوب مؤتلفة قلت يا رسول
الله الهدنة على الدخن ما هي قال لا ترجع قلوب اقوام بزنة قلوب وهو الاصح وبنصبه
بنا على ان ترجع لازم او متعد اي لا تصير قلوب جماعات او لا ترد الهدنة قلوبهم على الذي اي
على الوجه الذي او على الصفا الذي كانت اي كانت القلوب عليه اي لا يكون قلوبهم صافية
عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك قلت بعد هذا اي ايقع بعد هذا الخير شر
قال فتنة اي نعم يقع شر هو فتنة عظيمة وبلية جسيمة عميا اي يعمى فيها الانسان عن ان يرى الحق
صما اي يصم اهلها من ان يسمع فيها كلمة الحق او النصيحة قال القاضي المراد بكونها عميا صما ان يكون
بحيث لا يرى منها مخرجا ولا يوجد دونها مستغاثا او ان يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة فيعمون
ويصمون عن تامل قول الحق واستماع النصح اقول ويمكن ان يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها
وعدم ظهور الحق فيها وعن شدة امرها وصلابة اهلها وعدم التفات بعضهم الى بعض في
المشاهدة والمكالمة واما لها عليها على تلك الفتنة دعاة اي جماعة قائمة بامرها وداعية
للناس الى قبولها على ابواب النار حال اي فكانهم كائنون على شفا جرف من النار
يدعون الخلق اليها فيتفقوا على الدخول فيها فان مت بضم الميم وكسرها يا حذيفة وانت
عاض على جذل اي والحال انك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال والقناعة بالماء بالتشر
الانتهى روالمنام فوق الاحجار خير لك من ان تتبع بتشديد التا الثانية وكسر
الموحدة ويجوز تخفيفها وفتح البا احدا منهم اي من اهل الفتنة او من دعاتهم رواه ابو داود وكذا
ابن حبان واما الرواية الثانية فرواها ابو داود والنسائي ذكره ميرك وعن ابي ذر رضي الله
عنه قال كنت رديفا اي راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي ظرف وقع
صفته موكدة رديفا يوما على حمار فيه دلالة على كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن
معاشرته مع اصحابه وكمال قرب ابي ذر له رح ولذا ذكره مع الا يما الى كمال حفظه القضية
واستحضاره اياها فلما جاوز بيوت المدينة قال كيف بك قال الطيبي مبتدا وخبر والبا زائدة
في المبتدا اي كيف انت اي حالك يا ابا ذر اذا كان اي وقع بالمدينة جوع اي خاص لك او قحط
عام تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك اي الذي قصدته ان تصلي فيه حتى يجهدك بضم
اليا وكسر الها وفي نسخة بفتحها الجوع اي يوصلك الى المشقة ويعجزك عن المشي من البيت
الى المسجد قال قلت الله ورسوله اعلم اي بحالي وبحال غيري في تلك الحال ونسأله

الاحوال قال تعفف بصيغة الامر اي التزم العفة يا ابا ذر وهي الصلاح والورع والتصبر على اذى الجوع
والتقوى والكف عن الحرام والشبهة وعن السوال من المخلوق والطمع فيه والمذلة عنده قال
كيف بك يا ابا ذر في نداية مكررا تنبيه على اخذ الحديث مقررا اذا كان بالمدينة موت اي بسبب
القحط او وبا من عقوبة هوا وغيرها يبلغ البيت اي يصل موضع قبر الميت القبر اي قيمته او
نفسه حتى انه بكسر الهمزة ويفتح انه اي الشان يباع القبر بالعبد هذا توضيح لما قبله من
ابهام البيت ففي النهاية المراد بالبيت هنا القبر واراد ان موضع القبور يضيق فيبتاعون
كل قبر بعبد قال التوربشتي وفيه نظر لان الموت وان اشتهر بالاحيا وفشا فيهم كل الفشو
لم ينته بهم الى ذلك وقد وسع الله عليهم الامكنة انتهى كلامه واجيب بان المراد بموضع
القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بانهم لا يتجاوزون عنها وفي شرح السنة قيل معناه
اي الناس يشتغلون عن دفن الموتى بما هم فيه حتى لا يوجد من يحفر قبر الميت فيدفنه
الا ان يعطى عبدا او قيمة عبد وقيل معناه انه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس
الا عبد يقوم بمصالح ضعفة اهل ذلك البيت قال المظهر يعني يكون البيت رخيصا فيباع
البيت بعبد قال الطيبي على الوجهين الاخيرين لا يحسن موقع حتى حسنها على الوجهين
الاولين قلت بل لا يصح وقوع حتى ولعلها غير موجودة في المصابيح قال الخطابي قد يحتج
بهذا الحديث من يذهب الى وجوب قطع النباش وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
سمى القبر بيتا فدل على انه حرز كالبيوت قلت لا سيما وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم
قطع النباش لكن حمله اصحابنا على انه للسياسة والله سبحانه اعلم قال قلت الله ورسوله
اعلم بما تقدم قال تصبر يا ابا ذر بتشديد الموحدة المفتوحة امر من باب التفعل وفي نسخة
تصبر مضارع صبر على انه خبر بمعنى الامر اي اصبر بالبلاوة بجزع في الضرا ولا تنس نعمته
النعما والسرا وارض بما يجري من القضا نصب الحرمين خالف الارض والسما قال كيف بك
يا ابا ذر اذا كان بالمدينة قتل اي سريع عظيم تغمر بسكون الغين المعجمة وضم الميم اي تستر
وتعلو الدما اي كثرة دما القتلى احجار الزيت قيل هي محلة بالمدينة وقيل موضع بها قال التوربشتي
هي من الحرة التي كانت بها الوقعة زمن يزيد والامير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة
المري المستبيح لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نزوله بعسكره في الحرة الغربية
من المدينة فاستباح حرمتها وقتل رجالها وعاث فيها ثلاثة ايام وقتل خمسة فلاجرم
انه انماع كما ينماع الملح في الما ولم يلبث ان ادركه الموت وهو بين الحرمين وخسر هنالك
المبطلون قال قلت الله ورسوله اعلم قال تاتي من انت منه خبر معناه امر اي
ائت من يوافقك في دينك وسيرتك وقال القاضي اي ارجع الى من انت جئت منه
وخرجت من عنده يعني اهلك وعشيرتك قال الطيبي لا يطابق على هذا سواله
قال قلت والبس السلاح والظاهر انه يقال ارجع الى امامك ومن بايعته فحينئذ يتوجه
ان يقول والبس السلاح واقاتل معه قال اي النبي عليه السلام شاركت القوم اي
في الاثم اذا اي اذا لبست السلاح المعنى لا تلبس السلاح وكن مع الامام وارباب
الصلاح ولا تقاتل حتى يحصل لك الفلاح هذا حاصل كلام الطيبي لكن فيه ان امامه
اذا قاتل كيف يجوز له ان يمتنع من المقاتلة معه وقال ابن الملك قوله شاركت تاكيد
الزجر عن اراقة الدما والا فالدفع واجب انتهى وذكره الطيبي وقواه والصواب ان الدفع

جايز اذا كان الخصم مسلما ان لم يترتب عليه فساد بخلاف ما اذا كان العدو كافرا فانه يجب الدفع مهما
امكن قلت فكيف اصنع يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك بفتح الهاء اي يغلبك شعاع
السيف بفتح اوله اي بريقه ولمعانه وهو كناية عن اعمال السيف فالق امر من الالقاء اي اطرح ناحية
ثوبك اي طرفه على وجهك اي لئلا تراه فتفزع ولا تجزع والمعنى لا تحاربهم وان حاربوك بل استسلم
نفسك للقتال لان اولئك من اهل الاسلام ويجوز معهم عدم المحاربة والاستسلام كما اشار اليه
بقوله ليبوء اي يرجع القاتل باثمك اي باثم قتلك واثمه اي وبسائر اثمه رواه ابو داود وكذا
ابن ماجة والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين نقله ميرك عن التصحيح
وعن عبد الله بن عمرو وصحابيان جليلان ابن العاص بغير ياء هو الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كيف بك وسيف اعرابه في رواية كيف انت اي كيف حالك اذا ابقيت بصيغة المجهول من الابقاء
اي اذا ابقاك الله بمعنى عمرك وفي نسخة بصيغة المعلوم من البقاء اي اذا بقيت في حثالة
بضم الحاء وبالثاء المثلثة وهي ما يسقط من قشر الشعير والارز والتمر والردي من كل شي
اي في قوم رديء من الناس مرجت استيناف بيان وهو بفتح الميم وكسر الراء اي فسدت
عهودهم وامانتهم وفي نسخة اماناتهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس او باعتبار كل فرد
والجمع انما هو للمقابلة والتوزيع مع امكان حقيقة الجمع فيها فتامل والمعنى لا يكون
امرهم مستقيما بل يكون في كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود ويخونون
الامانات قال التوربشتي اي اختلطت وفسدت فقلت فيهم اسباب الديانات واختلفوا
فكانوا هكذا وشبك بين اصابعه اي يموج بعضهم في بعض ويلتبس امر دينهم فلا يعرف
الامين من الخائن ولا البر من الفاجر هذا وفي نسخة مرجت بفتح الراء وهو متعد ومنه قوله
تعالى مرج البحرين يلتقيان فعليه ضمير الى الحثالة فالمعنى افسدت تلك الجماعة القيامة
عهودهم واماناتهم واختلفوا في امور دياناتهم فكانوا كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في
الاشتباك مشبهين بالاصابع المشبكة كذا كتبه ميرك على هامش الكتاب من قوله
مرجت بصيغة المجهول ومر عليه الطيبي انه هو الظاهر وعلله بان المرج متعد والمعنى
على اللزوم فهو غير ظاهر كما لا يظهر من القاموس وغيره ففي القاموس المرج الخلط والمرج
بحركة الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب وانما يسكن مع الهرج للازدواج
مرج وامر مريج مختلط وامرج العهد لم يف به انتهى وفي مختصر النهاية مرج الدين فسد
وقلقت اسبابه ومرجت عهودهم اي اختلطت قال فبم تامرني قال عليك بما تعرف اي الزم
وافعل ما تعرف كونه حقا ودع ما تنكر اي واترك ما تنكر انه حق وعليك بخاصة نفسك
واياك وعوامهم اي عامتهم والمعنى الزم امر نفسك واحفظ دينك واترك الناس ولا تتبعهم
وهذا رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كثر الاشرار وضعف الاخيار وفي
رواية الزم بيتك واملك امر من الاملاك بمعنى الشد والاحكام اي امسك عليك لسانك
ولا تكلم في احوال الناس لئلا يؤذوك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك
ودع امر العامة رواه الترمذي وصححه قال ميرك والرواية الثانية رواها ابو داود
والنسائي ايضا وعن ابي موسى اي الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان بين يدي الساعة اي قدامها من اشراطها فتنا اي فتنا عظاما ومحنا جساما كقطع
الليل المظلم بكسر القاف وفتح الطاء ويسكن اي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها

وظلمتها وعدم تبين امرها قال الطيبي يريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها
يصبح الرجل فيها اي في تلك الفتن مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا الظاهر ان المراد
بالاصباح والامساء تقلب الناس فيها وقتا دون وقت لا بخصوص الزمانين فكانه كناية
عن تردد احوالهم وتذبذب اقوالهم وتنوع افعالهم من عهد ونقض وامانة وخيانة
ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وايمان وكفر القاعد فيها خير من القائم والماشي فيها
خير من الساعي اي كلما بعد الشخص عنها وعن اهلها خير له من قربها واختلاط اهلها لما
سيؤول امرها الى محاربة اهلها فاذا رأيتم الامر كذلك فكسروا فيها قسيكم بكسرتين وتشديد
التحتية جمع القوس وفي العدول عن الكسر الى التكسير مبالغة لان باب التفعيل للتكثير
وكذا قوله وقطعوا امر من التقطيع فيها اوتاركم وغيره زيادة من المبالغة اذ لا منفعة لوجود الاوتار
مع كسر القسي والمراد به انه لا ينتفع به الغير ولا يستعملها في الشر ومن الخير واضربوا سيوفكم بالحجارة
اي حتى تنكسر وحتى تذهب حدتها وعلى هذا القياس الارماح وسائر السلاح فان دخل
بصيغة المفعول ونائب الفاعل على قوله على احد ومن في قوله منكم بيانية فليكن اي
ذلك الاحد كخير ابني ادم اي فليستسلم حتى يكون قتيلا كهابيل ولا يكون قاتلا كقابيل رواه
ابو داود وفي رواية له اي لابي داود عنه ذكر الى الحديث الى قوله خير من الساعي ثم قالوا اي
بعض الصحابة فما تامرنا ان نفعل ح قال كونوا احلاس بيوتكم احلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب
فلا تزال ملقاة تحتها وقيل الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب والبردعة شبههم بها للزومها
ودوامها والمعنى الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم لئلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم يفوتكم وفي رواية
الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الفتنة اي في ايامها وزمنها وهو ظرف لقوله
كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها اوتاركم والزموا فيها اجواف بيوتكم اي كونوا ملازميها
لئلا تقعوا في الفتنة والمحاربين فيها وكونوا كابن ادم المطلق ينصرف الى الكامل وفيه
اشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة وهو ان هابيل المقتول المظلوم هو ابن ادم لا قابيل
القاتل الظالم كما قال تعالى في حق ولد نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وقال
اي الترمذي هذا حديث صحيح غريب وعن ام مالك البهزية بفتح الموحدة وسكون
الهاء وبالزاي وياء النسبة قال المؤلف لها صحبة ورواية وهي حجازية روى عنها طاووس
ومكحول قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها بتشديد الراء اي عدها
قريبة الوقوع قال الاشرف معناه وصفها للصحابة وصفا بليغا فان من وصف عند احد
وصفا بليغا فكانه قرب ذلك الشيء اليه فقلت يا رسول الله من خير الناس فيها قال رجل
في ماشيته اي من الغنم ونحوها يؤدي حقها اي من الزكوة وغيرها ويعبد ربه لقوله
تعالى ففروا الى الله وقوله وتبتل اليه تبتيلا وقوله واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل
عليه وما ربك بغافل عما تعملون ورجل آخذ بصيغة اسم الفاعل اي ماسك براس فرسه
يخيف العدو من الاخافة بمعنى التخويف اي يخوف الكفار ويخوفونه فيه تفنن قال
المظهر يعني رجل هرب من الفتن وقتال المسلمين وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه
فيبقى سالما من الفتنة وغانما للاجر والمثوبة رواه الترمذي وعن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة اي عظيمة
وبلية جسيمة تستنظف العرب اي تستوعبهم هلاكا من استنظفت الشيء اخذته

سمه كذا في النهاية وبعض الشروح وقيل اي تطهرهم من الارذال واهل الفتنة قتلاها جمع
قتيل بمعني مقتول مبتدا خبره قوله في النار اي سيكونون في النار او هم حق في النار لانهم
يباشرون ما يوجب دخولها فيها كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
المراد بقتلاها من قتل في تلك الفتنة وانما هم من اهل النار لانهم ما قصدوا بتلك المقاتلة
والخروج اليها اعلاء دين او دفع ظالم او اعانة محق وانما كان قصدهم التباغي والتشاجر طمعا في
المال والملك اللسان اي وقعه وطعنه على تقدير مضاف ويدل عليه رواية واشراف اللسان
اي اطلاقه واطالته فيها اشد من وقع السيف وقال الطيبي القول والتكلم فيها اطلاقا للمحل
وارادة الحال انتهي والحاصل انه لا بد من ارتكاب احد المجازين المذكورين في قوله تعالى
واسئل القرية قال المظهر يحتمل هذا احتمالين احدهما ان من ذكر اهل تلك الحرب بسوء كمن
حاربهم لانهم مسلمون وغيبة المسلمين اثم قلت وفيه انه ورد اذكروا الفاجر بما فيه
يحذره الناس ولا غيبة لفاسق ونحو ذلك فلا يصح هذا على اطلاقه ولذا استدرك
كلامه بقوله ولعل المراد بهذه الفتنة الحرب التي وقعت بين امير المومنين علي رضي الله
عنه وبين معاوية ولا شك ان من ذكر احدا من هذين الصدرين واصحابهما يكون مبتدعا
لان اكثرهم كانوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي عن الطعن فيهم فان رضي الله تعالى في مواضع من القران
تعلق بهم فلا بد ان يكون مالهم الي التقوي ورضي المولي وجنة الماوي وايضا لهم حقوق
ثابتة في ذمة الامة فلا ينبغي لهم ان يذكروهم الا بالثنا الجميل والدعا الجزيل وهذا انما
لا ينافي ان يذكر احد مجملا او معينا بان المحاربين مع علي كانوا من المخالفين او بان معاوية
وحزبه كانوا باغين على ما دل عليه حديث عمار تقتلك الفية الباغية لان المقصود منه
بيان الحكم المميز بين الحق والباطل والفاصل بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطي مع
توقير الصحابة وتعظيمهم بجميع القلب ولذا لما سئل بعض الاكابر اعمر بن عبد العزيز
افضل ام معاوية قال لغبار انف فرس معاوية حين غزا في ركاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم افضل من كذا وكذا من عمر بن عبد العزيز اذ من القواعد المقررة ان
العلما والاوليا من الامة لم يبلغ احدهم مبلغ الصحابة الكبرا وقد اشار الي هذا المعني
قوله سبحانه وتعالي لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذا قوله تعالى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار وقوله والسابقون السابقون اولئك المقربون قال
المظهر والثاني ان المراد به ان من مد لسانه فيه بشتم او غيبة يقصدونه بالضرب
والقتل ويفعلون به ما يفعلون بمن حاربهم انتهي وحاصله ان الطعن في احدي
الطايفتين ومدح الاخري حينيذ مما يثير الفتنة فالواجب كف اللسان وهذا المعني
في غاية من الظهور للتامل لكن الطيبي رجح القول المعني الاول حيث قال ويويده قوله ولعل
المراد بهذه الفتنة الي اخره ما روينا عن الاحنف بن قيس قال خرجت وانا اريد هذا الرجل فلقيني
ابو بكرة فقال اين تريد يا احنف قلت اريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال يا احنف
ارجع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قال فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا

على قتال

على قتال صاحبه متفق عليه قلت محمل هذا الحديث اذا كان القتال بين المسلمين على جهة العصبية
والحمية الجاهلية كما يقع كثيرا فيما بين اهل حارة وحارة وقرية وقرية وطايفة وطايفة من غير ان يكون
هناك باعث شرعي لاحدهما ولا يصح حمل الحديث على اطلاقه لئلا ينافي قوله تعالى فان بغت احداهما
على الاخري فقاتلوا التي تبغي ولان الاجماع على ان قتالي طايفة علي ليسوا في النار فكلام ابي
بكرة اما محمول على انه كان مترددا متحيرا في امر علي ومعاوية ولم يكن يعرف الحق من الباطل
واما فهم من كلام الاحنف انه يريد حماية العصبية الحمية الدينية على ما يشير اليه قوله اريد نصر
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل اريد معاونة الامام الحق والخليفة المطلق وبهذا تبين
ان حمل هذه الفتنة على قضية علي لا يجوز ويبطل بما قال الطيبي واما قوله قتلاها في النار فللزجر والتوبيخ
والتغليظ واما كف الالسنة عن الطعن فيهم فان كلا منهم مجتهد وان كان علي رضي الله عنه مصيبا
فلا يجوز الطعن فيهما والاسلم للمومنين ان لا تخوضوا في امرهما قال عمر بن عبد العزيز تلك دما طهر
الله ايدينا منها فلا نلوث السنتنا بها قال النووي كان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطيا معذورا
في الخطا لانه كان بالاجتهاد والمجتهد اذا اخطا لا اثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب
في تلك الحروب هذا مذهب اهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى ان جماعة من الصحابة تحيروا
فيها فاعتزلوا الطايفتين ولم يقاتلوا ولو تيقنوا الصواب لم يتاخروا عن مساعدته قلت وسبب
هذا التحير لم يكن في ان عليا احق بالخلافة ام معاوية لانهم اجمعوا على ولاية علي واجتمعوا اهل
الحل والعقد على خلافته وانما وقع النزاع بين معاوية وعلي في قتلة عثمان حيث نقل معاوية باني
لم اسلم لك الامر حتى يقتل اهل الفساد والشرور من حاصر الخليفة واعان على قتله فان هذا ثلمة في
الدين وخلل في ابهة المسلمين واقتضي راي علي وهو الصواب ان قتل فية الفتنة تجر الي اثارة الفتنة
التي هي تكون اقوي من الاولي من ان اهجوم العوام وعدم تعين احد منهم بمباشرة قتل الامام
ليس بموجب لامام الاحزان بقتلهم قتلا عاما ولا من يتهم بقتله من غير حجة دينية شرعية لا سيما
وقد رجعوا الي الحق ودخلوا في بيعة الخليفة ومن المعلوم ان اهل البغي اذا رجعوا عن بغيهم او تردوا
عن قتالهم فليس لاحد ان يتعرض لهم هذا ولما كان صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن وحذر عن الدخول
فيها ورغب عن البعد ورهب عن القرب اليها واطلقها نظرا الي فساد غالبها ولم يبين هذه الفتنة
بخصوصها مفصلة وان وقعت مجملة تحير فيها بعض الصحابة وظنوا ان الاسلم فيها بالخصوص ايضا
ما ذكره صلى الله عليه وسلم فيها بالعموم لكن لما تبين لهم في الاخر حقية علي كرم الله وجهه وخطا
معاوية ندموا على ما فعلوا من العزلة وتحسروا على ما فاتهم من مثوبة الجلوة والله حكمته
في ذلك لله الامر من قبل ومن بعد فلا مقدم لما اخر ولا موخر لما قدم والله اعلم رواه الترمذي
وابن ماجة قال ميرك ورواه ابو داود ايضا كلهم مرفوعا وقال البخاري الاصح وقفه على عبد الله
ابن عمرو بن العاص اقول لكن هذا الموقوف في حكم المرفوع لان قوله قتلاها في النار لا يتصور ان
يصدر من راي احد وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة
صما عميا اي اعتبارا صحابها حيث لا يجدون لها مستغاثا ولا يرون منها مخرجا وخلاصا والمعني لا يميزون
فيها بين الحق والباطل ولا يسمعون الحقيقة النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل من تكلم
فيها بحق اوذي ووقع في الفتن والمحن من اشرف لها اي من اطلع عليها وقرب منها استشرفت
له اي اطلعت تلك الفتنة عليه وجذبته اليها واشراف اللسان اي اطلاقه واطالته فيها كوقوع
السيف اي في تاثيره بل ابلغ لما قيل جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان ولهذا

قال في رواية السابقة اشد من وقع السيف رواه ابو داود وعن عبد الله بن عمر قال كنا قعودا
اي قاعدين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن اي الواقعة في اخر الزمن فاكثر اي
البيان في ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس سبق معناه اللغوي قال قايل وما فتنة الاحلاس
قال هي هرب بفتحتين اي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة وحرب بفتحتين
اي اخذ مال واهل بغير استحقاق ثم فتنة السرا بالرفع عطف على هرب بحسب المعنى فكانه قال
وفتنة الاحلاس حرب وهرب وفتنة السرا وفي نسخة بالنصب عطفا على فتنة الاحلاس والمراد
بالسرا النعمة التي تسر الناس من الصحة والرخا والعافية من البلا والوبا واضيفت الى السرا لان
السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم او لانها تسر العدو قال التوربشتي يحتمل
ان يكون سبب وقوع الناس في تلك الفتنة وابتلايهم بها اثر النعمة فاضيفت الى السرا يعني يكون
التركيب من قبيل اضافة الشي الى سببه ويحتمل ان يكون صفة للفتنة فاضيفت اليها اضافة
مسجد الجامع ويراد منها سعتها لكثرة الشرور والمفاسد ومن ذلك قولهم قفاه سرا اذا كان واسعة
يعني يكون التقدير فتنة الحادثة السرا اي الواسعة التي تعم الكافة من الخاصة والعامة وقوله دخنها
بفتحتين اي اثارها وهيجانها شبهها بالدخان الذي يرتفع كما شبه الحرب بالنار وانما قال من تحت
قدمي رجل من اهل بيتي تنبيها على انه هو الذي يسعى في اثارتها او الى انه يملك امرها يزعم انه مني
اي في الفعل وان كان مني في النسب وليس مني اي من اخلائي او من اهلي في الفعل لانه هو الذي
يسعى في اثارتها او الى انه يملك امرها يزعم انه مني اي في الفعل وان كان مني في النسب
وليس مني اي من اخلائي او من اهلي في الفعل لانه لو كان من اهلي في الفعل لم يهج الفتنة ونظيره
قوله تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح او ليس من اوليائي في الحقيقة ويؤيده قوله انما
اوليائي المتقون وهذا ابلغ من حديث العترة لما تتبعني ثم يصطلح الناس على رجل اي يجتمعون على
بيعة رجل كورك بفتح وكسر على ضلع بكسر ففتح ويسكن واحد الضلوع او الاضلاع وتسكين اللام
فيه جائز على ما فيه الصلاح وهذا مثل والمراد انه لا يكون على ثبات لان الورك لثقله لا يثبت
على الضلع لدقته والمعنى انه لا يكون غير اهل الولاية لقلة علمه وخفة رايه وحلمه وفي
النهاية اي يصطلحون على رجل لا نظام له ولا استقامة لامره لان الورك لا يستقيم على
الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده وفي شرح السنة معناه ان الامر لا يثبت ولا يستقيم
له وذلك ان الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله وحاصله انه لا يستعد ولا يستبد لذلك فلا يقع عنه
الامر موقعه كما ان الورك على ضلع يقع غير موقعه قال وانما يقال في باب الملايمة والموافقة
اذا وصفوا به كالكف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك يريد ان هذا الرجل غير خليق
للملك ولا مستقل به ثم فتنة الدهيما بالرفع وبالنصب على ما سبق وهي بضم ففتح والدهما
السودا والتصغير للذم اي الفتنة الظلما والطامة العميا وفي النهاية هي تصغير الدهما
يريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم وقيل اراد بالدهيما الداهية ومن اسما الداهية الرقيم
زعموا ان الدهيم اسم ناقة غزا عليها اخوة متعاقبين فقتلوا عن اخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم
فصارت مثلا في كل داهية لا تدع لا تترك تلك الفتنة احدا من الامة الا لطمته لطمة اي
اصابته بمحنة ومسته ببلية واصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف والمراد ان اثر تلك
الفتنة يعم الناس ويصل لكل احد من ضررها قال الطيبي هو استعارة مكنية شبه الفتنة
بانسان ثم خيل لاصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به وجعلها قرينة لها فاذا

قيل

قيل انقضت اي فيها توهموا ان تلك الفتنة انتهت تمادت بتخفيف الدال بلغت المدى اي الغاية
من التمادي وفي نسخة بتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد اي استطالت واستمرت و
استقرت يصبح الرجل فيها مومنا لتحريم دم اخيه وعرضه وماله ويمسي كافرا اي لتحليله ما ذكر
ويستمر ذلك حتى يصير الناس الى فسطاطين بضم الفا وبكسر اي فرقتين وقيل مدينتين واصل
الفسطاط الخيمة وهو من باب ذكر المحل وارادة الحال فسطاط ايمان بالجر على انه بدل وفي نسخة بالرفع
اي منهما او احدهما فسطاط ايمان اي ايمان خالص لا نفاق فيه اي لا في اصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله وفسطاط
نفاق لا ايمان له اي اصلا او كمالا لما فيه من اعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وامثال
ذلك فاذا كان ذلكم فانتظروا الدجال اي ظهوره من يومه او من غده وهذا يؤيد ان المراد بالفسطاط
المدينتين فان المهدي يكون في بيت المقدس فيحاصره الدجال فينزل عيسى عليه السلام فيذوب
الملعون كالملح ينماع في الما فيطعنه بحربة فيقتله فيحصل الفرج التام والفرح التام كما قال سيد الانام
اشتدي ازمة تنفرجي وقد قال تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر
يسرين وهما بينهما الاقتران بين القمرين وضيا انوارهما في امر الكونين قال الطيبي الفسطاط بالضم
والكسر المدينة التي فيها يجتمع الناس وكل مدينة فسطاط واضافة الفسطاط الى الايمان
اما بجعل المومنين نفس الايمان مبالغة واما بجعل الفسطاط مستعارا للكنف والوقاية على
المصرحة اي هم في كنف الايمان ووقايته رواه ابو داود اي وسكت عليه واقره المنذري ورواه
الحاكم وصححه واقره الذهبي نقله ميرك عن تصحيح الجزري وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب الويل حلول الشر وهو تفجيع او ويل كلمة عذاب او واد
في جهنم وخص العرب بذلك لانهم كانوا حينئذ معظم من اسلم من شر اي عظيم قد اقترب اي ظهوره
والاظهر ان المراد به ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه بقوله فتح اليوم من ردم
ياجوج وماجوج الحديث كما تقدم والله اعلم قال الطيبي اراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين
وقعة عثمان رضي الله عنه او ما وقع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه اقول
او اراد به قضية يزيد مع الحسين رضي الله عنه وهو في المعنى اقرب لان شره ظاهر عند كل احد
من العجم والعرب وقال ابن الملك قوله من شر اي من خروج جيش يقاتله العرب وقيل
اراد به الفتن الواقعة في العرب اولها قتل عثمان واستمرت الى الان اقول ولم يعرف ما يقع
في مستقبل الزمان والله المستعان وعليه التكلان افلح اي نجا وظفر على المدعي وانتصر
على الاعدا من كف يده اي عن الاذى او ترك القتال اذا لم يتميز الحق من الباطل اقول ولعل وجه
عدول الشراح عن المعنى الذي قدمته الى ما ذكروه ان قوله افلح من كف يده يدل على خلاف
ذلك فان وقت خروجهم ليس لاحد طاقة المقاتلة معهم فمورد هذا الحديث غير الاول فتدبر
وتامل اللهم الا ان يقال ان هذه جملة مستقلة والمعنى افلح من كف يده عمن قال لا اله الا الله الا باذن
شرعي حكم به وقضاه رواه ابو داود اي باسناد رجاله رجال الصحيح والحديث متفق
عليه من حديث طويل خلا قوله قد افلح من كف يده نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ
المشكوة رواه ابو داود والحاكم وفيه ايضا حديث ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره رواه احمد والنسايي والحاكم وفيه ايضا حديث ويل واد في
جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره رواه احمد والنسايي والحاكم وفيه ايضا حديث
ويل واد في جهنم يهوي فيها الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره رواه احمد والنسايي والحاكم

طي

وقف لله عز وجل

وابن حبان عن ابي سعيد وقيل ايضا حديث ويل لامتي من علما السوء رواه الحاكم في تاريخه
عن انس وعن المقداد بن الاسود قال المولف هو ابن عمر الكندي وذكر ان اباه حالف كندة فنسب
فنسب اليها وانما سمي ابن الاسود لانه كان حليفه اولانه كان في حجره وقيل بل كان عبدا فتبناه
وكان نسادسا في الاسلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السعيد لمن باللام
المفتوحة في خبران اي للذي جنب بضم الجيم وتشديد النون المكسورة اي بعد الفتن منصوب
على انه مفعول ثان ومنه ما ورد من الدعا اللهم جنبنا الشيطان وقيل انه منصوب بنزع الخافض
اي بعد عنا ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن كررها ثلاثا للمبالغة في التاكيد
ويمكن ان يكون التكرار باعتبار اول الفتن واوسطها واخرها ولمن ابتلي اللام للابتدا اي لمن
امتحن بتلك الفتن فصبر اي على الاذاهم ولم يحاربهم في ذلك الزمن فواها اسم صوت وضع موضع
المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبي وقال ابن الملك معناه التلهف وقد يوضع موضع الاعجاب
بالشيء الاستطابة اي ما احسن وما اطيب صبر من صبر وقيل معناه فطوبى له وفي النهاية
قيل معنى هذه التلهف وقد يوضع الاعجاب بالشي يقال واهاله وقد يرد بمعنى التوجع وقيل
يقال في التوجع اهاله قال الطيبي ويجوز ان يكون قوله خبر لمن والفا لتضمن المبتدا معنى الشرط
فعلى هذا فيه معنى التعجب اي من ابتلي فصبر فطوبى له وان لا يكون خبرا على ان اللام المفتوحة
ويكون قوله ولمن ابتلي عطفا على قوله لمن جنب الفتن فعلى هذا واها للتحسر اي فواها على من
باشرها وسعى فيها انتهى ويويده ما في الجامع بلفظ ان السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر
وقيل اللام مكسورة ويكون فواها بمعنى التعجب اي ولمن ابتلي فصبر يجب ان يتعجب من حاله
هذا وفي القاموس واها ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شي وكلمة تلهف اي من تلف شي رواه
ابو داود وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع السيف
في امتي اي من بعضهم لبعض لم يرفع عنها الى يوم القيامة وقد ابتدي في زمن معاوية وهلم جرا
لا يخلو عنه طايفة من الامة فصدق في اخباره امام الايمة ثم الحديث مقتبس من قوله تعالى
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض وتحقيقه في الاحاديث المنثورة في تفسير الدر
المنثور ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبايل من امتي بالمشركين منها ما وقع بعد وفاته صلى
الله عليه وسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه وحتى تعبد قبايل من امتي الاوثان اي الاصنام
حقيقة ولعله يكون فيما سياتي او معنى ومنه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم فانه اي الشان
سيكون في امتي كذابون اي في دعوتهم النبوة ثلاثون اي هم او عددهم ثلاثون كلهم يزعم افرد
للفظ كل انه نبي الله وانا خاتم النبيين بكسر التاء وفتحها والجملة حالية وقوله لا نبي بعدي تفسير
لما قبله ولا تزال طايفة من امتي على الحق خبر لقوله لا تزال اي ثابتين على الحق علما وعملا ظاهرين
اي غالبين على اهل الباطل ولو حجة قال الطيبي يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من
ضمير الفاعل في ثابتين اي ثابتين على الحق في حال كونهم غالبين على العدو لا يضرهم من
خالفهم اي لثباتهم على دينهم حتى ياتي امر الله متعلق بقوله لا تزال رواه ابو داود والترمذي
وكذا ابن ماجة ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع لا تزال طايفة من امتي ظاهرين حتى ياتيهم
امر الله وهم ظاهرون رواه الشيخان عن المغيرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تدور رحى الاسلام اي تستقر وتستمر دايرة رحى الاسلام وتستقيم
دورانها على وجه الانتظام او تبدي دوران دايرة الحرب وتزلزله وحركاته وسكناته في الاسلام

لخمس وثلاثين اي لوقت خمس وثلاثين من ابتدا ظهور دولة الاسلام وهي من هجرة خير الانام وبانتهاء
المدة ينقضي خلافة الخلفا الثلاثة بلا اختلاف بين الخاص والعام اذ بعدها مقتل عثمان رضي الله عنه
وست وثلاثين وفيه قضية الجمل او سبع وثلاثين وفيها وقعة صفين واو فيها للتنويع او بمعنى
بل فان الامر فيها اهون مما بعدها لا سيما امر الاسلام ونظام الاحكام وظهور الصحابة والعلما الاعلام
ولهذا قال فان يهلكوا اي ان اختلفوا بعد ذلك واستهانوا في امر الدين واقترفوا المعاصي
فسبيل من هلك اي فسبيلهم سبيل من هلك من الامم الماضية الذين زاغوا عن الحق في اخلاقهم وزيغهم
عن الحق ووهنهم في الدين وسمى اسباب الهلاك والاشتغال بما يودي اليه هلاكا هذا مجمل
الكلام واما تفصيل المرام فقال الخطابي دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدوارة
التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الارواح وهلاك الانفس قال الشاعر

فدارت رحانا واستدارت رحاهم • قلت هو معنى ما قال غيره
فيوم علينا ويوم لنا فيوما نسا ويوم نسر • وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ثم رحا

وان كان فيها ما ذكر من تلف الارواح وهلاك الانفس لكن فيها ايضا قوة الاشباح وقوة الارواح قال
التوربشتي انهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحا ويقولون دارت رحا الحرب اي
استتب امرها ولم نجدهم استعملوا دوران الرحى في امر الحرب من غير جريان ذكرها والاشارة
اليها وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وانما قال رحى الاسلام فالاشبه انه اراد بذلك ان الاسلام
يستتب امره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث ويصح ان يستعار دوران
الرحى في الامر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له فان الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت
دايرة مستمرة ويقال فلان صاحب دارتهم اذا كان امرهم يدور عليه ورحا الغيث معظمه
ويويده ما ذهبنا اليه ما رواه الحربي في بعض طرقه بزوال رحى الاسلام مكان تدور ثم قال كان
بزوله اقرب لانها تزول عن ثبوتها واستقرارها واشار بالسنين الثلاث الى الفتن
الثلاث فقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس وثلاثين وحرب الجمل وكانت سنة ست
وحرب صفين وكانت سنة سبع فانها كانت متتابعة في تلك الاعوام الثلاثة وان يقم لهم دينهم
اي وان صفت تلك المدة ولم يتفق لهم اختلاف وخور في الدين وضعف في التقوى يقم
لهم سبعين عاما يتمادى لهم قوة الدين واستقامة امره سبعين سنة وقد وقع المحذور
في الموعد الاول ولم يزل ذلك كذلك الى ان قال الخطابي اراد بالدين الملك قال ويشبه
ان يكون اراد بهذا ملك بني امية وانتقاله عنهم الى بني العباس وكان ما بين استقرار الملك لبني
امية الى ان ظهرت الدعاة بخراسان وضعف امر بني امية ودخل الوهن فيه نحوا من سبعين
سنة قال التوربشتي رحم الله ابا سليمان فانه لو تامل الحديث كل التامل وبنى التاويل على سياقه
لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك ملك بني امية دون غيرهم من الامة بل اراد به استقامة امر
الامة في طاعة الولاية واقامة الحدود والاحكام وجعل المبدا فيه اول زمان الهجرة واخبرهم انهم
يلبثون على ما هم عليه خمسا وثلاثين او سبعا وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف فيفرق كلمتهم
فان هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم وان عاد امرهم الى ما كان عليه من ايثار الطاعة
ونصرة الحق يتم لهم ذلك الى تمام السبعين هذا مقتضى اللفظ ايضا غير ذلك يستقيم لهم ذلك
القول فان الملك في ايام بعض العباسية لم يكن اقل استقامة منه في ايام المروانية ومدة
امارة بني امية من معاوية الى مروان ابن محمد كانت نحوا من تسع وثمانين سنة والتواريخ

ولو اقتضى اللفظ صح

وقف لله عز وجل

يشهد له مع ان بقية الحديث يقتضي كل تاويل بخالف تاويلنا هذا وهي قول ابن مسعود قلت
اي يا رسول الله مما بقي او مما مضى يريد ان السبعين يتم لهم مستانفة بعد خمس وثلاثين
ام يدخل المذكورة في جملتها قال مما مضى يعني يقوم لهم امر دينهم الى تمام سبعين سنة من
اول دولة الاسلام لا من انقضا خمس وثلاثين او ست وثلاثين او سبع وثلاثين الى انقضا
سبعين وفي جامع الاصول قيل ان الاسلام عند قيام امره على سنن الاستقامة والبعد
من احداثات الظلمة الى ان ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة ووجهه ان يكون قد قاله وقد
بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم خمس سنين او ست فاذا انضمت الى مدة خلافة الخلفا الراشدين
وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ وان كان اراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة
ففيها خرج اهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه وان كان سنة ست وثلاثين ففيها كانت
وقعة الجمل وان كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين رواه ابو داود والله اعلم
الفصل الثالث عن ابي واقد الليثي قال المولف هو الحارث ابن عوف قديم
الاسلام عداده في اهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها ودفن بفخ ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين اي بعد فتح مكة ومعه من دخل في الاسلام
حديثا ولم يتعلم من ادلة الاحكام اية ولا حديثا مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها
اسلحتهم اي ويعكفون حولها يقال لهم ذات انواط جمع نوط وهو مصدر ناطه اي علقه
فقالوا اي بعضهم ممن لم يكمل له مرتبة التوحيد ولم يطلع على حقية التفريد يا رسول الله اجعل
لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط اي شجرة نحن ايضا نعلق عليها اسلحتنا وكانهم ارادوا به
الضدية والمخالفة العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله تنزيها وتعجبا هذا اي هذا القول منكم كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما
لهم الهة لكن لا يخفى بينهما من التفاوت المستفادة من التشبيه حيث يكون المشبه
اقوى والذي نفسي بيده لتركبن بضم الموحدة اي لتذهبن انتم ايها الامة سنن من
كان قبلكم بضم السين اي طرقهم ومناهجهم وسبل افعالهم نسخة بفتحها اي على منوالهم وطبق
حالهم وشبه قالهم رواه الترمذي ورواه ايضا عن ابن عمرو مرفوعا لياتين على امتي
ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية لكان في امتي
من يصنع ذلك ورواه الحاكم عن ابن عباس لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان احدهم جامع امراته بالطريق
لفعلتموه وعن ابن المسيب بفتح التحتية المشددة وقد يكسر تابعي جليل قال وقعت
الفتنة الاولى يعني هذا الكلام الراوي عن ابن المسيب وتفسير الكلام ما يريد
بالفتنة الاولى مقتل عثمان فلم يبق من اصحاب بدر احد هذا كلام ابن المسيب اي
انهم ماتوا منذ قامت الفتنة الاخرى بوقعة الحرة والحاصل انهم ما ابتلوا بالفتنة مرتين
لما صانهم الله ببركة غزوة بدر ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة في النهاية هذه ارض
بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت الوقعة المشهورة في الاسلام ايام يزيد بن
معاوية لما انتهب المدينة عسكره من اهل الشام الذين ندبهم لقتال اهل المدينة من الصحابة
والتابعين وامر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين فلم يبق من
اصحاب الحديبية بالتخفيف ويشدد اي من اهل بيعة الرضوان احد ثم وقعت الفتنة

وقف لله عز وجل

الثالثة لعلها فتنة ابن الزبير وما حصل له ولاهل مكة من الحجاج فلم ترتفع وفي نسخة فلم ترفع
بالناس طباخ اي احد وهو بفتح الطا وتخفيف البا الموحدة وبالخا المعجمة على ما صرح به صاحب
المشارق والمفهوم من النهاية فلا وجه لما ضبط في بعض النسخ من كسر الطا فهو في القاموس
الطباخ كسحاب ويضم القوة والاحكام والسمن قال الطيبي اصل الطباخ القوة والسمن ثم استعمل
في غيره فقيل فلان لا طباخ له اي لا عقل ولا خير عنده اراد انها لم يبق في الناس من الصحابة
احد فالمراد بالناس الصحابة قال المظهر رواه البخاري

باب الملاحم

بفتح الميم
وكسر الحاء جمع الملحمة وهي المقتلة او هي الواقعة العظيمة وفي النهاية هي الحرب وموضع القتال ماخوذ
من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسداد وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم
القتلى فيها انتهى ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم نبي الملحمة وفيه اشارة الى انه معدن الجلال
كما انه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة والجمع بينهما هو الكمال وانما اطلق سبحانه في حقه قوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين بناء على غلبة رحمته تخلقا باخلاق الله في صفته كما ورد في الحديث القدسي سبقت
رحمتي غضبي ولذا ينادي يا ارحم الراحمين بل الملحمة في الحقيقة عين المرحمة كما ان المحن من عنده
سبحانه هي المنح والمنن والبلايا عين الولاء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

الفصل الاول عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة بتانيث الفعل
ويذكر وكذا قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان اي كثيرتان او كمية وكيفية لما كان في كل منهما
جماعة من الصحابة ويمكن حمله على التغليب اذ الجماعة العظيمة في الحقيقة انما كانت جماعة
علي كرم الله وجهه قال الاكمل وهذا من المعجزات لانه وقع بعده في الصدر الاول بينهما
مقتلة عظيمة اي حرب عظيم وقتال قوي دعواهما واحدة اي كل واحد من الفئتين يدعي
الاسلام قال ابن الملك المراد علي ومعاوية ومن معهما ويوخذ من قوله دعواهما واحدة
الرد على الخوارج في تكفيرهم كلتا الطايفتين انتهى وفي كون الحديث ردا عليهم مجرد دعوى
لا يخفى فانه لا يلزم من تحقق الدعوى المدعي وحصول المعنى مع ان الدعوى قد يصرف
الى دعوى الخلافة ونحوها وحتى يبعث اي يرسل من عالم الغيب الى صحن الوجود ويظهر
دجالون اي مبالغون في فساد العباد والبلاد كذابون اي على الله ورسوله في شرح السنة
كل كذاب دجال يقال دجل فلان الحق بباطله غطاه ومنه اخذ الدجال ودجاله سحره وكذبه وقيل
سمي الدجال دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل اذا موه ولبس قريب من ثلاثين وهذا
لا ينافي جزمه فيما سبق بقوله ثلاثون فانه اما متاخر واما المراد منه التقريب اذ الغا الكسر وكذا
لا ينافي ما رواه الطبراني عن ابن عمرو لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا فان المراد به التكثير
او الثلاثون مقيدون بدعوى النبوة والباقون لغيرها على احتمال السبعين على الثلاثين فيكمل
المائة والله اعلم كلهم يزعم انه رسول الله وفي نسخة نبي الله وحتى يقبض اي يوخذ ويرفع العلم اي
النافع المتعلق بالكتاب والسنة بقبض العلما من اهل السنة والجماعة فيكثر اهل الجهل والبدعة
ويكثر الزلازل اي الحسية وهي تحريك الارض والمعنوية وهي انواع البلية فان موت العالم فوة العالم
ويتقارب الزمان قال الخطابي اراد به زمان المهدي لوقوع الامن في الارض فيستلذ العيش عند
ذلك لانبساط عدله فيستقصر مدته لانهم يستقصرون مدة ايام الرخا وان طالت ويستطيلون
ايام الشدة وان قصرت وتظهر الفتن اي وتترتب عليها المحن ويكثر الهرج قيل المراد بكثرته
شموله ودوامه وهو الهرج هو القتل ويحتمل ان يكون مرفوعا والاظهر انه تفسير من

احد الرواة فهو جملة معترضة وحتى يكثر فيكم المال فيفيض بالنصب ويرفع من فاض الماء اذا انصب عنها
امتلائه والضمير الى المال فهو مبالغة لحصول المال في المال حتى يهم بضم اليا وكسر الها وتشديد
الميم من اهمه احزنه واقلقه وقوله رب المال منصوب على انه مفعول والفاعل قوله من يقبل
صدقته على تقدير مضاف اي حتى يوقعه في الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث
لم يجد من يقبله والتمليك شرطا لحصول الزكاة كما ان القبض شرط لحصول الصدقة وفي بعض
النسخ بضم اليا وفتح الها على انه يجيء لغة بفتح اليا وضم الها بمعنى احزنه فرب المال منصوب على
حاله وفي بعضها برفعه على انه فاعل ومن مفعوله اي يقصده رب المال عكس المتعارف في بقية
الازمنة والاحوال من هم به اذا قصده فيكون من باب الحذف والايصال والمعنى الاول هو المعول
فتامل قال النووي في شرح مسلم ضبطوه بوجهين واشهرهما ضم اوله وكسر الها قال الطيبي وفي جامع
الاصول مقيد بضم اليا ورب المال مفعول والموصول مع صلته فاعله وقوله وحتى يعرضه اي
بكسر الرا عطف على مقدر والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه
حتى يجده وحتى يعرضه الذي اي حتى يعرض المال الذي اراد ان يتصدق به على من يظن انه
يقبله فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي به بفتح الهمزة والرا اي لا حاجة لي اليه اما لغنى قلبه
او لغنى يده والاظهر انهما جميعا فكان الخير وسع الجميع ما فيه وقنع كل احد بما يكفيه فلا يريد
ما يطغيه او ما لا يعنيه ولا يخفى المعلوم انه لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملا
جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب على تأويل ما ورد في الحديث بل في القران المنسوخ
التلاوة فكان اهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا الى مقام الرضى بالقضا والقناعة
بالكفاية والاستغنا بما قسمه الله عن الناس فان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس
وحتى يتطاول الناس في البنيان اي حتى يتزايدوا في طوله وعرضه او يتفاخروا في تزيينه وتحسينه
وهذا غير مقيد بزمان المهدي بل المراد به اما بعده واما قبله فان الان قد كثر البنيان وافتخر به
اهل الزمان وتطاول به اللسان في كل مكان وهدموا العمارات الموضوعة للخيرات وجعلوها
دورا وبساتين ومواضع التنزهات ومجال التلهيات وحتى يمر الرجل اي من كثرة همومه
وغمومه في امر دينه او دنياه او كثرة بلائه وقلة دوائه بقبر الرجل اي من اقاربه او اجانبه
فيقول بالنصب ويرفع يا ليتني مكانه نقل بالمعنى اذ لفظه مكانك اي ليتني كنت ميتا حتى
لا ارى الفتنة ولا اشاهد المحنة وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس امنوا
اجمعون تاكيد الناس او تفسيره اي كلهم لما راوه في الاية الملجئة والعلامات العلانية وكان
المطلوب منهم الايمان في الحالة الغيبية كما اشار اليه سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ولهذا
قال فذلك اي الوقت حين لا ينفع نفسا ايمانها وكذا ما يترتب على ايمانها من عمل خيرها الحادثي
في ذلك الوقت كما نبه بقوله لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا و او للتنويع اذ قد
يوجد ايمان مجرد عن العمل وقد يقترن العمل بالايمان لكن لما كان وقوعهما في حال الباس ووقت
الياس لا يكونان نافعين قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فقيل التقدير لا ينفع ايمانها
ولا كسبها ان لم تكن امنت من قبل او لم تكن كسبت فالكلام من اللف التقديري والنشر الظاهري
هذا او قيل جملة لم تكن امنت صفة نفس والاولى ان يحمل على الاستيناف لئلا يقع الفصل
بين الصفة والموصوف وقوله من قبل اتيان بعض ايات الرب على ما في القران
مبهما ومجملا ومن قبل طلوع الشمس من مغربها على ما في حديث مفسرا ومبينا ثم

سورة مؤمن جـ ١٥

قيل او

وقف لله عز وجل

قيل او كسبت عطف على امنت والمراد بالخير التوبة او الاخلاص فتنوينه للتعظيم اي لا ينفع تلك
النفس ايمانها وقبول توبتها فيفيد ان او للتعظيم للتنويع فكانه قال لا ينفعها توبة عن الشرك
ولا توبة عن المعاصي وبهذا يندفع استدلال المعتزلة بالاية على ان العمل معتبر بالخير في الايمان
مع ان ظاهر قوله تعالى في ايمانها خيرا يدفع ذلك ثم قيل عدم قبول الايمان والتوبة في ذلك
الوقت مخصوص بمن شاهد طلوعها حتى ان من ولد بعده او لم يشاهد يقبل كلاهما منه والصحيح
انه غير مخصوص للخبر الصحيح ان التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها فاذا طلعت الشمس
من مغربها اغلق ولتقومن الساعة اي النفخة الاولى وهي مقدمة الساعة فاطلعت عليها
وقد نشر الرجلان الجملة حالية اي والحال انهما فتحا وفرقا ثوبهما بينهما الاضافة لاحدهما على انه صاحبه
وللاخر على انه طالبه فلا يتبايعانه اي لا يكملانه البيع والشرى ولا يطويانه اي ولا يجمعان الثوب
فيفترقان بل يقع الساعة عليهما وهما مشغولان بالبيع والشرى كما قال تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وحاصله ان قيام
الساعة يكون بغتة لعمومهم وهم في اشغالهم كما قال تعالى لا تاتيكم الا بغتة ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته بكسر اللام وسكون القاف اي ناقة ذات لبن فلا يطعمه اي فلا يمكن
الرجل ان يشرب اللبن الذي حلبه وهو في يده ولتقومن الساعة وهو يليط بفتح اوله اي يطين
ويصلح حوضه اي ليسقي ابله او غنمه منه فلا يسقي اي ابله وهو بفتح اليا ويجوز ضمها فيه
اي في ذلك الحوض او من مائه والمعنى ان الساعة تاخذ الناس بغتة تاتيهم وهم في اشغالهم
فلا تمهلهم ان يتموها ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته بضم الهمزة اي لقمته الى فيه فلا يطعمها
اي فلا يطعمها ولا يبلعها وهذا ابلغ مما قبله من الصور متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا
قوما نعالهم الشعر بفتحتين ويسكن العين اي من جلود مشعرة غير مدبوغة وحتى
تقاتلوا الترك قال السدي الترك شرذمة من ياجوج وماجوج وعن قتادة انهم كانوا اثنتين
وعشرين بيتا ذو القرنين السد على احدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك سموا بذلك
لانهم تركوا خارجين منه ذلك عين بالنصب وهو من امارات الحرص على متعة الدنيا صغيرها
والبخل على تقبيرها وقطميرها حمر الوجوه اي من شدة حرارة باطنهم وغليان الغضب في
اجوافهم ذلف الانوف بضم الذال المعجمة اي صغيرها فيكون كناية عن عدم شموخهم
الحق وعرضه فيدخل فيها الحق والباطل من غير تمييز لهم بينهما والاظهر ان معناه
فطس الانوف كما في الرواية الاتية جمع افطس من الفطس بالتحريك وهو تطامن قصبة
الانف وانخفاضها وانتشارها فرجع الى معنى عريضها وقال القاضي ذلف جمع اذلف
وهو الذي يكون انفه صغيرا ويكون في طرفه غلظ كان وجوههم المجان بتشديد النون بفتح
الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس المطرقة بضم الميم وفتح الرا المخففة
المجلدة طبقا فوق طبق وقيل هي التي البست طراقا اي جلدا يغشاها وقيل هي اسم مفعول من
الاطراق وهو جعل الطراق بكسر الطا اي الجلد على وجه الترس انتهى شبه وجوههم بالترس
لتبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها وفيها اشارة الى انهم كلهم وجوههم وادارتها
وكثرة لحمها ودسومتها ابوا الوجوه الطامعة في المال والاهل ليس فيها لينة الانسانية ولا
ملايمة الاحسانية بل كانهم نوع اخر من جنس الناس ينبغي ان يقال انهم نسناس ويكفي

في ذمهم انهم فضلة ياجوج وماجوج ومن اخوانهم وانموذج وعينة من اعيانهم فلا شك انهم يكونون
كغاية من الفساد ونهاية من الضرر للبلاد والعباد لا ارانا الله وجوههم الي يوم المعاد قال القاضي
وقد ورد ذكر في الحديث الذي بعده صفة لخوز وكرمان ولو لم يكن ذكر من بعض الرواة لعل المراد
بهما صنفان من الترك كان احد اصولهما احدهما من خوز واحد اصول الاخر من كرمان فسماهم الرسول
صلى الله عليه وسلم باسمه وانه لم يشتهر عندنا كما نسبهم الي قنطورا وهي امة كانت لابراهيم عليه
السلام ولعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والترك انتهي والاقرب
انه اشارة الي قضية جنكيز وما وقع له من الفساد وخصوصا في بغداد والله رؤوف بالعباد متعطف
عليهم وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تقاتلوا خوز بضم الخا المعجمة وسكون الواو وبالزاي في القاموس الخوز بالضم جيل
من الناس واسم لجميع بلاد خوزستان وكرمان بكسر الكاف ويفتح كذا ضبط في النسخ
المصححة لكن في القاموس كرمان وقد يكسر او لحن اقليم بين فارس وسجستان وقال
التوربشتي الخوز جيل من الناس وانما جاء في الحديث منونا بسكون وسط هذا وقد
ذكر ابن الاثير بالخا المعجمة المضمومة وبالزاي مع الاضافة يقال خوز كرمان من غير واو
العطف قال وروي خوز وكرمان قال والخوز جبل معروف وكرمان صقع معروف في
العجم وروي بالرا المهملة وهو من ارض فارس وصوبه الدارقطني وقيل اذا اضيف به
فبالرا واذا عطف فبالزاي نقله الجزري من الاعاجم بيان لهما قال شارح المراد صنفان
من الترك سماها بالاسم ابوهما ولا تخاله على اهل خوزستان وكرمان لانهم لم يوجدوا على
النعت المذكور في الحديث بل وجد عليه الترك حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين
وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر رواه البخاري وفي رواية له اي للبخاري عن عمرو
ابن تغلب بالتا فوقها نقطتان وبالغين المعجمة وهو غير منصرف قال المولف في فصل الصحابة
هو العبدي بن عبد القيس روي عنه الحسن البصري وغيره عراض الوجوه بالنصب
على الحكاية وبالرفع على الاعراب لكونه مبتدا الخبر مقدم وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله
عنه نظرا الي ان يرجع الضمير الي المنون السابق وفي نسخة صحيحة عن ابي هريرة بالاظهار
لئلا يتوهم عود الاضمار الي الصحابي اللاحق فانه بتقريره ربما يظن انه اللاحق لم يرجع اللاحق
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم
اي غالبهم او فيغلبهم المسلمون حتى يختبي اي يختفي اليهود من ورا الحجر والشجر فيقول الحجر
والشجر اي كلاهما او احدهما يا مسلم يا عبد الله جمعا بين الوصفين لزيادة التعظيم هذا اي
تنبه ذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد استثنا من الشجر وهو نوع شجر ذو شوك يقال
له العوسج كذا ذكره شارح وفي النهاية هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك منه وقيل لمقبرة
اهل المدينة بقيع الغرقد لانه كان فيه غرقد وقطع فانه من شجر اليهود اضيف اليهم بادني ملابسة
قيل هذا يكون بعد خروج الدجال حتى يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود رواه مسلم وعنه اي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان بفتح القاف
وسكون الحا وهو ابو اليمن وقيل قبيلة منهم يسوق الناس اي لاجل حكمه بعصاه هذا عبارة عن تغير
الناس واستيلائه عليهم كسوق الراعي غنمه بعصاه قيل لعله الرجل القحطاني هو الذي يقال له جهجاه
علي ما سياتي رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لا تذهب

وقعـــــــ الله عز وجل

وسلم لا تذهب لا تذهب الايام والليالي اي لا ينقطع الزمان ولا ياتي القيامة حتى يملك رجل يقال له الجهجاه
قال النووي هو بفتح الجيم وسكون الها وفي بعض النسخ الجهجاه بهائين وفي بعضها الجهجا بحذف
الها التي بعد الالف والاول هو المشهور ومن رواية حتى يملك رجل من الموالي بفتح الجيم
جمع المولي اي المماليك والمعني حتى يصير حاكما علي الناس يقال له الجهجاه قال الجزري لم اجد
هذه الرواية في واحد من الصحيحين نقله ميرك فيكون من غير الصحيحين للاستشهاد والاعتضاد
فلا يرد علي المولف ايرادها في الفصل الاول لان اختصاصه بحديث الشيخين انما هو في الاصول رواه مسلم
وعن جابر ابن سمرة رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن بفتح
الحا وفي نسخة صحيحة لتفتتحن قال التوربشتي وجدنا في اكثر نسخ المصابيح بتائين بعد الفا ونحن
نرويه عن كتاب مسلم بتا واحدة وهو امثل معني لان الافتتاح اكثر ما يستعمل بمعني الاستفتاح
فلا يقع موقع الفتح في التحقيق الامر ووقوعه والحديث انما ورد في معني الاخبار عن الكاين والمعني
لتاخذن عصابة بكسر العين اي جماعة من المسلمين كنز آل كسرى بكسر الكاف ويفتح والاول مقدم والمراد به
اهله واتباعه الذي في الابيض قال القاضي الابيض قصر حصين كان بالمداين وكانت الفرس تسميه
سفيد كوشك والان بني مكانه مسجد مداين وقد اخرج كنزه في ايام عمر رضي الله عنه وقيل
الحصن الذي بهمدان بناه دارا بن دارا يقال له شهرستان رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك كسرى جملة خبرية اي سيهلك ملكه وانما عبر
عنه بالمضي لتحقق وقوعه وقربه او دعا وتفاول فلا يكون كسرى وفي نسخة بالتنوين حيث
يليه به التنكير بعده اي بعدا اي بعد كسرى الموجود في زمنه صلى الله عليه وسلم والمعني لا يملك
ملك كسرى كافر بل يملكه المسلمون بعده الي يوم القيامة وقيصر وهو ملك الروم مبتدا وخبره
ليهلكن والتغاير بينهما للتفنن او هو عطف علي كسرى واتي بقوله ليهلكن التاكيد مع زيادة
المبالغة المستفادة من لام القسم ونون التاكيد ثم لا يكون قيصر بالوجهين اي قيصر اخر بعده
اي بعد الاول قال الطيبي هلاك كسرى وقيصر كانا متوقعين فاخبر عن هلاك كسرى بالماضي
دلالة علي انه كالواقع بنا علي اخبار الصادق واتي في الاخبار من قيصر بلام القسم في المضارع وبني
الكلام علي المبتدا والخبر اشعارا لاهتمامه بالاعتنا بشانه وانه اطلب منه وذلك ان الروم كانوا
سكان الشام وكان صلى الله عليه وسلم في فتحه اشد عناية ومن ثم غزا صلى الله عليه وسلم تبوك وهو
من الشام اقول لما كان هلاك كسرى قبل قيصر بحسب وقايع الحال فناسب ان يعبر عن الاول
بالماضي وعن الثاني بالاستقبال ولتقسمن بصيغة المجهول مخففا كنوزهما اي كنز كل منهما في
سبيل الله وسمي عطف علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قال الراوي وسمي النبي صلى
الله عليه وسلم الحرب خدعة بفتح الخا وضمها مع سكون الدال وبضم الجامع فتح الدال علي ما سبق مبناه
وتحقق معناه ومجمله ما في القاموس الحرب خدعة مثلثة وكهمزة وروي بهن جميعا اي تنقضي بخدعة
هذا او الراوي جمع بين حديثين والظاهر انهما وقعا في وقتين فلا يحتاج الي طلب المناسبة بين
ايرادهما علي ان في ذكره اشارة الي ان هلاكها واخذ كنوزهما انما يكون بالحرب وربما يكون محتاجة
الي خدعة فنبه اصحابه رضي الله عنهم الي جوازها حتى لا يتوهموا ان الخدعة من باب الغدر والخيانة
والله اعلم وقال الطيبي فان قلت ما وجه المناسبة بين قوله وسمي الحرب خدعة وبين الكلام
السابق قلت هو وارد علي سبيل الاستطراد لان اصل الكلام كان في ذكر الفتح وكان حديثا مشتملا
علي الحرب فاورده في الذكر كما اورد قوله ومن لم تكونوا تحاطر بابعد قوله وما يستوي البحران

هذا عذب فرات اذ المراد منها المومن والكافر قلت فقوله من كل تاكلون اشارة الي تكميل للتشبيه وتتميم
وتذييل وهو افادة انه ينتفع بهما ونظام العالم بوجودهما بل هما الدالان علي مظهر الجمال والجلال وهما
صفتا الكمال وعليهما مدار الكونين ومال الفريقين مما دل عليها امثال البحرين حيث قال هذا عذب
فرات وهذا ملح اجاج فكل من بابه في غاية من الكمال ويضل من يشا ويهدي من يشا ويعذب
من يشا ويغفر لمن يشا والله علي كل شي قدير متفق عليه وعن نافع بن عتبة اي ابن ابي
وقاص الزهري القرشي يعرف بالمرقال بكسر الميم وسكون الرا وبالقاف وهو ابن اخي سعد بن ابي
وقاص صحابي من مسلمة الفتح من المولفة روي عنه ابن عمر وجابر بن سمرة نقله ميرك عن
التصحيح قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تغزون اي بعدي جزيرة العرب وقد سبق تفسيرها
وتكريرها وتقريرها ومحمله علي ما حكي عن مالك مكة والمدينة واليمن فالمعني بقية الجزيرة
او جميعها بحيث لا يترك كافر فيها فيفتحها الله اي عليكم ثم فارس اي ثم تغزونها فيفتحها الله
ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال الخطاب فيه للصحابة والمراد الامة فيفتحه الله اي
يجعله مقهورا مغلوبا ويقع هلاكه علي يدي نبي ارسل لمعاونة الامة وانزل لمساعدة الملة رواه
مسلم اي في الفتن من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ولفظه حفظت من رسول الله صلي الله عليه
وسلم اربع كلمات اعدهن في يدي قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله الي اخره والعجب ان
الحاكم اخرجه في مستدركه علي الصحيح وقال علي شرط مسلم واقره الذهبي نقله ميرك عن
التصحيح وفيه ان الظاهر هو ان الحاكم رواه باسناد اخر رجاله رجال مسلم فيكون مستدركا
ولا يكون مستدركا وعن عوف بن مالك رضي الله عنه اي الاشجعي صحابي مشهور قال اتيت
النبي صلي الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة اي خيمة من ادم بفتحتين اي من جلد
فقال اعدد اي احسب وعد ستا اي من العلامات الواقعة بين يدي الساعة اي قدامها
موتي اي فوتي بانتقالي من دار الدنيا الي الاخري لانه اول زوال الكمال بحجاب الجمال
ثم فتح بيت المقدس بفتح ميم وسكون قاف وكسر دال وفي نسخة بضم ففتح فتشديد
ثم موتان بضم الميم اي وبا ياخذ فيكم اي يتصرف في ابدانكم كقعاص الغنم بضم القاف
دا ياخذ الغنم فلا يلبثها الي ان يموت قال التوربشتي اراد بالموتان الوبا وهو في الاصل موت
يقع في الماشية والميم منه مضمومة واستعماله في الانسان تنبيه علي وقوعه فيهم وقوعه
في الماشية فانها تسلب سلبا سريعا وكان ذلك في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام
وعمواس قرية من قري بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين ثم استفاضة المال
اي كثرته في شرح السنة اصله التفرق والانتشار يقال استفاض الحديث اذا انتشر
وفي النهاية وهو من فاض الما والدمع وغيرهما اذا كثر حتي يعطي الرجل مائة دينار فيظل
بالرفع وجوز النصب اي فيصير ساخطا اي غضبان لعده المائة قليلا وهذه الكثرة ظهرت
في خلافة عثمان رضي الله عنه عند الفتوح واما اليوم فبعض اهل زماننا يعدون
الالف قليلا ويحقرونه ثم فتنة اي بلية عظيمة قيل هي مقتل عثمان وما بعده من
الفتن المرتبة عليها لا يبقي بيت من العرب الا دخلته قيل المراد من بيوت امته وانما خص
العرب لشرفها وقربها منه ففيه نوع تغليب او ايما الي ما قيل من ان من اسلم فهو عربي
ثم هدنة اي مصالحة تكون بينكم وبين بني الاصفر اي الروم سموا بذلك لان اباهم الاول

وقف لله عز وجل

وهو الروم بن عيصو بن يعقوب ابن اسحاق كان اصفر في بياض وقيل سموا باسم رجل اسود ملك
الروم فنكح من نسائها فولد له اولاد في غاية الحسن فنسب الروم اليه فيغدرون اي ينقضون
عهد الهدنة فياتونكم تحت ثمانين غاية اي راية وهي العلم قال الطيبي ومن رواه بالبا الموحدة
اراد بها الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها تحت كل غاية اثني عشر الفا الف فارس قال الاكمل
جملته سبعمائة الف وستون الفا رواه البخاري وكذا ابن ماجة والحاكم في المستدرك وقال
صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه واقره الذهبي وهذا ايضا من الوهم فان الحديث في
صحيح البخاري في كتاب الجهاد في باب ما يحذر من الغدر نقله ميرك عن التصحيح وقد مر
ما يدفع عنه والله اعلم بالصحيح وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتي تنزل الروم بالاعماق بفتح الهمزة قال التوربشتي العمق
ما بعد من اطراف المفاوز وليس الاعماق ها هنا بجمع وانما هو اسم موضع بعينه من اطراف المدينة
او بدابق بفتح الموحدة وقد تكسر ولا يصرف وقد يصرف قال التوربشتي هو بفتح البا دار
نخلة موضع سوق بالمدينة وفي المفاتيح هو موضعان واو شك من الراوي وقال الجزري
دابق بكسر البا الموحدة وهو الصواب وان كان عياض في المشارق ذكر فيه الفتح ولم يذكر غيره
وهو موضع معروف من عمل حلب ومرج دابق مشهور قال صاحب الصحاح الاغلب التذكير والصرف
لانه في الاصل اسم قال وقد يونث ولا يصرف انتهي والذي يونثه ولا يصرفه يريد به البقعة قلت
وفي القاموس دابق كصاحب موضع بحلب لكن المضبوط في النسخ بغير صرف فيخرج بالنصب
ويرفع اليهم جيش من المدينة قال ابن الملك قيل المراد بها حلب والاعماق ودابق موضعان
بقربه وقيل المراد بها دمشق وقال في الازهار واما ما قيل من ان المراد بها مدينة النبي صلي الله عليه وسلم
فضعيف لان المراد بالجيش الخارج جيش المهدي بدليل اخر الحديث ولان المدينة المنورة تكون
خرابا في ذلك الوقت من خيار اهل الارض بيان للجيش يومئذ احتراز من زمنه صلي الله عليه وسلم
فاذا تصافوا بتشديد الفا المضمومة قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا علي بنا الفاعل
نقاتلهم يريدون بذلك مخاتلة ومخادعتهم بعضهم عن بعض ويبغون به تفريق كلمتهم والمرادون
بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم كما ذكره التوربشتي وهو الموافق للنسخ والاصول وقال
ابن الملك وروي سبوا بنا المجهول قال القاضي بنا المعلوم هو الصواب وقال النووي كلاهما
صواب لان عساكر الاسلام في بلاد الشام ومصر كانوا مسبيين ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار
قال التوربشتي والاظهر ان هذا القول منهم يكون بعد الملحمة الكبري التي تدور رحاها بين
الفئتين بعد المصالحة والمناجزة لقتال عدو ويتوجه الي المسلمين وبعد غزوة الروم لهم وذلك
قبل فتح قسطنطينية فيطا الروم ارض العرب حتي ينزل بالاعماق او بدابق فيسال المسلمين ان يخلوا
بينهم وبين من سبي ذريتهم فيردون الجواب علي ما ذكر في الحديث فيقول المسلمون لا والله لا
نخلي بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم اي المسلمون الكفرة فينهزم ثلث من المسلمين لا يتوب
الله عليهم ابدا كناية عن موتهم علي الكفر ونفد بينهم علي التابيد ويقتل ثلثهم افضل الشهدا
عند الله بالرفع علي تقدير مبتدا اي هم وفي نسخة بالنصب علي انه حال ويفتح الثلث
اي الباقي من المسلمين لا يفتنون اي لا يبتلون ببلية او لا يمتحنون بمقاتلة او لا يعذبون
ابدا ففيه اشارة الي حسن خاتمتهم فيفتتحون الفا قسطنطينية او تغريبه قال ابن الملك
وفي نسخة فيفتحون بتا واحدة وهو الاصوب لان الافتتاح اكثر ما يستعمل في معني

الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح قلت سبق مثل هذا في كلام التوربشتي لكن الظاهر ان فيه
ايماء الي ان الفتح كان بمعالجة تامة وفي القاموس فتح كمنع ضد اغلق كفتح وافتتح والفتح
النصر وافتتاح دار الحرب والاستفتاح الاستنصار والافتتاح والمعني فياخذون من
ايدي الكفار قسطنطينية وهي بضم القاف وسكون السين وضم الطا الاولي وكسر الثانية
وبعدها يا ساكنة ثم نون قال النووي هكذا ضبطناه هنا وهو المشهور ونقل القاضي
في المشارق عن المتقنين زيادة يا مشددة بعد النون قلت ونسخ المشكاة متفقة
علي ما قاله عياض وبعض النسخ بزيادة يا مخففة بدل يا مشددة فقد قال الجزري
ثم نون ثم يا مخففة وحكي بعضهم تشديدها وقال اخرون بحذفها ونقله عياض عن
الاكثرين ثم هي مدينة مشهورة اعظم مداين الروم قال الترمذي والقسطنطينية قد
فتحت في بعض اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وتفتح عند خروج الدجال قال الحجازي
في حاشية الشفا قسطنطينية وقسطنطينة ويروي بلام التعريف دار ملك
الروم وفيها ست لغات فتح الطا الاولي وضمها مع تخفيف اليا الاخيرة وتشديدها ومع
حذفها وفتح النون وهذه بضم الطا اكثر استعمالا والقاف مضموم بكل حال فبينما اي
المسلمون يقتسمون الغنايم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اراد الشجر المعروف والجملة حال
دال علي كمال الامن اذ صاح فيهم الشيطان اي نادي بصوت رفيع ان المسيح بكسر الهمزة لما
في الندا من معني القول ويجوز فتحها اي اعلمهم والمراد بالمسيح هنا الدجال قد خلفكم بتخفيف
اللام اي قام مقامكم في اهليكم اي في ذراريكم كما في رواية الرجال قد خلفكم بتخفيف اللام
اي قام مقامكم في اهليكم اي في ذراريكم كما في رواية فيخرجون اي جيش المدينة من قسطنطينية
وذلك اي القول من الشيطان باطل اي كذب وزور فاذا جاوا اي المسلمون الشام الظاهر
ان المراد به القدس منه لما في بعض الروايات تصريح بذلك فبينما يعدون بضم فكسر اي يستعدون
ويتهيأون للقتال فقوله يسوون الصفوف بدل منه اذ اقيمت الصلوة وفي نسخة صحيحة اذا
بالالف اي وقت اقامة المؤذن الصلوة فينزل عيسي بن مريم اي من السما علي منارة مسجد
دمشق فياتي القدس فامهم عدل الي الماضي تحقق للوقوع واشعار الجواز عطف الماضي
علي المضارع وعكسه اي ام عيسي المسلمين في الصلوة ومن جملتهم المهدي وفي رواية ان
المضارع قدم المهدي معللا بان الصلوة انما اقيمت لك واشعارا بالمتابعة وانه غير متبوع
استقلالا بل هو مقرر ومويد فبعد ذلك يوم بهم علي الدوام فقوله فامهم فيه تغليب او تركيب
مجاز اي امر امامهم بالامامة ويكون الدجال حينئذ محاصرا المسلمين فاذا راه اي راي عيسي
عدو الله بالرفع اي الدجال ذاب اي شرع في الذوبان كما يذوب الملح في الما فلو تركه اي ترك
عيسي الدجال ولم يقتله لانذاب حتي يهلك اي بنفسه بالكلية ولكن يقتله الله بيده اي بيد
عيسي فيريهم اي عيسي او الله تعالي المسلمين او الكافرين او جميعهم دمه اي دم الدجال
في حربته اي في حربة عيسي وهي رمح صغير وقد روي الترمذي عن مجمع ابن جارية مرفوعا
يقتل ابن مريم الدجال بباب لد والمشهور انه من ابواب مسجد القدس وفي النهاية هو موضع
بالشام وقيل بفلسطين ذكره السيوطي في شرحه ولعل الدجال يهرب من بيت المقدس
بعدما كان محاصرا فيلحقه عيسي في احد الاماكن فيقتله والله اعلم رواه مسلم اي بهذا السياق
وروي البخاري خروج الدجال ونزول عيسي عليه السلام كذا ذكره ميرك عن التصحيح وعن

عبد الله بن مسعود قال ان الساعة لا تقوم حتي لا يقسم ميراث اي من كثرة المقتولين وقيل من
كثرة المال والاول اصح كذا في الازهار وقيل حتي يوجد وقت لا يقسم فيه ميراث لعدم من يعلم الفرايض
واقول لعل المعني انه يرفع الشرع فلا يقسم ميراث اصلا ولا يقسم علي وفق الشرع كما هو مشاهد
في زماننا ويحتمل ان يكون معناه انه من قلة المال وكثرة الفقر لا يقسم ميراث بين الورثة اما
لعدم وجود شي او لكثرة الديون المستغرقة او لان اصحاب الاموال يكونون ظلمة فيرجع مالهم
الي بيت المال فلا يبقي لاولادهم نصيب في المال ولا لهم خلاق في المال والله اعلم بالحال ولا يفرح
ولا يفرح بصيغة المجهول اي ولا يفرح احد بغنيمة اما بعدم العطا بظلم الظلمة واما الغش والخيانة
فلا يتخلص منهما اهل الديانة ومن القواعد المقررة ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
فلا يضره ما ذكره الراوي ثم قال اي ابن مسعود عدو اي من الروم او عدو كثير وهو مبتدا خبره يجمعون
اي الجيش والسلاح لاهل الشام اي لمقاتلة اهل الشام ويجمع لهم اي لقتال اهل الشام اهل الاسلام
يعني اي قال الراوي يريد ابن مسعود بالعدو الروم فيتشرط المسلمون من باب التفعل استعمل
تشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا اي قدمها واعلمها واعدها واشرط نفسه
للشي اعلمه وروي فيشترط المسلمون اي يعينون ويعدون شرطة بضم الشين وسكون الرا
طايفة من الجيش يتقدم للقتال وتشهد الواقعة سموا بذلك لانهم كالعلامة للجيش وقوله
للموت اي الحرب وفيه نوع تجريد ففي القاموس الشرط واحد الشرط كصرد وهم كتيبة تشهد الحرب
وتتهيا للموت وطايفة من اعيان الولاة انتهي والمراد هنا المعني الاول وقيل سموا به لانهم يشترطون
ان يتقدموا ويعدوا انفسهم للهلاك ويؤيده قوله لا ترجع اي تلك الشرطة الا غالبة فالجملة صفة
شرطة كاشفة مبينة موضحة والمعني ان المسلمين يبعثون مقدمتهم علي ان لا ينهزموا بل يتوقفوا
ويتثبتوا الي ان يقتلوا او يغلبوا فيقتتلون اي المسلمون والكفار حتي يحجز بضم الجيم وكسر
اي يمنع بينهم الليل اي دخوله وظلامه فيتركون القتال فيفي مضارع من الفي بمعني الزوال
اي يرجع هولاء اي المسلمون وهولاء اي الكافرون كل اي من الفريقين غير غالب اي وغير
مغلوب وتفني اي وتهلك وتقتل الشرطة اي جنسها من الجانبين والحاصل انه يرجع معظم
الجيش وصاحب الرايات من الطرفين ولم يكن لاحدهما غلبة علي الاخر وتفني شرط الطرفين
والا لكانت الغلبة لمن تفني شرطهم وقد قال كل غير غالب هذا وفي بعض النسخ المصححة شرطة
بفتح الشين فقال السيد جمال الدين اعلم ان لفظة الشرطة تحتمل وجهين ان كان الشين منها
مفتوحة فمعناه يشترطون مهم شرطا واحدة ومعني ففيهما زوالها بسبب دخول الليل
وان كانت مضمومة فالمراد منها طايفة هي خيار الجيش ففيه اشكال من حيث ان الشرطة اذا كانت
غير غالبة لم يغن اذا لو فنيت غير غالبة فكيف قال فيفي قال ويفي هولا كل غير غالب وتفني الشرطة
ويمكن ان يقال كان مع الشرطة جمع اخر من الجيش وهم راجعون غير غالبين لا الشرط او كان ساير
المسلمين في كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم فالراجع سايرهم دونها انتهي والمعتمد ما قدمناه ثم يؤيد
ما قدرناه ما ذكره الطيبي حيث قال في الفايق يقال للشرط نفسه لكذا اذا اعلمها له واعدها فحذف
المفعول والشرطة نخبة الجيش وصاحب رايتهم لا النفر الذين تقدموا وهم الشرط وقوله فيشترط
فانه في الحديث كذلك استعمل تشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا اي قدمها واعدها
واعلمها ولو وجدت الرواية بفتح الشين من الشرط لكان معناها اوضح واقوم مع قوله وتفني الشرطة
اي يشترطون فيما بينهم شرطا ان لا يرجعوا الا غالبة يعني يومهم ذلك فاذا حجز بينهم الليل ارتفع الشرط

الذي شرطوه وانما ادخل فيه التا ليدل على التوحيد اي يشترطون شرطة واحدة مشوبة فيها ولم نعرف
ذلك من طريق الرواية فقال الطيبي اذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب اليها والانحراف
عن التحريف من ضم الشين الى فتحها والتزام التكليف في تاويل التا والعدول عن الحقيقة في تفني
الشرطة الى ذلك المجاز البعيدة واي مانع من ان يفرض ان الفيئة العظيمة من المسلمين افرزوا من
بينهم طايفة بتقدم الجيش للمقاتلة واشترطوا عليها ان لا ترجع الا غالبة فلذلك بذلوا جهدهم
وصدقوا فيما عدوا وقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم وهو المراد من قولهم وتفني الشرط قال الجوهري
قد شرط عليه كذا واشترط عليه كذا واشترط عليه ويشرط وقوله فيفي هولا وهولا المراد منهما الفيتان
العظيمتان لا الشرط ثم يشترط المسلمون شرطة اي اخرى للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى
يحجز بينهم الليل فيفي هولا وهولا كل غير غالب وتفني الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة اي
اخرى للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفي هولا وهولا كل غير غالب
وتفني الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة اي ثالثة للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا
اي يدخلون في المسا بان يدخل الليل ففي العبارة تفنن فيفي هولا وهولا كل غير غالب وتفني
الشرطة فاذا كان يوم الرابع نهد اليهم اي نهض وقام قصد قتالهم بقية اهل الاسلام فيجعل
الله الدبرة بفتح المهملة والموحدة اسم من الادبار وروي الدايرة اي الهزيمة عليهم اي
على الكفار وقال شارح اي على الروم فيقتتلون من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود
في اكثر النسخ المعتمدة وفي نسخة فيقتتلون بصيغة المجهول من الثلاثي وهذا
مبني لما توهم منه انه متعلق بقوله فيجعل الله والحال ان الامر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع
ما تقدم والله اعلم مقتلة مفعول مطلق من غير بابه او بحذف زوايده ونظيره قوله تعالى والله
انبتكم من الارض نباتا والمعنى مقاتلة عظيمة لم ير اي لم يبصر او لم يعرف او لم يبصر مثلها حتى
ان الطاير بكسر الهمزة ويفتح ليمر اي يريد المرور بجنباتهم بجيم فنون مفتوحة اي بنواحيهم
فلا وفي نسخة صحيحة فما يخلفهم بكسر اللام المشددة من خلفت فلانا اذا اتيته اذا جعلته
متاخرا عنك والمعنى فلا يتجاوزهم حتى يخر بكسر معجمة وتشديد راء اي حتى يسقط الطايرة ميتا
بتشديد التحتية وتخفف قال المظهر يعني يطير الطاير على اولئك الموتى فما وصل الى اخرهم
حتى يخر ويسقط ميتا من نتنهم او من طول مسافة مسقط الموتى قال الطيبي والمعنى ينظر
الى قول البحتري في وصف بركة لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها
فيتعاد بصيغة المعلوم وقيل بالمجهول من باب التفاعل والمعنى يعد بنو الاب اي جماعة
حضروا تلك الحرب كانوا ماية فلا يجدونه الضمير المنصوب للماية بتاويل المعدود
او العدد اي فلان يجدون عددهم او لبني الاب ليس بجمع حقيقة لفظا بل معنى كذا قيل والحاصل
ان بني الاب بمعنى القوم والقوم مفرد لفظا جمع المعنى فروعي كل منهما حيث قال فلا يجدونه
بقي منهم الا الرجل الواحد وخلاصة المعنى انهم يشرعون في عد انفسهم فيشرع كل جماعة في
عد اقاربهم فلا يجدون من ماية الا واحدا وزبدته انه لم يبق من ماية الا واحد فباي غنيمة
يفرح الفا تفريعية او فصيحة قال الطيبي هو جزا شرط محذوف وفيه اولا في قوله ان الساعة
لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة حيث اطلقه ثم بينه بقوله عدو الى اخره بان
ذلك مقيد بهذه الصفة فحسبنه يصح ان يقال فاذا كان كذلك فباي غنيمة يفرح او اي
ميراث الظاهر انه بالرفع اي فاي ميراث يقسم واو للتنويع وفي النسخ بالجر فالمعنى فباي

ميراث

ميراث يقع القسمة وتاخر الميراث مع تقدمه سابقا نظيره قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية فبينما هم كذلك اذ سمعوا اي المسلمون بباس بموحدة
وهمزة ساكنة ويبدل اي بحرب شديد هو اكبر اي اعظم من ذلك اي مما سبق والمراد بالباس اهله
بارتكاب احد المجازين المشهورين فجاءهم اي المسلمون الصريخ فعيل من الصراخ وهو الصوت
اي صوت المستصرخ وهو المستغيث ان الدجال بفتحتين وبكسر قد خلفهم بتخفيف اللام اي قعد
مكانهم في ذراريهم بتشديد اليا اي اولادهم وفي رواية في اهليهم فيرفضون بضم الفاء فيتركون ويلقون
ما في ايديهم اي من الغنيمة وساير الاموال فزعا على الاهل والعيال ويقبلون من الاقبال اي ويتوجهون
الى الدجال فيبعثون اي يرسلون عشر فوارس جمع فارس اي راكب فرس طليعة وهو من يبعث
ليطلع على حال العدو كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة يستوي فيه الواحد والجمع وانما قال
عشر نظرا الى ان الفوارس طلايع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماءهم اي العشرة
واسما ابائهم والوان خيولهم فيه مع كونه من المعجزات دلالة على علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات
من الكاينات وغيرها هم خير فوارس او من خير فوارس ظاهره انه شك من الراوي على ظهر الارض
احتراس من الملايكة يومئذ اي حينئذ وهو احتراز عن العشرة المبشرة وامثالهم رواه مسلم وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل سمعتم بمدينة منها في البر وجانب
منها في البحر قالوا نعم يا رسول الله قال شارح هذه المدينة في الروم وقيل الظاهر انها قسطنطينيه
دار ملك الروم وفتحها من اشراط الساعة ويسمى بالرومية بوزنطيا وارتفاع سورها احد وعشرون
ذراعا وكنيستها مستطيلة وبجانبها عمود عال في دور اربعة ابواع تقريبا وفي راسه فرس من
نحاس وعليه فارس وفي احدى يديه كرة من ذهب وقد فتح اصابع يده الاخرى مشيرا بها وهو
صورة قسطنطين بانيها انتهى ويحتمل انها مدينة غيرها بل هو الظاهر لان قسطنطينيه يفتح
بالقتال الكثير وهذه المدينة يفتح بمجرد التهليل والتكبير قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون
الفا من بني اسحاق قال المظهر من اكراد الشام هم من بني اسحق النبي عليه السلام وهم مسلمون انتهى
ويحتمل انه كان معهم غيرهم من بني اسماعيل وهم العرب او غيرهم من المسلمين واقتصر على ذكرهم
تغليبا لهم على من سواهم ويحتمل ان يكون الامر مختصا بهم فاذا جاوها اي المدينة نزلوا
اي حواليها محاصرين لاهلها فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم تخصيص بعد تعميم لتاكيد
افادة عموم النفي قالوا [illegible] لا اله الا الله والله اكبر فيسقط بصيغة المضارع احد
جانبيها اي احد طرفي سور المدينة قال ثور ابن يزيد الراوي قال المولف في فصل التابعين
كلاعي شامي حمصي سمع خالد بن معدان روى عنه الثوري ويحيى بن سعيد له ذكر في باب
الملاحم لا اعلمه اي لا اظن ابا هريرة الا قال الذي في البحر اي احد جانبيها الذي في البحر والمعنى
لكني لا اجزمه ويمكن ان يكون هذا منه ردا على من نازعه ممن سمع الحديث من ابي هريرة بغير هذا
القيد ويحتمل ان يكون فيه ما قال الطيبي هذا اشارة الى ما وقع في نسخ من قوله الذي في البحر مدرج
من قول الراوي ثم يقولون اي المسلمون الثانية اي الكرة الثانية لا اله الا الله والله اكبر فيسقط
بصيغة الماضي تفننا وتحقيقا جانبها الاخر اي الذي في البر ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله
والله اكبر فيسقط بصيغة الماضي تفننا وتحقيقا جانبها الاخر اي الذي في البر فيفرج بتشديد
الرا المفتوحة اي فيفتح لهم والظرف نايب الفاعل فيدخلونها فيغنمون اي ما فيها فبينما هم
يقسمون المغانم اي يريدون الاقتسام او يشرعون فيه اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال

قد خرج فيتركون كل شي اي من الغنايم وغيرها من الاثقال ويرجعون اي سريعا لمقاتلة الدجال ومساعدة الاهل والعيال رواه مسلم

الفصل الثاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس بالتخفيف ويشدد وعمرانه بضم العين وسكون الميم اي عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال خراب يثرب اي وقت خراب المدينة قيل لان عمرانه باستيلا الكفار وفي الازهار قال بعض الشارحين المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فانه يخرب في اخر الزمان ثم يعمره الكفار والاصح ان المراد بالعمران الكمال في العمارة اي عمران بيت المقدس كاملا مجاوزا عن الحد وقت خراب يثرب فان بيت المقدس لا يخرب قال ابن الملك واما الان فقد عمره السلطان الملك الناصر واستخرج فيه العيون واجرى فيه المياه جزاه الله خيرا قلت وزاد بنوا عثمان حفظهم الله من افات الدوران في عماراته وارزاقه وتكياته لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة المعطرة وخراب يثرب خروج الملحمة اي ظهور الحرب العظيم قال ابن الملك قيل بين اهل الشام والروم والظاهر انه يكون بين التاتار والشام قلت الاظهر هو الاول لما في الحديث السابق ولما سياتي في الحديث اللاحق وبقوله وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية وفي نسخة بالتعريف خروج الدجال قال الاشرف لما كان عمران بيت المقدس باستيلا الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها امارة مستعقبة بخراب يثرب وهو امارة مستعقبة بخروج الملحمة وهو امارة مستعقبة لخروج الدجال جعل النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه انتهى وخلاصته ان كل واحد من هذه الامور امارة لوقوع ما بعده وان وقع هناك مهلة قال الطيبي فان قلت قال هنا فتح القسطنطينية خروج الدجال وفي الحديث السابق اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في اهليكم فيخرجون وذلك باطل فكيف الجمع بينهما قلت انه صلى الله عليه وسلم جعل الفتح علامة لخروج الدجال لا انها مستعقبة له من غير تراخ وصراخ الشيطان كان للايذا بانه واقع ليشتغلوا عن القسم وكان باطلا يدل عليه الحديث الاتي الملحمة العظمى فتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة اشهر والتعريف في الصارخ في هذا الحديث للعهد والمعهود الشيطان اقول والذي يظهر ان القضية متعددة وان المسلمين كانوا متفرقة وان المدينة غير القسطنطينية اذ قضيته كانت بالمقاتلة وفتح المدينة انما هو بالتهليل والتكبير من غير المحاربة فحينئذ تحمل تصريح الشيطان بالنسبة الى غزاة قسطنطينية وصراخ المسلمين الى اصحاب المدينة وان كلا من الفريقين تركوا الغنايم وتوجهوا الى قتال الدجال والله اعلم بالحال رواه ابو داود اي وسكت عليه كما ذكره ميرك ورواه احمد عن معاذ ايضا **وعنه** اي عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحمة العظمى وفي الجامع الملحمة الكبرى قيل هي التي ينفاد فيها بنوا الاب ولا يكد ون من مائة الا واحد كما مر لكن الاظهر ان المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة اسما الله الحسنى ولذا صح عطف قوله وفتح القسطنطينية وهي بلام التعريف هنا اذ الاصل في العطف التغاير مع انضمامه الى التبادر وخروج الدجال في سبعة اشهر اي باعتبار توجه المسلمين الى البلدتين وظهور الدجال واما باعتبار فتحها فهو متعاقب لهما من غير تراخ بينها رواه ابو داود وكذا ابن ماجة ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم وعن عبد الله بن بسر بضم موحدة وسكون مهملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين الملحمة وفتح المدينة اراد باحدهما المدينة السابقة وبالاخرى القسطنطينية وهذا نص من المقاربة بينهما وقوله ست سنين مشكل مخالف لما تقدم ويمكن ان يقال اللام في

الملحمة غير القسطنطينية من ساير الملاحم فاللام للعهد بالنظر الى ملحمة سابقة ويدل عليه انها ما وصفت بالعظمى ونحوها ويخرج الدجال في السابعة اي في السنة السابعة في اخر السادسة التي فيها فتح المدينة واول السابعة التي رجع المسلمون عنها اي الدجال واما ما قيل منه انه لا يبعد من ان يشتبه سبع سنين بسبعة اشهر ففي غاية من البعد رواه ابو داود وكذا ابن ماجة وقال هذا اصح اي من الحديث السابق ففيه دلالة على ان التعارض ثابت والجمع ممتنع والاصح هو المرجح وحاصله ان بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال سبعة سنين اصح من سبعة اشهر **وعن** ابن عمر قال يوشك المسلمون ان يحاصروا على بنا المجهول اي يحبسوا ويضطروا ويلتجوا الى المدينة اي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لمحاصرة العدو اياهم ويفر المسلمون من الكفار ويجتمعوا في المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر او بعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حواليها لحتراسا عليها وهذا المعنى اظهر بقوله حتى يكون ابعد مسالحهم بفتح الميم سلاح بفتح السين وقد ضبط برفعه مضموما على انه اسم موخر والخبر قوله ابعد وفي نسخة برفعه منونا وفي اخرى بكسر الحا ففي القاموس سلاح كسحاب وقطام موضع اسفل خيبر وقال ابن الملك سلاح هو منون وفي نسخة ومبني على الكسر في اخرى وقيل هو مبني على الكسر في الحجاز غير منصرف في بني تميم ثم في النهاية المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوي سلاح او لانهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يكون فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا راوه اعلموا اصحابهم ليتاهبوا له وسلاح قريب اي موضع قريب من خيبر وهذا تفسير من الراوي والمعنى ابعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر وهذا يدل على كمال التضييق عليهم واحاطة الكفار حواليهم رواه ابو داود **وعن** ذي مخبر بكسر الميم وسكون الخا المعجمة وفتح الموحدة ابن اخي النجاشي خادم النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه جبير بن نفير وغيره يعد في الشاميين ذكره المولف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستصالحون الروم الخطاب للمسلمين صلحا مفعول مطلق من غير بابه او بحذف الزوايد امنا بالجر صفته صلحا اي صلحا ذا امن او على ان الاسناد مجازي فتغزون انتم اي فتقاتلون ايها المسلمون وهم اي الروم المصالحون معكم عدوا من ورايكم اي من خلفكم فتنصرون بصيغة المفعول اي فينصركم الله عليهم وتغنمون اي الاموال وتسلمون اي من القتل والجرح في القتال ثم ترجعون اي عن عدوكم ثم تنزلوا اي انتم واهل الروم بمرج بفتح فسكون اي روضة وفي النهاية هي ارض واسعة ذات نبات كثيرة ذي تلول بضم التا جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع فيرفع رجل من اهل النصرانية وهم الاروام الصليب وهو خشبة مربعة يدعون ان عيسى عليه السلام صلب على خشبة كانت على تلك الصورة فيقول اي الرجل منهم غلب الصليب اي غلبنا ببركة الصليب فيغضب رجل من المسلمين حيث نسب الغلبة لغير الحبيب فيدقه اي فيكسر المسلم الصليب فعند ذلك تغدر الروم بكسر الدال اي تنقض العهد وتجمع اي رجالهم ويجتمعون للملحمة اي للقتال اي للمقتلة وزاد بعضهم اي الرواة فيثور المسلمون الى اسلحتهم اي مسرعين وناهضين اليها فيقتتلون اي معهم فيكرم الله تلك العصابة اي الجماعة من المسلمين بالشهادة وجعلهم الله شهدا احيا عند ربهم يرزقون فرحين الاية رواه ابو داود وكذا ابن ماجة وسكت عليه ابو داود ورواه الحاكم

في مستدركه وقال صحيح ذكره ميرك وعن عبد الله بن عمرو بالواو رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اتركوا الحبشة في القاموس الحبش والحبشة محركتين
جنس من السودان ما تركوكم اي ما داموا انهم تركوكم فانه لا يستخرج كنز الكعبة اي
كنز مدفونا تحت الكعبة وقيل مخلوقا فيها وقيل المراد به ما تجمعه اهل السدانة من هدايا
الكعبة كذا الا ذو السويقتين اي صاحب دقيق الساقين من الحبشة اي هو منهم
ويكون امرهم والمراد به حبيشي الحبشة بكونه هذا الوصف غالبا فيهم قال النووي
هما تصغير ساقي الانسان لرقتهما وهي صفة سوقها لسودان غالبا ولا يعارض
هذا قوله تعالى حرما امنا لان معناه امنا الى قرب القيامة وخراب الدنيا
وقيل يخص منه قصة ذي السويقتين قال القاضي عياض القول الاول
اظهر اقول انه تعالى جعله حرما امنا باعتبار غالب الاحوال كما يدل عليه
قضية ابن الزبير وقصة القرامطة ونحوهما والمراد بجعله حرما امنا انه حكم بانهم
يامنون الناس ولا يتعرضون لاحد فيه كما اجاب بهذا بعض اهل التوفيق كما قال
زنبي اهل الزنديق من القرامطة بعدما فعلوا من الفساد من قتال العباد وخراب
البلاد فاين كلام الله ومن دخله كان امنا فقال انما معناه فامنوا من دخله
ولا تتعرضوا لمن دخله بنهبه او قتله رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه
وعن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوا الحبشة اي اتركوهم ما
ودعوكم بتخفيف الدال اي ما تركوكم قال التوربشتي قلما يستعملون الماضي
منه الا ما روي في بعض الاشعار كقول القائل غاله في الحب حتى وداعه ويحتمل ان
يكون الحديث ما وادعوكم اي ما سالموكم فسقط الالف عن قلم بعض الرواة قال
الطيبي لا افتقار الى هذا الطعن في وروده في التنزيل الكشاف في قوله تعالى ما
ودعك ربك وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال وثم ودعنا ال عمرو وعامر ولان
لفظ الازدواج ورد العجز على الصدر يجوز كذلك وقد جاء في كلامهم اني لا ننيه بالغدايا
والعشايا وقوله ارجعن مازورات غير ماجورات قال المظهر كلام النبي صلى الله
عليه وسلم متبوع لانه تابع بل فصحى العرب هذا اخرجهم بالاضافة اليه باقل واقل
قلعات العرب مختلفة منهم من انقرض لغته فاتى صلى الله عليه وسلم بها قال شمر
زعمت النحويه ان العرب اماتوا مصدره وماضيه والنبي صلى الله عليه وسلم افصح
اقول فاحتياطه باستعمال الماضي في هذا الحديث وبالمصدر في الحديث الذي
رواه احمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وابن عمر مرفوعا لينتهين اقوام عن
ودعهم الجماعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين هذا وهو
من باب الشاذ الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسحر ونظايره واتركوا
الترك ما تركوكم قال الخطابي علم ان الجمع بين قوله تعالى واقتلوا المشركين كافة
وبين هذا الحديث ان الاية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد
ويجعل الحديث مخصصا لعموم الاية كما خص ذلك في حق المجوس فانهم كفرة ومع
ذلك اخذ منهم الجزية لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب قال
الطيبي ويحتمل ان يكون الاية ناسخة للحديث لضعف الاسلام واما تخصيص

الحبشة

الحبشة والترك بالترك والودع فلان بلاد الحبشة وغيره بين المسلمين مهامه وقفار فهم
يكلف المسلمين دخوله ديارهم لكثرة التعب وعظم المشقة واما الترك فباسهم شديد
وبلادهم باردة والعرب وهم جند الاسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد
فلهذا بين السربين خصصهم واما اذا دخلوا بلاد المسلمين قهرا والعياذ بالله تعالى
فلا يجوز لاحد ترك القتال لان الجهاد في هذه الحالة فرض عين وفي الحالة الاولى فرض
كفاية قلت وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى حيث قال ما تركوكم وحاصل
الكلام ان الامر في الحديث للرخصة والاباحة لا للوجوب ابتداء ايضا فان
المسلمين قد حاربوا الترك والحبشة بادي والحال لا يخلوا زمان عن ذلك وقد
اعز الله الاسلام واهله فيما هنالك رواه ابو داود والنسائي وروى الطبراني عن ابن مسعود
مرفوعا ولفظه اتركوا الترك ما تركوكم فان اول من يسلب امتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء
ففي النهاية هي جارية ابراهيم الخليل ولدت له اولادا منهم الترك والصين انتهى وسياتي زيادة
تحقيق لهذا في حديث ابي بكرة وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يقاتلكم
ظاهره ان يكون بالاضافة لكنه في جميع النسخ بالتنوين وفك الاضافة فالوجه ان قوله يقاتلكم خبر
مبتدا محذوف اي هو يقاتلكم الخ والجملة صفة حديث والمعنى في حديث هو ان ذلك الحديث
يقاتلكم خبر مبتدا محذوف اي هو يقاتلكم الخ والجملة صفة حديث والمعنى في حديث هو ان ذلك
الحديث يقاتلكم قوم صغار الاعين يعني الترك تفسير من الراوي وهو الصحابي او التابعي
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او قال ابن مسعود مرفوعا تسوقونهم من السوق اي يصيرون
مغلوبين منهزمين بحيث انكم تسوقونهم ثلاث مرات اي من السوق حتى تلحقوهم اي
توصلوهم اخرا بجزيرة العرب قيل هي اسم لبلاد العرب سميت بذلك لاحاطة البحار والانهار
بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال مالك هي الحجاز واليمامة واليمن وما لم يبلغه ملك
فارس والروم ذكره الطيبي وتبعه ابن الملك فاما في السياقة الاولى فينجو اي يتخلص من هرب
منهم اي من الترك واما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض اما بنفسه او باخذه واهلاكه
وهو الظاهر واما في الثالثة فيصطلمون بصيغة المجهول اي يجدون بالسيف ويستاصلون
من الصلم وهو القطع المستاصل وكما قال اي قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه وهذا من غاية ورع
الراوي حيث لم يرض ان يكون النقل بالمعنى رواه ابو داود وعن ابي بكرة بالتاء ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل اناس بضم الهمزة لغة في ناس من امتي بغايط اي بغار من
الارض ذكره شارح وفي الغايق اي بود مطمئن يسمونه البصرة بفتح للموحدة وفي
نسخة بكسرها وفي القاموس البصرة بلد معروف ويحرك وتكسر الصاد وهو معرب
بسره اي كثير الطرق عند نهر بفتح الها ويسكن يقال له دجلة بكسر الدال ويفتح نهر
بغداد يكون عليه جسر اي قنطرة ومعبر يكثر اهلها اي اهل البصرة وفي حاشية الشفا
للحلبي البصرة مثلثة البا والفتح افصح بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر رضي الله
عنه ولم يعبد الصنم قط على ظهرها والنسبة اليها بالكسر والفتح قال المغني والكسر
في النسبة افصح من الفتح قالت ولعله للمجاورة وكسر الراء هذا وقد قال الاشرف اراد صلى الله
عليه وسلم بهذه المدينة مدينة الاسلام بغداد فان دجلة وهي الشط وجسرها في وسطها
لا في وسط البصرة وانما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم ببصرة لان بغداد موضعا خارجا منه قريبا

من بابه يدعى باب البصرة فسمى النبي صلى الله عليه وسلم بغداد باسم بعضها او على حذف المضاف كقوله
تعالى واسئل القرية وبغداد ما كانت مبنية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الهيئة ولا كان
مصرا من الامصار ولذا قال صلى الله عليه وسلم ويكون من امصار المسلمين بلفظ الاستقبال بل كان
في عصره صلى الله عليه وسلم قرى متفرقة بعد ما خربت مداين كسرى منسوبة الى البصرة
محسوبة من اعمالها هذا وان احدا لم يسمع الى زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل
القتال والحرب ومعنى الحديث ان بعضا من امتي ينزلون عند دجلة ويتوطنون ثمة ويصير
ذلك الموضع مصرا من امصار المسلمين وهو بغداد واذا كان اسمه مضمرا في اخر الزمان جا بنو
قنطوراء بفتح القاف وسكون النون مقصورا وقد يمد اي يجيئون ليقاتلوا اهل بغداد
وقال بلفظ جاؤون بجي ابدا انا بوقوعه فكانه قد وقع وبنوا قنطوراء اسم ابي الترك وقيل
هي اسم جارية كانت للخليل عليه السلام ولدت له اولادا جا من نسلهم الترك وفيه نظر فان
الترك من اولاد يافث بن نوح وهو قبل الخليل بكثير كذا ذكره بعضهم ويمكن دفعه بان الجارية
كانت من اولاد يافث او المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل لكونها من بنات اولاده وقد
تزوجها واحد من ابنا يافث فاتت بابي هذا الجيل فينتفع بهذا القيل والقال ويصح
انتسابهم الى يافث والخليل عراض الوجوه بدل او عطف بيان وكذا قوله صغار الاعين حتى
ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها ثلاث فرق بكسر ففتح جمع فرقة بالرفع ويجوز نصبها يأخذون
في اذناب البقر من اخذ في الشي شرع فيه وقوله في البرية تتميم وتذييل لان اخذ اذناب البقر لا يكون
غالبا الا في البرية الخارجة عن المدينة التي يعبر عنها بالبحر ومنه قوله تعالى ظهر الفساد في البر
والبحر والمراد بقوله في البرية اختيار العزلة وايثار الصحرا والخلا على البلد واجتماع الملا فظن الاول
صفته او حال وعلى الثاني بدل كل او بعض ويمكن ان يكون في تقليلية وقوله وهلكوا فذلكة
ولا نتيجة لافعالهم والمعنى ان فرقة يعرضون عن المقاتلة هربا منها وطلبا لخلاص انفسهم ومواشيهم
ويحملون على البقر فيهيمون في البراري ويهلكون فيها او يعرضون عن المقاتلة ويشتغلون بالزراعة
ويتبعون البقر للحراثة الى البلاد الشاسعة فيهلكون قال الطيبي قوله يأخذون في اذناب
البقر على معنى يوقعون الاخذ في الاذناب كقوله يخرج من عراقيها نصلي وكانهم بالغوا
في الاشتغال ولا يبالون بامر اخر ويوغلون في السير خلفها الى البلاد الشاسعة فيهلكون
فيها وفرقة يأخذون اي يطلبون او يقبلون الامان من بني قنطوراء لانفسهم وهلكوا
اي بايديهم ولعل المراد بهذه الفرقة المستعصم بالله ومن معه من المسلمين طلبوا
الامان لانفسهم ولاهل بغداد وهلكوا بايديهم عن اخرهم وقال شارح ان اراد النبي
صلى الله عليه وسلم بالبصرة بغداد لان بغداد كانت قرية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
من قرى البصرة اطلاقا لاسم الجز على الكل فالواقعة وقعت كما ذكره النبي صلى الله
عليه وسلم وان اراد البصرة الموجودة فلعله يقع بعد ذلك اذا لم يسمع ان الكفار نزلوا
بها قط للقتال وفرقة يجعلون ذراريهم اي اولادهم الصغار ونساءهم خلف ظهورهم
ويقاتلونهم وهم الشهدا اي الكاملون والمعنى ان فرقة ثالثة هم المغازية المجاهدة
في سبيل الله قاتلوا الترك قبل ظهورهم على اهل الاسلام فاستشهد معظمهم
ونجت منهم شرذمة قليلون كذا ذكره الاشرف وقال غيره وهذا من معجزاته صلى
الله عليه وسلم فانه وقع مما اخبر وكانت هذه الواقعة في سنة ست وخمسين

وستمائة

وستمائة رواه ابو داود وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا انس ان الناس يمصرون
بتشديد الصاد امصارا بفتح الهمزة جمع مصر اي يتخذون بلادا والتمصير اتخاذ المصر على
ما ذكره الطيبي فالتقدير يتخذون امصارا ففيه تجريد وقال شارح اي يصنعون
اساس مصر وبناه وان مصرا منها اي من الامصار يقال له البصرة فان انت مررت بها او دخلتها
او للتنويع لا للشك فاياك وسباخها اي فاحذر سباخها وهو بكسر السين جمع سبخة بفتح
فكسر اي ارض ذات ملح قال الطيبي هي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر
وكلاها بفتح الكاف وتشديد اللام ممدودا موضع بالبصرة وقال شارح هو شط النهر
وهو موضع حبس السفينة وقيل هو موضع المرعى وبحيره ما في بعض النسخ بالتخفيف
والقصر وقد اقتصر عليه نسخة السيد جمال الدين هذا وقوم يجعلون كلا البصرة اسم
من كل على فعلا ولا يصرفونه والمعنى انه موضع يكثر فيه الريح عن عملها في غير هذا الموضع
فكان الحذر عنها لعفونة هواها ونخيلها اما بشبهة فيها او لخوف عزت بها وسوقها
اما لحصول الغفلة فيها او لكثرة اللغو بها او فساد العقود ونحوها وباب امرائها اي
لكثرة الظلم الواقع بها وعليك بضواحيها جمع الضاحية البارزة للشمس وقيل المراد بها
جبالها وهذا امر بالعزلة فالمعنى الزم نواحيها فانه يكون بها قيل الضمير للسباخ والمواضع
المواضع المذكورة خسف اي ذهاب في الارض وغيبوبة فيها وقذف اي ريح شديدة
باردة او قذف الارض الموتى بعد دفنها او رمي اهلها بالحجارة بان تمطر عليهم ورجف اي زلزلة
شديدة وقوم يبيتون اي اهل ذلك المصر قوم يبيتون بحذف المبتدا او فيها قوم
بحذف الخبر كذا قاله شارح والظاهر ان قوم عطف على خسف اي يكون بها قوم
يمسون طيبين ويصبحون قردة اي شبانهم وخنازير اي شيوخهم قال الطيبي المراد
به المسخ وعبر عنه بما هو اشنع انتهى وقيل في هذا اشارة الى ان بها قدرية لان
الخسف والمسخ انما يكون في هذه الامة للمكذبين بالقدر رواه هنا بياض في
الاصل وقال الجزري رواه ابو داود من طريق لم يجزم بها الراوي بل قال لا اعلمه
الا عن موسى ابن انس عن انس بن مالك وعن صالح بن درهم بكسر الدال وفتح
الها وفي القاموس درهم كمنبر وزبرج معلوم قال المؤلف باهلي روى عن ابي
هريرة وسمرة وعنه شعبة والقطان ثقة يقول انطلقنا حاجين اي ذاهبين الى
الحج فاذا رجل المراد به ابو هريرة وهو مبتدا خبره محذوف وقوله فقال عطف عليه
اي فاذا رجل واقف فقال لنا الى جنبكم قرية بحذف الاستفهام يقال لها الابلة بضم الهمزة
والبا وتشديد اللام البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحري كذا في النهاية وهي احد المتنزهات
الاربع وهي اقدم من البصرة قال الاصمعي هي اسم نبطي ذكره ميرك عن التصحيح وقال شارح هي
من جنات الدنيا وهي اربع ابلة البصرة وغوطة دمشق وسغد سمرقند وشعب بوان ثم قيل
بوان هو كرمان وقيل نوبندجان في القاموس قلنا نعم قال من يضمن استفهام للالتماس والسؤال
والمعنى من يتقبل ويتكفل لي اي لاجلي منكم ان يصلي اي ينوي في مسجد العشار بفتح العين المهملة
وتشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلوة فيه ذكره ميرك ركعتين او اربعا اي
اربع ركعات واو للتنويع او بمعنى بل ويقول اي عند النية او بعد فراغ الصلوة هذه اي الصلوة
او ثوابها لابي هريرة قيل فان قيل الصلوة عبادة بدنية ولا يقبل النيابة فما معنى قول ابي هريرة

قلنا يحتمل ان يكون هذا مذهب ابي هريرة قاس الصلوة على الحج وان كان في الحج شايبة مالية ويحتمل
ان يكون معناه ثواب هذه الصلوة لابي هريرة فان ذلك جوزه بعضهم كذا ذكره الطيبي وقال
علماونا الاصل في الحج عن الغير ان الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره من الاموات والاحيا حجا
او صلوة او صوما او صدقة او غيرها كتلاوة القران والاذكار فاذا فعل شيا من هذا وجعل
ثوابه لغيره جاز ويصل اليه عند اهل السنة والجماعة سمعت خليلي قال التوربشتي قد
سبق منه هذا القول في عدة احاديث وكانه قول لم يصدره عن روية بل كان الباعث عليه ما
عرف من قبله من صدق المحبة ولو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زائغا عن منهج
الادب وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقال صلى
الله عليه وسلم اني ابرا الى كل خليل من خلته فليس لاحد ان يدعي خلته مع براته عن خلته
كل خليل قال الطيبي لو تامل حق التامل ما ذهب الى ما ذهب اليه لان المحب من فرط المحبة
وصدق الود او يرفع الاحتشام من البين لاسيما اذا امتد زمان المفارقة على انه نسبه
الخلة الى جانبه لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه رضي الله عنه من اسلم ما فارق
حضرة الرسالة مع شدة احتياجه وفاقته والناس مشتغلون بتجاراتهم وزروعهم
اقول قوله لان صدق الوداد يرفع الاحتشام من البين الى كلام مدخول وتعليل معلول
اذ مثل هذا الانبساط الا في المتساويين المتصاحبين ولا يقاس الملوك بالحدادين فاين منصب
صاحب النبوة والرسالة عن مرتبة ابي هريرة في الحضرة او الغيبة حتى يعبر عنه صلى الله عليه
وسلم بانه خليله باي معنى يكون سوا من اضافة الوصف الى فاعله او مفعوله او من المعلوم
ان مثل هذا الوصف عن ابي بكر الصديق لا نكير عليه لانه بظاهر مصادم لقوله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا الحديث هذا وقد قيل في سبب تسمية ابراهيم بالخليل انه بعث الى خليل له
بمصر في ازمنة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان خليلي ابراهيم طلب الميرة
لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحا ليبته غلاوا منها الغرايز حيا من
الناس فلما اخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته الى غرارة منها
فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه
فقالت امراته من خليلك المصري فقال هي من عند خليلي الله تعالى فسماه الله خليلا هكذا
ذكره في الكشاف قال النووي اصل الخلة الاختصاص والاستقصا وقيل اصلها الانقطاع
الى من خاللت ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي ابراهيم عليه السلام بذلك لانه قصر حاجته
الى الله تعالى وقيل الخلة صفا المودة حتى توجبه تخلل الاسرار وقيل معناها المحبة والالطاف
هذا كلام القاضي وقال ابن الانباري الخليل معناه المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي
بحقيقة المحبة التي ليس فيها نقص ولا خلل قال الواحدي هذا القول هو الاختيار لان
الله تعالى خليل ابراهيم من الخلة التي هي الحاجة انتهى وبه تبين ان الخلة بالمعاني التي
ذكرها لا يصدق على ابي هريرة فكيف يسوغ له ان يخص نفسه من بين الاصحاب ويقول
سمعت خليلي ابا القاسم صلى الله عليه وسلم بدل او عطف بيان يقول حال من فاعل سمعت
ان الله عز وجل يبعث اي يحشر من مسجد العشار يوم القيامة شهدا لا يقوم اي من القبور
او في المرتبة مع شهدا بدر غيرهم ولم يعرف انهم من شهدا هذه الامة او من الامم السابقة
رواه ابو داود وقال اي ابو داود وهذا المسجد مما يلي النهر اي نهر الفرات قال المولف

وسنذكر

وسنذكر حديث ابي الدردا ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب المدينة
يقال لها دمشق من خير مداين الشام في باب ذكر اليمن والشام ان شا الله تعالى

الفصل الثالث

عن شقيق وهو ابن ابي سلمة ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ولم يسمع منه وروى
عن خلق من الصحابة منهم عمر ابن الخطاب وابن مسعود وكان خصيصا به من اكابر الصحابة وهو
كثير الحديث ثقة حجة مات زمن الحجاج عن حذيفة اي ابن اليمان قال المولف هو صاحب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه عمر وابو الدردا وغيرهم من الصحابة والتابعين
مات بالمداين بعد قتل عثمان باربعين ليلة وقبره بها قال كنا عند عمر فقال ايكم يحفظ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة فقلت انا احفظ كما قال صفة مصدر محذوف اي انا احفظ
مقوله صلى الله عليه وسلم حفظا مماثلا لما قال ذكره الطيبي فاحفظ منكم لا لتفضيل كما يتوهم قال
هات بكسر التا اي اعطني على ما في القاموس انك لجري فعيل من الجراة وهي الاقدام على الشي
ومعناه انك غير هايب قد تجاسرت على ما لا اعرفه ولا يعرفه اصحابك فادعيت انك عرفته
صريح القول ومن ثم قال هات وكيف قال اي النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي هو عطف
على هات اي هات ما قال وبين لي كيفيته انتهى وقد يقال ان الظاهر بالنظر حال حذيفة
وما كان معلوما عندهم من انه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقع من
الفتن ان يكون المعنى انك انك لجري لجراتك وكثرة مسالتك اخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لم
تاخذه منه فهات وبين قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتنة الرجل في اهله
اي ما عيل له من امراته وجاريته او اقاربه وماله ونفسه وولده وجاره اي وامثال ذلك والمعنى
ان الرجل مبتلى وممتحن في هذه الاشيا ويسال عن حقوقها وقد يحصل له ذنوب من تقصيره
فيها فينبغي ان يكفرها بالحسنات لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات واليه اشار بقوله
تعالى يكفرها الصيام والصلوة والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر ليس هذا
اريد قال الطيبي وذلك ان عمر رضي الله عنه لما سال ايكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الفتنة واحتمل ان يراد بالفتنة الاختبار والابتلا كما في قوله تعالى ولنبلونكم بشي من
الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وان يراد بها وقعة
القتال وكان سواله عن الثاني قال ليس هذا اريد انما اريد التي تموج كموج البحر
اي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة
وما ينشا عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة وانما انث عمر رضي الله عنه المشار اليه بعد ما ذكره
باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار اليه وانها الداهية الدهيا قال قلت ما لك ولها استفهام
انكار اي اي شي لك من الحاجة الى تلك الفتنة والى سوالها وما يترتب عليها من المحنة واي شي لها
من الوصول اليك والحصول لديك فانه ليس لك ولها اقتران واجتماع في زمان يا امير المومنين يحتمل
تعلقه بما قبله وما بعده ان بينك وبينها بابا مغلقا استيناف تعليل قال افيكسر الباب اي من شدته
وصعوبته والاستفهام مقدر ولذا قابل بقوله او يفتح اي من خفته وسهولته قال قلت
لا اي لا يفتح فانصب النفي على الفعل القريب لكن لما كان مودها ان يتعلق بالفعلين جميعا استدركه
وقال بل يكسر وغاية التاكيد والتابيد وقال الطيبي فان قلت كان يكفي في الجواب ان يقول
يكسر فلم اتى بلا وبل قلت للتنبه على ان هذا اليس من مقام التردد في الكسر للفتوح فلا يبالي
بامر المعادلة كما سبق مرارا انتهى ولا يخفى ما فيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة

وقف لله عز وجل

الفصحا وعمدة البلغا وكذا من دعوى الظهور الذي لا يتوهمه احد من الاغبيا مع ان ام ليس موجودا
في العبارة بل الترديد انما وقع بلفظ او وفرق بينهما عند اربابه الاشارة بل الظاهر انما هو الاعتراض
علي حذيفة في جوابه لما تقرر في محله من ان جواب ام المتصلة بالتعيين دون نعم او لا لانها لا يفيد
التعيين بخلاف او مع الهمزة كما اذا قلت اجاك زيد مع عمرو فانه يصح جوابه بلا ونعم لان المقصود
بالسوال ان احدهما اعلي التعيين جاك اولا ولا شك ان هذا المعنى غير مراد هنا في جوابه بل المراد
التعيين وهو القصر في الحكم بالكسر غايته انه نفي مقابله وهو الفتح اولا ثم اثبت الكسر لزيادة
افادة الحصر كما حقق في كلمة التوحيد فانه لو قيل الله موجود او ثابت او محقق لم تفد
نفي ما سواه فلذا عدل عنه بقوله لا اله الا الله قال اي عمر ذاك كذا بالكاف في النسخ المصححة
اي ذلك الباب الذي من وصفه ان يكسر ولا يفتح احري اي حري وحقيق ان لا يغلق ابدا
لان الفتح قد يرجي اغلاقه بخلاف الكسر فانه يبعد من الرجا ذكره الطيبي ومما يقوي هذا
المعني ما رواه الترمذي عن ثوبان اذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنها الى يوم القيامة
قال اي الراوي وهو شقيق فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب كان الظاهر ان يقال
ما الباب فكانهم تفرسوا ان المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقي كذا حققه الطيبي وفي
الكسر شهادة علي شهادة عمر رضي الله عنه فكان ابن الخطاب قال باب الصواب ومفتاحا
لقفل الاسلام وماضيا من الفتن بين الانام فرضي الله عنه وادخله دار السلام قال اي حذيفة
نعم اي كان يعلم من الباب كما يعلم اي كعلمه ان دون غد اي قدامه ليلة والمعنى ان الغد
لا يتصور الامتناع عن حصول الليلة وكانه جعل زمن الامن في قوة اليوم الحاضر
ووقت الفتن بمنزلة الغد الحاضر والحاجز بينهما في مرتبة ليل ساتر وما احسن تعبير
حذيفة رضي الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد الواقع بعد تحقق الظلمة المعبر عنها
بالليلة لخفا امر الفتنة وشدة بلائها فان الليل ادهي بالويل وحاصله ان علمه بانه هو الباب امر
ظاهر لا يتنازع فيه احد من اولي الالباب اني حدثته استينافا فيه معنى التعليل اي ذكرت
له حديثا اي ظاهرا ليس بالاغاليط وهي جمع الاغلوطة وهي المسالة التي يغلط بها قال الطيبي
اراد ان ما ذكرته له لم يكن مبهما محتملا كالاغاليط بل صرحته تصريحا وفيه انه قد اثر حذيفة الحرص
علي حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سال عنه وانما كني عنه كناية اي لا يخرج من الفتن شي في حياتك
وكانه مثل الفتن بدار الامن وحياته بباب مغلق وموته بفتح ذلك الباب ثم انه كني بالكسر
عن القتل وبالفتح عن الموت وحاصله انه لم يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل
الرمز والتلويح لكن عمر مما لا يخفي عليه الاشارة فضلا عن العبارة بل هو ايضا من
اصحاب الاسرار وارباب الانوار وانما اراد بالسوال تحقيق الحال وانه هل بقي احد
من الصحابة ممن يكون هذا العلم منه علي البال ولذا اجزم حذيفة بقوله نعم والله اعلم ثم قول
الطيبي ولعله لهذا السر قال له عمر انك لجري وفيه نظر ظاهر لان اظهار الخفا المسموع
من سيد الخلق لا يستبعد حتي يسمي جراة علي الرد فالصواب ما تقدم والله اعلم
قال اي شقيق فهبنا بكسر الها من الهيبة اي فخشينا ان نسال حذيفة من الباب اي
في ذلك المجلس فقلنا لمسروق وهو تابعي جليل سله اي سل حذيفة فساله فقال
اي حذيفة عمر اي هو الباب بمعنى السد للفتنة عن الاصحاب والاحباب ولانه باب الفتح
بالصواب متفق عليه وفي الجامع فتنة الرجل في اهله وماله وولده ونفسه وجاره

يكفرها

وقف لله عز وجل

يكفرها الصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة
عن حذيفة وعن انس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة اي مع قرب قيامها وقد
سبق تحقيق المباني وما يتعلق به من المعاني رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
اي اسنادا او متنا والله اعلم

باب اشراط الساعة

اي علامات القيامة
ففي النهاية الاشراط العلامات واحدها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان
لانهم جعلوا لانفسهم علامات يعرفون بها كذا قال ابو عبيد وحكي الخطابي عن بعض اهل
اللغة انه انكر هذا التفسير وقال اشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار امورها قبل ان تقوم الساعة
انتهي وكانه اخذه مما ذكره صاحب القاموس ان الشرط بحركة العلامة واول الشي ورذال المال
وصغاره وهو لا ينافي في ان يكون الشرط له معنيان كل واحد منهما يصلح المقام فلا وجه للانكار مع ان
قوله ما ينكره الناس ليس علي اطلاقه اذ قد يوجد في الناس من لا ينكر صغار امور الساعة لما حصل
له من علم اليقين من صاحب السياسة والسعادة اولا وزيادة عين اليقين في مقام المشاهدة

الفصل الاول

عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم اي يرتفع اما بقبض العلما واما بخفضهم عند العوام ويكثر
الجهل اي بغلبة السفها ويكثر الزنى اي لاجل قلة الحيا ويكثر شرب الخمر بضم الشين وفتحها وقري
بها في المتواتر عند قوله تعالى فشاربون شرب الهيم ويجوز كسرها ففي القاموس شرب
كسمع شربا ويثلث ثم كثرة شرب الخمر مورثة لكثير من الفساد في البلاد والعباد فيحصل الاعتدا
ويقل الرجال اي وجودهم المطلوب منهم نظام العالم ويكثر النسا اي ممن لا يتعلق بظهورهن
الامر الاهم بل وجودهن مما يكثر الهم والغم ويقتضي تحصيل الدينار والدرهم حتى يكون لخمسين
امراة القيم بكسر التحتية المشددة اي القائم الواحد اي المتفرد لمصالحهن وليس المراد انهن
زوجات له بل اعم منها ومن الامهات والجدات والاخوات والعمات والخالات وفي رواية يقل
العلم ويظهر الجهل والظاهر انهما بدل من يرفع ويكثر فالتقدير ان يقل العلم ويظهر الجهل ولعل هذه
الرواية مبنية علي اول الامر فان ما له اخره الي رفع العلم بالكلية كما جا في حديث رواه السيوطي
عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم والقرآن والركن ويظهر الجهل ولعل هذه
الرواية مبنية علي اول الامر فان ما له اخره الى رفع العلم بالكلية كما جا في حديث رواه السيوطي
عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن وفي حديث احمد ومسلم والترمذي عن انس
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله متفق عليه وكذا رواه الترمذي وابن ماجة ذكره
السيد جمال الدين وفي الجامع رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة عن
انس بلفظ ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنى ويشرب الخمر
ويذهب الرجال ويبقي النسا حتى يكون لخمسين امراة قيم واحد وفي رواية لاحمد والشيخين
عن ابن مسعود وابي موسي مرفوعا ان بين يدي الساعة لاياما ينزل فيها الجهل ويرفع
فيها العلم ويكثر فيها الهرج والهرج القتل وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة كذابين قال المظهر اراد به كثرة الجهل وقلة
العلم والاتيان بالموضوعات من الاحاديث وما يفترونه علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يراد به ادعا النبوة كما كان في زمانه وان يراد بهم جماعة يدعون اهوا فاسدة
ويسندون اعتقادهم الباطل اليه صلى الله عليه وسلم كاهل البدع كلهم فاحذروهم رواه

مطلب

مسلم قال ابن الملك في شرح المشارق قوله فاحذروهم غير مذكور في صحيح مسلم لكن جاء في بعض
روايات غيره وقيل انه قول جابر انتهى وفي الجامع لفظ المشكاة بكماله وقال رواه احمد ومسلم
عن جابر بن سمرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه بينا النبي صلى الله عليه وسلم يحدث
اي يتكلم في امر مع اصحابه اذ جاء اعرابي فقال متى الساعة فقال اذا ضيعت بصيغة المفعول
من التضييع وفي نسخة من الاضاعة الامانة اي حين جعلت الامانة ضايعة بالخيانة او
وضعت عند غير اربابها الديانة فانتظر الساعة فانه من اشراط القيامة قال كيف اضاعتها هذا
يؤيد النسخة اي كيف تضييع الامانة قايلون بامرها والعامة معتنون بقدرها قال اذا وسد
بضم الواو وتشديد السين وقد يخفف على ما في المغرب اي اسند وفوض الامر امر السلطنة
او الامارة والقضاء والحكومة الى غير اهله اي من لم يوجد فيه شرايط الاستحقاق كالنساء
والصبيان والجهلة والفسقة والبخيل الجبان ومن لم يكن قرشيا ولو كان من نسل سلطان
الزمان هذا في الخليفة وقس على هذا ساير اولي الامر والشان وارباب المناصب من التدريس
والفتوى والامامة والخطابة وامثال ذلك مما يفتخر به الاقران قال التوربشتي معناه ان
يلي الامر من ليس له باهل فيلقي له وسادة الملك واراد بالامر الخلافة وما ينضم اليها من قضاء
وامارة ونحوها والتوسيد اخذ من الوساد يقال وسدته الشي بالتخفيف فتوسده اذا
جعله تحت راسه ولفظة الى فيها اشكال اذ كان من حقه ان يقال وسد الامر لغير اهله فلعله
اتى بها ليدل على الاسناد الامر اليه انتهى وفي القاموس ان الى تاتي مرادفة اللام نحو قوله
تعالى والامر اليك انتهى ويريد ان المعنى والامر لك لكن الاظهر ان يقال الامر راجع اليك
والاحسن في الحديث ان يضمن معنى التفويض والاسناد كما اشرنا اليه اولا فانتظر الساعة
للدلالة على قرب قيامها وانما دل ذلك على دنو الساعة لافضائه الى اختلال الامر وتمام النظام
ووهن امور الدين وضعف احكام الاسلام وقال الطيبي لان تغير الولاة وفسادهم مستلزم
لتغير الرعية وقد قيل الناس على دين ملوكهم قال القاضي اخرج الجوابين مخرج الاستيناف
للتاكيد ولان السوال الاول لما لم يكن مما يمكن ان يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه
فان توقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل عدل عن الجواب الى ذكر ما
يدل على المسئول عنه دلالة ما من اماراتها وسلك في الجواب الثاني مسلك الاول ليتسق
الكلام قال الطيبي كان من حق الظاهر ان يكتفي عن جواب السوال الاول بقوله اذا ضيعت
الامانة وان يوتى في السوال الثاني بمتى ليطابق الجواب فزاد في الاول فانتظر الساعة
لينبه على ان قوله اذا ضيعت الامانة ليس ابان الساعة بل من اماراتها فلا يكون اذا شرطية
وتاويل السوال الثاني متى تضييع الامانة وحصول التضييع فقال اذا وسد الامر فاطنب
في الاول لافادة معنى زايد واختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه تفننا انتهى وفيه انه يوهم ان
قوله فانتظر الساعة غير موجود في الجواب الثاني والحال ان الامر بخلافه بل هو موجود في الجوابين
ولعله سقط من اصل الطيبي والله اعلم رواه البخاري ولفظ الجامع اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر
الساعة رواه البخاري عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يكثر المال اي ابتلاء في الحال والمال ويفيض بفتح اليا فيه وفيما قبله وهو عطف
تفسير اي يسيل من كثرته من كل جانب كما السيل ليميل الخلق اليه كل الميل حتى يخرج بضم
اليا اي يفرز الرجل زكوة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه اي لكثرة المال وقلة الميل اليه لتشوش

قطعوني جمعك في باب فضل العلم

الحال

الحال وحتى تعود ارض العرب اي تصير او ترجع مروجا بالضم اي رياضا كما كانت بنباتها واشجارها
واثارها وانهارا اي مياها كثيرة جارية في انهارها وفي النهاية المرج الارض الواسعة ذات
نبات كثير تمرج فيه الدواب اي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت انتهى وفيه اشارة الى ما قيل من ان
الدنيا جنة الحمقى في انهم يأكلون كما تاكل الانعام غافلين عن العقبى رواه مسلم وفي رواية
له اي لمسلم قال تبلغ المساكن اي تصل نهاية مساكن المدينة اهاب بكسر الهمزة
الموحدة او يهاب بكسر اليا التحتية وهو الانسب الازدواج المعتبر عند الفصحاء والبلغا
وفي نسخة صحيحة بفتحها وهما موضعان قرب المدينة او للتنويع وعدم صرفهما باعتبار
البقعة والمراد كثرة عمارة المدينة وما حولها قال شارح او نهاب بالنون المكسورة وروي
باليا المكسورة قال النووي اما اهاب فبكسر الهمزة واما يهاب فبيا مثناة تحتية مفتوحة
ومكسورة ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق الا الكسر وحكى القاضي عن بعضهم
نهاب بالنون والمشهور الاول وقد ذكر في الكتاب انه موضع بقرب المدينة على اميال
منها قال التوربشتي يريد ان المدينة يكثر سوادها حتى يتصل مساكن اهلها باهاب
او يهاب شك الراوي في اسم الموضع او كان يدعى بالاسمين فذكر او للتخيير بينهما في التصحيح
على ما نقله مؤلف ان قوله اهاب بكسر الهمزة ولم يصرفه على قصد البقعة ويهاب بيا
اخر الحروف مكسورة كذا قيد عياض في المشارق وقيده غيره بالفتح وقيل هي نهاب
بالنون وكانه تصحيف والشك فيه من الراوي وفي القاموس الاهاب ككتاب الجلد
وبلا لام موضع قرب المدينة ولم يذكر فيه يهاب والله اعلم بالصواب وعن جابر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون اي يوجد في اخر الزمان خليفة اي سلطان
بحق يقسم المال اي على المستحقين بالعدل ولا يعده لسلاطين زماننا ولا يعده بفتح اليا
وضم العين والدال مشددة اي ويعطي كثيرا من غير عد واحصاء بل يكون احسانه
جزافا قاله ابن الملك ويحتمل كونه من الاعداد وهو جعل الشي عدة وذخيرة اي لا يدخر
لنفسه ولا يكون له خزانة كفعل الانبيا عليهم السلام انتهى وقد سبق شارح حيث قال
اما بفتح اليا وضم العين اي لا يحصيه او بضم اليا وكسر العين اي لا يدخره وهو كذا
في بعض النسخ لكن يضعف هذا الاحتمال مبنى ومعنى قوله وفي رواية قال يكون في اخر امتي
خليفة يحثي المال بفتح اليا وكسر المثلثة اي يعطيه بالكفين حثيا مفعول مطلق اتى به للمبالغة
اي حثيا بليغا ثم اكد ذلك بقوله ولا يعده عدا مصدر مبين ان فعله ثلاثي لا رباعي قال النووي
والحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الاموال والغنايم والفتوحات مع سخاء نفسه
وقال ابن الملك السر فيه ان ذلك الخليفة يظهر له كنوز الارض ويعلم الكيميا او يكون
مذكرا منه ان ينقلب الحجر ذهبا كما روي عن بعض الاوليا رواه مسلم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الفرات ان يحسر بضم السين اي
ينكشف عن كنز في النهاية يقال حسرت العمامة عن راسي وحسرت الثوب عن بدني
اي كشفتهما وقال شارح اي يظهر ويكشف نفسه عن كنز ففيه اشارة الى ان حسر متعد
وقال الخلخالي احد شراح المصابيح اي سيظهر فرات عن نفسه كنزا ففيه ايما الى انه وقع
قلب في الكلام فهو من باب عرضت الناقة على الحوض وفي القاموس حسره يحسره ويحسره
كشفه والشي حسورا انكشف فالفعل متعد ولازم على تقدير اللزوم لا يحتاج الى تكلف والاولى

حمله عليه فالمعنى يقرب الفرات بنكشف عن كنز اي الكشاف فاصادرا عن كنز عظيم من ذهب اي
كثير فمن حضر اي فالغايب بالاولي فلا ياخذ بصيغة النهي منه شيا اي لما يترتب علي الاخذ
منه ماسياتي من المقابلة الكثيرة والمنازعة الكبيرة ويحتمل ان يكون فلا ياخذ نفيا ويويده
ماسياتي من قوله فلا ياخذون منه شيا متفق عليه ورواه ابو داود والترمذي وعنه
اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب الظاهران القضية متحدة والرواية متعددة فالمعنى عن
كنز عظيم مقدار جبل من ذهب ويحتمل ان يكون غير هذا غير الاول ويكون الجبل معدنا
من ذهب يقتتل الناس عليه اي علي تحصيله واخذه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون
اي من الناس المتقاتلين ويقول كل رجل منهم اي من الناس او من التسعة والتسعين لعلي
اكون انا الذي انجو قال الطيبي هو من باب قوله انا الذي سمتني امي حيدرة اي انا الذي انجو
فنظر الي المبتدا فحمل الخبر عليه لا علي الموصول انتهي اي يرجو كل واحد منهم ان يكون هو
الناجي فيقتل الباقي رجاء ان ينجو في المال فياخذ المال وهذا من سوء الامال وتضييع
الاعمال قال الطيبي فيه كناية لان الاصل ان يقال انا الذي افوز به فعدل الي النجو لانه
اذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه رواه مسلم وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض مضارع من القيء اي تلقي الارض افلاذ كبدها
بفتح الهمزة جمع الفلذة وهي القطعة المقطوعة طولا وسمي مافي الارض كبدا تشبيها بالكبد
التي في بطن البعير لانها احب ماهو مخبي فيها كما ان الكبد اطيب مافي بطن الجزور واحبه
الي العرب وانما قلنا في بطن البعير لان ابن الاعرابي قال الفلذ لا يكون الا للبعير فالمعني
تظهر كنوزها وتخرجها عن بطونها الي ظهورها امثال الاسطوانة بضم الهمزة والطاء وفي
نسخة صحيحة الاسطوانة فهي واحدة والاول جنس وهو الانسب بجمع الامثال وقوله
من الذهب والفضة لبيان مجمل الحال قال القاضي معناه ان الارض تلقي من بطنها مافيه
من الكنوز وقيل مارسخ فيها من العروق المعدنية ويدل عليه قوله امثال الاسطوانة
وشبهها بافلاذ الكباد هيئة وشكلا فانها قطع الكبد المقطوعة طولا انتهى ولعل الحديث فيه
اشارة الي قوله تعالي اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها فيجي القاتل اي
قاتل النفس فيقول في هذا اي في طلب هذا الغرض ولاجل تحصيل هذا المقصود
قتلت اي من قتلت من الانفس ويجي القاطع اي الرحم فيقول في هذا قطعت رحمي ويجي
السارق فيقول قطعت يدي بصيغة المجهول ولو كان معلوما لكان له وجه اي تسبب
بقطع يدي ثم يدعونه بفتح الدال اي يتركون ما في الارض من الكنز او المعدن فلا ياخذون
منه شيا رواه مسلم وكذا الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا اي لا تفرغ ولا تنقضي حتى يمر الرجل بالقبر المراد به الجنس
فهو في قوة النكرة ويمكن ان يراد بها الاستغراق فكل فرد في هذا الاستحقاق فيتمرغ اي
فيتقلب الرجل عليه اي فوق القبر وقال ابن الملك اي يتمسك علي راس القبر ويتقلب
في التراب ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر اي ميتا وليس به الدين
بكسر الدال الا البلا اي الحامل له علي التمني ليس الدين بل البلا وكثرة المحن والفتن وسائر
الضر قال المظهر الدين ها هنا العادة وليس في موضع الحال من الضمير في يتمرغ يعني

بتمرغ علي

وقت ... عزوجل

٢٨١

يتمرغ علي راس القبر ويتمني الموت في حال ليس التمرغ من عادته وانما حمله عليه البلا وقال الطيبي
ويجوز ان يحمل الدين علي حقيقته اي ليس ذلك التمرغ والتمني علي حقيقته لامر اصابه
من جهة الدين لكن من جهة الدنيا فيفيد البلا المطلق بالدنيا بواسطة القرينة السابقة رواه
مسلم اي بهذا اللفظ واتفقا علي لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني
كنت مكانه ذكره ميرك عن التصحيح قلت وهذا اللفظ في الجامع اسنده الي احمد والشيخين واخرج
ابو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الدجال حتى لا يكون
شي احب الي المومن من خروج نفسه واخرج ايضا عن ابي هريرة قال يوشك ان يكون الموت
احب الي المومن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه واخرج ايضا عن ابي ذر
قال ليأتين علي الناس زمان تمر الجنازة فيهم فيقول الرجل يا ليتني كنت مكانها واخرج ابن مسعود
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال مرض ابو هريرة فاتيته اعوده فقلت اللهم اشف ابا هريرة
فقال اللهم لا ترجعها وقاله يوشك يا ابا سلمة ان ياتي علي الناس زمان يكون الموت احب الي احدهم
من الذهب الاحمر ويوشك يا ابا سلمة ان بقيت الي قريب ان ياتي الرجل القبر فيقول يا ليتني
مكانك وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز اي مكة والمدينة وما حولهما تضيء بضم اوله
اي تنور اعناق الابل جمع العنق بضمتين وهو العضو المعروف وقيل بفتحتين وهو الجماعة
ببصرى بضم موحدة وهي مدينة حوران بالشام وقيل مدينة قيسارية البصرة قال النووي
هكذا الرواية بنصب اعناق وهو مفعول تضيء يقال اضاءت النار واضاءت غيرها وبصرى بضم
الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل
وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة ست وخمسين وستمائة وكانت نارا عظيمة خرجت
من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة وتواتر العلم بها عند جميع اهل الشام وسائر البلدان
واخبرني من حضرها من اهل المدينة قال التوربشتي راي هذه النار اهل المدينة
ومن حولهم رؤية لا مرية فيها ولا خفا فانها لبثت نحوا من خمسين يوما تتقد وترمي
بالاحجار المحرقة بالنار من بطن الارض الي ما حولها مشابهة الوصف الذي ذكره الله
تعالي في كتابه عن نار جهنم ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر وقد سال من
ينبوع النار في تلك الصحاري نهر عظيم شبيه بالصفر المذاب فيجمد الشيء بعد الشيء
بعد الشيء فيوجد سبيها بخبث الحديد قال القاضي فان قلت كيف يصح ان يحمل هذا
عليها وقد روي في الحديث الذي يليه انه صلى الله عليه وسلم قال اول اشراط الساعة
نار تحشر الناس وهي لم تحدث بعد قلت لعله لم يرد به كونه اول الاشراط مطلقا بل
الاشراط المتصلة بالساعة الدالة علي انها تقوم عما قريب فان من الاشراط بعثة النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يتقدمها تلك النار واراد بالنار نار الحرب والفتن كفتنة الترك
فانها سارت من المشرق الي المغرب متفق عليه قال ميرك نقلا عن التصحيح والعجب من
الحاكم انه اخرجه في مستدركه علي الصحيحين واسنده من طريق رشد بن سعد عن عقبة
عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة وساقه بلفظ فاستدركه عليهما وهو فيهما
والعجب من هذا ان روايته من طريق رشد بن سعد وهو ضعيف باتفاق الحفاظ انتهى
وقد سبق جوازه بانه اتى باسناد غير اسناد الصحيحين فيكون مستدركا لاسناده

وبين عليه انه روي من طريق رشد ولعله قوي عنده اوله متابع او مشاهد بتجربة مع
انه قل نارا واجمعوا علي ضعفه وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اول اشراط الساعة سبق الكلام عليه نار اي شعله ساطعة او فتنة طالعة
تحشر الناس اي تجمعهم من المشرق الي المغرب رواه البخاري ورواه الطيالسي عنه
بلفظ اوله شي تحشر الناس نار تحشرهم من المشرق الي المغرب كذا في الجامع وبين ول
الاشكال السابق الفصل الثاني عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان اي زمان الدنيا والاخرة او يتقارب
اهل بعضهم من بعض في الشر او يتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه اوله اخره او
بقصر الايام والليالي وهو المناسب هنا لقوله فيكون بالرفع وينصب وهو بالتانيث وبجوز
تذكيره لبلا ثم عطف الشهر عليه والمعنى فيصير السنة كالشهر قال التوربشتي يحمل
ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فايدة في كل مكان او على ان الناس لكثرة اهتمامهم
بما دهمهم من النوازل والشدايد وشغل قلبهم بالفتن العظام لايدرون كيف ينقضي
ايامهم ولياليهم فان قيل العرب تستعمل قصر الايام والليالي في المسرات وطولها في المكاره
قلنا المعنى الذي يذهبون اليه في القصر والطول مفارق للمعنى الذي يذهب اليه
فان ذلك راجع الي تمني الاطالة للرخا والي تمني القصر للشدة والذي نذهب اليه راجع
الي زوال الاحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة ماهم فيه وذلك ايضا صحيح والشهر اي
ويكون الشهر كالجمعة بضم الميم وبسكن والمراد بها الاسبوع وتكون بالتانيث رفعا وينصب
اي وتصير الجمعة كاليوم اي كالنهار ويكون اليوم كالساعة اي العرفية النجومية وهي
جزء من اجزاء القسمة الاثنى عشرية في اعتدال الازمنة الصيفية والشتائية وتكون الساعة
كالضرمة بفتح الضاد وسكون الراء وتفتح اي مثلها في سرعة ابتدائها وانقضائها قال القاضي اي
كزمان ايقاد الضرمة وهي ما يوقد به النار اولا كالقصب والكبريت وفي القاموس الضرمة
محركة السعفة والشيحة في طرفها نار وفي ازهار الضرمة بفتح المعجمة وسكون الراء غصن النخل
والشيحة تنبت في طرفها نار فانها اذا اشتعلت تحرق سريعا انتهى فالمراد بها الساعة اللغوية
وهي ادنى ما يطلق عليه اسم الزمان من الحينية واللحظة والطرفة ونحوها قال الخطابي
ويكون ذلك في زمن المهدي او عيسى او كليهما قلت والاخير هو الاظهر لظهور عد الامر
في خروج الدجال وهو في زمانهما قال فان قيل اذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة فما وجه التقارب ومعناه قلنا المراد به لكل
ان السنة ذات شهور وجمع وايام وساعات فان كل سنة اثنى عشر شهرا وثمان واربعون
جمعة وثلثمائة وستون يوما واربعة الاف وثلثمائة وعشرون ساعة واذا عادت السنة
الي الشهر عادت جمعتها الي جمعة شهر تلك السنة وهي اربع وايامها الي يوم الشهر بتلك السنة
وهي ثلاثون يوما وساعاتها الي ساعات شهر تلك السنة وهي ثلاثمائة وستون يوما
ونسبة كل منها الي السنة كجزء من اثنى عشر جزءا بلا زيادة ونقص ثم يزيد وينقص من امد
الضرمة بالنار فانها غير مقدرة شرعا ولا عرفا ولا تبين للناظر في راي العين فلذا قال يتقارب
الزمان ولم يقل يتساوي الزمان انتهى وسياتي لهذا الحديث زيادة تحقيق وبيان وما
يتعلق به من اداء الصلوة كل زمان في حديث النواس من الباب الاتي رواه الترمذي وعن

عبدالله

وهو ـــــ سبحوجل

عبدالله بن حوالة بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو قال المولف في فصل الصحابة ازدي نزل الشام روي
عنه جبير بن نفير وغيره قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ارسلنا لنغنم اي لناخذ الغنيمة
علي اقدامنا اي ماشيين عليها وهو حال من الضمير في بعثنا اي بعثنا رجالا غير ركاب فرجعنا اي سالمين
ما مونين فلم نغنم شيئا اي فصرنا مهمومين محزونين وعرف الجهد بالفتح وفي نسخة مصححة بالضم
ففي القاموس الجهد الطاقة ويضم والمشقة وقال ابن الملك الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة
قلت الظاهر انهما لغتان لكل منهما والمراد به هنا المشقة وقد صرح شارح بالفتح واقتصر عليه السيد
في اصله اي وعرف مشقة الم فقد الغنيمة في وجوهنا اي فيما ظهر عليها من اثار الكآبة والحزن
والخجالة والحيا فقام اي خطيبا فينا اي لاجلنا او فيما بيننا فقال اللهم لاتكلهم من التوكيل اي لاتوكل
امورهم اليّ اي الي امري فاضعف عنهم بالنصب جوابا للنهي والسبب في ذلك ان الانسان خلق
ضعيفا وان المخلوق من حيث هو عاجز عن نفسه فكيف عن غيره ولذا ورد في الدعا النبوي
اللهم لاتكلني الي نفسي طرفة عين ولا اقل من ذلك فانك ان تكلني الي نفسي تكلني الي ضعف
وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك وقال تعالي قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
الا ما شا الله وهذا هو التوحيد المبين لقوله لاحول ولاقوة الا بالله وقد ورد في حديث
رواه ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما السلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق
كل واحد منهما راس صاحبه ويتفرقان عن هولا الكلمات بسم الله ما شا الله لايسوق الخير الا
الله ما شا الله لايصرف السوء الا الله ما شا الله ما كان من نعمة فمن الله ما شا الله لاحول ولاقوة الا
بالله ثم لما كان له القرب الالهي قدم دفع ركونهم اليه اولا ثم قال ولاتكلهم الي انفسهم فيعجزوا عنها
بكسر الجيم ويفتح ففي القاموس عجز من باب ضرب وسمع ثم في تاخير انفسهم نفسه الانفس اعتبارا الي
قوله تعالي النبي اولي بالمومنين من انفسهم ولاتكلهم الي الناس اي الي الخلق وانما خص الناس
لقرب الاستيناس فيستاثروا عليهم عدل عن قوله فيعجزوا والظهور الي قوله فيستاثروا واشعارا
بانهم ما يكتفون باظهار العجز بل يتبادرون الي ان يختاروا الجيد لانفسهم والردي لغيرهم
ففيه تعليم للامة في شهود صنع الله والغيبة عما سواه بان يكلوا امورهم اليه ويعتمدوا في
جميع حوائجهم عليه لان من توكل علي الله كفاه امره وتعهد نيله كما قال ومن يتوكل
علي الله فهو حسبه قال الطيبي المعنى لاتفوض امورهم الي فاضعف عن كفاية مونتهم
وسد خلتهم ولا تفوضهم الي انفسهم فيعجزوا عن انفسهم لكثرة شهواتها وشرورها ولا
تفوضهم الي انفسهم فيعجزوا عن انفسهم لكثرة شهواتها وشرورها ولا يفوضهم الي الناس فيختاروا
انفسهم علي هولا فيضيعوا بل اجعلهم عبادك وافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد ثم وضع يده على
راسي اي الحكمة ستاتي مع ما فيه من البركة الموافي وهو يحتمل الاستمرار عليه في كل الكلام حتى
فرغ من الكلام ويحتمل انه وضعها ثم رفعها ثم قال يا ابن حوالة اذا رايت الخلافة اي خلافة
النبوة قد نزلت الارض المقدسة اي من المدينة الي ارض الشام كما وقع في امارة بني امية
فقد دنت اي قربت الزلازل اي وقوعها وهي مقدمات زلزلة الساعة التي هي شي عظيم
وقد اخبر سبحانه ايضا بقوله اذا زلزلت الارض زلزالها والزلزلة هي الحركة والزلازل مصدر
والبلابل جمع بلبلة ففي النهاية هي الهموم والاحزان وبلبلة الصدر وسواسه والامور العظام
اي من اشراط الساعة والساعة يومئذ اقرب من الناس من يدي هذه اي الموضوعة
علي راسك الي راسك رواه كذا هنا بياض في الاصل والحقيقي الحاشية ابو داود واسناده

حسن ورواه الحاكم في صحيحه جزري والحنفي في نسخة رواه ابوداود والحاكم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ وابه و بصيغة المجهول اي اذا اخذ الفي اي الغنيمة
دولا بكسر الدال وفتح الطو ويضم اوله جمع دولة بالضم والفتح اي غلبته في المداونة والمناولة
ففي القاموس الدولة انقلاب الزمان والعقبة في المال ويضم او الضم فيه والفتح في الحرب اوهما سوا
والضم في الاخرة والفتح في الدنيا الجمع دول مثلثة وفي شرح ابن الملك قال الازهري الدولة بالضم
اسم لما يتنا ولعن المال يعني الفي وبالفتح الانقلاب من حال البوس والضر الي حال السرور قال
التوربشتي اي اذا كان الاغنيا واصحاب المناصب يستاثرون بحقوق الفقرا ويكون المراد
منه ان اموال الفي توخذ غلبة واثرة صنيع اهل الجاهلية وذوي العدوان والامانة مغنما
اي بان يذهب الناس بودايع بعضهم واماناتهم فيتخذونها كالمغانم يغنمونها والزكوة مغرما
اي بان يشق عليهم اداوها حتي تعدوها غرامة وتعلم بصيغة المجهول من باب التفعل لغير
الدين قال الطيبي هو بالالف واللام كذا في جامع الترمذي وجامع الاصول وفي نسخة المصابيح
بغير اللام والاولي اولي رواية ودراية اي يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال لا للدين ونشر
الاحكام بين المسلمين لاظهار دين الله واطاع الرجل امراته اي فيما تامره وتهواه مخالفا
لامر الله وهداه وعق امه اي خالفها فيما تامره وتنهاه وفي القرينتين اشعار بانقلاب
الدهر لانعكاس الامر كما في قوله وادني صديقه واقصي اباه حيث قرب صديقه الاجنبي
اليه وبعد اقرب الاقربين منه مع انه اشفق الاشفقين عليه هذا وقال ابن الملك
خص عقوق الام بالذكر وان كان عقوق من الابوين معدود من الكباير لتاكد حقها
اولكون قوله واقصي اباه بمنزله وعق اباه فيكون عقوقهما مذكورا اقول ففيه
تفنن وتسجيع مع زيادة المبالغة في قوله اقصي علي قوله عق علي انه يفهم
عقوق الاب من عقوق الام بالاولي وقال الطيبي وقوله وادني صديقه
واقصي اباه كلاهما قرينة لقوله واطاع امراته وعق امه لكن المذموم في الاولي الجمع بينهما
لان ادني الصديق محمود بخلاف الثانية فان الافراد والجمع بينهما مذمومان اقول فيه
نظر لان اطاعة المراة في المباح مندوبتان وفي المعصية منهيتان فالقرابة بينهما انما هي
في انعكاس القضية وانقلاب البلية وكذا في القرينتين الاوليين اذ يتصور ادني الصديق
الصالح وابعاد الاب الطالح ويويد ما حررناه قوله فرجح جانب الزوجة لانها محل الشهوة
علي جانب الام فانها مرضاة الرب وخص الام بالذكر لزيادة حقها وتاكيد مشقتها في
تربيته فعقوقها اقبح من عقوق الاب وادني صديقه اي قربه الي نفسه للموانسة والمجالسة
واقصي اباه بعده ولم يستصحبه ولم يستانس به وظهرت الاصوات اي رفعها في المساجد
وهذا مما كثر في هذا الزمان وقد نص بعض علمائنا بان رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر
حرام وساد القبيلة وفي معناها البلد والمحلة فاسقهم وظالمهم بالاولي وقد كثر هذا ايضا
والظاهر ان الكثرة هي العلامة والا فلم يكن يخلو زمان عن مثل هذه الاشيا وقد
قال تعالي وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وكان زعيم القوم اي المتكفل بامرهم
ارذلهم اي ابخلهم او اكثرهم رذالة في الحسب والنسب قال السيوطي زعيم القوم رئيسهم
وفي القاموس الزعيم الكفيل وسيد القوم ورئيسهم والمتكلم عنهم ثم اعلم ان النسخ
جميعها علي رفع زعيم ونصب ارذلهم وكان الظاهر ان يعكس اللهم الا ان يراد بالزعيم الكريم ٢٠

وبالارذال الاحقر والاخمل وفي المال والجاه اقل واكرم الرجل اي عظم مخافة شره اي لا بسبب غيره
من نحو جاه خيره وظهرت القينات بفتح القاف وسكون التحتية اي الاما المغنيات والمعازف
بفتح الميم وكسر الزاي اي وظهرت الات اللهو وشربت بصيغة المجهول الخمور اي انواع
الخمر والمراد انها تشرب شربا ظاهرا ولعن اخر هذه الامة اولها فيه اشارة الي ان هذه العلامة
من خصوصيات هذه الامة وانها لم يقع في الامم السابقة وهي المناسبة ان يكون من اشراط
الساعة ويويده انه لو قيل لليهود والنصاري من افضل اهل ملتكم قالوا اصحاب موسي وعيسي
عليهما السلام قال الطيبي اي طعن الخلف في السلف وذكروهم بالسوء ولم يقتدوا بهم في الاعمال
الصالحة فكان لعنهم اقول اذا كانت الحقيقة مستحققة فما المخرج الي العدول عنها الي المعني
المجازي وقد كثرت كثرة لا تخفي في العالم مع ان الله تعالي قال في حق الاولين والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة والكتاب والسنة مشحونان
بمناقبهم وفضايلهم وهم الذين نصروا الدين واجتهدوا وجاهدوا في الله حق جهاده وفتحوا
بلاد الاسلام وحفظوا الاحكام وسائر العلوم من سيد الانام وانتفعوا بهم علما الاعلام
ومشايخ الكرام وقد علمنا الله في كتابه ان نقول في حقهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وقد ظهرت طايفة لاعنة ملعونة اما كافرة او مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن
والطعن في حقهم بل نسبوهم الي الكفر بمجرد اوهامهم الفاسدة وافهامهم الكاسدة من ان ابا بكر
وعمر وعثمان اخذوا الخلافة وهي حق علي بغير حق والحال ان هذا باطل بالاجماع سلفا وخلفا ولا
اعتبار بانكار المنكرين واي دليل لهم من الكتاب والسنة يكون نصا علي خلافة علي ثم من
خالفه من بعض الصحابة في ايام خلافته ايضا بنا علي اختلاف اجتهاد فليس يستحق اللعن
غايته انه كان مخطيا ولو فرضنا انه كان مسيا فلعله مات تايبا او باقيا تحت المشية مع
غالب رجا المغفرة والشفاعة ببركة الخدمة المتقدمة وقد روي ابن عساكر عن علي
كرم الله وجهه مرفوعا يكون لاصحابي ذلة يغفرها الله لهم لسابقتهم معي فنحن مع كثرة
ذنوبنا من الصغاير والكباير اذا كنا راجين رحمة ربنا وشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
فكيف بكابر من هذه الامة وبانصار هذه الملة ومن العجيب ان طايفة الرافضة المرفوضة
الباغضة المبغوضة افسق الخلق واظلمهم واحمق العالمين واجهلهم فطوبي لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير وقال
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقد اخرج ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب ابي بكر وعمر
من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان
وبغضهم كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه يوم
القيامة فارتقبوا جواب اذا والمعني فانتظروا عند ذلك اي عند وجود ما ذكر ريحا حمرا اي شديدة
في الهوا وزلزلة اي حركة عظيمة للارض وخسفا اي ذهابا في الارض وغيوبة فيها ومسخا بتغيير
الصورة علي طبق اختلاف تغير السيرة وقذفا اي رمي حجارة من السما وايات اي علامات اخر
لدنو القيامة وقرب الساعة تتابع بحذف احدي التايين اي يتبع بعضها بعضا كنظام بكسر
النون اي عقد من نحو جوهر وخرز قطع سلكه بكسر السين اي انقطع خيطه فتتابع اي ما فيه
من الخرز وهو فعل ماض بخلاف الماضي فانه حال او استقبال رواه الترمذي اي وقال غريب وروي

احمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعا الايات خرزات منظومات في سلك فان يقطع السلك فيتبع بعضها
بعضا وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة
بسكون الشين المعجمة وبكسرها خصلة اي فعلة ذميمة حل بها البلا اي نزل وعد اي واحصى
النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخصال اي الخمسة عشر ولم يذكر اي علي تعلم لغير الدين قال
الطيبي هذا كلام صاحب المصابيح وذلك ان الترمذي ذكر الحديثين على الولا وعد في
كل واحد منها الاعداد الخمسة عشر قال اي علي دبر صديقه اي بدل ادنى وجفى
اباه بدل اقصى فهو اختلاف عبارة وكذا قوله وقال اي علي وشرب الخمر بدل شربت الخمور
بتغيير الفعل والفاعل وليس بصيغة المجهول الحرير قال صاحب المختصر هذا بدل من اللعن
وهو غير صحيح لان اللعن مذكور في حديث علي فالصواب انه بدل من تعلم لغير الدين فتطابق
العددان في الروايتين فصح قول الطيبي انه عد في كل واحد منها الاعداد الخمسة عشر
وبطل قول صاحب المختصر ان المجموع خمسة عشر واما المذكور في الحديث السابق فستة
عشر انتهى وها انا اذكر لك مفصلا ما ذكره المولف مجملا بل مختصرا مخلا بقوله رواه الترمذي ففي
الجامع اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلا اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكوة
مغرما واطاع الرجل امرأته وعق امه وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات في المساجد
وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات
والمعازف ولعن اخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا رواه
الترمذي عن علي فاو هنا للتنويع والواو هنا للجمع به تحصل الجمع وعن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا اي
لا تفنى ولا تنقضي حتى يملك العرب اي ومن تبعهم من اهل الاسلام فان من اسلم فهو عربي
رجل من اهل بيتي يواطئ اي يوافق اسمه اسمي اي ويطابق اسمه اسمي فانه محمد المهدي
ويهديه صلى الله عليه وسلم يهدي وقال الطيبي لم تذكر العجم وهو مراد ايضا لانه اذا ملك
العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يدا واحدة قهروا سائر الامم ويؤيده حديث ام سلمة
بعده انتهى ويمكن ان يقال ذكر العرب لغلبتهم في زمنه او لكونهم اشرف او هو من باب الاكتفا
مراده العرب والعجم كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والاظهر انه اقتصر على ذكر العرب
لانهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم يعني ضد العرب فانه يقع منهم خلاف في الطاعة والله
اعلم رواه الترمذي وابو داود وفي رواية له اي لابي داود لو لم يبق من الدنيا الا يوم
لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله اي يظهر فيه اي في ذلك اليوم رجلا اي كاملا
مني اي من نسبي او من اهل بيتي شك من الراوي ولفظ المصابيح حتى يبعث فيه رجل
من اهل بيتي واختلف في انه من بني الحسن او من بني الحسين ويمكن ان يكون جامعا
بين النسبتين الحسنيين والاظهر انه من جهة الاب حسني ومن جانب الام حسيني قياسا على
ما وقع في ولدي ابرهيم وهما اسماعيل واسحاق عليهم السلام حيث كان انبيا بني اسرائيل كلهم من
بني اسحاق وانما نبي من ذرية اسماعيل نبينا عليه الصلوة والسلام وقام مقام الكل ونعم
العوض وصار خاتم الانبيا فكذلك لما ظهرت اكثر الايمة واكابر الامة من اولاد الحسين فناسب
ان ينجبر الحسن بان اعطي له ولد يكون خاتم الاوليا ويقوم مقام سائر الاصفيا على انه قد
قيل لما نزل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة الصورية كما ورد منقبته في الاحاديث

النبوية

النبوية اعطي له ولاية المرتبة القطبية فالمناسب ان يكون من جملتها النسبة المهدوية
المقارنة للنبوة العيسوية واتفاقهما على اعلاء كلمة الملة النبوية على صاحبها الوف السلام
والوف التحية وسياتي في حديث ابي اسحاق عن علي كرم الله وجهه ما هو صريح في هذا
المعنى والله اعلم يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي فيكون محمد بن عبد الله ردا على الشيعة
حيث يقولون المهدي الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري يملأ الارض
استئناف مبين لحسبه كما ان ما قبله مبين لنسبه اي يملأ وجه الارض جميعها او ارض العرب
وما يتبعها والمراد اهلها قسطا بكسر اوله وتفسيره قوله وعدلا اتى بهما تأكيدا وكذا الجمع في
قوله كما ملئت اي الارض قبل ظهوره ظلما وجورا على انه يمكن ان يغاير بينهما بان يجعل الظلم
هنا قاصرا لازما والجور متعديا وكذلك يحتمل ان يراد بالقسط اعطاء كل ذي حق
حقه وبالعدل النصفة والحكم بميزان الشريعة وانتصار المظلوم وانتقامه من الظالم فيكون
جامعا لما قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقائما بما قاله العلماء من الدين هو
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وموصوفا بوصف الكمال وهو اجماله من تجلي الجمال
وتجليا بالجلال في محله اللائق بكل حال من الاحوال هذا ورواه احمد وابو داود عن علي
رضي الله عنه مرفوعا لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله تعالى رجلا من اهل بيتي يملؤها
عدلا كما ملئت جورا وروى ابن ماجة عن ابي هريرة مرفوعا لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول
الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من اهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية وفي
القاموس الديلم جبل معروف وروى الروياني عن حذيفة مرفوعا المهدي رجل من
ولدي وجهه كالكوكب الدري وعن ام سلمة رضي الله عنها وهي من امهات المؤمنين
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي قال بعض الشراح العترة
ولد الرجل من صلبه وقد يكون العترة الاقرباء ايضا وهي العمومة قلت المعنيان لا يلائمان
بيانه بقوله من اولاد فاطمة وفي النهاية عترة الرجل اخص اقاربه وعترة النبي صلى الله
عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل قريش والمشهور المعروف انهم الذين حرمت عليهم
الزكاة اقول المعنى الاول وهو المناسب للمرام وهو لا ينافي ان يطلق على غيره بحسب
ما يقتضيه المقام وقيل عترته اهل بيته الاخر ذريته وقيل ازواجه وذريته فدخل اهله
وعشيرته الاقربون وقيل نسله ورهطه الادنون وعليه اقتصر الجوهري قلت
وهو الذي ينبغي هنا ان عليه يقتصر ويختص رواه ابو داود وكذا ابن ماجة ورواه
الحاكم وصححه واما ما رواه الدارقطني في الافراد عن عثمان رضي الله عنه المهدي من ولد
العباس عمي فمع ضعف اسناده محمول على المهدي الذي وجد من الخلفاء العباسية او
يكون للمهدي الموعود ايضا نسبة الى العباسية فقد رواه احمد وابن ماجة عن
علي مرفوعا المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة اي يصلح امره ويرفع قدره
في ليلة واحدة او في ساعة واحدة من الليل حيث يتفق على خلافته اهل الحل والعقد
فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي
مني اي من نسلي وذريتي او من عشيرتي واهل بيتي اجلى الجبهة قال شارح
اي واسعها وفي النهاية خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر
عن جبهته كذا ذكره الطيبي مختصرا وفي النهاية النزعتان من جانبي الراس مما لا شعر عليه

والجلا مقصورا انحسار مقدم الراس من الشعر او من نصف الراس وهو دون الصلع والنعت
اجلي وجلوا وجبهة جلوا واسعة فهذا يؤيد قول الشارح السابق وهو الموافق للمقام
المطابق اقني الانف اي مرتفعه كذا قال شارح وفي النهاية القنا في الانف طوله ودقة ارنبته
مع حدب في وسطه يقال رجل اقني وامراة قنوا انتهى ففي الكلام تجريد والارنبة طرف الانف عليه
ما في القاموس والحدبة الارتفاع وهو ضد الانخفاض والمراد انه لم يكن افطس فانه مكروه الهيئة
يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين واما ما سياتي من قول راو وثمان
سنين او تسع سنين فهو شك منه فيحتمل ان هذه الرواية مجزومة بالسبع ويؤيده ما سياتي
من رواية ابي داود ايضا عن ام سلمة ويحتمل ان يكون مشكوكة وطرح الشك ولم يذكره
والنفي باليقين والله اعلم رواه ابو داود وصححه ابن العربي ورواه الحاكم في مستدركه
وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المهدي
قال فيجي الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني التكرير للتاكيد ويمكن ان يكون اعطني
مرة بعد اخرى لما تعود من كرم مسامحاته قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيحثي له في ثوبه
ما استطاع ان يحمله لما راى من حرصه على المال ومطالبته منه في كل الاحوال فاغناه عن
السوال وخلص نفسه عن الملال رواه الترمذي وعن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يكون اي يقع اختلاف اي فيما بين اهل الحل والعقد عند موت خليفة
اي حكمية وهي الحكومة السلطانية بالغلبة التسلطية فيخرج رجل من اهل المدينة كراهية
لاخذ منصب الامارة وخوفا من الفتنة الواقعة فيها وهي المدينة المطهرة او المدينة التي
فيها الخلافة هاربا الى مكة لانها مامن كل من التجا اليها ومعبد كل من سكن فيها قال الطيبي
وهو المهدي بدليل ايراد هذا الحديث ابو داود في باب المهدي فياتيه ناس من اهل
مكة اي بعد ظهور امره ومعرفة نور قدره فيخرجونه اي من بيته وهو كاره اما بلية الامارة
واما خشية الفتنة والجملة حالية معترضة فيبايعونه بين الركن الاسعد وهو
الحجر الاسود والمقام اي مقام ابراهيم عليه السلام ويقع ما بين زمزم ايضا وهذا المثلث
هو المسمى بالحطيم من الزمن القديم وسمي به لان من حلف فيه وحنث او خالف العهد ونقض حطم
اي كسر قبته وقطع محبته وهلك دولته ويبعث اليه بصيغة المجهول اي يرسل الى حربه وقتاله
مع انه من اولاد سيد الانام واقام في بلد الله الحرام بعث من الشام اي جيش من اهل الشام والملا
فيخسف بهم اي كرامة للامام بالبيدا بفتح الموحدة وسكون التحتية بين مكة والمدينة ولعل
تقديم مكة تفضيلها وتقديمها قال التوربشتي هي ارض ملساء بين الحرمين وفي الحديث يخسف
بالبيدا بين المسجدين وليس بالبيدا التي امام ذي الحليفة وهي تشرف من الارض [illegible]
ولا يبعد ان تكون هي اياها مع انها المتبادر منها ولعل الشيخ ظفر بنقل صريح او بني على ان طريق
اهل الشام من قديم الايام ليس على المدينة ولذا جعل ميقاتهم الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم
المشهور ومالوا الى دخول المدينة المطهرة لمصالح دينية ومنافع دنيوية واما اذا كان
كان غرضهم محاربة المهدي فمن المعلوم انهم يطولون على انفسهم المسافة بل يريدون المسابقة
والمسارعة الى المحاربة والمسابقة فاذا راى الناس ذلك اي ما ذكر من خرق العادة وما جعل
للمهدي من العلامة اتاه ابدال الشام وهم البدل من الكرام عن اللئام وفي النهاية ابدال الشام
هم الاولياء والعباد الواحد بدل كجمل او بدل كحمل سموا بذلك لانه كلما مات منهم واحد بدل

باخر قال

٢٨٩

باخر قال الجوهري الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد ابدل الله مكانه
باخر قال ابن دريد واحده بديل قلت ويؤيده انه يقال لهم بدلا ايضا فيكون نظير شرف واشراف
وشرفا ثم قيل انهم سموا ابدالا لانهم قد يرتحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا
اخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وفي القاموس الابدال قوم بهم يقيم الله عز وجل
الارض وهم سبعون اربعون بالشام وثلاثون في غيرها انتهى والظاهر ان المراد بالشام جهة
وما يليه من وراه لا خصوص دمشق الشام والله اعلم بالمرام ثم يحتمل انهم سموا ابدالا لانهم
ابدلوا الاخلاق الدنية بالشمايل الرضية او لانهم ممن بدل الله سياتهم حسنات وقال
القطب الحقاني الشيخ عبد القادر الجيلاني انما سموا ابدالا لانهم فنوا عن ارادتهم فبدلت
بارادة الحق ابدا الى الوفاة فذنوب هولاء السادة ان يشركوا ارادة الحق بارادتهم على وجه
السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة فيدركهم الله برحمته باليقظة والتذكر فيرجعون
عن ذلك ويستغفرون ربهم عز وجل اقول ولعل العارف ابن الفارض اشار الى هذا المبنى
في قوله ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي فان حسنات الابرار
سيات المقربين وقد علم كل اناس مشربهم من ما معين والمعنى وعصايب اهل العراق
اي خيارهم من قوله عصبة القوم خيارهم ولعله منه قوله تعالى ونحن عصبة او طوايفهم
فان العصابة تاتي بمعنى الجماعة يتعصب بعضهم لبعض ويعصب ويشد بعضهم ظهر بعض
وبعضده وفي النهاية العصايب جمع عصابة وهي الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين
ولا واحد لها من لفظها ومنه حديث علي رضي الله عنه الابدال بالشام والنجبا بمصر والعصايب
بالعراق اراد ان التجمع للحروب يكون بالعراق وقيل اراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصايب
لانه قرنهم بالابدال والنجبا ذكر ابو نعيم الاصفهاني في حلية الاوليا باسناده عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار امتي من كل قرن خمسمائة والابدال
اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله عز وجل من الخمسمائة
مكانه وادخل في الاربعين وكانهم قالوا يا رسول الله دلنا على اعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم
ويحسنون الى من اساء اليهم ويتواسون فيما اتاهم الله عز وجل وباسناده ايضا عن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل في الخلق سبعة وساق الحديث الى قوله
فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلا قيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيي
ويميت قال لانهم يسالون الله عز وجل اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة
فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسالون فينبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم
انواع البلا انتهى والمعنى ان الابدال والعصايب ياتون المهدي فيبايعونه ثم ينشا اي يظهر
رجل من قريش هذا هو القوي الذي يخالف المهدي اخواله كلب وهو قبيلة فيكون امه
كلبية وفيه اشارة خفية وبشارة جلية وتفاول بغلبة ذرية خير البرية قال التوربشتي
يريد ان ام القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في امره ويستعين عليه باخواله من بني
كلب فيبعث اي القرشي اليهم اي المبايعين للمهدي بعثا اي جيشا فيظهرون عليهم اي فيغلب
المبايعون على البعث الذي بعثه الكلبي وذلك اي البعث بعث كلب اي جيش كلب باعثه هوى
نفس الكلبي ويعمل اي المهدي في الناس بسنة نبيهم اي بشريعته ويلقي بضم اوله اي يرمي
ويرخي الاسلام اي المشبه بالبعير المنقاد للانام بجرانه بكسر الجيم فراء فنون وهو مقدم عنقه

اي بكالكبد الارض ففيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كاطلاق الرقبة على المملوك وفي النهاية الجران
باطن العنق ومنه الحديث اي ناقته صلى الله عليه وسلم وضعت جرانها وحديث عايشة رضي
الله عنها حتى ضرب الحق بجرانه اي قر الاسلام واستقر قراره واستقام كما ان البعير اذا
برك واستراح مد عنقه على الارض قبل ضرب الجران مثل للاسلام اذا استقر قراره
فلم يكن فتنة وجرت احكامه على السنة والاستقامة والعدل فيلبث بفتح اليا والموحدة
اي يمكث المهدي بعد ظهوره سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون رواه ابو
داود وقال الحافظ السيوطي في تعليقه على ابي داود لم يرد في الكتب الستة ذكر
الابدال الا في هذا الحديث عند ابي داود وقد اخرجه الحاكم وصححه وقال الشيخ زكريا
في رسالته المشتملة على تعريف غالب الفاظ الصوفيه القطب ويقال له الغوث هو الواحد الذي
هو محل نظر الله تعالى من العالم في كل زمان اي نظرا خاصا يترتب عليه افاضة الفيض
واستفاضة فهو الواسطة في ذلك بين الله وبين عباده فيقسم الفيض المعنوي على
اهل بلاده بحسب تقديره ومراده ثم قال الاوتاد اربعة منازلهم على منازل الاركان
من العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا مقام كل منهم مقام تلك الجهة قلت فهم الاقطاب
في الاقطار يأخذون الفيض من قطب الاقطاب المسمى بالغوث الاعظم فهم بمنزلة الوزرا تحت
حكم الوزير الاعظم فاذا مات القطب الاعظم ابدل من هذه الاربعة احد بدله على الدوام قال الابدال
قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله مكانه اخر وهم سبعة قلت
الابدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعا وقد سبق للبدل معنى اخر فالاولى
حمله عليه ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم ولحصوله لكثرة البدل فيهم لغلبتهم فانهم اربعون
ما في الحديث السابق او سبعون على ما ذكره صاحب القاموس فقوله وهم سبعة
وهم ثم قال النقبا هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثماية اقول لعله اخذ
هذا المعنى من النقب بمعنى الثقب والا فظاهر ان النقبا جمع نقيب وهو شاهد القوم
وضمينهم وعريفهم على ما في القاموس ومنه قوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي
شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفا بما
امروا به وعاهدوا عليه على ما في البيضاوي والظاهر انهم خمسماية على ما سبق في الحديث
ثم قال النجبا هم المشتغلون بحمل اثقال الخلق وهم اربعون اقول كانه اخذ هذا المعنى من اللغة
ففي القاموس ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجايب والانسب ما ذكر فيه ايضا من ان النجيب
الكريم والجمع نجبا والمنتجب المختار ونجايب القران افضله هذا وقد اخرج ابن عساكر
عن ابن مسعود مرفوعا ان لله تعالى ثلثماية نفس قلوبهم على قلب ادم عليه السلام وله اربعون
قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام وله خمسة
قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكاييل عليه السلام
وله واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام كلما مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة
وكلما مات واحد من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد ابدل مكانه
من السبعة وكلما مات واحد من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين
ابدل الله مكانه من الثلثماية وكلما مات واحد من الثلثماية ابدل الله مكانه من العامة فبهم يدفع
الله تعالى عن هذه الامة انتهى وارجوا من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده

انه اذا

انه اذا وقع محلولا من هذه المناصب العلية يجعلني منصوبا على طريق البدلية ولو من مرتبة العامة
الى ادنى مرتبة الخاصة ويتم على هذه النعمة مع الزيادة الى حسن الخاتمة ثم في الحديث دلالة
على ما ذكرناه من الاحتمال ان يكون الابدال لا يكون من خواص الابدال بل يعم الرجال من
ارباب الاحوال وفيه تنبيه نبيه على انه لم يذكر ان احدا يكون على قلب النبي صلى الله عليه وسلم
اذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والامر اشرف والطف من قلبه الاكرم صلى الله عليه وسلم وفيه ايضا
ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر وكذا تفضيل اسرافيل وميكاييل على جبريل
والجمهور على خلاف ذلك والله اعلم هذا وقال العارف الصمداني الشيخ علا الدولة السمناني
في العروة الوثقى ان الابدال من بدلا السبعة كما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو من
السبعة وسيدهم اقول لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم قال وكان القطب في زمان النبي
صلى الله عليه وسلم عم اويس القرني عصام مخري ان يقول اني لاجد نفس الرحمن من قبل
اليمن وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي صلى الله عليه وسلم مظهرا خاصا للتجلي
الالهي المخصوص باسم الذات والله قلت هذا يفيد مويد لما سبق من ان احدا
لم يشاركه صلى الله عليه وسلم في مقامه الاعظم لكن في كون القطبية لعصام وهو غير معروف
في انه من الصحابة او التابعين بخلاف اويس فانه مشهور وقد ورد في حقه انه سيد
التابعين اشكالا عظيما فانه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفا الاربعة
وساير فضلا الصحابة الذين هم افضل الناس بعد الانبيا بالاجماع وايضا فقد قال اليافعي
رحمه الله وقد سترت احوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق
عليه لكني اقول الظاهر ان هذا غالبي لثبوت القطبية للسيد عبد القادر بلا نزاع
ثم اعلم ان كثيرا من الناس ادعوا انه المهدي فمنهم من اراد المعنى اللغوي فلا اشكال
ومنهم من ادعى باطلا وزورا واجتمع عليه جمع من الاوباش واراد الفساد في البلاد
فقتل واستراح منه العباد ومنهم من رأى في واقعة الحال فحملها سنحه على الافاق
وكان حقه ان يحملها على الانفس لئلا يحصل الاختلال وهو رئيس النوربخشية احد
مشايخ الكبروية وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية ولهم رياضات
عملية وكشوفات سفلية وحالات ظاهرية من جملتها انهم يعتقدون ان المهدي الموعود
هو شيخهم الذي ظهر ومات ودفن في بعض بلاد خراسان وليس يظهر غيره مهدي في الوجود
ومن ضلالتهم انهم يعتقدون ان من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر وقد جمع شيخنا
العارف بالله المولى الشيخ علي المتقي رسالة جامعة في علامات المهدي منتخبة من رسايل
السيوطي واستفتى من علما مصر الموجودين في مكة من المذاهب الاربعة وقد
افتوا بوجوب قتلهم على من يقدر من ولاة الامر عليهم وكذا معتقد الطايفة الشيعة
من الامامية ان المهدي الموعود هو محمد بن حسن العسكري وانه لم يمت بل هو مختف
عن اعين الناس من العوام والاعيان وانه امام الزمان وانه سيظهر في وقته ويحكم في
دولته وهو مردود عند اهل السنة والجماعة والادلة مستوفاة في الكتب الكلامية وقد
صرح في العروة الوثقى بان محمد بن الحسن العسكري اذا اختفى دخل في دايرة الابدال
اولا وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد الابدال ثم دخل في دايرة الابطال يعني
دايرة الاربعين وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد الابطال ثم دخل في دايرة

ان يطلب السياح وهم السبعة ويبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار رسيد السياح ثم
دخل في دايرة الاوتاد وهم الخمسة وبقي فيهم حتي لم يبق منهم احد فصار رسيد الاوتاد
ثم دخل في دايرة الافراد وهم الثلاثة وبقي فيهم حتي لا يبقي احد منهم فصار
سيد الافراد ثم جلس علي الاريكة القطبية بعد ان توفي الله علي بن الحسين
البغدادي القطب اليه وانه دفن في بغداد في الشونيزية بروح وريحان وبقي في المرتبة القطبية
تسع عشرة سنة ثم توفاه الله اليه بروح وريحان انتهي وقد نقل مولانا عبد الرحمن
الجامي قدس الله سره السامي هذا عنه في بعض كتبه واعتمد عليه في اعتقاده لكن
لا يخفي ان الشيخ علاء الدولة ظهر بعد محمد بن العسكري بزمان كثير ولم يشهد هذا القول
الي من كان في ذلك الوقت والظاهر انه يدعي هذا علي طريقة الكشف وذلك لا يمكن من غيره
ايضا الا كذلك ولا يخفي ان مبني الاعتقاد لا يكون الا علي الادلة اليقينية ومثل هذا المعني
الذي اساسه علي ذلك المبني لا يصلح ان يكون من الادلة الظنية ولذا لم يعتبر احد من
الفقها جواز العمل في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الامور الكشفية او من الحالات
المناسبية ولو كانت منسوبة الي الحضرة النبوية علي صاحبها افضل الصلوة واكمل التحية
لكن الاحاديث الواردة في احوال المهدي مما جمعه السيوطي وغيره ترد علي الشيعة في
اعتقاداتهم الفاسدة واراديهم الكاسدة بل جعلوا تمام ايمانهم ومبنا اسلامهم واركان احكامهم
بان محمد بن الحسن العسكري هو الحي القائم المنتظر وهو المهدي الموعود علي لسان
صاحب المقام المحمود والحوض المورود وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال ذكر رسول
الله صلي الله عليه وسلم بلا اي عظيما يصيب هذه الامة حتي لا يجد الرجل ملجا اي ملاذا يلجا
اليه اي يعوذ ويلوذ به من الظلم اي بلانا شيا من الظلم العام فيبعث الله رجلا اي كاملا عادلا
عالما عاملا وهو المهدي من عترتي اي اقاربي واهل بيتي اي من اخصهم فيملا الله به
اي بسبب وجود ذلك الرجل الارض اي جميعها وفي نسخة ضعيفة تملا بالتانيث مجهولا
فالارض مرفوع قسطا وعدلا تمييز من النسبة كما ملئت اي بغيره ظلما وجورا يرضي عنه
ساكن السما اي جنسه من الملايكة وارواح الانبيا عليهم السلام وساكن الارض اي من
المومنين وحتي الدواب في البر والحيتان في البحر كما سبق في فضل العلم والجملة استيناف
بيان لقوله لا تدع السما اي لا تترك في زمانه من قطرها شيا اي من اقطار وامطارها
الا صبته اي كبته مدرارا في الغاية بمدرار الكثير الدر ومفعال مما يستوي فيه المذكر
والموث كقولهم امراة معطار ومطفال وهو منصوب علي الحال من السما اي من فاعل
صبته ولا تدع الارض من نباتها اي من انواع نباتها واصنافها شيا الا اخرجته اي انبتته
واظهرته حتي يتمني الاحيا بفتح الهمز جمع الحي مرفوع واخطا من كسر الهمزة ونصبه الاموات
بالنصب ومن عكس لم يترتيب لم يصب قال التوربشتي الاحيا رفع بالفاعلية وفي الكلام
حذف اي يتمنون حيوة الاموات او كونهم احيا وانما يتمنون ليروا ما هم فيه من الخير والامن
ويشاركوهم فيه ومن نصب فيه الاحيا بالنصب من باب الافعال وفاعل التمني الاموات فقد
احال يعيش اي المهدي في ذلك اي فيما ذكر من العدل وانواع الخير سبع سنين وهو
مجزوم به في اكثر الروايات او ثمان سنين شك من الراوي وكذا قوله او تسع سنين
رواه ترك هنا بياض في الاصل والحق به رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح لكن نقل

الجزري

مطلب يخرج رجل اي صالح من وراء النهر انتهي

الجزري ان الذهبي قال اسناده مظلم وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم يخرج رجل اي صالح من وراء النهر اي ما وراه من البلدان كبخاري وسمرقند ونحوهما يقال له
الحارث اسم له وقوله حراث بتشديد الراء صفة له اي زراع علي مقدمته اي مقدمة جيشه
رجل يقال له منصور اسم له او صفته وقيل المراد به ابو منصور الماتريدي وهو امام جليل مشهور
وعليه مدار اصول الحنفية في العقايد الحنيفية لكن ايراد الحديث في هذا الباب غير ملايم
له ومع هذا لا يمنع من الاحتمال والله اعلم بالحال مع ان عنوان الباب اشراط الساعة وهو
اعم من المهدي وغيره ونقل عن خواجه عبيد الله السمرقندي النقشبندي انه قال المنصور
هو الخضر ومثل هذا امر بعيد عنه الا بنقل قال او كشف حال يوطي اي سيقرر ويثبت الامر
واصل التوطية جعل الوطن لاحد او يمكن شك من الراوي ومنه قوله تعالي الذين ان مكناهم
في الارض وهي بمعني الواو اي مهيي الاسباب باموله وخزاينه وسلاحه ويمكن امر الخلافة
ويقويها ويبسا عونها بعسكره لال محمد اي لذريته واهل بيته عموما وللمهدي خصوصا او لال
محمد والمعني لمحمد المهدي كما مكنت قريش اي كتمكينهم لرسول الله صلي الله عليه وسلم والمراد من
امن منهم ودخل في التمكين ابو طالب ايضا وان لم يومن عند اهل السنة وقال الطيبي قوله
يمكن لال محمد اي في الارض كقوله تعالي مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعل له في الارض مكانا
واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومعناه جعلهم في الارض ذو بسطة في الاموال ونصرة علي الاعدا
واراد بقوله كما مكنت لرسول الله صلي الله عليه وسلم قريش اخر امرها فانه قريشا وان اخرجوا
النبي صلي الله عليه وسلم اولا من مكة لكن بقاياهم واولادهم اسلموا ومكنوا محمدا صلي الله عليه وسلم
واصحابه في حياته وبعد مماته انتهي ولا يخفي ان المراد بالتمكين الاية غير التمكين في الحديث مع
ان المراد من تمكين المشبه تمكينه في اول امره فلا يحسن حمل المشبه به علي اخر امره ثم قوله اخرجوا
ليس علي ظاهره الموهم لاهانته صلي الله عليه وسلم ولذا قيل يكفر من اطلق هذا القول وتاويله انهم تسببوا
بخروجه بالهجرة الي مكان انصاره من المدينة المعطرة فقوله تعالي وكاين من قرية هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك علي حذف المضاف واجرا احكامه علي المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب
علي ما صرح به البيضاوي وغيره وجب علي كل مومن نصره اي نصر الحارث وهو الظاهر او نصر المنصور وهو
الابلغ او نصر من ذكر منهما او نصر المهدي بقرينة المقام اذ وجود نصرهما علي اهل بلادهما ومن يمر به لكونهما
من انصار المهدي او قال اجابته شك من الراوي والمعني قبول دعوته والقيام بنصرته رواه
ابو داود في باب المهدي بنا علي المعني المتبادر ولما قام عنده من الدليل الظاهر قال السيد
وفيه انقطاع وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا تقوم الساعة حتي تكلم السباع اي سباع الوحش كالاسد او سباع الطير كالبازي ولا منع
من الجمع الانس اي جنس الانسان من المومن والكافر وحتي تكلم الرجل في تقديم المفعول هنا
تفنن في العبارة وبيان جوازه في الاستعمال مع انه يجب تاخير الفاعل في مثل هذا الحال عذبة سوطه
بفتح العين المهملة والذال المعجمة اي طرفه علي ما في القاموس وغيره وقال شارح الحرس سوطه وهي
قد تكون في طرفه سباق به الفرس من عذب الما اذا طاب وساغ في الحلق اذ به يطيب سير الفرس
ويستريح راكبه وقيل من العذاب اذ به يجلد الفرس ويعذب فيرتاض ويهذب بما اهله بعده
وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث به اهله بعده رواه الترمذي وكذا الحاكم وصححه الفصل
الثالث عن ابي قتادة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الايات اي ايات الساعة وعلامات

القيامة تظهر باعتبار ابتدائها ظهورا كاملا بعد المائتين اي من الهجرة او من دولة الاسلام او من وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون اللام في المائتين للعهد اي بعد المائتين بعد الالف وهو
وقت ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وتتابع الايات من طلوع الشمس
من مغربها وخروج دابة الارض وظهور ياجوج وماجوج وامثالها قال الطيبي الايات
بعد المائتين مبتدا وخبر اي تتابع الايات وظهور اشراط الساعة على التتابع والتوالي بعد
المائتين ويؤيده قوله في الحديث السابق وايات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع والظاهر اعتبار
المائتين بعد الاخبار انتهى ولا يخفى عدم ظهوره على المراد رواه ابن ماجة وكذا الحاكم في مستدركه وعن
ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت المقصود منه الخطاب العام اي
اذا ابصرت الرايات اي الاعلام السود يحتمل ان يكون اسود كناية عن كثرة عساكر المسلمين من
قبل خراسان الظاهر انهم عساكر الحارث والمنصور فاتوها اي فاتبعوا الرايات واستقبلوا اهلها
واقبلوا امراء ميرها فان فيها خليفة الله المهدي اي نصرته واجابته ولا ينافي ان ابتداء ظهور
المهدي انما يكون في الحرمين الشريفين ثم ظاهره على جواز ان يقال فلان خليفة الله اذا كان
على طريق وسبيل العدل وقد سبق منعه لكن قد يأول بان المراد منه انه منصوب من الله خليفة
لانبيائه فيصح ان يكون المنصوب هو المنسوب ونظيره قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
رواه احمد اي في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة وكذا الحاكم في مستدركه وعن ابي اسحاق
الظاهر ان المراد به ابو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي قال المولف راى عليا وابن عباس وغيرهما من
الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن ارقم وروى عنه الاعمش وشعبة والثوري وهو تابعي
مشهور كثير الرواية ولد لسنتين من خلافة عثمان ومات سنة تسع وعشرين ومائة قال قال
علي موقوفا ونظر الى ابنه الحسن الجملة حال معترضة بين القول ومقوله واتى بقوله قال تاكيدا
للمبالغة او لتوهم الاطالة ان ابني هذا اشارة الى تخصيص الحسن لئلا يتوهم ان المراد هو الحسين
والجنس سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بقوله على ما سياتي في المناقب ان ابني
هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وسيخرج من صلبه اي
من ذريته رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق اي في جميعه اذ سبق بعض نعته الموافق
لخلقه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصته يملا الارض عدلا بالاضافة ودونها فهذا الحديث دليل
صريح على ما قدمناه من ان المهدي من اولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الام الى
الحسين جمعا بين الادلة وبه يبطل قول الشيعة ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم
المنتظر فانه حسيني بالاتفاق لا يقال لعل عليا اراد بغير المهدي فانا نقول يبطله قصته يملا
الارض عدلا اذ لا يعرف في السادات الحسينية والحسنية من ملا الارض عدلا الا ما ثبت في حق المهدي
الموعود رواه ابو داود ولم يذكر القصة هذا العني ولم يذكر القصة كلام جامع الاصول نقله عنه
صاحب المشكاة وهذا معنى كلام الطيبي قوله لم يذكر القصة المعروف فيه العهد وهذا كلام جامع
الاصول وليس في سنن ابي داود ثم اعلم ان حديث لا مهدي الا عيسى بن مريم ضعيف باتفاق
المحدثين كما صرح به الجزري على انه من باب لا فتى الا علي قال القرطبي الاحاديث عنه صلى
الله عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة اصح من
هذا الحديث فالحكم بها دونه قال ويحتمل ان يكون معناه لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى
انتهى واخرج الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال ان لمهدينا ايتين لم تكونا منذ خلق الله السموات

والارض ينكسف القمر لاول ليلة من رمضان وينكسف الشمس في النصف منه كذا في العرف الوردي
في اخبار المهدي للجلال السيوطي وعن جابر رضي الله تعالى عنه ابن عبد الله قال فقد
الجراد اي عدم في سنة اي عام من سني عمر اي من ايام خلافته التي توفي فيها صفة
لسنته فاهمه اي اغتم عمر بذكره اي بفقده هما شديدا اي خوفا من هلاك سائر الامم لما سياتي
فبعث الى اليمن راكبا وراكبا الى العراق وهو المشرق تفنن في العبارة وراكبا الى الشام ولعل عدم
بعثه الى المغرب لبعده او لفصله بالبحر او لقلة وجوده على الباقي ذكره القطر يسال اي عمر
او كل من الركبان بتخصيص عن الجراد وقوله هل اري روي مجهولا ومعلوما اي بعث قائلا
هل اري منه اي من الجراد شيا اي من اثره او خبره وهو تمنى فاتاه الراكب الذي من
قبل اليمن بقبضة بفتح القاف والضاد المعجمة اي مقبوضة من الجراد فنثرها بين يديه
فلما راها كبر عمر اي فرحا بما سياتي وقال اي عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
عز وجل خلق الف امة المراد كل جنس من اجناس الدواب كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ستمائة بالرفع منها اي من الالف في البحر واربعمائة في
البر وفي نسخة بالنصب في ستمائة واربعمائة على البدلية من الف امة فان اول هلاك هذه
الامة اشارة الى قوله الف امة فالمراد بها الجنس الجراد وفي رواية ان اول هذه الامة بدون
لفظ الهلاك فيقدر هلاكا كما والمراد ان اول هذه الامة خلقا الجراد ويمكن ان يكون المراد بهذه الامة
امته صلى الله عليه وسلم فاذا هلك الجراد تتابعت الامم اي في الهلاك كنظام السلك اي كتتابع خرز
منظوم في الخيط النثر اذا انقطع السلك او كتتابع وجود الخرز في حال نظام السلك لان المقصود من
التشبيه هو التوالي وهو حاصل في الصورتين لكن الاول ابلغ واكمل في ملاحظة وجه الشبه
في الهلاك رواه البيهقي في شعب الايمان **باب علامات بين يدي
الساعة وذكر الدجال** وفي نسخة باب علامات وقوله بين يدي الساعة اي قدامها واصله
ان يستعمل في مكان يقابل صدر الشخص مما بين يديه ثم نقل الى الزمان ثم قوله وذكر الدجال من باب التخصيص
بعد التعميم وهو من دجل اذا ساح في الارض يقال دجل فلان الحق اذا غطاه وفي النهاية اصل الدجل
الخلط يقال دجل اذا لبس وموه والدجال فعال من ابنية المبالغة اي يكثر منه الكذب والتلبيس وهو
الذي يظهر في اخر الزمان يدعي الالهية **الفصل الاول** عن حذيفة بن اسيد بفتح الهمزة
وكسر السين المهملة ذكره ابن الملك ولم يذكره المولف في اسمائه الغفاري بكسر الغين المعجمة
نسبة الى قبيلة منهم ابو ذر قال اطلع بتشديد الطاء اي اشرف النبي صلى الله عليه وسلم علينا اي
وشرفنا بطلعة وجهه المشتمل على الخدين الغالبة نورهما على طلوع القمرين حيث يستفاد منه
ضياء الدارين ونحن نتذاكر اي فيما بيننا فقال ما تذاكرون اي بعضكم مع بعض قالوا وفي نسخة قلنا
نذكر الساعة اي امر القيامة واحتمال قيامها في كل ساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر
ايات اي علامات فذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم بيانا للعشر الدخان قال الطيبي هو الذي ذكر
في قوله تعالى يوم تاتي السماء بدخان مبين وذكر انه كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيده
ما قال ابن مسعود وهو عبارة عما اصاب قريشا من القحط حتى يرى الهوى لهم كالدخان لكن قال
حذيفة هو على حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يملا ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة والمومن يصير كالزكام والكافر كالسكران فقوله يصير كالزكام اي كصاحبه
او مصدر بمعنى المفعول اي كالمزكوم او هو من باب المبالغة كرجل عدل والدجال والدابة

وهي المذكورة في قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وطلوع الشمس من مغربها قبل للدابة ثلاث خرجات ايام المهدي ثم ايام عيسى ثم بعد طلوع الشمس من مغربها ذكره ابن الملك ونزول عيسى بن مريم اي المنضم الى ظهور المهدي الاعظم فهو من باب الاكتفا وقد روى الطبراني عن اوس بن اوس مرفوعا ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ورو التزمذي عن مجمع ابن حارثة مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد في النهاية هو موضع بالشام وقيل بفلسطين كذا في شرح الترمذي للسيوطي وفي القاموس لد بالضم قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها هذا وقد قيل ان اول الايات الدخان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج ياجوج وماجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها فان الكفار يسلمون في زمان عيسى حتى يكون الدعوة واحدة ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الايمان مقبولا من الكفار قالوا ولمطلق الجمع فلا يرد ان نزوله قبل طلوعها ولا ما سياتي من ان طلوع الشمس اول الايات وياجوج وماجوج بالف فيهما وبهمز اي خروجهما وثلاثة خسوف قال ابن الملك قد وجد الخسف في مواضع لكن يحتمل ان يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زايدا على ما وجد كان يكون اعظم مكانا وقدرا خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب بالرفع في الثلاثة على تقدير احدها ومنها ولو روي بالجر كان له وجه من البدلية واخر ذلك اي ما ذكر من الايات نار تخرج من اليمن وفي رواية تخرج من ارض الحجاز قال القاضي عياض لعلها نار ان تجتمعان بحشرات الناس او يكون ابتدا خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز ذكره القرطبي ثم الجمع بينه وبين ما في البخاري ان من اول اشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق الى المغرب بان اخريتها باعتبار ما ذكر من الايات واوليتها باعتبار انها اول الايات التي لا شي بعدها من امور الدنيا اصلا بل يقع بانتهايها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى مع كل اية منها اشيا من امور الدنيا اصلا بل يقع بانتهايها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى كذا ذكره بعض المحققين من العلما الموفقين تطرد اي تسوق تلك النار الناس الى محشرهم بفتح الشين وبكسر اي الى جميعهم وموقفهم قيل المراد من المحشر ارض الشام اذ صح في الخبر ان الحشر يكون في ارض الشام لكن الظاهر ان المراد ان يكون مبتداوه منها او تجعل واسعة يسع خلق العالم فيه وفي رواية اي لمسلم او لغيره نار تخرج من قعر عدن اي اقصى ارضها وهو غير منصرف وقيل منصرف باعتبار البقعة والموضع ففي المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن وفي القاموس عدن محركة جزيرة باليمن تسوق اي تطرد النار الناس الى المحشر وفي رواية في العاشرة اي في بيانها وبدلا عما ذكر فيها من النار وريح تلقي الناس في البحر ولعل الجمع بينهما ان المراد بالناس الكفار ونارهم تكون متضمنة الى ريح شديدة الجري سريعة التاثير في القايها ايام في البحر وهو موضع حشر الكفار او مستقر الكفار الفجار كما ورد ان البحر يصير نارا ومنه قوله تعالى واذا البحار سجرت بخلاف نار المومنين فانها مجرد التخويف بمنزلة السوطة مهابة لتحصيل السوق المحشر والموقف الاعظم والله اعلم رواه مسلم وكذا ابو داود والترمذي والنساي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا اي اسرعوا وسابقوا بالاعمال اي الصالحة النافعة بالاعمال في الاخرة ستا اي ست ايات اي علامات لوجود الساعة اذ يعسر العمل ويصعب فيما بعدها او لم تقبل ولم تعتبر بعد تحققها الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع

الشمس من مغربها وامر العامة اي الفتنة التي يعم الناس والامر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم دون الخواص من تاسير الامة وخويصة احدكم بضم وفتح وسكون وتشديد وهو تصغير خاصة اي الوقعة التي تخص احدكم قبل يريد الموت وقيل هي ما يختص به الانسان من الشواغل المقلقة في نفسه وماله وما يهتم به وصغرت لاستصغارها في جنب ساير الحوادث من البعث والحساب وغير ذلك ويويد ما قررناه بحيث ما حررناه ما قاله شارح يعني ما ذكرناه اي قبل ظهور الايات الست المذكورة في الحديث لان ظهورها يوجب عدم قبول ايمان الناس لكونها ملجية الى الايمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء على عمله فاذا انقطع الثواب انقطع التكليف وقال القاضي امرهم ان يبادروا بالاعمال قبل نزول هذه الايات فانها اذا نزلت دهشتهم وشغلتهم عن الاعمال او سد عليهم باب التوبة وقبول الاعمال وفي الفايق معنى مبادرة الست بالاعمال الانكماش في الاعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها وتانيث الست لانها دواه ومصايب رواه مسلم وكذا احمد في مسنده وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها قال الطيبي فان قيل طلوع الشمس من مغربها ليس اول الامارات لان الدخان والدجال قبله قلنا الايات اما امارات لقرب قيام الساعة واما امارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها ومن الاول الدخان وخروج الدجال ونحوهما ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها والرجفة وخروج النار وطردها الناس الى المحشر وانما سمي اولا لانه مبتدا القسم الثاني ويويده حديث ابي هريرة بعده لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وخروج الدابة وهو بالرفع عطفا على طلوع الشمس وهو خبر اول فيلزم ان يكون الاول متعددا ولهذا قال ابن الملك ولعل الواو بمعنى او ويويده ما في رواية او خروج الدابة على الناس ضحى بالتنوين اي وقت ارتفاع النهار ثم الظاهر ان نسبة الاولية الحقيقية اليهما مبهمة وانها بالنسبة الى احدهما مجازية ولذا قال وايهما ولفظ الجامع فايتهما بالفاء والتانيث ما كانت ما زايدة واي واي الايتين المذكورتين وقعت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها بفتحتين وبكسر فسكون اي تحصل عقبها قريبا اي حصولا او وقوعا قريبا وقد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب بينهما وقال ابن الملك ان قيل كل منهما ليس باول الايات لان بعض الايات وقع قبلها قلت الايات اما امارات دالة على قربها فاولها بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم او امارات دالة على وقوعها قريبا وهي المرادة هنا واما ما حدث بشان اولها خروج الدجال فلا صحة له كذا في جامع الاصول رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اي ايات اذا خرجن فيه تغليب او معناه ظهرن والمراد هذه الثلاث باسرها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وقدم الطلوع وان كان متاخرا في الوقوع لانه مدار عدم قبول التوبة عليه وان ضم خروج غيره اليه رواه مسلم وكذا الترمذي وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس اتدري اين تذهب هذه اي الشمس والاشارة للتعظيم قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش انما هو بعد الغروب وفي الحديث يشهد على من زعم ان المراد مستقرها غاية ما ينتهي اليه في الارتفاع وذلك يوم في السنة الى منتهى امرها عند انتها الدنيا قال الخطابي يحتمل ان يراد بذلك انها تستقر استقرارا علمنا لا نحيط به فتستاذن بالرفع في اصل السيد وبعض النسخ المصححة وكذا قوله فيوذن لها ويوشك ان تسجد ولا يقبل بالتذكير اي السجود والظرف

طا

نووي جح

هو نايب الفاعل ويونث اي السجدة منها اي من الشمس وهو مرفوع وقيل منصوب وكذا قوله ولسنا ان فلا يوذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري قال وقوله لمستقر لها قال الخطابي عن بعض اهل التفسير معناه ان الشمس تجري لاجل قدر لها يعني الي انقطاع مدة بقاء هذا العالم وقال بعضهم مستقرها غاية ما ينتهي اليه في صعودها وارتفاعها لاطول يوم من الصيف ثم تاخذ في النزول في اقصي مشارق الشتا لاقصر يوم في السنة واما قوله مستقرها تحت العرش فلا ينكر ان يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وانما اخبر عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه لان علمنا لا يحيط به ذكره الطيبي متفق عليه رواه الترمذي والنسايي وعن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الي قيام الساعة امرا نافية والمعني ليس فيما بينهما فتنة اكبر اي اعظم من الدجال لعظم فتنته وبليته ولشدة تلبيسه ومحنته رواه مسلم وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن هشام بن عامر فلينتظر في الاصول ليتحقق النقول وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله لا يخفي عليكم اي بالنظر الي نعوته الثبوتية وصفاته السلبية وتنزهه عن العيوب والنقايص وساير الحدوثات الزمانية والمكانية فالجملة توطية لقوله ان الله ليس باعور ومفهومه لا يعتبر فان المراد به نفي النقص والعيب لا لاثبات الجارحة بصفة الكمال قال الطيبي هو التنزيه كما وسط سبحانه في قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وان المسيح بحا مهملة هو الصواب المعروف وهو فعيل بمعني فاعل فانه يمسح الارض جميعها بسرعة او بمعني مفعول فانه ممسوح احدي العينين قال السيوطي نقلا عن ابي بكر القرشي ان من شدد سينه او اعجم خاه فقد حرف انتهي وهو لقب مشترك بينه وبين عيسي بن مريم عليه السلام لكنه يطلق عليه بمعني الماسح لحصول البرابركة مسيه وبمعني الممسوح لنزوله نظيفا من بطن امه وفي القاموس المسيح عيسي عليه السلام لبركته وذكرت في اشتقاقه خمسين قولا في شرحي لمشارق الانوار وغيره والدجال لشومه وهو كسكين والممسوح بالشوم والكثير السياحة كالمسيح كسكين والممسوح الوجه والكذاب الدجال تقدم معناه اعور عين اليمني من باب اضافة الموصوف الي الصفة ومنه لم يجوزه كالطيبي قال اي عين الجثة والجهة اليمني كان بتشديد النون عينه اي العوراء الاخري عنبة اي شبيهة بها فهو تشبيه بليغ طافية بالياء وبهمز اي مرتفعة قال ميرك روي بهمز وتركه وكلاهما صحيح قال الطيبي هي الناتية عن اخواتها من الطفو وهي ان يعلو الشي علي الما انتهي ومنه الطافي من السمك ولا تنافي بين هذه الرواية وبين ما روي انها ليست بناتية ولا حجرا اي لا طافية مرتفعة ولا غايرة منجحرة لامكان اجتماع الوصفين باختلاف المعني وقال ابن الملك في شرح المشارق طافية بالهمز اي ذهب ضوها وروي بغير الهمز اي ناتية بارزة قال التوربشتي في الاحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها ونحن نسال الله تعالي التوفيق في التوفيق بينها وسنبين كلامنا علي حد نعت الحديث الذي ذكر فيه ما يتعلق به ففي هذا الحديث انها طافية وفي اخري انه جاحظ العين كانها كوكب وفي اخري انها ليست بناتية ولا حجرا وسبيل في التوفيق بينها ان نقول انما اختلف الوصفان بحسب اختلاف المعنيين ويويد ذكره ما في حديث ابن عمر هذا

انه اعور عين اليمني وفي حديث حذيفة انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وفي حديث ايضا انه اعور عين اليسري ووجه الجمع بين هذه الاوصاف المتنافرة ان يقدر فيها ان احدي عينيه ذاهبة والاخري معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عورا اذ الاصل في العور العيب وذكر نحوه الشيخ محيي الدين كذا في شرح الطيبي متفق عليه وعن انس رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من نبي الا قد انذر امته الاعور الكذاب اي خوفهم ولا يشكل هذا بما ثبت انه يقتله عيسي بعد ان ينزل فيحكم بالشريعة المحمدية لان تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حتي انذروا قومهم وايضا يحمل علي هذا ما في بعض طرقه ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه علي ما سياتي فان ذلك كان قبل ان يتبين له وقت خروجه فاخبر به علي انه يحتمل ان الابهام انما وقع بسبب ان العلامات قد يكون وجودها معلقا بشرط فاذا فقد يتصور خروجه بعدم ظهورها ونظيره خوف الانبيا والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين مع تحقق عصمتهم وثبوت امنهم من العذاب المهين ولذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة علي لسان سيد المرسلين ولانه لا يجب علي الله تعالي شي وافعاله لا تعلل والاسباب لا تقتضي وجودنا ولا تاثيرها ايضا بعد حصولها ولعل هذا هو الوجه في السلب لبهيم حتي ظهر علي لسان صاحب الدين لا لاقوم والله سبحانه وتعالي اعلم وتقال ان المراد بالدجالين من يدعي الالوهية من الرجال كفرعون وشداد ونمرود وساير الابطال ولا يخلو كل منهم من نقصان العدد سوا ما بطن فيه او ظهر عند اهل النظر لكن اذا جا القدر عمي البصر وبطل الحذر ويكون الدجال الموعود اشد فتنة وبلية علي العامة لظهور وكبرياربنا وعظمته اكبر من ان يعرف كنه او يقدر ومظاهر تجلياته الجمالية والجلالية اكثر من ان تحصي وتحصر وقد قال الشيخ ابو مدين المغربي لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته فينبغي للسالك ان يقوله دايما بعد امتثال الاوامر واجتناب النواهي اي ارنا الاشيا كما هي وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وان كلا به الا للتنبيه انه اي الدجال اعور اي وهو الغالب ان يكون طالبا للشر وان ربكم ليس باعور اي يتنزه ان يكون ناقصا ومعيبا في ذاته وصفاته وهو الكلام منه عليه السلام من باب التنزل الي عقل العوام وفهومهم بما ورد كلم الناس علي قدر عقولهم ونظيره ما في التنزيل ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها والمعني ان الاصنام مع كمال عجزهن ونقصان الانهن بالنسبة الي العابدين يصلحن ان يكون في مرتبة المعبودين وليس القصد انهن لو فرض ان يكون هذه الاعضا ثابتة لهن كان يجوز ان يعبدون وقد روي ان ابراهيم عليه السلام قال لامه من ربي فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك قال من ربه قالت نمرود قال من ربه قالت هو الرب الاكبر لان جنده الاكثر فقال لامه ان كان الامر كذلك فلاي شي صورته قبيحة وصورة غلمانه مليحة وخلاصة الكلام انه عليه السلام جعل ذلك العيب الاكبر والنقصان الاظهر علامة كذبه وكفره لئلا يبقي للناس عذر في قبول تلبيسه ومكره مع ان الدلايل العقلية والبراهين النقلية تشهد علي ان الجسم لا يكون الها وان الحادث المعيوب لا يصح ان يكون معبودا مكتوب بين عينيه كفر رقيه اشارة الي انه داع الي الكفر لا الي الرشد فيجب اجتنابه وهذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الامة حيث ظهر رقم الكفر بين عينيه قال الطيبي ولعل المراد بالتخصيص ان لا يتوهم فيه السماحة من حيث المعني قال النووي هو بيان علامة تدل علي

كذب الدجال دلالة قطعية بديهية بدركها كل احد ولم يقتصر على لحوقه جسما او غيره ذلك من الدلايل القطعية لكون بعض العقول لا يهتدي اليها متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا للتنبيه احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث اي حديثا لم يحدث به نبي قومه ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام ولا للنفي وبالمصادرة محذوفة او بادر جوابهم بقوله انه اعور اي مصور بصورة كريهة ظاهرة ومن ذاك بسيرة مموهة باهرة على طريقة الطايفة الساحرة وهذا معنى قوله وانه اي الشان يجي معه بمثال الجنة وفي رواية بمثال الجنة والنار فالبا للتعدية والمعنى انه ياتي بصورتهما معه في نظر الناس مما تقلب الله حقيقتهما في حق المومنين او البا زايدة اي تسير معه مثلهما ويصحب له شكلهما ويويده ما في رواية يجي معه تمثال بكسر المثناة الفوقية بدل الجار اي صورتهما فالتي اي فالصورة التي يقول انها الجنة اي ويظهر بادي الراي انها النعمة هي النار اي ذات النقمة والظاهر ان هذا من باب التقاوين لعالية الحديث بلبية فالتقدير والتي يقول انها النار هي الجنة ونظيره الدنيا في نظر العارفين من ان نعمتها نقمة ونقمتها نعمة ومحنتها منحة ومنحتها محنة وحسنها وقبحها مختلفة كالنيل ماء للمحبوبين ودما للمحجوبين وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين قال شارح يعني من دخل جنته استحق النار لانه صدقه فاطلق اسم المسبب على السبب اقول وكذا من لم يطعه ورماه في النار استحق دخول الجنة لانه كذبه لكن الاظهر انهما ينقلبان وينعكسان بالفعل عليهما كما ورد في القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ويحسنه قوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وكذا الدنيا المكدرة المسماة بالسجن تصير جنة للعارفين الواقفين في مقام الرضا كما قيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وكذا زهرة الدنيا بالنسبة الى اربابها لعدم حصول همهم مع ربها كالسم في الدسم والهم في الدرهم والنار في الدينار وربما لا يحسون بها كالمجنون او المجروح في حالة ابتدا الجراحة وكالمصروع ولذا قيل

سوف ترى اذا انجلى الغبار ۝ افرس تحتك ام حمار

وقضية ولد السلطان حال كونه سكران وعناقه للميتة المجوزة المعطرة مشهورة بين اهل العرفان قال النووي هذه الاحاديث حجة لمذهب اهل الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشيا من مقدورات الله تعالى من احيا الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه واتباع كنوز الارض له وامره السما ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويقتله عيسى بن مريم ويثبت الله الذين امنوا وقصته عظيمة حد اندهش العقول وتحير الالباب مع سرعة مروره في الارض فلا يمكث بحيث يتامل الضعفا دلايل الحدوث والنقص فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الانبيا عليهم السلام من فتنته ونبهوا عن نقصه ودلايل ابطاله واما اهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون لما فيه لما ذكرناه من الدلايل المكذبة له مع ما سبقهم من العلم بحاله ولذا قال الا انذركم كما انذر به نوح قومه فان قيل لم خص نوحا عليه السلام بالذكر قلت فان نوحا عليه السلام مقدم المشاهير من الانبيا كما خصه بالتقديم في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ذكره الطيبي وفيه انه انما يتم هذا ان صح ان من سبقه من الانبيا انذر قومه والا فتركه

على حقيقة

على حقيقة اولويته ويدل عليه حديث انه لم يكن نبي بعد نوح الا قد انذر الدجال قومه واما تقديمه في الاية فلكونه مقدما على سابر اولي العزم من الرسل بحسب الوجود ولذا قدم نبينا صلى الله عليه وسلم في اية اخرى على اولي العزم لكونه تقدمه وجودا ورتبة وهي قوله سبحانه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وحاصله ان الخمسة هم اولو العزم من الرسل واجتمع ذكرهم في الايتين المذكورتين والله اعلم متفق عليه وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال يخرج ومعه ماء اي وما يتولد منه من اسباب النعم بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما تقدم ويرغب اليه من اطاعه ونار اي ما يكون ظاهره سببا للعذاب والمشقة والالم يخوف به من عصاه فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق واما الذي يراه الناس نارا فما بارد وعذب اي عذب بكسر العطش والمعنى ان الله تعالى يجعل ناره ماء باردا لمن لم يعلى من كذبه والقاه فيها غيظا كما جعل نار نمرود بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ويجعل ماءه الذي اعطاه من صدقه نارا محرقة دايمة ويحتمل ان ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخيل منه وشعبذة كما يفعله السحرة والمشعبذون مع احتمال ان الله تعالى يقلب ناره وماءه الحقيقتان فانه على ما يشاء قدير فمن ادرك ذلك اي الدجال او ما ذكر من تلبيسه منكم فليقع في الذي يراه نارا اي فليختر تكذيبه ولا يبالي بايقاعه فيما يراه نارا فانه ماء عذب طيب اي في الحقيقة او في القلب او بحسب المال والله اعلم بالحال والكلام من باب الاكتفا فالتقدير ولا يصدقه مغترا بما يراه معه ما فانه نار وعذاب وحجاب متفق عليه وزاد مسلم وان الدجال ممسوح العين اي موضع احدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له اثر العين قال القاضي اي ممسوح احدى عينيه للحديث السابق وتطاير عليها اي على العين الاخرى بحيث لا تواري الحدقة باسرها لتعمها ظفرة بفتحتين اي لحمة غليظة او جلدة او على العين الممسوحة ظفرة مكتوب بين عينيه كافر كما سبق يقروه كل مومن كاتب بالجر بدلا من مومن وفي نسخة بالرفع بدل بعض من كل وغير كاتب وفي رواية لمسلم عن انس مرفوعا الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقروه كل مسلم وعنه اي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال اعور العين اليسرى قد سبق انه اعور العين اليمنى فانه ممسوح احدى عينيه فالجمع ان يقال احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عورا اذ العور في الاصل هو العيب وقيل ان الاعور انما يكون بالنسبة الى اشخاص متفرقة فقوم يرونه اعور اليسرى وقوم يرونه اعور اليمنى ليدل على بطلان امره لانه اذا كان لا يدري خلقته كما هي دل على انه ساحر كذاب قال شارح ويحتمل ان يكون احدهما من سهو الراوي وفي الجامع رواه البخاري في تاريخه عن ابي هريرة مرفوعا الدجال عينه خضرا انتهى كالحديا والغول فتلون بالوان شتى جفال الشعر بضم الجيم اي كثير الشعر المجتمع كما في الفايق معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجة وعن النواس بتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين ويفتح قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال اي خروجه وساير اموره وابتلا الناس به فقال ان يخرج وانا فيكم اي موجود فيما بينكم فرضا وتقديرا فانا حجيجه فعيل بمعنى الفاعل من الحجة وهي البرهان اي غالب عليه بالحجة دونكم اي قدامكم ودافعه عنكم وانا امامكم وفيه ارشاد الى انه صلى الله عليه وسلم كان في المحاجة معه غير محتاج الى معاونة معاون من امته في غلبته عليه بالحجة كذا ذكره الطيبي والاظهر انه صلى الله عليه وسلم يديه فمه نبوة

النبوة وهي خارق عادته الباطل بمعجزاته المقرونة بالحق من غير دليل وبرهان لان بطلانه
اظهر من الشمس عند ارباب العرفان وايضا هو من المصممين على الباطل من دعوته ولم يلتفت
الى المجادلة واثبات الادلة والا فحجيجا الله سبحانه من يوجد في الامة من تحقق امثلة بالحجة
لاسيما خاتمة الاوليا وهو المهدي وزبدة الانبيا وهو عيسى عليه السلام وحاصله انه لا ينفع
معه الكلام من فمه اما باعدامه مع وجود سيد الانام او بذو بانه وقتله على يد عيسى
عليه السلام هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله اعلم بالمرام قال التوربشتي فان قيل او ليس قد ثبت
في احاديث الدجال انه يخرج بعد خروج المهدي وان عيسى عليه السلام يقتله الى غير ذلك
من الوقايع الدالة على انه لا يخرج ونبي الله بين اظهرهم بل لا في القرون الاولى من هذه الامة فما
وجه قوله ان يخرج وانا فيكم قلت انما سلك هذا المسلك من التورية لا يقا الخوف على المكلفين
من فتنته والملجا الى الله تعالى من شره لينالوا بذلك من الله ويتحققوا بالشح على دينهم
وقال المظهر يحتمل ان يريد تحقق خروجه والمعنى لا تشكوا في خروجه فانه سيخرج لا محالة
وان لم يعلم علم بوقت خروجه كما انه كان لا يدري متى الساعة قال الطيبي والوجه الثالث
من الوجهين هو الصواب لانه يمكن ان يكون قوله هذا قبل علمه صلى الله عليه وسلم بذلك
اقول كان حقه ان يقول هو الظاهر ليطابق تعليله بقوله لانه يمكن اذ مع الامكان والاحتمال
لا يقال في حق احدهما هو الصواب لاحتمال الخطا في كل واحد منهما والله اعلم بالصواب وخلاصة
المعنى اني ان كنت فيكم فاكفيكم شره وقت خروجه وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج
نفسه بالرفع اي فكل امرء يحاجه ويحاوره ويغالبه لنفسه كذا قال الطيبي اي
ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجة كذا قاله ابن الملك لكن هذا على تقدير
انه يسمع الحجة والا فالمعنى ان كل احد يدفع عن نفسه شره بتكذيبه واختيار صورة تكذيبه
والله خليفتي على كل مسلم يعني والله سبحانه وتعالى ولي كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع
شره وهذا دليل على ان المومن الموقن لا يزال منصورا وان لم يكن معه نبي ولا امام ففيه رد على الامامية
من الشيعة انه اي الدجال وهو استيناف بيان لبعض احواله وتبيان لبعض ما يفيد في دفع
شر افعاله شاب فيه اشعار بانه غير ابن الصياد وايما الى انه محروم من بياض الوقار وثابت
على اشتداد السواد في الظاهر الذي عنوان الباطن من سواد الفواد قطط بفتح القاف
والطا وكسر قال النووي هو بفتح القاف والطا اي شديد جعودة الشعر وفيه ايما الى استحباب
تسريح الشعر دفعا للمشابهة بالهيئة البشعة عينه طافية بالياء وبهمز اي مرتفعة
كاني اشبهه بتشديد الموحدة اي امثله بعبد العزى بضم العين وتشديد الزاي بن
قطن بفتحتين وهو يهودي قاله شارح وقال الطيبي قيل انه كان يهوديا ولعل
الظاهر انه مشترك لان العزى اسم صنم ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي هو رجل
من خزاعة هلك في الجاهلية ثم قال الطيبي لم يقل كانه عبد العزى لانه لم يكن
صلى الله عليه وسلم جازما في تشبيهه به قلت لا شك في تشبيهه به الا انه لما كان
معرفة المشبه به في عالم الكشف او المنام نعبر عنه بكاني كما هو المعتبر في تعبير حكاية الرويا
والله اعلم ويمكن ان يقال لما لم يوجد في الكون اقبح منه صورة فلا يتم التشبيه من جميع
الوجوه بل ولا من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم وعبر عنه بما عبر عنه ثم في صيغة
الحال اشعار باستحضار صورة المال فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف اي

اولها

روضـــــسمعوجل

اولها الى كهف بالدلالة تلك الايات على معرفة ذات الله وصفاته ونبوة كتابه واياته بينانة وصدق
رسوله وانبائه بمعجزاته ما يصير خوارق عادات الدجال هبا منثورا وان تابعه بد عو غلا كا
ويثبورا قال الطيبي فالمعنى ان قراته امان له من فتنته كما امن تلك الفتية من فتنة
دقيانوس الجبار وفي رواية اي لمسلم ايضا فليقرا عليه بفواتح سورة الكهف فانها
جواركم من فتنته اي بلية الدجال والجوار بكسر الجيم وفي اخره را على ما في نسخة
السيد والشيخ الجزري وكثير من النسخ المصححة وفي بعضها بفتح الجيم وزاي في اخره
وهو الصك الذي ياخذه المسافر من السلطان او نوابه ليلا يتعرض له المترصد في الطريق
واقتصر عليه شارح المصابيح وذكره ابن الملك ثم قال وفي بعض النسخ بكسر الجيم وبالرا
فمعناه حافظكم انتهي وفي بعض شروح البردة الجوار بالكسر والضم والكسر افصح هو الامان
هذا والمتبادر من كلام المولف انها رواية لمسلم لكن صرح الجزري في حصنه بانها
رواية ابي داود عن النواس لكن لفظه من ادرك الدجال فليقرا عليه فواتحها فانها
جوار له من فتنته ثم اعلم انه جاء في الحصن روايات متعددة في هذا المعنى حيث قال
من قرا الى الكهف كما انزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرا بعشر ايات من
اخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث ابي
سعيد الخدري واللفظ للنسائي وقال رفعه خطا والصواب انه موقوف واخرج
الطبراني في الاوسط من حديث ابي سعيد ايضا واختلف في رفعه ووقفه ايضا
ولفظه قرا سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة ومن قرا بعشر
ايات من اخرها ثم خرج الدجال لم يضره وروى مسلم وابو داود عن ابي الدردا مرفوعا
من حفظ عشر ايات من اولها عصم من الدجال وفي رواية ابي داود والنسائي عنه من
فتنة الدجال وفي رواية لمسلم وابي داود عنه من حفظ عشر ايات وللنسائي عنه من
قرا العشر الاواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية للترمذي عنه من قرا
ثلاث ايات من اول الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية لمسلم والاربعة عن النواس
ابن سمعان من ادرك الدجال فليقرا عليه فواتحه الحديث قيل وجه الجمع بين الثلاث
وبين قوله صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر ايات ان حديث العشر متاخر ومن عمل
بالعشر فقد عمل بالثلاث وقيل حديث الثلاث متاخر ومن عصم بثلاث فلا حاجة الى
العشر وهذا اقرب الى احكام النسخ اقول بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ مع ان النسخ انما يكون
في الانشا لا في الاخبار فالاظهر ان اقل ما يحفظ به عن شره قراة الثلاث وحفظها اولا وهو
لا ينافي الزيادة كما لا يخفى وقيل حديث العشر في الحفظ وحديث الثلاث في القراة فمن
حفظ العشر وقرا الثلاث كفي وعصم من فتنة الدجال وقيل من حفظ العشر عصم من
ان لقيه ومن قرا الثلاث عصم من فتنته ان لم يلقه وقيل المراد من الحفظ القراة على ظهر
القلب ومن العصمة الحفظ من افات الدجال والله اعلم بالاحوال انه اي الدجال خارج
خلة بفتح معجمة وتشديد بد لام اي طريقا واقعا بين الشام والعراق واصله الطريق في الرمل
وقال شارح اي سبيلا بينهما ففيه اشارة الى انها منصوبة بنزع الخافض ويويده ما في النهاية
اي في طريق بينهما قال النووي هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح الخا المعجمة وتنوين التا
وقال القاضي المشهور فيه حلة بالحا المهملة ونصب التا يعني غير منونة ومعناه سمت

ذلك وحبالته قلت المناسب ان يكون هي الحلة بناحية دجلة من بغداد اهلها شر من في البلاد من العباد وقال ورواه بعضهم حله بضم اللام وجه الضبر اي نزوله وحلوله قاله وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين ايضا بلادنا وقوله فعاث هو بعين مهملة وثاء مثلثة ماض من العيث وهو اشد الفساد والاسراع فيه وحكي القاضي انه رواه بعضهم فعاثا علي صيغة اسم الفاعل لكونه عطفا علي اسم فاعل قبله وهو خارج قلت اكثر النسخ ومنها اصل السيد علي انه فعل ماض من العيث وفي بعضها عاث كقاض من العثي بمعني العيث وهو الافصح الموافق لما في التنزيل من قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين ولكن القول بانه الصواب خطا اذ هما لغتان بمعني الافساد علي ما هو مقرر في كتب اللغة فالحاصل ان الدجال افسد او مفسد يمينا وعاث شمالا اذ هما ظرفا عاث والمعني يبعث سراياه يمينا وشمالا ولا يكتفي بالافساد فيما يطاوه من البلاد فيتوجه له من الاغوار والانجاد فلا يامن من شره مومن ولا يخلوا من فتنته موطن ولا مامن يا عباد الله اي ايها المومنون الموجودون في ذلك الزمان او انتم ايها المخاطبون علي فرض انكم تدركون ذلك الاوان فاثبتوا اي علي دينكم وان عاقبكم قال الطيبي هذا من الخطاب العام اراد به من يدرك الدجال من امته ثم قيل هذا القول منه استمالة لقلوب امته وتثبيتهم علي ما يعانونه من شر الدجال وتوطينهم علي ما هم فيه من الايمان بالله تعالي واعتقاده وتصديق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا يا رسول الله وما لبثه بفتح لام وسكون موحدة اي ما قدر مكثه وتوقفه في الارض قال اربعون يوما سياتي حديث يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر الخ لكنه نقل البغوي في شرح السنة ولا يصلح ان يكون معارضا لرواية مسلم هذه وعلي تقدير صحته لعل المراد باحد المكثين مكث خاص علي وصف معين مبين عند العالم به يوم اي في تلك الاربعين كسنة اي مقدار عام في طول الزمان او في كثرة الغموم والاحزان ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قال ابن الملك قيل المراد منها ان اليوم الاول لكثرة غموم المومنين وشدة بلاء اللعين يري لهم كسنة وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف امره فيري كشهر والثالث يري كجمعة لان الحق في كل وقت يزيد قدره والباطل ينقص حتي ينمحق اثره او لان الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم الي ان يضمحل شدتها ولكن هذا القول مردود لانه غير مناسب لما ذكره الراوي قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اي مثلا يكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروا له قدره بل هذا جار علي حقيقته ولا امتناع فيه لان الله تعالى قادر علي ان يزيد كل جزء من اجزاء اليوم الاول حتي يصير مقدار سنة خارقا للعادة كما يزيد في اجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى وفيه ان هذا الذي فرع علي المنوال الذي حرره لا يفيد الا بسط الزمان كما وقع له صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء مع زيادة طي المكان لكن لا يخفي ان سبب وجوب كل صلوة انما هو وقته المقدر من طلوع صبح وزوال وغروبه وغيبوبة شفقه وهذا لا يتصور الا بتحقق تعدد الايام والليالي علي وجه الحقيقة وهو مفقود فالتحقيق ما قاله الشيخ التوربشتي رحمه الله وهو انه يشكل من هذا الفصل قوله صلى الله عليه وسلم يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة مع قوله وسائر ايامه كايامكم ولا سبيل الي تاويل امتداد تلك الايام علي انها وصفت بالطول والامتداد لما فيها من شدة البلاء وتفاقم الباس والضر لانهم قالوا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلوة يوم

قال لا الحديث فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق فقد تبين لنا باخبار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ان الدجال يبعث معه من المشبهات ويفيض علي يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم ويخطف من ذوي الابصار ابصارهم فمن ذلك تسخير الشياطين له ومجيئه بجنة ونار واحيا الميت علي حسب ما يدعيه وتقويته علي من يريد اضلاله تارة بالمطر والعشب وتارة بالازمة والجدب ثم لا خفا بانه اسحر الناس فلم يستتب لنا تاويل هذا القول الا ان نقول انه ياخذ باسماع الناس وابصارهم حتي يخيل اليهم ان الزمان قد استمر علي حالة واحدة اسفار بلا ظلام وصباح بلا مسا يحسبون ان الليل لا يمد عليهم رواقه وان الشمس لا تطوي عنهم ضياها فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم الدواخل باختفا الايات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار فامرهم ان يجتهدوا عند مصادمة تلك الاحوال ويقدروا لكل صلوة قدرها الي ان يكشف الله عنهم تلك الغمة هذا الذي اهدانا اليه من التاويل والله الموفق لاصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل وفي شرح مسلم للنووي قالوا هذا علي ظاهره وهذه الايام الثلاثة طويلة وعلي هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله وسائر ايامه كايامكم واما قوله صلى الله عليه وسلم اقدروا له قدره فقال القاضي وغيره هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا الي اجتهادنا لاقتصرنا علي الصلوات عند الاوقات المعروفة في غيره من الايام ومعناه اذا مضي بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم اذا مضي بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر واذا مضي بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وكذا حتي ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرايض كلها مودات في وقتها واما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فيقاس علي اليوم الاول في انه يقدر له كاليوم الاول علي ما ذكرناه انتهى وحاصله ان الاوقات للصلوات اسباب وتقديم المسببات علي الاسباب غير جائز الا شرعا مخصوص كما تقدم العصر علي وقته بعرفات يعني اقدروا اي قدروا وجعلوا له اي لاداء الصلوات الخمس قدره اي قدر يوم كذا قيل والاظهر ما قاله شارح اي قدروا الوقت صلوة يوم في يوم كسنة مثلا قدره اي قدر الذي كان له في سائر الايام كمحبوس اشتبه عليه الوقت قلنا يا رسول الله وما اسراعه اي ما قدر اسراعه او كيفيته اي اسراعه في الارض اي في سيرها وطي مساحتها وقال الطيبي لعلهم علموا ان له اسراعا في الارض فسالوا عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه فسالوا عن كميته بقولهم ما لبثه قال كالغيث اي كاسراعه والمراد به هنا الغيم اطلاقا للسبب علي المسبب اي يسرع في الارض اسراع الغيم اذا اشتدت به الريح قال ابن الملك الجملة حال او صفة للغيث وال فيه للعهد الذهني والمعني هذا امثال وكيفية ولا يمكن تقديرها بمدة فياتي اي يمر الدجال علي القوم اي علي جنس من الناس فيدعوهم اي الي باطله فيومنون به فيامر السما اي السحاب فتمطر من الامطار حتي تجري الانهار والارض اي ويامرها فتنبت من الانبات حتي يظهر الازهار استدراجا من الواحد القهار فتروح عليهم سارحتهم اي فترجع بعد زوال الشمس اليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة الي مراعيها اطول ما كانت اي السارحة من الابل ونصب اطول علي الحالية وقوله ذري بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الرا منونا جمع ذروة مثلثة وهي اعلي السنام وذروة كل شي اعلاه وهو كناية عن كثرة السمن واسبغه اي واتم ما كانت ضروعا بضم او فتح جمع ضرع وهو الذي كناية عن كثرة اللبن وامده اي وامد ما كانت خواصر وهو اسم تفضيل من المد خواصر جمع خاصرة وهي

نووي جـ ص ٤٦٧٠

فصلوا العصر صح

ما تحت الخشب ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الاكل ثم يأتي القوم اي قوما اخرى وفي العدول عن
قوله على بنا ما سبق اشعار بان اتيانه على الاولين ضرر في الحقيقة دون الاخرين فيدعوهم اي
بدعوى الالوهية فيردون عليه قوله اي لا يقبلونه او يبطلونه بالحجة فينصرف عنهم فيه اشارة الى انه
ليس له قوة الاجبار قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
والمعنى فيصرفه الله عنهم فيصبحون ممحلين بضم الميم وبالمهملة اي داخلين في المحل قال التوربشتي
امحل القوم اصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا ليس بايديهم شي من
اموالهم والحاصل ان المومنين مارواه مبتلين بانواع من البلاء والمحن والضراء لكنهم صابرون
وراضون وشاكرون ولعلها اعطاهم الله من صفات الاولياء ببركة سيد الانبيا وسيد الاصفياء ويمر على
الخربة بكسر الراء اي يمر الدجال بالارض الخربة او بالبقاع الخربة فيقول لها اخرجي كنوزك اي مدفونك
ومعادنك فتتبعه الفا فصيحة اي فتخرج فتعقب الرجال كنوزها كيعاسيب النحل اي كما
يتبع النحل اليعسوب وهو اميرها ومنه قيل للسيد يعسوب وروى الديلمي عن علي
مرفوعا علي يعسوب المومنين والمال يعسوب المنافقين ففي الكلام نوع قلب اذ حق
الكلام كنحل اليعاسيب ولعل النكتة في جمع اليعاسيب هو الايما الى كثرة الكنوز التابعة
وانه قد ركه جمع باعتبار جوانبه واطرافه والمراد جمع من امرائه وكذا به قال النووي اليعاسيب
ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضي المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة
لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو اميرها لانه متى طار تبعه جماعة وقال الاشرف
قوله كيعاسيب كناية عن سرعة اتباعه اي تتبعه الكنوز بالسرعة وقال الطيبي اذا
كان قوله كيعاسيب حالا من الرجال فالخربة صفة البقاع واذا كان حالا من الكنوز
فيجوز ان يكون الموصوف جمعا او مفردا ثم يدعو رجلا اي يطلبه حال كونه ممتليا اي تاما
كاملا قويا شبابا بالتمييز عن النسبة قال الطيبي والممتلي شبابا هو الذي يكون في غاية
الشباب فيضربه بالسيف اي غضبا عليه لابائه قبول دعوته الالوهية او اظهارا للمقدرة
وتوطئة لخرق العادة فيقطعه جزلتين بفتح الجيم وتكسر اي قطعتين تتباعدان رمية
الغرض اي قدر حذف الهدف فهي منصوبة بمقدر وفايدة التقييد به ان يظهر عند
الناس انه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة قال النووي هو بفتح الجيم على
المشهور وحكى ابن دريد كسرها ويعني رمية الغرض انه يجعل الجزلتين مقدار رمية الغرض
هذا هو الظاهر المشهور وحكى القاضي هذا ثم وعندي ان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره
فيصيبه اصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين والصحيح الاول قال التوربشتي اراد برمية
الغرض اما سرعة نفوذ السيف واما اصابة المحز قال الطيبي ويؤيد تاويل النووي قوله
في الحديث الذي يليه ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يدعوه فيقبل اي الرجل
الشاب على الدجال ويتهلل اي يتلالا ويضي وجهه يضحك حال من فاعل يقبل اي
يقبل ضاحكا بشاشا فيقول هذا كيف يصلح الها فبينما بالميم على الصحيح هو اي الرجل كذلك
اي على تلك الحال وذلك المنوال اذ بعث الله المسيح بن مريم فسبحان من يدفع المسيح
بالمسيح قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فينزل اي عيسى
عند المنارة البيضاء شرقي بالنصب على الظرفية مضافا الى قوله دمشق بكسر الدال
وفتح الميم وتكسر وهو المشهور الان بالشام فان تحت ملكه وفي الجامع روى الطبراني

عن اوس بن اوس ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضا شرقي دمشق ذكر السيوطي في
تعليقه على ابن ماجة انه قال الحافظ ابن كثير في رواية ان عيسى عليه السلام ينزل ببيت المقدس
وفي رواية بالاردن وفي رواية بمعسكر المسلمين قلت حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجة وهو
عندي ارجح ولا ينافي سائر الروايات لان بيت المقدس شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين اذ ذاك والاردن
اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل فيه وان لم يكن في بيت المقدس الان منارة فلا بد ان تحدث
قبل نزوله والله اعلم وقوله بين مهرودتين بالدال المهملة ويعجم اي حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس
حلتين مصبوغتين بورس او زعفران قال النووي روي بالدال المهملة والذال المعجمة اكثر والوجهان مشهوران
للمتقدمين والمتاخرين واكثر ما يقع في النسخ بالمهملة ومعناه لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران
انتهى وقال ابن الانباري يروى بدال مهملة ومعجمة اي بين ممصرتين على ما جاء في الحديث ولا نسمعه الا فيه
وكذا كلام اشيا كثيرة لم تسمع الا في الحديث والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة كذا في النهاية واضعا
كفيه على اجنحة ملكين حال لبيان كيفية انزاله كما ان ما قبله حال لبيان كيفية لبسه وجماله ثم بين له
حالا اخرى بقوله اذا طاطا بهمزتين اي خفض راسه قطر اي عرقه واذا رفعه اي راسه تحدر بتشديد
الدال اي نزل منه اي من شعره قطرات نورانية كالجمان بضم الجيم وتخفيف الميم وتشديد حب يتخذ
من الفضة كاللولو في الصفا والبياض ففي النهاية الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم حب يتخذ من
الفضة على هيئة اللالي الكبار قال الطيبي شبهه بالجمان في الكبر شبه الجمان باللولو في الصفاء
والحسن فالوجه ان يكون الوجه الكبر مع الصفا والحسن وفي القاموس الجمان كغراب اللولو او هنات
اشكال اللولو وقال شارح الجمان بتشديد الميم وقال ابن الملك بالتشديد اللولو الصغار وبتخفيفها
حب يتخذ من الفضة وقيل المراد بالجمان في صفة عيسى عليه السلام هو الحب المتخذ من الفضة
قلت بل هو المتعين لقوله كاللولو فلا يحل بكسر الحا اي لا يمكن ولا يقع لكافر ان يجد من ريح نفسه
بفتح الفا الا مات كذا ذكره النووي وقال القاضي معناه عندي حق واجب قال ورواه بعضهم
بضم الحا وهو وهم وغلط قال الطيبي معناه لا يحصل ولا يحق ان يجد من ريح نفسه وله
حال من الاحوال الا حال الموت فقوله يجد مع ما في سياقه فاعل يحل على تقدير ان ونفسه
ينتهي حيث ينتهي طرفه بسكون الراء اي لحظه ولمحه ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا
الحكم لحكمة اراقة دمه في الحربة ليزداد كونه ساحرا في قلوب المومنين ويجوز كون هذه الكرامة
لعيسى اولا حين نزوله ثم تكون زايلة حين يرى الدجال اذ دوام الكرامة ليس بلازم وقيل
نفس الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر لا النفس المعتاد فعدم موت
الدجال لعدم النفس المراد وقيل المفهوم منه ان من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت
ولا يفهم منه ان يكون ذلك اول وصول نفسه فيجوز ان يحصل ذلك بهم بعد ان يرى عيسى
الدجال في حيرته للحكاية المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم عبد الله السندي رحمه الله ثم
من الغريب ان نفس عيسى عليه السلام يتعلق به الاحيا لبعض والاماتة لبعض فيطلبه
اي عيسى عليه السلام الدجال حتى يدركه بباب لد بضم لام وتشديد دال مصروف اسم جبل
بالشام وقيل قرية من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي وزاد غيره سمي به لكثرة
شجره وقال السيوطي في شرح الترمذي هو على ما في النهاية موضع بالشام وقيل بفلسطين
فيقتله وفي الجامع رواه الترمذي وكذا احمد عن مجمع بن جارية يقتل ابن مريم الدجال بباب
لد ثم ياتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه اي حفظهم من شر الدجال فيمسح عن وجوههم

اي يزيل عنها ما اصابها من غبار سفر الغزو مبالغة في اكرامهم او المعنى يكشف ما نزل بهم من اثار الكآبة
والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة قال النووي
وهذا المسح يحتمل ان يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركا او انه اشارة الى كشف ما يكون
فيه من الشدة والخوف فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى اني بفتح الهمزة وبكسرها
قد اخرجت عبادا لي اي اظهرت جماعة منقادة لقضائي وقدري لا يدان اي لا قدرة ولا
طاقة لاحد بقتالهم وانما عبر عن الطاقة باليد لان المباشرة والمدافعة انما تكون باليد
وثنى مبالغة كان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه ويمكن ان يكون في التثنية ايما
الى العجز عنهما جميعا فحرز عبادي اي من التحريز ماخوذ من الحرز اي احفظهم وضمهم
الى الطور واجعله لهم حرزا ويبعث الله ياجوج وماجوج بالالف وبدله فيهما وهم اي جميع
القبيلتين كقوله تعالى هذان خصمان اختصموا من كل حدب بفتحتين اي مكان مرتفع
من الارض ينسلون بفتح اليا وكسر السين اي يسرعون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية بالاضافة
وبحيرة تصغير بحرة وهي ما مجتمع بالشام طوله عشرة اميال وطبرية بفتحتين اسم موضع
وقال شارح هي قصبة الاردن بالشام فيشربون ما فيها اي من الماء ويمر اخرهم فيقول
اي اخرهم او قايل منهم لقد كان بهذه اي البحيرة او الدفعة مرة اي وقتا ما اي ماء
ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر بفتح الخا المعجمة والميم وبالرا الشجر الملتف وفسر
في الحديث بقوله وهو جبل بيت المقدس لكثرة شجره او هو كل ما يستر من شجر
او بنا او غيره كذا في النهاية فيقولون لقد قتلنا من في الارض اي من ظهر على وجهها مما سوى
من استثني عيسى عليه السلام واصحابه بحيث كانوا محصورين هلم اي تعال والخطاب
لاميرهم وكبيرهم او عام غير مخصوص باحدهم في النهاية فيه لغتان فاهل الحجاز يطلقونه
على الواحد والاثنين والجمع والمونث بلفظ واحد مبني على الفتح وبنو تميم يثنى ويجمع
ويونث فيقولون هلم هلمي وهلما وهلموا فلنقتل من في السما فيرمون بنشابهم بضم فتشديد
مفرده نشابة والبا زايدة اي سهامهم الى السما اي الى جهتها فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة
اي مصبوغة وما موزه دما وهذا امهال واستدراج منه سبحانه مع احتمال اصابة سهامهم
لبعض الطيور في السما فيكون فيه اشارة الى احاطة فسادهم بالسفليات والعلويات
ويحصر بصيغة المفعول اي يحبس في جبل الطور نبي الله اي عيسى عليه السلام
واصحابه اي من مومني هذه الامة حتى يكون اي يصير من شدة المحاصرة والمضايقة راس
الثور اي البقر مع كمال رخصه في تلك الديار لاحدهم خيرا من ماية دينار لاحدكم اليوم قال التوربشتي
اي يبلغ بهم في تلك الديار لاحدهم خيرا من ماية دينار لاحدكم اليوم قال التوربشتي اي يبلغ
بهم الفاقة الى هذا الحد وانما ذكر راس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة فيرغب اي الى الله
ويدعو نبي الله فيه تنبيه انه مع متابعته لشريعته باق على نبوته عيسى واصحابه قال القاضي
اي فيرغبون الى الله تعالى في اهلاكهم وانجائهم عن مكابدة بلائهم ويتضرعون اليه فيستجيب
الله فيهلكهم بالنغف كما قال فيرسل الله عليهم اي على ياجوج وماجوج النغف بفتح النون
والغين المعجمة دود يكون في انوف الابل والغنم في رقابهم فيصبحون فرسى كهلكى وزنا ومعنى
وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس الذئب الشاة اذا كسرها وقتلها ومنه فريسة الاسد
كموت نفس واحدة لكمال القدرة وتعلق المشية قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس

واحدة

واحدة قال التوربشتي يريد ان القهر الالهي الغالب على كل شي يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون
قتلى وقد نبه بالكلمتين اعني النغف وفرسى على انه سبحانه يهلكهم في ادنى ساعة باهون
شي وهو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد ان طارت نعرة البغي في روسهم فزعموا
انهم قاتلوا من في السما ثم يهبط اي ينزل من الطور نبي الله عيسى واصحابه الى الارض
فلا يجدون في الارض اي في وجهها وهذا هو وجه العدول عن الضمير الى الظاهر فاللام
في الاولى للعهد وفي الثانية للاستغراق بدليل الاستثنا وبه تبين ان القاعدة المعروفة
ان المعرفة اذا اعيدت تكون عينا للاولى مبنية على غالب العادة او حيث لا قرينة صارفة موضع
شبر الا ملاه زهمهم بفتح الزاء والها وقد يضم الزا وقال شارح هو بالضم وروي بالتحريك
وتفسيره قوله ونتنهم بسكون التا قال التوربشتي الزهم بالتحريك مصدر قولك
زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة اي دسمة وعليه اكثر الروايات فيما اعلم
وفيه من طريق المعنى وهن وضم الزاي مع فتح الها اصح معنى وهو جمع زهمة يعني بضم
الزاي وسكون الها وهي الريح المنتنة وقال شارح هو اصح رواية ودراية ويوافقها
ما في القاموس حيث قال الزهومة والزهمة بضمهما ريح لحم سمين منتن والزهم بالضم الريح المنتنة
وبالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة اي دسمة انتهى وقد يقال اطلق المصدر
واريد به الوصف مبالغة كرجل عدل فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله قدم اصحابه
اليه اشارة الى ان الهيئة الاجتماعية في الهمة الاطماعية لها تاثير بليغ في اجابة الدعاية
او في ذكرهم ايما الى انهم هم الباعث على الدعا والتضرع الى رب السما فيرسل الله طيرا كاعناق
البخت بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الابل اي طيرا اعناقها في الطول والكبر كاعناق البخت
والطير جمع طاير وقد يقع على الواحد ولذا قال فتحملهم اي تلك الطير فتطرحهم اي فترميهم
حيث شا الله اي من البحار او مما ورا معمورة الدنيا او خلف جبال قاف ونحوها او الى عالم
الاعدام والافنا وفي رواية تطرحهم بالنهبل بفتح النون وسكون الها وفتح الموحدة
موضع وقيل مكان ببيت المقدس وفيه انه كيف يسعهم ولعل المراد به موضع بعضهم او
على طريق خرق العادة يسعهم وقيل هو حيث تطلع الشمس وفي القاموس نهبل اسن وروى
الترمذي في حديث الدجال فتطرحهم بالنهبل وهو تصحيف والصواب بالميم انتهى وما يذكر
المهبل لا لفظا ولا معنى ويستوقد المسلمون من قسيهم بكسرتين فتشديد تحتية
جمع قوس والضمير لياجوج وماجوج ونشابهم اي سهامهم وجعابهم بكسر الجيم جمع جعبة
بالفتح وهي ظرف النشاب سبع سنين ثم يرسل الله مطرا اي عظيما لا يكن بفتح اليا وضم
الكاف وتشديد النون من كننت الشي اي سترته وصنته عن الشمس وقيل
من اكننت الشي بهذا المعنى والمفعول محذوف والجملة صفة مطرا اي لا يستتر ولا
يصون شيئا منه اي من ذلك المطر بيت مدر بفتحتين اي تراب وحجر ولا وبر اي
صوف او شعر والمراد تعميم بيوت اهل البدو والحضر قال النووي اي لا يمنع من نزول
الما بيت المدر وهو الطين الصلب وقال القاضي اي لا يحول بينه وبين مكان
ما حايل بل يعم الاماكن كلها فيغسل اي المطر الارض اي وجهها كلها حتى يتركها كالزلفة
بفتح الزاي واللام ويسكن وبالفاء وقيل بالقاف وهي المراة بكسر الميم وقيل ما يتخذ لجمع
الما من المصنع والمراد ان الما يعم جميع الارض بحيث يرى الرائي وجهه فيه قال النووي

روي بفتح الرا واللام وبالفا وبالقاف وروي بضم الزاي واسكان اللام وبالفا وقال القاضي
روي بالفا والقاف وبفتح اللام وباسكانها وكلها صحيحة قلت وهو الذي عليه الاكثر
بفتحتين والفا واقتصر عليه القاموس في المعاني الاتية كلها واختلفوا في معناها فقال
ثعلب وابو زيد واخرون معناه كالمراة وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس
ايضا شبهها بالمراة في صفائها ونظافتها وقيل معناه كمصانع الما اي الما يستنقع
فيها حتى تصير الارض كالمصنع الذي يجتمع فيه الما وقال ابو عبيدة معناه الاجانة
الخضرا وقيل كالصحفة وقيل كالروضة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي اي الي
اهلك بركتك اي من ساير نعمتك فيومئذ تاكل العصابة بكسر العين اي الجماعة من الرمانة
اي ويشبعون منها ويستظلون بقحفها بكسر القاف اي بقشرها قال النووي مقعر
قشرها شبهها بقحف الادمي وهو الذي فوق الدماغ وقيل هو ما انفلق من جمجمته
وانفصل وقال شارح اراد نصف قشرها الاعلى وهو في الاصل العظم المستدير فوق
الدماغ وهو ايضا انا من خشب على مثاله كانه نصف قدح واستعير هنا لما يلي راسها
من القشر ويبارك بصيغة المجهول اي يوضع البركة والكثرة في الرسل بكسر الرا وسكون
السين اي اللبن حتى ان اللقحة بكسر اللام ويفتح اي الناقة الحلوبة قال النووي اللقحة
بكسر اللام وفتحها مشهورتان والكسر اشهر وهي القريبة العهد بالولادة قال في المختصر من
النوق وغيرها فقوله من الابل بيانية لتكفي اي اللقحة والمراد لبنها الفيام بهمز على زنة
رجال والعامة تبدله اليا اي الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه والمراد به ههنا اكثر
من القبيلة كما ان القبيلة اكثر من الفخذ على ما سياتي وقال النووي الفيام بكسر الفا
وبعدها همزة ممدودة هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف في اللغة ورواية الحديث
بكسر الفا وبالهمز قال القاضي ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله باليا وقال في المشارق وحكاه
الخليل بفتح الفا قال وذكره صاحب العين غير مهموز وادخله في حرف اليا وحكى
الخطابي ان بعضهم ذكره بفتح الفا وتشديد اليا وهو غلط فاحش واللقحة من البقر
لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس قال القاضي عياض
الفخذ هنا بسكون الخا المعجمة لا غير جماعة من الاقارب وهم دون البطن والبطن
دون القبيلة واما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخا وسكونها فبينما هم بالاسم
مبتدا خبره كذلك وما عوض عن المضاف اليه والعامل فيه قوله اذ بعث الله واذ
للمفاجاة اي بين اوقات يتنعمون في طيب عيش وسعة ارسل عليهم فجاة
ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم بهمزة ممدودة جمع ابط فتقبض اي تلك
الريح روح كل مومن اسند الفعل الي الريح مجازا وكل مسلم قال النووي هكذا
هو في جميع النسخ بالواو يعني كان الظاهر ان يكون او للشك فانه لا فرق بين
المومن والمسلم عند ارباب الحق من اهل السنة والجماعة فالمقصود المبالغة
في التعميم والتقابل باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل تلك ايات الكتاب وقران مبين
وقوله سبحانه ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات او بناء على الفرق اللغوي بينهما من
ان المراد بالمومن المصدق وبالمسلم المنقاد لكن لما كان احدهما لا ينفع بدون الاخر جعل الموصوف
بهما واحدا واطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوي او لكون احدهما غالبا عليه

في نفس

في نفس الامر والله اعلم قال الطيبي المراد بالتكرار هنا الاستيعاب اي تقبض روح خيار الناس
كلهم ويبقى شرار الناس بكسر اوله جمع شر يتهارجون اي يختلطون فيها اي في تلك الازمنة
او في الارض تهارج الحمر اي كاختلاطها ويتفاسدون وقيل يتخاصمون فان الاصل في الهرج
القتل وسرعة عدو الفرس وهرج في حديثه اي خلط قال النووي اي يجامع الرجال النسا علانية
بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك والهرج باسكان الرا الجماع ويقال هرج زوجته اي جامعها
يهرجها بفتح الرا وضمها وكسرها فعليهم تقوم الساعة اي لا على غيرهم وسياتي حديث لا تقوم
الساعة الا على شرار الناس وفي رواية لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله رواه اي
الحديث بكماله مسلم الا الرواية الثانية وهي الرواية وفي نسخة وهو تذكيره لتذكير ضميره وهو
قوله تطرحهم بالنهبل الى قوله سبع سنين رواها اي تلك الرواية الترمذي وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله بكسر قاف
وفتح موحدة اي الى جانبه رجل اي عظيم من المومنين قال ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان
الفقيه راوي صحيح مسلم يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وكذا قال معمر وهذا يقتضي
ان يكون الخضر حيا وقد اختلف العلما في ذلك فالجمهور من الفقها والمحدثين وغيرهم وبعض
الصوفية على انه مات وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقها وغيرهم الى انه حي قال النووي وهو
الصحيح ذكره الشيخ الجزري فيلقاه المسالح بفتح الميم وكسر اللام جمع المسلحة وهم القوم ذوو
السلاح يحفظون الثغور مسالح الدجال مرفوع على البدل وفيه اشارة الى ان اللام عوض عن المضاف
اليه او اللام للعهد قال القاضي ولعل المراد به ههنا مقدمة جيشه واصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر
فانه يعد فيه الاسلحة ثم للجند المترصدين ثم لمقدمة الجيش فانهم من الجيش كاصحاب الثغور
ممن وراءهم من المسلمين فيقولون له اين تعمد بكسر الميم اي تقصد فيقول اعمد الى هذا الذي خرج اي
خرج عن الخفا او على الخلق او ظهر بالباطل والاشارة للتحقير فيقولون او ما تومن بربنا يعنون
به الدجال حيث وجدوا عنده المال والجاه فيقول اي الرجل ما بربنا اي ربي وربكم ففيه تغليب
او ما بربنا معشر المسلمين المومنين خفا وما نافية اي ليس يخفى علينا صفات ربنا عن غيره لنعدل
عنه اليه او نشترك الاعتماد عليه ففي كل شي له شاهد يدل على انه واحد واما ما عداه فاثار الحدوث
عليه لايحة وانواع النقصان فيه واضحة ومن اظهر الادلة القطعية ان المخلوقية تنافي الربوبية
والعبودية تناقض الالوهية ما للتراب ورب الارباب كيف والعيوب الظاهرة فيه تشهد عليه
لمن له ادنى عقل كما لا يخفى وفيه ايما الى ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم
ان الله ليس باعور قال الطيبي هذا تكذيب لهم وبيان لتمويههم وتلبيسهم اذ ما تومن بربنا كما
قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض
ليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا اي من قبلكم احدا دونه اي دون علمه وامره واذنه فينطلقون به
الى الدجال فاذا راه المومن اي ابصر الدجال المومن الموفق وقد عرف علاماته قال ايها الناس
تذكيرا للامة وتوهينا للفتنة هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في احاديثه
انه سيخرج في اخر الزمان قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيامر الدجال به اي بضربه فيشبح بتشديد
الموحدة المفتوحة اي يمد للضرب فيقول اي الدجال تاكيدا او تغليظا وتشديدا خذوه اي امسكوه
اخذا شديدا وشجوه بضم الشين المعجمة وتشديد الجيم اي اكسروا راسه وفي نسخة فشبحوه بفتح
الشين وكسر الموحدة مخا مهملة اي مدوه على بطنه او على قفاه يقال تشبح الحربا على العود اي امتد

وتشبيح الشي جعله عريضا فيوسع بسكون الواو وفتح السين ظهره وبطنه ضربا اي بكثرة الضرب
علي ظهره وبطنه قال فيقول اي الدجال اما يومن بي وفي نسخة اوما تومن بي اي تنكرني والوهيتي
وما تومن بي ربوبيتي قال فيقول اي المومن انت المسيح الكذاب اي الذي يقتلك المسيح الصديق
قال فيومر به فيوشر بضم فسكون همز ويبدل واو وفتح شين اي فيقطع بالميشار بكسر الميم وسكون
الهمز ويبدل يا و بالنون في بعض النسخ وهو الة النشر والقطع من مفرقه بفتح الميم وكسر الرا ويفتح
اي مبتدا من فرق راسه حتي يفرق بصيغة المجهول مخففا ويشدد اي حتي تفصل بدنه
قطعتين واقعتين بين رجليه اي في طرفي قدميه قال النووي قوله يشبح بشين معجمة ثم با
موحدة وحا مهملة وكذا اشبحوه اي مدوه علي بطنه وجا ايضا شجوه بجيم مشددة من الشج وهو
الجرح في الراس ثم قال وهذه الرواية اصح عندنا وقوله فيوشر الرواية فيه بالهمز والميشار بهمز بعد
الميم وهو الافصح ويجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل في الاول واوا وفي الثاني يا ويجوز المنشار بالنون
وعلي هذا يقال نشرت الخشبة ومفرقه بكسر الرا وسطه يعني وسط فرقه او وسط راسه انتهي
قال الجزري روي هذا الحديث علي ثلاثة اوجه يشبح بمعجمة فموحدة فمهملة وشبحوه بالجيم من الشج
وهو الجرح في الراس والوجه وثانيها يشبح كالاول وشبحوه بالبا والحا وثالثها فيشج وشجوه كلاهما
بالجيم وهو الذي ذكره المولف والوجه الثاني هو الذي ذكره الحميدي وصححه القاضي عياض والاصح
عند جماعة من اصحابنا الاول والله اعلم وقال شارح يقال وشرت الخشبة بالميشار اذا نشرته
بالمنشار وفي الحديث بالياء غير مهموز علي فيوشر قلت فيه بحث اذ قوله فيوشر يحتمل ان يكون
بالهمز وان يكون بواو مبدلة او اصلية وكذا في الميشار يصح همزه وابداله من همزه ومن واو وهذا
لا ينافي ان يكون المنشار بالنون بناء علي التفنن في العبارة مع انه هو المشهور باعتبار اللغة علي لسان
العامة وفي القاموس اشر الخشب بالميشار شقه ونشر الخشب نحته ووشر الخشبة بالميشار
غير مهموز لغة في اشرها بالميشار اذا نشرها انتهي وبه يعلم ان الاصل هو الهمز والواو لغة في الشق
والنون خاص بمعني النحت قال اي النبي صلي الله عليه وسلم ثم يمشي الدجال بين القطعتين
اي الشقين من الرجل تخييلا لتحقيق القتل ثم يقول له قم فيستوي قايما ثم يقول له اتومن
بي فيقول ما ازددت بفتح الدال وقال شارح بكسر الدال الاولي علي بنا المجهول اقول صحته موقوفة
علي انه متعد الي مفعولين وظاهر ما في القاموس انه لازم حيث قال زاده الله خيرا فزاد وازداد
حيث اشار الي ان زاد لازم ومتعد وان ازداد قاصر فقط حيث جعله مطاوعا نعم قوله تعالي ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم صريح في انه متعد الي مفعول واحد واما زاد فيجي لازما ومتعديا الي مفعول
والي مفعولين كقوله تعالي فزادهم ايمانا وقيل نصب ايمانا علي التمييز وحاصل المعني ما زددت فيك
اي في معرفتك بفعلك هذا من القتل والاحيا الا بصيرة اي زيادة علم ويقين بانك كذاب مموه
قال ثم يقول المومن ايها الناس انه اي الشان او الدجال لا يفعل مفعوله محذوف اي لا يفعل
ما فعل بي من القتل والاحيا في الظاهر بعدي اي بعد فعله بي باحد من الناس وفي هذا اخبار عن
سلب القدرة الاستدراجية عنه وتسلية للناس في الخوف منه قال فياخذه الدجال ليذبحه
فيجعل بضم اوله وفي نسخة بفتحه اي فيجعل الله ما بين رقبته الي ترقوته بفتح التا وسكون الرا
وضم القاف وفتح الواو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق نحاسا اي كالنحاس لا يعمل فيه السيف
وفي شرح السنة قال معمر بلغني انه يجعل حلقه صفحة نحاس فلا يستطيع اي الدجال اليه
اي الي وصول قتله ولا يقدر علي حصول مضرته سبيلا تمييز اي طريق من التعرض قال فياخذ

اي الدجال بيديه ورجليه فيقذف به اي يرمي بالمومن ويطرحه في الهوا فيحسب الناس بكسر السين
وفتحها اي فيظنون انما قذفه الي النار بتاويل المصدر اي قذفه اليها والاظهر ما اختاره الزمخشري
من ان انما بالفتح يفيد الحصر ايضا لما اجتمعا في قوله تعالي قل انما يوحي الي انما الهكم اله واحد
ويويده قوله انما القي بصيغة المجهول اي اوقع في الجنة واللام للعهد اي في بستان من بساتين الدنيا
ويمكن انه يرميه في النار التي معه ويجعلها الله عليه بردا وسلاما مثل ابراهيم عليه السلام ويصير تلك
النار روضة وجنة وعلي كل تقدير فلم يحصل له موت علي يديه سوي ما تقدم واما قول الراوي
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شهادة عند رب العالمين فالمراد بها قتله الاول
فتامل فانه موضع الزلل والخطا والوحل لما وقع فيه الطيبي بقوله فيحسب الناس ان الدجال
قذفه فيما زعم انه ناره وانما القي في الجنة وهي دار الشهدا يدل عليه قوله هذا اعظم الناس شهادة ونحوه
قوله تعالي ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين اي يسرحون
في ثمار الجنة اقول فهذا مناقض لقوله انه لا يفعل بعدي باحد من الناس اللهم الا ان يقال المراد بقوله
لا يفعل بعدي اي بعد قتلي ثانيا باحد من الناس اي غيري ولا يخفي بعده والله اعلم وسياتي في حديث
ابي سعيد ما يفيد تاييد ما اخترناه رواه مسلم وعن ام شريك بفتح فكسر اي الانصارية او
القرشية قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليفرن اي ليهربن الناس اي المومنون من
الدجال حتي يلحقوا بالجبال قالت ام شريك قلت يا رسول الله صلي الله عليه وسلم فاين العرب
قال الطيبي الفا فيه جزا شرط محذوف اي اذا كان هذا حال الناس فاين المجاهدون في سبيل الله
الذابون عن حريم الاسلام المانعون عن اهله صولة اعدا الله فكني عنهم بها قال هم اي العرب
قليل اي حينئذ فلا يقدرون عليه رواه مسلم وكذا الترمذي ذكره السيد ولفظ الجامع
ليفرن الناس من الدجال في الجبال رواه احمد ومسلم والترمذي وعن انس عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال يتبع بفتح فسكون ففتح وقال شارح من الاتباع بتشديد التا اي يطيع
الدجال من يهود اصفهان بفتح الهمزة وتكسر وفتح الفا بلد معروف من بلاد الارفاض قال
النووي يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالبا والفا انتهي ونسخ المشكاة كلها بالفا وفي المشارق
بفتح الهمزة وقيدها ابو عبيد البكري بكسرها وله واهل خراسان يقولونها بالفا مكان البا
وفي القاموس الصواب انها عجمية وقد يكسر همزها وقد يبدل با وها فا وفي المغني بكسر همزه
وفتحها وبالفا مفتوحة في اهل الشرق وبا موحدة في الغرب انتهي وبه يعلم ان اصفهان كان
فيطابق ما نقله ابن الملك من انه قيل المراد به اصفهان خراسان لا اصفهان العرب لكن
في قوله اصفهان خراسان مسامحة لان اصفهان انما هو في العراق لكنه لما كان خراسان
في جهة المشرق ايضا وكان اشهر من العراق اضيف اليه بادني ملابسة سبعون
الفا وفي رواية تسعون والصحيح المشهور هو الاول ذكره ابن الملك عليهم الطيالسة
بفتح الطا وكسر اللام جمع طيلسان وهو ثوب معروف وفي القاموس الطيلس والطيلسان
مثلثة اللام عن عياض وغيره معرب اصله تالسان جمعه الطيالسة والها في الجمع
للعجمة واستدل بهذا الحديث علي ذم لبسه ورده السيوطي في رسالة طي اللسان عن
الطيلسان رواه مسلم وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ياتي الدجال اي يظهر في الدنيا ويتوجه الي صوب المدينة المطهرة المصونة وهو
محرم جملة حالية اي ممنوع عليه ان يدخل نقاب المدينة بكسر النون كما نص عليه النووي

وقف لله عز وجل

وهو جمع نقب بفتح النون وهو الطريق بين الجبلين والانقاب جمع قلة كذا في النهاية فينزل اي الدجال
بعض السباخ بكسر السين في بعض الاراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت التي تلي المدينة
اي تقربها وسيأتي انه ينزل دبر احد فيخرج اليه رجل اي عظيم وهو خير الناس اي خيرهم او من
خيار الناس اي على الاطلاق ويحتمل ان يكون التردد منه صلى الله عليه وسلم واو للتخيير ويمكن
ان يكون من الراوي فاو للشك وتقدم انه الخضر عليه السلام بناء على القول الاصح فيقول
اي بعد رؤيته اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه
اي وصفه وحاله ولما كان الظاهر ان يقال حدثكم قال الطيبي هو جار على قول الدجال لان
المظهر غائب لا على ضمير المخاطب وعكسه قوله انا الذي سمتني امي حيدرة فيقول الدجال اي لمن حوله
ارأيتم اي اخبروني ان قتلت هذا ثم احييته هل تشكون في الامر اي امري وقيل اي في انه اله فيقولون
لا اي لا نشك وهو يحتمل ان يتوجه النفي الى ثبات الامر او نفيه قال النووي اما قول الدجال ان قتلت
هذا ثم احييته اتشكون في الامر فيقولون لا فقد يشكل لان ما اظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته
لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه
وغير ذلك ويجاب بانهم لعلهم قالوا خوفا منه لا تصديقا ويحتمل انهم قصدوا لا نشك في كذبك
وكفرك فان من شك في كفره وكذبه كفر وخادعوه بهذه التورية خوفا منه ويحتمل ان الذين قالوا لا نشك
هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته فيقتله اي الدجال على ما
سبق ثم يحييه اي ويسأله كما تقدم فيقول اي المقتول والله ما كنت اي في سابق الايام فيك اي
في بطلانك اشد بصيرة اي يقينا مني متعلق باشد اليوم بالنصب ظرف لاشد فيريد الدجال ان
يقتله فلا يسلط بفتح اللام المشددة اي فلا يقدر عليه اي على قتله بوجه من الوجوه كما قررنا
فيما تقدم والله اعلم ثم في عجز الدجال اخر دليل صريح في ان قدرته اولا كانت حادثة عارضة مستعارة
للاستدراج به والابتلاء لغيره فسلبت عنه كما سينزع عند روحه فيبقى جيفته ملقاة بالارض
يأكل منها الكلاب وما احسن من قال من ارباب الالباب للتراب ورب الارباب قال الكلاباذي في الحديث
دليل على ان الدجال لا يقدر على ما يريد وانما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه ويحل قدرته
ان يفعل اختيارا للخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويضل الله من
يشاء ويهدي من يشاء متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يأتي المسيح اي الدجال من قبل المشرق بكسر القاف وفتح الموحدة اي من جهته همته
اي قصده ونيته المدينة اي السكينة حتى ينزل دبر احد وهو جبل معروف قرب المدينة
ثم اي بعد ما يفوته فضيلة الرجل السابق تصرف الملائكة اي ترد وجهه اي وتوجهه وقصده
قبل الشام اي الى جهته جاء منه وفيه دليل بطلانه وامارة عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى
ولم يقدر ان يدخل دار اقامة مدفن سيد الورى وظاهره انه لا يدخل حرم مكة بالاولى الاحرى
وهنالك اي في الشام يهلك اي يقتله عيسى عليه السلام متفق عليه وعن ابي بكرة بالتاء
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة ومن بها رعب المسيح الدجال
بضم الراء وسكون العين وبضمتين اي خوفه لها اي للمدينة يومئذ سبعة ابواب اي طرق اي المراد
بها ابواب القلعة على كل باب ملكان اي يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان رواه البخاري
قال السيوطي ما اشتهر على الالسنة ان جبريل عليه السلام لا ينزل الى الارض بعد موت النبي
صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا اصل له ومن الدليل على بطلانه ما اخرجه الطبراني ان جبريل

يحضر

يحضر موت كل مؤمن يكون على الطهارة واخرج ابو نعيم في الفتن قال صلى الله عليه وسلم يمر الدجال بالمدينة
فاذا هو بخلق عظيم فقال من انت قال انا جبريل بعثني لامنع حرم رسول الله انتهى ولا مفهوم له كما
لا يخفى فانه يحتمل ان يكون من باب الاكتفاء او فوض الى جبريل منع حرم رسوله واما حرمه
فهو له ولي وكفيل كما يشير اليه سورة الفيل وسيأتي فيما روى التميم الداري عن الدجال انه قال
فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما وقد قرره النبي
صلى الله عليه وسلم وقد روى احمد عن ابي سعيد مرفوعا الدجال لا يولد ولا يدخل المدينة ولا
مكة وعن فاطمة بنت قيس اي القرشية اخت الضحاك كانت من المهاجرات الاول روي عنها
نفر كانت ذات جمال وعقل وكمال وزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من اسامة بن زيد مولاه صلى الله عليه
وسلم رضي الله عنهم قالت سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي بتخفيف اعرابه كما في
القرآن سمعنا مناديا ينادي للايمان الصلوة بنصبها ورفع وكذا قوله جامعة قال النووي هو بنصب الصلوة
وجامعة الاول على الاغراء والثاني على الحال وقال التوربشتي وجه الرواية بالرفع ان يقدر هذه
اي هذه الصلوة جامعة ويجوز ان ينتصب جامعة ونحو انه ينتصب جامعة على
الحال ولما كان هذا القول للدعاء اليها والحث عليها كان النصب اجود واشبه بالمعنى
المراد منه انتهى فالتركيب ثلاثي كما لا يخفى وقال شارح هذه الجملة مفعول ينادي لانه
في معنى القول وهي في اعرابها على اربعة اوجه كما مر اي في صلوة العيد توضيحه
ما ذكره ابن الملك هنا حيث قال رفعهما مبتدأ وخبر ونصبهما على تقدير احضروا الصلوة
حال كونها جامعة ورفع الاول على تقدير هذه الصلوة ونصب الثاني على الحالية وبالعكس
على تقدير احضروا الصلوة وهي جامعة وهو ضعيف الاضمار العطف وعلى جميع التقادير محل الجملة
نصب لانه مفعول ينادي حكاية لكونه في معنى القول فخرجت الى المسجد ولعل خروجها قبل
النهي او كان في الليل او لهن رخصة في حضور الصلوة الجامعة قياسا على صلاة العيد فصليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي صلوة نافلة او احدى الصلوات الخمس فلما قضى صلاته
اي اداها وفرغ عنها جلس على المنبر وهو يضحك اي يتبسم ضاحكا على عادته الشريفة
فقال ليلزم بفتح الزاي اي ليلتزم كل انسان مصلاه اي موضع صلوته فلا يتغير ولا يتقدم
ولا يتأخر ثم قال هل تدرون لم جمعتكم اي بندا الصلوة جامعة قالوا الله ورسوله اعلم
قال اني والله ما جمعتكم لرغبة اي لامر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة ولا رهبة اي ولا لخوف
من عدو ولكن جمعتكم لان تميما الداري وهو منسوب الى جد له اسمه الدار وفي نسخة
صحيحة تميم الداري والاول هو الاصح قاله الطيبي كذا هو في جامع الاصول واكثر نسخ
المصابيح وتميم الداري من غير تنوين في كتاب الحميدي وبعض نسخ المصابيح وفي مسلم لان
تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثني حديثا وافق الذي اي طابق الحديث
الذي كنت احدثكم به عن المسيح الدجال وهو كما في حديث رب حامل فقه الى من هو افقه منه
وفيه اشعار ان كثرة الرواة لها دخل في قوة الاسناد ولهذا قال على سبيل الاستشهاد وطريق
الاقتصاد حدثني فهو من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر وفيه ايماء الى الرد على الجاهل المكابر
حيث يتكبر عن اخذ العلم من اهل الخمول والاصاغر وقد قال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وقال صلى الله عليه وسلم كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو
احق بها ومن كلام علي رضي الله عنه انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال والمعنى انهما

حكي لي انه ركب في سفينة بحرية اي لا برية احترازا عن الابل فانها تسمي سفينة البر وقيل اي
مركبا كبيرا بحريا لا زورقا صغيرا نهريا مع ثلاثين رجلا من لخم بفتح لام وسكون دار جهم الموج
شهرا اي مقدار شهر في البحر ما للعب في الاصل ما لا فايدة فيه من فعل او قول فاستعير بعد
الامواج لسعن عن صوب المقصد وتحويلها يمينا وشمالا فارفوا في الهمزتين اي قربوا
السفينة الي جزيرة حين تغرب الشمس في شرح التوربشتي قال الاصمعي ارفات السفينة
ارفيها ارفا وبعضهم يقول ارفيها بالباعي الابدال وهذا مرفا السفن اي الموضع الذي يشد اليه
ويوقف عنده فجلسوا اي بعد ما تحولوا من المركب الكبير في اقرب السفينة بفتح الهمزة وضم الرا
جمع قارب بكسر الرا وفتحه اشهر واكثر وحكي ضمها وهو جمع علي غير قياس والقياس قوارب قال
النووي اقرب السفينة هو بضم الرا جمع قارب بكسر الرا وفتحها وهي سفينة صغيرة
تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضا حوايجهم وفي النهاية اما اقرب
فلعله جمع قارب وليس بمعروف في جمع فاعل افعل وقد اشار الحميدي في غريبه الي انكار
ذلك وقال الخطابي انه جمع علي غير قياس فدخلوا في الجزيرة اللام للعهد اي في الجزيرة التي
هناك فلقيتهم اي فرايتهم دابة اهلب كثير الشعر وقيل ما غلظ من الشعر وقيل ما كثر من
شعر الذنب وانما ذكر الدابة لانه يطلق علي الذكر والانثي لقوله تعالي وما من دابة في الارض
كذا قالوا والاظهر انه بتاويل الحيوان ولذا قال كثير الشعر وهو تفسير لما قبله وعطف بيان
ثم بينه زيادة تبيان استينافا لا يدرون اي لا يعرف الناس الحاضرون ما قبله من دبره لكثرة
فيما قال الطيبي ما استفهامية ويدرون بمعني يعلمون يجي الاستفهام تعليقا ولا بد من
تقدير مضاف بعد حرف الاستفهام اي ما نسبته قبله من دبره من كثرة الشعر اي من
اجلها وبسببها قالوا ويلك ما انت خاطبوها مخاطبة المتعجب المتعجع قالت انا الجساسة
قال النووي هي بفتح الجيم وتشديد المهملة الاولي قيل سميت بذلك لتجسسها
الاخبار للرجال وجا عن عبد الله بن عمرو بن العاص انها دابة الارض المذكورة في القران
انطلقوا الي هذا الرجل في الدير بفتح الدال وسكون التحتية اي دير النصاري وفي المغرب
الدير صومعة الراهب والمراد هنا القصر كما سياتي والجار والمجرور حال والعامل فيه اسم الاشارة
او حرف التنبيه فانه اي الرجل الذي في الدير الي خبركم مطلق بقوله بالاشواق بفتح الهمزة جمع
شوق اي كثير الشوق وعظيم الاشتياق والبا للالصاق قال التوربشتي اي شديد نزاع
النفوس الي ما عندكم من الخبر حتي كان الاشواق ملصقة به او كانه مهتم بها قال اي تميم
لما سمت اي ذكرت ووصفت لنا رجلا فرقنا بكسر الرا خفنا منها اي من الدابة ان تكون شيطانة
اي كراهة ان تكون شيطانة اي كراهة ان تكون شيطانة وان يكون الرجل شيطانا
متعلقا بها وقال الطيبي ان يكون شيطانة بدل من الضمير المجرور قال اي تميم فانطلقنا
سراعا اي حال كوننا مسرعين حتي دخلنا الدير قال شارح دير النصاري واصله الواو
انتهي والمعني ان اصله دار بالالف المبدلة من الواو وماخوذ من الدور لكونه مدورا او يدار
فيها او مدار المعيشة والمبيت اليه ثم ابدلت الالف يا للفرق ومراده بقوله دير النصاري
انه مثلثة او في الاصل يطلق عليه وقد يطلق علي بيت الخمر فاذا فيه اعظم انسان اي اكبره
جثة او اهيبه هيبة رايناه صفته انسان احترازا عمن لم يره ولما كان هذا الكلام
في معني ما راينا مثله صح قوله قط الذي يختص بنفي الماضي وهو بفتح القاف وتشديد

الطا المضمومة

م لخم وجذام قبيلتان من العرب اشرف

الطا المضمومة في افصح اللغات وقد تكسر وقد يتبع طاوه في الضم وقد تخفف طاوه مع ضمها واسكانها
علي ما في المغني ووقع في نسخة ما رايناه قط وقوله خلقا تمييز اعظم واشده اي في اقوي انسان
وثاقا بفتح الواو ويكسر قيدا من السلاسل والاغلال علي ما سياتي هذا وذكر الاشرف ان ضمير
المفعول راجع الي الاعظم اي ما رايناه قط اعظم الانسان خلقا وخلقا نصب علي التمييز من
اللسان وقال الطيبي ويحتمل ان يقدر مضاف اي ما راينا مثل ذلك الاعظم واشد مرفوع عطف
علي الاعظم هذا وان لفظة ما ليست في صحيح مسلم ولا في كتاب الحميدي ولا في جامع الاصول
ولا في اكثر نسخ المصابيح ولعل من زادها نظر الي لفظ قط حيث يكون في الماضي المنفي فالوجه
ان يكون مراده بما جا في قول القايل لله بيني علي الايام ذو حيد مجموعة بالنصب وفي نسخة
بالرفع اي مضمومة يده الي عنقه وقوله ما بين ركبتيه الي كعبيه لما كان ظاهره ان يوتي بالواو
في اوله ليكون المعني ومجموعة ساقاه عليه ويكون قوله بالحديد قيدا لهما قال الطيبي ما موصولة
مرفوعة المحل المعني بالحديد وحذف مجموعه في الثاني لدلالة الاولي عليه قلنا ويلك
ما انت استغربوه لما وردوا اماطاربين ويمكن ان يكون السوال عن وصفه وحاله اذ قد علموا
انه رجل وقد يجي ما بمعني من كما حقق في قوله تعالي والسما وما بناها او وقع مشاكلة ما قبله
وقال الطيبي كانهم لما راوا خلقا عجيبا خارجا عما عهدوه خفي عليهم حاله فقالوا اما انت
مكان من انت قال قد قدرتم اي تمكنتم علي خبري اي فاني لا اخفيه عنكم فاحدثكم عن حالي
فاخبروني اي عن حالكم وبما اساله عنكم اولا وهذا معني قوله ما انتم حيث لم يقل من
انتم ويمكن ان يكون طباقا لقولهم وجزا لفعلهم قال الطيبي ومثل ما قوله ما انتم قال
لهم ما انتم لانه ما عهد ان انسانا يطرق ذلك المكان وقال ابن الملك اي من انتم او ما حالكم
قالوا فيه التفات من التكلم الي الغيبة ذكره ابن الملك ويمكن ان يكون التقدير قال بعضنا
ففيه تغليب للغايبين علي الحاضر نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب
بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة اهلب فقالت انا الجساسة اعمدوا بكسر الميم اي
اقصدوا الي هذا اي الرجل في الدير اي القصر الكبير فاقبلنا اليك سراعا فقال اخبروني عن
نخل بيسان بفتح موحدة وسكون تحتية وهي قرية بالشام ذكره الطيبي قرية من الاردن
ذكره ابن الملك وفي القاموس قرية بالشام وقرية بمرو وموضع باليمامة وفي نسخة بنون
بدل الموحدة لكن ما وجدت له اصلا في اللغة يناسب المقام وانما ذكره في القاموس وقال
نيسان سابع الاشهر الرومية هل تثمر اي تلك النخل قلنا نعم قال اما بالتخفيف للتنبيه
انها توشك اي تقرب ان لا تثمر قال اي الرجل اخبروني عن بحيرة الطبرية بفتحتين والبحيرة
تصغير البحر وفي القاموس الطبرية محركة قصبة بالاردن والنسبة اليها طبراني هل فيها ما قلنا
هي كثيرة الما قال ان ماها يوشك ان يذهب اي يفني قال اخبروني عن عين زغر بزا اي
معجمة فغين معجمة فرا كزفر بلدة بالشام قليلة النبات قيل عدم صرفه للتعريف والتانيث لانه في الاصل
اسم امراة ثم نقل بعني لبيس لنا نبته باعتبار البلدة والبقعة فانه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلدة
والبقعة فانه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان وقد قال شارح هو موضع بالشام وقال
النووي هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام هل في العين اي في عينه او في تلك العين فاللام
للعوض عن المضاف اليه او للعهد ما اي كثير لقوله وهل يزرع اهلها اي اهل تلك العين او البلدة
وهي الاظهر لقوله بما العين قلنا نعم هي كثيرة الما واهلها يزرعون من ماها الظاهر ان جوابه علي طبق

ماسبق وهي ما انها يوشك ان لا يبقى فيها ما ينزع به اهلها وفي الاسئلة المذكورة واجوبتها المسطورة اشارة الي انها علامات لخروجه وامارات لذهاب بركتها بشآمة ظهوره ووصوله ولما كان هذه الاسئلة توطية لما بعدها قال اي الدجال معرضا عن الجواب الثاني وبادر الي السؤال المقصود وهو ظهور محمد المحمود اخبروني عن نبي الاميين اي العرب ما فعل بفتحتين اي ما صنع اي بعد ما بعث قال ابن الملك في شرح المشارق اراد الدجال بالاميين العرب لانهم لا يكتبون ولا يقرون غالبا وانما اضاف نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم اليهم طعنا عليه بانه مبعوث اليهم خاصة كما زعم بعض اليهود او بانه غير مبعوث الي ذوي الفطنة والكياسة والعقل والرياسة قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب اي هاجر منها الي المدينة قال اقاتله العرب قالوا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر اي غلب وظفر على من يليه اي بقربه من العرب واطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم قال الطيبي المشار اليه ما يفهم من قوله ان يطيعوه جاء مزيدا للبيان ويجوز ان يكون المشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير ما خبر مسند الي ان يطيعوه وعلى هذا لا يكون بمعنى التفضيل او يكون ان يطيعوه مبتدا وخير خبره مقدما عليه والجملة خبران قال التوربشتي فان قيل يشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من المبعد من الله بمكان لم يبرله فيه مساغ فما وجه قوله هذا قلنا يحتمل انه اراد به الخير في الدنيا اي طاعتهم له خير لهم فانهم ان خالفوه اجتاحهم واستاصلهم ويحتمل انه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه وتفوه بما ذكر عنه كالمغلوب عليه والماخوذ عليه فلا يستطيع ان يتكلم بغيره تاييدا لنبيه صلى الله عليه وسلم والفضل ما شهدت به الاعداء واني مخبركم عني اي بكسر الهمزة وفتحها اني انا المسيح اي الدجال واني بالوجهين يوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع بالنصب في الثلاثة وجوز رفعها اي فلا اترك قرية الا هبطتها في اربعين ليلة ظرف لاسير وعدم الترك اشعارا بقوة سياحته التي هي احد وجوه نسبته بالمسيح على انه فعيل بمعنى الفاعل لكون سياحته مرورا كمسيح غير مكة استثنا من القرية التي وقعت نكرة في سياق النفي المنصب عليه الاستثنا المفيد للاستغراق وطيبة عطف على مكة وهي بفتح الطا وسكون تحتية مفتوحة من اسما المدينة كطابة هما اي مكة وطيبة محرمتان علي اي ممنوعتان على دخولهما كلتاهما تاكيد لهما ثم بين سبب المنع بقوله كلما اردت ان ادخل واحدا اي حرما واحدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا بفتح الصاد وبضم اي مجردا عن الغمد قال شارح هو بالفتح والضم مصدر بمعنى الفاعل والمفعول حال عن الملك او السيف اي مصلتا من قولهم اصلت سيفه اي جرده من غلافه وقوله يصدني عنها اي يمنعني عن كل واحدة منها استئناف بيان او حال والضمير للملك او السيف مجازا والله تعالي حقيقة وهو المذكور في اللسان والمحظور في الجنان فصح ان يكون مرجعا للضمير على وجه البيان كما حقق في قوله تعالي قل هو الله احد وان على كل نقب بفتح نون وسكون قاف اي طريق او باب منها اي من كل واحدة ملائكة يحرسونها اي يحفظونها عن الافات والبليات من غير ذلك الملك والظاهر انه جبريل عليه السلام لما تقدم والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن اي وقد طعن اي ضرب بمخصرته بكسر الميم وفتح الصاد اي بعصاه في المنبر اي عليه كقوله تعالي ولاصلبنكم في جذوع النخل او في الطعن تضمين الايقاع كقوله يخرج من عراقيبها نصلي وفي الفائق هو قضيب يشير به الخطيب او المتكلم اذا خاطب وقال التوربشتي المخصرة كالسوط وكلما اختصر الانسان بيده فامسكه من عصاة ونحوها فهو مخصرة

وجه عز وجل

وقال شارح المخصرة ما يمسكه الانسان بيده فامسكه من عصاة ونحوها فهو مخصرة وقال شارح المخصرة ما يمسكه الانسان بيده من قضيب او عصا ونحوها فيضع تحت خاصرته ويتكي عليها وقيل هي كالسوط هذه طيبة الجملة مقول لقال وما بينهما حال معترضة بين الفاعل والمفعول هذه طيبة كررها ثلاثا للتاكيد يعني المدينة اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذه الموضوعة للاشارة المحسوسة المدينة المحروسة قال التوربشتي لما وافق هذا القول ما كان حدثهم بما يعجبه ذلكم وسديه فقال الا هل نبهتكم هل كنت حدثتكم اي بمثل هذا الحديث ومطابق هذا الخبر فقال الناس نعم الا للتنبيه انه اي الدجال في بحر الشام او بحر اليمن قيل لما حدثهم بقول تميم الداري لم يرد ان يبين لهم موطنه ومجلسه كل التبيين لما راي في الالتباس من المصلحة فرد الامر فيه الي التردد بين كونه في بحر الشام او بحر اليمن ولم يكن العرب يومئذ يسافرون الا في هذين البحرين ويحتمل انه اراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي وببحر اليمن ما يلي الجانب اليماني والبحر واحد وهو الممتد على احد جوانب جزيرة العرب ثم اضرب عن القولين مع حصول اليقين في احدهما فقال لا بل من قبل المشرق ما هو اي هو وما زائدة او موصولة بمعنى الذي اي الجانب الذي هو فيه قال القاضي لفظة ما هنا زائدة للكلام وليست بنافية والمراد اثبات انه في جهة المشرق قال التوربشتي ويحتمل ان يكون خبرا اي الذي هو فيه او الذي هو يخرج منه واوما بيمينه اي اشار بيده الي المشرق قال الاشرف يمكن انه صلى الله عليه وسلم كان شاكا في موضعه وكان في ظنه انه لا يخلو هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن تيقن له من جهة الوحي وغلب على ظنه انه من قبل المشرق فنفي الاولين واضرب بينهما وحقق الثالث رواه مسلم وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اراني من الرؤيا كذا ذكره شارح ويحتمل ان يكون بطريق المكاشفة مع ان رؤيا الانبيا حق كما شغلتهم الليلة اي البارحة ان وقع القول في النهار عند الكعبة ظرف للرؤية او حال من المفعول والمعنى رايت نفسي عند الكعبة فرايت رجلا ادم بالمد اي اسمر كاحسن ما انت راء اي في الاوصاف من ادم الرجال بضم همز وسكون دال مهملة جمع ادم كحمر جمع احمر على ما في النهاية مما وقع في بعض النسخ من الفم فهو من سهو القلم له لمة بكسر اللام وتشديد الميم ما جاوز شحمة الاذن من الشعر كاحسن ما انت راء من اللمم بكسر ففتح جمع لمة قد رجلها بتشديد الجيم اي سرحها ومشطها فهي اي اللمة تقطر ما يحتمل ان يراد بالما الذي سرح به اذ لا يسرح الشعر وهو يابس وان يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة متكيا صفة اخرى لرجلا او حال منه لوصفه بادم اي معتمدا على عواتق رجلين جمع عاتق وهو موضع الردا من الكتف وقال السيوطي ما بين المنكب والعنق ثم التركيب من قبيل قوله تعالى صغت قلوبكما وحديث انضاف ساقيه يطوف بالبيت فيه اشعار بان احدا لا يستغني عن هذا الجناب ولا يبغي لهم غرض الا من هذا الباب وفي قوله تعالى مثابة للناس اي الي ذلك ولذا وجد الكفار في الجاهلية من البعثة ما كانوا يتركون الطواف والان ايضا يتمني اليهود والنصارى ان يتشرفوا برؤية هذا البيت والطواف حوله وقال التوربشتي طواف الدجال عند الكعبة مع انه كافر ماول بان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم من مكاشفاته كوشف بان عيسى عليه السلام في صورته الحسنة التي ينزل عليها يطوف حول الدين لاقامة اوده واصلاح فساده وان الدجال في صورته الكريهة التي ستظهر يدور حول الدين يبغي العوج والفساد فسالت من هذا فقالوا هذا الدجال المسيح قال التوربشتي وجه تسميته بالمسيح في احب الوجوه الينا ان الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة كما ان الشر مسح عن مسيح الهداية وقيل سمي عيسى به لانه كان لا يمسح بيده ذا عاهة الا برا وقيل لانه امسح الرجل لا اخمص له وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن

وقيل لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وقيل المسيح الصديق وسمي الدجال به لان احدي عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور سمي مسيحا انتهي او لانه يمسح في ايام معدودة جميع مساحة الارض الا مكة والمدينة فهو فعيل بمعني فاعل ووصف بالمسيح الدجال لان المسيح وصف غلب علي عيسي عليه السلام فوصف بالدجال ليتميز المحق من المبطل متفق عليه قيل رواه مسلم في باب الاسرا وفي رواية قال اي النبي صلي الله عليه وسلم في الدجال اي في حقه وشانه رجل اي هو رجل احمر اي لونا جسيم اي بدنا جعد الراس اي شعرا اعور عينه اليمني اقرب الناس به شبها ابن قطن وذكر حديث ابي هريرة لا تقوم الساعة حتي تطلع الشمس من مغربها في باب الملاحم وسنذكر حديث ابن عمر قام رسول الله صلي الله عليه وسلم اي فاثني علي الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال الي اخره في باب قصة ابن صياد ان شا الله تعالي متعلق بقوله سنذكر وكان المولف اي ان ذكره في ذلك الباب هو الاقرب الي الصواب الفصل الثالث عن فاطمة بنت قيس في حديث تميم الداري اي علي ما سبق بطوله قال اي تميم وفي نسخة قالت اي نا فلنا عنه فاذا انا بامراة قال في الحديث السابق فلقيتهم دابة اهلب وههنا فاذا انا بامراة قيل يحتمل ان للدجال جساستين احدهما دابة الثانية امراة ويحتمل ان الجساسة كانت شيطانة فتمثلت مرة في صورة دابة واخري في صورة امراة وللشيطان التشكل باي شكل اراد ويحتمل ان تسمي المراة دابة مجازا قال تعالي ان شر الدواب عند الله الصم البكم قلت الاظهر في الاستشهاد قوله سبحانه وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها اذ الدابة في هذه الاية تعم المخلوقين المرزوقين بخلاف الاية السابقة فان الظاهر ان المراد من الدواب بها الحيوانات فيكون في المعني كقوله تعالي اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا تجر شعرها صفة الامراة وهو كناية عن طول شعرها والشعر بحرك ويسكن قال اي تميم ما انت قالت انا الجساسة اذهب الي ذلك القصر اي المعبر عنه فيما سبق بالدير فاتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل صفة ثانية اي مقيد بالسلاسل في الاغلال ينزو بفتح اوله وسكون النون وضم الزاي يثب فيما بين السما والارض وابعد من قال انه متعلق بمسلسل فقلت من انت قال انا الدجال رواه ابو داود وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اني حدثتكم عن الدجال حتي خشيت ان لا تعقلوا اي لا تفهموا ما حدثتكم به في شان الدجال او تنسوه لكثرة ما قلت في حقه قال الطيبي حتي غاية حدثتكم اي حدثتكم احاديث شتي حتي خشيت ان يلتبس عليكم الامر فلا تعقلوه فاعقلوا وقوله ان المسيح الدجال اي بكسر ان استينافا وقع تاكيدا لما عسي ان يلتبس عليهم انتهي وقيل خشيت بمعني رجوت وكلمة لا زائدة ثم قوله قصير غير ملايم لما سبق من كونه اعظم انسان ووجه الجمع انه لا يبعد ان يكون قصير البطن عظيم الخلقة وهو المناسب لكونه كثير الفتنة او العظمة مصروفة الي الهيبة قيل ويحتمل ان الله تعالي يغيره عند الخروج افحج بتقديم الحا علي الجيم اي الذي يتدانا صدور قدميه وتتباعد عقباه وينفحج ساقاه اي ينفرج وهو خلاف الاروح كذا قاله شارح وفي النهاية الفحج تباعد ما بين الفخذين جعد اي شعره اعور اي احدي عينيه مطموس العين اي ممسوحها بالنظر الي الاخري ليست اي عينه بناتية مرتفعة فاعله من النتو ولا حجرا بتقديم الجيم وسكون حا اي ولا غائرة والجملة المنفية موكدة لاثبات العين الممسوحة وهي لا تنافي ان الاخري ناتية بارزة كنتو حبة العنب علي ما تقدم والله اعلم فان البس عليكم بصيغة المجهول

اي ان اشتبه عليكم امر الدجال بنسيان ما بينت لكم من الحال او ان لبس عليكم امره بما يدعيه من الوهية بالامور الخارقة عن العادة فاعلموا ان ربكم ليس باعور اي اقل ما يجب عليكم معرفة صفات الربوبية هو التنزيه عن الحدوث والعيوب لا سيما النقايص الظاهرة المرئية رواه ابو داود وكذا النسائي وعن ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول انه اي الشان لم يكن نبي بعد نوح الا قد انذر الدجال قومه اي خوفهم به وقدم المفعول الثاني للاهتمام بذكره وقد تقدم ان نوحا عليه السلام انذر قومه فبعد نوح ليس للاحتراز واني انذركموه اي الدجال ببيان وصفه خوفا عليكم من تلبيسه ومكره فوصفه لنا اي ببعض اوصافه قال اي النبي عليه السلام لعله سيدركه بعض من راني اي علي تقدير خروجه سريعا وقيل دل علي بقا الخضر او سمع كلامي لبيس او هذا شك الراوي بل للتنويع لانه لا يلزم من الروية السماع وهو منع الخلو لامكان الجمع وقيل المعني او سمع حديثي بان وصل اليه ولو بعد حين قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ فيه اشارة الي ان سحره لا يوثر في قلوب المومنين وان كان يخيل في اعينهم ما ليس من اليقيني قال مثلها اي مثل قلوبكم الان وهو معني قول الراوي يعني اي يريد بالاطلاق تقييد الكلام بقوله اليوم او خير شك من الراوي ويحتمل التنويع بحسب الاشخاص رواه الترمذي قيل وحسنه وابو داود وعن عمرو بن حريث تصغير حرث بمعني زرع قال المولف قرشي مخزومي راي النبي صلي الله عليه وسلم ومسح براسه ودعا له بالبركة عن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بصيغة التثنية لان الحديث من باب رواية الصحابي الصغير عن الكبير قال اي الصديق حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم قال استيناف موكد لحدثنا او بدل علي مذهب السالمي ومن تبعه من ان الابدال يجري في الافعال وهو اصح الاقوال والتقدير حدثنا اشيا من جملتها قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان بضم اوله في القاموس انه بلاد يعني موروفة بين بلاد ما ورا النهر وبلدان العراق معظمها الان بلدة هراة المسماة بخراسان كتسمية الدمشق بالشام يتبعه بسكون التا وفتح البا وفي نسخة بتشديد التا وكسر البا اي يلحقه ويطيعه اقوام اي جماعات اي عظيمة وغريبة من جنس الانسان ولكنهم يشبهون الجان كان وجوههم المجان بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهي الترس وقوله المطرقة بضم الميم وسكون الطا علي ما في اصل السيد واكثر النسخ وقال السيوطي روي بتشديد الرا وتخفيفها فهي مفعوله من اطرقه او طرقه اي جعل الطراق علي وجه الترس والطراق بكسر الطا الجلد الذي يقطع علي مقدار الترس فيلصق علي الظهر والمعني ان وجوههم عريضة ووجناتهم مرتفعة كالمجنة وهذا الوصف انما يوجد في طايفة الترك والازبك بما ورا النهر ولعلهم يا تون اي الدجال في خراسان كما يشير اليه قوله يتبعه او يكونون حينئذ موجودين في خراسان حماه الله عن افات الزمان رواه الترمذي وكذا ابن ماجة والحاكم وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما اسلم هو وابوه وكان فضلا الصحابة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من سمع بالدجال اي بخروجه وظهوره فلينا بفتح اليا وسكون النون وفتح الهمزة امر غايب من نا ي حذف النعة الجزم اي فليبعد منه اي من الدجال لان البعد عن قربه سعد قال تعالي ولا تركنوا الي الذين ظلموا فتمسكم النار والركون ادني الميل فوالله ان الرجل ليا تيه وهو اي الرجل يحسب بكسر السين وفتحها اي يظن انه اي الرجل بنفسه مومن فيتبعه بالتخفيف والتشديد اي فيطيع الدجال مما يبعث به بضم اوله وبفتح اي من اجل ما يثيره ويباشره من الشبهات اي المشكلات

كالسحر واحيا الموتى وغيرذلك فيصير تابعه كافرا وهو لايدري رواه ابوداود وعن اسما بنت
يزيد بن السكن بفتحتين الانصارية من ذوات العقل والدين قالت قال النبي صلى الله عليه
وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة وتقدم ان لبثه في الارض اربعون يوما ولعل وجه
الجمع بينهما اختلاف المكلفية والكيفية كما يشير اليه قوله السنة كالشهر فانه يحمل على سرعة
الانقضا كما ان ما سبق من قوله يوم كسنة محمول على ان الشدة في غاية من الاستقصا
على انه يمكن اختلافه باختلاف الاحوال والرجال والشهر اي من السنة كالجمعة اي كالاسبوع
والجمعة يعني الاسبوع من الشهر كاليوم اي كالنهار واليوم كاضطرام السعفة
بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل اي كسرعة التهاب النار في سعف النخل
والاضطرام الالتهاب والاشتعال فالمعنى ان اليوم كالساعة رواه اي البغوي في شرح
السنة اي باسناده وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الدجال من امتي اي امة الاجابة او الدعوة وهو الاظهر لما سبق انهم من يهود اصفهان
سبعون الفا عليهم السيجان بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج وهو الطيلسان
الاخضر وقيل المنقوش ينسج كذلك قال ابن الملك اي اذا كان اصحاب الثروة سبعين
الفا فما ظنك بالفقرا قلت الفقرا الكون هم مفلسين هم في امان الله الا اذا كانوا طامعين في
المال فانهم في المعنى من اصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة سوا يكون متبوعهم على الحق
او الباطل كما شوهد في الازمنة السابقة من ايام يزيد والحجاج وابن زياد وهكذا الى يوم الفساد
كل سنة بل كل يوم في البلاد من تبع العلما العباد والمشايخ الزهاد على ما يشاهد بنشر العباد للاغراض
الفاسدة والمناصب الكاسدة ونسال الله العفو والعافية وحسن الخاتمة رواه في شرح
السنة قيل في سنده ابو هارون وهو متروك وعن اسما بنت يزيد اي ابن السكن قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فقال ان بين يديه اي قدام الدجال وقبيل زمان خروجه ثلاث
سنين اي مختلفة في ذهاب البركة سنة بالرفع وفي نسخة بالنصب تمسك السما اي تمتنع
بامساك الله ايها اي في تلك السنة ثلث قطرها بفتح القاف اي مطرها المعتاد في البلاد والارض
اي وتمسك الارض ثلث نباتها اي ولو كانت تسقى من غير المطر والثانية اي السنة الثانية
وهي بالرفع ويجوز نصبها اما على البدلية واما على الظرفية تمسك السما ثلثي قطرها والارض
ثلثي نباتها والثالثة تمسك السما قطرها كله والارض نباتها كله يعني فيقع القحط فيما بين
اهل الارض كله ويكون الخزاين والكنوز تتبعه وانواع النعم من الخبز والثمار والانهار معه
فلا يبقى بالتذكير ويؤنث ذات ظلف بكسر الظا المعجمة هي للبقر والشاه والظبي ولا ذات ضرس
وهي للسباع من البهايم الا هلكت اي لا يبقى في حال من الاحوال الا في حال الهلاك وان من
اشد فتنته اي اعظم بليته انه ياتي اي الدجال الاعرابي اي البدوي ومن في معناه من جنس
الغبي فيقول اي الدجال ارايت اي اخبرني ان احييت لك ابلك اي التي ماتت من القحط الست
تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل بكسر المثلثة وبفتح اي يصور له نحو ابله اي مثال ابله من الشياطين
كما يدل عليه نسخة فيمثل له الشياطين نحو ابله كاحسن ما يكون اي كاحسن اكوانه ضروعا اي من
اللبن ونصبه على التمييز واعظمه اي واعظم ما يكون من جهة السمن اسنمة بكسر النون جمع
السنام قال اي النبي عليه السلام وانما ذكره تاكيدا او اعادة لطول الفصل تاكيدا وياتي الرجل
عطف على قوله وياتي الاعرابي فيكون من جملة اشد الفتنة قد مات اخوه اي مثلا ومات

ابوه

ابوه القاهر انه الولد بمعنى او ولد الاعاد الفعل فيقول ارايت اي اخبرني والخطاب لمن مات ابواه او لكل من مات
ابواه او امه ان احييت لك اباك واخاك جميعا واخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل
له الشياطين مفعول اول نحو ابيه ونحو اخيه مفعول ثان وفي نسخة تمثل بصيغة المجهول
ورفع الشياطين وقيل نصب الشياطين بنزع الخافض اي من الشياطين فعلى هذا ينتصب نحو
ويرفع باختلاف العاملين قالت اي اسما ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فلما
رجع والقوم في اهتمام وغم اي بشديد وزيد للتاكيد مما حدثهم اي من اجل تحديثهم اياهم
به قالت فاخذ بلحمتي الباب بفتح اللام وسكون الحا كذا في جميع نسخ المشكوة اي ناحيته
ذكره ابن الملك في شرح المصابيح وقال شارح له هو بلحفتي الباب اي بهما العضادتان
وقد فسر بجانبيه ومنه الحافتا البير اي جوانبها وفي كتاب المصابيح بلجفتي الباب وليس بشي
ولم يوجد ذلك في كتب اصحاب الحديث الا على ما ذكرنا قلت ويؤيده ما في القاموس من ان اللجف
حفر في جانب البير ولجفتا الباب جانباه لكن بعد اتفاق النسخ لا بد من التوجه ففي القاموس
اللحمة القطعة من اللحم فيحرر ويقال المراد بهما قطعتي الباب فانهما تلتحمان وتنفصلان
وتلتيمان وهما ولى من تخطية رواة الكتاب والله اعلم بالصواب فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
مهيم بفتح فسكون ثم فتح فسكون في القاموس مهيم كلمة استفهام اي ما حالك وما شانك
وما وراءك او احدث لك شي وقال القاضي مهيم كلمة يمانية ومعناه ما الحال والخبر وقوله اسما
منادى حذف منه حرف الندا قلت يا رسول الله لقد خلعت افيدتنا اي اقلعت قلوبنا
بذكر الدجال اي وما معه من الفتنة وشدة الحال قال ان يخرج وانا حي اي موجود وتقديرا
فانا حجيجه اي دافعه عنكم بالحجة او الهمة والا فان ربي خليفتي على كل مومن وهو ما ينافي
ما سبق من قوله فامرو حجيج نفسه فان المقصود انه يجب على كل شخص انه يدفعه
عن نفسه بالحجة اليقينية فاذا كان صاحب النبوة موجودا فلا يحتاج الى غيره لانه موبد
من عند الله والا فالله ولي دينه وناصر نبيه وحافظ اوليايه ممن امن به فقلت يا رسول
الله انا لنعجن بكسر الجيم عجيننا فما نخبزه بكسر الموحدة ويضم اي فما نتم خبزه حتى نجوع اي
من قلة صبرنا على الاكل فكيف بالمومنين اي البارزين اي كيف حالهم يومئذ اي في وقت
القحط وانحصار وجود الخبز عند الدجال واتباعه قال يجزيهم ما يجزي بضم اوله مهموزا اي
يكفيهم ما يكفي اهل السما اي الملايكة من التسبيح والتقديس قال المظهر يعني من ابتلي
بزمانه يجد ذلك اليوم لا يحتاج الى الاكل والشرب كما لا يحتاج الملايكة الاعلى وابعد الطيبي
حيث قال معناه انا نعجن العجين لنخبزه فلا نقدر على خبزه لما فينا من خوف الدجال
حين خلعت افيدتنا بذكره فكيف حال من ابتلي بزمانه فمعنى قوله يجزيهم انه تعالى يسلمهم
ببركة التسبيح والتقديس هذا وفي الحديث كلمة سبحان الله وبحمده عبادة الخلق وبها
يقطع ارزاقهم رواه البزار عن ابن عمرو ومعنى الانقطاع تسويغ الامام من مال الله شيا لمن يراه
اهلا له ذلك لانه استعمل في كل ما يعين الشخص رواه هنا بياض في الاصل والحق به احمد وابو داود
والطيالسي وقيل رواه احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها
وانفرد به عنها

الفصل الثالث

عن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الدجال اكثر مما سالته اي عنه وانه بكسر الهمزة والواو للحال او للعطف الجملة
التي تدل على المنفية والتقدير وقال انه والواو لمطلق الجمع والضمير للشان او له صلى الله عليه

وسلم قال لي ما يضرك قال الطيبي الجملة حال والمعنى كنت مولعا بالسؤال عن الدجال مع انه صلى الله
عليه وسلم قال ما يضرك فان الله تعالى يكفيك شره اقول والظاهر ان الجملة اخبارية سببية ويمكن ان
تكون خبرية لفظا وفي المعنى دعائية وانما اتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده في الاستقبال والله
اعلم بالحال قلت انهم اي الناس او اهل الكتاب او اليهود يقولون ان معه جبل خبز بضم الخاء المعجمة
وسكون الموحدة فزاي اي معه من الخبز قدر الجبل وفي نسخة جبل خبز وهي كذا في المصابيح
وكانه تصحيف ونهر ما بفتح الهاء وهو افصح ويسكن هو اشهر وفيه اشارة الى ان في زمانه قحط
الما ايضا ابتلا للعباد ورفع البركة في البلاد لعموم الفساد وهذا السؤال مستقل لا تعلق
له بما قبله وابعد الطيبي في قوله قالت الخ استينافا في جواب عن سؤال مقدر اي سالته يوما
فقال لي لا يضرك اي ما يضلك قلت كيف ما يضلني وانهم يقولون ان معه جبل خبز قال هو اهون
على الله من ذلك اي الدجال هو احقر من ان الله تعالى يحقق له ذلك وانما هو تخييل وتمويه للابتدا
فيبهت المومن ويزل الكافر والمراد انه اهون من ان يجعل شيئا من ذلك انه على صدقه
ولاسيما قد يجعل فيه اية ظاهرة في كذبه وكفره يقراها من لا يقرا وفي شرح مسلم قال القاضي معناه
هو اهون على الله من ان يجعل ما خلق الله تعالى على يديه مضلا للمومنين ومشككا لقلوبهم
بل انما جعله الله ليزداد الذين امنوا ايمانا ويلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم وليس
معناه انه ليس معه شيء من ذلك متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يخرج الدجال على حمار اقمر اي شديد البياض على ما في النهاية وفيه ايماء الى
ان حماره احسن من وجهه ما بين اذنيه صفة ثانية لحمار سبعون باعا وهو طول ذراعي الانسان
وما بينهما رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور

باب قصة ابن صياد

كذا في نسخة السيد واكثر النسخ المعتمدة وفي بعض النسخ ابن الصياد وهو في القاموس ابن
صايد او صياد الذي كان الدجال يظن انه وقال الاكمل ابن صايد اسم عبد الله وقيل صاف
ويقال ابن صايد وهو يهودي من يهود المدينة وقيل هو دخيل فيهم وكان حاله في صغره
حال الكهان يصدق مرة ويكذب مرارا ثم اسلم لما كبر وظهرت منه علامات من الحج والجهاد
مع المسلمين ثم ظهرت منه احوال وسمعت منه اقوال تشعر بانه الدجال وقيل انه تاب
بالمدينة وقيل بل فقد يوم الحرة وقال ابن الملك اختلفوا في حال ابن الصياد فقيل هو
الدجال وما يقال انه مات بالمدينة لم يثبت اذ قد روي انه فقد يوم الحرة واما انه لم يولد له
للدجال وانه لا يدخل البلدين وانه يكون كافرا فذلك في زمان خروجه وقيل ليس هو الدجال
ونقل ان جابرا حلف بالله ان ابن الصياد هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب يحلف ذلك عند النبي
صلى الله عليه وسلم ولم ينكره والظاهر من قصة تميم الداري انه ليس هو الدجال نعم ان كان امر ابن
الصياد ابتلاء من الله تعالى لعباده فوقى الله المسلمين من شره اقول ولا ينافيه قصة تميم الداري
اذ يمكن ان يكون له ابدان مختلفة فظاهره في عالم الحس والخيال دائر مع اختلاف الاحوال وباطنه
في عالم المثال مقيد بالسلاسل والاغلال ولعل المانع من ظهوره كماله في الفتنة وجود سلاسل
النبوة واغلال الرسالة والله سبحانه اعلم

الفصل الاول

عن عبد الله بن عمر ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وافرد الضمير لكونه هو الاصل المروي عنه وذكر ابنه تبعا له وفي نسخة
عنهما وهو موهم ان يدخل فيه الخطاب وهو عدول عن الصواب انطلق اي ذهب عمر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رهط وهو ما دون العشرة من الرجال والمعنى في جملة جمع من اصحابه قبل ابن صياد

بكسر قاف

لله عز وجل

بكسر قاف وفتح موحدة اي جانبه حتى وجدوه قبل حتى هنا حرف ابتدا يستانف بعده الكلام ويفيد
انتها الغاية وقوله يلعب مع الصبيان حال من مفعول وجدوه في اطم بني مغالة بفتح الميم وبضم
والغين المعجمة ونقل بالعين والمهملة وهو قبيلة والاطم بضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة
وكل بيت مربع مسطح الجمع اطام واطوم كذا في القاموس وقال النووي المشهور مغالة
بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم بضمتين وسكون
اللام اي البلوغ بالاحتلام وغيره فلم يشعر بضم العين وفيه اشعار بانهم جاوه على غفلة منه اي لم
يتفطن بمجيئنا حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره اي ظهر ابن صياد بيده اي الكريمة ثم قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم اتشهد اني رسول الله فنظر اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم نظر غضب
وغفلة ولذا لم يترتب عليه نصرة له كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فقال اشهد انك رسول
الاميين قال القاضي يريد بهم العرب لان اكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرون وما ذكره وان كان حقا
من قبل المنطوق لكنه يشعر بباطل من حيث المفهوم وهو انه مخصوص بالعرب غير مبعوث الى العجم
كما زعمه بعض اليهود وهو ان قصد بذلك فهو من جملة ما يلقي اليه الكاذب الذي ياتيه وهو
شيطانه انتهى ويمكن ان يكون مسموعة من اليهود لانهم منهم او هذا على طريقة الحكاية في زعمهم
انهم مستغنون عن الانبيا ثم قال ابن صياد اتشهد اني رسول الله يحتمل انه اراد به الرسالة النبوية
كما يدل عليه المقابلة الكلامية ويحتمل انه اراد الرسالة اللغوية فانه ارسل من عنده تعالى للفتنة
والبلية فرصه النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الصاد المهملة اي ضغطه حتى ضم بعضه
الى بعض ومنه قوله تعالى كانهم بنيان مرصوص ذكره الخطابي وقال النووي في اكثر نسخ بلادنا
فرفضه بالفا والضاد المعجمة والمعنى تركه وقطع سواله وجوابه وجداله من هذا الباب وقال شارح
قوله فرفضه اي كسره وقيل صوابه بالمهملة والمراد منه العصر والتضييق ثم قال اي النبي عليه السلام
امنت بالله ورسله قال الطيبي هو عطف على فرصه وثم للتراخي في الرتبة والكلام خارج على ارخا
العنان اي امنت بالله ورسله فتفكر هل انت منهم انتهى وفيه ايهام تجويز التردد في كونه من
الرسل ام لا ولا يخفى فساده فالصواب انه عمل بالمفهوم كما فعله الدجال فالمعنى اني امنت برسله
وانت لست منهم فلو كنت منهم لامنت بك وهذا ايضا على الفرض والتقدير او قبل ان يعلم انه خاتم
النبيين والا فبعد العلم بالخاتمة فلا يجوز ايضا الفرض والتقدير وقد قال بعض علمائنا بانه لو ادعى
احد النبوة فطلب منه شخص المعجزة كفر وانما لم يقتله صلى الله عليه وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة
لانه صبي وقد نهي عن قتل الصبيان او ان اليهود كانوا يومئذ متمسكين بالذمة مصالحين ان
يتركوا على امرهم وهو منهم او من حلفائهم فلم يكن ذمة ابن الصياد لتنتقض بقوله الذي قال كذا قاله
بعض علمائنا من الشراح وقال ابن الملك وهذا يدل على ان عهد الوالد يجري على ولده وقيل انه
ما ادعى النبوة صريحا لان قوله اتشهد استفهام لا تصريح فيه وفيه تاييد لما قدمته من الاحتمال
المعنى اللغوي في الرسالة ثم قال لابن الصياد وماذا ترى وما استفهامية اي ما تبصر وتكاشف
من الامر الغيبي قال ياتيني صادق اي خبر صادق تارة وكاذب اي اخرى او ملك صادق
وشيطان كاذب وقيل حاصل السؤال ان الذي ياتيك ما يقول لك ومجمل الجواب انه يحدثني
بشي قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط بصيغة
المجهول مشددا للمبالغة والتكثير ويجوز تخفيفه اي شبه عليك الامر اي الكذب بالصدق
قال النووي اي ما ياتيه به شيطانه مخلط قال الخطابي معناه انه كان له تارات تصيب في

بعضها ويخطئ في بعضها فلذلك التبس عليه الامر قال صلى الله عليه وسلم اني خبات اي اضمرت لك في نفسي
خبيئا اي اسما مضمرا لتخبرني به قال ابن الملك وانما امتحنه صلى الله عليه وسلم بذلك ليظهر ابطال حاله
للصحابة وانه كاهن ياتيه الشيطان فيلقي على لسانه وخباله يوم ياتي السماء بدخان مبين الجملة
حال يتقدر بقد او بدونه فقال هو الدخ بضم فتشديد وقيل بالفتح وحكي الكسر ايضا ففي النهاية
الدخ بضم الدال وفتحها الدخان لانه اراد بذلك يوم تاتي السماء بدخان مبين وقيل ان عيسى
يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل ان يكون اراده تعريضا بقتله وفي القاموس الدخ وبضم الدخان
اقول ولو روعي بضم الدال وتخفيف الخا لكان له وجه في انه رمز واشارة الى الدخان وتصرح بنقص
ادراكه كما هو داب الكهان وقال النووي وهو بضم الدال وتشديد المعجمة وهي لغة في الدخان
ومعنى اخبات اضمرت لك اسم الدخان والصحيح المشهور انه صلى الله عليه وسلم اضمر له اية الدخان
وهي قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين قال القاضي عياض واصح الاقوال انه
لم يات من الاية التي اضمرها النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان اذا
القى الشيطان اليهم بقدر ما يخطف قبل ان يدركه الشهاب ويدل عليه ما ذكره الراوي عنه فقال
اخسا بفتح السين وسكون الهمزة كلمة زجر واستهانة اي امكث صاغرا او ابعد حقيرا واسكت
مزجورا من الخسو وهو زجر الكلب فلن تعدو بضم الدال اي فلن تجاوز قدرك اي القدر الذي يدرك
الكهان من الاهتدا الى بعض الشي ذكره النووي وقال الطيبي اي لا يتجاوز عن اظهار الخبيئة
على هذا الوجه كما هو داب الكهنة الى دعوى النبوة فتقول اتشهد اني رسول الله اقول
وحاصل الجملة وزبدة المسالة انك وان اخبرت عن الخبي فلن تستطيع ان تجاوز عن الحد
الذي حد لك يريد ان الكهانة لا ترفع بصاحبها عن القدر الذي عليه هو وان اصاب في كهانته
قال عمر فيه التفات او تجريد ويمكن ان يكون ابن عمر صاحبا لهم ويدل عليه ما بعده فقال
قال عمر يا رسول الله اتاذن لي فيه اي في حقه اضرب وفي نسخة فاضرب وفي اخرى ان اضرب
عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو اي الدجال لا تسلط بصيغة المجهول مجزوما
وفي نسخة بالرفع اي لا تقدر عليه اي على هلاكه لان المقدر ان قاتله عيسى عليه السلام فيما سياتي
من الايام وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله اي لما قدمناه من كونه صغيرا او ذميا او كون كلامه محتملا
اقول واوسطها اعدلها قال ابن الملك ولما كان فيه قراين دالة على كونه الدجال ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم الحديث بصورة الشك والله اعلم قال القاضي قوله ان يكن هو الضمير للدجال ويدل عليه ما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسى ابن مريم والا يكن هو فليس
لك ان تقتل رجلا من اهل العهد وهو خبر كان واسمه مستكن فيه وكان حقه ان يكون فوضع
المرفوع المتصل موضع المنصوب المتصل على عكس قولهم لولاه ويحتمل ان يكون تاكيدا للمستكن
والخبر محذوف على تقدير ان يكون هو هنا قال الطيبي ويجوز ان يقدر ان يكن هو الدجال وهو ضمير
فصل او هو مبتدا والدجال خبره والجملة خبر كان انتهى وعلى الاخير يكون في يكن ضمير الشان كما
لا يخفى قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بن كعب الانصاري بالرفع
للعطف ويجوز النصب للمعية يومان النخل من امه يومه اذا قصده اي يقصدان النخل التي
فيها اي فيما بينها او في بستانها ابن صياد فطفق بكسر الفا اي شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتقي اي يستر نفسه بجذوع النخل اي ويختفي عن ابن صياد لياخذه على غرة وغفلة فان تلك
الحالة ادل على بطلان الرهبان وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم يختل بسكون الخا وكسر الفوقية من

الختل وهو طلب الشي بحيلة والمفعول محذوف اي يخدع ابن صياد ان يسمع اي ليسمع من
كلامه شيئا قبل ان يراه اي ويعلم هو واصحابه حاله في انه كاهن ام ساحر ونحوهما قال النووي
وفيه جواز كشف احوال ما يخاف مفسدته وكشف الامور المبهمة بنفسه وابن صياد مضطجع
على فراشه في قطيفة اي دثار مخمل وقيل لحاف صغير له فيها زمزمة قال النووي هو في معظم نسخ
مسلم بزايين معجمتين وفي بعضها برايين مهملتين ووقع في البخاري بالوجهين وهو صوت خفي لا يكاد
يفهم او لا يفهم قال شارح هي صوت لا يفهم منه شي وهي في الاصل صوت الرعد فرات ام ابن صياد
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت اي لابنها اي صاف بالضمير وفي نسخة بالكسر
على ان اصله صافي فحذف اليا واكتفي بالكسرة ويعضد الاول ظاهر قوله وهو اسمه ويمكن
ان يكون الاسم بمعنى الوصف فانه قد يستعمل بالمعنى الاعم من نحو اللقب والعلم هذا اي
ورائك محمد وجا لك فتنبه له فتناهى ابن صياد اي انتهى عما كان فيه من الزمزمة وسكت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته اي امه بين اي اظهر ما في نفسه كذا في شرح السنة
وقال النووي اي بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شانه قال عبد الله بن عمر الظاهر
انه ما سياتي حديث اخر ذكره استطرادا وكذا المراد بعاطفه وقال قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه
وما من نبي الا وقد انذر قومه اي بعد نوح لقد انذر نوح قومه اي قبل الانبيا ولكني
سا قول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون خبر بمعنى الامر اي اعلموا انه اعور
وان الله بالفتح للعطف وبالكسر على ان الجملة حالية ليس باعور اي بالامر البديهي
في التنزيه الالهي قال التوربشتي يحتمل ان احدا من الانبيا لم يكاشف ولم يخبر
بانه اعور ويحتمل انه اخبر ولم يقدر له انه يخبر عنه كرامة لنبينا صلى الله عليه وسلم
حتى يكون هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بامره
جهال العوام فضلا عن ذوي الالباب والافهام وفي شرح مسلم للنووي قالوا قصته
مشكلة وامره مشتبه في انه هل هو المسيح الدجال ام غيره ولا شك انه دجال من
الدجاجلة قالوا والظاهر الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم لم يوح اليه بانه المسيح الدجال
ولا غيره وانما اوحي اليه بصفات الدجال وكان لابن صياد قراين محتملة فلذلك
كان صلى الله عليه وسلم لا يقطع بانه الدجال ولهذا قال لعمر رضي الله عنه لا يولد
الدجال ولا ولد له وان لا يدخل مكة والمدينة وابن صياد قد دخل المدينة
وقد توجه الى مكة فلا دلالة فيه لانه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن صفاته
وقت فتنته وخروجه في الارض قال الخطابي واختلف السلف في امره بعد كبره
فروي انه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وانهم لما ارادوا الصلاة عليه كشفوا
عن وجهه حتى يراه الناس وقيل لهم اشهدوا قال وكان ابن عمر وجابر يحلفان ان
ان ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه فقيل لجابر انه اسلم فقال وان اسلم فقيل انه
دخل مكة وكان بالمدينة فقال وان دخل وروى ابو داود باسناد صحيح عن جابر
قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وهذا يبطل رواية من روى انه مات بالمدينة وصلي
عليه وقد روى مسلم في هذه الاحاديث ان جابرا حلف بالله تعالى ان ابن صياد
هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحلف على ذلك عند النبي صلى الله

عليه وسلم ولم ينكره قال البيهقي في كتاب البعث والنشور اختلفوا في امر ابن صياد اختلافا
كثيرا هل هو الدجال ام لا فمن ذهب الي انه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة
ويجوز ان يتوافق صفة ابن صياد وصفة الدجال لما ثبت في الصحيح ان اشبه الناس بالدجال
عبد العزى بن قطن وليس هو هو قال وكان امر ابن صياد فتنة ابتلي الله بها عباده فعصم
الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها قال وليس في حديث تميم هذا كلام البيهقي فقد
اختار انه غيره وقدمنا انه صح عن ابن عمر وجابر انه الدجال فان قيل لم لم يقتله النبي صلى الله عليه
وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره احدهما انه كان غير
بالغ واختار القاضي عياض هذا الجواب والثاني انه كان في ايام مهادنة اليهود وحلفائهم
وجزم الخطابي بالجواب الثاني قال لان النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين
اليهود كتاب الصلح على ان يتركوا على حالهم وكان ابن صياد منهم او دخيلا فيهم قال الخطابي واما
امتحان النبي صلى الله عليه وسلم بما خبأه من اية الدخان فلانه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة
ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر ابطال حاله للصحابة فانه
كاهن ساحر ياتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين الي الكهنة فامتحنه ثم
قال فلن تعدو قدرك اي لا تتجاوز قدرك وقدر امثالك من الكهان الذين يختطفون من
القا الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الانبيا عليهم السلام فانهم يوحي الله تعالى
اليهم من علم الغيب ما يوحي فيكون واضحا جليا كاملا وبخلاف ما يلهم الله الاوليا من
الكرامات والله اعلم متفق عليه ورواه ابو داود والترمذي وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه قال لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يعني اي يريد ابو سعيد
بالضمير البارز ابن صياد والمعنى لقوه في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتشهد اني رسول الله فقال هو اي ابن صياد وهو تاكيد للضمير المستكن في فقال اتشهد
اني رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت بالله وملائكته وكتبه ورسله تقدم ما يتعلق به ماذا ترى
قال ارى عرشا على الما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى عرش ابليس على البحر اقول قد جرى لبعض
المكاشفين من هذه الامة وقد قدمنا بيانه وما ترى اي غير هذا قال ارى صادقين وكاذبا او
كاذبين وصادقا اي ياتيني شخصان يخبران بما هو صدق وشخص يخبرني بما هو كذب
والشك من ابن الصياد في عدد الصادق والكاذب يدل على افترائه اذ المؤمن من عند الله
لا يكون كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاصحابه لبس عليه بضم لام وكسر موحدة
مخففة ولو شدد لافاد التاكيد والتكثير اي خلط عليه الامر في كهانته فدعوه اي فاتركوه
فانه لا يحدث بشي يصلح بقوله رواه مسلم وعنه اي عن ابي سعيد ان ابن صياد
سال النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة اي ما ترابها فقال درمكة في القاموس الدرمك كجعفر
الحوارى والتراب الناعم بيضا صفة موكدة مسك خالص حبرتان وفي النهاية الدرمكة الدقيق
الحوارى شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها بالمسك لطيبها انتهى وتعاله دقيق حوارى
بضم الحا وتشديد الواو وفتح الرا هو ما حوري اي بيض من الطعام رواه مسلم وعن نافع رضي
الله عنه قال لقي ابن عمر ابن صياد اي راه في بعض طرق المدينة فقال اي ابن عمر له قولا اغضبه
اي القول مجازا او ابن عمر فانتفخ اي ابن صياد انتفخ من الغضب حتى ملا اي جسده المنتفخ السكة
بكسر فتشديد اي الطريق فدخل ابن عمر على حفصة وهي اخته ام المومنين وقد بلغها

اي وقد

اي وقد وصل اليها ما جرى بينهما فقالت له لاخيها رحمك الله جملة دعائية دالة على جواز مثلها للاحيا
وان كان العرف الان على خلاف ذلك ما اردت ما استفهام مفعول اردت اي اي شي قصدت من ابن
صياد اي حيث اغضبته في الكلام اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج اي الدجال
حين يخرج من غضبة بسكون الضاد المعجمة اي من مرة واحدة من الغضب يغضبها الجملة في
موضع الجر والضمير في موضع النصب اي انه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبته فيدعي
النبوة فلا تغضبه يا عبد الله ولا تتكلم معه كيلا يخرج فتظهر الفتنة ذكره الطيبي وقال المظهر
يعني انما يخرج الدجال حين يغضب رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال صحبت ابن صياد الي مكة اي متوجهين اليها فقال لي ما لقيت ما استفهام تعجب اي
شيا عظيما لقيت من الناس اي من كلامهم ثم بينه بقوله يزعمون اني الدجال اي ولست اياه
وقال بعضهم قوله يزعمون استيناف كانه لما قال ما لقيت اي اي شي لقيت من الناس قيل
لهم ماذا اشتكوا منهم فقال يزعمون او حال من فاعل لقيت اي اي شي لقيت من الناس
وانهم يزعمون كذا اي يترددون ويتمارون ويشكون فيه وانت تعلم ان الامر على خلاف ذلك
الست سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يولد له وقد ولد لي اليس قد قال هو
كافر وانا مسلم اوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد اقبلت من المدينة وانا اريد مكة
قد سبق تاويلات الجمل المذكورة ثم قال في اخر قوله اما والله اني لاعلم اي لاعرف مولده
اي زمان ولادة الدجال ومكانه اي محله واين هو اي الان واعرف اباه وامه فيحتمل ان يكون
كاذبا او صادقا قال اي ابو سعيد فلبسني بتخفيف الموحدة المفتوحة قال النووي هو
بالتخفيف اي جعلني التبس على امره واشكل فيه يعني حيث قال اولا انا مسلم ثم ادعى
الغيب بقوله اني لاعلم ومن ادعى علم الغيب فقد كفر فالتبس علي اسلامه وكفره وقال
ابن الملك فلبسني من التلبيس اي التخليط حيث لم يعين مولده وموضعه بل تركه
مبهما فلبس علي او معناه اوقعني في الشك بقوله ولدي وبدخوله المدينة ومكة وكان
يظن انه الدجال قال اي ابو سعيد قلت له اي لابن صياد تبا بتشديد الموحدة اي هلاكا وخسرانا
لك سائر اليوم اي جميع اليوم او باقيه اي ما تقدم من اليوم قد خسرت فيه فكذا في باقيه قال
اي ابو سعيد وقيل له اي لابن صياد ايسرك اي ايوقعك في السرور ويفرحك انك ذاك الرجل
اي ان تكون الدجال فقال اي ابو سعيد فقال اي ابن صياد لو عرض علي بصيغة المجهول
اي لو عرض علي ما جعل في الدجال من الاغوا والخديعة والتلبيس ما كرهت اي بل قبلته والحاصل
رضاه بكونه الدجال وهذا دليل واضح على كفره كما ذكره المظهر وغيره من الشراح رواه مسلم وعن
ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيته اي ابن صياد وقد نفرت بفتح الفا اي ورمت عينه كان الجلد ينفر
من اللحم للدا الحادث بينهما قال شارح وروي بالقاف على بنا المجهول اي استخرجت قال النووي
هو بفتح النون والفا اي ورمت ونتات وذكر القاضي عياض وجوها اخر والظاهر انها تصحيف
قلت متى فعلت عينك اسند الفعل الي العين مجازا والمراد غيره والمعنى متى فعل الله بعينك
ما ارى اي الذي اراه فيها من الورم وكانه لبس على ابن الصياد بخبره ما يوافقه او يخالفه قال
لا ادري قلت لا تدري بتقدير الاستفهام الانكاري وهي في راسك جملة حالية وهذا استبعاد
بحسب العادة والا فمن الامكان بل من البديع [illegible] انه يحدث في عينه شي ولا يدري فانه اذا جا
القضا عمي البصر لا سيما وكل احد اعمى في عيب نفسه بصير بعيوب غيره يرى الجذع في عين

الناس ولا يرى الغد اي عينه قال ان شاء الله تعالى خلقها اي هذه العلة او هذه العين المعيبة في عصاك اي بحيث لا تدري بها وهم اقرب شيء اليك قال القاضي قول ابن صياد ان شاء الله خلقها في عصاك في جواب قوله لا تدري وهي في راسك اشارة الى انه يمكن ان يكون العين بحال لا يكون له شعور بحالها فلم لا يجوز ان يكون الانسان مستغرقا في افكاره بحيث يشتغل عن الاحساس بها والتذكر لاحوالها قلت ونظيره قطع عضو ما كولة من بعض العارفين حال تكونه من المصلين مستغرقا في لموع مدارج مشاهدة المقربين وطلوع معارج مناجاة رب العالمين وكما يشاهد من احاد الناس انه لا يحس بالم الجوع فرحا او حزنا وغيرة كم قال اي ابن عمر فنخر اي ابن صياد وهو بفتح النون والخا المعجمة اي صوت صوتا منكرا كاشد نخير حمار قال شارح هو صوت الانف يعني مد النفس في الخيشوم سمعت بالضم اي سمعت منه صوتا منكرا فان انكر الاصوات لصوت الحمير قال الطيبي كاشد نخير صفة مصدر محذوف اي نخر نخيرا الخ رواه مسلم وعن محمد بن المنكدر تابعي كبير روى عنه الثوري ومالك وغيرهما وهو ممن جمع بين العلم والزهد والعبادة قال رايت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن الصياد بكسر الهمزة وتعريف صياد في الاصول الدجال اي هو الدجال قلت تحلف بالله اي اتحلف مع انه امر مظنون غير مجزوم قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك اي على ابن الصياد الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم اي ولعله لم يكن مقطوعا لانكره وحمل جابر اليمين على ما يغلب به الظن لما سكت عنه قيل لعل عمر اراد بذلك ان ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوة او يضلون الناس ويلبسون الامر عليهم لا انه المسيح الدجال لان النبي صلى الله عليه وسلم تردد حيث قال ان يكن هو وان لم يكن هو ولكن فيه ان الظاهر المتبادر من اطلاق الدجال هو الفرد الاكمل والوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن والله اعلم ثم رايت شارحا قال قوله فلم ينكره لان النبي صلى الله عليه وسلم عرف انه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله يخرج في امتي دجالون كذابون قريبا من ثلاثين وابن صياد لم يكن خارجا من جملتهم لان من ادعى النبوة بمحضر من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن حلف عمر رضي الله عنه مخالف الحقيقة او يريد ان فيه صفة الدجال والله اعلم بالحال متفق عليه

الفصل الثاني

عن نافع رضي الله عنه قال كان ابن عمر يقول والله ما اشك اي لا اتردد ان المسيح الدجال ابن صياد اي هو هو وفي نسخة باللام رواه ابو داود اي في سننه بسند صحيح والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد وفي نسخة فقد بصيغة المجهول وضم ابن صياد يوم الحرة هو يوم غلبة يزيد بن معاوية على اهل المدينة ومحاربته اياهم قيل هذا اي الفقد رواية من روى انه مات بالمدينة وليس بمخالف ذكره الطيبي وهو مخالف اذ يلزم من فقده المحتمل موته ثم وبقبرها قلنا بقاؤه في الدنيا الى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة رواه ابو داود اي بسند صحيح وعن ابي بكرة بالتاء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث ابوا الدجال اي والدا ثلاثين عاما ولعل المراد به احد الدجالين فلا ينافيه ما سبق ولما ياتي من الكلام لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام اعور اضرس اي عظيم الضرس وهو السن والمراد به الناب لما سياتي واقله اي اقل غلام منفعة والمعنى الغلام اقل منه نفعا قال الجزري قوله اضرس كذا في نسخ المصابيح اي عظيم الضرس او الذي يولد وضرسه معه ولا شك عندي انه تصحيف اضرشي وقال هو في كتاب الترمذي الذي اخذه المولف منه وبهذا يصح

عطى واقله منفعة عليه من غير تعسف ولا يتكلف تقدير ويكون الضمير عائدا الى شيء اي اقل شيء منفعة قلت ويؤيده انه اورد الحافظ ابن حجر في شرح البخاري حديث ابي بكرة نا قلا عن ابي داود وفيه غلام اعور اضرشي واقله نفعا تنام عيناه ولا ينام قلبه قال القاضي اي لا ينقطع افكاره الفاسدة عنه عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقي ما يلقي الشيطان اليه كما لم يكن ينام قلب النبي صلى الله عليه وسلم من افكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحي والالهام ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ابوه طوال بضم الطاء وتخفيف الواو مبالغة طويل والمشدد اكثر مبالغة لكن الاول هو الرواية ضرب اللحم اي خفيفه وفي النهاية هو الخفيف اللحم المستدق وفي صفة موسى عليه السلام انه ضرب من الرجال كان انفه منقار بكسر الميم اي في انفه طول بحيث يشبه منقار طائر وامه امراة فرضاخية بكسر الفاء وتشديد التحتية اي ضخمة عظيمة ذكره القاضي وفي الفائق هي صفة بالضخم وقيل بالطول والياء مزيدة فيه للمبالغة كما حري وفي القاموس رجل فرضاخ ضخم عريض او طويل وهي بهاء وامراة فرضاخة وفرضاخية عظيمة الثديين وفي النهاية فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين طويلة اليدين اي بالاضافة الى عادة نسائها او بالنسبة الى سائر اعضائها فقال ابو بكرة فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت انا والزبير ابن العوام بالرفع والنصب حتى دخلنا على ابويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وصفه فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكثنا بفتح الكاف وضمها اي لبثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام اضرشي فيه ما تقدم واقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه ولعله كان يظهر بعض اثار قلبه على صفحة قالبه او هو اخبرهما عن بعض مدركات قلبه حال نومه قال اي ابو بكرة فخرجنا من عندهما فاذا هو اي الغلام منجدل بكسر الدال اي ملقى على وجه الارض قال الطيبي اي ملقى على وجه الارض قال الطيبي اي ملقى على الجدالة وهي الارض ومنه الحديث ان خاتم الانبيا في ام الكتاب وادم لمنجدل في طينته قلت نخ بيا وتاكيدا والمعنى انه ساقط او واقع في الشمس في قطيفة اي دثار مخمل ما في القاموس وله همهمة اي زمزمة وقال شارح اي كلام غير مفهوم ومنه شي وهو في الاصل ترديد الصوت في الصدر اي كما هو مشاهد في الفرس عند جريانه وفي النهاية واصل الهمهمة صوت البقر فكشف اي ابن الصياد عن راسه اي غطاه فقال ما قلتما فكانه وقع كلام بينهما فيه غيره قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي رواه الترمذي وكذا ابو داود وعن جابر ان امراة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه اي اليمنى وقيل اليسرى طالعة نابه هكذا هو في شرح السنة والظاهر طالعا نابه لان يراد به الجنس والتفرد فيه على التمحل ذكره الطيبي فالمعنى طالعة انيابه وفي القاموس الناب السن خلف الرباعية مونث فالتفرد باعتبار الطرفين والجمع باعتبار ان الاقل يكون الاثنين وهذا الحديث يتقوى رواية اضرس فيما تقدم والله اعلم فاشفق اي خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي على منه ان يكون اي هو الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم اي تكلم بكلام غير مفهوم فاذنته بالمد اي اعلمته امه اي بما اتى النبي صلى الله عليه وسلم اياه فقالت يا عبد الله يحتمل العلمية والوصفية هذا ابو القاسم اي حاضرا وحضر فتنبه له وتهيا لكلامه فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لها ما للاستفهام مبتدا ولها خبره اي اي شيء لها قاتلها الله اي دعا عليها زجرا لها لو تركته لبين اي لاظهر ما في ضميره فذكر اي جابر مثل معنى حديث ابن عمر اي الحديث الاول من باب قصة ابن صياد فقال عمر بن الخطاب ايذن لي امر من الاذن اي اعطني الاجازة يا رسول الله فاقتله بالنصب على جواب الامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو اي

ووقف لله عزوجل

ابن الصياد الدجال فلست صاحبه اي صاحب قتله ومباشرة هلاكه انما صاحبه عيسى ابن مريم وان
لا تكن استعمال لا ولعيهنا من قولهم في مثل هذا المقام فان لم تكن فليس لك ان تقتل رجلا من اهل
العهد اي من اهل الذمة والجزية فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشفقا اي خائفا على امته انه
ابن صياد هو الدجال رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده قال بعض المحققين الوجه
في الاحاديث الواردة في ابن صياد مع ما فيها من الاختلافات والتضاد انه يقال انه صلى الله عليه
وسلم حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال فلما اخبر صلى الله عليه وسلم بما اخبر به من
شأنه وقصته في حديث تميم الداري ووافق ذلك ما عنده تبين له صلى الله عليه وسلم ان ابن
صياد ليس الذي ظنه ويؤيده ما ذكره ابو سعيد حين صحبه الى مكة واما توافق النعوت في
ابوي الدجال وابوي ابن صياد فليس مما يقطع به قولا فان اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد
الموصوفين وكذا احلف عمر وابنه مع عدم انكاره صلى الله عليه وسلم من انه الدجال فان ذلك قبل
تبيين الحال وقد كان للدجال في بعض علاماته ما اورث ذلك فيه صلى الله عليه وسلم اشفاقا
منه باب نزول عيسى عليه السلام الفصل الاول عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما
بمعنى اي حاكما عدلا اي عادلا فيكسر بالرفع وقيل بالنصب والالف فيه تفصيلية لقوله حكما وعدلا
او تفريعية اي يهدم ويقطع الصليب في شرح السنة وغيره اي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية
وقال ابن الملك الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون ان عيسى عليه السلام
صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة وقد يكون فيه صورة المسيح ويقتل الخنزير اي يحرم
اقتناؤه واكله ويبيح قتله في شرح السنة وفيه بيان ان اعيانها نجسة لان عيسى عليه السلام
انما يقتلها على حكم شرع الاسلام والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح اتلافه انتهى وفيه انه قد يباح
لمصلحة دينية او دنيوية مع ان في كون الخنزير نجس العين بجميع اجزائه خلافا للعلماء ويضع الجزية
اي عن اهل الكتاب ويحملهم على الاسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق وقيل يضع الجزية عنهم
لانه لا يوجد محتاج يقبل الجزية عنهم لكثرة المال وقلة اهل الحرص والامال ويؤيده قوله ويفيض
بفتح اوله من فاض الماء يفيض اذا كثر حتى سال كالوادي على ما في القاموس اي يكثر المال حتى
لا يقبله احد اي من الرجال حتى تكون السجدة اي الواحدة ما فيها من لذة العبادة والمراد بالسجدة
او الصلوة بكمالها لتفهمها انها خير من الدنيا وما فيها قال الطيبي حتى الاولى متعلقة بقوله
ويفيض المال والثانية غاية لمفهوم قوله فيكسر الصليب الى اقول والا ظهر ان الثانية
بدل من الاولى وغاية لما قبلها قائمة مقام العلة لها قال التوربشتي لم ترد السجدة الواحدة
في الحقيقة كذلك وانما اراد بذلك ان الناس يرغبون في امر الله ويزهدون عن الدنيا حتى
تكون السجدة الواحدة احب اليهم من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة فاقرؤا ان شئتم
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية بالنصب ويجوز رفعه وخفضها وقد منا وجهها
قال الطيبي يستدل بالاية على نزول عيسى عليه السلام في اخر الزمان مصداقا للحديث وتحريره
ان الضميرين في به وقبل موته لعيسى والمعنى من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت
عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله فيكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
انتهى وقيل المعنى ليس احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم عند المعاينة قبل
خروج الروح وهو لا ينفع نضمير به راجع الى نبينا صلى الله عليه وسلم وضمير موته لكتابي وقيل

كل منهم

كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وانه عبد الله وابن امته ولا ينفع وقيل ضميره لله سبحانه اي كل منهم
يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع والاولى مذهب ابي هريرة في الاية متفق عليه وعنه اي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا وفي
نسخة عدلا وهو ابلغ فيكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية اي ليحكم بما ذكر وليتركن
القلاص بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول وهو الملائم لقوله فلا يسعى عليها اي لا يعمل على القلاص
وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية والمعنى انه يترك العمال
عليها استغناء عنها لكثرة غيرها ومعناه لا يامر احدا بان يسعى على اخذها وتحصيلها المذكورة لعدم
من يقبلها ففي النهاية اي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع وقيل لا يكون معها راع يسعى ففي
الصحاح كل من ولي امر قوم فهو ساع عليهم وقال المظهر يعني ليتركن عيسى عليه السلام
ابل الصدقة ولا يامر احدا ان يسعى عليها ويأخذها لانه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها
والمراد بالسعي العمل قال الطيبي ويجوز ان يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب
في الارض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج اليه لاستغنائهم ولتذهبن اي ولتزولن الشحناء
بفتح اوله اي العداوة التي تشحن القلب وتملاوه من الغضب والتباغض اي الذي هو سبب
العداوة والتحاسد اي الذي هو باعث التباغض وكلها نتيجة حب الدنيا فتزول كل هذه
العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب وقال الاشرف انما يذهب الشحناء والتباغض
والتحاسد يومئذ لان جميع الخلق يومئذ يكونون على ملة واحدة وهي الاسلام واعلى اسباب
التباغض واكثرها هو اختلاف الاديان قلت اليوم كثير من البلدان متفقون على ملة الاسلام وفيهم
علماء الاعلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة بل المقاتلة والمحاربة بين
الحكام وليس السبب والباعث عليه الا حب الجاه بين الانام والميل الى المال الحرام وليدعون ضبط
في نسخة بضم الواو نسب الى النووي ولا وجه له فالصواب ما في الاصول المعتمدة من انه
بفتح الواو وتشديد النون وفاعله ضمير عيسى عليه السلام والمعنى ليدعون الناس الى المال
اي اخذه وقبوله فلا يقبله احد اي استغناء بعطاء الاحد رواه مسلم وفي رواية لهما اي
لمسلم والبخاري بغير تثنية ذكر مسلم فان الغالب ان يكون قرينا له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغائب
قال اي النبي عليه السلام كيف انتم اي حالكم وما لكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم اي من اهل دينكم
وقيل من قريش وهو المهدي والحاصل ان امامكم واحد منكم دون عيسى فانه بمنزلة الخليفة
وقيل فيه دليل على ان عيسى لا يكون من امة محمد بل مقرر الملة ومعينا لامته عليه السلام
وفي شرح السنة قال معمر وانكم وامامكم منكم وقال ابن ابي ذئب عن ابن شهاب فامامكم منكم
قال ابن ابي ذئب في معناه فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم قال الطيبي فالضمير في امامكم لعيسى
ومنكم حال اي يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم ويحتمل ان يكون معنى امامكم منكم كيف
حالكم وانتم مكرمون عند الله تعالى والحال ان عيسى ينزل فيكم وامامكم منكم وعيسى يقتدي
بامامكم تكرمة لدينكم ويشهد له الحديث الاتي انتهى وسياتي تتمة الكلام عليه وفيه وهو قوله
وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي يقاتلون
على الحق اما مقاتلة حسية او معنوية على ظهور الحق او حال كونهم على الحق ظاهرين اي غالبين
اي على اعدائهم قال تعالى الا ان حزب الله هم الغالبون الى يوم القيامة اي الى قرب قيام الساعة
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فينزل عيسى ابن مريم فيقول اميرهم اي المهدي تعال بفتح اللام

اي احضر وتقدم صل بدل او استيناف بيان والمعني ام لنا اي في صلاتنا فان الاولي بالامامة هو الافضل
وانت النبي الرسول المكمل وفي رواية فصل لنا فيقول لا اي لا اصلي اماما لكم لئلا يتوهم بامامتي لكم نسخ
دينكم وقيل جعل بان هذه الصلوة اقيمت لامامكم فهو اولي بها لكن يؤيد الاول الاطلاق قوله ان
بعضكم علي بعض امرا اي دينيا او دنيويا وان علي الاعانة المعية تكرمة الله هذه الامة اي اكراما له
سبحانه لهذه الجماعة المكرمة قال القاضي تكرمة الله نصب علي المفعول لاجله والعامل محذوف
والمعني شرع الله ان يكون امام المسلمين منهم وامرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيما لشانهم
او علي انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله قال التفتازاني في شرح العقايد الاصح ان عيسي
عليه السلام يصلي بالناس ويومهم ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اولي قال ابن ابي شريف
هذا لا يوافق ما في مسلم من قوله وامامكم منكم للنسبة فيه مخالفة وهو حديث جابر ويمكن الجمع بينهما
بان يكون هاينهم اول نزوله تنبيها علي انه نزل مقتديا به في الحكم علي شرعهم ثم دعي الي الصلوة
فاشار بان يومهم المهدي اظهارا لاكرام الله به هذه الامة قلت ويمكن الجمع بالعكس ايضا وربما
يدعي انه الاولي علي ان قوله امامكم منكم ظاهر في ان المهدي هو الامام والله اعلم بالمراد قال واما كونه افضل
منه فلا يلزم منه بطلان الاقتدا بغيره واما الاولوية بالافضلية فيعارضها اظهار تكرمة
الله تعالي هذه الامة بدوام شريعته كما نطق به الحديث رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني
يعني الاحاديث الموصوفة بالحسان علي اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني علي مصطلح صاحب
المشكاة **الفصل الثالث** اي الموضوع في الاحاديث الزايدة لصاحب المشكوة علي المصابيح
المناسبة للباب عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسي ابن مريم
الي الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة وهذا بظاهره يخالف قول من قال ان
عيسي رفع به الي السما وعمره ثلاث وثلاثون ويمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين فيكون
مجموع العدد اربعين لكن حديث مكثه سبعا رواه مسلم فينبغي الجمع بما ذكر وترجيح ما في
الصحيح ولعل عدد الخمس ساقط من الاعتبار لالغا الكسر ثم يموت فيدفن معي اي مصاحبا لي
في قبري اي في مقبرتي وعبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكانهما في قبر واحد فاقوم انا وعيسي
في قبر واحد اي من مقبرة واحدة ففي القاموس ان في تاتي بمعني من وكذا في المغني بين ابي بكر
وعمر اي حال كوننا قايمين واقفين بين ابي بكر وعمر واحدهما عن يمينهما ايما الي تيمنه بالايمان
والاخر عن يسارهما ليسر الاسلام والظاهر انه ابو بكر والاخر عن يسارهما ليسر الاسلام وعزه به وهو عمر وسياتي
في باب فضايل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام برواية الترمذي عنه قال مكتوب في
التوراة صفة محمد وعيسي بن مريم يدفن معه قال ابو داود وقد بقي في البيت موضع قبر اقول
والظاهر اللايق بمقام عيسي انه لا يكون بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ابي بكر
رضي الله عنه لكن سياتي في كلام الجزري انه يدفن بعد عمر ولعله نظر الي تاخر الدفن
باعتبار تاخر زمن الموت او تكرمة منه لهذه الامة وتعظيما للصحابيين الكنه يمكن ان يكونا بين النبيين
العظيمين والله سبحانه اعلم رواه ابن الجوزي في كتاب الوفا **باب قرب الساعة** وفي
نسخة القيامة واطلق الساعة عليها لانها تكون بغتة وفجاة فوقوعها ادني ما يطلق عليه
اسم الزمان وان كانت بالنسبة الي انتهاها مديدة وقيل اطلقت عليها لطولها كما يسمي الزنجي
بالكافور تسمية بالضد وان من مات فقد قامت قيامته عطف علي قرب الساعة لا علي الساعة
لفساد المعني قال التوربشتي الساعة جزء من اجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة وقد ورد

في كتاب الله وسنة رسوله علي اقسام ثلاثة الكبري وهي بعث الناس للجزا والقيامة الوسطي وهي
انقراض القرن الواحد بالموت والقيامة الصغري وهي موت الانسان والمراد هنا هذه اي الاخيرة
والظاهر ان المراد بالساعة هي الكبري سواء اريد بها النفخة الاولي لقوله عليه السلام لا تقوم الساعة
الا علي شرار الناس والثانية وهي الطامة الكبري المعروفة في الكتاب والسنة ومن احاديث الباب
قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين يحتملها نعم حديث عايشة الاتي يدل علي القيامة
الوسطي واما في كتاب الله فما اظن ان الساعة وردت بهذا المعني ولا ما يدل علي القيامة الصغري
الا ما رواه الديلمي عن انس مرفوعا بلفظ اذا مات احدكم فقد قامت قيامته وهو المعنون في
الباب مع عدم ايراد حديث يلايمه وهذا كما تري لم يرد بلفظ الساعة واريد بها القيامة
الصغري بل ولا ورد بمعني القيامة الوسطي الا بالاضافة فالاولي ان يقال ان الساعة منقسمة
الي ثلاثة كبري وهي الطامة الجامعة ووسطي وهي الامامة العامة وصغري وهي امامة الجماعة
والقيامة تطلق علي الثلاثة وعلي من مات وحده ايضا والله سبحانه اعلم **الفصل الاول** عن شعبة احد
رواة الحديث عن قتادة تابعي جليل عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة
بالرفع وفي بعض النسخ بالنصب قال النووي روي بنصب الساعة ورفعها قال شارح من علماينا
الساعة مرفوعة رواية ويجوز النصب علي ان الواو بمعني مع كهاتين قال القاضي معناه ان نسبة
تقدم بعثته علي قيام الساعة كنسبة فضل احدي الاصبعين علي الاخري انتهي وهو المعني بما
قيل كفضل الوسطي علي السبابة في السبق ويدل عليه ما سياتي من حديث ابن شداد والاظهر
ان يقال كفصل احديهما علي الاخري بالصاد المهملة لما بينهما من قليل الانفصال ويويده ما في
النهاية ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة لا يفترق احديهما
عن الاخري كما ان السبابة لا تفترق عن الوسطي ولم يوجد بينهما ما ليس منها وقال شارح
اخر يريد ان دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه دين اخر ولا يفرق بينهما دعوة اخري
كما لا يفصل شي بين السبابة والوسطي قال الطيبي ويويد الوجه الاول الحديث الاتي
للمستورد ابن شداد قلت فيه نظر لان في كل حديث روعي معني لم يراع في الاخر اذ التاسيس
اولي من التاكيد علي انه لا مانع من ان يلاحظ في هذا الحديث كلا المعنيين اذ لا تدافع بينهما
في راي العيني نعم يفهم من المعني الاول اعراق في التشبيه القربي ما لا يفهم من الثاني ولذا
اختاره بعضهم ويويده موافقته لتفسير الراوي قال شعبة وسمعت قتادة يقول في قصصه
بفتح القاف مصدر قص يقص بمعني يعظ او يحكي القصة او يحدث ويروي ومنه قوله
تعالي نحن نقص عليك احسن القصص وفي نسخة بكسر القاف وهي جمع قصة والمعني
في قصص قتادة اي تحديثه او تفسير حديثه كفضل احديهما اي احد الاصبعين علي الاخري
قال القاضي الطيبي قوله كفضل احديهما بدل من قوله كهاتين موضح له وهو يويد الاول
والرفع علي العطف والمعني بعثت انا والساعة بعثا متفاضلا مثل فضل احديهما ومعني
النصب لا يستقيم علي هذا المعني لانه علي قصد المعية لكن يمكن ادعاوها علي طريق المبالغة
كما عبر عنه في الحديث الاتي بعثت في نفس الساعة بفتحتين اي في قربها فلا ادري
اذكره اي قتادة عن انس اي مرفوعا او موقوفا او قاله قتادة اي من عند نفسه وتلقا
رايه وهو الاظهر حتي يثبت الاخر متفق عليه ورواه احمد والترمذي عن انس وكذا رواه
احمد والشيخان عن سهل بن سعد وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسالوني بتشديد النون وتخفف على صيغة الخطاب للاصحاب وهمزة
الانكار مقدرة اي اتسالونني عن الساعة اي القيامة وهي النفخة الاولى او الثانية وانما علمها
عند الله اي لا يعلمها الا هو قال الطيبي حال مقدرة لجهة الاشكال انكر عليهم سوالهم واكده بقوله
وانما علمها عند الله واقسم بالله مقرر له يعني تسالونني عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله
وما اعلمه هو القيامة الصغرى انتهى وهو يويد تفسيرنا المتقدم في الساعة ما على الارض ما نافية
ومن في قوله من نفس زايدة للاستغراق وقوله منفوسة صفة نفس وكذا ما ياتي والمعنى ما من
نفس مولودة اليوم ياتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ يقال نفست المراة غلاما بالكسر
ونفست على البنا للمفعول اذا ولدت نفسها فهي نافس ونفسا والمراد منفوس قال الشاعر
• كما سقط المنفوس بين القوابل • قال الاشرف معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم مائة سنة اراد
به موت الصحابة رضي الله عنهم وقاله صلى الله عليه وسلم هذا على الغالب والا فقد عاش بعض الصحابة
اكثر من مائة سنة انتهى ومنهم انس بن مالك وسلمان وغيرهما والاظهر ان المعنى لا يعيش نفس
مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الاتي فلا حاجة الى اعتبار الغالب فلعل المولودين في
ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود الحديث ومما يويد هذا المعنى استدلال
المحققين من المحدثين وغيرهم من المتكلمين على بطلان دعوى بابا رتن الهندي وغيره ممن ادعى
الصحبة وزعم انه من المعمرين الى المائتين والزيادة بقي ان الحديث بظاهره يدل على عدم حيوة
الخضر والياس وقد قال البغوي في معالم التنزيل اربعة من الانبيا في الحياة اثنان في الارض الخضر
والياس واثنان في السما عيسى وادريس فالحديث مخصوص بغيرهم او المراد ما من نفس منفوسة
من امتي والنبي لا يكون من امته نبي اخر وقيل قيد الارض يخرج الخضر والياس فانهما كانا على البحر
ح والله اعلم رواه مسلم وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
ياتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة الجملة حالية اليوم ظرف منفوسة ذكره الطيبي
وقال ابن الملك اشارة الى زمنه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
قالت كان رجال من الاعراب اي اهل البدو ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الساعة
الظاهر ان سوالهم عن الساعة الكبرى فالجواب الاتي على اسلوب الحكيم فكان ينظر الى اصغرهم
فيقول ان يعش هذا لا يدركه بالرفع وقيل بالجزم اي لا يلحقه الهرم بفتحتين وهو الكبر حتى
تقوم عليكم ساعتكم اي قيامتكم وهي الساعة الصغرى عندي والوسطى عند بعض الشراح
والمراد موت جميعهم وهو الظاهر او اكثرهم وهو الغالب قال القاضي اراد بالساعة انقراض القرن
الذين هم من عدادهم ولذلك اضاف اليهم وقال بعضهم اراد موت كل واحد منهم متفق عليه الفصل
الثاني عن المستورد بن شداد يقال انه كان غلاما يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه
سمع به وروى عنه جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة بفتح النون والفا
لا غير اراد به قربها اي حين تنفست وتنفسها ظهور اشراطها ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس
اي ظهر اثار طلوعه وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم من اول اشراطها هذا معنى كلام التوربشتي والاظهر
ان معناه بعثت انا والساعة في نفس واحد من كمال الاتصال وعدم الاعتبار بقليل من
الانفصال ويويده قوله فسبقتها اي الساعة في الوجود كما سبقت هذه اي السبابة هذه
اي الوسطى اي وجودا وحسا باعتبار الابتدا من جانب الابهام وعدل عن الابهام لطول
الفصل بينه وبين المسبحة ثم بين الاشارة الراوي بقوله واشار اي النبي صلى الله عليه وسلم

باصبعه

باصبعيه السبابة اي المسبحة والوسطى على طريق اللف والنشر المرتب رواه الترمذي وروى البيهقي
عن سهل بن سعد مرفوعا مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة
فلما خشي ان يسبق الاح بثوبه اتيتم اتيتم انا ذاك وعن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اني لارجو ان لا تعجز امتي بكسر الجيم ويجوز ضمها وهو مفعول ارجو اي ارجو عدم عجز امتي
عند ربها من كمال قربها ان يوخرهم نصف يوم بدل من ان لا تعجز واختاره ابن الملك او متعلق به
بحذف عن كما اقتصر عليه الطيبي ثم قال وعدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة والمكانة عند الله
تعالى مثال ذلك قول المقرب عند السلطان اني لا اعجز ان يوليني الملك كذا وكذا يعني به ان لي عنده مكانة
وقربة يحصل بها كل ما ارجوه عنده فالمعنى اني ارجو ان يكون لامتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم
من زماني هذا الى انتهاء خمسمائة سنة بحيث لا يكون اقل من ذلك الى قيام الساعة قيل لسعد وكم
نصف يوم قال خمسمائة سنة انما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة نظرا الى قوله تعالى وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون وقوله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة
وانما عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلا لبقيتهم ورفعا لمنزلتهم اي لا
يناقشهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم ونزل الحديث على امر القيامة وحمل
اليوم على يوم المحشر فذهب انه غفل عما حققناه ونبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث وانه في اي باب
من ابواب الكتاب فانه مكتوب في باب قرب الساعة فاين هو منه ذكره الطيبي ولعله صلى الله عليه وسلم اراد
بالخمسمائة ان يكون بعد الالف السابع فان اليوم نحن في سابع سنة من الالف الثامن وفيه اشارة
الى انه لا يبعد عن الخمسمائة فيوافق حديث عمر الدنيا سبعة الاف سنة فالمسئلة بين ملغى ونهاية
الى النصف واما ما بعده فيعد الفا ثامنا بالغا الكسر الناقص وقيل اراد بقاء دينه ونظام ملته في الدنيا مدة
خمسمائة سنة فقوله ان يوخرهم اي عن ان يوخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب والشدايد
الناشية من الكروب والله اعلم رواه ابو داود الفصل الثالث عن انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا اي وقلة بقايها مثل ثوب شق بضم اوله اي قطع من اوله الى اخره اي الى
قريب منه او هو من قبيل ان الغاية فيه لا يكون داخلا تحت مغيا كقوله تعالى واتموا الصيام الى الليل فبقي متعلقا
بخيط في اخره الضميران للثوب فيوشك ذلك الخيط وهو عبارة عن زمان قليل يكون فيه الدين المحمدي ان ينقطع
اي فينقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها وتذهب وتاتي الاخرى فتبقى على ابد الابا فيسعد اهلها او يشقى
رواه البيهقي في شعب الايمان باب لا تقوم الساعة الا على شرار الناس روي بتنوين باب وبالاضافة
الى الجملة واقتصر على الاول اصل السيد والطيبي على الثاني حيث قال هذه الجملة محكية مضاف اليها ترجمة
الباب وهو من باب تسمية الشي بالجمل على سبيل الحكاية كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها
وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر الفصل الاول عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله بالرفع فيهما وكرر للتاكيد وقيل تكريره عبارة عن تكثير
ذكره وقيل معناه الله حسبي او هو المعبود فالاول مبتدا والثاني خبر وفي نسخة بنصبهما قال شارح
قوله الله الله بالرفع مبتدا او خبر اي الله هو المستحق للعبادة لا غير وان روي بالنصب فعلى التحذير
اي اتقوا الله واعبدوه وعلى هذا معناه لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الارض مسلم يحذر الناس من
الله وقيل اي لا يذكر الله فلا يبقى حكمة في بقا الناس ومن هذا يعرف ان بقا العالم ببركة العلما العاملين
والعباد الصالحين وعموم المومنين وهو المراد بما قال الطيبي معنى حتى لا يقال حتى لا يذكر اسم الله ولا
يعبد واليه ينظر قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني ما خلقته

خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لاذكر فيها واعبد فاذا لم يذكر ولم يعبد فبالحري ان يخرب وتقوم الساعة
وقال الطيبي هذا دليل علي ان بركة العلما والصلحا يصل الي من في العالم من الجن والانس وغيرهما من الحيوانات
والجمادات والنباتات وفي رواية لا تقوم الساعة علي احد يقول الله الله بالوجهين فيهما رواه مسلم
وكذا احمد والترمذي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة الا علي شرار الخلق بكسر الشين جمع الشر قال الطيبي فان قيل ما وجه التوفيق
هذا الحديث والحديث السابق لا يزال طايفة من امتي يقاتلون علي الحق ظاهرين الي يوم
القيامة قلنا السابقة مستغرقة للازمنة عام فيها والثاني مخصص روله مسلم وروي ابو يعلي
في مسنده والحاكم في مستدركه عن ابي سعيد مرفوعا لا تقوم الساعة حتي لا يحج البيت
وروي السجزي عن ابن عمر رفعه لا تقوم الساعة حتي يرفع الركن والقران وعن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتي تضطرب
اي تتحرك اليات نسا دوس بفتح فسكون قبيلة من اليمن والاليات بفتحتين جمع الية بفتح فسكون
وهي في الاصل اللحمة ~~بالفاعليه~~ التي تكون في اصل العضو وقيل هي اللحمة المشرفة علي الظهر
والفخذ وهي لحم المقعد والمعني حتي يرتدوا فتطوف نسا وهم حول ذي الخلصة بفتح الخا المعجمة
واللام وذو الخلصة طاغية دوس اي صنمهم وقال شارح اي اصنامهم التي كانوا يعبدون
اي يعبدونها في الجاهلية اي قبل الملة الحنيفية والظاهر ان هذا تفسير من ابي هريرة او غيره
من الرواة وفي الرواة وفي النهاية هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم وقيل
ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن فانفذ اليها رسول الله صلي الله عليه وسلم جرير بن
عبد الله فخربها وقيل ذو الخلصة اسم الصنم نفسه وفيه نظر لان ذو لا يضاف الي اسم
الجنس والمعني انهم يرتدون الي جاهليتهم في عبادة الاوثان فتسعي نسا بني دوس طايفات
حول ذي الخلصة فترتج اعجازهن مضطربة الياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية
متفق عليه وعن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول لا يذهب الليل والنهار اي لا تقوم الساعة حتي يعبد بالتذكير ويجوز
تانيثه اللات صنم لثقيف والعزي بضم العين فتشديد الزاي صنم لغطفان فقلت
يا رسول الله ان كنت لاظن ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة قال المظهر
تقديره انه كنت لاظن يعني ان الشان كنت لا حسب حين انزل الله هو الذي ارسل رسوله
بالهدي اي بالتوحيد ودين الحق اي وبالشريعة الثابتة ولما كان مودّاهما واحدا افرد
الضمير في قوله ليظهره اي ليعليه ويغلبه علي الدين كله اي علي الاديان جميعها باظهار دها
~~وعلوها~~ وحقها بنسخها ولو كره المشركون اي ما عليه الموحدون المخلصون
ان ذلك بفتح الهمزة مفعول لاظن وحين انزل الله ظرفه اي كنت اظن حين انزال تلك
الاية ان ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون تاما اي عاما كاملا للازمنة كلها فقصد
بالكون المقدر وفي نسخة صحيحة تام بالرفع والمعني ان ما ذكر من عبادة الاصنام وقد
تم واختتم وغدا ولا يكون بعد ذلك ابدا قال اي النبي صلي الله عليه وسلم انه اي الشان
سيكون من ذلك اي بعض ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر واغرب شارح حيث
قال من ذلك اي عبادة الاصنام ما شا الله اي هذه مشية وبين ذلك بقوله ثم
يبعث الله ريحا طيبة اي بنسيم منها ان تخل الوصال فتوفي بصيغة المجهول اي فيقبض كل من

كان

كان في قلبه وفي نسخة بصيغة الفاعل علي انه حذف منه احدي التايين اي تتوفي علي اسناد التوفي الي الريح
مجازا فيكون كل منصوبا علي المفعولية والمعني تميت كل من كان في قلبه مثقال حبة اي مقدار حبة خردل
فعله من خردل بيان لحبة وقوله من ايمان بيان لمثقال والمراد منه ان تكون في قلبه من العقايد الدينية
اقل ما يجب عليه من التصديق القلبي واليقين بالامور الالهية فليس فيه دلالة علي تصور الزيادة
والنقصان في نفس الايمان وحقيقة الايقان كما لا يخفي علي اهل العرفان فيبقي من لا خير فيه اي لا اسلام
ولا ايمان ولا قران ولا حج ولا سائر الاركان ولا علم الاعيان فيرجعون الي دين ابايهم اي الاولين من المشركين
الجاهلين الضالين والمضلين فرجع لفظ من في ضمير فيه ومعناه في قوله فيرجعون كما في قوله تعالي
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين هذا وقال الطيبي قوله تاما هو بالرفع
في الحميدي علي انه خبر ان وفي صحيح مسلم وشرح النساي بالنصب فعلي هذا هو حال والعامل اسم الاشارة
والخبر محذوف او خبر لكان المقدر اي ظننت من مفهوم الاية ان ملة الاسلام ظاهرة علي الاديان كلها
غالبة عليها غير مغلوبة فكيف يعبد اللات والعزي وجوابه صلي الله عليه وسلم بقوله فتوفي كل من
كان في قلبه نظير قوله ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلما حتي
اذا لم يبق عالما اتخذ الناس روسا جهالا الحديث رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث اربعين واتهم صلي الله عليه وسلم لحكمة في ترك التمييز
او نسبة الراوي حيث قال لا ادري اربعين يوما او شهرا او عاما قال التوربشتي لا ادري الي قوله فيبعث
الله من قول الصحابي اي لم يزدني النبي صلي الله عليه وسلم علي اربعين شيا تبين المراد منها فلا ادري ايا
اراد بهذه الثلاثة فيبعث الله عيسي ابن مريم اي فينزل له من السما نداع في الصورة عروة ابن
مسعود اي الثقفي شهد الحديبية كافرا وقدم علي النبي صلي الله عليه وسلم سنة تسع بعد عوده من
الطايف واسلم ثم عاد الي قومه ودعاهم الي الاسلام فقتلوه وقيل هو اخو عبد الله بن مسعود وليس
بشي فيطلبه اي عيسي الدجال فيهلكه اي بحربة ثم يمكث في الناس سبع سنين تقدم ما ورد
خلافه ليس بين اثنين عداوة يحتمل ان يكون قيد العدد فلا ينافيه ما سبق من الزيادة
ويويد التراخي المفهوم من قوله ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام بكسر ففتح اي جانبه
فلا يبقي علي وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الظاهر انه او للشك ويحتمل
ان يكون للتخيير في التعبير الا قبضته اي اخذت روحه تلك الريح حتي لو ان احدكم دخل اي
فرضا وتقديرا علي طريق المبالغة في كبد جبل اي وسطه وجوفه ومنه كبد السما وسطها لدخلته
اي كبد الجبل عليه اي علي احدكم حتي تقبضه قال فيبقي شرار الناس في خفة الطير بكسر الخا المعجمة
وتشديد الفا قال القاضي المراد بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بادني توهم شبه حال الاشرار
في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم واختلال رايهم وميلهم الي الفجور والفساد بحال الطير
واحلام السباع اي وفي عقولها الناقصة جمع حلم بالضم او جمع حلم بالكسر فقيه ايما الي انهم
خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب والوحشة والاتلاف والاهلاك وقلة
الرحمة لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا بل يعكسون فيما يفعلون فيتمثل لهم الشيطان
اي تتصور لهم بصورة انسان لكان التشكل اقوي علي التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة
ولذا قدم الله سبحانه شياطين الانس في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
فيقول الا تستحيون اي من الله في ترك عبادة والتوسل الي مقام قربته فيقولون فما
تامرنا به ما مثلة ما موصولة او استفهامية والمعني فاي شي تامرنا ان نطيعك فيه فيامرهم

بعبادة الاوثان اي توسلا الي رضا الرحمن كما قال تعالى مخبرا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى
ويقولون هولاء شفعاونا عند الله زين لهم سوء اعمالهم وهم في ذلك اي والحال انهم فيما ذكر من الاوصاف
الردية والعبادات الوثنية دار بتشديد الراء رزقهم حسن عيشهم فالاول اشارة الي الكمية
والثاني الي الكيفية او الاول ايما الي كثرة الامطار وما يترتب عليه من الانهار وثمار الاشجار والثاني
من جهة الامن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه ثم ينفخ في الصور بصيغة المجهول
والنافخ هو اسرافيل فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا بكسر اللام قال التوربشتي اي امال صفحة عنقه
خوفا ودهشة ورفع ليتا والمراد منه هنا ان السامع يصعق فيصغي ليتا ويرفع ليتا اي يصير راسه
هكذا او كذلك كما هو شان من يصيبه صيحة فيشق قلبه فاول ما يظهر منه سقوط راسه الي
احد الشقين فاسند الاصغا اليه اسناد الفعل الاختياري قال واول من يسمعه رجل يلوط
اي يطين ويصلح حوض ابله فيصعق اي يموت هو اولا ويصعق الناس اي معه ثم يرسل الله مطرا
كانه الطل بفتح الطا وتشديد اللام اي المطر الضعيف الصغير القطر فينبت منه اي من اجله
وبسببه اجساد الناس اي النخرة في قبورهم ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وبين النفختين
اربعون عاما علي ما سياتي ثم يقال يا ايها الناس هلم في القاموس هلم تعال مركبة من ها التنبيه ومن
لم اي ضم نفسك الينا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتانيث عند الحجازيين فالمعنى
تعالوا واجمعوا واسرعوا الي ربكم قفوهم وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة قال الطيبي
عطف علي قوله تعالى علي سبيل التقدير اي تعال للناس هلم ويقال للملايكة قفوهم وفي بعض النسخ بدون
العاطف فهو علي الاستيناف انتهى وهو امر مخاطب والخطاب للملايكة وضميرهم للناس يقال وقفت
الدابة ووقفتها ولا يتعدى والمعنى احبسوهم انهم مسيولون استيناف تعليل فيقال اخرجوا
امر للملايكة اي ميزوا ما بين الخلائق بعث النار اي مبعوثها يعني من يبعث اليها فيقال من كم اي
يسال المخاطبون عن كمية العدد المبعوث الي النار فيقولون كم عددا نخرجه من كم عدد ذكره الطيبي
فكم الاولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدا وهما مفعول لنخرجه الذي هو المتكلم فيقال من كل الف تسعماية
وتسعة وتسعين قيل هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم ويتركون فيها بقدر ذنوبهم ويجوز ان يصرفوا
عن طريق جهنم بالشفاعة عند ذكره ابن الملك ويجوز ان يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة لكن
الظاهر ان المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في
العذاب والله اعلم بالصواب فذلك اي الوقت يوم او فذلك الحكم وقت يجعل اي يصير فيه الولدان
اي الصبيان جمع وليد شيبا بكسر اوله جمع اشيب كابيض وبيض والمعنى انه يصير الاطفال شيبا
من اهوال ذلك اليوم وشدايده علي القوم ويجوز ان يراد به عظم الاهوال لا حقيقة صيرورتهم
في الحال فالمعنى لو ان وليدا شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا ويوم مرفوع منون
في اكثر النسخ وفي نسخة بالفتح مضافا قال الطيبي يحتمل ان يكون اليوم مرفوعا ويجعل الولدان
صفة له فيكون الاسناد مجازيا وان يكون مضافا مفتوحا فيكون الاسناد حقيقيا
والاول ابلغ واوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وذلك اي
ايضا يوم يكشف في كثير من النسخ برفع يوم منونا وفي بعضها بالفتح مضافا وهو اوفق
لما في القران يوم يكشف عن ساق اي شدة عظيمة يقال كشفت الحرب عن الساق اذا
اشتد فيها وكان اصله ان الولد يموت في بطن الناقة فيدخل المدمر يده في رحمها فياخذ
ساقه فيخرج فجعل لكل امر عظيم وخطب جسيم قال الخطابي هذا مما هاب القول فيه

شيوخنا

ومعه سعو مل

شيوخنا فاجروه علي ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه علي نحو مذهبهم في التوقف علي
تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب اما من تاوله فقال ذلك يوم يكشف عن شدة عظيمة
وبلية فظيعة وهو اقبال الاخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها ويقال للامراة اذا اشتدت وتفاقم
وظهر وزال خفاوه كشف عن ساقه وهذا جائز في اللغة وان لم يكن للامر ساق رواه مسلم
وذكر حديث معاوية لا تنقطع الهجرة اي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع
الشمس من مغربها وقد ثبت لا هجرة بعد الفتح فالمراد بالهجرة التي غير منقطعة هي الهجرة
من المعصية الي الطاعة او من دار البدعة الي دار السنة او من بلاد الشر الي بلاد
الخير في باب التوبة وفيه اعتراض فعلي منفهم الي بيان قولي وهو ان الحديث انسب بذلك
الباب والله اعلم بالصواب

باب نفخ الصور

بضم اوله وهو قرن ينفخ فيه
والمراد به النفخة الثانية ففي النهاية هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام
عند بعث الموتى الي المحشر **الفصل الاول** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اي نفخة الصعق وهي الاماتة ونفخ النشور
وهي الاحيا اربعون ابهم في الحديث وبين في غيره انه اربعون عاما ولعل اختيار الابهام
لما فيه من الايهام قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما باستفهام مقدر قال ابيت اي امتنعت
عن الجواب لاني لا ادري ما هو الصواب او عن السوال من صاحب المقالة فلا ادري ما الحال قالوا
اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال القاضي اي لا ادري ان الاربعين
الفاصل بين النفختين اي شي ايام او شهور او اعوام وامتنع عن الكذب علي الرسول
صلى الله عليه وسلم والاخبار عما لا اعلم قال كذا في نسخة والظاهر ان ضميره النبي صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يكون الي ابي هريرة فيكون موقوفا او التقدير راويا عنه وناقلا منه
وليس في الجامع لفظ قال فيه ولا فيما بعده ثم ينزل الله من السما ما اي مطرا كالطل علي
ما سبق فينبتون اي فينبت اجساد الخلق منه كما ينبت البقل اي من المطر والظاهر
ان هذا قبل النفخة الثانية كما فهم من الرواية الماضية فتعبيره بثم هنا للتراخي الرتبي
اي بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فانه امر محقق قال وليس من الانسان شي اي جزء
من اجزايه الا يبلى اي لا يخلق ولا يرم ممن يبلى جسده فان الله تعالى حرم علي الارض ان
تاكل من اجساد الانبيا وكذا من في معناهم من الشهدا والاوليا بل قيل ومنهم المؤذنون
المحتسبون فانهم في قبورهم احيا او كالاحيا الا عظما واحدا وفي لفظ الجامع الا عظم واحد
بالرفع علي البدلية من شي وهو واضح وقيل هو منصوب لانه استثنا من موجب
لان قوله ليس شي من الانسان لا يبلى الا عظما نفي النفي ونفي النفي اثبات فيكون تقديره
كل شي منه يبلى الا عظما فانه لا يبلى ويحتمل ان يكون منصوبا علي انه خبر ليس لان
اسمه موصوف كقولك ليس زيد الا قايما نفي الانسان حال من شي وهو عجب الذنب
بفتح العين المهملة وسكون الجيم وحكي المحافظ تثليث العين مع البا والميم ففيه ست
لغات وهو العظم بين الاليتين الذي في اسفل الصلب قال بعض علماينا من الشراح المراد
طول بقايه تحت التراب لا انه لا يفنى اصلا فانه خلاف المحسوس وجاء في حديث انه اول
ما يخلق واخر ما يبلى ومعنى الحديث واحد وقال بعضهم الحكمة فيه ان قاعدة بدن
الانسان واسه الذي يبنى عليه فبالحري ان يكون اصلب من الجميع كقاعدة الجدار واسه

واذا كان اصابه كان اطوله بقا قوله التحقيق والله ولي التوفيق ان عجب الذنب يبلي اخرا كما شهد به حديث لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث وهو الحديث المتفق عليه ولا عبرة بالمحسوس كما حقق في باب عذاب القبر على ان الجزء القليل منه المخلوط بالتراب غير قابل لان يتميز بالحس كما لا يخفى على ارباب الحس ومنه يركب بتشديد الكاف المفتوحة الخلق اي سائر الاعضا المخلوقات من الحيوانات يوم القيامة اي كما خلق اولا في الايجاد كذلك خلقا ولا في الاعادة او بقي حيث يركب عليه الخلق ثانيا قال تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال سبحانه كما بداكم تعودون متفق عليه ورواه النسائي وفي رواية لمسلم وكذا للبخاري ذكره السيد في الجامع رواه مسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة قال اي النبي عليه السلام كل ابن ادم بالرفع وفي نسخة بالنصب اي كل اعضا بدن الانسان وكذا سائر الحيوانات ياكله التراب الا عجب الذنب اي فانه لا ياكله كله او بعضه منه اي من عجب الذنب خلق بصيغة المجهول اي ابتدي منه خلق الانسان اولا وفيه وفي نسخة منه وفيه رواية الجامع وسبق ان في تاتي مرادفه لمن يركب اي ثانيا قال النووي هذا مخصوص فيخص به الانبيا فان الله حرم على الارض اجسادهم وهو كما صرح به في الحديث وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السما ولعل المراد بهما ابدالهما كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات بيمينه اي بقوته او قدرته او بيمينه الصادرة عنه انه يفعله او يقبض الملائكة وطيهم الكائنين بيمين عرشه قال القاضي عبر به عن افنا الله تعالى هذه المظلة وهذه المقلة ورفعهما من البين واخراجهما من ان يكونا مأوى ومنزلا لبني ادم بقدرته الباهرة التي تهون عليها الافعال العظام التي يتضاءل دونها القوى والقدر ويتحير فيها الافهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل واضاف في الحديث الذي يليه طي السموات وقبضها الى اليمين وطي الارض الى الشمال تنبيها وتخييلا لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل وقال بعضهم اعلم ان الله تعالى منزه عن الحدوث وصفة الاجسام وكل ما ورد في القران والاحاديث في صفاته مما ينبي عن الجهة والفوقية والاستقرار والاتيان والنزول فلا نخوض في تاويله بل نؤمن بما هو مدلول تلك الالفاظ على المعنى الذي اراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية ثم يقول انا الملك اي لا ملك الا انا او انا مالك الملوك والاملاك وفيه تنبيه على ان الملك ابلغ من المالك مع ان المفسرين اختلفوا في قوله تعالى ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ان اي القرائتين ابلغ كما اشار اليه الشاطبي بقوله ومالك يوم الدين راويه ناصر ومحل الكلام في البيضاوي مذكور والتفصيل في غيره مسطور اين ملوك الارض اي الذين كانوا يدعون ان الملك لهم استقلالا او وراثة لا يرونه بزوالا او الذين كانوا يدعون الالوهية في الجهة السفلية وقيد بها لان الملا الاعلى هم معصومون عن افعال اهل السفالي متفق عليه ورواه النسائي وابن ماجة وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين الظلمة القهارون اين المتكبرون اي بمالهم وجاههم وخيلهم وحشمهم لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا ثم يطوي الارضين بفتح الراء ويسكن بشماله وفي رواية ياخذهن

اي بدل

وبعــــــــ سعود

اي بدل يطوي في التقدير ثم ياخذهن بيده الاخرى وهذه الرواية اوفق بحديث وكلتا يديه يمين وضميرهن الى الارضين بقرينة ذكر السموات ويحتمل ان المنقول بالمعنى وان لفظ الرواية ثم ياخذ الارضين بيده الاخرى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون فينظر في الاصول لطلب الاحرى قال اصحاب التاويل المراد باليد اليمنى والشمال المقدرة والمراد من الطي التسخير التام والقهر الكامل وهو كذلك الان ايضا ولكن في القيامة يكون اظهر ونسب طي السموات الى اليمين وطي الارضين الى الشمال تنبيها لما بين المقبوضين من التفاوت بعد ان نزه ذاته سبحانه من نسبة الشمال اليه بقوله وكلتا يديه يمين لان الشمال ناقص في القوة عادة والله منزه عن النقصان وعن سائر صفات الحدثان رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر بفتح الحاء وكسر مفرد الاحبار اي عالم من اليهود اي من جملتهم او من احبارهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع بكسر الهمزة وفتح الموحدة وفي القاموس بتثليث الهمز والبا ففيه تسع لغات والارضين على اصبع والجبال والشجر اي جنسه على اصبع والما والثرى اي التراب الندي يعني الما وما تحته من الثرى على اصبع وسائر الخلق اي باقيه على اصبع هذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من ان طي العلوي بيمينه والسفلي بالاخرى وايضا ظاهره يفهم الاشيا على الاصابع موهم لارادة تحقيق الجارحة المشتملة على الاصابع الخمسة كما هو مذهب المجسمة من اليهود وسائر اهل البدعة ولكنه كما قدره صلى الله عليه وسلم حيث لم ينكره لزم ان التاويل وهو مذهب الخلف وهو اعلم او التسليم والتفويض مع الاتفاق على التنزيه وهو مذهب السلف وهو اسلم والله اعلم فقال شارح والمعنى تهون على الله امساكها وحفظها كما يقال في العرف فلان يحمل باصبعه لقدرته وقال التوربشتي السبيل في هذا الحديث ان يحمل على نوع من المجاز او ضرب من التمثيل والمراد منه تصوير عظمته والتوقيف على جلالة شانه وانه سبحانه يتصرف في المخلوقات تصرف اقوى قادر على ادنى مقدور يقول العرب في سهولة المطلب وقرب التناول ووفور القدرة وسعة الاستطاعة هو مني على حبل الذراع واني اعالج ذلك ببعض كفي واستقله بفرد اصبع ونحو ذلك من الالفاظ استهانة بالشي واستقلالها باخف القدرة عليه والمتورع عن الخوض في تاويل امثال هذا الحديث في فسحة من دينه اذا لم يتخطاها في ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس ثم يهزهن الضمير للاصابع والمعنى يحركهن فيقول انا الملك اي القادر انا الله اي المعبود بالحق المستحق للعبودية والعبادة في الباطن والظاهر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قاله الحبر تصديقا له علة العلة قال الكشاف فانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم الا ما يفهمه علما البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شي من ذلك ولكن فهمه وقع اول شي واخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تاويل المشتبهات من كلام الله في القران وسائر الكتب السماوية وكلام الانبيا فان اكثره تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما ثم قرا اي النبي صلى الله عليه وسلم اعتضادا ويحتمل ان يكون القارئ هو ابن مسعود استشهادا وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته والارض الواو

بجلاله اي والجلال ان جنس الارض وهو الارضين السبع جميعا قبضته اي مقبوضة وفي ملكه
وتصرفه يوم القيامة يتصرف فيه كيف يشا بلا مزاحم مع سهولة والمعني انهن بعظمتهن بالنسبة
الي قدرته ليست الا قبضة واحدة والسموات مطويات بيمينه اي مجموعات بقدرته او مفنيات
بقسمه لانه تعالي اقسم بعزته وجلاله ان يفنيها سبحانه وتعالي عما يشركون بنسبة الولد
والشريك اليه متفق عليه ورواه الترمذي والنساي وعن عايشة رضي الله عنها قالت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله اي سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض اي يوم
تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخري غير هذه المعروفة والسموات اي كذلك قال
صاحب الكواشي انها تبدل خبزة بيضا فياكل المومنون من تحت اقدامهم حتي يفرغ الحساب
وسياتي في اول باب الحشر ما يؤيد هذا المعني وروي عن الضحاك انه يبدلها ارضا من
فضة بيضا كالصحايف وكذا عن علي كرم الله وجهه وفي شرح السنة التبديل تغيير
الشي عن حاله والابدال جعل الشي مكان اخر وقال الطيبي قد يكون التبديل في الذوات
كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها
خاتما واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل يتبدل اوصافها فتسير علي الارض جبالها
وتفجر بحارها وتجعل مستوية لا تري فيها عوجا ولا امتا وتبدل السموات بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف قمرها وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس
تحشر الناس علي ارض بيضا لم يخطا عليها احد خطيئة والظاهر من التبديل تغيير الذات
كما يدل عليه السوال والجواب حيث قالت فاين يكون الناس يومئذ قال علي الصراط اي
الصراط المعهود عند المسلمين او جنس الصراط والله اعلم رواه مسلم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر مكوران بتشديد
الواو المفتوحة وتذكيره لتغليب القمر لانه المذكر او باعتبار الكوكبين النيرين وقوله
يوم القيامة ظرف له والتكوير معناه اللف ومنه تكوير العمامة وقوله تعالي يكور الليل
علي النهار وهو معني الجمع في قوله تعالي وجمع الشمس والقمر قال التوربشتي يحتمل انه من
التكوير الذي هو بمعني اللف والجمع اي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطها في الافاق ويحتمل
ان يراد به رفعهما لان الثوب اذا طوي رفع ويحتمل ان يكون من قولهم طعنه فكوره
من كوره اذا القاه اي ملقيان من فلكهما وهذا التفسير اشبه لنسق الحديث لما في
بعض طرقه مكوران في النار فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما اهل النار لاسيما عباد الانوار
ولا يعذبان في النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل
الملايكة الموكلين بها رواه البخاري وروي ابن مردويه عن انس الشمس والقمر ثوران عقيران في النار ان
شا اخرجهما وان شا تركهما والعقير الزمن الفصل الثاني عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم اي افرح واتنعم من نعم عيشه كفرح وشبع ولذ
كذا في المصباح وفي النهاية هو من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه وصاحب الصور قد التقمه
اي وضع طرف الصور في فمه واصغي سمعه اي امال اذنه وحني جبهته اي امالها وهو كناية
عن المبالغة في التوجه لاصغا السمع والقا الاذن ينتظر متي يومر بالنفخ والظاهر ان كلا من الالتقام
والاصغا وما بعده علي حقيقته وانه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به وقال القاضي معناه كيف يطيب
عيشي وقد قرب ان ينفخ في الصور فكني عن ذلك بان صاحب الصور وضع راس الصور في فمه

وهو

وهو مترصد لان يومر فينفخ فيه فقالوا يا رسول الله وما تامرنا اي ان نقول الان او مطلقا عند الشدايد
وح قال قولوا حسبنا الله مبتدا وخبر اي كافينا الله ونعم الوكيل فعيل بمعني المفعول والمخصوص
بالمدح محذوف اي نعم الموكول اليه الله رواه الترمذي وكذا الحاكم وصححه عنه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ميرك عن ابن عباس قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام
حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
الاية رواه البخاري والنسائي وعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصور قرن
قيل دايرة راسه كعرض السموات والارض ينفخ فيه بصيغة المجهول اي ينفخ فيه اسرافيل
النفختين رواه الترمذي وابو داود والدارمي وكذا احمد والنساي والحاكم الفصل الثالث
عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال في قوله تعالي فاذا نقر اي نفخ في الناقور الصور
بالجر علي التفسير وفي نسخة بالرفع علي تقدير هو الصور قال اي ابن عباس ايضا والراجفة
اي في قوله تعالي يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة النفخة الاولي لانه ترجف الارض والجبال
عندها اي تضطرب وتتحرك وتتزلزل لها والرادفة الثانية اي لانها تقع عقبها وقال الطيبي
الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال هي النفخة الاولي وصفت بما يحدث بحدوثها
والرادفة الواقعة التي تردف الاولي وهي النفخة الثانية رواه البخاري في ترجمة باب بفتح التا والجيم
اي في عنوانه تعليقا لكن وصله في موضع اخر منه وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور اي اسرافيل وقال عن يمينه جبريل بكسر جيم وفتحها وكسر
الرا وسكون يا وبفتحهما وبهمزة بعدها تحتية وبحذف اربع لغات كلهن متواترات وعن يساره ميكاييل
بهمز وتحتية وبحذف ولو زن مفعال ثلاث قرات كذا في شرح الشاطبية للجعبري قال ابو عبيدة
هما معدودان في الحديث انتهي وهو يحتمل ان مراده المد الطبيعية او حرف المد ويحتمل انه
اراد جبريل بالالف الممدودة علي الشذوذ واخر بمشاكلة ميكاييل والله اعلم وعن ابي رزين
بفتح الرا وكسر الزاي العقيلي مصغرا ولم يذكره المولف في اسمايه قال قلت يا رسول الله كيف يعيد
الله الخلق وما اية ذلك اي علامة في خلقه اي مخلوقاته الموجودين قال امررت بوادي قومك
جدبا بفتح الجيم وسكون الدال كذا في النهاية والقاموس وفي المقدمة وبفتح اوله وكسر
ثانيه وقد يسكن ضد الخصب ثم مررت به يهتز بتشديد الزاي اي يتحرك خضرا بفتح
فكسر قال الطيبي يهتز جملة حالية وخضرا نصب علي التمييز استعار الاهتزاز لاستبشار
الوادي بتصور الحسنها ويقال اهتز فلان فرحا اي خف له وكل من خف لامر وارتاح له
فقد اهتز له قال نعم قال فتلك اية الله اي علامة قدرته في خلقه اي وفي اعادته والعود
احمد قال تعالي وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه كذلك يحيي الله الموتي
الظاهر ان هذا استشهاد بالاية او اقتباس منها قال الطيبي اي ليس فرق بين انشا
الخلق واعادته والتشبيه في قوله تعالي كذلك يحيي الله الموتي بيان للتسوية نحو
قوله تعالي قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم اي بكل من الانشا والاعادة
عليم ونظير هذا الحديث في الدلالة قوله تعالي فانظر الي اثار رحمة الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتي وهو علي كل شي قدير يعني ان ذلك القادر الذي
يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو علي كل شي من
المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشا واولها اي الحديثين [illegible]

قال المؤلف هو ابو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح مات بعد العشرين وخمسمائة

باب الحشر

في المغرب الحشر الجمع قلت وهو ضد النشر

الفصل الاول

عن سهل بن سعد سبق ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء اي غير شديد البياض والعفرة لون الارض وقيل المعنى لا يخلص بياضها بل يضرب الى الحمرة كقرصة النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد اليا وهو الدقيق المنخول المنظف الذي يتخذ منه الحواري والقرصة بالضم الرغيف والتا للوحدة والتشبيه بها في اللون والشكل دون القدر ليس فيها علم بفتحتين اي علامة لاحد بين يديه الابنية ومعناه انها تكون قاعا لا بناء فيها ذكره الطيبي وقال الطيبي لعل الظاهر ان ذكر تعريض بارض الدنيا وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها اعلم عليها على نحو قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار متفق عليه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة اي كخبزة واحدة فهو تشبيه بليغ او التقدير يصير خبزة واحدة وهو الظاهر بما سياتي يتكفاها بالهمز بعد تشديد الفا قال التوربشتي هذه رواية كتاب البخاري ورواية كتاب مسلم يكفاها بسكون الكاف والهمز من كفأت الاناء اي قلبته وهو الصواب والمعنى تقلبها الجبار اي الواحد القهار بيده اي من يد الى يد ويجمعها بيديه يعني ولعل المراد بها القدرة والارادة فانه سبحانه منزه عن الجارحة كما يتكفأ احدكم خبزته اي عجينته فهي تسمية بالمال كقوله تعالى اني اعصر خمرا في السفر بفتحتين وقيل بضم اوله جمع سفرة فالاول ظرف الزمان والثاني مكان البيان والمعنى كما يفعل بالعجينة اذا اريد به ترقيقها واستواؤها حتى تلقى على الملة في السفر استعجالا نزلا بضمتين ويسكن الثاني ذكره ابن الملك اي ضيافة لاهل الجنة وهو ما يستعجل للضيف من الطعام قال النووي يتكفاها بالهمز اي يقلبها ويميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست مبسوطة كالرقاقة ونحوها وفي نسخ مسلم يكفاها بالهمز والخبزة هي الظلمة التي توضع في الملة والمعنى ان الله يجعل الارض كالظلمة والرغيف العظيم يكون ذلك طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قدير قال التوربشتي ارى الحديث مشكلا جدا غير مستنكر شيئا من صنع الله وعجائب فطرته بل لعدم التوفيق الذي يكون موجبا للعلم في قلب جرم الارض من الطبع الذي عليه الى طبع المطعوم والماكول مع ما ورد في الاثار المنقولة ان هذه الارض برها وبحرها تمتلي نارا في النشاة الثانية وتنضم الى جهنم فنرى الوجه فيه ان نقول معنى قوله خبزة واحدة اي كخبزة من نعتها كذا وكذا وهو نظير ما في حديث سهل بن سعد كقرصة النقي وانما ضرب المثل بقرصة النقي لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا وفي هذا الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الارض هيئة وشكلا ومساحة فاشتمل الحديث على معنيين احدهما بيان الهيئة التي تكون الارض عليها يومئذ والاخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلا لاهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابداعا واختراعا من القادر الحكيم الذي لا يعجزه امر ولا يعوزه شيء انتهى واطنب الطيبي هنا بما لا طائل تحته فاعرضت عن ذكره وقيل الحديث مشكل لا من جهة انكار قدرته بل من جهة عدم التوفيق بينه وبين حديث ان هذه الارض يصير يوم القيامة نارا واجيب بانه شبه ارض المحشر بالخبزة في الاستوا والبياض كما في حديث سهل وشبه ارض الجنة كما في حديث ابي سعيد في كونها نزلا لاهلها تكرمة لهم بعجالة الراكب زادا يقنع به في سفره لكن اخر هذا الحديث يشعر بان كون الارض خبزة على التحقيق والاولى

الحمل على الحقيقة مهما امكن وقدرته تعالى صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة ابلغ بان يقلب الله تعالى بقدرته الكاملة طبع الارض حتى ياكلوا منها من تحت اقدامهم ما شاء الله بغير كلفة ولا علاج وبهذا تبين ضعف ما قاله القاضي من انه لم يرد بذلك ان جرم الارض ينقلب خبزة في الشكل والطبع وانما اراد به انها تكون حينئذ بالنسبة الى ما اعد الله لاهل الجنة كقرصة نقي يستعجل المضيف بها نزلا للضيف ثم تعريف الارض في الحديث كتعريفها في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال ابن عباس هي ارض الجنة هذا ومما يؤيد الحمل على الحقيقة قول الراوي فاتى رجل من اليهود اي من احبارهم فقال بارك الرحمن عليك دعا له بزيادة كثرة الرحمة عليه او اخبار عليه يا ابا القاسم كناه تعظيما الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الينا اي نظر التفات وتعجب وتنبيه ثم ضحك اي فرحا للمطابقة والموافقة حتى بدت نواجذه اي ظهرت اخر اضراسه وهو كناية عن المبالغة ثم قال اي اليهودي كما في نسخة الا اخبرك بادامهم اي بما يأتدم اهل الجنة الخبزة به بالام اي هو بالام وهو على وزن فعال اي ثور والنون اي السمك قالوا اي الصحابة وما هذا اي ما معنى هذا الذي ذكرته قال ثور ونون ياكل من زائدة كبدهما سبعون الفا قال النووي اما النون فهو الحوت باتفاق العلماء واما بالام فبا موحدة مفتوحة وتخفيف لام وميم مرفوعة وفي معناه اقوال والصحيح منها ما اختاره المحققون انها لفظة عبرانية معناها بالعربية الثور وفسر اليهودي به ولو كانت عربية يعرفها الصحابة ولم يحتاجوا الى سؤاله عنها واما قوله ياكل منها سبعون الفا فقال القاضي عياض انهم السبعون الفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب فخصوا باطيب النزل ويحتمل انه عبر به عن العدد الكثير ولم يرد الحصر في ذلك القدر وهذا معروف في كلام العرب والله اعلم متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس بعد البعث على ثلاث طرائق اي فرق واصناف الركبان على طريقة واحدة من تلك الثلاث والتقيته تناول الطريقتين الاخريين وهما المشاة الذين على وجوههم كما سياتي في الفصل الثاني راغبين اي في الجنة لما فيها من لقا ربهم وهو بدل عن ثلاث وهو احد الفرق وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون راهبين اي من النار وهم الذين يخافون ولكن ينجون منها وهم الفرقة الثانية ففيه تنبيه نبيه على ان طاعة الله تعالى على الرجا اولى من عبادته على الخوف ولذا سمي الاولون الطيارين والاخرين السيارين ويحققه في كتب التصوف ويعرفه اهل التذوق وجملة الكلام ان المراد بالراغبين من غلب عليهم الرجا وبالراهبين من غلب عليهم الخوف قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وانما قدم الخوف في الاية لانه انسب بعموم المدالعامة لاسيما في البداية واثنان على بعير اي اعتقابا او اجتماعا وهو الاظهر وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير فعلى مقدار مراتبهم يتيسر تكون عالي مراكبهم والباقون يمشون على اقدامهم على قدر اقدامهم قال ابن الملك قوله واثنان على بعير الخ او فيه للحال وصفة المبتدا محذوف اي اثنان منهم وكذا الكلام فيما بعده وهذه الاعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل فمن كان اعلى مرتبة كان اقل شركة واشد سرعة واكثر سباقا فان قلت كون الاثنين واخوانه على البعير بطريق الاجتماع ام الاعتقاب قلنا قال شارح السنة بطريق الاعتقاب لكن الاولى ان يحمل على الاجتماع اذ في الاعتقاب لا يكون الاثنان والثلاثة على بعير حقيقة وانما اقتصر على ذكر العشرة اشارة الى

انه غاية عدد الراكبين على ذلك البعير المحتمل المشترة من بدايع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث
قوي ما لا يقوى من البعران وانما لم يذكر الخمسة والستة وغيرها الى العشرة للايجاز ويحشر
بقيتهم اي يجمعهم النار تقيل بفتح اوله من القيلولة وفاعله النار والمراد انها تكون معهم في النهار
حيث قالوا اي كانوا واستراحوا وتبيت اي النار معهم حيث باتوا اي كانوا في الليل وتصبح
معهم حيثما اصبحوا اي دخلوا في الصباح وتمسي معهم حيث امسوا والمقصود ان النار
تلزمهم بحيث لا تفارقهم ابدا مجمل الكلام في تحصيل المرام واما تفصيله فقال الخطابي الحشر
المذكور في هذا الحديث انما يكون قبل قيام الساعة تحشر الناس احيا الى الشام
فاما الحشر بعد البعث في القبور فانه على خلاف هذه الصورة من ركوب الابل والمعاقبة
عليها وانما هو على ما ورد في الحديث انهم يبعثون حفاة عراة وقيل ثلاثة على بعير واربعة
على بعير اي انهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم ويمشي بعضهم قال التوربشتي
قول من يحمل الحشر على الحشر الذي هو بعد البعث من القبور اشد واقوى واشبه
بسياق الحديث من وجوه احدها ان الحشر على الاطلاق في متعارف الشرع لا يراد منه
الا الحشر الذي بعد قيام الساعة الا ان يخص بنوع من الدليل ولم نجد ههنا والاخر ان التقسيم
الذي ذكر في هذا الحديث لا يستقيم في الحشر الى ارض الشام لان المهاجر اليها لا بد وان يكون
راغبا راهبا او راغبا او راهبا فاما ان لا يكون راغبا وراهبا ويكون هذه طريقة واحدة
لا ثاني لها من جنسها فلا والثالث ان حشر النار بقية الطائفتين على ما ذكر في هذا الحديث
الى ارض الشام والتزامها لهم حتى لا تفارقهم في مقيل ولا مبيت ولا صباح ولا مسا قول لم يرد
به التوقيف ولم يكن لنا ان نقول بتسليط النار على اولي الشقاوة في هذه الدار من غير
توقيف والرابع وهو اقوى الدلايل واوثقها ما روي عن ابي هريرة وهو من الحسان
من هذا الباب يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف الحديث واما ما ذكر من بعث
الناس حفاة عراة فلا تضاد بين القضيتين لان احديهما حالة البعث من المنشر والاخرى
حالة السوق الى المحشر ويؤيد التقسيم الذي جاء به الحديث التنزيل قال الله تعالى
اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة
الايات فقوله راغبين راهبين يريد به عوام المومنين وهم الذين يترددون
بين الخوف والرجا يعني زوال التكليف فتارة يرجون رحمة الله لايمانهم وتارة يخافون
عذابه لما اجترحوا من السيئات وهم اصحاب الميمنة في كتاب الله على ما في الحديث الذي
رواه ايضا ابو هريرة وهو في الحسان من هذا الباب وقوله واثنان على بعير فالمراد منه
اولو السابقة من افاضل المومنين وهم السابقون وقوله ويحشر بقيتهم النار يريد
به اصحاب المشامة فهذه ثلاث طرايق فان قيل فلم يذكر من السابقين من يتفرد
بمركب لا يشاركه فيه احد قلنا لانه عرف ان ذلك مجعول لمن فوقهم في المرتبة من انبيا
الله ليقع الامتياز بين الانبيا والصديقين في المراكب كما وقع في المراتب انتهى وعارضه الطيبي
بما لا طايل تحته فما بحثه متفق عليه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انكم محشورون اي ستبعثون حفاة بضم الحا جمع حاف وهو الذي لا نعل له عراة
بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الرا جمع الاغرل وهو
الاقلف غير مختونين قال الطيبي قوله غرلا اشارة الى ان البعث يكون بعد رد تمام الاجزا والاعضا

الزائلة في الدنيا الى البدن وفيه تاكيد لذلك فان القلفة كانت واجبة الازالة في الدنيا فغيرها من
الاشعار والاظفار والاسنان ونحوها اولى وذلك لغاية تعلق علم الله تعالى بالكليات والجزئيات
ونهاية قدرته بالاشيا الممكنات ثم قرا اي استشهادا واعتضادا قوله تعالى كما بدانا اول خلق
نعيده الكاف متعلق بمحذوف دل عليه نعيده اي نعيد الخلق اعادة مثل الاول والمعنى بداناهم
في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة وعدا علينا اي لازما لا يحول الخلف
فيه انا كنا فاعلين اي ما وعدناه واخبرنا به لا محالة قال الطيبي فان قلت سياق الاية في اثبات
الحشر والنشر لان معنى توجدكم عن العدم كما اوجدكم اولا عن العدم فكيف يستشهد
بها للمعنى المذكور قلت دل سياق الاية وعبارتها على اثبات الحشر واشارتها على المعنى
المراد من الحديث فهو من باب الادماج قلت الظاهر ان الاية بعبارتها تدل على المعنيين
وان كان سياق الاية مختصا لاحدهما فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم في قوله
نوجدكم من العدم مسامحة والله اعلم واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم قيل لانه اول
من كسا الفقرا وقيل لانه اول من عري في ذات الله حين القي النار لا لانه افضل من نبينا
او لكونه اباه فقدم لعزة الابوة على انه قيل ان نبينا يخرج في الناس من قبره في ثيابه التي
دفن فيها وعندي والله اعلم ان الانبيا بل الاوليا يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن
يلبسون اكفانهم بحيث لا ينكشف عوراتهم على احد ولا على القسم وهو المناسب لقوله
صلى الله عليه وسلم اخرج من قبري وابا بكر عن يميني وعمر عن يساري واتي البقيع الحديث
ثم يركبون النوق ونحوها ويحضرون المحشر فيكون هذا اللباس محمولا على الخلع الالهية والحلل
الجنية على الطايفة الاصطفائية واولية ابراهيم عليه السلام يحتمل ان تكون حقيقية او اضافية
والله اعلم ثم رايت في الجامع الصغير انا اول من تنشق الارض عنه فاكسى حلة من حلل
الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري رواه
الترمذي عن ابي هريرة وروى الترمذي والحاكم عن ابن عمر انا اول من تنشق عنه
الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة وقال التوربشتي
ان التقديم بهذه الفضيلة انما وقع لابراهيم عليه السلام لانه اول من عري في ذات الله
حين ارادوا القاه في النار فان قيل اوليس نبينا صلى الله عليه وسلم هو المحكوم له بالفضل
على سائر الانبيا وتاخره في ذلك موهم ان الفضل للسابق قلنا اذا استاثر الله سبحانه
عبدا بفضيلة على اخر واستاثر المستاثر عليه على المستاثر بتلك الواحدة وبعشر امثالها
او افضل كانت السابقة له ولا يقدح الاستيثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله
ولا خفا بان الشفاعة حيث لا يكون لاحد في الكلام لم يبق سابقة لاولي السابقة ولا
فضيلة لذوي الفضايل الاتية عليها وكم له من فضايل مختصة به لم يسبق اليها ولم
يشارك فيها وان ناسا من اصحابي اي جماعة منهم والتنكير للتقليل يوخذ بهم ذات الشمال
اي الى النار مع اصحاب المشيمة فاقول اصحابي بالتصغير للتقليل اي هولا اصحابي اصحابي
الذين يذهبون بهم اصحابي كرره تاكيدا ويمكن ان يكون اشارة الى جماعتين فيقول اي قايل
او مجيب انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم مذ فارقتهم قال القاضي يريد بهم من ارتد
من الاعراب الذين اسلموا الى ايامه كاصحاب مسيلمة والاسود واضرابهم فان اصحابه وان
شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والانصار شاع استعماله لغة في كل من تبعه او ادرك

ووقف سعيد

حضرته ووقفه عليه ولو مرة قلت الاول اصطلاح اصول الفقه والثاني مصطلح اهل الحديث وقيل اراد
بالارتداد اساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الاخلاص وصدق النية والاعراض عن
الدنيا اقول هذا بالاشارات الصوفية انسب واقرب والا فعبارة الارتداد غير مستقيمة
علي هذا المعني اصلا ولا موافقة لقوله عليه السلام فاقول كما قال العبد الصالح وهو
عيسي عليه السلام وكنت عليهم اي علي امتي شهيدا اي مطلقا رقيبا حافظا ما دمت فيهم اي
موجودا فيما بينهم الي قوله العزيز الحكيم وهو قوله فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت
علي كل شي شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم متفق
عليه ورواه الترمذي وعن عايشة رضي الله تعالي عنها قالت سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال بتقدير
الاستفهام ويمكن ان يقرا بالمد والتسهيل ايضا علي ما تقرر في قوله تعالي قل الله اذن لكم والنسا
عطف علي الرجال وهما مبتدا اقول جميعا اي مجتمعين حال منها علي ما جوزه البعض فالخبر قوله
ينظر بعضهم الي بعض وهو العامل في الحال قدم اهتماما كما في قوله تعالي والارض جميعا قبضته وفيه
معني الاستفهام ولذلك اجاب فقال يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الي بعض اي امر
القيامة اصعب من ان يقدر احد علي النظر الي غيره عمدا او سهوا لقوله تعالي لكل امري منهم
يوميذ شان يغنيه متفق عليه واخرج عبد ابن حميد والترمذي والحاكم وصححه وابن
مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يحشرون حفاة
عراة غرلا فقالت زوجته اينظر بعضنا الي عورة بعض فقال يا فلانة لكل امري منهم يوميذ
شان يغنيه واخرج الطبراني عن سهل بن سعد نحوه واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن
مردويه عن انس ان عايشة سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت كيف يحشر
الناس قال حفاة عراة قال واسواتاه قال انه قد نزل علي اية لا يضرك كان عليك ثياب اولا
قالت واي اية هي قال لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه واخرج الحاكم وصححه وابن مردويه
عن عايشة نحوه واخرج الطبراني في الاوسط عن ام سلمة سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة قالت يا رسول الله واسواتاه
ينظر بعضنا الي بعض فقال شغل الناس قالت ما شغلهم قال نشر الصحايف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل وعن انس ان رجلا قال يا نبي الله يحشر الكافر علي وجهه يوم
القيامة ولكون الاستفهام مقدرا قال اليس اي الشان الذي امشاه علي الرجلين في الدنيا
مبتدا خبره قوله قادرا علي ان يمشيه بالتخفيف ويجوز تشديده علي وجهه يوم القيامة
متفق عليه وسياتي حديث الترمذي في الفصل الثاني وحديث ابي ذر في الثالث وفي
الدر المنثور اخرج احمد والشيخان والنساي وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابو نعيم في المعرفة
والبيهقي في الاسما والصفات عن انس قال قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس علي وجوههم
قال الذي امشاهم علي ارجلهم قادر ان يمشيهم علي وجوههم واخرج ابن جرير عن الحسن قال
قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الاية الذين يحشرون علي وجوههم الي جهنم فقالوا
يا نبي الله كيف لا قال ارايت الذي امشاهم علي اقدامهم اليس قادرا علي ان يمشيهم علي وجوههم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يلقي اي يري ابراهيم اباه
ازر بالمد او بيان يوم القيامة وعلي وجه ازر وضع الظاهر موضع المضمر لئلا يتوهم رجعه

يحشرون علي
وجوههم صح

الي ابراهيم

الي ابراهيم قترة الاجملة الحال قترة اي سواد من الكابة والحزن وغيره بفتحتين غبار معه سواد فذكرها مبالغة
الجملة حالية فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصيني فيقول له ابوه فاليوم ظرف مقدم لا اعصيك فيقول
ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزني اي لا تفضحني يوم يبعثون اي الخلايق فاي خزي
في النهاية هو الهلاك والوقوع في بلية اخري من ابي اي من خزي ابي الابعد يريد البعد في
المرتبة والالتحاق باهل النار او الهالك من البعد بمعني الهلاك او الابعد من رحمة الله تعالي
فان الفاسق بعيد والكافر ابعد ورحمة الله قريب من المحسنين كالانبيا والاوليا واقرب
قال الطيبي هو من افعل الذي قطع عن متعلقه للمبالغة فيقول الله تعالي اني حرمت الجنة
علي الكافرين ثم يقال لابراهيم ما تحت رجليك وفي نسخة انظر ما تحت رجليك وما استفهامية
او موصولة قال ابن الملك ما استفهام خبرها تحت ويجوز كونه بمعني الذي اي انظر الي الذي
تحت رجليك فينظر فاذا هو اي ازر بذيخ بكسر ذال معجمة فتحتية ساكنة وحا مهملة وهو ما
يذيخ متلطخ اما برجيعه او بدمه او بالطين فيوخذ بقوايمه جمع قايمة وهي ما يقوم به الدواب
بمثابة الارجل للانسان كذا ذكره شارح فقيه تغليب والمراد انه يوخذ بيده ورجليه فيلقي
اي فيطرح في النار اي في مقام الكفار فغير صورته ليكون تسلية لابراهيم حتي لا يحزنه
لوراه قد القي في النار علي صورته فيكون خزيا وفضيحة علي روس الخلايق فغيره سترة لحاله
في تقبيح ماله قيل هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالي وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه واجيب اختلف في الوقت الذي
تبرا ابراهيم فيه من ابيه فقيل كان ذلك في الدنيا لما مات ازر مشركا وقيل انما تبرا منه يوم القيامة
لما ايس منه حين مسخ ويمكن الجمع بين القولين بانه تبرا منه لما مات مشركا فترك الاستغفار
له لكن لما راه يوم القيامة ادركته الرافة فسال منه فلما مسخ ايس منه وتبرا تبرا ابديا وقيل
ان ابراهيم لم يتيقن بموته علي الكفر لجواز ان يكون امن من نفسه ولم يطلع ابراهيم عليه ويكون
وقت تبريه منه بعد الحال التي وقعت في هذا الحديث رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة
رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرق بفتح الرا الناس اي جميعا
والجن بالاولي فتركه من باب الاكتفا والظاهر استثنا الانبيا والاوليا يوم القيامة اي في
ابتدا امره حتي يذهب عرقهم في الارض سبعون ذراعا قيل سبب هذا العرق تراكم الاهوال
وحصول الحيا والخجالة والندامة والملامة وتراحم حر الشمس والنار كما جا في رواية ان جهنم
تدير اهل المحشر فلا يكون الي الجنة طريق الا الصراط حتي يبلغ اي يصل العرق اذانهم بالمد جمع الاذن
قال شارح اي الي افواههم وسياتي ان الناس يختلفون في احوالهم علي مراتب اعمالهم متفق عليه وروي
الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول رب ارحني ولو الي النار
وعن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول تدني الشمس اي تقرب
يوم القيامة من الخلق حتي يكون منهم اي الشمس والمراد جرمها كمقدار ميل تقديره حتي يكون مقدار
قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل نظيره قوله تعالي فكان قاب قوسين او ادني اي كان قرب رسول
الله من جبريل او من مكان القرب مثل مقدار قوسين وفي شرح السنة قال سليم لا ادري اي الميلين
يعني مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين فيكون الناس علي قدر اعمالهم اي السيئة
في العرق فمنهم من يكون الي كعبيه اي تقريبا فيقبل النقصان والزيادة ومنهم من يكون الي
ركبتيه ومنهم من يكون الي حقويه الحقو الخصر ومشد الازار ومنهم من يلجمه العرق الجاما

واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه اي فمه قال ابن الملك ان قلت اذا كان العرق كالبحر يلجم البعض
فكيف يصل الى كعب الاخر قلنا يجوز ان يخلق الله تعالى ارتفاعا في الارض تحت اقدام البعض او يقال
يمسك الله عرق كل انسان بحسب عمله فلا يصل الى غيره منه شي كما امسك جرية البحر لموسى
عليه السلام قلت المعتمد هو القول الاخير فان امر الاخرة كله على وفق خرق العادة الا ترى ان شخصين
في قبر واحد يعذب احدهما وينعم الاخر ولا يدري احدهما عن غيره ونظيره في الدنيا نائمان مختلفان
في رؤياهما فيحزن احدهما ويفرح الاخر بل شخصان قاعدان في مكان واحد احدهما في عليين والاخر
في اسفل سافلين او احدهما في صحة والاخر في وجع او بلية رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اي يوم القيامة كما في رواية
البغوي يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك قال اخرج بفتح الهمزة وكسر الراء
اظهر وميز من بين اولادك بعث النار اي جمعا يستحقون البعث اليها قال وما بعث النار
قيل عطف على مقدر اي سمعت واطعت وما بعث النار اي وما مقدار النار وقيل ما بمعنى
كم العددية والاظهر انه للاستفهام فيه يفيد الربط بين سابقه ولاحقه قال اي الله تعالى
من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قيل يخالفه ما في حديث ابي هريرة من كل مائة تسعة
وتسعين واجاب الكرماني بان مفهوم العدد مما لا اعتبار له والمقصود منه تقليل عدد المؤمنين
وتكثير عدد الكافرين ويمكن حمل حديث ابي سعيد على جميع ذرية ادم فيكون من كل الف عشرة وتو
من ذلك ان ياجوج وماجوج ذكروا في حديث ابي سعيد دون حديث ابي هريرة ويحتمل
ان يكون الاول يتعلق بالخلق اجمعين والثاني بخصوص هذه الامة وان يكون بعيث النار الكفار
ومن يدخل النار من العصاة فيكون من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرا ومن كل مائة
تسعة وتسعون عاصيا وهذا هو الاظهر والله اعلم فعنده اي عند هذا الحكم يشيب
الصغير اي من الحزن الكثير والهم الكبير وفي رواية البغوي فحينئذ يشيب المولود وظهور الشيب اما
على الحقيقة او على الفرض والتقدير وهذا هو الاظهر الملايم لقوله وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى اي من الخوف وما هم بسكارى اي من الخمر ولكن عذاب الله شديد ثم اعلم ان هذا الحديث
مقتبس من قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا بالطاعة عقابه حتى ترجوا ثوابه
ان زلزلة الساعة شيء عظيم والزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا فيها فقال علقمة
والشعبي هي من اشراط الساعة قبل قيامها وقال الحسن والسدي هي يكون يوم القيامة
وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها اي الساعة او الزلزلة تذهل كل
مرضعة اي يشغل عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط ولدها من هول ذلك
اليوم قال الحسن تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها من غير تمام وهذا
ظاهره يؤيد قول من قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان البعث لا يكون حملا ومن
قال يكون في القيامة قال هذا على وجه التعظيم للامر لا على حقيقته كقولهم اصابنا امر
يشيب فيه الوليد يريد به شدته قالوا يا رسول الله واينا ذلك الواحد ولما استعظموا
ذلك الامر واستشعروا الخوف منه قالوا اي في جوابهم تسلية لفؤادهم ابشروا قال الطيبي
لا يخلو هذا الاستفهام من ان يكون مجرى على حقيقته او يكون استعظاما لذلك الحكم
واستشعار خوف منه فالاول يستدعي ان يجاب بان ذلك الواحد فلان او متصف بالصفة
الفلانية والثاني يستدعي ان يجاب بما يزيل ذلك الخوف رفعا للناس والثاني هو المراد

بعد

بقوله

بقوله ابشروا وكانه قال واينا من امة محمد ذلك الناجي المفلح من بين سائر بني ادم فقال ابشروا فان منكم
رجلا ومن ياجوج وماجوج بالالف ويجوز فيهما الف بالرفع في الاصول المصححة فالجملة حالية
وقدم الجار لكون المبتدا نكرة وفي نسخة السيد عفيف الدين الفا بالنصب وهو ظاهر فانه
من باب العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور مقدم والمعنى سيوجد بعدد كل رجل
منكم الف من ياجوج وماجوج مجتمعة بكثرة اهل الجنة وفيه اشعار بان اهل النار اكثر من اهل
الجنة ولعل اهلها يكثرون بوجود الملائكة المقربين والحور العين فصح معنى الحديث القدسي
غلبت رحمتي غضبي زاد البغوي فقال الناس الله اكبر ثم قال والذي نفسي بيده ارجو ان
تكونوا اي انتم ايها الصحابة او ايها الامة وهو الاظهر ربع اهل الجنة فكبرنا التكبير للتعجب
والفرح التام والاستبشار والاستعظام فقال ارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا
ولعله صلى الله عليه وسلم درج الامر لئلا ينقطع قلوبهم بالفرح الكثير دفعة او بالنظر الى
دخولهم في دفعات او اوحي اليه وحيا بعد وحي فاخبر بما بشر فقال ارجوا ان تكونوا
نصف اهل الجنة فكبرنا قال الطيبي في الحديث تنبيه على ان ياجوج وماجوج داخلون في
هذا الوعيد ودل بقوله ارجوا ان يكونوا نصف اهل الجنة ان غير ياجوج وماجوج من
الامم السالفة الفانية للحصر ايضا داخلون في الوعيد فاذا وزع نصف امة محمد صلى الله عليه
وسلم مع مثله من الامم السالفة على ما لا يكون كالواحد من الالف يدل عليه رواية الولوي
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة فقال ما انتم في الناس الا كالشعرة السودا
في جلد ثور ابيض او كشعرة بيضا في جلد ثور اسود الظاهر ان او للتخيير في التعبير ويحتمل
الشك قال الطيبي وقولهم الله اكبر مرارا ثلاثا متعجبين استبشار منهم واستعظام لهذه النعمة
العظمى والمحنة الكبرى فيكون هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام اشارة الى فوزهم بالبغية
بعد اليأس منها انتهى ولعل ورود هذا الحديث قبل علمه صلى الله عليه وسلم بان امته ثلثا
اهل الجنة اذ قد ورد ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون صفا امته صلى الله عليه وسلم
واربعون سائر الامم ويمكن ان يكون نصفا بالنسبة الى الداخلين اولا والاظهر ان هذا الحديث
وقع مختصرا على ما سياق الحديث بطوله متفق عليه ورواه النسائي وفي المعالم روي عن عمران
ابن الحصين وابي سعيد الخدري ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا
فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقراها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب
ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس بين باك او جالس حزين متفكر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله عز
وجل يا ادم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول ادم من كل كم فيقول الله عز وجل من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فكبر ذلك على المسلمين وبكوا
وقالوا فمن ينجو اذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا وسددوا وقاربوا فان
معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه ياجوج وماجوج ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلث
اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله
ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي وما
المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير او كالرقم في ذراع الدابة بل كالشعرة السودا في الثور

الابيض او كالشعرة البيضا في الثور الاسود ثم قال ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير
حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشه بن محصن
فقال يا رسول الله ادع الله لي ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم
فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله ادع الله لي ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف
ربنا عن ساق قال التوربشتي مذهب اهل السلامة من السلف التورع من التعرض للقول
في مثل هذا الحديث وهو الامثل والاحوط وقد تاوله جمع من العلما بان الكشف عن الساق
مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واستعماله فيها شايع ومنه قول الشاعر
عجبت من نفسي ومن اشفاقها ❊ ومن طراد الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها ❊ ومنه قوله عز وجل يوم يكشف عن ساق اي عن شدة
وتنكير الساق في الاية من دلايل هذا التاويل ووجه تعريف الساق في الحديث دون الاية
ان يقال اضافها الى الله تعالى تنبيها على انها الشدة التي لا يجليها لوقتها الا هو وعلى انها
هي التي ذكرها في كتابه انتهى وعند الحاكم عن ابن عباس في الاية هو يوم كرب وشدة وقال
الخطابي المعنى يكشف عن قدرته التي تكشف عن الشدة والكرب وقيل الاصل فيه ان يكون
الولد في بطن الناقة فيدخل الرجل يده في رحمها فياخذه فياخذه بساقه ليخرجه فهذا هو
الكشف عن الساق ثم استعمل في كل امر فظيع اقول ويمكن ان يكون استعارة وحاصله ان
الله تعالى ياخذهم بالشدة ايد مكن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله في امر خطير
فيسجد له كل مومن ومومنة اي من كمال الشدة يقعون في السجدة طالبين رفعها بتلك
القربة واخرج ابو يعلى بسند فيه ضعف عن ابي موسى مرفوعا في قوله تعالى يوم
يكشف عن ساق قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا فهذا ايشعر بانه تعالى يتجلى للناس
تجليا صوريا وهذا يحل الاشكال في كثير من احاديث الصفات على ما قرره بعض
مشايخنا والله اعلم ثم المراد بالمومن والمومنة المخلص منهما ولذا قال ويبقى من كان
يسجد في الدنيا ريا وسمعة اي نفاقا وشهرة فيذهب اي يقصده ويشرع ليسجد فيعود اي يصير ظهره
طبقا واحدا اي عظما بلا مفصل بحيث لا ينثني عند الرفع والخفض فلا يقدر على الطبقة فقار الظهر
واحدة طبقه يعني صار فقاره واحدا فلا يقدر على الانحنا والمعنى انه تعالى يكشف يوم القيامة
عن شدة ثم يرتفع لهاسوا الامتحان فيتميز اهل الاخلاص والايقان بالسجود عن اهل
الريب والنفاق في اليوم الموعود وكما قال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى
السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود
وهم سالمون متفق عليه واخرج الاسماعيلي الحديث بلفظ يكشف عن ساق قال وهذا
اصح لموافقة لفظ القران والله سبحانه اعلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليأتي الرجل العظيم اي جاها ومالا او لحما وشحما فيكون قوله السمين
عطف بيان له يوم القيامة لا يزن اي لا يعدل ولا يسوى عند الله جناح بعوضة اي لا يكون
له قدر عند الله ومنزلة يقول العرب ما لفلان عندنا وزن اي قدر لخسته ومنه حديث
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما وقال اي النبي
عليه السلام او ابو هريرة اقروا اي استشهادا او اعتضادا فلا نقيم لهم اي الكفار يوم القيامة
وزنا

وزنا قيل مقدارا او حسابا لاعتبارا وقيل ميزانا فالتقدير الله وزن اذ الكفار المخلص يدخلون النار
بغير حساب وانما الميزان للمومنين الكاملين والمرايين والمنافقين والله سبحانه اعلم قال الطيبي فان
قلت كيف وجه صحة الاستشهاد بالاية فان المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقداره لقوله
العظيم السمين وفي الاية انما وزن الاعمال لقوله تعالى فحبطت اعمالهم واما مقدارهم والمعنى
نزدريهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار قلت الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكناية
وذكر الجثة والعظم لا ينافي ارادة مقداره وتفخيمه قال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان
يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة متفق عليه الفصل الثاني عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اي الارض
اخبارها قال اتدرون ما اخبارها بفتح الهمزة جمع خبر وفي نسخة بكسرها على انه مصدر اي
تحديثها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها بالوجهين ان تشهد على كل عبد وامة
اي ذكر وانثى بما عمل بفتح اوله اي فعل كل واحد على ظهرها وفي نسخة بالضم على انه نايب
الفاعل قوله على ظهرها ان تقول بدل بعض منه ان تشهد او بيان وتوجيه ما في رواية
الجامع تقول بدون ان او خبر مبتدا محذوف اي هي يعني شهادتها ان تقول عمل اي
فلان على اي على ظهري كذا وكذا اي من الطاعة والمعصية يوم كذا وكذا اي من شهر كذا وعام
كذا قال فهذه اي الشهادات او المذكورات اخبارها رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح غريب وكذا رواه عبد بن حميد والنسايي وابن جرير وابن المنذر
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان وعنه اي عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا ندم اي فاغتنموا الحياة قبل
الموت واستبقوا الخيرات قبل الفوت قالوا وما ندامته اي ما وجه تاسف كل احد وملامته
يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد اي خيرا او برا وان كان مسيا ندم ان
لا يكون نزع اي كف نفسه عن الاساة رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف وفي نسخة
على ثلاثة اصناف ويعبر الاول قوله صنفا مشاة بضم الميم جمع ماش وهم المومنون الذين خلطوا
صالح اعمالهم بسيها وصنفا وهو السابقون الكاملون الايمان ركبانا اي على النوق وهم بضم الراء جمع
راكب وانما بدا بالمشاة جبرا لخاطرهم كما قيل في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه وفي قوله سبحانه
يهب لمن يشا اناثا اولا لانهم المحتاجون الى المغفرة اولا او لارادة الترقي وهو ظاهر وقال التوربشتي
فان قيل لم بدا بالمشاة بالذكر قبل اولي السابقة قلنا لانهم هم الاكثرون من اهل الايمان وصنفا
وهم الكفار على وجوههم اي يمشون عليها قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم
اي والعادة ان يمشي على الارجل قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على
وجوههم يعني وقد اخبر في كتابه بقوله الذين يحشرون على وجوههم واخباره حق ووعده
صدق وهو على كل شي قدير فلا ينبغي ان يستبعد مثل ذلك اما بالتحقيق للتنبيه انهم اي
الكفار يتقون اي يحترزون ويدفعون بوجوههم كل حدب اي مكان مرتفع وشوك اي ونحوه
من انواع ما يتاذى به والمعنى وجوههم واقية لابدانهم من جميع الاذى لاجل ان غلت
ايديهم وارجلهم والامر في الدنيا عكس ذلك وانما كان كذلك لان الوجه الذي هو اعز الاعضا لم
يضعه ساجدا على التراب وعدل عنه تكبرا فجعل امره على العكس قال القاضي قوله يتقون بوجوههم

يريد به بيان هوانهم واضطرارهم الى حد جعلوا وجوههم مكان الايدي والارجل في التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي الى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصورها ومما يناسب المقام ما يحكى انه روي بعض الاغنياء انه يسعى بين الصفا والمروة على بغلة بطريق الخيلاء ثم روي في بعض البادية والصحرا انه يمشي فقيل له في ذلك فقال لما ركبنا في محل المشي عاقبنا الله بان نمشي في محل الركوب هذا وقد قال تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وفسروا بانه يلقى الكافر مغلولا في النار فلا يقدر ان يدفع عن نفسه النار الا بوجهه رواه الترمذي وكذا ابو داود وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في البعث وحسنه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة اي احواله وان يطالع في اهواله كانه راي عين اي فيترقى من علم اليقين فليقرا اذا الشمس كورت اي لفت والقيت عن فلكها وقيل لو رعن ابن عباس اي اظلمت وعن ابي صالح نكست واذا السما انفطرت اي انشقت واذا السما انشقت اي انصدعت والمراد هذه السور فانها مشتملة على ذكر احوال يوم القيامة واهواله رواه احمد والترمذي وكذا ابن المنذر والطبراني وحسنه الترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه

الفصل الثالث عن ابي ذر رضي الله عنه قال ان الصادق المصدوق حدثني ان الناس يحشرون ثلاثة افواج قال الطيبي المراد بالحشر هنا ما في قوله صلى الله عليه وسلم اول اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وقوله ستخرج نار من نحو حضرموت او حضرموت تحشر الناس قلنا يا رسول الله فما تامرنا قال عليكم بالشام فوجا وهو السابقون من المومنين الكاملين راكبين طاعمين كاسين قال الطيبي هو عبارة عن كونهم مرفهين لا ستعدادهم ما يبلغهم الى المقصد من الزاد والراحلة وفوجا وهم الكفار يسحبهم بفتح الحاء اي يجرهم الملائكة على وجوههم وهو اما على حقيقته واما كناية عن كمال هوانهم وذلهم والاول اظهر لدلالة السياق واللحاق وتحشرهم النار بنصب النار في اصل السيد واكثر النسخ وفي نسخة برفعها وفي نسخة صحيحة وتحشرهم النار بالضم مع نصب النار على نزع الخافض اي اليها ومع رفعها على الفاعلية قال الطيبي اي تحشر الملائكة لهم النار وتلزمهم اياها حتى لا تفارقهم اين باتوا او قالوا واصبحوا ويصح ان ترجع النار اليه وتحشرهم النار وفوجا وهم المومنون المذنبون يمشون ويسعون اي ويسرعون لانهم يمشون بسكينة وراحة ويلقي الله الافة على الظهر اي على المركوب تسمية باسم المقصود منه وتعبيرا عن الكل بالجزء فلا يبقى اي ظهر وفي نسخة بالتانيث اي دابة وفي نسخة بضم اوله اي فلا تبقي الافة دابة حتى ان الرجل لتكون له الحديقة اي البستان يعطيها بذات القتب اي بعوضها وبدلها وهو بفتح القاف والتا للجمل كالاكاف لغيره لا يقدر اي احد عليها اي على ذات القتب لعزة وجودها وهذا صريح في ان المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر القيامة قال الطيبي فينبغي ان يقال لم ذكر المولف هذا الحديث في باب الحشر وهذا محل ذكره باب اشراط الساعة قالما تاسيا لمحيي السنة والعجب ان محيي السنة حمل الحديث على ما ذهب اليه الخطابي حيث قال وهذا الحشر قبل قيام الساعة وانما يكون ذلك الى الشام احياء فاما الحشر بعد البعث الى القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو كما اخبر انهم يبعثون حفاة عراة واورده في هذا الباب انتهى وتقدم الجواب على وجه الصواب في كلام التوربشتي في حديث ابي هريرة اول الباب والحاصل ان ركوب بعض الخواص من الانبيا والاوليا ثابت في الحشر بعد البعث ايضا وان حديث يبعثون حفاة عراة بناء على اكثر الخلق او نظرا الى ابتداء الامر والله اعلم رواه النسائي وفي الدر المنثور اخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه

وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي ذر انه تلا هذه الاية ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم فقال حدثني الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة افواج فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم انتهى فهذا الحديث صريح الحشر حشر يوم القيامة لتصريحه في الاية والحديث بيوم القيامة وبتعبيره سحب الملائكة اياهم على وجوههم فالوجه الوجيه ما اختاره شيخنا التوربشتي لا ما اخطا الخطابي حيث لم يدركه هنا المدرك وانما جا الافة من قول ابي ذر في هذا الحديث على رواية اصل الكتاب زيادة على ما في رواية الجامع ويلقي الله الافة ويمكن دفعه بان يقال هذا حديث اخر ادرجه معه وادمج فيه باديء مناسبة فينبغي ان يحمل على المسامحة والله اعلم

باب الحساب والقصاص والميزان

الحساب بمعنى المحاسبة والقصاص على ما في النهاية اسم من قصه الحاكم يقصه اذا مكنه من اخذ القصاص وهو ان يفعل به مثل ما فعله من قتل او قطع او ضرب او جرح

الفصل الاول

عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يحاسب يوم القيامة الا هلك اي على تقدير المناقشة والمراد بالهلاك العذاب قالت اوليس يقول الله اي في حق اهل النجاة فسوف يحاسب حسابا يسيرا وتمامه وينقلب الى اهله مسرورا فقال انما ذلك العرض بكسر الكاف وجوز الفتح على خطاب العام او تعظيما لها والمعنى انما ذلك الحساب اليسير في قوله تعالى عرض عمله لا الحساب على وجه المناقشة لكن من نوقش في الحساب يهلك بالرفع وفي نسخة بالجزم اي يعذب قال صاحب الفايق يقال ناقشه الحساب اذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلا ولا كثيرا وحاصله ان المراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والاستيفاء بالمطالبة وترك المسامحة في الجليل والحقير والقليل والكثير ووجه المعارضة ان لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب ولفظ الاية دال على ان بعضهم لا يعذب وطريق الجمع ان المراد بالحساب في الاية انما هو العرض وهو ابراز الاعمال واظهارها فيقرر صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنها لاظهار الفضل كما ان المناقشة لبيان ظهور العدل متفق عليه ورواه احمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه واخرج البزار والطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمته تعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وتصل من قطعك وفي الجامع الصغير من نوقش المحاسبة هلك وعن عدي بن حاتم بكسر التا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد من مزيدة لاستغراق النفي والخطاب للمومنين الا سيكلمه ربه اي بلا واسطة والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ليس بينه وبينه اي بين الرب والعبد ترجمان بفتح الفوقية وسكون الرا وضم الجيم ويجوز ضمه اتباعا على ما في نسخة وكذا عنوان على ما في القاموس اي مفسر الكلام بلغة عن لغة والفعل يدل على اصالة التا وفي التهذيب التا اصلية وليست بزايدة والكلمة رباعية ولا حجاب اي حاجز وساتر ومانع بينه وبينه يحجبه اي يحجب ذلك العبد من ربه فينظر اي ذلك العبد ايمن منه اي من ذلك الموقف وقال شارح ضمير منه راجع الى العبد قلت والمال واحد والمعنى ينظر في الجانب الذي على يمينه فلا يرى الا ما قدم من عمله اي عمله الصالح مصورا او جزاه مقدرا وينظر اشام منه اي في الجانب الذي في شماله فلا يرى الا ما قدم اي من عمله السيء والحاصل ان النصب في ايمن واشام على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال فقيل نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لان الانسان من شانه اذا دهمه امر ان يلتفت يمينا وشمالا لطلب الغوث وقال الحافظ العسقلاني ويحتمل ان يكون سبب الالتفات انه يترجى ان يجد طريقا يذهب فيها ليحصل له النجاة من النار فلا يرى الا ما

يفضي به الى النار وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقا وجهه اي في محاذاته وعليها الصراط
فاتقوا النار اي اذا عرفتم ذلك فاحذروا منها ولا تظلموا احدا ولو بشق تمرة او فتصدقوا ولو
بشق تمرة اي ولو بمقدار نصفها او بعضها والمعنى ولو بشيء يسير منها او من غيرها فانه حجاب
وحاجز بينكم وبين النار فان الصدقة جنة ووسيلة الى جنته متفق عليه وفي الجامع اتقوا
النار ولو بشق تمرة رواه الشيخان والنسائي عن عدي ابن حاتم واحمد عن عايشة والبزار والطبراني
في الاوسط والضيا عن انس والبزار ايضا عن النعمان بن بشير وعن ابي هريرة والطبراني في الكبير عن ابن
عباس عن ابي امامة ورواه احمد والشيخان عن عدي مرفوعا اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا
فبكلمة طيبة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدني المومن بضم
اليا اي يقربه قرب كرامة لا قرب مسافة فانه سبحانه متعالي عن ذلك والمومن في المعنى كالنكرة اذ لا
عهد في الخارج ولا بعد ان يراد به الجنس فيضع عليه كنفه بفتحتين اي يحفظه مستعار من كنف
الطاير وهو جناحه لانه يحوط به نفسه ويصون به بيضته ويستره اي عن اهل الموقف كيلا
يفتضح وقيل اي يظهر عنايته عليه ويصونه عن الخزي بين اهل الموقف كما يضع احدكم كنف
ثوبه اي طرفه على رجل اذا اراد صيانته وقصد حمايته وهذا تمثيل قيل هذا في عبد لم يغتب
ولم يعب ولم يفضح احدا ولم يشمت بفضيحة مسلم بل ستر على عباد الله الصالحين ولم يدع احدا
يهتك عرض احد على ملا من الناس فستره الله وجعله تحت كنف حمايته جزا وفاقا من جنس
عمله فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا في التكرير اشارة الى التكثير واما الى انعام تمامه في الضمير
فيقول نعم اي رب حتى قرره بذنوبه اي جعله مقرا بها بان اظهرها له والجاه الى الاقرار بها ورآى في
نفسه اي ظن المومن في باطنه انه قد هلك اي مع الهالكين وليس له طريق مع الناجين قال
شارح اي علم الله في ذاته انه هلك اي المومن ويجوز كون ضميرراي للمومن والاول اولى قال
اي الله تعالى سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته اي بيمينه
واما الكفار والمنافقون فينادى بهم اي باثباته الشرك بصيغة المجهول على رؤس الخلايق
هولا الذين كذبوا على ربهم اي باثبات الشريك ونحوه الا لعنة الله على الظالمين اي المشركين
والمنافقين متفق عليه وعن ابي موسى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة بالرفع اي وقع وحصل وفي نسخة بالنصب اي
اذا كان الزمان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم اي موصوف بالاسلام مذكرا كان
او مونثا يهوديا او نصرانيا اي واحدا من اهل الكتاب وفي التنويع فيقول اي الله
هذا اي الكتابي فكاكك بفتح الفا وكسرها اي خلاصك من النار قال التوربشتي فكاك
الرهن ما يفك به ويتخلص والكسر لغة فيه قال القاضي لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة
ومقعد من النار فمن امن حق الايمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة ومن
لم يومن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمومنين في مقاعدهم من النار والنايب منابهم
فيها وايضا لما سبق القسم الالهي بملاجهنم كان ملاها من الكفار خلاصا للمومنين ونجاة
لهم من النار فهم في ذلك للمومنين كالفدا والفكاك ولعل تخصيص اليهود والنصارى
بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين ومقابلتهما اياهم في تصديق الرسول المقتضي
لنجاتهم انتهى وقيل عبر عن ذلك بالفكاك تارة وبالفدا اخرى على وجه المجاز والاتساع
اذ لم يرد به تعذيب الكتابي بذنب المسلم لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رواه

مسلم

عز وجل

مسلم وفي الجامع رواه مسلم عن ابي موسى بلفظ اذا كان يوم القيامة اعطى الله تعالى كل رجل
من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداوك من النار ورواه الطبراني في الكبير والحاكم
في الكنى عن ابي موسى ولفظه اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الى كل مومن ملكا معه كافر
فيقول الملك للمومن يا مومن هاك هذا الكافر فهذا فداوك من النار وعن ابي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء اي يوتى بنوح يوم القيامة فيقال له هل
بلغت فيقول نعم يا رب وهذا لا ينافي قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب لان الاجابة غير التبليغ وهي تحتاج الى تفصيل لا يحيط
بكنهه الا علمه سبحانه بخلاف نفس التبليغ لانه من العلوم الضرورية البديهية فيسال
امته اي امة الدعوة هل بلغكم اي نوح رسالته فيقولون ما جانا من نذير اي منذر لا هو ولا غيره
مبالغة في الانكار توهما انه ينفعهم الكذب في ذلك اليوم عن الخلاص من النار ونظيره قول جماعة
من الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فيقال اي لنوح من شهودك وانما طلب الله من نوح
شهدا على تبليغه الرسالة امته وهو اعلم به اقامة للحجة وانافة لمنزلة اكابر هذه الامة
فيقول محمد وامته والمعنى ان امته شهدا وهو مزكي لهم وقدم في الذكر للتعظيم ولا يبعد
انه صلى الله عليه وسلم يشهد لنوح عليه السلام ايضا لانه محل النصرة وقد قال تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين الى قوله لتومنن به ولتنصرنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيجا بكم وفيه تنبيه نبيه انه صلى الله عليه وسلم حاضر ناظر في ذلك العرض الاكبر فيوتي
بالرسل عليهم نوح ويوفي بشهوده وهم هذه الامة فتشهدون اي انتم انه اي ان نوحا قد
بلغ اي رسالة ربه ونبيكم مزكيكم او انتم ونبيكم معكم تشهدون فغلب ثم قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم استشهادا بالاية الدالة على العموم في مادة الخصوص وكذلك جعلناكم امة
وسطا قيل اي عدولا وخيارا لانهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في
حق انبيايهم بالتكذيب والقتل والصلب وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم تفسير الوسط بالعدل
وفي النهاية يقال هو من وسط قومه اي خيارهم لتكونوا شهدا على الناس اي على من
قبلكم من الكفار ويكون الرسول اي رسولكم واللام للعوض او اللام للعهد والمراد به محمد صلى الله
عليه وسلم عليكم شهيدا اي مطلعا ورقيبا عليكم وناظرا افعالكم ومزكيا لاقوالكم قال الطيبي فان
قلت كيف قال محمد وامته وقد قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا فقد ما صلته الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم المضرة قلت الكلام
وارد في مدح الامة فالغرض هنا انه يزكيهم فضمن شهيدا معنى رقيبا لان العدول تحتاج الى
رقيب يحفظ احوالهم ليطلع عليها ظاهرا وباطنا فيزكيهم ولما كانوا هم العدول من بين ساير
الامم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيدا اي رقيبا مزكيا وهذا لا يدل على انه لا يشهد
على ساير الامم مع ان مزكي الشاهد ايضا شاهد اقول الاظهر ان معنى الاية يشهدون على الامم
وانه صلى الله عليه وسلم يشهد على هذه الامة وان الانبيا باجمعهم يشهدون على الكل والله سبحانه
اعلم ويويده ما اخرجه ابن جرير عن ابي سعيد في قوله لتكونوا شهدا على الناس بان الرسل
قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيدا بما عملتم رواه البخاري وكذا الترمذي والنسائي
واحمد وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي
في الاسما والصفات واخرج سعيد بن منصور واحمد والنسائي وابن ماجة والبيهقي

في البعث والنشور عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان واكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول محمد وامته فيدعى محمد وامته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جانا نبينا فاخبرنا ان الرسل قد بلغوا فذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا وامتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك فنبه ابا الحي انه لا ينبغي الضحك الا لامر غريب وحكم عجيب قال اي جابر قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم اي الم تجعلني في اجارة منك بقولك وما ربك بظلام للعبيد من الظلم والمعنى الم تؤمني من ان تظلم على قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يقول اي الله تعالى في جواب العبد بلى قال فيقول فاني اي فاذا اجرتني من الظلم فاني لا اجيز بالزاي المعجمة اي لا اجوز ولا اقبل على نفسي الا شاهدا مني اي من جنسي لان الملائكة شهود وعلينا بالفساد قبل الايجاد قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا نصبه على الحال وعليك معموله تقدم عليه للاهتمام والاختصاص والبا زايدة في فاعل كفى واليوم ظرف له او لشهيدا وبالكرام اي وكفى بالعدول المكرمين الكاتبين اي لصحف الاعمال شهودا قال الطيبي فان قلت دل اداة الحصر على ان لا يشهد غيره فكيف اجاب بقوله كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين قلت بذل مطلوبه وزاد عليه تاكيدا وتقريرا قال فيختم بصيغة المجهول على فيه اي فمه ومنه قوله تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وفي اية اخرى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي اية اخرى شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وهذا معنى قوله فيقال لاركانه اي لاعضايه واجزايه انطقي قال فتنطق اي الاركان باعماله اي بافعاله التي باشرها بها وارتكبها بسببها ثم يخلى اي يترك بينه وبين الكلام اي برفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام العادي بشهادة السنتهم في الاية وادبه نوع اخر من الكلام على خرق العادة الله اعلم به قال فيقول اي العبد بعدا لكن وسحقا بضم فسكون وبضم اي هلاكا وهما مصدران ناصبهما مقدر والخطاب للاركان اي ابعدن واسحقن فعنكن اي عن قبلكن ومن جهتكن ولاجل خلاصكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم وادافع على ما في النهاية وقال شارح اي اخاصم لخلاصكن وانتن تلقين انفسكن فيها والمناضلة المراماة بالسهام والمراد هنا المحاجة بالكلام يقال تناضل عن فلان اذا تكلم عنه بعذر ودفع قلت وجوابهن محذوف دل عليه قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين رواه مسلم واخرج ابو يعلى وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال هولاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم السنتهم وايديهم

وارجلهم

وارجلهم ثم يدخلهم النار وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قالوا اي بعض الصحابة يا رسول الله هل نرى ربنا الاستفهام للاستخبار والاستعلام يوم القيامة قيد به للاجماع على انه تعالى لا يرى في الدنيا لان الذات الباقية لا ترى بالعين الفانية قال هل تضارون بضم التا وبفتح وبتشديد الرا على انه من باب المفاعلة او التفاعل من الضر والاستفهام للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى هل يحصل لكم تزاحم وتنازع يتضرر بعضكم من بعض في رؤية الشمس اي لاجل رؤيتها او عندها في الظهيرة وهي نصف النهار وهو وقت ارتفاعها وظهورها وانتشار ضوئها في العالم كله ليست اي الشمس في سحابة اي غيم تحجبها عنكم قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية احدهما قال النووي روي تضارون بتشديد الرا وتخفيفها والتا مضمومة فيهما وفي الرواية الاخرى هل تضامون بتشديد الرا وتخفيفها والتا مضمومة فيهما وفي الرواية الاخرى هل تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التا ومن خففها ضمها وفي رواية البخاري لا تضارون او لا تضامون على الشك وقال القاضي البيضاوي تضارون المشدد من الضر والمخفف من الضير اي يكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مرا ولا مرية فيخالف فيها بعضكم بعضا ويكذبه كما لا يشك في رؤية احدهما يعني الشمس والقمر ولا ينازع فيها فالتشبيه انما وقع في الرؤية باعتبار جلايها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها لا في ساير كيفياتها ولا في المرئي فانه سبحانه منزه عن الجسمية وعما يؤدي اليها وفي تضامون بالتشديد من الضم اي لا ينضم بعضكم الى بعض في طلب رؤيته لاشكاله وخفايه كما تفعلون في الهلال او لا يضمكم شي دون رؤيته فيحول بينكم وبينها وبالتخفيف من الضيم اي لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعض دون بعض بل تستوون فيها واصله تضيمون فنقلت فتحة اليا الى الضاد فصارت الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها وكذلك تضارون بالتخفيف واما المشدد فيحتمل ان يكون مبنيا للفاعل على معنى لا تضارون اي تتنازعون في رؤيته هذا وقال الطيبي قوله الا كما تضارون كان الظاهر ان يقال لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤية احدهما ولكنه اخرج مخرج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب اي لا تشكون في رؤية القمرين وليس في رؤيتهما شك فلا تشكون فيها البتة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيلقى اي الرب العبد اي عبدا من عباده فيقول اي فل بضم الفا وسكون اللام وبفتح ويضم اي يا فلان ففي النهاية معناه يا فلان وليس ترخيما له لانه لا يقال الا بسكون اللام ولو كان ترخيما لفتحوها او ضموها قلت وقيل فل كما يقال سعي في سعيد قال سيبويه ليست ترخيما وانما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جا في غير النداء قال في لجة امسك فلانا عن فل بكسر اللام للقافية وانما قيل ليس مرخما لانه شرط مثله ان يبقى بعد حذف النون والالف ثلثة احرف وقال قوم انه ترخيم فلان فحذفت النون للترخيم والالف لسكونها وتفتح اللام وتضم على مذهبي الترخيم الم اكرمك اي الم افضلك على ساير الحيوانات واسودك اي الم اجعلك سيدا في قومك وازوجك اي الم اطيب لك زوجا من جنسك ومكنتك منها وجعلت بينك وبينها مودة ورحمة واسخر لك الخيل والابل اي الم اذللها لك وخصهما بالذكر لانهما اصعب الحيوانات واذرك اي الم اتركك والمعنى الم اذعك ودم امكنك على قومك ترأس اي تكون رئيسا على قومك والجملة حال وتربع اي تاخذ مرباعهم وهو ربع الغنيمة وكان ملوك الجاهلية ياخذونه لانفسهم فيقول بلى اي في كل او في الكل قال فيقول اي الرب افظننت اي افعلمت انك ملاقي بضم الميم وتشديد اليا

المحذوفة العائدة بحذف التنوين والثانية بالمتكلم المضاف اليه فيقول لا فيقول فاني قد انساك اي
اليوم اترككم من رحمتي كما نسيتني اي في الدنيا من طاعتي قال الطيبي هو مسبب عن قوله افظننت
انك ملاقي يعني سودتك وزوجتك وفعلت بك من الاكرام حتى تشكرني وتلقاني لا زيد في الانعام
والجازيك علي فلما نسيتني في الشكر نسيناك وتركناك جزاك وعليه قوله تعالى كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ونسبة النسيان الى الله تعالى اما مشاكلة او مجاز عن
الترك ثم يلقى اي الرب الثاني اي من العبيد فذكر مثله اي قال الراوي ذكر صلى الله عليه وسلم
في الثاني مثل ما ذكر في الاول من سوال الله تعالى له وجوابه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل
ذلك فيقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني اي يمدح
الثالث على نفسه بخير ما استطاع فيقول اي الرب ها هنا اذا بالتنوين قال الطيبي اذا جواب
وجزاء والتقدير اذا اثنيت على نفسك بما اثنيت اذن فاثبت هنا كي نريك اعمالك باقامة
الشاهد عليها وقال شارح اي يقول اذن نجزي باعمالك ها هنا وقال ابن الملك اي اقرأ الثالث بطنه
لقا الله تعالى وعدا عماله الصالحة فيقول ها هنا اذا اي قف في هذا الموضع اذا ذكرت اعمالك حتى
يتحقق خلاف ما زعمت ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر اي العبد الثالث في نفسه
من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه اي فمه فيقال وفي نسخة ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه
ولحمه وعظامه اي المتعلقة بفخذه بعمله وذلك اي انطاق اعضايه او بعث الشاهد عليه
وقال الطيبي اشارة الى المذكور من السوال والجواب وختم الفم ونطق الفخذ وغيره ليعذر
من نفسه قال التوربشتي ليعذر على بنا الفاعل من الاعذار والمعنى ليزيل الله عذره من
قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة اعضايه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به وقيل ليصير
ذا عذر في تعذيبه من قبل نفس العبد وذلك اي العبد الثالث المنافق وذلك الذي سخط
بكسر الخا اي غضب الله عليه رواه مسلم وذكر حديث ابي هريرة يدخل من امتي الجنة صوابه
علي ما سبق يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون في باب التوكل برواية ابن عباس فكان البغوي رحمه الله ذكر الحديث مكررا
باسنادين احدهما عن ابي هريرة والاخر هناك عن ابن عباس فحذف صاحب المشكاة ما هنا
واشار اليه انه ذكر سابقا برواية ابن عباس تنبيها على ذلك فاندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله
حديث ابي هريرة وقوله برواية ابن عباس الفصل الثاني عن ابي امامة اي الباهلي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل الجنة من الادخال لقوله سبعين الفا
والمراد به اما هذا العدد او الكثرة قال الازهري سبعين في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين
مرة جمع السبع الذي يستعمل الكثرة الازي انه لو زاد على السبعين لم يغفر لهم لاحساب عليهم
اي لا مناقشة لهم في المحاسبة ولا عذاب اي بالاولى او لا عذاب عما يترتب علي الحساب مع كل الف
سبعون الفا وثلاث حثيات بفتح الحا والمثلثة جمع حثية من حثيات ربي قال شارح الحثية
والحثوة يستعمل فيما يعطيه الانسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم يستعار
لما يعطي من غير تقدير واضافة الحثيات الى ربه تعالى للمبالغة في الكثرة قال صاحب النهاية
الحثيات كناية عن المبالغة والكثرة والا فلا كف ثم ولا حثي جل الله عن ذلك قوله وثلاث مرفوع
عطف على سبعون وهو اقرب وقيل منصوب عطفا على سبعين اي وان يدخل ثلاث قبضات
من قبضاته اي عددا غير معلوم او المراد بهما جميعا المبالغة في الكثرة قال الاشرف يحتمل النصب

وقد قال الله عز وجل

عطفا على قوله سبعين الفا والرفع عطفا على قوله سبعون الفا والرفع اظهر في المبالغة اذ التقدير مع كل الف
سبعون الف وثلاث حثيات بخلاف النصب قال التوربشتي الحثية ما يحثيه الانسان بيديه
من ما او تراب او غير ذلك ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة وقد جي به ها هنا
على وجه التمثيل واريد بها الدفعات اي يعطي بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى على
العادين حصره وتعداده فان اعطاه الذي لا يضبطه الحساب اوفى واربى من النوع الذي
يدخله الحساب قلت ويمكن حمله علي التجلي الصوري والله اعلم بالصواب رواه احمد
والترمذي وابن ماجة وعن الحسن اي البصري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس اي على الله يوم القيامة ثلاث عرضات بفتحتين قيل
اي ثلاث مرات فاما المرة الاولى فيدفعون عن انفسهم ويقولون لم يبلغنا الانبيا ويحاجون
الله تعالى وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بان يقول كل فعلته سهوا او خطا او جهلا او رجا
ونحو ذلك وهذا معنى قوله فاما عرضتان فجدال ومعاذير جمع معذرة ولا يتم قضيتهم
في المرتين بالكلية واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف كذا هو في سنن الترمذي
وجامع الاصول وفي نسخ المصابيح تطاير اي تتطاير الصحف وهو بضمتين جمع الصحيفة وهو
المكتوب وقال شارح للمصابيح تطاير الصحف اي تفرقها اي كل جانب في روايته بالمصدر
واما على رواية غيره فبالمضارع اي تسرع وقوعها الايدي اي ايدي المكلفين جميعا فاخذ
بيمينه واخذ بشماله الفا تفصيلية اي فمنهم اخذ بيمينه وهو من اهل السعادة
ومنهم من اخذ بشماله وهو من اهل الشقاوة فحينئذ يتم قضيتهم على وفق البداية ويتميز
اهل الضلالة من اهل الهداية رواه احمد والترمذي وقال اي الترمذي لا يصح هذا الحديث
من قبل بكسر ففتح اي من جهة ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة اي فاسناده منقطع غير
متصل لكن قال الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح ان البخاري اخرج في صحيحه للحسن عن
ابي هريرة ثلاث احاديث وبينها قال واما مسلم فلم يخرج للحسن عن ابي هريرة شيا
نقله ميرك اقول ولا يلزم من عدم اخراج مسلم حديثه عنه انه لا يصح اسناده اذ شرط
البخاري وتحقق اللقا والمعية اقوى من شرط مسلم وهو مجرد وجود المعاصرة وقد رواه
اي هذا الحديث بعضهم اي بعض المخرجين عن الحسن عن ابي موسى يعني فالحديث
متصل من طريقه واعتضد باسناده فان المولف ذكر في اسما رجاله ان الحسن روى عن
الصحابة كابي موسى وانس بن مالك وابن عباس وغيرهم وعن عبد الله بن عمرو بالواو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص بتشديد اللام اي يختار رجلا من
امتي على روس الخلايق يوم القيامة فينشر بضم الشين المعجمة اي فيفتح عليه تسعة وتسعين
سجلا بكسرتين فتشديد اي كتابا كبيرا كل سجل مثل مد البصر كل كتاب منها طوله
وعرضه مقدار ما يمتد اليه بصر الانسان ثم يقول اي الرب اتنكر من هذا اي المكتوب
شيا اي مما تفعله اظلمك كتبتي بفتحات جمع كاتب والمراد الكرام الكاتبون الحافظون اي لاعمال
بني ادم فيقول لا يا رب جواب لهما جميعا او لكل منها فيقول افلك عذر اي فيما فعلته من كونه
سهوا او خطا او جهلا ونحو ذلك قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا ما يقوم مقام عذرك
ان لك عندنا حسنة اي واحدة عظيمة مقبولة تمحو جميع ما عندك قال تعالى وان تك
حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما واذا قال الله لشي فهو عظيم وقد قال عز وجل

الله عند ليئة كانت لي حسنة الله كفتني وانه اي الشان لاظلم عليك اليوم لعله مقتبس من
قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم اي بنقصان اجر لك ولا بزيادة عقاب
عليك بل لاحكم الا لله وهو اما بالعدل واما بالفضل فتخرج بصيغة المجهول اي فتظهر بطاقة
بكسر الباء اي رقعة صغيرة تثبت فيها مقدار ما به ويجعل في الثواب ان كان عينا فوزنه او عدده
وان كان متاعا فثمنه او قيمته وقيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب الثوب فيكون
الباء زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر ودوري بالنون وهو غريب فيها اي مكتوب في
البطاقة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله يحتمل ان الكلمة هي اول ما نطق بها
واختلف العلماء في ان الاقرار شرط الايمان او شطره ويحتمل ان تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة
عند الحضرة وهو الاظهر في مادة الخصوص من عموم الاية فيقول احضر وزنك اي الوزن
الذي لك او وزن عملك او وقت وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل
وتحقيق الفضل فيقول يا رب ما هذه البطاقة اي الواحدة مع هذه السجلات اي الكثيرة
وما قدرها بجنبها ومقابلها فيقول انك لا تظلم اي لا يقع عليك الظلم لكن لابد من اعتبار
الوزن كي يظهر ان لاظلم عليك فاحضر الوزن قيل وجه مطابقة هذا جوابا لقوله ما هذه
البطاقة ان اسم الاشارة للتحقير كانه انكر ان يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك
السجلات فرد بقوله انك لا تظلم بحقيرة اي لا تحقر هذه فانها عظيمة عنده سبحانه اذ لا
يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت قال فتوضع السجلات في كفة بكسر فتشديد
اي فردة من زوجي الميزان ففي القاموس الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح والبطاقة
اي وتوضع في كفة اي في اخرى فطاشت السجلات اي خفت وثقلت البطاقة اي رجحت والتعبير
بالمضي لتحقق وقوعه ففي الدر اخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة انه تلا هذه الاية حتى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فقال لان تفضل
حسناتي على سيئاتي مثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها ثم هذا الحديث يحتمل ان تكون
البطاقة وحدها غلبت السجلات وهو الظاهر المتبادر ويحتمل ان يكون مع سائر اعماله الصالحة
ولكن الغلبة ما حصلت الا ببركة هذه البطاقة فلا يثقل بالرفع وفي بعض النسخ بالجزم لا يظهر
وجهه بحسب المعنى اي فلا يرجح ولا يغلب مع اسم الله شيء والمعنى لا يقاومه شيء من
المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
ولذكر الله اكبر فان قيل الاعمال اعراض لا يمكن وزنها وانما توزن الاجسام اجيب بانه يوزن السجل
الذي كتب فيه الاعمال ويختلف باختلاف الاحوال او ان الله يجسم الافعال والاقوال فتوزن فتثقل
الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات رواه الترمذي وابن ماجة وعن عائشة رضي الله عنها
انها ذكرت اي في نفسها النار فبكت اي خوفا منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك اي ما سبب
بكائك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا اي بالخصوص واما الشفاعة العظمى ففي عامة
الخلائق كلها عند الميزان قال اهل الحق الميزان حق قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة يضع ميزانا يوم القيامة يوزن به الصحائف التي يكتب فيها اعمال العباد وله كفتان
احدهما للحسنات والاخرى للسيئات وعن الحسن له كفتان ولسان ذكره الطيبي حتى

تعالى

وبعــ لله ووصل

يعلم اي كل احد ايخف ميزانه ام يثقل ظاهره انه يعم كل احد ولا يستثنى منه نبي ولا مرسل وعند الكتاب
اي تطايره او عند عطائه حين يقال اي يقول من يعطى بيمينه هاؤم اي خذوا اقرؤوا كتابيه تنازع فيه
الفعلان والهاء للسكت لبيان ياء الاضافة حتى يعلم اين يقع كتابه افي يمينه ام في شماله من وراء
ظهره كذا في سنن ابي داود وبعض نسخ المصابيح وفي اكثرها او من وراء ظهره وفي جامع الاصول
ام من وراء والاول اولى واوفق للجمع بين معنى الايتين فاما من اوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم اوت كتابيه واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا
الكشاف قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره ويعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل
تخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم اي وسطها
وفوقها والمعنى حتى يعلم انه نجا بالمرور منها والورود عنها او وقع وسقط وذل فيها قال تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قال
النووي مذهب اهل الحق انه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون
على حسب اعمالهم ومنازلهم والاخرون يسقطون فيها عافانا الله الكريم والمتكلمون من اصحابنا والسلف
يقولون انه ادق من الشعر واحد من السيف وهكذا جاء في رواية ابي سعيد رواه
ابو داود قال السيد جمال الدين اي عن الحسن البصري عن عائشة وهو منقطع الفصل الثالث
عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
قدامه فقال يا رسول الله ان لي مملوكين بكسر الكاف اي مماليك وهو يحتمل الذكور والاناث
ففيه تغليب يكذبونني اي يكذبون في اخبارهم لي ويخونونني اي في مالي ويعصونني اي في
امري ونهيي واشتمهم بكسر التاء ويضم ففي المصباح شتم من باب ضرب وفي القاموس من باب
نصر ايضا اي اسبهم واضربهم اي ضرب تاديب فكيف انا منهم اي كيف يكون حالي من اجلهم وبسببهم
عند الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة تحسب ما خانوك وعصوك
وكذبوك اي مقدارها وعقابك بالجر عطف على ما خانوك اي وتحسب ايضا قدر شتمك وضربك
اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم اي عرفا وعادة كان اي امرك كفافا بفتح الكاف ففي القاموس
كفاف الشيء كسحاب مثله ومن الرزق ما كف عن الناس واغنى وفي النهاية الكفاف الذي لا يفضل
عن الشيء ويكون قدر الحاجة لديه وهذا هو الانسب بالمقام ولذا قال بيانا له لا لك ولا عليك
اي ليس لك فيه ثواب ولا عليك فيه عقاب بل فعل مباح ليس عليك جناح فيه وفي نسخة
وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم اي اقل منه كان فضلا لك اي عليهم فان قصدت الثواب تجزى
به والا فلا وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم بالجمع هنا وبالافراد فيما سبق المراد منه الجنس
تقتص في الكلام اي الكثير منها اقتص بصيغة المجهول اي اخذ بمثله لهم اي لاجلهم منك الفضل اي
الزيادة فتنحى الرجل اي بعد عن المجلس وجعل يهتف بكسر التاء اي شرع يصيح ويبكي فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تقرأ قول الله تعالى ونضع الموازين القسط اي ذوات القسط
وهو العدل ليوم القيامة اي في ذلك اليوم فاللام للتوقيت فلا تظلم نفس شيئا اي قليلا
من الظلم وان كان اي العمل واو الظلم مثقال حبة اي مقدارها وهو بالنصب عند الجمهور على ان
كان ناقصة ورفعنا فهو مثقال على كان التامة من خردل اتينا بها اي احضرناها والضمير للمثقال
وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا فقال الرجل
يا رسول الله ما اجد لي ولهولاء اي المملوكين قال الطيبي الجار والمجرور هو المفعول الثاني

شيئا اي مخلصا خيرا من مفارقتهم اي من مفارقتي اياهم لان المحافظة على مراعاة المحاسبة والمطالبة
عسر جدا اشهد كذا انهم كلهم بالنصب على التاكيد ويجوز رفعه على الابتدا والخبر قوله احرار ونظيره
قوله تعالى قل ان الامر كله لله حيث قرئ بالوجهين في السبعة رواه الترمذي وعنها
اي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلواته
اي من الفرائض او النوافل او في بعض اجزائها من اول القيام او الركوع او القومة او السجود
او القعدة اللهم حاسبني حسابا يسيرا وهذا اما تعليم للامة وتنبيه لهم على نوم الغفلة
واما تلذذ بما يقول له من هذه النعمة واما خشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة
وذهوله عن مرتبة النبوة ومنزلة العصمة قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر
اي العبد في كتابه فيتجاوز بالرفع والنصب اي الله عنه وفي نسخة بصيغة المجهول
فيهما انه اي الشان من نوقش الحساب بالنصب على نزع الخافض اي في المحاسبة والمضايقة
في المطالبة يومئذ يا عائشة هلك اي عذب وفي الصحاح المناقشة الاستقصاء وفي الحديث
من نوقش في الحساب عذب وقد تقدم بعض طرقه رواه احمد قال السيد وابن ماجة
واصله في صحيح البخاري قلت وفي الدر اخرجه احمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه
والحاكم وصححه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اخبرني من يقوى اي يقوى على القيام اي على الوقوف للحساب بين يدي الله سبحانه
يوم القيامة الذي قال الله عز وجل اي في حقه فالموصول صفة ليوم القيامة يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال الطيبي بدل من قوله ليوم عظيم اي يوم يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته ويظهر
سطوات قهره على الجبابرة وروي ان ابن عمر قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس
لرب العالمين بكى نحيبا ولم يقدر على قراءة ما بعده فقال يخفف اي يوم القيامة على المومن اي الكامل او
المصلي حتى يكون اي طوله عليه كالصلوة المكتوبة اي كمقدار ادائها وقدر وقتها والظاهر
انه يختلف باختلاف احوال المومنين كما اشار اليه سبحانه بقوله تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وبقوله
فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير مفهومه انه على المومنين
يصير يسيرا اما في الكمية واما في الكيفية واما فيهما جميعا حتى بالنسبة الى بعضهم يكون هو
كساعة وهم من جعلوا الدنيا ساعة كسبوا فيها طاعة وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما طول هذا اليوم
اي ما حال الناس في طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه مع طوله فقال والذي
نفسي بيده اي الشان ليخفف على المومن اي الكامل حتى يكون اهون عليه من الصلوة
المكتوبة اي من ادائها او قيامها يصليها في الدنيا رواهما اي الحديثين البيهقي في كتاب البعث
والنشور وعن اسماء بنت يزيد اي ابن السكن بفتحتين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يحشر الناس في صعيد اي مكان واحد يوم القيامة فينادي مناد فيقول اين
الذين كانت تتجافى جنوبهم اي تتنحى وتتباعد عن المضاجع وفي الاسناد مجاز ومبالغة
لا يخفى اشارة الى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم اي داعين ربهم
عابدين له خوفا وطمعا اي من سخطه وفي رحمته او من ناره وفي جنته ومما رزقناهم ينفقون
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون واختلف في المراد بهم فقيل هم

المتهجدون

المتهجدون وقيل هم الاوابون ويحتمل ان يراد بهم من يصلي العشا في الصبح فيقومون اي فيظهرون
القيام ويتميزون عن سائر الانام وهم قليل اي من اهل الاسلام قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وقال عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور فيدخلون الجنة
يحتمل صيغتي الفاعل والمفعول بغير حساب لانهم صبروا على مرارة الطاعة وترك لذة الراحة
وقد قال سبحانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ثم يومر بسائر الناس الى الحساب
اي المحاسبة والمناقشة والعذاب رواه البيهقي في شعب الايمان

باب الحوض والشفاعة

قال القرطبي له صلى الله عليه وسلم حوضان احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني
في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلامهم الخير الكثير ثم الصحيح ان الحوض قبل الميزان
فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان وكذلك حياض الانبياء في
الموقف قلت وفي الجامع ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون
اكثرهم واردة رواه الترمذي عن سمرة وقال الراغب الشفع ضم الشيء الى مثله ومنه الشفاعة
وهو الانضمام الى اخر ناصرا له وسائلا عنه واكثر ما يستعمل في انضمام من هو اعلى مرتبة الى من
هو ادنى ومنه الشفاعة في القيامة

الفصل الاول

عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر بفتح الها ويسكن اي جدول
حافتاه بتخفيف الفاء اي جانباه وطرفاه قباب الدر بكسر القاف جمع قبة بالضم اي خيم اللولو
المجوف اي الذي له جوف وفي وسطه خلا يسلك فيه قلت ما هذا يا جبريل اي النهر المذكور
على الوصف المسطور قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك اشارة الى قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر وهو فوعل من الكثرة والمراد منه الخير الكثير الذي اعطاه ربه من القران او النبوة
او كثرة الامة او سائر المراتب العلية ومنها المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود
ولا منافاة بل الكل داخل في الكوثر وان كان اشتهاره في معنى الحوض اكثر فاذا طينه مسك
اذفر اي شديد الرائحة قال الطيبي اي طيب الريح والذفر بالتحريك يقع على الطيب ايضا
والكريه ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به رواه البخاري وعن عبد الله بن عمرو
بالواو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي اي مقداره مسيرة شهر وزواياه
جمع زاوية وهي الجانب والناحية اي اطراف حوضي سواء اي مربع مستو لا يزيد طوله على
عرضه وقيل عمقه ايضا ماؤه ابيض من اللبن قال النووي النحويون يقولون
لا يبنى فعل التعجب وافعل التفضيل من الالوان والعيوب بل يتوصل اليه بنحو اشد وابلغ فلا
يقال ما ابيض زيدا ولا زيد ابيض من عمرو وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على
مانعيه وهي لغة وان كانت قليلة الاستعمال وريحه اطيب من المسك وكيزانه جمع كوز
كنجوم السماء اي في الكثرة واللمعان من يشرب بالرفع وفي نسخة بالجزم قال الطيبي يجوز ان
يكون مرفوعا على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية وقوله منها اي كيزانه وفي رواية
منه اي من الحوض او من مائه فلا يظما برفع الهمز وقيل بالجزم اي فلا يعطش ابدا فيكون
شربه في الجنة تلذذا كاملة منعما لقوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها
ولا تضحى متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
حوضي اي بعد ما بين طرفي حوضي ابعد من ايلة بفتح فسكون تحتية اي ابعد من بعد
ايلة وهي بلدة على الساحل من اخر بلاد الشام مما يلي بحر اليمن من عدن بفتحتين يصرف ولا

يعرف وعواخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند قال الطيبي من الاولى متعلقة بابعد والثانية متعلقة ببعد مقدر ثم التوفيق بين هذا الحديث وبين الخبر الاتي ما بين عمان وعمان وهو بفتح المهملة وتشديد الميم اسم بلد بالشام وما بين صنعا والمدينة ونحو ذلك بان ذكر الاخبار على طريق التقريب لا على سبيل التحديد بالتفاوت بين اختلاف احوال السامعين في الاحاطة به علما قال القاضي اختلاف الاحاديث في مقدار الحوض لانه صلى الله عليه وسلم قدره على سبيل التمثيل والتخمين لكل احد على حسب ما راه وعرفه لهو بضم الهاء ويسكن واللام للابتدا اي لحوضي اشد بياضا من الثلج ولعله صلى الله عليه وسلم راى الثلج في ارض الشام واحلى اي الذ من العسل باللبن اي المخلوطة به والانية جمع انا اي ولظروفه من كيزانه وغيرها اكثر من عدد النجوم واني لاصد اي ارفع وامنع الناس اي المنافقين والمرتدين عنه اي عن الحوض كما يصد الرجل اي الراعي ابل الناس اي الاجانب عن حوضه اي صيانة عن المشاركة والمخالطة قالوا اي بعض الصحابة اتعرفنا اي تميزنا من غيرنا يوميذ قال نعم لكم سيما بالقصر وقد يمد وهو العلامة قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود ليست اي تلك السيما لاحد من الامم اذ المقصود التمييز بمنزلة العلم تردون بكسر الرا من الورود اي تمرون علي غرا جمع الاغر وهو من في جبهته بياض محجلين بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل وهو الذي في يديه ورجليه بياض من اثر الوضو بضم الواو اي استعماله وفي نسخة بالفتح اي ما الوضو ونصبهما على الحال والظاهر ان المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه الامة وان كان الخلاف موجود في كون الوضو هل كان لسائر الانبيا وامهم اولا وانما كان لهذه الامة وقال بعضهم وكان ايضا للانبيا عليهم السلام دون اممهم وفي هذا فضيلة عظمى ومزية كبرى للامة المرحومة رواه مسلم اي عن ابي هريرة وفي رواية له اي لمسلم عن انس قال ترى بصيغة المجهول فيه اي في حوضي اباريق الذهب والفضة لعل اختلاف الوصفين باختلاف مراتب الشاربين من الاوليا والصالحين كعدد نجوم السما اي من كثرتها وفي اخرى له اي في رواية اخرى لمسلم عن ثوبان قال سئل اي النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو الظاهر من السياق عن شرابه اي صفة مشروبه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت بضم الغين المعجمة وبكسر وبتشديد الفوقية اي يصب ويسيل فيه اي في الحوض ميزابان قال القاضي اي يدفق دفقا متتابعا دايما بقوة فكانه من ضغط الما لكثرته عند خروجه واصل الغت الضغط والميزاب بكسر الميم وقال الحافظ ابو موسى بفتحها ايضا من وزب الما اي سال فاصل ميزاب موزاب قلبت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يظهر وجه فتح الميم ففي القاموس ازب الما كضرب جرى ومنه الميزاب او هو فارسي موب اي بل الما فعلى هذا يجوز ان يهمز الميزاب وان يبدل همزه يا وقال ايضا وزب الما سال ومنه الميزاب او هو فارسي معرب ومعناه بل الما فعربوه بالهمز ولهذا اجمعوه مازيب يمدانه بضم الميم وفي نسخة بضم اليا وكسر الميم اي يزيدان الحوض في مايه من الجنة اي من انهارها او من الحوض الذي له في الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر احدهما من ذهب والاخر من ورق بكسر الرا ويسكن اي من فضة والقصد بهما الزينة باختلاف لون الاصفر والابيض لا لكون الذهب عزيز الوجود هناك قياسا على ما في الدنيا ويمكن ان يكون ميزاب الذهب من نهر العسل وميزاب الفضة من نهر اللبن او احدهما من الما والاخر من العسل او اللبن يختلط به في الحوض والله اعلم وعن سهل بن سعد قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم اني فرطكم بفتحتين اي سابقكم ومقدمكم على الحوض قال النووي الفرط بفتح الفا والرا وهو الفارط الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض والدلا والارشية وغيرها من امور الاستقا فمعناه انا سابقكم الى الحوض كالمهيي لكم من مر علي شرب ومن شرب لم يظما قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث يدل على ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ليردن من الورود اي ليمرن علي اقوام اي جماعات اعرفهم ويعرفونني قيل لعل هولاهم الذين ذكرهم الله حيث قال اصحابي ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني اي من امتي او من اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اي من الارتداد اذ فان سائر المعاصي لا تمنع المومن من ورود الحوض والشرب من مايه ونصبها على المصدر والجملة دعا بالعذاب لمن غير اي دينه بعد موتي او بعد قبول ديني والدخول في امتي متفق عليه وعن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المومنون اي توقف المومنون يوم القيامة حتى يهموا بصيغة المفعول اي يحزنوا بذلك اي بسبب ذلك الحبس وفي نسخة بفتح اليا وضم الها على بنا الفاعل وليس بشي قال التوربشتي هو على بنا المجهول اي يحزنوا لما امتحنوا به من الحبس من قولهم اهمني الامر اذا اقلقني واحزنني فيقولون لو استشفعنا اي ليت طلبنا احد يشفع لنا الى ربنا فيريحنا اي يعطينا الراحة ويخلصنا من مكاننا قال الطيبي لو هي المتضمنة للتمني والطلب وقوله فيريحنا مكاننا من الاراحة ونصبه بان المقدرة بعد الفا الواقعة جوابا للو والمعنى لو استشفعنا احد الى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه من الكرب والحبس قال في اساس البلاغة تشفعت له الى فلان وانا شافعه وشفيعه واستشفعني اليه فتشفعت له واستشفعوا بي قال الاعشى مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي الى ليلى الغداة شفيع فياتون ادم الظاهر ان المراد بهم رؤسا اهل المحشر لا جميع اهل الموقف فيقولون اي بعضهم انت ادم هو من باب قوله انا النجم وشعري شعري وهو يهم فيه فيه معنى الكمال لا يعلم ما اراد منه فسرنا بعده من قوله ابو الناس خلقك الله بيده اي بلا واسطة اب وام بقدرته الكاملة وارادته الشاملة واسكنك جنته فيه ايما الى حصول المال ووصول المنال وما تميل اليه النفس من حسن المال واسجد لك ملايكته اي سجود تحية وفيه اشارة الى كمال الجاه والعظمة وعلمك اسما كل شي فيه اشعار بان عطا الفضيلة العظمى والمرتبة الكبرى قال الطيبي وضع كل شي موضع اشيا اي المسميات لقوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها اي اسما المسميات اراده للتقصي اي واحدا فواحدا حتى يستغرق المسميات كلها اشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا اي هذا المكان العظيم والموقف الاليم فيقول لست هناكم قيل هنا اذا لحق بكاف الخطاب يكون للبعيد من المكان المشار اليه فالمعنى انا بعيد من مقام الشفاعة قال القاضي البيضاوي اي يقول لهم ادم عليه السلام لست في المكان والمنزل الذي تحسبونني فيه يريد به مقام الشفاعة وقال القاضي عياض هو كناية عن ان منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعا واكبارا لما يسالونه قال وقد يكون فيه اشارة الى ان هذا المقام ليس لي بل لغيري قال العسقلاني

وقفـــــــه لله عز وجل

وقد وقع في رواية فيقول لست لها وكذا في بقية المواضع وفي رواية ليس لصاحبك ذاك
وهو ردي الاشارة المذكورة ويذكر خطيئته التي اصاب اي اعتذارا عن التقاعد والتاني
عن الشفاعة والراجع الي الموصول محذوف اي التي اصابها وقوله اكله من الشجرة بالنصب
بدل من خطيئته اي يذكر اكله من الشجرة ذكره البيضاوي قال الطيبي ويجوز ان يكون
بيانا للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى فسواهن سبع سموات وقد نهي اي ادم
عنها اي عن الشجرة او عن الخطيئة والجملة حال من المفعول ولكن ايتوا نوحا اول نبي بعثه
الله الي اهل الارض استشكلت هذه الاولية بان ادم نبي مرسل وكذا شيث وادريس
وغيرهم واجيب بان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض ويشكل هذا الحديث جابر في البخاري
في التيمم وكان النبي يبعث خاصة الي قوم خاصة ويجاب بان العموم لم يكن في اصل
بعثة نوح وانما اتفق باعتبار حصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهي
وفيه نظر ظاهر لا يخفي وقيل ان الثلاثة كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا ورد عليه حديث
ابي ذر عند ابن حبان فانه كالصريح بانزال الصحف علي شيث وهو علامة الارسال
انتهي وفيه بحث اذ لا يلزم من انزال الصحف ان يكون المنزل عليه رسولا لاحتمال
ان يكون في الصحف ما يعمل به خاصة نفسه ويحتمل ان لا يكون فيها امر ونهي بل مواعظ
ونصايح يختص به فالاظهر ان يقال الثلاثة كانوا مرسلين الي المومنين والكافرين
واما نوح فانما ارسل الي اهل الارض وكلهم كانوا كفارا هذا وقد قيل انه نبي مبعوث
اي مرسل ومن قبله كانوا انبيا غير مرسلين كادم وادريس فانه جد نوح علي ما ذكره
المورخون قال القاضي وقيل ان ادريس هو الياس وهو نبي من بني اسرائيل فيكون
متاخرا عن نوح فيصح ان نوحا اول نبي مبعوث مع كون ادريس نبيا مرسلا واما ادم وشيث
فهما وان كانا رسولين الا ان ادم ارسل الي بنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتعليمهم الايمان وطاعة
الله وشيثا كان خلفا لهم بعده بخلاف نوح فانه مرسل الي كفار اهل الارض وهذا اقرب من
القول بان ادم وادريس لم يكونوا رسولين وقد يقال انه اول نبي بعثه الله بعد ادم علي ان
شيثا كان خليفته له فالاولية اضافية او اول نبي بعثه من اولي العزم فالاولية حقيقية
وهذا اوفق الاقوال وبه يزول الاشكال والله اعلم بالحال وفي شرح مسلم قال المازري قد ذكر
المورخون ان ادريس جد نوح فان قام دليل علي انه ارسل ايضا لم يصح انه قبل نوح لاخبار
النبي صلى الله عليه وسلم عن ادم عليه السلام ان نوحا اول رسول بعث وان لم يقم دليل جاز ما
قالوه وصح ان يحمل ان ادريس كان نبيا مرسلا قال القاضي عياض وقد قيل ان ادريس هو
الياس وانه كان نبيا في بني اسرائيل كما جاء في بعض الاخبار فان كان هكذا اسقط الاعتراض
وبمثل هذا يسقط الاعتراض بادم وشيث ورسالتهما الي من معهما وان كانا رسولين
فان ادم انما ارسل الي بنيه ولم يكونوا كفارا وكذلك شيث خلفه بعده بخلاف رسالة
نوح الي كفار اهل الارض قال القاضي وقد رايت ابا الحسن ذهب الي ان ادم ليس برسول
لعله ليسلم من هذا الاعتراض وحديث ابي ذر نص دال علي ان ادم وادريس رسولان
والله سبحانه اعلم فياتون نوحا فيقول اي علي ما في نسخة لست هناكم قال شارح اي
لست في مكان الشفاعة واشار بقوله هناكم الي البعد من ذلك المكان وفي شرح
مسلم للنووي قال القاضي عياض انما يقولونه تواضعا واكبارا لما يسالونه وقد

يكون فيه اشارة من كل واحد منهم الي ان هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل علي
الاخر حتي ينتهي الامر الي صاحبه ويحتمل انهم علموا ان صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم معينا وتكون
احالة كل واحد منهم علي الاخر لا بتدريج الشفاعة في ذلك الي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ومبادرة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك اجابته لرغبتهم لتحققه ان هذه الكرامة والمقام له
خاصة قال الشيخ محيي الدين والحكمة في ان الله تعالى الهمهم سوال ادم ومن بعده صلوات
الله عليهم في الابتدا ولم يلهموا بسوال نبينا صلى الله عليه وسلم اظهار الفضيلة نبينا صلى
الله عليه وسلم فانهم لما سالوه ابتدا لكان يحتمل ان غيره يقدر علي هذا واما اذا سالوا غيره
من رسل الله تعالى واصفيايه فامتنعوا ثم سالوه فاجاب وحصل غرضهم فهو النهاية
في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وفيه تفضيله علي جميع المخلوقين من الرسل الادميين والملايكة
المقربين فان هذا الامر العظيم وهي الشفاعة العظمي لا يقدر علي الاقدام عليه غيره صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين ويذكر اي نوح خطيئته التي اصاب يعني سواله ربه
بغير علم اي قوله ان ابني من اهلي الخ وكان سواله انجا ابنه وكان غير عالم بانه لا يجوز هذا السوال
ولذا قال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس لك به علم الخ قال
الطيبي قوله سواله ربه بغير علم فوقع سواله هنا موقع اكله في القرينة السابقة وقوله
بغير علم حال من الضمير المضاف اليه في سواله اي صادرا عنه بغير علم ورد به مفعول سواله
والمراد بالسوال قوله ان ابني من اهلي وان وعدك الحق طلب ان ينجيه من الغرق والمراد من
قوله بغير علم انه سال ما لا يجوز سواله وكان يجب عليه ان لا يسال كما قال تعالى فلا تسالني
ما ليس لك به علم وذلك انه قال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق اي وعدتني ان
تنجي اهلي من الغرق وان ابني من اهلي فنجه قيل له ما شعرت من المراد بالاهل وهو
من امن وعمل صالحا وان ابنك عمل غير صالح ولكن ايتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فياتون
ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن بالتخفيف اي قالهن
كذبا قال البيضاوي احديها الكذبات المنسوبات الي ابراهيم عليه السلام قوله اني سقيم
وثانيها قوله بل فعله كبيرهم هذا وثالثها قوله لسارة هي اختي والحق انها معاريض
ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها اكاذيب واستنقص من نفسه لها فان
من كان اعرف بالله واقرب منه منزلة كان اعظم خطرا واشد خشية وعلي هذا القياس ساير
ما اضيف الي الانبيا من الخطايا قال ابن الملك الكامل قد يواخذ بما هو عبادة في حق غيره كما
قيل حسنات الابرار سيات المقربين ولكن ايتوا موسي عبدا اتاه استيناف تعليل
وبيان للمعني اعطاه الله التوراة وهي اول الكتب الاربعة المنزلة وكلمه اي بلا واسطة وقربه
نجيا اي مناجيا له او مناجيا بناء علي انه حال من الفاعل او المفعول قال فياتون موسي فيقول
اني لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب قتله النفس اي نفس القبطي وفي نسخة
قتل النفس بغير حق ولكن ايتوا عيسي عبد الله ورسوله وروح الله اضاف اليه تشريفا
ولانه كان يحيي الموتي وكلمته اي خلق بامر كن او كلمته في دعوته كانت مستجابة قال
فياتون عيسي فيقول لست هناكم انما قال كذا مع ان خطيئته غير مذكورة لعله لاستحيائه
من افترا النصارى في حقه بانه ابن الله ونحو ذلك كذا ذكره ابن الملك في شرح المشارق
ولكن ايتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي فلم يكن له مانع من مقام

وقف ـــــــــــ لله عز وجل

الشفاعة العظمى قال النووي هذا مما اختلفوا في معناه قال القاضي قيل المتقدم ما كان قبل النبوة
والمتاخر عصمته بعدها وقيل المراد به ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيه ادم وما تاخر من ذنوب امته وقيل المراد انه
مغفور له غير مواخذ بذنب لو كان هو تنزيه له من الذنوب قال فياتوني بتشديد
النون ويخفف كما في قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اتحاجوني في الله فاستاذن
على ربي اي فاطلب الاذن منه للادب مع الرب في داره اي دار ثوابه وهو الجنة وقيل غير ذلك
تحت عرشه قال الطيبي اي فاستاذن في الدخول على دار ربي فيوذن لي عليه اي في الدخول على
الرب سبحانه قال التوربشتي اضافة دار الثواب الى الله تعالى هنا كاضافته في قوله تعالى لهم
دار السلام عند ربهم على ان السلام من اسماء الله تعالى على احد الوجهين واضافتها الى الله تعالى
للتشرف والكرامة والمراد بالاستيذان عليه ان يدخل مكانا لا يقف فيه داع الا استجيب ولا
يقوم به سائل الا اجيب ولم يكن بين الواقف فيه وبين ربه حجاب والحكمة في نقله النبي
صلى الله عليه وسلم عن موقفه ذلك الى دار السلام لعرض الحاجة هي ان موقف العرض والحساب
موقف السياسة ولما كان من حق الشفيع ان يقوم مقام كرامته فيقع الشفاعة موقعها
ارشد صلى الله عليه وسلم الى التقلبة من موقف الخوف في القيامة الى موقف الشفاعة والكرامة
وذلك ايضا مثل الذي يتحرى الدعاء في مواقف الخدمة ليكون احق بالاجابة قال القاضي عياض
معناه فيوذن لي في الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذي اخره الله تعالى له واعلمه انه يبعثه
فيه فاذا رايته اي بارتفاع الحجاب عني وفي المشارق فاذا انا رايته بزيادة انا قال ابن الملك اي رايتني
وهذا التفات من المتكلم الى الغيبة وقعت ساجدا اي خوفا منه واجلالا وتواضعا له وادلالا
او انبساطا له وادلالا فيدعني اي يتركني ما شاء الله ان يدعني اي في السجود ففي مسند
احمد انه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا كذا ذكره السيوطي في حاشية مسلم فيقول ارفع
اي راسك من السجود محمد اي يا محمد فانك صاحب المقام المحمود وقل اي ما شئت تسمع
بصيغة المجهول اي تقبل قولك او قل ما الكلم عن التا لتسمع اي تجاب واشفع اي فيمن
شئت تشفع بفتح التا المشددة اي تقبل شفاعتك وسل اي ما تريد من المزية
تعطه بها السكت وفي نسخة بالضمير اي تعط ما تسال والضمير راجع الى المصدر المفهوم
من الفعل وهو بمعنى المفعول قال فارفع راسي فاثني على ربي بثنا وتحميد يعلمنيه
بتشديد اللام اي يلهمنيه ح ولا ادري ما هو الان ثم اشفع قال القاضي وجاء في حديث
انس وحديث ابي هريرة ابتدا النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده واذن له في
الشفاعة بقوله امتي امتي فيحد بضم اليا وفتح الحاء وفي نسخة بالعكس اي فيعين لي
حدا وهو ما مصدر او اسم اي مقدارا معينا في باب الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه
مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعات ثم يقول شفعتك فيمن اخل بالجمعات
ثم يقول شفعتك فيمن اخل بالصلوات ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا
ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على ما فيه من الشفاعة فاخرج اي من دار ربي
فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي فان قلت دل اول الكلام ان المستشفعين
هم الذين حبسوا في الموقف وهموا وحزنوا لذلك فطلبوا ان يخلصهم من ذلك
الكرب ودل قوله فاخرجهم من النار على انهم من الداخلين فيها فما وجهه قلت فيه وجهان

احدهما

احدهما ان المومنين صاروا فرقتين فرقة سارعوا بهم الى النار من غير توقف وفرقة حبسوا في
المحشر واستشفعوا به صلى الله عليه وسلم فخلصهم مما هم فيه وادخلهم الجنة ثم شرع في
شفاعة الداخلين في النار زمرا بعد زمر كما دل عليه قوله فيحد لي حدا الى اخره فاختصر
الكلام وهو من حلية التنزيل وقد ذكرنا قانونا في فتوح الغيب في سورة هود نرجع
اليه مثل هذا الاختصار قلت مراده انه ذكر الفرقة الثانية واقتصر على خلاصها لانه
يفهم منها خلاص الفرقة الاولى بالاولى وقد يقال انه من باب الاكتفاء وثانيهما انه يراد
بالنار الحبس والكربة وما كانوا فيه من الشدة ودنو الشمس الى روسهم وحرها والجامهم
العرق وبالخروج الخلاص منها قلت وهذا القول وان كان مجازا لكنه الى حقيقة
الامر اقرب والى اصل القضية انسب فان المراد بهذه الشفاعة الكبرى وهي المعبر
عنها بالمقام المحمود واللواء المحمود وعلى ما قاله صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت
لوائي يوم القيامة ومحط هذه الشفاعة هي الخلاص من الحبس والقيام والامر بالمحاسبة
للانام واما له صلى الله عليه وسلم وكذا لغيره من الانبيا والاوليا والعلما والشهدا
والصالحين والفقرا بعد ذلك شفاعات متعددة في ادخال بعض المومنين الجنة
بلا حساب وادخال بعضهم الجنة ولو استحقوا دخول النار واخراج بعضهم من
النار وفي تخفيف عذاب بعضهم وفي ترقي درجات بعضهم في الجنة وامثالها
ولكن فيه انه لو اريد هذا المعنى لما كررت هذه القضية مرات على ما لا يخفى اللهم الا ان يقال
بتقسيم اهل الموقف من المومنين العصاة على اقسام ثلاثة وقال ابن الملك تكون الشفاعة اقساما
اولها للازاحة من الموقف وثانيها لادخالهم الجنة بغير حساب وثالثها عند المرور على الصراط
ورابعها للاخراج من النار فذكر في الحديث القسمين وطوى الاخرين من البين والله اعلم ثم اعود
اي ارجع الى دار ربي الثانية اي المرة الثانية فاستاذن على ربي في داره اي في دخولها فيوذن
لي عليه اي بالدخول عليه فاذا رايته اي ذلك المكان او رايت ربي مع تنزيهه عن المكان
وعن سائر صفات الحدثان وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني اي في مقام الفنا
ثم يقول رد الى حال البقا ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع
راسي فاثني على ربي بثنا وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار
وادخلهم الجنة ثم اعود الثالثة فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي عليه فاذا رايته وقعت
ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل
تعطه قال فارفع راسي فاثني على ربي بثنا وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج
فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار اي من هذه الامة الا من حبسه القران
اي منعه من خروج النار لان اخبر انه يخلد في دار الفجار وهذا معنى قول الراوي للحديث عن انس
وهو قتادة من اجلا التابعين اي وجب عليه الخلود اي دل القران على خلوده وهم الكفار ومعنى
وجب اي ثبت وتحقق او وجب بمقتضى اخباره تعالى فانه لا يجوز فيه التخلف ابدا ثم تلا اي النبي
صلى الله عليه وسلم او انس او قتادة تذكرا او استشهادا او اعتقادا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قال اي انس وهو انسب او قتادة وهو اقرب ويحتمل ان فاعله النبي صلى الله عليه وسلم على بعد
وهذا المقام مبتدا وخبر موصوف بقوله المحمود الذي وعده اي الله سبحانه نبيكم وفي نسخة
وعد نبيكم بصيغة المجهول وهذا على ان فاعل قال غيره صلى الله عليه وسلم ظاهر لا اشكال واما على

وعه لله عز وجل

المقول بان القايل هو صلى الله عليه وسلم فتوجيهه انه وضع المظهر موضع المضمر وكان الاصل ان تقول
وعدتنيه وقال الطيبي يحتمل ان يكون فاعل قال الراوي وان يكون النبي صلى الله عليه وسلم على
سبيل التجريد تعظيما لشانه والله سبحانه وتعالى اعلم متفق عليه وعنه اي عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج اي اختلط واضطرب
بعضهم في بعض اي داخلين فيهم مقبلين مدبرين متحيرين فيما بينهم فياتون ادم فيقولون
اشفع اي لنا الى ربك ليامر بالحساب ثم يجازيه بالثواب او العقاب فيقول لست لها
اي لست كاينا للشفاعة ولا مختصا بها قال الطيبي اللام فيه مثلها في قوله تعالى امتحن الله
قلوبهم للتقوى الكشاف اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قوله انت لهذا الامر اي
كاين له ومختص به قال انت لها احمد بين البشر وعلى قوله انت لهذا الامر اي كاين له
ومختص به قال انت لها وقوله ليس ذلك لكم وعليكم بابراهيم اي الزموه فالبا زايدة
والمعنى تشفعوا وتوسلوا به فانه خليل الرحمن فياتون ابراهيم فيقول اي بعد قولهم اشفع
الى ربك فاختصر للعلم به او قبل ان يذكروا هذا الامر بناء على كشف القضية عنده لست لها
ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله اي ويناسبه الكلام في مرام هذا المقام فياتون موسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فان روحه مستطابة وكلمته
مستجابة فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد اي فانه خاتم النبيين وسيد
المرسلين فياتوني فيتشدد بيد القوي ويخفف فاقول انا لها فاستاذن على ربي اي [illegible]
على دخول داره فيوذن لي فيلهمني محامد احمده بها اي حتى لا تحضرني الان فاحمده بتلك المحامد
وهي جمع حمد على غير قياس كمحاسن جمع حسن او جمع محمدة واخر بكسر الخا المعجمة وتشديد
الراء اي اسقط له اي لله تعالى او لشكره ساجدا حال فيقول يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه
واشفع تشفع فاقول اي بعد رفع الراس او في حال السجود يارب امتي امتي اي ارحمهم واغفر لهم يوم
القيامة وتفضل عليهم بالكرامة وكرره للتاكيد او اريد بهم السابقون واللاحقون فيقال انطلق
اي اذهب فاخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة اي وزنها قال النووي والله اعلم بقدرها
من ايمان ثم المثقال ما يوزن به من الثقل بفتحتين وهو اسم لكل سنج واختلف العلما في
تاويله خلفا عن سلف اختلافهم في اصل الايمان والتاويل المستقيم هو ان يراد بالامر المقدار بالشعير
والذرة والحبة والخردلة غير الشي الذي هو حقيقة الايمان من الخيرات وهو ما يوجد في القلوب
من ثمرات الايمان ولمحات الايقان ولمعات العرفان لان حقيقة الايمان الذي هو التصديق الخاص
القلبي وكذا الاقرار اللساني لا يحتملها التجزي والتبعيض ولا الزيادة ولا النقصان على ما عليه
المحققون وحملوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري فانطلق اي فاذهب
فافعل اي ما اذن لي بالاخراج منها وبين لي ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا
فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب امتي امتي
فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة وهي اقل الاشيا الموزونة وقيل هي الهبا الذي
يظهر في شعاع الشمس كرؤس الابر وقيل النملة الصغيرة او خردلة من ايمان يحتمل ان يكون
او للتخيير او للتنويع او للشك فانطلق فافعل ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا
فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب امتي امتي فيقال
انطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة خردلة من ايمان وكرر ادنى

ثلاثا

ثلاثا للمبالغة في القلة فاخرجه من النار فانطلق فافعل ثم اعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له
ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب ايذن
لي فيمن قال لا اله الا الله اي ولو في عمره مرة بعد اقراره السابق فانه من جملة عمله الا حق وان
الله لا يضيع اجر من احسن عملا او لاطلاق حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فانه شمل
دخوله اولا واخرا قال الطيبي هو يوذن بان ما قدر قبل ذلك بمثقال شعيرة ثم بمثقال حبة او خردل
غير الايمان الذي يعبر به عن التصديق وهو ما يوجد في القلوب من ثمرة الايمان وهو على
وجهين ان يراد بالثمرة ازدياد اليقين وطمانينة النفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه
واثبت لعدمه وان يراد بها العمل وان الايمان يزيد وينقص بالعمل وينصر هذا الوجه حديث ابي سعيد
بعد هذا يعني قوله فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا
خيرا قط قال اي الله تعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن
منها من قال لا اله الا الله قال القاضي اي ليس هذا لك وانما افعل ذلك تعظيما لاسمي واجلالا لتوحيدي
وهو مخصص لعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة اسعد الناس بشفاعتي الحديث
على ما سياتي ويحتمل ان يجري على عمومه ويحمل على حال ومقام اخر قال الطيبي اذا فسرنا ما
يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة وذكرنا ان ما يختص به رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الايمان مع الثمرة من ازدياد اليقين او العمل فلا اختلاف وقال شارح من علمائنا المحققين
المعنى ليس اخراج من قال لا اله الا الله من النار اليك يعني الكل مفوضا اليك وان كان
لك فيهم مكان شفاعة او لسنا نفعل ذلك لاجلك بل لانا احقا بان نفعله كرما وتفضلا ثم انه
بين بهذا الحديث ان الامر في اخراج من لم يعمل خيرا قط من النار خارج عن حد الشفاعة
بل هو منسوب الى محض الكرم موكول اليه والتوفيق بين هذا الحديث وحديث ابي
هريرة اسعد الناس الخ اما على الاول فظاهر لانه اخرجهم الله بشفاعته صلى الله عليه وسلم واما على
المعنى الثاني فهو ان المراد بمن قال لا اله الا الله في الحديث الاول هم الامم الذين امنوا بانبيايهم
لكنهم استوجبوا النار وفي الثاني هم من امته صلى الله عليه وسلم ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا
الله خالصا من قلبه اي لم يشب به شكا وشركا ولا خلط نفاق وسمعة ورياء او نفسه شك
من الراوي قيل اسعد هنا بمعنى اصل الفعل وقيل بل على بابه وان كل احد يحصل له سعادة
بشفاعته لكن المومن المخلص اكثر سعادة فانه صلى الله عليه وسلم يشفع في اراحة الخلق من هول
الموقف ويشفع في بعض الكفار كابي طالب في تخفيف عذاب النار وقال الكرماني المراد هو
اسعد ممن لم يكن في هذه المرتبة من الاخلاص البالغ غايته والدليل على التاكيد ذكر القلب
اذ الاخلاص محله القلب ففائدته التاكيد كما في قوله تعالى فانه اثم قلبه وقال القاضي اسعد
هنا بمعنى السعيد اذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من اهل التوحيد او المراد بمن قال
من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فان احتياجه الى الشفاعة
اكثر وانتفاعه بها اوفر قال الطيبي قد سبق ان حلول شفاعته انما هو في حق من اثر ايمانه
اما مزيد طمانينة او عمل وتختلف مراتب اليقين والعمل فيكون التفضيل بحسب المراتب
ولذلك اكد خالصا بقوله من قلبه اي خالصا كاينا من قلبه وقد علم ان الاخلاص مقره
ومكانه القلب فذكر القلب هنا تاكيد وتقرير كما في قوله تعالى فانه اثم قلبه الكشاف فان

مطلب

وقف لله عز وجل

قلت هلا اقتصر علي قوله فانه اثم وما فايدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة القلب وحده قلت كتمان
الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترنا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الي الجارحة
التي يعمل بها ابلغ الاترك يقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما
عرفه قلبي رواه البخاري وفي رواية الجامع خالصا مخلصا من قلبه ولم يذكر او من نفسه
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتي النبي صلي الله عليه وسلم اي جي بلحم فرفع اليه
الذراع وكانت اي الذراع تعجبه فنهش بالمهملة وقيل بالمعجمة اي فاخذ بمقدم اسنانه
منها اي من الذراع يعني مما عليها نهسة قال القاضي عياض اكثر الرواة رووه بالسين المهملة ورواه
ابن هامان بالمعجمة والنهس بالمهملة الاخذ باطراف الاسنان وبالمعجمة الاخذ بالاضراس ثم قال انا سيد
الناس اي جميعهم من الانبيا وغيرهم يوم القيامة اي حيث يحتاجون الي شفاعتي في ذلك اليوم
لكرامتي عند الله تعالي فاذا اضطروا انوا الي طالبين شفاعتي لهم ويويده حديث انا سيد
ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يوميذ ادم فمن سواه الاتحت
لواي وانا اول من ينشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر علي ما رواه
احمد والترمذي وابن ماجة ابي سعيد يوم يقوم الناس لرب العالمين قال الطيبي بدل
من قوله يوم القيامة وقال ابن الملك يحتمل ان يكون جواب سايل قال ما يوم القيامة
قلت ويمكن ان يكون منصوبا باعني مقدرا او مرفوعا بتقدير مبتدا محذوف هو هو وفتح
يوم علي الحكاية وتدنوا الشمس اي تقرب من روس الناس فيبلغ الناس بالنصب اي
فيلحقهم وفي نسخة بالرفع اي فيصلون من الغم اي من اجله وبسببه والكرب وهو الغم
الشديد الحاصل من القيام ودنو الشمس المترتب عليه الحاتام الموجب للعرق علي وجه
الالجام ما لا يطيقون اي ما لا يقدرون علي الصبر عليه فيجزعون ويتوجعون فيقول الناس
اي بعضهم لبعض الا تنظرون اي الا تتاملون ولا تتفكرون او لا تبصرون من يشفع لكم الي
ربكم اي ليريحكم من هذا الهم والغم فياتون ادم وذكر اي ابو هريرة او النبي صلي الله عليه
وسلم حديث الشفاعة بطوله كما سبق وقال فانطلق اي فاذهب فاتي بالمد فاجي
تحت العرش وقيل حديث انس في الجنة وحديث ابي هريرة في الموقف فاقع ساجدا
لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه علي احد قبلي ثم قال
يا محمد ارفع راسك سل تعطه جملة مستانفة واشفع تشفع فارفع راسي فاقول
امتي يا رب امتي يا رب ثلاث مرات للتاكيد والمبالغة او اشارة الي طبقات العصاة فقال
يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم اي من لا حساب
عليهم شركا الناس فيما سوي ذلك من الابواب اي ليسوا ممنوعين من ساير الابواب
بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين
بكسر الميم اي البابين المكرمين علي مدخل واحد من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر
بفتحتين مصروفا وقد لا يصرف ففي الصحاح هجر اسم بلد مذكور مصروف وقال شارح هي
قرية من قري البحرين وقيل من قري المدينة والاول هو المعول قال المظهر المصراعان
البابان المغلقان علي منفذ واحد والمصراع مفعال من الصرع وهو الالقا وانما سمي الباب
المغلق مصراعا لانه كثير الالقا والدفع متفق عليه وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط بفتحات

اي بجانبيه يمينا وشمالا قال التوربشتي يريد بجنبتي الصراط ناحيته اليمني واليسري والمعني
ان الامانة والرحم لعظمة شانهما وفخامة امرهما مما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هنالك للامين
والخاين والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق الذي راعاهما ويشهدان علي المبطل الذي اضاعهما
ليتميز كل منهما وقيل ترسل من الملايكة من يحاج لهما وعنهما وفي الحديث حث علي رعاية حقهما والاهتمام
بامرهما وقال الطيبي ويمكن ان يحمل الامانة علي الامانة العظمي وهي ما في قوله تعالي انا عرضنا
الامانة علي السموات والارض والجبال وصلة الرحم صلتها الكبري وهي ما في قوله تعالي يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الي قوله واتقوا الله الذي تسالون به والارحام
فيدخل في الحديث معني التعظيم لامر الله والشفقة علي خلق الله وكانهما اكتنفا جنبتي الاسلام
الذي هو الصراط المستقيم وقطري الايمان والدين القويم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلي الله عليه وسلم تلا قول الله تعالي في ابراهيم اي في سورته او حاكيا في حقه رب انهن اي
الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي صرن سبب ضلالة كثير منهم فمن تبعني اي في التوحيد والاخلاص
والتوكل فانه مني اي من اتباعي واشياعي وتمامه ومن عصاني فانك غفور رحيم اي تغفر ما دون
الشرك لمن تشا وترحم بالتفضل علي من تشا او تغفر للعاصي المشرك بان توفقه للايمان والطاعة في الدنيا
وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبي وقال عيسي قال النووي هو مصدر يقال قال قولا وقالا وقيلا
وقد اضاف عيسي عطفا علي مفعول تلا اي تلا قول الله وقول عيسي ان تعذبهم فانهم عبادك
واخره وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اي لا يغلبك شي فانك القوي القادر وتحكم بما تشا
فانت الحاكم الذي لا معقب لحكمه او الحكيم الذي يضع الاشيا في موضعها ويتقن الافعال ويحسنها
فرفع اي النبي صلي الله عليه وسلم يديه اي كرحمته فقال اللهم امتي امتي اي اللهم اغفر امتي اللهم ارحم
امتي ولعل هذا وجه التكرار او اريد به التاكيد او قصد به الاولون والاخرون وبكي لانه تذكر النبي
صلي الله عليه وسلم الشفاعة الصادرة عن الخليل وروح الله فرق لامته فقال الله تعالي يا جبريل اذهب
الي محمد وربك اعلم جملة معترضة حالية دفعا لما يوهمه فسله بالهمز والنقل ما يبكيه فاتاه جبريل
فساله فاخبره رسول الله صلي الله عليه وسلم بما قال اي بشي قاله النبي صلي الله عليه وسلم من سبب
البكا وهو الخوف لامته فقال الله لجبريل اذهب الي محمد فقل انا اي بعظمتنا سنرضيك اي
نجعلك راضيا في امتك اي في حقهم ولا نسوك اي ولا نحزنك في حق الجميع بل نجيهم ولا حاجة
رضاك ترضيهم وهو في المعني تاكيد اذ ربما يتوهم من سنرضيك نرضيك في حق البعض ولذا
قال بعضهم ما يرضي محمد وواحد من امته في النار وقال الطيبي لعله عليه السلام اتي بذكر الشفاعة
التي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية لان المعني ان الاصنام
اضللن كثيرا من الناس فمن تاب من عبادتها وتبعني في التوحيد فانه متصل بي فاقبل شفاعتي
فيهم فلا بد من تقدير تاب لانه مصحح الشفاعة في حق المشركين قلت انما يحتاج لتقدير تاب
في الشرطية الثانية وهي قوله ومن عصاني قال وعن روح الله كذلك لان الضمير في فاغفر لهم راجع
الي من اتخذه وامه الهين من دون الله فيكون التقدير ان تغفر لهم بعد ما تابوا عن ذلك فانك
غفور رحيم قلت لا يلايمه ما قبله وهو قوله ان تعذبهم فانهم عبادك مع ان هذا الكلام يصدر
عنه يوم القيامة ولا يمكن تقدير التوبة هنالك ثم الجزا في الاية انما هو قوله فانك انت العزيز الحكيم
في كلام عيسي واما قوله فانك غفور رحيم جزا للشرطية الواقعة في كلام ابراهيم ومن عصاني فانك
غفور رحيم ثم قال وعقبه بقوله اللهم امتي امتي ليبين لهم الفرق بين الشفاعتين وبين

ما بين المتزلتين وفيه ان هذا البيان محتاج الى البرهان والتبيان فان الغرض بطريق الكناية ابلغ من التصريح
بالدعا كما هو مقرر عند ارباب الفنا والبقا وكذلك طريق التفويض والتسليم والرضا بالقضا ولا يقتضي
بيان المدعي ولا تبيان المعنى في قوله وتحريره ان قوله امتي متعلق بمحذوف اما ان يقدر شفعني في امتي وارضني
فيها او امتي ارحمهم وارضني بالشفاعة فيهم والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام قلت يحتاج ايضا هذا
الكلام الى توضيح المرام قال وهذا ابدل على الجزم والقطع قلت الدعا لا يكون بطريق القطع اذ لا حكم
على الله سبحانه فمال الطريقين في الدعا واحد وليس لهذا المقصد جاحد قال والتكرير لمزيد
التقرير قلت قد تقدم وجوه اخر والاظهر انه من مستحبات الدعا فان الالحاح من العبد في
المسالة لا ينافي الرضا بالقضا قال ومن ثم اجيب في الحديث بقوله انا سنرضيك حيث اتى
بان وضمير التعظيم وسين التوكيد ثم اتبعه بقوله لا نسوك تقريرا للعبد تقريرا على الطرد والعكس
وفي التنزيل ولسوف يعطيك ربك فترضى زيد لام الابتدا على حرف الاستقبال ولفظه ربك
وجمع بين حرفي التوكيد والتاخير فيكون المعنى ولانت سوف يعطيك ربك وان تاخر العطا
وقوله ربك اعلم من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي ان يتوهم فهو كقوله والله يعلم انك
لرسوله في قوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون قال النووي هذا الحديث مشتمل على انواع من الفوايد منها بيان
كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على امته واعتنايه بمصالحهم واهتمامه في امرهم ومنها البشارة
العظيمة لهذه الامة المرحومة بما وعده الله تعالى بقوله سنرضيك في امتك ولا نسوك
وهذا من ارجى الاحاديث لهذه الامة ومنها بيان عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند
الله تعالى والحكمة في ارسال جبريل عليه السلام لسواله صلى الله عليه وسلم اظهار الشرف وانه
بالمحل الاعلى فيرضي ويكرم رواه مسلم وكذا البخاري والنسايي ذكره السيد وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي ترون ربنا ذكره السيوطي في بعض تعاليقه ان روية
الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل احد من الرجال والنسا حتى قيل للمنافقين
والكافرين ايضا ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة واقول وفيه بحث لقوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون ولقوله صلى الله عليه وسلم على ما سياتي حتى اذا لم يبق
الا من كان يعبد الله اتاهم رب العالمين ولان لذة النظر ولو مرة تنسي كل محنة وشدة
بل يرتفع به كل حسرة اذ من المعلوم ان النظر لا يوجد دايما لاهل الجنة ايضا قال واما
الروية في الجنة فاجمع اهل السنة على انها حاصلة للانبيا والرسل والصديقين من كل
امة ورجال المومنين من البشر من هذه الامة وفي نسا هذه الامة ثلاث مذاهب
لا يرين ويرين ويرين في مثل ايام الاعياد دون غيرها وفي الملايكة قولان لا يرون
ربهم ويرونه وفي الجن ايضا خلاف هل تضارون بضم التا وفتحها مع تشديد
الرا وتخفيفها قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي ففيه اربعة اوجه لكن
فيه نظر لان ضم التا مع التشديد ظاهر لانه من باب المفاعلة مع احتمال بنايه للفاعل
والمفعول وكذلك فتح التا مع التشديد فانه من باب التفاعل على حذف احدى التايين
وهو ينبغي ان يكون بصيغة الفاعل واما ضم التا مع تخفيف الرا فمبني على انه للمجهول
من ضاره يضيره او يضوره على ما في القاموس بمعنى ضرره واما فتح التا مع الرا المخففة

فلا وجه له بحسب القواعد العربية والمعنى هل تتزاحمون وتتنازعون ليحصل لكم ضرر
في روية الشمس بالظهيرة اي وقت انتصاف النهار صحوا اي حين لا سحاب ولا غبار
من اصحت السما اذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح وفي القاموس الصحو ذهاب الغيم
لذا ذكره شارح وفي القاموس الصحو ذهاب الغيم فقوله ليس معها سحاب تاكيدا والمراد
بالسحاب الحجاب اعم من ان يكون من جانب الرايي او من جهة المريي ثم اكد ثانيا واظهر مثالا اخر
بقوله وهل تضارون في روية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها اي في السما بقرينة المقام
وان لم يجر لها ذكر وفي جهة روية القمر من السما سحاب اي مانع وحجاب قالوا لا يا رسول الله
قال ما تضارون في روية الله يوم القيامة اريد به الموقف وما بعده من دخول الجنة الا
كما تضارون في روية احدهما وفيه مبالغة وتعليق بالمحال اي لو كان في روية احدهما مضارة
لكان في رويته مضارة والتشبيه انما هو لمجرد الظهور وتحقق الروية مع التنزه عن صفات
الحدوث مع نحو المقابلة والجهة ولعل ذكر الشمس والقمر للاشعار بان روية الله حاصلة
للمومنين في الليل والنهار على غاية من الظهور ونهاية من الانوار وايما الى تفاوت التجلي
الرباني بالنسبة الى الابرار اذا كان يوم القيامة اذن موذن اي نادى مناد بتبع بتشديد التا
المفتوحة وكسر الموحدة وفي نسخة بالسكون والفتح اي ليعقب كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى
احد كان يعبد غير الله تعالى من الاصنام بيان غير الله والانصاب جمع نصب بفتح النون وضمها وسكون
الصاد وبضمتان وهي حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى وقد يكون عليها تقربا الى الهتهم وكل
ما نصب واعتقد تعظيمه من الحجر والشجر فهو النصب الا يتساقطون في النار لان الانصاب والاصنام
ملقاة فيها حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله اي وحده من بر اي مطيع صالح وعاص اي فاجر
فاسق اتاهم رب العالمين اي اتاهم امره كما اشار اليه بقوله قال اي الرب فماذا تنظرون اي تنتظرون ويجوز
ان يعبر بالاتيان عن التجليات الالهية والتعريفات الربانية بل قيل هو القول الحق وهو بالاعتبار اولى
احق وقيل الاتيان هنا عبارة عن رويتهم اياه لان من غاب عن غيره لا يمكن رويته الا بعد الاتيان
فعبر بالاتيان عن الروية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله سبحانه سماه اتيانا وقيل المراد اتيان بعض
الملايكة قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث او يكون معنا ياتيهم الله في صورة الملايكة
مخلوقاته التي لا يشبه صفات الاله ليختبرهم فاذا قال لهم الملك او هذه الصورة انا ربكم ورا وعليه
من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وقيل الروية حقيقة غير
انا لا نكيف ذلك وقيل كنه معرفتها الى علم الله تعالى وقال التوربشتي اتيان الله في الكتاب مفسر باتيان
امره واتيان باسه ولفظ التنزيل محتمل كلا القولين فاما هذا الحديث فانه ياول على اتيان امره وهو
قوله فماذا تنظرون ومن السلف من يتنزه عن تاويله خشية الخطا مع تمسكه بعروة الوثقى وهي
تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما يحدث به النفوس من اوصاف الخلق قال الشيخ الامام ابو الفتوح
العجلي في كتاب الاقاويل المشهورة قال البيهقي قد تكلم الشيخ ابو سليمان الخطابي رحمه الله في تفسير
هذا الحديث وتاويله بما فيه الكفاية قال ان هذا موضع يحتاج الكلام فيه الى تاويل وتخرج وليس
ذلك من اجل انا ننكر روية الله سبحانه وتعالى بل نثبتها ولا من اجل انا ندفع ما جا في الكتاب والسنة
من ذكر المجي والاتيان غير انا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركته وانتقالا كمجي الاشخاص واتيانها فان
ذلك من نعوت الحدث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وتجب ان يعلم ان الروية التي هي ثواب الاوليا وكرامة
لهم في الجنة غير هذه الروية المذكورة في مقامهم واحتج بحديث صهيب في الروية يعني كما سيجي في باب

روية الله تعالى وانما تعرضهم لهذه الروية امتحان من الله تعالى لهم فيقع بها التمييز بين من عبد الله
تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين معبوده وليس تنكران يكون الامتحان اذذاك
بعد قايما وحكمه على الخلق جاريا حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزا بما يستحقونه من الثواب
والعقاب ثم ينقطع اذا حققت الحقايق واستقرت امور العباد قرارها الا ترى الى قوله تعالى
يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وجاء في الحديث ان المومنين
يسجدون ويصير ظهور المنافقين طبقا واحدا قال ويخرج اتيان الله في هذا الايام انه يشهدهم
رويته ليثبتوه فيكون معرفتهم له في الاخرة عيانا كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علما
واستدلالا ويكون طريقا لرويته بعد ان لم يكن بمنزلة اتيان الاتي من حيث لم يكونوا
شاهدوه ثم قوله فماذا تنتظرون اي قلنا لكم ليتبع كل امة ما كانت تعبد فيفصل اتبع
ما عبده فلم انتم ايضا لا تتبعونه وهذا معنى قوله ليتبع كل امة ما كانت تعبده فان لفظه
خبر ومعناه امر قالوا يا ربنا فارقنا الناس اي الذين عبدوا غير الله فضلا عن ان
نعبد ما سواه في الدنيا والمعنى ما اتبعناهم مادمنا في الدنيا افقر ما كنا اليهم بالنصب على
الظرفية اي في افقر كوننا الى الناس ولم نصاحبهم اي في افعالهم بل قاتلناهم وحاربناهم
وعاديناهم وقاطعناهم برضاكم ورجا لتجليكم وحاصله انا ما اتبعناهم والامر
غيب عنا ونحن محتاجون اليهم فكيف نتبعهم الان وقت العيان انهم وما يعبدون من
دون الله حصب جهنم قال الطيبي اقترحا من ضمير فارقنا وما مصدرية والوقت
مقدر قال النووي معناه انهم تضرعوا الى الله تعالى والتجاوا اليه وتوسلوا بهذا القول
المشعر بالاخلاص الى الخلاص يعني ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن
طاعتكم من الاقربا ومن نحتاج اليهم في المعاش والمصالح الدنيوية وهكذا كان
داب الصحابة ومن بعدهم من المومنين في جميع الازمان فانهم كانوا يقاطعون من حاد
الله ورسوله مع حاجتهم اليه واثروا رضى الله تعالى على ذلك وفي رواية ابي هريرة فيقولون
هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا اي يتجلى علينا بوجه نعرفه فاذا جا ربنا اي على ما عرفناه من انه منزه
عن الصورة والكمية والكيفية والجهة وامثالها عرفناه اي حق المعرفة قيل يشبه والله اعلم
ان يكون انما منعهم عن تحقق الروية في الكرة الاولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا
من اجل من معهم من المنافقين لا يستحقون الروية وهم عن ربهم محجوبون فلما تميزوا عنهم
ارتفع الحجب فقالوا عندما راوه انت ربنا وهذا معنى قوله وفي رواية ابي سعيد فيقول
هل بينكم وبينه اي بين ربكم اية اي علامة تعرفونها اي بتلك الاية وهي المعرفة والمحبة التي هي
نتيجة التوحيد وثمرة الايمان والتصديق فيقولون نعم فيكشف عن ساق بصيغة المجهول
وقيل على بنا الفاعل قيل معنى كشف الساق زوال الخوف والهول فلا يبقى من كان يسجد
لله من تلقا نفسه اي من نحوها وجهتها مخلصا لا لجهة اتقا الخلق وتعلق الرجا بهم
الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقا اي احترازا من السيف او خوفا
من الناس وريا اي مرايا تعمد مسامعة للخلق الا جعل الله ظهره طبقا واحدا وفي شرح مسلم
الناس وريا اي مراياة ومسامعة للخلق للنووي قوله طبقة واحدة اي صفحة اي صار
فقار ظهره واحدة كالصفحة كلما اراد ان يسجد خر اي سقط على قفاه قال الشيخ والذي
يوضح ما ذكره الامام ابو سليمان ان الدنيا وان كانت دار ابتلا فقد يستحق الجزا في بعض

الاحوال

الاحوال كما قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فكذا الاخرة وان كانت دار جزا فقد
يقع فيها الابتلا اي بالتجلي والسجود ونحوهما بدليل ان القبر هو اول منزل من منازل الاخرة
يجري فيه الابتلا قال ولما كان معنى الخبر كذلك والامر فيه ما اراد صلى الله عليه وسلم
مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة ومشابهة وقال النووي هذا السجود امتحان من
الله تعالى لعباده وقد استدل بهذا وبقوله تعالى يدعون الى السجود فلا يستطيعون
على جواز تكليف ما لا يطاق اقول الاظهر ما قال العسقلاني من ان التحقيق هو ان التكليف
خاص بالدنيا واما ما يقع في القبر وفي الموقف فانما هو من اثار ذلك قال النووي وقد يتوهم
من هذا الحديث ان المنافقين يرون الله تعالى وانما فيه ان الجمع الذي فيهم المومنون
والمنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحنون بالسجود فمن سجد كان مخلصا ومن لم يقدر عليه
كان منافقا وهذا لا يدل على ان المنافقين يرون الله تعالى ثم يضرب اي يجعل ويمد الجسر
بكسر الجيم ويفتح ففي القاموس الجسر الذي يعبر عنه ويكسر والمعنى موضع الصراط
كما في رواية على جهنم اي متنها ووسطها وتحل الشفاعة بكسر الحا وبضم اي يقع
وتوذن فيها ويقولون اي الانبيا والرسل بدليل حديث ابي هريرة بعد هذا اللهم
سلم سلم تكراره مرتين المراد به الكثرة او باعتبار كل واحد من اهل الشفاعة او للالحاح
في الدعا كما هو من ادابه وهو امر مخاطب اي يقول كل نبي امتي اللهم سلم امتي من ضرر
الصراط اللهم اجعلهم سالمين من افاته امنين من مخافاته فيمر المومنون كطرف العين
وفي المصابيح كطرفة العين قال شارح له التا للوحدة يقال طرف طرفا اذا اطبق احد
جفنيه على الاخر وكالبرق وكالريح وكالطير اي بحسب مقاماتهم على قدر حالاتهم من
انواع الجذبة وقوة الطيران وسرعة الجريان المعبر عنه بقوله وكاجاويد الخيل هي جمع
جواد وهو الفرس السابق الجيد كذا في النهاية تجواد نقش من جاد اذا اسرع في السير
وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وقوله والركاب بكسر الرا عطف على الخيل والمراد
بها الابل ولا واحد له من لفظه فناج بالفا للتفريع او التفصيل وقد قسم المارة على الصراط
بطريق الاجمال على ثلاث فرق بحسب مراتبهم في العقيدة والعمل والموفقة والمعنى
فمنهم ناج مسلم بتشديد اللام المفتوحة اي ينجوا من العذاب لا يناله مكروه من ذلك
الباب ومخدوش اي ومنهم مجروح مرسل اي مخلص قال شارح اي الذي يخدش بالكلوب
ثم يرسل الى النار من عصاة اهل الايمان وقوله مرسل اي مطلق من القيد والغل بعد ان
عذب مرة ومكدوس بالسين المهملة اي ومنهم مدفوع في نار جهنم يقال كدس اي دفع من
ورايه فسقط وهم الذين لا منجا ولا ملجا لهم المقضيون بالخلود عليهم كذا قاله شارح وهو
غير صحيح لقوله حتى يخلص المومنون اللهم الا ان يقال قوله فناج عطف على قوله فيمر لا انه تفريع
له والضمير في منهم المقدر راجع الى جميع المارة على الجسر وروي بالشين المعجمة من كدشه
اذا ساقه سوقا شديدا وخدشه وجرحه طرده وروي مكدوش اي ملقي في نار جهنم
قال النووي مكدوس بالسين المهملة هكذا هو في الاصول وكذا نقله القاضي عياض عن اكثر
الرواة قال ورواه العذري بالشين المعجمة ومعناه بالمعجمة السوق الشديد وبالمهملة
كون الاشيا بعضها راكبة على بعض ومنه تكدست الدواب في سيرها اذا ركب بعضها بعضا
وفي النهاية مكدوس في النار اي جمعت يداه ورجلاه والقي فيها قال الطيبي قسم المارة

على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق قسم مسلم فلا يناله شيء اصلا وقسم تخدش ثم يرسل
فيخلص وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم وخدش الجلد قشره بعود حتى اذا خلص
بفتح اللام اي نجا المؤمنون من النار اي من وقوعهم فيها فحتى غاية لمرور البعض على الصراط
وسقوط البعض في النار وقال الطيبي حتى غاية قوله مكدوس في نار جهنم اي يبقى
المكدوس في النار حتى يخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه او بشفاعة احد او بفضله سبحانه
وضع المؤمنون موضع المؤمنون موضع الراجع الى المكدوس اشعارا بالعلية وان صفة
الايمان منافية الخلود من النار فوالذي نفسي بيده جواب اذا ما من احد منكم خطاب
للمؤمنين وقوله باشد خبرما وقوله مناشدة منصوب على التمييز اي اشد مطالبة
ومناظرة وقوله في الحق ظرف للمناشدة وقد تبين لكم صفة للحق لانه في المعنى نكرة اي في
حق تبين ظهر لكم على حكم او حال اما من الضمير في اشد واما من الحق وقال شارح
حال من الحق والتقدير ما من احد منكم باشد مناشدة في حال ان يتبين لكم الامر الحق
وقوله من المؤمنين متعلق باشد اي باشد مناشدة فيكم منكم فوضع المظهر موضع المضمر
وقوله لله متعلق بمناشدة وقوله يوم القيامة ظرف اشد اي بمناشدين والله لاخوانهم
اي لاجل اخوانهم الذين في النار بالشفاعة من الجبار الغفار قال النووي معناه ما منكم من
احد يناشد الله في الدنيا من استيفاء حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه
والمعتدي عليه باشد منكم مناشدة لله تعالى في الشفاعة لاخوانكم يوم القيامة
وقال شارح من علمائنا معناه ما من احد منكم اكثر اجتهادا ومبالغة في طلب الحق حين
ظهر لكم الامر الحق من المؤمنين في طلب خلاص اخوانهم العصاة في النار من النار يوم
القيامة ثم بين مناشدتهم بقوله يقولون ربنا كانوا يصومون معنا اي موافقين
لنا ويصلون اي معنا ويحجون اي على طريقتنا فيقال لهم اخرجوا من عرفتم اي
بهذه الاوصاف فتحرم بفتح الرا المشددة اي فتمنع صورهم اي بغيرها على النار اي
بان تاكلها او تسودها بحيث لا تعرف وجوههم فيعرفهم المؤمنون الشافعون بسيماهم
فيخرجون خلقا كثيرا اي منها ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به اي باخراجه
من ارباب الصيام والصلوة والحج فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار اي
مقدار من خير فاخرجوه في شرح السنة قال القاضي عياض قيل معنى الخير هنا اليقين
قال والصحيح ان معناه شيء زائد على مجرد الايمان لان مجرد الايمان الذي هو التصديق
لا يتجزى وانما يكون هذا التجزي بشيء زائد عليه من عمل صالح او ذكر خفي او عمل من
اعمال القلب من الشفقة على مسكين او خوف من الله تعالى ونية صادقة فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر اي لم نترك فيها اي في جهنم خيرا اي اهل خير قال الطيبي اي من
كان فيه شيء من زيادة الايمان ما زاد بادا ليقين او العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات
كما يوضع العدل موضعه مبالغة اي فيقال رجل عدل واريد به المعنى المصدري
مبالغة على ان المعنى كانه هو بل هو هو مع انه قد يقال ان العدل مصدر بمعنى العادل
او على تقدير مضاف اي صاحب عدل نحو قوله تعالى واسئل القرية والله اعلم فيقول الله
شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق احد اي احد ممن يرحم على احد

الا راحم

الا ارحم الراحمين اي الذي رحمته وسعت كل شيء وان رحمة كل احد في جنب اثر رحمته كلا شيء فيقبض
قبضة اي ما يسع الكف من النار اي من اهلها فيخرج اي الله منها اي من النار او من جهة
تلك القبضة قوما لم يعملوا خيرا قط اي لم يسبق لهم خير زائد على مجرد الايمان قال النووي هم
الذين معهم مجرد الايمان ولم يؤذن فيهم الشفاعة وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب
بالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان وفيه دليل على انه لا ينفع من العمل الا ما حضر له
القلب وصحبته نيته وعلى زيادة الايمان ونقصانه وهو مذهب اهل السنة قلت
المحققون منهم على ان التصديق الذي هو الايمان على التحقيق لا يقبل الزيادة والنقصان
فانما التفاوت في انواره وثمراته ونتائجه من حقائق الايقان ودقائق العرفان
ومراتب الاحسان ومنازل العرفان والله اعلم قد عادوا اي الجملة صفة او حال والمعنى
صاروا حمما بضم ففتح جمع حممة وهي الفحم فيلقيهم اي يامر ابيه بالقائهم او يلقيهم بلا واسطة
في نهر بفتح الهاء ويسكن اي جدول مما كان في افواه الجنة اي في اوائلها وهو جمع فوهة بضم
الفا وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس وافواه الازقة
والانهار اوائلها كذا ذكره الطيبي ويمكن ان يكون الافواه كناية عن ابواب الجنة وهو
الملائم لدخولهم اياها على احسن الهيئة يقال له اي لذلك النهر نهر الحيوة فيخرجون
اي من النهر كما تخرج الحبة بكسر الحا فتشديد الموحدة في حميل السيل بفتح الحا وكسر
الميم اي محموله في شرح السنة الحبة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول التي تنتشر اذا هاجت
ثم اذا مطرت من قابل نبتت قال الكسائي هي حب الرياحين فاما الحنطة ونحوها فهي الحب
والحبة من الحب فبالفتح وحميل السيل هو ما يحمله السيل من غثا وطين فاذا اتفق
فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة وهي اسرع نابتة نبتا قال
النووي وانما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها انتهى فالتشبيه في سرعة
الظهور وقال شارح الحبة بالكسر بزور الصحرا مما ليس بقوت وقال العسقلاني الحبة
بالكسر بذر الصحرا والجمع حبب واما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس والجمع حبوب فيخرجون
كاللؤلؤ اي في البياض والصفا في رقابهم الخواتيم جمع الخاتم والجمع لمقابلة الجمع بالجمع
والمراد هنا علامة تظهر في رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح
لكن اقاله شارح وقال صاحب التحرير المراد بالخواتيم هنا اشيا من ذهب او غيره تعلق
في اعناقهم يعرفون بها فيقول اهل الجنة اي حين راوهم وظهر لهم تلك العلامة هؤلا
عتقا الرحمن ادخلهم اي الله كما في نسخة الجنة بغير عمل اي عملوه على ما في نسخة صحيحة
ولا خير اي من عمل باطن قدموه فيقال لهم لكم الخطاب للعتقا اي لكم ما رايتم اي مقدار
ما بصركم من الجنة ومثله معه او لكم ما رايتم مما في نظركم ومثله معه من الحور والقصور
وقال الطيبي فيه حذف اي فينظرون في الجنة اشيا ينتهي مد بصرهم اليها فيقال
لهم لكم ما رايتم ومثله اقول وفيه ايما الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
اي جنة ظاهرة وجنة باطنة او جنة من جهة العدل وجنة من طريق الفضل متفق
عليه وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله تعالى اي للانبيا او لغيرهم من
الشفعا او للملائكة وهو الاظهر لما سياتي مصرحا في رواية ابي هريرة من كان في قلبه

مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه اي من النار قيل بهذا الحديث يظهر ان من اخرجهم
الرحمن بقبضته كانوا مومنين بلا خير وعمل زايد على الايمان دون الكفار كما يوهمه ظاهر العبارة
هناك فانه مخالف للاجماع فيخرجون بصيغة المجهول قد امتحشوا على بنا الفاعل اي احترقوا
والجملة حالية وقيل بالمفعول فكانه جعل متعديا بمعنى المحش وهو احراق النار الجلد معنى
النهاية المحش احراق الجلد وظهور العظم وفي القاموس امتحش احترق وقال العسقلاني
امتحشوا احترقوا وزنا ومعنى وعند بعضهم بضم المثناة وكسر الحا ولا يعرف في اللغة امتحشه
متعديا وانما سمع لازما مطاوع محشه وقال النووي هو بفتح التا والحا المهملة والشين المعجمة
هكذا هو في الروايات وبه ضبط الخطابي والهروي ونقله القاضي عياض عن شيوخه ومعناه
احرقوا قال القاضي ورواه بعض شيوخنا بضم التا وكسر الحا وقد عادوا حمما فيلقون في
نهر الحيوة فينبتون اي يعود ابدانهم اليهم كما تنبت الحبة في حميل السيل الم تروا اي
الم تبصروا او الم تعلموا انها اي الحبة تخرج اي اولا صفرا اي خضرا ملتوية اي ملفوفة مجتمعة
وقيل منحنية متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر اي ابو هريرة معنى حديث ابي سعيد اي الذي مر
قبل ذلك غير كشف الساق وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو هريرة مرفوعا فيضرب
الصراط اي يمد بين ظهراني جهنم اي بين طرفيها فيوافق رواية على متنها وظهرها وفوقها
فاكون اول من يجوز من الرسل بامته اي المتعدية اي من يجاوزهم عنها ولا يتكلم يومئذ اي
في ذلك المقام الا الرسل قال ابن الملك اراد بقوله يومئذ وقت جواز الصراط وانما فسرناه
بهذا لان ثمة مواطن لا يتكلم فيها الناس قلت لقوله هذا يوم لا ينطقون ولكن هناك مواقف
يتكلم فيها عموم الناس ايضا فالحصر يفيد التقييد بحينئذ وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم
سلم كرر للتاكيد وفي جهنم اي في اطرافها كلاليب بلا صرف لكونه على صيغة منتهى الجموع
جمع كلاب بالضم او كلوب بالفتح وتشديد اللام فيهما وهي حديدة معوجة الراس تخطف بها
او تعلق عليها اللحم ويرسل في التنور او عود في راسه اعوجاج يجر به الجمر مثل شوك
السعدان بفتح فسكون وهو نبت له شوك عظيم ويقال شوك حسك السعدان ويشبه
حلمة الثدي لا يعلم قدر عظمها بكسر ففتح اي عظمة تلك الكلاليب الا الله تخطف اي
تاخذ الكلاليب بسرعة والطا مفتوحة وروي بكسرها والاولى هي الاولى لموافقة القران
الذي هو اللغة الفصحى وقال النووي يروى بفتح الطا وكسرها اي تخطف الناس باعمالهم
اي بسبب اعمالهم القبيحة او بحسب اعمالهم السيئة فمنهم اي من الناس او من العصاة
او من المخطوفين من يوبق اي يهلك ويحبس بعمله اي القبيح من وبق اي هلك واوبقه
غيره ففي النهاية وبق يبق وبوبق فهو وبق اذا هلكوا واوبقه غيره فهو موبق اي مهلك
ومنهم من يخردل بالدال المهملة على صيغة المجهول اي يسرع او يقطع قطعا كالخردلة
ففي النهاية المخردل المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار يقال خردلت
اللحم بالدال والذال اي فصلت اعضاه وقطعتها قال ابن الملك وقيل تقطع الكلاليب
لحمه على الصراط ويخرج اعضاوه ثم ينجوا اي من الوقوع في النار فالكافر يوبق والفاسق
يخردل ثم يتخلص حتى اذا فرغ الله من القضا اي من الحكم بين عباده بما يستحق كل من
اهل عمله واراد ان يخرج من اراد ان يخرجه ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملايكة ان يخرجوا

من كان

من كان يعبد الله اي يوحده ويعرفه بالوحدانية او يعبده على نعت التوحيد فيخرجونهم
ويعرفونهم باثار السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وحرم الله على النار
اي منعها ان تاكل اثر السجود اي من وجوههم او جباههم قال النووي ظاهره ان النار لا
تاكل جميع اعضا السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان وقال القاضي
عياض المراد باثر السجود الجبهة خاصة والمختار الاول قلت ويويد الثاني ما سبق
من القران وما في رواية مسلم الا دارة الوجه وهو المتبادر مما تقدم فتحرم صورهم على النار
فهو المعول فكل ابن ادم اي اثار افعاله من اعضايه تاكله النار الا اثر السجود وهذا
تاكيد لما قبله فيخرجون من النار قد امتحشوا اي احترقوا وقد سبق فيصب عليهم
ما الحيوة وقدمرانهم يلقون في نهر الحيوة ولعل الاختلاف باختلاف الاشخاص فينبتون
كما تنبت الحبة في حميل السيل اي محموله ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار
دخولا تمييز الجنة بالنصب على انه مفعول الدخول مقبل جزاه عطف على اخر او خبر مبتدا
اخر هو مقدر اي متوجه بوجهه قبل النار بكسر القاف وفتح البا اي الى جهتها فيقول يا رب
اصرف وجهي عن النار اي رده عنها فقد قشبني بفتح القاف والشين المعجمة والموحدة
اي اذاني واهلكني ريحها وقيل سمني واهلكني من القشيب وهو السم المهلك وفي المقدمة
اي ملا خياشيمي والقشيب السم ويطلق على الاصابة بكل مكروه وقال الداودي معناه
غير جلدي وصورتي واحرقني ذكاوها بفتح المعجمة والمد وفي نسخة صحيحة ذكاها بالقصر
صحيحة قال النووي هو بالمد وفتح الذال المعجمة كذا وقع في جميع روايات الحديث اي لهبها
واشتعالها وشدة وهجها والاشهر في اللغة مقصورة وقيل ان القصر والمد لغتان
فيقول اي الرب هل عسيت اي يتوقع منك ان افعل ذلك اي بك والاشارة الى صرف
الوجه والجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى وخبرها وهو قوله ان تسال غير ذلك
والمعنى هل يتوقع منك بعد حصول ذلك سوال غيره قال الطيبي فان قلت كيف يصح هذا
من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون قلت معناه انكم يا بني ادم لما عهد منكم من خلوة
الوعد ونقض العهد احقا بان يقال لكم يا هولا ما تدرون هل يتوقع منكم ذلك ام لا وحاصله
ان معنى عسى راجع الى المخاطب لا الى الله تعالى وهو من باب ارخا العنان ويبعث المخاطب
على التفكر في امره وشانه لينصف من نفسه ويذعن للحق فيقول لا اي لا اسالك غيره لكن
وعزتك لا اسالك غير ذلك فيعطي اي الرجل ربه ما شا الله مفعول ثان ليعطي اي ما قدره
وقضاه او ما اراده من عهد وميثاق اي قسم يوثق العهد به ويوكد فيصرف الله وجهه عن
النار فاذا اقبل بصيغة الفاعل وفي نسخة على بنا المفعول به اي بوجهه على الجنة راى
بهجتها اي حسنها وكثرة خيرها سكت كذا في الاصول بلا عاطف في الفعلين هنا والظاهر ان يكون
احدهما جواب اذا والاخر عطف على الشرط او الجزا ولعل توجيهه ان قوله راى بهجتها جملة
حالية على مذهب من يجوزه ولفظ المشارق فاذا اقبل على الجنة وراها سكت ما شا الله ان
يسكت اي سكوته ثم قال يا رب قدمني عند باب الجنة اي الى بابها لكاسيابي فيمكن
ان يكون الطرف حالا مغفورة فيقول الله تبارك وتعالى اليس اي الشان قد اعطيت العهود
والميثاق ان لا تسال غير الذي كنت سالت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك اي لا تجعلني
اشقاهم والمراد بالشقاوة هنا الحرمان اي لا اكون محروما فيقول اي الرب فما عسيت ما

استفهامية اي فهل عسيت ان اعطيت ذلك بصيغة المجهول ان تسال غيره اي غير ذلك فيقول لا وعزتك لا اسالك غير ذلك تاكيد وبيان لقوله لا قبل ذلك وفي نسخة صحيحة لا اسالك غيره ذلك فيعطي اي الرجل به ماشا من عهد وميثاق فيقدمه اي الله الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فراي زهرتها بفتح الزاي طيب العيش فيها والزهرة البياض وزهرة الدنيا نضارتها وما فيها من النضرة اي الحسن والرونق والسرور اي الفرح بما فيها من السرور والقصور وكثرة الحور والتنعم بالحبور فسكت ماشا الله ان يسكت بالفا هنا على ما في جميع نسخ المشكاة قال الطيبي قوله فسكت كذا في صحيح البخاري وأكثر نسخ المصابيح فعلي هذا جواب اذا محذوف والمعنى اذا راي ما راي تحير فسكت ونظيره قوله تعالي وسيق الذين اتقوا ربهم الي الجنة زمرا حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها انتهي وقيل الواو زايدة وتسمي واو الثمانية نحو قوله تعالي ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ابو البقا الواو زايدة عند قوم لان الكلام جواب حتى اذا وليست زايدة عند المحققين والجواب محذوف تقديره اطمانوا ونحو ذلك فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن ادم قال شارح ويلك منصوب على المصدر لا غير ان اضيف وان لم يضف يرفع برفع على الابتدا او ينتصب باضمار الفعل مثل ويل لزيد وويلا لزيد اي اهلكك الله اهلاكا او هلكت هلاكا ما اغدرك بالغين المعجمة والدال المهملة وما فيه للتعجب اي يستحق ان يتعجب منك بكثرة غدرك في عهودك بان لا تسال غير ما سالت ويجوز ان يكون ما للاستفهام والهمزة للمصدرية اي اي شي صيرك غادرا في عهودك وفي نسخة بالعين المهملة والذال المعجمة اي اي شي جعلك في هذا السوال معذورا اليس قد اعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي اعطيت بصيغة المجهول فيقول يارب لا تجعلني اشقى خلقك قال الطيبي فان قلت كيف طابق هذا الجواب قوله اليس قد اعطيت العهود والميثاق قلت كانه قال يارب بلى اعطيت العهود والميثاق ولكن تاملت في كرمك وعفوك ورحمتك وقوله لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فوقفت على اني لست من الكفار الذين ايسوا من رحمتك وطمعت في كرمك وسعة رحمتك فسالت ذلك فكانه تعالي رضي عنه بهذا القول فضحك انتهي وهذا معنى قوله فلا يزال يدعو حتى يضحك الله اي يرضى منه اي من اجل حيله وبسبب كلامه ودعايه فاذا ضحك اذن له في دخول الجنة فيقول تمن امر مخاطب فيتمني حتى اذا انقطع امنيته بضم همز وتشديد تحتية اي مطلوبه ومتمناه قال الله تعالى تمن من كذا وكذا قال المظهر من فيه للبيان يعني تمن من كل جنس ما تشتهي منه قال الطيبي ونحوه يغفر لكم من ذنوبكم ويحتمل ان يكون من زايدة في الاثبات على مذهب الاخفش وقوله اقبل يذكره ربه بدل من الجملة السابقة على سبيل البيان وربه يتنازع فيه العاملان انتهي واقبل بمعنى شرع ويذكره بتشديد الكاف اي يلهمه ويلقنه ربه بما ينبغي ان يساله فيتمني حتى اذا انتهت به الاماني اي انقطعت ولم يبق له امنية قال الله لك ذلك اي مسولك وماموله ومثله معه اي تفضلا عليك وفي رواية ابي سعيد قال الله لك ذلك اي ما تمنيته وعشرة امثاله اي في الكيفية وان كان مثله في الكمية وبهذا ارتفع التدافع ويندفع التمانع والله سبحانه اعلم متفق عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة قال الطيبي الفا يجوز ان تكون تفصيلية ابهم اولا دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخولها

ثانيا فان يكون لتعقيب الاخبار وان تقدم ما بعدها على ما قبلها في الوجود فوقعت موقع ثم وفي هذا المعنى كانه قيل اخبركم عقيب هذا القول حال فهو يمشي قبل دخوله في الجنة مرة ويكبو اي يقع على وجهه اي يقف وقيل يسقط لوجهه مرة اي اخرى وتسفعه النار بفتح الفا اي تحرقه مرة او تجعل على علامة من سواد الوجه وزرقة العين يقال سفع من النار اي علامة منها وسفعت الشي اذا جعلت عليه علامة قال ابن الملك اي تلفحه لفحا يسيرا فيتغير لون بشرته وقيل اي تعلمه علامة اي اثرا منها وفي القاموس لفحه النار كمنعه احرقته وسفع الشي كمنعه اعلمه ووسمه والسموم وجهه لفحه لفحا يسيرا فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك اي تعظم وتعالى او تكاثر خير الذي نجاني منك هذا افرح بما اعطاه من النجاة وقوله لقد اعطاني الله شيا ما اعطاه احدا من الاولين والاخرين جواب قسم محذوف اقسم من الفرح ان نجاته نعمة ما ظفر بها احد من العالمين ولعل وجهه انه ما راي احدا مشاركا له في خروجه من النار ولم يدر ان الابرار في نعيم دار القرار فترفع له شجرة اي عندها عين ماء ما سياتي فيقول اي رب واي في الاصل لندا القريب ويا به للبعيد فتارة ينظر الي قرب الرب من العبد كما قال سبحانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتارة يراعي بعد العبد من الرب كما قيل ما للتراب ورب الارباب ادنني امر من الادنا اي قربني من هذه الشجرة فلاستظل بكسر اللام الاولي ونصب الفعل قال الطيبي الفا سببية واللام مزيدة او بالعكس يعني او الفا مزيدة واللام للعلة ففيه مسامحة لا تخفي بتحقيق الكلام تجريد والمعنى لانتفع بظلها واشرب من مايها فيقول الله يا ابن ادم لعلي ان اعطيتكها اي مسالتك او امنيتك سالتني غيرها هو جواب الشرط وهو دال على خبر لعل فيقول لا يا رب ويعاهده ان لا يساله غيرها وربه يعذره بفتح اليا وبضم اي يجعله معذورا وفي النهاية وقد يكون اعذر بمعني جعله موضع العذر وفي المشارق عذرته واعذرته اي قبلت عذره وفي المصباح عذرته فيما صنع عذرا من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور واعذرته بالالف لغة واعتذر اليه طلب قبول معذرته واعتذر عن فعله اظهر عذره لانه اي العبد يري ما لا صبر له عليه كذا في الاصول في المرتين الاوليين وكذا في الثالثة في بعض الاصول وفي اكثرها عليها بتا ويل ما بالنعمة وعلي بمعنى عن كذا في شرح مسلم للنووي وقرره السيوطي في حاشيته على مسلم فيدنيه منها اي فيقربه من الشجرة فيستظل بظلها ويشرب من مايها ثم يرفع له شجرة اي اخرى هي احسن من الاولي لانه اراد له الترقي من الادنى الي الاعلى فيقول اي رب ادنني من هذه الشجرة لاشرب من مايها واستظل بظلها افراد واطلق الجمع لان الظاهر ان الاستراحة بظلها قبل الشرب من مايها لا اسالك غيرها قال الطيبي هو حال تنازع فيه استظل واشرب فيقول يا ابن ادم الم تعاهدني ان لا تسالني غيرها فيقول اي رب لعلي ان ادنيتك منها تسالني بالرفع اي تطلبني غيرها فيعاهده ان لا يساله غيرها وربه يعذره لانه يري ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مايها ثم ترفع له شجرة اي ثالثة عند باب الجنة هي احسن من الاوليين فيقول اي رب ادنني من هذه فلاستظل بظلها واشرب من مايها لا اسالك غيرها فيقول يا ابن ادم الم تعاهدني ان لا تسالني غيرها قال بلى يا رب هذه منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده اي هذه اسالك لا اسالك غيرها حال او استيناف وربه يعذره لانه يري ما لا صبر

له عليه وفي بعض النسخ عليها وقد سبق الكلام عليها فيدنيه منها فاذا ادناه سمع اصوات اهل الجنة
اي في مصاحبتهم مع ازواجهم ومحاورتهم مع اصحابهم فاراد الاستيناس بهم او في غنايهم فاراد
التفرج لبتلذذ بانغامهم فيقول يا رب ادخلنيها فيقول يا ابن ادم ما يصريني منك بفتح التا وسكون
الصاد المهملة قال صاحب النهاية وفي رواية ما يصريك مني اي ما يقطع مسالتك ويمنعك
من سوالي يقال صريت الشي اذا قطعته وصريت الما جمعته وحبسته انتهى والمعنى قد
كررت سوالك مع معاهدتك ان لا تسال فما ذا يقطع سوالك عني ويرضيك قال التوربشتي
صرى عنه شره اي دفع وصريته منفعته وصريت ما بينهم صريا اي فصلت يقال اختصما الى
الحاكم فصرى ما بيننا اي قطع ما بيننا وفصل وحسن ان يقال ما يفصل بيني وبينك اي
ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك والمعنى اني اجبتك الى مسالتك كرة بعد اخرى
واخذت ميثاقك ان لا تعود ولا تسال غيره وانت لا تفي بذلك فما الذي يفصل بيني وبينك
في هذه القضية ويكون على وجه المجاز والاتساع والمبتغى منه التوفيق على فضل الله ورحمته
وكرمه وبره بعباده حتى انه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سايله على الاستزادة
قال وفي كتاب المصابيح ما يصريني منك وهو غلط والصواب ما يصريك مني كذا رواه
المتقنون من اهل الرواية قال المظهر يمكن ان يحمل على القلب فاصله ما يصريك مني وقلب
للعلم به فالقلب شايع في كلامهم دايب في استعمالهم قال الطيبي الرواية صحيحة والمعنى صحيح
على سبيل الكناية قال النووي ما يصريني منك بفتح اليا واسكان الصاد المهملة كذا في
صحيح مسلم وروي في غير مسلم ما يصريك مني قال ابراهيم الحربي هو الصواب وانكر
الرواية التي في صحيح مسلم وغيره وليس كما قال بل كلاهما صحيح فان السايل مع انقطع من
المسوول انقطع المسوول منه والمعنى اي شي يرضيك ويقطع السوال بيني وبينك
ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها معها قال اي رب اتستهزي مني اي تجعلني محل الاستهزا
به وانت رب العالمين والجملة حالية والاستهزا بالشي اذا اسند الى الله تعالى يراد انزال الهوان
عليه واحلاله اياه بمحل المستهزا به كذا ذكره شارح وفي شرح مسلم للنووي هذا وارد من السوال
على سبيل الفرح والاستبشار قال القاضي عياض هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما نال
من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشة وفرحا وجرى على عادته في
الدنيا في مخاطبته المخلوق ونحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته
من شدة الفرح انت عبدي وانا ربك انتهى وتوضيحه ما ذكره ابن الملك ان قيل كيف صدر
منه هذا القول بعد كشف الغطا واستوا العالم والجاهل في معرفة الله فيما يجوز على الله وما
لا يجوز قلنا مثابة هذا الكلام مثابة العالم العارف الذي يستولي عليه الفرح بما اتاه الله
فيزل لسانه من شدة الفرح كما اخطا في القول من ضلت راحلته بارض فلاة عليها طعامه وشرابه
وايس منها ثم بعد ما وجدها واخذ بخطامها قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك
فضحك ابن مسعود فقال الا تسالوني بتشديد النون وتخفف مم اضحك
اي من اي شي اضحك فقالوا مم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا مم تضحك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ضحك رب العالمين حين قال له
اتستهزي مني وانت رب العالمين قال التوربشتي الضحك من الله ومن رسوله صلى
الله عليه وسلم وان كانا متفقين في اللفظ فانهما متباينان في المعنى وذلك ان الضحك

من الله

من الله سبحانه يحمل على كمال الرضى من العبد وارادة الخير من يشا من عباده ان يرحمه
وقال القاضي وانما ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجابا وسرورا بما راى من كمال
رحمة الله ولطفه على عبده المذنب وكمال الرضا عنه وانما ضحك ابن مسعود فكان اقتدا بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت الظاهر انه
لاحظ المعنى الموجب للضحك لانه مجرد تقليد وحكاية لفعله صلى الله عليه وسلم فانه ليس
امرا اختياريا ولا يصدر من غير باعث من قول عجيب او فعل غريب فيقول اني لا استهزي
منك ولكني على ما اشا قادر وفي نسخة قدير قال الطيبي فان قلت مم استدركه قلت عن
مقدر فانه تعالى لما قال له ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها معها فاستبعده العبد لما راى
انه ليس اهلا لذلك وقال اتستهزي بي قال سبحانه وتعالى نعم كنت لست اهلا له لكني
جعلتك اهلا لها واعطيك ما استبعدته لاني على ما اشا قدير رواه مسلم اي عن ابن
مسعود وفي رواية له اي لمسلم عن ابي سعيد نحوه اي نحو المروي عن ابن مسعود
الا انه اي ابا سعيد لم يذكر فيقول يا ابن ادم ما يصريني منك الى اخر الحديث وزاد
اي نقص من الحديث وزاد فيه ويذكره الله بالتشديد اي يعلمه سل كذا وكذا حتى
اذا انقطعت به الاماني قال الله هو لك وعشرة امثاله قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل
اي العبد بيته اي قصره فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين قال النووي زوجتاه
بالتا تثنية زوجته هكذا اثبت في الرواية والاصول وهي لغة صحيحة معروفة فتقولان
الحمد لله الذي احياك لنا واحيانا لك اي خلقك لنا وخلقنا لك ووضع احيا موضع خلق
اشعارا بالخلود وانه تعالى جمع بينهما في هذه الدار التي لا موت فيها وانما دائمة السرور
والحيوة قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول
اي الصب ما اعطي احد مثل ما اعطيت اي بعد اطلاعه على عطا غيره والله اعلم وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن اي والله ليدركن وليمسن اقواما سفع
من النار بفتح فسكون اي سواد من سفع النار او علامة منها كذا في المقدمة وقيل احراق
قليل منها بذنوب اي بسببها وقوله اصابوها صفة ذنوب وقوله عقوبة مفعول له ثم
يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته كذا في اصل السيد وبعض النسخ وفي بعضها بفضل رحمته
فيقال لهم الجهنميون قال الطيبي ليست التسمية بها تنقيصا لهم بل استذكارا ليزدادوا
فرحا الى فرح وابتهاجا الى ابتهاج وليكون ذلك علما لكونهم عتقا الله تعالى رواه البخاري
وكذا ابو داود والترمذي وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج قوم وفي نسخة اقوام من النار بشفاعة محمد وفي نسخة صلى الله عليه وسلم فيدخلون
الجنة بصيغة المفعول وقيل بالفاعل ويسمون الجهنميين وفي المصابيح الجهنميون
قال شارح له الرواية بالواو وحقه اليا لانه مفعول يسمون ويحتمل ان يكون الجهنميون
بالواو علما لهم فلم يغير رواه البخاري وكذا ابو داود والترمذي وابن ماجة وعن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار
خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا اي فيها والظاهر انهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح ولا يبعد
ان يكون احترازا عما عسى ان يتوهم من حبس احد في الموقف من اهل الجنة ثم والله اعلم رجل
يخرج من النار حبوا او مصدر من حبا الصبي اذا مشى على اربع او دب على استه اي زحفا

حال مح

كما في رواية فيقول الله اي له اذهب فادخل الجنة فياتيها اي فيجي قريبا منها او فيدخلها فيخيل اليه
من تصوره تعالى انها اي الجنة ملاى تانيث فيقول اي رب وجدتها ملاى يعني وليس لي مكان
فيها فيقول اذهب فادخل الجنة المراد بها جنسها او جنة بخصوصها فان لك مثل الدنيا اي في سعتها
وقيمتها وعشرة امثالها اي زيادة عليها في الكمية والكيفية وفيه ايما الى قوله تعالى من جا بالحسنة
فله عشر امثالها فالمومن حيث ترك الدنيا وهي صارت كالحبس في حقه جوزي بمثلها عددا
وباضعافها فضلا فيقول اتسخر بفتح الخا اي اتستهزي مني او تضحك مني شك من الراوي وانت
الملك اي والحال انت الملك القدوس الجليل فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى
بدت اي ظهرت نواجذه اي اواخر اسنانه وكان يقال الظاهر ان هذا الكلام عمران او من بعده من الرواة فالمعنى
وكان يقول الصحابة او السلف ذلك ادنى اهل الجنة منزلة متفق عليه وعن ابي ذر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة اي فيها واخر اهل النار خروجا منها
رجل يوتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا بكسر الهمزة اي اظهروا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها
اي بمحوها او باخفائها فعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا اي في الوقت الفلاني كذا
وكذا اي من عمل السيئات وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا اي من ترك الطاعات فيقول نعم اي قد
كان منها او بعدها جميعا لا يستطيع ان ينكر اي شيا منها استيناف او حال وهو اي الرجل مشفق اي
خائف من كبار ذنوبه ان تعرض اي تلك الكبائر عليه لان العذاب المترتب عليها اكبر واكثر فيقال له فان
لك مكان كل سيئة حسنة وهو اما لكونه تائبا الى الله وقد قال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لكن يشكل بانه كيف يكون اخر اهل النار خروجا ويمكن ان يقال
فعل بعد التوبة ذنوبا استحق بها العقاب واما وقع التبديل له من باب الفضل من رب الارباب والتاني
اظهر ويويده انه رجع بطمعه في كرم الله سبحانه فيقول رب قد عملت اشيا اي من الكبائر لا اراها هنا
اي في الصحائف او في مقام التبديل ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت
نواجذه رواه مسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار اربعة قال
ابن الملك هم الاخرون منها فيعرضون على الله ثم يومر بهم الى النار فيلتفت احدهم فيقول اي رب لقد كنت
ارجو اذا اخرجتني منها ان لا تعيدني فيها قال فينجيه بالتخفيف ويشدد اي فيخلصه الله منها
رواه مسلم قال الطيبي ولعل هذا الخروج والله اعلم بعد الورود المعني بقوله تعالى وان منكم
الا واردها وقيل معنى الا واردها وقيل معنى الورود المعني بقوله تعالى وان منكم الا واردها وقيل
معنى الا واردها وقيل معنى الورود الدخول فيها وهي خامدة فيعبرها المومن وتنهار
بغيرهم واليه الاشارة بقوله في الحديث الذي يليه وهو قوله وعن ابي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على
قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت منهم في الدنيا فذكر من الاربعة
واحدا وحكم عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتمادا على المذكور لان العلة متحدة في الاخراج من
النار والنجاة منها ولان الكافر لا خروج له البتة فيدخل مرة اخرى ولهذا قال حتى اذا هذبوا
ونقوا اذن لهم في دخول الجنة قال ونحوه في الاسلوب وهو ان يراد اشيا ويذكر بعضها ويترك
بعضها قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا جمع الايات وفصلها بالتي
احديها قوله مقام ابرهيم وثانيها ومن دخله كان امنا الكشاف ذكرها تان الايتان وطوي
عن ذكر غيرها دلالة على تكاثر الايات ونحوه في طي الذكر قول جرير

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم · من العبيد وثلث من مواليها
هذا او ضبط قوله يخلص المومنون بصيغة المجهول مخففا من الاخلاص وفي نسخة بالتشديد
من التخليص وفي اخرى بفتح اليا وضم اللام من الخلاص خلص سلم ونجا ثم المراد بالقنطرة الصراط
الممدود والمظالم جمع مظلمة بكسر اللام وهي ما تطلبه عند الظالم مما اخذه منك وقوله ونقوا من
التنقية عطف تفسير لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب فوالذي نفس محمد بيده
لاحدهم اي من اهل الجنة اهدى بمنزله اي اليه فان البا تاتي بمعنى الى على ما في القاموس
كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي فالمعنى اعرف واكثر هداية اي منزلة في الجنة منه
بمنزله كان له في الدنيا وقال الطيبي هدى لا يتعدى بالبا بل باللام والى فالوجه ان يضمن
معنى اللصوق اي الصق بمنزله هاديا اليه وفي معناه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم
تجري من تحتهم الانهار اي يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة فجعل تجري
من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها رواه البخاري
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد
الجنة الا اري بصيغة المجهول من الاراءة وقوله مقعده بالنصب مفعولا ثانيا له وقوله
من النار بيان للمقعد لو اسا اي لو اسا العمل وعصى ربه فرضا وتقديرا كان ذلك مقعده
ليزداد شكرا علة لاري ويحتمل ان يكون الاراءة في القبر على ما يشهد له بعض الاحاديث
ويحتمل ان يكون يوم القيامة على ما هو الظاهر المتبادر من هذا الحديث والله اعلم ولا يدخل
النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن اي العمل والجواب مقدر على ما سبق او لو
في الموضعين للتمني ليكون اي الاراءة ولكونه مصدرا ذكر فعله حسرة بالنصب على الخبرية
وفي نسخة بالرفع على ان كان تامة اي ليقع عليه حسرة وندامة وملامة يوم القيامة رواه
البخاري وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جي بالموت اي احضر به وورد في رواية يوتى به على
صورة كبش املح ليتيقنوا غاية اليقين والعرفان حتى يجعل اي واقفا بين الجنة والنار
ثم يذبح قال العسقلاني والحكمة فيه الاشارة الى انه حصل لهم الفدا كما فدي به ولد ابرهيم
بالكبش وفي الاملح اشارة الى صفتي اهل الجنة والنار لان الاملح ما فيه بياض وسواد ثم
ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت اي ابدا بل خلود بلا موت كما في رواية ويا اهل النار لا موت
فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم بضم الحا وسكون الزاي
ويجوز فتحهما وبهما قرئ في السبعة قال التوربشتي المراد منه انه يمثل لهم على المثال الذي ذكره
في غير هذه الرواية يوتى بالموت له عين الحديث وذلك ليشاهدوه باعينهم فضلا ان
يدركوه ببصايرهم والمعاني اذا ارتفعت عن مدارك الافهام واستعلت عن معارج النفوس
لكبر شانها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى يتصور في القلوب وتستقر في النفوس
ثم ان المعاني في الدار الاخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه الدار الفانية واما اذا احببنا
ان نبوء الاقدام في سبيل لا معلم بها لاحد من الانام فاكتفينا بالمروي عن الامام متفق عليه الفصل
الثاني عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضي من عدن بفتحتين وهو ينصرف
ولا ينصرف اخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند الى عمان البلقا بضم العين المهملة وتشديد الميم
وغاف ممدودة قال الطيبي عمان مدينة بالشام وفي شرح السنة موضع بالشام وبضم العين

وقف لله عز وجل

وتخفيف الميم موضع بالبحرين قلت لكن الاصول المعتبرة والنسخ المصححة اجتمعت على الضبط الاول
فهو المعول ثم الاظهر ان البلقا مدينة بالشام وعمان موضع بها وانما اضيف لقربه اليها على ما اشار
اليه العسقلاني والمعنى مقدار سعة حوضي في العقبى كما بين الموضعين في الدنيا ثم اعلم ان اختلاف
الاحاديث في تقدير الحوض كحديث انس ما بين ايلة وصنعا وحديث ابن عمر كما بين جربا واذرح
وحديث ابن عمر ومسيرة شهرين وحديث حارثة بن وهب كما بين صنعا والمدينة ونحو
ذلك مبني على ان المقصود تصوير كثرة طوله وعرضه لا تعيين قدره بعينه وحصره فورد الحديث
في كل مقام بما يوافق ادراك السامع في المرام ولا يبعد ان يختلف باختلاف مذهب الناظرين وسعة
الواردين بحسب سعة صدورهم وحذاقة بصرهم كاختلاف وسعة القبر ومنازل الجنة بالنسبة الى
السالكين والله اعلم ماؤه اشد بياضا من اللبن فيه ايما الى ان البياض هو اللون المحبوب خلافا
لما اختاره بعض من الملونة الاصفر بمقتضى طبعه المقلوب واغرب منه انهم يسكنون الى تغير شفقة نسائهم
المحمرة الى لون السواد مع انه مما يعم الفواد ويورث الفوار والكباد واحلى من العسل اي انه منه مع ما فيه من
الشفا للعباد وفيه اشعار الى مرتبة شربة الحلاوة من الحرارة مع قطع النظر عما يترتب على شربها من الفساد
واكوابه جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له على ما في الشرح او لا خرطوم له على ما في القاموس عدد نجوم
السما بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي عدد اكوابه عدد نجوم السما من شرب منه شربة لم يظما بعدها
ابدا فيه ايما الى تفاوت مراتب الشاربين واختلاف رفع ظما الواردين اول الناس ورودا اي عليه فقرا المهاجرين
اي لتعطشهم الظاهري والمعنوي وقد قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة وعلى قياسه
اظماكم وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية والمراد من المهاجرين الذين هاجروا من
مكة الى المدينة وهو صلى الله عليه وسلم سيدهم وفي مقامهم كل من هاجر من وطنه الاصلي الى الله سبحانه واختار
الفقر على الغنى والخمول على الشهرة وزهد في تحصيل المال والجاه واشتغل بالعلم والعمل في رضا مولاه
الشعث بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة جمع اشعث بالمثلثة اي المتفرق الشعر رؤسا تمييز
والراس قد يتناول الوجه فدخل اللحية في شعر الراس من هذا الوجه الدنس بضم الدال والنون
وقد يسكن جمع الدنس وهو الوسخ ثيابا الذين لا ينكحون بصيغة المجهول اي لا يزوجون لو خطبوا
المتنعمات بكسر العين وفي نسخة بفتح اليا وكسر الكاف اي الذين لا يتزوجون المتنعمات لتركهم
الشهوات وزهدهم في اللذات ولا يفتح لهم السدد بضم السين وفتح الدال الاولى المهملتين
جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك لان المدخل يسد به والمعنى لو وقفوا على باب ارباب
الدنيا فرضا وتقديرا لا يفتح لهم ولا يبشون بهم وهو كناية عن عدم الالتفات اليهم في الضيافة
وانواع الدعوة حيث لم يدعوهم الى مقامهم ولم يتبركوا باقدامهم رواه احمد والترمذي وابن ماجة
وكذا الحاكم وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فقال ما انتم اي ايها الصحابة الحاضرون جزء بالرفع في اصل السيد وكثير من
النسخ وفي نسخة بالنصب من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قال ابن الملك يجوز نصب جزء على لغة اهل
الحجاز باعمال ما واجرائه مجرى ليس ويجوز رفعه على لغة بني تميم يريد به كثرة من امن به وصدقه
من الانس والجن قيل كم كنتم يومئذ كم الاستفهامية محلها نصب على انه خبر كان اي كم رجلا او عددا
كنتم حين اذ كنتم معه في السفر قال اي زيد بن ارقم سبعمائة بالنصب اي كنا وفي نسخة بالرفع اي
عددنا سبعمائة او ثمانمائة يحتمل الشك من الراوي عن زيد ويحتمل ان يكون بمعنى بل ويحتمل
التردد من زيد كما هو مقرر في باب التخمين والمراد ان العدد ما بينهما لا ينقص عن الاول ولا يزيد

على الثاني والله اعلم رواه ابو داود وعن سمرة اي ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي
حوضا اي يشرب امته من حوضه وانهم اي الانبيا ليتباهون بفتح الها اي يتفاخرون ايهم اكثر
وارده اي ناظرين ايهم اكثر امة منه وارده ذكره الطيبي وقيل ايهم موصولة صدر صلتها محذوف او
مبتدا وخبر كما تقول يتباهى العلما ايهم اكثر علما اي قائلين واني لارجو ان اكون اكثرهم وارده ولعل
هذا الرجا قبل ان يعلم انه يعلم ثمانون صفا وباقي الامم اربعون في الجنة على ما سبق ثم الحوض على حقيقته
لا متبادر منه على ما في المعتمد في المعتقد واغرب الطيبي حيث قال يجوز ان يحمل على ظاهره فيدل
على ان لكل نبي حوضا وان يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى ونحوه ومنبري على حوضي يحتمل
وجه واليه يلمح قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تبعا يوم القيامة فان
هذا المعنى لا ينافي في الحوض الحسي الذي هو مبني على مراتب الواردة بقدر اخذ الفيض من العلم
والهدى الذي حصل لهم من جهة انبيائهم بل اقول لا بد من التفاوت بين ما لكل حوض في الصفا
والروا واللذة والكثرة بحسب اختلاف مذهبهم فهو على منوال فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن انس رضي الله عنه
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة اي الشفاعة الخاصة من بين
هذه الامة دون الشفاعة العامة فقال انا فاعل قلت يا رسول الله فاين اطلبك قال اطلبني
اي في موطن من المواطن التي احتاج الى شفاعتك اطلبك لتخلصني من تلك الورطة فاجاب
على الصراط وعند الميزان والحوض اي افقر اوقات الى شفاعتي هذه المواطن فان قلت كيف
التوفيق بين هذا الحديث وحديث عايشة في الفصل الثاني من باب الحساب فهل تذكرون
اهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم اما في الثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا قلت جوابه
لعايشة بذلك لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابه لانس كيلا
ييأس اقول فيه انه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو محل الاتكال ايضا مع ان الياس
غير ملايم لها ايضا فالاوجه ان يقال ان الحديث الاول محمول على الغالب فلا احد يذكر
احدا من اهله الغيب والحديث الثاني محمول على من حضره من امته فيؤول بان بين عدم التذكر
وبين وجود الشفاعة عند التخلص كما يدل عليه قوله فاين اطلبك قال اطلبني اي
اول ما تطلبني اي في اول طلبك اياي على الصراط فما مصدرية واول نصب على الظرفية قال
الطيبي نصبه على المصدر قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني
لا اخطي بضم همز وكسر الطا بعدها همز اي لا اتجاوز هذه الثلاثة اي البقاع وفي نسخة
هذه الثلاث بالتاي المواطن والمعنى لا اتجاوزهن ولا احد يفقدني فيهن
جميعهن فلا بد ان تلقاني في موضع وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط لما
سياتي في حديث الباب ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان كادوا يردون ويذهب
بهم الى النار ووجه الاشكال ان الذي يمر على الصراط الى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف
يرد اليها ويمكن ان يحمل على انهم يقربون من الحوض بحيث يرونه فيدفعون في النار
قبل ان يخلصوا من الصراط كذا حققه الشيخ ابن حجر العسقلاني رواه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قيل له ما المقام المحمود اي الذي وعدته في قوله تعالى عسى ان يبعثك

ووقف ــــــــ لله عز وجل

ربك مقاما محمودا قال ذلك يوم بالرفع والتنوين على الرواية الصحيحة على ما صرح به جمع من
علمائنا ويجوز فتحه وهو خبر ذلك على التقديرين اما على الثاني فظاهر واما على الاول
فتقديره ذلك اليوم الذي ابلغ فيه المقام المحمود يوم ينزل الله تعالى على كرسيه يمكن ان
يكون كناية عن حكمه بالعدل في يوم الفصل قبل اظهار الفضل المتوقف على شفاعته صلى الله
عليه وسلم اشعارا بمزيد فضله على خلقه فكما انه لولاه اولا لما خلق الافلاك ولا وجد الاملاك
فكذا لولاه اخرا لوقع الانام في الهلاك فهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو مظهر الكل
المعبر فيه بانه مظهر الجامع المسمى بالله وقيل هذا على طريقة الاستعارة التمثيلية
كما اشار اليه القاضي بقوله مثل التجلي لعباده بنعت العظمة والكبريا والاقبال عليهم
بالعدل والقضا ووفا الموعود منهم على حسب مراتبهم وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم
بنزول السلطان من غرف القصر الى صدر الدار وجلوسه على كرسي الملك للحكومة والفصل
واقامة خواصه واهل كرامته حواليه قداما وورا ويمينا وشمالا على تفاوت مراتبهم لديه
وقيل معنى نزول الله تعالى على كرسيه ظهور مملكته وحكمته محسوسا وقيل معناه التجلي
له بنعت العظمة والاقبال بوصف الكبريا في اليوم الموعود حتى يتضايق من احتمال ما قد
غشيه من ذلك وهذا لم يبعد عن الحق لما في كشف الحجاب من معنى النزول عن معارج
الجلال الى مدارج الجمال فيئط بكسر الهمزة وتشديد الطا اي يصوت الكرسي كما يئط
الرحل اي الاكاف الجديد اي لسبب ركوب راكبه اذا كان عظيما قال الطيبي وهو مبالغة
وتصوير لعظمة التجلي على طريق الترشيح من تضايقه متعلق بقوله فيئط اي من
عدم اتساع الكرسي بالله تعالى كذا قاله شارح وقيل اي من تضايق الكرسي
بملائكة الله وهذا تمثيل عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه وهو كسعة
ما بين السما والارض بفتح سين سعة وبكسرها في نسخة بسعة ما بين السما والارض
ففي القاموس وسعه الشي بالكسر سعة كدعة ودية وفي المغرب
يقال وسع الشي المكان ومعناه وسعه المكان وذلك اذا لم يضق عنه والجملة حال والضمير
راجع الى الكرسي اي والحال ان الكرسي يسع ما بين السما والارض اشارة الى قوله تعالى
وسع كرسيه السموات والارض لكن جا في الحديث ان الارض بجنب السما كحلقة في فلاة
وكذا السما بالنسبة الى ما فوقها والسموات السبع والارضين عند الكرسي كحلقة
في فلاة وكذا هو في جنب العرش قال الطيبي قوله وهو يسعه حال او معترضة حتى
دفعا لتوهم من يتوهم ان اطيط الكرسي للضيق بسبب تشبيه بالرحل في الاطيط
ويجا بكم حفاة عراة غرلا اي مختونين في هذه الحالات فيكون اول من يكسى ابراهيم
برفعه وبنصب اول وفي نسخة بعكسه قال الطيبي فعلى الاول فيه تقديم وتاخير
كقوله تعالى ان خير من استاجرت القوي الامين يقول الله تعالى اكسوا خليلي في بيان اكسوا
بضم الهمزة والسين امر للملائكة اي البسوا خليلي فيوتى بريطتين بيضاوين من رياط
الجنة بكسر الرا جمع ريطة بفتحها وهي الملاءة الرقيقة اللينة من الكتان التي لا تكون
لفقتين بل يكون قطعة واحدة يوتى بهما من الشام ثم اكسى بصيغة المفعول اي
البس انا على اثره بفتحتين وبكسر فسكون اي عقب ابراهيم وبعده ثم اقوم عن يمين
الله اي قيام كرامته مقاما يغبطني بكسر الموحدة اي يتمناه الاولون والاخرون

فان قيل

فان قيل كيف وجه المطابقة بين السوال والجواب اجيب بان الدال على الجواب هو قوله ثم اقوم عن يمين
الله لكنه صلى الله عليه وسلم ذكر اولا الوقت الذي يكون فيه المقام المحمود ووصفه بما يكون فيه من الاهوال
ليكون اعظم في النفوس موقعا ثم اشار الى الجواب بقوله ثم اقوم عن يمين الله وحاصل الجواب ان
المقام المحمود هو المقام الذي اقوم فيه عن يمين الله يوم القيامة قال الطيبي وفي الحديث دلالة ظاهرة
على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على ما سوى الله تعالى من الموجودات وحيازته قصب السبق من بين
السابق واللاحق من الملائكة والثقلين وكفى بالشاهد شهيدا على ان الملك الاعظم اذا قرب سرادق الجلال
لقضا شيون العباد وجمع اساطين دولته واشراف مملكته وجلس على سرير ملكه لا يخفى ان يكون عن
يمينه هو اولى القرب واما كسوة ابراهيم عليه السلام قبله صلى الله عليه وسلم فلا يدل على تفضيله عليه
بل على فضله وانه انما قدم كسوته مثل من يغبط الاولون والاخرون اظهارا لفضله وكرامته ومكانته
ونحو قوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم اوحينا اليك الاية الكشاف في
ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف
ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل
انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله تعالى عليه بها انتهى وقيل
لا يلزم منه الفضيلة المطلقة ويمكن ان يقال لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك على القول بان
المتكلم لا يدخل تحت خطابه قلت هذا غفلة من القائل عن تصريح قوله ثم اكسى على اثره قيل
ويمكن ان يقال بان نبينا صلى الله عليه وسلم انما جي به كاسيا وانما كسي ثانيا للكرامة بخلاف
غيره فانه كسي للعري اقول وهذا مستبعد جدا بل الظاهر انهم يبعثون عراة ثم تخلق لهم
اكفانهم فيلبسونها ثم تخلع الله تعالى على من يشا من عباده ولما كان الخليل افضل الانبيا عليهم
السلام ابتدي به ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ختم به واقيم عن يمين الرحمن مع
انه قد يكون الامر ترقيا على ان ابراهيم كان جده عليه السلام ومتبوعه في بعض المقام مع مراعاة
كونه اول من عري في ذات الله حين ارادوا القاه في النار فيما ذكرنا امتاز الخليل عن ساير الانبيا
باعطا الخلعة على طريقة الابتدا وتبين مقام نبينا صلى الله عليه وسلم في الانتها والله سبحانه اعلم رواه
الدارمي وعن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار المومنين بكسر
الشين المعجمة اي علامتهم التي يتعارفون بها مقتديا بالملامة برسولهم قولهم يوم القيامة على الصراط
رب سلم سلم والتكرار للالحاح والمراد به التكثير ويمكن ان يكون شعار المومنين قول الانبيا
في حقهم هذا الدعا ويويده ما رواه الطبراني عن ابن عمر وشعار امتي اذا حملوا على الصراط يا لا اله
الا انت ويمكن الجمع بان هذا من خصوصيات هذه الامة والاول لسائر الامم والاظهر ان قوله رب
سلم سلم انما هو من شعار المومنين الكاملين من العلما العاملين والشهدا الصالحين ممن لهم
مقام الشفاعة تبعا للانبيا والمرسلين رواه الترمذي وكذا الحاكم وقال اي الترمذي هذا حديث
غريب وروى ابن مردويه عن عايشة مرفوعا شعار المومنين يوم القيامة في ظلم القيامة لا اله
مطلب
الا انت وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شفاعتي لاهل الكباير من امتي اي شفاعتي في العفو
عن الكباير مختصة خاصة دون غيرهم من الامم وقال الطيبي اي شفاعتي التي تنجي الهالكين مختصة
باهل الكباير وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة
عقلا ووجوبا سمعا بصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا وقد جات في الاثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة واجمع السلف

الصلحا ومن بعدهم من اهل السنة عليها وصنفت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا لمذاهبهم في
تخليد المومنين في النار بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله سبحانه ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع واجيب بان الايتين في الكفار والمراد بالظلم الشرك واما تاويلهم احاديث الشفاعة بكونها
في زيادة الدرجات فباطل والفاظ الاحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم واخراج من
استوجب النار قلت ومنه هذا الحديث حيث لا معنى لزيادة الدرجات في الجنة لاصحاب الكبائر
الذين هم على زعمهم من اهل الخلود في النار قال والشفاعة خمسة اقسام اولها مختصة بنبينا صلى
الله عليه وسلم وهي الاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب الثانية في ادخال قوم الجنة بغير
حساب وهذه ايضا وردت في نبينا صلى الله عليه وسلم الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار
فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شا الله تعالى الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فقد
جاءت الاحاديث باخراجهم من النار بشفاعة نبينا والملايكة واخوانهم من المومنين ثم يخرج الله
تعالى كل من قال لا اله الا الله الخامسة الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وهذه لا ينكرها
ايضا رواه الترمذي وابو داود اي عن انس ورواه ابن ماجة عن جابر وفي الجامع رواه احمد وابو
داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن انس ورواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن
جابر ورواه الطبراني عن ابن عباس والخطيب عن ابن عمر وعن كعب بن عجرة وفي رواية للخطيب عن
ابي الدردا شفاعتي لاهل الذنوب من امتي وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدردا وفي رواية
له عن علي شفاعتي لامتي من احب اهل بيتي وروى ابو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن عوف شفاعتي
مباحة الا لمن سب اصحابي وروى ابن منيع عن زيد بن ارقم وبضعة عشر من الصحابة ولفظ شفاعتي
يوم القيامة حق فمن لم يومن بها لم يكن من اهلها وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني ات اي ملك عظيم من عند ربي فخيرني اي ربي والملك بين ان يدخل بفتح اليا وضم الخا
على ما في الاصول المعتمدة وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول وفي اخرى بضم اوله وكسر الخا على ان الفاعل
هو الله او الملك مجازا فقوله نصف امتي مرفوع على الاولين ومنصوب على الثالثة وقوله الجنة بالنصب
على انه مفعول ثان بحل من الروايات وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة اي لامتي الاجابة الكرم
لينا وهي لشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيا واعلم انه نقل عن نسخة السيد جمال الدين المحدث
ان تدخل بالتا المثناة من فوق على بنا الفاعل من الثلاثي المجرد ونصف بالرفع فيحتاج الي تكلف بل الي
تعسف وهو ان يقال كتسب التانيث من المضاف اليه وضبط بالجر ايضا يدخل من باب الافعال
على البنا للفاعل مخاطبا ويرده قوله نصف امتي والقول بالالتفات في مثل هذا احمالا يلتفت اليه
رواه الترمذي وابن ماجة وكذا ابن حبان عن عوف ورواه احمد عن ابي موسى وعن
عبد الله بن ابي الجدعا بفتح الجيم وسكون الدال كذا في جامع الاصول وهكذا في النسخ المعتمدة
وايضا نسب الي العسقلاني لكنه في نسخة السيد بالذال المعجمة ويويده ما في التقريب من
انه بجيم مفتوحة فذال معجمة ساكنة كنانى صحابي له حديثان تفرد بالرواية عنه عبد الله بن
شقيق وقال المولف تميمي يذكر في الوحدان روى عنه عبد الله بن شقيق وعداده في البصريين
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعة رجل اي جليل من امتي
اكثر من بني تميم وهو قبيلة كبيرة فقيل الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اويس
القرني وقيل غيره قال زين العرب وهذا اقرب رواه الترمذي والدارمي وابن ماجة
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتي اي بعض

افرادهم

افرادهم من العلما والشهدا والصلحا من يشفع للفيام بكسر الفا بعدها همز وقد يبدل قال
الجوهري هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همز اقول
الاظهر ان يقال هنا معنى القبايل كما قيل هو في المعنى جمع فية لقوله منهم من يشفع
للقبيلة وهي قوم كثير جمعهم واحد ومنهم من يشفع للعصبة بضم فسكون وهو
ما بين العشرة الي الاربعين من الرجال لا واحد لها من لفظه والاظهر ان المراد بها جمع
ولو اثنان لقوله ومنهم من يشفع للرجل ويمكن ان يقال طوي ما بين العصبة والرجل
لما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلي كما يدل على المراة بالقياس الخفي حتى يدخلوا اي
الامة كلهم الجنة قال الطيبي يحتمل ان تكون غاية يشفع والضمير لجميع الامة اي ينتهي
شفاعتهم الي ان يدخلوا جميعهم الجنة ويجوز ان تكون بمعنى كي فالمعنى ان الشفاعة
لدخول الجنة رواه الترمذي اي وحسنه على ما نقله عنه السيد وعن انس رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من
امتي اربعماية الف بلا حساب اي ولا كتاب ولا سابقة عذاب فقال ابو بكر زدنا يا رسول
الله اي زدنا في الاخبار على وعدك ربك ادخال امتك الجنة بشفاعتك يدل على هذا التاويل
حديث ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل
الجنة امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات
من حثيات ربي كذا ذكره الطيبي وهو مستحسن جدا الا ان قيد قوله بشفاعتك لا
دلالة للكلام عليه والظاهر ان هولا يدخلون الجنة من غير شفاعة مخصوصة وان
كانوا داخلين في الشفاعة العامة هذا وفي قوله زدنا دليل على ان له صلى الله عليه
وسلم مدخلا ومجالا في الامور الاخروية وفي التصرفات الربوبية بحسب ما اولاه
مولاه من المرتبة الجلية والمزية العلية قال اي انس وهكذا اي وفعل هكذا وتفسيره
فحثى بكفيه وجمعهما فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا اي فحثى بكفيه وجمعهما
والظاهر ان هذا حكاية لفعله سبحانه ولذا قال الشراح انما ضرب المثل بالحثيات
لان من شان المعطي الكريم اذا استزيد ان يحثي بكفيه من غير حساب وربما ناوله
ملا الكف فالحثي كناية عن المبالغة في الكثرة والا فلا كف ولا حثي فقال عمر دعنا يا ابا بكر
اي اتركنا على ما بين لنا الحال بطريق الاجمال لنكون بين الخوف والرجا على وجه الاعتدال
فقال ابو بكر وما عليك اي باس وضرر ان يدخلنا الله كلنا اي جميعنا وهو تاكيد
للضمير في يدخلنا الجنة فقال عمر ان الله عز وجل اي بل اقول زيادة على ما تقول على
ما هو المعتقد بالمنقول والمعقول وهو ان الله عز وجل ان شا ان يدخل خلقه الجنة
اي جميع مخلوقاته من الانس والجن مومنهم وكافرهم ومطيعهم وفاجرهم بكف واحد
اي بمرتبة واحدة فعل كما قال سبحانه ولو شينا لهديناهم اجمعين ولكن الله يفعل
ما يريد قيل اراد بكف واحد عطاه وفضله اي لو اراد ان يدخلهم بفضل رحمته
فعل فانها اوسع من ذلك هذا والكف على ما في القاموس اليد او الي الكوع وجعله
صاحب المغرب من المونثات السماعية وعدها ابن الحاجب ايضا في رسالة مما
يجب تانيثه فقوله بكف واحد مول بعطا واحد او بمقبوض واحد فقال النبي
صلى الله عليه وسلم صدق عمر قال التوربشتي وانما لم يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابا بكر يشتمل كلام عمر رضي الله عنهما لانه وجد للبشارات من خلا عظيما في توجه النفوس
القدسية فان الله يمحي خلقه من عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج والقبيل
بعد القبيل ثم تخلص من قصر عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته وهم الذين سلم
لهم الايمان ولم يعملوا خيرا قط علي ما سبق في الحديث قال بعض العارفين ما ذهب
اليه ابي بكر هو من باب التضرع والمسكنة وما ذهب اليه عمر من باب التفويض والتسليم
اقول التسليم اسلم والله اعلم رواه اي صاحب المصابيح في شرح السنة اي باسناده
ورواه احمد في مسنده علي ما ذكره السيد وعنه اي عن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف بضم وفتح وتشديد اي يجعل صفا وفي
نسخة بفتح فضم اي يصير صفا اهل النار اي من عصاة المومنين والفجار في طريق
اهل الجنة من علما الاخيار والصلحا الابرار علي هيئة المساكين السائلين في طريق
في هذه الدار فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم اي من اهل النار يا فلان
كناية عن اسمه اما تعرفني انا الذي سقيتك شربة اي من ما او لبن او نحوهما
وقال بعضهم انا الذي وهبت لك وضوا بفتح الواو اي ما وضو وعلي
هذا القياس من لقمة او خرقة او نوع اعانة او جنس عطية كلمة او جزئية
ولو بشق تمرة او كلمة طيبة فان الفريق يتعلق بكل حشيش فيشفع له اي ذلك
الصالح فيدخل الجنة اي يصير سببا لدخوله اياها والمعنى فيدخله معه الجنة
والله اعلم قال المظهر فيه تحريض علي الاحسان الي المسلمين لاسيما مع الصلحا والمجالسة
معهم ومحبتهم فان محبتهم زين في الدنيا ونور في العقبى رواه ابن ماجة وعن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار
اشتد صياحهما وتضرعهما واستغاثتهما فقال الرب تعالى اي للملائكة اخرجوهما
فقال لهما لاي شي اشتد صياحكما اي بعد ما كنتما ساكتين خامدين قالا فعلنا ذلك
اي اشتداد الصياح لترحمنا اي فانك تجيب من يتضرع اليك قال فان رحمتي لكما ان
تنطلقا اي تذهبا فتلقيا انفسكما حيث كنتما من النار فيه ايما الي ان مجرد التضرع الظاهري
لا يفيد الرحمة بدون الانقياد الباطني ولذا قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
قال الطيبي قوله ان تنطلقا فتلقيا خبران فان قلت كيف يجوز حمل الانطلاق الي
النار والقا النفس فيها علي الرحمة قلت هذا من حمل السبب علي المسبب وتحقيقه
انهما لما فرطا في جنب الله وقصرا في العاجلة في امتثال امره امرا هنالك بالامتثال
في القا انفسهما في النار ايذانا بان الرحمة انما هي علي امتثال امر الله عز وجل فيلقي
احدهما نفسه اي في النار فيجعلها الله عليه بردا وسلاما اي كما جعلها بردا وسلاما
علي ابراهيم ويقوم الاخر اي يقف فلا يلقي نفسه فيقول له الرب تعالى ما منعك ان
تلقي نفسك اي من القائها في النار كما القى صاحبك اي كالقايه نفسه فيها فيقول رب
اني لارجو ان لا تعيدني فيها بعد ما اخرجتني منها فالاول امتثل بالخوف والعمل
والثاني عمل بالعلم والامل فيقول الرب له تعالى لك رجاوك اي مقتضاه نتيجته
كما ان لصاحبك خوفه وعمله بموجبه فيدخلان بصيغة المفعول اي فيدخلهما
الله جميعا الجنة برحمة الله اي المترتبة علي العمل والموفقة رواه الترمذي وعن

ومع الله عز وجل

ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار يرد
علي وزن يعد مضارع من الورود بمعنى الحضور يقال وردت ماء كذا اي حضرته وانما
سماه ورودا لان المارة علي الصراط يشاهدون النار ويحضرونها وعلي هذا يأول قوله
تعالى وان منكم الا واردها وفيه ايما الي انهم في العطش الشديد فانما مرورهم علي
الصراط للوصول الي الحوض المورود قال التوربشتي الورود لغة قصد الما ثم
يستعمل في غيره والمراد منه هنا الجواز علي جسر جهنم ثم يصدرون منها بضم الدال اي
ينصرفون عنها فان الصدر اذا عدي بمن اقتضى الانصراف وهذا علي الاتساع ومعناه
النجاة اذ ليس هناك انصراف وانما هو المرور عليها فوضع الصدر موضع النجاة للمناسبة
التي بين الصدور والورود قال الطيبي ثم في ثم يصدرون مثلها في قوله تعالى ثم ننجي
الذين اتقوا في انها للتراخي في الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت بين ورود الناس
النار وبين نجاة المتقين منها فلذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم التفاوت
بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها علي ان المراد بالصدور الانصراف
المعنوي والحاصل ان الخلق بعد شروعهم في الورود يتخلصون من خوف النار ومشاهدتهم
رؤيتها بلا صفة لهبها ودخانها وتعلق اشواكها وامثالها علي مراتب شتى في سرعة
المجاوزة وابطائها باعمالهم اي بحسب مراتب اعمالهم الصالحة فاولهم اي اسبقهم
كلمح البصر اي الخاطف ثم كالريح اي العاصف ثم كحضر الفرس اي جريه وهو بضم الحا
وسكون الضاد العدو الشديد ثم كالراكب في رحله اي علي راحلته وعداه بفي
لتمكنه من السير كذا قاله الطيبي وقيل اراد الراكب في منزله وماواه فانه يكون
في السير والسرعة اشد كشد الرجل اي عدوه وجريه ثم كمشيه اي كمشي الرجل
علي هينة رواه الترمذي والدارمي **الفصل الثالث** عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان امامكم بفتح الهمزة اي قدامكم
يوم القيامة حوضي اي بعد الصراط ما بين جنبيه اي طرفيه كما بين جربا بفتح
جيم وسكون را وموحدة ممدودة واذرح بفتح همز وسكون ذال معجمة وضم را وبحا
مهملة غير مصروفين قال بعض الرواة اي رواة هذا الحديث هما قريتان بالشام
بينهما مسيرة ثلاث ليال قال صاحب القاموس الجربا قرية بجنب اذرح وغلط من
قال بينهما ثلاثة ايام وانما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين
ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجربا واذرح وفي رواية فيه اي موضوع في اطرافه او علي جنابيه اباريق
كنجوم السما اي في الكثرة وصفا الضيا من ورده فشرب منه اي شربة لم يظما بعدها اي بعد تلك
الشربة او بعد الشرب وهو مصدر بنكرة وبوينا ابدا اي دايما سرمدا فيكون شربة الاشربة في الجنة
بعدها بنا علي التلذذ والتفكه والتكيف متفق عليه ورواه احمد والترمذي وابن ماجة عنه بلفظ
الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه علي الدر والياقوت تربته اطيب ريحا من المسك
وماوه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وعن حذيفة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما
قالا اي كلاهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس المراد بهم الخلق
وخصوا بالذكر للتشريف فانهم عمدة ارباب التكليف فيقوم المومنون اي الخواص من عموم الناس
حتى تزلف بضم التا وسكون الزاي وفتح اللام وبالفاء اي تقرب لهم الجنة ومنه قوله تعالى واذا الجنة

ازلفت علمت نفس ما احضرت فياتون اي المومنون ادم والمراد منهم بعضهم الخواص من كل امة
فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنة اي اطلب فتح بابها حتي ندخلها فيقول وهل اخرجكم من الجنة
الاخطيئة ابيكم اي وصاحب الخطيئة لا يصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه الي الضراعة
وهذا معني قوله لست بصاحب ذلك اي ذلك المقام الذي اردتموه من الشفاعة الكبري
والمرتبة العظمي المسماة بالمقام المحمود المخصوص لصاحب اللوا الممدود اذهبوا الي ابني
ابراهيم خليل الله اي فانه من افضل الرسل وجد خاتم الانبيا فتقربوا اليه واعرضوا
امركم عليه قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك اي المقام الموعود والمرام المشهود
انما كنت خليلا من ورا ورا بالفتح فيهما علي ما في الاصول المعتمدة والنسخ المقروة المصححة قال
النووي المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ويجوز في العربية بنا وهو علي الضم قال ابو البقاء
الصواب الضم فيهما لان تقديره من ورا ذلك قال وان صح الفتح قبل وقال الشيخ ابو عبد الله
الفتح صحيح وتكون الكلمة مركبة لتتنزل منزلة شذر مذر وشغر بغر فيبنا دهما علي الفتح وان ورد منصوبا
منونا جاز ذكره اعمدوا بكسر الميم اي اقصدوا الي موسي الذي كلمه الله تكليما اي بلا واسطة
كتاب وبعض غيوب حجابه قال صاحب التجريد وهذا ورد علي سبيل التواضع اي لست
بصدد ذلك الدرجة الرفيعة ومعناه ان المكارم التي اعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل
عليه السلام ولكن ايتوا موسي عليه السلام فانه حصل له الكلام بغير واسطة قال وانما
كرر لان نبينا صلي الله عليه وسلم حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الروية ايضا فكانه
قال انا وراء موسي الذي هو وراء محمد صلي الله عليه وسلم فياتون موسي فيقول لست بصاحب ذلكم اذهبوا
الي عيسي كلمة الله وروحه بالجر علي البدلية ويجوز رفعهما ونصبهما علي المدح فيقول عيسي
لست بصاحب ذلك ووجه انحصار الامر في نبينا خاتم الرسل ومقدم الكل فياتون محمدا صلي
الله عليه وسلم فيه وضع الظاهر موضع الضمير المتكلم علي سبيل الالتفات او علي طريق التجريد
فيقوم اي عن يمين عرش الرحمن ويستاذن بالشفاعة في نوع الانسان لازاحة كرب
الموقف وعموم الاحزان فيوذن له فيسجد علي ما سبق وترسل الامانة والرحم اي مصورتين كما
تقدم فيقومان بالتانيث علي تغليب الامانة المتقدمة وبالتذكير علي تغليب الرحم المذكر اي فيقفان
او فيحضران جنبتي الصراط بالفتحات اي طرفيه يمينا وشمالا بالبيان لما قبله ونصبهما علي البدلية
او الظرفية فيمر اولكم التفات من الغيبة العامة الي الخطاب الحاجة كالبرق اي في سرعة السير
قال اي ابو هريرة قلت بابي انت وامي البا للتعدية اي افديك بهما اي شي اسنوه من مر
البرق اي اي شي يشبه به والمعني فباي شي تشبه بالبرق قال الم تروا الي البرق كيف يمر اي سريعا
ويرجع في طرفة عين ذكره علي سبيل الاستطراد وعلي طريق التتميم للمعني المراد فيكون الجواب بانه
يشبهه في سرعة السير كذا حرره الشراح وعندي ان التشبيه مركب من سرعة المرور ومن
ضيا الظهور ليجتمع نور علي نور ولتكون اشارة الي البدن والروح والي الظاهر والباطن والي الكمية
والكيفية وايضا المرور مذكور في كلام السايل ولابد في الجواب من امر زايد والله اعلم ثم الظاهران
المراد بهم الانبيا ويحتمل ان يراد بهم الاصفيا من هذه الامة وهم ارباب الحب بان الالهية ثم مر الريح
ثم مر الطير وشد الرجال اي جريهم والرجال اما جمع رجل او جمع راجل قال الطيبي قوله اي شي
كمر البرق اي ما الذي يشبه به من المارين بمر البرق وقوله الم تروا الي البرق بيان لما شبهوا
به بالبرق وهو سرعة اللمعان يعني سرعة مرورهم علي الصراط كسرعة لمعان البرق كانه اي

وفي ... وصل

السايل استبعد ان يكون في الانسان ما يشبه البرق في سرعته فسال عن امر اخر هو المشبه فاجاب
بان ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر ان يمنحهم الله تعالي ذلك بسبب اعمالهم الحسنة
الا تري كيف اسند الجريان الي الاعمال في قوله تجري بهم اعمالهم اي تجري وهي ملتبسة بهم كقوله تعالي
وهي تجري بهم في موج كالجبال ويجوز ان تكون البا للتعدية اي تجعلهم جارين ونبيكم قايم علي الصراط
يقول يا رب سلم سلم حتي تعجز اعمال العباد متعلق بتجري والجملة قبله معترضة بيانية او حالية
والمعني تجري بهم اعمالهم حتي تعجز اعمالهم عن الجريان بهم حتي يجي الرجل بدل من قوله حتي تعجز
وتوضيح له فلا يستطيع اي الرجل لضعف عمله وتقاعده عن السبق في الدنيا السير اي المرور
علي الصراط الا زحفا اي حبوا كما تقدم والله اعلم قال اي النبي صلي الله عليه وسلم وابو هريرة
مرفوعا وفي حافتي الصراط بتخفيف الفا اي جانبيه كلاليب جمع كلاب معلقة مامورة
تاخذ اي هي من امرت به ولو روي بالبا وفتح الهمز وسكون الحا علي المصدر لكان له وجه
وجيه تخد وش اي فمنهم مخدوش ناج اي من الوقوع في النار ومكردس في النار بفتح
الدال المهملة وبالسين المهملة وقيل المعجمة وهو الذي جمعت يداه ورجلاه والقي
في موضع كذا في النهاية في السين المهملة ثم قال والمكروش بمعناه وفي مكدوس بالمهملة
اي مرفوع في النار ذكره في النهاية ثم قال وروي بالمعجمة من الكدش وهو السوق
الشديد وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح ايضا وفي القاموس كدسه
اي صرعه وبالمعجمة دفعه دفعا عنيفا والذي نفس ابي هريرة بيده هذا يوبد ان
مرجع ضمير قال البيه ثم هذا القسم اما موقوف عليه او مرفوع اليه صلي الله عليه وسلم ان
قعر جهنم لسبعين خريفا قال الدماميني اي ان مسافة الشي اليه لسبعين خريفا
وقال صاحب المغني وجهه ان القعر مصدر قعرت البير اذا بلغت قعرها وسبعين
ظرفه اي بلوغ قعرها يكون في سبعين عاما وفي نسخة بالواو وهو ظاهر وفيه حذف
اي مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي معظم الاصول والروايات لسبعين
باللام وهو صحيح ايضا علي تقدير مسيرة سبعين بحذف المضاف وترك المضاف اليه علي
اعرابه او يكون التقدير ان بلوغ قعر جهنم لكاين في سبعين خريفا وسبعين خريفا ظرف
لمحذوف رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يخرج من النار قوم
بالشفاعة كانهم الثعارير بالمثلثة والعين المهملة والرا بين جمع ثعرور كعصافير وعصفور
قلنا ما الثعارير قال انه علي ما في نسخة مصححة وفي نسخة قال الضغابيس بضاد وغين
معجمتين وموحدة وتحتية وسين مهملة جمع ضغبوس في النهاية الثعارير هي القثا الصغار
شبهوا بها لان القثا ينمي سريعا وقيل هي روس الطراثيث يكون بيضا شبهوا ببياضها واحدها
طرثوث وهو نبت يوكل الضغابيس صغار القثا متفق عليه وعن عثمان بن عفان رضي
الله عنه بلا صرف ويصرف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة
ثلاثة اي ثلاثة اصناف من الاصفيا الانبيا ثم العلما اي العاملون ثم الشهدا اي المخلصون وفي
العطف بثم دلالة صريحة علي تفضيل العلما علي الشهدا كما يدل عليه ما رواه الشيرازي عن انس
وابن عبد البر عن ابي الدردا وابن الجوزي في العلل عن النعمان بن بشير مرفوعا يوزن يوم
القيامة مداد العلما ودم الشهدا فيرجح مداد العلما علي دم الشهدا وفيه مبالغة لا تخفي علي
الفضلا فان مدادهم اقل امرادهم ودم الشهدا فيرجح مداد العلما علي دم الشهدا وفيه مبالغة

لا يخفى علي الفضلا فان مدادهم اقل امرادهم ودم الشهدا افضل امدادهم رواه ابن ماجة وروي ابو
داود عن ابي الدردا مرفوعا يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته

باب صفة الجنة

واهلها الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر علي معنى
الستر في الجنة والجنة والجنينة والجنون ونحوها فكان الجنة لتكاثفها وتظللها سميت بالجنة
التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب
جنة لما فيها من الجنان او لكونها مستورة عن اعين الانسان ليكون الايمان بالغيب لا بالعيان
او لان الله تعالى اخفى من قرة الاعين لاهلها الاعيان والله سبحانه اعلم

الفصل الاول

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت اي هيات
لعبادي الصالحين بفتح يا المتكلم وبسكون ما لا عين رات قال الطيبي ما هنا اما موصولة او
موصوفة وعين وقعت في سياق النفي فافاد الاستغراق والمعنى ما رات العيون كلهن ولا
عين واحدة منهن والاسلوب من باب قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فيحتمل
نفي الروية والعين معا او نفي الروية فحسب اي لا روية ولا عين او لا روية وعلى الاول
الغرض منه نفي العين وانما ضمت اليه الروية ليوذن بان انتفا الموصوف امر محقق لا نزاع فيه
وبلغ في تحققه الى ان صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه ولا اذن بفتحتين وبسكون الزال
سمعت ولا خطر اي وقع على قلب بشر قال الطيبي هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم اي لا قلب ولا خطور او لا خطور فعلى الاول ليس لهم قلب يخطر فجعل انتفا الصفة
دليلا على انتفا الذات اذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الاخطار فلا قلب كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب فان قلت لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين قلت لانهم هم الذين
ينتفعون بما اعد لهم ويهتمون لشانه ويخطرونه ببالهم بخلاف الملايكة والحديث كالتفصيل
للاية فانها نفت العلم والحديث نفي طريق حصوله واقروا ظاهره انه مرفوع ويويده العاطف
والاظهر انه موقوف لقوله ان شيتم اي اردتم الاستشهاد والاعتضاد فلا تعلم في محل النصب على انه
مفعول اقروا والتقدير انه فلا تعلم نفس اي متنفس من الملايكة وغيرهم ما اخفي لهم قرا الجمهور
اخفي بتحريك اليا على البنا للمفعول وقرا حمزة بسكونها على انه مضارع مسند للمتكلم ويويده قراة
ابن مسعود نخفي بنون العظمة وقرا اخفى بفتح اوله والفا على البنا للفاعل وهو الله تعالى
من قرة اعين الكشاف لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي
نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاوليك واخفاه من جميع خلايقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم
ولا مزيد على هذه النعمة ولا مطمح وراها وفي شرح السنة يقال اقر الله عينك برد الله
دمعتها لان دمعة الفرح باردة حكاه الاصمعي وقال غيره معناه بلغك الله امنيتك حتى
ترضى به نفسك وتقر عينك فلا تستشرف الى غيره قال الطيبي فعلى هذا من القرة البرد والثاني
من القرار وفي قوله اعددت دليل على ان الجنة مخلوقة ويعضده سكنى ادم وحوا الجنة ومجيها
في القران على نهج الاسما الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنجم والثريا والكتاب ونحوها وذلك ان
الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف اغصان اشجاره ثم غلبت على دار الثواب وانما قلنا
اللاحقة بالاعلام لكونها غير لازمة للام وتحقيق القول انها منقولة شرعية على سبيل التغليب
وانما تغلب اذا كانت موجودة معهودة وكذلك اسم النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة
وان اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك ولولا ذلك لما كان يغني عن طلب القصور

والحور والولدان بالجنة ولا عن طلب الوقاية من الزمهرير والمهل والضريع عن مطلق النار متفق عليه وكذا رواه
احمد والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة من غير قوله اقروا ان شيتم الى اخره على ما في الجامع فهو يويد
كونه موقوفا ولو روي الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه ان في الجنة ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب احد ورواه البزار والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد ولفظه في الجنة
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وروي الطبراني عن ابن عباس مرفوعا
قال لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني سبب
هذا الحديث ان موسى عليه السلام سال ربه من اعظم اهل الجنة منزلة فقال غرست كرامتهم
بيدي وختمت عليها فلا عين رات الى اخره مسلم والترمذي انتهى ولا يخفى ان الضمير في ما اخفي
لهم لقوم خاص تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون والمراد المتهجدون او الاوابون ولما اخفوا اعمالهم عن اعين العباد جوزوا
باخفا الله تعالى لهم ما اراد لهم من الاعداد جزا وفاقا على حسب ما وفقوا من الامداد
والاسعاد **وعنه** اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
موضع سوط في الجنة اريد به قدر قليل بها او مقدار موضعه فيها خير اي كمية وكيفية من
الدنيا وما فيها لان الجنة مع نعيمها باقية والدنيا مع ما فيها فانية قال ابن الملك سوى كلام الله
تعالى وصفاته وجميع انبيايه انتهى وغرابة استثنايه مما لا يخفى ثم قال وما هو باق لا يوازن
ما هو في معرض الزوال قلت فلفظ خير لمجرد الزيادة وقال التوربشتي انما خص السوط
بالذكر لان من شان الراكب اذا اراد النزول في منزل ان يلقي سوطه قبل ان ينزل معلما بذلك
المكان الذي يريده لئلا يسبقه اليه احد متفق عليه وفي الجامع رواه البخاري والترمذي
وابن ماجة عن سهل ابن سعد والترمذي عن ابي هريرة فقول المولف متفق عليه
محل بحث توقف بين وجهين وفي الجامع لقيد سوط احدكم من الجنة خير مما بين السما والارض
رواه احمد عن ابي هريرة **وعن** انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غدوة اي مرة من ذهاب اول النهار في سبيل الله او روحة اي مرة من رواح اخر النهار
او اول الليل واو ليس للشك بل للتنويع اي كل واحدة منهما في سبيل مرضاته من غزو او
حج او هجرة او طلب علم خير من الدنيا وما فيها اي جزا وثوابا ومالا ومابا ولو ان امراة من نسا اهل
الجنة اطلعت بتشديد الطا اي اشرفت وطالعت الى الارض لاضات ما بينهما اي ما بين المشرق
والمغرب او ما بين السما والارض او ما بين الجنة والارض وهو الاظهر ليتحقق ذكرهما في العبادة
عرفا ولملات ما بينهما ريحا اي طيبا ولنصيفها كلام مستانف اي ولخمارها على راسها قيد به
تحقيرا له بالنسبة الى خمار البدن جميعه خير من الدنيا وما فيها اي فكيف الجنة نعمتها وما لها
من نعيمها رواه البخاري وفي الجامع غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها
رواه احمد والشيخان وابن ماجة عن انس والبخاري والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد
ومسلم وابن ماجة عن ابي هريرة والترمذي عن ابن عباس ورواه احمد ومسلم والنسائي
عن ابي ايوب مرفوعا ولفظه غدوة في سبيل الله او روحة خير مما طلعت عليه الشمس
وغربت وروي الطبراني والضيا عن سعيد بن عامر مرفوعا لو ان امراة من نسا اهل
الجنة اشرفت الى الارض لملات الارض من ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس والقمر

رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن انس بلفظ لغدوة في سبيل الله او روحة
خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قده في الجنة خير من الدنيا وما فيها
ولو اطلعت امراة من نسا اهل الجنة الي الارض لملات ما بينهما ريحا ولاضات ما بينهما
ولنصيفها علي راسها خير من الدنيا وما فيها والقد بكسر القاف وتشديد الدال وتر
القوس وقيل السوط وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان في الجنة شجرة قال ابن الجوزي يقال انها طوبي قال العسقلاني وشاهد ذلك
عند احمد والطبراني وابن حبان يسير الراكب في ظلها اي في ناحيتها والا فالظل في عرف اهل
الدنيا ما بقي من حر الشمس واذاها وقد قال تعالي لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقد
يقال المراد بالظل هنا ما يقابل شعاع الصبح الي طلوع الشمس ومنه ما بين طلوع الصبح الي
طلوع الشمس ولذا قال تعالي في ظل ممدود ويمكن ان يكون الشجرة من النور الباهر ما يكون
لما تحته كالحجاب الساتر مائة عام لا يقطعها اي لا ينتهي الراكب الي انقطاع ظلها ولقاب قوس
احدكم في الفايق القاب والقيب كالقاد والقيد بمعني القدر وانه علامة يعرف بها المسافة
بين الشيئين من قولهم قرب في هذه الارض اذا اثر وافيها بموطيهم ومحلهم وقال التوربشتي
الراجل يبادر الي تعيين المكان بوضع قوسه كما ان الراكب يبادر اليه برمي سوطه انتهي والاظهر
في المعني لقدر موضع قوس احدكم في الجنة او لمقداره وقيمته لو فرض انه فوق فيها خير مما
طلعت عليه الشمس اي شمس الدنيا او تقرب وفي نسخة او غربت واو اما للشك واما للتقسيم واما
بمعني الواو فان المراد بهما ما بين الخافقين وهو المعبر عنه عن الدنيا وما فيها متفق عليه وفي
الجامع ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها رواه احمد
والبخاري والترمذي عن انس والشيخان والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة وعن
ابي موسي اي الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان للمومن في
الجنة لخيمة اي عظيمة من لولوة مجوفة زبيد لان وقع بدل الاول دون الثانية اي
درة واحدة مجوفة عرضها فالطول بالاولي وفي رواية طولها اي وعلي قياسه عرضها ويحتمل
بالروايتين ان طولها وعرضها كل واحد منهما ستون ذراعا في كل زاوية اي من الزوايا الاربعة
منها اي من تلك الخيمة اهل اي للمومن من زوج وغيره ما يرون اي ذلك الاهل وجمع باعتبار
معناه الاخرين اي الجمع الاخر من اهل الكاينين في زوايا اخري يطوف عليهم اي يدور
علي جميعهم المومنون بصيغة الجمع في اصل السيد وكثير من نسخ المشكاة وفي بعضها بصيغة
الافراد قال الطيبي كذا في البخاري وشرح السنة ونسخ المصابيح وفي مسلم والحميدي
وجامع الاصول المومن فعلي هذا جمع الارادة الجنس انتهي وقال شارح وتبعه ابن الملك
ان المومنين جامع المومن الاهل وان الطواف هنا كناية عن المجامعة وجنتان مبتدا
خبره محذوف اي وللمومن جنتان واغرب من قال انه عطف علي اهل لكونه بعيدا عن المعني
وان كان قريبا في اللفظ ثم قال شارح اي درجتان او قصران من فضة انيتهما وما فيهما اي
من القصور والاثار كالسرور وقضبان الاشجار وامثال ذكر قيل قوله من فضة خبر
انيتهما والجملة صفة جنتان او من فضة صفته قوله جنتان وخبر انيتهما اي انيتهما وما
فيهما كذلك او انيتهما فاعل الظرف اي تفضض انيتهما وكذا من جهة المبني والمعني قوله وجنتان
من ذهب انيتهما وما فيهما ثم ظاهره ان الجنتين من فضة لا غير فبالعكس فالجمع بينه حديث

وصف

ومع — لله عزوجل

وصف بنا الجنة من ان لبنة من ذهب ولبنة من فضة ان الاول صفة ما في الجنة من ابنية وغيرها
والثاني صفة حوايط الجنان والمراد به التبعيض لا التلميع او يقال الجنتان من ذهب المكمل
من اهل ابنية مقام الخوف الموجب للمقام بالطاعة علي الوجه الاكمل كما قال تعالي ولمن خاف مقام
ربه جنتان والجنتان من فضة لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام ارباب الكمال كما اشار اليه تعالي
بقوله ومن دونهما جنتان والحاصل ان المراد بالاولين هم السابقون وبالاخرين هم اللاحقون واما
الجنة الملمعة فاصحابها المخلصون والله سبحانه اعلم هذا وقال البيهقي دل الكتاب والسنة علي
ان الجنان اربعة وذلك لان الله تعالي قال في سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان ووصفهما ثم قال
ومن دونهما جنتان ووصفهما ورويناه عن ابي موسي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال جنتان انيتهما
وما فيهما من ذهب وجنتان وما فيهما وانيتهما من فضة قلت ويويده ما قدمناه ما في رواية جنتان
من ذهب للسابقين وجنتان من فضة لاصحاب اليمين ولا يبعد ان يكون المراد بالجنتين نوعان
من الجنة احدهما من ذهب والاخر من فضة وقد يكون لارباب الكمال جنتان من ذهب وجنتان من فضة
علي يمين قصورهم وشمالها طلبا للزينة لا يعتقدان ان الذهب او كثرة القيمة علي انه قد يراد بالتثنية التكثير
ويويده ان ابواب الجنة وطبقاتها ثمانية فقد قال في المنهاج هي ثمان جنة عدن وجنة الفردوس وجنة
الخلد وجنة نعيم وجنة الماوي ودار السلام ودار القرار ودار المقامة وما بين القوم اي وليس مانع
من الموانع بين اهل الجنة وبين ان ينظروا الي ربهم الا رداء الكبريا اي صفة العظمة علي وجهه اي ثابتا
علي ذاته فهو حال من الرداء في جنة عدن اي كاينين في جنة اقامة وخلود وهو بدل من قوله في الجنة كذا
قيل وهو يوهم الاختصاص مع ان وصف الاقامة والخلود لا ينفك عن جنس الجنة فلا عبرة بالمفهوم
الموهوم قال الطيبي قوله علي وجهه حال من رداء الكبريا والعامل معني ليس وقوله في الجنة متعلق بمعني
الاستقرار في الظرف فيفيد بالمفهوم انتفا هذا الحصر في غير الجنة قلت هذا اسلم لكن لفظ الحديث
في جنة عدن وقال الشيخ التوربشتي اي بين العبد المومن اذا تبوا مقعده من الجنة مع ارتفاع حجب
الكدورة الجسمية واضمحلال الموانع الحسية هناك وبين نظره الي ربه الا ما يصده من هيبة الجلال
وسبحات الجمال ولا يرتفع ذلك منهم الا برافته ورحمته منه تفضلا علي عباده وانشد في المعني
اشتاقه فاذا بدا اطرقت من اجلاله • لا خيفة بل هيبة • وصيانة لجماله • واصد عنه تجلدا •
واروم طيف خياله متفق عليه وفي الجامع ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها ستون
ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يري بعضهم بعضا رواه مسلم عن ابي موسي ورواه احمد
ومسلم والترمذي عن ابي موسي بلفظ في الجنة خيمة من لولوة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل
زاوية منها اهل ما يرون الاخرين يطوف عليهم المومن وروي احمد والطبراني عن ابي موسي مرفوعا
جنان الفردوس اربع جنتان من ذهب حليتهما وانيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وانيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الي ربهم الا رداء الكبريا علي وجهه في جنة عدن وهذه الانهار تشخب
من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك انهارا وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
في الجنة مائة درجة يمكن ان يراد به الكثرة لما ورد من رواية البيهقي عن عايشة مرفوعا عدد
درج الجنة عدد اي القران فمن دخل الجنة من اهل القران فليس فوقه درجة ويمكن ان يقال في الجنة
مائة درجة لكل واحد من اهلها فيكون بيانا لاقل ما يكون فيها من انواع السعة واصناف النعمة
ما بين كل درجتين كما بين السما والارض ويمكن تقييده وصفا لمائة بما ذكر وغيرها يكون علي
خلافها من كونه اقل او اكثر وروي الديلمي في سند الفردوس عن ابي هريرة مرفوعا ان

في الجنة درجة لا ينالها الا اصحاب الهموم والفردوس اي الجنة المسماة بالفردوس المذكور في القران في
قوله تعالى قد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس اعلاها اي اعلا سائر
الجنان درجة وعلى هذه الغاية باعتبار كل فرد او باعتبار المجموع في النهاية الفردوس في اللغة البستان
الذي فيه الكروم والاشجار ومنه جنة الفردوس قلت لابد له من وصف زائد يختص به
ويمتاز به عن غيره كما يشير اليه اي تتشقق وتخرج انهار الجنة الاربعة بالرفع صفة
الانهار وهي انهار الما واللبن والخمر والعسل المذكورة في القران فيها انهار من ما غير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ومن فوقها
يكون عرش الرحمن فهذا يدل على ان الفردوس فوق جميع الجنان ولذا قال صلى الله عليه وسلم
تعليما للامة وتعظيما للهمة فاذا سالتم الله فسالوه الفردوس اي فانه سر الجنة على ما رواه
الطبراني عن العرباض وهو بضم السين وتشديد الراي اي وسطها وخيرها وروى الطبراني
عن سمرة مرفوعا الفردوس ربوة الجنة وعلاها واوسطها ومنها تفجر انهار الاربعة وروى
ابن مردويه عن ابي امامة مرفوعا ان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش رواه الترمذي
وفي الجامع رواه ابن ابي شيبة واحمد والترمذي والحاكم في مستدركه قال المولف ولم
اجده اي هذا الحديث في الصحيحين اي في متنيهما ولا في كتاب الحميدي اي الجامع بينهما ولعله
سكت عن جامع الاصول لمانع عن تتبعه وحاصل كلامه الاعتراض على صاحب المصابيح
حيث اورد الحديث في الصحاح والحال انه لم يوجد الا في الحسان قال ميرك كذا قاله المصنف ووافقه
الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح واقول قد اخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن ابي هريرة مثل عبادة
والتفاوت بينهما اي بين حديث ابي هريرة وحديث عبادة يسير فكان على صاحب المشكوة والشيخ ايضا
ان يقولا ورواه البخاري من حديث ابي هريرة مع تفاوت يسير انتهى وقال الحافظ ابن حجر في تخريج
احاديث المشكوة وعجيب من ادخال البغوي له في احاديث الصحيحين ثم كلامه قيل ونسبه
صاحب المشارق ايضا الى البخاري وقد قيل انه موجود في البخاري في موضعين الاول
في كتاب الجهاد والثاني في باب وكان عرشه على الما وكذا في مسلم في باب فضل الجهاد في سبيل
الله فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا اي مجمعا فيه الصور المشتهاة يا تونها اي يحضر اهل الجنة
تلك السوق كل جمعة بضمتين ويسكن الثاني قال النووي السوق مجمع لاهل الجنة يجتمعون
فيها في كل مقدار جمعة اي اسبوع وليس هناك اسبوع حقيقة لفقد الشمس والليل والنهار
قلت وانما يعرف وقت الليل والنهار بارخا الستار والانوار فبها على ما ورد في بعض الاخبار
فبهذا يعرف يوم الجمعة ويوم الاعياد وما يترتب عليها من الزيادة والروية وسائر الامداد والاسعاد
ففي الجامع ان اهل الجنة ليحتاجون الى العلما في الجنة وذلك انهم يزورون الله تعالى في كل جمعة
فيقول لهم تمنوا على ما شيتم فيلتفتون الى العلما فيقولون ماذا نتمنى فيقول تمنوا عليه كذا
وكذا فهم يحتاجون اليهم في الجنة كما يحتاجون اليهم في الدنيا رواه ابن عساكر عن جابر هذا
وتسمية يوم الجمعة بيوم المزيد في الجنة يدل على تميزه عن سائر الايام والله اعلم بالمرام
فتهب ريح بضم الها وتشديد الموحدة اي فتاتي ريح الشمال بفتح اوله من غير همز وخصت
بالذكر لانها من ريح المطر عند العرب فتحثوا اي تنثر تلك الريح والمفعول محذوف اي
المسك وانواع الطيب في وجوههم اي ابدانهم وخص الوجوه لشرفها او المراد بها ذواتهم

وثيابهم

وثيابهم فيزدادون اي في ثيابهم حسنا وجمالا جمع بينهما للتاكيد او المراد باحدهما الزينة وبالاخر حسن
الصورة فيرجعون اي من السوق الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا جمع بينهما للتاكيد او المراد
باحدهما الزينة وبالاخر حسن الصورة فيرجعون اي من السوق الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا
وجمالا قيل يكون زيادة حسنهم بقدر حسناتهم فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم اي انتم ايضا
وفيه تغليب لكون الاهل اعم من النسا والولدان او اريد به التعظيم والتكريم او ورد على المشاكلة
والمقابلة بعدنا اي بعد مفارقتكم عنا حسنا وجمالا فيقولون والله لقد ازددتم بعدنا
حسنا وجمالا وهو اما لاصابتهم من تلك الريح او بسبب انعكاس جمالهم او لاجل تاثير حللهم وترقي مالهم
رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة
بضم الزاي اي اول جماعة وهم الانبيا والاوليا كذا قاله شارح والاظهر ان المراد بهم الانبيا خاصة
يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ولعل دخولهم على صورة الشمس مختص بنبينا صلى
الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم اي يقربون تلك الزمرة في قرب المرتبة من الاوليا والعلما والشهدا
والصلحا كاشد كوكب دري في السما وهو بضم الدال وتشديد الراي شديد الانارة منسوب
الى الدر وتقدم من لغاته اخر مع بيان مبانيها ومعانيها ثم قوله اضاة تمييز بين وجه الشبه
قال الطيبي افرد المضاف اليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب يعني اذا تقصيت كوكبا
كوكبا رأيتهم كاشد اضاة قلوبهم اي قلوب اهل الجنة ح او قلوب الزمرة الاخيرة فالاولى بالاولى على
قلب رجل واحد اي في الاتفاق والمحبة فقوله لا اختلاف بينهم ولا تباغض تفسير لقوله قلوبهم
الى اخره وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على
سرر متقابلين لكل امرء منهم زوجتان اي عظيمتان من الحور بضم الحا اي النسا البيض الابدان
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواري والحواريون العين بكسر العين [illegible] بصيغة
المجهول اي يبصر مخ سوقهن جمع الساق اي مخ عظامها من ورا العظم واللحم والواو لمطلق الجمع
والترتيب للترقي من الحسن اي من اجل لطافة خلقهن قال الطيبي هو تتميم صونا من
توهم ما يتصور من تلك الروية مما ينفر عنه الطبع والحسن هو الصفا ورقة البشرة ونعومة
الاعضا هذا ولعل الزوجتين المذكورتين لعموم افراد المومنين من اهل الجنة واما اهل
الخصوص فيزداد لهم على حسب مقاماتهم قال الطيبي الظاهر ان التثنية للتكرير لا للتحديد
لقوله تعالى فارجع البصر كرتين لانه قد جا ان للواحد من اهل الجنة العدد الكثير من الحور العين
يسبحون الله اي اهل الجنة ينزهونه تعالى عن صفات النقصان ويثبتون له نعوت الكمال فان
النفي والاثبات متلازمان كما حقق كلمة التوحيد من الجمع بينهما للتوكيد والى ذلك اشار في قوله
تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم بكرة وعشيا اي دايما على ان المراد بهما ليلا ونهارا باطلاق
الجزء وارادة الكل مجازا قال الطيبي يراد بهما الديمومة كما يقال انا عند فلان صباحا
ومسا لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة لا يسقمون بفتح القاف ويضم ففي القاموس
سقم وكرم والمعنى لا يمرضون ولا يضعفون ولا يشيبون ولا يبولون اي من قبل ولا
يتغوطون اي من دبر ولا يتفلون بضم الفا وكسرها اي لا يبزقون ولا يمتخطون اي ليس في
فمهم وانفهم من المياه الزايدة والمواد الفاسدة ليحتاجوا الى اخراجها ولان الجنة مساكن
طيبة للطيبين فلا يليق بها الادناس والانجاس انيتهم جمع انا اي ظروفهم الذهب والفضة
اي ملمعة على ارادة الزينة اي ظروف بعضهم الذهب وظروف بعضهم الفضة فالواو بمعنى او

ووقـــــــــــــسدي وجل

للتنويع وامشاطهم جمع مشط الذهب ووقود مجامرهم بفتح الواو اي مايوقد به مباخرهم الالوة بفتح
الهمزة ويضم اللام وتشديد الواو قال النووي هو العود الهندي وقال شارح المجمع بالفتح مايوضع ويضم
فيه الجمر ويحترق فيه العود وبالكسر الالة وقال بعضهم فيه انه لا نار في الجنة واجيب بانه يفوح بغير نار
اقول وقد يكون بنور وهو في غاية من ظهور وفي النهاية المجامر جمع مجمر بالكسر وهي التي توضع فيه
النار للبخور وبالضم هو الذي يتبخر به واعد له الجمر قال الطيبي والمراد في الحديث هو الاول وفائدة
الاضافة ان الالوة هي الوقود نفسه بخلاف المتعارف فان وقودهم غير الالوة انتهى وهذه المه
من اللذات المتواليه والشهوات المتعالية والا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ ولا عفونة لابدانهم
وثيابهم بل ريحهم اطيب من المسك فلا لهم الى التمشط والتبخر الا لزيادة الزينة والتلذذ بانواع
النعمة الحسينة كما قال ورشحهم اي عرقهم رائحة المسك فهو تشبيه بليغ على خلق رجل واحد
بضم الخا واللام ويسكن والمعنى انهم على قلب واحد كما سبق وبفتح الاول والمعنى انهم اتراب
في سن واحد وهو ثلاثون او ثلاث وثلاثون سنة على ماسياتي في الحديث وهو الملايم
المناسب لقوله على صورة ابيهم ادم اي في القامة وبينه بقوله ستون ذراعا في السما اي
طولا فكنى عنه به قاله الطيبي وقيل العرض سبعة والله اعلم قال النووي روي بضم الخا واللام
وبفتح الخا واسكان اللام وكلاهما صحيح ورجح الضم بقوله في الحديث الاخر لا اختلاف بينهم ولا
تباغض قلوبهم على قلب واحد وقد يرجح الفتح بقوله لا يتمخطون ولا يتفلون وقال
الطيبي على هذا لا يكون قوله على صورة ابيهم ادم بدلا من قوله على خلق رجل واحد بل يكون
خبر مبتدا محذوف فاذا قيل المؤمنون موصوفون بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد
حسن الابدال انتهى وانما الاختلاف في المراد بلفظ الحديث والا فلا خلاف ان اهل الجنة كلهم
كاملون في الخلق والخلق جميعا بل الخلق بالضم هو الخليق بالاعتبار فانه موجب لحسن
الخلق بالفتح ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن وقد ورد انه سبحانه ما خلق الله نبيا الا حسن
الصورة وحسن الصوت لكن قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بيان ان يكون له صلى الله عليه
وسلم شان عظيم في خلق تصويره الجسم فان المومن مرات المؤمن فبمقدار صفا المراة وصفا
التها وتخليتها وتحليتها تنعكس وتتجلى فيها صورة المحبوب والمطلوب متفق عليه وفي الجامع
اول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والثانية على لون احسن كوكب دري في السما لكل
رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها رواه احمد والترمذي
عن ابي سعيد وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ياكلون
فيها ويشربون اي فيها ولا يتفلون اي لا يبصقون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون
من باب الافتعال وفيما سبق من باب التفعل قالوا اي بعض الصحابة فما بال الطعام اي ما شان
فضلته قال جشا بضم الجيم وهو تنفس المعدة من الامتلا قال شارح اي صوت مع ريح يخرج من
الفم عند الشبع اقول التقدير هو جشاء ورشح اي عرق كرشح المسك اي يصير فضلا الطعام جشاء
اي نظيره والا فجشا الجنة لا يكون مكروها بخلاف جشا الدنيا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اقصر
عنا جشاءك ويصير رشحا وهو اما باعتبار اختلاف الاشخاص او الاوقات او بعض الطعام يكون
جشاء وبعضه رشحا والاظهر ان الاكل ينقلب جشاء والشرب يعود رشحا والطعام قد يطلق عليهما
نظرا الى معنى الطعم ففي القاموس طعم الشي حلاوته ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب
اقول وبه يتم التنزيه في قوله وهو يطعم ولا يطعم هذا وفي رواية الجامع ولكن طعامهم ذلك جشا

ورشح كرشح المسك واما قول الطيبي اي يندفع الطعام بالجشا والرشح فهو حاصل المعنى
لاجل المبنى كما لا يخفى ثم بين بعض احوال اخر لاهل الجنة على سبيل الاستيناف والبيان حيث
قال يلهمون اي اهل الجنة التسبيح والتحميد اي ونحوهما من الاذكار كما يلهمون اي انتم في هذه
الدار النفس بفتحتين اي التنفس والمعنى لا يتعبون من التسبيح والتهليل كما لا تتعبون انتم او
هم من التنفس ولا يشغلهم شي من ذلك كما لا يشغلهم من التنفس كالملائكة او بين انها تصير صفة
لازمة لا ينفكون عنها كالتنفس اللازم للحيوان والحاصل انه لا يخرج عنهم نفس الا مقرونا بذكره
وشكره سبحانه ولذا قال العارفون ولمن خاف مقام ربه جنتان وجنة عاجلة في الدنيا وجنة
اجلة في العقبى فالاولى وسيلة للاخرى والاخرى نتيجة للاولى وقد اشير الى هذا المعنى في
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم اعلامن دوام ذكر الكريم وان الفجار لفي جحيم فان الحجاب اشد انواع
العذاب قال الطيبي الالهام القاء الشي في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله وجهة الملا الاعلى
فقوله يلهمون وارد على سبيل المشاكلة لان المراد به التنفس رواه مسلم وكذا احمد والترمذي
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدخل الجنة ينعم بفتح العين
ولا يباس بسكون الموحدة فالهمزة المفتوحة اي لا يفتقر ولا يهتم قال الطيبي هو تاكيد لقوله ينعم
والاصل ان الايجاب بالواو ولكن اراد به التقرير عن الطرد والعكس كقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون قلت وفي رواية الجامع لا يباس بلا عطف ولا يبلى بفتح اللام مع التذكير والتانيث
اي لا يخلق ثيابه ولا يفنى اي لا يذهب شبابه قال القاضي معناه ان الجنة دار الثبات والقرار
وان التغير لا يتطرق اليها فلا يشوب نعيمها بوس ولا يعتريه فساد ولا تغير فانها ليست دار
الاضداد ومحل الكون والفساد رواه مسلم وعن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ينادي مناد اي في الجنة وقيل اذا ارادها من بعيد ان لكم بكسر الهمزة اي قائلا ان لكم
ان تصحوا بكسر الصاد وتشديد الحا اي تكونوا صحيحة البدن دايما فلا تسقموا اي فلا تمرضوا
ابدا وان لكم ان تحيوا بفتح اليا اي تكونوا احيا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا بكسر الشين المعجمة
وتشديد الموحدة اي تدوموا شبابا فلا تهرموا بفتح الراء اي لا تشيبوا ابدا وان لكم ان تنعموا
فلا تباسوا ابدا قال الطيبي هذا النداء والبشارة الذ واشهى مافيه من السرور ونحي عكسه
انشد المتنبي اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه ارتحالا رواه مسلم
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة
يتراءون اي ينظرون او يرى بعضهم بعضا اهل الغرف بضم ففتح جمع غرفة وهي بيت يبنى فوق
الدار والمراد هنا القصور العالية في الجنة من فوقهم وفي هذا تصريح بان قوله تعالى في جنة
عالية يراد به العلو الحسي ايضا كما تتراءون اي انتم في الدنيا الكوكب الدري اي لصفا لونه ولوزه
وعلو ظهوره الغابر بالغين المعجمة من الغبور اي الباقي في الافق بضمتين جمع الافاق اي في اطراف
السما وفي نسخة بالهمزة بدلها من الغبور اي الذاهب في الافق البعيد الغور فيه من المشرق اي من
جانبه او المغرب اي من طرفه والظاهر ان او للتخيير في التشبيه كقوله تعالى او كصيب من السما
ونحو او كظلمات في بحر لجي وليست للشك قال التوربشتي قد اختلف في الغابر فمنهم من رواه بالهمز
بعد الالف من الغور يريدون انحطاطه في الجانب الغربي ومنهم من رواه بالبا من الغبور والمراد
منه الباقي في الافق بعد انتشار ضوء الفجر فانما يستنير في ذلك الوقت الكوكب المضي ولا
شك ان الرواية الاولى نشات من التصحيف انتهى ولم يذكر وجه التصحيف فيه وقال شارح

وروي الغاير من الغور وهو الا نحطاط وهو تصحيف لانه لا يناسبه قوله من المشرق اذ غور الكوكب
في الجانب الشرقي مما لا يتصور ثم قال قوله من المشرق والمغرب كذا في المصابيح اي بالواو والصواب
من المشرق الي المغرب كما في كتاب مسلم قاله المولف وكذا باو في شرح السنة وجامع الاصول ورياض
الصالحين قيل وانما ذكر المشرق والمغرب دون السماوات المقصود البعد والاثارة معا وقال
النووي معني الغاير الذاهب الماضي اي الذي تدلي للغروب وبعد عن العيون وروي في غير صحيح
مسلم الغارب بتقديم الراء وهي الغارب بالعين المهملة والزاي ومعناه البعيد في الافق فكلها
راجعة الي معني واحد قال الطيبي فان قلت ما فايدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الافق
قلت للايذان بانه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة امور متوهمة في المشبه شبه روية
الرائي في الجنة صاحب الغرفة برويته الدري الكوكب المستضي الباقي في جانب الشرق او الغرب في الاستضاة
مع البعد فلو قيل الغاير لم يصح لان الاشراق يفوت عند الغروب اللهم الا ان يقدر المستشرف علي
الغروب كقوله تعالي حتي اذا بلغن اجلهن اي شارفن بلوغ اجلهن لكن لا يصح هذا المعني في الجانب
الشرقي نعم يجوز علي التقدير كقولهم متقلدا سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وما باردا اي طالعا في الافق
من المشرق وغابرا في المغرب لتفاضل ما بينهم علة للتراي والمعني انما ذلك لتزايد مراتب ما بين سائر
اهل الجنة العالية وما بين ارباب اهل الغرف العالية قيل الجنة طبقات اعلاها للسابقين واوسطها
للمقتصدين واسافلها للمخلصين قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلي اي يبلغها
غيرهم من الاوليا ويشاركها معهم بعض الاصفيا والذي نفسي بيده رجال اي وهم رجال او يبلغها رجال
اي كاملون في الرجولية كقوله تعالي رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله امنوا بالله اي حق
الايمان وشهاية الايقان ونهاية الاحسان وصدقوا المرسلين في اجابة ما امروا به ونهوا عنه
وقاموا بصف الصابرين والشاكرين قوالي مقام الراضين قال تعالي وعباد الرحمن الذين يمشون
علي الارض هونا الي ان قال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الاية وفي جمع المرسلين اشعار بان
هذه المرتبة العلية غاية للسابقين علي حسب تفاوتهم في المراتب السنية وليست خاصة
لهذه الامة مع ان تصديق المرسلين علي وجه التحقيق انما هو لهذه الجماعة نعم قد يراد به مقابلة
الجمع بالجمع فالمراد رسوله خاصة بالاصالة وساير الرسل بالتبعية فانه يلزم من التصديق
واحد التصديق بالكل وكذا في جانب التكذيب ومنه قوله تعالي كذبت قوم نوح المرسلين
متفق عليه وكذا رواه احمد وابن حبان والدارمي عن ابي سعيد وكذا الترمذي عن ابي هريرة
ورواه احمد والشيخان وابن حبان عن سهل بن سعد ولفظه ان اهل الجنة ليتراون اهل الغرف
في الجنة كما تراون الكوكب في السما ورواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عن
ابي سعيد والطبراني عن جابر ابن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن ابي هريرة بلفظ ان
اهل الدرجات العلي ليراهم من هو اسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في افق السماوات ان ابا بكر
وعمر منهم وانعما وفي بعض طرق الحديث قيل وما معني انعما قال اهل لذلك هما وروي ابن عساكر
عن ابي سعيد مرفوعا ان اهل عليين ليشرف احدهم علي الجنة فيضي وجهه لاهل الجنة كما يضي
القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وروي ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان
والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا ان في الجنة لعمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها ابواب
مفتحة تضي كما يضي الكوكب الدري يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون
في الله وروي احمد وابن حبان والبيهقي عن مالك الاشعري والترمذي عن علي مرفوعا ان في الجنة

عرفا يري ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن اطعم الطعام والان الكلام وتابع الصيام وصلي
بالليل والناس نيام وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يدخل الجنة
اقوام افيدتهم اي قلوبهم مثل افيدة الطير اي في الرقة واللينة والرحمة والصفا والخلو عن الحسد والحقد
والغل والبغضا ومحله لكونها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب قال النووي قيل مثلها في رقتها
كما ورد اهل اليمن ارق افيدة والين قلوبا قيل وفي الخوف والهيبة والطير اكثر الحيوان خوفا وفزعا قال
تعالي انما يخشي الله من عباده العلما وقيل في التوكل كما ورد لو انكم تتوكلون علي الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقد قال تعالي وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم رواه مسلم وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم ان الله تعالي يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة يقولون لبيك ربنا اي يا ربنا وسعديك
اي جنسه او جميع افراده في يديك اي منحصر في قبضته قدرتك وارادتك فيقول
هل رضيتم اي عن ربكم فيقولون وما لنا لا نرضي الاستفهام للتقرير والمعني اي شي مانع
لنا من ان لا نرضي عنك يا رب اي يا ربي والقياس يا ربنا فكانه افرد باعتبار كل قايل وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك الجملة حالية فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك اي من
عطايكم هذه فيقولون يا رب واي شي افضل من ذلك اي من عطايك هذه فيقول احل
بضم الهمزة وكسر الحا اي انزل عليكم رضواني بكسر الرا وبضم اي دوام رضواني فانه
لا يلزم من كثرة العطا دوام الرضا ولذا قال فلا اسخط بفتح الخا المعجمة اي لا اغضب عليكم
بعده ابدا ثم اللقا يترتب علي الرضا من الرب المتفرع علي الرضا من العبد للقضا ترتيب البقا
بعد تحقق الفنا قال ابن الملك في الحديث دلالة علي ان رضوان الله تعالي علي العبد فوق ادخاله اياه الجنة
وقال الطيبي الحديث ماخوذ من قوله تعالي وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من
تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر الكشاف انما كبر من ذلك
كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة
اكبر اصناف الثواب لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراه من
النعم وانما يتهنا له برضاه كما ينتقص عليه بسخطه ولم يجد لها لذة وان عظمت قال الطيبي
واكبر اصناف الكرامة روية الله تعالي قلت ولعل الرضوان اكبر لاشتماله علي تحصيل اللقا وساير
انواع النعما متفق عليه وكذا رواه احمد والترمذي وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ان ادني مقعد احدكم اي اقل مرتبة ملكه مسيرة جنانه ومسافة
قصوره من الجنة اي فيها ان يقول له اي الله او الملك له تمن فيتمني ويتمني والظاهر ان المراد
بالتكرير هو التكثير قال الطيبي قوله ان يقول له خبران والمعني ان ادني منزلة احدكم
في الجنة ان ينال امانيه كلها بحيث لا تبقي له امنية ونحوه قول الشاعر

لم يبق جودك لي شيا اومله • تركتني اصحب الدنيا بلا امل

فيقول له اي الرب له هل تمنيت اي جميع امانيك فيقول نعم فيقول له فان لك ما تمنيت
اي وعدا وعدلا ومثله معه اي زيادة وفضلا وفيه ايما الي ان من يكون منتهي تمناه رضي
مولاه وما يترتب عليه من لقاه فلا يتصور له من يد ان يعطاه رواه مسلم وعنه اي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم سيحان وجيحان بفتح
اولهما نهران بالشام اولهما من السيح بالسين والحا المهملتين وهو جري الما علي وجه

الارض والنون فيه زايدة وثانيهما من جحن الصبي بالجيم فالحا اذا ساء غذاه والنون فيه اصلية والفرات نهر بالكوفة والنيل نهر مصر واما سيحون فنهر بالهند وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم كذا قاله شارح وقيل سيحان نهر بالشام وقيل بالهند وجيحان نهر بلخ وقال المظهر سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون والمذكوران في الحديث في بلاد الارمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان نهر اردنه وهما نهران عظيمان جدا هذا هو الصواب واما قول الجوهري جيحان نهر بالشام فغلط وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا على ان جيحون بالواو نهر خراسان وقيل سيحون نهر بالسند كلها اي كل واحد منها من انهار الجنة انما جعل الانهار الاربعة من انهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم ولتضمنها البركة الالهية وتشرفها بورود الانبيا اليها وشربهم عنها وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم في عجوة المدينة انها من ثمار الجنة ويحتمل انه سمي الانهار التي هي اصول انهار الجنة بتلك الاسامي ليعلم انها من الجنة بمثابة الانهار الاربعة في الدنيا او لانها مسميات بتلك الاسما فوقع الاشتراك فيها كذا ذكره شارح من علمائنا وقال القاضي جعل الانهار الاربعة لعذوبة مايها وكثرة منافعها كانها من انهار الجنة ويحتمل ان يكون المراد بها الانهار الاربعة التي هي اصول انهار الجنة وسماها باسامي الانهار الاربعة التي هي اعظم انهار الدنيا واشهرها واعذبها وافيدها عند العرب على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم انها في الجنة بمثابتها وان ما في الدنيا من انواع المنافع والنعايم انموذجات لما يكون في الاخرة وكذا ما فيها من المضار الردية والمستكرهات المؤذية وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض كون هذه الانهار من الجنة الايمان عم بلادها وان الاجسام المتغذية بمائها صائرة الى الجنة والاصح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة مخلوقة لانها موجودة اليوم عند اهل السنة وقد ذكر مسلم في كتاب الايمان في حديث الاسرا ان الفرات والنيل يخرجان من الجنة وفي البخاري من اصل سدرة المنتهى وفي معالم التنزيل روي عن ابن عباس ان الله تعالى انزل هذه الانهار من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واودعها في الارض وجعل فيها منافع للناس وذلك قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القران والعلم والحجر الاسود ومقام ابراهيم وتابوت موسى وهذه الانهار فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون رواه مسلم وعن عتبة بضم عين مهملة فمثناة فوقية ساكنة فموحدة على ما في اسما الرجال للمولف ابن غزوان بفتح معجمة وسكون زاي قيل هو سابع سبعة في الاسلام قال ذكر لنا هو في حكم المرفوع لان القايل في الصحابي الكبير انه لا ياخذ من غير النبي صلى الله عليه وسلم او من الصحابة ومراسيل الصحابة حجة بالاتفاق المعنى بلغنا ان الحجر يلقى اي يرمى من شفة جهنم بفتح اوله وبكسر واحدة الشفاة اي من شفير جهنم وطرفها فيهوي اي فيسقط الحجر وينزل فيها اي في هوي جهنم سبعين خريفا اي سنة لا يدرك اي الحجر لها اي لجهنم قعرا وهو ابلغ من ان يقال لا يصل الى قعرها والمعنى انها مع طولها وعرضها وعمقها والله لتملان بصيغة المجهول اي جهنم من الكفار ثم قال عتبة بعد وصف جهنم انتقالا الى نعت الجنة ولقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة اي ما بين طرفي باب من ابوابها مسيرة اربعين

سنة

سنة وليأتين عليها يوم وهو لعل كلا من ضميري عليها وهو يرجع الى ما فالاول باعتبار المعنى لان ما عبارة عن اماكن والثاني باعتبار لفظ فالمعنى والحال ان ما بينهما لكظيظ بالمعجمتين اي مملو فعيل بمعنى مفعول وقيل اي ممتلي من الزحام بكسر الزاي اي الكثرة رواه مسلم

الفصل الثاني

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الما قيل اي من النطفة والظاهر ان يكون اقتباسا من قوله تعالى وجعلنا من الما كل شي حي اي وخلقنا من الما كل حيوان لقوله سبحانه والله خلق كل دابة من ما وذلك لان الما اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه بعينه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشي مخصوص بالحيوان قلنا وفي نسخة صحيحة قلت الجنة ما بناؤها اي هل من حجر ومدر او خشب او شعر قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة اي بناؤها يلمع ومرصع فيها او ذكر النوعين باعتبار الجنتين كما تقدم والله اعلم وملاطها بكسر الميم اي ما بين اللبنتين موضع الفورة المسك الاذفر اي الشديد الريح في النهاية الملاط الطين الذي يجعل بين سافتي البنا يملط به الحايط اي يخلط وحصباؤها الصغار التي في الانهار اللولو والياقوت اي مثلها في اللون والصفا وتربتها اي مكان ترابها الزعفران اي الناعم الاصفر الطيب الريح يجمع بين الوان الزينة وهي البياض والحمرة والصفرة ويتكمل بالاشجار الملونة بالخضرة ولما كان السواد مما يتم الفواد خص باهل العناد من العباد من يدخلها ينعم ولا يباس بفتح وسطها قال التوربشتي قد وجدناه في المصابيح وفي بعض كتب الاحاديث يبوس بالهمزة المضمومة لدلالة الواو على الضم وباس الامر يبوس اذا اشتد وباس وبياس اذا افتقر والغلط انما وقع في رسم الخط والصواب لا يباس انتهى وفي القاموس الباس العذاب والشدة في الحرب ومنه الباس ويوس كلوم وليس كسمع اشتدت حاجته ومنه البايسا ويخلد اي يدوم فيها فلا يتحول عنها ولا يموت اي لا يفنى بل دايما يبقى ولا تبلى بفتح اوله اي لا تخلق ولا تنقطع ثيابهم ولذا اثاثهم ولا يفنى شبابهم اي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان فانهم خلقوا للنعيم الابدي في ذلك المكان رواه احمد والترمذي والدارمي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب واما اغصانها فمختلفة فتارة من ذهب واخرى من فضة او ياقوتة او زمردة او لولوة او مرصعة ملمعة مزينة بانواع الازهار واصناف الانوار ومن فوقها اجناس الاثمار ومن تحتها تجري الانهار رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ماية درجة قال ابن الملك المراد بالماية هنا الكثرة وبالدرجة المرقاة اقول الاظهر ان المراد بالدرجات المراتب العالية قال تعالى هم درجات عند الله اي ذووا درجات بحسب اعمالهم من الطاعات كما ان اهل النار اصحاب دركات متسافلة بقدر مراتبهم في شدة الكفر كما يشير اليه قوله سبحانه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويؤيده الحديث الذي يليه وظاهر قوله ما بين كل درجتين ماية عام اي مقدار مسافة ماية سنة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ماية درجة لو ان العالمين اي خلق الاولين والاخرين اجتمعوا في احديهن لوسعتهم اي لكفتهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وكذا رواه ابن حبان من وجه اخر وصححه وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه في قوله وفرش مرفوعة قال

ارتفاعها اي اعتلا فرش الجنة وارتفاع الدرجة التي فرشت الفرش المرفوعة فيها لكما بين السما
والارض خبر لارتفاعها لقوله مسيرة خمسماية سنة او الثاني بدل اوبيان ثم دخول اللام
في خبر المبتدا كما في قول الشاعر

ام الحليس لعجوز شهربه ترضي من اللحم بعظم الرقبة

والشهربة العجوز الكبيرة ومثله الشهبرة على ما في الصحاح والكاف في لكما اسم قال الزجاج
في قوله تعالى ان هذان لساحران قالت النحاة القدما ان الضمير فيه مضمر اي انه
هذان لساحران قالوا واصل هذه اللام ان تقع في المبتدا ووقوعها في الخبر جايز هذا وفي
الكشاف في قوله فرش مرفوعة اي نضدت حتي ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي
النسا لان المراة يكني عنها بالفراش ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشا وعلى التفسير
الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انتهي فمن مرفوعة على الفرش او السرر
او بالجمال شبا اهل الدنيا على ما قيل فان كل فاضل رفيع لكن ثبت في الحديث ان المومنات
احسن من الحور لصلاتهن وصيامهن قال التوربشتي قول من قال المراد منه ارتفاع
الفرش المرفوعة في الدرجات وما بين كل درجتين من الدرجات كما بين السما والارض
هذا القول اوثق واعرف الوجوه المذكورة ذلك لما في الحديث ان للجنة ماية درجة ما بين
كل درجتين كما بين السما والارض انتهي وعارضه الطيبي بما لا طايل تحته فاعرضت عن
ذكره وتركت نحته رواه الترمذي اي موقوفا وقال هذا حديث غريب وعنه اي عن
ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة يوم القيامة وهم الانبيا عليهم السلام ضوء وجوههم اي نورها على مثل ضوء القمر ليلة
البدر وهو وقت كمال انارته والزمرة الثانية على مثل احسن كوكب دري في السما وهم الاوليا
والصلحا على اختلاف مراتبهم في الضيا لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة
بضم حا وتشديد لام ولا نظلق غالبا الا على ثوبين يري اي يبصر مخ ساقها اي مخ عظام
ساق كل زوجة من وراها اي من فوق حللها السبعين لكمال لطافة اعضايها وثيابها
والتوفيق بينه وبين خبر ادني اهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة وثمانون الف
غلام بان يقال لكل منهم زوجتان موصوفتان بان يري مخ ساقها من وراها وهذا لا ينافي
ان يحصل لكل منهم كثير من الحور العين الغير البالغة التي هذه الغاية كذا قيل والاظهر
ان لكل زوجتان من نسا الدنيا واما ادني اهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة في
الجملة يعني ثنتين من نسا الدنيا وسبعين حور عين والله سبحانه اعلم رواه الترمذي
وكذا احمد في مسنده وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطي
المومن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع وهو كناية عن جماع عدة من النسا كالعشرة
مثلا قيل يا رسول الله اويطيق بفتح الواو اي ايعطي تلك القوة ويستطيعون ذلك
المقدار والاشارة الي مضمون قوله كذا وكذا من الجماع قال يعطي قوة ماية اي ماية
رجل كما قيل او ماية مرة من الجماع والمعني فاذا كان كذلك فهو يطيق ذلك رواه
الترمذي وفي الجامع يعطي المومن في الجنة قوة ماية في النسا رواه الترمذي وابن
حبان عن انس وفي الجامع ان الرجل من اهل الجنة يعطي قوة ماية رجل في الاكل والشرب
والشهوة والجماع حاجة احدهم عرق يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر رواه الطبراني

عن زيد

عن زيد بن ارقم وعن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان ما يقل
بضم اليا وكسر القاف وتشديد اللام اي يحمله ظفر تضمنين ويسكن الثاني قال الطيبي
ما موصولة والعايد محذوف اي ما يقله وقال القاضي اي قدر ما يستقله يحمله ظفر
ويحمل عليه مما في الجنة اي من نعيمها بدا بالالف اي ظهر في الدنيا للناظرين لتزخرفت اي
تزينت له اي لذلك المقدار ولسببه من الاغيار وظهور الانوار ما بين خوافق
السموات والارض اي اطرافها وقيل منتهاها وقيل الخافقان للمشرق والمغرب كذا ذكره شارح
وقال القاضي الخوافق جمع خافقة وهي الجانب وهي في الاصل الجانب التي تخرج منها الرياح من
الخفقان ويقال الخافقان للمشرق والمغرب قال الطيبي وتانيث الفعل لان ما بين بمعني الاماكن
كما في قوله تعالى اضات ما حوله في وجه ولو ان رجلا من اهل الجنة اطلع بتشديد الطا اي
اشرف على اهل الدنيا فبدا اي ظهر اساوره جمع اسورة جمع سوار والمراد بعض اساوره ففي
تيسير الوصول فبدا سواره لطمس ضوءه اي محا نوره ضوء الشمس كما تطمس الشمس
وفي نسخة كما يطمس ضو الشمس ضوء النجوم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وقد سبق هذا المعني في احاديث بعضها في صحيح البخاري وبعضها في الصحيحين في الجامع
ان الرجل من اهل العليين ليشرف على اهل الجنة فتضي الجنة لوجهه كانها كوكب دري رواه
ابوداود عن ابي سعيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة جرد بضم الجيم وسكون را جمع اجرد وهو الذي لا شعر على جسده وضده الاشعر مرد
جمع امرد وهو غلام لا شعر على ذقنه وقد يراد به الحسين بنا على الغالب كحلي بفتح الكاف
فعلي بمعني فعيل اي مكحول وهو عين في اجفانها سواد خلقة كذا قاله شارح وفي النهاية
الكحل بفتحتين سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل وكحلي جمع كحيل لا يفني
شبابهم ولا تبلي ثيابهم رواه الترمذي والدارمي وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين اي خلقة او مكحلين ابنا ثلاثين
اي اترابا او ثلاث اي ابنا ثلاث وثلاثين سنة او لشك الراوي رواه الترمذي قيل
وحسنه وعن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر له اي والحال انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهي قيل هي شجرة نبق
في السما السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر والمنتهي بمعني موضع الانتها او الانتها
كانها في منتهي الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملايكة وغيرهم ولا يعلم
احد ما وراها قال اي النبي عليه السلام يسير الراكب المجد في ظل الفنن بحركة اي الغصن
وجمعه الافنان ومنه قوله تعالى ذواتا افنان ويقال ذلك للنوع من الشي وجمعه فنون
كذا حققه الراغب منها اي من السدرة ماية سنة او يستظل بظلها ماية راكب والاول ابلغ
ويمكن ان يراد بها المبالغة في طولها وعرضها فالتخيير او التنويع باختلاف بعض الاماكن
او بالنسبة الي نظر بعض الاشخاص لكن قوله شك الراوي يابي عن ذلك الا انه لم يعرف
من كلام من والشك وقع ممن والله اعلم فيها اي سدرة المنتهي والمعني في ما بين
اغصانها او عليها بمعني فوقها مما يغشيها فراش الذهب بفتح الفا جمع الفراشة وهي
التي تطير وتتهافت في السراج قيل هذا تفسير لقوله تعالى اذ يغشي السدرة ما
يغشي ومنه اخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشي بقوله يغشاها فراش من ذهب

قال الامام ابو الفتح العجلي في تفسيره ولعله اراد الملايكة بتلولوا اجنحتها تلالو اجنحة الفراش كانها من هيبة كان نمرها القلال اي قلال هجر في الكبر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن انس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر بفتح الهاء ويسكن اي جدول ما وفي طرفيه حوضان احدهما في الجنة والاخر في الموقف وانما قال القايل يعني في الجنة لكون اكثره في الجنة او مال تمامه اليها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وفيه ايما الي ان ماءه جامع بين نوع اللبن ولذة العسل واشارة الي قوله تعالي وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فيه اي في ذلك النهر او في اطرافه طير اي جنس من الطيور طويل العنق وكبيره كاعناق الجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور والمعني انه اعد للخير ليا كله اصحاب شرب ذلك النهر فانها تتم عيش الدهر قال عمر ان هذه اي الطير فانه يذكر ويونث لناعمة اي لمتنعمة او لنعمة طيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها بفتحات جمع اكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب وهذا هو الذي في اصل الجزري وساير النسخ المصححة والمعني من ياكلها انعم منها وفي نسخة صحيحة وهي اصل السيد اكلها بالمد وكسر الكاف على صيغة الواحدة قد يستعمل للجماعة وفي نسخة اكلها بصيغة الفاعل المذكر وفي اخري اكلوها بصيغة جمع المذكر رواه الترمذي ورواه الحاكم عنه مرفوعا الكوثر نهر اعطانيه الله في الجنة ترابه مسك ابيض من اللبن واحلي من العسل ترده طار اعناقها مثل اعناق الجزر اكلها انعم منها وعن بريدة بالتصغير ان رجلا قال يا رسول الله هل في الجنة خيل قال ان الله بكسر الهمزة وسكون النون على ان شرطية ثم كسر للالتقا ادخلك الجنة قال الطيبي الله مرفوع بفعل يفسره ما بعده ولا يجوز رفعه على الابتدا لوقوعه بعد حرف الشرط وقوله فلا تشا ان تحمل فيها جواب الشرط اي فلا تشا الحمل في الجنة على فرس من ياقوتة حمرا بطير بالتذكير ويونث ففي القاموس الفرس للذكر والانثي اي يسرع بك في الجنة حيث شيت الافعلت بصيغة المخاطب المذكر المعلوم والمعني ان تشا تفعله وفي نسخة على بنا المجهول اي حملت عليها وركبت وفي اخري بتا التانيث الساكنة فالضمير للفرس اي حملتك قال القاضي تقدير الكلام ان ادخلك الجنة فلا تشا ان تحمل علي فرس كذا كذا الا حملت عليه والمعني انه ما من شي تشتهيه الانفس الا وتجده في الجنة كيف شات حتي لو اشتهيت ان تركب فرسا علي هذه الصفة لوجدته وتمكنت منه ويحتمل ان يكون المراد ان ادخلك الله الجنة فلا تشا ان يكون لك مركب من ياقوتة حمرا يطير بك حيث شيت ولا ترضي به فتطلب فرسا من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة والمعني فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود ويدل علي هذا المعني ما جا في الرواية الاخري وهو ان ادخلت الجنة اتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ولعله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يعين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما من التفاوت علي التصوير والتمثيل مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا اثبت الجواهر وادومها وجودا واصفها لونا واصفاها جوهرا وفي شدة حركته وسرعة انتقاله كالطير واكد ذلك في الرواية الاخري بقوله جناحان وعلي هذا قياس ما ورد في صفة ابنية الجنة ورياضها وانهارها الجعود لك والعلم بحقايقها عند الله تعالي قال الطيبي الوجه الاول ذهب اليه الشيخ التوربشتي وتقدير قوله الا حملت يقتضي ان يروي قوله الافعلت

علي بنا الفاعل كان التقدير فلا تكون بمطلوبك الا فايزا والوجه الثاني من الوجهين السابقين قريب من اسلوب الحكيم فان الرجل سال عن الفرس المتعارف في الدنيا فاجابه صلى الله عليه وسلم بما في الجنة اي اترك ما طلبته فانك مستغن عنه بهذا المركب الموصوف وساله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل قال اي بريدة فلم يقل له ما قال لصاحبه اي مثل مقوله لصاحبه الذي سبق بل اجابه بمختصر فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهيت نفسك ولذت عينك اي وجدت عينك لذاذة من لذذت بالكسر لذاذا ولذاذة اي وجدته لذيذا قاله شارح وفيه اشارة الي قوله تعالي وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين رواه الترمذي وعن ابي ايوب قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم اي جاءه اعرابي اي بدوي فقال يا رسول الله اني احب الخيل اي في الدنيا افي الجنة خيل يعني اوليس فيها اولا يشتهي للاستغنا عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دخلت الجنة اتيت اي جيت بفرس من ياقوتة قيل اراد الجنس المعهود مخلوقا من انفس الجواهر وقيل ان هناك مركبا من جنس اخر يغنيك من المعهود لما مر والاخير هو الاظهر لما سياتي ولقوله جناحان فحملت عليه بصيغة المجهول اي ركبت ثم طار بك حيث شيت رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس اسناده بالقوي وابو سورة بفتح السين المهملة الراوي اي راوي هذا الحديث يضعف اي ينسب الي الضعف باحد اسبابه في الحديث اي في علمه او في اسناده وسمعت محمد بن اسماعيل اي البخاري يقول ابو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير وروي الطبراني عن ابي ايوب مرفوعا ان اهل الجنة يتزاورون علي النجايب بيض كانهن الياقوت وليس في الجنة شي من البهايم الا الابل والطير وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومايه صف اي قدرها او صورا واصفوفا ثمانون اي صفا منها اي من جملة العدد كاينون من هذه الامة واربعون اي صفا من ساير الامم والمقصود بيان تكثير هذه الامة وانهم ثلثان في القيامة قال الطيبي فان قلت كيف التوفيق بين هذا وما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة قلت يحتمل ان يكون الثمانون صفا مساويا في العدد للاربعين صفا وان يكون كما زاد علي الربع والثلث يزيد علي النصف كرامة له صلى الله عليه وسلم قلت وهذا هو الاظهر علي ان النصف قد يطلق ولم يرد به التساوي في العدد او الصف وكذا يوصف بالاقل والاكثر رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في كتاب البعث والنشور وكذا رواه احمد وابن ماجة وابن حبان والحاكم عنه والطبراني عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ابي موسي وعن سالم تابعي جليل عن ابيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بصيغة المجهول الجمع فيكون صفة للامة وفي نسخة بصيغة الافراد علي انه صفة الباب وهو الظاهر اذ المعني باب امتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود اسم فاعل من التجويد وهو التحسين قال شارح اي الراكب الذي يجود ركض الفرس من جودته اي جعلته جيدا في اساس البلاغة يجود في صنيعه يتنوق فيها واجاد الشي وجوده احسن فيما فعل وجود في عدوه عدا عدوا جوادا وفرس جواد من خيل جياد قال الطيبي والمجود ويحتمل ان يكون صفة الراكب والمعني الراكب الذي يجود ركض

الفرس وان يكون للمضاف اليه والاضافة لتقطيه اي الفرس الذي يجود في عدوه ثلاثا ظرف مسيرة
والمعنى ثلاث ليال اوسنين وهو الاظهر لانه يفيد المبالغة الكثرة ثم المراد به الكثرة لئلا يخالف
ما سبق من ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة اربعين سنة على انه يمكن انه
اوحي اليه اولا بالقليل ثم اعلم بالكثير او يحمل على اختلاف الابواب باختلاف اصحابها والله اعلم
ثم انهم اي اهل الجنة من امتي عند دخولهم من ابوابها فالمراد بالباب جنسه ليضغطون
بصيغة المجهول اي ليعصرون ويضيقون عليه اي على الباب حتى تكاد اي تقرب مناكبهم
تزول اي تنقطع من شدة الزحام رواه الترمذي وقال هذا حديث ضعيف وفي المصابيح
ضعيف منكر قال شارح له اي هذا الحديث منكر لمخالفته للاحاديث الصحيحة التي
وردت في هذا المعنى مما مر وسالت محمد ابن اسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه اي اهل
الحديث والعالم بالحديث المحيط بطرق الاحاديث اذا قال لم اعرفه دل على ضعفه وقال
اي البخاري يخلد بضم اللام بن ابي بكر وهو احد رواة هذا الحديث يروي المناكير يعني
فيكون حديثا ضعيفا وليس فيه ان حديثه هذا منكر قال السيد جمال الدين قوله
يخلد سهو من صاحب المشكوة وصوابه خالد اذ في الترمذي خالد بن ابي بكر وكذا في
كتب اسماء الرجال وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
لسوقا اي مجمعا والسوق مونث سماعي ولذا قال ما فيها اي ليس في تلك السوق شري
بالكسر والقصر اي اشترا ولا بيع والمعنى ليس فيها تجارة الا الصور بالنصب وفي نسخة
بالرفع اي التماثيل المختلفة من الرجال والنسا فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وكذا
اذا اشتهى صورة لنسائه دخلن فيها قال الطيبي قد سبق في الفصل الاول في حديث
انس ان المراد بالسوق المجمع وهذا يويده يعني حديث قال ما فيها شري ولا بيع
قال فالاستثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا بان يحمل تبديل الهيئات من
جنس البيع والشرا كقوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم يعني على وجه والا فالمعتمد ان استثناه منقطع ثم قيل يحتمل الحديث معنيين
احدهما ان يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه فاذا اشتهى وتمنى تلك
الصور المعروضة عليه صوره الله سبحانه وتعالى بشكل تلك الصور بقدرته وثانيهما ان
المراد من الصور الزينة التي يتزين الشخص بها في تلك السوق ويتلبس بها ويختار
لنفسه من الحلي والحلل والتاج يقال لفلان صورة حسنة اي هيئة مليحة يعني فاذا
رغب في شي منها اعطيه ويكون المراد من الدخول فيها التزين بها وعلى كلا المعنيين التغير
في الصفة لا في الذات قال الطيبي ويمكن ان يجمع بينهما ليوافق حديث انس تهب
ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا الحديث قلت
وهو مقتبس من قوله تعالى وفيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولعل التقييد
بالمكان وهو السوق والزمان وهو يوم الجمعة وبخصوص الصور لكونه يوم المزيد ويوم
اللقا ويوم الجمع ومشاهدة اهل البقا وزيادة اهل الصفا والله سبحانه اعلم وسياتي
في الحديث الذي يليه مزيد بيان لذلك رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وعن سعيد بن المسيب تابعي جليل انه لقي ابا هريرة اي في السوق على ما يدل
عليه السياق فقال ابو هريرة اسال الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة اي

وجه ——— هو وجل

كما جمع بيننا في سوق المدينة فقال سعيد افيها اي افي الجنة سوق يعني وهو موضوعة
للحاجة الى التجارة قال نعم اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالفتح في اصل السيد
وغيره وفي نسخة بالكسر على الحكاية اي الخبر هو قوله ان او التقدير قائلا ان اهل
الجنة اذا دخلوها اي الجنة نزلوا فيها اي في منازلها ودرجاتها بفضل اعمالهم اي
بقدر زيادة طاعاتهم كمية وكيفية ثم يوذن لهم في مقدار يوم الجمعة اي قدر اتيانه
والمراد مقدار الاسبوع من ايام الدنيا فيزورون ربهم اي فيه ويبرز من الابراز اي
ويظهر ربهم لهم عرشه اي نهاية لطفه وغاية رحمته كما اشير اليه بقوله الرحمن
على العرش استوى والا فقد سبق ان العرش سقف الجنة وللتكلم ايضا على وجه التنزيه
من الجنة قول ويتبدى بتشديد الدال اي يظهر ويتجلى ربهم لهم في روضة اي عظيمة من
رياض الجنة فيوضع لهم منابر اي كراسي مرتفعة من نور ومنابر من ياقوت ومنابر
من زبرجد بفتح زاي وموحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة جوهر معروف ومنابر
من ذهب ومنابر من فضة اي بحسب مقادير اعمالهم ومراتب احوالهم ويجلس ادناهم
اي ادونهم منزلة وما فيهم دني اي والحال انه ليس في اهل الجنة دون وخسيس قال الطيبي
هو تتميم صونا لما يتوهم من قوله ادناهم الدناة والمراد به الادنى في المرتبة والحاصل انه
يجلس اقل اهل الجنة على كثبان المسك بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيب اي
تل من الرمل المستطيل من كثبت الشي اذا جمعته والكافور بالجر عطف على المسك
ففي القاموس هو نبت طيب نوره كنور الاقحوان او الطلع او وغايد وطيب معروف
يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وبالفه النمور وخشبه
ابيض هش ويوجد في اجوافه الكافور وهو انواع ولونها احمر وانما يبيض بالتصعيد
مع الكرم وعيني في الجنة ما يرون بصيغة المجهول من الارادة والضمير الى الجالسين
على الكثبان اي لا يظنون ولا يتوهمون ان اصحاب الكراسي ارباب المنابر بافضل منهم
مجلسا حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن بل انهم واقفون في مقام الرضا ومنزله دون حال التسليم بما جرى القضا قال ابو
هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا اي بتجلي الذات قال نعم هل تتمارون بفتح
الرا وفي نسخة بحذف احدى التائين اي تشكون في رؤية الشمس اي في رويتكم
الشمس والقمر قال وكذلك لا تتمارون في رؤية ربكم والتشبيه انما هو في كمال الظهور
لا في غيره من خطرات تختلج في الصدور ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره
الله محاضرة بالضاد المعجمة من الحضور وقد صحف بالمهملة قال التوربشتي
الكلمتان بالحا المهملة والضاد المعجمة والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة
مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان وبينه الحديث ما منكم من احد الا ويكلمه ربه
ليس بينه وبينه ترجمان الحديث والمعنى خاطبه الله مخاطبة وحاوره محاورة
حتى يقول للرجل منهم يا فلان بالفتح وفي نسخة بالضم ابن فلان بنصب ابن وهو
ظاهر وهما كنايتان عن اسمه واسم ابيه روى احمد وابو داود عن ابي الدردا مرفوعا
انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسما ابائكم فاحسنوا اسماكم اتذكر يوم
قلت كذا وكذا اي مما لا يحل في الشرع فكانه يتوقف الرجل فيه ويتامل فيما ارتكبه

من معاصيه فيذكره بتشديد الكاف اي فيعلمه الله ببعض غدراته بفتح الغين المعجمة
والدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفا والمراد معاصيه
لانه لم يف بتركها الذي عهده الله اليه في الدنيا فيقول يا رب افلم تغفر لي اي
ادخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر لي من المعصية فيقول بلى اي غفرت لك فبسعة
مغفرتي بفتح السين وتكسر بلغت اي وصلت منزلتك هذه قال الطيبي عطف
على مقدر اي غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة والتقديم
دل على التخصيص اي بلوغك تلك المنزلة كاين بسعة رحمتي لا بعملك فبينا
وفي نسخة فبينما هم على ذلك اي اهل الجنة على ما ذكر من المحاضرة والمحاورة غشيتهم
اي غطتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا اي عطرا لم يجدوا مثل ريحه
شيئا قط ويقول ربنا قوموا الى ما اعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم
فناتي سوقا قد حفت بتشديد الفا اي احاطت به الملائكة فيها كذا وفي بعض الاصول
المعتمدة موجود والمعنى عليه اي في تلك السوق ما لم تنظر العيون بضم العين
وتكسر جمع العين الى مثله وهو في نسخ اكثر الشراح مفقود فقال الظاهر ما موصولة
والموصول مع صلته يحتمل ان يكون منصوبا بدلا من الضمير المنصوب المقدر
العايد الى ما في قوله ما اعددت ويحتمل ان يكون في محل الرفع على انها خبر مبتدا
محذوف اي المعد لكم وقال شارح اي هو مبتدا خبره محذوف اي فيها اقول
وهو احق واوفق وقال الطيبي الوجه ان يكون ما موصوفة بدلا من سوق
ولم تسمع الاذان بمد الهمزة جمع الاذن اي وما لم تسمعه مثله ولم يخطر بضم الطاء اي وما
لم يمر مثله على القلوب وهذا هو معنى الحديث القدسي المشهور اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر على ما رواه
ابو هريرة ايضا كما سبق فيحمل لنا اي فنقول ما اشتهينا اي في تلك السوق
من انواع المرزوق ليس يباع فيها ولا يشترى الجملة حال من ما في اشتهينا
وهو المجهول والضمير في يباع عايد اليه وفي ذكر السوق هو يذكر ويونث
فانثه تارة وذكره اخرى والتانيث اشهر والشراي وفي تلك السوق يلقى
اي يرى اهل الجنة بعضهم بعضا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو هريرة
مرفوعا حقيقة او موقوفا في حكم المرفوع فيقبل من الاقبال اي فيجي ويتوجه
الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه اي في المرتبة والمنزلة وما فيهم
من دني زيد من المبالغة في نفي الاستغراق وفي نسخة صحيحة بدونهم
كما في صدر الحديث فيروعه بضم الراء يعجب الرجل ما يرى اي يبصره عليه اي
على من هو دونه من اللباس بيان لما ذكره شارح والظاهر عكس مرجع
الضميرين قال الطيبي الضمير المجرور يحتمل ان يرجع الى من فكونه الروع مجازا
عن الكراهة مما هو عليه من اللباس وان يرجع الى الرجل ذي المنزلة فالروع بمعنى
الاعجاب اي يعجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه
ويدل عليه قوله فما ينقضي اخر حديثه اي ما القي في روعه من الحديث
وضمير المفعول فيه عايد الى من قال الشارح اي حديث من هو دونه مع

الرجل

ووصـــــــــ لله عز وجل

الرجل الرفيع المنزلة قلت ويجوز قلب الكلام ايضا حتى يتخيل عليه بصيغة الفاعل وفي نسخة
بالبنا للمفعول اي حتى يتصور له ان عليه ما هو احسن منه والمعنى يظهر عليه ان لباسه احسن
من لباس صاحبه وذلك اي بسبب ما ذكر من التخيل انه اي الشان لا ينبغي لاحد ان يحزن بفتح
الزاي يغتم فيها اي في الجنة في نسخة لازم من حزن بالكسر لا من باب نصر فانه متعد غير ملايم للمقام
ثم ننصرف اي نرجع ونعود الى منازلنا فتلقانا من التلقي اي يستقبلنا وفي نسخة فيلقانا
من اللقي اي فيرانا ازواجنا اي من نسا الدنيا ومن الحور العين فيقلن مرحبا واهلا لقد جيت وان
بك من الجمال افضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا بكسر الحا وتشديد
القاف وفي نسخة بضم الحا ففي المصابيح حق الشي كضرب ونصر اذا ثبت وفي القاموس حق الشي وجب
ووقع بلا شك وحقه اوجبه لازم ومتعد فالمعنى يوجبنا ويليق منا ويمكن ان يكون من باب الحذف
والايصال اي يحق لنا ويليق بنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا اي من الانقلاب وهو الانصراف على
وجه الكمال لانا تشرفنا بمجالسة ذي الجلال والجمال ومشاهدة المنزهة عن الحلول والاتحاد والاتصال
والانفصال رواه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن ابي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة اي اقلهم خدما ونسا الذي له
ثمانون الف خادم واثنتان اي من نسا الدنيا وسبعون زوجة اي من الحور العين وفي
نسخة اثنان بالتذكير ولعل وجهه انه ذكر باعتبار معنى الزوجية من لفظ الحور او الزوج
وتنصب بصيغة المجهول اي ويضرب ويرفع له قبة من لولو وزبرجد وياقوت قال القاضي يريد
ان القبة معمولة منها او مكللة بها كما بين الجابية وهي مدينة بالشام الى صنعا وهي بلدة
باليمن قال شارح هي قصبة باليمن وقيل هي اول بلدة بنيت بعد الطوفان والمعنى ان فسحة
القبة وسعتها طولا وعرضا وبعدا ما بين طرفيه كما بين الموضعين قال السيوطي في الجامع الصغير
رواه احمد والترمذي وابن حبان والضيا عنه وبهذا الاسناد اي بالاسناد الواصل الى ابي
سعيد ايضا قال اي النبي عليه السلام او ابو سعيد مرفوعا وفي المصابيح وبه قال اي وبالاسناد
المذكور قال من مات من اهل الجنة من صغير او كبير يردون اي يعودون وفيه تغليب لانه لا يرد
الى الصغير والمعنى يصيرون بني ثلاثين في الجنة متعلق بقوله يردون لا يزيدون عليها
ابدا اي زيادة موثرة في تغيير ابدانهم واعضايهم وشعورهم والا فهم في الجنة يتزايد ابد
الابدين وكذلك اهل النار اي في العمر وعدم الزيادة ولعل اختيار هذا المقدار من ازمنة الاعمار
للابرار والكفار ليكون التنعم والعذاب على وجه الكمال الخ كله من دار البوار ودار القرار قال
الطيبي فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما رواه مسلم عن ابي هريرة في باب
البكا صغارهم دعاميص الجنة اي دخالون على منازلها لا يمتنعون من موضع كما في الدنيا
قلت في الجنة ظرف يردون وهو لا يشعر ان يكونوا دعاميص قبل الرد بهذا الاسناد قال ان عليهم
اي على رؤوس اهل الجنة التيجان بكسر المثناة الفوقية جمع تاج ادنى لولوة منها لتضي بالتانيث
في النسخ ولعل وجهه ان المضاف اكتسب التانيث من المضاف اليه والمعنى لتنور ما بين المشرق
والمغرب ايضا معتقد ويمكن ان يكون لازما والتقدير لتضي به ما بينهما من الاماكن لو ظهرت
على اهل الدنيا وبهذا الاسناد قال المومن اذا اشتهى الولد في الجنة اي فرضا وتقديرا كان
حمله اي الولد ووضعه وسنه اي كمال سنه وهو ابن الثلاثون سنة في ساعة لان الانتظار
اشد من الموت ولا موت في الجنة ولا حزن كما يشتهي اي من ان يكون ذكرا او انثى ونحو ذلك

واشعارهم صح

وقال اسحاق ابن ابراهيم اي ابن حبيب البصري روي عن معمر بن سليمان وروي عنه ابو عبد
الرحمن والنسائي وغيره مات سنة سبع وخمسين ومائتين في هذا الحديث اي ذكر في بيان
هذا الحديث اذا اشتهي او في هذا الحديث دلالة علي انه اذا اشتهي المومن في الجنة الولد كان
اي حصل الولد في ساعة ولكن لا يشتهي فقوله ولكن هو المقول حقيقة رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وروي ابن ماجة الرابعة اي الفقرة الرابعة من فقرات الحديث
والدارمي الاخيرة وهي ما اورده اسحاق بن ابراهيم وفي تيسير الوصول الي جامع الاصول
عن ابي رزين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون لاهل الجنة ولد اخرجه الترمذي وزاد
في رواية عن الجحدري ان اشتهي الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة قال بعضهم لكنه
لا يشتهي وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا
بفتح الميم الثانية اي موضعا للاجتماع واجتماعا للحور العين قال الراغب الحور جمع احور
وحوراء والحور قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من
العين ويقال للبقر الوحش اعين وعيناء لحسن عينيه وجمعه عين وبها شبه النساء قال
تعالى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وروي ابن ماجة ومردويه عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحور العين خلقن من تسبيح الملائكة
وروي ابن مردويه والخطيب عن انس مرفوعا الحور العين خلقن من الزعفران قلت
ولا تنافي بين الحديثين لان من تعليلية في الحديث الاول فتامل يرفعن باصوات
الباء زائدة تاكيد للتعدية او اراد بالاصوات النغمات والمفعول محذوف اي يرفعن
اصواتهن بالنغم لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات اي الدائمات في الغني والمغني
فلا نبيد من باد هلك وفني اي فلا نفني ونحن الناعمات اي المتنعمات فلا نباس فلا نصير فقيرات
ومحتاجات الي غير المولي ونحن الراضيات اي عن ربنا وعن اصحابنا فلا نسخط اي في حال
من الحالات طوبي اي الحالة الطيبة لمن كان لنا وكنا له اي في الجنات العاليات رواه الترمذي
وعن حكيم بن معاوية اي القشيري قال البخاري في صحبته نظر وروي عنه ابن اخيه معاوية
ابن حكيم وقتادة كذا ذكره المولف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بحر الماء
وبحر عسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال الطيبي يريد بالبحر مثل دجلة والفرات
ونحوهما وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من احدهما ثم منه تشقق جداول انتهي والظاهر
ان المراد بالبحار المذكورة هي اصول الانهار المسطورة في القران كما قال تعالى فيها انهار من
ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفي وقوله ثم تشقق بحذف احدي التائين اي تفترق الانهار اي الجداول بعد تحقق الانهار
الي بساتين الابرار وتحت قصور الاخيار علي انه قد يقال المراد بالبحار هي الانهار وانما سميت
انهار الجنة بحارا لانها بخلاف بحار الدنيا فان الغالب فيها انها في محل القرار رواه الترمذي اي
عن حكيم بن معاوية ورواه الدارمي عن معاوية الظاهر انه معاوية بن ابي سفيان
لان معاوية ابن حكيم لم يعرف كونه من الصحابة ثم رايت السيوطي قال في الجامع الصغير
رواه احمد والترمذي عن معاوية ابن حيدة لكنه لم يذكره المولف في اسمائه **الفصل**
الثالث عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
في الجنة اي في دار الجزاء ليتكي اي ليعتمد ويستند في الجنة اي في جنة الخاصة به سبعين

عنه صح

مسندا

وعمـــــ شعز وجل

مسندا بفتح الميم وبضم والنون مفتوحة لا غير وهو تمييز لسبعين وهو منصوب بنزع الخافض اي
علي سبعين مسندا قبل ان يتحول قاله ابو يد قول من فسر قوله تعالي وفرش مرفوعة بانها منضودة بعضها
فوق بعض وقوله قبل ان يتحول ظرف لقوله ياتيه ولا يخفى غرابة الاول في المعني وغرابة الثاني
في المبني ثم تاتيه امراة فتضرب علي منكبه وفي نسخة منكبيه اي ضرب الغنج والدلال وتنبيه
علي مطالعة الجمال فينظر اي فيطالع الرجل فيري وجهه اي عكسه في خدها اي من كمال صفائها
وضيائها حال كون خدها اصفي من المراة اي انور من جنس المراة المعهودة في الدنيا ان ادني
لولوة عليها اي علي تلك المراة تضيء ما بين المشرق والمغرب اي لو كان في الدنيا فتسلم اي المراة عليه
فيرد السلام اي عليها ويسالها من انت فتقول انا من المزيد يراد به ما في قوله تعالى لهم ما يشاؤن
فيها ولدينا مزيد ومن المزيد افضلها ما قال سبحانه للذين احسنوا الحسني وزيادة الجنة
ورؤية الله تعالى وانما سميت زيادة لان الحسني هي الجنة وما وعد الله تعالى بفضله
جزاء للاعمال المطيعين والزيادة فضل وانه اي الشان ليكون عليها اي علي المراة سبعون ثوبا
اي بالوان مختلفة واصناف موتلفة فينفذها بضم الفاء اي يدرك لطافته بدان المراة
بصره اي نظر الرجل حتي يري مخ ساقها من وراء ذلك اي ما ذكر من انواع الثياب ولم يمنع بصره
شيء من الحجاب وان عليها من التيجان المرصعة ما يقال في حقها ان ادني لولوة منها لتضيء ما
بين المشرق والمغرب وقيل ان بالكسر مزيدة واللام داخل في خبران الاولي نحو قوله تعالى
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم اي فله نار جهنم انتهي والظاهر انها
اذا كانت مزيدة فيكون اللام داخلة في خبر المبتدا والجملة خبر ان الاولي ثم لا اشكال ان ان الثانية
في الاية غير مزيدة بل لزيادة تاكيد ومبالغة في النسبة رواه احمد وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث وعنده رجل من اهل البادية ان رجلا بكسر الهمزة
علي الحكاية فهي من جملة ما يتحدث به وفي بعض النسخ بفتحها علي انه مفعول يتحدث
والجملة بينهما حالية معترضة وقال الطيبي هو بكسر الهمزة مفعول يتحدث علي حكاية
ما تلفظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصله ان رجلا من اهل الجنة استاذن ربه
في الزرع بناء علي ما تعوده به في الدنيا او لتنزهه به في العقبى فقال اي ربه وفي نسخة
فقال له الست فيما شئت اي من الاكل والشرب وسائر انواع التنعم قال بلي ولكني
احب ان ازرع فبذر الفاء فصيحة اي فاذن له فيه فبذر اي رمي البذر في ارض الجنة
فبادر الطرف بسكون الراء اي كل الجفون في النظر اي فسابق نباته والمعني فحصل
نباته في الحال وكذا قوله واستواؤه واستحصاده اي من غير مؤنة للحصاد من جانب
العباد فكان امثال الجبال فيقول الله تعالى اي حينئذ دونك يا ابن ادم اي خذ ما تمنيته
قاله علي سبيل التوبيخ تهجينا لما التمسه ومن ثم رتب عليه قوله فانه لا يشبعك شيء اي
كثير حتي في الجنة وقد يوجد في تعارف الناس في هذا التوبيخ من القواعد المقررة
ان كل اناء يترشح بما فيه وان الناس يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون
اظهر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعني في لباس هذا المبني فقال الاعرابي والله لا تجد
اي هذا الرجل الا قرشيا اي من اهل مكة او انصاريا اي من اهل المدينة فاو للتنويع
فانهم اي مجموع القبيلتين اصحاب زرع اي في الجنة واما كان الانصار اكثر زرعا فاما
بالفاء وفي نسخة صحيحة واما نحن اي معاشر اهل البادية فلسنا باصحاب الزرع

اي فلا نشتري قبل ذلك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من فطانة البدوي او من
مسالته الحسنة وجوابه البديعي رواه البخاري وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال سال رجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة قال النوم اخو الموت ولا يموت اهل الجنة اي فلا ينامون
وهذا جواب بالدليل البرهاني وهو اوقع في النفس واظهر في اطمينان الايماني من الجواب
الاجمالي بان قال لا رواه البيهقي في شعب الايمان باب روية الله تعالى من باب
اضافة المصدر الى مفعوله الفصل الاول عن جرير بن عبد الله اي البجلي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم اي ايها المومنون سترون ربكم اي ستبصرونه فقوله
عيانا بالكسر مصدر موكد او حال موكدة اما من الفاعل او المفعول اي معاينين بكسر اليا او معاينين
بكسر اليا او معانيا بفتح اليا والمعاينة رفع الحجاب بين الرائي والمرئي ففي القاموس لقيته
عيانا اي معاينة لم يشك في رويته اياه وقال الطيبي عيانا اي جهارا ويجوز ان يكون من العين
المحسوسة بالعين الظاهرة وقال النووي اعلم ان مذهب اهل السنة قاطبة ان روية الله تعالى
ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا ايضا على وقوعها في الاخرة اي نقلا وان المومنين يرون
الله تعالى دون الكافرين وزعمت طوايف من اهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجية ان
الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل
قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات
روية الله تعالى في الاخرة للمومنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مسطورة في كتب
المتكلمين من اهل السنة واما روية الله تعالى في الدنيا فممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف
من المتكلمين من اهل السنة وغيرهم على انها لا تقع في
الدنيا وحكى الامام ابو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الامام ابي بكر بن فورك
انه حكى فيها قولين للامام ابي الحسن الاشعري احدهما وقوعها والثاني لا يقع ثم مذهب
اهل الحق ان الروية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها الاشعة ولا مقابلة الرائي
ولا غير ذلك ولكن جرت العادة في روية بعضنا بعضا بوجود ذلك على وجه الاتفاق لا على سبيل
الاشتراط وقد قرر ايمتنا المتكلمون ذلك بالدلايل الجلية ولا يلزم من روية الله تعالى
اثبات جهة له تعالى عن ذلك بل يراه المومنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة قلت وكما
يرانا هو لا في جهة ولا مقابلة ولا غير ذلك والحاصل انه لا يقاس الغايب بالشاهد لا سيما
الخالق بالمخلوق ولذا قيل لا يقاس الملوك بالحدادين وفي روايته اي عن جرير قال كنا جلوسا
اي جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر قال الاكمل اي القمر
الكامل وسمي ليلة اربعة عشر بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع فقال انكم سترون ربكم كما
ترون هذا القمر اي المحسوس المشاهد المرئي ثم استانف وقال اوذكر على سبيل بيان
الحال لا تضامون بضم التا وتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم قال الحافظ ابن حجر وهو الاكثر
اي لا يظلم بعضكم بالتكذيب والانكار وفي نسخة بفتح التا وتشديد الميم من التضام بمعنى
التزاحم وفي اخرى بالضم والتشديد من المضامة وهي المزاحمة وهو ايضا يحتمل كونه للفاعل
والمفعول وحاصل معنى الكل لا تشكون في رويته اي في روية القمر ليلة البدر قال في جامع
الاصول قد يخيل الى بعض السامعين ان الكاف في قوله كما ترون كاف التشبيه للمرئي وانما

وقع سبحل

هو كاف التشبيه للروية وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم روية ينزاح معها الشك كرويتكم القمر
ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون قال ولا تضامون روي بتخفيف الميم من الضيم الظلم
المعنى انكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم بعضا في روية فيراه البعض دون البعض وبتشديد
الميم من الانضمام بمعنى الازدحام اي لا يزدحم بعضكم بعضا في رويته ولا ينضم بعضكم الى بعض
من ضيق كما يجري عند روية الهلال مثلا دون روية القمر فانه يراه كل منكم موسعا عليه
منفردا به فان استطعتم ان لا تغلبوا بصيغة المجهول اي لا تصيروا مغلوبين على صلوة قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ما ذكر من الاستطاعة او عدم المغلوبية قال القاضي ترتيب
قوله ان استطعتم على قوله سترون بالفاء يدل على ان المواظب على اقامة الصلوات والمحافظ
عليها خليق بان يرى ربه وقوله لا تغلبوا معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتي
الصبح والعصر وانما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس الى الاستراحة والنوم وفي العصر
من قيام الاسواق واشتغال الناس بالمعاملات فمن لم يلحقه فترة في الصلوتين مع ما لهما من
قوة المانع فبالحري ان لا يلحقه في غيرهما والله اعلم ثم قرا اي النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا
او جرير اعتضادا وسبح بالعطف على ما قبله وهو قوله سبحانه فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اي وصل في هذين الوقتين وعبر عن
الكل بالجزء وهو التسبيح المراد به الثنا في الافتتاح المقرون بحمد الرب المشتمل عليه سورة
الفاتحة ويدل على هذا المعنى ما بعده وهو قوله ومن اناء الليل اي ساعاته وهو العشاءان
فسبح واطراف النهار اي طرفيه وهو وسطه يعني الظهر لعلكم ترضى بالفتح والضم اي على رجاء
ان تكون راضيا او مرضيا او جمعا مثبتا والمراد بالتسبيح تنزيه الرب عن الشريك ونحوه من
صفات النقصان والزوال والحدوث والانتقال والمراد بحمده ثنا الكمال بنعت الجمال ووصف
الجلال متفق عليه وفي الجامع رواه احمد والشيخان والاربعة عنه لكن بغير قراءة الاية وعن
صهيب مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى
تريدون اي اتريدون شيئا ازيدكم اي على عطاياكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا
الجنة وتنجنا بتشديد الجيم وتخفف اي والم تخلصنا من النار اي من دخولها ادخولها
قال الطيبي تقرير وتعجيب من انه كيف يمكن الزيادة على ما اتاهم الله تعالى من سعة
فضله وكرمه وقوله فيرفع الحجاب بصيغة المجهول ورفع الحجاب رفع للتعجب كانه قيل
لهم هذا هو المزيد والله سبحانه منزه عن الحجاب فانه محجوب عنه غير محجوب اذ المحجوب
مغلوب فالمعنى فيرفع الحجاب عن اعين الناظرين كما يدل عليه قوله فينظرون الى وجه الله
اي ذاته المنزهة عن الصورة والجهة ونحو ذلك فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى
ربهم ثم تلا للذين احسنوا اي العمل في الدنيا بان اجادوه مقرونا بالاخلاص الحسنى اي المثوبة
الحسنى وهي الجنة وزيادة اي النظر لوجهه الكريم وتنكيرها للتعظيم اي زيادة عظيمة
لا يعرف قدرها ولا يكتنه كنهها قال الطيبي واذا كان مفسر التنزيل من نزل عليه
فمن تعداه فقد تعدى طوره اقول اراد به الزمخشري في عدوله عنه الى التاويل
وكذا من تبعه كالبيضاوي حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجميل الثابت مما نزل
عليه التنزيل رواه مسلم الفصل الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة اي اقلهم مرتبة لمن ينظر

جنانه بكسر الجيم اي بساتينه وازواجه اي نسائه وحوره ونعيمه اي ما يتنعم به وخدمه
اي من الولدان وسرره مسيرة الف سنة اي حال كون جنانه وما عطف عليه كائنة
في مسافة الف سنة والمعنى ان ملكه مقدار تلك المسافة قيل هو كناية عن كون
الناظر يملك في الجنة ما يكون مقدار مسيرة الف سنة لان المالكية في الجنة خلاف
ما في الدنيا وفي التركيب تقديم وتاخير اذ جعل الاسم وهو قوله لمن ينظر
خبرا والخبر وهو ادنى منزلة اسما اعتناء بشان المقدم لان المطلوب بيان ثواب اهل الجنة
وسعتها وان ادناهم منزلة من يكون ملكه كذا ونحوه قوله تعالى ان خير من استاجرت اسما
القوي الامين خبرا واكرمهم بالنصب عطفا على ادنى وفي نسخة بالرفع عطفا على مجموع اسم ان
وخبرها اي واكرمهم كرامة على الله واعلاهم منزلة واقربهم رتبة عنده سبحانه من ينظر الى وجهه
اي ذاته غدوة بضم الغين وعشية اي صباحا ومساء ولهذا اومي بالمحافظة على صلوتي
طرفي النهار كما مر والمراد بهما ان يكون التطرد واما على ان الغدوة عبارة عن النهار والعشية
عبارة عن الليل مجازا بذكر الجزء وارادة الكل او بذكر اول الشيء وارادة تمامه لكن الاول اظهر
لانه لو كان النظر على وجه الدوام لما انتفعوا بسائر النعيم وقد خلقت لهم ومما يؤيده
ايضا ما رواه الحكيم عن بريدة مرفوعا ان اهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم
مرتين فيقرا عليهم القران وقد جلس لهم امرؤ منهم مجلس الذي هو مجلسه على منابر
الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالاعمال فلا تقر اعينهم قط كما تقر بذلك
ولا يسمعوا شيئا اعظم منه ولا احسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم وقرة اعينهم
ناعمين الى مثلها من الغد ثم قرا وجوه يومئذ ناضرة اي ناعمة غضة حسنة والمراد
بالوجوه الذوات وحسنت لنشرها ولظهور اثر النعمة عليها الى ربها ناظرة قال الطيبي
قدم صلته ناظرة اما لرعاية الفاصلة وهي ناضرة باسرة فاقرة واما لان الناظر يستغرق
عند رفع الحجاب بحيث لا يلتفت الى ما سواه وكيف يستبعد هذا والعارفون في الدنيا ربما
استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا الى الكون ويعضده حديث جابر في اخر الفصل
الثالث فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه رواه
احمد والترمذي وكذا الطبراني وروى هنا وفي الزهد عن عبيد بن عمير مرسلا ان ادنى اهل
الجنة منزلا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وابوابها وعن ابي رزين العقيلي
مصغرا قال قلت يا رسول الله اكلنا اي جميعنا معاشر المومنين يرى ربه اي يبصره والافراد
في يرى باعتبار لفظ كل مخليا به بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة فلام مكسورة فتحتية مخففة
اي خاليا به بحيث لا يزاحمه شيء في الروية يوم القيامة وقيل بفتح ميم وتشديد تحتية
واصله مخلوي كذا ذكره الجزري واقتصر ابن الملك على الثاني والمعنى منفردا به ففي النهاية
يقال خلوت به ومعه واليه واختليت به اذا انفردت به اي كلكم يراه منفردا لنفسه كقوله
لا تضارون في رؤيته قال بلى اي نعم كلنا يرى ربه قال اي ابو رزين قلت وهو موجود في
اكثر النسخ المصححة والمعنى عليه وما اية ذلك اي علامة روية كلنا ربه بحيث لا يزاحمه شيء
والمعنى مثل لنا ذلك في خلقه اي مخلوقاته نظير الذلك فان الله تعالى جعل في الدنيا انموذجا
لجميع ما في العقبى قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى اي قلت بلى
قال فانما هو اي القمر خلق من خلق الله اي والله اجل اي اكمل مرتبة واعظم

اي افضل

مطلب رؤية الله تعالى

اي افضل منقبة لانه واجب الوجود فهو اولى في نظر العقل بالشهود قال الطيبي تامل لقائل روية
الله تعالى على ما في المعارف فان الجم الغفير اذا راوا شيئا بديعا وتوقوا في الروية لاسيما شيئا لم يرتفع
خفاؤه فيهم بعضهم بعضا بالازدحام من راءى يرى روية كاملة وارادوها فالمراد بقوله مخليا
اثبات كمالها ولذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا بالهلال رواه ابو داود

الفصل الثالث

عن ابي ذر رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رايت ربك اي في ليلة المعراج قال نور اي هو نور عظيم والمراد انه نور الانوار ومنه
قوله تعالى الله نور السموات والارض اي منورهما ومظهر انوار ما فيهما من الشمس والقمر
والكواكب وامثال ذلك ومن اسمائه النور وهو الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره على
ما ذكره المحققون اني بفتح الهمزة وتشديد النون على ما في اكثر النسخ اي كيف اراه
اي ابصره فان كمال النور يمنع الادراك وفي بعض النسخ نوراني بتشديد الياء السببية
بزيادة الالف والنون للمبالغة كرباني وصح قوله اراه بمعنى اظنه من الروية بمعنى
الراي فلو قري بضم الهمزة لكان اظهر في هذا المعنى ويمكن ان يكون بمعنى الصيرة
ايما الى انه ما راه في الدنيا وسيراه في الاخرى او مراده ابصرته والمعدول الى الاستقبال
لحكاية الحال الماضية فكانه يستحضره ويتلذذ به قال ابن الملك اختلف في رؤيته
في تلك الليلة وفي الحديث دليل الفريقين على اختلاف الروايتين لانه روي بفتح
الهمزة وتشديد النون المفتوحة فيكون استفهاما على الانكار وروي بكسر النون
فيكون دليلا للمثبتين ويكون حكاية عن الماضي بالحال انتهى وقال الامام احمد في
قوله نوراني اراه بتشديد النون يعني على طريق الايجاب قال الطيبي اراد ليس
الاستفهام على معنى الانكار المستفيد للنفي بل للتقرير المستلزم للايجاب اي نور
حيث اراه قال النووي وفي الرواية الاخرى رايت نورا واني بفتح الهمزة وتشديد
النون المفتوحة هكذا رواه جميع الرواة في جميع الاصول ومعناه حجابه نور فكيف اراه
قال الامام المازري معناه ان النور منعني من الروية كما جرت العادة فان كمال النور
يمنع الادراك وروي نوراني منسوب الى النور وما جاء من تسمية الله تعالى بالنور
في مثل قوله سبحانه الله نور السموات والارض وفي الاحاديث معناه ذو نور او منورهما
وقيل هادي اهلها وقيل منور قلوب عباده المومنين قلت ويويده قوله مثل نوره كمشكوة
فيها مصباح رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اي في قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى
ولقد راه نزلة اخرى قال اي ابن عباس راه بفواده قال صاحب المدارك اي ما كذب فواد
محمد ما راه ببصره من صورة جبريل عليه السلام اي ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال
ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه
حق وقيل المرئي هو الله سبحانه راه بعين راسه وقيل بقلبه وفي شرح مسلم النووي
قال ابن مسعود راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وهذا الذي قاله هو مذهبه
في هذه الاية وذهب الجمهور من المفسرين الى ان المراد انه راى ربه سبحانه وتعالى
ثم اختلفوا فذهب جماعة الى انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بفواده دون عينه وذهب
جماعة الى انه راه بعينه قال الامام ابو الحسن الواحدي قال المفسرون هذا اخبار
عن روية النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة المعراج قال ابن عباس وابو ذر

وابراهيم التيمي راه بقلبه وعلي هذا راي ربه بقلبه رويه صحيحة وهو ان الله تعالي
جعل بصره في فواده او خلق لفواده بصرا حتي راي ربه روية صحيحة كما يري بالعين قلت وهذا
قول حسن ووجه مستحسن يمكن به الجمع بين متفرقات الاقوال والله اعلم بالحال ثم
قال الواحدي ومذهب جماعة من المفسرين انه راي بعينه وهو قول انس وعكرمة
والربيع قال المبرد ان الفواد اي شيا فصدق فيه وما راي في موضع النصب اي ما كذب
الفواد مرييه وقال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل راي نبينا صلي الله عليه وسلم
ربه ليلة الاسرا فانكرته عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة
من المحدثين والمتكلمين وروي ابن عباس انه راي بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب
والحسن كان يحلف علي ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد ابن حنبل
وحكي اصحاب المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه انه راه ووقف
بعض مشايخنا وقال عليه دليل واضح ولكنه جايز ورويه الله تعالي في الدنيا جايزة
واختلفوا ان نبينا صلي الله عليه وسلم هل كلم ربه سبحانه وتعالي ليلة الاسرا بغير
واسطة بها فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزاه بعضهم الي جعفر
ابن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله تعالي ثم دنا فتدلي
والاكثرون علي ان هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما السلام
وعن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد بن كعب وجعفر بن محمد
وغيرهم انه دنو من النبي الي ربه او من الله له والدنو والتدلي علي هذا متاول ليس
علي وجهه قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فدنوه
عليه السلام من ربه عز وجل قربه منه وظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار
معرفته عليه واطلاعه علي اسرار ملكوته وغيبه بما لم يطلع عليه سواه والدنو من
الله اظهار ذلك له وايصال عظيم بره وفضله اليه وقاب قوسين او ادني علي
هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف علي الحقيقة من نبينا
صلي الله عليه وسلم ومن الله اجابة الرغبة وابانة الرتبة ونحوه قوله عليه السلام
حكاية عن ربه من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا هنا اخر كلام القاضي عياض
وقد اوردت بعض الفوايد من هذه الرياض في رسالتي المدارج للمعراج رواه
مسلم وفي رواية الترمذي قال اي ابن عباس راي محمد ربه اي بفواده كيلا
يخالف رواية مسلم وقيل اي بعينه وهو الظاهر من الاطلاق الملايم لما بعده من
السوال والافروية الفواد غير منكرة باجماع اهل الكمال ولا يعترض عليها اعتراض
نقلا ولا عقلا في كل حال قال عكرمة قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار
قال اي ابن عباس ويحك كلمة يقال عند الشفقة وحال الخوف المزلقة ذاك
اي الادراك الكلي اذا تجلي بنوره اي الخالص الذي هو نوره الذاتي وهو
الجواب بظاهره انه اراد الروية بالفواد وفهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بان رويته
بالعين انما هو في الاخرة بالتجلي الخاص الكامل العام لكل مومن لكن علي قدر مراتبهم
في المعرفة وعدلا كلها عن المعني المشهور في الادراك وهو الاحاطة المنفية
بالاجماع لقوله تعالي ولا يحيطون به علما وقال الطيبي قوله ذاك اذا تجلي

بنوره يعني دلت الاية علي انه تعالي لا يحاط به وبحقيقة ذاته حاسة الابصار وهذا
اذا تجلي بنوره الذي هو نوره وظهر بصفة الجلال واما اذا تجلي بما يسعه نطاق البشرية
من صفات الجمال فلا استبعاد اذن انتهي وقال صاحب الخلاصة فهم عكرمة
من قول ابن عباس راه بفواده انه راه بعينه لكن بمساعدة فواده فلذلك
تمسك بالاية ولو كان المراد انه كان الروية بالفواد حليته كالروية البصرية لم
يتجه السوال بالاية الا ان يحمل الاية علي ان المراد نفي الادراك الذي يكون كالادراك
البصري في الجلا وانما خص ذكر البصر لانه محل الادراك بحسب العادة والظاهر
ان سوال عكرمة كان علي قول ابن عباس راي محمد ربه كما هو رواية الترمذي
لا علي قوله راه بفواده كما هو رواية مسلم وح لا اشكال في الاستدلال بالاية
الكريمة ومعني جواب ابن عباس انه اذا تجلي بنوره علي ما هو عليه اضمحل الادراك
واما اذا كان تجلي علي قدر ما يفي بادراكه القوة البشرية فانه يدرك علي ذلك
الوجه ثم قوله وقد راي ربه مرتين يحتمل انه راه بفواده مرتين وهو الظاهر
الموافق لما في صحيح مسلم او مرة بفواده ومرة بعينه اذ لم ينقل احد انه راه بعينه
مرتين والحاصل انه ليس في كلام ابن عباس صريح دلالة علي ان مراده روية
ربه بعين البصر واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الروية فقال الحجج في هذه
المسيلة وان كانت كثيرة لكنا لا نتمسك الا بالاقوي منها حديث ابن عباس
تعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسي والروية لمحمد عليه السلام
قلت ليس في كلامه نص علي ان المراد به الروية البصرية لاحتمال ان يكون روية
البصيرة خصا بعينه ايضا مع ان ظاهر هذا الكلام ان لا يكون لنبينا صلي الله عليه
وسلم وصف الخلة ونعت الكلام مع انهما ثابتان له عليه السلام علي ما ذكره
اهل الاعلام ثم قال والاصل في الباب حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع
اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسيلة هل راي محمد صلي
الله عليه ربه فاخبره انه راه قلت يحتمل ان يكون سوال ابن عمر وكذا سوال
عكرمة ناشيا عن تفسير قوله تعالي ولقد راه نزلة اخري هل الضمير الي
جبريل او الي الله سبحانه فاخبره انه راه بفواده كما يدل عليه ما رواه
مسلم في صحيحه قال ولا يقدح في هذا حديث عايشة لانها لم تخبر انها سمعت
من النبي صلي الله عليه وسلم يقول لم ار ربي قلت وكذا ابن عباس لم يخبر انه سمع
النبي صلي الله عليه وسلم يقول رايت ربي مطلقا فضلا عن ان يكون مقيدا بعين
البصر قال وانما ذكرت متاولة لقوله تعالي ما كان لبشر ان يكلمه الله الاية ولقوله
لا تدركه الابصار قلت هاتان الايتان سندان لمنعها علي ابن عباس ايضا متاول
كما لا يخفي علي متامل قال واذا صحت الروايات عن ابن عباس في اثبات الروية
وجب المصير الي اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويوخذ بالظن وانما
يتلقي ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسيلة بالظن
والاجتهاد قلت الروية يحتمل العين عن مصرحة عينه وعلي تقدير التسليم فلا اشكال
انه نشا من باب اجتهاده واخذه من اطلاق الاية قال وقد قال معمر بن راشد حين

ووصـــــــــــسعو حل

ذكر اختلاف عايشة وابن عباس عايشة اعندنا باعلم من ابن عباس قلت هذا مع
ما فيه من المناقشة لا يفيد فايدة تامة مع انها ليست منفردة في هذا الباب بل
يوافقها ابن مسعود وغيره من الاصحاب ثم على تقدير التعارض والتساقط والتناقض
يثبت كلامها ويتحقق مرامها قال ثم ان ابن عباس اثبت شيا نفاه غيره والمثبت
مقدم على النافي قلت هذا اذا كان الاثبات مستندا الي حس والا فاداب البحث
ان كلام المانع معتبر لا سيما مع سند المنع حتى ياتي الخصم ببرهان جلي اذ الاصل هو
العدم فالوجود يحتاج الي تحقق بدليل قطعي من النقل او العقل هذا اخر كلام صاحب
التحرير وما يترتب عليه من التقرير فقال الامام النووي الحاصل ان الراجح عند اكثر
العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه ليلة الاسرا واثبات
هذا ليس الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مما كان لا ينبغي ان
يشك فيه قلت ولا ينبغي ان يجزم به ايضا بثبوت السماع اصلا فضلا عن ان لا يكون
طريقه قطعيا فضلا والا ما وقع فيه خلاف للاقل او الاكثر فتامل وتدبر قال ثم ان
عايشة لم تنف الرؤية بحديث ولو كان معنا حديث لذكرته قلت وكذا ابن عباس
لم يثبت الرؤية بحديث ولو كان معه حديث لذكره وانما اخذه من اطلاق الاية
المتقدمة لو ثبت النقل مما حكي عنه من اثبات الرؤية بعيني البصر وقد علم ايضا
مما سبق ان عايشة نافية للرؤية المذكورة وما ذكرته من الادلة فانها هي مستند
منفيها المتقوية وليست مستندة له حتى يقال في حقها ما قال وانما اعتمدت على الاستنباط
من الايات اما احتجاجها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ان الادراك هو الاحاطة
والله تعالى لا يحاط فاذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة
قلت سبق سوال عكرمة مطابقا لما فهمت عايشة من الاية وكذا تقرير ابن عباس
هذا المعنى وجوابه على غير هذا المبنى وان كان هذا جوابا حسنا في نفس الامر
كما لا يخفى قال وبقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الاية فجوابه انه لا يلزم من
الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام قلت الظاهر
ان هذا المعنى اخذته من سياق قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى
الي عبده ما اوحى حيث استدل الخصم به على الجمع بين كمال القرب والوحي الخاص
المراد به الكلام من غير واسطة فدفعته بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب او تكليما ظاهرا يدركه سمع القالب لكن من وراء الحجاب والله اعلم
بالصواب وفي التفسير الكبير اعلم ان النصوص وردت ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بفواده
وجعل بصره في فواده اوراه ببصره وجعل فواده في بصره وكيف لا ومذهب اهل السنة
الرؤية بالارادة لا بالقدرة المعيد فاذا حصل العلم بالشي من طريق البصر كان رؤية بالارادة
وان حصل من طريق القلب كان معرفته فانه تعالى قادر على ان يجعل العلم بخلق مدرك
للعلوم في القلب والمسالة مختلف فيها بين الصحابة واختلاف الوقوع مما ينبني على
الاتفاق على الجواز انتهى وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والعمول التوفيق
وقال صاحب التعرف واجمعوا انه لا يرى في الدنيا بالابصار ولا بالقلب الا بالايقان
لانه غاية الكرامة وافضل النعم ولا يجوز ان يكون ذلك الا في افضل المكان واخبر
ان الدنيا دار فنا ولا يجوز ان يرى الباقي في الدار الفانية ولو رؤي في الدنيا لكان

اي مع

الايمان به ضرورة وبالجملة ان الله تعالى اخبر انها تكون في الاخرة ولم يخبر انها تكون في الدنيا
فوجب الانتها الي ما اخبر الله تعالى به واختلفوا في النبي عليه السلام هل راى ربه ليلة
المسرى فقال الجمهور منهم انه لم يره محمد صلى الله عليه وسلم ببصره واحتجوا بخبر عايشة
انها قالت من زعم ان محمدا عليه السلام راى ربه فقد كذب منهم الجنيد والثوري وابو
سعيد الخراز وقال بعضهم راه وانه خص بين الخلاف بالرؤية واحتجوا بخبر ابن عباس
واسما وانس منهم ابو عبد الله القرشي وبعض المتاخرين وقال بعضهم راه بقلبه
ولم يره ببصره واستدل بقوله تعالى ما كذب الفواد ما راى هذا وزعم بعض الناس
ان قوما من الصوفية ادعوا الرؤية لانفسهم فقد اطبق المشايخ على تضليل من قال
ذلك وصنفوا في ذلك كتبا منهم ابو سعيد الخراز في انكاره ذلك كتابه ورسايل وكذا
الجنيد في تكذيب من ادعاه رسايل وكلام كثير واجمعوا على ان من ادعيه لم
يعرف الله سبحانه وعن الشعبي بفتح فسكون نا بعي جليل قال لقي ابن عباس
كعبا بعرفة فساله اي كعبا عن شي فكبر اي كعب حتى جاوبته الجبال قال الطيبي اي
كبر تكبيرة مرتفعا بها صوته حتى جاوبته الجبال صدا كانه استعظم ما سال عنه
فكبر لذلك ولعل ذلك السوال رؤية الله تعالى كما سالت عايشة رضي الله عنها فقف
له ذلك شعرها قلت ظاهر كلام كعب الاتي من اثباته الرؤية في الجملة ياتي عن هذا المعنى
وان يكون نحو ما صدر عن عايشة في المبنى فالوجه ان يحمل التكبير على تعظيم ذلك
المقام والتشوق الي ذلك المرام لكنه لم يرد عليه جواب الكلام فقال انا بنو هاشم اي
فيجب تعظيمنا وتكليمنا وتفهيمنا فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد
وموسى وقال الطيبي واما قوله بنو هاشم فبعث له على التسكين من ذلك الغيظ
والتفكر في الجواب يعني نحن اهل علم ومعرفة فلا نسال عما يستبعد هذا الاستبعاد
وان ذلك فكر فاجاب ان الله الخ قوله هذا لا يخلو عن بعد اذ لا دلالة في الحديث على ثبوت
غيظ له ولا على تحقق فكر فيه مع ان تبقى هيبة المسالة لا يتحقق بفكر ساعة مع اعتقاد
مرة عديدة على خلافها فكلم اي الله موسى مرتين اي في ميقاتين وراه محمد اي في
المعراج مرتين كما يدل عليه قوله سبحانه ولقد راه نزلة اخرى فهذا يدل على
ان الضمير في راه الي الله تعالى لا الي جبريل بخلاف قول عايشة لكن لا دلالة فيه
على انه رؤية البصيرة او البصر على ان قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى يويد المعنى
الاول ولذا صح عن ابن عباس انه راه بفواده مرتين على ما تقدم والله اعلم قال
مسروق فدخلت على عايشة ظاهره انه كان حاضرا في مجلس كعب وابن عباس
وسمع ما جرى بينهما فقلت هل راى محمد ربه اي بالعين او بالفواد فقالت
استفظاما بهذا السوال لقد تكلمت بشي وفي نسخة كلمة لكنه ليس بشي لانه
يحتاج الي الحول بزيادة الباقي بشي قف بفتح القاف وتشديد الفا اي قام من الفزع
فاي لذلك الشي شعري اي شعر بدني جميعا وهذا ما حصل عندها من عظمة الله
وهيبة واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك قالت رويدا اي ارفق وامهلي
والمقصود تسكينها فالملاحة في تليينها حتى نقف على السوال والجواب معها ثم
قرات لقد راى من ايات ربه الكبرى ظاهر هذه الاية لا يناسب مدعى مسروق

بل قال بعض المفسرين انها المعنية بما راى فيما سبق من قوله ما كذب الفؤاد ما راى فهو نقيض مطلوبه
ولذا قال الطيبي اي قرات الايات التي خاتمتها هذه الاية كما يشهد له الرواية الاخرى اعني قوله
قلت لعايشة فاين قوله ثم دنى اقول مع بعده ليس في الرواية الاخرى لفظ اي فالاظهر انه اراد
بالكبرى الاية العظمى على عظمة شانه تعالى او على تعظيم جنابه صلى الله عليه وسلم وقصد بها
الرؤية البصرية او الفؤادية فقالت اين تذهب بك اي الاية يعني فهمها قال الطيبي اي احاطت
فيما فهمت من معنى الاية وذهبت اليه فاسناد الاذهاب الى الاية مجاز انتهى اي اين يذهب
بك الاية الكبرى انما هو اي الاية الكبرى جبريل فذكر الضمير باعتبار الخبر ويؤيد له على انه
الاية الكبرى ما سياتي عنها ان له ستمائة الف جناح قد سد الافق ويؤيده ايضا قولها
من احدثك ان محمدا راى ربه وظاهره انها تنفي رؤيته تعالى مطلقا غير مقيد بالفؤاد او البصر
او كتم شيئا مما امر به اي باظهاره كما يدل عليه قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وهو يعم الكتمان عن الجميع او عن البعض فيرد الاعتقاد
الفاسد للشيعة في اختصاص اهل البيت ببعض الاحكام الشنيعة وفيه ايماء الى انه لو
تحقق له رؤية الله تعالى بنوع من الانواع لبينه واظهره للحاجة في تفسير الاية اليه
وقد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم او يعلم الخمس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث الى اخر مفاتيح الغيب ولعلها ارادت بايراد هذه الاية المبالغة في نفي
الرؤية والحاقها بمنزلتها في الفرية ولهذا قالت في خلال كل من الشرطيات فقد اعظم الفرية بكسر
الفاء اي الكذب الذي هو بلا مرية ولكنه راى جبريل اي في صورته الاصلية لم يره في صورته
الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في اجياد بفتح همزة وسكون جيم موضع معروف
باسفل مكة من شعابها له ستمائة الف جناح قد سد الافق رواه الترمذي ورواه الشيخان
مع زيادة واختلاف اقول فكان الاولى ايراد روايتهما فهو تعريض من صاحب المشكاة
للاعتراض على صاحب المصابيح وفي روايتهما قال اي مسروق قلت لعايشة فاين قوله
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى يعني فان الظاهر المتبادر ان ضمير دنا الى الله وضمير
فتدلى الى النبي او بالعكس كما سبق وكذا ضمير فكان الى احدهما وقد قال بعده فاوحى
الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى وكما قدرنا تم اشكال مسروق قالت ذاك اي مرجع
الضمير في الكل جبريل عليه السلام اي لا الرب سبحانه في هذا المقام ثم استانفت لبيان
دفع ما عسى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه السلام دائما فما وجه
تخصيص ذكر رؤيته في هذا المقام فقالت كان اي جبريل ياتيه في احية صورة الرجل
اي متشكلا بشكله وغالبا بالصورة دحية وانه اتاه هذه المرة اي في اجياد في صورته
التي هي صورته اي الاصلية فسد الافق اي على نحو ما راه ليلة المعراج في صورته
الاصلية على وجه التحقيق هذا وكان ابن عباس اخذ بقول كعب واختار انه راه
مرتين على احتمال ان الرؤية بعين البصر او البصيرة او احديهما والاخرى بالاخرى مع
الاتفاق على انه لم يره بعينه مرتين والله اعلم واما نفي عايشة فيحتمل ان يحمل على الاطلاق
او يقيد بنفي البصر وجواز رؤيته بالفؤاد والظاهر هو الاول فقد بر وقنا ملة قال الحافظ
ابن حجر الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عايشة بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته
على رؤية القلب لا مجرد العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما به تعالى على الدوام وان

الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شي
مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى
فكان اي القرب المعنوي من العبد والرب او الصوري بين جبريل والنبي عليهما السلام قاب
قوسين اي قدرهما وهو كناية عن كمال قربهما او ادنى اي بل اقرب وهو ما يعنى الفناء وقد قال
في مقام المريد لحال المريد ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وفي قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي
ولم يذكر ما بينهما من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى لعدم تعلقه بالمبنى وان اختلف
في مرجع ضمير اوحى في المعنى وفي قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال اي ابن مسعود
فيها اي في هذه الايات كلها راى اي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستمائة
جناح يعني الضماير كلها راجعة الى جبريل وهذا التاويل مطابق وموافق لما فهمت عايشة
من الايات كما سبق التنبيه عليه وقد قال بعض علمائنا ان ابن مسعود اعلم الصحابة
بعد الخلفاء الاربعة متفق عليه وفي رواية الترمذي قال ابن مسعود في قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما راى قال اعادة تاكيدا راى النبي وفي نسخة صحيحة رسول الله صلى
الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف ففي النهاية اي بساط وقيل فراش ومنهم
من يجعل الرفرف جمعا واحده رفرفة وجمع الرفرف رفارف قلت الاقرب ان يكون المراد
منه ثياب خضر ويؤيده ما سياتي ويقويه قوله تعالى متكئين على رفرف وقيل يحتمل
ان يكون المراد منه بسط اجنحة فصارت شبه الرفرف قال السيوطي مختصر النهاية
رفرف الطاير بجناحيه بسطها عند السقوط على شي يحوم عليه ليقع فوقه وفي
القاموس رفرف الطاير بسط جناحيه كرفف والثلاثي مستعمل والرف شبه الطاق
كالرفرف جمعه رفوف والثوب الناعم والرفرف ثياب تتخذ منها المجالس وتبسط
والرقيق من ثياب الديباج وله اي للترمذي وللبخاري ايضا وقدم الترمذي
لتقدم مرجعه في قوله متعلق بقال الاتي لقد راى من ايات ربه الكبرى قال اي
ابن مسعود اي رفرفا اي ذا رفرف اخضر سد افق السما وهو جبريل كما سبق
عنه ايضا وهو المطابق لما قررناه وفي غير الكلام قد ربناه والله سبحانه اعلم وسيل مالك بن انس وهو
صاحب المذهب عن قوله تعالى الى ربها ناظرة فقيل قوم اي المعتزلة واشباههم من اهل البدعة
يقولون اي في معنى الاية الى ثوابه اي ناظرة الى ثواب ربها كما قال بعضهم الى مفرد الالاء بمعنى
النعماء واريد هنا الجنس اي منتظرة نعمة ربها فقال مالك كذبوا اي على الله تعالى في معنى
كلامه فاين هم عن قوله تعالى كلا اي حقا انهم اي الكفار عن ربهم قدم عن متعلقه للاهتمام
او للتعظيم او للاختصاص او لمراعاة الفاصلة يومئذ اي يوم القيامة او وقت التجلي لمحجوبون
اي لا يرون الله سبحانه والحجاب اشد العذاب كما ان الرؤية زيادة على كل مثوبة حيث
قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة والمعنى فاين ذلك القوم حيث وقعوا في بعد
وغفلة عن مفهوم هذا القول وهو ان المومنين غير محجوبين بل يكونون في مقام النظر
مطلوبين ويبصرون من كمالهم في مرتبة الحب محبوبين قال مالك الناس اي المومنون
فان الحقيقة هم الناس وساير الناس كالنسناس ينظرون الى الله يوم القيامة باعينهم
وقد سبق ما يدل ذلك وقيل الناس كلهم يرون الله ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة
الحسرة عليهم وقد مر الكلام عليه وعلى كل فالرؤية للمومنين حاصلة بلا شبهة وقال مالك

ووقف ـــــــ لله عز وجل

لو لم ير المومنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا وفي نسخة بينما اهل الجنة في نعيمهم اي واقعين في لذاتهم مشتغلين بشهواتهم اذ سطع اي سنح ولمع لهم نور اي عظيم فرفعوا روسهم فاذا الرب قد اشرف اي تجلى بالعظمة والكبريا والبها والعلا عليهم من فوقهم اي مبتدا منه اخذ من جميع جهاتهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة ولعل المراد بهم جماعة قيل في حقهم ان اكثر اهل الجنة البله حيث قنعوا بالجنان عن روية الذات مخليون لاولي الالباب لا انهم لا علاقة لهم عن النظر الي غير رب الارباب ويويده ما رواه الدارقطني في الافراد والديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة مرفوعا اهل شغل الله في الدنيا هم اهل شغل الله في الاخرة واهل شغل انفسهم في الدنيا هم اهل شغل انفسهم في الاخرة وفي التنزيل اشارة الي ذلك في قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكيون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم قال اي النبي عليه السلام وذلك اي سلام الرب يعني شاهده قوله تعالى اومعنى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم اي لهم سلام عظيم يقال لهم قوله كاينا من جهة رب الرحيم قال فينظر اي الرب اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الي شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم اي بايقاع الحجاب عليهم بعد رفعه عنهم ويبقى نوره اي اثر نوره وثمرة ظهوره على ظاهرهم وباطنهم كما يشاهده اهل المشاهدة في حال البقا بعد تحقق الفنا والله اعلم رواه ابن ماجة

باب صفة النار واهلها

الفصل الاول

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم وفي رواية الترمذي ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم زاد الترمذي لكل جزء منها حرها قيل يا رسول الله ان كانت لكافية ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة اي ان هذه النار التي نراها في الدنيا كانت كافية في العقبى لاحراق الكفار وعقوبة الفجار فهلا اكتفي بها ولاي شي زيدت في حرها قال فضلت اي نار جهنم عليهن اي على نيران الدنيا بتسعة وستين جزءا كلهن اي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءا من نار جهنم مثل حرها اي مثل حرارة ناركم في الدنيا وحاصل الجواب منع الكفاية اي لا بد من التفضيل لحكمة كون عذاب الله اشد من عذاب الناس ولذلك اوثر ذكر النار على سائر اصناف العذاب في كثير من الكتاب والسنة منها قوله تعالى فما اصبرهم على النار وقوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وانما اظهر الله هذه الجزء من النار في الدنيا انموذجا لما في تلك الدار قال الامام الغزالي في الاحيا اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هربا مما هم فيه متفق عليه واللفظ للبخاري اي ووافقه مسلم في المعنى وفي رواية مسلم ناركم التي يوقد ابن ادم من الايقاد وبحوز التشديد من التوقيد وفيها اي في رواية مسلم عليها وكلها بدل عليهن وكلهن بالنصب اي عوضهما لفا ونشرا مرتبا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بجهنم البنا للمفعول اي يوتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى وجيء يومئذ

بجهنم اي يوم القيامة ووقت الندامة والحسرة والملامة لها سبعون الف زمام بكسر الزاي وهو ما يشد به مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها بتشديد الراي يسحبونها اي الي ان تدار بارض لا يبقى للجنة طريق الا الصراط على ظهرها وفايدة هذه الازمة التي يجرونها بعد الاشارة الي عظمتها منعها من الخروج على المحشر الا من شاء الله منهم رواه مسلم وعن النعمان بضم النون ابن بشير صحابي ابن صحابي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار اي ايسرهم عذابا من له نعلان اي من تحت قدميه وشراكان اي من فوقها من نار اي كاينة منها يغلي اي يفور منهما اي من النوعين وهما النعلان والشراكان دماغه كما يغلي المرجل بكسر الميم وفتح الجيم واي قدر النحاس كذا قاله شارح وقال العسقلاني ويقال ايضا لظا انا يغلي فيه الما من اي صنف كان والحاصل انه كما قال تعالى في البطون كغلي الحميم وهذا بالنسبة الي من لم ينغمس في الجحيم ولذا قال ما يرى بصيغة المجهول اي ما يظن من له نعلان وشراكان من نار ان احدا اي من اهل النار اشد عذابا منه اي لانفراده وعدم اطلاعه على حال غيره وانه لاهونهم بالكسر اي والحال انه لاهونهم عذابا ففيه تصريح بتفاوت عذاب اهل النار متفق عليه وفي الجامع اهون اهل النار عذابا يوم القيامة رجل يوضع في قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان بن بشير اقول ولعل هذا الحديث بالنسبة الي ادنى العصاة من المومنين وما في المتن بالنسبة الي ادناهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذي يليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهون اهل النار عذابا اي من الكفار ابو طالب لقوله تعالى في حقه باتفاق المفسرين انك لا تهدي من احببت وهو متنعل من باب التفعل وفي نسخة صحيحة من باب الانفعال اي متلبس بنعلين اي من نار يغلي منهما وفي نسخة يغلي منهما اي من نعليها اومن جهة نعله واريد به الجنس

مطلب

دماغه وانما خفف عذابه لكونه حاميا له عمن تشدد بعداوة الكفار فلما خفف خفف جزاء وفاقا رواه البخاري واسنده السيوطي في الجامع الصغير الي احمد ومسلم عنه والله اعلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بانعم اهل الدنيا البنا للمفعول اي بمحض اشدهم تنعما واكثرهم ظلما لقوله من اهل النار من بيانية في محل حال يوم القيامة ظرف يوتى فيصبغ بصيغة المجهول اي يغمس في النار صبغة بفتح الصاد اي غمسة اطلاقا للملزوم على اللازم فان الصبغ انما يكون بالغمس غالبا وفي النهاية اي يغمس في النار غمسة كما يغمس الثوب في الصبغ ثم يقال اي له يا ابن ادم هل رايت خيرا اي نعمة قط هل مر بك نعيم قط اي في زمان من الازمنة وفي الكلام مبالغة لا يخفى حيث اوقع الاستفهام على مجرد الروية والمرور دون الذوق والتمتع والسرور فيقول لا اي ما رايت قط والله يا رب نفي موكد بالقسم والندا في الجواب لما انسته شدة العذاب ما مضى عليه من نعيم الدنيا ولم يعد من النعيم نظرا الي ماله وسوء حاله فاي نعيم اخره الجحيم واي شدة مالها الجنة كما قال ويوتى باشد الناس بوسا بضم الموحدة اي شدة ومشقة ومحنة لما كان فيه من فاقة وحاجة وبلية في الدنيا اي اولا من اهل الجنة مالا فيصبغ صبغة في الجنة

اي في ايمانه زمانا او ثلاث ثم ينها فيقال له يا ابن ادم هل رايت بوسا قط وهل مر بك شدة قط
فيقول لا والله يارب ما مر بي بوس ولا رايت شدة قط ولكنه اطنب في الجواب تلذذا بالخطاب
وقلب الكلام للفرح التام رواه مسلم **وعنه** اي عن انس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك اي
لو فرض الان تملك ما في الارض من شي من زايدة للاستغراق اي جميع ما فيها وطلب
منك ان تفتدي به وتخلص نفسك من النار اكنت تفتدي وهو من الافتدا بمعنى
اعطا الفدية للانجا فيقول نعم فيقول اي الله سبحانه اردت منك اهون من هذا اي
طلبته فوضع السبب موضع المسبب لان مراد الله تعالى لا يتخلف كما اتفق عليه السلف
والخلف بقولهم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وحاصله اني امرتك باسهل من هذا وانت
في صلب ادم اي تعلق بك الامر والحال انت في صلب ادم وفيه ايما الى قضية الميثاق
المشتمل على قوله الست بربكم قالوا بلى فالمراد منه التوحيد والعبادة على وجه التقدير
واليه اشار بقوله ان لا تشرك بي شيا وهو بدل او بيان لقوله اهون فابيت اي
كل شي ان لا تشرك بي اي فلا جرم لا اقبل منك ولو افتديت بجميع ما في الارض
كما قال ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب
يوم القيامة ما تقبل منهم وقال في موضع اخر ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وقال الطيبي قوله لو ان لك ما
في الارض جميعا اي لو ثبت لان لو تقتضي الفعل الماضي واذا وقعت ان المفتوحة بعد لو كان
حذف الفعل واجبا لان ما في ان من معنى التحقق والثبات منزل منزلة ذلك الفعل
المحذوف وقوله اردت منك ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة فان المعنى
اردت فيك التوحيد فخالفت مرادي واتيت بالشرك وقال المظهر الارادة هاهنا
بمعنى الامر والفرق بين الامر والارادة ان ما يجري في العالم لا محالة كاين بارادته
ومشيته واما الامر فقد يكون مخالفا لارادته ومشيته قلت وتوضيحه ان
الامر بالايمان توجه على عامة المكلفين وتعلقت مشية الايمان ببعضهم والارادة
الكفر ببعضهم ولذا قال ولو شا الله لجمعهم على الهدى وقال سبحانه ولكن
اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شا الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما
يريد وقال ولو شا الله لهدى الناس جميعا وقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة قال الطيبي الاظهر ان يحمل الارادة هنا على اخذ الميثاق في قوله تعالى واذ
اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية بقرينة قوله وانت في صلب ادم
فيقول ابيت الا ان تشرك بي اشارة الى قوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباونا
من قبل وتحمل الابا هنا على نقض العهد وقوله الا ان تشرك استثنا مفرغ وانما
حذف المستثنى منه مع انه كلام موجب لان في الابا معنى الامتناع فيكون نفيا اي
ما اخترت الا الشرك انتهى وهو كلام حسن الا ان اطلاق الارادة اخذ الميثاق يحتاج
الى بيان يعرف به ما تقدم من الارادة والله اعلم متفق عليه **وعن** سمرة بن جندب
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال منهم اي من اهل النار من تاخذه النار
الى كعبيه ومنهم من تاخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تاخذه النار الى حجزته

بضم حا وسكون جيم فزاي اي معقد ازاره ووسطه ومنهم من تاخذه النار الى ترقوته بفتح
اوله وضم قافه اي الى حلقه ففي الصحاح لا تضم اوله وفي النهاية هي العظم الذي بين ثغرة
النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين ووزنها فعلوة بالفتح وفي الحديث بيان
تفاوت العقوبات في الضعف والشدة لا ان بعضا من الشخص يعذب دون بعض
ويويده قوله في الحديث السابق وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه رواه مسلم قال
الطيبي طول الحديث في شرح السنة برواية ابي سعيد اذا خلص المومنون من النار الى قوله
فيا تونهم فيعرفونهم بصورهم لا تاكل النار صورهم **وعن** ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع قال القاضي يزاد في
مقدار اعضايه الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار قال القرطبي هذا يكون
للكفار فانه قد جاءت احاديث تدل على ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة امثال الذر في صورة
الرجال فيساقون الى سجن في جهنم قال ابن الملك في شرح المشارق ونظر فيه الشيخ الشارح
يعني الاكمل بان هذا الحديث يدل على عظم اجسامهم في النار والذي ذكره في المحشر اقول الظاهر
ان يراد بالمتكبرين عصاة المومنين وكلام القرطبي محمول عليه ليلايم الحديث الاتي ضرس
الكافر يوم القيامة مثل احد على ان الاظهر في الجمع ان يكونوا امثال الذر في موقف يداسون فيه
ثم يعظم اجسادهم ويدخلون النار ويكونون فيها كذلك وقال ابن الملك قوله في النار غير
مذكور في مسلم كذا قاله النووي فالاوجه في منع قول القرطبي ان يقال ما ذكره لا يدل
على انعدام عظمتهم في المحشر لان تشبيه المتكبرين بالذر انما هو في الحقارة لا في الصورة
والا فلا يستقيم قوله في صورة الرجال انتهى مباحثه لا يخفى وفي رواية ضرس الكافر مثل احد
وغلظ جلده بكسر الغين وفتح اللام اي عظمه مسيرة ثلاث اي ليال قال الطيبي هو في
جامع الاصول وشرح السنة انثه باعتبار الليالي قال النووي هذا كله لكونه ابلغ
في ايلامه وهو مقدور لله تعالى يجب الايمان لاخبار الصادق به رواه مسلم وفي الجامع الصغير
اسند الرواية الاولى الى الشيخين والثانية الى مسلم والترمذي والله اعلم وروى البزار عن ثوبان
مرفوعا ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده اربعون ذراعا بذراع الجبار وروى ابن ماجة
عن ابي سعيد مرفوعا ان الكافر ليعظم حتى ان ضرسه لاعظم من احد وفضيلة جسده على
ضرسه كفضيلة جسدة احدكم على ضرسه وذكر حديث ابي هريرة اشتكت النار الى ربها في محل
الصلوات يعني فهو اما مكرر اسقط من هنا ونبه عليه واما اعتراض فعل تنبيها على ان محله اللايق
هو ذلك الباب والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني

عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اوقد بصيغة المفعول وقوله على النار نايب الفاعل قال
الطيبي هذا قريب من قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوقد الوقود فوق
النار اي النار ذات طبقات توقد طبقة فوق اخرى ومستعلية عليها الف سنة حتى
احمرت بتشديد الراء للمبالغة في الاحمرار ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى اسودت فهي الان سوداء مظلمة زاد في الجامع في الليل المظلم والحديث
دليل على ان النار مخلوقة كما ذهب اليها اهل السنة خلافا للمعتزلة وجماعة من اهل البدعة
ويويدنا قوله تعالى اعدت بصيغة الماضي رواه الترمذي وكذا ابن ماجة **وعنه**
اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم

القيامة مثل احد وفخذه بفتح فكسر في القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث
كالفخذ ويكسر اي فخذ الكافر مثل البيضا في النهاية هو اسم جبل وقال شارح هو موضع في
بلاد العرب وقيل هو جبل ومقعده اي موضع قعوده من النار اي فيها مكانه في رواية
مسيرة ثلاث مثل الربذة بفتح الرا والموحدة والذال المعجمة قرية معروفة قرب المدينة
كذا في النهاية وقيل بقربه مكة وقيل قرية من قرب المدينة على ثلاث ليال وقال شارح
قريب منه دان عرف بعد ما بين الربذة والمدينة انتهى فقوله مثل الربذة اي مثل
بعد الربذة من المدينة او مثل مسافتها اليها فانه صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث وهو
في المدينة ويؤيده ما روي من ان مقعده في النار ما بيني وبين الربذة وقال ابن الملك قرية
من قرى المدينة بها قبر ابي ذر الغفاري وقيل جبل بالشام رواه الترمذي ورواه احمد
والحاكم عنه بلفظ ضرس الكافر يوم القيامة مثل احد وعرض جلده سبعون ذراعا
وعضده مثل البيضا وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون
ذراعا لفظ الجامع اثنان واربعون ذراعا بذراع الجبار وفي القاموس الذراع بالكسر من طرف
المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد يذكر فيهما وذراع الثوب قامت بها وان
ضرسه مثل احد وان مجلسه اي موضع جلوسه من جهنم ما بين مكة والمدينة رواه
الترمذي وكذا الحاكم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر
ليسحب بفتح الحا اي يجر لسانه ويجوز ان يكون على بنا المفعول بل هو الاظهر في المعنى المراد
وكذا ضبط في الجامع لفظ يسحب لسانه وراءه الفرسخ والفرسخين يتوطاه الناس اي يطاونه
باقدامهم ويمشون عليه رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن
ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود بفتح الصاد
واللام للعهد اشارة الى قوله تعالى سارهقه صعودا اي ساغشيه عقبة صعبة المسلك جبل
ففي القاموس الصعود بالفتح ضد الهبوط وجبل في جهنم والعقبة الشاقة والمعنى انه
جبل عظيم من نار يتصعد فيه بصيغة المجهول اي يكلف الكافر ارتقاءه وفي نسخة بفتح اوله
اي يطلع في ذلك الجبل سبعين خريفا اي مدة سبعين عاما ويهوي به بصيغة المفعول
اي يكلف ذلك الكافر بسقوطه فيه وفي نسخة بفتح اليا وكسر الواو اي ينزل بذلك الكافر
من هوى كرمى سقط فالبا للتعدية كذلك اي سبعين خريفا فيه اي في ذلك الجبل ابدا
قيد للفعلين اي يكون دايما في الصعود والهبوط ومنه يتبين معنى لطيف فيما اشتهر
عنه صلى الله عليه وسلم ان السفر قطعة من سقر مع ما فيه من الايما الى اللطافة والنقطية
والمحاسبة الابجدية ويحققه ابيدفع ما نقل عن علي كرم الله وجهه انه لو لم يقل النبي صلى
الله عليه وسلم هكذا لعكست وقلت ان سقر قطعة من السفر لكن لا يخفى احسنية ما في
كلامه صلى الله عليه وسلم من عدم المبالغة الزايدة لما فيه من المطابقة للموافقة الجادة مع
الاشارة الى تفسير الاية وما تضمنه مما ذكرناه من افادة اللطافة والظرافة هذا وقد
ذكر صاحب خلاصة الطيبي ظنا ان ضميره راجع الى الجبل وان البا بمعنى في وان تكريره على طريقة
قولكا فكن زيد راغبا فيكا يعني ان الاعادة للتاكيد والمبالغة ولا شك ان ما قررناه احسن
في مقام الافادة رواه الترمذي ولفظ الجامع ثم يهوي فيه كذلك ابدا رواه احمد والترمذي وابن

حبان

وقف ـــــــ لله عز وجل

حبان والحاكم عنه وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله
كالمهل عن الماء اي في تفسير قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اي
كعكر الزيت بفتح العين والكاف اي درديه وقال الطيبي اي الدني منه والدرش واغرب شارح
وفسر المهل بالصديد مع ظهور النص السديد فاذا قرب بضم فتشديد اي الماء المهل الى وجهه
اي وجه العاصي سقطت فروة وجهه اي جلدته وبشرته فيه اي في المهل اي في النهاية فروة
وجهه اي جلدته والاصل فيه فروة الراس وهي جلدته لما عليها من الشعر فاستعارها من
الراس للوجه رواه الترمذي وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الحميم اي في قوله تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم المفسر بالماء البالغ نهاية الحر ليصب على رؤوسهم
اي يكب فوقها فينفذ الحميم بفتح الفا من النفوذ وهو التاثير والدخول في الشي اي يدخل
اثر حرارته من راسه الى باطنه حتى يخلص بضم اللام اي يصل الى جوفه اي الى جوف راسه او
الى بطنه هو الظاهر المتبادر بل هو الصواب لقوله فيسلت بضم اللام من سلت القصعة
اذا مسحها من الطعام فيذهب واصل السلت القطع فالمعنى فيمسح الحميم ويقطع ما في جوفه اي من
الامعا وقال القاضي اي يذهب ويمر حتى يمرق بضم الرا اي يخرج من قدميه وهو الصهر بفتح
الصاد بمعنى الاذابة والمعنى ما ذكر من النفوذ وغيره هو معنى الصهر المذكور في قوله تعالى
يصهر به ما في بطونهم والجلود ومع هذا الهم الوعد الشديد بقوله سبحانه ولهم مقامع
من حديد ثم يعاد ما في جوفه كما كان لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب اي شدة العقاب رواه الترمذي وعن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى وفي نسخة يسقى من ماء صديد قيل صديد الجرح ماؤه الرقيق المختلط
بالدم السايل منه يتجرعه اي يشربه لا بمرة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته ولذا قال
تعالى ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال
اي النبي عليه السلام يقرب بفتح الرا المشددة اي يوتى بالصديد قريبا الى فيه اي فم العاصي
فيكرهه اي لعفونته وسخونته فاذا ادني بصيغة المجهول اي زيد في قربه منه اي من العاصي
او من فمه شوى اي احرق وجهه ووقعت اي سقطت فروة راسه اي جلدته فاذا شربه اي
ما الصديد الحار الشديد قطع امعاءه بتشديد الطا للمبالغة والتكثير حتى تخرج اي الامعا وفي
نسخة بالياء اي الصديد من دبره بضمتين وهو ضد القبل يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم ويقول اي الله في موضع اخر وان يستغيثوا اي يطلبوا الغياث بالما على عادتهم
الاستغاثة في طلب الغوث وهو المطر يغاثوا اي يجابوا ويعانوا بماء كالمهل اي كالصديد اي
وكعكر الزيت على ما صح عنه صلى الله عليه وسلم يشوي الوجوه اي ابتداء ثم يسري الى البطون
وسائر الاعضا بئس الشراب اي المهل والماء كالمهل فانه مكروه ومكروه رواه الترمذي
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لسرادق النار بكسر الميم
وضم السين وجر القاف وفي نسخة بالفتح ورفع قال الطيبي روي بفتح اللام على انه مبتدا وكسرها
على انه خبر وهذا اظهر وفي النهاية السرادق كلما احاط بشي من حائط او مضرب او خبا اقول وهو
اشارة الى قوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وفي القاموس السرادق
الذي يمد فوق صحن البيت وجمعه سرادقات وقال شارح هو الذي فوق صحن الدار اقول
الظاهر ان المراد به في الاية هو المعنى الاعم الشامل للمحيط بجميع جهاتهم ولعل سرادقها من نار

غليظة مركبة من دخان وغيره ولذا قال لسرادقها اربعة جدر بضمتين جمع جدار وهو لا ينافي ان يمد
من فوقهم فانه صح في الاخبار انه يطبق عليهم بل على كل واحد منهم حتى يظن كل انه لا يعذب في
النار غيره وهو اصعب فان البلية اذا عمت طابت لا سيما اذا راى ان عذابه احق من بعض
كثف كل جدار بضم الكاف والمثلثة مرفوعا في اصل السيد وكثير من النسخ وفي بعضها بالكسر
والفتح وعليه اكثر الشراح وهو الاظهر فقال صاحب المفاتيح والخلخالي بكسر الكاف وفتح
المثلثة اي الغلظ فالمعنى كثافة كل جدار وغلظه مسيرة اربعين سنة وقال شارح بالفتح
والكسر الغلظ وفي النهاية الكثف جمع كثيف وهو الثخين الغليظ لكن لا يخفى ان معنى الجمع
غير ملائم لاضافته الى كل جدار نعم في نسخة ضبط بضمتين مجرورا على انه صفة جدر وكل
جدار بالرفع على الابتدا وهو ظاهر لفظا ومعنى والله اعلم رواه الترمذي وعن ابي سعيد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد اهل النار وغسالتهم
وقيل ما يسيل من دموعهم وقيل الزمهرير كذا في النهاية وقيل هو الصديد البارد المنتن لا يقدر على شربه
من برودته كما لا يقدر على شرب الحميم لحرارته قلت وهو الملائم للجمع بينهما في قوله تعالى فليذوقوه
حميم وغساق وكذا في قوله سبحانه لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا على النشر المشوش
اعتمادا على فهم السامع والحاصل انه لو ان شيا قليلا منه يهراق بفتح الهاء وسكونه اي يصب في الدنيا
اي في ارضها لانتن اهل الدنيا اي لصار ذو نتن منه فاهل مرفوع على الفاعلية وعليه الاصول
المعتمدة وكانه وجد في بعض النسخ بالنصب على توهم ان انتن متعد بزيادة الهمزة فقال شارح انتن
الشي اي تغير وصار ذا نتن فنصب اهل ليس بصواب انما الصواب رفعه كذا قاله الامام التوربشتي
رحمه الله وفي القاموس النتن ضد الفوح نتن ككرم وضرب نتانة وانتن فهو منتن بكسرتين وبضمتين
وكقنديل اقول ولعل وجه الكسرتين انه كسر الميم تبعا كما في قوله الحمد لله قرئ في الشواذ بكسر
الدال وضمها اتباعا لما بعدها وعد الضمتين كلمة لامتزاجهما وعدم انفكاكهما غالبا رواه الترمذي وكذا
ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله اولها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته اي حق تقواه من
القيام بالواجبات واجتناب السيئات وقد فسره ابن مسعود بقوله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ورواه الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا رواه ابن ابي حاتم وابن
مردويه وصححه المحدثون فهو اما تفسير لكمال التقوى فلا اشكال او لاصلها فيكون منسوخا بقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ذكره بعضهم وقال بعض العارفين هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازات عليها ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي موحدون منقادون تائبون جامعون
بين الخوف والرجا غالبون حسن الظن بالمولى من الاخرة والاولى وهو في الحقيقة امر بدوام الاسلام
فان النهي في هذا المقام توجه الى القيد في الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان
قطرة من الزقوم اي من ما شجر يخرج من اصل الجحيم قال شارح الزقوم شجرة خبيثة مرة
كريهة الطعم والرائحة يكره اهل النار على تناوله فلو ان قطرة منه قطرت بالفتحات اي نقطت
ونزلت في دار الدنيا لافسدت اي لمرارتها وعفونتها وحرارتها على اهل الارض معايشهم بالبا
والقصر جمع معيشة فكيف بمن يكون الزقوم طعامه ففي الصحاح ان الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر
وزبد والزقم اكله بمعنى فالمعنى بل زقومهم في الدنيا كما قال تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
قال الطيبي قوله حق تقاته اي واجب تقواه وما يحسن منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم

اي بالعوا

اي بالعوائق التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيا وهذا معنى قوله تعالى فاتقوا الله ما
استطعتم وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون تاكيد لهذا المعنى اي لا تكونن على حال سوى حال الاسلام
اذا ادرككم الموت فمن واظب على هذه الحالة وداوم عليها مات مسلما وسلم في الدنيا من الافات ومن
الاخرى من العقوبات ومن تقاعد عنها وتقاعس وقع في العذاب في الاخرة ومن ثم اتبعه صلى الله عليه
وسلم بقوله لو ان قطرة من الزقوم الحديث وهو مفعول من الزقم اللقم الشديد والشرب المفرط
رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وكذا رواه احمد والنسائي وابن ماجة والحاكم وابن
حبان وعن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اي في قوله تعالى وهم فيها اي الكفار
في النار كالحون اي عابسون حين تحترق وجوههم من النار كذا ذكره الطيبي وقال شارح اي بادية
اسنانهم وهو المناسب لتفسيره صلى الله عليه وسلم كما بينه الراوي بقوله قال واعاده للتاكيد تشويه
بفتح اوله اي تحرق الكافر النار اي نار اهل البوار فتقلص على صيغة المضارع بحذف احدى
التائين اي تنقبض شفته العليا بفتح السين وكسرها حتى تبلغ اي تصل شفته وسط راسه
بسكون السين وبفتح ويسترخي بالتذكير والتانيث اي يسترسل شفته السفلى
تانيث الاسفل كالعليا تانيث الاعلى حتى تضرب اي تقرب شفته سرته رواه الترمذي
وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ابكوا بكسر همزة
الوصل وضم الكاف امر من بكى يبكي اي ابكوا خوفا على ذنوبكم وشوقا الى ربكم كما اخبر
الله سبحانه عن حال انبيائه واصفيائه اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقد
سجد بعض السلف في هذه الاية فقال هذه السجدة فاين البكا فان لم تستطيعوا اي
لم تقدروا على البكا الحقيقي فانه ليس بالامر الاختياري فتباكوا بفتح الكاف امر من باب
التفاعل والمعنى تحملوا انفسكم بالتكلف على البكا وفيه ايما الى قوله فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا فان اهل النار اي من الكفار ويحتمل ان يعم الفجار يبكون في النار حتى
تسيل دموعهم في وجوههم اي عليها والتعبير بفي ابلغ ويؤيده قوله كانها اي دموعهم
جداول جمع جدول وهو النهر الصغير حتى تنقطع الدموع فتسيل الدما بنصب
الفعل ويرفع وكذا التصحيح الوجهين في قوله فتقرح بتشديد الرا المفتوحة على
انه مضارع من باب التفعل حذف احدى التائين منه اي فتخرج منها اي من سيلان
الدما العيون بضم العين وبكسر جمع العين وفي نسخة فتقرح بسكون القاف وفتح
الرا فالعيون منصوب لان قرح لازم جرح على ما في القاموس والمعنى فتجرح دموعهم
او دماوهم عيونهم فيزيد في سيلانها فلو ان سفنا بضم السين والفا جمع سفينة ازجيت
بصيغة المجهول من الازجا بالزاي والجيم اي ارسلت فيها اي في الدموع او الدما
لجرت اي السفن رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن ابي
الدردا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى اي يسلط على اهل
النار الجوع اي الشديد فيعدل بفتح الباء وكسر الدال اي فيساوي الجوع ما هم
فيه من العذاب والمعنى ان الجوع مثل الم سائر عذابهم فيستغيثون اي بالطعام
فيغاثون بطعام من ضريع وهو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه
ولو اكلت ماتت ط المراد هنا شوك من نار امر من الصبر وانتن من الجيفة واحر من
النار لا يسمن اي لا يشبع الجائع ولا ينفعه ولو اكل منه كثيرا ولا يغني من جوع اي

ولا يدفع ولو بالتسكين شيئا من الم الجوع وفيه ايما الي قوله تعالي ليس لهم طعام الا من ضريع
الي فيستغيثون بالطعام اي ثانيا لعدم نفع ما اغيثوا اولا فيغاثون بطعام ذي
غصة اي مما ينشب في الحلق ولا يسوغ فيه من عظم وغيره لا يرتقي ولا ينزل وفيه
اشعار الي قوله تعالي ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما والمعني
انهم يؤتون بطعام ذي غصة فيتنا ولونه فيغصون به فيذكرون انهم كانوا
يجيزون من الاجازة بالزاي اي يسيغون الغصص جمع الغصة بالضم وهي ما
اعترض في الحلق فاشدق على ما في القاموس والمعني انهم كانوا يعالجونها
في الدنيا بالشراب فيستغيثون اي على مقتضي طباعهم بالشراب اي لدفع ما
حصل لهم من العذاب فيرفع اليهم الحميم بالرفع اي يرفع اطراف انا فيه الحميم وهو
الما الحار الشديد بكلاليب الحديد اي على ايدي الملايكة او بيد القدرة
من غير الواسطة فاذا دنت اي قربت او ادنيت الحميم من وجوههم تشوت وجوههم
اي احرقتها فاذا دخلت اي انواع ما فيها من الصديد والغساق وغيرهما بطونهم
قطعت ما في بطونهم اي من الامعا قطعة قطعة فيقولون ادعوا خزنة جهنم
نصب على انه مفعول ادعوا وفي الكلام حذف اي يقول الكفار بعضهم ادعوا
خزنة جهنم ثم يدعونهم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فيقولون اي الخزنة الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلي قالوا اي الخزنة تهكما
بهم فادعوا اي انتم ما شيتم فانا لا نشفع لكافرين وما دعا الكافرين الا في ضلال
اي في ضياع لانه لا ينفعهم دعا لانهم ولا من غيرهم وهذا لا يدل لا يستجاب
لهم دعوة في الدنيا كما فهمه بعض العلما وقد استجيب دعا الشيطان في الامهال والله
اعلم بالحال وقال الطيبي الظاهر ان خزنة جهنم ليس بمفعول ادعوا بل هو منادي ليطابق
قوله تعالي وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
وقوله الم تك تاتيكم ~~رسلكم بالبينات~~ الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات
الدعا والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجتري
على الله ذلك وليس قولهم فادعوا لرجا المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا
لم يسمع دعاوه فكيف يسمع دعا الكافرين قال اي النبي عليه السلام فيقولون اي الكفار
ادعوا مالكا والمعني انهم لما ايسوا من دعا خزنة جهنم لاجلهم وشفاعتهم لهم ايقنوا ان
لا خلاص لهم ولا مناص من عذاب الله فيقولون يا مالك ليقض اي سل ربك داعيا ليحكم بالموت
علينا ربك لنستريح او من قضي عليه اذا اماته فالمعني ليمتنا ربك لنستريح قال اي النبي
عليه السلام فيجيبهم مالك جوابا من عنده لنفسه او من عند ربه تعالي بقوله انكم ماكثون اي
مكثا مخلدا قال الاعمش وهو احد الرواة من اجلا التابعين نبيت بتشديد الموحدة
المكسورة اي اخبرت من بعض الصحابة موقوفا او مرفوعا ان بين دعاهم واجابة مالك اياهم
اي بهذا الجواب الف عام قال فيقولون اي بعضهم لبعض ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم اي فليس احد | صح
في الرحمة والقدرة على المغفرة فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا بكسر فسكون وفي قراة بفتحتين
والف بعدهما وهما لغتان بمعني ضد السعادة والمعني سبقت علينا هلكتنا المقدرة بسوء الخاتمة
وكنا قوما ضالين اي عن طريق التوحيد ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وهذا كذب منهم

عز وجل

فانه تعالي قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون قال فيجيبهم اي الله بواسطة او غيرها
اخسئوا فيها اي ذلوا وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت والمعنى ابعدوا اذلا في النار ولا تكلمون
اي لا تكلموني في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف عنكم قال فعند ذلك يئسوا اي قنطوا من كل خير
اي مما يخيهم من العذاب او يخففه عنهم وعند ذلك اي ايضا ياخذون في الزفير اي في احتراق النفس
للشدة وقيل الزفير اول صوت الحمار كما ان الشهيق اخر صوته قال تعالي لهم زفير وشهيق والحسرة
اي وفي الندامة والويل اي وفي شدة الهلاك والعقوبة وقيل هو واد في جهنم قال عبد الله بن
عبد الرحمن احد المحدثين من اصحاب التخريج والناس لا يرفعون هذا الحديث اي بل يجعلونه
موقوفا على ابي الدردا لكنه في حكم المرفوع فان امثال ذلك ليس مما يمكن ان يقال من قبل الراي
رواه الترمذي اي مرفوعا لما يفهم من صدر الحديث وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انذرتكم النار اي اخبرتكم بوجودها وشدتها وخوفتكم بانواع
عقوبتها انذرتكم النار اي اعلمتكم بما يتقي به عنها حتي قلت لكم اتقوا النار ولو بشق تمرة ثم يمكن
ان يراد بهما الانذار في زمان الحال وعبر بالماضي في السابق للاحق للاستقبال او الاول اخبار
والثاني انشا والجمع بينهما للتاكيد في احد المعاني وفي نسخة كررها ثلاثا فما زال يقولها اي تكرر الكلمة
المذكورة ويرفع بها صوته حتي لو كان اي النبي عليه السلام في مقامي هذا اي المقام الذي كان الراوي
فيه عند رواية هذا الحديث سمعه اي سمع صوته اهل السوق لانه بالغ في رفع صوته عملا بقول
نوح عليه السلام ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت واسررت لهم اسرارا حتي قطعت خميصة
وهي نوع ثوب كانت عليه اي فوق كتفه بمنزلة ردايه عند رجليه اي من جذبته الالهية
وعدم شعوره من الهيبة الحسية رواه الدارمي وعن عبد الله بن عمرو بن العاص بحذف
اليا في اكثر النسخ المصححة وفي نسخة بالياء قال النووي في مقدمة شرح مسلم اما ابن العاص فالاكثر
ما يجي في كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف اليا وهي لغة والفصيح الصحيح العاصي باثبات اليا
وكذلك شداد بن الهادي وابن ابي الموالي فالصحيح الفصيح في كل ذلك وما اشبهه اثبات
اليا والاعتداد بوجوده في كتب الحديث اذ اكثرها بحذفها اقول تعبيره بالصحيح الفصيح غير
صحيح اذ جا اثبات اليا وحذفها في الكلام الافصح كتابة وقراة ثم حذفها رسما اكثر من اثباتها قراة
اشهر من حذفها في قوله تعالي المهتد والمتعال وباق وواق ثم عدم الاعتداد بكتب الحديث المطابق
لرسم المصحف الشريف المنسوب الي كتابة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين مستبعد جدا خصوصا
من الامام النووي الذي هو من اتباع المحدثين ومن الفقها المتورعين هذا والصحيح في العاص انه
معتل العين لا معتل اللام على ما حققه صاحب القاموس بقوله الاعياص من قريش اولاد امية ابن
عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص فالعيص على هذا الخرج عما نحن فيه بالكلية
ولا يجوز اثبات اليا فيه بالمرة والله اعلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة بفتح
الرا والصادين المهملتين اي قطعة من الرصاص ففي القاموس الرصاص كسحاب معروف وفي نسخة
السيد رضاضة براء واحدة ومعجمتين وهي الحصا الصغار على ما في النهاية وفي نسخة المصابيح
رضراضة برائين ومعجمتين وهي الحجارة المدقوقة على ما قاله شارح وهو سهو من الكاتب او من
صاحب الكتاب والله اعلم بالصواب قال التوربشتي في سائر نسخ المصابيح رضراضة برائين
ومعجمتين مكان رصاصة وهو غلط لم يوجد في جامع الترمذي ولعل الغلط وقع من غيره ومثل هذه
اشارة الي محسوسة معينة هناك كما اشار اليه الراوي بقوله واشار الي مثل الجمجمة بضم الجيمين في النسخ

المصححة للمشكوة وهي قدح صغير وقال المظهر بالخاي المعجمتين وهي حية صغيرة صفرا وقيل بجمجمة
وهي عظم الراس المشتمل علي الدماغ وقيل الاول اصح انتهي والجملة حالية لبيان الحجم والتدوير المعين علي
سرعة الحركة قال التوربشتي بين مدى قعر جهنم بابلغ من البيان فان الرصاص من الجواهر الرزينة
والجوهر كلما كان اتم رزانة كان اسرع هبوطا الي مستقره لا سيما اذا انضم الي رزانته كبر جرمه ثم قدره علي
الشكل الدوري فانه اقوى انحدارا وابلغ مرورا في الجو انتهي فالمختار عنده ان المراد بالجمجمة جمجمة
الراس علي ان اللام للعهد او بدل عن المضاف اليه وهو المعنى الظاهر المتبادر من الجمجمة ثم
قوله ارسلت صفة لاسم ان وما بينهما معترضة اي ادليت من السما الي الارض وهي الي مسافة
بينهما مسيرة خمسماية سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة اي المذكورة
في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فالمراد من السبعين الكثرة والمراد بذرع
ذراع الجبار وقال شارح اي راس سلسلة الصراط وهو في غاية من البعد لسارت اي لنزلت وصارت
مدة ما سارت اربعين خريفا اي سنة الليل والنهار اي فيهما جميعا لا يختص سيرها باحدهما قبل
ان تبلغ اصلها اي اصل السلسلة او قعرها شك من الراوي والمراد بقعرها نهايتها وهو معنى اصلها
حقيقة او مجازا فالترديد انما هو في اللفظ المسموع وابعد الطيبي حيث قال يريد به قعر جهنم
لان السلسلة لا قعر لها قلت وجهنم في هذا المقام لا ذكر لها مع لزوم تفكيك الضمير فيها وان كان قعرها
عميقا علي ما رواه هنا وعن انس مرفوعا لو ان حجرا مثل سبع خلفات القي من شفير جهنم هوى فيها
سبعين خريفا لا يبلغ قعرها والمراد بالخلفات النوق الحوامل فاختيار كبر جرم الرسل هنا مناسب
لما قدمه التوربشتي رواه الترمذي وعن ابي بردة بضم موحدة عن ابيه قال المؤلف هو ابو
بردة بن عامر بن عبد الله بن قيس احد التابعين المشهورين المكثرين سمع اباه وعليا وغيرهما
وكان علي قاضي الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا
في القاموس هو منفرج بين جبال او تلال او اكام يقال له هبهب بضم البا الثانية من غير تنوين في
نسخة الجزري وكثير من النسخ ولعل عدم انصرافه باعتبار البقعة مع العلمية وفي نسخة السيد بسكون
البا ولا يظهر له وجه اللهم الا ان يقال انه تكرار هب امر من الهبة فكان الوادي او من حضره يقول
بلسان القال او الحال هب هب مخاطبا احطاب العام والله اعلم بالمرام وفي النهاية الهبهب السريع
وهبهب السراب اذا برق قال التوربشتي سمي بذلك اما لسرعة وقوعه في المجرمين او لشدة اجيج
النار فيه او للمعانه عند الاضطراب والالتهاب والله اعلم بالصواب يسكنه فيه حذف وايصال
اي يسكن فيه كل جبار اي متكبر عنيد عن الحق بعيد وعلي الخلق شديد رواه الدارمي وروى
ابن مردويه عن ابن عمر الفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وان جهنم
لتعوذ بالله منه وروى ابن جرير عن ابي هريرة الفلق جب في جهنم مغطى **الفصل الثالث** عن
ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم اهل النار في النار اي يكبر جثتهم حتى ان
بكسر الهمز ويفتح بين شحمة اذن احدهم الي عاتقه سبعماية عام اي ليزيد عذابهم كمية وكيفية وان غلظ
جلده سبعون ذراعا عطف علي مدخول حتى او علي الجملة السابقة وكذا قوله وان ضرسه مثل احد وعن
عبد الله بن الحارث بن جزء بفتح جيم وسكون زاي فهمز قال المؤلف هو عبد الله بن جزء ابو الحارث
السهمي سكن مصر وشهد بدرا مات سنة خمس وثمانين بمصر انتهي وفيه اشكال لا يخفى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات كامثال البخت بضم موحدة فسكون معجمة ومفرده بختي في القاموس بالضم
الابل الخراسانية تلسع احداهن اللسعة اي اللدغة فيجد اي ملسوعها حموتها بفتح فسكون اي اثر

ومـــسعوجل

سمها وسورة المها اربعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة بالهمز والواو والكاف مفتوحة
من اكف الحمار واوكفه شددت عليه الاكاف تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا
رواهما اي الحديثين احمد وعن الحسن اي البصري قال حدثنا ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران بفتح المثلثة اي ثوران فهو تشبيه بليغ كقولهم زيد اسد مكوران
بتشديد الواو المفتوحة اي يلفان من طلعه فلو ورد اي القاه علي ما ذكره الطيبي والمعنى انه يلفى
ويطرح كل منهما عن فلكهما في النار لزيادة عذاب اهلها بحرهما لما ورد عن ابن عمر علي ما رواه الديلمي
في مسند الفردوس مرفوعا الشمس والقمر وجوههما الي العرش واقفاهما الي الدنيا ففيه تنبيه
نبيه علي ان وجوههما لو كانت الي الدنيا لما اطاق حرهما احد من اهل الدنيا وقال ابن الملك اي يلفان
ويجمعان ويلقيان فيها وكان اخذه من تكوير العمامة ومنه قوله تعالى يكور الليل علي النهار ويكور النهار
علي الليل قال وفي النهاية ومنه حديث ابي هريرة يجاء بالشمس والقمر ثورين مكورين في النار والرواية
ثوران بالثا المثلثة كانهما يمسخان وقد روي بالنون وهو تصحيف انتهي ومن الغريب انه وقع في
نسخة الشيخ الجزري والسيد بالنون اصلا وبالمثلثة في الهامش نسخة ومما يؤيد الرواية بالثا
ما ذكره السيوطي في البدور عن انس وعن كعب الاحبار ايضا ثوران عقيران فقال الحسن وما ذنبهما
فقال اي ابو هريرة احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي اي تقابل النص الجلي بالقياس
وتجعل موجب دخول النار العمل فان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد اقول الظاهر من سؤاله بيان الحكمة
في ادخالهما النار مع انقيادهما وطاعتهما للملك الجبار والنار انما هي دار البوار للكفار والفجار فمعنى قول ابي
هريرة احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعته وليس لي مزيد علم علي ذلك فسكت الحسن
فتبين ان سؤاله حسن وكذا جوابه مستحسن مع انه لا يلزم من ادخالهما في النار تعذيبهما فلله خزنة
جهنم فقال بعض العلما انما جعلا في النار لانهما قد عبدا من دون الله تبكيتا للكافرين قال القرطبي
قد ورد عن ابن عباس تكذيب كعب الاحبار في قوله هذا حيث قال له هذه يهودية يريد ادخالها
في الاسلام والله اكرم من ان يعذبهما وهما دائبان في طاعته ثم حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انهما
يعودان الي ما خلقا منه وهو نور العرش فيختلطان وحاصله انهما يصيران نورين والنور لا يعذب
بالنار ولذا تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفا لهبي فمرجع الكلام الي ان فائدة ادخالهما تعيير
عبدتهما فلا منافاة بين قول كعب وبين قول ابن عباس عند التامل الشافي والله الكافي مع ان الحديث
المروي غير ثابت قال السيوطي في البدور هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ في العظمة من طريق ابي عصمة
نوح بن ابي مريم عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس وابو عصمة كذاب وضاع رواه البيهقي
في كتاب البعث والنشور وفي الجامع الصغير الشمس والقمر مكوران يوم القيامة رواه البخاري
عن ابي هريرة وروى ابن مردويه عن انس مرفوعا الشمس والقمر ثوران عقيران في النار ان
شا اخرجهما وان شا تركهما قيل قوله عقيران اي زمنان يعني لا يجريان وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا شقي قيل يا رسول الله ومن الشقي قال من لم
يعمل لله اي لاجل رضاه او لامره بطاعة اي بواجبه ولم يترك له اي لله معصية وهو شامل للكافر
والفاجر ففي قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى الذي محمول علي الصلي علي وجه الخلود قال الطيبي
البا الزائدة فيها وبنا المرة فيهما مع التنكير للتقليل وزيادة البا للتاكيد يدل علي ترجيح جانب الرحمة وان الله تعالى
لا يضيع اجر من عمل له طاعة ما او ترك لاجله وتخوفه معصية ما نحو قوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى رواه ابن ماجة **باب خلق الجنة والنار** اي في كونهما

متوقفين على ما هو مذهب اهل السنة والجماعة وفيه بيان انهما مخلوقتان وذكر بعض اوصافهما من خلقتهما

الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت
الجنة والنار اي تخاصمت وتجادلت وتعارضت الجنة والنار اعم بلسان القال او بلسان الحال
قال الطيبي هذه المحاجة جارية على التحقيق فانه تعالى قادر على ان يجعل كل واحدة مميزة مخاطبة او على
التمثيل قلت الاول هو المعول لان مذهب اهل السنة على ما في المعالم ان لله علما في الجمادات وسائر
الحيوانات سوى العقلا لا يقف عليها غيره فلها صلوة وتسبيح وخشية فيجب على المرء الايمان به ويكل
علمه الى الله سبحانه وتعالى انتهى وادلته كثيرة ليس هذا موضع ذكرها والله اعلم فقالت النار اوثرت
بصيغة المجهول من الايثار اي اخترت بالمتكبرين اي عن الحق والمتجبرين اي على الخلق بالتسلط
والقهر فقيل هما بمعنى جمع بينهما للتاكيد وقيل المتكبر المتعظم بما ليس فيه والمتجبر الذي لا يوصل اليه
وقيل الذي لا يكترث ولا يبالي بامر الضعفا والمساكين وقالت الجنة فما لي اي فاي شي وقع لي لا يدخلني
الا ضعفا الناس اي في البدن والمال وسقطهم بفتحتين اي اوديهم واكثرهم خمولا واقلهم اعتبارا المحقرون
فيما بينهم الساقطون عن اعينهم وهذا بالنسبة الى ما عند اكثر الناس لانهم كما قال تعالى ولكن اكثرهم
لا يعلمون وفي موضع ولكن اكثرهم يجهلون واما بالنسبة الى ما عند الله عظما وكذا عند من عرفهم من العلما
والعلما فوصفهم بالسقط والضعف لهذا المعنى او المراد بالحصر الاغلب وغرتهم بكسر الغين المعجمة وتشديد
الرا وهي عدم التجربة او وجود الغفلة بمعنى الذين لا تجربة لهم في الدنيا ولا اهتمام لهم بها او الذين هم غافلون
عن امور الدنيا شاغلون بهم العقبى على ما ورد في الخبر اكثر اهل الجنة البله اي في امور الدنيا بخلاف
الكفار فهم كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون هذا وقال الحافظ
ابن حجر العسقلاني رواه الاكثر بعين معجمة مفتوحة فرا فثا مثلثة اي اهل الحاجة من الغوث وهو
الجوع وروي بكسر الغين المعجمة وتشديد الرا وبتا مثناة فوقية اي البله الغافلون وهو الجوع
وروي بكسر الغين المعجمة وتشديد الرا وبتا مثناة فوقية اي البله الغافلون وهي ثابتة في
الكرنسخ مسلم ورواه اخرون بعين مهملة فجيم فزاي مفتوحات وتا مثناة جمع عاجز ايضا
قال الله للجنة ابتدا بها الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وجبرا لما حصل الكسر بالها
بما لها من الضعفا وغلبت في السوال وضعفت في الجواب انما انت رحمتي اي مظهرها في شرح السنة
سمي الجنة رحمة لان بها يظهر رحمة الله تعالى كما قال ارحم بك من اشا من عبادي والا فرحمة الله من صفاته
التي لم يزل بها موصوفا ليست لله صفة حادثة ولا اسم حادث فهو قديم بجميع اسمايه وصفاته جل جلاله
وتقدست اسماوه وفي المعالم الرحمة ارادة الخير لاهله وقيل ترك عقوبة من يستحقها واسدا الخير
الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقال اي الله للنار انما انت
عذابي اي سبب عقوبتي ومنشا سخطي وغضبي اعذب بك من اشا من عبادي والحاصل ان
الجنة والنار والمومنون والكفار مظاهر الجمال والجلال على وصف الكمال ولا يظلم لاحد وجه تخصيص
لكل منهما في مقام الفصل مع العلم بان احدهما من باب العدل والاخر من طريق الفضل ولا يسال عما يفعل
وهم يسالون ولكل واحدة منكما ملوها لان لكل منهما في ملي مالها فاما النار فلا تمتلي قال تعالى يوم
نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد فتطلب الزيادة ولا تمتلي من اهلها المعد لها حتى
يضع الله اي فيها او عليها رجله وفي الرواية الاتية قدمه فمذهب السلف التسليم والتفويض مع
التنزيه وارباب التاويل من الخلف يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته او قوم قدمهم
الله للنار من اهلها وتقدم في سابق حكمه انهم لاحقوها فتمتلي منهم جهنم والعرب تقول لكل شي

قدمته من خير او شر فهو قدم ومنه قوله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم اي ما قدموه من
الاعمال الصالحة الدالة على صدقهم في تصديقهم والمراد بالرجل الجماعة وهو وان كان موضوعا
لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد او اخطا الراوي في نقله
الحديث بالمعنى وظن ان الرجل يسد مسد القدم هذا وقد قيل وضع القدم على الشي
مثل للردع والقمع فكانه قال ياتيها امر الله فيكفها من طلب المزيد ويدل على هذا
الرواية الاتية بلفظ فيها في المشكوة نعم في قد تاتي بمعنى على على ما في القاموس
التنزيل لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل اريد به تسكين فورتها كما يقال
للامر يراد ابطاله وضعته تحت قدمي ذكره في النهاية وفي شرح السنة القدم
والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزهة عن التكييف
والتشبيه وكذلك كل ما جا من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد
والاصبع والعين والمجي والاتيان والنزول فالايمان بها فرض والامتناع عن
الخوض فيها واجب فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم والخائض فيها زائغ والمنكر
معطل والمكيف مشبه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ليس كمثله شي وهو
السميع البصير انتهى وهو الموافق لمذهب الامام مالك ولطريق امامنا الاعظم
على ما اشار اليه في الفقه الاكبر فالتسليم اسلم والله اعلم تقول اي النار والجملة استيناف
بيان او حال والا فكان الظاهر ان يقال فتقول قط بفتح القاف وسكون الطا وفي
نسخة بكسرها منونة وفي اخرى من غير تنوين قط قط ذكر ثلاث مرات على ما في النسخ
المصححة والمفهوم من قول شارح انه مكرر مرتين حيث قال بسكون الطا اي كفى كفى
ويحتمل كسر الطا اي حسبي حسبي قال النووي فيه ثلاث لغات باسكان الطا
وبكسرها منونة وغير منونة وفي القاموس اذا كان قط بمعنى حسب فقط كعن
وقط منونا مجرورا فاقتصاره عليهما مشعر بان الكسر غير التنوين ضعيف فهنالك
اي في ذلك الزمان تمتلي اي النار بقدرة الله تعالى ويزوى بصيغة المجهول اي يضم ويجمع
بعضها الى بعض اي من غاية الامتلا فلا يظلم الله اي ابدا من خلقه احدا اي لا ينشي
الله خلقا للنار فانه ظلم بحسب الصورة وان لم يكن ظلما حقيقة فانه تصرف في ملكه
والله تعالى لا يفعل ما في صورة الظلم واما الجنة فان الله منشي لها اي من عنده
خلقا اي جمعا لم يعملوا عملا وهذا فضل من الله تعالى كما انه سبحانه لو انشا للنار خلقا
على ما قيل لكان عدلا والله اعلم متفق عليه وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى اي يطرح فيها اي من الكفار والفجار وتقول هل
من مزيد اي من زيادة حتى يضع رب العزة اي صاحب الغلبة والقوة والقدرة فيها
قدمه وقد قدمنا ما يتعلق به فينزوي اي ينضم ويجتمع بعضها الى بعض فتقول
قط قط اي مرتين والمراد بها الكثرة او انحصار العدد بعزتك وكرمك اي زيادة عطاياك
ولا يزال في الجنة فضل اي زيادة مساكن خالية عن السكان حتى ينشي الله
لها خلقا فيسكنهم من الا نسان فضل الجنة اي في تلك الزيادة منها قال النووي
في قوله واما الجنة فان الله ينشي لها خلقا هذا دليل لاهل السنة على ان

الثواب ليس متوقفا علي الاعمال فان هولا يخلقون ثم ويعطون الجنة بغير عمل قال الطيبي والمعتزلة ات
يقولوا ان نفي الظلم عمن لم يذنب دليل علي انه ان عذبهم كان ظلما وهو عين مذهبنا والجواب انا وان
قلنا وان عذبهم لم يكن ظالما فانه لم يتصرف في ملك غيره لكنه تعالي لا يفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغة
فنفي الظلم اثبات للكرم متفق عليه وذكر حديث انس حفت الجنة بالمكاره بتمامه وحفت النار
بالشهوات في كتاب الرقاق اي لان الحديث انسب به من هذا الباب والله اعلم بالصواب **الفصل
الثاني** عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل
اذهب فانظر اليها اي نظر اعتبار فذهب فنظر اليها والي ما اعد الله لاهلها فيها اي ما اعد ما اعد الله
احد الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ثم جا اي رجع الي موضعه الي
حيث ما امر به او الي تحت العرش فقال اي رب وعزتك لا يسمع بها احد اي ويحب دخولها الا اذن
تعشق قبل العين احيانا الا دخلها اي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم الا ابتغا لها
لحسنها وبهجتها ثم حفها اي احاطها الله بالمكاره جمع كره وهي المشقة والشدة علي غير قياس والمراد بها
التكاليف الشرعية التي هي مكروهة علي النفوس الانسانية وهذا يدل علي ان المعاني لها صور حسية في
تلك المباني ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها اي ثانيا لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها
قال اي النبي صلي الله عليه وسلم وفي اكثر الاصول بدون قال فذهب فنظر اليها اي والي ما عليها ثم جا فقال
اي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد اي لما رايت حولها من الموانع التي هي العلايق والعوايق
للخلايق قال الطيبي اي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات قال فلما خلق الله
النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جا فقال اي رب وعزتك لا يسمع بها احد
فيدخلها اي لا يسمع بها احد الا فزع منها واحترز فلا يدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل
اذهب فانظر اليها قال وهو موجود هنا في اكثر النسخ المصححة فنظر اليها فقال اي رب وعزتك
لقد خشيت ان لا يبقي احد الا دخلها اي لميلان النفس الي الشهوات وحب اللذات وكسلها عن
الطاعات والعبادات فهذا الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات وفي معناه ما في الجامع الكبير للسيوطي ان الله بني مكة علي المكروهات والدرجات
ونعم ما قال ارباب الحال شعر لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال ع
رواه الترمذي وابو داود والنسائي **الفصل الثالث** عن انس رضي الله عنه ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال اي ايانا او جماعة لنا يوما الصلاة اللام للعهد الذهني الذي هو في المعني
كالنكرة ثم رقي بكسر القاف اي صعد المنبر فاشار بيده قبل قبلة المسجد بكسر القاف وفتح الموحدة
اي الي جانبها وجهتها فقال قد اريت بصيغة المجهول من الاراة اي ابصرت الان اي في هذا
الزمن القريب من الماضي والاستقبال المعبر عنه بالحال مراعاة التوسعة باعتبار الحال
ولذا قال قد صليت لكم الصلوة اي حين صليت او من ابتدا زمان ما صليت لكم الصلوة الي ان
رقيت المنبر الجنة والنار ممثلتين بتشديد المثلثة اي مصورتين صورة اجمالية او تفصيلية
في قبل هذا الجدار بكسر القاف وفتح اليا وفي نسخة بضمها اي في مقابلته ففي القاموس القبل
بالضم وبضمتين نقيض الدبر ورايته قبلا محركة وبضمتين وكصرد وكعنب اي عيانا ومقابلة
قال الكرماني فان قلت الآن للحال واريت للماضي فكيف يجتمعان قلت قد تقرب الحال فان
قلت فما قولك في صليت فانه للمضي البتة قلت كل مخبر او منشي يقصد الزمان الحاضر

لا الخطة

لا الخطة الحاضرة الغير المنقسمة المسميات بالحال انتهي والمعني ان الحال في كل مقال بحسب ما يناسبه
المقام في تحصيل المرام فلم ار كاليوم في الخير والشر اي لم ار مرئيا كمرئي اليوم في الخير ولا مرئيا كمرئي اليوم
في الشر فان الجنة جامعة للخيرات من الحور والقصور والنار جامعة لانواع الشرور من الويل والثبور
فلا نظير لهما في جمع الخير والشر قال الطيبي الكاف في موضع الحال وذو الحال هو المفعول به وهو
الجنة والنار بشهادة السابق والمعني لم ار الجنة والنار في الخير والشر بهما من الايام مثل ما رايت
اليوم اي رايتهما روية جلية ظاهرة متمثلتين في قبل هذا الجدار ظاهر خيرها وشرها رواه البخاري
ورواه مسلم عن انس ايضا عرض علي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحايط فلم ار كاليوم في الخير
والشر ولو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا **باب بدء الخلق وذكر
الانبيا عليهم السلام** البدء بفتح الموحدة فسكون الدال فالهمز بمعني الابتدا وينبغي
ان لا يكتب بالواو حتي لا يشتبه ضبط بضمتين فواو ساكنة فهمز او بواو مشددة بلا همز
فان معناها الظهور علي ما حققته في رسالتي علقتها علي اول كتاب البخاري مما يتعلق
بباب كيف كان بدء الوحي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم منتهيا الي وقول الله تبارك
وتعظم من اتيان الاعراب علي وجه الخلو من الاعراب ثم لو رسم بالبا وجه وجيه **الفصل
الاول** عن عمران بن حصين قال اني كنت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ جاءه قوم اي وفد
بحيهم من بني تميم قبيلة عظيمة مشهورة فقال اقبلوا بفتح الموحدة اي تقبلوا من البشري بضم
الموحدة اي البشارة المطلقة او المعهودة يا بني تميم وهم لما لم يفهموا الاشارة بالبشارة
يعرفوا طريق استقبالها بالقبول المترتب عليه حصول كل وصول قالوا بشرتنا فاعطنا تحملوا البشارة
علي الاحسان العرفي فطلبوا ما يترتب عليه من العطا الحسي وهذا يقتضي ما غلب عليهم من
الدنيا العاجلة وغفلتهم عن المراتب الاجلة فكل انا يترشح بما فيه وينبني علي ذلك
لنا معانية وقد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم منهجهم ومذهبهم وقال
الطيبي اي اقبلوا مني ما يقتضي ان تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به ولما لم يكن
جل اهتمامهم الا بشان الدنيا والاستعطا دون دينهم قالوا بشرتنا للتفقه وانما جينا
للاستعطا فاعطنا ومن ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ لم يقبلها بنو تميم وقال
العسقلاني بشرتنا هو دال علي اسلامهم وانما راموا العاجل وسبب غضبه صلي الله عليه
وسلم ونفيه قبولهم البشري استشعاره بقلة علمهم وضعف قابليتهم بكونهم علقوا امالهم
بعاجل الدنيا الفانية وقدموا ذلك علي التفقه في الدنيا الموصل الي ثواب الاخرة الباقية وكان
الواجب عليهم اهتمامهم بالسوال عن حقايق كلمة التوحيد والمبدا والمعاد والاعتنا بضبطها
والسوال عن واجباتها والموصلات اليها فدخل ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشري يا اهل
اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جيناك لنتفقه في الدين اي عملا بقوله تعالي فلولا نفر
من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
ولما كان نيتهم الصالحة خالصة للتفقه في الدين لا للطمع في الدنيا حصل لهم البشارة والقبول
والعلم والعمل والوصول وحرم الاولون عن البشارة بل وعن العطا في الحضارة ووقعوا في
حضيض النذارة فالهمة العالية هي الموصلة الي المرتبة الغالية كما قدمناه في الحكاية
المروية عن الشيخ ابي العباس المرسي انه خرج من المدينة المطهرة علي قصد زيارة تربة
لامير حمزة المنورة وتبعه رجل ففتح له باب المقبرة علي خرق العادة ودخل الشيخ في محل

ومعـــــــــه عجل

لزيارة فرأى جماعة من رجال الغيب برهش من النقصان والعيب فعرف انه ساعة الاجابة فطلب
من الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة قال للرجل الذي تبعه ملتفتا اليه رحمة
وشفقة عليه يا اخي اطلب من الله تعالى ما تريد فان الان وقت الاجابة والمزيد فسال الله
تعالى دينارا ولم يكن رجنة ولا نار فرجعا ولما وصل باب المدينة اعطى الرجل دينارا رجل
من اهل السكينة فدخلا معا على القطب الولي السيد ابي الحسن الشاذلي وقد كشف له القضية فقال
للرجل يا دني الهمة تدرك وقت الاجابة وتطلب قطعة دينار دنية فهلا طلبت كابي العباس العفو والعافية
ليكونا في امر دينك ودنياك كافية ووافية ثم ما احسن طريق سوالهم من الابتدا في اول حالهم الدال
على كمال مالهم حيث قالوا ونسالك اي وجئناك نسيلك عن اول هذا الامر اي اول امر الخلق
ومبدا العالم ما كان اي اول شي كان اول هذا قال الطيبي ما في ما كان استفهامية اي اي شي كان
اول الامر وكرر السوال لمزيد الاهتمام بالامر قال كان الله اي في ازل الازال كما هو كاين الى ابد الاباد بلا
وصف التغير والحدوث على ما هو نعت العباد فان ما ثبت قدمه استحال عدمه ولم يكن شي
قبله اي لانه خالق كل شي وموجده فلا يتصور وجود موجود ممكن قبل الموجد الواجب
الوجود وحاصله انه تعالى الاول الذي هو قبل كل شي ولا شي قبله فكر الجواب على طريق السوال
مطابقة في الاهتمام بالحال وخلاصته انه اول قديم بلا ابتدا كما انه اخر كريم بلا انتها قال الطيبي
قوله ولم يكن شي قبله حال وعلى مذهب الكوفي خبر والمعنى يساعده اذ التقدير كان الله في
الازل منفردا متوحدا وهو مذهب الاخفش فانه جوز دخول الواو في خبر كان واخواتها نحو كان
زيد وابوه قايم على جعل الجملة خبرا مع الواو وتشبيها للخبر بالحال اقول ولما كان السوال عن الاول
فبين لهم الاولية الازلية ونفى لغيره القبلية ولم يتعرض لمعنى المعية ولهذا وقع في عبارة
السادة الصوفية كان الله ولم يكن معه شي ثم قالوا والان على ما عليه كان لان وجود الشي
الممكن في جنب وجود الواجب كلا شي ولذا قال بعضهم ليس في الدار غيره ديار وقال
اخر سوى الله والله ما في الوجود ولان الاشيا انما هي مظاهر صفاته ومرائي ذاته
فقد روي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وفي قوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اشارة الى ذلك على تفسير حبر الامة اي
ليعرفون قال التوربشتي هذا فصل مستقل بنفسه لا امتزاج بالفصل الثاني
وهو قوله وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض لما بين الفصلين من
المنافاة فانك اذا جعلت وكان عرشه على الما من تمام القول الاول فقد ناقضت
الاول بالثاني لان القديم من لم يسبقه شي ولم يعارضه في الاولية وقد
اشار بقوله وكان عرشه على الما الى انهما كانا مبدا التكوين وانهما كانا مخلوقين قبل
خلق السموات والارض ولم يكن تحت العرش قبل السموات والارض الا الما وكيفما
كان فالله سبحانه خالق ذلك كله وممسكه بقوله وقدرته انتهى كلامه قال الطيبي
اراد الشيخ بما قاله ان المعطوف عليه مقيد بقوله ولم يكن قبله شي ولو جعلت
المعطوف عليه غير مستقل لزم المحذور فاذا جعل مستقلا وعطف الثانية على الاولى
فلا فاذن لفظة كان في الموضعين بحسب حال مدخولها فالمراد بالاول الازلية والقدم
وبالثاني الحدوث بعد العدم والحاصل ان قوله وكان عرشه على الما عطف على
مجموع قوله كان الله ولم يكن قبله شي وانه من باب الاخبار عن حصول

الجملتين في الوجود وتفويض الترتيب الى الذهن قالوا وبمنزلة ثم قال العسقلاني
وليس المراد بالما ما البحر بل هو ما تحت العرش كما شا الله تعالى وقال ابن الملك وكان
عرشه على الما والما على متن الريح والريح قايمة بقدرة الله تعالى وقيل خلق العرش
والما قبل السموات والارض ثم خلقهما من الما بان تجلى على الما فتموج واضطرب وحصل
الزبد فاجتمع في محل الكعبة الشريفة ولذا سميت مكة ام القرى ثم دحيت الارض
من تحتها ثم القى الجبال عليها لئلا تميد واول الجبال ابو قبيس على بعض الاقوال وطلع
دخان من تموج الما الى جانب السما فخلقت السموات منها وبجملة في سورة حم فصلت
وتفسيره في كتب المفسرين وسير المورخين والله سبحانه اعلم بالاولين والاخرين
وكتب اي اثبت جميع ما هو كاين في الذكر اي في اللوح المحفوظ قال الراوي ثم اتاني
رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك اي الحقها فقد ذهبت اي منفلتة فانطلقت اطلبها
حال او استيناف تعليل وايم الله بفتح الهمزة وصل او قطع وتحتية ساكنة وميم مضمومة
مضافة الى الجلالة وهي كلمة بنفسها وليست جمعا قال شارح ايم الله اسم موضوع
للقسم عند سيبويه وهمزته للوصل ولم يجي في الاسما الف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره
ايم الله قسمي وعند الكوفيين هو محذوف ايمن جمع يمين وهمزته القطع لوددت اي لتمنيت انها
اي الناقة قد ذهبت اي فقد تركتها ولم اقم في طلبها المانع من سماع بقية كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع اهل اليمن رواه البخاري وعن عمر رضي الله عنه قال قام فينا اي خطيبا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقاما اي قياما عظيما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل
الجنة منازلهم واهل النار منازلهم اي فبين المبدا والمعاد وتوضيحه انه صلى الله
عليه وسلم بين احوال الامم كلهم الى وقت دخول الجنة وعين احوال امته مما يجري
عليهم من الخير والشر الى ان يدخل اهل الجنة منهم الجنة واهل النار النار حفظ ذلك
من حفظه ونسيه من نسيه قال الطيبي حتى غاية اخبرنا مبتديا من بدء
الخلق حتى انتهى الى دخول اهل الجنة الجنة ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة
للتحقيق المستفاد من قول الصادق الامين وقال العسقلاني اي اخبرنا عن المبدا
شيا بعد شي الى ان انتهى الاخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ودل ذلك على انه
اخبر في المجلس الواحد بجميع احوال المخلوقات من المبدا والمعاد والمعاش وتيسير
ايراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة امر عظيم رواه البخاري وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب
اي اثبت او امر ان يكتب الملايكة كتابا اي مكتوبا وهو اللوح او كتب كتابة مستقلة
قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي بكسر الهمزة وفتحها سبقت غضبي اي غلبت كما
في رواية والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب والحاصل ان ارادة
الخير والنعمة والمثوبة منه سبحانه لعباده اكثر من ارادة الشر والنقمة والعقوبة لان
الرحمة عامة والغضب خاصة كما حقق في قوله الرحمن الرحيم حيث قيل رحمة الرحمن
عامة للمومن والكافر بل لجميع الموجودات ولذا لا يطلق الرحمن على غيره سبحانه
فاذا عرفت هذا فالكسر على الحكاية ويكون لفظه من جملة المكتوب والفتح على انها
بدل من كتابا وعلى كل فالمكتوب انما هو هذه الجملة ويؤيده قوله فهو مكتوب

عنده فوق العرش والمعنى انه مكتوم عن ساير الخلايق مرفوع عن حيز الادراك وقيل
معناه انه مثبت في علمه سبحانه واما اللوح المحفوظ فقد يطلع على بعض معلوماته من
ارادة الله من ملايكته وانبيايه وخلص اوليايه من ارباب الكشوف لاسيما اسرافيل
فانه موكل عليه ويأخذ الامور منه فيامر جبريل وميكايل وعزرايل كلا بما هو
من جنس عمله على ما ورد في بعض الاخبار والآثار وما على قول من فسر الكتاب هنا
باللوح المحفوظ او القضا الاجمالي والتفصيلي فيتعين الكسر على الاستيناف اللهم الا
ان يجعل هذه الجملة المستفادة من الحكاية الاجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة
ما فيه من انواع الحظوظ قال التوربشتي يحتمل ان يكون المراد بالكتاب اللوح
المحفوظ ويكون معنى قوله فهو مكتوب عنده فعلم ذلك عنده ويحتمل ان يكون المراد منه
القضا الذي قضاه وعلى الوجهين فان قوله فهو عنده فوق العرش تنبيه على
كينونته مكنونا عن ساير الخلايق مرفوعا عن حيز الادراك ولا يتعلق بهذا القول
بما يقع في النفوس من التصورات تعالى عن صفات الحدثان فانه هو المباين عن
جميع خلقه المتسلط على كل شي بقهره وقدرته وفي سبق الرحمة بيان ان قسط الخلق
منها اكثر من قسطهم من الغضب وانها تنالهم من غير استحقاق وان الغضب لا ينالهم الا
بالاستحقاق الا ترى انها تشمل الانسان جنينا ورضيعا وفطيما وناشيا من غير ان
يصدر منه طاعة استوجب بها ذلك ولا يلحقه الغضب الا بما يصدر عنه من المخالفات
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فلله الحمد على ما ساق الينا من
النعم قبل استحقاقها وقال النووي غضب الله تعالى ورضاه يرجعان الى اثابة
المطيع وعقابه العاصي والمراد بالسبق هنا والغلبة في اخرى كثرة الرحمة وشمولها
كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة اذا كثرا منه اقول ولو ابقيا على حقيقتهما من غير ارادة
المجاز جاز ايضا لان رحمته تعالى سابقة باعتبار التعلق على غضبه بالنسبة الى كل احد
من مخلوقاته فان اول الرحمة نعمة الايجاد ثم نعمة الامداد فلا يخلو عن النعمتين احد
من العباد وكذا منحه سبحانه بالنسبة الى محنه غالبة كثيرة شاملة لعموم الخلايق
سوا من اطاعه او عصاه في البلاد قال الطيبي يحتمل ان تكون ان مفتوحة بدلا من كتابا
ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب وهو على وزان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه
الرحمة اي اوجب ووعد ان يرحمهم قطعا بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب
فان الله تعالى غفور كريم يتجاوز عنه بفضله وانشد

واني اذا اوعدته او وعدته ۞ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

فالمراد بالسبق هنا القطع بوقوعها قلت لابد ان يخص بالمومنين ممن تعلق
المشية بمغفرتهم وسبق الارادة برحمتهم والا فعذاب الكافر مقطوع الوقوع بل
واجب الحصول لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والتخلف في خبره غير جايز
قطعا وقد حررت هذه المسيلة في خصوص رسالة سميتها بالقول السديد
في خلف الوعيد متفق عليه وعن عايشة رضي الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملايكة من نور وخلق الجان اي جنسهم قال النووي
الجان الجن وقال شارح يعني ابا الجن وهو المناسب لمقابلته بادم ثم قيل المراد

به ابليس

به ابليس من مارج اي لهب مختلط بسواد دخان النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من
نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وخلق ادم بصيغة المجهول
مما قيل له مما وصف لكم على بنا المفعول ما بينه الله لكم في قوله خلقه من تراب وقوله
وخلق الانسان من صلصال كالفخار وقوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حما مسنون وقوله اني خالق بشرا من طين ولعله لكثرة ما ورد في حقه مع اشتهارها
اوجبت الابهام في قوله مما وصف لكم رواه مسلم وكذا احمد وروى الحكيم الترمذي وابن
عدي في الكامل بسند حسن عن ابي هريرة مرفوعا خلق الله ادم من تراب الجابية
وعجنه بما الجنة والجابية على ما في القاموس قرية بدمشق وباب الجابية من ابوابها
وروى ابن عساكر عن ابي سعيد مرفوعا خلقت النخلة والرمان والعنب من
فضل طينة ادم وروى الطبراني عن ابي امامة مرفوعا خلق الحور العين من الزعفران
وروى الحكيم وابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان وابو الشيخ في العظمة وابن مردويه
عن ابي الدردا رفعه خلق الله عز وجل الجن ثلاث اصناف صنف حيات وعقارب
وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوا وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق
الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهايم وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم
ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وفي قوله وصنف عليهم الحساب
والعقاب ايما الى قول ابي حنيفة وتوقفه في حق الجن بالثواب والله اعلم بالصواب
وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم في الجنة
تركه ما شا الله ان يتركه اي في الجنة قال التوربشتي ارى هذا الحديث مشكلا جدا
فقد ثبت بالكتاب والسنة ان ادم خلق من اجزا الارض وقد دل على انه ادخل الجنة وهو
بشر حي ويؤيده المفهوم من نص الكتاب وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وقال
شارح قيل يحتمل ان تكون الكلمتان اعني في الجنة سهوا من بعض الرواة اخطا سمعه
فيها قال القاضي الاخبار متظاهرة على انه تعالى خلق ادم من تراب قبض من وجه
الارض وخمره حتى صار طينا ثم تركه حتى صار صلصالا وكان ملقى بين مكة والطايف
ببطن نعمان وهو من اودية عرفات ولكن ذلك لا ينافي تصويره في الجنة لجواز
ان تكون طينته لما خمرت في الجنة وتركت فيها حتى مضت عليها الاطوار واستعدت
لقبول الصورة الانسانية حملت الى الجنة وصورت ونفخ فيها الروح وقوله تعالى
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة لا دلالة له اصلا على انه ادخل الجنة بعدما نفخ اذ المراد
بالسكون الاستقرار والتمكن والامر به لا يحسن ان يكون قبل الحصول في الجنة كيف
وقد تظاهرت الروايات على ان حوا خلقت من ادم في الجنة وهي احد المامورين
ولعل ادم عليه السلام لما كانت مادته التي هي البدن من العالم السفلي وصورته
التي بها يتميز عن ساير الحيوانات ويضاهي بها الملايكة من العالم العلوي اضاف
الرسول صلى الله عليه وسلم تكوين مادته الى الارض لانها نشات منها واضاف حصول
صورته الى الجنة لانها وقعت فيها فجعل ابليس اي فشرع من كمال تلبيسه
يطيف به بضم حرف المضارعة قال النووي طاف بالشي يطوف طوفا وطوافا واطاف يطيف
اذا استدار حوله ينظر ما هو استينافا بيانا او حال اي يتفكر في عاقبة امره ويتامل

وفيه ... لله عزوجل

مايظهر منه فلما راه اجوف وهو من له جوف عرف انه خلق خلقا لايتمالك اي لايتقوي بعضه ببعض ولاقوة له ولاثبات بل يكون متزلزل الامر متغير الحال معرضا للافات والتمالك التماسك وقيل المعني لايقدر علي ضبط نفسه من المنع عن الشهوات وقيل لايملك دفع الوسواس عنه وقيل لايملك نفسه عند الغضب وقال النووي الاجوف في صفة الانسان مقابل الصمد في صفة الباري قيل السيد سمي بالصمد لانه يصمد اليه في الحوايج ويقصد اليه في الرغايب من صمدت الامر اذا قصدت وقيل انه المنزه عن ان يكون بصدد الحاجة او في معرض الافة ماخوذ من الصمد بمعني المصمد وهو الذي لاجوف له فالانسان مفتقر الي الغير بقضا حوايجه والي الطعام والشراب ليملا جوفه فاذن لاتماسك له في شي ظاهرا وباطنا اقول ولعل جنس الجن ليسوا علي صفة الاجوف فيه ليتم الاستدلال بالهيئة المخصوصة الانسانية رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي اي نفسه عليه السلام بامر الملك العلام حيث قال تعالي واذ ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وهو اي والحال انه ابن ثمانين سنة وفي الموطا ابن مائة وعشرين سنة قيل والاول هو الصحيح كذا ذكره الاكمل في شرح المشارق بالقدوم بفتح القاف وضم الدال المخففة وفي نسخة بتشديدها قال صاحب القاموس القدوم آلة النجر وموضع اختتن به ابراهيم عليه السلام وقد يشدد داله وقال الطيبي القدوم بالتخفيف آلة النجار معروفة وبالتشديد اسم موضع وقيل هو بالتخفيف ايضا هكذا في جامع الاصول وفي كتاب الحميدي قال البخاري قال ابو الزناد وهو راوي الحديث اختتن ابراهيم بالقدوم مخففة قال التوربشتي ومن المحدثين من يشدد وهو خطا قال النووي القدوم وقع في رواية البخاري الخلاف في التشديد والتخفيف ويقال لالة النجار قدوم بالتخفيف لا غير واما القدوم مكان بالشام ففيه التشديد والتخفيف فمن رواه بالتشديد اراد القرية ورواية التخفيف يحتمل القرية والالة والاكثرون علي التخفيف متفق عليه ورواه احمد وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات بفتح الذال وفي نسخة بكسرها قال ميرك نقلا عن الشيخ هو اسم لا صفة لانك تقول كذب كذبة كما تقول ركع ركعة ولو كان صفة يسكن في الجمع وقال ابو البقا الجيد ان يقال بفتح الذال في الجمع اقول ولعل وجهه ان المصدر جا بالفتح والكسر علي مايفهم من القاموس لكن لما كان الفتح مخصوصا بالمعني الاسمي بخلاف الكسر فانه مشترك بين الاسم والمصدر كان الفتح اجود هذا وقد اورد علي الحصر ما رواه مسلم من ذكر قول ابراهيم في الكوكب هذا ربي واجيب بانه في حال الطفولية وهي ليست زمان التكليف او المقصود منه الاستفهام للتوبيخ والاحتجاج قال المازري اما الكذب علي الانبيا فيما هو طريق البلاغ عن الله عز وجل فالانبيا معصومون منه سواقل او كثر فان تجويزه منهم يرفع الوثوق باقوالهم لان منصب النبوة يرتفع عنه واما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصغاير كالكذبة الواحدة في حقير من امور الدنيا ففي امكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف قال عياض الصحيح ان الكذب لايقع منهم مطلقا واما الكذبات المذكورات فانما هي بالنسبة الي فهم السامع لكونها في صورة الكذب واما في نفس الامر فليست كذبا قلت ووافقه شارح من علمائنا حيث قال انما سماها كذبات وان كانت من جملة المعاريض لعلو شانهم عن الكناية بالحق

فيقع ذلك

فيقع ذلك موقع الكذب عن غيرهم او لانها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات وقال الاكمل في شرح المشارق يحتمل ان يراد به حقيقة الكذب لان الاستثنا من النفي اثبات فيحتاج الي العذر بان الكذب للاصلاح جايز فما ظنك في رفع ظلم الظالمين قال ابن الملك كيف يحتمل ذلك ومع كلام ابراهيم عليه السلام قرينة حالية او مقالية دالة علي انه تجوز فيه ولم يرد ظاهره الا يري انه من جملة كذباته قوله لسارة انك اختي في الاسلام فقوله في الاسلام قرينة علي انه لم يرد به الاخت في النسب وقوله بل فعله كبيرهم فان استحالة صدور الفعل من الجماد قرينة علي انه مووله او تجوز فيه فلا يكون كذبا قلت ولاسيما فيه قول بالوقف علي بل فعله والابتدا بقوله كبيرهم هذا ثنتين منهن بدل من ثلاث كذبات في ذات الله اي لاجل الله تعالي او في امر الله او فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشرك او يراد به القرآن اي في كلامه وعبر به عنه لما لم ينفك عن المتكلم كما هو راي الاشعري كذا ذكره ابن الملك وتوضيحه ما قال شارح اي في امر الله وما يختص به اذ لم يكن لابراهيم نفسه فيه ارب لانه قصد بالاولي ان يتخلف عن القوم بهذا العذر فيفعل بالاصنام ما فعلوا وبالثانية الزام الحجة عليهم بانهم ضلال سفها في عبادة ما لايضر ولا ينفع وقيل يحتمل حذف المضاف اي في كلام ذات الله يعني ان ثنتين مذكورتان في كلام الله تعالي دون الثالثة وهي قوله لسارة هي اختي قال النووي وهذه ايضا في ذات الله تعالي لانها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة لا يرضي بها الله تعالي وانما خص الثنتين بانهما في ذات الله تعالي لكون الثالثة تضمنت نفعا له ودفعا لحرمة هذا وفي المغرب ذو بمعني الصاحب يقتضي شيئين موصوفا ومضافا اليه وبقول للانثي امراة ذات مال ثم انقطعوا عنها مقتضاها واجروها مجري الاسما العامة المستقلة بانفسها غير المقتضية لما سواها فقالوا ذات قديمة او محدثة ونسبوا اليها من غير تغيير علامة التانيث فقالوا الصفات الذاتية واستعملوها استعمال النفس والشي عن ابي سعيد كل شي ذات وكلمة انه شي قال الطيبي قوله في ذات الله اي في الدفع من ذات الله ما لا يليق بجلاله ويدل عليه ما جاء في حديث اخر ما فيها كذبة الا ما حل عن دين الله اي خاصم وجادل وذب عن دين الله وهو معني التعريض لانه نوع من الكناية ونوع من التعريض يسمي الاستدراج وهو ارخا العنان مع الخصم في المحاورات ليعثر حيث يراد تبكيته فسلك ابراهيم عليه السلام مع القوم المنهج تحيينا قوله بالرفع وفي نسخة بالجر اني سقيم وذلك عندما طلبوا منه عليه السلام ان يخرج معهم الي عيدهم فاراد ان يتخلف عنهم للامر الذي هم به فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وفيه ايهام منه انه استدل بامارة علم النجوم علي انه سيسقم ليتركوه فيفعل بالاصنام ما اراد ان يفعل او سقيم القلب لما فيه من الغيظ باتخاذهم النجوم الهة او بعبادتهم الاصنام وقوله بالرفع وهو حين كسر عليه السلام اصنامهم الا كبيرها وعلق الفاس في عنقه بل فعله كبيرهم هذا اي فاسالوهم ان كانوا ينطقون يعني ان كان لهم نطق ففيه تنبيه علي ان الاله الذي لم يقدر علي دفع المضرة عن نفسه كيف يرجي منه دفع الضرعن غيره وايما الي ان العاجز عن النطق لايصلح للالوهية فان الاله من هو منعوت بصفات الكمال من اسما الجلال والكمال وقال اي النبي صلي الله عليه وسلم في بيان الثالثة بينا هو اي ابراهيم عليه السلام متوجه الي الشام ذات يوم اي بعد هلاك نمرود وسارة عطف علي

هو وهي بنت عمه اذا تي اي مر ابراهيم على جبار من الجبابرة اي ظالم مسلط قال الطيبي اتي جواب
بينا اي بينا هما يسيران ذات يوم اذا تيا على بلد جبار من الجبابرة وشي بهما فقيل له اي للجبار
ان ههنا اي في بلدنا هذا رجلا معه امراة من احسن الناس اي صورة فارسل اي رسولا
اليه اي الى ابراهيم يطلبه فذهب اليه فسأله عنها اي عن جهتها من هذه اي من تكون
لك هذه المراة التي معك من هذه بيان للسوال اي سال الجبار بهذا اللفظ قال اختي
اي في الاسلام وقيل كان كاذبا وكان جائزا بل واجبا في دفع الظالم على ما في شرح مسلم لكن
حمله على التعريض اولى فانه صلى الله عليه وسلم قال ما رواه ابن عدي والبيهقي عن عمران
بن حصين ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب مع ان نفس قوله اختي لا يخلو عن
تعريض ما حيث لم يقل هذه اختي او هي اختي فاتي اي ابراهيم سارة فقال لها ان هذا
الجبار ان يعلم ان شرطية اي ان علم انك امراتي يغلبني عليك اي في اخذك بالظلم مني فان
سألك اي عن نسبك ونسبتك على تقدير رساله اليك ووصولك عنده فاخبريه انك
اختي في الاسلام اي على طريق التعريض كي فعلته فانك اختي في الاسلام اي حقيقة بلا
مشاركة لاحد غيرنا في هذا المقام كما بينه بقوله ليس اي موجود على وجه الارض مومن غيري
وغيرك قال الطيبي يريد به قوله تعالى انما المومنون اخوة يعني ان الايمان قد عقد بين
اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما يفضل الاخوة في النسب السابق وليس احد
احق بهذا العقد مني ومنك الان لانه ليس على وجه الارض مومن غيري وغيرك انتهى
واستشكل بكون لوط عليه السلام مشاركهما في الايمان كما قال تعالى فامن له لوط ويمكن
ان يجاب بان مراده بالارض هي التي فيها ما وقع له ولم يكن معه لوط اذ ذاك ذكره
العسقلاني ثم قيل كان من مذهب الجبار الذي يتدين به في الاحكام السياسية ان
لا يتعرض الا لذوات الازواج ويروى انها اذا اختارت الزوج فليس لها ان تمتنع من
السلطان بل يكون هو احق بها من زوجها فاما اللاتي لا ازواج لهن فلا سبيل عليهن الا
اذا رضين ويحتمل ان يكون المراد انه ان علم ذلك الزمني بالطلاق او قصد قتلي حرصا
عليك وقيل لان دين الملك ان لا يحل له التزوج والتمتع بقرابات الانبيا فارسل اي الجبار
اليها اي الى سارة يطلبها فاتي بها اي جيء بها الى الجبار قام ابراهيم استئنافا بيانا كان
قائلا قال ماذا فعل بعد فاجيب قام ابراهيم يصلي حال او استئنافا تعليلا اي ليصلي عملا
بقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى على ما رواه
احمد وابو داود عن حذيفة فلما دخلت بصيغة الفاعل وفي نسخة ادخلت عليه اي
على الجبار ذهب اي طفق يتناولها اي باخذها ويمسها بيده اي من غير سوال وجواب
وبعد سوالها وسماع جوابها لكن غلب عليه الميل اليها لكمال حسنها وجمالها فاخذ بصيغة
المجهول مخففا اي حبس نفسه وضغط والمراد به الخنق ههنا اي اخذ مجاري نفسه حتى
سمع له غطيط وقال ابن الملك فاخذ بنا المجهول عن حبس عن امساكها وعوقب بذنبه
او اغمي عليه وفي نسخة بتشديد الخاء قال شارح ويروى اخذ على بنا المجهول من التاخيذ
وهو استجلاب قلب شخص او رقبته او غيرها كالسحر بحيث يقبل له خوف او هيمان
او جنون على ما قاله العسقلاني ويويد رواية التخفيف قول المولف وروي اي بدل
فاخذ او زيادة عليه فغط بضم غين معجمة وتشديد طاء مهملة اي خنق حتى ركض برجليه

نووي في باب الفضائل

موضع

ايه ضرب برجله الارض

الارض من شدة الغيظ وقال ابن الملك اي حصل حصرا شديدا وقيل الغط هنا بمعنى الخنق اي
اخذ بمجامع مجاري نفسه حتى يسمع له غطيط وهو صوت بالانف وقال العسقلاني اي
اختنق حتى صار كالمصروع فقال ادعي اي سلي الله لي اي لاجلي الخلاص ولا اضرك اي بالتعرض
لك فدعت الله فاطلق اي من الاخذ ثم تناولها اي اراد تناولها الثانية اي المرة الثانية
فاخذ مثلها اي مثل الاخذة الاولى او اشد اي بل اشد منها فقال ادعي الله لي ولا اضرك
فدعت الله فاطلق فدعا بعض حجبته بفتحتين جمع حاجب كطلبة جمع طالب فقال انك
لم تاتني بانسان اي حقيقي قدر عليها انما اتيتني بشيطان اي حيث لم اقدر عليها بل تصرعني
وتريد ان تهلكني قال الطيبي اراد به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون
امرهم فاخدمها هاجر اي جعل الجبار هاجر خادمة لسارة لما راى كرامتها وقربها عند الله او
جبرا لما وقع من كسر خاطرها حيث تعرض لها فاتته اي ابراهيم وهو قائم يصلي وهو اما لعدم اطلاعه
على خلاصها استمر على حاله او انكشف له الامر وزاد في العبادة ليكون عبدا شكورا بعد ما كان عبدا
صبورا ويويد الاول قوله فاومأ بيده مهيم اي اشار ابراهيم بيده اي الى سارة وهو في الصلوات مهيم
بفتح فسكون مرتين اي ما شانك وما حالك وهي كلمة يمانية يستفهم بها وها هنا معتبرة للايما اي اومأ
بيده بما يفهم منه معناه وليست بترجمة لقوله والا لكان من حقه ان يقول فاوما بيده وقال مهيم
قالت رد الله كيد الكافر في نحره اي على صدره وهو من قوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن
قبيل الدعا المأثور اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واخدم هاجر اي ام اسماعيل
قيل سميت هاجر لانها هاجرت من الشام الى مكة وقيل كان لا يولد له من سارة فوهبت
هاجر له وقالت عسى الله ان يرزقك منها ولدا وكان ابراهيم عليه السلام يومئذ ابن
مائة سنة نقله ابن الملك قال ابو هريرة تلك اي هاجر امكم اي جدتكم يا بني ماء السماء قال
القاضي قيل اراد بهم العرب سموا بذلك لانهم يتبعون المطر ويتعيشون به والعرب وان لم يكونوا
باجمعهم من بطن هاجر لكن غلب اولاد اسماعيل على غيرهم وقيل اراد بهم الانصار لانهم اولاد
عامر بن حارثة الازدي جد نعمان بن المنذر وهو كان ملقبا بماء السماء لانه كان يستمطر به
ويحتمل انه اراد بهم بني اسماعيل وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف اصولهم قال ابن الملك
وقيل اشار بهم لكونهم من ولد هاجر لان اسماعيل انبع الله تعالى له زمزم وهي من ماء
السماء والله سبحانه اعلم قال الطيبي فان قلت فاذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة عن
ساحته فما باله يشهد على نفسه بها في حديث الشفاعة في قوله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها
قال نفسي نفسي على ان تسميتها واذنها معاريض بالكذب بان اخبار الشيء على خلاف ما هو به قلت
نحن وان اخرجناها عن مفهوم الكذب باعتبار التورية وسميناها معاريض فلا شك انها
صورة التعويج عن المستقيم فالحبيب قصد الى براءة ساحة الخليل عما لا يليق به فسماها
معاريض والخليل لمح الى مرتبة الشفاعة هنالك وانها مختصة بالحبيب فتجوز في الكذبات
متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى تمامه قال اولم تومن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال ابن الملك اراد صلى الله عليه وسلم ان ما صدر من ابراهيم عليه
السلام لم يكن شكا بل كان طلبا لمزيد العلم وانا احق به لاني مامور بذلك لقوله تعالى وقل
رب زدني علما واطلق الشك بطريق المشاكلة وقال الامام المزني معناه لو كان الشك متطرقا

اليه لكنتا احق به وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا انه كذلك وانما رجح ابراهيم على نفسه تواضعا
او لصورة قبل ان يعلم انه خير ولد ادم واما سوال ابراهيم فللترقي من علم اليقين الى عين اليقين
اولانه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك ليظهر دليله عيانا وتوضيحه
ما قال الخطابي مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس وليس في قوله هذا
اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما يقول
اذا لم اشك انا ولم ارتب في قدرة الله تعالى على احيا الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك فيه
ولا يرتاب به وفيه اعلام بان المسئلة من قبل ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل
طلب زيادة العلم استفادة معرفة كيفية الاحيا والنفس تجد من الطمانينة بعلم الكيفية ما لم
تجده بعلم الانية والعلم في الوجهين حاصل والشك مرفوع وقد قيل انه لما طلب الايمان حسا
وعيانا لان فوق ما كان عليه من الاستدلال والمستدل لا يزول عنه الوسواس والخواطر فقد
قال عليه السلام ليس الخبر كالمعاينة انتهى وفيه ان عد علم الانبيا من باب الاستدلال غير ظاهر
بل علمهم من باب الكشف والمعرفة التامة والعلم اليقيني الذي يحصل في السابق بحيث لا يتصور فيه
تردد الخواطر وتوسوس الضماير نعم مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين وان فوقهما
حق اليقين والله الموفق والمعين وفي بعض نسخ المصابيح نحن احق من ابراهيم بدون قوله
بالشك فقال شارح له اي نحن احق منه بالسوال الذي سالهم ربه بتعظيم امره وان
سواله هذا لم يكن لنقصان في عقيدته بل لكمال فكرته وعلو همته الطالبة لحصول الاطمينان
بالوصول الى درجة العيان قال وفي بعض الروايات نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه
ما ذكرناه اي لم يكن هو وسعة السوال منه شكا من ابراهيم اختلج في صدره اذ لو كان
الشك يعتريه لنحن احق بالشك منه ولكنا لا نشك فكيف يجوز ان يشك هو فيما اقول
المراد بقوله نحن ليس صيغة التعظيم ليحتاج الى الاعتذار بانه قال ذلك تواضعا لابراهيم
بل المعنى اني مع امتي لا نشك في قدرة الله تعالى على احيا الموتى بل نحن معاشر الخلق من سائر
الامم غالبا نعتقد قدرته على الاحيا وابراهيم عليه السلام من كمل الانبيا في مرتبة
التوحيد ومقام التفريد حتى امرنا نبينا بعثته على طريقه القويم وسبيله المستقيم فكيف
يتصور منه الشك اذ لو جاز عليه الشك وهو من المعصومين المتبوعين لجاز لنا بالاولى ونحن
من اللاحقين التابعين والحاصل انه اراد بالدليل البرهاني في نفي الشك عن الخليل الرحماني
وايصاله اياه الى المقام الاطميناني والحال العياني ويرحم الله لوطا قال تعدد الكلام بهذا
الدعا ليلا يتوهم اعتراض عليه سياتي من الانبا على طريقة قوله تعالى عفى الله عنك لما
اذنت لهم حيث كان تمهيدا او مقدما للخطاب المزعج لقد كان ياوي الى ركن شديد اي عشيرة
قوية قال ابن الملك فيه اشارة الى وقوع تقصير منه وقال شارح تبعا للقاضي وكانه استغرب
منه وعده بارادة اذ لا ركن اشد من الركن الذي كان ياوي اليه وهو عصمة الله وحفظه
وعندي ان اخذ هذا المعنى من هذا المبنى ليس من طريقة الادب في الانبا عن الانبيا لانه صلى الله عليه
وسلم اذا كان ينهى عن غيبة افراد العامة حيا وميتا فكيف يتصور ان يذكر في حق نبي
مرسل ما يكون موهما لنقص مرتبة او تنزل عن علو همة فالمعنى والله اعلم انه كان بمقتضى الجبلة
البشرية في بعض الامور الضرورية يميل الى الاستعانة بالعشيرة القوية فيحمد لنا مثل ذلك
الحال على انا مامورون بمتابعة ارباب الكمال في التعلق بالاسباب مع الاعتماد على رب الارباب والله اعلم

بالصواب

ومعـ... عز وجل

بالصواب ثم رايت في الجامع الصغير ما يقوي المذكور من التقرير والتحرير وهو ما رواه الحاكم عن ابي
هريرة مرفوعا رحم الله لوطا كان ياوي الى ركن شديد وما بعث الله بعده نبيا الا في ثروة من
قومه قلت ومنه قوله حكاية عن قوم شعيب عليه السلام ولولا رهطك لرجمناك وما
انت علينا بعزيز وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم كان معظما ومحميا ومكرما لقوله من
ابي طالب وغيره واليه الايماء في قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ولو لبثت في السجن طول ما
لبث يوسف اي مقدار طول زمن لبثه وجاءني داعي بالطلب او ساعي اليه لاجبت الداعي اي ولبادرت
الخروج عملا بالجواز لكن يوسف عليه السلام كما اخبر الله سبحانه عنه فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فاساله الى اخر ما صرح بكلام تقتضيه ذلك وربما اوجبته عليه في مرام ذلك
المقام من قصده البراة مما اشتهر في حقه من الكلام على السنة العوام ليقابل صاحب
الامر على جهة التعظيم والاكرام اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلم بعض امهات المومنين
في طريق فمر عليهم صحابي فقال له السلام ان هذه فلانة من الازواج الطاهرات فقال يا رسول
الله ايظن فيك ظن السوء فقال ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم قال التوربشتي
هو مبني على احماده صبر يوسف وتركه الاستعجال عن السجن مع امتداده مدة الحبس
عليه قال ثم ان في ضمن هذا الحديث تنبيها على ان الانبيا عليهم السلام وان كانوا من
الله بمكان لا ينازلهم فيه احد فانهم بشر يطرا عليهم من الاحوال ما يطرا على البشر
فلا نعدوا ذلك منقصة ولا نحسبوه سيئة قلت هذا يويد ما قررناه من قضية
سيدنا لوط عليه السلام وقال ابن الملك اعلم ان هذا ليس اخبارا عن نبينا
صلى الله عليه وسلم بتضجره وقلة صبره بل فيه دلالة على مدح يوسف وتركه الاستعجال
بالخروج ليزول عن قلب الملك ما كان متهما به من الفاحشة ولا ينظر اليه بعين
مشكوك انتهى وهو بعينه كما ذكرناه على ما لا يخفى وقيل بل فيه اشارة الى تقصير
يوسف وذلك من جهة انه لم يترك الوسايط ولم يفوض كل ما اتاه الله تعالى قلت سبق
ان مباشرة الاسباب لا ينافي تفويض الامر الى رب الارباب بل قال بعض العارفين
ان مرتبة جمع الجمع هو مباشرة السبب مع ملاحظة عمل الرب وقيل بل فيه ايما
الى تقصيره من جهة انه كان رسولا ولذا دعا اهل السجن بقوله ارباب متفرقون
خير الخ ولم يمكن له طريق الى دعوة الملك فلما وجد اليه سبيلا قدم
براة نفسه مما نسب اليه على حق الله وهو دعوة الملك قلت وهذا الا...
البطلان اذ على تقدير تسليم كونه رسولا عاما او خاصا فتقديم ما يتوقف
صحته الارسال من البراة عليه مما يجب المبادرة اليه لئلا يرد طعن طاعن حواليه
ومما يدل على صحة ما قررناه وعلى حقيقة ما حررناه ما اخرجه ابن جرير
وابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا رحم الله يوسف ان كان لذا اناة
حليما لو كنت انا المحبوس ثم ارسل الي لخرجت سريعا وفي رواية احمد في الزهد وابن المنذر
عن الحسن مرسلا رحم الله اخي يوسف لو انا اتاني الرسول بعد طول الحبس لاسرعت
الاجابة حين قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة كذا في الجامع الصغير متفق عليه
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى
كان رجلا حييا بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية على انه فعيل اي مستحيا

ستيرًا بفتح السين وتخفيف الفوقية المكسورة قال شارح أي مستورًا والظاهر أنه
مبالغة ساتر ويدل عليه ما في نسخة من كسر السين والفوقية المشددة وكان الشارح
حمل قوله لا يرى من جلده شيء صفة كاشفة وليس بظاهر بل هو استيناف
بيان لما يلزم من كونه كثير التستر وحاصله أنه كان من شأنه أن يستر جميع بدنه
عند اغتساله استحياء أي من الناس فآذاه من آذاه بالمد فيهما أي من أراد إيذاءه
من بني إسرائيل فقالوا جمع باعتبار معنى من كما أفرد أولا بناء على لفظه ونحوه كثير في التنزيل
فقالوا أي بعض المؤذين ما تستر أي موسى هذا التستر أي البليغ إلا من عيب بجلده
إما برص أو أدرة بضم همزة وسكون دال مهملة نفخة بالخصية على ما في النهاية وإن الله أراد
أن يبرئه بتشديد الراء أي ينزهه عن نسبة ذلك العيب ويثبت له الحياء من عالم
الغيب وقد أشار إليه سبحانه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ثم اعلم أن قوله وإن الله هو هكذا في النسخ
المصححة بالواو وقال الطيبي الفاء في قوله فإن الله للتعقيب وأصل الكلام فقالوا كيت
وكيت فأراد الله أن يبرئه وأتى بأن المؤكدة تأكيدا اعتناء بشأنه فخلا يوما وحده أي انفرد
عن الناس وقتا ما حال كونه منفردا ليغتسل فوضع ثوبه على حجر أي بجنب الماء ففر الحجر
بثوبه إلى الماء لتقديره أي فأخذه فارًا فجمح موسى بجيم وميم مفتوحات أي
ذهب وأسرع إسراعا لا يرده شيء ومنه قوله تعالى وهم يجمحون في أثره بفتحتين وقيل
بكسر وسكون المثلثة أي في عقب الحجر يقول أي بلسان القال أو ببيان الحال ثوبي
أي أعطني ثوبي يا حجر ثوبي أي مطلوبي ثوبي يا حجر والتكرير للتكثير حتى انتهى
إلى ملأ من بني إسرائيل والظاهر أن فيهم المؤذين فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله
قال الطيبي عريانا وكذا قوله أحسن لأن الرؤية بمعنى النظر وقالوا والله ما بموسى
من بأس أي ليس به عيب ما وأخذ ثوبه وطفق أي شرع بالحجر ضربا أي يضربه
ضربا فالجار متعلق بالفعل المقدر كما في قوله سبحانه وطفق مسحا بالسوق
والأعناق فوالله إن بالحجر لندبا بفتح النون والدال أي أثرا وعلامة باقية من
أثر ضربه وأصل الندب أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به أثر الضرب بالحجر وقوله
ثلاثا أو أربعا أو خمسا متعلق بالضرب أو الندب والشك من الراوي قال الطيبي قوله
ثلاثا أي ندبات ثلاثا أو تفسير الاسم أن ضربه هذا من أثر غضبه على الحجر لأجل
فراره وقلة أدبه ولعله ذهل عن كونه مأمورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وفيه
مأخذ للعلماء الأنام على أن ضرر الخاص يتحمل لنفع العام والله أعلم بالمرام ثم قيل إن موسى
أمر بحمل الحجر معه إلى أن كان في التيه فضربه بعصاه مرة أو مرات فانبجست منه اثنتا
عشرة عينا وقال النووي فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه السلام أحدهما مشي
الحجر بثوبه والثانية حصول الندب في الحجر بضربه وفيه حصول التمييز في الجماد
وفيه جواز الغسل عريانا في الخلوة وإن كان ستر العورة أفضل وبهذا قال الشافعي
ومالك وأحمد وخالفهم ابن أبي ليلى وقال إن للماء سكانا قلت إمامنا الأعظم مع الجمهور
وظاهر مخالفة ابن أبي ليلى في دخول الماء فقال وفيه ابتلاء الأنبياء والصالحين
من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليه وفيه أن الأنبياء عليهم السلام منزهون عن النقائص

و[illegible] لله عز وجل

في الخَلق والخُلق سالمون من العاهات والمعايب اللهم إلا على سبيل الابتلاء متفق عليه
وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أيوب
يغتسل عريانا يحتمل أن يكون لابسا للإزار كما يدل عليه قوله الآتي يحتثي في ثوبه
ويحتمل أن يكون متجردا عن الثياب كلها على طبق ما سبق لموسى عليهما السلام وكان
جائزا عندهما لكنه صلى الله عليه وسلم أشار إليه إلى أن التستر أولى حياء من المولى بناء
على أنه صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق فخر بالخاء المعجمة والراء المشددة أي فسقط
ونزل عليه أي فوقه أو على أطرافه جراد أي جنس جراد فجعل أيوب يحتثي أي يضعه
في ثوبه كذا في النهاية والأظهر أنه يأخذ بكفه أو بكفيه ويضع في ثوبه المتصل
به وهو الإزار اللابس قبل الغسل أو بعده أو المنفصل الذي ما لبسه بعد وفي المصابيح
يحتثي في ثوبه قال شارح له أي يجمعه في ذيله ويضم طرف الذيل إلى نفسه فناداه ربه
أي نداء تلطف يا أيوب ألم أكن أغنيتك أي جعلتك ذا غنى عما ترى قال بلى وعزتك
قال الطيبي هذا ليس بعتاب منه تعالى في أن الإنسان وإن كثر ماله لا يشبع بل
يريد المزيد عليه بل من قبيل التلطف والامتحان بأنه هل يشكر على أنعم الله عليه فيزيد
في الشكر وإليه الإشارة بقوله ولكن لا غنى بكسر ففتح مقصورا أي لا استغناء بي عن بركتك
أي عن كثرة نعمتك وزيادة رحمتك وفي رواية من يشبع من رحمتك أو فضلك وفيه
جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه وصرفه
فيما يحبه ويرضاه ويتوجه الأمر إليه وفيه تسمية المال من جهة الحلال بركة في المال
وحسن الحلال قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه جواب
عن قوله أعط أفقر إليه مني ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا
فلا تتبعه نفسك رواه البخاري وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال استب
رجل من المسلمين ورجل من اليهود بتشديد الموحدة افتعال من السب وهو الشتم والمعنى
سب كل واحد منهما الآخر فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين أي جميعهم من خلق
الأولين والآخرين والمحلوف عليه مقدر فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على
العالمين أي على عالمي زمانه لكنه لما كان ظاهر كلامه المعارضة وحاصل مرامه المشاركة
في الاصطفاء على الخلق من بين الأنبياء وهو خلاف ما عليه العلماء ولذا أنكر عليه فرفع المسلم
يده عند ذلك أي القول الموهم لخلاف الأدب فلطم وجه اليهودي أي ضربه بكفه
لكفه عن سوء أدبه فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره
وأمر المسلم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أي المدعى عليه فسأله عن ذلك
أي الأمر فأخبره أي بطابقة الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروني بضم التاء وتشديد
الياء من التخيير بمعنى الاصطفاء والمعنى لا تجعلوني خيرا بمعنى لا تفضلوني على موسى
أي ونحوه من أصحاب النبوة تفضيلا يؤدي إلى إيهام المنقصة أو إلى تسبيب الخصومة
فإن أمر التفضيل ليس بقطعي على وجه التفضيل فإن الناس أي جميعهم يصعقون بفتح
العين يوم القيامة أي عند النفخة الأولى فأصعق معهم من صعق الرجل إذا أصابه
فزع فأغمي عليه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا لكن هذه الصعقة صعقة
فزع قبل البعث لذكر الإفاقة بعده فأكون أول من يفيق فإن الإفاقة إنما تستعمل

في الغشي والبعث في الموت فاذا موسى باطش قال شارح اي قوي والظاهر ان معناه اخذ بجانب العرش فلا
ادري كان اي لكان فيمن صعق فافاق قبلي اي لفضيلة اختص بها او كان فيمن استثنى الله اي في قوله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله والمعنى او كان فيمن لم
يصعق فله منقبة ايضا من هذه الجهة قال العسقلاني يعني فان افاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة
وان كان ممن استثناه الله تعالى فلم يصعق فهي ايضا فضيلة وانما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن
التفضيل بين الانبيا عليهم السلام من يقول ذلك من رايه لا من يقوله بدليل او من يقوله بحيث
يودي الى تنقيص المفضول او يجر الى الخصومة او المراد لا تفضلوني بجميع انواع الفضايل بحيث
لا يبقى للمفضول فضيلة او اراد النهي عن التفضيل في نفس النبوة فانهم متساوون
فيها وانما التفاضل بخصايص وفضايل اخر كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض وفي رواية فلا ادري احوسب اي احوزي بصعقة يوم الطور اي بافاقة
المصدر الى الظرف وفي نسخة بالضمير اي بصعقة نفسه في ذلك اليوم حيث قال تعالى فلما
تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ففي القاموس صعق كسمع صعقا ويحرك
وصعقة وتصعاقا فهو صعق كلتف غشي عليه او بعث قبلي اي افاق قبل افاقتي
بعد ما لم يشاركني في صعقتي فالبعث مجاز عن الافاقة توفيقا بين الروايتين ولا اقول
ان احدا اي ولا ان ولا غيري من الانبيا افضل من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد
المثناة الفوقية المقصورة قيل هي اسم ام يونس على ما في جامع الاصول ثم قيل ان احدا
استعمل في الاثبات لان المعنى لا افضل احدا بعد يونس وفي رواية ابي سعيد قال لا تخيروا اي
لا تفضلوا بين الانبيا قال التوربشتي قوله لا تخيروني على موسى اي لا تفضلوني عليه قوله قاله
على سبيل التواضع ولا ثم ليردع الامة عن التخيير بين انبيا الله من تلقا انفسهم ثانيا فان
ذلك يفضي بهم الى العصبية فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصة بدعوهم الى الافراط والتفريط
فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه فيقعون في مهواة الغي ولهذا قال لا تخيروا
بين الانبيا اي لا تقدموا على ذلك باهوايكم وارايكم بل بما اتاكم الله من البيان وعلى هذا النحو قوله صلى
الله عليه وسلم ولا اقول ان احدا خير من يونس بن متى اي لا اقول من تلقا نفسي ولا افضل احدا عليه
من حيث النبوة والرسالة فان شانهما لا يختلف باختلاف الاشخاص بل نقول لكل من اكرم بالنبوة
فانهم سوا فيما جاوا به عن الله وان اختلفت مراتبهم وكذا كل من اكرم بالرسالة واليه الاشارة بقوله
سبحانه لا نفرق بين احد من رسله وانما خص يونس بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه في كتابه من
امر يونس وتوليه من قومه وضجرته عن تثبطهم في الاجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين
راموا التنصل فقال عز من قايل ولا تكن كصاحب الحوت وقال وهو مليم فلم يامن صلى الله عليه وسلم ان يخامر
بواطن الضعفا من امته ما يعود الى تنقيصه فنباهم ان ذلك ليس بقادح فيما اتاه الله من فضله وانه
مع ما كان من شانه كسائر اخوانه من الانبيا والمرسلين وهذا اقول جامع في بيان ما ورد
في هذا الباب فافهم ترشد الى الاقوم واما ما ذكره في هذا الحديث من الصعقة فهي قبل البعث عند نفخة
الفزع فاما في البعث فلا تقدم لاحد فيه على نبينا صلى الله عليه وسلم واختصاص موسى عليه السلام بهذه
الفضيلة لا توجب له تقدما على من تقدمه بسوابق جمة وفضايل كثيرة والله المتاول ان يعرفنا حقوقهم
ويحيينا على محبتهم ويثبتنا على سننهم ويحشرنا في زمرتهم متفق عليه وفي رواية لا تفضلوا بالضاد المعجمة
المكسورة على ما في اكثر النسخ اي ما لا توقعوا التفضيل بين انبيا الله اي وكذا بين رسله على وجه

وقع لله عز وجل

الازرا ببعض فان ذلك يكون سببا لفساد الاعتقاد في بعض وذلك كفر وفي نسخة بالصاد وهو الظاهر اي
لا تفرقوا بينهم لقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني اي ويعني نفسه او نفسي خير من يونس ابن متى
اي فضلا عن غيره متفق عليه وفي رواية البخاري قال من قال انا خير اي في النبوة من يونس
ابن متى فقد كذب لان الانبيا كلهم متساوون في مرتبة النبوة وانما التفاضل باعتبار الدرجات
وخص يونس بالذكر لان الله تعالى وصفه باوصاف توهم انحطاط رتبته حيث قال فظن ان لن
نقدر عليه اذ ابق الى الفلك المشحون فالمعنى انا واقع موقع هو ويكون راجعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يكون المراد به نفس القايل فحينيذ كذب بمعنى كفر كني به عن الكفر لان هذا الكذب
مساو للكفر قال النووي قيل ضمير المتكلم يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى
كل قايل اي لا يقول بعض الجاهلين من المجتهدين في العبادة او العلم او غير ذلك من الفضايل
فانه لو بلغ ما بلغ الا انه لم يبلغ درجة النبوة ويويده الرواية الاولى ما ينبغي لعبد ان
يقول اني خير من يونس بن متى اقول في تاييدها نظر لتحقيق الاحتمالين فيه ايضا
بل المعنى الثاني اظهر منها حيث قال ما ينبغي لعبد بطريق العموم المشير الى انه حديث
قدسي على ما ذكره السيوطي في الجامع من رواية مسلم ابي هريرة قال تعالى لا ينبغي لعبد
لي يقول انا خير من يونس بن متى قال الخطابي وانما خص يونس بالذكر لان الله تعالى
لم يذكره في جملة اولي العزم من الرسل وقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم فقصر به عن مراتب اولي العزم والصبر من الرسل يقول صلى
الله عليه وسلم اذا لم اذن لكم ان تفضلوني على يونس بن متى فلا يجوز لكم ان تفضلوني على غيره
من ذوي العزم من اجلة الانبيا صلوات الله عليهم وهذا منه عليه السلام على سبيل التواضع
والهضم من النفس وليس ذلك بمخالف لقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر لانه لم يقل
ذلك مفتخرا ولا متطاولا به على الخلق وانما قال ذلك ذكرا للنعمة ومعترفا بالمنة
واراد بالسيادة ما يكرم به في القيامة من الشفاعة والله اعلم وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر بفتح
فكسر وفي نسخة بكسر فسكون قال النووي جمهور العلما على انه حي موجود بين اظهرنا لا سيما
لا سيما عند الصوفية واهل الصلاح والمعرفة وحكايا تهم في رويته والاجتماع به والاخذ
عنه وسواله وجوابه وحضوره في المواضع الشريفة مواطن الخير اكثر من ان يحصر وحرج
الشيخ ابو عمرو بن الصلاح بذلك وشذ من انكره من المحققين قال الحميري المفسر وابو
عمرو هو نبي واختلفوا في كونه مرسلا وقال القشيري وكثيرون هو ولي واحتج من قال بنبوته
بقوله تعالى ما فعلته عن امري فدل على انه اوحي اليه وبانه اعلم من موسى عليه السلام
ويبعد ان يكون الولي اعلم من النبي واجاب الاخرون بانه يجوز ان يكون قد القى اليه
بطريق الالهام كما القى الى ام موسى في قوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان
اقذفيه قلت فيه ان الوحي الى ام موسى فيما يتعلق بتدبير خلاص الطفل حالة
الاضطرار في امره واما حمل امر الغلام على الالهام الى الولي غير صحيح اذ لا يصح لاحد من
الاوليا ان يقتل نفسا زكية بغير نفس اعتمادا على الوحي الالهامي بانه طبع كافرا
وقد قال الثعلبي المفسر الخضر نبي معمر محجوب عن اكثر الابصار قال وقيل انه

لا يموت الا في اخر الزمان حين يرفع القران قلت وقد تقدم انه يقتل الدجال ثم ذكر اقوالا
انه من زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ام بعده بقليل او كثير قلت ويدعي انه من اولاد
ادم والله اعلم وفي الجامع الصغير روى الحارث عن انس الخضر في البحر والياس في
البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين ياجوج
وماجوج ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى قابل وفي
الفتاوى الحديثية رواه ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما السلام يلتقيان
في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما راس صاحبه ويفترقان عن هولاء الكلمات
بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا
الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ثم
قوله طبع كافرا اي خلق الغلام على انه يختار الكفر فلا ينافي خبر كل مولود يولد
على الفطرة او المراد بالفطرة استعداد قبول الاسلام وهو لا ينافي كونه شقيا
في جبلته وقد روى ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير عن ابن مسعود
مرفوعا خلق الله يحيى ابن زكريا في بطن امه مومنا وخلق فرعون في بطن
امه كافرا وفي الحديث المشهور ان بعد نفخ الروح في كل مولود يكتب شقي او سعيد
وعلى طبقه يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد وقد قال تعالى
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم قال القاضي عياض في هذا حجة
بينة لاهل السنة وصحة مذهبهم في ان العبد لا قدرة له على الفعل الا بارادة الله
وتيسيره له خلافا للمعتزلة القائلين بان للعبد فعلا من قبل نفسه وقدرة
على الهدى والضلال وفيه ان الذين قضي لهم بالنار طبع على قلوبهم وختم عليها وجعل
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وحجابا مستورا وجعل في اذانهم وقرا وفي
قلوبهم مرضا لتتم سابقته وتمضي كلمته لا راد لحكمه ولا معقب لامره وقضائه
وقد يحتج بهذا الحديث من يقول ان اطفال الكفار في النار قلت الاولى التفصيل
بان من طبع منهم كافرا يكون في النار ومن ولد على الفطرة فهو في الجنة وبه يحصل
الجمع بين اقوال الائمة ويقارب القول بالتوقف الذي اختاره امامنا الاعظم
والله اعلم ويدل عليه قوله ولو عاش اي ذلك الغلام بان ادرك الكبر لارهق
ابويه اي كلفهما طغيانا وكفرا اي جعل سببا لاضلالهما فالحاصل ان علة
قتله مركبة من كونه طبع كافرا وانه لو فرض انه عاش لكان مضلا فاجرا قال النووي
لما كان ابواه مومنين يكون هو مومنا قالت فكيف يجوز قتل المومن قال فيجب
تاويله بان معناه والله اعلم ان ذلك الغلام لو بلغ لكان كافرا ولو عاش لارهق ابويه
اي غشيهما طغيانا وكفرا اي طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه او معناه حملهما ان
يتبعاه فيطغيا قال ابن الملك فان قلت خوف كفر احد في المال لا يبيح قتله في الحال
فكيف قتله الخضر في خوف كفره قلت يجوز ان يكون ذلك في شرعهم قلت تقرير الله
تعالى وتقرير موسى صريح في ذلك بل يدل على جواز مثل ذلك في شرعنا لو علم قطعا انه طبع
كافرا كما قرره صاحب الشرع في هذا الحديث فبطل كون الغلام مومنا مناح اذ لا يجوز
قتل المومن من غير جنح اجماعا في جميع الاديان قال او يقول هذا اعلم الذنب وله مشرب

اخر غير

لله عز وجل

اخر غير المعهود في الظاهر فلا تستقل بكيفية قلت لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة
في احكام الطريقة ومن فرق بينهما ممن لم يصل الى مرتبة الجمع ينسب الى الزندقة ثم
ان الامر لا يخلو عن احد شيئين فان الخضر ان كان من اهل النبوة فلا بد ان يكون
عمله على وفق الشريعة وان كان من اهل الولاية فليس له ان يقدم على عمله الا بالالهام
الغيبي في مثل هذه القضية العظمى والبلية الكبرى ثم في الحديث بيان الحكمة
في قتل الخضر وكانه خرج مخرج الاعتذار عنه بنص بحث بخلاف ما في الاية من الاشارة
الى ذلك تلويحا متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال انما سمي الخضر اي خضرا وفي نسخة بنصبه اي انما سمي الرجل
المشهور الخضر لانه جلس على فروة بيضاء في النهاية الفروة الارض اليابسة
وقيل الهشيم اليابس من النبات قلت معناهما واحد ومؤداهما متحد واختار شارح القول
الثاني فقال المراد بالفروة الهشيم اليابس شبهه بالفرو وقيل الارض اليابسة وقيل جلدة وجه
الارض اليابسة وقيل جلدة وجه الارض وقيل قطعة نبات مجتمعة يابسة قلت هذا هو
الاظهر قال الطيبي ولعل الثاني من قول صاحب النهاية لان قوله فاذا هي تهتز من خلفه
خضرا اما تمييز او حال فكانه نظر الخضر عليه السلام الى مجلسه ذاك فاذا هي تتحرك من جهة
الخضرة والنضارة انتهى ولعله قال من خلفه مع ان النمو والاهتزاز انما كان في موضع الجلوس
من تحته للاشعار بان الخضرة زادت عن المجلس الى انها الفروة البيضاء ثم قال شارح قوله
خضرا بفتح فكسر مع التنوين اي نباتا اخضر ناعما وفي رواية خضراء قلت وهو كذلك
في اكثر النسخ المضبوطة المعتمدة لكن لا يخفى ان النسخة الاولى لمناسبة وجه التسمية اوجه
الجمع بين المبنى والمعنى رواه البخاري واسنده السيوطي بهذا اللفظ بعينه في الجامع
الصغير الى احمد والشيخين والترمذي عن ابي هريرة والطبراني عن ابن عباس والله
اعلم وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ملك الموت اي في صورة بشر الى موسى بن عمران فقال له اي لموسى اجب ربك اي
بقبول الموت والمعنى اي جئتك لاقبض روحك قال اي النبي عليه السلام فلطم موسى
عين ملك الموت اي ضربه بباطن كفه ففقأها بفاء فقاف وهمز مفتوحات اي فشقها
وقلعها واعماها قيل الملائكة يتصورون بصورة الانسان فتلك الصورة بالنسبة اليهم
كالملابس بالنسبة الى الانسان واللطمة انما اثرت في العين الصورية لا في العين الملكية
فانها غير متاثرة باللطمة وغيرها قال شارح وانما لطمه موسى لانه اقدم على قبض
روحه قبل التخيير فالانبياء كانوا يخيرون عند الله اخر الامر بين الحيوة والوفاة وسياتي
زيادة تحقيق لذلك قال فرجع الملك الى الله فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت
فقد فقا عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدي قال الطيبي فان قلت اي فرق بين قول
الملك عبد لك على التنكير وبين قول الله عبدي قلت دل قول الملك على نوع طعن فيه حيث نكره
ونبه بقوله لا يريد الموت وقوله سبحانه دل على تفخيم وتعظيم مكانه حيث اضافه الى
نفسه ردا عليه فقل الحيوة بالنصب على انه مفعول قوله تريد على تقدير الاستفهام
قبل الفعل او المفعول ويمكن ان يكون الحيوة بهمزة ممدودة كما في قوله تعالى قل الذكرين
حرم ام الانثيين فالتقدير الحياة تريد ام الموت ثم فصله بقوله فان كنت تريد الحيوة

اي الطويلة اذا الموت غير منصورة في الدنيا لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت فضع يدك اي واحدة
واثنتين على متن ثور اي على ظهر بقرة فما توارت وفي نسخة فما وارت يدك بالرفع وفي نسخة
بالنصب وقوله من شعرة بيان لما وفي نسخة من شعره بالضمير اي من شعر متن الثور
فانك تعيش بها اي بكل شعرة متوارية سنة واعلم انه يقال واراه الشي اي ستره وتوارى
اي استتر ومنه قوله تعالى يتوارى من القوم فقال شارح فما توارت غلط وقع عن بعض
الرواة في كتاب مسلم وفي كتاب البخاري فله بما غطت يده بكل شعرة سنة وقال القاضي
قوله فما توارت يدك هكذا مذكور في صحيح مسلم ولعل الظاهر فما وارت يدك بالرفع واخطا
بعض الرواة ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه فله بما غطيت يده بكل شعرة سنة ويحتمل
ان يكون يدك منصوبا بنزع الخافض وفي توارت ضمير راجع الى ما فانثه لكونه مفسرا بالشعرة
قال الطيبي قوله من شعرة بيان ما والضمير فيه راجع الى متن ثور وما وارت يده قطعة منه
فانثه باعتبار القطعة اي القطعة التي توارت بيدك او تحت يدك انتهى وقيل انها الاولى اذ يره
لان معناه وارت اي غطت ذكره الاكمل قال اي موسى ثم مه بفتح الميم وسكون الها واصله
ما حذفت الفه ووقفت عليه بالها للتفرقة بين الحركة والسكون قال النووي هي ها السكت
وما استفهامية اي ثم ماذا يكون احياة ام موت قال ثم تموت قال فالان من قريب فاختار
الموت في هذه الحالة رب ادنني امر من الادنا اي قربني من الارض المقدسة ولعل اراد افضل
مواضعها وهو المسمى ببيت المقدس الذي كان فيه قبلة الانبيا والا فالارض المقدسة يطلق على
جميع اراضي الشام رمية بحجر اي كرمية حجر والمراد السرعة ذكره شارح والظاهر ان المراد ان يكون
التقرب مقدار رمية واحدة بحجر ولذا قال ابن الملك اي بمقدار ذلك اقول لعله كان في التيه فاراد
التقرب الى بيت الرب ولو بمقدار قليل من موضع دعايه او من محل مطلوبه قال النووي واما سواله
الادنا من الارض المقدسة فلشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين من الانبيا وغيرهم من الصالحين
قالوا وانما سال الادنا ولم يسال نفس بيت المقدسة لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم
فيفتتن به الناس قلت وهذا بعيد جدا اذ لم يقع التفتن بقبر غيره من الانبيا مع امكان الفتنة
في كل مكان بل فيه اشارة الى ان المقبرة ينبغي ان يكون قرب القرية لا داخلها ولعل عمارة بيوت
بيت المقدس لم تنتج قريبة الى محل تربته عليه السلام وعلى كل ففيه استحباب الموت والدفن
في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن ارباب الديانة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله لو اني عنده اي عند بيت المقدس وابعد شارح حيث قال اي عند موسى لاريتكم
قبره الى جنب الطريق اي طرف الجادة من بيت المقدس الى حواليه عند الكثيب الاحمر اي تل المستطيل
المجتمع من الرمل متفق عليه قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث قالوا كيف يجوز
على موسى فقا عين ملك الموت واجابوا عن هذا باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون موسى
عليه السلام قد اذن الله في هذه اللطمة وان يكون ذلك امتحانا للطوم وهو سبحانه يفعل
في خلقه ما يشا ويمتحنهم بما يريد قلت ولا يخفى انه بعيد والثاني ان هذا على المجاز والمراد
ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة يقال فقا فلان اذا غلبه بالحجة قال وفي هذا ضعف
لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عليه عينه فان قيل اراد رد حجته كان بعيدا والثالث ان
موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت
المدافعة الى فقي عينه وما قصدها بالفقو وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من

المتقدمين

المتقدمين واختاره القاضي عياض قالوا واتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم
له بخلاف المرة الاولى قال ابن الملك في شرح المشارق فان قيل كيف صدر من موسى هذا الفعل
اجيب بانه متشابه يفوض علمه الى الله تعالى وبان موسى لم يعرف انه ملك الموت وظن انه رجل
قصد نفسه فدفعه عنها فادت مدافعته الى فقا عينه وهذا مختار المازري والقاضي عياض
وانكر الشيخ الشارح يعني الاكمل بان هذا غير صحيح لان الرجل الداخل لم يقصده بالمحاربة حتى يدفعه
عنه بل دعاه للموت ومجرد هذا القول لا يبعد عن مومن صالح مثل هذا الفعل فما ظنك بموسى
عليه السلام واقول ان موسى عليه السلام كان في طبعه حدة حتى روي انه عليه السلام اذا
غضب اشتعلت قلنسوته فاذا هجم عليه رجل فدعاه الى الهلاك عرف انه لا يكون الا بالحرب فدفعه
قبل قصده وقد يحتمل ان يكون جائزا في شرعه اولان موسى عليه السلام زعم انه كاذب حين
ادعى قبض روحه لزعمه ان بشرا لا يقبض الروح فغضب عليه فلطمه وكان هذا الغضب لله
وفي الله فلم يكن مذموما ولهذا لم يعاتب الله موسى من اخذ راس هارون ولحيته وكان
يجر مع ان هارون اكبر منه سنا واجل قدرا عند علما الامة وقد قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة
عليهم كحق الوالد على ولده قلت هذا اوجه حسن الا ان قوله لزعمه غير مستحسن قال وما
اختاره الشيخ الشارح في الجواب ان موسى عليه السلام يحتمل ان يكون ماذونا في حق
اللطمة ويكون ذلك امتحانا للطوم فلا يخفى بعده صرح في شرح السنة يجب على المسلم الايمان
به على ما جاء به من غير ان يعتبره لما جرى عليه عرف البشر فيقع في الارتياب لانه امر مصدره
قدرة الله تعالى وحكمه وهو مجادلة جرت بين ملك كريم ونبي كليم كل واحد منهما مخصوص بصفة
يخرج بها عن حكم عوام البشر ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خص به فلا يعتبر حالهما بحال
غيرهما وقد اصطفى الله تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فلما دنت وفاته
وهو بشر يكره الموت طبعا لطف الله تعالى به بان لم يفاجيه بغتة ولم يامر الملك الموكل به بان
ياخذه قهرا بل ارسله على سبيل الامتحان في صورة بشر فلما راه موسى استنكر شانه عن مكانه
فاحتجز منه دفعا عن نفسه بما كان من صكه اياه فاتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية
وقد كان في طبع موسى عليه السلام حدة على ما قص الله علينا من امره في كتابه وكزه القبطي والقاه
الالواح واخذه براس اخيه يجره اليه هذا وقد جرت سنة الدين بدفع كل قاصد سوء وقد ذكر
الخطابي رحمه الله هذا المعنى في كتابه ردا على من طعن في هذا الحديث وامثاله من اهل البدع الملحدين
اباده الله تعالى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي بصيغة المجهول اي اظهر
لدي الانبيا وهم اعم من الرسل وهو اما في المسجد الاقصى في ليلة الاسرا وفي السموات العلى كما
يدل عليه الحديث الذي يليه والمعنى عرض ارواحهم متشكلين بصورهم كانوا عليها في الدنيا كذا
ذكره ابن الملك تبعا لشارح من علمائنا وهو الظاهر وقال القاضي لعل ارواحهم مثلت بهذه الصور
ولعل صورهم كانت كذلك او صور ابدانهم كوشفت له في نوم او يقظة فاذا موسى ضرب اي نوع
من الرجال وقيل اي خفيف اللحم كانه من رجال شنوءة بفتح الشين المعجمة وضم النون فواو
ساكنة وهمزة وها ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها وقد قال ابن السكيت ازد شنوة
بالتشديد غير مهموز وهي قبيلة معروفة والمعنى انه يشبه واحدا من هذه القبيلة
قال شارح والشنوءة التباعد من الادناس على ما ذكره الجوهري ومنهم ازد شنوة وهم
حي من اليمن ولعلهم لقبوا بذلك لطهارة نسبهم ونظافة حسبهم وحسن سيرتهم وادابهم

ورايت عيسى بن مريم فاذا انهيتوا اقرب من رايت به شبها بفتحتين اي نظيرا عروة ابن مسعود
قيل هو اخو عبد الله بن مسعود وليس بصحيح ورايت ابراهيم فاذا اقرب من رايت به
شبها صاحبكم يعني نفسه اي نبيكم صلى الله عليه وسلم بقوله صاحبكم نفسه ذاته لما ظهر له
في مراته ولما كان جبريل مالا زما للانبيا لكونه من لوازم الانبا ذكره في معرض الانبيا فقال
ورايت جبريل فاذا اقرب من رايت به شبها دحية بن خليفة بكسر الدال وقد يفتح وهو من
الصحابة من اجمل الناس صورة رواه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايت ليلة اسري بي بالاضافة وفي نسخة بالتنوين اي ابصرت في ليلة اسري بي فيها موسى رجلا
اي حال كونه على صورة رجل ادم اي اسمر شديد السمرة على ما في النهاية طوالا بضم الطا وتخفيف
الواو اي طويلا كجبال بمبالغة طويل واما بكسر الطا فهو جمع طويل جعدا هو ضد السبط فمعناه
غير مسترسل الشعر ولعل انقباض شعر راسه مما يشعر على حدته باطنه من غير شعوره كانه من
رجال شنوة ورايت عيسى رجلا مربوع الخلق اي متوسط لا طويلا ولا قصيرا ولا سمينا ولا هزيلا
وفيه ايما الي اعتدال مزاجه ايضا وقوله الى الحمرة والبياض حال اي مايلا لونه اليه فلم يكن شديد
الحمرة والبياض بل كان بينهما من البياض المشوب بالحمرة مما نعت نبينا صلى الله عليه وسلم على
ما في الشمايل في الوصفين السابقين سبط الراس بكسر البا وفتحها ايضا وقد يسكن ففي
القاموس السبط ويحرك كالكتف نقيض الجعد والمعنى مسترسل شعر الراس فهذه ايما الى انه
غلب عليه صفة الجمال كما انه غلب على موسى نعت الجلال ونبينا صلى الله عليه وسلم لما كان في مرتبة
الكمال من شعره ايضا في سبوطه والجعودة في غاية من الاعتدال ورايت ما لكا خازن النار والدجال
في ورايت الدجال في ايات اي مع علامات اراهن الله اياه اي النبي صلى الله عليه وسلم يعني رايت
النبي صلى الله عليه وسلم الدجال مع ايات اخر اراهن النبي صلى الله عليه وسلم ومما حكاها وقوله في ايات
اراهن الله اياه من كلام الراوي ادرجه في الحديث دفعا لاستبعاد السامعين واماطة لما
عسى ان يختلج في صدورهم ولو كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم لقال اراهن الله اياي كذا ذكره
شارح والظاهر ان يكون الضمير راجعا الى الدجال والمراد بالايات خوارق العادات التي قدرها الله سبحانه
استدراجا للدجال وابتلا للعباد على ما تقدم والله اعلم وقال الطيبي قوله في ايات اي رايت المذكور في
جملة ايات ولعله اراد بها الايات المذكورة في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى فعلى هذا
في الكلام التفات حيث وضع اياه موضع اياي او الراوي نقل معنى ما تلفظ به والظاهر ان قوله فلا
تكن في مرية من لقايه متعلق باول الكلام وهو حديث موسى عليه السلام تلميحا الى ما في التنزيل
من قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقايه الكشاف قيل من لقايك موسى
عليه السلام ليلة الاسرا فيكون ذكر عيسى وما بعده من الايات على سبيل التبعية والادماج
اي لا تكن بالمحمد في رويته ما رايت من الايات في شك ومعنى هذا الخطاب في قوله فلا تكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوي الا لفظ اياه ويشهد له قول
الشيخ محيي الدين في شرح هذا الحديث كان قتادة تفسيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم لقد لقي
موسى عليه السلام ووافقه عليه جماعة منهم مجاهد والكلبي والسدي ومعناه فلا تكن في شك
من لقايك موسى والشارحون ذهبوا الى ان قوله في ايات اراهن الله من كلام الراوي الحقه
بالحديث دفعا لاستبعاد السامعين واماطة لما عسى يختلج في صدورهم وقال المظهر الخطاب في
فلا تكن خطاب عام لمن سمع هذا الحديث الى يوم القيامة والضمير في لقايه عايد الى الدجال اي

اذا كان

اذا كان خروجه موعودا فلا تكن في شك من اتيانه وقاله غيره الضمير راجع الى ما ذكر اي فلا تكن في شك من رويته ما ذكر
من الايات الى يوم القيامة متفق عليه وذكر السيوطي الحديث في الجامع الصغير الى قوله الدجال وقال رواه
احمد والشيخان وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي ظرف مقدم
لقوله لقيت موسى فنعته اي فوصف موسى فقال في حقه فاذا اي هو رجل مضطرب قال القاضي وغيره من
الشراح يريد به انه كان مستقيم القد حادا فان الحاد يكون قلقا متحركا كان فيه اضطرابا ولذلك يقال رمح
مضطرب اذا كان طويلا مستقيما وقيل معناه انه كان مضطربا من خشية الله تعالى وهذه صفة النبيين
والصديقين كما روي انه عليه السلام كان يصلي ولقلبه ازيز كازيز المرجل رجل الشعر بكسر الجيم ويسكن ويفتح
ففي القاموس شعر رجل وكالكتف وجبل بين السبوطة والجعودة وفي النهاية اي لم يكن شديد الجعودة
ولا شديد السبوطة بل بينهما قلت الظاهر ان يكون جعودته غالبة على سبوطته ليلا ينافي ما سبق من
كون موسى عليه السلام جعدا كانه من رجال شنوة سبق بيانه ولقيت عيسى ربعة بتسكين الموحدة وتجوز
فتحها على ما ذكره العسقلاني اي مربوع الخلق وفي النهاية اي لا طويل ولا قصير والتانيث على تاويل النفس احمر
اي شديد الحمرة كانه خرج من ديماس بكسر الدال ويفتح على ما في القاموس الكن والسرب والحمام قال الجوهري فان
فتحت الدال جمعت على دياميس مثل شيطان وشياطين وان كسرتها جمعت على دماميس كقيراط وقراريط ثم لما كان
الديماس له معاني قال الراوي يعني اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم به الحمام قال العسقلاني هذا في تفسير
عبد الرزاق والمراد وصفه بصفا اللون ونضارة الجسم وكثرة ما الوجه كانه خرج من حمام وهو عرق ورايت ابراهيم
وانا اشبه ولده اي اولاده من نسل ولده اسماعيل او مطلقا به اي بابراهيم صورة ومعنى فالمشابهة الصورية
عنوان المناسبة المعنوية مع ان الولد سر ابيه في مبانيه ومعانيه قال اي النبي عليه السلام فاتيت باناين
اي احضرت لي بهما احدهما لبن قال التوربشتي العالم القدسي يصاغ فيه الصور من العالم الحسي ليدرك بها المعاني
فلما كان اللبن في عالم الحس من اول ما يحصل به التربية ويرشح به المولود صيغ عنه مثال الفطرة التي يتم
بها القوة الروحانية وينشا عنها الخاصية الانسانية وقال بعضهم ولم يقل فيه لبن كانه جعله لبنا
كله تغليبا للبن على الانا لكثرته وتكثيرا لما اختاره ولما كان الخمر منهيا عنه قلله فقال والاخر فيه خمر اي خمر قليل
فقيل لي خذ ايهما شيت اي اي الانايين اي اي المشروبين اردته واشتهيته فاخذت اللبن فشربته
اي لما يدل الامر بالاخذ على جواز الشرب لانه المقصود منه وانما عرض عليه كلاهما اظهارا على الملايكة
فضله باختياره الصواب فقيل لي هديت الفطرة بصيغة الخطاب مجهولا اي فقالت الملايكة
هداك الله الى الفطرة وهو يحتمل الاخبار والدعا والاول اظهر لما سياتي في اخر الحديث والمعنى
انك هديت الفطرة الكاملة الشاملة لاتباعك القايمة العاملة قال القاضي المراد بها الفطرة
الاصلية التي فطر الناس عليها فان منها الاعراض عما فيه غايلة وفساد كالخمر المخل بالعقل الداعي
الى الخير الوازع عن الشر المودي الى صلاح الدارين وخير المنزلين والميل الى ما فيه نفع خال
عن مضرة دنيوية ومعرة دينية كشرب اللبن فانه من اصلح الاغذية واول ما به حصل التربية
وقال ابن الملك وفي هذا القول له عند اخذ اللبن لطف ومناسبة فان اللبن لما كان في العالم
الحسي ذا خلوص وبياض واول ما يحصل به تربية المولود وصيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية
والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية بخلاف الخمر فانها لكونها ذات مفسدة صيغ منها مثال الغواية
وما يفسد القوة الروحانية ولهذا قيل له ايضا اما بالتخفيف للتنبيه انك لو اخذت الخمر اي
شربتها او ما شربت والمعنى لو ملت اليها ادنى الميل غوت اي ضلت امتك اي نوعا من الغواية المترتبة
على شربها بنا على انه لو شربها لاجل الامة شربها فوقعوا في ضررها وشرها ولما كان هو معصوما لم يقل

له عوتب علي ما يقتضي المقابلة وفيه ايما الي ان استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان
ونحوهم سبب لاستقامة اتباعهم لانهم بمنزلة القلب للاعضا متفق عليه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال سرنا من السير اي سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة
والمدينة يحتمل من مكة الي المدينة وبالعكس فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا
وادي الازرق وهو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته وقيل منسوب الي رجل بعينه
فقال كاني انظر الي موسي فذكر من لونه وشعره شيا اي بعضا من اوصافها وهو ان
لونه اسمر وشعره جعد علي ما سبق واضعا اي حال كون موسي واضعا اصبعيه
في اذنيه بضم الذال ويسكن والتشبيه فيهما علي طريق اللف والنشر له اي لموسي
جوار بضم جيم فهمز وقد يبدل اي تضرع الي الله بالتلبية ذكره شارح وقال الطيبي رفع
صوته ولامنه من الجوار بهذا الوادي قال الطيبي واضعا ومارا حالان مترادفتان
او متداخلتان من موسي عليه السلام وقد تخلل بينهما كلام الراوي يعني الراوي عن حاله
وهو النبي صلى الله عليه وسلم قال اي ابن عباس ثم سرنا اي ذهبنا حتي اتينا علي ثنية بفتح
مثلثة وكسر نون وتشديد تحتية اي عقبة وهي طريق عال في الجبل او بين الجبلين
فقال اي ثنية هذه قالوا هرشي بفتح فسكون معجمة فالف مقصورة تكتب بالياء ثنية
علي طريق الشام والمدينة قرب الجحفة او لفت بكسر اللام وسكون الفا علي ما في اكثر
النسخ وقال الطيبي يروي فيه كسر اللام واسكان الفا وفتحها معه وفتحها وقال
شارح هي ثنية بقرب الجحفة يقال ايضا لفت والشك للراوي اقول ويمكن ان تكون
او للتنويع علي ان بعضهم قال هرشي وبعضهم لفت ولا خلاف في الحقيقة فقال
كاني انظر الي يونس علي ناقة حمرا عليه جبة صوف اي للتواضع واختيار الزهد وهذا ماخذ الصوفية ومن
تبعهم من العلما كالكسائي ولعله لبسها علي غير هيئة المعتاد او كان جائزا في شرعه للمحرم لبس الجبة
ونحوها مطلقا والله اعلم خطام ناقته اي زمامها وزنا ومعني وهو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل
علي خطمه اي مقدم انفه وفمه خلبة بضم الخا المعجمة وسكون اللام وبضمها موحدة فها ليفته كل مارا
بهذا الوادي ملبيا حالان من يونس كما تقدم وفيه اشعار بان الحج من شعاير انبيايه احيا وامواتا
فيفيد الترغيب في قصد الحج وما يتعلق به من التلبية الدالة علي التوحيد والهيبة الاحرامية
المشعرة الي التجريد والتفريد والله سبحانه اعلم قال النووي فان قيل كيف يحجون ويلبون
وهم اموات والدار الاخرة ليست بدار عمل الجواب من وجوه احدها انهم كالشهدا بل افضل
والشهدا احيا عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا ويتقربوا الي الله تعالي بما استطاعوا
لانهم وان كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتي اذا فنيت مدتها
وتعقبتها الاخرة التي هي دار الجزا انقطع العمل وثانيها ان التلبية دعا من عمل الاخرة قال تعالي
دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وثالثها
ان تكون هذه روية منام في غير روية الاسرا كما قال في رواية ابن عمر رضي الله عنهما بينما انا نايم
رايتني اطوف بالكعبة وذكر الحديث في قصة عيسي قلت وروبا الانبيا حق وصدق
قال ورابعها انه صلى الله عليه وسلم اري حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم
حتي كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم كما قال صلى الله عليه وسلم كاني انظر الي موسي قلت الظاهر ان
المراد بقوله هذا استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للاشارة الي غاية

تحققها ونهاية صدقها قال وخامسها ان يكون اخبر عما اوحي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرهم وما كان منهم وان
لم تكن رويته عين قلت يرده قوله كاني انظر اليهما قال وهذا اخر كلام القاضي عياض وفي الحديث
دليل علي استحباب وضع الاصبع في الاذن عند رفع الصوت بالاذان ونحوه وهذا الاستنباط
والاستحباب يجي علي مذهب من يقول من اصحابنا وغيرهم ان شرع من قبلنا شرع لنا قلت
هذا الاستنباط انما يتم لو قيل باستحباب وضع الاصبعين في الاذنين وقت التلبية ولا
اظن ان احدا قال بهذا واما وضع الاصبع في الاذن حال الاذان فله دليل مستقل ذكر
في بابه رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف اي
سهل ويسر علي داود القران اي قراة الزبور وحفظه فكان يامر بدوابه اي لركوبه
وركوب اصحابه فتسرج الي الدواب اي فتشرع في سرجها فيقرا القران اي المقرو وهو
الزبور قبل ان تسرج دوابه وفي النهاية الاصل في هذه اللفظة يعني القران الجمع وكل شي
جمعته فقد قراته وسمي القران قرانا لانه جمع القصص والامر والنهي والوعد والوعيد
والايات والسور بعضها وهو مصدر كالغفران والكفران وقد يطلق علي القراة
نفسها يقال قراة وقرانا قلت ومنه قوله تعالي فاذا قراناه فاتبع قرانه قال
التوربشتي يريد بالقران الزبور وانما قال له القران لانه قصد اعجازه من طريق
القراة وقد دل الحديث علي ان الله تعالي يطوي الزمان لمن يشا من عباده
كما يطوي المكان لهم وهذا باب لا سبيل الي ادراكه الا بالفيض الرباني قلت حاصله
انه من خرق العادة علي اختلاف في انه بسط للزمان او طي للسان والاول اظهر وقد
حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسرا هذا المعني علي وجه الاكمل في المبني
من الجمع بين طي المكان وبسط الزمان بحسب السمع واللسان في قليل من الان
ولاتباعه ايضا وقع حظ من هذا الشان علي ما حكي ان عليا كرم الله وجهه كان يبتدي
القران من ابتدا قصد ركوبه مع تحقق المباني وتفهم المعاني ويختمه حين وضع قدمه
في ركابه الثاني وقد نقل مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس الله سره السامي في
كتابه نفحات الانس في حضرات القدس عن بعض المشايخ انه قرا القران من حين استلم
الحجر الاسود والركن الاسعد الي حين وصول محاذات باب الكعبة الشريفة والقبلة المنيفة
وقد سمعه ابنا الشيخ شهاب الدين السهروردي منه كلمة كلمة وحرفا حرفا من اوله الي اخره
قدس الله اسرارهم ونفعنا ببركة انوارهم ولا ياكل اي كان لا ياكل داود عليه
السلام الا من عمل يديه كما قال تعالي والنا له الحديد ان اعمل سابغات اي دروع
واسعات وفي ايراد يديه بصيغة التثنية ايما الي ان عمله كان محتاجا الي مباشرة
العضوين فيكون اجره مرتين وفي رواية الجامع بيده علي صيغة الافراد يراد بها الجنس وقد
روي ابو سعيد مرفوعا علي ما رواه ابن لال افضل الاعمال الكسب الحلال رواه البخاري
وكذا احمد وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت
امراتان معهما ابناهما اي لكل واحدة ابن جا الذيب استيناف بيان فذهب بابن
احديهما فقالت صاحبتها اي رفيقتها لاحديهما الذي ذهب بابنك انما ذهب بابنك وقالت
الاخري انما ذهب بابنك ولعل الولدين كانا شبيهين او كانت احداهما كاذبة لكنها تريد
ان تسلي نفسها بالموجود بدلا عن المفقود او لاغراض اخر فاسدة وامكار كاسدة

فتحاكمتا اي رفعتا الحكومة الي داود فقضي به اي حكم بالولد للكبري اما لكونه في يدها على
مقتضي القاعدة الشرعية ان صاحبة اليد اولي او لانه اشبه بها على اعتبار علم القيافة كما قال
به الشافعي فخرجتا على سليمان ابن داود ما رتين عليه فاخبرتاه اي بما سبق من حالهما وتحقق
مالهما فقال اي لخدمه ايتوني بالسكين اشقه بفتح القاف المشددة على جواب الامر وفي
نسخة بالرفع اي انا الولد نصفين بينكما اي مقسوما والمعني انه على فرض الكلام تظهر الي
الصدق في امره ولعل الاخري ايضا كانت في اول الامر متعلقة بالولد متمسكة باليد ومع هذا
لم يرد حقيقة التنصيف وانما صور لهما هذا التصوير توسلا الي ما اراد به من ظهور امارة
التاليف فقالت الصغري لا تفعل اي الشق يرحمك الله اي كما وقعت في الرحمة على ولدي
هو ابنها اي رضيت بانه يكون ابنها وهو حي ولا ارضي بالشق المفضي الي موته فقضي
به للصغري اي لوجود قرينة الشفقة والرحمة فيها وتحقق القساوة واليبوسة
والغفالة بل العداوة في الاخري قال شارح واعلم ان قضاءهما حق لكونهما مجتهدين
ومستند قضائهما في هذه القضية هي القرينة التي قضي بها سليمان اقوي من حيث الظاهر
وقيل يحتمل ان طريق الاحوال كانت في شرعهم بمثابة البينة بحيث ولو كانت احداهما
ذات اليد والله اعلم وفي شرح مسلم للنووي قالوا يحتمل ان داود عليه السلام قضي به للكبري لشبهه
له فيها او لكونه كان في يدها واما سليمان فتوسل بطريق من الحيلة والملاطفة الي معرفة باطن القضية وانما
اراد اختبار شفقتهما ليتميز له الام لا القطع حقيقة فلما تميز حكم للصغري باقرار الكبري لا بمجرد الشفقة
قامت الاقرار لا دلالة للعبارة عليه ولا طريق للاشارة اليه قال وقال العلما ومثل ذلك يفعل الحكام
ليتوصلوا به الي حقيقة الصواب قلت وقد حقق ابن القيم الجوزي هذا البحث في كتاب
الفراسة في السياسة قال النووي فان قيل كيف نقض سليمان حكم ابيه داود فالجواب
من وجوه احدها من ان داود لم يكن جزم بالحكم وثانيها ان يكون ذلك فتوي من
داود لا حكما وثالثها لعله كان في شرعهم نسخ الحكم اذا رفعه الخصم الي حاكم اخر وبري خلافه
قلت وفي كل منها نظر ظاهر والوجه ان القرينة الاقوي كانت عندهما بالاعتبار هو الاولي
واما لو صح اقرار الكبري بانه للصغري فلا اشكال بتلك الحال لان الاقرار بعد الحكم معتبر في شرعنا
ايضا كما اذا اعترف المحكوم عليه بعد الحكم بان الحق لخصمه والله اعلم متفق عليه وعنه اي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الطواف
هنا كناية عن الجماع والمعني والله لادورن الليلة اي الاتية على تسعين امراة وفي رواية
بمائة امراة قال الحافظ العسقلاني فيه روايات ستون وسبعون وتسعون وتسع
وسبعون ومائة والجمع ان الستون كن حرائر وما زاد كن سرائر او بالعكس واما السبعون
فللمبالغة واما التسعون والمائة وفوق التسعين فمن قال تسعون الغي الكسر ومن
قال مائة الغي بالجبر كلهن اي كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله وهذه نية حسنة
الا انها غير مبنية على المشيئة فقال له الملك اي الموكل على يمينه او جبريل او غيرهما والمراد به
ابهامه والهامه وتشديد السين وهو احسن اي حصل النسيان بان الجمع بين القلب
واللسان اكمل عند ارباب الجمع واصحاب الوصل او اراد ان يقول ونسي فطاف عليهن
فلم تحمل منهن اي لم تحبل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل اي بنصفه او بعضه حيث
عدل عن شق الصواب وصورة الكمال وايم الذي نفس محمد بيده تقدم الكلام على ايم لفظا ومعني

وقال التوربشتي هنا الاصل في ايم الله ايمن الله حذف منه النون وهو اسم موضع للقسم
للتاكيد بضم الميم والنون والفه الف وصل عند اكثر النحويين ولم يجي في الاسما الف الوصل
مفتوحة غيرها وتقديره ايمن الله قسم واذا حذف عنه النون قيل ايم الله وايم الله
بكسر الهمزة ايضا لو قال ان شا الله لجاهدوا اي لوجدوا وولدوا وكبروا وقاتلوا الكفار في
سبيل الله اي طريق رضاه فرسانا حال من ضمير جاهدوا اجمعين تاكيد للضمير ومنهم من يرويه اجمعين
على الحال والرواية المعتمدة اجمعون بالرفع قيل والحديث يدل على ان من اراد ان يعمل عملا يستحب ان
يقول عقيب قوله اني اعمل كذا ان شا الله تعالى تبركا وتيمنا وتسهيلا كذلك العمل وقد قال تعالى
ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله متفق عليه ولفظ الجامع قال سليمان بن داود
لاطوفن الليلة على مائة امراة كلهن ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله
فلم يقل ان شا الله فطاف عليهن فلم يحمل منهن الا امراة واحدة جات بشق انسان والذي نفسي
محمد بيده لو قال ان شا الله لم يحنث دركا لحاجته رواه احمد والشيخان والنساي عن ابي هريرة
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكريا بالقصر ويروي
مده نجارا اي ينحت الخشبة وينحتها وياكل من كسب يده وفيه وفيما قبله من حديث داود عليه
السلام دلالة على ان الكسب من سنة الانبيا وجماعة من اصفيا الاوليا على خلاف في كونها افضل
عند العلما وتحقيقه في كتاب الاحيا رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجة وعنه اي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولي الناس اي اقربهم بعيسى ابن
مريم في الاولي والاخرة اي في الدنيا والعقبي قال الحافظ ابن حجر اي اقربهم اليه لانه بشر
بان ياتي من بعده ولا منافاة بينه وبين قوله تعالي ان اولي الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي لانه هو اولي الناس بابراهيم من جهة الاقتدا واولاهم بعيسى بن مريم من جهة قرب
العهد انتهي لكن لا يخفي مجرد قرب العهد لا يلايمه قوله الانبيا اخوة فالاولي ما قال القاضي
من ان الموجب لكونه اولي الناس بعيسى عليهما السلام انه كان اقرب المرسلين اليه وان دينه
متصل بدينه وان عيسى كان مبشرا به ممهدا لقواعد دينه داعيا للخلق الي تصديقه
ثم قال وهذه الجملة استيناف فيه دليل على الحكم السابق كان سايلا سال عن المقتضي
للاولوية فاجاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبين ان الاخوة التي بين الانبيا ليست
بينهم وبين ساير الناس وجعل ذلك كالنسب الذي هو اقرب الاسباب بل بقرب زمانه من
زمانه واتصال دعوته بدعوته كما سيجي الاشارة اليه والدلالة عليه بقوله وليس بيننا نبي
مقول من علات بفتح فتشديد اي هم اخوة من اب واحد فان العلة الضرة وبنو العلات اولاد الرجل من نسوة
شتي فقوله وامهاتهم شتي اي متفرقة مختلفة اما تاكيد او تجريد والمعني كما ان اولاد العلات امهاتهم
مختلفة فكذلك الانبيا دينهم واحد وشرايعهم مختلفة قال القاضي وغيره من الشراح العلة الضرة
ماخوذة من العلل وهو الشربة الثانية بعد الاولي وكان الزوج عل منها بعد ما كان ناهلا من الاخري
من النهل وهو الشرب الاول واولاد العلات اولاد الضرات من رجل واحد والمعني ان حاصل امر
النبوة والغاية القصوي من البعثة التي بعثوا جميعا لاجلها دعوة الخلق الي معرفة الحق وارشادهم
الي ما به ينتظم معاشهم وتحسن معادهم فهم متفقون في هذا الاصل وان اختلفوا في تفاريع الشرع
التي هي كالوصلة المودية والاوعية الحافظة له فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عما هو الاصل المشترك
بين جميع الانبيا بالاب ونسبهم اليه وعبر عما يختلفون فيه من الاحكام والشرايع المتفاوتة بالصورة

المتقاربة في الغرض يعني بحسب الازمنة والمصالح المتعلقة بالاشخاص المختلفة طبعها
بالامهات وهو معني قوله وامهاتهم شتى فانهم وان تباينت اعصارهم وتباعدت
ايامهم فالاصل الذي هو السبب في اخراجهم وابرازهم كلا في عصره امر واحد ولذا قال
ودينهم واحد وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين لقبوله متمكنين
من الوقوف عليه والتمسك به فعلى هذا المراد بالامهات الازمنة التي اشتملت
عليهم وانكشفت عنهم ولذا قال وليس بيننا اي بيني وبين عيسى نبي اما مطلقا او
محمول على نبي ذي شرع او على اولي العزم من الرسل قال ابن الملك اي ليس بيني وبينه
نبي بل جيت بعده كما قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد قال وبهذا ابطل قول من
قال الحواريون كانوا انبيا بعد عيسى عليه السلام انتهى وكانه حمل النفي على الاطلاق قال
الطيبي قوله الانبيا اخوة من علات كما مر استئناف على بيان الموجب لقوله صلى الله عليه وسلم
انا اولى الناس بعيسى ابن مريم في الاولى والاخرة فينبغي ان ينزل البيان على المبين يعني
الانبيا كلهم متساوون فيما بعثوا لاجله من حصول التوحيد وليس لاحد اختصاص منه
لكنا انا احص الناس بعيسى لانه كان مبشرا من قبل بعثتي وممهدا لقواعد ملتي ثم
اخر في الزمان متابع لشريعتي وناصر لديني فكانا واحد والاولى والاخرة يحتمل ان
يراد بهما الدنيا والاخرة وان يراد بهما الحالة الاولى وهي كونه مبشرا والحالة الاخرة وهي
كونه ناصرا مقويا بالدين فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي اي اخصهم به واقربهم منه
قلت الحديث وارد في كونه صلى الله عليه وسلم متبوعا والتنزيل في كونه تابعا وله الفضل
تابعا ومتبوعا قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقد مر
تفسيره والله اعلم متفق عليه ولفظ الجامع انا اولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا
والاخرة وليس بيني وبينه نبي والانبيا اولاد علات وامهاتهم شتى ودينهم واحد رواه احمد
والشيخان وابو داود ولا يخفى حسن نظم هذه الرواية المطابقة لمراعاة ترتيب الرواية
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني ادم
فيه تغليب الذكور على الاناث اي كل اولاد ادم يطعن الشيطان بفتح العين وبضم من طعنه بالرمح
كمنعه ونصر طعنا ضربه ووخزه على ما في القاموس والمراد هنا المس لما في رواية فالمعنى انه
يمسه ويصيبه في جنبيه باصبعيه اي السبابة والوسطى وفي التثنية اشعار بكمال العداوة
وايما الى قصد اضلاله في امر الدين والاخرة حين يولد اي اول زمن ولادتهم والافراد
باعتبار لفظ كل غير عيسى ابن مريم اي لدعوة جدته في حق امه بقولها واني
سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ذهب اي اراد الشيطان
وشرع وطفق يطعن اي في جنبي عيسى فطعن في الحجاب فاوقع الطعن في المشيمة
وهي ما فيه الولد فلم تنل ز من مسه عيسى قال الطيبي وهذا يدل على ان المس
في قوله ~~عليه السلام~~ صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يمسه الشيطان
على الحقيقة كما مر في الوسوسة قلت وتمام الحديث حين يولد فيستهل صارخا من
مس الشيطان غير مريم وابنها فكان الراوي اقتصر في هذا الحديث على ذكر عيسى
عليه السلام لانه المقصود الاصلي في المرام وخص بعيسى نظرا الى بعض القيود في الكلام

منفق عليه

نعم كون الحواريين انبيا غير صحيح وهو ليس اذا ارسل اليهم اثنين مؤول ولكن قوله ليس بيني وبينه نبي مطلقا بعيد عن الحديث والاصح عندي مراده صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه نبي ذي رسول من اولي العزم لان خالد بن سنان كان نبيا مستقل او نبي على الاصح وكان ادرك بينه وبين عيسى عليه السلام فيما بين تعالى وهو نبي بالاتفاق فان اردت بينه وبين عيسى عليه السلام في الاصابة لشيخ الاسلام ابن حجر تفصيل ما قلته فارجع الى الاصابة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وبقوله قد جاء عيسى العسقلاني

متفق عليه واسنده السيوطي في الجامع الى البخاري وقال لفظ مسلم كل بني ادم يمسه الشيطان
يوم ولدته امه الا مريم وابنها وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل بضم الميم وفي نسخة
بفتحها ويجوز كسرها ففي القاموس كمل كنصر وكرم وعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق في كمل ثلاث
لغات لكن كسر الميم ضعيف اقول الصحيح الضم لموافقته المعنى اللازمي اي صار كاملا او بلغ مبلغ الكمال
من الرجال كثير اي كثيرون من افراد هذا الجنس حتى صاروا رسلا وانبيا وخلفا وعلما واوليا
ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون والتقدير الا قليل منهن ولما كان ذلك
القليل محصورا فيهما باعتبار الامم السابقة نص عليهما بخلاف الكمل من الرجال فانه يبعد تعدادهم
واستقصاوهم بطريق الانحصار سوا اريد بالكمل الانبيا او الاوليا قال الحافظ ابن حجر استدل
بهذا الحصر على انهما نبيتان لان اكمل الانسان الانبيا ثم الاوليا والصديقون والشهدا فلو
كانتا غير نبيتين للزم ان لا يكون في النسا ولية ولا صديقة ولا شهيدة غيرهما وقال الكرماني
لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما لانه يطلق لتمام الشي وتناهيه في بابه فالمراد بلوغهما اليه
في جميع الفضايل التي للنسا قلت لا يخفى ان هذا المقال لا يندفع به الاشكال الا ان يقال لا يلزم
من كمال المراة المكملة حتى تستلزم النبوة بل يكفي لحصول كمال وصولها للولاية فغايته ذكرها
بطريق الحصر اختصاصهما بكمال لم يشاركهما فيه احد من نسا زمانها او من نسا الامم المتقدمة
او مطلقا غير معقبه وذلك لما نقل العلما من الاجماع على عدم نبوة النسا ولما يدل عليه قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لكن نقل عن الاشعري نبوة حوا وسارة وام موسى وهاجر واسية
ومريم وبهذا انما يصح بنا على الفرق بين النبي والرسول والله اعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق
في الجواب عن ايراد السابق قلنا الكمال في شي يكون حصوله للكامل اولى من غيره والنبوة
ليست اولى بالنسا لان مبناها على الظهور والدعوات وحالهن الاستتار فلا يكون
النبوة في حقهن كمالا بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريبة من النبوة انتهى ولا يخفى
انه انما يتم على القول بترادف النبوة والرسالة والا فعلى الفرق بينهما كما عليه الجمهور من ان
الرسول مامور بالتبليغ بخلاف النبي فلا يلزم من النبوة عدم التستر مع ان الرسالة ايضا
لا تنافي ~~الرسالة~~ الستارة كما لا يخفى والله اعلم وفضل عايشة على النسا اي على جنسهن
من نسا الدنيا جميعهن او على النسا المذكورات او على نسا الجنة او على نسا زمانها هذه
الامة او على الازواج الطاهرات كفضل الثريد على ساير الطعام قال الطيبي لم يعطف عايشة على
اسية لكن ابرزه في صورة جملة مستانفة تنبيها على اختصاصها بما امتازت به عن ساير هن
نحوه في الاسلوب قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من الدنيا ثلاث الطيب والنسا وجعل
قرة عيني في الصلوة قلت وسياقه ما يدل على خلاف ذلك مع ان لفظ ثلاث غير ثابت في الحديث
قال التوربشتي قيل انما مثل بالثريد لانه افضل طعام العرب ولا يرون في الشبع اغنى غنا منه
وقيل انهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم وروي سيد الطعام اللحم فكانها فضلت على النسا كفضل
اللحم على ساير الاطعمة والسر فيه ان الثريد مع اللحم جامع بين الغذا واللذة والقوة وسهولة
التناول وقلة المونة في المضغ وسرعة المرور في المري فضرب به مثلا ليوذن بانها اعطيت
مع الخلق والخلق حلاوة النطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الراي ورصانة
العقل والتحبب الى البعل فهي تصلح للبعل والتحدث والاستيناس بها والاصغا اليها وحسبك
انها عقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من النسا وروت ما لم يرو مثلها من الرجال

وما يدل على ان الثريد اشهى الاطعمة عندهم والذها قول الشاعر اذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك امانة
الله الثريد انتهى وقد اختلفوا في التفضيل بين عايشة وخديجة وفاطمة قال الاكمل روي
عن ابي حنيفة ان عايشة بعد خديجة افضل نسا العالمين اقول فهذا يحتمل تساوي خديجة
وعايشة لكون الاولى من القدما السوابق والثانية من الفضلا اللواحق وقال الحافظ بن
حجر فاطمة افضل من خديجة وعايشة بالاجماع ثم خديجة ثم عايشة وقال السيوطي
في النقاية وشرحها ونعتقد ان افضل النسا مريم وفاطمة روى الترمذي وصححه حسبك من
نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون
وفي الصحيحين من حديث علي خير نسايها مريم بنت عمران وخير نسايها خديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون وفي الصحيحين من حديث علي خير نسايها مريم بنت عمران
وخير نسايها خديجة بنت خويلد وفي الصحيح فاطمة خير نسا هذه الامة وروى النسائي
عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ملك من الملايكة استاذن ربه ليسلم
علي ويبشرني ان حسنا وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وامهما سيدة نسا اهل الجنة وروى
الحارث بن اسامة في مسنده بسند صحيح لكنه مرسل مريم خير نسا عالمها وفاطمة خير نسا عالمها
ورواه الترمذي موصولا من حديث بلفظ خير نسايها مريم وخير نسايها فاطمة قلت وفي الدر
المنثور اخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نسا اهل
الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم اسية امراة فرعون واخرج بن ابي شيبة عن
عبد الرحمن بن ابي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نسا العالمين بعد
مريم ابنة عمران ثم قال السيوطي وافضل امهات المومنين خديجة وعايشة قال صلى الله
عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم واسية وخديجة وفضل عايشة على
النسا كفضل الثريد على ساير الطعام وفي لفظ الا ثلاث مريم واسية وخديجة وفي التفضيل
بينهما اقوال ثالثها الوقف قلت وصحح العماد بن كثير ان خديجة افضل لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم
قال لعايشة حين قالت قد رزقك خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين
كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسيل ابن داود فقال عايشة اقراها السلام
النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل وخديجة اقراها السلام جبريل من ربها فهي افضل على لسان
محمد فقيل له فاي افضل فاطمة ام امها قال فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وسلم فلا نعدل بها
احدا وسيل السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها
خديجة ثم عايشة ثم استدل لذلك وعن ابن العماد ان خديجة افضل من فاطمة باعتبار الامومة
لا السيادة والله اعلم متفق عليه وفي رواية الجامع تقديم اسية على مريم وزيادة وان فضل
عايشة الى اخره رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة وذكر حديث انس يا خير البرية
اي قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم وحديث ابي هريرة اي الناس
اكرم تمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك
قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله الحديث قال شارح اي اذا لم تسالوني
عن هذا فاكرم الناس في زمانه يوسف قلت او في النسب والحسب كما يدل عليه تعداد ابايه
واجداده وحديث ابن عمر الكريم بن الكريم بن الكريم تمامه ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم في باب المفاخرة والعصبية الفصل الثاني عن ابي رزين قال المولف

ابي مج

هو لقيط بن عامر بن صبرة بفتح اللام وسكون القاف وصبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة عقيلي
صحابي مشهور عداده في الطايف روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيرهما قال قلت يا رسول الله اين
كان ربنا قبل ان يخلق خلقه لا شك ان المكان مع الزمان من جملة خلقه معدودان فلولا التاويل
بحسب الامكان لاول السوال واخره يتعارضان وسيجي بيان كشف المعنى من الشراح الاعيان
قال كان في عما بفتح العين ممدودا اي في غيب هويته الذات بلا ظهور مظاهر الصفات كما عبر عنه بقوله
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وفي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اشارة اليه ودلالة عليه على تفسير حبر الامة اي ليعرفون قال الشيخ علا الدولة في
كتابه العروة فاثبت تجلي الذات اولا بقوله كنت كنزا مخفيا ثم تجليه بالصفة الاحدية بقوله احببت
ان اعرف ثانيا ثم تجليه بالصفة الواحدية بقوله فخلقت الخلق لاعرف ثالثا وفي اصطلاحات الصوفية
الكاشي العما هي الحضرة الاحدية عندنا لانه لا يعرفها احد غيره فهو في حجاب الجلال اقول ولعله اراد
بالاحدية احدية الجمع فانها بين غيب الغيوب وبين احدية الصرفية او المراد بالاحدية الاحدية
الصرفة فانها بين احدية الجمع وبين الوحدة وهذه البينونة بالنسبة الى العلو والسفل وهذا
القول هو الصحيح لان العما في اللغة غيم رقيق يحول بين السما والارض وكذا الاحدية الصرفة
حايلة بين سما الذات وارض الكثرة الاسمايية ثم قال وقيل هي الحضرة الواحدية التي هي منشا
الاسما والصفات لان العما هو الغيم الرقيق والغيم هو الحايل بين السما والارض وهذه الحضرة الواحدية
هي الحايلة بين سما الاحدية الصرفية وبين ارض الكثرة الخلقية وقد جمل العارف الجامي شرحا
على هذا الحديث الشريف فان كنت تريد التحقيق فعليك بذكر التصنيف فقد علم كل اناس
مشربهم ونبع كل فريق مذهبهم هذا وفي الفايق العما هو السحاب الرقيق وقيل السحاب
الكثيف المطبق وقيل شبه الدخان يركب روس الجبال وعن الجرهمي الضباب وفي النهاية العما
بالفتح والمد السحاب وفي القاموس هو السحاب المرتفع او الكثيف او المطر او الاسود او الابيض
او هو الذي هراق ماه ولا تشكل ان احدا من هذه المعاني لا يناسب المقام المتباني الا ان يقال
ان السحاب كناية عن حجاب الجلال وهو عبارة عن حجاب الذات الباعث على ستر الصفات المتعلقة
بالعلويات والسفليات ولذا قال ابو عبيد لا يدري احد من العلما كيف كان ذلك العما وفي رواية عمى بالقصر
وهو ذهاب البصر فقيل هو كل امر لا تدركه عقول بني ادم ولا يبلغ كنهه الوصف ولا يدركه الفطن
قال الازهري نحن نومن به ولا نكيفه بصفة اي نجري اللفظ على ما جا عليه من غير تاويل مع التنزيه
عن ما لا يجوز عليه من الحدوث والتبديل ما تحته هوا وما فوقه هوا ما نافية فيهما وفيه اشارة الى
ما سبق في الحديث كان الله ولم يكن معه شي قال القاضي المراد بالعما ما لا تقبله الاوهام ولا تدركه العقول
والافهام عبر عن عدم المكان بما لا يدرك ولا يتوهم وعن عدم ما يحويه ويحيط به بالهوا فانه يطلق
ويراد به الخلا الذي هو عبارة عن عدم الجسم ليكون اقرب الى فهم السامع ويدل عليه ان
السوال كان عما خلق قبل ان يخلق خلقه فلو كان العما امرا موجودا لكان مخلوقا اذ ما من شي
سواه الا وهو مخلوق خلقه وابدعه فلم يكن الجواب طبق السوال والله اعلم بالحال وقيل في الكلام
حذف مضاف كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه فيكون التقدير اين كان عرش
ربنا ويدل عليه قوله وخلق عرشه على الما لانه لو لم يكن السوال عن العرش لما كان حاجته للتعرض
اليه وقال الطيبي لم يفتقر الى التقدير والا بد لقوله في عما بالمد من التاويل حتى يوافق الرواية
الاخرى عما مقصورا وما ورد في الصحاح من عمران بن حصين كان الله ولم يكن شي فيه وكان

عرشه على الما وذلك ان قوله ما تحته هوا وما فوقه هوا جا تتميما صونا لما يتوهم من
قوله في عما من المكان فان الغمام المتعارف محال ان يوجد بغير هوا فهو نظير قوله وكلتا
يديه يمين على ما سبق فالجواب من الاسلوب الحكيم سيل عن المكان فاجاب عن المكان
يعني ان كان هذا امكانا فهو في مكان وهو ارشاد له في غاية من اللطف رواه
الترمذي وقال قال يزيد بن هارون وهو احد مشايخ شيوخ الترمذي
من رواة هذا الحديث العما اي يعني معناه ليس معه شي وفيه ايما الى كلام العارفين في
هذا الشان كان الله ولم يكن معه شي والان على ما هو عليه كان والاشارة الى قوله
تعالى كل من عليها فان وعن العباس بن عبد المطلب زعم اي نقل انه اي العباس
كان جالسا في البطحا اي في المحصب وهو موضع معروف بمكة فوق مقبرة المعلا وقد
تطلق على مكة واصل البطحا على ما في القاموس سيل واسع فيه دقاق الحصى في عصابة
بكسر اوله اي مع جماعة من كفار مكة قال الطيبي استنها لا زعم ونسبته الى عباس
رمز الى انه لم يكن حينئذ مسلما ولا تلك العصابة كانوا مسلمين يدل عليه قوله في البطحا قلت
وكان وجه دلالته عليه انه كان غالبا مجتمع الكفار ومجمع رايهم في تلك الدار ومن
جملة ما اتفق مشايخ العرب في ذلك المكان انهم يهجرون بني هاشم ولا يبايعونهم
ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يجالسونهم حتى يتركوا نصرة محمد صلى الله عليه وسلم
وحمايته كما هو في السير معروف ولذا لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع نزل به عند نزوله
من منى اشارة الى ما من الله عليه بالغلبة على اعدا الدين وايما الى اعلا كلمة اليقين هذا وحديث
ابي هريرة في الفصل الثالث مما يدل صريحا ان تلك العصابة كانوا مسلمين واما زعم فكثيرا
يستعمل بمعنى القول المحقق والله اعلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيهم اي
ح وهذا يحتمل ان يكون قبل القضية المذكورة او بعد القضية المسطورة بعد ما وقع
فيما بينهم من الهدنة فمرت سحابة فنظروا اليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تسمون
هذه ما استفهامية بمعنى التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمقصود التثبيت
ضد الانكار اي اي شي تسمون هذه اشارة الى السحابة وهو مفعول ثان تسمون
والاول لفظة ما قالوا السحاب بالنصب اي نسميه السحاب ويجوز رفعه على
انه خبر مبتدا محذوف اي هي السحاب والمعنى ان هذه واحدة من جملة جنس السحاب
قال والمزن اي وتسمونها ايضا المزن قالوا والمزن ان تسميتها ايضا ففي النهاية
هو الغيم والسحاب واحدته مزنة وقيل هي السحابة البيضا زاد البيضاوي وماوه
ابيض ومنه قوله تعالى انتم انزلتموه من المزن قال والعنان قالوا والعنان كسحاب
زنة ومعنى من عن اي ظهر وفي النهاية الواحدة عنانة وقيل ما عن لك فيها ان اعترض
وبدا لك اذا رفعت راسك وحاصله انه صلى الله عليه وسلم لما اطعمهم في الكلام وبين لهم
معرفته بلغاتهم المختلفة في مقام المرام تدريجا بالانتقال من معلومهم الى مجهولهم
وترقيا من الخلق الى الحق قال هل تدرون ما بعد ما بين السما والارض اي ما
مقدار بعد مسافة ما بينهما قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان
او ثلاث وسبعون سنة الشك من الراوي كذا قيل والتشريع لاختلاف اماكن
الصاعد والهاوي وبهذا يظهر صحة ما قال الطيبي والمراد بالسبعون في الحديث

ووقع سعد وجل

التكثير لا التحديد بدليل ما ورد من ان بين السما والارض وبين كل سما وسما مسيرة خمسمائة عام اي
سنة والتكثير هنا ابلغ والمقام له ادعى والسبعون بالرفع ويجوز النصب التي فوقها اي فوق سما
الدنيا كذلك اي في البعد حتى عد سبع سموات اي هذه الهيئات ثم فوق السما السابعة
بحر اي عظيم بين اعلاه واسفله كما بين سما الى سما ثم فوق ذلك اي البحر ثمانية اوعال
جمع وعل وهو العنز الوحشي ويقال له تيس شاة الجبل بين اظلافهن جمع ظلف بكسر الظا
المعجمة للبقر والشاة والظبي بمنزلة الحافر للدابة والخف للبعير وركبهن بفتح فكسر
اي ما فوق افخاذهن مثل ما بين سما الى سما قيل المراد بهن الملائكة على اشكال
الاوعال ويلائمه قوله ثم على ظهورهن العرش اي محمولة كما قال تعالى الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم بين اسفله اي العرش واعلاه ما بين سما الى
سما اي من كثرة البعد مع قطع النظر عن الحد والا فجميع المخلوقات بجنب العرش كحلقة
في فلاة على ما ورد به في حديث ثم الله اي وسعة علمه او اتساع قدرته في مكانه فوق
ذلك قال الطيبي اراد صلى الله عليه وسلم ان يشغلهم عن السفليات الى العلويات والتفكر
في ملكوت السموات والعرش ثم يترقوا الى معرفة خالقهم ورازقهم ويستنكفوا
عن عبادة الاصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام فاخذ في الترقي من السحاب ثم من
السموات ثم من البحر ثم من الاوعال ثم من العرش الى ذي العرش والفوقية بحسب العظمة
لا المكان فالمعنى انه علي الشان عظيم البرهان وقال شارح اي فوق العرش حكما
وعظمة واستيلا رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم قال اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعرابي اي جاه اعرابي اي بدوي فقال جهدت الانفس بصيغة المجهول من
الجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة والمعنى حملت فوق طاقتها وجاع العيال عيال
الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والاولاد والعبيد ونحو ذلك
ونهكت بضم النون وكسر الهاء اي نقصت الاموال اي التي تنمو من الامطار وهلكت الانعام
وهو جمع نعم محركة الابل والبقر والغنم كما اخبر الله عنها بقوله ثمانية ازواج فاستسق
الله لنا اي اطلب الله السقي بالمطر من اجل معاشنا الذي هو زاد معادنا فانا
نستشفع اي نطلب الشفاعة بك اي بوجودك وحرمتك ونقطع على الله ونستشفع
بالله اي نستجير ونستغيث به عليك فان تشفع لنا عنده بان يوفقك على مساعدتنا
لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهما للتساوي في القدر او التشارك في الامر والحال
ان الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقا وقال تعالى ليس لك من الامر شي وقال من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى انكر النبي عليه السلام واستعظم الامر
تنزيها وتعجبا من هذه النسبة اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله اي تنزيها له
عن المشاركة سبحان الله كرره تاكيدا وذكر الثاني تعجبا فما زال يسبح حتى عرف ذلك
بصيغة المجهول اي حتى تبين اثر ذلك التغير في وجوه اصحابه لانهم فهموا من تكرير
تسبيحه انه صلى الله عليه وسلم غضب من ذلك فخافوا من غضبه فتغيرت وجوههم
خوفا من الله تعالى فلما اثر منهم الخوف عرف لهم وقطع التسبيح والتفت اليهم ثم قال ويحك
بمعنى ويلك الا ان الاول فيه معنى الشفقة عن المزلة والملامة والثاني دعا عليه
بالهلكة والعقوبة والمعنى اعلم ايها المتكلم الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه انه اي الشان

لا يستشفع بصيغة المجهول بالله على احد شان الله استيناف تعليل اي لان شانه العلي
وبرهانه الجلي اعظم من ذلك اي من ان يستشفع به على احد قال الطيبي يقال استشفعت
بفلان على فلان ليشفع لي اليه وتشفعه اجاب شفاعته ولما قيل ان الشفاعة هي الانضمام
الى اخر ناصرا له وسايلا عنه الى ذي سلطان عظيم منعه صلى الله عليه وسلم ان يستشفع
بالله على احد وقوله ذلك اشارة الى اثر هيبة او خوف استشعرت قوله سبحان الله
تنزيها عما نسب الى الله تعالى من الاستشفاع به على احد وتكراره مرارا وتكلم كلمة تاكيدا
للزجر وتنبيها لامره اتدري ما الله اي عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريايه وجبروته
ان عرشه على سمواته اي محيط بها من جميع جهاتها لهكذا بفتح اللام الابتداييه دخلت
على خبر ان تاكيدا للحكم وقال باصابعه اي اشار بها فعلا بيان للمشار اليه قولا مثل القبة
عليه حال من العرش اي مماثلا انها على ما في جوفها قال الطيبي هو حال لمعنى المشار
به وفي قال معنى الاشارة اي اشار باصابعه الى مشابهة هذه الهيئة وهي الهيئة
الحاصلة للاصابع الموضوعة على الكف مثل حال الاشارة وانه اي العرش مع ما وصف
به من المجد والكرم والسعة والعظمة ليئط بكسر الهمز وتشديد المهملة اي ليتضايق وتعجز
عن القيام به اي بكل موقفه عن سعة علمه واحاطة عظمته حيث يئط لا يركبه ويرتعد
لراكبه من اعلا جلاله وهيبته اطيط الرحل بالراكب اي كاطيط الرحل بالراكب انما تكون
لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله قال الخطابي هذا الكلام اذا اجري على ظاهره كان فيه نوع
من الكيفية والكيفية عن الله سبحانه وصفاته منفية فعلم انه ليس المراد منه تحقيق
هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة
الله تعالى في النفوس وافهام السايل من حيث يدركه فهمه اذ كان اعرابيا جافيا لا علم
له بمعاني ما دق من الكلام وقد بعد التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله وجلاله
في نفس السايل وان من يكون كذلك لا يجعل شفيعا الى من هو دونه اقول ويمكن
ان معنى يئط يصوت بالتسبيح والتنزيه من عظمة الله واياته حيث تحتي
العرش من موقفه ذاته وصفاته كصوت الرحل الجديد بالراكب الثقيل التشديد
والله اعلم بالقول السديد رواه ابو داود وعن جابر بن عبد الله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذن ان احدث عن ملك اي عن وصف ملك عظيم
من ملايكة الله اي المعظمين لقوله من حملة العرش فانهم اقوى من غيرهم لان المطايا
على قدر العطايا ان بفتح الهمز وبكسر ما بين شحمة اذنه الى عاتقه ورواية الجامع بصيغة
الاواو فيها مسيرة سبعماية عام يعني فنفس الباقي على هذا النظام رواه ابو داود
وكذا الضيا وعن زرارة بن ابي اوفى بضم الزاي قال المولف له صحبة مات في زمن
عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل رايت ربك
فانتفض جبريل اي ارتعد ارتعادا شديدا من عظمة ذلك السوال ومن هيبة
ما سمع من المقال قيل فيه دليل على حقيقة روية الله تعالى في دار البقا فانه لو
كانت مستحيلة ما سال النبي صلى الله عليه وسلم لكن اختلف في ان الملايكة يرون
الله تعالى ام لا ثم لما كان الروية غالبا تنبي عن القربة فارتعد جبريل من الهيبة وقال
يا محمد ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور قال شارح وهو عبارة عن كمال

الله ونقصان

ووعـ ـ الله عز وجل

الله ونقصان جبريل والحجاب من طرف جبريل انتهى والمعنى ان المحجوب هو صفة المخلوق الموصوف
بنعت النقصان واما الخالق ذو الجلال المنعوت بوصف الكمال فلا يحجبه شيء ولو من انوار
الجمال لو دنوت اي قربت قدر انملة كما في رواية من بعضها اي من بعض جميع تلك الحجب النورانية
على فرض المحال والا فما منا الا له مقام معلوم لاحترقت اي من اثر ذلك النور الذي يغلب النار
في الظهور فان النار يقول جز يا مومن فان نورك اطفا لهبي فكيف بنور ربي وهو حسبي
هكذا اي لفظ الحديث في المصابيح اي عن زرارة ورواه ابو نعيم في الحلية عن انس الا انه
اي انس لم يذكر فانتفض جبريل وفي الجامع برواية الطبراني في الاوسط عن انس
سالت جبريل هل ترى ربك قال ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رايت ادناها
لاحترقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق اسرافيل منذ يوم خلقه بفتح الميم على الاضافة وفي نسخة بالجر منونا
صافا فالتبشد يدلها اي حال كون اسرافيل واقفا قدميه مفعول صافا واعلم ان منذ
بضم الميم وتكسر وهو مبني على الضم وما بعده اسم مجرور ومرفوع فعلى الجر بمعنى من في الماضي
وبمعنى في في الحاضر وقال المظهر منذ ههنا حرف جر وهو بمعنى في وقال الطيبي
صافا حال من اسرافيل لا من ضميره المنصوب ومنذ يوم ظرف لصافا وليس بمعنى في
وقال الدار حدثني اتفقوا ان مذ ومنذ انما يدخلان اسماء الزمان قالوا ان اريد بهما ابتدا الزمان
الماضي الذي انتهاؤه انت فيه يكونان للابتدا نحو ما رايته مذ يومين او مذ سنة كذا اي
انتفى الروية من ابتدا يومين الى اخرهما وليس بمعنى في وان قال به بعض لان
المفهوم منهما نفي الروية في مدة معينة انت في اخرها مقصود انه ابتداوها وانتهاوها
المعنى ان الله تعالى خلق اسرافيل صافا قدميه من اول مرة خلقه لا يرفع بصره الى
السما فوقه او لا يرفع نظره عن اللوح المحفوظ خوفا بينه وبين الرب تبارك وتعالى
سبعون نورا اي من انوار الحجاب واسرار النقاب واستار التعاب حتى لا يعرفه غيره قاله
تعالى ولا يحيطون به علما ما منها اي ليس من السبعين من نور يدنو اي يقرب منه
اسرافيل خوفا الا احترق اي من ذلك النور الذي فوق طاقة نظر اسرافيل رواه الترمذي
وصححه وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم وذريته اي يوم الميثاق
او بعده قالت الملايكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون وينكحون بكسر الكاف اي يطاون
ويتزوجون ويركبون اي على الدواب في البر وعلى السفن في البحر فاجعل لهم الدنيا اي بطريق
الدوام والبقا او اجعل لهم الدنيا فقط ولنا الاخرة اي نعيمها لحرماننا عن الحظوظ المذكورة
في الدنيا تعادلا بيننا قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدي بصيغة التثنية وروي
بالافراد قال الطيبي قوله لا اجعل يحتمل ان يكون نفيا لا اجعل وان يكون كلمة لا ردا
لقولهم ثم يبتدي بالجملة الاستفهامية انكارا عليهم وهو ابلغ بمعنى اكثر مبالغة
بلا غمو فانه يدل على النفي مكررا وان كان الاول هو الاظهر فتدبر والمعنى لا اجعل عاقبة
من خلقته بغير واسطة على سبيل التدريج مركبا من معجون ~~الكمال~~ الكمال المشتمل
على قابليته الهداية والضلال واستعداد مظهرية الجمال والجلال ونفخت فيه من
روحي اي بعد تربيته بكمال جسده وتصويره بشكل كما تشتهي تعاله وتقتضي لمن
قلت له كن اي بالخلق الاتي فكان اي من غير التواني قال الطيبي اي لا يستوي في الكرامة

من خلقته بنفسي ولا وكلت خلقته الي احد ونفخت فيه من روحي وهو ادم واولاده مع
من تكون بمجرد الامر بقوله كن وهو الملك فاضافة الروح الي نفسه اضافة تشريف كقوله
بيت الله وناقة الله اي لا يستوي البشر والملك في الكرامة والقربة بل كرامة البشر
اكثر ومنزلته اعلي وهذا من جملة ما يستدل به اهل السنة في تفضيل البشر علي الملك اقول
ووجهه والله اعلم ان الملك خلق معصوما فصار عن الجحيم ممنوعا وعن النعيم محروما والبشر
خلق ممتحنا بالطاعة والمعصية ومبتلوا بالعطية والبلية فمن قام بحقها استحق الثواب
~~والبشر خلق ممتحنا بالطاعة والمعصية ومبتلوا بالعطية والبلية فمن قام بحقها~~ الفصل
الثالث عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن الكامل
من الانبيا والاوليا اكرم علي الله من بعض ملايكته وهم خواصهم او عوامهم من اهل الاصطفا
وقال الطيبي يراد بالمومن عوامهم وببعض الملايكة ايضا عوامهم قال محيي السنة في
تفسير قوله تعالي ولقد كرمنا بني ادم الاولي ان يقال عوام المومنين افضل من عوام
الملايكة وخواص المومنين افضل من خواص الملايكة قال تعالي ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية ويستدل به اهل السنة في تفضيل الانبيا علي الملايكة
انتهي ولا يخفي ان المراد بخواص المومنين الرسل والانبيا وبخواص الملايكة نحو جبريل
وميكاييل واسرافيل وعوام المومنين الكمل من الاوليا والخلفا وساير العلما وبعوام
الملايكة ساير هم وهذا التفسير اولي من اجمال بعضهم في قوله ان البشر افضل من الملك
بمعني ان هذا الجنس لما وجد فيهم الكمل من الرسل او الاكمل افضل من هذا الجنس لعدم
وجودهم فيهم فتامل رواه ابن ماجة قلت حديث المومن اعظم حرمة من الكعبة في ابن
ماجة بسند بين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ونظر الي الكعبة لحرمة المومن اعظم
عند الله حرمة منك وهو بعض حديث طويل وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي اشارة الي كمال قربة دلالة علي تمام حفظه ولعل في اخذ يده ايما الي تعداد
الخمسة مع قطع النظر عن خلق ادم بعد الجمعة فانه بمنزلة العلة الغايية والفذلكة الاجمالية فقال
خلق الله التربة اي التراب وهو الارض يوم السبت وكان المراد به اخر يوم المسمي بعشية الاحد فلها
حكمه فلا ينافي قوله تعالي ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب
وخلق فيها الجبال يوم الاحد وهذا معني قوله تعالي اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه اي
جنسه يوم الثلاثا بالمد قال عز وجل وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي في تتمة الاربعة وخلق
النور بالراو في نسخة بالنون في اخره قال الاكمل هو بالراء المسلم ولغيره بالنون وهو الحوت ويكون
خلقها في الاربعا والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره انتهي والظاهر ان المراد بالنور هو نفسه وما فيه
ظهوره فيناسب قوله تعالي ثم استوي الي السما ~~فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء~~ عليم وهي دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحي في كل
سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم يوم الاربعا بفتح
الهمزة وكسر الموحدة ممدودا وفي القاموس مثلثة البا ممدودة واعلم ان لفظ النور كذا في النسخ المصححة
والاصول المعتمدة وبث فيها الدواب اي وفرقها في الارض بعد خلق اصولها يوم الخميس وهو لا ينافي
ما سبق من انه قضاهن سبع سموات وخلقهن في يومين وخلق ادم بعد العصر في يوم الجمعة في اخر الخلق

اي لكونه

وقعـ ـــــــــ عز وجل

اي لكونه الفذلكة الاجمالية وبمنزلة العلية الغايية واخر ساعة من النهار اي وفي اخر ساعة من نهار الجمعة ورواية
الجامع في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الي الليل وهي الساعة المرجوة للاجابة في يوم الجمعة
عند جماعة من الايمة رواه مسلم وكذا احمد في مسنده مرفوعا لكن قال ابن كثير في تفسيره ما ملخصه هو ان
هذا الحديث من غرايب صحيح مسلم وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب الاحبار وان ابا هريرة
انما سمعه من كعب وانما اشتبه علي بعض الرواة فجعله مرفوعا والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اي معه جلوس اذ اتي عليهم اي مر سحاب
وفي نسخة سحابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا اي السحاب قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذه اي السحابة فالتعبير بالتانيث للوحدة وبالتذكير للجنس من باب التفنن العنان بفتح
العين من عن اي ظهر كما سبق هذه روايا الارض قيل التقدير بل هذه وهو غير ظاهر ففي النهاية سمي
السحاب روايا البلاد والروايا من الابل الحوامل للما واحدتها راوية فشبهها بها سميت المراة راوية وقيل
بالعكس يسوقها الله اي يجريها ويامر بسوقها الي قوم لا يشكرونه اي بل يكفرونه حيث ينسبون
المطر الي اقتران النجوم وافتراقها وغروبها وطلوعها ويقولون مطرنا بنوء كذا ولا يدعونه اي
لا يذكرون الله ولا يطلبون منه ولا يعبدونه بل يعبدون الاصنام وهو يعمهم كرمه برزقهم
وحيا فيهم كساير الانام وباقي الانعام ثم قال تدرون ما فوقكم اي من السما قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها
الرقيع وهو اسم لسما الدنيا وقيل لكل سما والجمع ارقعة سقف محفوظ وموج مكفوف اي ممنوع
من الاسترسال والمعني ان الله تعالي حفظها عن السقوط علي الارض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف
ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها اي مقدار ما بين الارض والسما قالوا الله ورسوله اعلم قال
بينكم وبينها خمسماية عام اي مسيرتها ومسافتها ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك اي المحسوس
او المذكور من سما الدنيا قالوا الله ورسوله اعلم قال سماان اي سما بعد سما بعد ما بينهما مسيرة
خمسماية سنة ثم قال كذلك اي سماان مرتين اخريين حتي عد سبع سموات اي لكمل عدد
السبع منهن ما بين كل سماين ما بين السما والارض اي كما بينهما من خمسماية عام ففيه نوع
تفنن في العبارة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك اي المذكورة قالوا الله ورسوله اعلم ان فوق
ذلك بالنصب علي انه ظرف وقع خبرا مقدما لان قوله العرش بالنصب علي انه اسم له وبينه وبين
السما اي السابعة بعد ما بين السماين اي من السموات السبع ثم قال هل تدرون ما الذي
تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض اي العليا ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك
اي المشار اليه قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخري بينهما مسيرة خمسماية سنة
اي وهكذا ذكر ارضا بعد اخري حتي عد سبع ارضين بفتح الرا وبسكن بين كل ارضين بالتثنية
اي بين كل ارضين منها مسيرة خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم
بتشديد اللام المفتوحة من دليت الدلو ودليتها اذا ارسلتها في البير ومنه قوله تعالي فادلي
دلوه علي التجريد او التاكيد والمعني لو ارسلتم بحبل الي الارض السفلي لهبط بفتح الموحدة
اي لنزل علي الله اي علي علمه وملكه كما صرح به الترمذي في كلامه الاتي والمعني انه تعالي محيط
بعلم وقدرة علي سفليات ملكه كما في علويات ملكوته دفعا لما عسي يختلج في وهم من لا فهم
له ان لها اختصاصا بالعلو دون السفل ولهذا قيل كان معراج يونس عليه السلام في بطن
الحوت كما ان معراج نبينا صلى الله عليه وسلم كان في ظهر السما فالقرب بالنسبة في مرآة استوا
كما اخبر عن قربه لعلمه من العبيد بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد حاشا ان يتفاوت القرب

للمعنوي بالتشريف اللدني ومن قرب الفرايض وقرب النوافل كما هو مقرر في محله ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا او ابو هريرة اعتضادا هو الاول اي القديم الذي ليس له
ابتدا والاخر اي الباقي الذي ليس لها نتها والظاهر اي بالصفات والباطن اي بالذات وهو
بكل شي اي من العلويات والسفليات والجزئيات والكليات عليم اي بالغ في كمال العلم
به محيط علمه بجوانبه رواه احمد والترمذي وقال الترمذي قراة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاية اي المذكورة تدل على انه اراد يهبط على علم الله وقدرته وسلطانه قال
الطيبي اما علمه تعالى فهو بكل شي عليم واما قدرته فمن قوله هو الاول والاخر اي
هو الاول الذي يبدي كل شي ويخرجهم من العدم الى الوجود والاخر الذي يفني كل شي
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام واما سلطانه فمن قوله والظاهر
والباطن قال الازهري يقال ظهرت على فلان اذا غلبته والمعنى هو الغالب الذي يغلب
ولا يغلب ويتصرف في المكونات على سبيل الغلبة والاستيلا اذ ليس فوقه احد يمنعه
والباطن هو الذي لا ملجا ولا منجا دونه ثم قال الترمذي وعلم الله وقدرته وسلطانه
في كل مكان اي يستوي فيه العلويات والسفليات وما بينهما كما ان هذه الصفات
موجودة في كل زمان بل قبل ان يخلق الزمان والمكان وهو على العرش كما وصف
نفسه في كتابه قال الطيبي الكاف في كما منصوب على المصدر اي هو مستو
على العرش استوا مثل ما وصف به نفسه في كتابه وهو مستاثر بعلمه
باستوايه عليه وفي قول الترمذي اشعار الى ان لابد لقوله لهبط على الله
من هذا التاويل المذكور ولقوله على العرش استوى من تفويض علمه اليه
تعالى والامساك عن تاويله كما سبق ان بعضا من خلاف الظاهر يحتاج الى التاويل ومنها
ما لا يجوز الخوض فيه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كان طول ادم ستين ذراعا في سبع اذرع عرضا قال الحافظ يحتمل ان يريد بقدر
ذراع نفسه وان يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين والاول اظهر
لان ذراع كل احد بقدر ربعه فلو كان بالذراع المتعارف لكانت يده قصيرة في جنب
طول جسده والله اعلم اقول في القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف
الاصبع الوسطى والساعد وقد يذكر فيهما جمع اذرع بفتح الهمزة وضم الراو وقد تقدم في
حديث المتفق عليه ان الله تعالى خلق ادم وطوله ستون ذراعا فالاولى ان يقال
المراد بالذراع طولا هو المتعارف المتبادر الى الفهم الذي يحصل به العلم والمراد به عرضا
ذراعه باعتبار ربعه يده وبه يحصل الجمع ويندفع الدور الذي هو في مرتبة المنع
وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي الانبيا اي اي فرد منهم كان اول بالنصب اي
اسبق قال ادم بالرفع على تقدير هو قلت يا رسول الله ونبي كان قال الطيبي لابد
فيه من تقدير همزة الاستفهام للتقرير لما قال اولا اي الانبيا فاجيب بقوله ادم اي
او هو نبي كان قال نعم هو نبي ذكر نبي بعد قوله نعم ليتبط به قوله مكلم اي لم يكن
نبيا فقط بل كان نبيا مكلما انزل عليه الصحف قلت يا رسول الله كم المرسلون الكشاف
في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي

وعـــــــلله عز وجل

والفرق بينهما ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من
لم ينزل عليه كتاب وانما امران يدعو الى شريعة من قبله انتهى والمشهور في الفرق بينهما ان
الرسول من امر بالتبليغ والنبي اعم والله اعلم قال ثلثماية وبضعة عشر ابهم العدد اشعارا بعدم
الجزم كما لايزيد او ينقص في الحد جما غفيرا اي جمعا كثيرا في النهاية اي مجتمعين كثيرين
واصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة والغفير من الغفر وهو التغطية والستر فجعلت
في موضع الشمول والاحاطة ولم تقل العرب الجما الاموصوفة وهو منصوب على المصدر كطرا
وقاطبة فانها اسما وضعت موضع المصدر وفي رواية عن ابي امامة الظاهران المراد به ليس ابا
امامة الباهلي فانه صحابي جليل بل هو ابو امامة سهل بن حنيف الانصاري الاوسي ولد
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعامين ولم يسمع منه شيا لصغره ولذلك قد
ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة واثبته ابن عبد البر في جملة الصحابة ثم قال وهو احد
الجلة من العلما من كبار التابعين بالمدينة سمع اباه وابا سعيد وغيرهما روى عنه
نفر مات سنة ماية وله اثنان وتسعون سنة كذا ذكره المولف قال ابو ذر قلت
يا رسول الله كم وفا عدة الانبيا اي كم كمال عددهم قال ماية واربعة وعشرون
الفا الرسل من ذلك ثلاثماية وخمسة عشر جما غفيرا العدد في هذا الحديث وان كان
مجزوما به لكنه ليس بمقطوع فيجب الايمان بالانبيا والرسل مجملا من غير حصر في
عدد لئلا يخرج احد منهم ولا يدخل احد من غيرهم فيهم وعن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى استيناف فيه معنى التعليل
والمعنى لانه سبحانه اخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح اي لعدم تاثير
الخبر فيه تاثيرا زايدا باعثا على الغضب الموجب للالقا فلما عاين ما صنعوا القى الالواح
اي غضبا لله على قومه لمخالفة دينه فانكسرت اي الالواح من شدة القايه اياها لغاية
على كثرة غضبه في القايها اي بانها ان تنتقع لاهل الايمان فاذا اختاروا الكفر والطغيان
لم يبق فايدة في ابقايها لكن الظاهر انه ما فات شي منهم من كسرها قال الطيبي قوله ان الله
الى اخره استشهاد وتقرير لمعنى قوله ليس الخبر كالمعاينة فانه تعالى لما قال انا قد فتنا
قومك من بعدك واضلهم السامري عند نزول الواح التورية عليه لم يلق الالواح فلما
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بيس ما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر
ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه روى الاحاديث الثلاثة احمد ووافقه
الطبراني في الاوسط والحاكم في مستدركه عن ابن عباس وروى الطبراني صدر
الحديث فقط وهو قوله ليس الخبر كالمعاينة عن انس وكذا الخطيب عن ابي هريرة

باب فضايل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

اعلم ان تفضيل فضايله وتحصيل شمايله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مما لا يحد ولا
يحصى بل ولا يمكن ان يعد ويستقصى وانما ذكر مولف الكتاب في هذا الباب شمة من
شمايله ولمعة من فضايله تدل على بقية خصايله الفصل الاول عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت اي ولدت من خير قرون
بني ادم اعلم ان معنى الخيرية في هذا الحديث والاصطفا يية في الذي يليه المذكوران
في حق القبايل ليس باعتبار الديانة بل باعتبار الخصايل الحميدة والشمايل السعيدة

قرنا فقرنا قيل انه حال للتفضيل والفا فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من القرن السابق
الى القرن اللاحق وقيل لعليه قوله حتى كنت اي مرت من القرن الذي كنت فيه اي وجدت والقرن
من الناس اهل زمان واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وفي شرح السنة القرن
كل طبقة مقترنين في وقت قيل سمي قرنا لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم وهو مصدر قرنت اي
وصلت وجعل اسما للوقت او لاهله وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وقيل مائة
انتهى والقول الاول هو المراد هنا فالمعنى بعثت من خير طبقات بني ادم كائنين طبقة بعد
طبقة حتى كنت من القرن الذي كنت فيه ففيه تفضيله على غيره من بني ادم وعلى تفضيل
امته على سائر الامم قال الطيبي قوله حتى كنت غاية قوله بعثت والمراد بالبعث تقلبه
في اصلاب الاباء ابا فابا قرنا فقرنا حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه يعني انتقلت اولا من
صلب ولد اسماعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بني هاشم فالفاء في قوله قرنا
فقرنا للترتيب على سبيل الترقي الاباء الابعد الى الاقرب فالاقرب كما في قولك خذ الافضل
فالاكمل واعمل الاحسن والاجمل وفي معناه انشد ابن الرومي كم من اب قد علا بابن
ذوي شرف كما علا برسول الله عدنان وفي قولنا حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه نسخة
لما روى الامام ابن الجوزي في كتاب الوفا عن كعب الاحبار قال لما اراد الله عز وجل ان
يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه السلام فاتاه بالقبضة البيضا التي هي موضع
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التسنيم فغمست في انهار الجنة وطيف بها في السموات
والارض فعرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان يعرف آدم ثم كان نور محمد يرى في غرة
جبهة ادم وقيل له يا ادم هذا سيد ولدك من المرسلين فلما حملت حوا بشيث انتقل النور
من ادم الى حوا وكانت تلد في كل بطن ولدين ولدين الا شيثا فانه ولدته وحده كرامة لمحمد
صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل ينتقل من طاهر الى طاهر الى ان ولدته امنة من عبد الله بن عبد
المطلب انتهى وقد ذكرت مجملا من احوال ولادته صلى الله عليه وسلم في رسالة سميتها بالمورد
في المولد رواه البخاري وعن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اصطفى كنانة بكسر الكاف ابن خزيمة ابو قبيلة كذا في القاموس من ولد
اسماعيل بفتح الواو واللام وبالضم والسكون اي من اولاده واصطفى قريشا من كنانة
وهم اولاد نضر بن كنانة كانوا تفرقوا في البلاد فجمعهم قصي بن كلاب في مكة فسموا قريشا
لانه قرشهم اي جمعهم ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يسمون قريشا لانهم لم يتقرشوا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم في شرح السنة هو ابو القاسم محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان انتهى وقد
ضبطت الاسما المذكورة في رسالتي المسماة المسطورة رواه مسلم وكذا الترمذي على ما في
الجامع وفي رواية الترمذي اي واثلة ايضا ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل
واصطفى من ولد اسماعيل كنانة وتمام الحديث على ما في الجامع واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة في

شرح

شرح مسلم للنووي قال الهروي السيد هو الذي يفوق قومه في الخير وقال غيره هو
الذي يفزع اليه في النوائب والشدائد فيقوم بامورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها
عنهم والتقييد بيوم القيامة مع انه صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة معناه
انه يظهر يوم القيامة سودده بلا منازع ولا معاند بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك
الكفار وزعما المشركين وهو قريب من معنى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار مع ان الملك له قبل ذلك لكن كان في الدنيا من يدعي الملك او من يضاف اليه
مجازا فانقطع كل ذلك في الاخرة وفي الحديث دليل على فضله صلى الله عليه وسلم على
كل الخلق لان مذهب اهل السنة ان الادمي افضل من الملائكة وهو صلى الله عليه
وسلم افضل الادميين بهذا الحديث وغيره واما الحديث الاخر لا تفضلوا بين الانبيا
فجوابه من خمسة اوجه احدها انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل ان يعلم انه سيد ولد
ادم والثاني قاله ادبا وتواضعا والثالث ان المنهي انما هو من تفضيل يؤدي الى
تنقيص المفضول والرابع انما نهى عن تفضيل يؤدي الى الخصومة والفتنة
والخامس ان النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة ولا تفاضل فيها وانما
التفاضل في الخصائص وفضائل اخرى ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقد قال ايضا ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض واول من ينشق عنه الارض قبري اي فهو اول من يبعث من قبره
ويحضر في المحشر كما رواه الترمذي عن انس انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ
بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر انا اول
من ينشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر
اهل مكة وفي رواية للترمذي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه الارض
فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم
ذلك المقام غيري واول شافع اي في ذلك المحضر واول مشفع بتشديد الفا المفتوحة
اي اول من يقبل شفاعته على الاطلاق في انواع الشفاعات وفيه دليل ايضا على انه
صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقات واكمل الموجودات رواه مسلم وكذا ابو داود وفي رواية
احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
الارض عنه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وعن انس رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الانبيا تبعا بفتحتين
جمع تابع اي اتباعا يوم القيامة لان امته ثلثا اهل الجنة على ما سبق في الحديث
وفيه اشعار بان اكثرية الاتباع يوجب افضلية المتبوع فابو حنيفة رحمه الله له حظ
عظيم ونصيب جسيم من ذلك فان غالب اهل الاسلام من اتباعه في فروع الاحكام
وكذلك الامام من بين فرق الانام وانا اول من يقرع بفتح الراء اي يدق ويستفتح
له فيدخلها رواه مسلم وروى ابن النجار عن انس ايضا انا اول من يدق باب
الجنة فلم تسمع الاذان احسن من طنين الحلق على تلك المصاريع وعن انس رضي

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي اي اجي باب الجنة يوم القيامة
فاستفتح اي اطلب فتحه فيقول الخازن من انت سمي الموكل لحفظ الجنة خازنا لان
الجنة خزانة الله تعالى اعدها الله للمومنين وهو حافظها فاقول محمد اي انا محمد فيقول
بك اي بفتح الباب لك قبل غيرك من الانبيا امرت ان لا افتح لاحد قبلك قال الطيبي بك
متعلق بامرت والبا للسببية قدمت للتخصيص والمعنى لسببك امرت بان لا افتح
لغيرك لا لشي اخر ويجوز ان تكون صلة للفعل وان لا افتح بدلا من الضمير المجرور
اي امرت بان لا افتح لاحد غيرك رواه مسلم وعنه اي عن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول شفيع في الجنة قال المظهر اي انا اول شافع
للعصاة من امتي في دخول الجنة وقيل اي انا اول شافع في الجنة برفع درجات الناس
فيها لم يصدق نبي من الانبيا ما صدقت ما مصدرية اي لم يصدق نبي تصديقا
مثل تصديق امتي اياي يعني به كثرة مصدقيه قال المظهر وهو كناية عن
انه صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا امة ويؤيده قوله وان من الانبيا نبيا ما صدقه الا
رجل واحد رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثلي اي صفتي العجيبة الشان الغريبة البرهان ومثل الانبيا اي من
الاخوان في اساس البيان من التوحيد وتحقيق الايمان وتدقيق الاتقان
مما يوجب مرتبة القرب والاحسان كمثل قصر اي بنا مرتفع احسن بنيانه
اي زين بنائه كانه ترك منه اي من القصر موضع لبنة والجملة استيناف بيان او حال
بتقدير قد او بدونه فطاف به النظار بضم النون وتشديد الظا المعجمة اي دار به
الحاضرون وتفرج في جانبه الناظرون يتعجبون من حسن بنيانه اي يستحسنون
انواع اركانه الا موضع تلك اللبنة فانه خارج عن موضع الاستحسان داخل في
موضع الاستغراب فكنت انا سددت موضع اللبنة اي قصرت انا ضمير فصل للتاكيد وافادة
الحصر على وجه التابيد سددت موضع اللبنة اي لكوني خاتم النبيين ختم
بي البنيان حال او استيناف بيان والمراد به بنيان الدين المشبه بذلك
البنيان وختم بي الرسل الظاهر انه هنا بمعنى الانبيا اما على القول بالترادف او
باعتبار التغليب لان الرسول نبي امر بالتبليغ ويدل عليه قوله وفي رواية
فانا اللبنة وانا خاتم النبيين بكسر التا وبفتح فيهما اي الى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال الطيبي هذا من التشبيه التمثيلي شبه الانبيا
وما بعثوا به من الهدى والعلم وارشاد الناس الى مكارم الاخلاق بقصر شيد
بنيانه واحسن بناوه لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث
نبينا لسد ذلك الخلل مع مشاركته اياهم في تاسيس القواعد ورفع البنيان
هنا على ان يكون الاستثنا من حيث المعنى منقطعا ويجوز ان يكون متصلا من حيث
المعنى اذ حاصل المعنى لعجبهم المواضع الا موضع تلك اللبنة وليس ذلك المصلح الا
ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يتمنيه اهل العرفان وقوله
انا سددت موضع اللبنة يحتمل ان يكون هو لسادذ اللبنة ذلك الموضع وان

ليسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة ويؤيده هذا الرواية الاخرى من قوله فانا اللبنة متفق عليه
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
الانبيا من نبي زيدت من الثانية للمبالغة والاولى التبعيض والمعنى ليس نبي
من الانبيا الا قد وفي الجامع الا وقد اعطي من الايات اي المعجزات وخوارق العادات
ومن بيان لما في قوله ما مثله امن عليه البشر وفي موصولة ومثله مبتدا وامن
خبره وعليه يتعلق بامن لتضمنه معنى الاطلاع كانه قال امن للاطلاع عليه البشر او
حال بمحذوف اي امن البشر واقفا او مطلقا عليه والمفعول محذوف والمعنى ان كل
نبي قد اعطي من المعجزات ما اذا شوهد واطلع عليه ادعى الشاهد الى تصديقه فاذا
انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة هذا ما صححه بعض الشراح من علمائنا وقال الطيبي
من فيه بيانية ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفي وما في مثله موصولة وقعت
مفعولا ثانيا لاعطي ومثله مبتدا وامن خبره والجملة صلة الموصول والراجع الى
الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال اي مغلوبا عليه في التحدي والمباراة
والمراد بالايات المعجزات وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى فاتوا بسورة من
مثله اي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم نفي
ليس نبي من الانبيا الا قد اعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوة الشي الذي من صفته
انه اذا شوهد اضطر الشاهد الى الايمان به وتحريره ان كل نبي اختص بما تثبت دعواه من خارق
العادات بحسب زمانه فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزات كقلب العصا ثعبانا في زمان موسى
عليه السلام واخراج اليد البيضا لان الغلبة في زمانه السحر فاتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم الى الايمان
وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فاتاهم بما هو اعلى من الطب وهو احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
وفي زمن رسولنا صلى الله عليه وسلم البلاغة والفصاحة فجا القران وابطل الكل انتهى وفيه تامل من
جهة قوله ابطل الكل فالصواب ان يقال فجا القران معجزة مستمرة دايمة الى انقراض الزمان بل ابد
الاباد لما يتلى في درجات الجنان بل يسمع من كلام الرحمن وهذا معنى قوله وانما كان الذي
اوتيت وفي الجامع اوتيته والموصول صفة المحذوف اي كان خرق العادات الذي اعطيته بالخصوص
وحيا اي كلاما منزلا علي انزل به الروح الامين اوحى الله الي اي لا غيره فالمراد بالوحي هنا القران
الذي هو في نفسه دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما لا ينقرض معجزات غيره قال
القاضي وغيره اي معظم الذي اوتيته وافيده اذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما اوتيته والمراد
بالوحي القران البالغ اقصى غاية الاعجاز في النظم والمعنى وهو اكثر فايدة واعم منفعة من سائر
المعجزات فانه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والاعصار وينتفع به الحاضرون
عند الوحي المشاهدون له والغايبون عنه والموجودون بعده الى يوم القيامة على السوا ولذلك
رتب عليه قوله فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة وقد حقق الله رجاه كما تقدم والله اعلم
متفق عليه ورواه احمد وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
اي من الخصال لم يعطهن احد قبلي اي من الانبيا فمن المحال ان يعطي احد بعدي من الاوليا نصرت اي
نصرني ربي على اعدايي بالرعب بضم فسكون وبضمتين اي بخوف العدو مني مسيرة شهر اي في قدر
مسيرة شهر اي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام او وراء وفي شرح الطيبي الرعب الفزع والخوف
وقد اوقع الله تعالى في قلوب اعدا النبي صلى الله عليه وسلم الخوف منه فاذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر

صابوا وفرعوا منه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا في شرح السنة اراد ان اهل الكتاب لم
يبح لهم الصلوة الا في بيعهم وكنايسهم واباح الله عز وجل لهذه الامة الصلاة حيث كانوا
تخفيفا عليهم وتيسيرا ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس وقوله
طهورا اراد به التيمم انتهى ويجي الحمام والمقبرة تفصيل قدمناه وقيل معناه انهم كانوا لا يصلون
الا فيما يتيقنوا طهارته من الارض وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الارض الا فيما تيقنا نجاسته
ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله فايما رجل اي شخص من امتي ادركته الصلوة
اي وجبت عليه ودخل وقتها فحاي موضع فليصل اي في ذلك الموضع لشروط المقبرة في صحة
الصلوة واحلت لي المغانم اي الغنائم وهي الاموال الماخوذه من الكفار ولم تحل وفي نسخة بصيغة
المجهول اي لم تبح المغانم لاحد قبلي اي من الانبيا بل غنايمهم توضع فتاتي نار تحرقها
هكذا اطلقه بعض الشراح من علمائنا وقال ابن الملك اي من قبلنا من الامم اذا غنموا الحيوانات
تكون ملكا للغانمين دون الانبيا فخص نبينا صلى الله عليه وسلم باخذ الخمس والصفي واذا
غنموا غيرها جمعوه فتاتي نار فتحرقه اقول لعل الحكمة في احراق الغنيمة تحصيل تحسين
النية وتزيين الطوية في مرتبة الاخلاص في الجهاد والله اعلم بالعباد ورؤف بالعباد
واعطيت الشفاعة ال فيه للعهد اي الشفاعة العامة للاراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام
المحمود والذي يغبطه عليه الاولون والاخرون وكان النبي اللام فيه للاستغراق اي
وكان كل نبي من قبل يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس اي الى اقوام مختلفة
منهم غير مختص بقوم من العرب عامة اي شاملة للعرب والعجم قال الطيبي التعريف في النبي لا
ستغراق الجنس وهو اشمل من لو جمع لما تقرر في علم المعاني ان استغراق المفرد اشمل من استغراق
الجمع لان الجنسية في المفرد قايمة في وحدانه فلا يخرج منه شي وفي الجمع فيما فيه الجنسية
من الجموع فيخرج منه واحد واثنان على الخلاف في ان اقل الجمع اثنان او ثلاثة انتهى وقيل اللام
فيه للجنس عند النحويين وللعهد عند الاصوليين وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن لا لتعيين
الذات وتلك الماهية هي النبوة متفق عليه ورواه النسايي وفي رواية احمد عن علي كرم الله
وجهه اعطيت ما لم يعط احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد
وجعل لي التراب طهورا وجعلت امتي خير الامم وروى الحارث وابن مردويه عن انس ولفظه اعطيت
ثلاث خصال اعطيت صلاة في الصفوف واعطيت السلام وهو تحية اهل الجنة واعطيت آمين
ولم يعطها احد ممن كان قبلكم الا ان يكون الله اعطاها هارون فان موسى كان يدعو ويؤمن هارون
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست قال
التوربشتي وفي حديث جابر بخمس وليس هذا باختلاف تضاد وانما هو اختلاف زمان يقوم
فيه حديث الخمس متقدما وذكر انه اعطيها فحدث به ثم زيد له السادسة فاخبر عن
ست قال ابن الملك فان قلت هذا انما لو ثبت تاخر الدال على الزيادة قلنا ان ثبت فلا كلام
والا فيحمل على انه اخبار عن زيادة تاتي في المستقبل عبر عنه بالماضي تحقيقا لوقوعها انتهى وقال
صاحب الخلاصة ويجوز ان يكون ذكر الخمس اولا ست لمناسبة المقام وحينئذ جاز ان يكون سبعا
كما اذا ضمت الشفاعة الى هذه الست قلت ويجوز ان يكون زايدة على السبع لما سياتي ولما
تقدم والله اعلم اعطيت جوامع الكلم اي قوة ايجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فابني بالكلمات
اليسيرة المعاني الكثيرة وقد جمعت اربعين حديثا من الجوامع الواردة على الكلمتين هما اقل ما يتصور

منه تركيب الكلام بتانيه منه اسناد المرام نحو قوله عليه السلام العدة دين والمستشار موتمن ولا تغضب
وامثال ذلك وقد روى ابو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه اعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام
اختصارا وفي شرح السنة قيل جوامع الكلم هي القران جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة وقيل
ايجاز الكلام في اشباع من المعنى فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيرا من المعاني وانواعا من الكلام ونصرت
بالرعب اطلقه هنا وقيد غايته فيما سبق بمسيرة شهر واحلت لي اي لاجلي او على امتي الغنايم وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة اي الى الموجودات باسرها عامة من الجن والانس والملك والحيوانات
والجمادات كما بينته في الصلوات العلية على الصلوات المحمدية قال الطيبي يجوز ان يكون كافة مصدرا
اي ارسلت رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان تخرج منها احد وان يكون حالا
اما من الفاعل والتا للمبالغة كتا الرواية والعلامة واما من المجرور اي مجموعين وختم بي النبيون
اي وجودهم فلا يحدث بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وترويج دين نبينا صلى الله عليه وسلم
على اتم النظام وكفى به شهيد اشرفوا هيكل به فضلا على سائر الانام قال الطيبي اغلق باب الوحي
وقطع طريق الرسالة وسد واخبر باستغنا الناس عن الرسل واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين
كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واما باب الالهام فلا يسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة فلا ينقطع
لدوام الضرورة حاجتها الى تاكيد وتجديد وتذكير وكما ان الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا الى
التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات فالله تعالى اغلق باب الوحي بحكمته
وفتح باب الالهام برحمته لطفا منه بعباده رواه مسلم وكذا الترمذي وفي رواية الطبراني عن السايب ابن
يزيد فضلت على الانبيا بخمس بعثت الى الناس كافة وادخرت شفاعتي لامتي ونصرت بالرعب شهرا
امامي وشهرا خلفي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وفي رواية
البيهقي عن ابي امامة فضلت باربع جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الناس كافة
ونصرت بالرعب من مسيرة شهر بين يدي واحلت لي الغنايم وفي رواية الطبراني عن ابي
الدردا فضلت باربع جعلت انا وامتي في الصلوة كما تصف الملايكة وجعل الصعيد لي وضوا وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنايم فبعض الاحاديث وان دل بمنطوقه على انه صلى الله عليه وسلم
مخصوص من عند الله تعالى بفضايل معدودة لكن لا يدل مفهومه على حصر فضايله بل هي غير منحصرة
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت
بالرعب وبينا انا نايم رايتني اتيت بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي في النهاية اراد ما سهل الله
تعالى له ولامته من افتتاح البلاد المتعذرات واستخراج الكنوز المتنوعات انتهى والمراد منه معادن الارض
التي فيها الذهب والفضة وسايل الفلزات متفق عليه ورواه النسايي وعن ثوبان وهو مولى النبي صلى
الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض اي جمعها لاجلي قال التوربشتي
زويت الشي جمعته وقبضته يريد به تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها وحاصله
انه طوى له الارض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظره ولذا قال فرايت مشارقها ومغاربها اي
جميعها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها قال الخطابي توهم بعض الناس ان من في منها للتبعيض
وليس ذلك كما توهمه بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة والتفصيل لا يناقض الجملة ومعناه ان الارض زويت
لي جملتها مرة واحدة فرايت مشارقها ومغاربها ثم هي تفتح لامتي جزا فجزا حتى يصل ملك امتي الى كل اجزايها
اقول ولعل وجه من قال بالتبعيض هو ان ملك هذه الامة ما بلغ جميع الارض فالمراد بالارض ارض الاسلام
وان ضمير منها راجع اليها على سبيل الاستخدام والله اعلم بالمرام واعطيت الكنزين الاحمر والابيض بدل مما قبلها

اي كنزا الذهب والفضة قال التوربشتي يريد بالاحمر والابيض خزائن كسرى وقيصر وذلك ان الغالب على
نقود ممالك قيصر الدراهم واني سالت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة اي بقحط شامل لجميع بلاد
المسلمين قال الطيبي السنة القحط والجدب وهي من الاسماء الغالبة وان لا يسلط عليهم عدوا اي الكفار
وقوله من سوى انفسهم صفة عدوا اي كائنا من سوى انفسهم وانما قيده بهذا القيد لما سال اولا ذلك
منع على ما ياتي في الحديث الاتي فيستبيح اي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع والمفرد بيضتهم قال
ابن الملك اي يجعلها مباحة وقال شارح اي يستاصل مجتمعهم وقال الطيبي اراد بالبيضة اي مجتمعهم
موضع سلطانهم ومستقر دعوتهم وبيضة الدار وسطها ومعظمها اراد عدوا يستاصلهم ويهلكهم
جميعهم وقيل اراد اذا هلك اصل البيضة كان هلاك كل ما فيه من طعم او فرخ واذا لم يهلك اصل
البيضة ربما سلم بعض فراخها والنفي منصب على السبب والمسبب معا فيفهم منه انه قد
يسلط عليهم عدو لكن لا يستاصل ميثاقهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء
اي حكمت حكما مبرما فانه لا يرد اي بشيء بخلاف الحكم المعلق بشرط وجود شيء او عدمه
كما حقق في باب الدعاء ورد البلاء واني اعطيتك اي عهدي وميثاقي لامتك اي لاجل
امة اجابتك ان لا اهلكهم بسنة عامة اي بحيث تعمهم القحط ويهلكهم بالكلية قال الطيبي
اللام في لامتك هي التي في قوله سابقا سالت ربي لامتي اي اعطيت سؤالك لدعائك
امتك الكاف هو المفعول الاول وقوله ان لا اهلكهم المفعول الثاني كما هو في قوله سالت
ربي ان لا يهلكها هو المفعول الثاني وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم
فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من الذين هم باقطارها اي باطرافها جمع قطر وهو
الجانب والناحية والمعنى فلا يستبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو اجتمع على محاربتهم من
اطراف بيضتهم وجواب لو ما يدل على قوله وان لا اسلط حتى يكون بعضهم يهلك بعضا
ويسبي كيرمي بالرفع عطف على يهلك اي ويأسر بعضهم بوضع الظاهر موضع
المضمر بعضا اي بعضا اخر وفي نسخة بالنصب على ان يكون عطفا على يكون قال
الطيبي حتى بمعنى كي اي لكي يكون بعض امتك يهلك بعضا فقوله اني اذا قضيت
قضاء فلا يرد توطئة لهذا المعنى ويدل عليه حديث خباب بن الارت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة
سالته ان لا يهلك امتي بسنة فاعطاني وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم
فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها قال المظهر اعلم ان لله تعالى
في خلقه قضائين مبرما ومعلقا بفعل كما قال ان فعل الشيء الفلاني كان كذا وكذا وان لم يفعله
فلا يكون كذا وكذا من قبيل ما يتطرق اليه المحو والاثبات كما قال تعالى في محكم
خطابه يمحو الله ما يشاء ويثبت واما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه
في الازل من غير ان يعلقه بفعل فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا
يتوقف على المقضي عليه ولا المقضي له لانه من علمه بما كان وما يكون وخلاف معلومه
مستحيل قطعا وهذا من قبيل ما لا يتطرق اليه المحو والاثبات قال تعالى لا معقب لحكمه
وقال النبي عليه السلام لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه فقوله صلى الله عليه وسلم اذا قضيت
قضاء فلا يرد من القبيل الثاني ولذلك لم يجب اليه وفيه ان الانبياء مستجابو الدعوة
الا في مثل هذا رواه مسلم وعن سعد بن ابي وقاص احد العشرة المبشرة بالجنة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمسجد من بني معاوية هم بطن من الانصار وقيل كان
المسجد في المدينة دخل حال او استئناف بيان وفي رواية البغوي فدخل اي دخل المسجد
فركع اي فصلى فيه ركعتين اي تحية او فريضة وصلينا معه اي موافقة او متابعة ودعا
اي فناجى كما في رواية ربه طويلا اي زمانا كثيرا او دعاء عريضا بعد الصلوات والظاهر ان
اصحابه دعوا معه وامنوا والاظهر ان طويلا قيد الصلوة والدعاء لما سياتي في حديث
خباب في اول الفصل الثاني ثم انصرف اي من الدعاء فقال سالت ربي ثلاثا اي من المسؤلات
او ثلاث مرات فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة وفيه ابانة توضيح سالت ربي ان
لا يهلك امتي بالسنة اي بالقحط العام فاعطانيها اي المسالة وسالته ان لا يهلك
امتي بالغرق بفتحتين وفي نسخة بسكون الراء اي بالغرق العام كقوم فرعون في
النيل وقوم نوح بالطوفان فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم اي حربهم الشديد
بينهم فمنعنيها رواه مسلم وعن عطاء بن يسار وهو من اجلاء التابعين قال لقيت عبد
الله بن عمرو بن العاص قلت استئناف بيان اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي عن نعته في التوراة قال اجل بفتحتين وسكون اللام المخففة قال
الطيبي هو حرف يصدق في الخبر خاصة يقول لمن قال لي قام زيد اجل وزعم بعض
جواز وقوعه بعد الاستفهام وفي الحديث جاء جوابا للامر على تناول قراءة التوراة
هل وجدت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فاخبرني قال اجل اي نعم اخبرك
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران اي بالمعنى لقوله يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة من الكاف او من الفاعل او من المفعول او مقبولا
او مقدرا شاهدا ذكرك على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك
عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم ذكره الطيبي او شاهدا للافعال
امتك يوم القيامة او لجميع الانبياء في تبليغهم كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا او مزكيا لامتك في شهادتهم على الامم بتبليغ رسالة
الانبياء اليهم كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وقد تقدم والله اعلم ومعناه شاهدا لقدرتنا وارادتنا في الخلق
كما يشير اليه قوله ومبشرا اي للمؤمنين بالمثوبة ونذيرا اي منذرا ومخوفا للكافرين
بالعقوبة وحرزا بكسر الحاء وسكون الراء اي للاميين قال القاضي اي حصنا وموئلا
للعرب يتحصنون به من غوائل الشيطان او عن سطوة العجم وتغلبهم وانما سموا
اميين لان اغلبهم لا يقرؤن ولا يكتبون انتهى او لانهم ينسبون الى القرى وهي مكة
او لكون نبيهم اميا ولعل اصح الوجه في هذا المقام او جعل شامل جمع الامة ولا
يبقى متمسك لليهود على ما زعموا من انه مبعوث الى العرب خاصة فانه بذكره
لا ينفي ما عداه لا سيما وقد قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي قال ابن الملك ويحتمل
ان يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستئصال او الحفظ لهم من العذاب
ما دام فيهم قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم انت عبدي اي الخاص كما وصفه
بالقران في مواضع بسعة باضافته الى الله او ضميره اضافة تشريف ورسولي

اي الاخص كما قال في مواضع من القرآن هو الذي ارسل رسوله بالهدى فالاضافة
للعهد كما يقال اكرم زيد عبده اذا كان له عبيد متعددة مع انه اذا اطلق اسم الجنس
فالمراد به الفرد الاكمل فتامل سميتك المتوكل اي خصصتك بهذا الوصف لكمال توكلك
علي تفويضك الي وتمسكك لدي عملا بما في القرآن وتوكل على الذي لا يموت وكذا في قوله
سبحانه لا نسألك رزقا نحن نرزقك ورزق ربك خير وابقى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب دلالة عليه واشارة اليه ليس بفظ التفات ضمه
تضمن للتغني قال الطيبي يحتمل ان يكون اية اخرى في التوراة لبيان صفته وان يكون حالا
من المتوكل ومن الكاف في سميتك وعلى هذا فيه التفات انتهى والمعنى ليس بسيء الخلق او القول
ولا غليظ اي ضخيم كريه الخلق (وسيء الفعل او غليظ القلب وهو الانسب لقوله تعالى ولو كنت
فظا غليظ القلب اي شديده وقاسيه فيناسب ان يكون الفظ معناه بذاءة اللسان ففيه
ايما الى طهارة عضويه الكريمين من دنس الطبع ووسخ هوى النفس الذميمين وقد قال
الطيبي فظا من القول غليظ القلب في الفعل ولا سخاب بتشديد الخاء المعجمة اي صياح في
الاسواق قال الطيبي اي هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس لسوء خلقه
ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدناءة بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم قالت فهو مقتبس
من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ومأخوذ من قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ولا يدفع بالسيئة السيئة لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى
واصلح فاجره على الله ولقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن الاية واطلاق السيئة على جزائها
اما للمشاكلة والمقابلة او لكونه في صورة السيئة او بالاضافة الى دفعها بالحسنة كانها سيئة
ومنه قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين ولكن يعفوا اي عن المسيء ويغفر اي يستر
ويدعوا له بالمغفرة لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح وقوله فاعف عنهم واستغفر لهم وهذا
اقرب مراتب معاملة مع المسيئين وكان فوقها مرتبة الاحسان اليهم لقوله تعالى والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولن يقبضه بالياء التحتية في الاصول
المعتمدة وفي نسخة بالنون ويؤيد الاول ما في نسخة صحيحة ولن يقبضه الله بزيادة
لفظ الجلالة وكذا الحاكم في الافعال الاتية قال الطيبي وكذا التفات في قوله ولن يقبضه
بالياء المثناة من تحت على رواية المشكوة وبعضه ما في شرح السنة ولن يقبضه الله
حتى يقيم به اي بواسطة الملة العوجاء كما في التنزيل ويبغونها عوجا للكفار ويصدون عن سبيل
الله ويبغونها عوجا وتعالى مرح دين الاسلام ذلك الدين القيم وانك لتهدي الى
صراط مستقيم قال القاضي يريد به ملة ابراهيم فانها قد اعوجت في ايام الفترة فزيدت
ونقصت وغيرت وبدلت وما زالت كذلك حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم فاقامها
اقامها الله وادامها بان يقولوا لا اله الا الله متعلق بقوله يقيم وفيه ايما الى ان اقامة التوحيد
في ادامة معنى هذه الكلمة من القريب وقال شارح للمصابيح قال الله تعالى ولن نقبضه اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى نقيم به الملة العوجاء اي حتى نجعلها مستقيما به ونريد بها ملة
العرب تتدين بها وتزعم انها ملة ابراهيم وانما وصفها بالعوجاء وسماها ملة على الاتساع كما يقال
الكفر ملة ويفتح بالياء والنون على ما سبق وهو منصوب عطفا على قوله يقيم وفي نسخة السيد
بالرفع على القطع اي يفتح او نفتح بها اي بواسطة هذه الكلمة وفي نسخة بها اي بهذا النبي

وبهذا القول اعينا بالنصب على ما في جميع نسخ المشكاة عميا بضم اوله جمع اعمى قال الطيبي هذا رواية
البخاري والدارمي وكتاب الحميدي وجامع الاصول وفي المصابيح يفتح بها اعين عمي على انها المفعول
والاول اصح رواية ودراية اقول ولعل وجه اصحية الدراية هو ان المعطوف عليه بصيغة الفاعل
بلا خلاف على اختلاف انه بالياء او النون ثم قوله واذانا الى اخره على هذا المنوال وهو بضم الهمز جمع
لاذن صما جمع اصم وقلوبا غلفا بضم اوله جمع اغلف وهو الذي لا يفهم كان قلبه في غلاف وانما ذكر
هذه الاعضا لانها آلات العلوم والمعارف قال تعالى في حق الكفار ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولعله لم يذكر اللسان في معرض هذا
البيان لانه ترجمان الجنان فلا يتم فهو بما فيه من الاعيان قال الطيبي فان قلت قوله
انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن تقتضي ان تكون المذكورات كلها مثبتة
في القرآن قالت اجل اما قوله يا ايها النبي انا ارسلناك ففي الاحزاب وقوله حرزا للاميين ففي
الجمعة هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب وقوله
سميتك المتوكل الى قوله ولكن يعفوا ويغفر في قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب الى قوله
ان الله يحب المتوكلين وقوله ولا سخاب في الاسواق في قوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين اي دم على التسبيح والتحميد واجعل نفسك من الذين لهم مساهمة ونصيب
وافر في السجود فلا تخل بها ولا تشتغل بغيرها ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان
اكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان اكون من الساجدين فقوله ولا سخاب في الاسواق
من قبيل قوله تعالى ولا شفيع يطاع اذ هو يحتمل ان يراد به نفي سخاب وحده ونفيهما
معا وهو المراد هنا قالت ويحتمل ان يكون قوله في الاسواق قيدا معتبرا في النفي احترازا من
رفع صوته في القراءة والخطبة في المساجد تال وقوله ولا يدفع بالسيئة السيئة في قوله تعالى
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن وقوله حتى يقيم به الملة العوجا
في قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا ان اقيم التوحيد وانفي
الشرك فان قلت كيف الجمع بين قوله ونفتح بها اعينا عميا وبين قوله تعالى وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم قلت دل ايلا الفاعل المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل وذلك
انه تعالى نزله لحرصه على ايمان القوم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال له انت
لست بمستقل فيه بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره انتهى وحاصله
انه قد ينسب الهداية النبي صلى الله عليه وسلم نظرا الى كونه من اسباب الهداية ومنه قوله وانك
لتهدي وتنفى عنه اخرى نظرا الى ان حقيقة الهداية راجعة الى الله تعالى ومنه قوله سبحانه
انك لا تهدي من احببت فيكون من قبيل قوله تعالى وما رميت اذ رميت اي ما رميت خلقا
وحقيقة اذ رميت كسبا وصورة ولكن الله رمى حيث جعلك قادرا على الرمي وفاعلا له والاظهر
ان نفي الهداية عنه بالنسبة الى من لم يرد الله هدايته واثباتها له فيمن اراده لهذا فلا منافاة
فهو صلى الله عليه وسلم مظهر هدايته كما ان ابليس مظهر ضلالته والا فهو سبحانه يضل من
يشاء ويهدي من يشاء من يضلل الله فلا هادي له ومن يهد الله فلا مضل له رواه البخاري
اي عن عطاء بن يسار وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام وعوض [illegible] مشهور نحوه اي نحو
ما رواه البخاري يعني المعنى مع نوع مخالفة في اللفظ وقال شارح للمصابيح في سائر نسخ المصابيح
رواه عطاء ابن سلام وهو غلط والصواب رواه عطاء عن ابن سلام يعني عبد الله بن سلام

وعطا هو عطاء بن يسار الراوي عن عبد الله بن عمرو انتهي وحاصله ان عطاء بن يسار روى هذا الحديث
من طريق ابن عمرو كما رواه البخاري وروي ايضا من طريق ابن سلام كما رواه الدارمي والمناسب
للصحاح المعبر عنه بالفصل الاول هو رواية البخاري وتاييده برواية الدارمي لا الالتزام السابق
وبه يحصل نوع اعتراض لصاحب المشكوة على البغوي مع قطع النظر عن تخطيه سابر نسخ المصابيح
وذكر حديث ابي هريرة نحن الاخرون اي السابقون يوم القيامة الحديث بطوله في باب الجمعة
لكونه انسب بذلك الباب باعتبار اواخر الحديث وغالبه فهو من المولف اعتذار قولي واعتراض فعلي
الفصل الثاني عن خباب بفتح الخا المعجمة وتشديد الموحدة الاولى ابن الارت بفتح
الهمزة والرا وتشديد الفوقية صحابي مشهور قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها
اي فجعلها طويلة باعتبار اركانها او بالدعا فيها قالوا يا رسول الله صليت صلوة اي عظيمة لم
تكن تصليها اي عادة قال اجل اي نعم انها صلوة رغبة اي رجا ورهبة اي خوف قال شارح اي
صلوة فيها رجا للثواب ورغبة الي الله وخوف منه تعالي قلت الاظهر ان يقال المراد به ان
هذه صلوة جامعة بين قصد رجا الثواب وخوف العقاب بخلاف ساير الصلوات اذ قد يغلب
فيها احد الباعثين على الاخر فالواو في قوله تعالي يدعون ربهم خوفا وطمعا بمعني او لما نقله
الحلوتي لما كان سبب صلاته الدعا للامة وهو كان بين رجا الاجابة وخوف الرد طولها ولذا قال
واني سالت الله فيها ثلاثا اي ثلاث مسايل فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة تصريح بما علم ضمنا
سالته ان لا يهلك امتي بسنة اي بقحط عام وفي معناه الوبا والمقصود ان لا يهلكوا بالاستيصال
فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم وهم الكفار لان العدو من انفسهم اهون ولا يحصل
به الهلاك الكلي ولاعلا الكلمة السفلي فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض اي حربهم
وقتلهم وعذابهم فمنعنيها اي لما سبق من الحكمة قال الطيبي هو من قوله تعالي او
يلبسكم شيعا اي يجعلكم فرقة فرقة منكم متابعة الامام وينشب القتال بينكم وتختلطوا ويشتبكوا في ملاحم
القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم باس بعض المعني يخلقكم فرقا مختلفين على اهوا شتي
انتهي ذكره باسناده المتصل الي البخاري مسندا الي جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او
يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اهون او هذا ايسر
رواه الترمذي والنسائي وعن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل اجاركم اي حفظكم وانقذكم من ثلاث خلال اي خصال ان لا يدعو عليكم نبيكم اي
بكفر بعضكم قاله ابن الملك والاظهر انه لا يدعو عليكم دعا الاستيصال بالهلاك فتهلكوا جميعا اي
كما دعا نوح وموسي ذكره ابن الملك لكن دعا موسي كان خاصا ببعض قومه وهو القبط دون السبط
كما لا يخفي وان لا يظهر اي لا يغلب اهل الباطل اي وان كثر انصاره على اهل الحق اي وان قل اعوانه
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق حتي تقوم الساعة على ما رواه
الحاكم عن عمر وفي رواية ابن ماجة عن ابي هريرة لا تزال طايفة من امتي قوامة على امر الله لا يضرها
من خالفها ولعله مقتبس من قوله تعالي يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم ويابي الله الا
ان يتم نوره ولو كره الكافرون وفي المصابيح على الحق قال شارح له اي بحيث يمحقه ويطفي نوره
وان كانت الرواية على اهل الحق فانه اراد به الظهور كل الظهور حتي لا يبقي لهم فية ولا جماعة
قال التوربشتي يريد ان الباطل وان كثرت انصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفي نوره

ولم يكن بحمد الله مع ما ابتلينا به من الامر القادح والمحنة العظمي بتسلط الاعدا علينا ومع استمرار
الباطل فالحق ابلج والشريعة قايمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها وان لا يجتمعوا على ضلالة اي
وان لا يتفقوا على شي باطل وهذا ابدل على ان اجماع الامة حجة وان ما هو حسن عند الناس
فهو حسن عند الله ويقويه قوله تعالي ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي
ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولي ونصله جهنم وسات مصيرا فهذا ماخذ حسن
لقولهم الاجماع حجة استنبطه الشافعي رحمه الله من الكتاب قال الطيبي وحرف النفي
في القران زايد مثل قوله تعالي ما منعك ان لا تسجد وفايدته توكيد معني الفعل الذي عليه
وتحقيقه وذلك ان الاجارة انما تستقيم اذا كانت الخلال مثبتة او منفية رواه ابو داود
وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجمع الله على هذه الامة سيفين
سيفا منها وسيفا من غيرها اي بل اختار الله الامثل يعني الاقوي والاعظم والاكثر منها وهو
السيف منها دون السيف من غيرها على وجه الاستيصال والا فقد يجتمعان في بعض الاحوال
ففيه اشارة الي بقا الملة وبشارة في حفظ هذه الامة الي يوم القيامة لما صح في مسلم عن جابر
ابن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قايما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتي تقوم الساعة
وقال القاضي معناه ان سيوفهم وسيوف اعدايهم لا يجتمعان عليهم فيوديان الي استيصالهم
بل اذا جعلوا باسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن انفسهم ويكف عنه باسهم وهو
من قول الشيخ التوربشتي وقال الطيبي الظاهر ان يقال انه تعالي وعدني ان لا يجمع على امتي محاربتين
محاربة بعضهم بعضا ومحاربة الكفار معهم بل يكون احديهما فاذا كانت احديهما لا تكون الاخري لانه
موافق للاحاديث السابقة لانه صلى الله عليه وسلم سال ربه تعالي ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم
يستاصلهم وساله ان لا يذيق بعضهم باس بعض فاجاب الاول الاول ومنع الثاني ولم يجمع
بين المنفيين رواه ابو داود وعن العباس انه جا اي غضبان اي الي النبي صلى الله عليه وسلم فكانه
سمع شيا اي من الطعن في نسبه او حسبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر اي ليكون
بيان امره اظهر على رووس المحضر فقال من انا استفهام تقرير على جهة التبكيت فقالوا
انت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يعني وهما معروفان
عند العارف المنتسب قال الطيبي قوله فكانه سمع مسبب عن محذوف اي جا العباس
غضبان بسبب ما سمع طعنا من الكفار فخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله تعالي
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم كانهم حقروا شانه وان هذا الامر العظيم
الشان لا يليق الا بمن هو عظيم من احدي القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود
الثقفي مثلا فاقرهم صلى الله عليه وسلم على سبيل التبكيت على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه فانه اولي بهذا
الامر من غيره لان نسبه اعرف وارومته اعلي واشرف ومن ثم لما قالوا انت رسول الله ردهم
بقوله انا محمد بن عبد الله ويعضد هذا التاويل ما رويه البخاري عن ابي سفيان انه حين ساله
هرقل عظيم الروم عن نسبه صلى الله عليه وسلم فقال هو فينا ذو نسب فقال هرقل سالتك عن
نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها الا تري كيف جعل
النسب طريقا للبعثة واتي بفي اي في النسب انتهي ثم استانف في بيان ما رزقه الله من
طهارة نسبه ونظافة حسبه عموما وخصوصا تحدثا بنعمته وترغيبا للامة في امر متابعته
فقال ان الله خلق الخلق اي الجن والانس وابعد الطيبي وادخل الملك معهم لقوله فجعلني

سورة نساء جزء ٥ ١٦

في خيرهم فرقة وهم العرب ثم جعلهم قبايل فجعلني في خيرهم قبيلة يعني قريشا ثم جعلهم بيوتا
اي بطونا فجعلني في خيرهم فرقة وهم العرب ثم جعلهم قبايل فجعلني في خيرهم قبيلة يعني قريشا ثم
جعلهم بيوتا اي بطونا اي بطونا فجعلني في خيرهم بيتا يعني بطن بني هاشم فانا خيرهم نفسا
اي ذاتا وحسبا وخيرهم بيتا اي بطنا ونسبا واليه اشار تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من
انفسكم وقوله لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم بفتح الفاء على قراءة
شاذة صحيحة قال الطيبي قوله ثم جعلهم قبايل بعد قوله ثم جعلهم فرقتين اشارة الى
بيان الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والفخذ والبطن والفصيلة
والشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصايل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم
فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبايل تتشعب منها فقوله خلق الخلق
اي الملايكة والثقلين فجعلني في خيرهم اي في العرب وهاجوافانا بفضل الله ولطفه على
علي ما في سابقة الازل خير الخلق نفسا حيث خلقني انسانا رسولا خاتما للرسل ثم
دائرة الرسل في وجعلني نقطة تلك الدائرة يطوف حيوهم حولي ويحتاجون الي وخيرهم
بطنا حيث نقلني من طيب الى طيب الى ان نقلني من صلب عبد الله بالنكاح من اشرف
القبايل والبطون فانا افضل خلق الله تعالى عليه واكرمهم لديه رواه الترمذي ولفظ الجامع
ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفرقتين ثم خير القبايل فجعلني في خير
القبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة اي ثبتت قال وادم اي وجبت
لي النبوة والحال ان ادم بين الروح والجسد يعني انه مطروح على الارض صورة بلا روح
والمعنى انه قبل تعلق روحه بجسده قال الطيبي هو جواب لقولهم متى وجبت اي وجبت
في هذه الحالة فعامل الحال وصاحبها محذوف رواه الترمذي ورواه ابن سعد وابو نعيم
في الحلية عن ميسرة الفجر وابن سعد عن ابي الجدعا والطبراني في الكبير عن ابن عباس
بلفظ كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كذا في الجامع وقال ابن الديبع اخرجه احمد والبخاري
في تاريخه وصححه الحاكم وروى ابو نعيم في الدلايل وغيره من حديث ابي هريرة مرفوعا
كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث واما ما يدور على الالسنة بلفظ كنت نبيا وادم
بين الماء والطين فقال السخاوي وجميع اتفق عليه بهذا اللفظ فضلا عن زيادة وكنت نبيا ولا ادم ولا ماء
ولا طين وقال الحافظ ابن حجر في بعض اجوبته ان الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي وقال
الزركشي لا اصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذي متى كنت نبيا قال وادم بين الروح
والجسد قال السيوطي وزاد العوام ولا ادم ولا ماء ولا طين ولا اصل له ايضا وعن العرباض
ابن سارية بكسر العين صحابي جليل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني
عند الله مكتوب خاتم النبيين بفتح التاء وكسرها وهو مرفوع على انه نايب الفاعل وقيل
منصوب على التمييز اي مكتوب من هذه الحيثية وان ادم لمنجدل من الجدل وهو الالقاء
على الارض الصلبة اي والحال انه لساقط وملقى في طينته اي خلقته وهو خبر ثان لان
الجملة حال من ضمير مكتوب اي كتبت خاتم الانبياء في الحال التي ادم مطروح على الارض حاصل
في اثنا خلقته لما يفرغ من تصويره وتعلق الروح به كذا ذكره السراج وساخبركم باول امري قيل

اي باول

سورة آل عمران جزء سند

وقف ——— وصل

اي باول ما ظهر من نبوتي ورفعتي في الدنيا على لسان ابي الملة ابراهيم عليه السلام وقوله دعوة ابراهيم
بالرفع اي هو دعوة ابراهيم حين بنى الكعبة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاءه
وفي نسخة بالجر على البدلية مما قبله وكذا قوله وبشارة عيسى يعني قوله ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد ورويا امي التي رات حين وضعتني قال الطيبي وغيره يحتمل ان يراد
منها الروية في المنام وفي اليقظة فعلى الاول معنى وضعت اي شارفت وقربت من الوضع وذلك
لما روى ابن الجوزي في كتاب الوفاة ان امه صلى الله عليه وسلم رات حين دنت ولادتها اتاها ات فقال قولي
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد بعد ان رات حين حملت به انه اتيا اتاها فقال هل شعرت انك
حملت بسيد هذه الامة ونبيها وعلى الثاني يكون المراد اي محمد وفاوهل دل عليه قوله وقد
خرج اي ظهر لها اي لامي نور اضات له قصور الشام وذكر النور
عبارة عن ظهور نبوته ما بين المشرق والمغرب واضمحل بها ظلمة الكفر والضلالة وفي نسخة بنصب
قصور وهو لا يخلو عن قصور لوجود منه والا فاضاءت لازما وقام رواه اي البغوي الحديث بكماله
في شرح السنة اي بسنده باسناده عن العرباض ورواه احمد عن ابي امامة من قوله سأخبركم الى
اخره قلت وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن العرباض اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان ادم
لمنجدل في طينته وروى ابن عساكر عن عبادة بن الصامت ولفظه انا دعوة ابراهيم وكان اخر
من بشر بي عيسى بن مريم وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي ولا اقوله تفاخرا بل اعتدادا بفضله وتحدثا بنعمته او تبليغا
لما امرت به وقيل لا افتخر بذلك بل فخري بمن اعطاني هذه المرتبة اقول ويمكن ان يكون المعنى ولا
فخر لي بهذه السيادة بل افتخر بالعبودية له والعبادة فانه يوجب الحسنى وزيادة قال
الطيبي قوله ولا فخر حال موكدة اي اقول هذا ولا فخر قال التوربشتي الفخر ادعاء العظمة والمباهاة
بالاشيا الخارجة عن الانسان كالمال والجاه قال النووي فيه وجهان احدهما قاله امتثالا لامر
الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وثانيهما امر من البيان الذي يجب عليه تبليغه الى امته
ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه في توقيره صلى الله عليه وسلم كما امرهم الله تعالى به قال
الراغب فان قلت كيف استحسن مدح الانسان نفسه وقد علم في الشاهد استقباحه حتى
قيل للحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا قال مدح الرجل نفسه قلنا قد يحسن ذلك
عند تنبيه المخاطب على ما خفي عليه من حاله كقول المعلم للمتعلم اسمع مني فانك لا تجد
مثلي وعلى ذلك قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
وسيل بعض المحققين عن شي لم يقبح الملاقة في الله تعالى مع وروده الشرع فالشيخ
ويقبح من سوال الشي عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا قال الشيخ ابو حامد
في الاحيا قال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل
فكذلك المدوح لان المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب وهو لذلك مهلك
كالذبح فان سلم المدح عن هذه الافات لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك
اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا
وعجبا بل يزيدوا فيما يستوجبوا الحمد من مكارم الاخلاق قلت ونظيره العالم او الشيخ
اذا اثنى على تلميذه او مريده القابل العاقل بمحضر جماعة فانه لا شك انه يكون
سببا لزيادة رغبته في المجاهدة وتحصيل اعلى مراتب العلم والعبادة نعم يعفو نادرا

مطلب

من يكون فيه اللذة حيث يحصل لها الفتور المودي الي مقام القهوي فيتوقف علي
طلب الزيادة فيتعوذ بالله من الحور بعد الكور والنقصان بعد الزيادة وقد قيل من
لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن استوي يوماه فهو مغبون زمان ففي الحديث
منهومان لا يشبعان وقال تعالي وقل رب زدني علما وفي النهاية قاله صلي الله عليه وسلم
اخبارا عما اكرمه الله تعالي من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله تعالي عنده واعلاما
منه ليكون ايمانهم به علي حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة
التي نلتها كرامة من الله تعالي لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها
وبيدي اي بتصرفي وعندي يوم القيامة في المقام المحمود لوا الحمد اللوا بالكسر والمد العلم
وفي المرضات مقامات لاهل الخير والشر ينصب في كل مقام لكل متبوع لوا يعرف به
قدوة حق كان او اسوة واعلي تلك المقامات مقام الحمد ففي النهاية اللوا الراية ولا
يمسكها الا صاحب الجيش يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته علي رؤس
الخلايق ويحتمل ان يكون لحمده لوا يوم القيامة حقيقة يسمي لوا الحمد وعليه كلام الشيخ
التوربشتي حيث قال المقام من مقامات من عباد الله الصالحين ارفع واعلي من مقام الحمد
ودونه ينتهي ساير المقامات ولما كان نبينا سيد المرسلين احمد الخلايق في الدنيا
والاخرة اعطي لوا الحمد ليأوي الي لوايه الاولون والاخرون واليه الاشارة بقوله صلي
الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لواي ولهذا المعني افتتح كتابه بالحمد واشتق
اسمه من الحمد فقيل محمد واحمد واقيم يوم القيامة المقام المحمود ويفتح عليه في ذلك
المقام من المحامد ما لم يفتح علي احد قبله ولا يفتح علي احد بعده وامد امته ببركته من
الفضل الذي اتاه فنعت امته في الكتب المنزلة قبله بهذا النعت فقال امته الحمادون يحمدون
الله في السرا والضرا لله الحمد اولا واخرا ولا فخر فان مرتبة القرب المرتب عليه اللقا الناشي
عن مقام الرضا والفنا والبقا اعلي من ذلك لخلوص التوجه الي المولي ونسيان ما سواه
من الورى وما من نبي يومئذ ادم بالرفع وقيل بالخفض علي انه بيانه او بدله من محل من نبي
او من لفظ نبي وعطف عليه قوله فمن سواه الا تحت لواي قال الطيبي نبي نكرة وقعت في
سياق النفي وادخل عليه من الاستغراقية فيفيد استغراق الجنس وقوله ادم فمن اما
بيان او بدل من محله ومن فيه موصولة وسواه صلته وصح لانه ظرف واوثر الفا التفصيلية
ثم في فمن سواه علي الواو للترتيب علي منوال قولهم الامثل فالامثل وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وزاد في الجامع وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر رواه
احمد والترمذي وابن ماجة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من
اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج حتي اذا دني منهم سمعهم حال من الضمير
في دنا وقد مقدرة وقوله يتذاكرون حال من الضمير المنصوب في سمعهم كذا ذكره
الطيبي والظاهر ان قوله سمعهم كذا ذكره الطيبي والظاهر ان قوله سمعهم جواب
اذا وقوله قال بعضهم اما استيناف وبيان للتذاكر او حال بتقدير قد او بدونه
ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر موسي كلمه تكليما وقال اخر فعيسي اي اذا كان
الكلام في التفاضل فعيسي كلمة الله وروحه اي شرف باضافتهما اليه تعالي قال
الطيبي الفا في قوله فعيسي جواب شرط محذوف اي اذا ذكرتم الخليل فاذكروا

وهـ ـــ لله عزوجل

عيسي كقوله تعالي فلم تقتلوهم اي اذا افتخرتم بقتلهم فانكم لم تقتلوهم وقال اخر ادم اصطفاه الله
اي بتعليم الاسما واسجاد ملايكة السما فخرج عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم كان ليغتبط
به غير ما اناط به اولا او يكون خرج اولا من مكان وثانيا منه الي اخر وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم بفتحتين اي وفهمت تعجبكم فهو من باب قلدت سيفا ورمحا ان ابراهيم خليل
الله بفتح الهمزة علي انه بدل عما قبله او مفعول له وفي نسخة بالكسر استينافا وهو كذلك
اي كون ابراهيم خليل الله حق وصدق وموسي نجي الله فعيل من النجوي بمعني الفاعل
او المفعول اي كليم الله وهو كذلك وعيسي روح الله وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله
وهو كذلك الا للتنبيه جي به للتاكيد بين المعطوف عليه حيث قال وانا حبيب الله
اي محبه ومحبوبه ولا فخر قال الطيبي قرر اولا ما ذكر وامن فضايلهم بقوله وهو كذلك
ثم نبه علي انه افضلهم واكملهم وجامع لما كان متفرقا فيهم واعلم ان الفرق بين الخليل والحبيب
ان الخليل من الخلة اي الحاجة فابراهيم عليه السلام كان افتقاره الي الله تعالي
فمن هذا الوجه اتخذه خليله والحبيب فعيل بمعني الفاعل والمفعول فهو صلي
الله عليه وسلم محب ومحبوبه والخليل محب لحاجة الي من يحب والحبيب محبه لا الغرض وحاصله
ان الخليل في منزلة المريد السالك الطالب والحبيب في منزلة المراد المجذوب المطلوب الله يجتبي
اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب ولذا قيل الخليل يكون فعله برضا الله تعالي والحبيب
يكون فعل الله برضاه قال تعالي فلنولينك قبلة ترضاها ولسوف يعطيك ربك فترضي وقيل
الخليل مغفرته في حد الطمع كما قال ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي والحبيب مغفرته في مرتبة
اليقين كما قال تعالي ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والخليل قال
ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قال تعالي في حقه يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال للحبيب ورفعنا
لك ذكرك والخليل قال واجعلني من ورثة جنة النعيم والحبيب قال له انا اعطيناك
الكوثر والاظهر في الاستدلال علي ان مرتبته محبوبيته في درجة الكمال قوله تعالي لذي الجلال
والجمال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وانا حامل لوا الحمد بالاضافة يوم
القيامة تحته ادم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع اي مقبول الشفاعة
يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة بفتح الحا واللام جمع حلقة وهي
هنا حلقة باب الجنة ففي القاموس حلقة الباب والقوم وقد يفتح لامها
ويكسر وليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او لغة ضعيفة والجمع حلق
محركة وكبدر فيفتح الله لي اي بابها فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين اي في
المهاجرين والانصار وغيرهم علي مراتبهم في السبق كما سبق انه يدخل فقرا
امتي قبل اغنيايهم بخمسماية عام وهذا دليل واضح علي ان الفقير الصابر افضل
من الغني الشاكر قال الطيبي هذا دليل علي فضلهم وكرامتهم علي الله تعالي لانهم
استحقوا محبة الله تعالي بمتابعة حبيبه وانصاعهم وليس الفقر عند الصوفية
الفاقة والحاجة بل الفقر عندهم الحاجة اليه تعالي لا الي غيره والاستغنا به عنه بغيره
قال الثوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقيل لسهيل
ابن عبد الله التستري للنبي صلي الله عليه وسلم استعاذ من الفقر فقال انما استعاذ

من فقر النفس الذي مدح النبي صلى الله عليه وسلم الغنى في ضده فقال الغنى غنى النفس فلذلك
الفقر المذموم فقر النفس وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم اقول المذموم
من الفقر والغنى هو الذي يشغل السالك عن المولى غاية الحال حالة الفقر اسلم من
العوائق ولذا اختاره سبحانه لاكثر انبيائه واوليائه من بين الخلائق حتى قال
حجة الاسلام ان الكافر الفقير عذابه اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع
الكافر في النار فكيف لا ينفع المومن في دار القرار ولذا قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم
في الدنيا اشبعكم في الاخرة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وهذا
فذلكة الكل رواه الترمذي والدارمي وعن عمرو بن قيس قال المولف وقيل هو عبد
الله بن عمرو القرشي العامري الاعمى وهو ابن ام مكتوم واسم امه مكتوم عاتكة وهو ابن
خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الاولين مصعب
ابن عمير استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة مرات اخرها حجة الوداع
مات بالمدينة وقيل استشهد بالقادسية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نحن الاخرون يعني في المجي الى الدنيا والسابقون اي في دخول الجنة ونحو ذلك من
الفضائل يوم القيامة اي في دار العقبى واني قائل قولا غير فخر اي غير مفتخر فيه بل
المقصود منه بيان الواقع ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله اي مختاره بالكلام وانا
حبيب الله اي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا ومعي لواء الحمد اي الدال
على كوني احمد ومحمد يوم القيامة اي في المقام المحمود وان الله وعدني اي خيرا كثيرا خاصتي
اي في حقهم وشانهم واجارهم اي انقذهم واعاذهم من ثلاث اي من خصال لا يعمهم اي
الله بسنة اي بقحط ووبا مستاصل لهم ولا يستاصلهم اي ولا ياخذ اصلهم ولا
يهلكهم بالكلية عدو اي له لهم من الكفار ولا يجمعهم على ضلالة ولعله سبحانه لا يجمعهم
على هداية لقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك وكان هذا ماخذ من قال اختلاف الامة رحمة رواه الدارمي
وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا قائد
المرسلين اي مقدمهم في الاخرة ولا فخر وانا خاتم النبيين اي في الدنيا ولا فخر وعدل
عن المرسلين الى النبيين لانهم اعم فيكون نسبة الخاتمية اتم وانا اول شافع
ومشفع اي واول مشفع كما في رواية ولا فخر رواه الدارمي وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا اي من قبورهم وانا
قائدهم اي متبوعهم اذا وفدوا اي اذا قدموا على الله والوفد جماعة ياتون الملك
لحاجته وانا خطيبهم اي المتكلم عنهم اذا انصتوا اي اذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين
فاعتذر عنهم عند ربهم فيكون لي قدرة على الكلام في ذلك المقام دون سائر الانام
فاطلق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو اهله ولم يوذن لاحد في التكلم غيري
فهو مخصوص من قوله سبحانه هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون
او محمول على اول الامر او مختص بالكفار وانا مستشفعهم بفتح الفاء على انه المفعول
من قولهم استشفعت زيدا الى فلان اي سالته ان يشفع اليه فزيد مستشفع
بالفتح وفلان مستشفع اليه وفي بعض النسخ بكسر الفاء على انه الفاعل اي اسال

وقع سعر فصل

الله ان اكون شفيعا لهم اذا حبسوا اي في الموقف ولم يحاسبوا وانا مبشرهم اي
المومنين بالرحمة والمغفرة اذا ايسوا اي اذا غلب عليهم الياس من روح الله لغلبة
الخوف ففي الكلام نوع من الاستخدام الكرامة بالرفع على ما في النسخ المصححة فهو مبتدا
والمفاتيح عطف عليه وقوله يومئذ الظرف والخبر بيدي وهو بصيغة الافراد اي امر
الكرامة بانواع الشفاعة ومفاتيح كل خير يوم القيامة بتصرفي وفي نسخة بتشديد اليا
على التثنية للمبالغة او للتوزيع والتنويع وذلك لانه يصل انواع اللطف من
الله تبارك وتعالى لاهل العرصات من الانبيا وغيرهم بواسطة شفاعته العامة
في المقام المحمود تحت لواء الحمد وعند الحوض المورود وفي نسخة بنصب الكرامة
على انه مفعول ايسوا وبيدي خبر المفاتيح فقط اي اذا قنطوا من حصول
الكرامة ووقعوا في وصول ولواء الحمد يومئذ بيدي بسكون اليا وانا اكرم ولد
ادم على ربي ويسبق انه اكرم الاولين والاخرين على الله يطوف علي اي يدور حولي
الف خادم كانهم بيض مكنون اي مصون عن الغبار وقيل شبههم ببيض النعام
في الصفا والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان قلت هذا عند
بعض اولاد العرب بخلاف طباع اهل الشام وحلب وطائفة الاعجام وجماعة الاروام
فان الاحسن عندهم هو البياض المشوب بحمرة على ما ورد في شمائله صلى الله
عليه وسلم وفي مدح الحور العين كانهن الياقوت والمرجان حيث فسر المرجان
باللولو ويدل عليه قوله او لولو منثور قال تعالى ان او للتخيير في التشبيه وانما
قيده بالمنثور لانه اظهر في النظر من المنظوم مع ان النثر يناسب تفرق الخدم
ويحتمل ان يكون او للتنويع وقال شارح قوله بيض مكنون اي لولو مستور في
صدفه لم يمسه الايدي او لولو منثور وشك الراوي رواه الترمذي والدارمي
وقال الترمذي هذا حديث غريب ولفظ الترمذي على ما في الجامع انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ
بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال فاكسى صدر الحديث على ما في الجامع وغيره انا اول من تنشق عنه
الارض فاكسى والمعنى فابعث فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية جامع
الاصول اي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى اي الى اخر
الحديث فاختصاره من صاحب المصابيح مخل بالرواية والدراية وعنه اي عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله لي الوسيلة هي المذكورة
هي المذكورة في دعا الاذان ات محمدا الوسيلة فيحتمل الاطلاق والتقييد لوقت المسالة
وفي النهاية هي في الاصل ما يتوصل به الى الشي ويتقرب به قلت ومنه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قال الطيبي وانما طلب
عليه السلام من امته الدعا له بطلب الوسيلة افتقارا الى الله تعالى وهضما لنفسه
او لينتفع امته ويثاب به او يكون ارشادا لهم في ان يطلب كل منهم من صاحبه الدعا
له قالوا يا رسول الله وما الوسيلة اي المطلوبة المسؤولة قال الطيبي عطف على

مقدر أي تفعل ذلك وما الوسيلة انتهى والاظهر ان يقال امرنا بسؤاله الوسيلة وما الوسيلة
مع انه قد يقال لهذه الواو انها للربط بين الكلام قال اعلى درجة في الجنة لا ينالها اي
لا يدركها تلك الدرجة العالية الا رجل واحد ابهمه تواضعا ارجوا وفي نسخة وارجوا
ان اكون انا هو وضع الضمير المرفوع اعني هو موضع المنصوب اعني اياه رواه الترمذي
ولفظ الجامع سلوا الله لي الوسيلة اعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل وارجوا ان اكون
انا هو ورواه ابن ابي شيبة والطبراني في الاوسط عن ابن عباس سلوا الله لي الوسيلة
فانه لا يسالها عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وعن ابي بن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين بكسر الهمزة
في نسخ المشكوة قال التوربشتي انه بكسرها والذي بفتحها وينصبها على الظرف لم يصب
ذكره الطيبي وقال شارح فتحها ليس بصواب وقال ابن الملك الفتح غلط اقول ان كان بحسب
الرواية فلا بحث وان كان بحسب الدراية فالوجه لا محال وهو انه يريد به مقدمهم كما تقدم
من قوله وانا قايدهم اذا وفدوا ولا يظهر لاحد منهم ح الاهنا المعنى وخطيبهم اي اذا انصتوا
كما سبق وصاحب شفاعتهم اي في المقام المحمود غير فخر اي غير مفتخر بها او من غير فخر رواه
الترمذي وكذا احمد وابن ماجة والحاكم في مستدركه وعن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة بضم الواو جمع ولي من
النبيين قال التوربشتي اي احباء وقرناء وهم اولى بهم من غيرهم وان وليي ابي يعني به
ابراهيم عليه السلام وقد بينه بقوله وخليل ربي خبر بعد خبر لان ثم قرأ اي استشهادا
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه اي في زمانه وما بعده اذ لم من جاء من بعده من
الانبياء وهو من اولاده واتباعه في اصل التوحيد وتجريد التوكل وتفويض التفريد
وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين اي خصوصا وعموما قال التوربشتي وفي
كتاب المصابيح وان وليي ربي وهو غلط ولعل الذي حرف هذا دخل عليه الداخل من
قوله سبحانه ان وليي الله الذي نزل الكتاب والرواية على ما ذكرنا هو الصواب
قال المظهر وان كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب ان يكون وليي ابي خليل ربي
من غير واو والعطف الموجب للفايز وباضافة الخليل الى ربي ليكون عطف بيان
لابي اقول لو كان على خلاف قول الشيخ لكان حق العبارة اضافة الخليل الى ضمير
ربي قال الطيبي والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع
الاصول وكذا في مسند الامام احمد ابن حنبل وايضا لو ذهب الى ان خليل
ربي عطف بيان بلا واو لزم خمول كونه ابراهيم عليه السلام ابا النبي ووليه فاتى
به بيانا واذا جعل معطوفا عليه لزم شهرته به والعطف يكون لاثبات وصف اخر
له عليه السلام على سبيل المدح فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف
ذلك اقول والاظهر ان يقال ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله تعالى تلك ايات
الكتاب وقران مبين فان قلت لزم من قوله لكل نبي ولاة ان يكون لكل واحد
منهم اولياء متعددة قلت لا لان النكرة اذا وقعت في مكان الجمع افادت الاستغراق اي
اذ لكل نبي واحد واحدا واحدا لقوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قلت
وفي تقديره نظر ظاهر ولا محذور في كونه كل شجرة لها اقلام بل هو الظاهر المطلوب

في مقام

وقعـــــ سعوفجل

في مقام المبالغة بان يكون لكل شجرة اقلام رواه الترمذي وكذا احمد وهو كذا في الجامع الصغير
بدون قوله ثم قرأ الى اخره وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
بعثني لتمام مكارم الاخلاق جمع مكرمة خصلة يستحق الشخص بها ان يكون كريما والمراد
من الاخلاق الاحوال ولذا قوبل بقوله وكمال محاسن الاعمال للامور الظاهرة من
العبادات والاقوال والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وحاصله ان شريعته
افضل الافعال وطريقته اكمل الاحوال قال ابن الملك اي ارسلني الى العالم ليتم بوجودي
مكارم الاخلاق عبادة وليكمل محاسن افعالهم قال الطيبي الاضافة فيها من باب
اضافة الصفة الى الموصوف قال الراغب كل شيء يشرف في بابه فانه يوصف بالكرم
قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج كريم ومقام كريم وانه لقران كريم واذا وصف الله
تعالى به فهو اسم لاحسانه وانعامه المتظاهرة واذا وصف به الانسان فهو اسم
للاخلاق والافعال المحمودة التي يظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه انتهى
وكلامه ينظر الى ان العطف للتاكيد وما قدمناه اولى لكونه من التاسيس والتقييد
للتاييد قال الطيبي ومعنى هذا الحديث وحديث ابي هريرة مثلي ومثل الانبياء
الى قوله انا سددت موضع اللبنة يلتقيان في معنى اتمام ناقص انتهى والذي
تقدم في المعنى اتم والله اعلم رواه البغوي في شرح السنة باسناده ورواه ابن
سعد والبخاري في الادب المفرد والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة انما بعثت لاتمم
صالح الاخلاق وروى الحكيم والبيهقي عن عايشة مكارم الاخلاق عشرة
تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا
تكون في السيد يقسمها الله لمن اراد به السعادة صدق الحديث وصدق الباس
واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار
والتذمم للصاحب واقراء الضيف وراسهن الحياء والتذمم ان يرعى ذمامه اي
حرمته وقد روى البزار عن ابن عمر مرفوعا اللهم اهدني لصالح الاعمال والاخلاق
لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها الا انت وعن كعب يحكي عن التوراة قال
نجد مكتوبا محمد رسول الله بالرفع على حكاية المكتوب عبدي اي الخالص المختار
اي المصطفى على الخلق لا فظ بالرفع على ان لا عاطفة والمعنى انه ليس قبيح الخلق
ولا غليظ اي سيء الخلق ولا سخاب اي صياح في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة بل يدفع السيئة بالحسنة وهو معنى قوله ولكن يعفو اي في الباطن
ويغفر اي يستر في الظاهر مولده بمكة وهجرته الى دارها يعني مهاجره بطيبة اي
المدينة السكينة وملكه اي بعد انتهاء مدته وايام خلافته بالشام كما كان لمعاوية
ومن بعده لبني امية على ذكر النظام وقال المظهر اراد بالملك هنا النبوة والدين
فان ذلك يكون بالشام اغلب والا فله جميع الافاق لقوله وسيبلغ ملك امتي
ما زوي لي منها وقيل معناه الغزو والجهاد ثمة لانه يصير بلاد الكفار دار الجهاد
ملكا لاهل الاسلام ولهذا لا ينقطع الجهاد في الشام اصلا وامرنا بالمسافرة اليها لادراك
فضيلة الجهاد والمرابطة في سبيل الله قلت هذا انما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم
واما اليوم فالغزو والجهاد في بلاد الروم نعم هو في جهة الشام من الحرمين

الشريفين والله الحامدون اي البالغون في الحمد المكثرون له كما بينه بقوله يحمدون الله
في السراء والضراء في حالتي السرور والضرر والمراد الدوام لان الانسان لا يخلو منهما في الليالي
والايام فكانه قال يحمدونه على كل حال وهذه مرتبة بعض ارباب الكمال وهو المعني بقوله
يحمدون الله في كل منزلة اي مرتبة من المراتب الاحوال وقيل معناه في كل منزل ولعل
تانيثه باعتبار البقعة والناحية اي اذا نزلوا منزلا شكروا الله تعالى عليه لانه اوام الى
المنزل والسكون فيه ويكبرونه بقوله ويكبرونه على كل شرف بفتحتين اي مكان مرتفع تعجبا
لعظمة الله تعالى وقدرته لما يشرفون منها على عجائب خلقته كما انهم يسبحون في كل هبوط
رعاة بضم الراء جمع راع اي امته مراعون للشمس اي لطلوعها واستوائها وغروبها محافظة
لاوقات الصلوات واذا ارادوا العبادات وقد روى الحاكم عن عبد الله بن ابي اوفى مرفوعا
ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله وقوله يصلون
الصلوات اذا جاء وقتها استيناف تعليل لما سبق اي يراقبون ذلك وينظرون سيرها
ليعرفوا مواقيت الصلوة كيلا يفوت عنهم الصلوات في وقتها ثم استانف تنبيهه لبيان
بقية احوالهم بقوله يتازرون بتشديد الزاي اي يشدون ازارهم على انصافهم اي من
السرة الى الركبة ويؤيده ما في بعض المصابيح على اوساطهم ويشدون بعقد السراويل والمراد
مبالغتهم في ستر عوراتهم ويحتمل ان يكون على بمعنى الى اي ان ازرهم الى انصاف سوقهم قال
الطيبي وفيه ادماج المعنى التجلد والتشمر للقيام الى الصلوات لان من شد ازاره الى ساقه
تشمر لمزاولة ما همه بشانه او يكون كناية عن التواضع كما ان جر الازار كناية عن الكبر
والخيلاء ويتوضؤن اي ويصبون ماء الوضوء على اطرافهم اي على اماكن الوضوء ويسبغونها
مناديهم اي مؤذنهم ينادي في جو السما اي مكان مرتفع من منارة ونحوها صفهم في القتال
وصفهم في الصلوات سواء اي في كونهم كانهم بنيان مرصوص قال الطيبي شبه صفهم في الجماعة
بسبب مجاهدتهم النفس الامارة والشيطان بصف القتال والمجاهدة مع اعداء الدين واخرجه
مخرج التشابه في التشبيه ايذانا بان كل واحد منهما يصح ان يكون مشبها ومشبها به بل اخر ذكر
صف الصلوات لتكون مشبها به لكونه ابلغ لهم بالليل دوي بفتح الدال وتشديد الياء اي صوت
خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القران كدوي النحل هذا لفظ المصابيح وروى الدارمي
مع تغيير يسير قلت كان الاولى ايراد لفظ الدارمي فانه من اجل المخرجين ونقله اكمل عن
المحدثين وعن عبد الله بن سلام مكتوب في التوراة خبر قوله صفة محمد اي نعته
وجملة قوله وعيسى بن مريم يدفن معه عطف على المبتدا اي ومكتوب فيها ايضا ان
عيسى يدفن معه فحكاها قال الطيبي هذا هو المكتوب في التوراة اي مكتوب في التوراة
صفة محمد كيت وكيت وعيسى ابن مريم يدفن معه او المكتوب صفة محمد كذا وعيسى
ابن مريم يدفن معه قال ابو مودود وهو احد رواة الحديث مدني ذكره الطيبي وقال
المؤلف هو عبد العزيز بن سليمان المدني راى ابا سعيد الخدري وسمع السائب بن
يزيد وعثمان بن ضحاك وعنه ابن مهدي والعقبي وكامل وتقوح توفي في امارة المهدي
له ذكر في باب فضائل سيد المرسلين وقد بقي في البيت اي حجرة عائشة قبر فقيل بينه صلى
الله عليه وسلم وبين الصديقين وهو اقرب الى الادب وقيل بعد عمر وهو الاظهر فقد قال
الشيخ الجزري وكذا اخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة وراى القبور الثلاثة على هذه الصفة

موضع

النبي صلى الله عليه وسلم وراس عمر كذلك من ابي بكر تجاه رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وبقي موضع قبر
واحد الى جنب عمر وقد جاء ان عيسى عليه السلام بعد لبثه في الارض يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة
فيحمل الى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة الى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان مصحوبين
بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما الى يوم القيامة رواه الترمذي

الفصل الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على الانبياء وعلى اهل السماء فقالوا يا ابا عباس هو كنية ابن عباس بم فضله اي الله على اهل السماء
لانهم قد علا امرهم قال لانه هو على منوال يوم تبيض وجوه الاية قال ان الله تعالى قال لاهل
السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر تعميم
التفضيل من صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة اهل السماء وفرض ما لا يتاتى منهم وجعله كالواقع
وترتب الوعيد الشديد عليه اظهارا لكبريائه وجلاله وانهم بعداء من ان ينسبوا الى ما يشاركه
كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم من ملاطفته في الخطاب
معه صلى الله عليه وسلم وان ما صدر ويصدر منه مغفور وجعل فتح مكة علة للمغفرة والنصرة
واتمام النعمة والهداية الى الصراط المستقيم وانزال السكينة في قلوب المؤمنين انتهى
وخلاصة كلامه انه تعالى غلظ في وعيد خطابهم ولاطف في خطابه وعده لكنه فيه نظر فانه
سبحانه قد بالغ في مدحهم في مواضع كثيرة على ما لا يخفى ومنه ما قبل هذه الاية وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وغلظ في الوعيد
لنبيه صلى الله عليه وسلم على طريق الفرض والتقدير بالخطاب كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين مع ان المراد بقوله ومن يقل منهم يحتمل ان يكون من الملائكة او من الخلائق قال
القاضي يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
انتهى فالاولى ان يقال في وجه التفضيل ان هذه الاية تدل على انه مبعوث الى الملائكة ايضا كما
قال به بعض العلماء قالوا وما فضله اي زيادة فضله على الانبياء قال قال الله تعالى وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء الاية اي ويهدي من يشاء وقال الله
تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس قال الطيبي واما بيان فضله على
الانبياء فانه الله دل على ان كل نبي مرسل الى قوم مخصوص وهو صلى الله عليه وسلم مرسل الى
كافة الناس ولا ارتياب ان الرسل انما بعثوا لارشاد الخلق الى الطريق المستقيم واخراج الناس
من الظلمات الى النور ومن عبادة الاصنام الى عبادة الملك العلام فكل من كان منهم في هذا الامر اكثر تاثيرا
كان افضل وافضل وكان له صلى الله عليه وسلم فيه القدح المعلى وحاز قصب السبق اذ لم يكن مختصا بقوم
دون قوم وزمان دون زمان بل دينه انتشر في مشارق الارض ومغاربها وتغلغل في كل مكان واستمر امتداده
على وجه كل زمان زاده الله شرفا على شرفه وعزا على عزه ما ذر شارق ولمع بارق فله الفضل بحذافيره سابقا ولاحقا
فارسله الى الجن والانس اي كما يستفاد من بقية الايات القرانية نحو قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن يستمعون القران ونحو قوله عز وجل يا معشر الجن والانس على ما في سورة الرحمن فذكر الناس
من باب الاكتفاء تغليبا او تغليبا او لانه يعمهم ففي القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس
اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وقيل الفا للتعقيب وظاهر العبارة تقتضي ان يكون للنتيجة

وصف سيدنا محمد ص

وتوجيهه ان تعريفه الناس لاستغراق الجنس وكافة اما حال او صفة مصدر محذوف اي الكف ان يخرج فرد
من افراد هذا الجنس من الارسال فالجن تبع للناس فعلم التزاما ان رسالته عمت الثقلين جميعا وعن
ابي ذر الغفاري رضي الله عنه منسوب الي غفار بكسر اوله قبيلة مشهورة قال قلت يا رسول الله
كيف علمت انك نبي حتي استيقنت قال الطيبي حتي غاية للعلم اي كيف تدرجت في العلم حتي بلغ علمك
غايته التي هي اليقين فقال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببعض بطحا مكة موقع اي فنزل احدهما الي
الارض وكان الاخر بين السما والارض اي واقفا فقال احدهما لصاحبه الظاهر انه النازل اهو هو وضع
احدهما موضع هذا قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به بصيغة المجهول فوزنته علي بنا الفاعل
اي غلبته في الوزن ورجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بماية فوزنت بهم
فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزنت بهم فرجحتهم كاني انظر اليهم اي الي الالف الموزون ينتثرون
اي يتساقطون علي من خفة الميزان اي من خفة تلك الكفة قال فقال احدهما لصاحبه
لو وزنته بامته اي بجميع الخلق من قومه لرجحها قال الطيبي وفيه ان الامة كما يتوقفون
في معرفة كونه النبي صادقا الي اظهاره خوارق العادات بعد التحدي كذلك النبي
يتوقف في معرفته كونه نبيا الي امثال هذه الخوارق قلت وهذا ايضا يصلح ان
يكون جوابا عن الاشكال المذكور المشهور في سوال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتي رواهما اي الحديثين الدارمي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم كتب اي اوجب علي النحر اي الاضحية وقال الطيبي اي
وجب دعني به قوله تعالي فصل لربك وانحر ولم يكتب عليكم قبل النحر كان واجبا
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وان لم يكن غنيا الخبر ثلاث كتبت علي ولم يكتب عليكم
الضحي والاضحي والوتر ذكره ابن الملك في شرح المشارق في حديث نزلت علي انفا
سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر الخ وامرت بصلوة
الضحي ولم تومروا بها قال الطيبي لم يوجد في الاحاديث وجوب الضحي عليه صلي
الله عليه وسلم سوي هذا الحديث رواه الدارقطني قال ابن حجر في شرح الشمايل
رواية الدارقطني امرت الخ ضعيفة واما ما قيل انها من خصايصه ففيه ان الذي
من خصوصياته كما صرحوا به وجوب اصل صلوتها لا تكرارها كل يوم قلت وقد
رواه احمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس ايضا بلفظ كتب علي الاضحي ولم
يكتب عليكم وامرت بصلوة الضحي ولم تومروا بها فاقل مرتبة هذا الحديث ان يكون
حسنا ولولا ثبوته لما عدت من خصايصه ثم المتبادر من وجوبها عليه ان يكون
في كل يوم كما في بقية الواجبات الشرعية نعم الاولي ان انه لا يلزم من الامر الوجوب
لاحتمال ان يكون للاستحباب ويدل عليه ما رواه الدارقطني عن انس مرفوعا
امرت بالوتر والاضحي ولم يعزم علي ورواه احمد عن ابن عباس امرت بالوتر
وركعتي الضحي ولم يكتب او الجمع بين الادلة ان اصلها واجب واستمرارها
مستحب والله اعلم

باب اسما النبي صلي الله عليه وسلم وصفاته

الظاهر انه عطف تفسير فانه صلي الله عليه وسلم ليس له اسم جامد نعم له اسما
نقلت من الوصفية الي العلمية كاحمد وغيرها وله صفات باقية علي اصلها مختصة
به او اشترك فيها غيره والاظهر ان المراد بالاسما هو المعني الاعم منهما ~~والصفات~~

والصفات

والصفات الشمايل التي تاتي بيانها ثم من القواعد المقررة ان كثرة الاسما تدل علي عظمة
المسمي نعم في شرح مسلم للنووي ذكر ابو بكر ابن العربي المالكي في كتابه الاحوذي في
شرح الترمذي عن بعضهم ان لله تعالي الف اسم وللنبي صلي الله عليه وسلم الف اسم
ايضا ثم ذكر منها علي التفصيل بضعا وستين وقال ابن الجوزي في الوفا ذكر ابو
الحسين ابن الفارس اللغوي ان لنبينا صلي الله عليه وسلم اثنين وعشرين اسما
وذكرها الطيبي مفصلا وقد افرد السيوطي رسالة سماها البهجة السوية في
الاسما النبوية وقد اشتملت علي بضعة وخمسماية من الصفات المصطفوية
ولخصتها باخراج تسعة وتسعين اسما من صفاته العليا علي طبق عدد اسما
الله الحسني والان اقتصر علي ما يرد في الاحاديث الاتية مما المقصود هي الشافية
والكافية والوافية

الفصل الاول

عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي
صلي الله عليه وسلم يقول ان لي اسما اي كثيرة معظمة شهيرة انا محمد فقيل هو اسم
مفعول من التحميد وهو المبالغة في الحمد يقال حمدت فلانا احمده اذا اثنيت
عليه بجلايل خصاله واحمدته اذا وجدته محمودا ويقال هذا الرجل محمود فاذا
بلغ النهاية في ذلك وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد قال الاعشي
يمدح بعض الملوك الي الماجد الفرع الجواد المحمد اراد الذي تكاملت فيه الخصال
المحمودة وهذا البنا ابدا يدل علي بلوغ النهاية كما تقول في المدح محمد وفي الذم
مذمم وقيل هذا البنا للتكثير كفتحت الباب فهو مفتح اذا فعلت به ذلك مرة بعد
اخري ومحمد اسم منقول علي سبيل التفاول انه سيكثر حمده اقول وقد كان في
الظاهر ما اضمر في الباطن وسيحمده الاولون والاخرون في المقام المحمود تحت اللوا
الممدود وانا احمد افعل تفضيل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة اي احمد من كل حامد
او محمود بنا علي انه للفاعل او المفعول او الاول اظهر لما ذكر ولانه تعالي
يلهمه المحامد يوم القيامة لم يلهمها احدا من الاولين والاخرين فهو جامع
بين الحامدية والمحمودية كما جمع بين المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية
وقد اشرت الي بعض النكات الصوفية مما هو من المشارب الصفية في
رسالتي المسماة بالصلاة العلوية علي الصلوات المحمدية هذا وقال ابن الجوزي في الوفا
قال ابن قتيبة ~~في الوفا~~ ومن اعلام نبوة نبينا صلي الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد
باسمه صيانة من الله تعالي لهذا الاسم كما فعل بيحيي اذ لم يجعل له سميا وذلك انه تعالي
سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الانبيا فلو جعل الاسم مشتركا فيه شاعت الدعوي
ووقعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سموا اولادهم بذلك وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر لانه صلي الله عليه وسلم بعث والدنيا مظلمة بغياهب الكفر فاتي
صلي الله عليه وسلم بالنور الساطع حتي محا الله الكفر قال النووي يحتمل ان يراد به الظهور
بالحجة والغلبة كما قال الله تعالي ليظهره علي الدين كله وجا في حديث اخر مفسرا بالذي
محيت به سيات من تبعه كما قال تعالي قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وانا الحاشر اي ذو الحشر الذي يحشر اي يجمع الناس علي قدمي بفتح الميم وتشديد
اليا وفي بالكسر والتخفيف اي علي اثري قال النووي ضبطوه بتخفيف اليا علي الافراد وتشديدها

على التثنية قال الطيبي والظاهر على قدميه اعتبار الموصول الا انه اعتبر المعنى المدلول للفظه
انا وفي شرح السنة اي يحشر اول الناس لقوله انا اول من ينشق عنه الارض وقال النووي
اي على اثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي قال الطيبي هو من الاسناد المجازي لانه
سبب في حشر الناس لان الناس لم يحشروا ما لم يحشر وانا العاقب والعاقب الذي ليس
بعده نبي الظاهر ان هذا تفسير للصحابي او من بعده وفي شرح مسلم قال ابن الاعرابي العاقب
الذي يخلف في الخير من كان قبله ومنه يقال عقب الرجل لولده متفق عليه ورواه مالك
والترمذي والنسائي وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفي بكسر الفا المشددة
في جميع الاصول المصححة اي المتبع من قفى اثره اذا اتبعه يعني انه اخر الانبيا الاتي على
اثرهم لا نبي بعده وقيل المتبع لاثارهم امتثالا لقوله تعالى فبهداهم اقتده وفي معناه
العاقب وفي بعض نسخ الشمايل بفتح الفا المشددة لانه قفي به قال الطيبي قيل هو
على صيغة الفاعل وهو المولي الذاهب يقال قفى عليه اي ذهب به فكان المعنى هو اخر
الانبيا فاذا قفى فلا نبي بعده فمعنى المقفي والعاقب واحد لانه تبع الانبيا او هو المقفي
لانه المتبع للنبيين وكل شي تبع شيا فقد قفاه يقال هو يقفو اثر فلان اي يتبعه قال
تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا هذا احد الوجهين والوجه الاخر ان يكون المقفي
بفتح القاف ويكون ماخوذ من القفي والقفى الكريم والضيف والقفارة البر واللطيف
فكانه سمي المقفي لكرمه وجوده وفضله والوجه الاول احسن واوضح اقول والظاهر ان
هذا الوجه الثاني لا وجه له بل هو تصحيف لمخالفته اصول المشكاة والشمايل والشفا
والحاشر ونبي التوبة لانه تواب كثير الرجوع الى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اني استغفر
الله في اليوم سبعين مرة او مائة مرة او لانه قبل من امته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف
الامم السالفة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولما كان المعنى مختصا به سمي نبي التوبة ونبي
الرحمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة والرحمة
العطف والرافة والاشفاق لانه صلى الله عليه وسلم بالمومنين روف رحيم ولذا كانت امته امة
مرحومة لان النبي صلى الله عليه وسلم ما رحم الامة يرحمه الله رواه مسلم وكذا احمد على ما ذكره
السيوطي عنها لكن بلفظ المرحمة ثم قال وزاد الطبراني في الكبير ونبي الملحمة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش
ولعنهم اي ذمهم والاستفهام للتقرير ثم بين وجه الصرف مستانفا بقوله يشتمون بكسر
التا اي يسبون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد اي لا مذمم والمعنى ان ما ذكروه اوصاف المذمم
وانا بحمد الله محمد وقيل كانوا يسمونه بمذمم مكان محمد قال التوربشتي يريد بذلك تعريضهم
اياه بمذمم مكان محمد وكانت العورا بنت حرب زوجة ابي لهب تقول مذمم ما قلينا ودينه ابينا
وامره عصينا رواه البخاري وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
شمط بكسر الميم اي شاب مقدم راسه ولحيته ففي المغرب شمط بالكسر اذا ابيض شعر راسه
يخالط سواده والوصف اشمط وبالفارسية دو موي في المعنى ظهر الشيب في شعر راسه ولحيته
وكان اي هو وشيبه اذا ادهن بتشديد الدال اي استعمل الدهن لم يتبين اي لم يظهر الشيب

واذا اشعث بكسر العين اي تفرق راسه اي شعره تبين اي ظهر بعض الشيب قال الطيبي دل
هذا على انه عند الادهان يجمع شعر راسه ويضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات البيض من
قلتها لا يتبين فاذا اشعث راسه تبين اقول والاظهر ان شعث الراس كناية عن عدم الادهان
ويدل عليه ما رواه الترمذي عن جابر بن سمرة ايضا سيل عن شيب رسول الله فقال
كان اذا ادهن راسه لم ير منه شيب فان لم يدهن روي منه وقد روى الترمذي عن ابن
عمر قال انما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضا وعن انس
قال ما عددت في راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضا وكان كثير
شعر اللحية اي كثيفها لا خفيفها او المراد انه لم يكن كوسجا فقال رجل وجهه مثل السيف يعني
في البريق واللمعان لكن لما كان يوهم الطول ايضا قال اي جابر لا بل كان اي وجهه مثل الشمس
والقمر اي في قوة الضيا وكثرة النور ويمكن ان يكون الاستفهام مقدرا فالتقدير اوجهه مثل
السيف فقال اي اخر ثم قاله تنبيها للمبنى ونفيا للمعنى كان اي وجهه مستديرا اي مايلا الى
التدوير اذ ورد في شمايله انه لم يكن مطهم الوجه قال الطيبي رده الراوي ردا بليغا حيث شبهه
بالسيف الصقيل ولما لم يكن الوجه شاملا للطرفين قال مرادف تمام المراد من الاستدارة والاشراق
الكامل والملاحة قال لا بل كان مثل الشمس في نهاية الاشراق والقمر في الحسن والملاحة ولما
لم يفهم منه الاستدارة عرفا قال وكان مستديرا بيانا للمراد فيهما ورايت الخاتم بفتح التا وكسرها
اي خاتم النبوة عند كتفه مثل بيضة الحمامة اي مدورا يشبه اي لونه جسده اي لون
ساير اعضايه والمعنى لم يخالف لونه لون بشرته وفي نفي البرص رواه مسلم وفي الجامع كان خاتم
النبوة في ظهره بضعة ناشزة اي قطعة مرتفعة عن الجسم رواه الترمذي في الشمايل عن ابي
سعيد وفي رواية للترمذي عن جابر بن سمرة كان خاتمه غدة حمرا مثل بيضة الحمامة وقد
جمعت غالب طرق الفاظ الحديث وبينت مبانيه في شرح الشمايل وعن عبد الله بن سرجس
بالسينين المهملتين وبينهما جيم بوزن نرجس كذا في اسما الرجال للمولف ونرجس على ما في
القاموس بكسر النون وفتحها معروف ذكره في رجس فالنون زايدة فيفيد كونه غير منصرف
على ما في بعض النسخ والمعتمد ما في بعضها من فتح السين وسكون الرا وكسر الجيم مصروفا
وهو المطابق لما في المغني وفي نسخة بفتح الجيم وما رايت له وجها قال رايت النبي صلى الله عليه
وسلم واكلت معه خبزا ولحما او قال ثريدا شك في اللفظ واتحاد في المعنى واختلاف في المراد
وقد جا في رواية ابي داود والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان احب الطعام اليه الثريد
من الخبز والثريد من الحيس ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض
كتفه اليسرى بكسر المعجمة الاولى اي اعلى الكتف وقيل عظم رقيق على طرفه كذا في النهاية
وتبعه ابن الملك وقال شارح الناغض الغضروف وهو ما لان من العظم وقيل اصل
العنق وقيل ما ارتفع من الكتف وهو اعلاه ولا اختلاف بين هذا وبين ما هو المشهور
من انه بين كتفيه لانه يحتمل انه وجده كذلك والقول المشهور لا يدل على كونه
بينهما على السوا بل يحتمل ان يكون بينهما على التفاوت من احد الجانبين او كان على السوا
وخيل اليه انه الى اليسرى اقرب وكذلك القول فيمن روى عنه اي عن كتفه اليمنى
جمعا بضم الجيم وسكون الميم ففي النهاية الجمع هو ان تجمع الاصابع وتضمها تقول ضربته
بجمع كفه بضم الجيم انتهى واما ضم الميم فغلط من الراوي كذا ذكره بعضهم وفي المصابيح

جميعا اي مجموعا قال الامام التوربشتي لا احققه رواية والاشبه انه غلط من الكاتب وفي كتاب مسلم الجمع
مثل الجمع بضم الجيم وهو الكف حين تقبضها ويؤيده ما ورد في صفة خاتم النبوة كالكف وفي كتاب مسلم
من طريق اخرى جمعا اي كجمع فنصبه على انه حال اي نظرت اليه مجموعا اي مجتمعا قال النووي
وظاهر قوله جمعا يحتمل ان يكون المراد تشبيهه به في الهيئة وان يكون في المقدار والمراد به هنا
الهيئة ليوافق قوله مثل بيضة الحمام عليه خيلان بكسر اوله جمع خال وهي نقطة تضرب الى
السواد وفي النهاية وهو الشامة في الجسد كامثال الثاليل بفتح المثلثة وبمد الهمزة وكسر اللام الاولى
جمع ثولول بضم الفا وسكون الهمزة خراج صلب يخرج على الجسد له نتو واستدارة وفي النهاية
وهو هذه الحبة التي يظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها وبالفارسية زخ بفتح الزاي وسكون
الخا المعجمة رواه مسلم وعن ام خالد بنت خالد بن سعيد قيل اسلم بعد ابي بكر فهو ثالث
او رابع في الاسلام قال المولف هو ابن العاص الاموية وهي مشهورة بكنيتها ولدت بارض الحبشة
وقدم بها الى المدينة وهي صغيرة ثم تزوجها الزبير بن العوام روى عنها نفر قالت اتي النبي صلى الله عليه وسلم
اي جي بثياب فيها خميصة اي في جملتها كسا اسود مربع له علمان ذكره المظهر فقوله سودا
تاكيد او تجريد صغيرة فقال ائتوني بام خالد فاتي بها اي بام خالد تحمل حال من الضمير في
بها اي محمولة لانها طفل فاخذ الخميصة بيده فالبسها لا يخفى ما فيه وفي ما قبله من النقل
بالمعنى او الالتفات في المبنى قال استيناف في بيان ابلي امر مخاطبة لها من الابلا وهو
جعل الثوب خلقا واخلقي من الاخلاق بمعناه وجمع بينهما للتاكيد والمراد به
الدعا فقوله ثم ابلي واخلقي زيادة مبالغة في الدعا لها بطول عمرها ثم اعلم ان اخلقي
بالقاف في النسخ المصححة وروي بالفا فهو تاسيس لا تاكيد لفظا وان كان يوول
اليه معنى واخلفي ثوبا بعد ثوب فان الاخلاف لما لا يكون الا بعد الاخلاق ويؤيده
ما رواه ابو داود انه صلى الله عليه وسلم اذا راى على راي صاحبه ثوبا جديدا قال له ابلي
وتخلف الله وفي الحصن ابلي واخلق ثم ابلي واخلق فذكره بصيغة
الاواد ثلاث مرات ولعله نقل بالمعنى او وقع خطابه صلى الله عليه وسلم لاحد عن اصحابه
من غيرها بهذا الدعا ثلاث مرات والله اعلم وكان فيها اي في الخميصة علم اخضر او اصفر
فقال يا ام خالد هذا اي العلم او هذا الثوب سناه اي حسن وهو بفتح السين المهملة
فنون فالف فها السكت وفي نسخة بكسر السين وروي سنه بلا الف ونون
خفيفة وروي بنون مشددة وهي بفتحها وله عند الجميع الا الفارسي فانه بكسرها
وهي اي كلمة سناه اي بلغة الحبشة حسنة انها باعتبار تانيث مبتداه وهو هي
بالحبشة وهو من كلام ام خالد او تفسير من غيرها قالت فذهبت العب بخاتم النبوة فزبرني
ابي اي صاح علي وزجرني وهددني ونهاني عن ذلك فقال الله صلى الله عليه وسلم دعها اي
لتتبرك بالخاتم ايضا كما تبركت بالباس الخلعة الشريفة وهذا يدل على كمال حلمه وكرمه
وحسن عشرته مع صحابته وقد اشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي في عوارفه
الى ان اسناد المشايخ الصوفية في لبس الخرقة بهذا الحديث اقول ولعله اراد الباس
خرقة التبرك دون الباس خرقة الاجازة رواه البخاري وكذا ابو داود وعن انس رضي
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن اي البعد
عن حد الاعتدال والمفرط طولا الذي يبعد من قدر الرجال الطوال او الظاهر البين طوله من

بان اذا بعد او ظهر ولا بالقصير اي المتردد كما في رواية والحاصل انه كان معتدل القامة لكن الى الطول
اميل فانه النفي انصب الى قيد وصف البائن فثبت اصل الطول ونوع منه فهو بالنسبة الى الطويل
البائن قصير ولذا قيد نفي القصير بالمتردد ويؤيده انه جا في رواية انه اربعة الى الطول وهذا
انما هو في حد ذاته والا فما تماشاه طويل الا غلبه صلى الله عليه وسلم في الطول وليس بالابيض
الامهق اي الذي بياضه خالص لا يشوبه حمرة ولا غيرها كلون الثلج والبرص واللبن فالمراد
انه كان نير البياض وقد جا في رواية انه كان بياضه مشوبا بالحمرة وهو احسن انواع الالوان المستحسنة
عند الطباع للون ونه وهذا معنى قوله ولا بالادم اي الشديد السمرة وليس بالجعد القطط
بفتحتين وبكسر الثانية اي الشديد الجعودة كشعور الحبش ولا بالسبط بكسر الموحدة وفتحها
وسكونها وهو من السبوطة ضد الجعودة وهو الشعر المنبسط المسترسل كما في غالب شعور
الاعاجم ففي القاموس السبط ويحرك وككتف نقيض الجعودة فالمعنى ان شعره صلى الله عليه وسلم
كان وسطا بينهما بعثه الله تعالى على راس اربعين سنة المشهور انه صلى الله عليه وسلم بعث
بعد استكماله اربعين سنة فالمراد بالراس اخر السنة كما في قول القرا والمفسرين من ان روس
الاي اواخرها سوا اريد بلفظ الاربعين السنة التي تنضم الى تسعة وثلاثين او مجموع السنين
من اول الولادة الى استكمال اربعين سنة هذا وقال صاحب جامع الاصول ان الصحيح عند
اهل العلم بالاثر انه بعث على راس ثلاث واربعين سنة فاقام بمكة عشر سنين اي على
خلاف في ثلاث والا فالصحيح ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون فمن قال ستين الغى
الكسر ومن قال خمسا وستين ادخل سنة الولادة والوفاة ثم العشر بسكون الشين
واما ما ضبط في بعض النسخ المصححة بفتحها ايضا فغير معروف وبالمدينة عشر سنين وتوفاه
الله تعالى على راس ستين سنة وليس اي والحال انه لا يوجد عنه وفاته في راسه ولحيته
عشرون شعرة بسكون العين وبفتح بيضا يعني بل ما عددن فيها الا اربع عشرة شعرة بيضا
كما تقدم والله اعلم وفي رواية يصف اي ينعت انس النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ربعة
بسكون الموحدة وقد تفتح من القوم يقال رجل ربعة ومربوع اذا كان بين الطويل والقصير
فقوله ليس بالطويل ولا بالقصير تفسير وبيان له ازهر اللون خبر بعد خبر لكان اي نير اللون
وحسنه وهو المتوسط بين الحمرة والبياض ذكره شارح وقال الطيبي نقلا عن القاضي الازهر
الابيض المستنير والزهر والزهرة البياض النير وهو احسن الالوان وقال اي انس كان
شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح العين ويسكن الى انصاف اذنيه بضم الذال ويسكن
وفي رواية بين اذنيه وعاتقه متفق عليه وفي رواية البخاري قال كان ضخم الراس
اي عظيمه وهو ممدوح عند العرب لدلالته على عظمة صاحبه وسعادته واشارته الى كمال
رياسته وسيادته والقدمين لدلالتهما الى الشجاعة والثبات والقوة في العبادات لم ار
بعده اي بعد شهوده ولا قبله اي قبل وجوده مثله اي مماثلا ومساويا له في جميع مراتب
الكمال خلقا وخلقا في كل الاحوال وهذا في الحقيقة شاهدة لمعجزة من مراتب وصفه ومناقب
نعته وكان بسط الكفين اي عظيمهما قال ابو عبيد يعني انهما الى الغلظ والقصر اميل وقال
غيره هو الذي في انامله غلظ بلا قصر ويحتمل ان يكون كناية عن الجود لان العرب تقول للبخيل
جعد الكف وفي ضده بسط الكف وفي اخرى له اي للبخاري قال كان شثن القدمين
والكفين بسكون المثلثة اي غليظ الاطراف من شثن بالضم والكسر اذا غلظ ويحمد ذلك

ووقف لله عز وجل

في الرجال لانه اشد لقبضهم وادل على قوتهم ويذم في النسا لفوات المطلوب منهن وهو الرعانة ثم المراد
غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد لما صح عن انس ما مسست ديباجة ولا حريرة الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا
اي قريبا منه والا فهو اطول منه بعيد ما بين المنكبين روي بكسر او مصغرا وروي منصوبا
على انه خبر ثان لكان ومرفوعا على حذف المبتدا له شعر يبلغ شحمة اذنيه اي وصلها
وفي رواية ابن ماجة والترمذي في الشمايل عن عايشة كان شعره دون الجمة وفوق
الوفرة والجمة من شعر الراس ما سقط على المنكبين والوفرة شعر الراس اذا وصل الى
شحمة الاذن ولعل اختلاف الروايات باعتبار اختلاف الحالات رايته في حلة حمرا اي
فيها خطوط حمر ذكره ابن الملك وقال ابن الهمام هي عبارة عن ثوبين من اليمن فيها
خطوط حمر وخضر لا انه احمر بحت وقال العسقلاني هي ثياب ذات خطوط قال ميرك
فلا دليل فيه لمن قال بجواز لبس الاحمر اقول ولو حمل على ظاهره فلا دلالة ايضا اذ يحتمل
انه من باب الاختصاص او قبل النهي او لبيان الجواز فيفيد ان النهي عن الحمرة للكراهة
لا للحرمة لم ار شيا قط احسن منه وهو ايضا يفيد نفي المساواة تعي قا متفق عليه
ورواه ابو داود والترمذي والنسايي وفي رواية لمسلم وكذا للثلاثة قال ما رايت من
ذي لمة بكسر اللام وتشديد الميم في النهاية اللمة شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها
المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة احسن في حلة حمرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعره يضرب اي يصل منكبيه بعيد ما بين المنكبين بالرفع ليس بالطويل ولا بالقصير
اي المفرطين وعن سماك بن حرب بكسر السين تابعي مشهور كوفي قال ادركت ثمانين
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضليع الفم اي وسيعه وهو كناية عن غاية الفصاحة ونهاية البلاغة وقال النووي اي عظيمه
هكذا قاله الاكثرون وهو الاظهر قالوا والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم اشكل العينين
الاشكل على ما في القاموس ما فيه حمرة وبياض مختلطتان وما فيه بياض يضرب الى حمرة منهوس
العقبين بالشين المعجمة اي مفرقهما على ما في القاموس في المهملة والمعجمة قيل لسماك
ما ضليع الفم قال عظيم الفم قال عظيم في القاموس رجل ضليع الفم اي عظيمه او
واسعه او عظيم الاسنان متراصفها والعرب تمدح بسعة الفم وتذم صغره قيل ما اشكل
العينين وهم منه وغلط ظاهر وصوابه ما اتفق عليه العلما ونقله ابو عبيدة وجميع
اصحاب الغريب وهو ان الشكلة حمرة في بياض العين وهو محمود قيل ما منهوس
العقبين قال قليل لحم العقب رواه مسلم وكذا الترمذي وعن ابي الطفيل قال
المولف هو عامر بن واثلة الليثي الكناني غلبت عليه كنيته ادرك من حياة النبي
صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ومات سنة ماية واثنتين بمكة وهو اخر من مات من
الصحابة في جميع الارض روى عنه جماعة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ابيض مليحا احترازا من كونه امهق مقصدا بفتح الصاد المشددة اي متوسطا
معتدلا وفي النهاية هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كان خلقه نحي به
القصد من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي الافراط والتفريط رواه
مسلم وكذا الترمذي في الشمايل عنه وفي رواية له فيها عن ابي هريرة كان ابيض

كانما

ونهاية صح

كانما صيغ من فضة وروى البيهقي عن علي انه صلى الله عليه وسلم كان ابيض مشربا
بحمرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا وضع رداه عن منكبيه فكانه سبيكة فضة
وعن ثابت قال المولف هو ثابت بن اسلم البناني ابو محمد تابعي من اعلام اهل البصرة
وثقاتهم اشتهر بالرواية عن انس ابن مالك وصحبه اربعين سنة قال سيل انس
عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر الخا ما يختضب به من خضبه لونه
على ما في القاموس فقال انه لم يبلغ ما يخضب بكسر الضاد قال شارح فاعل يبلغ ضمير عايد
الى شعر النبي صلى الله عليه وسلم وما مصدرية وفاعل يخضب النبي صلى الله عليه وسلم اي
يبلغ الخضاب وقيل ما موصوله وعايدها محذوف اي يخضبه وهو مفعول يبلغ اي
لم يبلغ شعره حدا يخضبه يعني كان بياضه قليلا قال الطيبي اي كان قليل الشيب
لا يظهر في بروز النظر فلم يفتقر كتمه بالخضاب لو شيت ان اعد اي احصي شمطاته بالحركات
اي شعراته البيض في لحيته جواب لو محذوف اي لاعدها او لعددتها او لفعلت
وفي رواية لو شيت ان اعد شمطات كن في راسه فعلت وهو كناية عن قلة البياض
فيهما لان المعدود من اوصاف القليل ومنه قوله تعالى ايا ما معدودات ودراهم
معدودة وفي رواية لمسلم قال انما كان البياض اي صاحبه وهو الشعر الابيض
كناية عن الشيب في عنفقته بفتح العين وسكون النون ففا ثم قاف اي شعره
النابت تحت شفته السفلى وفوق الذقن وفي الصدغين بضم اوله اي الشعر
المتدلي على ما بين العين والاذن وفي الراس نبذ بفتح النون وسكون الموحدة
فذال معجمة اي شي يسير من شيب وفي نسخة بنون مضمومة فموحدة مفتوحة
اي شعرات متفرقة قال الطيبي نبذ مبتدا وقوله في عنفقته خبره والجملة خبر كان
قلت ولا يبعد ان تكون الجملة معطوفة على جملة انما كان والاظهر ان الجار معطوف
على ما قبله من امثاله ونبذ خبر مبتدا محذوف هو هو وهو راجع الى البياض وعن
انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي ابيض نيرا كان
بتشديد النون عرقه اللولو اي في الهيية والصفا والضيا اذا مشى تكفا بتشديد
الفا مهموز وفي نسخة صحيحة بالالف قال النووي هو بالهمز وقد يترك همزه وزعم كثيرون
انه بلا همزة وليس كما قالوا ونقل شارح عن التوربشتي ان الرواية المعتد بها
في تكفى بغير همز وذكر الهروي ان الاصل فيه الهمزة ثم تركت قال التوربشتي قيل
اي تمايل الى قدام كما يتكفا السفينة في جريها من قولهم اكفاته وكفاته اذا
املته ويقال تكفا تكفا الا انه تكفا وتكفيا او اراد به الترفع عن الارض مرة واحدة
كما يكون مشي الاقويا وذوي الجلادة بخلاف المتماوت الذي يجر رجله في الارض
ويدل عليه قول الواصف اذا مشى تقدم وفي شرح مسلم قال شمر معناه مال يمينا
وشمالا تكفا السفينة قال الازهري هذا خطا لان هذه صفة المختال قال القاضي
عياض لا بعد فيما قاله شمر اذا كان خلقه وجبلته والمذموم منه ما كان مستعملا
مقصودا ما مسست بكسر السين الاولى وبفتح ديباجة بكسر الدال وبفتح وهو
نوع من الحرير ولا حريرا اي مطلقا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا شممت بكسر الميم الاولى وبفتح مسكا ولا عنبرا اطيب من رايحة النبي صلى الله عليه

وسلم قال العسقلاني مسست بكسر المهملة الاولى على الافصح وكذلك شممت بكسر
الميم الاولى وفتحها لغة ونيالها في المضارع امسه واشمه بالفتح فيهما على الافصح
وبالضم على اللغة المذكورة وفي القاموس الشم حسن الانف شممته بالكسر اشمه وشممته
اشم بالضم شما متفق عليه وفي الشمايل للترمذي كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا قط ولا شيا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب
من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة من عرف بالفا **وعنه** اي عن
انس عن ام سليم بالتصغير كذا في الاصول المعتمدة وفي بعض النسخ وعن ام سليم
بدون قوله وعنه قال المولف هي بنت ملحان بكسر الميم وفي اسمها خلاف تزوجها
مالك ابن النضر ابو انس بن مالك فولدت له انسا ثم قتل عنها مشركا واسلمت
فخطبها ابو طلحة وهو مشرك فابت ودعته الى الاسلام فاسلم فقالت اني اتزوجك
ولا اخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها ابو طلحة روى عنها خلق كثير ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان ياتيها اي يجي بيتها فيقيل بفتح اليا من القيلولة
وهو الاستراحة عند الهجيرة وقد يكون مع النوم عندها اي لانها كانت
ام خادمه وهو انس ولا دلالة فيه على الكشف والخلوة قال النووي ام حرام
وام سليم كانتا خالتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محرمين اما من الرضاع
واما من النسب فيحل له الخلوة بهما فكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على
غيرهما من النسا وقيل انما كان يقيل عندها لانها كانت من محارمه من جهة
الرضاع والا لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الحجاب عليها وعلى
اختها ام حرام وقد دخل بعده عليهما دون غيرهما من نسا الانصار والنبي
صلى الله عليه وسلم لم يكن رضيعا في المدينة فتعين ان يكون ذلك من
قبل ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وقال التوربشتي قد وجدت في بعض
كتب الحديث انهما كانتا من ذوات محارم النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم
لم يكن ليقيل في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه وبينها نسب محرم من رحم ووصلة
فلا بد ان يكون ذلك من جهة الرضاع واذ قد علمنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن ليقيل في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من رحم
ووصلة فلا بد ان يكون ذلك من جهة الرضاع واذ قد علمنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن ليقيل في بيت اجنبية بحمل الى المدينة رضيعا تعين ان يكون
ذلك من قبل ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وكان عبد المطلب قد فارق
اباه هاشما وتزوج بالمدينة في بني النجار وام حرام وام سليم بنتا ملحان كانتا من بني
النجار فعرفنا من جميع ذلك ان المحرمية بينهم كانت من جهة الرضاع ولقد وجدنا الجم الغفير
من علما النقل اوردوا احاديث ام حرام وام سليم ولم يبين احد منهم العلة اما
من الغفلة عنها واما لعدم العلم بها واحببت ان ابين وجه ذلك كيلا يظن جاهل
انه كان في سعة من ذلك لمكان العصمة ولا يتذرع متسبب الى الترخص عما لا رخصة في
وراى ظني انه اعلم اول من وفقت لذلك فواها لها من درة كنت مستخرجها والله الموهبة فتبسط

اي تورشا ام سليم نطعا بكسر النون وفتحها وسكون الطا وفي القاموس هو بالكسر وبالفتح بالتحريك
وكعنب بساط من الاديم فيقيل عليه وكان كثير العرق اي لانه كان كثير الحيا فكانت تجمع عرقه
فتجعله في الطست اي في الطست الذي معها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سليم ما
هذا اي الذي تفعلينه قالت عرقك نجعله في طيبنا اي ليطيب طيبنا ببركته او زيادته
وهو اي عرقك او الطيب المخلوط به من اطيب الطيب وفي رواية قالت يا رسول الله نرجو بركته اي كثرة
خيره لصبياننا قال اصبت اي فعلت الصواب وفي استحباب التبرك والتقرب باثار الصالحين قيل
لما حضر انس بن مالك الوفاة اوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك الطيب متفق عليه **وعن** جابر
ابن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الاولى من باب اضافة الموصوف الى الصفة
والمتبادر انها الصبح قال النووي وتبعه ابن الملك هي صلوة الظهر ثم خرج اي من المسجد الى اهله
اي متوجها الى احدى الحجرات الشريفة وخرجت معه فاستقبله ولدان جمع وليد وهو الصبي فجعل
اي شرع يمسح اي بيديه الكريمتين خدي احدهم واحدا واحدا حال واما انا فمسح خدي بصيغة
التثنية وفي نسخة بالافراد على ارادة الجنس فوجدت ليده بردا اي راحة او ريحا اي رايحة
طيبة والظاهر انه او بمعنى الواو او بمعنى بل كانما اخرجها اي اذا اخرج يده من اكمه فكانه اخرجها من
جونة عطار بضم الجيم وسكون الهمز ويبدل اي سلته او حقته وفي النهاية هو بضم الجيم التي
يعد فيها الطيب ويحرز قال النووي وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه وهو مما
اكرمه الله سبحانه وتعالى به قالوا وكانت هذه الريح الطيبة صفته وان لم يمس طيبا ومع هذا
كان يستعمل الطيب في كثير من الاوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقات الملايكة واخذ الوحي الكريم
ومجالسة المسلمين رواه مسلم وذكر حديث جابر سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي في باب الاسامي
وحديث السايب بن يزيد نظرت الى خاتم النبوة تمامه مثل زر الحجلة في باب احكام المياه **الفصل**
الثاني عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير
اي بل كان معتدل القامة ضخم الراس اي عظيمه لدلالته على عظمة رياسته واللحية اي كثيفها
دون الكوسج وقد روى الطبراني عن العدا بن خالد انه صلى الله عليه وسلم كان حسن السبلة اي اللحية
شثن الكفين والقدمين اي انهما يميلان الى الغلظ والقصر كذا في النهاية مشربا حمرة اي مخلوطا لونه
بالحمرة وهو على صيغة المفعول مخففا ويجوز تشديده ففي النهاية الاشراب خلط لون بلون
كان احد اللونين سقى اللون الاخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير
والمبالغة ضخم الكراديس اي عظيم الاعضا وهو جمع الكردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل
نحو المنكبين والركبتين والوركين وقيل روس العظام طويل المسربة بفتح الميم وسكون
السين وضم الرا الشعر المستدق الذي ياخذ من الصدر الى السرة اذا مشى تكفا تشديدا لفا
بعده همز او الف وهو انسب بقوله تكفيا بكسر الفا المشددة بعدها تحتية على ان اصله تكفو
بضم الفا والهمز فلما خففت ماضيه بالابدال الحق مصدره بالمعتل وفي نسخة تكفوا على الاصل
وقال شارح تكفا تكفوا بالهمز وهو الميل تارة الى اليمين واخرى الى الشمال في المشي وقيل تكفا
اي اعتمد الى القدام من قولهم كفات الانا اذا قلبته ويويده قوله كانما ينحط بتشديد الطا
اي يسقط من صبب اي منحدر من الارض فمن تعليلية او بمعنى في ظرفيه ولذا قيل اي يسقط
من موضع عال والمعنى يمشي مشيا قويا سريعا وفي شرح السنة الصبب الحدور وهو
ما انحدر من الارض يريد به انه كان يمشي مشيا قويا يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا لا كمن

يمشي اختيالا ويقارب خطاه تنعما لم ار قبله اي قبل موته لان عليا لم يدرك زمانا قبل وجوده ولا بعده اي بعد فوته مثله صلى الله عليه وسلم وربما يكون هذا الكلام كناية عن عدم رؤية المماثل له مطلقا مع قطع النظر عن القبلية والبعدية فجنده فذلكة مشتملة على اظهار العجز عن غاية وصفه ونهاية نعته رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه اي عن علي كان اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم اي من جهة خلقه قال لم يكن بالطويل الممغط بضم الميم الاولى وتشديد الثانية المفتوحة وكسر الغين المعجمة اي الممدود من المغط وهو المد وهو من باب الانفعال على ما اختاره ابن الاثير في جامع الاصول وخطا المحدثين في جعله اسم فاعل من التمغيط ووافقهم الجوهري وتبعه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح كذا ذكره ميرك وفي النهاية هو بتشديد الميم الثانية المتناهي في الطول من امغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل وغيره اذا امددته واصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة ولا بالقصير المتردد اي المتناهي في القصر كانه تردد بعض خلقه على بعض وانضم بعضه الى بعض وتداخلت اجزاؤه وكان ربعة من القوم اي متوسطا مما بين افرادهم فهو في المعنى تاكيد لما قبله ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط تقدم بيان مبناه ومعناه قوله كان جعدا رجلا بكسر الجيم وبفتح وبسكون اي لم يكن شديد الجعودة ولا السبوطة ولم يكن بالمطهم بتشديد الهاء المفتوحة اي الفاحش السمين وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد وقيل هو المنتفخ الوجه ولا بالمكلثم بفتح المثلثة اي المدور وجهه غاية التدوير بل كان وجهه مائل الى التدوير ولذا قال وكان في الوجه اي في وجهه تدوير اي نوع تدوير او تدوير ما والمعنى انه كان مبين الاسالة والاستدارة ابيض اي هو ابيض اللون مشرب اي مخلوط بحمرة ادعج العينين اي اسود العينين مع سعتهما ذكره شارح وفي النهاية الدعج والدعجة شدة السواد في العين وغيرها تريد ان سواد عينيه كان شديدا وقيل الدعج شدة سواد العين في بياضها اهدب الاشفار بفتح الهمزة جمع شفر بالضم اي كثير اطراف الجفون كثير الهدب عليها والاهدب الرجل الكثير اشفار العين واشفارها هي اطراف الجفون التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب كذا حققه شارح وفي النهاية اي طويل شعر الاجفان جليل المشاش بضم الميم اي عظيم روس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وقال الجوهري هي روس العظام والمناكب والكتد اي وجليله وهو بفتح الفوقية وكسر ما بين الكاهل والظهر ذكره شارح وفي النهاية هو مجتمع الكتفين وهو الكاهل اجرد اي الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن صلى الله عليه وسلم كذلك وانما اراد به الشعر كان في ماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين فان ضد الاجرد الاشعر الذي على جميع بدنه شعر وقد بين بقوله ذو مسربة انه لم يكن اجرد على الاطلاق ومن اصحاب التجارب من الهند وغيرهم من لا يحمد الرجل اذا كان في سائر اعضائه اجرد ولا سيما الصدر شثن الكفين والقدمين اي غليظهما الدال على قوة البطش والثبات المشير الى صفة الشجاعة ونعت العبادة اذا مشى تقلع بتشديد اللام اي يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا بقوة مدارك احديهما بالاخرى مشيته اهل الجلادة لا كالذي يقارب الخطا احتشاما واحتيالا فان ذلك من مشي النساء ويوصفن به كانما يمشي اي ينحط في صبب اي منحدر من الارض

ووجه

ففيه ايما الى قوة المشي والميل الى القدام واذا التفت اي اراد الالتفات الى احد جانبيه التفت معا اي بكليته بمعنى انه لا يسارق النظر وقيل اراد لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا قال التوربشتي يريد انه كان اذا توجه الى الشيء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضا كيلا يخالف بدنه قلبه وقصده مقصده لما في ذلك من التلون واثار الخفة بين كتفيه خاتم النبوة جملة من خبره مبتدا وهو خاتم النبيين اجود الناس صدرا اما من الجودة بفتح الجيم بمعنى السعة والانفساح اي اوسعهم قلبا فلا يمل ولا يتزجر من اذى الامة ومن جفا الاعراب واما من الجود بالضم بمعنى الاعطاء ضد البخل على احد شيئا من زخارف الدنيا ولا من العلوم والحقائق والمعارف التي في صدره فالمعنى انه اسخى الناس قلبا واصدق الناس لهجة بسكون الهاء ويفتح اي لسانا ففي القاموس اللهجة اللسان ويحرك وكذا في الصحاح وقال في الديوان اللهجة بفتحتين اللسان وهي الفصحى وسكون الهاء لغة ضعيفة وفي الفائق روي في اللهجة فتح الهاء وسكونها والفتح افصح وقال ابو حاتم عن الاصمعي اللهجة بهاء ساكنة ولم يعرف اللهجة والينهم عريكة اي جانبا وطبيعة ففي النهاية قال فلان لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل الخلاف واكرمهم عشيرة بفتح فكسر فتحتية اي قبيلة وفي نسخة صحيحة بكسر فسكون اي معاشرة ومصاحبة وقال الطيبي قوله عشرة هكذا هو في الترمذي والجامع اي صحبة وفي المصابيح العشيرة اي الصاحب انتهى وفيه نظر اذ النسختان موجودتان في الشمائل وغيره على ما بيناه والله اعلم من راه بديهة اي اول مرة او فجاة وبغتة هابه اي خافه وقارا وهيبة من هاب الشيء اذا خافه ووقره وعظمه ومن خالطه معرفة تميز احبه اي بحسن خلقه وشمائله والمعنى ان من لقيه قبل الاختلاط به والمعرفة اليه هابه لوقاره وسكونه فاذا جالسه وخالطه بان له حسن خلقه فاحبه حبا بليغا يقول ناعته اي واصفه عند العجز عن وصفه لم ار قبله اي قبل وجوده او قبل موته ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي اي في جامعه وفي الشمائل وعن جابر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا اي زقاقا فيتبعه اي فيعقبه احد الا عرف اي ذلك التابع انه اي النبي عليه السلام قد سلكه اي ذلك الطريق من طيب عرفه بفتح فسكون ففاء اي رائحته يعني يتكيف هواء ذلك الطريق بكيفيته الطيب منه فيعرف منه انه قد سلك هذا الطريق او قال اي جابر من ريح عرقه بفتحتين نفاق شك من الراوي والمال واحد اذ المقصود بيان طيب عرقه الخلقي لا طيب عرقه العرفي كما سبق من انه خصه الله بطيب العرق وقال ابن الملك هذا من خصائصه دون سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام رواه الدارمي وعن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال المولف عشي بفتح العين والنون تابعي روى عن جماعة وروى عنه عبد الرحمن

ابن اسحق قال قلت للربيع بضم ففتح فتشديد بنت معوذ بن عفرا بتشديد
الواو المكسورة صحابية جليلة صفي امر مخاطبة من الوصف اي انعتي لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا بني بتشديد اليا المكسورة او المفتوحة
تصغير شفقة ومرحمة لو رايته اي نور وجهه وطالعت فيه مطالعة ووافقت
الطالع الميمون والبخت الهمايون رايت الشمس طالعة اي في وجهه كما سياتي مع
وجهه كما سياتي او التقدير فكانك رايت الشمس طالعة وهو اظهر رواه الدارمي
وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اي عظيمة اضحيان
بكسر الهمزة والحا وتخفيف التحتية كما في الروايات وهو منصرف وان جاز الفه
ونونه زايدتين لوجود اضحيانة واصل الكلمة البروز والظهور قال الشارح
اي ليلة مضية لا غيم فيها يقال ليلة اضحيان واضحيانه ومضحيا وضحيانة من
الضحو وفي الفايق اي مقمرة من اولها الى اخرها اي اخرها وافعلان مما قل مجيء
كلامهم فجعلت انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نظرة والى القمر اي اخرى
لا نظر الترجيح بينهما في الحسن الصوري وعليه حلة حمرا جملة حالية معترضة
فاذا هو احسن عندي اي في نظري او معتقدي ولفظ الترمذي في الشمايل
فلهو عندي احسن من القمر اي لزيادة الحسن المعنوي فيه صلى الله
عليه وسلم كما قال بعض ارباب العشق من اهل المجاز مخاطبا لمحبوبه

يشاركك القمر لكن من اين له ... الكلام وساير مراتب النظام

رواه الترمذي والدارمي وعن ابي هريرة قال ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي في الصورة مع قطع النظر عن السيرة كان بتشديد النون اي رايته
كان الشمس تجري في وجهه قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان
الحسن في وجهه وفيه معنى قول الشاعر

يزيد وجهه حسنا ... اذا ما زدته نظرا

وفيه ايضا عكس التشبيه للمبالغة وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي مع تحقق وقاره وسكونه ورعاية اقتصاده
ممتثلا قوله تعالى واقصد في مشيك كانما الارض تطوى له بصيغة المجهول
اي تزوى وتجمع على طريق خرق العادة تهوينا عليه وتسهيلا لامره وانا
استيناف بيان اي نحن لنجهد انفسنا بضم النون وكسر الها وفي نسخة بفتحها
من الاجهاد او الجهد وهما الحمل على الشي فوق طاقته قال التوربشتي يجوز فيه فتح
النون وضمها يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فوق طاقتها فالمعنى
على انفسنا من الاسراع عقيبه فوق طاقتها وانه لغير مكترث بكسر الرا اي غير مبال
بمشينا او غير مسرع بحيث تلحقه مشقة فكانه يمشي على هينه يقال ما بال به اي ما تعب
نفسه فيه ويقال اكترث بالامر اذا بالى به كذا ذكره شارح وفي النهاية اي غير مبال ولا
يستعمل الا في النفي واما في الاثبات فشاذ رواه الترمذي وعن جابر بن سمرة قال كان
في ساقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة بضم الحا المهملة والميم اي دقة ولطافة
مناسبة لساير اعضايه وكان لا يضحك اي في غالب احواله الا تبسما وهو مقدمة الضحك

وعمه عز وجل

فيحتمل ان يجعل الاستثنا متصلا او منقطعا قال الطيبي جعل التبسم من الضحك بمنزلة
السنة من النوم ومنه قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها اي شارعا في الضحك وكنت
بصيغة المتكلم ولو روي بالخطاب لكان له وجه اذا نظرت اليه اي رايته قلت اي في
ضميري اكحل العينين اي هو مكحل العين وليس بالكحل بل كانت عينه كحلا من غير
الكحل رواه الترمذي وقوله كان لا يضحك الا تبسما رواه احمد والحاكم ايضا الفصل
الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج
الثنيتين وفي نسخة من الشمايل افلج الثنايا في النهاية الفلج بالتحريك فرجة ما بين
الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنيتين انتهى كلامه وفي الحديث استعمل فلج
موضع فرق كذا ذكره الطيبي والمفهوم من القاموس عدم الفرق حيث قال الفلج بالتحريك
تباعد ما بين القدمين وتباعد ما بين الاسنان وهو افلج الاسنان ولا بد من ذكر الاسنان
يعني ليحصل الفرق اذا تكلم روي مجهول راى اي ابصر كالنور اي شي مثل النور يخرج
اي حال كونه يظهر من بين ثناياه وهو اما ان يراد به كلامه النوراني او امر الهي نوري ك
الذوق الوجداني ولا منع من الجمع لما رواه احمد عن ابي الدردا من انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يحدث حديثا الا تبسم ولعل العارف ابن الفارض اشار اليه في قوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

قال الطيبي الضمير في يخرج يجوز ان يرجع الى ما دل عليه تكلم وان يرجع الى النور والكاف
زايدة نحو قولك مثلك يجود فعلى الاول تشبيه وجهه البيان والظهور كما سميت
الحجة الظاهرة بالنور وعلى الثاني لا تشبيه فيه فيكون من معجزاته صلى الله عليه وسلم
رواه الدارمي وكذا الترمذي في الشمايل وعن كعب ابن مالك قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سر بضم السين وتشديد الرا اي فرح وصار مسرورا استنار وجهه
حتى كان بتشديد النون وجهه قطعة قمر لعل الاضافة بيانية او بمعنى من نظر الى
اصل القمر الكلي لا بحسب بادي الراي في النظر وكنا نعرف ذلك اي من عادته وذلك
لا يخفى بل لا يخفى على احد منا قال الطيبي حال موكدة اي كان ظاهرا جليا لا يخفى
على كل ذي بصر وبصيرة متفق عليه وعن انس ان غلاما اي ولدا يهوديا اي واحدا
من اليهود كان يخدم بضم الدال ويكسر النبي صلى الله عليه وسلم فمرض اي الغلام فاتاه
النبي صلى الله عليه وسلم يعوده تواضعا وخلقا جا فوجد اباه عند راسه يقرا التوراة
اي بعضا منها كما يقرا سورة يس عند حالة النزع فقال له اي لابيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا يهودي انشدك بضم الشين اي اقسم عليك بالله الذي انزل التوراة
على موسى هل تجد في التوراة اي في بعض اياتها نعتي اي باعتبار ذاتي وخلقتي
وصفتي اي باعتبار افعالي واحوالي ومخرجي اي مكان خروجي او زمانه من ولادة
او بعثة او هجرة قال لا قال الفتى اي الغلام بلى والله يا رسول الله انا نجد لك في
التوراة نعتك وصفتك وفي نسخة صحيحة وصفتك ومخرجك واني اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه اقيموا هذا اي اباه من عند راسه
ولوا اخاكم الواو للعطف على اقيموا اولوا امر مخاطب من ولي الامر يليه اذا تولاه اي كونوا والي امر
اخيكم في الاسلام وتولوا امر تجهيزه وتكفينه وساير الاحكام قال السيد جمال الدين المحدث

وبعض محدثي زماننا قرا هذه الكلمة على انها حرف شرط وهو تصحيف وتحريف رواية ودراية رواه البيهقي
في دلايل النبوة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا رحمة مهداة بضم الميم اي ما انا
الا رحمة للعالمين اهداها الله اليهم فمن قبل هديته افلح وظفر ومن لم يقبل خاب وخسر كقوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين رواه الدارمي والبيهقي في شعب الايمان وكذا ابن سعد والحكيم
عن ابي صالح مرسلا والحاكم في مستدركه عنه عن ابي هريرة مرفوعا باب
في اخلاقه وشمايله صلى الله عليه وسلم في النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع
والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها المختصة
بها منزلة الخلق صورتها الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة والثواب
والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة والشمايل
جمع شمال وهو الخلق انتهى والشمال بالكسر بمعنى الطبع لا بمعنى اليسار ومنه قوله تعالى
بنوعيا ظلاله عن اليمين والشمايل ولا بالفتح والهمز لانه بمعنى الريح وكل منهما غير مناسب
للباب الفصل الاول عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم
عشر سنين وفي رواية مسلم تسع سنين فما قال لي اف بضم الهمزة وكسر الفا المشددة
وفي نسخة بفتحها وفي نسخة بتنوين المكسورة وهي ثلاث قراات متواترات وقال النووي
في شرح مسلم فيه عشر لغات بضم الفا وفتحها وكسرها بلا تنوين وبالتنوين ثلاثة اخر
واف بضم الهمزة واسكان الفا واف بكسر الهمزة وفتح الفا وافي بضم همزتها قال شارح وهي
كلمة تبرم اي ما قال لي ما فيه تبرم ولا لم صنعت اي لاي شي صنعت هذا الفعل ولا الا بتشديد
اللام اي هلا صنعت اي لم لا فعلت هذا الامر والمعنى لم يقل لشي صنعته لم صنعته ولا لشي
اصنعه وكنت مامورا به لم لا صنعته وقال الطيبي اف اسم فعل بمعنى اتضجر واكره وحرف
التحضيض في الماضي افاد التنديم كما في المضارع يفيد التحريض واعلم ان ترك اعتراض
النبي صلى الله عليه وسلم على انس رضي الله عنه فيما خالف امره انما يفرض فيما يتعلق
بالخدمة والاداب لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فانه لا يجوز ترك الاعتراض فيه
وفيه ايضا مدح انس فانه لم يرتكب امرا يتوجه اليه من النبي صلى الله عليه وسلم اعتراض
ما متفق عليه ورواه الترمذي في الشمايل وزاد قط بعد قوله اف ثم قال وما قال
لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وعنه اي عن انس رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا بضمتين ويسكن اللام اي عشرة
فارسلني يوما لحاجة فقلت والله لا اذهب اي بلساني وكانه اراد به الوقت الاتي وفي
قوله وفي نفسي اي وفي قلبي وجناني ان اذهب لما امرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لاجل امره اياي به فخرجت اي على قصد الذهاب اليه حتى امر بالنصب وفي نسخة بالرفع
كقوله تعالى حتى يقول الرسول قال الطيبي هو حكاية الحال الماضية ويجوز ان يكون حتى
ناصبة بمعنى كي قلت لكنه لا يلايم المعنى والمراد اني خرجت اذهب الى ان مررت في طريقي
على صبيان وهم يلعبون في السوق والظاهر انه وقف عندهم اما للعب او للتفرج ولذا قال فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض اي اخذ بقفاي والقفا بالقصر موخر العنق
فقوله من ورايي للتاكيد او متعلق بقبض قال اي انس فنظرت اليه وهو يضحك وقال
يا انيس تصغير انس للشفقة والمرحمة ذهبت اي اذهبت حيث امرتك قالت نعم انا على انه شيخ

في الذهاب

ووصـــــ سعوجل

في الذهاب فقوله انا اذهب اي الان اكمل الذهاب يا رسول الله قال شارح انما قال نعم لان المامول
كالموجود بنا على انه جزم العزم على الذهاب او لانه ذهب في السوال في معنى انذهب لعلمه
صلى الله عليه وسلم بانه ما ذهب انس الى تلك الحاجة واقتصر الطيبي على انه كان صبيا غير مكلف
قال الجزري ولذا ما ادبه بل داعبه واخذ بقفاه وهو يضحك رفقا به رواه مسلم وعنه اي عن
انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد اي ثوب مخطط على ما في النهاية
نجراني بفتح نون وسكون جيم منسوب الى نجران بلد باليمن ذكره شارح وفي النهاية هو موضع
معروف بين الحجاز والشام واليمن غليظ الحاشية اي الطرف فادركه اعرابي اي لحقه من ورايه
فجذ به اي فجذب الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم بردايه جبذة شديدة والجبذ لغة في
الجذب وقيل هو مقلوب منه ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر الاعرابي اي في صدره ومقابله
من شدة جذبه قال الطيبي اي استقبل صلى الله عليه وسلم نحره استقبالا تاما وهو معنى قوله
واذا التفت التفت معا وهذا ايدل على انه لم يتغير ولم يتاثر من سوء ادبه حتى نظرت الى صفحة
عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موضع الردا من المنكب قد اثرت بها اي في صفحة
حاشية البرد من شدة جبذته قلت وصدق الله في قوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر
ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ثم قال يا محمد الظاهر انه كان من المولفة فلذلك
فعل ما فعله ثم خاطبه باسمه قايلا على وجه العنف مقابلا لبحر اللطف مرلي اي مرو لاهلك
بان يعطوا الي او مر بالعطا لاجلي من مال الله الذي عندك اي من غير صنيعك في اعطايك كما
صرح في رواية حيث قال لا من مالك ولا من مال ابيك وقيل المراد به مال الزكاة فانه كان
يصرف بعضه الى المولفة فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فنظر اليه
تعجبا ثم ضحك اي تلطفا ثم امر له بعطا وفيه استحباب احتمال الوالي من اذى قومه وفيه دفع المال
حفظا على عرض الرجال متفق عليه وعنه اي عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس اي خلقا وخلقا وصورة وسيرة ونسبا وحسبا ومعاشرة ومصاحبة واجود
الناس اي اكثرهم كرما وسخاوة واشجع الناس اي قوة وقلبا ويدل عليه قوله تعالى فقاتل في
سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المومنين على القتال ولذا كان ذكر البخل لانه لا يتصور معه
الكسر ولقد فزع بكسر الزاي اي خاف اهل المدينة وفي المصابيح فزع الناس في شرح السنة اي
استغاثوا يقال فزع منه بالكسر اي خاف وفزع اليه اي استغاث كذا ذكره شارح ذات ليلة اي
حيث سمعوا فاستقبلهم اي النبي صلى الله عليه وسلم الناس راجعا اليهم حال كونه قد سبق
الناس الى الصوت اي الى نحوه وتحقق عدم الفزع عنده وابعد الطيبي في قوله الضمير
في فاستقبلهم راجع الى ما دل عليه الصوت الذي فزع منه اهل المدينة يعني القوم قال ميرك
والظاهر ان الضمير للناس والمراد انه صلى الله عليه وسلم سبق الناس الى الصوت فلما رجع استقبل
الناس الذين خرجوا نحو الصوت قلت بل هذا هو المتعين لقوله وهو يقول لم تراعوا
بضم التا والعين مجهول من الروع بمعنى الفزع والخوف اي لم تخافوا ولم تفزعوا واتى بصيغة
الجحد مبالغة في النفي وكانه ما وقع الروع والفزع قط لم تراعوا كرره تاكيدا او كل لخطاب قوم
من عن يمينه ويساره وفي شرح السنة ويروى لن تراعوا والعرب تضع لم ولن موضع
لا النهي فعلى هذا يكون خبرا في معنى النهي ذكره الطيبي والظاهر انه على الاول من غير تاويل
يكون خبرا في معنى النهي واما على هذا فيكون نهيا على الحقيقة قال التوربشتي هو في اوثق

الروايات لن تراعوا اي لا خوف ولا فزع فاسكنوا يقال ريع فلان اذا فزع وهو اي النبي صلى الله عليه
وسلم على فرس لابي طلحة عري بضم فسكون اي ليس عليه سرج بيان وتاكيد واحتراز
من نحو جل او لجام وفي عنقه اي النبي صلى الله عليه وسلم سيف اي مقلد وفي
نسخة بكسر السيف اي في جيد الفرس حبل من نسيجه السيف واقتصر عليه
شارح وهو بعيد جدا في المعنى وان كان قريبا في المبنى فقال لقد وجدته
اي الفرس بحرا اي جوادا وسيع الجري وكان يسمى ذلك الفرس المندوب
بمعنى المطلوب وكان بطيا ضيق الجري فانقلب حاله ببركة ركوبه صلى الله عليه
وسلم ويشبه الفرس اذا كان جواد بالبحر لاستراحة راكبه كراكب الما اذا
كانت الريح طيبة متفق عليه قال النووي فيه بيان ما اكرمه الله تعالى به من
جليل الصفات وفيه معجزة انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيا وفيه جواز
سبق الانسان وحده في كشف اخبار العدو ما لم يتحقق بالهلاك وجواز العارية
وجواز الغزو على فرس المستعار واستحباب تقلد السيف في العنق وتبشير الناس
بعد الخوف اذا ذهب وعن جابر رضي الله عنه قال ما سيل اي ما طلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا قط فقال لا اي لا اعطيه بل اما اعطي او اعتذر ودعا
او وعد له فيما تمنى عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا فقد روى البخاري في الادب المفرد عن انس انه صلى
الله عليه وسلم كان رحيما فكان لا ياتيه احد الا وعده وانجز له ان كان عنده هذا
وكان يقول له صلى الله عليه وسلم انفق يا بلال وقيل بلالا ولا تخش من ذي
العرش اقلالا كما رواه البزار عن بلال وعن ابي هريرة والطبراني عن ابن مسعود
وما ابلغ قول الفرزدق في زين العابدين شعر

حمال اثقال قوم اذا امدحوا • حلو الشما يل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم ينطق بذاك نعم

متفق عليه وفي الجامع كان لا يسال شيا الا اعطاه او سكت رواه الحاكم
عن انس وعن انس رضي الله عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم غنما
بين جبلين اي قطعة غنم تملا ما بينهما فاعطاه اياه اي مطلوبه على وجه تمناه
فاتى قومه اي منتجبا من كرمه الدال على كمال توكله ونفى فقره فقال اي قوم
اي يا قوم اسلموا اي فان الاسلام يهدي الى مكارم الاخلاق فوالله ان محمدا ليعطي
عطا اي عظيما ما يخاف الفقر قال الطيبي يجوز ان يكون حالا من ضمير يعطي وان
يكون صفة لعطا اي عطا ما يخاف الفقر معه فان قلت كيف دل هذا الوصف على
وجوب الاسلام قلت مقام احصا النبوة مع اعطا الجزيل يدل على وثوقه على
من ارسله الى دعوة الخلق فان من جبلة الانسان خوف الفقر قال تعالى الشيطان
يعدكم الفقر رواه مسلم وعن جبير بن مطعم بينما هو اي جبير يسير مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقفلة مصدر ميمي او اسم زمان من قفل كنصر ورجع قفولا
رجع اي عند رجوعه او وقت رجوعه من حنين بالتصغير موضع بين مكة والطايف
فعلقت بكسر اللام اي تشبثت الاعراب او طفقت يسالونه اي يطلبونه من العطايا

والمطايا وهو يعطيهم او يعدهم ويمنيهم حتى اذا اضطروه اي الجاوه الى سمرة بفتح فضم
اي شجرة طلح فخطفت بكسر الطا اي اخذت السمرة بسرعة رداه حيث تعلقت به وقال شارح
اي سلبت انتهى ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى الاعراب كما يدل عليه قوله
فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي واغرب الطيبي حيث قال
اي علق رداءه بها فاستعير لها الخطف لو كان لي عدد هذه العضاة بكسر العين المهملة
وبالضاد المعجمة وبالها في الاخر جمع عضاه وقيل كل شجر يعظم وله شوك واحده عضاه
وعضة بحذف الها الاصلية كما حذف من الشفه وعدد نصب على المصدر اي بعد
عددها او على نزع الخافض اي بعدد ها او كعددها والمراد به الكثرة نعم بفتحتين
وفي القاموس النعم وقد يكسر عينه الابل والشا او خاص بالابل وجمعه انعام قلت
ويرد عليه قوله سبحانه ومن الانعام ثمانية ازواج حيث فسر اصناف الابل والبقر
والضان والمعز من الذكور والاناث لقسمته بينكم اي لمن حضر في النعم وترك النعم وطلب
قرب المنعم ثم لا تجدوني بخيلا ثم هنا بمعنى الفا او للتراخي في الزمان اي بعد ما جربتموني
في العطا وعرفتم طبعي في الوعد بالوفا واعتمادي على رب الارض والسما فلا تجدوني
بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال المظهر اذا جربتموني في الوقايع لا تجدوني متصفا
بالاوصاف الرذيلة وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالاوصاف الحميدة لمن لا يعرفه
ليبنيه عليه وقال الطيبي ثم هنا للتراخي في الرتبة يعني انا في ذلك العطا لست بمضطر
اليه بل اعطيه مع انبساط نفس ووفور نشاط ولا تكذبوا او فعلم عن نفسي
ثم امنعكم عنه ولا جبانا فاخاف احدا فهو كالتتميم الكلام السابق رواه البخاري
وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغدوة اي الفجر جا
وفي الجامع جاه خدم المدينة جمع خادم من غلام او جارية بانيتهم جمع انا
فيها الما اي فيطلبون البركة والنما والعافية والشفا فما يوتون وفي الجامع فما
يوتى بانا الا غمس يده فيها اي تطييبا لخواطرهم وتحصيلا لمقاصدهم فربما جاوه
بالغدوة اي في الغدوة الباردة فيغمس يده فيها قال الطيبي فيه تلطيف المشتاق
لتطييب قلوب الناس لا سيما مع الخدم والضعفا رواه مسلم وكذا احمد الا انه في
الجامع عنهما بدون قوله فربما الى اخره وروى ابن عساكر عن انس انه صلى الله عليه
وسلم كان ارحم الناس بالصبيان والعيال وفي الجامع كان مما يقول للخادم حاجة
رواه احمد عن رجل وعنه اي عن انس رضي الله عنه قال كانت امة اي جارية
من اما اهل المدينة اي فرضا وتقديرا لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل المراد من الاخذ باليد لازمه وهو الرفق فتنطلق به حيث شات اي ولو خارج
المدينة وهذا يدل على غاية تواضعه مع الخلق ونهاية تسليمه مع الحق رواه
البخاري وعنه اي عن انس ان امراة كان في عقلها شي اي من الخفة والجذبة
فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة اي خفية عن الناس فقال يا ام فلان انظري
اي تفكري او ابصري اي السكك بكسر ففتح جمع السكة وهي الزقاق شيت اي
اردت احضاري فيه حتى اقضي لك حاجتك اي كي احصل لك مقصودك
ومرادك فخلا اي مضى معها في بعض الطرق اي ووقف معها وسمع كلامها وراد

حوايجها حتى فرغت من حاجتها وفيه تنبيه على ان الخلوة مع المراة في زقاق ليس من باب الخلوة
معها في بيت على احتمال ان بعض الاصحاب كانوا واقفين بعيدا عنها مراعاة لحسن الادب
رواه مسلم وعنه اي عن انس قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا اي اتيا
بالفحش من الفعل والقول ولا لعانا ولا سبابا المقصود منها نفي اللعن والسب وكل ما يكون
من قبيل الفحش القولي لا نفي المبالغة فيها وكانه نظر الى ان المعتاد هو المبالغة
فيها فنفاهما على صيغة المبالغة والمقصود نفيهما مطلقا كما يدل عليه اخر كلامه قال الطيبي
فان قلت بنا فعال للتكثير او للمبالغة ونفيه لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقا
قلت المزعوم ها هنا غير معتبر لانه وارد في مدحه صلى الله عليه وسلم فان اريد التكثير
فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين اي ليس بلاعن واحد واحد
منهم وان اريد المبالغة كان المعنى ان اللعن بلغ في العظم بحيث لولا الاستحقاق
كان اللاعن بمثله لعانا بليغ اللعن نحو قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
قلت الاظهر في معنى الاية والحديث ان يقال فعال للنسبة كتمار ولبان اي ليس اهله
بذي ظلم مطلقا ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن مستحقا من الكفار
او الفجار لكونه نبي الرحمة ولذا استثنى الراوي بقوله كان يقول عند المعتبة
بكسر التاء وقيل بفتحها ايضا بمعنى الملامة والعتاب على ما في القاموس واختاره
ابن الملك وبمعنى الغضب كما في النهاية واختاره شارح والمعنى غاية
ما يقوله عند المعاتبة او المخاصمة هذه الكلمة معرضا عنه غير مخالف لطلب له
ماله ترب جبينه وهي ايضا ذات وجهين اذ يحتمل ان يكون دعاء على المقول
له بمعنى رغم انفك وان يكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهك رواه البخاري
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين
قال اني لم ابعث لعانا اي ولو على جماعة مخصوصة من الكافرين لقوله
تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم وانما بعثت رحمة اي
للناس عامة وللمومنين خاصة متخلقا بوصفي الرحمن الرحيم ولقوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابن الملك اما للمومنين فظاهر
واما للكافرين فان العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه كما قال الله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اقول بل عذاب الاستيصال مرتفع عنهم ببركة
وجوده الى يوم القيامة وقال الطيبي اي ان بعثت لاقرب الناس الى الله تعالى
والى رحمته وما بعثت لابعدهم عنها فاللعن مناف لحالي فكيف العن رواه مسلم
وكذا البخاري في الادب المفرد وروى الطبراني عن كريز بن سامة قوله اني
لم ابعث لعانا وروى البخاري في تاريخه عن ابي هريرة بلفظ انما بعثت رحمة
ولم ابعث عذابا وعن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها بكسر اوله اي في سترها قال الطيبي
هو تتميم فان العذراء اذا كانت في خدرها اشد حياء مما اذا كانت خارجة عنه فاذا
راى شيئا يكرهه اي من جهة الطبع او من طريق الشرع عرفناه في وجهه اي
من اثر التغير فانه لما كان يعاين احدا بخصوصه في امر الكراهة دون

الرحمة قال النووي معناه انه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه بل يتغير وجهه
فنفهم كراهيته وفيه فضيلة الحياء وانه محثوث عليه ما لم ينته الى الضعف والخوف مغلق
عليه وعن عائشة قالت ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا بكسر الميم الثانية قط
ضاحكا قال التوربشتي يريد ضاحكا كل الضحك يقال استجمع الفرس جريا قال الطيبي فعلى
هذا ضاحكا وضع موضع ضحكا على انه منصوب على التمييز قال في المغرب استجمع السيل اجتمع
من كل موضع واستجمعت للمرء اموره وهو لازم وقولهم استجمع الفرس جريا نصب على التمييز
واما قول الفقهاء مستجمعا شرايط الجمعة فليس بثبت انتهى والمعنى ما رايته ضاحكا كل الضحك
بجميع الفم حتى ارى منه لهواته بفتحتين جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على اقصى الفم من
سقفه قال انما كان اي غالبا يتبسم وربما يضحك لكن لا على سبيل المبالغة رواه البخاري
وكذا مسلم وابو داود وعنها اي عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
يسرد بضم الراء لم يكن يتابع الحديث اي الكلام كسردكم اي المتعارف بينكم من كمال اتصال الفاظه
بل كان كلامه فصلا بينا واضحا لكونه مامورا بالبلاغ المبين كما بينته بقولها كان يحدث
حديثا لو عده العاد اي لو اراد عده مرتب العدد لاحصاه اي لعده واستقصاه وفي وضع
احصاه موضع عده مبالغة لا يخفى فان الاصل الاحصاء هو العد بالحصى ولا شك في حول
المهملة عند عده من رفعه وحطه قال الطيبي يقال فلان سرد الحديث اذا تابع الحديث بالحديث استعجالا
وسرد الصوم تواليه يعني لم يكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم متتابعا بحيث ياتي بعضه اثر بعض
فيلتبس على المستمع بل كان يفصل كلامه لو اراد المستمع عده امكنه فيتكلم بكلام واضح مفهوم
في غاية الوضوح والبيان متفق عليه ورواه الترمذي في الشمايل ولفظ الجامع كان يحدث حديثا
لو عده العاد لاحصاه رواه الشيخان وابو داود وفي الجامع ايضا كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه
رواه الترمذي والحاكم عن انس وعن الاسود قال المولف هو ابن هلال المحاربي روى عن عمر ومعاذ
وابن مسعود وعنه جماعة قال سالت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ما استفهامية
قالت كان اي من عادته يكون اي يستمر مشتغلا في مهنة اهله بفتح الميم وتكسر وبسكون
الهاء اي مصالح عياله والمهنة الخدمة والابتذال ففيه مبالغة لقيامه مقام الرجال ولهذا قال
الراوي تعني خدمة اهله اي اهل بيته ممن يكون اهل الخدمة قال صاحب النهاية المهنة الخدمة
والرواية بفتح الميم وقد يكسر قال الزمخشري وهو عند الاثبات خطا قال الاصمعي المهنة بفتح الميم
ولا يقال مهنة بالكسر وكان القياس لو قيل مثل جلسة وخدمة الا انه جاء فعلة واحدة وفي
القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك وكلمة الحذق بالخدمة والعمل مهنة كمنعه
ونصره مهنا ومهنة ويكسر خدمه وقال العسقلاني في المهنة بفتح الميم وكسرها وانكر الاصمعي
الكسر وفسرها بخدمة اهله وثبت ان التفسير من قول الراوي عن شعبة وان جماعة رووه بدونه
لكن اخرج ابن سعد في رواته بدونه وفي رواية في اخره تعني بالمهنة خدمة اهله فاذا حضرت
الصلوة خرج الى الصلوة اي وترك جميع عمله وكانه لم يعرف احدا من اهله رواه البخاري وكذا الترمذي
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير اي ما جعل مخيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
امرين الا اخذ اي اختار كما في رواية الترمذي ايسرهما ما لم يكن اي الامر الايسر اثما اي ذا
اثم وفي رواية الترمذي ما لم يكن ماثما اي اثما او موضع اثم بنا على انه مصدر ميمي واسم مكان والمعنى
هنا انتهى رواية الترمذي فان كان اثما كان ابعد الناس منه اي وكان يختار الاشد منهما ولو عسرها

واعسرهما قال العسقلاني ايهم فاعل خبر ليكون اعم من ان يكون من قبل المخلوقين او من قبل الله تعالى
لكن التخيير بين ما فيه اثم وبين ما لا اثم فيه من قبل الله مشكل لان التخيير انما يكون بين جائزين
الا اذا حملناه على ما يفضي الى الاثم فذلك ممكن بان يخيره بين ان يفتح عليه من كنوز الارض ما يخشى
من الاشتغال به ان لا يتفرغ للعبادة وبين ان لا يؤتيه من الدنيا الا الكفاف وان كانت السعة اسهل
فالاثم على هذا امر لا ما يراد به الخطيئة لثبوت العصمة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما عاقب
احدا لنفسه اي لاجل حظها في شيء اي يتعلق بنفسه قط اي ابدا الا ان ينتهك حرمة الله بصيغة المجهول
اي يرتكب فينتقم بالرفع وفي نسخة بالنصب اي فيعاقب لله اي لغرض اخروي اي بسبب تلك
الحرمة ثم انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل يقال فلان انتهك محارم الله اي فعل ما حرم الله فعله عليه
قال الطيبي استثناء منقطع اي ما عاقب احدا لخاصة نفسه بجناية جنى عليه بل يحفظ الله تعالى
اذا فعل احد شيئا من المحرمات امتثالا لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله قال العسقلاني
المعنى ما انتقم لحاجة نفسه فلا يرد امره صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله
ابن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات
الله وقيل ذلك في غير السبب الذي يفضي الى الكفر وقيل يختص ذلك بالمال واما العرض فقد
اختص ممن نال منه متفق عليه ورواه ابو داود وعنها اي عن عائشة رضي الله عنها قالت
ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا اي ادميا لانه صلى الله عليه وسلم ربما ضرب مركوبه قط بيده
ولا امراة ولا خادما خصا بالذكر اهتماما بشانهما ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج اليه وضربهما
وان جاز بشرطه فالاولى تركه قالوا بخلاف الولد فان الاولى تاديبه ويوجه بان ضربه لمصلحة تعود
اليه فلم يندب العفو بخلاف ضرب هذين فانه لحظ النفس غالبا فندب العفو عنهما مخالفة لهواها
وكظما لغيظها الا ان يجاهد في سبيل الله فانه صلى الله عليه وسلم قتل ابي بن خلف باحد ثم ليس
المراد به الفروع الكفار فقط بل يدخل فيه الحدود والتعازير وغيرها كما نيل بكسر النون مجهولا نال
ينال نال منه نيلا اذا اصاب وفي الحديث ان رجلا كان ينال من الصحابة اي يقع فيهم ويصيب منهم
فالمعنى ما اصيب منه شيء قط فينتقم من صاحبه اي من صاحب ذلك الشيء الا ان ينتهك
شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وروى الترمذي الفصل الاول بلفظ ما ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امراة والفصل
الثاني بلفظ ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم
الله تعالى شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من اشدهم في ذلك غضبا الفصل
الثاني عن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثمان سنين بحذف اليا
من ثمان مضافا والجملة حال دال على اول الخدمة ولذا اطلقه ثم اعاده مقيدا بقوله خدمته عشر سنين
فما لامني على شيء قط اتي فيه بصيغة المجهول اي اهلك واتلف من قولهم اتى عليهم الدهر اي اهلكهم
وافناهم وضمير فيه عائد الى شيء والجار والمجرور اقيم مقام الفاعل اي ما لامني على شيء اتلف على
يدي بصيغة التثنية وفي نسخة بالافراد قال الطيبي اتي صفة شيء وضمن فيه معنى عيب
او طعن وعلى يدي حال فان لامني لائم من اهله قال دعوه اي اتركوه فانه لو قضي
شيء لكان اي لو قدر امر لوقع هذا لفظ المصابيح وكذا رواه ابن حبان في صحيحه وروى البيهقي
في شعب الايمان منه تغيير اي يسير يسامح في مثاله وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا اي ذا الفحش في اقواله وافعاله ولا متفحشا اي متكلفا
فيه

فيه متعمدا كذا في النهاية قال القاضي نفى عنه تولي الفحش والتفوه به طبعا وتكلفا ولا سخابا اي
صياحا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة اي بالحسنة لقوله ولكن يعفو اي في الباطن
ويصفح اي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
رواه الترمذي وعن انس رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعود
المريض ويتبع بفتح الموحدة وفي نسخة بتشديد الفوقية وكسر الباء اي يعقب ويشيع الجنازة
بفتح الجيم وكسرها ويجيب دعوة المملوك اي المأذون او المعتوق او اجيب بيت مالكه
ويركب الحمار وهذا الحديث دال على كمال التواضع للحق وحسن الخلق ومعاشرة الخلق لقد
رايته يوم خيبر على حمار خطامه ليف اوله اي زمامه ليف قال ابن الملك فيه دليل على
ان ركوب الحمار سنة قلت فمن استنكف من ركوبه كبعض المتكبرين وجماعة من جهلة
الهند فهو اخس من الحمار رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان وفي الجامع كان
يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير
رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وروى الحاكم في مستدركه عن انس كان يردف
خلفه ويضع طعامه على الارض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وفي رواية عريا
ليس عليه شيء وروى ابن عساكر عن ابي ايوب كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع
القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وعن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف بكسر الصاد اي يخرز ويرقع نعله وفي شرح السنة
اي يطبق طاقة على طاقة واصل الخصف الضم والجمع ومنه قوله تعالى يخصفان عليهما من
ورق الجنة اي يطبقان ورقة ورقة عليهما ويخيط ثوبه ويعمل في بيته
كما يعمل احدكم في بيته تعميم بعد تخصيص وفي الجامع برواية احمد عن عائشة كان يخيط
ويخصف نعله ويعمل فيه شيء من القمل وهو لا ينافي ما روي من ان القمل لم يكن يؤذيه وقال
شارح اي يلتقط القمل ويحلب شاته بضم اللام ويخدم نفسه بضم الدال وكسرها وهو تعميم
وتتميم قال الطيبي قولها كان بشرا تمهيد لما بعده لما رأته من اعتقاد الكفار ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يليق بمنصبه ان يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس وجعلوه كالملوك فانهم يترفعون
عن الافعال العادية الدنية تكبرا على ما حكى الله تعالى عنهم في قوله ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق فقالت انه صلى الله عليه وسلم كان خلقا من خلق الله تعالى وواحدا
من اولاد ادم شرفه الله بالنبوة وكرمه بالرسالة وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الحق بالصدق
فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في افعالهم تواضعا وارشادا لهم الى التواضع ورفع الترفع
وتبليغ الرسالة من الحق الى الخلق كما امر قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي رواه
الترمذي وكذا ابن حبان وصححه وفي الجامع كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم
ويشهد جنائزهم رواه ابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه
عن سهل بن حنيف وعن خارجة بن زيد بن ثابت اي الانصاري المدني قال المؤلف
تابعي جليل القدر ادرك زمن عثمان وسمع اباه وغيره من الصحابة وهو احد فقهاء المدينة
السبعة قال دخل نفر اي جماعة من التابعين وقيل النفر عدة رجال من ثلاثة الى عشرة على
زيد بن ثابت وهو ابو خارجة صحابي جليل افرض الصحابة واحد كتبة الوحي ومن اعظم
القراء قرأ عليه ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين فقالوا له حدثنا احاديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم وفي نسخة عن رسول الله فكانهم ارادوا ما يدل على حسن الخلق وجميل المعاشرة مع الخلق قال كنت جاره فيه ايماء الى قربه اليه حسا ومعنى واشارة الى ان له خبرة بحالاته من غيره فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الي اي ارسل الي احدا يطلبني فجئته فكتبته اي الوحي له اي لاجل امره فكان اي من عادته في مجاملته ومراعاة مصاحبته اذا ذكرنا الدنيا اي ذمها او مدحا لكونها مزرعة الاخرة ذكرها معنا زيادة على الخير معنا ونبه على التقوى واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا وبين فوائده وحكمه ولطائفه واداب اكله والحاصل انه كان يلاطفهم في الكلام لئلا يحصل لهم التبرم والسأم ويسوقهم فيما يشرعون فيه الى ما شرع اليه من تبليغ المواعظ والاحكام ولا ينافي هذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه وان مجالسه مجلس علم لان ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية او حكمية او ادبية ويتقدر خلوه عنها ففيه جواز تحدث الكبير مع اصحابه في المباحات ومثل هذا البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم والله اعلم فكل هذا بالرفع وبنصبه اي جميع ما ذكر احدثكم فقيل الرواية بالرفع وفي خبره الرابطة محذوف ويجوز النصب بتقدير احدثكم اياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من هذه الجملة تاكيد صحة الحديث واظهار الاهتمام به والله اعلم رواه الترمذي وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع بكسر الزاي اي لم يخلص ولم يفك يده من يده حتى يكون اي الرجل هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير بصيغة المجهول اي لم يبصر النبي صلى الله عليه وسلم مقدما بكسر الدال المشددة ركبتيه بين يدي جليس اي مجالس له قيل اي ما كان يجلس بحيث يكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة في مجالسهم وقيل ما كان يرفع ركبته عند من يجالسه بل كان يخفضها تعظيما لجليسه وقالوا اراد بالركبتين الرجلين وتقديمهما مدهما وبسطهما كما يقال قدم رجلا واخر اخرى ومعناه كان صلى الله عليه وسلم لا يمد رجله عند جليسه تعظيما له قال الطيبي فيه وفي قوله كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه تعليم لامته في اكرام صاحبه وتعظيمه فلا يبدؤا بالمفارقة منه ولا يهينه بمد الرجلين اليه رواه الترمذي وعنه اي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر اي لا يبقي شيئا لغد توكلا على الله اعتمادا على خزائنه وهذا بالنسبة الى نفسه النفيسة خاصة واما لاجل اهله وعياله فربما كان يدخر لهم قوت سنتهم لضعف حالهم وعدم قوة احتمالهم وقلة كمالهم رواه الترمذي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت اي كثير السكوت والمعنى انه لا يتكلم الا لحاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقد قال الصديق الاكبر ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده ورواه احمد في مسنده عن جابر بن سمرة ايضا ولفظه كان طويل الصمت قليل الضحك فكان حق صاحب المشكاة ان يسنده اليه فان حديث مسند

احدهما يعتمد عليه وعن جابر اي ابن عبد الله ولذا لم يقل وعنه لانه غيره وهو المراد عند الاطلاق به قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل اي تبيين في قراءته لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا او ترسيل اي وتمهيل في حديثه اي قياسا عليه او مراعاة لقوله تعالى وما عليك الا البلاغ المبين وقال ابن الملك هما بمعنى وهو التبيين والايضاح في الحروف انتهى ولا يخفى ان التاسيس بالتغيير اولى من الحمل على التاكيد وان كان مالهما واحدا واصل معناهما متحدا فان المراد منهما انه كان لا يعجل في ارسال الحروف بل يتلبث فيها ويبينها تبيينا لذاتها من مخارجها وصفاتها وتمييز الحركات وسكناتها وخلاصة الكلام نفي العجلة واثبات التؤدة وفي النهاية الترتيل في القراءة التاني فيها والتمهيل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الاقحوان يقال رتل القراءة وترتل فيها والترسيل الترتيل يقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه اذا لم يعجل وهو والترتيل سواء رواه ابو داود وعن عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد اي في كلامه سردكم هذا اي كسردكم من العجلة والمتابعة ولكنه كان يتكلم بكلام بين اي بين اجزائه فصل اي فرق وفاصل يحفظه من جلس اليه رواه الترمذي وعن عبد الله بن حارث بن جزء بفتح جيم وسكون زاي فهمز كذا ذكره المؤلف في اسمائه وقيل هو بكسر زاي وياء وقيل جزء بشدة زاي كذا في المغني وهو ابو الحارث السهمي شهد بدرا وسكن مصر ومات بها قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن عبد الله بن سلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس يتحدث يكثر من الاكثار اي يتحقق منه كثيرا ان يرفع طرفه بسكون الراء اي نظره الى السماء اي كان ينظر الى السماء حال التكلم ترقبا لجبريل انتظارا للوحي المولى وتشوقا الى الرفيق الاعلى رواه ابو داود

الفصل الثالث

عن عمرو بن سعيد عن انس كذا في النسخ المعتبرة والاصول المشتهرة ويؤيده ما في الكاشف وفي نسخة عن انس عن عمرو بن سعيد والظاهر انه سهو قلم وزلة قدم وقلب كلام لما في اسماء الرجال للمؤلف هو عمرو بن سعيد مولى ثقيف بصري روى عن انس وابي العالية وغيرهما وعنه ابن عون وجرير بن حازم وعدة قال ما رايت احدا كان ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي هذا هو المشهور ويروى بالعباد قلت ويلائم الاول استئنافه البياني بقوله كان ابراهيم ابنه مسترضعا بفتح الضاد وقيل بكسرها في عوالي المدينة اي القرى التي عند المدينة فكان اي النبي صلى الله عليه وسلم ينطلق ونحن معه فيدخل البيت اي الذي فيه ابراهيم وانه ليدخن بضم الياء وتشديد الدال وكسر الخاء من الدخان بسببه بقوله وكان ظئره قينا وهو ابو سيف القين واسمه البراء بن اوس الانصاري وهو موصوف بكنيته قال النووي الظئر بكسر الظاء مهموزة المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك المرضع والظئر يقع على الذكر والانثى والقين بالفتح الحداد ثم الجملتان حاليتان معترضتان بين المعطوف عليه وهو قوله فيدخل البيت والمعطوف وهو قوله فيأخذه اي ابنه فيقبله ثم يرجع قال عمرو اي

نا فلا عن انس حلا فالمنن توهم انه الراوي فانه من التابعين على انه يمكن ان يكون مقولة الاتي
موقوفا عليه ومنقطعا عا قبله فلما توفي ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم ابني
محط فابين انه المعز بزلان امه جا ريته وهي مارية القبطية اهداها المقوقس القبط صاحب
مصر والاسكندرية وولدت ابراهيم في ذي الحجة سنة ثمان وانه مات في الثدي وهو كناية
عن الرضاع اما المراد به اللبن وزوجته التي ارضعت ابراهيم ام بردة كما ذكره المولف بذكر
المحل وارادة الحال وقال الطيبي اي في سن رضاع الثدي او في حال تغذيه بلبن الثدي
وان له لظيرين اي لمرضعتين بدل واحدة في الدنيا تكملان من باب الافعال وفي نسخة من باب
التفعيل اي توفيان وتتمان رضاعه بفتح الراو وكسرها اي مدة رضاعه وهما الحولان فانه توفي
وله ستة عشر شهرا او سبعة عشر وقيل وله سبعون يوما فتتمان رضاعه بقية السنتين
في الجنة قال صاحب التحرير وهذا الاتمام لارضاع ابراهيم يكون عقيب موته فيدخل
الجنة متصلا بموته فيتم فيها رضاعه كرامة له ولابيه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم واما حديث
لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا فاخرجه الباوردي عن انس وابن عساكر عن جابر
وابن عباس وعن ابن ابي اوفي ورواه ابن سعد عن مكحول مرسلا لو عاش ابراهيم مارق
له خال وروى ابن سعد عن الزهري مرسلا لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل
قبطي كذا ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير وقال ابن الربيع في كتابه
تمييز الطيب من الخبيث اخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس قال لما
مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان
صديقا نبيا ولو عاش اعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي وفي مسنده
ابن شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف والله اعلم انتهى وقال النووي
في تهذيبه وما روي عن بعض المتقدمين حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل
وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم وقال ابن عبد البر في تمهيده
لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد الانبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد
نوح انتهى وهو تعليل عليل اذ ليس في الكلام ما يدل على ان ولد النبي نبي بطريق
الكلية ولا ضرر في تخصيص التقديرية والفرضية مع انه لا يستلزم وقوع المقدم في
القضية الشرطية فلا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فيقرب من
قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه احمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر مرفوعا
لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وبما
لا يكون وبانه لو كان كيف يكون هذا وقد قال شيخ مشايخنا العلامة الرباني
الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة وهذا عجيب من النووي مع وروده عن ثلاثة
من الصحابة ولا يظن بالصحابي انه يهجم على مثل هذا بظنه قلت مع انهم لم يقولوه
موقوفا بل اسندوه مرفوعا كما بينه خاتم الحفاظ السيوطي اسانيده في رسالة على
حدة مع ان من القواعد المقررة في الاصول ان موقوف الصحابة اذا لم يتصور ان يكون
من رايه فهو في الحكم المرفوع فانكار النووي كابن عبد البر لذلك اما لعدم اطلاعهما
اولعدم ظهور التاويل عندهما والله اعلم وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا كان يقال
له فلان كناية عن اسمه حبر اي عالم من علما اليهود كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم

دنانير اي معدودة معلومة فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم اي فطالبه اياها فقال له يا يهودي
ما عندي ما اعطيك ما الاولى نافية والثانية موصوفة اي شيا اعطيكه اياه عوضا
عن الدنانير قال فاني لا افارقك يا محمد حتى تعطيني اي كي تعطيني او الان تعطيني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجلس معك بالرفع وفي نسخة بالنصب فجلس
معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشا الاخيرة
والغدوة اي الفجر وهو يحتمل كونهما في المسجد وفي احد بيوت اهله والاول
اظهر وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه اي بالضرب
ويتوعدونه اي بالاخراج والقتل ففطن بكسر الطا اي فعلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما الذي يصنعون به من التهديد والوعيد الشديد وما موصوفة
بالموصولة وكانه انكر عليهم او بالغضب نظر اليهم او لما فطن صنيعهم ارادوا الاعتذار
فقالوا يا رسول الله يهودي يحبسك قال الطيبي همزة الانكار مقدرة والتنكير
فيه للتحقير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعني ربي ان اظلم معاهدا بكسر
الها وهو الذمي والمستامن وغيره تعميم بعد تخصيص ووجه تقديم المعاهد
لما يقتضيه المقام ولان مخاصمته اقوى يوم القيامة لانه لا يمكن ارضاه باخذ
حسنة مسلم له او وضع سيئة له على مسلم كما في مظالم الدواب ولعل الاصحاب رضي الله
عنهم لم يكونوا قادرين على قضا دينه او ما كان يرضى بقضايهم واداهم مراعاة
لامر دينه او ما كان يرضى وهو اظهر ولذا لم يكن يقرض الا من غيرهم لحكمة ولعلها
نزية من نوع طمع او صنف نوع يودي الى نقصان اجر وقد قال تعالى قل لا اسالكم
عليه اجرا وتطابقت سنة الرسل على قولهم وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين ولتكون حجة على اليهود لكونه صلى الله عليه وسلم منعوتا في كتبهم
بانه يختار الفقر على الغنى وتبكيتا عليهم في قوله عند نزول قوله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا على ما حكى الله عنهم في قوله سبحانه لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا ومن جملة الحكم ما ظهر في خصوص هذه القضية
فلما ترجل النهار اي ارتفع الضحى ونفى الظهور وتبدل الظلمة بالنور وتغير الشدة
بالسرور وقال له اليهودي اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وشطر مالي
اي نصفه في سبيل الله اي في مرضاته شكرا لنعمة الاهتدا للاسلام وطلبا لمزيد
الانعام اما بالتخفيف للتنبيه والله ما فعلت الذي فعلت بك اي من
غلظ القول وخشونة الفعل الا لانظر الى نعتك اي الى مرافقة وصفك في التورية
محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بفتح الجيم اي موضع هجرته بطيبة اي المدينة
وملكه اي معظمه بالشام اي ونواحيه ليس بفظ اي سيء اللسان ولا غليظ اي جافي
الجنان ولا سخاب اي صياح في الاسواق اي على عادة اهل الزمان ولا مزي اي متصف
بالفحش اي في الفعل لقوله ولا قول الخنا بفتح اوله مقصورا اي الفحش والخشونة اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذا مالي اي كله فكانه سماه واشار الى مكانه فاحكم فيه
اي في جميعه او في شطره بما اراك الله اي اعلمك بانه محله اللايق به وكان اليهودي كثير
المال اي ومع هذا احسن له الحال والمال في المال رواه البيهقي في دلايل النبوة وعن

بالتنوين صح

عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر اي ذكر الله وما يتعلق
به كما في مسند الفردوس عن عايشة من احب شيا اكثر من ذكره ويقل اللغو اي غير الذكر
المذكور من ذكر الدنيا وما يتعلق بها فانه ولو كان ما يخلوا عن مصلحة وحكمة لكنه بالاضافة
الى الذكر الحقيقي لغو ولذا قال الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تاليفي البسيط والوسيط
والوجيز فاطلق عليه اللغو نظرا الى الصورة والمبنى مع قطع النظر عن المعنى ومنه قولهم
حسنات الابرار سيئات المقربين والا فقد قال تعالى في حق كمل المومنين والذين هم
عن اللغو معرضون وقال عز وجل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه واما قيل من ان
المعنى لا يلغو اصلا فان القلة قد تستعمل في النفي مطلقا نحو قليلا ما تومنون فيابا ه
حسن المقابلة بقوله ويكثر واما قول بعضهم ويجوز ان يراد باللغو الدعابة وان ذلك
كان منه قليلا فمردود اذ عد مزاحه صلى الله عليه وسلم من اللغو هو اللغو فانه روى الترمذي
عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا فلله در مزاح
هو الحق فكيف يجده الذي هو الصدق المطلق وقد صرح العلما بان المزاح بشرطه من جملة المستحبات
فكيف يعد من اللغويات اللهم الا ان يقال ما قدمناه من الامر النسبي واللغوي
الاضافي ويطيل الصلوة اي خصوصا في الجمعة لقوله ويقصر الخطبة من التقصير وفي
نسخة من القصر ولعل وجهه ان الصلوة معراج المومن ومحل مناجات المهيمن
فيناسبها الاطالة بلا ملالة والخطبة محل التوجه الى الخلق ودعاهم الى الحق وفيها زيادة
مظنة الريا والسمعة لطلاقة اللسان في الفصاحة والبلاغة ولذا ورد من فقه الرجل
طول صلاته وقصر خطبته ولا يانف بفتح النون من الانفة وزاد في الجامع ولا يستنكف
اي لا يستكبر ان يمشي مع الارملة في النهاية الارامل المساكين من رجال ونسا وهو بالنسا
اخص واكثر والواحد ارمل وارملة وفي القاموس امراة ارملة محتاجة او مسكينة
والارمل القرب وهي ذاذ لا يقال للفقير الموسر ارملة انتهى ولا يخفى ان المعنى الاخير
هو المراد هنا لقوله والمسكين اللهم الا ان يقال عطف تفسيري كما يدل عليه قوله
فيقضي له الحاجة حيث اتى بصيغة الافراد والمراد لكل منهما ولما ذكر رواه النسائي
والدارمي وفي الجامع لي باذن والعبد بعد قوله والمسكين وقال رواه النسائي والحاكم
عن ابن ابي اوفى والحاكم عن ابي سعيد وعن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى
الله عليه وسلم انا اي معشر قريش لا نكذبك بالتشديد بالالزام ويجوز تخفيفها اي لا
ننسبك الى الكذب فانك عندنا مشهور بالصدق ولكن نكذب بما جيت به اي
نكذبك بسبب ما جيت به من القران والتوحيد والمعنى لتكرهه ومنه قوله
تعالى وكذب به قومك وهو الحق ففي القاموس كذب بالامر تكذيبا انكره وفلانا جعله
كاذبا قالت فاستعمل المعنيان في الحديث فانزل الله تعالى فيهم اي في ابي جهل واضرابه فانهم
لا يكذبونك اوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك والجمهور على التشديد
وقرا ابي عامر بالتخفيف ولكن الظالمين بايات الله يجحدون يقال جحده حقه وبحقه كمنعه
انكره مع علمه كذا في القاموس قال الطيبي روي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا
الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق
وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابة والنبوة فماذا لكون

لسائر قريش بقوله ولكن نكذب بما جيت به وضع موضع ولكن يحسدونك وضعا للمسبب
موضعا للسبب رواه الترمذي وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عايشة لو شيت اي لو اردت مال الدنيا ومتاعها لسارت معي جبال الذهب جا استيناف بيان متضمن
للتعليل اي نزل الي ملك اي عظيم طويل كما بين بقوله وان حجزته بضم الحا وسكون الجيم قرابي
اي معقد ازاره تساوي الكعبة اي تعادل طولها ولعل وجه ظهوره بهذه العظمة
تعظيما لهذا الامر وتعجيبا فقال ان ربك يقرا عليك السلام في النهاية اقرا فلان السلام واقرا
عليه السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرا السلام ويرده وفي القاموس
من قرا عليه السلام ابلغه كاقراه ولا يقال اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا ويقول ان شيت
نبيا عبدا اي ان اردت ان تكون نبيا عبدا اي جامعا بين وصف النبوة والعبودية فكنه
او اختر او فكن هذا وان شيت نبيا ملكا اي فكن كذا وحاصله ان الله خيرك فاختر
ما شيت وفيه ايما الى ان الملوكية وكمال العبودية لا يجتمعان قال الطيبي فعله
نبيا عبدا خبر تكون محذوف بدليل الرواية الاخرى ان الله يخيرك بين ان تكون
عبدا نبيا وجزا الشرط محذوف اي ان شيت ان تكون نبيا عبدا فكن اياه فنظرت
الى جبريل عليه السلام اي نظر مشاورة واختيار في موضع اختيار لقوله تعالى ان
ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وان بعض الانبيا جمع لهم
بينهما وربما يظن انه هو مرتبة الكمال كما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح ولكونه وسيلة
الى فتح البلاد وتوسيع العباد وامثال ذلك فاشار الي ان تضع نفسك اي مصدرية
وضع امر من وضع او تفسير لما في اشار من معنى القول والحاصل انه اوما الي بان حط
نفسك عن طمع مرتبة الملوكية واختر ان تكون في مقام العبودية فانه في المال اعلى
وفي المال اعلى وفي ذوق الطالبين احلى فان الملك لله الواحد القهار وقد قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليظهر عبوديتهم لي والوهيتي وربوبيتي لهم كما
روي في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وفي تقديم
الشرطية الاولى اشعار بالمرتبة الاولى وفيه دليل صريح على ان الفقير الصابر افضل
من الغني الشاكر خلافا لمن خالفه كابن العطا ورد عليه الجنيد بالبلا المودي الى الفنا
وفي رواية ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له
فاشار جبريل بيده الى الارض ان تواضع اي اختر الفقر والعبودية الموجبة
للتواضع لله المنتجة لرفعة القدر عند الله لا الملك والغنى الباعث على الطغيان
والنسيان الموجب للتكبر والكفران المقتضي لوضعه عن نظر الله وهذا باعتبار غالب
الاحوال ولذا اختار الله الفقر لاكثر الانبيا والاوليا والعلما والصلحا جعلنا الله
منهم وحشرنا معهم فقلت نبيا عبدا اي اكون نبيا عبدا قالت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكيا فسر الاتكا بالميل الى احد الجانبين
لانه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام ونقل القاضي عياض في الشفا عن المحققين انهم
فسروه بالتمكن للاكل في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطا تحته لان هذه الهيئة
تدعي كثرة الاكل بقوله استيناف بيان لما قبله اكل كما ياكل العبد اي مما يتيسر
له من ادنى الماكول واجلس كما يجلس العبد اما على الركبتين كهيئة الصلاة

وهو افضل الهيئات او يرفع احدى الركبتين حالة الاكل او غيره او يرفع الركبتين على
صفة الاحتباء وهو اكثر انواع جلوسه صلى الله عليه وسلم في غير الصلوة رواه اي البغوي
في شرح السنة اي باسناده وفي الشمايل للترمذي عن ابي جحيفة مرفوعا اما انا فلا اكل
متكيا وفي الجامع الصغير انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واشرب كما يشرب العبد رواه ابن
عدي في الكامل عن انس وروى احمد ومسلم وابو داود عن كعب بن مالك انه صلى الله عليه
وسلم كان ياكل بثلاث اصابع ويلعق يده قبل ان يمسحها وروى ابن السني والطبراني عن
ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلاثا يسمي عند كل نفس ويشكر في
اخرهن وفي الحلية لابي نعيم عن ابي جعفر مرسلا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب الماء قال
الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا وروى الطبراني
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض وياكل على الارض ويعتقل
الشاة ويجيب دعوة المملوك الى خبز الشعير **باب المبعث وبدء الوحي**
هذا من باب ما قاله ارباب الهداية من ان النهاية هي الرجوع الى البداية فنقول الباب
اصله البوب قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجمع على ابواب وقد قالوا ابوبة ذكره
العيني والمراد هنا نوع من الكلام المشتمل عليه جنس الكتاب المجموع لافراد الانواع كما بينته في تعليقي
لاول باب كتاب البخاري في بيان الاعراب بدونه لا اعراب ثم المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث
من بعث اذا ارسل ذكره ابن الملك فالمراد به انه مصدر ميمي والاظهران المقصود به موقفه
زمان البعث ومكانه كما نبه عليه اول الحديث من الفصل الاول ثم البدء بموحدة مفتوحة
فدال ساكنة فهمزة بمعنى الابتداء اقبل وروي بدو كظهور وزنا ومعنى وهل الاحسن الاول
لانه يجمع المعنيين او الثاني لانه اعم رايان قلت انما محل قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه
يحتمل الاحتمالين كما اوضحناه في محله واما ما نحن فيه فلا يساعد الرسم الثاني فانه يكتب
بالياء هنا بخلاف ما في الصحيح فانه يكتب فيه بالواو فتامل ولا تمل ويؤيد ما قلنا ما نصه قال
العسقلاني في فتح الباري قال عياض روي البدء بالهمز وسكون الدال من الابتداء وبغير همز
مع ضم الدال وتشديد الواو من الظهور قلت ولم ار مضبوطا في شيء من الروايات التي اتصلت
بنا الا انه وقع في بعضها كيف كان ابتداء الوحي فهذا يرجح الاول وهو الذي سمعناه من اقوال
المشايخ وقد استعمل المص يعني البخاري هذه العبارة كثيرا كبدء الحيض وبدء الاذان وبدء
الخلق والوحي لغة الاعلام في خفاء وقيل اصله التفهيم ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل
وشرعا الاعلام بالشرع وقد يطلق ويراد به اسم المفعول اي الموحى وهو كلام الله المنزل على نبي
من انبيائه وقال شارح البعث مصدر بمعنى الارسال والبدء الابتداء والوحي هنا الرسالة
ولعل اختياره كغيره معنى المصدر في المبعث لاشتماله على الزمان والمكان ايضاح الدلالة
على كيفية اصل الفعل والله اعلم **الفصل الاول** عن ابن عباس قال بعث بصيغة
المجهول اي جعل مبعوثا الى الخلق بالرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة
اي وقت اتمام هذه المدة قال الطيبي اللام فيه بمعنى الوقت كما في قوله تعالى قدمت
لحياتي فمكث بضم الكاف وبفتح اي فلبث بمكة ثلاث عشرة سنة بسكون الشين المعجمة
وبكسر يوحى اليه حال او استئناف فيه اي يوحى اليه في اثناء تلك السنين ثم امر بالهجرة
اي الى المدينة فهاجر اي اليها واقام بها عشر سنين بسكون الشين لا غير ومات وهو ابن

ثلاث وستين سنة وهذا هو الصحيح وقيل ابن خمس وستين كما سياتي عن ابن عباس ايضا
بادخال سنتي الولادة والوفاة وقيل ابن ستين كما سياتي عن انس بالغاء الكسر متفق
عليه وعنه اي عن ابن عباس قال اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة
سنة اي بادخال سنتي الولادة والهجرة يسمع الصوت اي صوت جبريل ويرى الضوء اي النور
في الليالي المظلمة فيما عظيما سبع سنين قال الطيبي يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يرى من امارات النبوة
سبع سنين ضياء مجردا وما راى معه ملكا وهو معنى قوله ولا يرى شيئا اي سوى الضوء قالوا
والحكمة في رؤيته الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استيناسه اولا بالضوء المجرد وذهاب روعه
اذ في رؤية الملك مظنة ذهوله وذهاب عقله لغلبة دهشته فانه امر خطير انتهى ولقد احسن
ابن الملك في قوله والسر فيه ان الملك لا يفارقه ضوء الملكية ونور الربوبية فلو راه ابتداء لم
يطقه القوة البشرية وعسى ان يحرك من ذلك غشي فاستؤنس اولا بالضوء ثم غشيه
الملك ويجوز ان يراد بالضوء انشراح الصدر قبل نزول الوحي فسمي الانشراح ضوءا ولا تكمل
انشراح صدره الا بعد وصولها الى اربعين ليستعد ان يكون واسطة بين الله وبين خلقه
وثمان سنين يوحى اليه اي في مكة واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سبق
الكلام عليه متفق عليه قال ميرك قوله متفق عليه لم يقع في موقعه لان البخاري لم يخرجه بل هو
في صحيح مسلم فقط كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين واشار اليه شيخنا ابن حجر في شرح
صحيح البخاري ومنشا توهم صاحب المشكاة صنيع ابن الاثير في جامع الاصول والحاصل
انه اغتر بظاهر كلامه من غير رجوع الى الماخذ فلهذا وقع فيما وقع والله اعلم وعن انس قال
توفاه الله تعالى على راس ستين سنة قال الطيبي مجاز قوله على راس ستين سنة اي اخر
المجاز قولهم راس اية اي اخرها سموا اخر السنين راسا لانه مبدا مثله من اية اخرى او عقد
اخر متفق عليه ورواه الترمذي في الشمايل وعنه اي عن انس رضي الله عنه قال قبض
النبي صلى الله عليه وسلم اي توفي وهو ابن ثلاث اي والحال انه صاحب ثلاث سنين وستين
اي سنة كما في نسخة وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين اي بلا خلاف وكانت خلافته سنتين
واربعة اشهر وعمر وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين
وقيل ست وخمسين وقيل احدى وخمسين قال المولف طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة
بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد غرة
محرم سنة اربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو اصح ما قيل في عمره وكانت خلافته
عشر سنين ونصفا واما عثمان فدفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان
وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل غير ذلك وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة
واما علي فاستخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي
الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع
عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته ودفن
سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون وقيل سبعون
وقيل ثمان وخمسون وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وايام ولعل
انسا لم يذكر عليا مع ان الصحيح في عمره انه ثلاث وستون لانه اذ ذاك في قيد الحيوة
او لانه ما تحرر عنده والله اعلم رواه مسلم وروى الترمذي عن جرير عن معاوية انه سمعه

عز وجل

المرادي

بخطبة الامان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابو بكر وعمر
كذلك وانا ابن ثلاث وستين اي وانا متوقع ان اموت في هذا السن موافقة لهم
ففي جامع الاصول كان معاوية في زمان نقله هذا الحديث في هذا السن ولم يمت
فيه بل مات وله ثمان وسبعون سنة وقيل ست وثمانون سنة قال ميرك ثم يعني
لكن لم ينل مطلوبه بل مات وهو قريب من ثمانين قلت لكن حصل مرغوبه
من ثلاث التوافق الذي هو موجود مع زيادة عمره واملة فنية المومن خير من عمله
قال محمد بن اسماعيل البخاري ثلاث بالجمع الحكاية والتقدير رواية ثلاث وستين
الثاني رواية من غيرها وبح الامام احمد ايضا هذه الرواية قال النووي في شرح
مسلم ذكر ثلاث روايات احديها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين
سنة والثانية ابن خمس وستين والثالثة ثلاث وستين وهي اصحها واشهرها
رواه مسلم هنا من رواية انس وعايشة وابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم
فرواية ستين مقتصر على العقود ورواية الخمس منافية له وانكر عروة على
ابن عباس قوله وقال انه لم يدرك اول النبوة ولا كثرت صحبته بخلاف الباقين وولد
عام الفيل على الصحيح المشهور وادعى القاضي عياض الاجماع عليه واتفقوا
على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول واختلفوا هل هو ثاني الشهر ام
ثامنه ام عاشره وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول ضحى صلوات الله
وسلامه عليه انتهى ولا يخفى ان هنا قولا اخر ايضا وهو ان عمره صلى الله عليه
وسلم اثنان ونصف وستين سنة وانه على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم
من ان عمر كل نبي نصف عمر نبي كان قبله وعمر عيسى عليه السلام خمس
وعشرون ومائة وقيل هذا الحديث لا يخلو عن ضعف ويمكن ان يقال
الغاء النصف من الكسر غير بعيد عند اهل الحساب والله اعلم بالصواب وعن
عايشة رضي الله عنها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي قال النووي هذا الحديث من مراسيل الصحابة فان عايشة لم تدرك
هذه القضية فتكون سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من صحابي ومرسل
الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني قال
الطيبي ولفظها هو انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم لقولها قال فاخذني
فغطني فتكون قولها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية ما تلفظ
به صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون بالتاء على تاويل
انه صلى الله عليه وسلم يودي لفظ ما اوحي اليه او معناه فلا يكون الحديث
من المراسيل قلت هذا اغرب من الطيبي لانها لما لم تسند في ظاهر
الحديث انها سمعت منه صلى الله عليه وسلم كان من المراسيل اما عنه او عن صحابي
ولانها فيه قولها قال فانها انما نقلت كلامه صلى الله عليه وسلم او نقل كلام الصحابي
والتقدير قال ناقلا عنه عليه السلام والله اعلم بالمراد ثم الظاهر ان من في
قولها من الوحي تبعيضية لا بيانية كما قيل اي اول ما ابتدئ به من اقسام
الوحي الرويا الصادقة وقوله في النوم انما تاكيد اذ الرويا تختص به اذ الرويا

وهو عز وجل

ما رايت في منامك على ما في القاموس ثم اعلم ان حقيقة الرويا الصادقة ان الله يخلق في قلب
النايم وفي حواسه الاشيا كما يخلقها في اليقظة وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشا لا يمنعه
نوم ولا غيره عنه فربما يقع ذلك في اليقظة كما رواه في المنام وربما ما رآه علما على امور
اخرى يخلقها في ثاني الحال او كان خلقها فيقع ذلك كما جعل الله تعالى الغيم علامة للمطر
كذا حققه العلامة الكرماني فكان لا يرى رويا وفي نسخة الرويا الا جاءت اي تلك الرويا
بمعنى اثرها الدال على تحققها مثل فلق الصبح بفتح الفا واللام اي ضويه اذا انفلق
كما في شرح السنة والمعنى مشبهة بضيا به او مجيا مثله قال شارح الفلق بالتحريك
الصبح بعينه وحسن اضافته الى الصبح وان كانت لاختلاف اللفظين يكون من الالفاظ المشتركة
فانه يطلق الفلق على الصبح وعلى المطمئن من الارض فشبهت ما جاء في اليقظة موافقا
لما راه في المنام بالفلق لانارته واضاته وصحبته وقال القاضي شبه ما جاء في اليقظة ووجده
في الخارج طبقا لما راه في المنام بالصبح في انارته ووضوحه والفلق الصبح لكنه كان مستعملا في
هذا المعنى وفي غيره للخلق كما في قوله قل اعوذ برب الفلق وغير ذلك اضيف اليه للتخصيص
البيان اضافة العام الى الخاص كقولهم عين الشي ونفس الشي وقال الطيبي للفلق شان
عظيم ولذلك جا وصفا لله تعالى في قوله سبحانه فالق الاصباح وامر بالاستعاذة برب
الفلق لانه ينبي عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تباشير الصبح بظهور سلطان
الشمس واشراقها الافاق لان الرويا الصالحة مبشرات تنبي عن وفور انوار عالم الغيب
واثار مطالع الهدايات شبه به الرويا التي هي جز يسير من اجزا النبوة وتنبيه من تنبيهاتها
لمشترك العقول على ثبوت النبوة لان النبي انما سمي نبيا لانه ينبي عن عالم الغيب الذي
لا يستقل العقول بادراكه وفي شرح مسلم للنووي قالوا انما ابتدي صلى الله عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه
الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدي بتاثير الكرامة وصدق الرويا
استئناسا ما قلت وهو مقتضى الامور التدريجية في الامور الدينية وكان الرويا شبهت بالفلق
الذي هو الصبح وهو مقدمة طلوع الشمس المشبهة به اتيان جبريل بالوحي المنزل الذي
هو نور وكتاب مبين يهدي الله لنوره من يشاء ثم بون بين بين النور الحسي الافاقي والنور
العلمي الخلاقي ثم حبب اليه الخلا بالمد اي الخلوة المناسبة لمرتبة التخلية عن الغير المقدمة
على التحلية المترتبة عليها ثبوت نور وجوده وظهور كرمه وجوده قال النووي الخلوة شان
الصالحين وعباد الله العارفين قال الخطابي حبب الخلوة لان معها فراغ القلب وهي معينة
على التفكر وبها ينقطع عن مالوفات البشر وتخشع قلبه وتجمع همه فالمختص في الخلوة يفتح الله
عليه ما يونسه في خلوته من تعويض الله تعالى اياه عما تركه لاجله واستنار قلبه بنور الغيب
حتى تذهب ظلمة النفس واختيار الخلوة لسلامة الدين وتفقد احوال النفس واخلاص
العمل انتهى واختلف في افضلية الخلوة والجلوة والخلطة والعزلة والصحيح ان لكل واحدة
بشروطها المعتبرة في محلها هي الافضل والاكمل للمصلحة المترتبة عليها الحكمة الالهية اقتضا
صفة الربوبية وكان يخلو بغار حرا بكسر الحا المهملة وتخفيف الرا وبالمد ومذكور
موصوف على الصحيح وقيل مونث غير مصروف ذكره النووي وقال القاضي الزاهد صاحب
التعلب والخطابي وغيرهما العوام يخطاون في حرا في ثلاثة مواضع يفتحون الحا وهي مكسورة
ويكسرون الرا وهي مفتوحة ويقصرون الالف وهي ممدودة وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة

ايال عن يسار الذاهب من مكة الى منى وقال شارح هو بالكسر والمد والقصر
حطا يذكر ويونث فيصرف على الاول ولا يصرف على الثاني اقول ولعل وجه التذكير
اعتبار الموضع والتانيث باعتبار البقعة وقال العسقلاني حراء هو بالمد وكسر اوله
وهو الصحيح رواية وحكي فيه غيره لكن جواز الا رواية وعند الاصيلي بالفتح
والقصر فيتحنث فيه اي فيتعبد فيه ذلك الغار فرارا من الاغيار وفي سيرة ابن
هشام فيتحنف بالفاء بتتبع الحنيفية وهي دين ابرهيم والفاء تبدل ثاء في كثير من
كلامهم ذكره السيوطي وهو اي التحنث التعبد وكان المتعبد يتحرز عن الحنث
بمعنى الاثم ويجتنب عنه بعبادته وهذا التفسير اما من قول عايشة رضي الله
عنها او من قول الزهري ادرجه في الحديث والتحنث في اللغة القاء الحنث عن نفسه وقيل
لم يرد من باب التفعل في معنى القاء الشي عن النفس الا التحنث والتاثم والتحوب كذا ذكره
شارح وقال السيوطي قوله وهو التعبد مدرج في الخبر قطعا قال العسقلاني وهو
محتمل ان يكون من كلام عروة او من دونه قال وجزم الطيبي بانه من تفسير الزهري
ولم يذكر دليله انتهى وقال التوربشتي فسرت التحنث بقولها وهو التعبد ويحتمل
ان يكون التفسير من قول الزهري ادرجه في الحديث وذلك من دابه قال النووي
وقولها الليالي ذوات العدد متعلق بيتحنث لا بالتعبد ومعناه يتحنث الليالي ولو جعل
متعلقا بالتعبد فسد المعنى فان التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على القليل
والكثير وهذا التفسير اعتراض بين كلامي عايشة رضي الله عنها واما كلامها فيتحنث
فيه الليالي ذوات العدد وانما اطلق الليالي واريد بها الليالي مع ايامهن على سبيل التغليب
لانها انسب للخلوة وقيد بذوات العدد لارادة التقليل كما في قوله تعالى دراهم انتهى والمراد
به ان العدد القلة وقيل يحتمل الكثرة او الكثرة تحتاج للعدد لا القليل وقيل ابهام
العدد لاختلافه بالنسبة الى المدة التي يتخللها مجيئه الى اهله والا فاصل الخلوة قد
عرفت مدتها وهي شهر في كل سنة وذلك الشهر كان رمضان اقول ويمكن ان يكون
المدة اربعين قياسا على ميقات موسى عليه السلام ولما فيها من الخواص والاسرار التي
تظهر اثارها وانوارها على الصوفية الاربع مافيها من مطابقة الاربعينات في الاطوار
وقد قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
هذا وقال الحافظ العسقلاني ولم يات التصريح بصفة تعبده لكن في رواية عبيد بن عمر عند
ابن اسحاق فيطعم من يرد عليه من المشركين وجاء عن بعض المشايخ انه يتعبد بالتفكر ذكره
السيوطي في حاشية مسلم وفي التحرير للامام ابن الهمام ان المختار انه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه متعبد
فقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ونفاه المالكية الامدي وتوقف الغزالي
انتهى تعبده قبل البعثة بشرع من قبله وفي شرح التجريد قال امام الحرمين والمازري وغيرهما لا يظهر لهذه
المسالة ثمرة في الاصول ولا في الفروع بل يجري مجرى التواريخ المنقولة ولا يترتب عليها حكم في الشريعة
انتهى والظاهر ان المراد بالتعبد هنا التجرد للعبودية وهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتبتل الى
الحق بحسب ما يقتضيه صفة الربوبية والخلوع عن المطالب النفسية والمارب الشهوية وخلاصة الغيبة
عما سواه والحضور مع الله المترجم عنه قول لا اله الا الله الوارد فيه افضل الذكر لا اله الا الله المعنى بقوله
فاعلم انه لا اله الا الله المعبر عنه عند الصوفية بالفنا والبقا والانفصال والاتصال والبينونة والكينونة

وهو نهاية مراتب العباد وغاية مطالب العباد قبل ان ينزع الى اهله يقال نزع الى اهله ينزع اي
اشتاق ومال ولذا قيل ينزع كيرجع زنة ومعنى قال شارح والمعنى انه كان لا يميل عن اهله
بالكلية الى خلوة دبل على قوله ويتزود بالرفع اي فيجي اهله ويأخذ زاده لذلك اي للتعبد
الليالي ذات العدد او لما ذكر من الليالي مشتغلا برب العباد ومتهيا للامر المعاد لاجل افراغ
الزاد ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها اي لمثل تلك الليالي او لنحو تلك العودة التي فيها الجودة
وفيه ايما الى ان اخذ الزاد لا ينافي التوكل والاعتماد والحاصل انه صلى الله عليه وسلم استمر على تلك الحال
من الذهاب للامال والرجوع لنيل المنال وحسن المال حتى جاءه الحق اي امر الحق وهو
الوحي او رسول الحق وهو جبريل عليه السلام ذكره التوربشتي او المعنى بين له الحق وظهر
له الجمال المطلق بلا امراة ولا مرا وهو في غار حرا فجاءه الملك اللام للعهد وهو جبريل عليه
السلام وقيل اسرافيل فقال اقرأ اي مطلقا وهو مقتضى الامر الباهر او كما قرا وهو الظاهر فقال
ما انا بقارئ اي لا احسن القراة ولم اتعلم القراة كما هو المعتاد فيمن يقرا قال فاخذني فغطني
بتشديد الطا اي عصرني قيل الغط في الاصل المقل في الما والتفويض فيه على ما في النهاية وغيره
ولما كان الغط مما ياخذ بنفس المغطوط استعمل مكان الخنق وفي بعض الروايات فخنقني
اقول الاظهر ان لفظ هو العصر اما من جهة البطن او الظهر لكن شدته ربما يضيق
النفس فيشابه حالة الخنق فعبر عنه بالخنق وهذا المعنى اولى واخلق وفي شرح مسلم
قالوا والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة في امره باحضار قلبه لما يقوله وانما
كرره ثلاثا مبالغة في التنبيه ففيه انه ينبغي للمعلم ان يحتاط في تنبيه المتعلم وامره
باحضار قلبه وقيل انما غطه ليختبره هل يقول من تلقا نفسه شيا وحاصل
المعنى عصرني عصرا شديدا حتى بلغ مني الجهد بضم الجيم ويفتح وبالرفع وبالنصب
قال النووي الجهد يجوز فيه فتح الجيم وضمها وهو الغاية والمشقة ويجوز نصبه
الدال ورفعها فعلى النصب بلغ جبريل مني الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه
وغايته وقد ذكر الوجهين اعني نصب الدال وفتحها صاحب التحرير انتهى
وقال شارح هو بضم الجيم ورفع الدال وهو بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة
وقيل المبالغة والغاية وقيل هما لغتان في الوسع واما المشقة والغاية فبالفتح
لا غير وقال التوربشتي لا ارى الذي رويه بنصب الدال الا قد وهم فيه او
جوزه من طريق الاحتمال فانه اذا نصب الدال عاد المعنى الى انه غطه حتى استفرغ
قوته في ضغطه وجهد جهده بحيث لم يبق فيه مزيد وهذا قول غير سديد فان
البنية البشرية لا تستدعي استيفا القوة الملكية لا سيما في مبدا الامر وقد دلت
القضية على انه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب قال الطيبي لا شك ان جبريل في
حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية التي تجلى بها عند سدرة المنتهى وعنده
ما راه مستويا على الكرسي فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التي تجلى له
وغطه واذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد اقول لا يلزم من تشكل الملك
بصورة الادمي وتبدله عن اصل هيبته الملكية سلب القوة عنه ونفي الغالبية
منه فان الامر المعنوي لا ينفي بتغير الهيكل الصوري فكلام الشيخ في محله وصحة
الرواية موقوفة على نقلها لا تجي ذ جوازها وذكرها وحملها ثم اي بعد ما بلغ قوته

الجهد ارسلني اي تركني في مقام البعد وكانه نقل من مقام الجمع الي حال التفرقة ومن
مرتبة الولاية الي مرتبة النبوة ترقيا الي درجة جمع الجمع فقال اقرا فقال ما انا بقارىء
الظاهر من صنيع الشراح ان قوله ما انا بقارىء في كل مرتبة علي معني واحد ويمكن
ان يقال ان ما الاولي نافية والثانية استفهامية والثالثة زائدة او علي لغة اهل مصر اي
اي شي انا اقراه فاخذني فغطني الثانية حتي بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
فقلت ما انا بقارىء اي الذي انا بقارىء ماهو علي ان ما موصولة مبتدا وخبره محذوف
والفرق بينه وبين ماقبله في المعني المرام ان الاول استفهام الانكار وهذا استفهام
الاعلام فاخذني فغطني الثالثة حتي بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك
قال النووي هذا دليل صريح في ان اول ما نزل من القران اقرا وهو الصواب الذي
عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل اوله يا ايها المدثر وليس بشي قلت الظاهر
ان اقرا اوله الحقيقي ويا ايها المدثر اوله الاضافي وهو بعد فترة الوحي الالهي قال
واستدل بهذا الحديث من يقول بسم الله الرحمن الرحيم ليست من القران في اوايل
السور لكونها لم يذكر هنا وجواب المثبتين لها انها لم تنزل اولا بل نزلت البسملة
في وقت اخر كما نزلت باقي السور في وقت اخر قلت فلا يكون البسملة جزء
الجميع اوايل السور لعدم القايل بالفصل فثبت مدعي اهل الفضل ولعل النووي
لما اشعر بضعف الجواب اسنده اليهم تبريا من قولهم والله اعلم بالصواب قال الطيبي
اقرا امر بايجاد القراة مطلقا وهو لا يختص بمقروء دون مقروء فقوله باسم ربك
حال اي اقرا مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا وهذا يدل
علي ان البسملة مامور قراتها في ابتدا كل قراة فيكون مامورا قراتها في هذه السورة
ايضا قلت لا يخفي بعدما ذكره علي ان اولي النهي اما قوله امر بايجاد القراة ففيه
بحث فان الايجاد والامداد من افعال رب العباد علي ماهو مقرر في اعتقادنا فالامر
انما توجه لمباشرة القراة لا لايجادها ثم قوله وهو لا يختص بمقروء دون مقروء
فيه ان لفظ اقرا هنا ايضا مقروء فالظاهر ان البا للاستعانة او للالصاق او للملابسة
كما حقق في البسملة او للفاتحة اي اقرا مستعينا باسم ربك او ملصقا به قراتك او
حال كونك ملتبسا به وعلي التنزل فلا يلزم من الافتتاح باسم الرب ان يوتي
بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقرا كما هو ظاهر بل ظاهره خلاف المامور علي انه يلزم
منه ان المقروء بعد قوله اقرا باسم ربك والحال ان الامر ليس كذلك كان مدعي
الشافعية ان يثبت البسملة قبل قوله اقرا باسم ربك ثم قوله وهذا يدل علي ان
البسملة مامور قراتها في ابتدا كل قراة ممنوع ومدفوع لاتفاق العلما علي استحباب
التعوذ او وجوبه قبل قراة وعلي جواز البسملة كذلك الا في اول براة علي الصواب
وفي اثنا سورتها خلاف والمعني منوها الذي خلق اي الاشيا ومن جملتها خلق
القدرة علي القراة والقوة علي الطاعة خلق الانسان من علق تخصيص بعد
تعميم اشعارا بان الانسان خلاصة المخلوقات وزبدة الموجودات وهو اولي
مما اختاره الطيبي من انه ابهام وتبيين ولعل العدول عن قوله خلق الانسان
من نطفة لمراعاة الفاصلة وللاشارة الي نقله في اطوار الخلقة الي مرتبة النبوة

بالوصول

ومعـــــــ لله عز وجل

بالوصول الي الحق المطلق والي مقام الرسالة من دعا الخلق الي دعوة الحق اقرا تاكيد للمعنوي
وتكرير للتكثير وربك الاكرم اي من كل كريم فان كل كريم من اثر كرمه وذرة من شعاع
ظهور شمس نعمه وفيه اشارة الي ان صفة الاكرم اقتضي بلوغ وصول الامي الي حصول مقام
الاعلم وصيرورة واسطة ايصال فيض العلم الي افراد العالم الذي هو علم بالقلم اي بواسطة كثير
من العلوم المتعارفة لافراد بني ادم علم الانسان اي بطريق بيان اللسان وتبيان الجنان ما لم
يعلم اي من الاشيا الحادثة في المكان والزمان ويمكن ان يراد بالانسان هو الكامل في هذا
الشان فاللام للمعهود في الاذهان فيكون فيه اشارة الي قوله تعالي وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما فصلوا عليه وسلموا تسليما فرجع بها اي رجع النبي صلي الله عليه وسلم
بالايات اي معها متوجها الي مكة يرجف بضم الجيم اي يضطرب فواده ويتحرك شديدا من
الرعب الذي دخل في قلبه فدخل علي خديجة وقال الطيبي اي صار بسبب تلك الغطة
يضطرب فواده ورجع يجيء بمعني قصد ايضا انتهي وما قررناه هو الظاهر كما لا يخفي فقال
زملوني بتشديد الميم المكسورة اي غطوني بالثياب ولفوني بها زملوني كرره للتاكيد
او لزيادة التاييد فزملوه حتي ذهب عنه الروع بفتح الرا اي الخوف والرعب الشديد
فقال لخديجة واخبرها الخبر اي خبر ما تقدم والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله
وهو لقد خشيت اي خفت علي نفسي اي من الجنون او الهلاك وقال شارح ادهشته
هيبته البديهية فخشي علي نفسه من تخبط الشيطان وفي شرح مسلم للنووي قال
القاضي عياض ليس هو بمعني الشك فيما اتاه من الله تعالي لكنه ربما خشي انه لا يقوي علي
مقاومة هذا الامر ولا يقدر علي حمل اعبا الوحي فتزهق نفسه او يكون هذا اول ما راه من التباشير
في النوم او اليقظة وسمع الصوت قبل لقا الملك وتحقيق رسالة ربه فيكون قد خاف ان يكون
من الشيطان فاما منذ جاه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالي فلا يجوز الشك فيه وتسليط
الشيطان عليه قال الشيخ محيي الدين وهذا الاحتمال ضعيف لانه تصريح بان هذا بعد غط
الملك واتيانه باقرا باسم ربك وقال السيوطي قيل خشي الجنون وان يكون ما راه من جنس
الكهانة قال الاسماعيلي وذلك قبل حصول العلم الضروري له ان الذي جاءه ملك وانه عند
الله وقيل الموت من شدة الرعب وقيل المرض وقيل العجز عن حمل اعبا النبوة وقيل
عدم الصبر علي اذي قومه وقيل ان يقتلوه وقيل ان يكذبوه وقيل ان يعيروه فقالت
خديجة كلا هي كلمة ردع اي لا تظن ذلك او لا تخف او معناه حقا فقولها والله للتاكيد
وتاييد للتاييد لا يخزيك الله ابدا قال النووي هو بضم اليا وبالخا المعجمة في رواية يونس
وعقيل وفي رواية معمر بالحا المهملة والنون ويجوز فتح اليا في اوله وضمها وكلاهما صحيح اقول
لا يخفي ان فتح اليا انما يكون مع فتح الزاي بخلاف ضم اليا فانه مع كسر الزاي كما قرئ بهما
متواترا في قوله تعالي ولا يحزنك قولهم ونحوه واما الرواية الاولي فمن الاخزا بمعني
الافضاح والاهانة ومنه قوله تعالي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه انك
بالكسر استيناف فيه شايبة تعليل لتصل الرحم اي ولو قطعوك وتصدق الحديث
بضم الدال اي تتكلم بصدق الكلام ولعلك بوك او كذبوك وتحمل بكسر الميم الكل بفتح
الكاف وتشديد اللام وهو ما لا يستقل بامره وقد يعبر عنه بالثقيل ومنه قوله
تعالي وهو كل علي مولاه والمعني انك تتحمل مونة الكل وتقبل محنة الكل وان تركوك

ثم ايضا عدوك ويدخل في حمل الكل الانفاق على الضعيف واليتيم والارامل والعيال من النسا
والرجال وتكسب المعدوم بفتح التا هو الصحيح المشهور وروي بضمها ذكره النووي والمعني
تحصل المال للخير او تعطي المحتاج فكان الفقير معدوم في نفسه او في نظر الغني او لان الفقر
يقتضي الفنا والاسكان كما ان يوجب الظهور والتحرك والطغيان قال ثعلب والخطابي
وغيرهما يقال كسبت الرجل مالا واكسبته مالا لغتان افصحها كسبته بحذف الالف
فمعني الضم تكسب غيرك المال المعدوم اي تعطيه اياه تبرعا فحذف الموصوف واقيم الموصوف
به مقامه وقيل المعني يعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفايس الفوايد ومكارم
الاخلاق او تصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله وكانت العرب تتمادح بكسب المال لاسيما
قريش وكان صلى الله عليه وسلم مغبوطا في تجارة قال النووي وهذا القول ضعيف او
غلط ويمكن تصحيحه بان يضم معه زيادة فمعناه تكسب المال العظيم الذي يعجز غيرك
عنه ثم تجود به في وجوه الخير وابواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وغيرها
وصاحب التحرير جعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المعدم العاجز عن الكسب
وسماه معدوما كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف في معيشة الحيوة انتهي وقيل
الصواب ويكسب المعدوم اي يعطي العايد وتصحيحه لان المعدوم لا يدخل تحت
الافعال قال التوربشتي المعدوم هي اللفظة الصحيحة بين اهل الرواية واجراها
بعضهم على التوسع فراي انه نزل العايل منزلة المعدوم مبالغة في العجز كقولهم للبخيل
والجبان ليس بشي قال ويكسب من كسبت زيدا مالا واكسبت مالا ويجوز بضم التا
من اكتسبت زيدا مالا قال الخطابي والافصح كسبته فمعني تكسب ان جعل متعديا
الي واحد انك تكسب ما لا يكون موجودا ولا حاصلا لتمسكك وتقوي به الضعيف
فيكون المجموع سببا لان لا يخزيه الله او تكسب المعدوم وهو الفقير سمي معدوما
للمبالغة لانه صار من غاية فقره معدوما والمتصدق عليه بكسبه ويجعله موجودا
وان جعل متعديا الي اثنين فالمحذوف اما المفعول الاول اي تكسب غيرك المعدوم
اي يعطيه ما لا يكون موجودا عنده وتوصله اليه او المفعول الثاني اي تكسب
المعدوم اي الفقير مالا اي تعطيه اياه فانما ذكرت لفظ الكسب ارادة انك لن تزال
تسعي في طلب عاجز تنعشه كما يسعي غيرك في طلب مال ينفعه انتهي وزبدته
انها ارادت انك ممن لا يصيبه مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن
الشمايل وفيه دلالة على ان مكارم الاخلاق وخصال الخير للسلامة من مصارع السوء
وفيه مدح الانسان في وجهه في بعض الاحوال لمصلحة تطرو وفيه تانيس من حصلت
له مخافة من امر وتبشيره وذكر اسباب السلامة وفيه اعظم دليل وابلغ حجة على كمال
خديجة رضي الله عنها وجزالة رايها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها وفيه
تنبيه على ان فقره صلى الله عليه وسلم مرضيا اختياريا لا مكروها اضطراريا ومنشاه كمال الكرم
والسخاوة وعليا ان هذه الصفات المذكورة والنعوت المسطورة كانت له جبلية
خلقية قبل بعثته الباعثة لتتميم مكارم الاخلاق ثم انطلقت به خديجة الي ورقة
بفتحتين بن نوفل اي ابن اسد القرشي ابن عم خديجة اي ابنة خويلد بن اسد فهو
ابن عمها حقيقة واختلف في اسلامه ذكره صاحب القاموس فقالت له يا ابن عم اسمع من

ابن اخيك

وقف لله عز وجل

ابن اخيك وهذا بطريق المجاز كقولهم يا اخا العرب وقال ثنا رجل انما قالت ذلك على سبيل
التعظيم لا على سبيل الحقيقة فقال الحاوي رقة وقد كان تنصر في الجاهلية وقرا الكتب وكان
شيخا كبيرا قد عمي ذكره المولف في فصل الصحابة يا ابن اخي ماذا تري قيل ذا زايدة وما استفهامية
وقيل ذا موصولة اي ما الذي تراه فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راي اي بخبره واطلعه على
ما ظهر عليه من الملك واثره فقال ورقة هذا اي الملك الذي رايته هو الناموس الذي انزل اي انزله
الله على موسي قيل الناموس الرجل صاحب سر الذي يطلعه على باطن امره واهل الكتاب يسمون
جبريل بالناموس فقد قال اهل اللغة الناموس صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر
فقيل سمي بذلك لان الله تعالي خصه بالوحي يا ليتني اي كنت فيها في نسخة فيها اي في ايام النبوة
ومدة الدعوة لان الازمنة التي تطلع فيها جذعا بفتح الجيم والذال المعجمة اي جلدا شابا قويا
حتي ابالغ في نصرتك بمنزلة الجذع من الخيل وهو ما دخلت في السنة الثالثة فالجذع في الاصل
للدواب وهنا استعارة ونصبه اما باضمار كنت او بليت على تا ويل تمنيت والاصح انه حال اي ليتني
حاصل فيها جذعا كما هو مذهب البصريين في باليت ام الصبا وراجعا قال الخطابي والاداري
وغيرهما نصب على انه خبر كان المحذوفة تقديره ليتني اكون فيها جذعا على مذهب الكوفيين
وقال القاضي الظاهر عندي انه منصوب على الحال وخبر ليت قوله فيها والعامل الظرف هذا
وفي قوله يا ليتني المنادي محذوف اي يا محمد وقال ابن الملك ظن اكثر الناس ان يا التي
يليها ليت حرف نداء والمنادي محذوف وهو عندي ضعيف لان قايل ليتني قد يكون
وحده فلا يكون معه منادي كقول مريم يا ليتني مت قبل هذا قلت يمكن ان يكون التقدير يا نفسي
او يا نفسي او يا ولدي او ارادته به الخطاب العام المقصود في اوهام الافهام قال ولان الشي انما يجوز
حذفه اذا كان الموضع الذي ادعي فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحذف المنادي قبل امر او دعا
فانه يجوز حذفه لكثرة ثبوته ثمة فمن ثبوته قبل الامر يا يحيي خذ الكتاب بقوة وقبل الدعا يا موسي
ادع لنا ربك ومنه حذفه قبل الامر الا يا اسجدوا في قراة الكسايي الا يا هولا وقبل الدعا قوله
الا يا اسلمي يا دار مي على البلا اي الا يا دار مي اعلمي فحسن حذف المنادي جعلها عنا دا على ثبوته
بخلاف ليت فان العرب لم تستعمله ثابتا فادعا حذفه باطل فتعين كون يا هذه لمجرد التنبيه مثل
الا في نحو الا ليت شعري هل ابيتن ليلة قلت لعل وجه حذف المنادي مع ليت كثرة استعماله
فتارة يكون مفردا مذكرا او مونثا وتارة تثنية او جمعا كما ذكر وتارة يكون محققا واخري
يكون محققا واخري يكون موهوما ولا شك ان كثرة الاستعمال موجبة للحذف والتخفيف
حتي ربما يجعل الحذف واجبا فادعا حذفه بهذا الاعتبار حق بل واجب لا باطل وذاهب
ثم رايت في القاموس ذكر جواز الوجهين وقدم ما قدمناه حيث قال واذا ولي يا ما ليس
بمنادي كالفعل في الا يا اسجدوا والحرف في يا ليتني كنت معهم ويا رب كاسية في الدنيا عارية في
العقبي والجملة الاسمية نحو يا لعنة الله والاقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار فهي للندا
والمنادي محذوف او لمجرد التنبيه ليلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة كلها انتهي وتبعه صاحب
المغني وفيه بحث لا يخفي والله تعالي يعلم السر واخفي ليتني اكون حيا اي وانتم اكف قريبا
اذ يخرجك اذ هنا للاستقبال كاذا والمعني حين يتسبب خروجك من بلدك قومك اي اقاربك
من كفار قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم بفتح الواو وتشديد اليا
المفتوحة ويجوز كسرها كقوله مصرخي وهو خبر لقوله هم واصله مخرجون اضيف الي يا الاضافة

حذف
يح

فكسر الجيم للمناسبة فاعرابه تقديري كمسلمي والجملة عطف علي مقدر والاستفهام للاستعلام علي وجه
التعجب من هذا الاقدام لتاكيد المرام اي ايكون ما قلت وهم مخرجي قال نعم اي يخرجونك وسببه
انه لم يات رجل قط بمثل ما جيت به اي من الرسالة الا عودي ماض مجهول من المعادات ع
والاستثنا مفرغ من اعم عام الاحوال وان يدركني يومك شرط جزاوه انصرك نصرا موزرا
بتشديد الزاي المفتوحة قال القاضي يريد باليوم الزمان الذي اظهر فيه الدعوة او
عاداه قومه فيه وقصدوا ايذاوه واخراجه والموزر البالغ في القوة من الازر وهو
القوة قلت ومنه قوله تعالي اشدد به ازري ثم لم ينشب بسكون النون وفتح
الشين اي لم يلبث ولم يبرح وحقيقته انه لم يتعلق بشي اولم يشتغل بغير ما
هو عليه فكني به عن ذلك وقوله ان توفي نصب علي التمييز اي من جهة الوفاة اي
لم يلبث وفاته بان جاسر بيعا وقال الطيبي بدل اشتمال من ورقة اي لم يلبث وفاته
وفتر الوحي اي انقطع اياما كما سياتي في الحديث الاتي متفق عليه وزاد البخاري
اي علي رواية مسلم قوله حتي حزن النبي صلي الله عليه وسلم بكسر الزاي من الحزن والزن
خلاف السرور يقال حزن الرجل فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا لكن بفتح
الزاي في المتعدي فيما بلغنا اي من الاحاديث الدالة علي حزنه وهو معترض
بين فعل ومصدره المنصوب علي انه مفعول مطلقا علي حزنا بضم فسكون
ويجوز فتحهما اي حزنا عظيما من صفته انه غدا اي ذهب في الغدوة منه
اي من اجل الحزن او من جهة فتور الوحي وقيل معني عنا جاوز
فعلي هذا يكون بعين مهملة ذكره زين العرب وقال العسقلاني
عدا بعين مهملة وهو الذهاب بسرعة ومنهم من اعجمها من الذهاب غدوة الذي واقتصر
الشارح علي العين المهملة فقال اي شي من العدو مرارا اي مرة بعد اخري كي يتردي
اي يسقط من روس شواهق الجبل اي عواليه هو جمع شاهق وهو الجبل المرتفع
فكلما اوفي وصل ولحق بذروة جبل بكسر الذال ويجوز تثليثه اي باعلاه لكي يلقي
نفسه اي باعلاه منه تبدي اي تبين وظهر له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا
مصدر موكد للجملة السابقة وهي قوله انك لرسول الله نصب مضمرا اي احق هذا
الكلام فيسكن اي يطمين لذلك جاشه او نزول لذلك اضطراب قلبه وقلقه
وروعه وفزعه ونقر بكسر القاف وتشديد الرا ان تسكن نفسه اي من اضطر
اليها **وعن** جابر انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي
اي انقطاعه اياما ثم حصوله متتابعا قال فبينا وفي نسخة فبينما انا امشي
اي في ارض مكة بنا علي الاطلاق او فوق جبل حرا كما يدل عليه قوله الاتي حتي هويت
سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا قاعد علي كرسي بين
السما والارض فجئثت بضم جيم وكسر همزة وسكون مثلثة اي فزعت وخفت منه
اي من الملك رعبا بضم فسكوت وبضمتين اما حال او ممتليا رعبا او مرعوبا كلا الرعب
والرعب نقيض ولا يتعدي او مفعول مطلق او مفعول لاجله فان الفزع
انقباض ونفار يعتري الانسان من الشي المخيف وهو قريب من الفزع والجزع
والرعب الانقطاع من امتلا الخوف كذا حققه التوربشتي وغيره من اتباعه والاظهر

عندي

عندي انه تمييز موكد ونظيره ذرعها سبعون ذراعا حتي هويت بفتح الواو اي سقطت ونزلت
الي الارض فجيت اهلي اي اهل بيتي فقلت زملوني زملوني اي دثروني ونقلوني
من الزاملة وهو ثقل المتاع والتكرير للتاكيد او للتكثير فزملوني فانزل الله تعالي
يا ايها المدثر بتشديد الدال والثا اي المتدثر بمعني المتزمل المتثقل ولهذا قيل
معناه يا ايها المتلبس باعبا النبوة والمتحمل باثقال الرسالة قم اي بامرنا ودم علي
القيام بالطاعة مطلقا او علي قيام الليل المستفاد من قوله تعالي يا ايها المزمل قم الليل
ولذا قيل انه امر بالقيام للنبوة وهذا امر بالقيام للرسالة كما يشير اليه قوله فانذر اي
فاعلم الناس بالتخويف عن العذاب وبشر المومنين بانواع الثواب فهو من
باب الاكتفا او الاقتصار علي لانذار بنا علي غلبة الكفار وعموم الفجار وربك فكبر
اي محض ربك بوصف الكبريا والعظمة وثيابك فطهر اي من النجاسات ويوخذ
منه طهارة الباطن عن القاذورات بالاولي وقيل معناه قصرثيابك علي ذكر
المسبب وارادة السبب مع ما فيه من الدلالة علي التواضع الملايم للعبودية
المناسب لما قبله من ظهور كبريا الربوبية والرجز بضم الرا وكسرها اي الشرك
والعصيان فاهجر اي فاتركه الظاهر ان هذا اقتصار من الراوي او تمامه ولا تمنن
تستكثر ولربك فاصبر ثم حمي الوحي بكسر الميم اي اشتد حره وتتابع اي نزوله
متفق عليه **وعن** عايشة ان الحارث بن هشام هو مخزومي اخو ابي جهل
شقيقه اسلم يوم الفتح وكان من فضلا الصحابة واستشهد في فتوح الشام قال
العيني واعطاه رسول الله صلي الله عليه وسلم مايه من الابل سال رسول الله صلي
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي ظاهر ان الحديث من مسند
عايشة وعليه اعتمد اصحاب الاطراف فكانها حضرت القصة ويحتمل ان يكون
الحارث اخبرها بذلك بعد فيكون مرسلا صحابيا وحكمه الوصل اتفاقا ويويده
ان في مسند احمد وغيره من طريق عامر بن صالح الزهري عن هشام عن ابيه
عن عايشة عن الحارث بن هشام قال سالت وعامر فيه ضعف لكن له متابع عند
ابن مندة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم احيانا اي بعض الاحيان والازمان
قيل وهو وقت اتيان الوعيد ياتيني اي الوحي مثل صلصلة الجرس اي اتيانا
مثل صوته قال الطيبي يجوز ان يكون مفعولا مطلقا والاحسن ان يكون حالا اي
ياتيني الوحي مشابها صوته بصوت الجرس والصلصلة صوت الحديد اذا حرك
وهو اي هذا النوع من الوحي اشده اصعبه علي واتعبه الي قال العسقلاني
لان الفهم من كلام مثل الصلصلة اشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود
علي ما سياتي ولعل في قوله تعالي انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اشارة الي ذلك قال
الخطابي يريد والله اعلم انه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته عند اول ما يقرع سمعه
حتي يتفهم ويتثبت فيتلقفه حينئذ ويعيه ولذا قال وهو اشده علي فيفصم عني
بفتح اليا وكسر الصاد اي ينقطع مني وفي نسخة بضم اليا وكسر الصاد من افصم الحمي
والمطر اي اقلع علي ما في القاموس وفي نسخة اخري بصيغة المجهول اي يقلع عني كرب
الوحي قال القسطلاني في قوله فيفصم اي الوحي او الملك فكانه جوز تقدير المضاف في الوحي

السابق اي كيف ياتيك صاحب الوحي وهو الملك ثم قال وهو بفتح المثناة التحتية
وسكون الفا وكسر الصاد المهملة كذا الاي الوقت من فصم يفصم من باب ضرب يضرب
والمراد قطع الشدة اي يقلع وينجلي ما يغشاني من الكرب والشدة وروي فيفصم بضم
اليا وكسر الصاد من افصم المطر اذا اقلع رباعي قال في المفاتيح وهي لغة قليلة
وفي رواية اخرى فيفصم بضم اوله وفتح ثالثه مبني المفعول والفا والفصم القطع من غير
بينونة فكانه قال ان الملك يفارقني ليعود حالي وقد وعيت عنه ما قال جملة حالية
وهو بفتح العين اي حفظت الذي ذكره فما موصولة والعايد محذوف وضم الوعي هنا
قبل الافصام وفيما بعد حال الكلام فلذلك ورد ولا ماضيا وثانيا حالا حيث قال
واحيانا يتمثل اي يتصور ويتشكل لي الملك رجلا اي مثل فيكلمني فاعي ما
يقول قال التوربشتي هذا حديث يتطرق فيه ابنا الضلالة ويتخذونه
ذريعة الى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق ابلج ونور يتوقد من شجرة
مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لا يغالط الا من اعمى الله عيني قلبه
وجملة القول في هذا الباب ان نقول كان النبي صلى الله عليه وسلم معنيا بالبلاغ
مهيمنا على الكتاب مكاشفا بالعلوم الغيبية مخصوصا بالمسامرات القلبية وكان
يتوفر على الامة حصتهم بقدر الاستعداد فان اراد ان ينبيهم بما لا عهد لهم به من
تلك العلوم صاغ لها امثلة من عالم الشهادة ليعرفوا بما شاهدوا فلما سال الصحابي عن
كيفية الوحي وكان من المسايل الغويصة والعلوم الغريبة التي لا يكشف نقابها الشريعي عن
وجههما بل لكل طالب ومتطلب وعلم ومتعلم ضرب لها في الشاهد مثلا بالصوت والتدارك الذي
يسمع ولا يفهم منه شي تنبيها على انباها يرد على القلب في لبسة الجلال واتهمة الكبريا فتاخذ
هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي في ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود
ذلك فاذا سري عنه وجد القول المنزل هنا ملقى في الروع واقعا موقع المسموع وهذا معنى
قوله فيفصم عني وقد وعيت ومعنى يفصم يقلع عني كرب الوحي شبهه بالحمى اذا افصحت
عن المحموم ويقال افصم المطر اي اقلع وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى الى
الملايكة على ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السما امرا
ضربت الملايكة اجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير هذا وقد سبق لنا من حديث عايشة
ان الوحي كان ياتيه على صفتين اوليهما اشد من الاخرى وذلك لانه كان يرد فيها
من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملايكة على ما ذكر
في حديث ابي هريرة وهو حديث حسن صحيح والاخرى يرد فيها الملك الى
شكل البشر وتشاكله فكانت هذه ايسر وقال الطيبي لا يبعد ان يكون هناك
صوت على الحقيقة متضمن للمعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها اياه ولكن
القلب للمناسبة يتشرب معناه فاذا سكن الصوت افاق النفس وجنبذ يتلقى
النفس من القلب ما القى اليه فيعي على ان العلم بكيفية ذلك من الاسرار التي
لا يدركها العقل في شرح مسلم قال القاضي عياض ما جاء مثل ذلك يجري على
ظاهره وكيفيته ذلك وصورته مما لا يعلمه الا الله سبحانه ومن اطلعه الله على شي

من ذلك من ملايكته ورسله وما يتاول هذا ويحيله عن ظاهره الا ضعيف النظر والايمان
اذ جاءت به الشريعة ودلايل العقول لا تحيله قالت عايشة قال الكرماني يحتمل
ان يكون داخلا تحت الاسناد المذكور سيما اذا جوزنا العطف بحذف حرف عطف
وان يكون غير داخل تحته بل كان تعليقا باسناد اخر ذكره على سبيل التعليق تابعا
لامر الشدة وتاكيدا له قال العسقلاني هو بالاسناد الذي قبله وان كان بغير
عطف ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
بكسر الهمزة والواو للحال اي فيفصل الوحي عنه والحال ان جبينه اي مقدم
وجهه ليتفصد اي ليتصبب عرقا تمييز محول عن الفاعل والمعنى ليسيل
عرقه مثل سيلان الدم من العرق المفصود متفق عليه ورواه الترمذي وعن
عبادة بن الصامت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل مجهول من الانزال
عليه الوحي اي حين اتي او انزل له عليه كرب بصيغة المجهول اي اصابه الكرب وحزن
لذلك اي لشدة نزوله وصعوبة حصوله قال شارح الكرب والكربة الغم الذي
ياخذه بالنفس يقال كرب الغم اذا اشتد عليه والمستكن في كرب اما للنبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى انه كان لشدة اهتمامه بالوحي كمن اخذه غم اي بسبب
مبناه او معناه ولذا قيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
الاية قال او والخوف ما عسى يتضمنه الوحي من التشديد والوعيد لذلك
والمستكن للوحي يعني اشتد فان الاصل في الكرب الشدة فالترجيح لا يلايمه
قوله لذلك قال التوربشتي يحتمل انه كان يهتم بامر الوحي اشد الاهتمام
ويهاب مما يطالب به من حقوق العبودية والقيام بشكر المنعم ويخشى على
عصاة الامة ان ينالهم من الله خزي ونكال فياخذه الغم الذي ياخذ بالنفس
حتى يعلم ما يوحى اليه ويحتمل ان المراد منه كرب الوحي وشدته فان الاصل
في الكرب الشدة وانما قال الصحابي كرب لما وجد من شبه حاله بحال المكروب
وقوله وتربد وجهه اي تغير واكثر ما يقال ذلك في التغير من الغضب وخزي
الرجل اي تغيس وفي رواية نكس راسه اي اطرقه كالمتفكر ونكس اصحابه
روسهم اي اتباعا له وتادبا معه فلما اتلي عنه بضم همزة فسكون فوقية وكسر لام فتح
تحتية اي سري عنه وكشف كانه ضمن الاتلا وهو الاحالة معنى الكشف بقرينة عن
وهذا هو المشهور في الاصول ولم يوجد في نسخ المشكوة غيره والمعنى فلما
ارتفع الوحي على الرواية الاولى والكرب على الرواية الاخرى رفع راسه اي وتبعه
اصحابه وقال النووي اتلي بهمزة وتا مثناة فوق ساكنة فلام فيا هكذا هو في معظم
نسخ بلادنا ومعناه ارتفع عنه الوحي هكذا فسره صاحب دعيره وفي بعض النسخ
اجلي بالجيم وفي رواية ابن ماهان انجلي بالجيم ومعناهما ازيح عنه وزال عنه وقال
الطيبي ضمن اتلي معنى اقلع فعدي بعن وبنصره رواية شرح السنة فلما اقلع عنه
وقال التوربشتي قوله فلما اتلي عنه كذا هو في المصابيح وراي صوابه فلما اتلي عليه
من التلاوة وان كان اتلي عليه مخففا فمعناه احيل يقال اتليته اي احلته اي احلت
عليه البلاغ وذلك ان الملك اذا قضى اليه ما نزل به فقد احال عليه البلاغ رواه

مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين اي قومك
الاقربين خرج النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد بكسر العين
اي طلع الصفا فجعل ينادي اي يقوله بأعلى صوته يا بني فهر بكسر فسكون يا بني عدي اي
وامثال ذلك لبطون قريش وتقدم تحقيقه وتفصيله حتى اجتمعوا اي حضر من كل
قبيلة فجعل الرجل اي من مشايخهم واكابرهم اذا لم يستطع ان يخرج اي لعذر به ارسل رسولا
لينظر ما هو اي من الخبر فجاء ابو لهب وقريش اي عامتهم فقال اي النبي صلى الله عليه
وسلم ارايتم اي اخبروني وصدقوني ان اخبرتكم ان خيلا يعني فرسانا تخرج اي تطلع
من سفح هذا الجبل اي ناحيته او سفحه ففي القاموس ان السفح الجانب ومن الخيل
مضطجعه والسفح عرض الجبل المضطجع او اصله او اسفله وفي رواية ان خيلا تخرج بالوادي
اللام فيه للعهد الذهني ولعل المراد به الوادي المشهور بوادي فاطمة في طريق مكة
الى المدينة تريد اي الخيل والمراد اصحابها وركابها ان تغير عليكم اي تاتيكم بغتة
للاغارة عليكم ليلا او صباحا اكنتم مصدقي قالوا نعم اي نصدقك لانك محمد الامين
ما جربنا عليك الا صدقا قال الطيبي ضمن جرب معنى القى اي ما القينا عليك شيئا من الاخبار
مجربين اياك الا وجدناك فيه صادقا قال فاني نذير لكم اي منذر ومخوف بين يدي عذاب
شديد اي قدامه وهو ما في الدنيا او في الاخرى قال ابو لهب تبا بتشديد الموحدة
اي خسرانا وهلاكا لك الهذا اي لهذا الامر الذي ذكرته جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب
بفتح الهاء ويسكن اي خسر وهلك هو واليد مقحمة اي عبارة عن نفسه لان اكثر
مزاولتها ومعالجتها بها ونحوه قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك فقوله وتب
تاكيدا والاول في الدنيا والثاني في الاخرى فالمعنى خسر الدنيا والاخرة والاول دعاء والثاني
اخبار متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
عند الكعبة اي قريبا منها وجمع قريش في مجالسهم اي حال كون جمع من قريش في مجالسهم
حول الكعبة اذ قال قائل اي ابو جهل او غيره ايكم يقوم اي يتوجه الى جزور آل فلان
اي نحرهم فيعمد بكسر الميم اي فيقصد القائم الى فرثها وهو السرجين ما دام في الكرش على
ما في الصحاح والضمير الى الجزور فانه وان يطلق على الذكر والانثى الا ان اللفظ مؤنثة يقال
هذه الجزور وان اردت ذكرا كذا في النهاية ودمها وسلاها بفتح السين وتخفيف اللام وهو
الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن امه ملفوفا فيه وقيل هو في الماشية السلا
وفي الناس المشيمة والاول اشبه لان المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها
حين يخرج كذا في النهاية فانبعث اي فقام وذهب الى ما ذكر اشقاهم اي اشقى كفار قريش
وهو ابو جهل وقيل عقبة بن ابي معيط كذا ذكره شارح وقال النووي هو عقبة بن
ابي معيط كذا ذكره شارح وقال النووي هو عقبة بن ابي معيط كما صرح في الرواية
الاخرى فلما سجد اي النبي عليه السلام وصفه اي ما ذكر والمعنى طرحه احدهما ولعله بها
يحصل الجمع بين القولين بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا اي حال
كونه مستمرا على سجوده ومستقرا على شهوده راضيا بقضائه مسلما لامره وحسن
بلائه فهو في غاية من السرور ونهاية من الحضور والحاصل من قرب الرب وهم
لبعدهم عن الحق المطلق وتعلقهم بالخلق الخالق غفلوا عن ذلك وهلكوا هنالك فضحكوا

حتى

حتى مال بعضهم على بعض اي واقعين وساقطين فوق بعضهم بعضا من الضحك اي من كثرته
الناشئة عن اعجابهم بفعلهم وتعجبهم عن فعله صلى الله عليه وسلم فانطلق منطلق الى
فاطمة اي واخبرها بما جرى فاقبلت تسعى اي حال كونها تسرع وهي صغيرة فانها
ولدت وعمره صلى الله عليه وسلم احدى واربعون سنة على ما في المواهب وثبت النبي صلى
الله عليه وسلم ساجدا هو تاكيد لما قبله وتمهيد لما بعده وهو قوله حتى القته اي طرحته
عنه فاطمة وابعدته منه واقبلت اي توجهت عليهم تسبهم اي تشتمهم وتلعنهم وهم ساكتون
عنها لصغرها ولعل هذا هو السبب في ان غيرها ما اقدم على هذا الفعل لما كان عسى ان
يثور الفتنة المودية الى القتال بين القبائل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوة اي اداها وفرغ منها قال اللهم عليك بقريش الباء زائدة وعليك اسم فعل فالمعنى
خذهم اخذا شديدا او اخذ عزيز مقتدر ثلاث مرات اي كررت ثلاثا وكان اي من عادته
انه اذا دعا اي الله دعا ثلاثا واذا سال اي طلب من الله سال ثلاثا فقيل هذا تاكيد لدعا
والاظهر انه تخصيص له هذا وفي شرح مسلم للنووي فان قيل استمر في الصلوة مع وجود النجاسة
على ظهره اجاب القاضي عياض بان هذا ليس بنجس لان الفرث ورطوبة البدن طاهران وانما
النجس الدم وهو مذهب مالك ومن وافقه من ان روث ما يوكل لحمه طاهر ومذهبنا ومذهب
ابي حنيفة انه نجس وهذا الذي قاله القاضي ضعيف لان هذا السلا يتضمن النجاسة من
حيث انه لا ينفك من الدم في الغالب ولانه ذبيحة عباد الاصنام قلت يعني على تقدير ان يكون
مذبوحة والا فميتة نجسة اتفاقا وكان النووي غفل عن التصريح في الحديث بذكر الدم حتى
تعلق بان السلا لا ينفك عن الدم غالبا ثم قال والجواب المرضي انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم
ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا للطهارة قلت ويرد بانه لو كان كذلك لكان
لاخبره جبريل فان الصلاة مع النجاسة لا يصح ولا بد من البيان في مثل ذلك فالجواب
الصواب ما في شرح السنة قيل كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم الاشياء من الذبح والدم
وذبيحة اهل الشرك فلم يكن يبطل الصلوة بها كالخمر كانت تصيب ثيابهم قبل تحريمها
قال الطيبي ولعل ثباته على ذلك كان مزيدا للشكوى واظهارا لما صنع اعداء الله
برسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذهم اخذا وبيلا ولذا كرر الدعاء ثلاثا اللهم عليك
بعمرو بن هشام اي خصوصا وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهلي الموصوف كان يكنى
ابا الحكم فكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا جهل فغلبت عليه هذه الكنية قتله
ابنا عفرا وقطع راسه ابن مسعود في بدر وعتبة بن ربيعة جاهلي قتله حمزة
ابن عبد المطلب يوم بدر مشركا وشيبة ابن ربيعة اي ابن عبد شمس
ابن عبد مناف جاهلي قتله علي بن ابي طالب يوم بدر مشركا والوليد بن عتبة
اي ابن ربيعة جاهلي قتل ببدر مشركا وامية بضم الهمزة وفتح ميم وتشديد
تحتية ابن خلف بفتحتين قتل يوم بدر مشركا واما اخوه ابي بن خلف فانه قتل يوم
احد مشركا قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده ذكره المولف في اسمائه وعقبة بضم
فسكون بن ابي معيط بالتصغير وعمارة بضم فتخفيف بن الوليد قال عبد الله فوالله
لقد رايتهم اي المذكورين صرعى اي هلكى وهو حال من المفعول اي مصروعين
مطروحين يوم بدر ثم سحبوا بصيغة المجهول اي جروا الى القليب وهو البير قبل ان

ووصـــــــــــــ مرحوجل

تطوي قليب بدر بالجر علي البدلية ويجوز رفعه ونصبه ثم بدل اسم موضع موقوف
وقيل هو اسم رجل كان صاحب ذلك الموضع قال العسقلاني فيه استشكال عد
عمارة في المذكورين فانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة
والجواب ان كلام ابن مسعود محمول علي الاكثر ويدل عليه ان عقبة بن ابي
معيط انما قتل صبرا بعد ان رجعوا عن بدر وامية بن خلف لم يطرح في القليب
كما هو بل مقطعا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع بصيغة المجهول
مخفف اصحاب القليب لعنة اي اتبع عذابهم في الدنيا بعذاب الاخرة مثل قوله
تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وفي نسخة بفتح الهمزة وكسر
الموحدة ونصب اصحاب علي الدعا عليهم بايصال اللعنة المتواصلة اليهم
قال العسقلاني في جملة واتبع الي يحتمل ان يكون من تمام الدعا والماضي فيكون فيه
علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد ان القوا
في القليب متفق عليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت
يا رسول الله هل اتى عليك يوم اي هل مر عليك وقت وزمان كان اي صعوبة اشد
من يوم احد فقال لقد لقيت من قومك اي ما هو اشد من يوم احد او لقيت من قومك
ما لقيت بحذف المفعول ابهاما ليذهب الوهم كل المذهب في الفهم وكان اشد ما لقيت
منهم بنصب اشد وفي نسخة رفعه واما قوله يوم العقبة فبالنصب لا غير والمراد
بها ما يضاف اليها جمرة العقبة قال شارح اشد بالنصب خبر كان وما لقيت منهم
في محل الرفع اسمه ويوم العقبة ظرف لقيت والتقدير وكان ما لقيته منهم يوم
العقبة اشد مما لقيت منهم في سائر الايام ويجوز ان يكون يوم العقبة اسم
كان وخبره اشد مضافا الي ما الموصولة او الموصوفة المعبر بها عن الايام
تقديره وكان يوم العقبة اشد الايام التي لقيت منهم او اشد ايام لقيت منهم ويجوز
ان يكون علي العكس وقيل ما لقيت منهم يوم القيامة اسم كان ويكون اشد
خبره بتقدير المضاف اليه او بتقدير من وقال الطيبي اشد ما لقيت خبر كان
واسمه عائد الي مقدر وهو مفعول قوله لقد لقيت ويوم العقبة ظرف فالمعني كان ما
لقيت من قومك يوم العقبة اشد ما لقيت منهم واراد بالعقبة التي بمنى
وكان رسول الله يقف عند العقبة في الموسم ويعرض نفسه علي قبائل العرب يدعوهم
الي الله تعالى والي الاسلام انتهى والمعنى انهم ما اجابوا كذلك فاشتد عليه
ح وهو معنى قوله اذ عرضت نفسي وفي نسخة اذ وهو الظاهر قال الطيبي وضع
اذا التي هي للاستقبال موضع اذ يعني الموضوعة للماضي احتقارا لتلك الحالة
الفظيعة والمعنى حين عرضت نفسي بالامان والاجارة علي التوض علي جري العادة
علي ابن عبد ياليل بكسر الدال واللام الاولى ابن كلال بضم الكاف قال العسقلاني
اسمه كنانة والذي في المغازي ان الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه وعند اهل
النسب ان كلال اخوه لا ابوه وانه عبد ياليل نفسه وعند اهل النسب ان كلال اخوه
لا ابوه وانه عبد ياليل بن عمرو بن ثقال اسم عبد ياليل مسعود وكان ابن عبد ياليل من اكابر اهل
الطائف من ثقيف وقيل انه قدم مع وفد طائف سنة عشر فاسلموا وذكره ابن عبد البر

في الصحابة

في الصحابة لكن ذكر الواقدي ما يدل علي انه لم يسلم والله اعلم فلم يجبني الي ما اردت اي ما قصدت
وطلبت منهم من العهد والامان فانطلقت وانا مهموم جملة حالية معترضة بين الفعل ومتعلقه
وهو قوله علي وجهي اي فذهبت مهموما علي جهتي قال الطيبي اي فانطلقت حيرانا
هائما لا ادري اين اتوجه من شدة ذلك الغم وصعوبة ذلك الهم فلم استفق الا بقرن الثعالب
يقال افاق واستفاق من مرضه وسكره بمعنى اي فلم افق مما كنت فيه من الغم وشدة
الهم حتى بلغت قرن الثعالب والقرن جبل وقرن الثعالب جبل بعينه بين مكة
والطائف فرفعت راسي اي الي السما لانها قبلة الدعا ومهبط الرحمة فاذا انا بسحابة
قد اظلتني اي بالزيادة علي العادة فنظرت فاذا فيها اي في السحابة جبريل فناداني فقال ان
الله قد سمع قول قومك اي قولهم اياك وما ردوا عليك اي من اباءهم ويحتمل ان يكون الثاني تاكيدا
للاول وبيانا علي ان الاضافة فيه من المصدر الي فاعله وقد بعث اي ارسل الله اليك ملك
الجبال لتامره بما شئت فيهم قال اي النبي عليه السلام فناداني ملك الجبال اي بنحو يا ايها
النبي او يا محمد فسلم علي اي تسليم تعظيم وتكريم ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك
وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك اي بشانك او بما تريده ان شئت
ان اطبق بضم الهمزة وكسر الموحدة المخففة من الطبق اذا جعل الشي فوق الشي محيطا
بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق علي موضعه من الارض والمعنى اذا اردت ان اقلب عليهم الاخشبين
وهما جبلان يضافان الي مكة مرة والي منى اخرى وهما واحد ذكره شارح وفي النهاية الاخشبان
الجبلان المطبقان بمكة وهو ابو قبيس والاحمر وهو جبل مشرف وجهه علي
قعيقعان والاخشب كل جبل غليظ وفي القاموس قعيقعان كزعيفران جبل بمكة وجهه
الي ابي قبيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لا اريد ذلك وان استحقوا الكفار
هم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم اي من انسابهم بعضهم من يعبد الله وحده
اي من يوحده منفردا او ليطيعه مخلصا لا يشرك به شيئا اي من شرك جلي او خفي
متفق عليه وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته
بفتح الراء وتخفيف التحتية علي وزن الثمانية السن الذي بين الثنية والناب
والمراد بكسر الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الايمن يوم احد وشج بضم شين
وتشديد جيم اي جرح راسه فقوله في راسه اما من باب التجريد او نوع من التاكيد
قال الطيبي وهو من قبيل قوله يخرج في عراقيبها نصلي بولج في الشج حيث اوقع الراس ظرفا
للشج يعني فكانه قال واوقع الشج في راسه تضمينا فجعل يسلت بضم اللام اي يزيل
الدم عنه ويقول اي استعظاما واستبعادا كيف يفلح قوم شجوا راس نبيهم
وكسروا رباعيته عن الزهري انه ضرب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها ذكره السيوطي في حاشية البخاري
ولعل وجه حصول المشاركة له مع السبعين من الشهدا الا ان الله عصمه لقوله
والله يعصمك من الناس وانما حصل له بعض الاثر من الشج والكسر لتحقق الثواب
والاجر ولاظهار مقتضى الاوصاف البشرية من العجز والضعف والتاثر
المناسبة للعبودية وموجب نعت الكبريا والعظمة والاستغنا والقوة والقدرة
الملائمة للربوبية رواه مسلم وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجة وعن

ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله
على قوم فعلوا بنبيه يشير الى رباعيته حال من رسول الله وعامله قال وقع
مفسرا للمفعول فعلوا هنا اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سبيل الله لعل حذف العاطف بين الفصلين للاشارة الى انهما
حديثان مستقلان جمع بينهما الراوي ويؤيده تكرار اشتد غضب الله اولا اشعار
بان كل واحد منهما يستحق ما ذكر دفعا لتوهم الاشتراك وعلم بان باو
كيلا ينقل الشك قال الطيبي يحتمل ان يراد به الجنس وان يراد به
نفسه صلى الله عليه وسلم هو موضع المضمر اشعارا بان من يقتله من هو رحمة للعالمين
لم يكن الا اشقي الناس والذي قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابي بن
خلف قال النووي وقوله في سبيل الله احتراز عمن يقتله في حد او قصاص
لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا له صلى الله عليه وسلم متفق عليه وهذا
الباب خال عن الفصل الثاني تقدم توجيهه مرارا الفصل الثالث عن
يحيى بن ابي كثير قال المؤلف يكنى ابا النصر اليماني مولى الطي اصله بصري صار
الى اليمامة رأى انس بن مالك وسمع عبد الله بن قتادة وغيره وروى عنه عكرمة
والاوزاعي وغيرهما قال سالت ابا سلمة عبد الرحمن قال المؤلف روى عن عمه عبد
الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي احد الفقها السبعة المشهورين
بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم ويقال ان اسمه
كنيته وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وابا هريرة وابن عمر وغيرهم وروى عنه
الزهري ويحيى بن كثير والشعبي وغيرهم عن اول ما انزل من القران قال يا ايها
المدثر فيه اشتباه الحال على الراوي فان نزول يا ايها المدثر كان بعد فترة الوحي
كما علم مفصلا في حديث عايشة فاوليته اضافية كما قدمناه او اوليته مخصوصة
بالانذار فيفيد انه اول الوحي بالرسالة وان ما قبله كان بنسبة النبوة والله اعلم
قلت يقولون اي الجمهور او بعض الملا اقرا باسم ربك اي هو اول ما نزل قال
ابو سلمة سالت جابرا عن ذلك اي مثل سوالك وقلت له مثل الذي قلت
لي اي في جوابه للسوال ما يرد فيه من الاشكال فقال لي جابر لا احدثك
الا بما اي بمثل ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي به من غير تغييره مما
يدل على انه اول ما نزل بتقديره قال جاورت بحرا شهرا اي اعتكفت شهرا دبان ايام الفترة
كانت شهرا فلما قضيت جواري بكسر الجيم اي مجاورتي واعتكافي في هبطت
اي نزلت وفيه ايما الى انه تاخر الحال لان نزوله كان في غار حرا لما سبق
من المقال فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت
عن خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا وقد سبق عن جابر ايضا انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا انا امشي سمعت صوتا من
السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا الحديث فهو صريح بان مراده الاول
الاضافي فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا لعل محل
الصب الوجه لدفع الغشيان فلا ينافي ما قبل ما يدل على البرودة الناشية من

وضعا صح

الخفقان فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر قال
الطيبي قوله لا احدثك الخ اخبار بما سمع دافعا مما اعتقد من ان اول ما نزل من القران
يا ايها المدثر لكن لا يدل على المطلوب لانه قال في اخره فقلت دثروني فنزلت يا ايها
المدثر وقد سبق في حديث عايشة ان اول ما نزل من القران اقرا باسم ربك انتهى فالجمع
بما قدمناه كما لا يخفى ولذا قال بعض المحققين قول من قال ان اول ما نزل
يا ايها المدثر ضعيف والصواب ان اول ما نزل على الاطلاق اقرا باسم ربك كما صرح
به في حديث عايشة واما يا ايها المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به
في رواية الزهري عن جابر ويدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان
قال فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقال النووي وقول من قال من المفسرين ان
اول ما نزل الفاتحة فباطل وفيه بحث لانه يمكن ان يقال مراده اول سورة نزلت
كلها او اول سورة بالمدينة على القول بانها مدنية او اول سورة بعد اقرا والمدثر
فتكون اوليتها ايضا اضافية ويؤيده قوله وذكره اي نزوله بمكة قبل ان تفرض
الصلوة اي مطلق الصلاة المتوقف صحتها وكمالها على قراءة الفاتحة والله اعلم
متفق عليه باب علامات النبوة الفصل الاول عن انس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان
بكسر الغين اي الصبيان فاخذه فصرعه اي فطرحه والقاه على قفاه فشق
عن قلبه اي عن جانب قلبه وشقه فاستخرج وفي جامع الاصول واستخرج
فاستخرج منه علقة بفتحتين اي دما غليظا وهو ام المفاسد والمعاصي
في القلب فقال هذا حظ الشيطان منك اي نصيبه لو دام معك ثم غسله
اي قلبه او جوفه او محل شقه في طست بفتح الطا وكسر وسين مهملة
وتاو بدل من السين الاخيرة قال ابن الملك في شرح المشارق الطست بفتح
الطا وفيها لغات طس وطس وطست وطست وطستة وطستد بالفتح والكسر
في جميعها وقوله من ذهب لعله اختير لما فيه من معنى الذهاب ولا ينافيه حرمة
استعماله في الشريعة المطهرة اما لكون الملائكة غير مكلفين بافعالنا او
لوقوعه قبل تقرير الاحكام بما زمزم استدل به على انه افضل مياه العالم حتى
ما الكوثر لكن الما الذي نبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فلا شك انه افضل
المياه على الاطلاق لكونه من اثر يده الشريفة وماء زمزم منه اثر قدم اسماعيل
المنيفة وبون بين بينهما ولان الاعجاز الكائن في يده صلى الله عليه وسلم ابلغ نعم
قد يقال ما فيه المبارك المكمل من الكمل ولو مزج بما غيره ولعل العارف بن الفارض
اشار اليه بقوله عليك بها صرفا وان شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
ثم لامه بلام فهمزة اي اصلح موضع شقه واعاده اي القلب المخرج على ما يدل عليه
رواية الجامع السابقة في مكانه والواو لمطلق الجمع فلا ينافيه ان الالتيام بعد الاعادة
قال التوربشتي يقول لامت الجرح والصدع اذا شددته فالتام يريد انه سواه
واصلحه وجا الغلمان اي الذين كانوا يلعبون معه في الصحرا يسعون اي يسرعون الى
امه اي الرضاعة يعني اي يريد انس بامه ظئره اي مرضعته حليمة فقالوا ان محمدا قد قتل

لان تصور حياته بعد شق البطن ومعالجته من خوارق العادة وعلامة النبوة ح
فاستقبلوه اي توجه جمع من قومها اليه فرأوه وهو منتقع اللون بفتح القاف اي
متغيره ففي القاموس انتقع لونه مجهولا اذا تغير وقال التوربشتي يقال انتقع لونه
اذا تغير من حزن او فزع وكذلك امتقع بالميم وهذا الحديث وامثاله مما يجب فيه
التسليم ولا يتعرض له بتاويل من طريق المجاز اولا من وتحديد لك اذ هو خبر صادق
مصدوق عن قدرة القادر التي ور تبدة ما قيل فيه انه صار بهذا مقدس القلب
منوره ليستعد لقبول الوحي ولا يتطرق اليه هواجس النفس ويقطع طمع
الشيطان عن اغفاله لما يشير اليه قوله هذا حظ الشيطان منك قال انس فلقد كنت
ارى اثر المخيط بكسر الميم اي الابرة في صدره ولعل مراده بهذا ان امر الشق كان
حسيا لا معنويا واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصا به او وقع لغيره
من الانبيا ايضا وقد وقع شق له صلى الله عليه وسلم عند حليمة وهو ابن عشر ثم عند
مجيء جبريل عليه السلام بالرسالة ثم في المعراج ليلة الاسرا رواه مسلم وكذا النسائي
وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي اي ويقول السلام عليك يا نبي الله كما ورد في رواية قبل ان ابعث
قيل انه الحجر الاسود كذا في بعض حواشي الشفا ويمكن ان يكون الحجر المتكلم المعروف بزقاق الحجر
بين المسجد وبين بيت خديجة رضي الله عنها اني لاعرفه الان تقرير لقوله اني لاعرف واستحضار له كانه
يسمع كلامه الان هذا خلاصة كلام الطيبي ويمكن ان يكون التقدير اني لاعرفه الان بالوصف المذكور
فان ينبغي وجوده بالاولى من الحالة الاولى فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وفيه ايماء الى انه مبعوث الى كافة الخلق كما بينته في شرح كلام شيخنا
جلال الدين محمد البكري عند قوله خليفتك على كافة خليقتك رواه مسلم وكذا الامام احمد
في مسنده والترمذي في جامعه وعن انس رضي الله عنه قال ان اهل مكة اي كفارهم سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اي يظهر لهم اية اي علامة دالة على نبوته ورسالته فاراهم
القمر شقتين بكسر فتشديد اي قطعتين منفصلتين فراوا حرا بينهما بان كانت شقة
فوق الجبل وشقة دونه كما سياتي وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
اي في زمانه صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل اي جبل حرا وفرقة دونه والمراد
انهما تباينتا فاحدهما الى جهة العلو والاخرى الى السفل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا اي على نبوتي او معجزتي من الشهادة وقيل معناه احضروا وانظروا من الشهود متفق
عليه قال الزجاج زعم قوم عدلوا عن القصد وما عليه اهل العلم ان تاويله ان القمر ينشق يوم
القيامة والامر بين في اللفظ بقوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فكيف يكون
هذا يوم القيامة ومعجزات وقوله سحر مستمر اي مطرد يدل على انهم راوا قبله ايات اخر مترادفة
ومعجزات سابقة وقال الامام فخر الدين الرازي انما ذهب المنكر الى ما ذهب لان الانشقاق امر هائل
ولو وقع لعم وجه الارض وبلغ مبلغ التواتر والجواب ان المنافق قد نقله وبلغ مبلغ التواتر
واما المخالف فربما ذهل او حسب نحو الخسوف والقران اولى دليل واقوى شاهد وامكانه
لا شك فيه اي عقلا وقد اخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه واما امتناع الخرق والالتيام

محدث بين اللئام وفي شرح مسلم للنووي قالوا ان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس
نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم وقل من يتفكر في السما وينظر اليها وفي شرح
السنة هذا شيء طلبه قوم خاص على ما حكاه انس فاراهم ذلك ليلا واكثر الناس نيام ومستكنون
بالابنية والايقاظ في البراري والصحاري قد يتفق ان يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت وقد يكسف
القمر فلا يشعر به كثير من الناس اي مع انه قد يستند وان كان ذلك قدر اللحظة التي هي مدرك
البصر ولو دامت هذه الاية حتى يشترك فيها العامة والخاصة ثم لم يومنوا لاستوجبوا الهلاك
فان من سنة الله تعالى في الامم قبلنا ان نبيهم كان اذا اتى باية عامة يدركها الحس فلم يومنوا
اهلكوا كما قال تعالى في المائدة اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين فلم يظهر الله هذه الاية للعامة لهذه الحكمة والله اعلم قلت وفي نفس
القضية اشارة الى ذلك حيث شقة منه فوق الجبل واخرى دونه ولا شك انه يحجب عن بعض
الناس ممن يسكن من ورا الجبل فكيف بسائر اهل الحجاز وبقيته مع اختلاف المطالع على ان ارادة المعجزة
لقوم على ما اقترحوا كناقة صالح لا يستلزم ظهورها لغيرهم وعن ابي هريرة قال قال ابو جهل
هل يعفر محمد وجهه بتشديد الفا المكسورة من التعفير وهو التمريغ في التراب اي هل يصلي
ويسجد على التراب بين اظهركم فيما بينكم على ان الاظهر مقحمة للاشارة الى وقوعه على وجه
الظهور او الاستناد الى ظهر احد وحمايته ورعايته قال الطيبي يريد به سجوده على
التراب وانما اوثر التعفير على السجود تعنتا وعنادا واذلالا وتحقيرا فقيل نعم واللات
والعزى لئن رايته يفعل ذلك اي لادوسن على رقبته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي فجاه ابو جهل وهو يصلي حال من المفعول والحال من الفاعل قوله زعم بفتح العين اي
قصد ابو جهل ليطا ليضع رجله على رقبته قال ابن الملك وفي نسخة بفتح اللام على انه لام
تاكيد قلت فالفعل مرفوع ح وفي نسخة زعم بكسر العين ففي القاموس زعم كفرح طمع
قال الطيبي زعم وقع حالا من الفاعل بعد الحال من المفعول وزعم بمعنى طمع واراد قال في
اساس البلاغة ومن المجاز زعم فلان في غير مزعم طمع في غير مطمع لان الطامع زاعم ما ليس
يستيقن فما فجيهم بكسر الجيم وبفتح ففي القاموس فجئه كسمع ومنعه هجم عليه واتاه
بغتة اي فما اتى قومه فجاة منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم او من اتيانه اليه الا وهو اي والحال
انه وهو اي ابو جهل ينكص بكسر الكاف ويضم اي يرجع على عقبيه اي قهقري ويتقي بيديه اي يحذر
بهما ويدفع شيئا بسببهما قال الطيبي المستثنى فاعل فجي اي فما فجي اصحاب ابي جهل من امر
ابي جهل الا نكوص عقبيه وقد سد الحال هنا مسد الفاعل وفيه ارخاء عنان الكلام الى اللفظ
قيل كما سدت مسد الخبر في ضربي زيدا قايما ففي الكلام ميل الى المعنى دون اللفظ ويجوز ان
يكون الضمير في فجي راجعا الى ابي جهل وفي منه الى الامر اي فما فجي ابو جهل اصحابه كائنا من الامر
على حال من الاحوال الا على هذه الحال هذا وفي القاموس نكص على عقبيه نكوصا رجع عما كان عليه
من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه او في الشر نادر قلت الحديث يدل
على استعماله في الشر وكذا اية فلما ترات الفئتان نكص على عقبيه ثم صنيع القاموس يشعر
انه بضم الكاف في المضارع لكن اتفق القرا على كسره حتى لم يوجد في الشواذ ايضا نعم قال
الزجاج يجوز ضم الكاف ذكره الكرماني في قوله تعالى على اعقابكم تنكصون فقيل له اي لابي جهل
ما لك اي ما حصل لك من المنع وما وقع لك من الدفع فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا

بفتح فسكون اي خوفا وامر شديدا واجنحة جمع جناح الطاير وهولا الملايكة الذين يحفظونه
ويوبدوه ماذكره الراوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا مني اي قرب عندي لاختطفته
الملايكة اي استلبته بسرعة عضوا عضوا والمعني لاخذ كل ملك عضوا من اعضايه رواه
مسلم وعن عدي ابن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اي حاضرا وقاعدا
اذ اتاه رجل فشكا بالالف وفي نسخة بالياء على انه لغة في الواو وكما في القاموس اليه الفاقة
اي الفقر وشدة الحاجة ثم اتاه الاخر وفي نسخة اخر وهو الاظهر فشكا اليه قطع السبيل اي
بسبب قطاع الطريق ولقلة الزاد وعدم علف الدواب وطمع اهل البادية وتعرضهم للقافلة
فقال يا عدي هل رايت الحيرة بكسر الحا وهو البلد القديم بظهر الكوفة ومحلة معروفة
بنيسابور على ما في النهاية والظاهر ان المراد به الاول لانه المعروف عند العرب ولذا اقتصر
عليه شارح وان كان الثاني اغرب واعزب قيل واجاب عدي ما رايتها لكن انبيت عنها اقول
ويمكن ان يكون رايت بمعني علمت وان لا يتوقف الكلام على جوابه حيث قال فان طالت بك
حيوة فلترين بفتحات متواليات اي فلتبصرن الظعينة اي المراة المسافرة وقيل لها ذلك
لانها تظعن مع الزوج حيث ما ظعن اولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المراة
في الهودج ثم قيل للهودج بلا امراة وللمراة بلا هودج كذا في النهاية وقال شارح الظعينة
المراة ما دامت في الهودج فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة والمراد هنا المراة سواكانت
في الهودج اولا اقول كونها في الهودج ابلغ في المعني المراد على ما يدل عليه قوله ترتحل
من الحيرة اي وحدها حتي تطوف بالكعبة لاتخاف احدا الا الله روي انه قال عدي قلت
في نفسي فاين دعاة طي ولين طالت بكم حيوة لتفتحن بصيغة المجهول من الفتح وفي
نسخة من باب الافتعال يقال افتتحت واستفتحت طلبت الفتح والمعني لتوخذن
كنوز كسري اي على وجه الغنيمة قال عدي كسري بن هرمز قال صلى الله عليه وسلم
كسري بن هرمز وفي القاموس كسري بالفتح ويفتح ملك الفرس معرب خسرو اي واسع الملك
ولين طالت بكم حيوة لترين الرجل يخرج ملا كفه اي مثلا من ذهب او فضة اي من نوعي النقدين
يعني تارة من هذا ومرة من هذا ويحتمل ان يكون او بمعني الواو او للشك يطلب من يقبله
اي واحدا منهما وماذكره فلا يجد احدا يقبله منه اي لعدم الفقرا في ذلك الزمان او لاستغنا
قلوبهم والاكتفا بما عندهم والقناعة بما في ايديهم فقيل انما يكون ذلك بعد نزول عيسي عليه
السلام ويحتمل ان يكون اشارة الي ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز مما يصدق الحديث
وبذلك جزم البيهقي قيل ولا شك في رجحان هذا الاحتمال لقوله في الحديث ولكن طالت
بك حيوة قلت ولا شك في رجحان الاول لقول عدي الاتي ولين طالت بكم حيوة لترون
والحاصل ان قضية الشرطية لاتستلزم الوقوع ولينفي عطف على صدر الحديث وقول الله مفعول
مقدم قدم للاهتمام وتعظيم المقام وفاعله احدكم وظرفه قوله يوم يلقاه وهو يحتمل لعايبي كما
لايخفي في الضميرين وكذا الحال في قوله وليس بينه وبينه ترجمان بفتح اوله وضم الجيم ويضمان
ويفتحان كما في نسختين اي مترجم يترجم له يعني بل يكون الملقي والكلام بلا واسطة قال صاحب
المشارق هو بفتح التا وضم الجيم وضبطه الاصيلي بضمهما انتهي وفي النهاية الترجمان بالضم والفتح
الذي يترجم الكلام اي ينقله من لغة الي اخري والتا والنون زايدتان وفي القاموس الترجمان
كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان وقد ترجمه وعنه والفعل يدل على اصالة التا

وفي

وفي المفاتيح هو على وزن زعفران وبجوز بفتح التا وضم الجيم وبضمهما والله اعلم فليقولن اي
الله سبحانه الم ابعث اليك رسولا فيبلغك بالنصب مشددا ومخففا فيقول بلي فيقول الم اعطك
مالا وافضل بالجزم من الافضال اي الم احسن اليك ولم انعم عليك والاستفهام للتقرير يعني اعطيتك
المال وانعمت عليك بالكمال ومكنتك من الفاقة والاستمتاع منه والصرف على اهل استحقاقه فيقول
بلي فينظر عن يمينه فلا يري الا جهنم لتركه الطاعات وينظر عن يساره فلا يري الا جهنم لارتكابه
السيآت والظاهر انهما كنايتان عن الاحاطة وان الخلاص منها ليس الا بالمرور عليها كما قال تعالي وان
منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا بالاحسان والايمان ولذا قال اتقوا
النار ولو بشق تمرة اي بنصفها او ببعضها فمن لم يجد فبكلمة طيبة اي من الباقيات الصالحات
وهي انواع الاذكار والدعوات او بكلمة طيبة للسايل بقرينة ما قبله وهو الوعد على
قصد الوفا او الدعا مع حسن الرجا وهذا الذي سماه الله تعالي قولا معروفا وقوله ميسورا
قال الطيبي فان قلت ما وجه نظم هذا الحديث قلت لما اشتكي الرجل الفاقة والخوف وهو العسر
المعني في قوله تعالي ان مع العسر يسرا وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد اجاب عن السايل
في ضمن بشارة لعدي وغيره من الصحابة باليسر والامن ثم بين ان هذا اليسر والغني الدنيوي
عسر في الاخرة وندامة الا من وفقه الله تعالي بان سلطه على انفاقه فيصرفه في مصارف الخير ونظيره
حديث علي رضي الله عنه كيف بكم اذا غدا احدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة
الي قوله لانتم اليوم خير منكم يومئذ وقد سبق في باب تغير الناس قال عدي فرايت الظعينة
ترتحل من الحيرة حتي تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله اي كما اخبر به رسول الله وكنت فيمن افتتح
كنوز كسري بن هرمز بضم الها والميم زاد في المصابيح الذي في الابيض قال شارح له اراد القصر
الابيض الذي كان بالمداين يقال له بالفارسية يغدو الكوشك ولين طالت بكم حيوة لترون ما قال
اي موديه ما قال النبي وهو الرجل يخرج ملا كفه الي اخره فقوله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
بدل او عطف بيان للنبي يخرج ملا كفه بدل او بيان لقوله ما قال والمعني يخرج الرجل كما في نسخة
فهو نقل بالمعني مختصرا والرجل يخرج على ما سبق في الاصل فهو نقل باللفظ مقتصرا
رواه البخاري وعن خباب بفتح الخا المعجمة وتشديد الموحدة الاولي بن
الارت بفتح الهمزة والرا وتشديد الفوقية قال المولف يكني ابا عبد الله التميمي
والما لحقه سبا في الجاهلية فاشترته امراة من خزاعة واعتقته اسلم قبل
دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على اسلامه
فصبر نزل الكوفة ومات بها روي عنه جماعة قال شكونا اي الكفار الي النبي
صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة اي كسا مخططا والمعني جاعل البردة
وسادة له من توسد الشي جعله تحت راسه وقد وفي نسخة ولقد لقينا
اي راينا وحصل لنا من المشركين اي من كفار مكة شدة فقلنا الا تدعو
الله اي لنا على المشركين فانهم بودوننا فقعد وهو محمر وجهه من احمر
بتشديد الرا اذا اشتد حرارته وقال كان الرجل اللام للعهد الذهني الذي
هو في المعني نكرة فيمن قبلكم يحفر له بصيغة المجهول اي يجعل له حفرة في الارض
فيه واقعي اتعافا فيجعل فيه فيجا بمنشار بالنون وروي بالهمزة
وابدالها يا وهو الة يشق بها الخشبة فيوضع فوق راسه فيشق باثنين

اي فيتقطع نصفين فما يصده ذلك اي فلا يمنعه ذلك العذاب الشديد عن دينه ويمشط
بصيغة المجهول مخففا والمعني يشوك بامشاط الحديد بفتح الهمزة جمع المشط وهو ما
يمشط به الشعر ما دون لحمه اي ما تحت لحمه ذكره الرجل او غيره وهو الظاهر من عظم وعصب
فيتحتني قال الطيبي من بيان لما وفيه مبالغة بان الامشاط لحدتها وقوتها كانت
تنفذ من اللحم الى العظم وما يلتصق به من العصب وما يصده ذلك عن دينه جملة
حالية والله ليتمن بفتح اليا وكسر التا وتشديد الميم اي ليكملن هذا الامر اي امر
الدين وفي نسخة بصيغة المجهول وفي اخرى بضم حرف المضارعة وكسر التا على ان
الفاعل هو الله وقوله هذا الامر منصوب على المفعولية وفيه ايما الى قوله تعالى
ليظهره على الدين كله ويأبى الله الا ان يتم نوره حتى يسير الراكب اي رجل او امراة
وحده من صنعا بلد باليمن الى حضرموت موضع باقصى اليمن وهو بفتح الميم
غير منصرف للتركيب والعلمية وقيل اسم قبيلة وقيل موضع حضر فيه صالح عليه
السلام فان فيه جرجيس ثمان فيه ذكره شارح وتبعه ابن الملك وفي القاموس
حضرموت وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت ويضاف فيقال حضرموت
بضم الراو ان شئت لا تنون الثاني لا يخاف الا الله والذيب على غنمه وفي نسخة بالواو
وهو يحتمل ان يكون بمعنى او او تكون او بمعنى الواو للجمع او للشك وعلى كل تقدير
فلا يخفي ما فيه من المبالغة في حصول الامن وزوال الخوف فاندفع ما قيل من ان
سياق الحديث انما هو للامن من عدوان بعض الناس على بعض كما هو في الجاهلية
لا الامن من عدوان الذيب فان ذلك انما يكون في اخر الزمان عند نزول عيسى
عليه السلام ولكنكم تستعجلون اي تسرعون في عذاب المشركين فاصبروا على امر
الدين كما صبر من سبقكم من المومنين على اشد من عذابكم لقوة اليقين رواه البخاري
وكذا ابو داود والنسائي وعن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان بكسر الميم وهو ابن خالد وهي خالة
انس نسبا وهي وامه ام سليم من خالات النبي صلى الله عليه وسلم رضاعا او نسبا
قال النووي اتفق العلماء على انها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم واختلفوا في
كيفية ذلك فقال ابن عبد البر وغيره كانت احدى خالاته من الرضاعة وقال
اخرون بل كانت خالة ابيه او لجده عبد المطلب وكانت امه من بني عبد النجار
وقد سبق ذكر وجه الدخول عليها في حديث اختها ام سليم مع زيادة كشف
فتذكر وكانت تحت عبادة بن الصامت اي زوجته قال المولف اسلمت وبايعت
وماتت غازية مع زوجها بارض الروم وقبرها بقبرص روى عنها ابن اختها انس
ابن مالك وزوجها عبادة قال ابن عبد البر لا اقف لها على اسم صحيح غير كنيتها
وكان موتها في خلافة عثمان فدخل اي النبي صلى الله عليه وسلم عليها يوما فاطعمته
ثم جلست تفلي بكسر اللام مخففة اي تفتش راسه اي شعر راسه فنام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ اي انتبه من نومه وهو يضحك قالت فقلت
ما يضحكك بضم اليا وكسر الحا اي اي شي صيرك على الضحك يا رسول الله
قال مثلك لا يضحك بلا سبب من امر عجب قال ناس اي جمع من امتي عرضوا علي

غزاة اي حال كونهم مجاهدين في سبيل الله اي مع الكفار يركبون ثبج هذا البحر
بفتح مثلثة وموحدة فجيم اي وسطه ومعظمه ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على
الاسرة الظاهر انه شك من الراوي وهو اما حال او صفة مصدر محذوف
اي يركبون ملوكا على الاسرة او ركوبا مثل ركوب الملوك على الاسرة قال
الطيبي شبه ثبج البحر بظهر الارض والسفينة بالسرير وجعل الجلوس عليها
مشابها لجلوس الملك على اسرتهم ايذانا بانهم يبذلون انفسهم ويتركبون
هذا الامر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم من مناهم كالملوك على اسرتهم
وفي شرح مسلم قيل هو صفة لهم في الاخرة اذا دخلوا الجنة والاصح انه
صفة لهم في الدنيا اي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة امرهم
وكثرة عددهم انتهى وفيه اشعار بان الحال مقدرة على المعنيين بخلاف ما وزه
الطيبي فانه اخ مخففة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها فيه
التفات او تجريد او نقل بالمعنى او من كلام انس ثم وضع راسه فنام
ثم استيقظ وهو يضحك فقلت يا رسول الله ما يضحكك اي الان قال
ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
في الاولى اي في المقالة الاولى وهو من كلام الراوي اختصارا فقلت اي ثانيا
يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاولين فيه ايماء الى ان مرتبة
الاولين فوق مرتبة الاخرين فركبت ام حرام البحر في زمن معاوية اي في ايام ولاية
معاوية فلا ينافي ما تقدم من ان موتها في خلافة عثمان فصرعت عن دابتها بصيغة
المجهول اي فسقطت عن ظهر مركوبها حين خرجت من البحر فهلكت اي ماتت
ونظيره قوله تعالى حتى اذا هلك اي مات يوسف متفق عليه ورواه ابو داود
والترمذي والنسائي وعن ابن عباس ان ضمادا بكسر الضاد وضم وتخفيف
الميم وبدال في اخره ويروى ضمام بميم في اخره قدم مكة بكسر الدال اي نزل بها
من سفر وكان من ازد شنوءة بفتح اوله وضم نون بعدها واو ساكنة فهمزة فها
قبيلة كبيرة من اليمن والازد قبيلة منها قال ابن الملك وهو بضم الدال المعجمة
وكسر القاف اسم رجل كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقال
المولف هو ضماد بن ثعلبة الازدي كان يتطبب ويطلب العلم اسلم في اول الاسلام وكان
يرقي بكسر القاف اي يعالج الداء بشي يقرأ ثم ينفث من هذا الريح قال الطيبي الاشارة
بهذا الى جنس العلة له وذكره باعتبار الجنون قال التوربشتي الاشارة بهذا الى
جنس العلة التي كانوا يرونها الريح وكانهم كانوا يرون الخبل الذي يصيب الانسان
والادواء التي كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفحات الجن فيسمونها الريح انتهى
وقال ابو موسى الريح هنا بمعنى الجن سموا بها لانهم يرون كالجن فسمع اي ضماد
سفهاء مكة اي جهالهم من الكفار يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رأيت اي ابصرت
هذا الرجل اي بالوصف المذكور لداويته فجواب لو مقدر والاظهر ان لو هذه
للتمني كما يشير اليه قوله لعل الله يشفيه على يدي اي بسببي قال اي ابن عباس
فلقيه اي محمدا فقال يا محمد اني ارقي من هذا الريح فهل لك اي رغبة في ان افيك واخلصك

من الجنون فقال صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله اي ثابت له مختص به سواء حمدوا ام لم يحمد
نحمده اي لوجوبه علينا وبعود نفعه الينا ونستعينه اي في جميع امورنا من يهده
الله اي الي طريق توحيده وشهود تفريده بمقتضى فضله فلا مضل له ومن يضلل
اي ومن يضلله عن سواء السبيل بموجب عدله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله
وحده اي منفردا وهو تاكيد لما قبله كقوله لا شريك له او المراد بالاول توحيد الذات
وبالثاني تفريد الصفات واشهد ان محمدا عبده اي المختص المكرم ورسوله المخصوص
المعظم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اما بعد اي واراد ان يخطب له خطبة عظيمة
وموعظة جسيمة تعجز عنه البلغا ويتحير فيه الفصحا ليعلم العقلا انه مجنبه من
المجانين واسفهها فقال اعد علي كلماتك هولاء اي المقدمة الدالة على جزالة الخاتمة فاعادهن
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات يحتمل ان يكون التثليث بالاولى
مما كان للعادة او بغيرها مما يفيد حقيقة الاعادة مع زيادة المبالغة في مقام
الافادة وتمام الاستفادة فقال اي ضماد لقد سمعت قول الكهنة بفتحتين جمع
كاهن وهو المخبر عن الغيب بعبارات مسجعة واشارات مبدعة وقول السحرة
جمع ساحر وهو المخيل في العين والدين من جهة قوله او من اجل فعله وقول الشعرا
جمع شاعر وهو المحلي باللسان في كل شان حتى شان ما زان وزان ما شان يريد انهم
ينسبونك تارة الي الكهانة ومرة الي السحر واخرى الي الشعر وقد سمعت مقالة
اصحابها فما سمعت اي منهم مثل كلماتك هولا يعني فلو كنت منهم لاشبه كلامك كلامهم
فاذا كان كلامه ابلغ من كلام هولا فلا يعده مجنونا الا السفها ثم انهم كانوا يرون الكهانة
والسحر والشعر اهل البلاغة والمتصرفين في القول على اي اسلوب شاوا فاشار بقوله
هذا الي الاعي زاي جاوز كلامك حد البلاغة وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قابل
كلام ضماد بما تقدم ليظهر له كان عقله ويتبين له جهل اعدايه وقال الطيبي طابق
هذا القول منه صلى الله عليه وسلم قول ضماد من انه لما سمع من سفها اهل مكة ان
محمدا مجنون اعتقد انه كذلك فقال هل لك رغبة في الخلاص كانه صلى الله عليه وسلم قال
اي قولك ذلك واشدد الي الحق البحت والصدق المحض اي اني لست بمجنون انظر كلام
المجانين بل كلامي نحو هذا وامثاله فتفكر فيه هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات
ونحوه وقوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين اي انهم جننوه
لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين وكيف يجنن من جاء بمثله قالت بل
المجنون من غفل عن ذكر الحق واشتغل بكلام الخلق ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذكروا
الله حتى يقولوا مجنون ثم قال الطيبي والعرب ربما استعملوا هولا في غير العقلا وقد
شهد به التنزيل قال تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسبولا
وقال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوى ◦ والعيش بعد اولئك الايام
ولقد بلغن اي هولا الكلمات الجامعات المحيطات بحروفها للالي المنظومات التي تعجز
الغواص عن اخراجها وابرازها لما فيها من الدلالات البينة على اعجازها من كمال ايجازها
قاموس البحر الكلام ووسطه لجته المرام والمعنى بلغت غاية الفصاحة ونهاية البلاغة
قال صاحب القاموس القمس الغوص والقمس والقوموس معظم ما البحر كالقاموس والقاموس

البحر

بحرا وابعد موضع فيه غورا هات بكسر التاء اي اعط يدك ابايعك بالجزم جواب الامر على
الاسلام قال ابن عباس فبايعه اي النبي عليه السلام رواه مسلم وفي بعض نسخ
المصابيح بلغنا اي بصيغة المتكلم مع الغير ناعوس البحر بالنون والعين وهو تصحيف
وتحريف حيث لم يذكر الناعوس في القاموس قال التوربشتي وفي كتاب المصابيح
بلغنا وهو خطا لا سبيل الي تقويمه من طريق المعنى والرواية فلم نزد به وناعوس البحر
ايضا خطا وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من اهل الحديث وقد وهموا فيه والظاهر
انه سمع بعض الرواة اخطا فيه فرواه ملحونا وهذا من الالفاظ التي لم يسمع
في كلام العرب ولغتهم والصواب فيه قاموس البحر وهو وسطه ومعظمه من القمس وهو
الغوص والقاس الغواص وقال الطيبي قوله بلغنا خطا ان اراد به من حيث الرواية فلا
ننكره لانا ما وجدناها في الاصول وان اراد بحسب المعنى فمعناها صحيحة اي قد وصلنا
الي لجة البحر ومحل اللالي والدرر فيجب ان نقف عليه ونغوص فيه استخراجا للفوايد والتقاط
لفرايده قلت الشيخ نفى المعنى اللغوي الحقيقي اذ لبس الكلام في المعنى المجازي الذي هو
باشارات الصوفية اشبه فتدبر وتنبه قال واما قوله ناعوس البحر ايضا خطا فليس
بصواب اما رواية فقد قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم ناعوس البحر ضبطناه
بوجهين اشهرهما بالنون والعين مهملة وهذا هو الموجود في اكثر نسخ بلادنا والثاني
قاموس البحر بالقاف والميم وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح
مسلم قلت هذا ما ينافي قول الشيخ فانه لم ينكر وجود النقل والرواية بل يطعن فيه من
حيث اللغة والدراية قال وقال القاضي عياض رواه بعضهم ناعوس بالنون
والعين وقال شيخنا ابو الحسين ناعوس البحر بمعنى قاموسه قلت وهذا يفيد
ان القاموس هو الاشهر والاكثر واما الناعوس في رواية وهو لكونه لا يستقيم في
المعنى حمل على انه بمعنى القاموس وان لم يسمع في كلام العرب قال وفي النهاية قال
ابو موسى ناعوس البحر كذا وقع في صحيح مسلم وفي ساير الروايات قاموس البحر
وهو وسطه ولجته لم تجود كتبته فصحفه بعضهم وليست هذه اللفظة اصلا في مسند
اسحاق بن راهويه الذي روى عنه مسلم هذا الحديث غير انه قرنه بابي موسى
وروايته فلعلها فيها قال وانما اورد نحو هذه الالفاظ لان الانسان اذا طلبه ولم يجده
في شي من الكتب فيتحير فاذا نظر في كتابنا عرف اصله ومعناه قلت وهذا كله يويد
الشيخ فيما قرره ويوكد ما حرره من جهة عدم صحة ما يتعلق به من الرواية قال
الطيبي واما دراية فقال القاضي ناصر الدين ناعوس البحر معظمه ولجته الذي
يناص فيها لاخراج اللالي من نعس اذا نام لان الما من كثرته لا يظهر حركته فكانه
نايم قلت تثبت العرش ثم انقش الفرش فان تحقيق الرواية مقدم على توقيف الدراية
مع ان هذا ليس معناه اللغوي بل تكلف وتعسف في تصحيحه بالمعنى المجازي
فاني يقاوم قول الشيخ وهذا من الالفاظ التي لم يسمع في لغة العرب واغرب الطيبي
حيث قال ومن الجايز ان يكون الناموس حقيقة في القاموس وكانت لغة غريبة
خفي مكانها فلم تنقل نقلا فاشيا انتهى ولا يخفى انه ان فتح باب الامكان انسد طريق
التحقيق في كل مكان والله المستعان وذكر حديثا ابي هريرة وجابر بن سمرة باعاقة

وقف سبعون جل

الحديثين اي الروايتين لها ونشر امرتبا والتقدير احدهما يهلك كسري اي الي اخره والاخر لتفتحن
عصابة اي الحديث في باب الملاحم متعلق بذكره وجهه مرارا اقرار وكذا احرز توجيه قوله
وهذا الباب خال عن الفصل الثاني **الفصل الثالث** عن ابن عباس قال
حدثني ابو سفيان بن حرب بضم السين وجوز تثليثه واسمه صخر بمهملة فمعجمة ولد قبل
الفيل بعشر سنين واسلم ليلة الفتح وشهد الطايف وحنينا وفقيت عينه في الاولي
والاخري يوم اليرموك توفي بالمدينة وصلي عليه عثمان رضي الله عنهما من فيه الي في من الانتدا
اي الحديث الذي ارويه انتقل من فمه الي في ولم يكن بيننا واسطة كذا ذكره الطيبي والاظهر
ان معناه لم يكن احد حاضرا غيري معه كما يدل عليه حديثي وكذا قوله في فانه لو كان غيري لجاز
ان يرويه فلا يكون التحديث منحصرا في فمه الي فمي فقط قال اي ابو سفيان انطلقت اي سافرت
في المدة اي في مدة الصلح التي كانت بيني وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم يعني صلح الحديبية
ذكره النووي وكانه سنة ست ومدتها عشر سنين لكنهم نقضوا العهد بقتل بعض خزاعة
من حلفائه صلي الله عليه وسلم فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة قال اي ابو سفيان فبينا انا
بالشام اي من اهل المقام اذ جي بكتاب من النبي صلي الله عليه وسلم الي هرقل بفتح الها
الراو وكسر الها وسكون القاف وهذا هو المشهور علي ما في شرح مسلم وفي نسخة بكسر الها والقاف
وسكون الراو وهو غير منصرف للعجمة والعلمية وهو ملك الروم ولقبه قيصر وهو اول من ضرب
الدنانير واول من احدث البيعة علي ما في القاموس قال اي ابو سفيان وكان دحية الكلبي
بكسر الدال وبفتح جاء به اي بالكتاب فدفعه الي عظيم بصري اي اميرها وهي بضم الموحدة
مقصورة قرية بين المدينة ودمشق الشام فدفعه عظيم بصري الي هرقل فقال هرقل
هل هنا اي في ارض الشام احد من قوم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يعني لكي نسال عن
وصفه ليبين لنا صدقه من كذبه قالوا اي بعض خدمه وحشمه نعم فدعيت في نفر اي مع
نفر من قريش وكانوا ثلاثين رجلا وقيل المغيرة بن شعبة منهم وفيه انه سبق اسلامه
لانه اسلم عام الخندق فيبعد ان يكون حاضرا وسكت مع كونه مسلما قلت وقد يقال
انه لم يذكر فيه ما ينافي سكوته فدخلنا علي هرقل فاجلسنا بصيغة المجهول وفي نسخة
علي بنا الفاعل اي امر هرقل بجلوسنا بين يديه اي قدامه ليسمع كلامنا ونسمع كلامه فقال
ايكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال العلما وانما سال قرب النسب لانه اعلم
بحاله وابعد من ان يكذب في حقه قال ابو سفيان فقلت انا اي اقرب نسبا منه فاجلسوني
بين يديه اي وحدي واجلسوا اصحابي خلفي وانما اجلسهم خلفه ليكونوا عونا لهم في
تكذيبه ان كذب ولا يستحيوا منه او ليمكنهم ان يشيروا اليه ويدلوا عليه بما هنالك اما
بايما يد او بتحريك راس ونحو ذلك ولا يبعد انه قصد في تقريبه تعظيمه لكونه اقرب
في النسب علي ما يقتضيه الادب ثم دعا بترجمانه بفتح التا وضم الجيم وبضمهما والفتح
والفتح افصح وسبق انه يجوز فتحهما وهو المعبر عن لغة بلغة اخري ثم الثا زايدة او التقدير
دعا احدا ان حضار ترجمانه محضر فقال قل لهم اي لاصحاب ابي سفيان اني سايل هذا وفي
نسخة بالاضافة والمعني اني اريد ان اسال ابا سفيان عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي
اي عن وصفه فان كذبني بتخفيف الذال اي فان تكلم بالكذب لي فكذبوه بالتشديد اي فانسبوه
الي الكذب ولا تسكتوا علي الباطل واعلموني بالحق قال ابو سفيان وايم الله بهمزة وصل وتقطع

وبضم ميم وتحقيقه تقدم وهو قسم لولا مخافته اي يوثر بصيغة المجهول اي يروي علي بصيغة
المجهول اي يروي علي الكذب بفتح فكسر وفي نسخة بكسر فسكون والمعني لولا خوف ان
ينقلوا عني الكذب الي قومي ويتحدثوا به لكذبته اي لكذبت عليه لبغضي اياه وانما علاه
بعلي لتضمن معني المضرة اي كذبا يكون علي لالي وفي هذا بيان ان الكذب قبيح في الجاهلية
كما هو قبيح في الاسلام اقول الظاهر ان معناه لولا مخافة ان يكذبني هولا الذين معي لكذبته
في تكذيبه في بعض كلامي لتحصيل مرامي ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم الحسب ما يعد
الانسان من مفاخر ابايه ذكره الجوهري فهو اعم من النسب ولذا اعدل عنه اليه قيل وفي البخاري
كيف نسبه فيكم وفي جامع الاصول كيف حسبه قال قلت هو فينا ذو حسب اي عظيم فان
رسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وان ابا سفيان بن
حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وليس في النفر يومئذ احد من بني عبد مناف غيري
قال فهل كان من ابايه اي بعض اجداده واسلافه وفي نسخة في ابايه اي في جملتهم من ملك اي من
سلطان وفي نسخة من موصوله وملك بصيغة الماضي اي من كان ملكا قال بعض المحققين
هو هكذا بحرف الجر وملك صفة مشبهة وهو رواية كريمة والاصيلي وابي الوقت وابن
عساكر وفي نسخة وابوا ذر عن الكشميهني من ملك علي ان من موصوله وملك فعل ماض والاول
ذكره في الفتح من ابايه ملكا باسقاط من والارض اشهر قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بتشديد
التا الثانية اي تنسبونه الي التهمة بالكذب اي بايقاعه قبل ان يقول ما قال اي من دعوي
النبوة قلت لا قال ومن بالواو يتبعه بسكون التا وفتح البا وفي نسخة بتشديد الفوقية
وكسر الموحدة اشراف الناس اي اشرافهم ام ضعفايهم قال الطيبي وفي الحميدي وجامع الاصول
بحل يتبعه وام هنا متصلة وفي وقوعها قرينة لهل اشكال لان هل تستدعي السوال عن
حصول الجملة وام المتصلة تستدعي حصولها لان السوال بها عن تعيين احد المنتسبين
مسندا ومسندا اليه والظاهر ما في صحيح مسلم وشرحه والمشكوة من تتمه فيكون
همزة الاستفهام مقدرة في قوله اشراف الناس فسال اولا مجملا ثم سال ثانيا مفصلا قال
قلت بل ضعفاوهم والمراد بالاشراف اهل النخوة والتكبر لا كل شريف والا لورد مثل ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما من اسلم قبل سوال هرقل كذا ذكره بعضهم وتعقبه العيني بان العمرين
وحمزة كانوا من اهل النخوة فقول ابي سفيان جري علي الغالب قال ايزيدون اي زيادة
اتباعهم ام ينقصون اي رجوع بعضهم الي ادبارهم او بموت بعضهم من غير جبرهم كسرهم
قلت لا اي لا ينقصون ابدا بل يزيدون اي دايما قال هل يرتد اي يرجع احد منهم عن دينه
بعد ان يدخل فيه اي يطيب نفسه سخطة بفتح السين وبضم وسكون الخا المعجمة
اي كراهة وتعيبا له اي لدينه وهي مفعول له وخرج به من ارتد مكرها او لحظ نفساني
قال قلت لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت يكون بالتا نيث
ويذكر الحرب اي المحاربة بيننا وبينه سجالا بكسر اوله اي جلة ومداولة يصيب منا ونصيب
منه اي هو ينال منا مرة لغلبته ونحن ننال منه اخري لغلبتنا فهو تفسير لقوله سجالا وقد
قال تعالي وتلك الايام نداولها بين الناس وقال الشاعر

فيوما علينا ويوما لنا ۞ ويوما نساء ويوما نسر

قال الطيبي واصله من السجل الذي هو الدلو لان لكل واحد من الواردين دلوا مثل ما للاخر

او كل واحد منهم يوم في الاستقا ومعناه ان الحرب دول تارة له وتارة عليه وقال غيره السجال جمع
سجل وهو الدلو له فقد وقعت المقاتلة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم قبل هذه القصة في
ثلاث مواطن بدر واحد والخندق فاصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكس في احد واصيب
من الطايفتين ناس قليل في الخندق فصدق ابو سفيان في كلامه سجلا على انه لا يلزم منه
التساوي قال فهل يغدر بكسر الدال من الغدر وهو نقض العهد وخلاف الوعد قلت لا اي ما
وقع منه غدر فيما مضي ونحن منه اي على خطر في هذه المرة اي مدة الهدنة والصلح الذي
جري يوم الحديبية لا ندري ما هو اي النبي او الله صانع فيها اي ايغدر في مدة هذا الصلح ام لا
قال اي ابو سفيان والله ما امكنني من كلمة اي ما قدرت على كلمة والمراد بها جملة مفيدة
ادخل فيها اي في اثنا كلماتي شيا اي مما يطعن فيه من الجملة غير هذه الجملة التي فيها تجوز
احتمال الغدر في هذه الهدنة قال فهل قال هذا القول اي من امر النبوة ودعوي الرسالة
احد قبله اي ممن سبقه من غير الانبيا المعروفين كابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وموسي وعيسي عليهم السلام قلت لا ثم قال اي بعد ما فرغ من الاسيلة الدالة
على النبوة والرسالة واراد ان يشرع في تبيين توجيهاتها من جهة المنقول والمعقول والعرف
والعادة قال لترجمانه قل له اني سالته عن حسبه فيكم فزعمت اي فاجبت انه فيكم ذو حسب
وكذلك الرسل تبعث في احساب قومها اي تتوقف بعثتهم في احساب اقوامهم فنفي بمعني
في لتضمين معني الايقاع ويمكن ان يكون في بمعني من على ما جوزه صاحب القاموس
والمغني وهو ظاهر جدا يغني عما تكلف له الطيبي لقوله هو من باب التجريد اي يبعث
وحسب وهو هو كقولك في البيضة عشرون رطلا وهي في نفسها هذا المقدار قيل والحكمة
في ذلك انه ابعد من انتحاله الباطل واقرب الي انقياد الناس له ولا يخفي ان هذا القول
انما يستفاد من النقل ويساعده العقل وسالتك هل كان في ابايه ملك اي في جملتهم
احد من الملوك ولو روي كان له وجه فزعمت ان لا فقلت اي في نفسي بمقتضي رايي
لو كان من ابايه ملك اي لو كان ظهر منهم سلطان قلت رجل يطلب ملك ابايه اي سلطنتهم
وهذا دليل عقلي لا يخالفه نقل وسالتك عن اتباعه اضعفا وهم اي افقر الناس واهل
خمولهم ام اشرافهم اي اغنياوهم واهل حيولهم فقلت بل ضعفاوهم وهم اتباع الرسل
فكون الاشراف يانفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفا لا يانفون فيسرعون الي الانقياد
واتباع الحق وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه
لم يكن ليدع اللام لام الجحود ليترك الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله اي فان من المعلوم
عند كل احد ان الكذب على الله اقبح واشد ولذا قال تعالي ومن اظلم ممن افتري على الله كذبا
وسالتك هل يرتد احد عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا وكذلك بالواو
الظاهر ان يقال فكذلك اي لا يخرج ولا يرجع الايمان اذا خالط بشاشته بفتح الموحدة
اي انسه وفرحه القلوب اي فان من دخل على بصيرة في امر محقق لا يرجع عنه بخلاف من
دخل في الاباطيل ذكره النووي وقد عبر صلى الله عليه وسلم عن البشاشة تارة بالطعم واخري
بالحلاوة فان من ذاق لذة شي احبه لا محالة ومن لم يذق لم يعرف ومن مشرب العارفين لم يذق
ولذا قال بعض المشايخ انما رجع من رجع من الطريق يعني ممن وصل مع القريب الي الرفيق
فهو كالغريق في الامن الداخل في البيت العتيق وقد قال شيخ مشايخنا ابو الحسن البكري

قدس الله سره السر في الايمان اذا دخل القلب امن السلب قلت ولعل الاشارة الي هذا المعني
والدلالة على هذا المعني في قوله تعالي سبحانه فمن يكفر بالطاغوت اي بما سوي الله ويومن
بالله اي حق الايمان وحق نفيه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي لا انقطاع
ولا انفصال ولا اتحاد ولا اتصال وسالتك هل يزيدون ام ينقصون ولعله ترك
الواسطة وهي المساواة للاشارة الي ان من لم يكن في حال زيادة فهو في النقصان لان
التوقف منفي في طور الانسان فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان اي يزيد بنفسه
واهله حتي يتم اي يكمل بالامور المعتبرة فيه من صلوة وزكوة وصيام وغيرها ولذا نزل
في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي انجازا لما
وعده سبحانه بقوله يريدون ان يطفيوا نور الله بافواههم ويابي الله الا ان يتم نوره
ونحن بحمد الله الي الان بعد مضي الالف من الزمان في زيادة الايمان تحت اشعة
انواره وفي بركة لمعان اسراره المستفادة من اخباره والمستفاضة من اثاره وسالتك
هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون
منه اي يصيب منكم وتصيبون منه وكذلك الرسل تبتلي فيه ايما الي ان
الدار دار ابتلا ولذا قال بعض العارفين ما دمنا في هذه الدار لا نستغرب وقوع
الاكدار وقد قال تعالي وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم وفسر البلا بالمحنة والمنحة
فهو من الاضداد الحاصل للعباد والغالب ان البلا لاهل الولا كما اشار اليه
صلى الله عليه وسلم بقوله اشد الناس بلا الانبيا ثم الاوليا ثم تكون لهم
اي للرسل واتباعهم العاقبة اي المحمودة قال تعالي والعاقبة للتقوي
والاخرة خير وابقي قال النووي يعني يبتليهم في ذلك ليعظم اجرهم بكثرة
صبرهم وبذل وسعهم في طاعة الله وسالتك هل يغدر فزعمت انه اي النبي
او الشان لا يغدر والاصل بقا الشي على ما هو عليه كما هو مقرر في مسالة
الاستصحاب ولهذا اعرض عن الجملة المدخولة المعلولة وكذلك الرسل
لا تغدر وسالتك هل قال هذا القول احد قبله فزعمت ان لا فقلت لو كان
قال هذا القول احد قبله قلت رجل ايتم اي هو رجل اقتدي بقول قيل
قبله قال اي ابو سفيان ثم قال بم يامركم بصيغة الجمع تغليبا او التفاتا ولذا
عدل عن قوله قلت الي قوله قلنا يامرنا بالصلوة والزكوة اي بالعبادة المالية
والبدنية والصلة اي صلة الرحم وكل ما امر الله به ان يوصل والعفاف بفتح العين
اي الكف عن المحارم وكل ما يخالف المكارم قال ان يك ما تقول حقا فانه نبي في شرح مسلم
قال العلما قول هرقل ان يك ما تقول حقا فانه نبي اخذه من الكتب القديمة ففي
التوراة هذا ونحوه من علامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه بالعلامات
واما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة وهكذا
قاله المازري وقال الشيخ اكمل الدين ومع هذا لم يومن ولم ينتفع بتلك المعرفة
فانه هو الذي جيش الجيوش على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم
ولم يقصر في تجهيز الجيش عليهم من الروم وغيره كرة بعد كرة فهزمهم الله وكسرهم
ولم يرجع اليه منهم الا القليل واستمر على ذلك الي ان مات وقد فتح اكثر بلاد الشام

ثم ولي بعده ولده وبهلاكه هلكت المملكة الرومية قلت يعني الرومية الجاهلية
ثم انقلبت لهم المملكة الاسلامية بالغلبة والشوكة الايمانية حتى اقامهم الله
لمقاتلة الطايفة النصرانية ولمقابلة الرافضة الكفرانية وقاموا بخدمة الحرمين
الشريفين من عمارتهما وخيراتهما ومبراتهما في البلدين المنيفين وارسال امر الحاج
من كل فج عميق لامن الطريق الواصل الى البيت العتيق مع ما فيهم من تعظيم
الشريعة وتكريم العلما واحترام المشايخ والاوليا فجزاهم الله احسن الجزا ونصرهم
على جميع الاعدا الى يوم الندا اهـ ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له ولا حول ولا قوة الا بالله فما العقل لو معقوله المكمل لكن ما ساعده لعدم السعادة
الازلية ووجود الشقاوة الابدية والسبب في ذلك طمع الرياسة وظهور الكمال
والميل الى وصول المال وحصول المنال والغفلة عن المآل وما يودي الى النكال
ولذا قال وقد كنت اعلم اي على يقينا انه اي النبي عليه السلام خارج اي ظاهر
في اخر الزمان ولم اك اظنه منكم اي من نسل اسمعيل وهو ابو العرب بل كنت
اظنه انه منا معشر بني اسحاق فان اكثر الانبيا بعد ابراهيم عليه السلام منهم
وهذه حجة داحضة وبلية غامضة فان الظن لا يغني من الحق شيا وما
يتبع اكثرهم الا ظنا والحق احق ان يتبع ولو اني اعلم اني اخلص اليه اي الى خدمته
ودولته وحضرة رويته لاحببت لقاه اي دولة ملاقاته وسعادة متابعته
ولو كنت عنده اي ولو صرت في مقامه ووصلت الى موضع قيامه لغسلت اي
وجهي عن قدميه اي غسلا صادرا عن ما قدامه لما ارجو له من الثبات
على الحق واقدامها والتقدير غسلت الغبار والوسخ عن قدميه فضلا عن تقبيل
يديه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي بالتشديد لكن التثنية المبنية عن المبالغة
والتاكيد قال النووي ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وانما شح بالملك ورغب في الرياسة فاثرها على الاسلام وقد جاء ذلك مصرحا به
في صحيح البخاري ولو اراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه.
الرياسة وقال شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي اختلف في ايمانه
والارجح بقاوه على الكفر ففي مسند احمد انه كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه
وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب بل هو على نصرانيته قلت ليس
فيه نص على موته بالكفر وانما رجح بناء على الاصل ثم دعا بكتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقراه اي فعظمه وبالغ في محافظته فصار سببا لبقا الملك في ذريته
بخلاف كسرى حيث شقه ومزقه فمزق الله ملكه وفرق ولده واخرج الله عنهم
ملكه قال سيف الدين ارسلني ملك الغرب الى ملك الافرنج في شفاعة فقبلها
وعرض علي الاقامة فابيت فقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج من صندوق
مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه فقال هذا كتاب نبيكم لجدي
قيصر ما زلنا نتوارثه الى الان وقد اوصانا بانه ما دام عندنا لا يزول الملك
منا فنحن نحفظه ليدوم الملك لنا ذكره اكمل الدين متفق عليه وقد سبق
تمام الحديث وعنوانه كتب اليه في باب الكتابة الى الكفار باب في المعراج

العروج

لله عز وجل

العروج هو الذهاب في صعود قال تعالى تعرج الملائكة والروح والمعراج بالكسر شبه
السلم مفعال من العروج بمعنى الصعود فكانه الة له وقيل بل هو الة وفرق بينه وبين
الاسرا كما بينته في رسالتي المسماة بالمدارج للمعارج وانما سميت ليلة المعراج
لصعود النبي صلى الله عليه وسلم فيها الى السما وفي شرح السنة قال القاضي
عياض اختلف الناس في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان
جميع ذلك في المنام والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة
المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين انه اسري بجسده فمن طالعها
وبحث عنها فلا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى
تاويل وقيل ذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسرا اقل ما
قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كان
ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري
كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحاق اسري
به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة واشبه هذه الاقوال قول الزهري
وابن اسحاق وقد اجمعوا على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسرا فكيف يكون هذا
قبل ان يوحى اليه واما قوله في رواية شريك وهو نايم وفي الرواية الاخرى بينا
انا عند البيت بين النايم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رويا نوم ولا حجة
فيه اذ قد يكون ذلك حالة اول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل
على كونه نايما في القصة كلها وقال محيي السنة في المعالم والاكثرون على
ذلك قلت ومن القليل من قال بتعدد الاسرا نوما ويقظة وبه يجمع بين
الادلة المختلفة قال الطيبي وقد روينا عن البخاري والترمذي عن ابن
عباس في قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس
قال هي رويا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى
بيت المقدس وفي مسند الامام احمد بن حنبل عن ابن عباس قال شي
اريه النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة راه بعينه ولانه قد انكرته قريش
وارتدت جماعة ممن كان اسلموا حين سمعوه وانما ينكر اذا كانت في اليقظة
فان الرويا لا ينكر منها ما هو ابعد من ذلك على ان الحق ان المعراج مرتان مرة
بالنوم واخرى باليقظة قال محيي السنة رويا اراه الله قبل الوحي بدليل
قول من قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد
الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه كما انه راى فتح مكة في المنام
سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان وعن بعض المحققين ان
الارواح ماخوذة من انوار الكمال والجلال وهي بالنسبة الى الابدان بمنزلة
قرص الشمس بالنسبة الى هذا العالم وكما ان كل جسم يقابل اليه نور الشمس
يتبدل ظلماته بالاضوا فكذلك كل وصل الى نور الروح انقلب حال من
الموت الى الحيوة وقالوا الارواح اربعة اقسام الاول الارواح المكدرة بالصفات
البشرية وهي ارواح العوام غلبته القوى الحيوانية لا تقبل العروج والثاني

الارواح التي لها كمال القوة النظرية باكتساب العلوم وهذه ارواح الاولياء والثالث الارواح التي لها كمال القوة المدبرة للبدن باكتساب الاخلاق الحميدة وهذه ارواح المرتاضين اذا كبروا وقوي ابدانهم بالارتياض والمجاهدة والرابع الارواح الحاصلة لها كمال القوتين وهذه غاية الارواح البشرية وهي للانبيا والصديقين فلما ازداد قوة ارواحهم ازداد ارتفاع ابدانهم عن الارض ولهذا لما كان الانبيا عليهم السلام قويت فيهم هذه الارواح عرج بهم الي السما والملهم قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فعرج به الي قاب قوسين او ادنى **الفصل الاول** عن قتادة تابعي جليل عن انس ابن مالك اي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مالك بن صعصعة الضاري مزني مدني سكن البصرة وهو قليل الحديث ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم اي الصحابة ومنهم انس عن ليلة اسري به بالاضافة وفي نسخة بالتنوين اي ليلة اسري به فيها قال زين العرب في شرح المصابيح انها مضافة الي الماضي وفي نسخة رطبني مجرورة منونة وقال الطيبي يجوز بنا ليلة واعرابها واسري بصيغة المجهول ايما الي قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا والاسرا من السرى وهو السير في الليل يقال سرى واسرى بمعنى وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى من اخره قيل وهو اقرب فالباء به للتعدية وذكر الليل للتجريد او للتاكيد وفي الاية بالتنكير للتقليل والتعظيم بينما انا في الحطيم قال القاضي قيل هو الحجر سمي حطيما لانه حجر عنه بحطائه وحطيما لانه حطم جداره عن مساواة الكعبة وعليه ظاهر قوله فبينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر فلعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر اخرى وقيل الحطيم غير الحجر وهو ما بين المقام الي الباب وقيل ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر والراوي شك في انه سمع في الحطيم او في الحجر انتهى وقال ابن حبيب الحطيم ما بين الركن الاسود الي الباب الي المقام حيث يتحطم الناس للدعا وقيل كان اهل الجاهلية يتحالفون هنالك ويتحطمون بالايمان كذا ذكره الشارح الاول والله اعلم مضطجعا قيد للروايتين وهو يحتمل النوم واليقظة اذ اتاني ات اي جاءني ملك فشق اي قطع ما بين هذه الي هذه يعني لنفسه من مالك على ما هو الظاهر اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذه من ثغرة نحره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة اي نقرة نحره التي بين الترقوتين الي شعرته بكسر الشين اي عانته وقيل منبت شعرها كذا في النهاية فاستخرج قلبي قال شارح وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبي اذ هو لاخراج مادة الهوى من قلبه وهذا لادخال كمال العلم والمعرفة في قلبه قلت وفيه ايما الي التخلية والتحلية ومقام الفنا والبقا ونفي السوى واثبات المولى لما يشير اليه الكلمة العليا ثم اعلم ان هذه معجزة فان من المحال العادي ان يعيش من يشق بطنه ويستخرج قلبه وكان بعضهم حملوها على المعاني المجازية ولذا قال التوربشتي ما ذكر في الحديث من شق النحر واستخراج القلب وما يجري مجراه فان السبيل في

ذلك

ذلك التسليم دون التعرض بصرفه الي وجه يتقوله متكلف ادعا للتوفيق بين المنقول والمعقول هربا مما يتوهم انه محال ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة الي المجاز في خبر الصادق عن الامر المحال بحالة القدرة ثم اتيت بطست بفتح الطا وكسرها مهملة في العربية ومعجمة في العجمية منه ذهب لعل الاستعمال قبل التحريم او القضية من خصوصياته عليه الصلاة والسلام مملوة على وزن مفعول بالهمز وتشدد ايمانا تمييز قال القاضي لعله من باب التمثيل او يتمثل له المعاني كما تمثل له الارواح باجسادهم الفانية وكلن فيه ان الله حرم على الارض ان تاكل لحوم الانبيا نعم لو قيل ببقا اجسادهم المتعلقة بها احوالهم في عالم الملك وتمثلها في عالم الملكوت توجيها وجيها وتنبيها نبيها بل هو الظاهر ولا يبعد عن قدرة القادر وفي شرح مسلم معنى جعل الايمان في الطست جعل شي فيه يحصل به الايمان فيكون مجازا وقد قال الشارح الاول لا مانع من ارادة الحقيقة اقول والحاصل ان المعاني قد تتجسم كما حقق في وزن الاعمال وذبح كبش الموت ونحوهما فغسل قلبي ثم حشي ماض مجهول من الحشو اي ملي من حب زبين ثم اعيد اي القلب الي موضعه الاول على الوجه الاكمل وفي رواية ثم غسل البطن اي الجوف مطلقا او محل القلب فانه بيت الرب تعالى بما زمزم ثم ملي ايمانا وحكمة اي ايقانا واحسانا فهو تكميل وتذييل ثم اوتيت بدابة هي تطلق على الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والتا فيها للوحدة فالمعنى مركوب متوسط دون البغل اصغر منه وفوق الحمار اي اكبر منه ابيض بالنصب على الحال او الصفة يقال له البراق بضم ولعله سمي به لبريق لونه او لسرعة سيره كبرق السحاب ولا منع من الجمع وان كان بويب الثاني قوله يضع خطوه عند بفتح فسكون في بضمها اي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره قيل الاصح انه كان معدا لركوب الانبيا وقيل لكل نبي براق على حدة وهو المناسب لمراتب الاصفيا ففي شرح مسلم قالوا هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا قال الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير هي دابة كانت الانبيا عليهم السلام يركبونها وهذا الذي قالاه يحتاج الي نقل صحيح قال الطيبي ولعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث اخر فربطه بالحلقة التي تربط به الانبيا اي ربطت البراق بالحلقة التي يربط بها الانبيا البراق قلت وليس فيه دلالة على تقدير تسليم تقديره لان المراد بالبراق الجنس في الثاني قال واظهر منه حديث انس في الفصل الثاني قول جبريل للبراق فما ركبك احد اكرم على الله منه قلت هو مع ظهوره لا يخفى ما فيه من الاحتمال المانع من صحة الاستدلال اذ يحتمل انه ركبه بعض الملائكة او جبريل قبله عند نزوله اليه صلى الله عليه وسلم عليه او لتقدير فما ركب ملك او جنسك احد اكرم على الله منه فالمعنى لتتحرك عنه فحملت عليه بصيغة المجهول اي ركبت عليه بمعاونة الملك او باعانته الملك ريما ايما الي صعوبته كما سياتي وجهه فانطلق بي جبريل حتى اتى باب السما الدنيا ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الي السما ويتمسك به من زعم ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسرا الي بيت المقدس فاما المعراج فعلي

غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن علي البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به
مصرحا ذكره العسقلاني اقول الاظهر ان هذا اقتصار من الراوي واجمال لما سبق انه
ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم يمكن ان يكون سيره علي البراق الي بيت
المقدس ثم اسراوه الي السما بالمعراج الذي هو السلم والله اعلم فكان الراوي طوي الرواية
فاختل به امر الدراية ثم قيل الحكمة في الاسرا الي بيت المقدس قبل العروج الي السما اظهار
الحق للمعاندين لانه لو عرج به من مكة الي السما ولم يكن سبيل الي ايضاح الحق للمعاندين
كما وقع في الاخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق من العير مع ما في ذلك
من حيازة فضيلة الرحل اليه لانه محل هجرة غالب الانبيا ولما روي ان باب السما الذي
يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فاسري اليه لتحصيل العروج مستويا
من غير تعويج ذكره السيوطي فاستفتح اي طلب جبريل فتح باب السما الدنيا قيل من
هذا اي المستفتح قال جبريل بتقدير هو او انا قال القاضي عياض وفيه ان للسما ابوابا
حقيقة وحفظة موكلين بها وفيه اثبات الاستيذان وانه ينبغي ان يقول انا زيد
مثلا يعني لا يكتفي بقوله انا كما هو المتعارف اذ قد ورد به النهي قيل ومن معك اي انت
ترافقك ومن معك حتي تستفتح قال محمد قال وقد ارسل اليه الواو للعطف وحرف الاستفهام
مقدر اي اطلب وارسل اليه بالعروج او بالوحي والاول اشهر واظهر وعليه الاكثر قال النووي
وفي رواية اخري وقد بعث اليه للاسرا وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن اصل
البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفي علي الملائكة الي هذه المدة وهذا هو الصحيح وقال
البيضاوي اي ارسل اليه للعروج وقيل معناه اوحي اليه وبعث نبيا والاول اظهر لان امر
نبوته كان مشهورا في الملكوت لا يكاد يخفي علي خزان السموات وحراسها واوفق للاستفتاح
والاستيذان ولذلك تكرر معه وتحت هذه الكلمات ونظايرها اسرار يتفطن لها من فتحت
بصيرته واشتغلت قريحته قلت ولعل ماخذها وقوفه علي جميع الابواب علي داب اداب ارباب
الالباب ثم السوال من ورا الحجاب وكذا الجواب بمرحبا مرحبا بذلك الجناب المشعر بالتنزل
الرحماني والاستقبال الصمداني والاقبال الوداني المشير الي ما قال في الحديث القدسي
المعبر عن الكلام النفسي من اتاني يمشي اتيته هرولة ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه
باعا الموحي الي قوله سبحانه وهو معكم اينما كنتم المصرح بالمعية الخاصة في المقام المزيد
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم الوارد علي لسانه بلسان الجمع ان الله معنا ثم عرض
علو مقامه وحصول مرامه علي ابايه الكرام واخوانه العظام في ذلك المشاهد الفخام فيالها
من ساعة سعادة لا يتصور فوقها زيادة وقيل كان سوالهم للاستعجاب بما انعم الله عليه
او للاستبشار بعروجه اليه اذا كان من البين عندهم ان احدا من البشر لا يترقي الي اسباب السموات
من غير ان ياذن الله له ويامر ملايكته باصعاده فان جبريل لم يصعد بمن لم يرسل اليه ولا
يستفتح له ابواب السما قال اي جبريل نعم اي ارسل اليه بالتقريب لديه والانعام عليه
قيل مرحبا به اي اتي الله بالنبي مرحبا اي موضعا واسعا فالبا للتعدية ومرحبا مفعول
به والمعني جا اهلا وسهلا لقوله فنعم المجي اي مجيبه جا فعل ماض وقع استيناف بيان
زمانا وحالا والمجي فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف قال المظهر فيه تقديم وتاخير وحذف
المخصوص بالمدح اي جا فنعم المجي مجيئه وقيل تقديره نعم المجي الذي جاء محذوف الموصول

والنبي

والنفي بالصلة او نعم المجي مجي جا بحذف الموصوف ففتح اي باب السما فلما خلصت بفتح اللام
اي وصلت اليها ودخلت فيها فاذا فيها ادم فقال اي جبريل هذا ابوك اي جدك ادم فسلم عليه
قال التوربشتي امر بالتسليم علي الانبيا لانه كان عابرا عليهم وكان في حكم القيام وكانوا في حكم
القعود والقايم يسلم علي القاعد وان كان افضل منهم فكيف لا والحديث دل علي انه اعلي مرتبة
واقوي حالا واتم عروجا فسلمت عليه فرد السلام اي ردا جميلا وفيه دليل علي ان الانبيا
احيا حقيقة ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قيل وانما اقتصر الانبيا علي هذا
الوصف لان الصلاح صفة تشمل جميع خصايل الخير وشمايل الكرم ولذا قيل الصالح
من يقوم بما يلزم من حقوق الله وحقوق عباده ولذا اورد علي السنة الانبيا توفني
مسلما والحقني بالصالحين ويمكن ان يكون المراد به الصلح لهذا المقام العالي والصعود
المتعالي ثم صعد بي بكسر العين اي طلع بي جبريل والبا للتعدية او المصاحبة حتي اتي السما
الثانية وقد ورد ان بين كل سما مسافة خمسماية عام فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا في تكرار هذا
السوال والجواب من كل من الابواب اشعار بانه بسط له الزمان وطوي له المكان واتسع
له اللسان وانتشر له الشان في ذلك الان بعون الرحمن ففتح فلما خلصت اذا بيحيي وعيسي
وهما ابنا خالة جملة معترضة محتملة ان يكون من اصل الحديث وان تكون مدرجة من
كلام الراوي هذا وقال ابن الملك في شرح المشارق المرئي كان ارواح [illegible] الانبيا متشكلة
بصورهم التي كانوا عليها الا عيسي فانه مرئي بشخصه وسبقه التوربشتي حيث قال
روية الانبيا في السموات وفي بيت المقدس حيث انهم يحمل علي روية روحانيتهم المتمثلة
بصورهم التي كانوا عليها غير عيسي فان رويته محتملة للامرين او احدهما قلت وقد قدمنا
ان الانبيا لا يموتون كساير الاحيا بل ينتقلون من دار الفنا الي دار البقا وقد ورد به الاحاديث
والانبيا وانهم احيا في قبورهم فانهم افضل من الشهدا وهم احيا عند ربهم قال اي جبريل هذا
يحيي قدمه لسبقه في الوجود وهذا عيسي ختم به لانه اتم في الشهود وخاتمة ارباب
الفضل والجود فسلم عليهما اي جملة او علي حدة فسلمت فردا اي السلام علي باحسن رد ثم قالا
مرحبا بالاخ الصالح لقوله تعالي انما المومنون اخوة ولما سبق في الحديث من الانبيا اخوة
من علات وامهاتهم شتي ودينهم واحد والنبي الصالح ثم صعد بي الي السما الثالثة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم
المجي جا ففتح فيه اشعار بان كلا من الانبيا لم يحصل لهم الاستعلا الا بالاستيذان الملكي
والفتح الالهي وان كلا منهم كالملايكة لهم مقام معلوم وحال مفهوم لا مقدم لما اخر ولا موخر لما
قدم والله اعلم فلما خلصت اذا بيوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد اي ردا
حسنا ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي السما الرابعة فاستفتح قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به
فنعم المجي جا وهذا التكرير والبيان علي وجه التكثير بعد من قبيل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع ففتح فلما خلصت فاذا ادريس فقال هذا ادريس فسلم عليه
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال عياض هذا يخالف قول
اهل التاريخ ان ادريس كان من ابايه صلي الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون قول ادريس ذلك

تلطفا وتادبا وهو اخ ايضا وان كان ابا فان الانبيا اخوة كذا في شرح مسلم ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فيه اشعار بانه لم يفتح باب السما الا لمن يكون مسبوقا بنعت العلا ووصف الولا واما الاعدا فلا يفتح لهم ابواب السما حتى يلج الجمل في سم الخياط فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل وقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح ففيه تنبيه نبيه على ان من منح له يفتح له باب ما منع من باب اخر ولم يقع له حجاب بل يفتح له ابواب الرحمة ثم ابواب الجنة وما احسن من قال من ارباب الحال شعر

على بابك الاعلى مددت يد الرجا ومن جا هذا الباب لا يخشى الردا

فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت اي موسى او مقامه بكى اي موسى تاسفا على امته وشفقة على اهل ملته فانهم قصروا في الطاعة ولم يتبعوه حق المتابعة مع طول مدته وامتداد ايام دعوته فلم ينتفعوا به انتفاع هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم مع قلة عمره وقصر زمانه وبهذا ايظهر وجه قوله قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي فانه لم يرد بذلك استقصار شانه فان الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشاب وهذا زبدة كلام التوربشتي وقد حمله بعضهم على الغبط وفيه نظر ظاهر لاهل الفطنة اللهم الا ان يحمل على التمني فانه قد يتصور في امر المحال والله اعلم بالحال وقال بعض العلما لم يكن بكا موسى عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد المومنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى وهو في عالم الملكوت بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم الملزوم لنقص اجره كان لكل نبي مثل اجر من اتبعه واما قوله غلام فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه اذا عطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعط احدا قبله من هو اسن منه وقال العسقلاني ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول شيخوخته ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص قلت ويمكن ان يكون وجه تسميته غلاما انه حين مروره على الانبيا كان في مدة عمره قليل بالنسبة الى اعمارهم في الدنيا ثم مرور الازمنة عليهم في حال البرزخ وقد يعتبر كونه غلاما ما حصل له المرتبة العلية في قليل من مدة البعثة النبوية فان المعراج على ما سبق انما كان بعد الوحي بزمان قليل اذا اقتضى ما قيل فيه انه قبل الهجرة بسنة فيصدق عليه عمر الغلام بنا على ان قبله ليس من العمر التام والله اعلم بحقيقة المرام ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا في اطباق نسخهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق اشعار بان السنة الخلق اقلام الحق ولبيس هنا في الاصول لفظ ففتح فكانه سقط من لفظ الراوي او اكتفا بما سبق ودلالة عليه بقوله فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك اي جدك الاقرب ابراهيم فسلم فسلمت عليه فرد السلام وكان نبينا عليه السلام كان في الاستغراق

التام ومشاهدة

وقف [illegible]

التام ومشاهدة الكلام غافلا عن الانام كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ما زاغ البصر وما طغى حتى احتاج في كل من المقام الى تعليم جبريل بالسلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال الحافظ السيوطي استشكل روية الانبيا في السموات مع ان اجسادهم مستقرة في قبورهم واجيب بان ارواحهم تشكلت بصور اجسادهم او احضرت اجسادهم لملاقاته صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا له واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الانبيا بالسما التي لقيه والاشهر انه على حسب تفاوتهم في الدرجات وعن هذا قال ابن ابي جمرة اختصاص ادم بالاولى لانه اول الانبيا واول الابا فكان في الاولى اولى وعيسى بالثانية لانه اقرب الانبيا عهدا بنبينا صلى الله عليه وسلم ويليه يوسف لان امة محمد يدخلون الجنة على صورته وادريس في الرابعة لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا والرابعة من السبع وسط معتدل وهارون في الخامسة لقربه من اخيه وموسى ارفع منه لفضل كلام الله تعالى وابراهيم فوقه لانه افضل الانبيا بعد نبينا اقول بقي الكلام على سائر الانبيا عليهم السلام وهل هم كانوا موجودين في السموات بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سما الا واحد من المشاهير الاعلام واكتفى بذكرهم عن بقية الكلام ثم رفعت الى سدرة المنتهى وفي نسخة السيد وفي بعض النسخ رفعت لي سدرة المنتهى ويويده قوله الاتي ثم رفع لي البيت المعمور وفي نسخة الى بتشديد اليا قال الحافظ العسقلاني الاكثر بضم الرا وسكون الفا وضم اليا بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وللكشميهني رفعت لي بفتح العين وسكون التا اي رفعت السدرة لي باللام اي من اجلي ويجمع بين الروايتين بان المراد رفعه اليها اي ارتقى به واظهرت له والرفع الى الشي يطلق على التقرب منه وقال التوربشتي الرفع تقريبك الشي وقد قيل في قوله تعالى وفرش مرفوعة اي مقربة لهم فكانه اراد ان سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشي المقرب اليه وفي معناه رفع لي بيت المعمور ورفع لي بيت المقدس قال النووي سميت سدرة المنتهى لان علم الملايكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن عبد الله بن مسعود انها سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله تبارك وتعالى وقال السيوطي واضافة الى المنتهى لانها مكان ينتهي دونه اعمال العباد وعلوم الخلايق ولا تجاوزه الملايكة والرسل منها الا النبي صلى الله عليه وسلم وهي في السما السابعة واصل ساقها في السادسة فاذا نبقها بكسر الموحدة ويسكن اي ثمرها من كبره الدال على كبرها مثل قلال هجر بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي ان للعرب كالجرة الكبيرة وهجر اسم بلد ينصرف ولا ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرتها كالمطعوم في ظرفه ضرب مثل ثمرتها بالكبر مما كانوا يتعارفونه بينهم من الظروف كذا ذكره شارح وفي القاموس هجر محركة بلد باليمن مذكر مصروف وقد يونث ويمنع وقرية كانت قرب المدينة ينسب اليها القلال او ينسب الى هجر اليمن واذا ورقها او ورقتها في الكبر مثل اذان الفيل بكسر الفا وفتح التحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة والاذان بالمد جمع الاذن قال اي جبريل هذا اي هذا المقام او هذا الشجر سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار اي ظاهرة وقال شارح اذا للمفاجاة اي فاذا انا باربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما هذان اي النوعان من الاربعة نحو قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة قال ابن الملك يقال لاحدهما الكوثر وللاخر نهر الرحمة مكان في خبر وانما قال باطنان لخفا امرهما فلا يهتدي العقول الى وصفهما

مطـ

اولانهما مخفيان عن اعين الناظرين فلا يريان حتى يصبا في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال
القاضي الحديث يدل على ان سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل والفرات من اصلها وقال ابن الملك
يحتمل ان يكون المراد منهما ما عرفا بين الناس ويكون ماوهما مما يخرج من اصل السدرة وانه لم يدرك
كيفيته وان يكون من باب الاستعارة في الاسم بان شبههما بنهري الجنة في الهضم والعذوبة ومن
باب توافق الاسما بان يكون اسما نهري الجنة موافقين لاسمي نهري الدنيا وفي شرح مسلم قال
مقاتل الباطنان هو السلسبيل والكوثر والظاهران النيل والفرات يخرجان من اصلها ثم يسيران
حيث اراد الله تعالى ثم يخرجان من الارض ويسيران فيها وهذا لا يمنعه شرع ولا عقل وهو ظاهر
الحديث فوجب المصير اليه ثم رفع لي اي قرب واظهر لاجلي البيت المعمور وهو بيت في السما السابعة
حيال الكعبة وحرمته في السما كحرمة الكعبة في الارض ثم اتيت بانا من خمر وانا من لبن وانا من
عسل فاخذت اللبن قال ابن الملك اعلم ان اللبن لما كان ذا خلوص وبياض واول ما يحصل به
تربية المولود صور به في العالم المقدس مثل الهداية والفطرة التي تتم بها القوة الروحانية
ومبدي الاستعداد للسعادات الابدية اولها انقياد الشرع واخرها الوصول الى الله تعالى فقال هي
الفطرة انت مرجع اللبن مع انه المذكر مراعاة للخبر انت عليها وامتك اي عليها وكذا لك ثم يعني
بعد وصوله الى مقام دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فرضت علي الصلوة
وفي الحديث الاتي علي امتي ولا منافاة خمسين صلوة يتقدم راجعين وقوله كل يوم اي وليلة ظرف فرجعت
فمررت على موسى اي بعد ابراهيم فقد روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال لقيت ابراهيم ليلة اسري
بي فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماوانها قيعان وان غراسها
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال اي موسى بما امرت من العبادة قال امرت بخمسين
صلوة اي اقلها ركعتان قال ابن الملك وقيل كانت كل صلوة على ركعتين الترمذي ان من قال على
صلوة يلزمه ركعتان كل يوم يحتمل اختصاصه بالنهار والاظهر ان المراد كل يوم وليلة
لما سياتي من قوله خمس صلوات في كل يوم وليلة فيكون من باب الاكتفا للظهور
والاستغنا قال ان امتك لا تستطيع قيد بالامة لان قوة الانبيا وعصمتهم تمنعهم عن
المخالفة وتعينهم على الموافقة في الطاعة ولو على اقصى غاية المشقة والطاقة
والمعنى لا تقدر امتك عادة او بسهولة لضعفهم او كسلهم خمسين صلوة اي اداوها
كل يوم ثم بين عدم استطاعتهم بقوله واني قد جربت الناس اي زاولت ومارست
الاقويا من الناس قبلك يعني ولقيت الشدة فيما اردت منهم وعالجت بني اسرايل
اي بالخصوص اشد المعالجة اي ولم يقدروا على مثل ذلك فكيف امتك فارجع الى ربك
فاسئله التخفيف امر من سال مهموزا او مبدلا او منقولا نسختان مقبولتان
وقراتان صحيحتان اي فاطلب التخفيف لامتك فرجعت اي الى ربي فوضع عني عشرا
وهو خمس الاصل وسياتي انه وضع عنه خمسا وكانه كان اولا ثم صار عشرا او عشرا عن
الخمسين بالعشر اقتصارا او اختصارا فرجعت الى موسى فقال مثله اي مثل مقالته
الاولى فرجعت اي ثانيا فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
اي ثالثا فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت اي رابعا فامرت
بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت اي خامسا فامرت
بخمس صلوات كل يوم اي وليلة ولعل الاكتفا للتغليب حيث اكثر الصلوات فيه او

لان الليل

وقف ... سعو جل

وقف ... سعو جل

لان الليل تابع لما قبله كما في ليلة عرفة وليالي ايام النحر فرجعت الى موسى فقال
بما امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك اي النحرم لا يستطيع خمس
صلوات اي مواظبتها ومداومتها ومحافظتها كل يوم واني قد جربت الناس قبلك
وعالجت بني اسرايل اي ولم يستطيعوا ما دون ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف
لامتك قال الخطابي مراجعة الله في باب الصلوات انما جازت من رسولنا محمد وموسى
عليهما الصلوات والسلام لانهما عرفا ان الامر الاول غير واجب قطعا لما صدرت منهما
المراجعة فصدور المراجعة دليل على ان ذلك غير واجب قطعا لان ما كان واجبا قطعا
لا يقبل التخفيف ذكره الطيبي وتبعه ابن الملك واقول وما لم يكن واجبا لا يحتاج الى
سوال التخفيف قطعا فالصحيح ما قيل انه تعالى في الاول فرض خمسين ثم رحم عباده ونسخها
بخمس كاية الرضاع عند بعض وعدة المتوفى عنها زوجها على قول وفيه دليل على انه يجوز
نسخ الشي قبل وقوعه كما قال به الاكثرون وهو الصحيح وقالت المعتزلة وبعض
العلما لا يجوز ذكره النووي قال اي النبي صلى الله عليه وسلم سالت ربي اي التخفيف
حتى استحييت اي من كثرته وفي نسخة بيا وحده فهما لغتان او الثانية تخفيف
للاولى بالنقل والحذف والمعنى فلا ارجع لطلب الخفيف وان كان الظن في الامة ان
لا يستطيعوا دوام المحافظة ولكني ارضى اي بما قضى ربي وقسم واسلم اي امر ربي
وامرهم الى الله وانقادبما حكم قال الطيبي فان قلت حق لكن ان يقع بين كلامين
متغايرين معنى فما وجهه ها هنا قلت تقدير الكلام ها هنا حتى استحييت فلا ارجع فاني
اذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم ولكني ارضى واسلم انتهى ولا يخفى ان المراجعة غير
منافية للرضى والتسليم والا لما رضي بها موسى ونبينا عليهما افضل الصلاة واكمل التسليم
وتوضيحه ان سوال العافية ودفع البلا وطلب الرزق ودعا النصر على الاعدا وامثال
ذلك كما صدر من الانبيا والاوليا لا ينافي الرضا بالقضا ابدا ولا التسليم لما في الازل بدا
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاوزت اي موسى وتركت المراجعة نادى مناد اي
حاكيا كلام ربي امضيت فريضتي اي احكمتها وانفذتها ولا وخففت عن عبادي
اي ثانيا وسياتي لهذا تتمة موقتها مهمة متفق عليه ورواه النسابي وعن ثابت
البناني بضم الموحدة قبل النون الاولى تابعي من اعلام اهل البصرة وثقاتهم اشتهر
بالرواية عن انس بن مالك وصحبه اربعين سنة وروى عنه نفر عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل اي وسطاني لقوله
فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه اي نظره فركبته حتى اتيت بيت
المقدس بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال ويروى بضم الميم وفتح القاف وتشديد
الدال المفتوحة فربطه بالحلقة بسكون اللام وبفتح قال النووي هي بسكون اللام على اللغة
الفصيحة المشهورة وحكى فتحها اوليربط بالتذكير ويجوز تانيثه وهو بكسر الموحدة
وضم ففي القاموس ربطه يربطه ويربطه شده وفي الصحاح ربطت الشي اربطه واربطه ايضا
عن الاخفش انتهى فعلم ان الضم لغة ضعيفة ولهذا اجمع القرا على الكسر في قوله تعالى
وليربط على قلوبكم ثم قوله به بضمير المونث في جميع نسخ المشكوة وهو ظاهر وفي
شرح مسلم الحلقة التي يربط به كذا هو في الاصول بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة

وهو الشي الذي يربط به والمعنى بالشي الذي يربط به الانبيا اي دوابهم او هذا البراق
على خلاف تقدم نعم لو كان المروي يربط الانبيا به لوقع الاتفاق على اتحاد البراق
قال ثم دخلت المسجد اي الاقصى وهذا المقدار من الاسرا مما اجمع عليه العلما وانما
خلاف المعتزلة في الاسرا الي السما بنا على منعهم الخرق والالتيام تبعا لكلام الحكما اللبام
فصليت فيه ركعتين اي تحية المسجد والظاهر ان هذه هي الصلوة التي اقتدى
به الانبيا وصار فيها امام الاصفيا ثم خرجت اي من المسجد فجاني جبريل باناء من
خمر واناء من لبن ولعل ترك العسل من اقتصار الراوي فاخترت اللبن اي لما سبق فقال
جبريل اخترت الفطرة اي التي فطر الناس عليها وهي لدين القيم كما قال تعالى واشار
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل مولود يولد على الفطرة انتفا لانها يفطر به المولود
ويتغذى من اللبن المعهود ثم عرج بفتح الفتح والراء على ما ذكره النووي وتبعه
السيوطي فالفاعل جبريل او الرب الجليل لقوله بنا اي بي وبجبريل ويمكن
ان يكون قوله بنا بنا على التعظيم وفي نسخة بصيغة المجهول اي صعدنا
الى السما وساق اي وذكر ثابت الحديث عن انس مثل معناه اي نحو معنى
الحديث السابق في رواية قتادة عن انس قال اي النبي عليه السلام او ثابت
او انس مرفوعا فاذا انا بادم فرحب بي اي قال لي بعد رد سلامي مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح ودعا لي بخير يحتمل ان يكون بيانا لقوله فرحب جا وان
يكون غيره غير مبين وقال في السما الثالثة فاذا انا بيوسف اذا هو قد بدل من الاول
في معنى بدل الاشتمال قد اعطي شطر الحسن قال المظهر اي نصف الحسن
واقول وهو يحتمل ان يكون المعنى نصف جنس الحسن مطلقا او نصف حسن
جميع اهل زمانه وقيل بعضه لان الشطر كما يراد به نصف الشي قد يراد به بعضه
مطلقا اقول لكنه لا يلايم مقام المدح وان اقتصر عليه بعض الشراح اللهم الا ان يراد به
بعض زايد على حسن غيره وهو اما مطلق فيحمل على زيادة الحسن الصوري
دون الملاحة المعنوي لئلا يشكل بنبينا صلى الله عليه وسلم واما مقيد بنسبة اهل
زمانه وهو الاظهر وكان الطيبي اراد هذا المعنى لكنه اغرب في المبنى حيث عبر عنه
بقوله وقد يراد به الجهة ايضا نحو قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي اليه
جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال على وجهه مسحة جمال اي اثر ظاهر ولا يقال
ذلك الا في المدح انتهى وغرابته مما لا يخفى على ذوي النهى هذا وقد قال بعض الحفاظ
من المتاخرين وهو من مشايخنا المعتبرين انه صلى الله عليه وسلم كان احسن من يوسف
عليه السلام اذ لم ينقل ان صورته كان يقع من ضوئها على الجدران ما يصير كالمراة
يحكي ما قبله وقد حكي ذلك عن صورة نبينا صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى ستر
عن اصحابه كثيرا من ذلك الجمال الباهر فانه لو برز لهم لم يطيقوا النظر اليه كما قاله
بعض المحققين واما جمال يوسف عليه السلام فلم يستتر منه شي انتهى وهو يويد
ما قدمناه من ان زيادة الحسن الصوري ليوسف عليه السلام كما ان زيادة الحسن
المعنوي لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الاشتراك في اصل الحسن مع انه قد يقال
المعنى اعطي شطر حسني فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر اي ثابت عن انس في هذا الحديث

بكاموسي

بكاموسي وقال السما السابعة اي زيادة على ما سبق فاذا انا بابراهيم مسندا بكسر النون منصوبا
على الحال في جميع نسخ المشكاة مطابقا لما في صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة وفي المصابيح
مرفوع على حذف المبتدا وقوله ظهره منصوب على المفعولية لكلتا النسختين وقوله
الى البيت المعمور متعلق الى المسند واذا هو اي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه اي الى البيت المعمور قال الطيبي الضمير المجرور فيه عايد الى البيت
المعمور اي يدخلون فيه ذاهبين غير عايدين اليه ابدا لكثرتهم ثم ذهب بي بصيغة الفاعل وفي
نسخة المفعول اي انطلق بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في الاصول السدرة بالالف واللام
وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى كذا في شرح مسلم فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا
ثمرها كالقلال فلما غشيها اي السدرة وهو بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية اي جاها
ونزل عليها من امر الله بيانه مقدمة او تقليلية معترضة ما غشي اي غشيها بما الى قوله
تعالى فغشيها ما يغشى فقيل انوار اجنحة الملايكة وقيل فراش الذهب قال القاضي ولعله
مثل ما يغشى الانوار التي تنبعث منها ويتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب
لصفايها واضاتها في نفسها او الوان لا يدرى ما هي وهو الاظهر تغيرت اي السدرة
عن حالتها الاولى الى مرتبتها الاعلى وهو جواب لما فما احد من خلق الله اي من مخلوقاته
وسكان ارضه وسمواته يستطيع ان ينعتها بفتح العين اي يصفها من حسنها تقليلية اي
من كمال جمالها وعظمة جلالها واو حى الي ما اوحى في ابهام الموصول او الموصوفة ايما الى التعظيم
الموحى وانه من قبيل ما لا يحكى ولا يروى ففرض على خمسين صلوة كل يوم فنزلت الى موسى
اي منتهيا اليه فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة وزيد في نسخة صحيحة في
كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت
اي جربت بني اسرايل وخبرتهم اي خبرتهم وامتحنتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
على امتي وعدل لتضمين التهوين فحط عني اي فوضع عن جهتي ولاجلي عن امتي خمسا اي خمس
صلوات ولعل التقدير خمسا خمسا فيوافق رواية عشرا والاظهر رواية عشرا اقتصارا من رواية خمسا
ويويده قوله فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك اي المقدر
الباقي ايضا فارجع الى ربك فاساله التخفيف فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى قال النووي معناه
بين المواضع الذي ناجيته اولا فناجيته ثانيا وبين موضع ملاقاة موسى ولاحتي قال اي سبحانه
وتعالى يا محمد انهن خمس صلوات اي محتمة كل يوم وليلة قال الطيبي الضمير فيه مبهم يفسره
الخبر كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل لكل صلوة اي حقيقة واختيارا عشر اي ثواب عشر
صلوات اي حكما واعتبارا فذلك اي مجموع ما ذكر خمسون صلوة ثم استانف ببيان قضية
اخرى وعطية اخرى متضمنة لهذه الجزيئة المندرجة في القاعدة الكلية حيث قال من
هم بحسنة اي عزم على فعلها فلم يعملها لمانع شرعي او عذر عرفي كتبت بصيغة المجهول
اي كتب له هي الحسنة والتانيث من اضافته الى الحسنة او من قبيل حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه له اي لعاملها حسنة بالنصب اي ثواب حسنة واحدة
قال الطيبي كتبت مبني على المفعول والضمير فيه راجع الى قوله بحسنة وحسنة وضعت
موضع المصدر اي كتبت الحسنة كتابة واحدة وكذا عشرا وكذا اشيا منصوبات
على المصدر على ما في جامع الاصول وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح حسنة وعشر

ووقف [illegible] عز وجل

مرفوعان وهو غلط الناسخ اقول لعله من جهة الرواية واما من طريق الدراية فله وجه في الجملة وهو
ان يكون قوله كتبت له جملة مستقلة مجملة وقوله حسنة بتقدير هي جملة مبينة مفصلة
كان عملها اي بعد ما هم به واهتم بشانها كتبت اي تلك الحسنة المهمومة المعمولة له عشرا
اي ثواب عشر حسنات لانضمام قصد القلب الي مباشرة عمل القالب كقوله تعالي من
جا بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل التضاعف في غير الحرم المحترم ومن هم بسيئة
اولم يصمم علي فعلها فلم يعملها اي فتركها من غير باعث اوبسبب مباح بخلاف ما اذا تركها
لله لم يكتب اي تلك السيئة الموصوفة له شيا اما لو تركها وقد عزم علي عملها فان
تركها لله فلا شك انها تكتب له حسنة وان تركها لغرض فاسد فيكتب له سيئة علي ما
بينه حجة الاسلام في الاحيا وصرح به كثير من العلما فان عملها كتبت له كما في نسخة صحيحة
سيئة واحدة لان السيئة لا تتضاعف بحسب الكمية كما قال تعالي ومن جا بالسيئة فلا
يجزي الا مثلها وهم لا يظلمون اشارة الي ان هذا اعدل كما ان التضاعف فضل قال فنزلت
حتي انتهيت الي موسي فاخبرته فقال ارجع الي ربك فسله التخفيف فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الي ربي اي وراجعته في امر امتي حتي استحييت منه رواه
مسلم وعن ابن شهاب اي الزهري وهو احد الفقها والمحدثين والعلما الاعلام من التابعين
بالمدينة المشار اليه في فنون علوم الشريعة سمع نفرا من الصحابة وروي عنه خلق كثير
منهم قتادة ومالك بن انس عن انس قال كان ابو ذر اي الغفاري من اعلام الصحابة وزهادهم
والمهاجرين اسلم قديما بمكة ويقال كان خامسا في الاسلام وكان يتعبد قبل مبعث النبي
صلي الله عليه وسلم روي عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ذكره المولف يحدث ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فرج بضم فكسر فجيم بالتخفيف او بالتشديد من الفرج والتفريج بمعني
الشق والكشف اي ازيل عني سقف بيتي قال الطيبي فان قيل قد روي انس في حديث
المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي صلي الله عليه وسلم بينما انا في الحطيم او في الحجر
وفي هذا الحديث قال فرج عني سقف بيتي قلنا كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم معراجان
احدهما حال اليقظة ما رواه مالك والثاني في النوم ولعله صلي الله عليه وسلم اراد ببيتي بيت
ام هاني اذ روي ايضا الاسرا منه فاضافه الي نفسه تارة لانه ساكنه واليها اخري لانها
صاحبته وقال بعض المحققين الجمع بين الاقوال الواردة في هذه المواضع انه صلي الله عليه
وسلم نام عند بنت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج سقف بيتها واضاف البيت
الي نفسه لكونه يسكنه فنزل فيه الملك فاخرجه من البيت الي المسجد وكان مضطجعا وبه
اثر النعاس ثم اخرجه من الحطيم الي باب المسجد فاركبه البراق ثم قوله وانا بمكة جملة حالية
للاشعار بان القضية مكية لا مدنية فنزل جبريل ففرج صدري اي شقه ثم غسله بما زمزم
ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه اي صب ما في الطست في صدري ثم اطبقه اي
غطي صدري ولام شقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الي السما فلما جيت اي وصلت الي السما الدنيا
قال جبريل لخازن السما افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال نعم محمد فقال
ارسل اليه قال نعم فلما فتح وفي نسخة بصيغة المجهول علونا السما الدنيا اي طلعناها اذا
رجل قاعد علي يمينه اسودة جمع سواد كازمنة جمع زمان بمعني الشخص لانه يري انه اسود
من بعيد اي اشخاص من اولاده وعلي يساره اسودة اذا وفي نسخة فاذا نظر قبل يمينه بكسر

القاف وفتح الموحدة جانب يمينه ضحك اي لما يري مما يدل علي سروره وبهجته واذا نظر قبل شماله بكي
اي لما يشاهد مما يشعر بشروره وشومه فقال اي بعد السلام ورده مرحبا بالنبي الصالح والابن
الصالح قلت لجبريل من هذا قيل ظاهره انه سال النبي صلي الله عليه وسلم بعد ان قال له ادم مرحبا
ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتبرة فيحمل هذه عليها اذ ليس في هذه اداة تمثيل
اقول الاظهر ان المشار اليه بهذا في السوال انما هو الاسودة واعيد ذكر ادم في الجواب ليعطف
عليه مقصود الخطاب فصح كلام الراوي قال اي جبريل هذا ادم وهذه الاسودة عن
يمينه وشماله وفي نسخة صحيحة وعن شماله نسم بنيه بفتح النون والسين جمع نسمة
وهي الروح او النفس ماخوذ من النسم وهو النفس ومن نسيم الصبا اي ارواح اولاده
السابقين او مع شمول اللاحقين وذكر البنين للتغليب كما في قوله تعالي يا بني ادم
فاهل اليمين اي الاسودة التي عن يمينه منهم اي من جملة جمع الاسودة اهل الجنة والاسودة
التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله وفي نسخة صحيحة
واذا نظر عن شماله بكي قال القاضي قد جا ان ارواح الكفار محبوسة في سجين وارواح الابرار
منعمة في عليين فكيف تكون مجتمعة في السما واجيب بانه يحتمل انها تعرض علي ادم اوقاتا
تصادف وقت عرضها مرور النبي صلي الله عليه وسلم وبان الجنة كانت في جهة يمين ادم
والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ويحتمل ان النسم المرئية هي التي لم
تدخل الاجسام بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين ادم وشماله وقد
اعلم بما سيصيرون اليه فقوله نسم بنيه عام مخصوص والله اعلم حتي عرج بي بصيغة
الفاعل وقيل للمفعول والمعني عرج بي جبريل الي السما الثانية وفي جامع الاصول فلكذا
ثم عرج بي جبريل الي السما الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول
اي مثل مقول الخازن السابق قال انس فذكر اي النبي صلي الله عليه وسلم او ابو ذر مرفوعا
هو الاظهر انه اي النبي صلي الله عليه وسلم وجد في السموات ادم وادريس وموسي وعيسي
وابراهيم الظاهر وجود هارون ويحيي ويوسف ويحتمل اسقاطهم من الرواية ولم
يثبت بكسر الموحدة من الاثبات اي لم يبين ابو ذر او النبي صلي الله عليه وسلم كيف
منازلهم غير انه ذكر انه وجد ادم في السما الدنيا هذا لا خلاف فيه وابراهيم في
السما السادسة هذا موافق لرواية شريك عن انس والثابت في جميع
الروايات غيرها وهو انه في السابعة فان قلنا بتعدد المعراج فلا اشكال والا فالارجح
رواية الجماعة لقوله فيها انه راه مسند ظهره الي البيت المعمور وهو في السابعة
بلا خلاف ولانه قال هنا انه لم يثبت كيف منازلهم فرواية من اثبت ارجح قال
ابن شهاب اي الزهري فاخبرني ابن حزم بفتح الحا وسكون الزاي قال المولف هو
ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم روي عن ابي حبة وابن عباس وعنه الزهري
ثم ابوه وجده ايضا من الصحابة حيث قال المولف ابوه انصاري ولد في عهد رسول
الله صلي الله عليه وسلم سنة عشر بنجران وكان ابوه عامل النبي صلي الله عليه وسلم علي
نجران وكان محمد فقيها روي عن ابيه وعن عمرو بن العاص وعنه جماعة قتل يوم الحرة
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك سنة ثلاث وستين ان ابن عباس وابا
حبة الانصاري بفتح الحا المهملة وتشديد البا الموحدة كذا في شرح السنة

ومصعو جل

وفي المصابيح باليا قال النووي هو بالحا المهملة والبا الموحدة هكذا ضبطناه هنا وفي
ضبطه واسمه اختلاف قيل حبة باليا المثناة تحت وقيل بالنون والاصح ما ذكرناه
وقد اختلف في اسمه فقيل عامر وقيل مالك وقيل ثابت وقال المؤلف هو
ثابت بن النعمان الانصاري البدري وفي كنيته واسمه خلاف كثير ذكره ابن
اسحاق فيمن شهد بدرا فذكره بكنيته ولم يسمه وحبه بتشديد البا الموحدة
هو الاكثر قتل يوم احد كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي
حتى ظهرت اي علوت لمستوى بفتح الواو ومنونا وهو المستقر وموضع الاستعلا
من استوى الشي استعلاه وثبوت اليا بعد الواو يدل على انه صيغة اسم المفعول
واللام فيه للعلة اي علوت لاستعلا مستوى او لرويته او لمطالعته ويحتمل
ان يكون متعلقا بالمصدر اي ظهرت ظهور المستوى ويحتمل ان يكون بمعنى
الى قال تعالى اوحى لها اي اليها وقيل بمعنى على اسمع فيه اي في ذلك المكان او
في ذلك المقام صريف الاقلام اي صوتها عند الكتابة وقيل هو هنا عبارة
عن الاطلاع على جريانها بالمقادير والاصل فيه صوت البكرة عند استقائها
تقال صرفت البكرة تصرف تصريفا والمعنى اني اقمت مقاما بلغت فيه من رفعة
المحل الى حيث اطلعت على الكواين وظهر لي ما يراد من امر الله وتدبيره في
خلقه وهذا والله هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لاحد عليه كذا حققه بعض
الشارحين من علمائنا وقال النووي المستوى بفتح الواو قال الخطابي المراد
به المصعد وقيل المكان المستوى وصريف الاقلام بالصاد المهملة صوت
ما يكتبه الملايكة من اقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح
المحفوظ او ما شا الله تعالى من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده الله من امره
وتدبيره قال القاضي عياض هذا حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي
والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالاقلام التي هي تعالى يعلم كيفيتها
على ما جا به الايات لكن كيفية ذلك وصورته هنا لا يعلم الا الله تعالى وما تاول
هذا ويحيله عن ظاهره الا ضعيف النظر والايمان اذ جات به الشريعة ودلايل
العقول لا تحيله وقال ابن حزم وانس عطف على فاخبرني فهو من مقول ابن
شهاب الزهري قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي وهو لا ينافي ما
سبق من قوله ففرض على خمسين صلوة فرجعت بذلك اي اخذا به وقاصدا
لعمله حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله ما استفهامية وقوله لك اي لاجلك
على امتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع الى ربك اي فسله التخفيف فان
امتك لا تطيق اي هذا الحمل الثقيل فراجعني بمعنى رجعني اي ردني موسى
يعني صار سببا لرجوعي الى ربي فوضع اي الله شطرها اي بعض الخمسين
وهو الخمس الذي هو العشر او العشر الذي هو الخمس على خلاف تقدم فرجعت
الى موسى فقلت وضع شطرها فقال راجع ربك اي ارجع اليه للمراجعة فان
امتك لا تطيق اي ذلك كما في نسخة فرجعت اي الى مكاني الاول فراجعت اي
فراودت الكلام وطالبت المرام مبالغا في ذلك المقام فان المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة

لمذهب

فهي للمبالغة فوضع شطرها فرجعت اليه اي الى موسى فقال ارجع الى ربك فان امتك لا تطيق
ذلك اي ما قدر هنالك فراجعته وفي نسخة فراجعت اي ربي فقال اي في الاخر
على ما في المصابيح والمعنى فقال للنبي صلى الله عليه وسلم في اخر المراجعات نفي وفي
نسخة هن خمس اي خمس صلوات في الادا وهن خمسون اي صلوة في الثواب
والجزا لا يبدل القول لدي يحتمل ان يراد انى ساويت بين الخمس والخمسين في الثواب
وهذا القول غير مبدل او جعلت الخمسين خمسا ولا تبديل فيه قال الطيبي وقوله
استحييت من ربي لا يناسب المعنى قلت لا ينافيه بل يناسبه اذ حمل على
ما قبل وجود العلم بعدم التبديل فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت
استحييت من ربي اي حيث قال لي لا يبدل القول لدي مع انه لا مانع من تعدد
المراجعة ثم انطلق بي حتى انتهى بي بصيغة المجهول فيهما والمعنى ثم ذهب بي
حتى وصل بي الى سدرة المنتهى وغشيها اي بالتخفيف اي والحال انه غشيها
الوان اي من الانوار او اصناف من اجنحة الملايكة او غيرها لا ادري اي الان
او في ذلك الزمان لتوجه نظري الى المكون دون المكان ما هي اي حقيقة ما
هي في ذلك المكان والزمان ثم ادخلت الجنة فاذا للمفاجاة فيها جنابذ اللؤلؤ بفتح
الجيم وكسر الموحدة والذال المعجمة جمع جنبذة بضم الجيم والبا وهي ما ارتفع من الشي
واستدار كالقبة قول العامة ان الجنبذة بفتح البا معرب كنبذة واذا ترابها المسك
وهو الطيب الطيب وفي الخبر انه يفوح ريح الجنة مسيرة خمسماية عام متفق
عليه وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه قال لما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة قال
شارح وهم بعض الرواة في السادسة والصواب في السابعة على ما هو المشهور بين
الجمهور من الرواة انتهى والمعنى ان اضافة السهو الى واحد منهم اولى ولانه ورد ان
علم الخلايق ينتهي اليها وليس كذلك في السادسة على ما لا يخفى وقال النووي
هكذا هو في جميع الاصول قال القاضي كونها في السابعة هو الاصح وقول الاكثرين
وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى قال النووي ويمكن ان يجمع بينهما فيكون
اصلها في السادسة ومعظمها في السابعة فقد علم انها في نهاية من العظم وقد
قال الخليل السدرة في السابعة قد اظلت السموات والجنة وقد ذكر القاضي عياض ان
مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصل المنتهى ان يكون اصلها
في الارض فان سلم فهذا امكن حمله على ما ذكرناه اليها اي الى السدرة ينتهي ما
يعرج به من الارض اي ما يصعد به من الاعمال والارواح الكاينة في الجهة السفلى
فيقبض منها بصيغة المجهول فيه وفيما بعده ويحتمل تعدد القابض واتخاذه وفيها
واليها ينتهي ما يهبط به اي من الوحي والاحكام النازلة من الجهة العليا
فيقبض منها قال اي قرا ابن مسعود في تفسير قوله ما يغشى فراش اي
هو فراش من ذهب يحتمل ان يكون مرفوعا او في حكم المرفوع قال الطيبي
فان قلت كيف التوفيق بين هذا وبين قوله في غير هذا الحديث فغشيها الوان لا
ادري ما هي قلت قوله غشيها الوان لا ادري ما هي في موقع قوله اذ يغشى

في ارادة الابهام والتهويل وان كان معلوما كما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم في
حق فرعون ثم قوله هنا فراش من ذهب بيان له اقول الاظهر والله اعلم انما يغشي
اشيا كثيرة لا تحصى وما لا يمكن ان يحاط بها ويستقصي لان السدرة اذا كانت هي المنتهى
فكيف يكون احاطة العلم بما فوقها مما يغشي وهو لا ينافي ذكر بعض ما راى وروي ونبه
بجمع بين ساير الروايات والاقوال فقيل يغشاها جمع غفير من الملايكة وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال رايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح وقيل فرق من الطير الاخضر وقيل ارواح
الانبيا وقيل غيره لكن علي ان في قوله لا ادري اشارة الي انها لا تشبه الاعيان
المشهودة المستقرة في النفوس الموجوده فينعت لهم بذكر نظايرها ثم اعلم ان الفراش
بالفتح طير معروف ومنه قوله تعالى كالفراش المبثوث وقد قال شارح الفراش ما تراه
كصغار البق يتهافت ويتساقط في النار وقيل يحتمل ان يكون المراد بالفراش ارواح
الانبيا وهذا الابا في قوله في غير هذا الحديث فيغشاها الوان لا ادري ما هي
لجواز ان يكون هذا ايضا مما غشيها انتهى وتبين البون البين بين هذه الاية
وبين قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم حيث انه وقع الابهام هذا لتعظيم والعجز
عن احاطته وفي قضية فرعون اشارة الي معلوميته وحقارته قال اي ابن مسعود
فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تلك الليلة او في ذلك المقام والحالة ثلاثا
اي لها علي ما عداها مزية كاملة اعطي الصلوات الخمس اي فرضيتها واعطي خواتيم
سورة البقرة اي اجابة دعوتها فان قلت هذا بظاهره ينافي ما ثبت في صحيح مسلم
وغيره من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا
من فوقه اي صوتا فرفع راسه فقال هذا ملك نزل الي الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم
وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن
تقرا بحرف منها الا اعطيته قلت لا منافاة فان الاعطا كان في السما من جملة ما اوحي الي
عبده ما اوحي بقرينة اعطا الصلوات الخمس في المقام الاعلى ونزول الملك المعظم الي تعظيم
ما اعطي وبشارة ما خص به من بين ساير الانبيا ثم يشكل هذا بكون سورة البقرة
مدنية وقضية المعراج بالاتفاق مكية فيدفع باستثنا الخواتيم من سورة فهي مدنية
باعتبار اكثرها فقد نقل ابن الملك عن الحسن وابن سيرين ومجاهد ان الله تعالى
تولى ايحاوها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج فهي مكية عندهم واما الجواب على قول
الجمهور ان السورة بكلها مدنية فقد قال التوربشتي ليس معنى اعطي انها نزلت
عليه بالمعنى انه استجيب له فيما لقن في الايتين من قوله سبحانه غفرانك ربنا الى
قوله انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ولمن يقوم بحقها من السايلين قال
الطيبي في كلامه اشعار بان الاعطا بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة
بالطلب والسورة مدنية والمعراج في مكة ويمكن ان يقال هذا من قبيل فاوحى الى
عبده ما اوحى والنزول بالمدينة من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
علمه شديد القوى انتهى وحاصله انه وقع تكرار الوحي فيه تعظيما له واهتماما بشانه
فاوحي اليه في تلك الليلة بلا واسطة ثم اوحي اليه في المدينة بواسطة جبريل وبهذا تبين
ان جميع القران نزل بواسطة جبريل كما اشار اليه سبحانه بقوله نزل به الروح الامين

على قلبك

على قلبك لتكون من المنذرين ويمكن ان يحمل كلام الشيخ على ان المراد هنا بالاعطا استجابة
الدعا مما اشتمل الايتان عليه وهو لا ينافي نزولهما بعد الاسرا عليه قال الطيبي وانما
اوثر الاعطا لما عبر عنها بكنز تحت العرش فقد روينا عن احمد بن حنبل اعطيت خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي وكان لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الله
تعالى مقامان يغبطه بهما الاولون والاخرون احدهما في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في
العقبى وهو المقام المحمود ولا اهتم فيها الا بشان هذه الامة المرحومة وغفر بصيغة
المجهول لمن لا يشرك بالله من امته شيا المقحمات بالرفع على نيابة الفاعل وهو بكسر
الحا اي الكباير المهلكات التي تقحم صاحبها النار اي لم يتجاوز عنه الملك الغفار والمعنى
انه صلى الله عليه وسلم وعد تلك الليلة المخاطبة بهذه المغفرة الشاملة وان نزل قوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا بعد ذلك فانه من
سورة النسا وهي مدنية ولعل عدم ذكر المشية في الحديث لظهور القضية في حكم العدم
هذا وقال ابن حجر المراد بغفرانه انه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد انه لا تعذب
امته اصلا اذ قد علم من نصوص الشرع واجماع اهل السنة اثبات عذاب العصاة
من الموحدين انتهى وفيه انه حينئذ لا يبقي خصوصية لامته ولا مزية للملة اللهم الا ان
يقال المراد به غالب هذه الامة فانها امة مرحومة والله اعلم رواه مسلم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني اي والله لقد ابصرت
نفسي الانفس او علمت ذاتي الاقدس في الحجر اي قايما وقريش اي والحال ان جماعة من
قريش تسالني عن مسراي بفتح الميم مصدر ميمي اي عن سيري الي بيت المقدس
بالضبط فسالتني اي قريش عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها من الاثبات
اي لم احفظها ولم اضبطها لاشتغالي بامور اهم منها فكربت بصيغة المفعول اي احزنت
كربا كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق والمعنى حزنا شديدا ويناسبه
قوله ما كربت اي مثل ذلك الكرب وفي القاموس الكرب الحزن ياخذ بالنفس كالكربة
وكربه الغم فهو مكروب قال الطيبي كذا في المصابيح وفي شرح صحيح مسلم كربة قال النووي
الضمير في قوله مثله يعود على معنى الكربة وهو الغم والهم او الشي قال الجوهري الكربة
بالضم الغم الذي ياخذ النفس لشدته فرفعه الله اي بيت المقدس لي اي لاجلي انظر
اليه حال والمعنى رفع الحجاب بيني وبينه لانظر اليه واخبر الناس بما اطلعت عليه وهذا
معنى كلامه مستانفا مبينا ما يسالوني بتشديد النون وتخفيفها عن شي الا انباتهم
اي اخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة ولذا لم يقل ما سالوني بصيغة الماضية وقد
رايتني في جماعة من الانبيا اي مجتمعا في ليلة الاسرا كما يدل عليه السياق والسباق
واللحاق وهذه الرواية غير روية السما بالاتفاق ثم قيل رويته اياهم في السما محمولة
على روية ارواحهم الا عيسى لانه ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ذلك واما
الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح ويحتمل الاجساد بارواحها والاظهر
ان صلاته لهم في بيت المقدس كان قبل العروج قلت قد سبق انهم احيا عند
ربهم وان حرم على الارض ان تاكل لحومهم ثم اجسادهم كارواحهم لطيفة غير كثيفة
فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال ومما يويد

ومما ـــــــ عز وجل

شكل الانبيا وتصورهم على وجه الجمع بين اجسادهم وارواحهم قوله فاذا موسى قايم يصلي فان
حقيقة الصلوة وهي الاتيان بالافعال المختلفة انما تكون للاشباح لا للارواح لاسيما والتعرض
في المعنى المراد قوله فاذا رجل ضرب اي نوع وسط من الرجال او خفيف اللحم على ما في النهاية
جعد بفتح فسكون وفيه معنيان احدهما جعودة الجسم وهو اجتماعه والثاني جعودة الشعر والاول
اصح ههنا لما جاء في رواية ابي هريرة انه رجل الشعر كذا قاله صاحب التحرير وقال النووي يجوز
ان يراد به المعنى الثاني ايضا لانه يقال شعر رجل اذا لم يكن شديد الجعودة كانه من رجال شنوءة
وهي قبيلة مشهورة واذا عيسى قايم يصلي فيه ايما اليه ان الصلوة معراج المومن من حيث
انها حالة حضور الرب وكمال القرب في الحالات وانواع الانتقالات وهو من اعظم اللذات عند
عشاق الذات والصفات اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي نسبة الى ثقيف
قبيلة وليس هذا اخا لعبد الله بن مسعود كما في بعض حواشي المصابيح فانه هذلي
واذا ابراهيم قايم يصلي اشبه الناس به اخبار متفاوتة لابراهيم قال الطيبي والمعنى
اكثر الناس شبها بابراهيم صاحبكم يعني نفسه هذا من كلام ابي هريرة او من بعده اي
يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله صاحبكم نفسه وذاته اشارة الى قوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون ثم رويته اياهم يصلون يحتمل انها كانت في اثنا الاسرا الى بيت المقدس او في نفس
المسجد الاقصى وهو المعبد الاعلى ويويده الفا التعقيبية في قوله فحانت الصلاة اي دخل
وقتها ولعل المراد بها صلاة التحية او يراد بها صلوة المعراج على الخصوصية فاممتهم اي صرت
لهم اماما في شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض فان قيل كيف راى موسى عليه السلام
يصلي وام صلى الله عليه وسلم الانبيا في بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات
فالجواب انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم راهم وصلى بهم في بيت المقدس ثم صعدوا الى
السما فوجدهم فيها وان يكون اجتماعهم وصلوته معهم بعد انصرافه ورجوعه
عن سدرة المنتهى انتهى والاظهر انه لا مانع من الجمع حيث لا يخالفه العقل والسمع مع ان
الامور الخارقة للعادة عن الكيفية العقلية خارجة فقد روي انه قيل للسيد عبد
القادر ان قضيب البان ما يصلي فقال لا تقولوا فان راسه دايما على باب الكعبة ساجد
وتشكله بصور المتعددة في الاماكن المختلفة معروف عند طبقة الصوفية فكان الانبيا
عليهم السلام كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم فلما
تبين لهم اسرار سيد الانبيا الى جهة السما استقبلوه واجتمعوا له في بيت المقدس الذي
هو مقر الاصفيا واقتدوا بالامام الحي الذي هو افضل رجال الطي ثم تقدموا بطريق المشايعة
واداب المتابعة الى السموات وتوقف كل في ما اعطاه الله تعالى من المقامات فمر عليهم وخص
كلا بالسلام عليه وهم اظهروا له الترحيب والتعظيم لديه مع ساير الملايكة المقربين وحملة العرش
والكروبيين الى ان تجاوز عن سدرة المنتهى وانتهى الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى
الى عبده ما اوحى ما كذب الفواد ما راى وهذا غاية القرب ونهاية الحب ثم بمقتضى
البقا بعد الفنا والتفرقة بين الجمع والتدلي بعد الترقي والرجوع الى البداية بعد
العروج الى النهاية للحكم الصمدانية وللقسم الفردانية رجع عن حاله من العظمة النبوية
والدولة الخاتمية واجتمع بساير الانبيا ثانيا ونزلوا معه متقدمين او متاخرين
او ثانيا الى انهم اجتمعوا الى المسجد الاقصى اخرا وصلى بهم صلوة مودع فاخرا ثم قوله

فلما فرغت

فلما فرغت من الصلوة يحتمل ان يكون قبل صعوده وان يكون بعد شهوده قال لي قايل
هو جبريل او غيره من ملك جليل يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه اي تعظيما لجلال
الملك القهار وتواضعا لما هو داب الابرار فالتفت اليه اي عطفا فبداني بالسلام عليه
قبل اني بالسلام اي لما عرفت من تعظيم المقام واداب الكرام وقال الطيبي انما بدا
بالسلام ليزيل بالسلام ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبيا ابتدا انما سبق
قلت قد سبق انه ابتدا بالسلام عليهم تواضعا لهم وتكميلا لهم ولانه قايما وهم قعود
على ما صرح به في ادم اولانه كان مار واهم وقوف وهو مختار الشيخ التوربشتي اولانه
حي وانهم في صورة الاموات والله اعلم بحقيقة الحالات رواه مسلم وهذا
الباب خال عن الفصل الثاني اي فلا تشتغل به من قوله الفصل الثالث
عن جابر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني اي
نسبني الى الكذب من قريش اي فيما ذكرت من قضية الاسراء طلبوا مني
علامات بيت المقدس وما طريقه من الانس قمت في الحجر اي في موضع بدي
في الصعود او لا ليتجلى لي الشهود ثم انبا فجلى الله بتشديد اللام من التجلية
اي فاظهر لي بيت المقدس اي وطريقه الاقدس فطفقت بكسر الفا قبل
القاف اي فشرعت اخبرهم عن اياته اي علامات بيت المقدس ودلالاته
مما يكون من شواهد حالات النبي صلى الله عليه وسلم ودلايل معجزاته وانا
انظر اليه اي وكان نظري واقع عليه وحسه حاضر لديه متفق عليه باب
في المعجزات المعجزة ماخوذة من العجز الذي هو ضد القدرة وفي التحقيق
المعجز فاعل العجز في غيره وهو الله سبحانه وسميت دلالات صدق الانبيا واعلام
الرسل معجزة لعجز المرسل اليهم عن تعارضهم بمثلها والها فيها اما للمبالغة كعلامة
ونسابة واما ان يكون صفة لمحذوف كاية وعلامة ذكره الطيبي الفصل
الاول عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
بصيغة الافراد في اصح النسخ بنا على نهاية خصوصيته وغاية مزيته لاسيما
في هذا المقام فانه بالنسبة الى انس كالسيد والغلام نظرا الى انه الاستاذ
واليه الاسناد مع احتمال ان الترضية من كلام الانس وفي نسخة رضي الله
عنهما جمعا بينهما لادا حقوقهما واصل استحقاقهما قال نظرت الى اقدام المشركين
على روسنا اي كانها فوق روسنا ونحن اي انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار اللام للعهد الذهني نحو قوله تعالى اذ هما في الغار اي غار ثور لاختفا
من الكفار على قصد الهجرة الى الدار قال الطيبي الغار نقب في اعلى ثور وهو جبل
بيمني مكة على مسيرة ساعة اي ساعة نجومية او المراد بها مدة قليلة قيل طلع
المشركون فوق الغار في طلب سيد الابرار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخاف ان تصيب اليوم ذهب دين الله وقال ايضا من كمال الاضطراب
خوفا عليه اذ ذكر الخطاب مارواها نسبه عنه فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه
اي موضعهما ابصرنا اي لتقابلنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما فنزل قوله
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار

اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ونسبة الاخراج اليهم لكونهم سببا لخروجه بامر الله
اياه لحكمة اراد الله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فجعلوا
يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه انتهى ولا يخفى ان
القصة بانضمام هذه الرواية وما في معناه من قضية الحمامة والعنكبوت حيث
اظهرها الله في عيونهم على باب الغار تصير معجزة هذا وقال الطيبي معنى قوله الله
ثالثهما جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى اليهما في المعية المعنوية التي اشار اليها
بقوله سبحانه ان الله معنا ثم قال فان قلت اي فرق بين هذا وبين قوله
تعالى لموسى وهارون لا تخافا انني معكما قلت بينهما بون بعيد لان معنى قوله
معكما ناصركما وحافظكما من مضرة فرعون ومعنى قول الله ثالثهما ان الله تعالى
جاعلهما ثلاثة فيكون سبحانه احد الثلاثة وان كل واحد منهم مشترك فيما
له وعليه من المضرة والخذلان فان قلت ما الفرق بين قول الله ثالثهما وبين
قوله ثالثهما الله قلت يفيد الاول انهما مختصان بان الله ثالثهما وليس ثالث
غيرهما وفي عكسه يفيد ان الله تعالى ثالثهما اطلاق الثالث على الله وهو كلام
حق ليس فيه زيغ وفي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اطلاق
الثالث عليه كفر وكفر القائلون به فما سبب ذلك اجيب بان في الحديث اضافة
الثالث الى عدد انقص منه وذلك بمعنى واحد منهم تعالى وتقدس قلت
وكذا ازال الاشكال به من قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم حيث لم يقل ثالثهم وخامسهم ثم رفع وهم المعية الكائنة
بالجهة السبحانية والنية البرهانية حيث عمم الحكم بقوله ولا ادنى من ذلك
ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا الاية متفق عليه وعن البراء بن عازب صحابيان
جليلان عن ابيه انه قال لابي بكر يا ابا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت
من سرى لغة في اسرى بمعنى السير في الليل اي حين سافرت من مكة الى المدينة
المهجرة بعد الخروج من الغار قال اسرينا ليلتنا اي جميعها ومن الغد اي وبعضه
وهو نصفه كما يفيده قوله حتى قام قائم الظهيرة اي بلغت الشمس وسط
السما ففي النهاية اي قام الشمس وقت الزوال من قولهم قامت به دابته
اي وقفت والمعنى ان الشمس اذا بلغت وسط السما ابطات حركة الظل الى ان تزول فيحسب
الناظر انها قد وقفت وهي سائرة لكن سيرا لا يظهر له اثر سريع كما يظهر قبل الزوال
وبعده فيقال لذلك الوقوف المشاهد قام قائم الظهيرة وخلا الطريق اي صار خاليا
من مرور الفريق لا يمر فيه احد تاكيد لما قبله او بيان فرفعت لنا صخرة طويلة
اي اظهرت قال الطيبي ومنه رفع الحديث وهو اذاعته واظهاره وفيه بحث لان
الحديث المرفوع خاص بما اسند اليه صلى الله عليه وسلم وسمي الحديث به لانه كان
الرفعة بسببه لها اي لتلك الصخرة ظل اي عظيم من صفة انه لم تات بالتانيث ويذكر
لم يحل عليه الشمس اي بشعاعها حينئذ فنزلنا عندها اي عند الصخرة وسويت
للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا بيدي بصيغة التثنية اشعارا بزيادة الاهتمام
في الخدمة ينام عليه استئنافا تعليل او صفة لمكانا وبسطت عليه فروة اي فرش

ووقع سعو جل

علي المكان

علي المكان جلدا بشعره وقلت نم يا رسول الله وانا انفض ما حولك بضم الفاء اي اتجسس
الاخبار واتفحص عن العدو واربه هل هناك موجود من عدو وغيره من النفض الذي هو
سبب النظافة من نحو الغبار وفي النهاية اي احرسك واطوف هل ارى طلبا يقال نفضت
المكان اذا نظرت جميع ما فيه والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين
هل يرون عدوا او خوفا فنام وخرجت انفض ما حوله فاذا انا براع مقبل بالجر صفة راع ومعناه
جاء من قبلنا ومن جهة قدامنا قلت افي غنمك لبن قال نعم قلت افتحلب بضم اللام ويجوز كسر
على ما في القاموس والمعنى افتحلبه لي قال نعم فاخذ شاة فحلب في قعب بفتح القاف وسكون
العين اي في قدح من خشب مقعر كثبة بضم الكاف وسكون المثلثة فموحدة اي قدر حلبة
من لبن وقيل ملا القدح من اللبن فقوله من لبن على قصد التجريد ولمزيد التاكيد ومعي
اداوة بكسر الهمزة اي ظرف ماء من مطهرة او سقاية حملتها للنبي صلى الله عليه وسلم اي خاصة
او خالصة في النية وقصد الطوية يرتوي فيها قال التوربشتي رويت من الماء بالكسر
وارتويت وترويت كلها بمعنى قال الطيبي فعلى هذا ينبغي ان يقال يرتوي منها لا فيها
قلت في القاموس ان في تاتي بمعنى من او التقدير يرتوي من الماء فيها وقال النووي معنى
يرتوي فيها جعل القدح الة للري والسقي ومنه الراوية الابل التي يستقى عليها الماء
انتهى فعلى هذا يكون في بمعنى الباء ثم قوله يشرب ويتوضى مستانفان للبيان والجملة
اعني قوله ومعي الخ حالية معترضة بين قوله فحلب وقوله فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم اي باللبن فكرهت ان اوقظه اي انبهه من النوم لاستغراقه فيه فوافقته بتقديم
الفاء على القاف في النسخ المصححة اي تانيت به حتى استيقظ وابعد من قال اي فوافقته
في النوم الان ثم قال المعنى فوافقته في اختياره النوم لان الايقاظ نوع مخالفة له قال
صاحب الخلاصة وفي بعض نسخ البخاري حين استيقظ اي وافق اتياني وقت
استيقاظه ويؤيده ما في بعض الروايات فوافقته وقد استيقظ وقال شارح روي
بتقديم القاف على الفاء من الوقوف والمعنى صبرت عليه وتوقفت في المجي اليه حتى
استيقظ فصببت من الماء اي بعضه على اللبن اي لتبريده حتى برد اسفله كناية عن
كثرته فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت اي طاب خاطري ثم قال الم يان للرحيل
من انى يانى اذا دخل وقت الشي والمعنى الم يدخل وقت الرحيل كذا قاله شارح والاظهر
في المعنى الم ياتي وقت التحويل للرجل وهو السير الجميل الى موضع النخيل فيطابق قوله
تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قلت بلى قال اي ابو بكر فارتحلنا بعد
ما مالت الشمس اي من وسط السما وحصل برد الهوا واتبعنا بتشديد التا الفوقية
وفي نسخة بهمزة قطع وسكون فوقية اي وقد لحقنا سراقة بن مالك بضم السين قال
المولف في فصل الصحابة هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني كان ينزل قديدا
ويعد في اهل المدينة روى عنه جماعة وكان شاعرا مجيدا فقال اتينا بصيغة المجهول
اي اتانا العدو يا رسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فارتطمت به فرسه اي ساخت قوائمها كما تسوخ في الرمل الى بطنها في جلد بفتحتين
اي صلب من الارض فقال اني اراكما بفتح الهمزة من الراي دعوتما علي اي بالمضرة فادعوا
لي اي بالمنفعة والنجاة من المشقة فالله لكما بالرفع وفي نسخة بالنصب قال شارح

هو مرفوع بالابتدا اي فالله تكفيل علي لكما اي ان لا اهم بعد ذلك لعدركما فالله مستجيب
والفا للسببية ان اردعنكما الطلب اي اطلب الكفار الذين طالبوكما وقال الاشرف
الجار محذوف وتقديره بان اراد وقوله وقوله فالله لكما حشو بينهما ويمكن ان يقال
فالله مبتدا لكما خبره وقوله ان ارد خبر ثان للمبتدا وقال غيره معناه فادعوالي كي لا ابرح
فرسي علي ان اترك طلبكما ولا اتبعكما بعد ثم دعا لها بقوله فالله لكما ان الله تعالى حافظكما وناصركما
حتى تبلغا بالسلامة الى مقصدكما ويجوز ان يكون معناه ادعوالي حتى انصرف عنكما
فان الله تعالى قد تكفل بحفظكما عني وحبسني عن البلوغ اليكما قال الطيبي الفا في
فالله يقتضي ما يترتب ما بعدها عليه فالتقدير ادعوالي بان اتخلص مما انا فيه فانكما
ان فعلتما فالله اشهد لاجلكما ان اردعنكما الطلب ويؤيد هذا التقدير ما في شرح السنة والله
على القسم اي اقسم بالله لكما علي ان ارد الطلب عنكما فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا اي
فتخلص من العنا كما رجا وجعل اي فشرع في الوفا بما وعد لا يلقى احدا اي من ورايهما الا قال
كفيتم بصيغة المفعول وفي لقد كفيتم اي استغنيتم عن الطلب في هذا الجانب لاني
كفيتم ذلك ما ههنا اي ليس ها هنا احد فانافية على ما ذكره بعض الشراح وقال
الطيبي ما ههنا بمعنى الذي اي كفيتم الذي ها هنا انتهى والاول اظهر وهو اولى لما يستفاد
منه التاكيد كما لا يخفى كقوله فلا يلقى احدا الا رده اي بهذا المعنى متفق عليه قال النووي
فيه فوايد منها هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفضيلة الباهرة لابي بكر
رضي الله عنه من وجوه وفيه خدمة النبي صلى الله عليه وسلم التابع للمتبوع واستصحاب
الركوة ونحوها في السفر للطهارة والشرب وفيه فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته
وعن انس قال سمع عبد الله بن سلام بتخفيف اللام وهو من اجلا الصحابة الكرام ومن
اولاد يوسف عليه السلام وكان اولا من احبار اليهود واعلمهم بالتوراة فعلم بمقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بفتح الميم والدال اي بقدومه من مكة الى المدينة وهو اي والحال
ابن سلام في ارض اي في بستان يخترف اي يجتني من الفواكه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
اي فجاءه فقال اني سايلك عن ثلاث اي ثلاثة اشيا لا يعلمهن الا نبي اي او من ياخذ منه او من
كتابه لبلا يشكل بانه كان ممن يعلمها اما مجملا او مفصلا ولهذا صار جوابها معجزة له دعا اليقين
بنبوته عنده وهو الظاهر من ايراد الحديث في هذا الباب ويمكن ان يكون قد تحقق
عنده معجزات اخر منضمة الى هذا الجواب والله اعلم بالصواب فما اول اشراط الساعة اعلاماتها
وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع بكسر الزاي يقال نزع الولد الى ابيه اذا اشبهه ذكره الزبيدي
فالمعنى وما يشبهه الولد بالنصب الى ابيه او الى امه للتنويع ولعل المراد قومهما او اصل
الشبه او الحكم غالبي عادي وفي نسخة برفع الولد واليه يشير ما قال الطيبي اي ما سبب نزوع
الولد وميله الى احد الابوين فحذف المضاف وان المصدر به من المضارع كما في قوله احضر
الوغى انتهى والاظهر ما قال شارح معناه اي شي يجذب الولد الى ابيه في الشبه قال اخبرني
بهن جبريل قاله رفعا لتوهم انه سمع من بعض علما اهل الكتاب انفا بالمد ويقصر اي هذه
الساعة اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس اي تجمعهم من المشرق الى المغرب
واما اول طعام ياكله اهل الجنة اي المسمى بنزل المعبر عنه بما حضر وهو مقدمة بقية
النعمة فزيادة كبد حوت اي طرفها وهي اطيب ما يكون من الكبد وقد قيل انه الحوت الذي على ظهره

ومعـــــــ لله عز وجل

الارض

الارض واذا جعل الارض طعمة لاهل الجنة فالحوت كالادام لهم كذا ذكره شارح وهو مشعر بان هذه
الطعمة يوم القيامة لاهل الجنة واذا سبق ما الرجل اي علا وغلب ما المراة نزع الولد بالنصب
اي جذب الرجل او ماوه الولد الى شبهه وبرفعه واذا سبق ما المراة نزعت اي جذبت المراة الولد
وفي نسخة برفع الولد واليه ينظر ما قال المظهر يعني اذا غلب ما الرجل اشبه الولد واذا غلب ما
المراة اشبهها الولد فعلى هذا التانيث في نزعت بتاويل النسمة وقال شارح قوله نزعت
اي جذبت المراة بالولد الى مشابهتها بسبب غلبة مايها وجذبة ماوها فاكتسى التانيث
من المضاف اليه انتهى واما نسبته المذكورة والانثى فباعتبار مسابقة ما الرجل وعكسه
على ما ورد في حديث اخر قال اي ابن سلام اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم استانف
وقال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت بضم موحدة وسكون ها في النهاية هو جمع بهوت
من بنا المبالغة في البهتان كصبور وصبر ثم سكن تخفيفا وانهم ان يعلموا باسلامي من
قبل ان تسالهم اي عني يبهتوني بتشديد النون وتخفف اي يبهتونني كما في بعض
النسخ المصححة اي ينسبوني الى البهتان ويجعلوني مبهوتا حيران ولم يكن اسلامي
عليهم حجة واضحة البرهان فجات اليهود اي باحضارهم او اتفاقا الى ما تام وابن سلام
في اختفا عنهم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم اي فيما بينكم او في زعمكم ومعتقد
قالوا اخيرنا وابن خيرنا اي في الحسب من العلم والصلاح وسيدنا وابن سيدنا اي في
النسب او في ساير مكارم الاخلاق قال ارايتم اي اخبروني ان اسلم عبد الله بن سلام اي فهل
تسلمون قالوا اعاذه الله من ذلك اي معاذ الله ان يتصور هذا منه فخرج عبد الله فقال اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا اي هو شرنا وابن شرنا فانتقصوه من النقص
وهو العيب قال هذا اي هذا الانتقاص هو الذي كنت اخاف احذره وحملتكم على سوالهم
تصديقا لحالهم وشهادة على مقالهم يا رسول الله رواه البخاري وعنه اي عن انس رضي الله
عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور اي اهل المدينة للامتحان حين بلغنا اقبال
ابي سفيان اي بالعير من الشام الى مكة وقام سعد بن عبادة اي وقد قام من بين
الصحابة وهو رئيس الانصار لانه لم يكن بايعهم على ان يخرجوا معه للقتال وطلب العدو
وانما بايعهم على ان يمنعوه ممن قصده فلما عرض له الخروج لعير ابي سفيان اراد ان يعلم انهم يوافقونه
على ذلك ام لا فاجابوا احسن بالموافقة التامة في هذه المرة وفي غيرها وفيه حث على استشارة
الاصحاب واهل الراي والخبرة قال الطيبي وذلك ان قريشا اقبلت من الشام فيها تجارات عظيمة
ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاعجب المسلمين تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم
فلما خرجوا بلغ مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال
لا والله فمضى بهم الى بدر ونزل جبريل فاخبر ان الله وعدكم احدى الطايفتين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقام سعد
ابن عبادة فقال يا رسول الله والذي نفسي بيده لو امرتنا ان نخيضها بضم النون وكسر
الخاء اي ندخل الدواب بقرينة المقام ودلالة المرام البحر لاخضناها قال القاضي الاخاضة الادخال
في الماء والكناية للخيل والابل وانما لم يذكرها بقرينة الحال ولو امرتنا ان نضرب اكبادها قال القاضي
ضرب الاكباد عبارة عن تكليف الدابة للسير بابلغ مما يمكن فالمعنى لو امرتنا بالسير البليغ

والسير السريع الى برك الغماد اي مثلا من المواضع البعيدة وهو بفتح الموحدة وضم الغين المعجمة ويكسر
قال شارح ومنهم من يجعل كسر الغين وكسر البا انهما الروايتين قال النووي هو بفتح البا واسكان
الرا هو المشهور في كتب الحديث وروايات المحدثين وقال القاضي عياض عن بعض اهل اللغة
صوابه كسر البا وكذا قيده شيوخ حديثنا ابي ذر في البخاري واتفقوا على ان الرا ساكنة
الا ما حكاه القاضي عن الاصيلي باسكانها وفتحها وهذا غريب ضعيف والغماد بكسر الغين
المعجمة وضمها لغتان مشهورتان واهل الحديث على ضمها واللغة على كسرها قلت رواية
المحدثين ارجح وللاعتماد اصح قال وهو موضع باقصى هجر واختار غيره انه موضع من
وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل وقيل بلد من اليمن ثم قوله لفعلنا جواب لو ولعل وجه
العدول عن ضربنا اكبادها اليه للايجاز او للايماء الى ان كل امر صعب كالسير في بحر والسفر في بر
لو امرتنا بفعله لفعلنا قال اي انس فندب اي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
اي المهاجرين والانصار فانهم كانوا هم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا وهو مشهد
معروف وياتي بيانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذا مصرع فلان اي مقتل
فلان من الكفار وهذا مهلكه فلان وهذا مطرح فلان حتى عد سبعين منهم ويضع يده
على الارض ههنا وههنا اشارة الى خصوص تلك القطعة من الارض لزيادة توضيح المعجزة
قال اي انس فما ماط اي ما زال وبعد وتجاوز احدهم اي من الكفار عن موضع يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وهو اي والحال انه في قبته يوم بدر الحديث من جملة مراسيل الصحابة
ان ابن عباس ما حضر بدرا والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله اللهم انشدك
بضم الشين اي اطلبك واسالك عهدك اي امانك ووعدك اي انجازه اللهم ان تشأ
اي عدم العبادة او عدم الاسلام او هلاك المومنين لا تعبد بالجزم على جواب الشرط
بعد اليوم لانه لا يبقى على وجه الارض مسلم وفيه اشعار بان الله تعالى سبحانه لا يجب
عليه شي مع انه لا خلف في وعده بل ولا في وعيده من حيث انه لا يجوز الخلف في خبره فالخوف
انما هو لاحتمال استثنا مقدر او قيد مقرر او وقت محرر وهذا مجمل المرام في هذا المقام
واما تفصيل الكلام فقد قال التوربشتي يقال نشدت فلانا انشده نشدا اذا
قلت له نشدتك الله اي سالتك بالله وقد يستعمل في موضع السوال والعهد
ههنا بمعنى الامان يريد اسالك امانك وانجاز وعدك الذي وعدته بالنصر
فان قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بالله وقد علم ان الله سبحانه لم يكن
ليعد وعدا فيخلفه فما وجه هذا السوال قلنا الاصل الذي لا يفارق الحكم هو ان
الدعا مندوب اليه علم الداعي حصول المطلوب او لم يعلم ان العلم بالله تعالى يقتضي الخشية
منه ولا ترفع الخشية من الانبيا عليهم السلام بما اوتوا ووعدوا من حسن العاقبة
فيجوز ان يكون خوفه من مانع ينشا ذلك من قبله او من قبل امته فيحبس عنهم
النصر الموعود ويحتمل انه وعد بالنصر ولم يعين له الوقت وكان على وجل من تاخر
الوقت فتضرع الى الله تعالى ليعجل له الوعد في يومه ذلك واما ما ظهر من الضراعة فقيل
الاحسن ان يقال ان مبالغة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوال مع علمه بثقة
بربه وكمال علمه كان به تشجيع الصحابة وتقوية لقلوبهم لانهم كانوا يعرفون

ان دعاه لا محالة مستجاب لا سيما اذا بالغ فيه قلت وفيها اشعار بان من لم يقدر على المحاربة
او لم يومر بالمقاتلة فينبغي له ان يدعو بالنصرة ليحصل له ثواب المشاركة فانه صلى الله
عليه وسلم لما راى اصحابه انهم توجهوا الى الخلق رجع بنفسه الى الذات المطلق وراجع ربه
في طلب الحق قال الطيبي المراد بالوعد ما في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم ولعله صلى الله عليه وسلم استحضر معنى قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين وقوله
سبحانه والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك اي يكفيك
ما دعوت يا رسول الله الححت على ربك اي بالغت في السوال والجملة استينافا في بيان للحال
فخرج اي صلى الله عليه وسلم من قبته وهو يثب بكسر المثلثة المخففة قبل الموحدة من
الوثوب اي يسرع فرحا ونشاطا في الدرع اي حال كونه في درعه للمحافظة وعلى نية المقاتلة
وهو يقول اي بعدما نزل عليه سيهزم الجمع اي جمع الكفار ويولون
اي ويدبرون الدبر بضمتين اي الظهر وقال شارح بضم البا وسكونها ثم الجملة الثانية تاكيد
للاولى ويمكن ان يكون الهزيمة كناية عن المغلوبة فالمعنى سيغلب الجمع بل الحمل عليه
اولى مراعاة للتاسيس كما لا يخفى رواه البخاري وكذا النسائي وعنه اي عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر قال النووي بدر ما معروف على نحو اربع مراحل من المدينة
بينها وبين مكة قال ابن قتيبة هو بئر كانت لرجل يسمى بدرا وكانت غزوة بدر يوم الجمعة
لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة هذا جبريل اخذ براس فرسه
عليه اي على جبريل اداة الحرب اي آلته ولعله صلى الله عليه وسلم اظهره لانس حتى ابصره
كما يشير اليه قوله هذا لانه في الاصل موضوع المحسوس وبهذا يتبين وجه ايراد الحديث
في باب المعجزات رواه البخاري وعنه اي انس رضي الله عنه قال بينما رجل اي انصاري
من المسلمين يومئذ يشتد اي يسرع ويعدو في اثر رجل بكسر الهمزة وسكون المثلثة
وفي نسخة بفتحهما اي في عقب رجل من المشركين امامه واقع قدامه اذ سمع اي المسلم
فالحديث من مراسيل الصحابة كما يدل عليه آخره ضربة اي صوت ضربة بالسوط فوقه اي فوق
المشرك وصوت الفارس يقول اقدم بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى اعزم حيزوم اي يا حيزوم وهو
اسم فرسه وفي نسخة بضمها بمعنى تقدم قال النووي هو بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من
الاقدام قالوا وهي كلمة زجر للفرس اقول فكانه يومر بالاقدام فانه ليس له فهم الكلام
واما بالنسبة الى فرس الملك فيمكن حمله على الحقيقة او على خرق العادة وبعيد النداء
باسمه والله اعلم ثم قال وقيل بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم والاول اشهرهما
وحيزوم اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف الندا وقال شارح سمي باقوى ما
يكون من الاعضا منه واشد ما سيظهر به الفارس في ركوبه منه وهو وسط الصدر
وما يضم عليه الحزام قلت ويمكن ان يكون فيعول للمبالغة من مادة الحزم وهو
شدة الاحتياط في الامر اذ نظر اي المسلم الى المشرك امامه خر مستلقيا اي سقط على
قفاه فاذا هو اي المشرك قد خطم بضم الخاء المعجمة من الخطم وهو الاثر على الانف فقوله
انفه للتاكيد او بمعنى التجريد وقال شارح للمصابيح اي كسر وقطع اثرها انتهى وهو
يشعر بان رواية المصابيح بالحاء المهملة كما لا يخفى والحاصل انه جرح انفه وشق
وجهه اي قطع طولا كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع بتشديد الراء اي صار موضعه

الضرب كله اخضر او اسود فان الخضرة قد تستعمل بمعنى السواد كعكسه للمبالغة ومن قبيل
الثاني قوله تعالى مدهامتان في الانصار رضي فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صدقت فيه ان هذا الكشف كرامة للصحابي وكل منه الاتباع بمنزلة معجزة المتبوع
لاسيما وقوعه في حضرته وحصوله لاجل بركته او تهالا خبر الصحابي وهو تقفة تنقل
الصحيح عما يدل على انه والملك للمعاونة وقصد قه الصادق المصدوق هذه المقالة
فيصح عده من المعجزة ثم في قوله ذلك من عدد السما الثالثة تنبيه على ان المدد كلها
من السموات كلها وهذا من الثالثة خاصة فالاشارة الى الملك في ذلك وهو مبتدا
ما بعده واغرب الطيبي حيث اعرب وقال ذلك مفعول صدقت وقال اشارة الى
المذكور من قوله سمع ضربة الخ فقتلوا اي المسلمون يومئذ سبعين واسروا سبعين
وفي نسخة على بنا المفعول فيهما فضميرهما راجع الى المشركين رواه مسلم وعن سعد
ابن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم
احد رجلين الظاهر انهما على سبيل التوزيع بان يكون كل منهما على جانب منه ولا
كانوا وبعة عليهما ثياب بيض يقاتلان كاشد القتال الكاف زائدة للتاكيد ذكره
الطيبي ولا يظهر وجه كونه للتاكيد والاظهر ان معناه قتالا مثل اشد قتال
رجال الادمي ما رايتهما قبل ولا بعد اي فتعين انهما من الملائكة وقوله يعني جبريل
وميكائيل من قول الراوي ادرجه بيانا ولعله عرف ذلك من دليل رواه
البخاري وعن البرا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا قال
شارح الرهط ما دون العشرة من الرجال ليست فيهم امراة وفي القاموس
الرهط ويحرك من ثلاثة او سبعة الى عشرة او ما دون العشرة او ما فيهم
امراة ولا واحد له من لفظه الى ابي رافع قال القاضي كنية ابي الحقيق اليهودي
اعني عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم نبذ عهده وتعرض له بالهجا
وتحصن عنه بحصن كان له فبعثهم اليه ليقتلوه فدخل عليه عبد الله بن
عتيك بفتح فكسر بيته ليلا وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك ليلا وهو
نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك اي في صفة قتله فوضعت السيف في بطنه
حتى اخذ في ظهره قال الطيبي عداه بفي على تشديد التمكن واخفه منه كما اخذ
واليه اشار بقوله حتى اخذ في ظهره فعرفت اي فعلمت اني قتلته فجعلت افتح الابواب
ولعله بعد فتحي اولا ردها حفظا وراءه او طلع عليه من طريق اخر حتى انتهيت
الى درجة فوضعت رجلي اي على ظن اني وصلت الارض فوقعت اي سقطت
من الدرجة في ليلة مقمرة بضم الميم الاولى وكسر الثانية اي مضيئة قال
الطيبي يعني كان سبب وقوعه على الارض ان ضوء القمر وقع في الدرج ودخل
فيه فحسب ان الدرج معا والارض فوقع منه على الارض فانكسرت ساقي
فعصبتها بعمامة اي شددتها بالصاد وتخفيف للمبالغة والتكثير
بعمامة بكسر العين فانطلقت الى اصحابي اي من الرهط الواقفين اسفل
القلعة فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم اي مع اصحابي فحدثته اي
ما جرى لي وعلي فقال ابسط رجلك اي مدها فبسطت رجلي فمسحها

وفي نسخة حل

فكانما

فكانما لم اشتكها قط اي كانها لم تتوجع ابدا رواه البخاري وعن جابر رضي الله عنه
قال انا اي نحن معاشر الاصحاب كنا يوم الخندق نحفر اي الارض حول المدينة
بيننا وبين الاعراب فعرضت اي ظهرت في عرض الارض معارضا للمقصد كدية
بضم الكاف وسكون الدال اي قطعة شديدة اي صلبة لا يعمل فيها الفاس فجاءوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال انا نازل اي
في الخندق ثم قام وبطنه معصوب اي مربوط بحجر اي من شدة الجوع ولبثنا ثلاثة
ايام لا نذوق ذواقا بفتح اوله اي ماكولا ومشروبا وهو فعال بمعنى مفعول من
الذوق يقع على المصدر والاسم والجملة معترضة لبيان سبب ربط الحجر فاخذ النبي
صلى الله عليه وسلم المعول بكسر الميم وفتح الواو بالفارسي كلند قاله شارح وفي القاموس
المعول بكسر الحديد ينقر به الجبال فضرب فعاد اي انقلب الحجر وصار كثيبا اي رملا
اهيل اي سائلا ومنه قوله تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا قال القاضي والمعنى
ان الكدية التي عجزوا عن رضها صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتل من الرمل مصبوبة سيال فانكفات الى امراتي اي انقلبت وانصرفت الى بيتها
فقلت هل عندك شيء اي من الماكول فاني رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم
خمصا بفتحتين ويسكن الثاني واقتصر عليه القاضي وسكت عليه الطيبي اي
جوعا وسمي به لان البطن يضمر به وفي المشارق لعياض رايت به خمصا بفتح
الميم اي ضمورا في بطنه جوع ويعبر بالخمص عن الجوع ايضا وقال السيوطي
قوله خمصا بفتح المعجمة والميم وقد يسكن ومهملة انتهى والمراد به اثر
الجوع وعلامة من ضمور البطن وصفار الوجه ونحو ذلك من طول مكثهم
وشدة كدهم على عدوة واف من غاية ذوقهم ونهاية شوقهم فاخرجت اي المراة
جرابا بكسر الجيم فيه صاع اي قدر صاع من شعير ولنا بهيمة بفتح موحدة وسكون
ها قال النووي هي الصغيرة من اولاد الضان ويطلق على الذكر والانثى
كالشاة وفي نسخة بهمة وهي اصل المصابيح قال شارح هي تصغير بهمة
بفتح الباء وسكون الهاء ولد الضان وقيل ولد الشاة اول ما تضعه امه وقيل
السخلة وهي ولد المعز داجن اي سمينة قاله صاحب المواهب وفي شرح مسلم
ما الف البيت ويؤيده ما في القاموس دجن بالمكان دجونا اقام والحمام والشاة
وغيرهما الفت وهي داجن فذبحتها وطحنت اي المراة الشعير وفي نسخة صيغة
المتكلم والاول اوفق لقيام كل من الرجل والمراة بخدمة يليق به مع تحقق المعاونة
كما يدل عليه رواية البخاري ففرغت الى فراغي اللحم الان يقول ويقال معناه امرتها
وغيرها بالطحن حتى جعلنا اي بالاتفاق اللحم في البرمة اي القدر من الحجر وقيل
هي القدر مطلقا واصلها المتخذ من الحجر ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته قال
النووي فيه جواز المسارة بالحاجة في حضرة الجماعة وانما المنهي ان يناجي اثنان
دون الثالث انتهى وفيه بحث لا يخفى والاظهر ان يقال انما محل النهي توهم ضرر
الجماعة فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا بالتصغير للتحقير في جنب عظمة الضيف
الكبير وطحنت بالوجهين صاعا من شعير والمقصود ان هذا قد يسير واصحابك كثير

فيقال انت ونفر معك وهو ما دون العشرة من الرجال ويطلق على الناس كلهم على ما في القاموس وكانه صلى الله عليه وسلم نظر الى المعنى الثاني لما فيه من الامر بالحضور لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا بضم فسكون وواو اي طعاما وفي القاموس السور الضيافة فارسية شرفها النبي صلى الله عليه وسلم فحي بتشديد اليا المفتوحة هلا بفتح الها واللام منونة وفي نسخة بغير تنوين والباقي بكم للتعدية اي اسرعوا بانفسكم اليه قال النووي السور بضم السين غير مهموز هو الطعام الذي يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهي لفظة فارسية وقد تظاهرت احاديث صحيحة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم بالالفاظ الفارسية وهو يدل على جوازه واما حي هلا فهو بتنوين هلا وقيل بلا تنوين على وزن علا ويقال حي هل ومعناه عليكم بكذا وادعوكم بكذا وفي القاموس بسط لهذا المبنى والمعنى ولكن اقتصرنا على ما ذكرنا بنا على ان الجوع معنا والتعطش لما هنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن بضم التاء واللام برمتكم ولا تخبزن بفتح التا وكسر البا وضم الزاي عجينتكم حتى اجي اي الى بيتك وجا فاخرجت له اي انا وفي نسخة بصيغة الواحدة عجينا اي قطعة من العجين فبصق فيه قال النووي هو بالصاد في اكثر الاصول وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة انتهى والمعنى رمى بالبزاق فيه وبارك اي ودعا بالبركة فيه ثم عمد بفتح الميم اي قصد الى برمتنا فبصق اي فيها كما في نسخة وبارك ثم قال ادعي بهمز وصل مضموم وكسر عين امر مخاطبة من دعا يدعو اي اطلبي خابزة قال النووي جا في بعض الاصول ادعي على خطاب المونث وهو الصحيح الظاهر ولهذا قال فلتخبز معك يعني لرواية كسر الكاف وفي بعضها ادعوا بالواو اي اطلبوا وفي بعضها ادع واقدحي بفتح الدال اي اغرفي من برمتكم قال التوربشتي يقال قدحت المراق اي غرفته ومنه المقدح وهو المغرفة سلكت بالخطاب مسلك التلوين فخاطب به ربة البيت قال الطيبي لعل في نسخة فلتخبز معي بالاضافة الى يا المتكلم كما هو في بعض نسخ المصابيح فحمله على ما ذهب اليه وقد علم من كلام النووي ان معي لم يرد في رواية واذا ذهب الى ادعي فلتخبز معك لم يكن من تلوين الخطاب في شي انتهى وهو غريب منه اذ مراد الشيخ انه صلى الله عليه وسلم خاطبهم بصيغة الجمع اولا بقوله لا تنزلن ولا تخبزن ثم قال ادعي فلتخبز معك ثم قال واقدحي من برمتكم بالجمع بين الافراد والجمع ثم قال ولا تنزلوها بصيغة الجمع المذكر على طريق الاول على سبيل التغليب فاي تلوين اكثر من هذا مع ان في الالتفات اليها بالامر الخاص اشارة الى انها ربة البيت غير خارجة عن سنن الاستقامة في المقام وبهذا التقرير والتحرير تبين لك انه لا فرق بين قوله فلتخبز معك ومعي في تلوين الكلام والله اعلم بحقيقة المرام قال جابر وهم اي عدد اصحابه صلى الله عليه وسلم الف اي الف رجال كانوا في جوع ثلاثة ايام وليال فاقسم بالله لاكلوا اي من ذلك الطعام حتى تركوه اي متفضلا وانحرفوا اي وانصرفوا وان برمتنا لتغط بكسر الغين المعجمة وتشديد الطا المهملة اي لتفور وتغلي وتسمع غليانها كما هي اي ممتلية على هيئتها الاولى فخبرهي محذوف والمعنى تغلي غليانها هي مثل غليان هي عليه قبل ذلك قال الطيبي ما كافة وهي مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدا والخبر محذوف اي كما هي قبل ذلك وان عجيننا ليخبز كما هو وفي الصحيحة كانه ما نقص منه شي قال النووي

قد تظاهرت

قد تظاهرت الاحاديث بمثل هذا من تكثير طعام القليل ونبع الما وتكثيره وتسبيح الطعام وحنين الجذع وغيره كما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة التواتر وحصل العلم القطعي به وقد جمع العلما اعلاما من دلايل النبوة في كتبهم كالقفال الشاشي وصاحبه ابي عبد الله الحليمي وابي بكر البيهقي وغيرهم مما هو مشهور واحسنها كتاب البيهقي وغيرهم مما هو مشهور واحسنها كتاب البيهقي ولله الحمد على ما انعم به على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلينا باكرامه متفق عليه وعن ابي قتادة صحابي مشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار اي ابن ياسر حين يحفر الخندق حكاية حال ماضية فجعل يمسح راسه اي راس عمار عن الغبار ترحما عليه من الاغيار ويقول بوس بضم موحدة وسكون همز ويبدل ويفتح السين مضافا الى ابن سمية وهي بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية ام عمار وهي قد اسلمت بمكة وعذبت لترجع عن دينها فلم ترجع وطعنها ابو جهل فماتت ذكره ابن الملك وقال غيره كانت امية ابنت ابي حذيفة المخزومي وزوجها ياسر وكان حليفه فولدت له عمارا فاعتقه ابو حذيفة ابي بشدة عمار احضرني فهذا واتسع في حذف حرف الندا من اسما الاجناس وانما تحذف من اسما الاعلام وروي بوس بالرفع على ما في بعض النسخ اي عليك بوس او يصيبك بوس وعلى هذا ابن سمية منادى مضاف اي يا ابن سمية وقال شارح المعنى يا شدة ما يلقاه ابن سمية من الفية الباغية نادى بوسه واراد نداه ولذا خاطبه بقوله تقتلك الفية الباغية اي الجماعة الخارجة على امام الوقت وخليفة الزمان قال الطيبي ترحم عليه بسبب الشدة التي تقع فيها عمار من قبل الفية الباغية يريد به معاوية وقومه فانه قتل يوم الصفين وقال ابن الملك اعلم ان عمارا قتله معاوية وفية فكانوا طاغين باغين بهذا الحديث لان عمارا كان في عسكر علي وهو المستحق للامامة فامتنعوا عن بيعته وحكي ان معاوية كان يوول معنى الحديث ويقول نحن فية باغية طالبة لدم عثمان وهذا كما ترى تحريف اذ معنى طلب الدم غير مناسب هنا لانه صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث في اظهار فضيلة عمار وذم قاتله لانه جا في طريق ويح قلت ويح كلمة يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ويرثى له بخلاف ويل فانها كلمة عقوبة يقال للذي يستحقها ولا يترحم عليه هذا وفي الجامع الصغير برواية الامام احمد والبخاري عن ابي سعيد مرفوعا ويح عمار يقتله الفية الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وهذا كالنص الصريح في المعنى الصحيح المتبادر من البغي المطلق في الكتاب كما في قوله تعالى وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي وقوله سبحانه فان بغت احداهما على الاخرى فاطلاق اللفظ الشرعي على ارادة المعنى اللغوي عدول عن العدل وميل الى الظلم الذي هو وضع الشي في غير موضعه والحاصل ان البغي بحسب المعنى الشرعي والاطلاق العرفي خص من العموم معنى الطلب اللغوي الى طلب الشر الخاص بالخروج المنهي فلا يصح ان يراد به طلب دم خليفة الزمان وهو عثمان رضي الله عنه وقد حكي عن معاوية تاويل اقبح من هذا حيث قال انما قتله علي وفيته حيث حمله على القتال وصار سببا لقتله في المال فقيل له في الجواب فاذن قاتل حمزة هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان باعثا له على ذلك او الله سبحانه وتعالى حيث امر المومنين بقتال المشركين والحاصل ان هذا الحديث فيه معجزات ثلاث احدها انه سيقتل وثانيها انه مظلوم وثالثها ان قاتله باغ من البغاة والكل صدق وحق ثم رايت الشيخ اكمل الدين قال الظاهر ان هذا اي التاويل السابق عن معاوية وما حكي عنه ايضا من انه قتله من اخرجه للقتل وحرضه عليه كل منهما افترا عليه اما

الاول فتحتية للحديث واما الثاني فلانه ما اخرجه احد بل هو خرج بنفسه وماله
مجاهدا في سبيل الله قاصدا لاقامة الفرض واجماً كان منه افتراء على معاوية لانه رضي
الله عنه اعقل من ان يقع في شي ظاهر الفساد على الخاص والعام قلت فاذا كان الواجب
عليه ان يرجع عن بغيه بطاعته الخليفة ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة
فتبين بهذا انه كان في الباطن باغيا وفي الظاهر متسترا بدم عثمان مراعيا مرائيا
فجا هذا الحديث عليه ناعيا وعن عمله ناهيا لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا
فصار عنده كل من القران والحديث مهجورا فرحم الله من انصف ولم يتعصب
ولم يتعسف وتولى الاقتصاد في الاعتقاد لئلا يقع في جانبي سبيل الرشاد
من الرفض والنصب بان يحب جميع الال والصحب رواه مسلم وعن سليمان
ابن صرد بضم ففتح مصروفا قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حين اجلي بصيغة
الفاعل وفي نسخة بالمفعول اي تفرق وانكشف الاحزاب عنه وهم طوايف من
الكفار تحزبوا اي اجتمعوا لحربه سيد الابرار في يوم الخندق منهم قريش قد
اقبلت في عشرة الاف من بني كنانة واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان
وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم عيينة بن حصن
وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على
الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله
تعالى النصر بان ارسل عليهم ريح الصبا وجنودا لم يروها وهم الملائكة وقذف في قلوبهم
الرعب فقال طلحة بن خويلد الاسدي النجا النجا فانهزموا من غير قتال وهذا
معنى الاجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي حينئذ الان اي فيما بعد هذا الزمان
وعبر عنه بالان للمبالغة في البيان نغزوهم اي ابدا ولا يغزوننا بتشديد النون
وتخفف اي ولا يحكم بفزو وننا كما في نسخة والمعنى لا يحاربوننا ففيه مشاكلة
للمقابلة نحن نسير اليهم اي وهم لا يسيرون الينا وكان الامر كما اخبر فغزاهم بعد
صلح الحديبية وفتح مكة وحصلت له الغلبة ولله الحمد والمنة قال الطيبي
قوله الان نغزوهم اخبار بانه قل شوكة المشركين من اليوم فلا يقصدوننا
البتة بعد بل نحن نغزوهم ونقتلهم ويكون عليهم دائرة السوء وكان كما قال
فكان معجزة رواه البخاري وعن عايشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الخندق ووضع السلاح اي عن نفسه واغتسل اي اراد ان يغتسل
اتاه جبريل وهو اي النبي او جبريل وهو في اللفظ اقرب وفي معنى الحث انسب
ينفض راسه من الغبار فقال اي جبريل قد وضعت السلاح والله ما وضعته
اخرج اليهم اي الى الكفار دابغهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين اي الى اين اقصد
والى من اخرج فاشار الى بني قريظة وهم طايفة من اليهود حول المدينة وقد
نقضوا العهد وساعدوا الاحزاب فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم اي ونصره
الله عليهم وكيفية نصرته وبيان قصته في كتب السير وبعض التفاسير مبسوطة
وما وقع في تلك القضية من المعجزات مضبوطة متفق عليه وفي رواية البخاري
قال انس كاني انظر الى الغبار ساطعا اي مرتفعا في زقاق بني غنم بفتح غين

معجمة وسكون نون قبيلة من الانصار والزقاق بضم الزاي السكة موكب جبريل
عليه السلام بالنصب على نزع الخافض على ما في صحيح البخاري وشرح السنة
واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها باثبات من والموكب بفتح الميم وكسر الكاف
جماعة ركاب يسيرون برفق على ما في النهاية حين سار رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بني قريظة الظاهر ان ذلك الزقاق كان مهجورا من سابلة
الناس فيه فرؤية الغبار الساطع منه تدل على انه من اثر جند الملائكة والغالب
ان رئيسهم جبريل عليه السلام وهو معهم او هو مع النبي صلى الله عليه وسلم
واصا فتهم اليه لانهم كالاتباع له وعن جابر قال عطش الناس بكسر الطا
يوم الحديبية بالتخفيف افصح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
اي ظرف ما من مطهرة او سقاية فتوضا منها ثم اقبل الناس نحوه اي الى
جانبه حال كونهم طالبين فيه الحجر من بابه قالوا ليس لنا في بيان ليس عندنا
ما نتوضا به ونشرب اي منه الا ما في ركوتك اي من الما فما مقصورة
موصولة والاستثنا يحتمل الاتصال والانقطاع ثم في القضية جملة مطوية وهي
ان من المعلوم بحسب ان ما الركوة لم يكف الجماعة فوضع النبي صلى الله عليه
وسلم يده في الركوة اي في جوفها او في فمها فجعل الما يفور من بين اصابعه
كامثال العيون اي التي تخرج من بين صخور الجبال او عروق الارض قال فشربنا
وتوضانا اي جميعنا فطوبى لهم من طهارة الظاهر والباطن من ذلك الما الذي هو
افضل من جنس الما المعين والله الموفق والمعين قيل لجابر كم كنتم اي يومئذ
حتى كفاكم ولما كان هذا السوال غير مناسب في مقام المعجزة قال اي اولا
في الجواب لو كنا ماية الف اي مثلا لكفانا ثم قال تتميما لفصل الخطاب كنا خمس
عشرة ماية قال الطيبي عدل عن الظاهر لاحتماله التجوز في الكثرة والقلة وهذا
يدل على انه اجتهد فيه وغلب على ظنه على هذا المقدار وقول البرا في الحديث
الذي يتلو هذا الحديث كنا اربع عشرة ماية كان عن تخمين لما سبق
في الفصل الثاني من باب قسمة الغنايم ان اهل الحديبية كانوا الفا واربعماية
تحقيقا وقول من قال هم الف وخمسماية وهم وقال الحافظ السيوطي الجمع
انهم كانوا اربعماية وزيادة لا تبلغ الماية فالاول الغى الكسر والثاني جبره ومن
قال الفا وثلاثماية فعلى حسب اطلاعه وقد روي الفا وستماية والفا وسبعماية
وكانه على ضم الاتباع والصبيان ولابن مردويه عن ابن عباس كانوا الفا وخمسماية
وخمسة وعشرين وهذا تحرير بالغ والله اعلم متفق عليه وعن البرا بن
عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة ماية يوم الحديبية
والحديبية بير بالهمز ويبدل فنزحناها اي فنزعنا ماوها فلم نترك قطرة فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم اي خبر نفاد ماءها فاتاها فجلس على شفيرها اي طرفها ثم دعا
باناء من ما فتوضا ثم مضمض ودعا ثم صبه اي مجه فيها ثم قال دعوها اي اتركوها
ساعة لعله للاشارة الى انه ساعة الاجابة وفقت تدريجية وان المراد بها
الساعة النجومية لا اللغوية او المدة القليلة بحسب الاطلاقات العرفية

فارووا اي اسقوا اسقيا كاملا انفسهم وركابهم اي ابلهم ومركوبهم واستمر واعاذ ذلك حتى
ارتحلوا اي ساروا عنها والظاهر ان قضية جابر متقدمة على هذه القضية وان المعجزة
في الحديبية متكررة والعجب من الناس عموما وخصوصا انهم ما ضبطوا هذه البير ولا
جعلوا من النبا الكبير الخبر الكثير مع انها قريبة من مكة على طرف جدة في طريق جدة
رواه البخاري وعن عوف لم يذكره المص ولعله من اتباع التابعين عن ابي رجا
هو عمران بن تميم العطاردي اسلم في حيوة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر وعلي وغيرهما
وعنه خلق كثير كان عالما عاملا معمرا وكان من القرامات سنة سبع ومائة ذكره المؤلف
في التابعين عن عمران بن حصين قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه
الناس العطش فنزل فدعا فلانا اي شخصا معروفا كان يسميه ابو رجا ونسيه عوف
اي فغبر عنه بفلانا ودعا عليا اي ايضا فقال اذهبا فابتغيا الما اي فاطلباه فانطلقنا
فتلقيا امراة بين مزادتين بفتح الميم اي راكبة بين روايتين وهي في الاصل لما يوضع فيه
الزاد وسطيحتين قال القاضي وهي نوع من المزادة تكون من جلدين فوصل احدهما
بالاخر فسطح عليه وقال الجزري هي اصغر من المزادة ثم قوله من ما بيان لما فيهما
فجا اي الصحابيان بها اي بالمراة ومامعها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن
بعيرها قال الطيبي الضمير الاول يجوز ان يرجع الى المراة اي طلبوا منها ان تنزل من البعير
وقيل راجع الى المزادة بمعني انزلوها واستنزل وانزل بمعنى ودعا النبي صلى الله عليه
وسلم باناء اي طلبه ففرغ بتشديد الراء اي صب فيه من افواه المزادتين فيه اشارة
الى رجحيها عند الراوي ونودي في الناس اسقوا بهمزة قطع مفتوحة وقيل
بهمزة وصل مكسورة اي اسقوا انفسكم وغيركم والمعنى خذوا الما قدر حاجتكم واستقوا
اي خذوا الما جميعهم قال اي عمران فشربنا عطاشا بكسر اوله جمع عطشان حال من
فاعل شربنا اربعين رجلا بيان له ذكره الطيبي وقال شارح حال من ضمير عطاشا او شربنا
حتى روينا بكسر الواو وقلانا لم قربة معناه ايم الله اي وايمن الله قسمي لقد اقلع عنها
بصيغة المجهول اي انكفت الجماعة عن تلك المزادة ورجعوا عنها وانه اي الشان ليخيل
علي بنا المفعول اي ليشبه الينا انها اي تلك المزادة اشد ملائة بكسر الميم وبفتح وسكون
اللام فعلة من الملا مصدر ملان الان منها اي من المزادة حين ابتدا اي النبي صلى الله
عليه وسلم الاخذ منها وفي نسخة ابتدي بصيغة المجهول اي الاستقا والشرب منها
والمعنى انها كانت اكثر ما من تلك الساعة التي استقوا منها متفق عليه وعن
جابر قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح اي واسعا
على ما في النهاية فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيا يستتر
به واذا شجرتين قال الطيبي بالنصب كذا في صحيح مسلم واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها
شجرتان بالرفع وهو مبتدا فتقدير النصب فوجد شجرتين نابتتين بشاطي
الوادي اي بطرفه وقال شارح للمصابيح وروي شجرتين باضمار راي ووجد بشجرتين
وهو ظاهر فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من
اغصانها فقال انقادي علي اي انتسري علي باذن الله وقال الطيبي اي لا تعصي
علي ونظيره قوله تعالى ما لك لا تامنا على يوسف اي لم تخافنا عليه فانقادت معه كالبعير

المخشوش

المخشوش وهو الذي في انفه الخشاش بكسر الخا المعجمة وهو عويدة تجعل في انف البعير ليكون اسرع
الى الانقياد كذا في النهاية الذي يصانع قايده قال التوربشتي اي ينقاد له ويوافقه والاصل في المصانعة الرشوة
وهي ان تصنع لصاحبك شيا ليصنع لك شيا حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي
علي باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنصف هو بفتح الميم والصاد المهملة نصف الطريق والمراد
هنا الموضع الوسط مما بينهما قال التيما اي تقاربا علي قال الطيبي هو حال اي اجتمعا مظلتين علي باذن الله
فالتامتا اي حتى قضى الحاجة بينهما قال جابر فجلست احدث نفسي اي بامر من الامور فحانت اي
فظهرت مني لفتة اي التفاتة فاذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال الطيبي يقال حان اذا
اتى وقت الشي واللفتة فعلة من الالتفات واذا الشجرتين اي وجدتهما وارايتهما قد افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق اي وقعت بانفرادها في مكانها ففيه معجزتان رواه مسلم وعن يزيد بن ابي
عبيد هو شيخ شيخ البخاري روى المكي بن ابراهيم عنه وروى البخاري عن المكي وللبخاري ثلاثيات
من هذه الطريق وقال المولف هو مولى سلمة روى عنه يحيى بن سعيد وغيره قال رايت اثر
ضربة في ساق سلمة ابن الاكوع يا ابا مسلم ما هذه الضربة قال ضربة اي هي ضربة اصابتني يوم خيبر
وفي نسخة اصابتنيها اي الساق وفي نسخة اصابتها وفي نسخة اصيبتها بصيغة المجهول فقال
الناس اصيب سلمة اي مات لشدة اثرها فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه اي في موضع الضربة
وفي نسخة فيها اي في نفس الضربة او في الساق ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة بالجر وفي نسخة
بالنصب قال بعض المحققين الساعة في اكثر نسخ البخاري بالجر على خلاف ما جعله الكرماني فانه قال يلزم
من ظاهر العبارة الاستكانة من الحكاية واجاب بان الساعة منصوب وحتى للعطف فالمعطوف داخل
في المعطوف اي ما اشتكيتها زمانا حتى الساعة نحو اكلت السمكة حتى راسها قلت يمكن ان يكون
معناه ما وجدت اثر وجع الى الان واما بعده فلا ادري اجده ام لا فيصدق عليه ان حكم بعدها خلاف
ما قبلها او المراد في الشكاية بالكد وجه بان مراده ما وجدته وجعا الى الان فلو امكن انه يوجد وجع يكون
بعد ذلك ومن المحال عادة ان يوجد وجع بعد مدة مضت من دهر رواه البخاري وكذا ابو داود
وعن انس قال نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا اي زيد بن حارثة وجعفرا اي ابن ابي طالب وابن رواحة
اي اخبر بموتهم للناس في جوازالنعي قبل ان ياتيهم خبرهم اي فكان معجزة وقد كانوا بارض يقال لها موته
بميم مضمومة فهمزة ساكنة فمثناة فوقية قرية بالشام وكانت في السنة الثامنة وكان المسلمون ثلاثة
الاف والروم مع هرقل مائة الف فقال تفصيل وتفسير لما قبله اي فقال صلى الله عليه وسلم اخذ الراية اي العلم
زيد اذ العادة ان ياخذه امير العسكر فاصيب اي استشهد ثم اخذ جعفر اي الراية فاصيب اي
على تفصيل مشهور ثم اخذ ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان بكسر الراء اي تسيلان دمعا للثلاثة
من خبر موتهم حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله اي شجيع من شجعانه فانه كان يعد الفا
وانقطع بيده يومئذ ثمانية اسياف والاضافة للتشريف يعني خالد بن الوليد تفسير من كلام انس
او من بعده والمعنى زيد النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف السابق خالد بن الوليد حتى فتح الله عليهم
اي في يده وزمان امارته واختلفوا هل كان قتال فيه هزيمة للمشركين حتى رجعوا غانمين او
المراد بالفتح حيازة المسلمين حتى رجعوا سالمين او المراد بالفتح حيازة المسلمين حتى رجعوا سالمين رواه
البخاري وعن عباس قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بالتصغير قبل غزوة
حنين كانت في شوال سنة ثمان وحنين واد بين مكة والطايف وراء عرفات فلما التقى
المسلمون والكفار اي وقع القتال الشديد فيما بينهم ولى المسلمون اي بعضهم من المسلمين مدبرين

اي لكن مقبلين الى سيد المرسلين فطفق اي شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يركض بضم الكاف اي يحرك برجله
بغلته قبل الكفار بكسر القاف وفتح البا اي الى جهتهم وقبالتهم قال الاكمل بغلته هي التي يقال لها دلدل اهداها
له فروة بن نفاثة ففيه قبول هدية المشركين وورد انه رد بعض الهدايا من المشركين فقيل قبول الهدية
ناسخ للرد وفيه نظر لجهالة التاريخ والاكثرون على انه لا نسخ وانما قبل ممن طمع في اسلامه ورجا من مصلحة
للمسلمين ورد ممن على خلاف ذلك وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها بضم الكاف وتشديد
الفا اي امنعها وعلة منعها ارادة لا تسرع اي البغلة الى جانب العدو وابو سفيان قال اسمه المغيرة بن الحارث
ابن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم آخذ بصيغة الفاعل اي ماسك بركاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي تادبا ومحافظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة بفتح وهي الشجرة
التي بايعوا تحتها يوم الحديبية فقال عباس وكان اي العباس رجلا صيتا جملة معترضة من كلام راويه
والصيت بتشديد الياء اي قوي الصوت واملا صوت واعلاه اعلا اسبه فقلت اي فناديت باعلى صوتي
اين اصحاب السمرة اي لا تنسوا بيعتكم الواقعة تحت الشجرة وما يترتب عليها من الثمرة فقال والله لكان
بتشديد النون عطفتهم بالنصب اي رجعتهم وفي نسخة لكان بالتخفيف وعطفتهم بالرفع حين
سمعوا صوتي عطفة البقر بالرفع على الاولى وبالنصب على الثاني على اولادها وفي نسخة اولاده بنا
على ان اسم الجنس يونث ويذكر فقالوا اي باجمعهم او واحدا بعد واحد يا لبيك المنادى فيه محذوف
اي يا قوم كقوله تعالى الا يا اسجدوا على قراءة الكسائي يا لبيك التكرير للتاكيد او للتكثير قال عباس
فاقتتلوا اي المسلمون والكفار بالنصب اي معهم والدعوة في الانصار يقولون اي والندا في حق الانصار
خصوصهم بدل ما تقدم في حق المهاجرين بحسب تغليبهم يا معشر الانصار يا معشر الانصار فاطلق الفعل
واريد المصدر على طريق قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وقول الشاعر احضر الوغى وتسمع بالمعيدي
ويجوز لكن قال اي العباس ثم قصرت الدعوة بصيغة المجهول اي اقتصرت واختصت على بني الحارث بن
الخزرج اي فنودي يا بني الحارث هم قبيلة كبيرة فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته والواو للحال
اي نظر صلى الله عليه وسلم حال كونه على بغلته وقوله كالمتطاول عليها حال من الضمير المرفوع في على بغلته اي كالغالب
القادر على سوقها وقيل كالذي يمد عنقه لينظر الى ما هو بعيد عنه مائلا الى قتالهم وقال الطيبي هو
متعلق بنظر ثم ذكر كلاما يشعر ان نسختهم فيها بعض اختصار يدل على وفق ما في المصابيح فقال اي النبي عليه السلام
هذا حين بالفتح وفي نسخة بالضم حمي بفتح فكسر الوطيس قال ابن الملك يجوز ان يكون هذا اشارة الى
القتال وحين بالفتح ظرف له وان يكون اشارة الى وقت القتال وحين بالرفع خبره وقال الاكمل يجوز في
حين الفتح لانه مضاف الى مبني والضم على انه خبر مبتدا وقال الطيبي هذا مبتدا والخبر محذوف وحين
مبني لانه مضاف الى غير متمكن متعلق باسم الاشارة اي هذا القتال حين اشتد الحرب وفيه معنى التعجب
واستعظام الحرب قلت الاظهر ما قيل ان هذا مبتدا وحين خبره وبني على الفتح لاضافته الى الفعل اي هذا
زمان اشتداد الحرب ثم الوطيس شدة التنور والتنور نفسه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها
حره وفي النهاية الوطيس شبه التنور وقيل هو الضراب في الحرب وقيل هو الوطي الذي يطيس الناس
اي يدقهم وقال الاصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد يطاها ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبي
صلى الله عليه وسلم وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق ثم اخذ حصيات فرمى
بهن وجوه الكفار اي قائلا شاهت الوجوه ثم قال اي تفاولا او اخبارا انهزموا ورب محمد فوالله ما هو اي
ليس انهزام الكفار الا ان رماهم اي سوى رميهم بحصياته اي ولم يكن بالقتال والضرب بالسيف والطعان
ويحتمل ان يكون الضمير عبارة عن الامر والشان ويكون هو المستثنى منه فما زلت ارى حدهم اي باسهم وحدتهم

وسيوفهم

وسيوفهم وشدتهم كليلا اي ضعيفا وامرهم مدبرا اي وحالهم ذليلا قال النووي فيه معجزتان ظاهرتان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم احديهما فعلية والاخرى خبرية فانه اخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين رواه
مسلم وكذا النسائي وعن ابي اسحاق قال المولف هو ابو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي راى عليا وابن عباس
وغيرهما وسمع البراء بن عازب وزيد بن الارقم روى عنه الاعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية قال
قال رجل جاء في رواية انه من قيس لكن لا يعرف اسمه للبراء يا ابا عمارة بضم فتخفيف فررتم اي افررتم كما في الشمائل وفي
رواية افررتم كلكم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا حقيقة ولا صورة وفي العدول عن تغيير
فررنا الى ولى حسن عبارة ولكن خرج اي الى العدو شبان اصحابه بضم الشين وفتح الموحدة اي جماعة من الشباب ممن
ليس لهم وقار وراي عليه مدار ولهذا عبر عنهم في رواية الشمائل بقوله ولكن ولى سرعان من الناس اي الذين
يتسارعون الى الشي من غير روية ومعرفة كاملة كما يدل عليه قوله ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة اي تلقتهم
هوازن بالنبل على ما في الشمائل لا يكاد يسقط لهم سهم على الارض فرشقوهم اي فرموهم رشقا كانوا يخطئون
قال النووي هذا الجواب اجابه البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام فررتم كلكم فيقتضي ان النبي صلى الله عليه
وسلم وافقهم في ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا
وكذا لما قتلوا اي الشبان هناك اي في ذلك الزمان والمكان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متحيزين
اليه والمعنى انهم هذا لا يصدق عليهم الفرار لقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فئة وقد قال صلى الله عليه وسلم انا فئتكم فان قلت ذكر في الحديث السابق وولى المسلمون مدبرين وفي هذا
الحديث فاقبلوا فكيف الجمع قلت المراد به ان جمعا من المسلمين وقع لهم صورة الادبار ثم بعد توجهه صلى الله
عليه وسلم اليهم ومناداتهم بصياح العباس حصل لهم سعادة الاقبال ودولة الاتصال والانتقال من صورة
الفرار الى سيرة القرار ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا قال العسقلاني وقع عند البخاري على
بغلته البيضا وعند مسلم من حديث العباس ان البغلة التي كانت تحته يوم حنين اهداها له فروة بن نفاثة
وهذا هو الصحيح وذكر ابو الحسن بن عبدوس ان البغلة التي ركبها يوم حنين هي دلدل وكانت شهبا
اهداها له المقوقس يعني صاحب الاسكندرية واما التي اهداها له فروة يقال لها فضة ذكر ذلك ابن سعد
وذكر عكسه والصحيح ما في مسلم وابو سفيان بن الحارث يقوده اي يمشي قدامه او يقود بغلته على حذف
مضاف او ثبتا ويلي المركوب وهذا بظاهره يعارض ما تقدم من ان العباس كان آخذا باللجام وان ابا سفيان كان
آخذا بالركاب لكن يمكن حمله على سبيل التناوب او على ان تلك الحال لشدتها احتاج الى اثنين فنزل اي النبي
صلى الله عليه وسلم واستنصر اي طلب النصر والفتح لامته كما ياتي تتمة قصته وقال وفي نسخة فقال انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب بسكون البا فيهما على جري العادة في السجع والنظم وانما صدر هذا من مشكوة
صدر النبوة مستقيما على وزن الشعر بمقتضى طبعه الموزون من غير تعمد منه فلا يعد ذلك شعرا قال القاضي عياض
قد غفل بعض الناس وقال الرواية انا النبي لا كذب بفتح البا وعبد المطلب بالخفض حرصا على تغيير الرواية
ليستغني عن الاعتذار وانما الرواية باسكان البا وقال الخطابي اختلف الناس في هذا وما اشبهه من
الرجز الذي جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره واوقاته وفي تاويل ذلك مع شهادة
الله تعالى بانه لم يعلم الشعر وما ينبغي له فذهب بعضهم الى ان هذا وما اشبهه وان استوى على وزن الشعر
فانه اذا لم يقصد به الشعر اذ لم يكن صدوره عن نية له وروية فيه وانما هو اتفاق كلام يقع احيانا فيخرج
منه الشي بعد الشي على بعض اعاريض الشعر وقد وجد في كتاب الله العزيز من هذا القبيل
وهذا مما لا يشكل وفيه تعليس بشعر قال النووي فان قيل كيف نسب نفسه الى جده دون ابيه وافتخر بذلك
مع ان الافتخار من عمل الجاهلية فالجواب انه صلى الله عليه وسلم كانت شهرته بجده اكثر لان اباه قد توفي شابا

وهـ سعوجل

قبل اشتهاره وكان جده مشهورا شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد اهل مكة وكان مشتهرا عندهم ان عبد المطلب
بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه سيظهر ويكون امره عظيما وكان اخبره بذلك سيف بن ذي يزن يعني وجماعة
من الكهان وقيل ان عبد المطلب راى رؤيا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مشهورا
عندهم فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم بذلك وينبههم بانه صلى الله عليه وسلم لابد له من ظهوره على
الاعدا وان العاقبة له لتقوى نفوسهم واعلمهم ايضا انه ثابت يلازم الحرب لم يول مع من ولى وعرفهم
موضعه ليرجع اليه الراجعون واما قوله انا النبي لا كذب فمعناه انا النبي حقا فلا افر ولا ازول وفيه دليل على
جواز قول الانسان في الحرب انا فلان او انا ابن فلان يعني انه يجوز على مقتضى العادة اظهار الشجاعة العادة
فلا بعد من به الريا والسمعة ثم اي بعد ما جمعوا المسلمين ورجع الشبان المسرعون صفهم اي جعلهم صافين
كلهم بنيان مرصوص رواه مسلم وللبخاري معناه اي فالحديث متفق عليه في موارده وفي رواية
لهما قال البرا كنا والله اذا احمر الباس اي اشتد الحرب من قولهم موت احمر وقال النووي احمرار الباس
كناية عن اشتداد الحرب فاستعير ذلك لحمرة الدما الحاصلة ولاستعار نار الحرب واشتعالها كما في
الحديث السابق حمي الوطيس نتقي به اي نلتجي اليه ونطلب الخلاص بسببه وان الشجاع منا ولعله في
البليغ في الشجاعة منا للذي يحاذي به اي يوازيه ويحاذي منكبه منكبه والمعنى ان احدنا يقرب على
التقدم خاصة الا يكون جبانا فيفر عنا او شجيعا فيعوذ به ويلوذ اليه يعني اي يريد البرا بالشجاع
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بيان شجاعته وعظيم وثوقه بالله سبحانه وعن سلمة بن الاكوع
قال غزونا اي الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا اي يوم حنين فولى صحابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي بعضهم فلما غشوا على رسوله ضمير الغشي للكفار اي لما قاربوا غشيانه نزل عن البغلة
ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به اي بالتراب راميا وجوههم فقال اي دعا او خبر شاهت
الوجوه اي تغيرت وقبحت فما خلق الله منهم انسانا اي فما بقي منهم احد الا ملا عينيه ترابا بتلك
القبضة والتعبير بما خلق الله لافادة التاكيد وتقرير الحصر على وجه التابيد قال الطيبي فيه
بيان المعجزة من وجهين احدهما ايصال تراب تلك القبضة الى اعينهم جميعا وثانيهما انها لكثيرة ملات
عين كل واحد منهم من تلك القبضة الى اعينهم جميعا او ثانيهما انها تكثرت ملات عين كل واحد منهم من
تلك القبضة اليسيرة وهم اربعة الاف فمن ضامهم من امداد سائر العرب قلت والثالث انهزامهم
بذلك كما يشير اليه قوله فولوا مدبرين حال موكدة او مقيدة اي غير راجعين فهزمهم الله اي
ونصر رسوله واستجاب دعاءه وجمع له بين عز الجاه وحسن الحال وغنيمة المال ولذا قال وقسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين رواه مسلم وعن ابي هريرة قال شهدنا اي حضرنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل اي في حقه وشانه ممن معه
يدعي الاسلام حال او استيناف بيان قال النووي اسم الرجل قزمان قاله الخطيب البغدادي وكان
من المنافقين كذا في جامع الاصول هذا من اهل النار مقول للقول فلما حضر القتال اي وقت قاتل
الرجل من اشد القتال وكثرت به الجراح بكسر الجيم جمع الجراحة على ما في القاموس فجاء رجل اي متعجبا
فقال يا رسول الله ارايت الذي تحدث اي اخبرني عن حال من اخبرت عنه انه من اهل النار فانه
قد قاتل في سبيل الله من اشد القتال فكثرت به الجراح اي وظاهر حاله انه من اهل الجنة لانه قاتل
في سبيل الله اشد القتال لم يرد عليه فقال اما انه من اهل النار اي القول ما قلت لك وان ظهر لك
خلافه لانه لا عبرة بصورة الاعمال وانما المدار على حسن الاحوال وخاتمة الاعمال
فكاد اي وقرب بعض الناس اي بعض المسلمين ممن له ضعف في الدين وقلة معرفة بعلم اليقين

اي شانه

يرتاب

يرتاب اي يشك في امره لقوله انه من اهل النار فبينا هو اي الرجل على ذلك اي ما ذكر من بحهم
الحال اذ وجد الرجل الم الجراح فاهوى بيده اي قصد وسال الى كنانته بالكسر اي الى جعبته وهي
ظرف سهمه فانتزع سهما اي فاخرجه فانتحر اي نحر نفسه بها اي بالنصلة التي مركبة في السهم وهي
ملبسة بفصل عريض طويل على ما في القاموس والحاصل انه مات كافرا والخبث باطنه او فاسقا بقتل
نفسه فاشتد رجال من المسلمين اي عدوا واسرعوا قاصدين وموجهين الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك بتشديد الدال في اكثر النسخ اي حققه وفي نسخة
بتخفيفها اي صدق في اخبارك المطابق للواقع قد انتحر فلان وقتل نفسه عطف تفسير وبيان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله قال شارح هذا الكلام يقال عند
الفرح فرح عليه السلام حين ظهر صدقه وقال الطيبي يحتمل تعجبا ويحتمل وقوع ما اخبر عنه فعظم
الله تعالى حمدا وشكرا التصديق قوله وان يكون كسرا للنفس وعجبا حتى لا يتوهم انه من عنده
وتبصرة قوله اني عبد الله يا بلال قم فاذن اي فاعلم الناس لا يدخل الجنة الا مومن اي خالص احتراز
عن المنافق او مومن كامل فالمراد دخولها مع الفائزين دخولا اوليا غير مسبوق بعذاب
وان الله ليويد هذا الدين بالرجل الفاجر اي المنافق او الفاسق ممن يعمل ريا او يخلط به معصية
وربما يكون عملا به سوء الخاتمة نسال الله العافية والجملة يحتمل ان تكون داخلة تحت التاذين
واستيناف بيان لاختلاف احوال العاملين ومن نظايره من يصنف او يدرس او يعلم او يتعلم
ويوذن او يوم او ياتم وامثال ذلك لمن يبني مسجدا او مدرسة او زاوية لغرض فاسد وقصد
كاسد مما يكون سببا لنظام الدين وقوام المسلمين وصاحبه من جملة المحرومين جعلنا الله
تعالى من المخلصين بل من المخلصين رواه البخاري وكذا مسلم وفي الجامع ان الله يويد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم رواه النسائي وابن حبان عن انس واحمد والطبراني عن ابي بكرة وفي
رواية للطبراني عن ابن عمر بلفظ ان الله تعالى ليويد الاسلام برجال ما هم من اهله وعن
عايشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سحره يهودي حتى انه ليخيل اليه بصيغة
المفعول اي ليظن انه فعل الشي اي الفلاني مثلا وما فعله اي والحال انه ما فعل ذلك الشي
قيل معناه انه غلب عليه النسيان فيتوهم من حيث النسيان انه فعل الشي الفلاني وما فعله
او انه ما فعله وقد فعل وذلك في امر الدنيا لا في الدين ونظيره ما قال الله تعالى في حق موسى
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي والحال انها ما تسعى بل انهم لطخوها
بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك قال النووي قد انكر بعض المبتدعة
هذا الحديث وزعم انه يحط من منزلة النبوة لذلك وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذي
ادعاه باطل لان الدلايل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة
شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل فاما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث
اليها فهو مما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من السحر وقد قيل انما كان يتخيل اليه ما يخيل
ولكنه لم يعتقد صحته وكانت معتقداته على الصحة والسداد اقول ويمكن ان يعتقد صحة ما لم يتعلق
بالدين ثم ينبه عليه ويبين له صحيح الاعتقاد كما قال تعالى لموسى لا تخف انك انت الاعلى وقيل
معنى ليخيل اليه اي يظهر له من نشاطه انه قادر على اتيان النسا فاذا دنا منهن اخذته اخذة
السحر فلم يتمكن من ذلك قال النووي وكل ما جاء من انه يخيل شيئا لم يفعله فمحمول على التخييل
بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن بالرسالة قال المظهر واما ما زعموا من دخول الضرر في الشرع

وقصه ـــــ عزوجل

بانبيائه فليس كذلك لان السحر انما يعمل في ابدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والامراض ما يجوز
على غيرهم وليس تاثير السحر في ابدانهم باكثر من القتل وتاثير السم وعوارض الاسقام فيهم وقد
قتل زكريا وابنه وسم نبينا صلى الله عليه وسلم واما امر الدين فانهم معصومون فيما بعثهم الله عز وجل
وارصدهم له وهو جل ذكره حافظ لدينه وحارس لوحيه ان يلحقه فساد او تبديل بان لا يطول
ذلك بل يزيله سريعا وكانه ما حل وفائدة الحلول تنبيه على ان هذا البشر مثلكم وعلى ان السحر تاثيره حق
فانه اذا اثر في اكمل الانسان فكيف غيره حتى اذا كان ذات يوم بالنصب ويجوز الرفع ذكره العسقلاني
لكن الرفع لا يلايم قولها عندي دعا الله ودعاه كرر للتاكيد او للتكثير اي واكثر الدعا قال الطيبي اي
عقيب دعا بدعا واستمر عليه ويدل على هذا التاويل الرواية الاخرى ثم دعا ثم دعا قال النووي
هذا دليل على استحباب الدعا عند حصول الامور المكروهة وحسن الالتجا الى الله تعالى ثم قال
اشعرت اي اعلمت يا عايشة ان الله قد افتاني اي بين لي فيما استفتيته اي فيما طلبت بيان الامر
منه وكشفه عنه ثم بينه بقوله جاني رجلان اي ملكان على صورة رجلين جلس احدهما عند
راسي والاخر عند رجلي وفي نسخة بالتثنية ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل اي ما سبب تعبه
الذي بمنزلة وجعه قال مطبوب اي هو مسحور يقال طب الرجل اذا سحر فكنوا بالطب عن السحر
كما كنوا بالسليم عن اللديغ قال اي الاخر ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي قيل اي بناته
لقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد اي النسا والنفوس السواحر التي يعقدن عقدا
في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق قال القاضي وتخصيصه بالمعوذة لما روي ان يهوديا
سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بير فمرض النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجا به فقراهما عليه فكان
كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا
به انه مجنون بواسطة السحر انتهى والظاهر ان ذلك قضية اخرى فانها مغايرة لما في هذا الحديث
ويمكن الجمع بينهما بوقوع نوعين من السحر له صلى الله عليه وسلم ليكون اجره مرتين وان احدهما
وهو ما في هذا الحديث وقع من لبيد والاخر من بناته والله اعلم قال اي الاخر فيما ذا اي سحر في
اي شي قال في مشط بضم الميم وفي القاموس المشط مثلثة وككتف وعنق وعتل ومنبر الة يمشط
بها ومشاطة بضم الميم ما سقط من شعر الراس واللحية عند تسريحه بالمشط وجف طلعة ذكر بضم
الجيم وتشديد الفا وهو وعا طلع النخل وطلعة ذكر على الاضافة واراد بالذكر فحل النخل قيل
ويروى جب بالبا الموحدة اي داخل طلعة ذكر قال النووي الجف بضم الجيم والفا هكذا هو في اكثر
بلادنا وفي بعضها جب بالبا وهما بمعنى وهو وعا طلع النخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا اضاف في
الحديث طلعة الى ذكر اضافة بيان قال فاين هو اي ما ذكر من ما سحر به قال في بير ذروان بفتح الذال المعجمة
قال الشارح وفي كتاب مسلم في بير ذي اروان قيل هو الصواب لان اروان بالمدينة اشهر من ذروان
وذروان على مسيرة ساعة من المدينة وفيه بني مسجد الضرار قلت فذروان وقع في هذا المقام
والله اعلم بالمرام وقال النووي وفي كتاب مسلم في بير ذي اروان وكذا وقع في بعض روايات البخاري
وفي معظمها ذروان وكلاهما صحيح مشهور والاول اصح واجود وهي بير في المدينة في بستان ابي ذريق
فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس اي مع جمع من اصحابه اي المخصوصين الى البير فقال هذه البير التي
اريتها بصيغة المفعول وكان بالتشديد ماها نقاعة الحنا بضم النون اي لونه والمعنى
ان ماها متغير لونه مثل ما نقع فيه الحنا والنقاعة ما يخرج من النقيع وكان نخلها رءوس الشياطين قال

التوربشتي

التوربشتي اراد بالنخل طلع النخل وانما اضافه الى البير لانه كان مدفونا فيها واما تشبيه ذلك برءوس
الشياطين فلما صادفوا عليه من الوحشة والنفرة وقبح المنظر وكانت العرب تعد صور الشياطين من
اقبح المناظر ذهابا في الصورة الى ما يقتضيه المعنى وقيل اريد بالشياطين الحيات الخبيثات القرمات
واياما كان فان الاتيان بهذا المنظر في الحديث منسوق على نص الكتاب في التمثيل قال تعالى كانه
رءوس الشياطين فاستخرجه اي ما ذكر مما سحر به متفق عليه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه قال بينما نحن اي حاضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما قال التوربشتي
القسم مصدر قسمت الشي فالقسم سمي الشي لانه يختص به اذا افرد نصيب وهذا القسم كان
في غنايم حنين قسمها بالجعرانة اتاه ذو الخويصرة تصغير الخاصرة وهو رجل من بني تميم قبيلة كبيرة شهيرة
ونزل فيه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فهو من المنافقين وسيجي انه من اصله يخرج
الخوارج واما قول شارح هو رئيس الخوارج ففيه مسامحة اذ اول ظهورهم في زمن علي كرم الله وجهه
فقال يا رسول الله اعدل الظاهر انه اراد بذلك التورية كما هو عادة اهل النفاق بان يراد بالعدل
التسوية او قسمة الحق اللايق بكل احد العدل الذي في مقابل الظلم لكنه صلى الله عليه وسلم علم بنور
النبوة او ظهور الفراسة او قرينة الحالية فانه صلى الله عليه وسلم كان في اعطايه يراعي قدر الحاجة
والفاقة وغيرها من المصلحة فتعين انه اراد المعنى الثاني او لان التسوية في مكان ينبغي التفاضل نوع
من الظلم فغضب عليه فقال ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل قد خبت بكسر الخا المعجمة وسكون الموحدة وتا
الخطاب اي حرمت المقصود وخسرت على الخطاب ايضا ان لم اكن اعدل قال التوربشتي وانما رد
الخيبة والخسران الى المخاطب على تقدير عدم عدل منه لان الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه
ليقوم بالعدل فيهم فاذا قدر انه لم يعدل فقد جا المعترف بانه مبعوث اليهم فخاب وخسر لان
الله لا يحب الخاينين فضلا من ان يسلمهم الى عباده انتهى وخلاصته انه اذا حكم ذلك القايل بانه
لا يعدل فقد خاب القايل وخسر بهذا الحكم فقال عمر ايذن لي اضرب عنقه بالجزم ويجوز رفعه وفي
نسخة صحيحة ان اضرب عنقه فقال دعه اي اتركه في شرح السنة كيف منع النبي صلى الله عليه
وسلم عن قتله مع انه قال لين ادركتهم لاقتلنهم قيل انما اباح قتلهم اذا كثروا وامتنعوا بالسلاح
واستعرضوا الناس ولم يكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم واول ما نجم ذلك في
زمان علي رضي الله عنه وقاتلهم حتى قتل كثيرا منهم انتهى والاظهر ما ذكره الاكمل حيث قال
فيه دلالة على حسن اخلاقه صلى الله عليه وسلم وانه ما كان ينتقم لنفسه لانه قال اعدل وفي رواية
اتق الله وفي اخرى ان هذه القسمة ما عدل فيها ومثل ذلك يوجب القتل اذ فيه النقص للنبي صلى الله
عليه وسلم ولهذا القول لو قاله احد في عصرنا لحكم بكفره او ارتداده انتهى وهو لا ينافي تعليل منعه من قتله
بقوله فان له اصحابا اي اتباعا سيوجدون من نعتهم انه يحقر احدكم صلاته اي كمية وكيفية مع
صلاتهم اي في جنب صلاتهم المزينة المحسنة للريا والسمعة وصيامه مع صيامهم اي في نوافل ايامهم
قال شارح فيه تنبيه على انهم يصلون وانه نهي عن قتل المصلين انتهى وفيه انه ليس هذا النهي على
اطلاقه يقرءون القران استيناف بيان اي يداومون على تلاوته ويبالغون في تجويده وترتيله
ومراعاة مخارج حروفه وصفاته لا يجاوز تراقيهم اي حال كونهم لا يتجاوز مقروهم على حلوقهم
وهو كناية عن عدم صعود عملهم ونفي قبول قراتهم قال شارح والتراقي جمع ترقوة وهي العظام
بين ثغرة النحر والعاتق يريد انه لا يتخلص عن السنتهم واذانهم الى قلوبهم وقال القاضي اي لا يتجاوز
قراتهم عن السنتهم الى قلوبهم فلا تؤثر فيها ولا يتصاعد من مخرج الحروف وحيز الصوت الى محل القبول

والانابة يمرقون بضم الراي يخرجون من الدين اي من طاعة الامام اومن اهل الاسلام ويمرون عليه
سريعا من غير حظ وانتفاع كما يمرق السهم من الرمية بتشديد الياء التحتية فعيلة بمعني مفعولة
وهي الصيد ويقال مرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر اي خروج السهم ومروره
جميع اجزايه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم قال شارح شبههم في ذلك بالرمية
لاستيحاشهم عما يرمون به من القول النافع ثم وصف المشبه به في سرعة تخلصه وتنزهه عن
التلوث بما يمر عليه من فرث ودم ليبين المعني المضروب له بقوله ينظر الي نصله بصيغة المجهول
الي رصافه بضم الراء وبكسر بدله وهو عصب يلوي فوق مدخل النصل الي نضيه بفتح فكسر تشديد
وهو قدحه بكسر القاف وهو ما بين الريش الي النصل من القضو لانه بري حتي صار نضوا فهو مجاز
باعتبار ما كان وهو جملة معترضة من كلام الراوي تفسير للنضي ثم قوله الي قذذه من كلامه صلي الله
عليه وسلم وهو جمع قذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريش السهم قال القاضي اخرج متعلقات
الفعل علي سبيل التعداد لا التنسق فلا يوجد فيه اي في السهم او في كل واحد من المذكورات
شيء اي من الفرث والدم والحال ان السهم او كل واحد منها قد سبق الفرث والدم اي مر عليهما والمعني
كما نفذ السهم من الرمية بحيث لم يتعلق به شيء من الروث والدم كذلك دخول هولاء في الاسلام ثم
خروجهم منه سريعا بحيث لم يوثر فيهم هذا وقيل المراد النصل القلب الذي هو المؤثر والمناشر
فاذا نظرت الي قلبه فلا تجد فيه اثرا ما شرع فيه من العبادة وبالرصاف الصدر الذي هو محل الانشراح
بالاوامر والنواهي فلم ينشرح لذلك ولم يظهر فيه اثر السعادة وبالنضي   والمعني ان البدن
وان تحلي بتكاليف الشرع من الصلوة والصوم وغير ذلك لكنه لم يحصل له منه فايدة وبالقذذ الاطراف
البدن هي التي بمنزلة الالات لاهل الصناعات اي لم يحصل له بها ما يحصل لاهل السعادات
ايتهم اي علامات اصحابه الكاينة فيهم الكاينة منهم رجل اسود اي ظاهرا او باطنا احدي عضديه
مثل ثدي المراة او مثل البضعة بفتح الموحدة اي قطعة اللحم واو للتخيير في التشبيه او للشك
من الراوي تدردر بحذف احد التاين اي تضطرب وتجي وتذهب وقال الطيبي اي تتحرك وتدحرج ما والرحايا
انتهي وظاهر انه جعله فعلا ماضيا وهو خلاف ما عليه الاصول المضبوطة ويخرجون عطف علي يمرون علي حين
فرقة اي في زمان من الناس يريد عليا واصحابه رضي الله عنهم وفي رواية علي خير فرقة بضم الفا فعلي بمعني
في اي يظهرون في حين تشتت امر الناس واضطراب احوالهم وظهور المحاربة فيما بينهم قال ابو سعيد
اي الخدري راوي الحديث اشهد اي احلف اني سمعت هذا من رسول الله صلي الله عليه وسلم واشهد
ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه اي فهو من معجزاته الزرقة فامر اي علي بذلك الرجل اي بطلبه كل
الرجل الذي ايتهم وعلامتهم فالتمس بصيغة المجهول اي فطلب واخذ فاتي به حتي نظرت اليه علي
نعت النبي صلي الله عليه وسلم الذي نعته اي سابقا وفي رواية قال ابن الملك اي بدل اتاه ذو الخويصرة في
اول هذا الحديث اقبل رجل غاير العينين اسم فاعل من الغور اي غارت عيناها ودخلتا في راسه
ناتي الجبهة بكسر الغوقيه بعد همز اي مرتفعها كث اللحية بفتح فتشديد مثلثة اي كثيفها مشرف
الوجنتين اي علي الخدين محلوق الراس اي لادعا المبالغة في النظافة والتاكيد في قطع التعلق
وهو مخالفة ظاهرة لما عليه اكثر اصحابه صلي الله عليه وسلم من ابقا شعر راسه وعدم حلقه الا بعد
فراغ النسك غير علي كرم الله وجهه فانه كان يحلق كثيرا لما قدمنا سببه ووجهه فقال يا محمد اتق
الله اي في قسمك فقال فمن يطع الله اي يتقيه من امتي اذا عصيته اي مع عصمتي وثبوت نبوتي فيامنني
الله اي يجعلني امينا علي اهل الارض ولا تامنوني بتشديد النون وتخفف والخطاب علي وجه القتايه

الذي الخويصرة وقومه نسالو رجل وهو عمر رضي الله عنه كما سبق قتله اي نجوزه فمنعه اي لما هذم
فلما ولي اي الرجل قال ان من ضيضي هذا بكسر معجمتين وبجزتين يبدل لا ولهما اي من اصله ونسبه
وعقبه علي ما في النهاية وقال النوربشتي من ذهب الي انهم يتولدون منه فقد ابعد اذ لم يذكر في
الخوارج قوم من النسل ذي الخويصرة ثم ان الزمان الذي قال فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم
هذا القول الي ان نابذ المارقة عليا رضي الله عنه وحاربوه لا يحتمل ذلك بل معناه ان من الاصل
الذي هو منه في النسب او من الاصل الذي هو عليه في المذهب قوما يقرءون القران لا يجاوز حناجرهم
اي ظواهرهم ولا يوثر في بواطنهم يمرقون من الاسلام اي من كماله او من انقيادا للامام استدل به من
كفر الخوارج وقال الخطابي المراد بالاسلام هنا طاعة الامام مروق السهم اي كخروجه سريعا من الرمية
اي من انتفاع بها فيقتلون اهل الاسلام اي لتكفيرهم اياهم بسبب ارتكابهم الكباير ويدعون
بفتح الدال اي يتركون اهل الاوثان اي اهل عبادة الاصنام وغيرهم لين ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد
اراد بقتل عاد استيصالهم بالهلاك فان عادا لم يقتل وانما اهلكت بالريح واستوصلت بالاهلاك
قيل دل الحديث علي جواز القتل عند اجتماعهم وتظاهرهم ولذلك منع من قتل ذلك الرجل انتهي وفيه
ان منع قتله لم يكن لانفراده بل لسبب اخر بيانه تقدم والله اعلم متفق عليه وعن ابي
هريرة قال كنت ادعو امي الي الاسلام وهي مشركة حال موكدة او المراد بها انها مستمرة علي الشرك
فدعوتها يوما اي الي الاسلام ومتابعة سيد الانام فاسمعتني في رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في
حقه وشانه ما اكره اي شيا اكرهه من الكلام او اكره ذكره في الانام فاتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم
وانا ابكي اي من الحزن والغم حيث لم اقدر علي تاديبها لكونها امي قلت وفي نسخة فقلت يا رسول الله
ادع الله ان يهدي ام ابي هريرة فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرجت مستبشرا اي مسرورا منشرحا
بدعوة النبي صلي الله عليه وسلم فلما صرت اي وصلت الي الباب اي باب امي فاذا هو اي الباب مجاف اي
مردود ومنه الحديث اجيفوا ابوابكم اي ردوها كذا في النهاية فسمعت امي خشف قدمي بالمثلثة
وفي نسخة بالنون اي صوتهما وقيل حركتهما وخشفتهما وهو بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين وبحرك
علي ما في القاموس فقالت مكانك يا ابا هريرة اي الزمه يا ابا هريرة وسمعت خضخضة الما اي تحريكه
وقيل صوته فاغتسلت ولبست درعها بكسر الدال اي قميصها وعجلت بكسر الجيم عن خمارها اي تركت
خمارها من العجلة يقال عجلت عنه تركته والمعني انها بادرت الي فتح الباب بعد لبسها الثياب قبل
ان تلبس خمارها وهذا معني ما قال الطيبي اي عجلت الفتح متجاوزة عن خمارها ففتحت الباب اي بعد
ما وقع عليها النقاب ووقع عنها الحجاب ثم قالت يا ابا هريرة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فرجعت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا ابكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا اي قولا خيرا او كلاما
يتضمن خيرا او النفقد بر وصلت يا ابا هريرة خيرا باسلام امك رواه مسلم وعنه اي عن ابي هريرة قال انكم
اي معشر التابعين وقيل الخطاب مع الصحابة المتاخرين تقولون اكثر ابو هريرة اي الرواية عن
النبي صلي الله عليه وسلم والله الموعد اي موعدنا فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لان
الاسرار تنكشف هنالك وقال الطيبي اي لقا الله الموعد يعني به يوم القيامة فهو يحاسبني
علي ما اريد وابغض لاسيما علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد قال من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار وان اخوتي اي اخواني واصحابي من المهاجرين كان يشغلهم بفتح اليا والغين وما
الضم والكسر خلفة قليلة اوردية اي يمنعهم الصفق بفتح فسكون اي ضرب اليد علي اليد عند التبايع قال
الطيبي هو كناية عن العقود في البيع والشرا وان اخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل اموالهم اي المواضع

اي مقروع صح

التي فيها نخلهم والحاصل ان المهاجرين كانوا اصحاب تجارات والانصار اصحاب زراعات وكنت
امرا مسكينا اي عاجزا عن مال التجارة واسباب الزراعة الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
صحبته وخدمته حامدا على ملا بطني قال الطيبي هو حال اي الازمه صلى الله عليه وسلم قانعا
بملا بطني فمداه يعلي مبالغة وفي معناه قول الشاعر

فان ملكت كفاف قوتنا فكن به • قنعا فان المتقي لله قانع

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط اي لن يفرش احد منكم ثوبه حتى اقضي اي افرغ
مقالتي هذه كانه اشارة الى دعاء عام ذكره الطيبي وقيل كانت مقالته دعاء للصحابة بالحفظ
والفهم والاظهر ان المراد بها الكلام الذي كان شرع فيه ثم يجمعه بالنصب والرفع اي يضم ثوبه الى
صدره فينسى من مقالتي اي من احاديثي شيئا ابدا قال الطيبي هو جواب النفي على تقديرات
فيكون عدم النسيان مسببا عن المذكورات كلها واوثرت لن النافية دلالة على ان النسيان بعد ذلك
كالمحال وقوله من مقالتي شيئا اشارة الى جنس المقالات كلها فبسطت نمرة بفتح النون وكسر الميم
قال الطيبي اي شملة مخططة من مازر الاعراب وجمعها نمار كانها اخذت من لون النمر لما فيهما من
السواد والبياض حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته اي تلك ثم جمعتها الى صدري فوالذي بعثه
بالحق ما نسيت من مقالته اي من جنس مقالة ذلك فان المصدر يذكر ويؤنث وذلك باعتبار
معناها وهو القول والكلام وقال الطيبي اشارة الى جنس المقالة باعتبار المذكور الى
يومي هذا وهو وقت رواية هذا الحديث متفق عليه وعن جرير بن عبد الله اي البجلي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تريحني من الاراحة وهي اعطاء الراحة اي الا تخلصني
من ذي الخلصة بفتحتين وهو بيت كان لخثعم يدعى كعبة اليمامة والخلصة اسم طاغيتهم التي
كانت فيه قال الاشرف فيه ايماء الى ان النفوس الزكية الكاملة المكملة قد يلحقها الغم مما هو على
خلاف ما ينبغي من عبادة غير الله تعالى وغير هما مما يستحي ولا ينبغي فقلت بلى وكنت لا اثبت
على الخيل بل كنت اقع عنها احيانا فذكرت ذلك اي عدم الثبوت للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب
بيده على صدري حتى رايت اي علمت اثر يده اي تاثيرها القوة ضربها في صدري وقال اللهم ثبته
اي ظاهرا وباطنا واجعله هاديا اي لغيره مهديا بفتح وتشديد التحتية اي مهتديا في نفسه
لا يزيغ عن هديه قال فما وقعت اي سقطت عن فرس بعد اي بعد ذلك الدعاء او بعد ذلك
اليوم فانطلق قال الطيبي هو من كلام الراوي وقيل هو من كلام جرير ففيه التفات والمعنى
فذهب جرير في مائة اي مع مائة وخمسين فارسا من احمس اي من قوم قريش والاحمس الشجاع
ففي النهاية هم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس سموا احمسا لانهم تحمسوا
في دينهم اي تشددوا والحماسة والشجاعة والحاصل انهم كانوا متصلبين في الدين والقتال
فلا تستظلون ايام منى ولا يدخلون البيوت من ابوابها وامثال ذلك فحرقها بالنار بتشديد
الراء اي احرق جرير الخلصة وكسرها اي وابطلها متفق عليه وعن انس قال ان رجلا قيل لم
يعرف اسمه وقيل هو عبد الله بن ابي السرح وقيل انه غلط فانه مات مسلما بل هو رجل
كان نصرانيا فاسلم وقرا التوراة وال عمران كان يكتب اي الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد
عن الاسلام ولحق بالمشركين اي فعاد نصرانيا وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تقبله فاماته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا
هذا فعل محمد واصحابه نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا له فاعمقوا له في الارض ما استطاعوا

وقف لله عز وجل

فاصبح وقد لفظته الارض فعلموا انه ليس من الناس فالقوه قال انس فاخبرني ابو طلحة وهو زوج ام انس
انه اي ابا طلحة اتى الارض التي مات فيها فوجده منبوذا اي مطروحا ملقى على وجه الارض فقال ما
شان هذا فقالوا دفناه مرارا فلم تقبله الارض متفق عليه وعن ابي ايوب قال خرج النبي صلى
الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس اي سقطت وغربت ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها
فسمع صوتا يحتمل انه سمع صوت ملائكة العذاب او صوت يهود المعذبين او صوت وقع العذاب
وعند الطبراني ما يؤيد الثاني وكذا ظاهر ما بينته صلى الله عليه وسلم فقال يهود اي هذا اليهود
اي صوته يعني صوت جماعة من اليهود تعذب في قبورها فيه اثبات عذاب القبر ومعجزة من حيث
كشف احوالهم متفق عليه وعن جابر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر فلما كان قرب
المدينة بالنصب على نزع الخافض والخبر متعلقة اي فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قربها
هاجت اي ثارت وظهرت ريح اي عظيمة تكاد ان تدفن الراكب بكسر الفاء اي تغيبه
تواريه من شدة ثورانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت هذه الريح بصيغة المجهول
اي ارسلت لموت منافق اي في وقت موته فقدم المدينة فاذا عظيم من المنافقين قد مات قيل
هو رفاعة بن دريد والسفر غزوة تبوك وقيل رافع والسفر غزوة بني المصطلق رواه مسلم
وكذا البخاري وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرجنا اي من مكة مع النبي صلى الله
عليه وسلم حتى قدمنا عسفان بضم اوله ففي القاموس عسفان كعثمان موضع على مرحلتين
من مكة وقال شارح اي رجعنا عن السفر ووصلنا اي عسفان موضع قريب المدينة قال
صاحب الازهار هو غلط بل هو على مرحلتين من مكة ذكره المغرب وغيره فاقام بها اي بتلك
البقعة او القرية ليالي اي وايام فقال الناس اي بعض المنافقين او الضعفاء في الدين واليقين
ما نحن ها هنا في شيء اي شغل وعمل او في شيء من امر الحرب وان عيالنا لخلوف بالضم اي
لغائبون او نساء بلا رجال يقال حي خلوف اذا لم يبق منهم الا النساء والخلوف ايضا الحضور
المتخلفون والجملة حال وقوله ما نامن عليهم اي على عيالنا خبر بعد خبر ولعل تذكير الضمير
للتغليب وتنزيلا منزلة الرجال في الجلادة والشجاعة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
اي فوصله هذا الكلام فقال والذي نفسي بيده ما في المدينة شعب بكسر المعجمة اي
طريق في الجبل ولا نقب اي طريق بين الجبلين اي ليس في المدينة ما يطلق عليه الشعب
والنقب الا عليه ملكان يحرسانه بضم الراء اي يحفظانها بامر الله تعالى حتى تقدموا بفتح الدال
اي ترجعوا اليها قال الطيبي قوله عليه اي على كل واحد من الشعب والنقب والضمير في يحرسانه
راجع الى المدينة والمراد شعبها ونقبها قلت الاظهر ان يراد بها جميعها ثم قال ارتحلوا فارتحلنا
واقبلنا الى المدينة اي متوجهين اليها فوالذي يحلف به اي الله سبحانه ما وضعنا رحالنا
اي متاعنا عن ظهور جمالنا حتى دخلنا المدينة حتى اغار علينا اي معشر المدينة بنو عبد
الله بن غطفان بفتح المعجمة فالمهملة والمعنى ان المدينة حال غيبتهم عنهم كانت محروسة كما اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم اعجازا ولم يكن مانعا من الاغارة والتهجم عليها الا حراسة الملائكة وهذا
معنى قوله وما يهيجهم بتشديد الياء ما يثير بني عبد الله على الاغارة قبل ذلك اي قبل دخولنا
المدينة شيء اي من البواعث وقال شارح اي قبل الغارة وهو ليس بشيء رواه مسلم وعن
انس رضي الله عنه قال اصابت الناس سنة اي قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
في زمانه فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك

المال اي المواشي لانها اكثر اموالهم وهلاكها اما بتغيرها او بموتها وجاع العيال وهو بكسر العين من يلزمه النفقة من الاهل فادع الله لنا اي متضرعا اليه فرفع يديه اي بالسؤال لديه وما نرى اي نبصر في السما قزعة بفتح القاف والزاي اي قطعة من السحاب فوالذي نفسي بيده ما وضعها اي يده وافراد الضمير باعتبار ارادة الجنس حتى ثار السحاب اي سطع وظهر جنس السحاب ظهورا كاملا امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر في النهاية اي ينزل ويقطر وهو يتفاعل من الحدور ضد الصعود يتعدى ولا يتعدى انتهى والمعنى حتى يتساقط المطر على لحيته وقيل يريد ان السقف قد وكف حتى نزل الماء عليه ذكره ابن الملك ولا يخفى بعده فمطرنا بصيغة المفعول اي جاءنا المطر يومنا اي بقية يومنا ذلك وهو يوم الجمعة ومن الغد ومن بعد الغد يحتمل ان يكون من تبعيضية والاظهر انها ابتدائية لقوله حتى اي الى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي بعينه او غيره من الاعراب او من غيرهم قال الحافظ العسقلاني وفي رواية ثم دخل في الجمعة المقبلة وهو ظاهر انه غير الاول وفي رواية حتى جاء ذلك الاعرابي في الجمعة الاخرى وهذا يقتضي الجزم بكونه واحدا فلعل انسا ذكره بعد ان نسيه بعد ان ذكر قلت ويحتمل انه تردد في كون القايم الثاني هو الاول لكن غلب على ظنه تارة انه هو فعبر عنه بالجزم وتارة انه غيره فعبر عنه بالتنكير وتارة اي بصيغة الشك لاستواء الامرين عنده فالشك منه لا من غيره والله اعلم فقال اي القايم يا رسول الله تهدم تشديد الدال اي خرب البنا وغرق المال بكسر الراي صار غريقا فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا اي المطر حوالينا بفتح اللام اي في مواضع المنافع الحاصلة لنا ثم اكده بقوله ولا علينا اي لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا قال العسقلاني اي انزل الغيث في موضع النبات لا على الابنية يقال قعد حوله وحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام ولا يقال حواليه بكسر اللام قاله الجوهري وغيره ثم قال وفي قوله ولا علينا بيان للمراد بقوله حوالينا ثم في ادخال اللام هاهنا معنى لطيف وذلك لانه يقتضي ان طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا بعينه بل يكون وقاية عن اذى المطر قلنا الواو ها هنا لصحة العطف للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها فان الجوع ليس مقصودا بعينه لكن لكونه مانعا من الرضاع باجرة اذ كانوا يكرهون ذلك انتهى وقال بعض المحققين اوثر حوالينا لمراعاة الازدواج قوله علينا نحو قوله تعالى من سبا بنبا يقين وقال الطيبي قوله ولا علينا عطف على جملة حوالينا ولعله لكن الواو لكان حالا اي امطر على المزارع ولا تمطر على الابنية وادمج في قوله علينا معنى المضرة كانه قيل اجعل لنا لا علينا فما يشير حكاية حال ماضية الى ناحية اي جانب من السحاب جمع سحابة الا انفرجت اي انكشفت وتفرقت وصارت المدينة اي جوها مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو الفرجة في السحاب والمعنى ان المطر والغيم انكشف عما حاذانا واحاط بما حولنا بحيث صار جو المدينة مثل الجوبة خاليا عن السحاب فحذف المضاف وهو الجو واقيم المضاف اليه مقامه كذا ذكره شارح وقيل المعنى حتى صارت المدينة مثل الحرة المستديرة الواسعة وصار الغيم محيطا باطراف المدينة منكشفا عنها وسال الوادي قناة بالضم على انه بدل او بيان للوادي وهي علم له غير منصرف وفي نسخة بالفتح اعني بتقدير وفي اخرى بتنوينها شهرا ظرف سال قال ميرك اعرب قناة بالضم على البدل بناء على ان قناة اسم الوادي ولعله من تسمية الشي باسم ما جاوره اقول فالقناة اسم ارض بجنب الوادي والظاهر انها محفورة في الارض يكون نهر في بطنها يقال لها بالفارسية كاريز وسمي بها لطولها المشبه بالقناة وهي الرمح وقيل هو بالنصب والتنوين على التشبيه اي سال مثل قناة قيل ووقع في رواية البخاري حتى سال

ومعه [illegible]

وادي قناة شهرا وصح بغير تنوين في هذه الرواية انتهى كلامه ناقلا عن العسقلاني وقال شارح قناة نصب على الحال من فاعل سال اي سال الوادي سايلا مثل القناة ولما كان من شان القناة الاستمرار على الجري حسن ان يجعل حالا عن الوادي ويجوز نصبه مصدرا اي سيلا ن القناة وقال الطيبي نصب على الحال او المصدر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي مثل القناة او سيلان القناة في الدوام والاستمرار والقوة والمقدار وقال بعض المحققين قناة بفتح القاف والنون المخففة علم على ارض ذات مزارع ناحية احد وواديها احد اودية المدينة المشهورة قاله الحازمي وذكر محمد بن الحسن المخزومي في اخبار المدينة ان اول من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الاسلام وقيل الفقهاء يقولونه بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من القنوات وليس كذلك وهو الذي جزم به بعض الشراح وقال المعنى على التشبيه اي سال مثل القناة وعبارة البخاري حتى سال الوادي وادي قناة شهرا قال الكرماني قناة علم موضع قيل انها الوادي الذي عنده قبر حمزة رضي الله عنه وهو ياتي من الطايف وقيل نصب قناة على التمييز اي مقدار قناة بناء على ان التفسير لقناة بالرمح اولى منه بحفرة في الارض لانه قلما يبلغ الفناة في كثرة مياهها مبلغ السيول وفيه بحث لا يخفى على ذوي النهى ولم يجي احد من ناحية اي من جوانب المدينة الا حدث اي اخبر بالجود بفتح الجيم وسكون الواو اي المطر الكثير وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام بالمد وفي نسخة بكسر الهمزة جمع الاكمة وهي التل والرابية وقيل الاكمة تجمع على اكم وتجمع الاكم على اكام مثل كتاب وكتب وتجمع الاكم على اكام كعنق واعناق وقال ابن الملك هو بفتح الهمزة ممدودة وكسرها مقصورا جمع اكمة وهو ما ارتفع من الارض والظراب بكسر الظاء المعجمة اي الجبال الصغار وبطون الاودية اي الخالية عن الابنية ومنابت الشجر اي المنبت للثمر قال اي انس فاقلعت وفي نسخة بصيغة المجهول اي كفت السحاب عن المطر وقيل انكشفت والتانيث لانه جمع سحابة يقال اقلع المطر انقطع وفي القاموس اقلعت عنه الحمى تركته والاقلاع عن الامر الكف وفي المشارق اقلع المطر كف ومنه قوله تعالى يا سماء اقلعي انتهى وتبين ان صيغة المفعول من رواية المجهول والله اعلم وخرجنا نمشي في الشمس قال النووي في استحباب طلب انقطاع المطر عن المنازل والمرافق اذا كثر وتضرر به ولكن لا يشرع له صلاة ولا اجتماع في الصحراء متفق عليه وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة بكسر الجيم اي اصلها وساقها من سواري المسجد جمع سارية بمعنى الاسطوانة فلما صنع له المنبر بصيغة المفعول فاستوى عليه اي قام صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق اي نصفين او قطعا فنزل النبي صلى الله عليه وسلم اي ومشى اليها فضمها اليه اي الى نفسه صلى الله عليه وسلم وعانقها تسلية فجعلت اي طفقت الاسطوانة او جذع النخلة والتانيث التانيث من المضاف اليه تئن انين الصبي الذي يسكت بتشديد الكاف المفتوحة اي يحمل انينه حتى استقرت اي سكنت وسكنت قال اي النبي صلى الله عليه وسلم في سبب بكائها بكت على ما كانت تسمع من الذكر اي على فوته وهو قرب الذكر رواه البخاري وعن سلمة بن الاكوع قال ان رجلا يقال له بشر بن راعي العير وقيل بسر بالسين المهملة وهو من اشجع وضبط في الاذكار العير بفتح العين وبالياء المثناة منخفضة وقال هو صحابي اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت دعا عليه لانه كذب في اعتذاره ما منعه اي من قبول الحق وقال شارح اي من الاكل باليمين الا الكبر اي لا العجز قال الطيبي هو قول الراوي ذكره تتميما فالبيان موجب دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه كان قايلا قال لم دعا عليه بلا استطعت وهو رحمة

للطيبي فاجيب بان ما منعه من الاكل باليمين العجز بل منعه الكبر قال اي سلمة فما رفعها اي الرجل يمينه الي
فيه اي فمه بعد ذلك لدعائه عليه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن انس ان اهل المدينة فزعوا بكسر الزاي
اي خافوا من مانع العدو مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا اي عريانا لابي طلحة بطيئا اي
في الجري والمشي وكان اي الفرس يقطف بكسر الطا اي يمشي مشيا ضيقا ذكره شارح وقال
الطيبي اي تقارب خطاه فلما رجع اي النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق الناس قال وجدنا فرسكم
هذا بحرا اي جلدا سمي بحرا لان جريه لا ينفد كما لا ينفد ماء البحر وقال الطيبي هو المفعول الثاني
لوجدنا وشبه الفرس بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه فكان في نسخة وكان بعد ذلك لا يجاري
بفتح الراي لا يغالب في الجري ولا يسبق وفي رواية لا يحاذي به فرس يجري معه وفي رواية فما
سبق بعد ذلك اليوم رواه البخاري وكذا مسلم وعن جابر قال توفي بصيغة المجهول اي قبض ومات
ابي وعليه دين فعرضت على غرمائه ان يأخذوا التمر اي جميع تمرنا بما عليه اي في مقابلة ما عليه اي فابوا
اي امتنعوا لانه كان في اعينهم قليلا وهم يهود فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد علمت اي انت
ان والدي استشهد يوم احد وترك دينا كثيرا واني لكبير الهم احب ان تراك الغرما اي عندي لعلهم
يراعوني فقال لي اذهب فبيدر كل تمرة على ناحية اي اجمعه كل نوع صبرة في جهة امر من بيدر الطعام
اذا داس في البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام والمراد هنا اجعل كل نوع من تمرك بيدرا اي صبرة
واحدة وقيل وفق كل نوع في موضعه ففعلت اي صبرا وبيادر ثم دعوته اي طلبته صلى الله عليه وسلم فلما نظروا
اليه كانهم اغروا بي بصيغة المجهول اي لجوا في مطالبتي والحوا كان دواعيهم حملتهم على الاغراء بي من
اغريت الطير اي هيجته والمعنى اغلظوا علي فكانهم هيجوا بي وقيل هو من غري بالشيء اذا ولع به
والاسم الغرا بالفتح والمد يعني اغروا في الصقوا بي تلك الساعة اي ظنا منهم انه صلى الله عليه وسلم يامرهم
بالمسامحة او يحط بعض الدين او بالصبر فاظهروا ما يدل على انهم لا يرضون بشي من ذلك فلما راي ما
يصنعون طاف اي دار حول اعظمها اي اكبر تلك البيادر بيدرا والتمييز للتاكيد نحو قوله تعالى
ذرعها سبعون ذراعا ثلاث مرات ظرف طاف ثم جلس عليه اي على اعظمها اي اكبر تلك البيادر ثم قال ادع
لي اصحابك اي اصحاب دينك فحضروا فما زال يكيل لهم حتى ادى الله عن والدي اي قضى عنه امانته
اي دينه وسمي امانته لانه ايتمن على ادائه قال تعالى وتخونوا اماناتكم اي ما يؤتمنكم عليه ذكره التوربشتي
وانا راضي اي كنت ارضى حتى ان يؤدي الله امانة والدي ولا ارجع بالنصب ويجوز رفعه على ان يكون الجملة
حالية اي ولا انقلب الي اخواتي بتمرة فسلم الله البيادر كلها اي جعلها سالمة عن النقصان ذكره شارح
او خلصها عن ايدي الغرما ببركته صلى الله عليه وسلم وحتى اي بفتح الهمزة ويجوز كسرها قال الطيبي حتى
هي الداخل ما بعدها فيما قبلها وهي عاطفة على مقدر جعلوا في قوله فسلم الله البيادر كلها ثم فصلها بقوله حتى
كذا وحتى كذا انتهى ومحصله انها عطف على مقدر اي فسلم الله البيادر كلها لم ينقص من تلك البيادر التي
لم يكلها شي اصلا وحتى اني انظر الي البيدر الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم اي جالسا كانها اي القصة
او البيدر والتانيث باعتبار الصبرة لم تنقص تمرة بالرفع على ان النقص لازم اي ما ينتقص تمرة منها وفي
نسخة بالنصب على انها تمييز او مفعول والاسناد الي الصبرة مجازي وقوله واحدة للتاكيد رواه البخاري
وكذا النسائي وعنه اي عن جابر قال ان ام مالك اي البهزية من بني سليم لها صحبة ورواية وهي
حجازية روى عنها طاوس ومكحول كانت تهدي من الاهداء للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة بضم
فتشديد قربة صغيرة ذكره شارح وفي النهاية هي وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن
والعسل وهو بالسمن اخص لها اي كانت لام مالك سمنا مفعول تهدي فياتيها بنوها فيسالون

الادم بضمتين ويسكن الثاني اي الادام وليس عندهم فيه تغليب شي او مما يشترى به والجملة حال فتعمد بكسر
الميم اي تقصد امهم الي الذي اي الي العكة والتذكير باعتبار الظرف كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه
وسلم فتجد فيه سمنا فما زال اي الظرف او السمن الذي تجده فيه يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته اي
لزيادة الطمع فانقطع الادام بناء على ان الحرص شوم والحريص محروم فاتت النبي صلى الله عليه وسلم اي واخبرته
بالخبر جميعا وقال الطيبي اي فاتت وشكت انقطاع الادام بيتها من العكة فقال عصرتيها اي العكة والبا
للاشباع وهمزة الاستفهام مقدرة قالت نعم قال لو تركتيها باشباع البا ايضا اي لو تركت ما فيها من
السمن وما عصرتيها ما زال اي ادام بيتك قايما اي ثابتا دايما فان البركة اذا نزلت في شي ولو كان قليلا
كثر ذلك القليل رواه مسلم وعن انس قال ابو طلحة لام سليم وهي ام انس زوجة ابي طلحة لقد سمعت
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شي اي ولو قليل من الماكول فقالت
نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا لها وهو ما تستر المراة به راسها فلفت الخبز ببعضه ثم
دسته اي خبته واخفته تحت يدي اي يد انس ففي النهاية يقال دسه اذا ادخله في الشي بقهر
وقوة ولاثتني بالثا المثلثة اي عممتني ببعضه اي ببعض الخمار وهو الطرف الاخر منه قال القاضي
اي عممتني او لففت بي من اللوث وهو لف الشي بالشي واداره عليه انتهى وفيه دلالة على كمال قلة
الخبز ثم ارسلتني الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به اي بالخبز اليه فوجدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المسجد قال العسقلاني المراد بالمسجد هو الموضع الذي اعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلوة
فيه حين محاصرة الاحزاب المدينة في غزوة الخندق ومعه الناس اي الكثير وهم ثمانون رجلا على ما
سياتي فسلمت عليهم اي بلفظ الجمع وقصد الجميع فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك بهمزة
مقدرة وقال العسقلاني بهمزة ممدودة للاستفهام اي ابعثك الي ابو طلحة قال نعم وهو لا ينافي ارسال امه
لان مؤداها واحد ومآلهما متحد ولعله صلى الله عليه وسلم عدل عن ذكرها احتشاما او لان ابا طلحة هو الباعث
الاول فتامل فانه المعول قال بطعام قلت نعم والظاهر انه اما للتفهيم او بحسب تدريج الوحي والتعليم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا قال ابن حجر ظاهره انه صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه
الي منزله فلذا قال لمن حوله قوموا واول الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس فيجمع بانهما
ارادا ارسال الخبز مع انس ان ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم فياكله فلما وصل انس وراى كثرة الناس استحيى
وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الي المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل
ان يكون ذلك على راي من ارسله عهد اليه اذا راى كثرة الناس دعا النبي صلى الله عليه وسلم
خشية ان لا يكفيهم ذلك الشي وقد عرفوا ايثار النبي صلى الله عليه وسلم وان لا ياكل وحده وقد وجدت اكثر
الروايات تقتضي ان ابا طلحة استدعى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة قلت هذا الكلام كله غير مستقيم
على النهج القويم لانه صلى الله عليه وسلم لما عرف بنور الوحي ان ابا طلحة ارسل انسا بطعام واخبره به كيف يفهم
ان ابا طلحة استدعاه الي منزله ثم قوله واول الكلام يقتضي الي اخره ليس في محله لانه صريح في ذلك المرام
لا مقتضي الكلام ثم لا دلالة للاستحيا والاستدعا المنسوبين لانس لانه ليس له ولاية ذلك ولعل اي عن ارسله
لانه لو كان بامر ابي طلحة لما حصل له فزع واضطراب بما قال النبي صلى الله عليه وسلم اليه فالصواب انه صلى الله
عليه وسلم اراد اظهار المعجزة وهو اشباع جمع كثير بخبز قليل ومتضمنة الي معجزة اخرى وهي قضية العكة
الاتية في بيت ابي طلحة وانس امه ليحصل لهم بركة عظيمة بحسن نيتهم واخلاص طويتهم واداب
خدمتهم ويكون نظير ما تقدم والله اعلم قال انس فانطلقت اي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه
من الناس وانطلقت بين ايديهم اي قدامهم كهيئة الخادم والمضيف او مسرعا لايصال الخبر لقوله

حتى جيت ابا طلحة فاخبرته اي باتيانهم فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
اي معه وليس عندنا ما نطعمهم اي غير ما ارسلناه اليه وثم جمع كثير فكيف نقدم لهم شيا قليلا فقالت
الله ورسوله اعلم اي فلا بد من ظهور بعض الحكم قال النووي فيه منقبة عظيمة لام سليم ودلالة
على عظم دينها ورجحان عقلها وقوة يقينها تعني انه صلى الله عليه وسلم قدر الطعام فهو اعلم بالمصلحة
ولو لم يعلم المصلحة لما فعلها فانطلق ابو طلحة اي مسارعا حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه اي حتى دخلا على ام سليم والناس وراهما فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم اي عجلي واحضري ما عندك اي من الخبز فاتت بذلك
الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ابا طلحة او غيره بالخبز يعني بتفتيته ففت بصيغة
المجهول الماضي اي جعل فتيتا اي قطعا صغارا مفتوتا قال شارح او هو امر مخاطب ولعل تقديره
فامر به وقال فت وعصرت ام سليم عكة فادمته بفتح الهمزة وفي نسخة بمدها اي جعلت ما خرج
من العكة وهو السمن اداما له اي للفتيت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اي في ذلك الخبز
مع الادام وفيما ذكر من الخبز والادام ما شا الله ان يقول اي من الدعا او الاسما وفي رواية ثم قال
بسم الله اللهم اعظم فيها البركة ثم قال اي لابي طلحة او لانس ولغيرهما ايذن لعشرة وانما اذن
لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها اكثر من عشرة الا
بضرر يلحقهم لبعدها عنهم ذكره الطيبي وقيل انما لم ياذن للكل مرة واحدة لان الجمع الكثير اذا نظروا
الى طعام قليل يزداد حرصهم الى الاكل ويظنون ان ذلك الطعام لا يشبعهم والحرص عليه يمحق
البركة ويمكن ان يكون بنا على ان الجمع الجليل اذا ابصروا الطعام القليل لآثر بعضهم بعضا
على انفسهم او استحيوا من الاكل الكثير واستقلوا الى الطعام ولم يحصل لهم مرادهم من القوة
في الشجاعة وعلى ادا الطاعة وقيل لضيق المنزل فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا
ثم قال ايذن لعشرة ثم لعشرة اي وهلم جرا فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون او ثمانون
رجلا قال ابن حجر كذا وقع هنا بالشك وفي غير هذا الجزم بالثمانين وفي رواية بضعة وثمانون وفي رواية
ابن ابي ليلى فعل ذلك بثمانين رجلا وفي رواية عند احمد قلت كم كانوا قال كانوا نيفا وثمانون
ولا منافاة بينهما لاحتمال ان يكون الغي الكسر لكن في رواية عند احمد حتى اهل منها بضعة وثمانون
وبقي كما هي وهذا يويد التغاير وان القضية متعددة قلت القضية متحدة والجمع
بان الجمع الاول كانوا اربعين ثم لحقهم اربعون اخر ممن كانوا وراهم او وقع منه صلى الله عليه وسلم دعاهم
متفق عليه وفي رواية لمسلم انه قال ايذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى
فعل ذلك بثمانين رجلا ثم اي بعد فراغ اكل اصحاب النبي اكل النبي صلى الله عليه وسلم واهل
البيت وترك سورا بضم سين وسكون همز ويبدل وجزم التوربشتي وقال هو بالهمز
اي بقيته وفي رواية للبخاري قال ادخل علي عشرة حتى عد اربعين ثم اكل النبي صلى الله عليه
وسلم اي من غير انتظار للاربعين الاخر ليحصل بركته للطرفين من الاربعينين او المعنى ثم بعد
فراغ الكل اكل فجعلت انظر اي اتفكر واتردد واتامل هل نقص منها شي اي ام لا فلا ينظر منه
نقص اصلا وفي رواية لمسلم ثم اخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال اي
لاهل البيت دونكم هذا اي خذوه وقال التوربشتي فان قيل كيف يستقيم هذه الروايات
من صحابي واحد ففي احديهما يقول ترك سورا وفي الاخرى يقول فجعلت انظر هل نقص منها
شي وفي الثانية ثم اخذ ما بقي فجمعه الحديث قلنا وجه التوفيق فيهن هين بين وهو ان

نقول

نقول انما قال وترك سورا باعتبار انهم كانوا ياتيهما ولون منه فما فضل منه سماه سورا وان كان بحيث يحسب ان
لم ينقص منه شي واراد بذلك ما فضل عنهم بعد ان فرغوا منه وقيل اخبر في الاولى انه دعا فيه بالبركة وفي
الثانية بحكاية على ما وجده عليه بعد الدعا وعوده الى المقدار الذي كان عليه قبل التناول والثالثة
لا التباس فيها على ما ذكرناه وعنه اي عن انس قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم اي جي باناء وهو بالزورا
بالفتح والمد وهي البير البعيدة القعر وقيل موضع قريب بالمدينة ذكره شارح والظاهر ان الثاني هو
المراد قال ابن حجر هو مكان بالمدينة عند السوق وفي القاموس موضع بالمدينة قرب المسجد فوضع يده
في الانا فجعل اي شرع الما ينبع بفتح الموحدة وضمها وجوز كسرها فقيل فيه ثلاث لغات والمختار
الفتح وفي المصباح نبع كنصر ومنع لغة وفي القاموس نبع ينبع مثلثة خرج من العين من بين اصابعه
قال النووي في كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره احدهما ان الما يخرج من نفس اصابعه
وينبع من ذاتها وهو قول المزني واكثر العلما وهو اعظم من المعجزة من نبعه من حجر ويويده ما جا في
رواية فرايت الما ينبع من اصابعه وثانيهما انه تعالى اكثر الما في ذاته فصار يفور من بين اصابعه
فتوضا القوم اي منه قال قتادة قلت لانس كم كنتم اي يومئذ قال ثلثمائة بالنصب على تقدير كنا
وفي نسخة بالرفع اي نحن او القوم ثلثمائة وكذا قوله او زها ثلثمائة بنصب زها ورفعه وهو
بضم الزاي وبالمد اي مقدارها قال الطيبي ثلثمائة منصوب على انه خبر كان المقدر وزها ثلثمائة اي
قدر ثلثمائة من زهوت القوم اذا حزرتهم متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد
الايات اي المعجزات والكرامات بركة وانتم تعدونها تخويفا اي انذارا وهلكة قال شارح وسميت
اية لانها علامة نبوته فقيل اراد ابن مسعود رضي الله عنه بذلك ان عامة الناس لا ينفع فيهم
الا الايات التي نزلت بالعذاب والتخويف وخاصتهم يعني الصحابة كان ينفع فيهم الايات المقتضية
للبركة انتهى وحاصله ان طريق الخواص مبني على غلبة المحبة والرجا وسبيل العوام مبني
على كثرة الخوف والعنا ويسمى الاولون بالطائرين المجذوبين المرادين والاخرون بالسائرين السالكين
المريدين وتفصيل هذا المرام مما لا يقتضيه المقام قال الطيبي قوله وانتم تعدونها تخويفا
من قوله تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا والايات اما ان يراد بها المعجزات او ايات الكتاب
المنزلة وكلاهما بالنسبة الى المومن الموافق بركة وازدياد في ايمانه وبالنسبة الى المخالف
المعاند انذار وتخويف يعني لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة
وفيه مدح للصحابة الذين استسعدوا بصحبة خير البرية وتحولهم الى طريقته وذم لمن عدل عن
الطريق المستقيم قلت ايراد الاية المذكورة في هذا المقام غير مناسب للمرام فان معناها على
ما قاله المفسرون وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة كما يدل عليه ما قبله من قوله وما
منعنا ان نرسل بالايات تاتي بالايات المقترحة كما يدل عليه ما قبله من قوله وما منعنا ان نرسل
بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وقوله الا تخويفا اي من
نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا
بعذاب الاخرة فان امر من بعث اليهم موخر الى يوم القيامة فالتخويف مطلوب من المومنين
على كمال المفنيين على ما نطق به الكتاب على ابلغ وجه واكده حيث اتى بصيغة الحصر فكيف يستقيم
لابن مسعود رضي الله عنه ان ينكر عليهم في عدها تخويفا فتبين ان مراده غير هذا المعنى مما
تقدم والله اعلم والاظهر ان يقال معناه كنا نعد خوارق العادات الواقعة من غير سابقة طلب
مما يترتب عليها البركة ايات ومعجزات وانتم تحصرون خوارق العادات على الايات المقترحة

التي يترتب عليها مخافة العقوبة ويدل عليه بيانه بقوله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما
فقال اطلبوا فضلة من ما فجاوا باناء فيه ما قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور بفتح الطا
اي الما المبارك اي الكثير البركة والمعنى هلموا اليه واسرعوا والبركة من الله اي لا من احد سواه
ثم قال ابن مسعود ولقد رايت الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا
اي احيانا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وذكر صاحب الشفا وغيره عن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم اخذ كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح رواه البخاري وكذا الترمذي
وعن ابي قتادة قال خطبنا اي خطب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم
اي اول ليلتكم وليلتكم اي بقيتها واخرها وتاتون الما اي تحضرونه ان شا الله غدا فانطلق
الناس لا يلوي احد على احد اي لا يلتفت اليه ولا يعطف عليه بل يمشي كل واحد على حدته من غير
ان يراعي الصحبة لاهتمامه بطلبه ووصوله اليه وحصوله لديه قال ابو قتادة فبينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير اي ليلته حتى ابهار الليل بسكون الموحدة وتشديد الراء ومصدره
ابهيرار كاحمار احمرارا اي انتصف وتوسطه ذكره التوربشتي ويقال ذهب معظمه واكثره وقيل
ابهار الليل اذا طلعت نجومه واستنارت فمال عن الطريق اي لقصد النوم فوضع راسه ثم
قال اي لبعض خدمه احفظوا علينا صلوتنا اي وقتها وهي صلوة الصبح فكانه غلب عليهم
النوم فرقدوا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اسم كان وخبره
اول والشمس في ظهره اي طالعة جملة حالية ثم قال اركبوا قال ابن الملك في
تاخيره صلى الله عليه وسلم قضا الصلوة دليل على ان من نام عن صلوة او نسيها ثم تذكرها
لا يجب عليه القضا على الفور وعلى ندب مفارقة الموضع الذي تركه فيه المامور او ارتكب
فيه المنهي يعني ولو من غير قصد لكن الاظهر ان تاخيره انما هو لرجا ان يصل الى الما او
الى خروج وقت الكراهة كما يدل عليه قوله فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس اي بقدر رمح
او اكثر ثم دعا بميضاة بكسر الميم وفتح الهمزة وفي نسخة بالف قبل الهمزة واصله موضاة
ابدلت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها قال ابن الملك بكسر الميم على مفعلة من الوضوء وفي
الفائق هي على مفعلة ومفعالة مطهرة كبيرة كانت معي فيها شي اي قليل من ما فتوضا
منها وضوا دون وضو يعني وضوا وسطا وذلك لقلة الما ذكره شارح ووافقه الطيبي
وقيل اراد انه استنجى في هذا الوضو بالحجر لا بالما والصواب الاول قاله ابن الملك والاظهر ان يقال
وضوا دون وضوئه المعتاد في سائر الاوقات من التثليث بان اكتفى بمرة او مرتين قال اي ابن
مسعود وبقي فيها شي من ما ثم قال اي النبي عليه السلام احفظ علينا اي لاجلنا ميضاتك
اي ذاتها وما فيها فسيكون لها نبا اي خبر عظيم وشان جسيم وغاية جليلة ونتيجة جميلة يتحدث بها ويروى
حكايتها وقال ابن الملك اي معجزة كما سياتي ثم اذن بلال بالصلوة فيه استحباب الاذان للقضا كما هو سنة للادا
فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين اي سنة الصبح لفوتها مع وقته المودى ان قبل الزوال واما اذا فاتت
وحدها فلا قضا لها الا عند محمد لكن بعد طلوع الشمس الى زوالها وبعد الزوال لا يقضي اتفاقا ثم صلى
الغدوة اي فرض الصبح قضا وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس اي النازلين من اهل القافلة
حين امتد النهار اي ارتفع وحمي كل شي اي اشتد حرارته وهم يقولون يا رسول الله هلكنا اي من حرارة
الهوا وعطشنا بكسر الطا اي من عدم الما فقال لا هلك بضم فسكون اي لا هلاك عليكم وهو دعا او خبر
ودعا بالميضاة فجعل يصب اي الما وابو قتادة يسقيهم بفتح اوله وبضم فلم يعد مضارع عدا اي لم يتجاوز

ان راى الناس ان مصدرية اي رويتهم ما اي كثيرا في الميضاة تكابوا بتشديد الموحدة اي تزاحموا عليها اي على
الميضاة مكبا بعضهم على بعض قال الطيبي لم يضبط الشيخ محيي الدين هذه اللفظة وفي اكثر نسخ المصابيح
وقعت بفتح التا وسكون العين وضم الدال واثبات الف وفي قوله فتكابوا وليس في مسلم ولا في شرحه
الف وان راى الناس يحتمل ان يكون فاعلا اي لم يتجاوز روية الناس الما الى تكابهم فكابوا وان يكون
مفعولا اي لم يتجاوز السقي وصب الما روية الناس الما تلك الحالة وهي تكابهم عليه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احسنوا الملا بفتحتين اي الخلق ففي القاموس الملا محركة الخلق ومنه احسنوا املاءكم
اي اخلاقكم وفي الفائق الملا حسن الخلق وقيل للخلق الحسن ملا لانه اكرم ما في الرجل وافضله
من قولهم للكرام الفحول ووجوههم ملا وانما قيل للكرام لانهم يتمالون اي يتعاونون افود الاظهر
ان يقال لانهم يملون المجلس او يملون العيون عظمة او تحشما وخدمهم كثرة كلكم سيروى
بفتح الواو اي جميعكم تروون من هذه الما فلا تزدحموا ولا تستبكوا خلافكم بالتدافع قال اي الراوي
ففعلوا اي الناس احسان الخلق ولم يزدحموا حيث اطمانوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري اي من الصحابة وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب
فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم اخرهم اي شربا كما
في بعض الروايات على ما سياتي ولا شك ان الساقي حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي قول
ابي قتادة واسقيهم لانه بمعنى انا وهم قال فشربت وشرب قال اي ابو قتادة فاتى الناس الما اي
وصلوا الى مكان الما جامين بتشديد الميم اي مستريحين ذكره التوربشتي رواه بالكسر والمد
جمع راو وهو الذي روي بمعنى الما او جمع ريان كعطشا جمع عطشان اي ممتلين من الما وقال شارح
قوله جامين اي مجتمعين من الجم او مستريحين من الجمام بالفتح وهو الراحة وزوال الاعيا قال
التوربشتي واكثر ما يستعمل ذلك في الفرس يعني لانه كثير العطش رواه مسلم هكذا في صحيحه وكذا
في كتاب الحميدي وجامع الاصول اي ساقي القوم اخرهم بدون شربا وهكذا في تاريخ البخاري
ورواية احمد وابي داود عن عبد الله بن ابي اوفى وزاد في المصابيح بعد قوله اخرهم لفظ شربا
قلت وهو رواية الترمذي وابن ماجه عن ابي قتادة وكذا رواه الطبراني في الاوسط والقضاعي
عن المغيرة وعن ابي هريرة قال لما كان يوم غزوة تبوك بعدم الانصراف وقد يصرف وهو موضع بينه وبين
المدينة مسيرة شهر قال ابن حجر المشهور في تبوك عدم الصرف للتانيث والعلمية ومن صرفها اراد الموضع
انتهى والاظهر انه لا يجوز صرفه للعلمية ووزن الفعل على وزن يزيد قال السيوطي وكانت سنة تسع في رجب
وهي اخر غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه وقيل سميت بذلك لانه صلى الله عليه وسلم راى قوما من اصحابه
يبوكون عين تبوك اي يدخلون فيها القدح اي السهم ويحركونه ليخرج الما فقال ما زلتم تبوكونها بوكا
اصاب الناس جواب لما اي حصل لهم مجاعة بفتح الميم اي جوع شديد فقال عمر يا رسول الله ادعهم
بفضل ازوادهم وفي الحديث اختصار اذ روي انهم اصابتهم مجاعة فقالوا يا رسول الله لو اذنت لنا فنحرنا
نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال افعلوا فجاء عمر فقال يا رسول الله ان فعلت قلت الظهر ولكن ادعهم بفضل
ازوادهم والفضل ما زاد عن شي والازواد جمع زاد وهو طعام يتخذ للسفر فالمعنى مرهم بان ياتوا
ببقية ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها اي على تلك الازواد بالبركة اي كثرة الخير فقال نعم فدعا بنطع بكسر
النون وفتح الطا وفي نسخة بفتح فسكون والاول افصح على ما صرح به شراح الشفا وقال النووي في
النطع لغات فتح النون وكسرها مع فتح الطا واسكانها وافصحهن كسر النون وفتح الطا وفي القاموس
النطع بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب بساط من الاديم فبسط بصيغة المجهول اي النطع ثم دعا

وصف ... عز وجل

بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة بفتح الذال المعجمة وتخفيف الرا ففي القاموس الذرة كثبة حب معروف
اصله ذرو او ذري والها عوض ويجي الاخر بكف تمر اسم جنس واحده تمرة بالتا ويجي الاخر بكسرة اي بقطعة من الخبز حتى اجتمع
على النطع شي يسير اي قليل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة اي بنزولها عليه ثم قال خذوا
اي ما يريدون من الزاد الواقع في النطع فاجعلوا في اوعيتكم وقال الطيبي اي صبوا في اوعيتكم اخذتي
وخذ واصابني في اوعيتكم انتهى وقد اشار الى نوعي التضمين لكن التضمين الجعل اولى من الصب في
هذا المقام من جهة المعنى كما لا يخفى على ذوي النهى فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر
اي في العسكر وفي نسخة ابي يجي لعسكر وعاء الا ملوه وما حلي ذلك المال الحلال قال اي ابو هريرة فاكلوا اي
جميع العسكر حتى شبعوا وفضلت بفتح الضاد ويكسر اي زادت فضلة بالرفع اي زيادة كثيرة ففي
القاموس الفضل ضد النقص وقد فضل كنصر وكرم والجمع فضول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فيه ايما الى ان رواية المعجزات سبب زيادة اليقين من المعتقد
لا يلقى الله بهما اي بالشهادتين عبد قال الطيبي يجوز ان يكون النافية سببية او استئنافية
او حالا وقد جي بالجملة استطرادا واستبشارا للامة وقوله غير شاك مرفوع صفة عبد قالت
وفي نسخة منصوب على الاستثنا او الحال فيحجب بالنصب وفي نسخة بالرفع اي فيمنع عن الجنة
قال شارح فيحجب بالنصب باضمار ان في جواب النفي وهو لا يلقى انتهى قال ابن الملك والمعنى
من يلقى الله بالشهادتين من غير تردد وشك فلا يحجب عن الجنة ابدا وقال الطيبي فيحجب
مرفوع عطفا على الجملة السابقة والنفي منصب عليهما معا رواه مسلم وكذا البخاري نحوه عن سلمة
وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا هو نعت يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى زوجا
جديدا بزينب اي بسببها وقيل اي متزوجا بها فعمدت بفتح الميم اي قصدت امي ام سليم بدل او بيان
الى تمر وسمن واقط بفتح فكسر اي لبن مجفف يابس مستحجر على ما في النهاية وفي القاموس الاقط
مثلثة ويحرك وككتف ورجل وابل شي يتخذ من المخيض الغنمي فصنعت حيسا فالحيس مجموع
الثلاثة والحديث متفق عليه فقول ابن حجر في شرح الشمائل الحيس هو تمر مع سمن او اقط وقيل هو
مجموع ثلاثة نقل غير مرضي والصواب ان يقال وقد يطلق على التمر مع سمن او اقط كما قال وقد يجعل
بدل الاقط دقيق او فتيت ويؤيده ما ذكرناه ما في القاموس الحيس الخلط وتمر يخلط بسمن واقط فيعجن
شديدا ثم يندر منه نواه وربما يجعل فيه سويق فجعلته اي ام سليم في تور بمثناة فوقية فواو
ساكنة فرا انا كالقدح فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا
اليك امي وهي تقريك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل اي نزر هين غير لائق بك فذهبت اي به
اليه فقلت اي ما اوصتني به فقال ضعه اي قايلا بلسان الحال ان اليسير عندنا كثير وله بعد القبول
فضل كبير ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا اي ثلاثة سماهم اي عينهم باسمايهم ونسبتهم
فعبرت عنهم بفلان وفلان وفلان فقوله رجالا اسماهم من كلام انس بدل من فلانا الى اخره او بتقدير
اعني او يعني والله اعلم وادع لي من لقيت اي على العموم فدعوت من سمي ومن لقيت فرجعت فاذا
البيت غاص بتشديد الصاد المهملة اي ممتلئ بهم والظاهر ان المراد بالبيت هو الدار ويحتمل
ان يكون على بابه ويكون فيه معجزة اخرى حيث وسع خلقا كثيرا قيل لانس عددكم كم كانوا قال
نظرا الى معنى العدد لزيادته على الواحد قال زهاء ثلاثمائة بنصب زهاء على تقدير كانوا وقيل برفعه
اي عددنا مقدار ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله اي من
الذكر والدعوة ثم جعل يدعو عشرة عشرة اي عشرة بعد عشرة لما سبق بالموت منه ويقول لهم اذكروا اسم

الله وليأكل

الله وليأكل بسكون لام الامر ويكسر اي يتناول كل رجل مما عليه اي مما يقربه من الوعاء قال اي انس فاكلوا حتى
شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم اي وشبعوا جميعهم قال لي يا انس ارفع اي القدح فرفعت
فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت اي في الصورة والا فلا شك انه حين الرفع اكثر ببركة وضع يده
صلى الله عليه وسلم وفضلة اصحابه رضي الله عنهم هذا وقد قيل ظاهره ان الوليمة لزينب كانت من الحيس
الذي اهدته ام سليم والمشهور من الروايات انه اولم عليها بالخبز واللحم ولم يقع في القصة تكثير ذلك الطعام
واجيب بانه يجوز ان يكون حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم وانكار وقوع تكثير الطعام
في قصة الخبز واللحم عجيب فان انسا يقول اولم عليها بشاة وانه اشبع المسلمين خبزا ولحما وهم يومئذ نحو
الالف قلت لا دلالة فيه على ان الحيس وليمة وانما وقع ارساله هدية ثم ابانه تفرد ذلك اليوم واما في يوم
الاخر اولم عليها بشاة واشبع الالف خبزا ولحما فلا منافاة بين القضيتين ولا معارضة بين المعجزتين والله
سبحانه اعلم متفق عليه وعن جابر قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا على ناضح اي راكب
على بعير يستقى عليه كما في النهاية قد اعيى اي عجز عن المشي قال ابن الملك هو لازم ومتعد فلا يكاد يسير
اي لا يقرب السير المطلوب منه فتلاحق اي لحق بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لبعيرك قلت قد عيي
بكسر اليا اي عجز فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عن العسكر وعن الناضح فزجره اي بالضرب
او الصوت فدعا له فما زال بين يدي الابل اي سابقا قدامها بدل او بيان لقوله بين يدي الابل
وهو ظرف لقوله فما زال ويجوز ان يكون ظرفا لقوله يسير ويسير خبره واسمه عائد الى الناضح كذا حققه
الطيبي فقال لي كيف ترى بعيرك اي الان قلت بخير قد اصابته بركتك قال افتبيعنيه بوقية اي
باربعين درهما صرح به شارح وهو بضم الواو وفتح وكسر القاف وتشديد التحتية قال
في المصابيح وجرى على السنة الناس بالفتح في الوقية وهو لغة حكاها بعضهم وفي نسخة
صحيحة باوقية بضم الهمز وسكون الواو وقيل هذا هو المشهور والوقية يستعملها الان المستغربون وهو بالفتح
لغة عامرية والاوقية لغير ثم قيل هي في الحديث اربعون درهما وعند الاطبا متعارف الناس الان
عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وفي القاموس الوقية بالضم سبعة مثاقيل كالاوقية بالضم وفتح
المثناة التحتية مشددة واربعون درهما وقيده صاحب النهاية بقوله في القديم فبعته
على ان لي فقار ظهره الى المدينة بفتح الفا اي ركوبه فقار ظهره وهي عظام الظهر ففي النهاية
فقار الظهر خرزاته الواحدة فقارة اي بالفتح كما نص عليه صاحب القاموس واسم سيفه صلى الله عليه
وسلم ذو الفقار لانه كان فيه حفر صغار حسان على ما في النهاية قال ابن الملك فيه جواز استثنا المنفعة
في البيع مرة فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت عليه بالبعير اي اتيته به غدوة
فاعطاني ثمنه ورده علي قال ابن حجر هذا بطريق المجاز لان المعطية انما وقعت له بواسطة
بلال كما رواه مسلم فلما قربت المدينة قال لبلال اعطه اوقية من ذهب وزد انتهى وفيه
بحث اذ الظاهر ان امره ببلال سبق ثم اعطاه في غده تحقق مع ان حقيقة المعطي انما يكون
للامر به متفق عليه وعن ابي حميد بالتصغير الساعدي نسبة الى بني ساعدة قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك اي اليها او فيها فنصب غزوة على نزع الخافض فاتينا وادي
القرى بسكون يا الوادي لكنها تسقط في الدرج وفي بعضها بنصبها وهو ظاهر على التركيب اضافي
لا مزجي وقال التوربشتي وادي القرى لا يعرب اليا من الوادي فان الكلمتين جعلتا اسما واحدا
انتهى وهو موضع معروف اي جئناه مارين على حديقة اي بستان عليه حائط لامراة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوها بضم الراي فخرصوا وخرصنا اي حزرنا ما فيها اي

بعض

ومع

مختلفين في قدرها وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة اوسق والوسق ستون صاعا وقال احصيها
بفتح الهمزة اي اضبطيها واحفظي عددها كم يبلغ ثمرها حتى نرجع اليك ان شاء الله وانطلقنا حتى
قدمنا تبوك بمنع الصرف هنا في جميع النسخ يدل على انه غير منصرف لا غير فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ستهب بضم الهاء وتشديد الموحدة اي ستمر عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها احد اي من
مكانه فانه يضره فمن كان له بعير فليشد اي فليربط من الان عقاله بكسر العين ما يربط به وظيف البعير
الى ذراعه فهبت ريح شديدة فهذه معجزة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبلي طي بياء مشددة
بعدها همزة على وزن سيد وهو ابو قبيلة من اليمن ذكره في شرح مسلم وكذا في القاموس ثم قيل
الجبلان احدهما اجا بالتحريك وهو بهمزة وجيم فهمزة على فعل كجبل وقيل كعصا والاخر سلمى بفتح
السين وهما بارض نجد ويقال انهما سميا باسم رجل وامراة من العمالقة والحاصل ان هذه معجزة
اخرى قال الراوي ثم اقبلنا اي في الرجوع حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم المراة عن حديقتها كم بلغ ثمرها بفتح المثلثة والميم ويجوز ضمها وضم فسكون والمراد ثمرها كما
في نسخة فقالت عشرة اوسق بالنصب اي بلغ وفي نسخة بالرفع اي عدد اوساقها عشرة اوسق
مطابقا لقوله عليه السلام فهذه معجزة ثالثة لاجل تحديها وطلب معارضتها فلا ينافيه انه قد يقع
مثل هذا اتفاقيا ولعله صلى الله عليه وسلم اراد بهذه المعجزات اظهار نبوته للذين كانوا معه من
اهل النفاق ولزيادة ايقان اي ايمان اهل الوفاق متفق عليه وعن ابي ذر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون مصر وهي بلدة معروفة وهي ارض يسمى اي يذكر فيها
القيراط وهو نصف عشر دينار وقيل خمس شعيرات واصله قراطة بتشديد الراء ابدلت الراء الاولى
يا وتطيره دينار قال القاضي اي يكثر اهلها ذكر القراريط في معاملاتهم لتشددهم فيها وقلة مروتهم وقيل
القراريط كلمة يذكرها اهلها في المسابة ويقولون اعطيت فلانا قراريط اي اسمعته المكروه وقد حكاه
الطحاوي عنهم وهو اعلم بلهجة اهل بلده لانه منهم ومعنى الحديث ان القوم لهم دناءة وخسة او
في لسانهم بذا او فحش فاذا فتحتموها اي اذا استوليتم على اهلها وتمكنتم منهم فاحسنوا الى اهلها
اي بالصفح والعفو عما تنكرون ولا يحملنكم سوء افعالهم واقوالهم على الاساءة فان لها اي لاهلها ذمة
اي حرمة واماما من جهة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ورحما بفتح فكسر اي قرابة من قبل هاجر
ام اسماعيل عليه السلام فان هاجر ومارية كانتا من القبط او قال ذمة وصهرا شك من الراوي قال
شارح فعلى هذه الرواية الصهر يختص بمارية والذمة بهاجر فاذا رايتم رجلين يختصمان في موضع
لبنة بفتح لام وكسر موحدة وهي الاجر قبل طبخه فاخرج اي يا ابا ذر منها اي من مصر والظاهر
المطابق لرايتم ان يقال فاخرجوا ولعله صلى الله عليه وسلم خص الامر به شفقة عليه من وقوعه في
الفتنة لو اقام بينهم قال اي ابو ذر فرايت عبد الرحمن بن شرحبيل بضم ففتح فسكون فكسر فسكون
بلا انصراف بن حسنة بفتحات واخاه ربيعة لم يذكرهما المولف في اسمايه يختصمان في موضع لبنة فخرجت
منها وقد وقع هذا في اخر عهد عثمان حين عتبوا عليه ولاية عبد الرحمن بن سعد بن ابي سرح
اخيه من الرضاعة فهذا من قبيل ما كوشف للنبي صلى الله عليه وسلم من الغيب انه سيحدث هذه
الحادثة في مصر وسيكون عقيب ذلك فتن وشرور كخروج المصريين على عثمان رضي الله عنه اولا
وقتلهم محمد بن ابي بكر ثانيا وعدوا عليه من قبل علي فاختبا حين احس بالشر في جوف حمار
ميتة فحرقوه بالنار فجعل ذلك علامة وامارة لتلك الفتن وامر ابا ذر بالخروج منها حين راه وهذا هو الظاهر
وعليه اقتصر الشراح وقال الطيبي اعلم ان في طباع سكانها خسة ومماكسة كما دل عليه صدر الحديث

فاذا

فاذا اقتضت الحال الى ان يتخاصموا في هذا المحقر فينبغي ان يتحرز عن مخالطتهم ويجتنب عن مساكنتهم رواه
مسلم وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في اصحابي وفي رواية قال في امتي اثنا عشر منافقا
لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها مع انه يشم من مسافة خمس مائة عام حتى يلج الجمل في سم الخياط اي
حتى يدخل البعير في ثقب الابرة وهو من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها لا يفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الشيخ التوربشتي صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم المعتد بها هي المقترنة بالايمان ولا يصح ان يطلق الصحابي الا على من صدق
في ايمانه وظهرت منه امارته دون من اغمص عليهم بالنفاق فاضافتهم اليهم لا يجوز الا على المجاز لتشبههم
بالصحابة وتسترهم بالكلمة وادخالهم انفسهم في غمارهم ولهذا قال في اصحابي ولم يقل من اصحابي وذلك
مثل قولنا ابليس كان من الملائكة اي في زمرتهم ولا يصح ان يقال كان من الملائكة فان الله سبحانه
وتعالى يقول كان من الجن وقد اسر بهذا القول الى خاصته وذوي المنزلة من اصحابه امر هذه الفئة
المشومة المتلبسة لئلا يقبلوا منهم الايمان ولا يقبلوا من قبلهم المكر والخداع ولم يكن يخفى على
المحفوظين شانهم لاشتهارهم بذلك في الصحابة الا انهم كانوا لا يواجهونهم بصريح المقال اسوة برسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان حذيفة اعلمهم باسمائهم وذلك لانه كان ليلة العقبة مع النبي صلى الله
عليه وسلم مرجعه من غزوة تبوك حين هموا بقتله ولم يكن على العقبة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمار يقود به وحذيفة يسوق به وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نادى ان خذوا
بطن الوادي فهو اوسع لكم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ الثنية فلما سمعه المنافقون
طمعوا في المكر به فاتبعوه متلثمين وهم اثنا عشر رجلا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خشفة
القوم من ورائه فامر حذيفة ان يردهم فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها
ضربا فرعبهم الله حين ابصروا حذيفة فانقلبوا مسرعين على اعقابهم حتى خالطوا الناس فادرك
حذيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحذيفة هل عرفت احدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين
ولكنا اعرف رواحلهم فقال ان الله تعالى اخبرني باسمائهم واسماء ابائهم وساخبرك بهم ان شاء الله
عند الصباح فمن ثم كان الناس يراجعون حذيفة في امر المنافقين وقد ذكر عن حذيفة انهم
كانوا اربعة عشر فتاب اثنان وبقي اثنا عشر على النفاق على ما اخبر به الصادق المصدوق وقد
اطلعت على اسمايهم في كتب حفاظ الحديث مروية عن حذيفة غير اني وجدت في بعضها اختلاف
فلم ار ان اخاطر بديني فيما لا ضرورة الي ثمانية منهم اي من الاثني عشر منافقا تكفيهم اي تدفع شرهم
الدبيلة قال القاضي الدبيلة في الاصل تصغير الدبل وهي الداهية فاطلقت على قرحة ردية تحدث في باطن
الانسان ويقال لها الدبلة بالفتح والضم سراج من نار تفسير للدبيلة والظاهر انه من كلام حذيفة يظهر
اي يخرج السراج في اكتافهم حتى ينجم بضم الجيم اي تظهر وتطلع النار في صدورهم اي في بطونهم وفي كلام
القاضي ايما الى ان قوله تظهر بصيغة التانيث حيث قال وفسرها في الحديث بنار تخرج في اكتافهم
حتى ينجم اي يظهر من نجم ينجم اذا ظهر وطلع ثم قال ولعله اراد بها ورما حارا يحدث في اكتافهم بحيث يظهر
اثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم مثله بسراج من نار وهو شعلة المصباح وقد روي عن حذيفة انه
صلى الله عليه وسلم عرفه اياهم وانهم هلكوا كما اخبره الرسول صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وسنذكر حديث سهل بن
سعد لاعطين هذه الراية غدا اي رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله في باب
مناقب علي اي فانه اولى وحديث جابر اي وسنذكر حديث جابر من يصعد الثنية بكسر الدال لالتقاء
الساكنين على ان من شرطية وروي يصعد بالرفع على ان من استفهامية وتمامه فانه يحط عنه ما حط

وو ــــــــ سعد وجل

عن بني اسرائيل في باب جامع المناقب اي فانه المناسب ان شا الله تعالى سيتعلق بسند كر الفصل
الثاني عن ابي موسى قال خرج ابو طالب الي الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في
اشياخ من قريش اي في جملتهم والمراد منهم اكابرهم اوسنهم فلما شرفوا اي اطلعوا علي الراهب اسمه
بحيرا وهو بضم البا وفتح الحا ممدودا علي المشهور لكن ضبطه الشيخ الجزري بفتح البا وكسر الحا المهملة
وبا ساكنة وفتح الرا والالف مقصورة وهو راهب الانصاري قاله شارح وقال المظهر وكان اعلم النصرانية
وكذا ذكره الجزري والجمع بانه لا مانع من الجمع هبطوا اي نزلوا في ذلك الموضع وهو بصري من
بلاد الشام علي ما ذكره المظهر فحلوا رحالهم اي ففتحوها فخرج اليهم الراهب وكانوا اي الناس من قريش
وغيرهم يمرون به اي بمكانه فلا يخرج اليهم قال اي الراوي فهم يحلون رحالهم اسما رباخروجه ونزوله
عليهم في اول حلولهم ووصولهم فجعل يتخللهم الراهب اي اخذ يمشي فيما بين القوم ويطلب في خلالهم
شخصا حتى جا فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم قال استينافا فبيان هذا سيد العالمين اي علي الاطلاق
هذا رسول رب العالمين اي الي العالمين جميعهم نظرا الي السابقة واللاحقة كما اشار اليه بقوله
يبعثه الله اي يرسله او يظهر رسالته رحمة للعالمين لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وحيا اي اليه انه مبعوث الي كافة الخلق اجمعين فقال له اشياخ من قريش ما علمك اي
ما سبب علمك وبيان كيفيته فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر اي
سقط ساجدا اي متواضعا اليه ولا يسجد الا لنبي اي عظيم ورسول كريم واني اعرفه اي النبي ايضا بخاتم النبوة بفتح
التا وكسرها والنبوة بالادغام ويهمز اسفل بالنصب اي في مكان اسفل من غضروف كتفه بضمتين وهو راس لوح الكتف
مثل التفاحة بالنصب وفي نسخة صحيحة بالرفع وهي اخرى بالجعل انه صفة خاتم ذكره شارح وقال بعض
المحققين يروى بالرفع علي انه خبر محذوف وبالنصب علي اضمار الفعل وتجويز الجعل الا بدال دون الصفة لان
مثلا وغيره لا يتعارفان بالاضافة الي المعرفة ثم رجع اي الراهب فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به اي بالطعام وكان هو
اي النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الابل بكسر الرا وسكون العين اي في رعايتها فقال اي الراهب ارسلوا اليه
فاقبل المار عليه فاقبل اي بعد الارسال او قبله وعليه غمامة اي سحابة تظله اي تجعله تحت ظلها فلما دنا
من القوم اي قرب منهم وجدهم اي وجد النبي صلى الله عليه وسلم القوم قد سبقوه الي في الشجرة اي الي ظلها
فلما جلس مال في الشجرة عليه اي زيادة علي ظل السحابة او زالت السحابة ومالت الشجرة اظهارا للخوارق
وقال الطيبي قوله عليه اي واقعا ظله عليه فقال اي الراهب للقوم انظروا الي في الشجرة مال عليه اي
ان كنتم ما تنظرون الي مظلة السما فانظروا الي مظلة الارض ولكن الله سبحانه اعماهم عما كما اخبر
به بقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون واظهر هذا المعني في قوله سبحانه فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال اي الراهب انشدكم الله بنصب الجلالة وبضم الشين
اي احلف عليكم بالله وقيل اي اطلب منكم بالله جواب هذا السوال وبطل عمل الفعل للتعليق بالاستفهام
في قوله ايكم وليه اي قريبه والجملة مبتدا وخبر قالوا ابو طالب اي وليه فلم يزل اي الراهب يناشده
اي يناشد ابا طالب ويطالب رده عليه السلام خوفا عليه من اهل الروم ان يقتلوه في الشام ويقول لابي
طالب بالله عليك ان ترد محمدا الي مكة وتحفظه من العدو حتى رده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا
وفي رواية علي عن ابيه انه قال فرده مع رجال وكان فيهم بلال اخرجه رزين وزوده الراهب من
الكعك وهو الخبز الغليظ علي ملتقى الازهار وقال شارح هو نوع من الخبز وقال الطيبي هو الخبز وهو
فارسي معرب وكذا في القاموس والزيت اي لادام ذلك الخبز وقد ورد من طرق رواه احمد وغيره كلوا الزيت
وادهنوا به فانه من شجرة مباركة رواه الترمذي اي وقال حسن غريب وقال الجزري اسناده صحيح

ورجاله

ورجاله رجال الصحيح او احدهما وذكر ابي بكر وبلال فيه غير محفوظ وعده ائمتنا وهما وهو كذلك فان سن
النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك اثنا عشرة سنة وابو بكر اصغر منه بسنتين وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت
انتهى وقال في ميزان الاعتدال قيل مما يدل علي بطلان هذا الحديث قوله وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك
ما اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة فيحتمل
انها مدرجة فيه منقطعة من حديث اخر وهما من احد رواته كذا في المواهب اللدنية ولا يخفى ان ايراد هذا الحديث
بباب علامات النبوة كان اوفق للتحقيق والله ولي التوفيق وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل اي حجر كما في رواية ولا شجر الا وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله فالحديث معجزة للنبي وكرامة للولي رواه الترمذي والدارمي وعن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي اي جي بالبراق ليلة اسري به باضافتها علي البنا وجواز اعرابها منونا والتقدير اسري
فيها به صلى الله عليه وسلم ملجما مسرجا بالنصب علي بنا المفعول فيهما اي موضوعا عليه اللجام والسرج فاستصعب اي
اي استعصي البراق عليه ولم يمكنه من الركوب ويقال استصعب علي الامر اي صعب فالمعني صعب
عليه ركوبه باستعصابه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا ولم تفعل بغيره او ولو فعلت بسائر الانبيا
فما ركبك احد اكرم علي الله منه برفع اكرم وفي نسخة صحيحة قال التوربشتي وجد الرواية في اكرم بالنصب
فلعله التقدير فما ركبك احد كان اكرم علي الله منه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فارفض بتشديد الضاد المعجمة
اي انصب البراق عرقا تمييز والمعني سال منه العرق حيا الكون اهتزازه مد حمد فرحا وظن انه وقع استعصا رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن بريدة بالتصغير اسلمي اسلم قبل بدر ولم يشهدها وبايع بيعة الرضوان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الي بيت المقدس سبق ضبطه بالوجهين قال جبريل باصبعه
اي اشار بها فخرق اي جبريل بها اي بتلك الاشارة الحجر فشد اي جبريل او النبي صلى الله عليه وسلم به اي بالحجر
البراق قال الطيبي فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث انس فربطته بالحلقة التي كان يربط بها
الانبيا قلت لعل المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل عليه السلام رواه
الترمذي وكذا ابن حبان وصححه وعن يعلي بن مرة الثقفي قال المولف شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنينا
والطايف روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين قال ثلاثة اشيا اي من المعجزات رايتها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي في سفر واحد بينا نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسني علي بنا المفعول اي يستقي عليه فلما راه البعير
جرجر اي صاح من الجرجرة وهي صوت تردد البعير في حلقه علي ما ذكر القاضي فالمعني ردد الصوت في حلقه
فوضع جرانه بكسر الجيم اي مقدم عنقه وقيل باطن عنقه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب
هذا البعير اي مالكه فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك اي لا نبيعه اياك بل نعطيك هبة يا رسول الله
فان رسالتك تقتضي حلا لك وانه بكسر الهمز والضمير البعير اي والحال انه لاهل بيت اراد نفسه وعياله ما لهم
معيشة اي ليس لهم ما يعيشون به غيره قال اما بتشديد الميم وفي نسخة بتخفيفها علي انها للتنبيه وهو
الظاهر لقوله اذ ذكرت هذا من امره اي فاعلم اني ما طلبت شراه الا لتخليصه لا لغرض اخر به فانه شكي كثرة
العمل وقلة العلف فاذا كان كذلك فان امتنع البيع فاحسنوا اليه اي بكثرة العلف وقلة العمل مع جواز
كثرتهما وقلتهما اذ الظلم هو الجمع بين كثرة العمل وقلة العلف قال الطيبي جواب اما محذوف وقوله فانه شكي
جواب لاما المقدرة تقديره اما اذ ذكرت ان البعير لاهل البيت ما لهم معيشة فلا التمس شراه واما البعير
فما عده فانه اشتكي اذ لا بد لاما التفصيلية من التكرار اقول الظاهر ان جواب اما المقدرة فنعالهد وه
واما قوله فانه شكي فان علته للجواب والله اعلم بالصواب وفي المغني واما بالفتح والتشديد فهي حرف
شرط وتفصيل وتوكيد ثم قال وقد تاتي لغير تفصيل اصلا نحو اما زيد فمنطلق واما التوكيد فقل من ذكره ولم

السلام

اي من احكم شرحه غير الزمخشري فانه قال فايدة اما في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول ازيد ذاهب فاذا
قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب
ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي فزيد ذاهب وهذا التفسير يدل بفايدتيه بيان كونه
توكيدا وانه في معني الشرط ثم سرنا اي سافرنا او تحولنا من مكاننا حتي نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله
عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض اي تقطعها حتي غشيته اي اتته واظلته ثم رجعت الي مكانها فلما
استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له اي انا وفي نسخة بصيغة المجهول اي ذكرت القضية
له وهو يحتمل احتماليه فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم على رسول الله فاذن لها اي فجاءت
للسلام قال اي لعلي ثم سرنا فمررنا بماء اي بموضع ما فيه جمع من اهله وقال شارح اي بقبيلة فاتته
امراة بابن لها به جنة بكسر الجيم اي جنون فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره بفتح الميم وكسر
الخاء المعجمة في النسخ كلها وفي القاموس المنخر بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما وكمجلس الانف ثم قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم للمجنون او الشيطان الذي فيه اخرج اي منه فاني محمد رسول الله ثم سرنا
فلما رجعنا مررنا بذلك الماء فسالها اي المراة عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما راينا منه
اي من الصبي ريبا بفتح الراء وسكون الياء اي شيئا نكرهه بعدك اي بعد مفارقتك او بعد دعائك
ومنه قوله تعالى ريب المنون اي حوادث الدهر وقيل ما راينا منه ما اوقعنا في شك من حاله و[illegible]
من امره وصفة قوله سبحانه لا ريب فيه رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن ابن
عباس قال ان امراة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان ابني به جنون وانه لياخذه اي الجنون عند غدائنا وعشائنا اي عند حضورهما او وقت استعمالهما وقال
شارح اي صباحنا ومسائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره اي صدر الولد ودعا فثع بالمثلثة
والعين المشددة اي قاء ثعة اي قيئة واحدة ففي النهاية الثع القي والثعة المرة الواحدة وخرج من جوفه
مثل الجرو بكسر الجيم وسكون الراء اي ولد الكلب الاسود صفة للجرو وقوله يسعى حال اي يمشي ذلك
الجرو ويسرع رواه الدارمي وعن انس رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام على ما في نسخة الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو اي النبي جالس حزين وقد تخضب بالدم اي تلوث به يوم احد عند كسر رباعيته
من فعل اهل مكة اي من ضرب كفارهم وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ضرب وجه النبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله تعالى ذكره السيوطي في حاشية البخاري وذلك لقوله تعالى
والله يعصمك من الناس لكن حصل له هذا الكسر ليكثر له الاجر والخير في مشاركة مشقة المومنين ومحنة
المجاهدين ولذا لما اصاب حجر اصبعه ودميت قال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فقال
اي جبريل يا رسول الله هل تحب ان نريك اية اي علامة منك على نبوتك تسلية لك على محنتك لتعرف انها
سبب لمزيد منحتك وقرب منزلتك قال نعم فنظر اي جبريل الى شجرة من ورائه اي من خلفه او من خلف
النبي عليهما الصلوة والسلام فقال اي جبريل ادع بها اي اطلبها فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه اي منادية
لربه ومنقادة اليه صلى الله عليه وسلم فقال اي جبريل مرها اي بالرجوع فلترجع اي لحكمة تقتضيه فامرها
فرجعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي اي كفاني حسبي ذكره للمبالغة او اشارة الى تكرار
خرق العادة بالمجي والاعادة والمعنى كفاني في تسليتي عما القيه من الحزن هذه الكرامة من ربي رواه
الدارمي وعن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اي في غزوة او عمرة فاقبل اعرابي اي بدوي
فلما دنا اي قرب قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد اي اتشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد اي على وجه خرق العادة وظهور المعجزة على ما تقول اي

من دعوي الرسالة قال هذه السلمة بفتحات شجرة من البادية ذكره شارح وفي النهاية السلم شجر من العضاه واحدها
سلمة بفتح اللام وورقها القرظ الذي يدبغ به وبه سمي الرجل سلمة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشاطئ الوادي اي كان واقفا بطرفه فاقبلت اي الشجرة كما في نسخة تخد الارض بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال
المهملة اي تشقها اخدودا وقوله خدا على ما في بعض النسخ مفعول مطلق حتى قامت بين يديه اي مسلمة
عليه ومسلمة لديه فاستشهدها اي طلب الشهادة من الشجرة ثلاثا اي مرتبا الا متواليا فشهدت ثلاثا
انه كما قال اي ان الشان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كونه رسول رب العالمين ثم رجعت الى منبتها
بكسر الموحدة اي موضع نباتها وموطن اصلها رواه الدارمي وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما اعرف اي من معجزاتك انك نبي اي صادق قال ان دعوت بكسر ان في اكثر
الاصول وفي بعضها بفتح ان وهو الاظهر اي بان دعوت هذا العذق بكسر العين وهو العرجون
بما فيه من الشماريخ وهي بمنزلة العنقود من العنب وبالفتح النخلة والمراد به الاول لقوله من هذه
النخلة يشهد اي حال كون العذق يشهد اني رسول الله وقال الطيبي ان دعوت جواب لقوله
بما اعرف اي بالي ان دعوته يشهد وقال شارح ان الشرط تشهد جزاؤه او للمصدرية ويشهد
جملة حالية انتهى وظاهره ان يكون تشهد على الاول مخاطبا مجزوما كما في نسخة ليكون جواب الاعرابي
نعم مقدرا والتعبير صلى الله عليه وسلم لم ينتظر جوابه اذ ليس له جواب صواب غيره فدعاه اي العذق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط ووقع على الارض الى النبي صلى الله
عليه وسلم اي منتهيا اليه ومستسلما لديه ثم قال ارجع فعاد اي الى مكانه عليه فاسلم الاعرابي رواه
الترمذي وصححه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء ذئب بهمزة ساكنة ويبدل الى راعي غنم اي
الى قطعة غنم راعيها معها فاخذ اي الذئب منها شاة فطلبه الراعي اي تبعه وحمل عليه حتى انتزعها
منه اي خلصها من فمه قال اي الراوي فانه هو الراعي والراوي ذكره شارح فصعد الذئب على تل بتشديد
اللام اي مكان مرتفع فاقعى اي جلس مقعيا بان قعد على وركيه ونصب يديه واستثفر بالمثلثة
فالفاء اي ادخل ذنبه بين رجليه وقيل بين اليتيه وقال قد عمدت بفتح اللام على صيغة المتكلم اخبارا
على سبيل الشكاية وفي نسخة بصيغة الخطاب على انه استفهام على سبيل الانكار والمعنى قصدت
الى رزق رزقنيه الله اي اباحه لي اخذته ثم انتزعته مني اي بناء على وجوب تخليصه عليك فالكل
منقادون تحت امره مطيعون لحكمه مستسلمون لقضائه وقدره فقال الرجل اي الراعي قال
التوربشتي اسمه اهبان بن اوس الخزاعي ويقال له مكلم الذئب تالله قسم فيه معنى التعجب ان رايت
اي ما رايت كاليوم اي ما رايت ذئبا يتكلم كاليوم وفي الفائق اي ما رايت اعجوبة كاعجوبة اليوم فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ذئب يتكلم فقال
الذئب اعجب من هذا اي من تكلم الذئب رجل من النخلات بالغفا اي نخل المدينة الواقعة بين الحرتين
بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي ارض ذات حجارة سود بين جبلين من جبال المدينة يخبركم
بما مضى اي بما سبق من خبر الاولين ممن قبلكم وما هو كائن بعدكم اي من نبا الاخرين في الدنيا ومن
احوال الاخرين في العقبى قال اي الراوي وهو ابو هريرة فكان الرجل اي الراعي يهوديا فيه رد
على ما قيل من ان ذلك الرجل خزاعي فان خزاعة ليست يهودا اللهم الا ان يقال كان يهوديا فجاء اي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره اي بخبر الذئب واسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم اي فيما رواه ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم انها امارات يحتمل ان يكون الضمير للقصة وان يكون ضميرا مبهما يفسره ما بعده وان يرجع
الى معنى ما تكلم به الذئب باعتبار الحالة او القصة ذكره الطيبي والمعنى ان الحالة التي رايتها وامثالها

علامات بين يدي الساعة اي قدامها قدا وشك الرجل اي قرب ان يخرج اي من بيته فلا يرجع ظاهره
النصب لكن اتفق النسخ على رفعه على ان التقدير فهو لا يرجع حتى تحدث نعلاه اي في رجله وسوطه
اي في يده بما احدث اهله اي من افعال السوء او الحسن بعده اي بعد خروجه من اهله ومفارقته
اياهم رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن ابي العلا بفتح العين قال المولف فصل التابعي
اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير عن سمرة بن جندب تقدم ضبطها وسبق ذكرها قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم نتداول تفاعل من تداولته الايدي اي تناوبته يعني اخذته هذه مرة وهذه مرة ذكره
شارح فالمعنى نتناوب اخذ الطعام من قصعة بفتح القاف اي من صحفة كبيرة من غدوة بضم
فسكون ويجوز بفتحتين فالف اي من اول النهار حتى الليل اي الى دخول العشية يقوم
عشرة اي بعد فراغهم من الاكل منها قلنا اي لسمرة فما كانت تمد بصيغة المجهول من الامداد
وهو ظاهر او من المدد من قولك مد السراج بالزيت والمعنى فاي شي كانت القصعة تمد منه وتزاد
فيه ومن اين يكثر الطعام فيها طول النهار وكان في هذا السوال نوع من التعجب قال اي سمرة من اي
شي تعجب والخطاب لابي العلا من جملة القايلين فانه من روسا التابعين او المراد خطاب
العام والمعنى لا تتعجب ايها المخاطب ما كانت تمد الا من هاهنا واشار بيده الى السما والمعنى
لا يكون كثرة الطعام فيها الا من عالم العلا بنزول البركة فيها من السما وفيه ايما الى قوله تعالى
وفي السما رزقكم وهذا ظاهر شرح الكلام على وفق المرام وقال شارح ضمير قال الى النبي صلى الله
عليه وسلم واليه ذهب المظهر ومن تبعه وقال الطيبي ويحتمل ان يكون القايل سمرة والسايل ابو
العلا وهو الظاهر انتهى ووجه ظهوره لا يخفى اذ مثل هذا السوال من الاصحاب المشاهدين
للمعجزة في غاية من الغرابة واما سوال التابعي من الصحابي فقد يوجه بانه توهم انه
كان ياتي الطعام ويوضع في القصعة مرة بعد مرة فراغ عشرة او نحوها كما يقع في العرف على طريق
الاعادة فاجاب الصحابي بان هذا لم يقع الا على سبيل خرق العادة فالمدد من رب السما لا من
احد من المخلوقين من سكان الارض رواه الترمذي والدارمي وعن عبد الله بن عمرو بالواو
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلثمائة بكسر المثلثة الثانية على الاضافة وخمسة
عشر بفتح الجزئين على التركيب قال استيناف بيان او حال اللهم انهم اي غالبهم حفاة بضم الحاء جمع
حاف وهو من لا نعل له فاحملهم بهمزة وصل وكسر ميم اي اعنهم على الحمل والمعنى اعط كلا منهم المركوب
اللهم انهم عراة بالضم جمع عار اي عريان فيما بعد الازار فاكسهم بضم السين اي اعطهم الكسوة
والبسهم لباس الزينة اللهم انهم جياع فاشبعهم اي باطنا وظاهرا ليتقووا على الطاعة ففتح الله
له اي للنبي صلى الله عليه وسلم ونصره على مشركي مكة وصناديدهم في بدر والجأهم حتى قتل منهم سبعون
واسر سبعون فانقلبوا اي فرجع اصحابه وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا
اي من غنايم اعدايهم فصدق الله في قوله عسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
كما اخبر عنهم بقوله وان فريقا من المومنين لكارهون وفي الحديث ان الصبر على ما تكره فيه خير كثير ثم هذه النتيجة في الدنيا
والاخرة خير وابقى رواه ابو داود وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم منصورون اي
على الاعدا ومصيبون اي الغنايم ومفتوح لكم اي البلاد الكثيرة فمن ادرك ذلك اي ما ذكر منكم فليتق الله
اي في جميع اموره ليكون كاملا وليامر بالمعروف ولينه عن المنكر ليكون مكملا لا سيما في ايام امارته وتحصيل حلاله وقيل
المراد بالمنكر الغلول وهو الخيانة في الغنيمة والظاهر ان المراد هو المعنى الاعم والله اعلم رواه ابو داود وعن جابر
ان يهودية من اهل خيبر قيل انها زينب بنت الحارث وهي بنت اخي مرحب بن ابي مرحب سمت شاة اي

بعد ح

جعلتها مسمومة مصلية بفتح الميم وكسر اللام وتشديد التحتية اي مشوية قيل واكثرت السم في الكتف والذراع
لما بلغها انهما احب اعضا الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهدتها لرسول الله اي اليه صلى الله عليه وسلم
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فاكل منها واكل رهط اي جماعة من اصحابه معه اي منهم تلك الشاة
فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم اي كفوها وامنعوها عن الاكل وارسل الى اليهودية فدعاها اي طلبها
فحضرت فقال سممت هذه الشاة لا بتقدير الاستفهام بل بالجزم في اخبار الكلام ولذا لم تقل لا او نعم فقالت
من اخبرك اي الله او احد من الخلق قال اخبرتني هذه اي هذه الذراع بانطاق الله اياها وقوله في يدي
حال من هذه اي مستقرة فيها للذراع وقيل اللام بمعنى عن نحو قال لزيد انه لم يفعل الشر اي قال عنه
والمعنى قال عن الذراع انها اخبرتني ويحتمل ان يكون بمعنى الى قال ذلك مشيرا اليها قالت نعم قلت
جواب سوال مقدر ان كان اي محمد نبيا فلن تضره اي الشاة المسمومة وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي فيه اختلاف اذ الرواية وردت بانه امر بقتلها فقتلت ووجه
التوفيق بينهما انه عفا عنها في اول الامر فلما مات بشر بن البرا بن معرور من الاكلة التي ابتلعها امر بها
فقتلت مكانه انتهى وفي المواهب وقيل اسلمت ولم تقتل وقال بعض المحققين قوله فعفا عنها اي تركها
اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم لما مات بشر بن البرا بن معرور امر بقتلها قصاصا ويحتمل ان يكون تركها
لكونها اسلمت ثم امر بقتلها قصاصا لقتل بشر ولم ينفرد الزهري بدعواه انها اسلمت فقد جزم به سليمان
التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها وان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي انك صادق وانا
اشهدك ومن حضر على دينك ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتوفي اصحابه الذين اكلوا من
الشاة اي بعضهم وهو بشر واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله بكسر الها اي بين كتفيه من اجل
الذي اكل من الشاة اي المسمومة حجمه استيناف بيان ابو هند قيل اسمه يسار الحجام بالقرن والشفرة
بفتح فسكون اي كانت الحجمة قرنا والشفرة السكين العريض وهو اي ابو هند مولى لبني بياضة بفتح
الموحدة وتخفيف التحتية قبيلة من الانصار رواه ابو داود والدارمي وعن سهل بن الحنظلية قال
المولف هي ام جده وقيل امه واليها ينسب وبها يعرف واسم ابيه الربيع بن عمرو وكان سهل ممن بايع تحت
الشجرة وكان فاضلا معتزلا عن الناس كثير الصلوة والذكر وكان عقيما لا يولد له سكن الشام ومات بدمشق
في اول ايام معاوية انهم اي الصحابة ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين اي وقت توجهه
اليه فاطنبوا السير اي اطالوا وبالغوا فيه حتى كان عشية اي السير ممتدا الى وقت العشية كذا ذكره
الطيبي والظاهر انه يقال حتى كان الوقت عشية فجا فارس اي راكب فرس مسرعا فقال يا رسول الله اني
طلعت بكسر اللام وفي بعض النسخ بفتحها اي علوت على جبل كذا وكذا ففي القاموس طلع الجبل علاه
كطلع بالكسر واقتصر الجوهري على الكسر وصاحب المفتاح على الفتح وفي نسخة السيد ضبط بالكسر
ووضع عليه صح والله اعلم فاذا انا بهوازن بفتح الها وكسر الزاي قبيلة كبيرة على بكرة ابيهم بفتح فسكون
اي كلهم مجتمعين فقيل كان الرجل يحمل جميع اولاده على بكرة والبكر بالفتح الفتي من الابل بمنزلة
الغلام من الناس والانثى بكرة وجاوا على بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وقال القاضي يقال
جا القوم على بكرة ابيهم اي جاوا باجمعهم بحيث لم يتخلف منهم احد وعلى هاهنا بمعنى مع وهو مثل
يضرب به العرب وكان السبب ان جمعا من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعا ولم يخلفوا شيا حتى
ان بكرة كانت لابيهم اخذوها معهم فقال من وراهم جاوا على بكرة ابيهم فصار ذلك مثلا
في قوم جاوا باجمعهم وان لم يكن معهم بكرة وهي التي يستقى عليها الما فاستعيرت في هذا الموضع
بظعنهم بضمتين ويسكن الثاني جمع ظعينة الرجال والنسا الذين يظعنون اي يرتحلون كذا قاله

شاح وقال الجبري اي بن سالم وهو الاظهر على انها جمع الظعينة وهي المراة ما دامت في الهودج وقيل
هي الهودج كانت فيها امراة اولا وهو مركب من مراكب النساء مقبب وغير مقبب ونعمهم اي وباموالهم
ومواشيهم اجتمعوا الي حنين اي متوجهين اليه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متعجبا
من حسن صنيعه سبحانه وقال تلك اي الجماعة من الرجال والنساء والاموال غنيمة المسلمين
غدا ان شاء الله للتبرك او للتقييد احتياطا ثم قال من يحرسنا بضم الراء اي يحفظ عسكرنا
من البيات الليلة اي الاتية قال انس بن ابي مرثد بفتح الميم والمثلثة الغنوي بفتحتين
انا يا رسول الله قال المؤلف شهد انس بن مرثد بن ابي مرثد فتح مكة وحنينا ومات سنة
عشرين وله ولابيه وجده فاحنيه صحبة واسم ابي مرثد كناز بفتح الكاف وتشديد النون
وبالزاي وقيل ان اسمه انيس قال بن عبد البر وهو اكثر ويقال انه الذي قال له النبي صلى
الله عليه وسلم اغد يا انيس الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها وقيل غيره والله اعلم قال
اركب فركب فرسا فقال استقبل هذا الشعب بكسر اوله وهو الطريق بين الجبلين حتى
تكون في اعلاه فلما اصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصلاه فركع ركعتين
اي سنة الصبح ثم قال هل حسستم بكسر السين اي ادركتم بالحس فارسكم بان رايتموه او
سمعتم صوته فقال رجل يا رسول الله ما حسسنا اي ما عرفنا له خبرا ولا راينا له اثرا فثوب
بتشديد الواو المكسورة اي اقيم بالصلوة قال الطيبي الاصل في التثويب ان يجي الرجل
مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر فسمي الدعا تثويبا لذلك وكل داع مثوب فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جملة حالية معترضة والمعنى فشرع حال الصلوة يلتفت الى
الشعب اي يميل بطرف عينه الى جهة الطريق في الجبل حتى اذا قضى الصلوة
اي اداها وفرغ منها قال ابشروا فقد جا فارسكم الاضافة لادنى ملابسة فجعلنا ننظر الى خلال الشجر
في الشعب بكسر الخاء المعجمة جمع الخلل بفتحتين وهو الفرجة وبين الشيئين فاذا هو اي الفارس
قد جا حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي راكبا او نازلا فقال اني انطلقت حتى
كنت في اعلا هذا الشعب حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى حسن
العدول عن قوله حيث امرت فلما اصبحت طلعت الشعبين كليهما اي اتيت طريقي
الجبل وجوانبهما مخافة ان يكون فيه احد مختفيا فلم ار احدا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل نزلت اي من الدابة الليلة اي البارحة وهي الماضية قال لا الا مصليا
او قاضي حاجة اي من بول او غائط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا عليك اي ليس عليك
حرج في ان لا تعمل اي من النوافل والفضايل بعدها اي بعد هذه الخصلة التي فعلتها
فانه حصل لك فضيلة كافية قال ابن الملك وفيه بشارة منه صلى الله عليه وسلم بان
الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر انتهى ولا يخفى ما فيه من النظر وقال الطيبي اي لا باس
عليك بان لا تعمل بعد هذه الليلة من المبرات والخيرات فان عملك الليلة كافية لك عند الله مثوبة وفضيلة
واراد النوافل والتبرعات من الاعمال لا الفرايض فان ذلك لا يسقط ويمكن ان ينزل على ما عليه من عمل
الجهاد في ذلك اليوم جبرانا لقلبه وتسلية له رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بتمرات بفتحات قال الشيخ ابو نصر كانت التمرات احدى وعشرين كذا في الازهار فقلت
يا رسول الله ادع الله فيهن البركة اي اسال الله البركة فيهن او لاجلهن فضمهن اي فاخذهن

و... عزوجل

بيده

بيده او وضع يده عليهن ثم دعا لي اي لاجلي خصوصا فيهن بالبركة اي بالبركة فيهن وكثرة الخير
في الهن بقايهن قال اي بطريق الاستيناف خذهن فاجعلهن اي ادخلهن في مزودك بكسر الميم
وهو ما يجعل فيه الزاد من الجراب وغيره كلما اردت ان تاخذ منه اي من التمر او من المزود شيا قال
الطيبي ان جعل منه صلة تاخذ وشيا مفعول فيكون نكرة شايعة فلا يختص بالتمر وان جعل
حالا من شيا اختص به فادخل فيه اي في المزود يدك فخذه اي التمر منه ولا تنثره بضم المثلثة
ويكسر نثرا مفعول مطلق ففي المصباح نثرته نثرا من بابي نصر وضرب رميت به متفرقا فقد
حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق اي ستين صاعا على ما هو المشهور وصرح به شارح لحمل بعير على ما ذكر في القاموس في سبيل الله قال الطيبي يجوز ان يحمل حملت على الحقيقة وان
يحمل على معنى الاخذ اي اخذت منه مقدار كذا بدفعات انتهى والحمل على الحقيقة اولى فانه ابلغ
في المدعى ويؤيده قوله فكنا اي انا واصحابي نأكل منه ونطعم اي غيرنا وكان اي المزود
لا يفارق حقوي اي وسطي قال شارح الحقو الازار والمراد هنا موضع شد الازار وقال الطيبي
الحقو معقد الازار وسمي الازار للمجاورة حتى كان يوم بالرفع على كان تامة وجوز نصبه
على ان التقدير حتى كان الزمان يوم قتل عثمان بصيغة المصدر مضافا الى مفعوله وفي
نسخة بصيغة المجهول وعثمان نايب الفاعل قال الحنفي يجوز فتح يوم مضافا الى قتل
وهو جملة فعلية ويجوز رفعه على انه فاعل كان التامة فانه اي المزود انقطع اي ذلك اليوم
وسقط مني وضاع فحزنت عليه حزنا شديدا وفيه ايماء الى ان الفساد اذا شاع ارتفعت
البركة وكان يقول ابو هريرة للناس هم ولي هم بينهم هم الجراب وهم الشيخ عثمان ذكره ابن
الملك رواه الترمذي

الفصل الثالث

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
تشاورت قريش ليلة بمكة اي في دار الندوة وحضرهم الشيطان على صورة شيخ نجدي
فقال بعضهم اذا اصبح فاثبتوه بفتح همز وكسر موحدة اي فاربطوه بالوثاق بفتح اوله وهو
ما يشد به يريدون النبي صلى الله عليه وسلم اي يعنونه بالضمير في المستتر والبارز
والاظهر ان المراد باثباته حبسه وقال بعضهم بل اقتلوه وحصلوا لكم منه الراحة وقال
بعضهم بل اخرجوه اي على وجه الاهانة وقد اخبر الله عنهم بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم خافوا
واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال
انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو
البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسد وا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت وقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بيس
الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك اي بان جا جبريل واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا
كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار فبات علي رضي الله عنه
على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار

وبات المشركون يحرسون عليا اي للتعمية عنه في التخلية اذ كان راي الكفار تفرع علي الحبس
يحرسونه في الليل ثم في الصبح يقتلونه لما يشير اليه قوله يحسبونه بكسر السين وفتحها
اي يظنون عليا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا بمثلثة بعدها الف اي وثبوا عليه
اي علي من علي المرقد ظنا انه عليه السلام فلما راوا عليا اي مكانه رد الله مكرهم اي عليهم كما قال
سبحانه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقالوا اي لعلي اين اي اين ذهب صاحبك
هذا اي المشار اليه صلى الله عليه وسلم قال اي علي من كمال عقله لا ادري وهو اما حقيقة او تورية
فاقتصوا بتشديد الصاد المهملة اي تتبعوا اثره اي اثار قدمه فلما بلغوا الجبل اي جبل
ثور اختلط اي اشتبه امر الاثر عليهم فصعدوا الجبل بكسر العين ففي القاموس صعد في السلم
كسمع انتهى فصعد في الجبل من باب دخلت الدار اي فطلعوا عليه فمروا بالغار اي بالكهف الذي
فوق ذلك الجبل فظنوا انه فيه فراوا على بابه نسج العنكبوت اي منسوجة فقالوا لو دخل
هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في
اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وروي ان المشركين طلعوا فوق الغار بحيث لو نظروا
الى قدامهم لراوهما فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا اي ترددوا دون حوله فلم
يروه ولا منعوا من جمع الجمع فمكث بضم الكاف وفتحها اي لبث فيه ثلاث ليال ثم توجه الى
المدينة رواه احمد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر اهديت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم بفتح السين وضمها وكسرها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجمعوا الي اي لاجلي وفي نسخة الي اي منتهين الي او اجعلوا مجتمعين عندي من
كان هاهنا اي في هذا المكان من اليهود فجمعوا اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
سائلكم عن شيء اي اولا فهل انتم مصدقي بتشديد الدال والياء اي مصدقوني في الاخبار
عنه اي ثانيا قال بعض المحققين في اصل المالكي صادقوني بالتخفيف قال كذا في ثلاثة
مواضع في اكثر النسخ فيدل على ان الاصل دخول نون الوقاية في الاسماء المعربة المضافة الى يا
المتكلم لتقيها عن خفا الاعراب فلما منعوها ذلك صار الاصل متروكا فنبهوا عليه في بعض الاسما
المعربة المشابهة للفعل قالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابوكم
اي جدكم قالوا فلان اي بطريق الكذب على وجه الامتحان قال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا
صدقت وبررت بكسر الراء اي احسنت قال فهل انتم مصدقي عن شيء ان سالتكم عنه اي ثم
خبرتكم به قالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك اي في قولنا هذا عرفت كما عرفته في ابينا فقال لهم
من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا اي زمانا قليلا كما اخبر الله سبحانه عنهم بقوله وقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم تخلفونا بضم اللام وتشديد النون وتخفف ان تخلفونا
فيها وهذا على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد انه قول صدق وخبر حق قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها اشارة الى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وهو في الاصل
زجر الكلب فالمعنى اسكتوا سكوت هوان فانكم كاذبون في اخباركم والله لا نخلفكم فيها
ابدا ثم قال هل انتم مصدقي في شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم قال هل جعلتم
في هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا اي في دعوى
رسالتك ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك بتشديد الراء المفتوحة ويجوز ضمها

ولو روي

ووقف ——— لله عز وجل

ولو روي بكسر الضاد وسكون الراء المخففة لجاز كما قرئ في قوله تعالى لا يضركم شيئا في ال عمران قال
الطيبي قوله ان نستريح مفعول لاردنا وجزاء الشرط المتوسط بين الفعل والمفعول محذوف
لوجود القرينة اي ان كنت كاذبا يضرك فنستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك
فننتفع بصحبتك وحاصله اردنا الامتحان يعني فاما ان نعلم انك كاذب فنستريح منك وان
كنت نعلم انك نبي فنتبعك وفيه انه نبي من فحواه انهم كاذبون في دعواهم فثبتت عليهم
الحجة البالغة بظهور المعجزة السابقة رواه البخاري وعن عمرو بن اخطب الانصاري قال
المؤلف هو مشهور بكنيته ابي زيد غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوات ومسح راسه ودعا له
بالجمال فيقال انه بلغ مائة سنة ونيفا وما في راسه ولحيته الا نبذ من شعر ابيض عداده
في اهل البصرة روى عنه جماعة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر اي صلاة الصبح
وصعد بالكسر اي طلع على المنبر فخطبنا اي خطب لنا او وعظنا حتى حضرت الظهر اي صلاة
الظهر بدخول وقتها فنزل فصلى ثم صعد المنبر فيه اشعار بانه قد يقعد بنفسه فخطبنا
حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت بفتح الراء اي غابت الشمس
فاخبرنا بما هو كائن الى يوم القيامة اي مجملا او مفصلا فغيبه الاعجاز اكثر قال اي عمرو
فاعلمنا اي الان احفظنا اي يومئذ ذكره الطيبي وقال السيد جمال الدين الاولى ان يقال
احفظنا الان لتلك القصة اعلمنا الان رواه مسلم وعن معن بفتح فسكون معروف في
التابعين بن عبد الرحمن اي ابن عبد الله بن مسعود الهذلي قال اي معن سمعت
ابي اي عبد الرحمن ولم يذكرها المؤلف في اسمائه قال سالت مسروقا وهو تابعي مشهور
من اذن بالمد اي من اعلم النبي صلى الله عليه وسلم بالجن اي بحضورهم ليلة بالتنوين ويجوز
فتحها بناء على اضافتها الى قوله استمعوا القران بل قيل هو افصح من قوله ليلة اسري به وكذا
في يوم ولد تمامه ومنه قوله تعالى يوم ينفع الصادقين عند جمهور القرا فقال اي
مسروق لعبد الرحمن حدثني ابوك يعني عبد الله بن مسعود تفسير من بعض الرواة
المتاخرين انه اي ابن مسعود ولا يبعد رجوع الضمير اليه صلى الله عليه وسلم قال اذنت بالمد اي
اعلمت بهم شجرة متفق عليه وعن انس قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال
اي فطلبنا رؤيته وكنت رجلا حديد البصر فرايته وليس احد يزعم انه راه اي الهلال
غيري فجعلت اقول لعمر اما تراه فجعل لا يراه قال الطيبي كانه اتباع لقوله فجعلت اي طفقت اريه الهلال
فهو لا يراه فاتى بجعل مشاكلة لما قبله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب تاكيد لقوله لا تحسبن الذين
يفرحون انتهى ولا يبعد ان يقال التقدير فجعل عمر يطالع في السما حال كونه لا يراه قال يقول عمر اي بعد
عجزه عن رؤيته ساراه وانا مستلق على فراشي الجملة حال من الفاعل او المفعول والمعنى ساراه بلا
مشقة وليس لي الى رؤيته الان حاجة قال الطيبي اي لا يهمني الان رؤيته بتعب ساراه بعد من
غير تعب ثم انشا اي ابتدا عمر يحدثنا عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا
بضم فسكون اي يعلمنا مصارع اهل بدر اي مواضع طرحهم وصرعهم وهلاكهم بالامس اي بامس
القضية لا الحكاية يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان اي غدا كما في نسخة
ان شاء الله يعني وهكذا الى ان بين مصارع سبعين منهم قال عمر والذي بعثه اي النبي بالحق اي
بالصدق ما اخطاوا اي ما تجاوزوا المذكورون الحدود التي حدها اي المواضع التي بينها
وعينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة السيد جمال الدين ما اخطا بصيغة المتكلم من

الثاني في المجرد فالمعنى ما اغلظها بل احفظها واعرفها لكن هذا مبني على سقوط الواو عن اسم الكتابة وح
يحتمل ان يكون على بنا الغايب المذكر المفرد والضمير راجع الى الله او الى النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه
اعلم قال اي عمر فجعلوا بصيغة المجهول اي فالقوا في بر اي مهجورة بعضهم على بعض فانطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان يا ابن فلان بفتح النونين الاولى وهاكنا تبيان عن
العلمين ويا فلان وهكذا الى ان نادى بهم او بعضهم اكثرهم او اقلهم هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني
قد وجدت ما وعدني الله حقا وفيه ايما الى قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فهولا ايضا لابد انهم قالوا نعم اما بلسان القال او بلسان
الحال فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها اي بظاهرها او بكمالها فقال ما انتم باسمع ما اقول
منهم متعلق باسمع والمعنى لستم باقوى او اكثر سماعا منهم لما اقوله لهم غير انهم لا يستطيعون
ان يردوا علي شيا اي من الجواب او بحيث انكم تفهمون رواه مسلم وعن انيسة تصغير انيسة
جليسة بنت زيد بن ارقم لم يذكرها المولف في اسمايه عن ابيها قال المولف يكنى ابا عمرو الانصاري
الخزرجي يعد في الكوفيين سكنها ومات بها سنة ثمان وسبعين وهو ابن خمس وثمانين سنة
روى عنه عطا ابن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على زيد يعني نفسه اما على التجريد او بنوع
الالتفات او بتصرف الرواة يعوده من مرض كان به قال ليس عليك من مرضك باس ولكن كيف لك اي
حالا ومالا اذا عمرت بتشديد الميم المكسورة اي طال عمرك بعدي فعميت بكسر الميم اي فصرت اعمى قال احتسب
اي اطلب الثواب واصبر على حكم رب الارباب قال اذا بالتنوين وفي نسخة اذا تدخل الجنة بغير حساب وفي
نسخة الجزري بالرفع ولعل وجهه ان تدخل بمعنى تستحق دخولها بغير محاسبة قال اي الشخص الراوي
سولها انيسة او غيرها فعمي بعدما مات النبي صلى الله عليه وسلم ثم رد الله عليه بصره ثم مات ولعله صلى الله
عليه وسلم بي له ذلك ليكون مشتغلا بصبره اكثر واجره المرتب عليه اكبر ثم حصل له النصر مع الصبر
وعن اسامة بنت زيد صحابيان جليلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقول بتشديد الواو اي
من كذب وافترى علي ما لم اقل اي متعمدا كما في رواية فليتبوا مقعده من النار وهذا المقدر من الحديث
كاد ان يكون متواترا في المعنى كما بيناه في موضعه وذلك اي وسبب ورود هذا الحديث انه اي النبي عليه
السلام بعث رجلا اي الى قوم او الى احد فكذب عليه اي على النبي عليه السلام وانكشف له بنور النبوة
اي بلغه خبره فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد ميتا وقد انشق بطنه ولم تقبله الارض وهذا
يويد قول الجويني ان المفتري على النبي عليه السلام عمدا كافر رواهما اي الحديثين السابقين
البيهقي في دلايل النبوة وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يستطعمه فاستطعمه
شطر وسق شعير اي نصف وسق شعير وهو ستون صاعا او حمل بعير ويحتمل ان يراد بالشطر
البعض فانه بعض معانيه كما في قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره وهو انسب بالمقام لدلالته
بالاغلبية على المرام وقد سبق في حديث الطهور شطر الايمان فما زال الرجل ياكل منه وامراته بالرفع
اي وتاكل هي ايضا منه وضيفهما اي من الرجال والنسا كذلك وهو يطلق على المفرد والجمع حتى
كاله اي الرجل بقية المالكول ففني اي نفذ سريعا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم اي فذكر له اعلم بذلك فقال لو لم تكله
لاكلتم اي انت وامراتك واضيافكما ولقام لكم اي على وجه الدوام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن
عاصم بن كليب بالتصغير قال المولف في فصل التابعين هو الجرمي الكوفي سمع اباه وغيره ومنه الثوري
وشعبة وحديثه في الصلوة والحج والجهاد انتهى وكان حقه ان يقول وفي المعجزات عن ابيه لم يذكره
المولف في اسمايه عن رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة بكسر

ابن فلان

الجيم وفتحها فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر اي طرفه والجملة حال يوصي الحافر
بتخفيف الصاد وبتشديده حال اخرى يقول بيانا او بدلا اوسع من جانب للحافر من قبل رجليه
بكسر القاف وفتح البا اي من جانبهما اوسع من قبل راسه فلما رجع اي من المقبرة استقبله
داعي امراته اي عجوز وجبتها المتوفى فاجاب ونحن معه فجي بالطعام فوضع يده اي فيه ثم وضع القوم
اي ايديهم فاكلوا هذا الحديث بظاهره يرد على ما قرره اصحاب مذهبنا من انه يكره اتخاذ الطعام
في اليوم الاول او الثالث او بعد الاسبوع كما في البزازية وذكر في الخلاصة انه لا يباح اتخاذ الضيافة
عند ثلاثة ايام وقال الزيلعي ولا باس بالجلوس للمصيبة الى ثلاث من غير ارتكاب محظور من
فرش البسط والاطعمة من اهل البيت وقال ابن الهمام يكره اتخاذ الضيافة من اهل البيت
قالوا لانه شرع في السرور لا في الشرور قال وهي بدعة مستقبحة روى الامام احمد
وابن حبان باسناد صحيح عن جرير بن عبد الله قال كنا نعد الاجتماع الى اهل البيت وصنعهم
الطعام من النياحة انتهى فينبغي ان يقيد كلامهم بنوع خاص من اجتماع يوجب استحيا
اهل البيت فيطعمونهم كرها او يحمل على كون بعض الورثة صغيرا او غايبا او لم يعرف رضاه او لم
يكن الطعام عن احد معين من مال نفسه لا من مال الميت قبل قسمته ونحو ذلك وعليه
يحمل قول قاضي خان يكره اتخاذ الضيافة في ايام المصيبة لانها ايام تاسف فلا يليق بها ما يكون
للسرور وان اتخذ طعاما للفقرا كان حسنا واما الوصية باتخاذ الطعام بعد موته ليطعم الناس ثلاثة
ايام فباطلة على الاصح وقيل يجوز ذلك من الثلث وهو الاظهر فنظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الى رسول الله يلوك وفي نسخة يلوك لقمة في فيه اي يلقيها من فمه الى جانب اخر ففي النهاية اللوك
ادارة الشي في الفم ثم قال اجد لحم شاة اخذت وفي نسخة اتخذت بغير اذن اهلها فارسلت
المراة تقول يا رسول الله اني ارسلت الى النقيع بالنون وهو موضع يباع فيه الغنم تفسير
من بعض الرواة وفي المقدمة النقيع موضع بشرق المدينة وقال في التهذيب هو في صدر وادي العقيق
على نحو عشرين ميلا من المدينة قال الخطابي احفظ من قلا بالموحدة والجملة معترضة بين الفعل وهو
قولها ارسلت وبين متعلقه وهو قولها ليشترى لي شاة بصيغة المجهول فلم توجد فارسلت الى جار
لي قد اشترى شاة ان يرسل اي بان يرسل الجار بها اي بالشاة المشتراة لنفسه الي بثمنها اي الذي
اشتراها به فلم يوجد اي الجار فارسلت الى امراته فارسلت اي المراة الي بها اي بالشاة فظهر ان
شراها غير صحيح لان اذن جارها ورضاه غير صحيح وهو تقارب بيع الفضولي المتوقف على اجازة
صاحبه وعلى كل فالشبهة قوية والمباشرة غير مرضية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطعمي هذا الطعام الاسرى جمع اسير والغالب انه فقير وقال الطيبي وهو كفار وذلك انه
لما لم يوجد صاحب الشاة ليستحلوا منه وكان الطعام في صدد الفساد ولم يكن بد من اطعام
هولا باطعامهم انتهى وقد لزمها قيمة الشاة باتلافها ووقع هذا تصدقا عنها رواه ابو داود
والبيهقي في دلايل النبوة متعلق بروى المقدر وعن حزام بكسر حا مهملة فزاي ابن هشام عن ابيه
اي هشام ولم يذكرهما المولف في اسمايه عن جده حبيش بضم حا مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية
فشين معجمة وفي نسخة بخا معجمة فنون ثم سين مهملة والاول اصح على ما في جامع الاصول واقتصر
عليه المض ابن خالد قال المولف حبيش بن خالد الخزاعي قتل يوم فتح مكة مع خالد بن الوليد
روى عنه ابنه هشام وهو اي حبيش اخو ام معبد اي الخزاعية وهي عاتكة بنت خالد يقال انها
اسلمت لما نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في مهاجرته الى المدينة ويقال انها قدمت المدينة فاسلمت

والحديث المعروف بحديث ام معبد مشهور ذكره المولف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخرج بصيغة المفعول
اي امر بالخروج من مكة او صار اهل مكة سبب خروجه اذ لم يقع اخراج اهانته مما يشير اليه قوله
خرج اي باختياره مهاجرا اي من مكة لكفر اهلها الى المدينة اي واهلها من الانصار ومن انضم اليهم من
المهاجرين الكبار هو وابو بكر ومولى ابي بكر عامر بن فهيرة بضم الفا وفتح الها ولم يذكره المولف ودليلهما اي مرشد النبي
والصديق في الطريق عبد الله الليثي هو مولى ابي بكر الصديق هاجر معهما الى المدينة وكان قد اسلم قبل دخول
النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم كذا ذكره بعضهم ولم يذكره المولف مروا على خيمتي ام معبد بلفظ التثنية
فسالوها لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يصادفوا عندها مما ذكر اي مما ذكر من اللحم والتمر او من جنس الماكول
وكان القوم مرملين اي فاقدين الزاد في شرح السنة المرمل من نفد زاده يقال ارمل الرجل اذا ذهب طعامه
مسنتين اي اصابهم القحط يقال اسنت الرجل فهو مسنت فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في
كسر الخيمة بفتح الكاف وسكون السين وبكسر اوله اي جانبها قال الطيبي كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها جانب
الخيمة وفي القاموس الكسر جانب البيت والشقة السفلى من الخبا وما تكسر وثنى على الارض منها والناحية
وتكسر فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها بتشديد اللام اي تركها الجهد بضم الجيم
وبفتح اي الهزال عن الغنم اي متخلفة عنها قال هل بها من لبن اي بعضه قالت هي اجهد من ذلك والمعنى
ليس فيها لبن اصلا قال اتاذنين لي ان احلبها من باب نصر على ما في المصباح وفي القاموس الحلب ويحرك
استخراج ما في الضرع من اللبن يحلب ويحلب وفي النهاية حلبت الشاة والناقة احلبها حلبا بفتح اللام
قالت بابي انت وامي ان رايت بها حلبا بفتحتين ويسكن اللام اي لبنا محلوبا فاحلبها قال صاحب المفتاح
الحلب محركة تطلق على المصدر وعلى اللبن المحلوب فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي طلبها فمسح بيده
ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها اي لام معبد في شاتها كما في نسخة اي في حقها فتفاجت عليه بتشديد
الجيم اي فتحت ما بين رجليها للحلب ودرت بتشديد الراي سلت الدر بالفتح وهو اللبن واجترت
بالرا المشددة قال الطيبي الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه فدعا بانا يربض الرهط بضم اليا
وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض بالمكان اذا لصق به وقام
ملازما له فحلب فيه اي في الانا ثجا اي حلبا ذا سيلان حتى علاه اي ظهر على الانا البها اي بها اللبن وهو بفتح
البا رغوته وهي بفتح الرا وضمها وحكي كسرها الزبد يعلو الشي عند غليانه ثم سقاها اي ام معبد
حتى رويت ولعل الابتدا بها كرامة لها ولكونها صاحبة الشاة وترغيبا الى اسلامها وسقى اصحابه اي بعدها
حتى رووا بضم الواو ثم شرب اخرهم اي في اخرهم لقوله ساقي القوم اخرهم شربا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء
بفتح فسكون اي بعد ابتدا الاولى حتى ملا الانا ثم غادره اي تركه عندها اي معجزة بينة لزوجها وبايعها
النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وارتحلوا عنها رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وابن عبد
البر في الاستيعاب وابن الجوزي في كتاب الوفا وفي الحديث قصة اي طويلة وهي انه لما ارتحل النبي صلى
الله عليه وسلم جا ابو معبد يسوق اعنزا عجافا وراى في البيت لبنا فقال من اين هذا فقالت مر بنا رجل مبارك
وذكرت من وصف النبي صلى الله عليه وسلم ونعته بعبارة فصيحة فقال ابو معبد هذا والله صاحب قريش الذي
ذكر لنا في امره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا واصبح صوت بمكة عاليا
يسمعونه الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول شعر

جزى الله رب الناس خير جزائه ● رفيقين حلا خيمتي ام معبد

هما نزلاها بالهدى واهتدت به ● فقد فاز من امسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم ● به من فعال لا تجارى وسودد

ليهن

ليهن بني كعب مقام فتاتهم ● ومقعدها للمومنين بمرصد

سلوا اختكم عن شاتها وانائها ● فانكم ان تسالوا الشاة تشهد

فغادرها رهنا لديها لحالب ● تردها في مصدر ثم مورد

قال محيي السنة الصوت الذي سمعوا بمكة بعض مسلمي الجن اقبل من اسفل مكة والناس يتبعونه
يسمعون الصوت وما يرونه حتى خرج باعلى مكة قالت اسما فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان وجهه الى المدينة وقال ابن عبد البر فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ● وقدس من يسري اليهم ويغتدي

ترحل عن قوم فضلت عقولهم ● وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم ● وارشدهم من يتبع الحق يرشد

وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ● عمايتهم وهاد يهتدي بمهتد

لقد نزلت منه على اهل يثرب ● ركاب هدى حلت عليهم باسعد

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ● ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وان قال في يوم مقالة غائب ● فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد

ليهن ابا بكر سعادة جده ● بصحبته من يسعد الله يسعد

ليهن بني كعب مقام فتاتها ● ومقعدها للمومنين بمرصد

باب الكرامات

الكرامات جمع كرامة وهي اسم من الاكرام والتكريم وهي فعل خارق
للعادة غير مقرونة بالتحدي وقد اعترف بها اهل السنة وانكرها المعتزلة واحتج اهل السنة بحدوث
الحبل لمريم من غير فحل وحصول الرزق عندها من غير سبب محسوس ظاهر وايضا في قصة اصحاب الكهف
في الغار ثلثمائة سنة وازيد في النوم احيا من غير افة دليل ظاهر وكذا في احضار اصف بن برخيا عرش
بلقيس قبل ارتداد الطرف حجة وافية واما المعتزلة فتعلقوا بانه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي لخرج
الخارق عن كونه دليلا على النبوة واجيب بانه يمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة
وعدم اشتراطها في الكرامة بل في الحقيقة كرامة كل ولي معجزة لنبيه لدلالتها على حقيقة متبوعه
واما قول ابن الملك ولقد تواتر الانبيا عليهم متواردها ليسهل عليهم تمهيد الاديان والشرائع ففيه نظر
ظاهر

الفصل الاول

عن انس رضي الله عنه ان اسيد بن حضير بالتصغير فيهما قال المولف انصاري
اوسي كان ممن شهد العقبة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات
بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع وعباد بفتح العين وتشديد الموحدة بن بشر بكسر فسكون انصاري
اسلم بالمدينة قبل اسلام سعد بن معاذ شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وكان فيمن قتل كعب بن
الاشرف اليهودي وكان من فضلا الصحابة روى عنه انس بن مالك وعبد الرحمن بن ثابت وقتل
يوم اليمامة وله خمس واربعون سنة تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب
ساعة من الليل اي طويلة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا اي انصرفا من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينقلبان اي حال كونهما يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية تصغير عصاة
فاضات عصاة احدهما لهما والاظهر ان يكون هو اسبقهما اسلاما وهو المقدم ذكرا حتى مشيا
في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضات للاخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضو عصاه حتى
بلغ اي وصل كل واحد اهله رواه البخاري قال ميرك ليس الحديث في البخاري بهذا اللفظ
بل فيه عن انس ان رجلين كانا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم

في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيان بين ايديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى
اتى اهله اخرجه في اخر باب علامات النبوة في الاسلام واخرج في كتاب مناقب الانصار في باب
مناقب اسيد بن حضير وعباد بن بشر بلفظ ان رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم
في ليلة مظلمة فاذا نور بين ايديهما حتى افترقا فافترق النور معهما وقال معمر عن ثابت عن انس
ان اسيد بن حضير ورجلا من الانصار وقال حماد اخبرنا ثابت عن انس قال كان اسيد بن حضير
وعباد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما في صحيح البخاري وقد رواه محيي السنة في شرح
السنة من طريق البخاري باللفظ الاول ثم رواه باسناد اخر باللفظ الذي اورده صاحب المشكاة
فتامل ويفهم من كلام الشيخ ابن حجر العسقلاني ان اللفظ الذي اورده المصابيح والمشكوة اخرجه
عبد الرزاق في مصنفه من طريق الاسماعيلي في مستخرجه ورواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه
بنحوه والله اعلم وعن جابر قال لما حضر احد اي حربه دعاني ابي من الليل اي في بعض من الليل
فقال ما اراني بضم الهمزة اي ما احسبني الا مقتولا في اول من يقتل اي في اول جمع يقتلون من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم واني لا اترك بعدي اعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي فانه اعز علي حتى من نفسي وان علي دينا اي كثيرا فاقض اي سريعا واستوص باخواتك اي اقبل
وصيتي فيهن وهن كن تسعا ثم انتصاب خيرا على المصدر اي استيصاء خيرا وقيل التقدير
اقبل وصيتي بالخير في شانهن فكان اي ابي اول من قتل ودفنته مع اخر وهو عمرو بن الجموح وكان صديقه
والد جابر وزوج اخته في قبر قال ابن الملك فيه دليل على جواز دفن الاثنين في قبر واحد اتفق
والظاهر ان محله اذا كان ضرورة رواه البخاري وعن عبد الرحمن بن ابي بكر ذكره المولف في
التابعين وقال روى عنه ابنه محمد وقال ابن الملك اسلم عام الحديبية وكان اسن اولاد ابي بكر
وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهو الظاهر من الحديث كما لا
يخفى قال ان اصحاب الصفة كانوا اناسا اي جماعة فقرا اي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم مشاهيرهم على ما ذكره الحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء ابو ذر الغفاري عمار بن ياسر
سلمان الفارسي صهيب بلال ابو هريرة خباب الارت حذيفة بن اليمان ابو سعيد الخدري
بشر بن الخصاصية ابو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وفيهم نزل قوله
تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكانت
الصفة في المسجد مسقفة بجريد النخل وكان هولاء الفقراء يستوطنون تلك السقيفة
ويبيتون فيها فنسبوا اليها وكان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف نزل على عريفه
وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة وان النبي صلى الله عليه وسلم قال اي يوما من كان عنده
طعام اثنين اي من عياله فليذهب بثالث اي من هولاء الفقراء اصحاب الصفة قال الطيبي وهذا
هو الصحيح وفي اكثر نسخ المصابيح بثلاثة وهو غير صحيح رواية ومعنى ومن كان عنده طعام
اربعة فليذهب بخامس اي وان لم يكن عنده ما يقتضي اكثر من ذلك او سادس اي ان
اقتضا رضاه وللتنويع او للتخيير ويحتمل ان يكون للشك او بمعنى بل للمبالغة في بالضيافة
على ان مقتضى من كان عنده طعام اثنين ان يذهب بثالث ان من يكون عنده طعام
اربعة ان يذهب باثنين بل روى احمد ومسلم والترمذي والنسائي عن جابر مرفوعا
طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وان
ابا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة قال ابن حجر عبر عن ابي بكر بلفظ المجي

ليعد منزله من المسجد وعبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بالانطلاق لقربه انتهى ولا دلالة في الحديث على
ما ذكره بل مقتضاه العكس كما لا يخفى فالاولى ان يقال انما عبر عنه بالمجي لان الراوي هو ابنه
وهو من اهل البيت فكان قال جا بثلاثة وذهب النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة وان ابا بكر
تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم اي اكل العشا بالفتح وهو طعام الليل في بيته صلى الله عليه
وسلم معه او مع اضيافه او بانفراده عنده بنيته ثم لبث اي مكث ابو بكر بعد تعشيه فيما
بين العشائين حتى صليت بصيغة المجهول اي اديت معه عليه السلام العشا بكسر الشين
اي صلوة العشا ثم رجع الى بيته عليه السلام حتى تعشى النبي صلى الله عليه وسلم اي وحده
او مع اضيافه في بيت عايشة او غيرها وانما رجع معه اغتناما لرويته واهتماما لصحبته مع
احتمال انه اعاد الاكل في حضرته فجا بعد ما مضى من الليل ما شا الله وفي رواية ثم ركع بدل رجع
اي صلى النافلة وفي اخرى حتى نعس اي تاخر عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى نعس النبي
صلى الله عليه وسلم وقام لينام فرجع الى بيته قال الكرماني فان قلت هذا يشعر بان التعشي عند
النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد الرجوع اليه وما تقدم اشعر بانه كان قبله قلت الاول بيان
حال ابي بكر في عدم احتياجه الى طعام عند اهله والثاني هو سوق القصة على الترتيب
الواقع او الاول كان تعشي ابي بكر والثاني تعشي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والحاصل
ان ابا بكر جا بطائفة من الليل حين رجوعه الى بيته قالت له امراته ما حبسك عن اضيافك اي عن الحضور
معهم قال اوما عشيتيهم بتشديد الشين واشباع كسرة التاء الى تولد اليا من التعشية
وهي اعطا العشي والمعنى اقصرت في خدمتهم وما اطعمتهم عشاهم قالت ابوا اي امتنعوا من
من الاكل حتى تجي اي تحضر معهم وتشاركهم في اكلهم فغضب اي على اهله لظن انهم قصروا في
الالحاح والمبالغة او على نفسه حيث تعلل عن هذا المبني وحصل على هذا المعنى وقال وفي
نسخة فقال والله لا اطعمه بفتح الهمزة والعين اي لا اكل الطعام ابدا فحلفت المراة ان لا تطعمه اي ابدا
كما في نسخة وحلف الاضياف ان لا يطعموه اي لا ياكلوه معه دونه او مطلقا قال ابو بكر كان
هذه اي الحلف من الشيطان اي من اغوائه فدعا بالطعام فاكل واكلوا قال الكرماني ان قلت كيف
جاز له خلاف اليمين قلنا لانه اتيان بالافضل لحديث من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات
الذي هو خير وليكفر عن يمينه او كان مراده لا اطعمه معكم او في هذه الساعة او عند الغضب وهذا
مبني على انه هل يقبل التقييد اذا كانت الالفاظ عامة وعلى ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب انتهى ولا يخفى ضعف هذه الوجوه الاخيرة لا سيما مع لفظ التابيد فجعلوا اي ابو
بكر واضيافه لا يرفعون لقمة اي من الصحفة الى افواههم الا ربت اي زادت اللقمة وارتفعت من
اسفلها اي من الموضع الذي اخذت منه اكثر منها اي من تلك اللقمة وارتفعت من اسفلها اي من
الموضع الذي اخذت منه اكثر منها اي من تلك اللقمة وضبط اكثر بالنصب في اكثر النسخ وفي نسخة
بالرفع قال الطيبي اي ارتفع الطعام من اسفل القصعة ارتفاعا اكثر انتهى وفيه تنبيه على ان اكثر
منصوب على انه صفة لمفعول مطلق محذوف فوجه الرفع ان يكون التقدير الا ربت لقمة هي اكثر
منها ثم قال اسناد ربت الى القصعة مجازي اقول وكونه مجازا لان الارتفاع انما هو
بالنسبة الى ما في القصعة من طعامها لا الى القصعة ذاتها لكن الاظهر ان الاسناد الى اللقمة
على سبيل المبالغة فقال لامراته وهي ام رومان ام عبد الرحمن وام عايشة من بني فراس
ابن غنم بن مالك بن النضر بن كنانة وهم المنتمون الى النضر بن كنانة كلهم قريش ذكره التوربشتي

ومعه ثلاثة عز وجل

يا اخت بني فراس بكسر الفا ما هذا اي الامر العجيب والشان الغريب قالت وقرة عيني بالجر وفي نسخة
بالنصب ولعلها على نزع الخافض وقال ابن الملك بالجر والواو للقسم وبالنصب منادى حذف حرف
ندائه انتهى وفيه نظر من وجوه كما لا يخفى وقال بعض المحققين قرة العين يعبر بها عن المسرة
ورؤية ما يحبه الانسان لان عينه قرت وسكنت لحصول اغراضها فلا تستشرف لشي آخر
وقيل ماخوذ من القر اي البرد ولذا قيل دمعة السرور باردة وانما حلفت ام رومان بذلك لما
وقع عندها من السرور بالكرامة التي حصلت ببركته وزعم بعضهم انه المراد بقرة عينها النبي صلى
الله عليه وسلم انها اي القصعة والمراد ما فيها الان لاكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار بكسر الميم
اي مرات فاكلوا وبعث اي الصديق بها اي بالقصعة او ببعض ما فيها الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر بصيغة المجهول اي فروي انه اكل منها متفق عليه وذكر حديث عبد الله بن مسعود
كنا نسمع تسبيح الطعام في المعجزات قلت الاظهر انه وقع في باب الكرامات **الفصل الثالث** عن
عائشة رضي الله عنها قالت لما مات النجاشي سبق ذكره وتقدم ضبطه كنا نتحدث اي نتكلم
بعضنا لبعض انه لا يزال يرى على قبره نور اي في الحبشة والمعنى ان هذا امر مشهور
فيما بيننا ومذكور عن رأي نور قبره منا ولا يتصور اتفاقنا على الكذب فهو كاد ان يكون
متواترا رواه ابو داود وعنها اي عن عائشة قالت لما ارادوا اي الصحابة او اهل البيت غسل
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه اي ونغطي عورته من غيرها كما نجرد
موتانا او نغسله وعليه ثيابه جملة حالية والمعنى فاختار بعضهم التجريد قياسا وبعضهم عدمه احتياطا فلما اختلفوا
القى الله اي سلط عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه بفتحتين في صدره في القاموس الذقن بالتحريك
مجتمع اللحيين من اسفلهما فكسر ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو صفة مكلم قيل
هو الخضر عليه السلام اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه بيان لقوله كلمهم والحديث يدل على ان
غسل الميت وعليه قميصه مستحب ذكره ابن الملك وفيه نظر اذ لا يدل الا على جوازه او اختصاصه اذ لم
يذكر في المذهب انه مستحب فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص
قال ابن الهمام قد ذكر انه صلى الله عليه وسلم غسل في قميصه الذي توفي فيه فكيف يلبسونه الاكفان فوقه وفيه
بلل قلت لا دلالة فيه على انهم البسوه الاكفان فوق القميص مبلولا اذ يحتمل ستر عورته ثم قلع قميصه ثم
الباس كفنه بقميص والله سبحانه اعلم رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن ابن المنكدر قال المؤلف
هو محمد بن المنكدر التيمي سمع جابر بن عبد الله وانس بن مالك وابن الزبير وعمه ربيعة روى عنه جماعة منهم
الثوري مات سنة ثلاثين ومائة وله نيف وسبعون سنة وهو تابعي كبير من مشاهير التابعين واجلتهم
جمع بين العلم والزهد والورع والعبادة والدين المتين والصدق والفقه ان سفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المؤلف وقيل مولى ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اعتقته واشترطت عليه خدمة
النبي صلى الله عليه وسلم ما عاش ويقال اسمه مختلف فيه وسفينة لقب له ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان في سفر وهو معه فاعيى رجل فالقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحملت شيئا كثيرا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انت سفينة روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير اخطا الجيش اي اضل طريقه بحيث لا يهتدي
اليهم سبيلا بارض الروم او اسر اي فيها شك من الراوي فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو اي سفينة
بالاسد اي بفرد عظيم من جنس الاسد فقال يا ابا الحارث وهو كنية الاسد انا مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان من امري كيت وكيت استئناف بيان لحاله في اخطا الطريق او لكل لو في خدمته نعم الرفيق
فاقبل الاسد له بصبصة اي تحريك ذنب كفعل الكلب تملقا الى مالكه وتذللا لصاحبه والجملة حال وفي النهاية

بصبص

بصبص الكلب بذنبه اذا حركه وانما يفعل ذلك لطمع او خوف حتى قام الى جنبه كلما سمع اي الاسد صوتا
اهوى اليه اي قصده ليدفعه ان كان صوتا اذى ثم اقبل يمشي الى جنبه اي الى جانب سفينة حتى بلغ
الجيش ثم رجع الاسد فكانه كان دليلا ولايصاله كفيلا وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

ومن تكن برسول الله نصرته ۞ ان تلقه الاسد في اجامها تجم

رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده وعن ابي الجوزاء قال المؤلف هو اوس بن عبد الله
الازدي من اهل البصرة تابعي مشهور بالحديث سمع عائشة وابن عباس وابن عمر فروى عنه
عمرو بن مالك وغيره قتل سنة ثلاث وثمانين قال قحط اهل المدينة على بنا المفعول قحطا شديدا فشكوا
اي الناس الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي بالنصب على نزع الخافض وفي نسخة الى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فاجعلوا منه اي من قبره كوا بفتح الكاف وبضم ففي المغرب الكوة نقب البيت والجمع كوى
وقد يضم الكاف وفي المفرد والجمع انتهى وقيل يجمع على كوى بالكسر والقصر والمد ايضا والكوة بالضم ويجمع
على كوى بالضم والمعنى اجعلوا من مقابلة قبره في سقف حجرته منافذ منفردة حتى لا يكون بينه
اي بين قبره وبين السما سقف اي حجاب ظاهري ففعلوا فمطروا بالضم فكسر مطرا اي شديدا
حتى نبت العشب بضم فسكون اي العلف في مناقبه وسمنت بكسر الميم الابل وكذا سائر المواشي
بالاولى حتى تفتقت اي انتفخت خواصرها من الرعي وقيل انشقت وقيل اتسعت من الشحم
اي من كثرته فسمي عام الفتق اي سنة الخصب الذي افضى الى الفتق هذا وقد قيل في سبب
كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السما اذا رات قبر النبي صلى الله عليه وسلم سال الوادي من
بكائها قال تعالى فما بكت عليهم السما والارض حكاية عن حال الكفار فيكون امرها على خلاف
ذلك بالنسبة الى الابرار وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يستشفع به عند الجدب
فتمطر السما فامرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا
يبقى بينه وبين السما حجاب اقول وكانه كناية عن عرض الفرض المطلوب بتوجهه الى السما وهي قبلة
الدعا ومحل رزق الضعفا كما قال تعالى وفي السما رزقكم رواه الدارمي وعن سعيد بن عبد
العزيز قال المؤلف تنوخي دمشقي كان فقيه اهل الشام بعد من الاوزاعي وبعده وقال احمد
ليس بالشام اصح حديثا منه ومن الاوزاعي وهو والاوزاعي عندي سوا وكان سعيد بكا فسئل
فقال لما قمت الى الصلوة الا مثلت لي جهنم قال لما كان ايام وقعة ايام الحرة بفتح فتشديد قال الطيبي
هو يوم مشهور في الاسلام ايام يزيد بن معاوية لما نهب المدينة عسكر من اهل الشام ندبهم
لقتال اهل المدينة من الصحابة والتابعين وامر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة
ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد والحرة هذه ارض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وقعت
فيها هذه الوقعة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة المجهول اي لم يؤذن احد فيه
لاجل الفتنة ثلاثا اي ثلاث ليال بايامها ولم يقم على بنا المفعول من الاقامة اي ولم يقم احد
للصلوة ايضا ولم يبرح بفتح الرا اي لم يفارق سعيد بن المسيب المسجد وكان الناس يقولون
في حقه انه شيخ مجنون قال المؤلف كان سيد التابعين جمع بين الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة لقي
جماعة كثيرة من الصحابة وروى عنهم وعنه الزهري وكثير من التابعين وغيرهم حج اربعين حجة مات
سنة ثلاث وتسعين وكان اي سعيد في ذلك الوقت الشديد لا يعرف وقت الصلوة الا بهمهمة اي بصوت خفي
لا يفهم يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم رواه الدارمي وعن ابي خلدة بفتح المعجمة وسكون اللام قال
المؤلف هو خالد بن دينار التيمي السعدي البصري الخياط من الخياطة من ثقات التابعين روى عن

ومـــسعوجـل

انس وعنه وكيع وغيره قال قلت لابي العالية قال المولف اسمه رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري
راي الصديق وروي عن عمر وابي وعنه عاصم الاحول وغيره قالت حفصة بنت سيرين كان
يقول قرات علي عمر ثلاث مرات ادرك النبي صلي الله عليه وسلم بعد سنتين من وفاته توفي سنة
تسعين سمع انس بحذف همزة الاستفهام اي اسمع احاديث من النبي صلي الله عليه وسلم او بلا
واسطة يرويها وله مراسيل من الصحابة مع انها حجة اتفاقا وكانه بعد وفاته صلي الله تعالي عليه
وسلم تردد بعض الناس قال اي ابو العالية خدمه اي خدم انس النبي صلي الله عليه وسلم
عشر سنين اي وعمره عشر سنين ودعا له النبي صلي الله عليه وسلم اي بالبركة في عمره وولده
وماله فهو اخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة احدي وتسعين وله من العمر مائة
وثلاث سنين ويقال له انه ولد مائة ولد وكان له بستان يحمل اي يثمر في كل سنة الفاكهة
مرتين وكان فيها اي في الحديقة وهي معني البستان وفي نسخة صحيحة فيه اي في ذلك البستان ريحان وهو نبت
معروف له ريح طيب يجي منه ريح المسك وحاصل الجواب انه من كان له هذه المنزلة والصحبة وطول ملازمة الخدمة كيف لا يسمع
ولا يروي عنه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب **الفصل الثالث** عن عروة بن الزبير اي ابن العوام يكني
ابا عبد الله القرشي سمع اباه وامه اسما وعايشة وغيرهم من كبار الصحابة روي عنه ابنه هشام والزهري وغيرهما ولد
سنة اثنتين وعشرين وهو من كبار التابعين وهو احد الفقها السبعة من اهل المدينة ان سعيد بن زيد بن عمرو
بن نفيل بضم نون ففتح فا وهو احد العشرة المبشرة بالجنة خاصمته اروي بفتح الهمزة والواو مقصورا قال صاحب جامع
الاصول لا ادري الانصارية صحابية ام تابعية بنت اوس بفتح فسكون هكذا في نسخ المشكوة قيل وكذا في نسخ المصابيح
وفي جامع الاصول اويس بضم الهمزة وفتح الواو ويا ساكنة وفي اسما الرجال للمولف في فصل الصحابة اوس بن اوس ويقال
اوس بن ابي اوس الثقفي وهو بضم والد عمرو بن اوس روي عن ابو الاشعث الصنعاني وابن عمر وغيرهما والحاصل انها
رافعته في الخصومة الي مروان بن الحكم قال المولف يكني ابا عبد الملك القرشي الاموي جد عمر بن عبد العزيز
امره النبي صلي الله عليه وسلم الي الطايف فلم يزل بها حتي ولي عثمان فرده الي المدينة وروي عن نفر من الصحابة منهم
عثمان وعلي وعنه عروة بن الزبير وعلي بن الحسين مات بدمشق سنة خمسة وستين انتهي وكانه كان
واليا بالمدينة وادعت اي اروي انه اي سعيد اخذ شيا من ارضها اي ظلما فقال سعيد انا كنت اخذ من ارضها
شيا فيه معني الانكار علي نفسه المتضمن لانكار غيره وقوله بعد الذي سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم مقرر
لجهة الانكار قال اي مروان ماذا سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اي سعيد سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا اي قدر شبر واراد شيا يسيرا من الارض اي ارض احد ظلما اي اخذ ظلم او من جهة
ظلم طوقه بضم الطا وكسر الواو المشددة اي طوقه الله كما في نسخة اي حمل ذلك الشبر منها طوقه الي سبع ارضين بفتح
الرا ويسكن قال النووي بفتح الرا واسكانها قليل وفي الحديث تصريح بان الارض سبع طبقات وهو موافق لقوله تعالي
سبع سموات ومن الارض مثلهن ومن قال المراد بالسبع اقاليم فقد وهم لانه لو كان كذلك لم يطوق الظالم شبرا من كل
اقليم بخلاف طباق الارض فانها تابعة لهذا الشبر قال له مروان لا اسلك بينة وفي نسخة ببينة اي لا اطلب حجة بعد
هذا اي بعد ايرادك هذا الحديث والمعني اصدقك في باطن الامر انك غير ظالم ولا شك في نقلك اي حديث ولا احتاج
لرواية اخري فانك بمنزلة راويين واكثر وقال الطيبي وكان سعيد لما انكر توجه عليها البينة توجه اليه اليمين فاجري
مروان هذا الكلام منه مجري اليمين وقال لا اسلك بينة بعد هذا انتهي ولا يخفي ان اعتبار هذا غير شرعي
في باب الدعوي فالصواب ما ذكره الكرماني ان سعيدا ترك لها ما ادعته مما يشهد له نقل عروة فقال سعيد
اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها بفتح الهمزة وكسر ميم اي اجعل بصرها اعمي واقتلها في ارضها اي التي ادعت فيها
وفي رواية فاجعل قبرها في دارها وكان سعيد مجاب الدعوة علي ما في التهذيب قال اي عروة فما ماتت حتي

ذهب بصرها

ذهب بصرها وبينا هي تمشي في ارضها اذ وقعت في حفرة اي عميقة لما سياتي من رواية في بير فماتت متفق عليه وفي رواية
للبخاري عن ابن عمر مرفوعا من اخذ من الارض شيا بغير حقه خسف به الي يوم القيامة الي سبع ارضين وفي
رواية احمد والطبراني عن يعلي بن مرة من اخذ من الارض شيا ظلما جا يوم القيامة يحمل ترابها الي المحشر
وفي رواية للطبراني وايضا عن الحكم بن الحارث من اخذ من طريق المسلمين شيا جا يوم القيامة يحمله
من سبع ارضين وفي رواية مسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه قال المولف روي عن
جده وابن عباس وعنه بنوه والاعمش وغيرهم ثقة وانه اي محمدا المذكور راها تلتمس الجدر
بضمتين ويجوز اسكان داله جمع جدار وفي نسخة بفتح فسكون ففي القاموس الجدر الحايط كالجدار
جمع جدر وجدران والمعني انها تدور علي الجدار وتمسكها تقول اصابتني دعوة سعيد
وانها مرت علي بير اي حفرة عميقة كما سبق في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها فكانت اي فصارت
قبرها اي حقيقة او حكما وعن ابن عمر ان عمر رضي الله عنه بعث جيشا اي ارسل اليها وند
مثلثة النون بلد من بلاد الجبل جنوبي همدان وامر عليهم رجلا يدعي اي يسمي سارية
في القاموس هو ابن زنيم الذي ناداه عمر علي المنبر وسارية بنهاوند انتهي ولم يذكره المولف فبينما عمر يخطب
اي في مسجد المدينة علي روس الاشهاد من اكابر الصحابة والتابعين منهم عثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين
فهذه كرامة عظيمة ومنقبة جسيمة دالة علي مزيته حالا ثم وصحة خلافته فجعل اي عمر يصيح اي في اثنا خطبته
او بعد تمامها يا ساري بترخيم سارية وفي نسخة يا سارية الجبل بالنصب اي الزم الجبل واجعله وراظهرك
فتحيا الناس فقدم رسول من الجيش فقال يا امير المومنين لقينا بكسر القاف وفتح اليا فقولنا عدونا بالرفع
وفي نسخة بسكون اليا والنصب عدونا فهزمونا اي فغلبونا اولا فاذا بصايح يصيح يا ساري الجبل فاسندنا
ظهورنا الي الجبل فهزمهم الله تعالي فيه انواع من الكرامة لعمر كشف معركة وايصال صوته وسماع كل منهم
صيحته وفتحهم ونصرهم ببركته رواه البيهقي في دلايل النبوة وعن نبيهة بضم النون وفتح الموحدة
وسكون التحتية فها فتا كذا ضبطه المولف في اسمايه وفي نسخة بدون تا وهو الظاهر وقيل هو الصواب
فانه الموافق لما في القاموس والمغني وكذا في التجريد للعسقلاني بن وهب اي الكلبي الحجازي سمع
ابان بن عثمان وكعبا مولي سعد بن العاص وروي عنه نافع ذكره المولف في التابعين ان كعبا اي كعب
الاحبار بالحا المهملة وهو من كبار التابعين قال المولف هو كعب بن ماتع يكني ابا اسحاق المعروف بكعب
الاحبار ادرك زمن النبي صلي الله عليه وسلم ولم يره واسلم في زمن عمر بن الخطاب روي عن عمر وصهيب وعايشة
ومات بحمص سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنهم دخل علي عايشة فذكروا اي اهل
المجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم اي بعض نعته او قضية موته فقال كعب اي نقلا من الكتب السابقة
كما راه وسمعه ممن قبله او الكشف قاله وهو المناسب لان يكون كرامة له ويمكن ان يكون كرامة لغوية
بمعني ان الله تعالي اكرم نبيه صلي الله عليه وسلم بما ذكره من قوله ما من يوم يطلع بضم اللام اي يظهر فجره او تطلع
شمسه الا نزل سبعون الفا من الملايكة حتي يحفوا بضم الحا والفا المشددة اي يحيطوا بقبر رسول
الله صلي الله عليه وسلم يضربون باجنحتهم اي الطيران حوله او فوقه يلتمسون بركته وقربه ونوره ويصلون علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم اي بالثنا الجزيل والدعا الجميل حتي اذا امسوا اي دخلوا وقت المسا عرجوا بفتح
الرا اي صعدوا الي السما وهبط اي نزل من السما مثلهم اي من عدد الملايكة في ليلهم فصنعوا مثل ذلك
اي من ضرب الاجنحة وكثرة التصلية حتي اذا انشقت عنه الارض اي عند النفخة الثانية خرج اي
ظهر في سبعين الفا من الملايكة يزفونه بضم الزاي ويكسر وتشديد الفا اي يهدونه المحبوب الي
الحبيب او المحب الي المحبوب والاول فيه المبالغة اكثر وهو باعتبار اصل اللغة اظهر فان زفوه بالضم

ومسعود جل

من زفت العروس الى زوجها اذا اهديتها اليه ويزفون بالكسر من زف البعير اذا الظليم وهو الذكر من
النعام اذا اسرع ففيه حذف وايصال اي يسرعون به اليه والمفهوم من القاموس انه يجوز
في الحديث ضم اليا وكسرا لزاي على المعنيين حيث قال زف العروس الى زوجها من باب كتب
كازفها والظليم وغيره زفيفا باب ضرب اسرع كازف رواه الدارمي **باب** بالتنوين
مرفوعا وفي نسخة بالسكون فقيل المعنى هذا باب في بيان هجرة اصحابه من مكة وبيان
وفاته صلى الله عليه وسلم وفي نسخة باب ما يتعلق بموته صلى الله عليه وسلم في المقدمات **الفصل
الاول** عن البراء بن عازب قال اول من قدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب
ابن عمير بالتصغير وابن ام مكتوم فجعلا يقرئاننا اي يعلماننا القران ثم جاء عمار اي ابن ياسر وبلال
اي ابن رباح وسعد اي ابن ابي وقاص ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين اي رجلا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم اي مع الصديق الاكبر فما رايت اهل المدينة فرحوا
بشيء اي في الدنيا فرحهم به اي مثل فرحهم بمجيئه عليه السلام الى المدينة حتى رايت الولائد جمع
وليدة وهي الجارية الصغيرة والذكر وليد فعيل بمعنى مفعول وقد يطلق على الامة وان كانت كبيرة
وقال شارح الوليدة الصبية والامة وينا سبه قوله والصبيان جمع الصبي يقولون اي من
كمال الفرح والسرور هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء اي وحصل به الرجا والنجا قال
البراء فما جاء اي النبي عليه السلام حتى قرات سبح اسم ربك الاعلى اي تعلمتها ففيه ذكر المسبب
وهو القراة وارادة السبب وهو التعلم في سور اي في جملة سور او مع سور مثلها اي مثل
سورة سبح في المقدار من المفصل اي من اوساطه وهذا يدل على ان سبح اسم ربك نزلت بمكة ويشكل
عليه ان قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى نزلت في زكوة الفطر ووجوب صدقة
الفطر وصلوة العيد في السنة الثانية ويحتمل ان يكون السورة مكية الا هاتين الايتين
والاصح انها كلها مكية ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد بقوله قد افلح من تزكى وذكر
اسم ربه فصلى زكوة الفطر وصلوة العيد وليس في الاية الا الترغيب في الزكوة والصلوة من
غير بيان للمراد فبينته السنة بعد ذلك كذا ذكره بعض المحققين والله اعلم رواه البخاري
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على
المنبر اي في مرضه الذي مات فيه كما في رواية وفي اخرى كان ذلك قبل ان يموت
بخمس ليال فقال ان عبدا اي عظيما كما يدل عليه قوله خيره الله اي جعله مخيرا بين ان
يؤتيه من زهرة الدنيا بفتح الزاي اي بهجتها وحسنها وزينتها ما شاء الله مفعول موخر
عن مثنيه والمعنى مقدار ما اراده من طول العمر والبقا في الدنيا والتمتع بها وبين ما
عنده اي الله سبحانه مما اعد له من انواع النعيم المقيم ولذة اللقا من الوجه الكريم فاختار
ما عنده اي لانه خير وابقى فبكى ابو بكر اي لكمال فهمه وادراكه حيث عرف مفارقته صلى
الله عليه وسلم من الدنيا بقرينة المرض او لان اختيار ما عند الله وترك زهرة الدنيا بحسب
الظاهر من مقدمات مراتب الاولياء ومن المعلوم انه لا يناسب مقام سيد الانبياء فانتقل
الى ان معناه بطريق الاشارة اختيار الموت واللقا وترك الحيوة والبقا قال استينافا وقال
بابائنا وامهاتنا اي نفديك بهم لو كان ينفع الفدا فقال الراوي فعجبنا له اي لابي بكر حيث يفديه
ولا هناك باعث يقتضيه وما ذاك الا لعدم فهمهم ما فهمه من الاشارة لتقيدهم بظاهر العبارة
فقال الناس اي بعضهم لبعض انظروا اي نظر تعجب الى هذا الشيخ اي مع كبره المقتضي لوقاره

وزيادة عقله وفهمه يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد اي منكر غير معين خيره الله بين ان
يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو اي الشيخ يقول فديناك بابائنا وامهاتنا اي ومثل
هذا انما يقال الا لعظيم بين يدي الانتقال من الدنيا الى العقبى قال ابو سعيد فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو المخير بالنصب وهو ضمير الفصل وفي نسخة بالرفع وله وجه والمعنى فظهر لنا في اخر
الامر انه صلى الله عليه وسلم كان العبد المخير وكان ابو بكر هو اعلمنا اي اكثر علما منا حيث علم اولا
ان المخير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم اسم تفضيل ولا يبعد ان يكون فعلا
ماضيا اي وقد كان اعلمنا بالقضية الا انا ما فهمناها بالكلية متفق عليه **وعن**
عقبة بن عامر الجهني روى عنه نفر من الصحابة وخلق كثير من التابعين ذكره المؤلف في
الصحابة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد جمع قتيل والمراد بهم الشهدا بعد ثمان سنين
اي من دفنهم فقيل صلى عليهم صلوة الجنازة وهو الظاهر المتبادر فهو من خصوصياته او
خصوصيتهم وقال الشافعي المراد بالصلاة الدعا كالمودع للاحيا والاموات قال المظهر اي
استغفر لهم استغفاره كالمودع للاحيا والاموات اما الاحيا فيخروجه من بينهم واما
الاموات فبانقطاع دعايه واستغفاره لهم قال السيوطي وذلك قرب موته صلى الله عليه
وسلم ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط بفتح الفا والرا وهو الذي يتقدم الواردة
فيهيي لهم الارشا والدلا ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع يريد انه شفيع لهم لانه يتقدم
والشفيع يتقدم على المشفوع وقد روى الترمذي في الشمايل عن ابن عباس يحدث انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من كان له فرطان من امتي ادخله الله بهما الجنة فقالت له عايشة فمن كان له فرط من امتك قال
ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم يكن له فرط من امتك قال فانا فرط لامتي لن يصابوا بمثلي وانا عليكم
شهيد اي مطلع على احوالكم اذ تعرض على اعمالكم او انا شاهد لكم ومثن عليكم وان موعدكم اي مكان وعدكم للشفاعة
الخاصة بكم في يوم الجمع الحوض اي وروده فانه محل تمييز الخبيث من الطيب والمنافق من المومن فيكون
الشفاعة لامة الاجابة واني لانظر اي الان اليه اي الى الحوض وانا في مقامي هذا اي فوق المنبر وهو
على ظاهره وكان كشف له عنه في تلك الحالة واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض اي ستفتح لامتي
خزاين الارض بفتح بلادها وايمان عبادها واني لست اخشى عليكم اي على مجموعكم ان تشركوا بعدي
لان ذلك قد وقع من بعض ولكني قد اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا بحذف احدى التائين اي ترغبوا فيها
رغبة الشي النفيس وتميلوا اليها كمال الميل فان المنافسة لا تناسب النعم الفانية بالامور الباقية ولذا
قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي المومنون الكاملون وزاد بعضهم اي بعض الرواة على
ما سبق قوله فتقتتلوا اي يقتل بعضكم بعضا للملك والمال فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم اي في المال باسوء
الحال قال النووي فيه معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان معناه الاخبار بان امته تملك خزاين الارض
وقد وقع ذلك وانهم لا يرتدون وقد عصمهم الله تعالى من ذلك وانهم يتنافسون في الدنيا وقد وقع ذلك
متفق عليه **وعن** عايشة قالت ان من نعم الله علي اي خاصة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفي في بيتي اي لا في غيبتي وفي يومي اي نوبتي لكونه منتقلا كذا مني وفي جامع الاصول كان
ابتدا مرض النبي صلى الله عليه وسلم من صداع عرض له وهو في بيت عايشة ثم اشتد به وهو في بيت ميمونة
ثم استاذن نساوه ان يمرض في بيت عايشة فاذن له ومدة مرضه اثني عشر يوما ومات يوم الاثنين ضحى
من ربيع الاول لليلتين خلتا منه وقيل اثني عشرة خلت منه وهو الاكثر وبين سحري ونحري بفتح
فسكون فيهما وهو يدل على كمال قربي وقربتي والمعنى انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو مستند الى صدرها

الدنيا الي صح

وما يحاذي سحرها مفردا السحر الرية على ما في النهاية وقيل السحر ما لصق بالحلقوم من اعلى البطن وقال ابن
الملك النحر موضع القلادة من اعلى الصدر وقال ابن حجر السحر هو الصدر وهو في اصل الرية والمراد بانه توفي
انني وجا في رواية بين حاقنتي وذاقنتي اي كان راسه بين منكبها وصدرها ولا ينافيه ما للحاكم وابن سعد
من طرق ان راسه الكريم كان في حجر علي كرم الله وجهه لان كل طريق منها لا يخلو عن شي كذا قاله الحافظ ابن
حجر وعلى تقدير صحتها يجمع بانه كان في حجره قبل الوفاة وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته قالوا
الصواب بفتح ان عطفا على ان من نعم الله فيكون مجرد اخبار واقول لو صحت الرواية بالكسر لكان الوجه
ان يقال الواو للحال ثم الريق بالكسر ما الفم والا كان الجمع بينهما احتاج الى بيان سبب قالت بطريق
الاستيناف دخل علي اي عندي عبد الرحمن بن ابي بكر والمراد به اخوها وبيده اي وبيد عبد الرحمن سواك
اي غير مستعمل لما سياتي وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاضافة وفي نسخة بتنوين مسندة
ونصب الرسول وهو بضم الميم وكسر النون يقال سند اليه استند واسندته انا كذا في القاموس
فرايته اي النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه اي الى السواك او الى صاحبه وعرفت اي والحال اني قد عرفت
في الماضي من طبعه انه يحب السواك اي مطلقا وعند تغير الفم خصوصا فقلت اخذه لك اي منه فاشار
براسه ان نعم فان مفسرة فتناولته اي اخذته منه وناولته اليه فاستعمله فاشتد اي السواك عليه
اي شديد وقالت وفي نسخة فقالت الينه لك بتشديد اليا المكسورة فاشار براسه ان نعم فلينته
اي لينت السواك بريقي واعطيته النبي صلى الله عليه وسلم فامره على اسنانه بتشديد الرا ماض من الامرار
والمعنى فاجتمع الريقان في حلقي وكذا في حلقه عند موته وفيه ايما الى رضاه عنها حتى عند
انقطاع حياته وبين يديه ركوة اي ظرف فيها ما فجعل يدخل يديه في الما فيمسح بهما وجهه وايرادها بلفظ
التثنية اشعار بنهاية حرارته وانها الى انها عجزه وعبوديته قيل وسببه انه كان يغمى عليه من
شدة الوجع ثم يفيق ويوخذ منه انه ينبغي فعل ذلك لكل مريض فان لم يفعل فعل به لان فيه نوع تخفيف
الكرب كالتجريع بل يجب التجريع اذا اشتد حاجة المريض اليه ويقول لا اله الا الله اي الواحد القهار الذي قهر
العباد بالموت وهو الحي الذي لا يموت ان للموت سكرات بفتحات جمع سكرة اي شدايد ومشقات عظيمات
من حرارات ومرارات طبيعيات حتى للانبيا وارباب الكمالات فاستعدوا لتلك الحالات واطلبوا من الله
تهوينه للاموات وفي شمايل الترمذي عنها قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت اي
مشغول او ملتبس وعنده قدح فيه ما وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالما ثم يقول اللهم
اعني على منكرات الموت او قال على سكرات الموت والمراد بمنكرات الموت شدايده ومكروهاته وما يحصل
للعقل من التغطية المشابهة للسكر فهو بمعنى سكرات الموت والشك انما هو في اللفظ ثم في تلك
السكرات زيادة رفع الدرجات ثم نصب يده اي رفعها بطريق الدعا او على وجه الايما الى جهة السما فجعل
يقول اي مكررا في الرفيق الاعلى متعلق بمحذوف اي اجعلني في الرفيق الاعلى وهم هنا الانبيا الذين
يسكنون اعلى عليين اسم جا على فعيل يقع على الواحد والجماعة كالصديق والخليط والمراد هنا
الجمع كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا والرفيق المرافق في الطريق وقيل التقدير اجعلني في مكان
رفيق الاعلى واراد بالرفيق الاعلى واراد بالمكان المقام المحمود المخصوص به فالمعنى اجعلني ساكنا فيه
قايما به وقال الجوهري الرفيق الاعلى الجنة ذكره ابن حجر وهو لا يخلو عن غرابة وقيل الرفيق الاعلى من
اسمايه تعالى من الرفق والرافة فعيل بمعنى فاعل لانه سبحانه رفيق بعباده واختار لفظ في الدلالة
على زيادة القرب المشعر بالاستغراق في حضرة الرب والفنا في مقام بقا الحب مع ما فيه من الاشارة
الى التوحيد المفيد لتاكيد التابيد وقد غفل الازهري عن هذا المعنى الاظهر والمعنى الانور

وغلط قايل

وغلط قايل ذلك على ما نقله ابن حجر فتامل وتدبر ثم رايت التوربشتي قال قد ذهب بعضهم في الرفيق الاعلى
انه اسم من اسما الله تعالى قال الازهري غلط قايل هذا وقوله ان الله رفيق بعلم يوجب اطلاق هذا الاسم عليه
لكالم يوجب ان الله حي ستير اطلاق ذلك عليه وانما اراد به ايضاح معنى لم يكن يقع في الافهام الا من هذا
الطريق قال الفاضل الطيبي لم لا يجوز ان يستدل بهذا الحديث على اطلاق هذا الاسم عليه وما
المانع وليس هذا نحو قوله ان الله حيي لان ذلك اخبار وقول صاحب النهاية انه اختار ما عند الله
تعالى تصريح بان المراد منه القرب والزلفى عند الله تعالى فلو اريد به الملايكة والنبيون لقيل
من عند الله ويؤيده حديث ابي سعيد ان عبدا خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين
ما عنده فاختار ما عنده وحديث جعفر في اخر الفصل الثالث من هذا الباب يا محمد ان الله
قد اشتاق الى لقايكم الحديث ولان حصول هذه البغية مستلزم لحصول تلك المنزلة
كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك يعني ادخلني على الرفيق اي في نهاية
القرب وشدة تمكنه فيه وحلول رضوانه عليه والى الاشارة بقوله راضية مرضية قلت ويؤيده
رواية عايشة الاتية اللهم الرفيق الاعلى ثم المعنى كان هذا حاله ومقاله حتى قبض ومالت يده
اي عن يمينه او شماله او عن الطرفين ايما الى الاغماض عن الكونين والميل الى المكون الذي لقاوه
قرة العين ولذا قال سيد الثقلين رواه البخاري وعنها اي عن عايشة رضي الله عنها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض بفتح الرا اي مرض الموت الا خير بين
الدنيا والاخرة اي بين بقايه مرة اخرى في الدنيا وبين توجهه الى عالم العقبى ولا شك ان كلا اختار
ما عند الله لانه خير وابقى وكان في شكواه اي مرضه الذي قبض اخذته بحة شديدة بضم
موحدة وتشديد مهملة اي غلظ الصوت وخشونته على ما في النهاية وقال ابن حجر هي شي يعوض
في الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ وقيل المراد هنا سعلة ففي القاموس السعال والسعلة بضمهما
وهي حركة تدفع بها الطبيعة اذى عن الرية والاعضا التي تتصل بها فسمعته يقول اي الرفيق
الاعلى مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين اي وحسن اولئك
رفيقا يعني مع الرفيق الاعلى فالجمع بما ذكرناه هو الاولى حشرنا الله معهم في العقبى فظننته انه خير
اي بين البقا في الدنيا وما عند الله في الاخرى من لقا المولى متفق عليه وعن انس رضي الله
عنه قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم بفتح المثلثة وضم القاف اي اشتد مرضه جعل اي طفق
يتغشاه الكرب وفي المصابيح يتغشى بلا ضمير وبلا لفظ الكرب وقال شارح له اي يتغطى ويستر
بالثياب اي يغشى عليه من شدة المرض وفي بعض النسخ جعل يتغشاه الكرب هو بالفتح وسكون
الغم الذي ياخذ بالنفس اقول وهو المناسب لقوله فقالت فاطمة اي بنته رضي الله
عنها واكرب اباه بسكون الها للسكت والالف قبله الندبة وسيلة لمد الصوت في الكلمة
المغيرة للمبالغة فقال لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم يعني ان الكرب كان بسبب شدة
الالم وصعوبة الوجع وبعد هذا اليوم لا يكون ذلك لان الكرب كان بسبب العلايق
الجسمانية وبعد اليوم ينقطع تلك العلايق الصورية ولا كرب في التعلقات الروحانية المعنوية وزاد
الترمذي انه قد حضر من ابيك ما ليس بتارك منه احدا الوفاة يوم القيامة اي هو الموت الى قيام الساعة
فلما مات قالت يا ابتاه قال الطيبي اصله يا ابي ابدلت من اليا لانها من حروف الزوايد والالف للندبة لمد
الصوت والها للسكت ولا بد للندبة من احدى العلامتين يا او وا ولان الندبة لاظهار التوجع ومد الصوت
والحاق الالف في اخره للفصل بينها وبين النداء وزيادة الها في الوقف ارادة بيان الالف لانها خفية خفيفة

في الوصل اجاب ربه دعاه اي الى العقبى فاختارها على الدنيا وهو بضم ها الضمير وليكن في الوقف مراعاة للسجع
ولا يبعد ان يكون الها للسكت على ان المفعول محذوف للعلم به لكن لا يستقيم هذا في قولها يا ابتاه من جنة
الفردوس ماواه فانه يتعين ان يكون للضمير بخلاف قولها يا ابتاه الى جبريل ننعاه فانه يحتمل الاحتمالين ثم
قولها من جنة الفردوس بفتح الميم ورفع الجنة في الاصول المصححة وفي نسخة بكسرها وخفض الجنة قال
الجزري بفتح ميم من على انها موصولة ويحتمل كسرها على انها حرف جار اي موضع قراره من جنة الفردوس وقال
الطيبي قوله من جنة الفردوس في البخاري وشرح السنة وقع من موصولة وفي بعض نسخ المصابيح وقعت
جارة والاول انسب لانه من وادي قولهم وامن حفر بير زمزماه انتهى وقوله ننعاه اي نظهر خبر موته
اليه من النعي كذا قاله شارح وفي الازهار اي نبكي اليه وقيل نعزيه وقيل نخبره اقول واوسطها
اعلاها فلما دفن قالت فاطمة يا انس اطابت انفسكم اي اهانت عليكم ايها الصحابة ان تحثوا بفتح
التا وضم المثلثة اي تكبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فوقه التراب ومما ينسب اليها في تعزيتها
ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا ه صبت علي مصائب لو انها ه صبت على
الايام صرن لياليا رواه البخاري الفصل الثاني عن انس رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بكسر اللام اي رقصت بحرابهم بكسر الحاء المهملة جمع حربة وهي
رمح قصير وقيل بخناجرهم فرحا لقدومه رواه ابو داود وفي رواية الدارمي عن انس قال ما رايت
يوما قط كان احسن اي ازهر في الخاطر ولا اضوء اي في نور الظاهر من يوم دخل علينا فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فانه كان يوم الوصال للمشتاقين الى ذلك الجمال وما رايت
يوما اقبح اي اسوا واحزن في القلب ولا اظلم اي في عين القالب من يوم مات فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يوم الفراق على العشاق وفي رواية الترمذي قال اي انس لما
كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضا منها اي اشرق من المدينة
كل شي بالرفع فان اضا لازم وقد يتعدى ومن بيان تقدم قال الطيبي الضمير راجع الى المدينة
وهذا يدل على ان الاضاءة كانت محسوسة فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شي
فان نوره شمس العالم الصوري والمعنوي وتخصيص المدينة لكونها اقرب ونسبة رواية الراوي
انسب وما نفضنا ايدينا عن التراب من النفض وهو تحريك الشي ليزول ما عليه من التراب
والغبار وانا لفي دفنه اي مشغولون بعد جملة حالية حتى انكرنا قلوبنا اي تغيرت حالنا
بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور انواع الظلمة علينا ولم نجد قلوبنا على ما كانت
عليه من انوار الصفا والرقة والالفة فيما بيننا لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان
يمدهم من الرسول صلى الله عليه وسلم من التاييد والتعليم ولم يرد انهم لم يجدوها على ما كانت
من التصديق وعن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في
دفنه اي في موضع يدفن فيه فقيل يدفن في مسجده وقيل بالبقيع بين اصحابه وقيل بمكة
وقيل عند ابيه ابراهيم عليه السلام او في نفس الدفن والمعنى هل يدفن كما روى الترمذي
في الشمايل عن سالم بن عبيد وكانت له صحبة قالوا لابي بكر يا صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالوا اين قال في المكان الذي قبض فيه
روحه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب فعلموا انه قد صدق انتهى وهو لا ينافي ما روي
عنه في هذا الحديث فقال ابو بكر سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا اي ما نسيته
كما في الشمايل الترمذي قال يحتمل ان يكون صفة لشيئا او استينافا فانه قال رسول الله صلى الله

بركة صحبته وانس بكثير حضور حضرته قال التوربشتي يريد انهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفا والالفة لانقطاع صح

عليه وسلم

عليه وسلم ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب اي النبي او يحب الله ان يدفن اي ذلك النبي
فيه اي في ذلك المكان الذي قبض فيه ادفنوه في موضع فراشه اي الذي مات فيه ولعله لم يحول
الى موضع من المواضع الشريفة ليكون تشرف المكان بالمكين ويتشرف به اهل التمكين رواه
الترمذي اي وقال غريب وفي اسناده عبد الرحمن بن ابي بكر المليكي يضعف من قبل
حفظه وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه رواه ابن عباس عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقد روى مالك هذا الحديث وقال بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي قال ناس يدفن
عند المنبر وقال اخرون يدفن بالبقيع فجا ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما دفن نبي قط الا في المكان الذي توفي فيه فحفر فيه ذكره ميرك عن تصحيح
المصابيح الفصل الثالث عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وهو صحيح اي والحال انه في حال صحته انه اي الشان لم يقبض نبي اي لن يموت حتى يرى بمجهول
من الاراة وفي نسخة معلوم من الروية اي يبصر او يعرف مقعده اي الخاص به من الجنة اي من منازلها
العالية ثم يخير بالنصب ورفعه اي ويجعل مخيرا بين قعوده في الدنيا وبين وصوله الى مقعده في العقبى
قالت عائشة فلما نزل به اي الموت يعني علاماته به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وراسه على فخذي
حال وجواب لما قولها غشي عليه اي اغمي ثم افاق فاشخص اي رفع بصره الى السقف اي فانه جهة
السموات العلى ثم قال اللهم الرفيق اي اختار او اسالك الرفيق الاعلى قلت اذا بالتنوين وفي نسخة
اذن لا يختارنا بالرفع والنصب قالت وعرفت انه اي هذا الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح
قال الطيبي اي ان هذا القول اشارة الى الحديث الذي قال في حال صحته في قوله انه لن يقبض
وفي نسخة لم يقبض نبي قط وهو يويد النسخة لكن المراد به ابدا حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير
قالت عائشة فكان اخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله بالنصب وفي نسخة بالرفع اللهم الرفيق
الاعلى قال السهيلي واول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر
ذكره ابن حجر وروي انه صلى الله عليه وسلم اول من قال بلى يوم قال الست بربكم متفق عليه وعنها
اي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال
اي ما ابرح اجد الم الطعام اي المسموم الذي اكلت بخيبر وهذا اوان وجدت بفتح النون وفي نسخة بضمها
قال الطيبي يجوز في اوان الضم والفتح فالضم لانه خبر المبتدا والفتح على البناء لاضافته الى المبني قلت وهذا
هو المختار على ما سبق في يوم ولدته وليلة اسري به والمعنى وهذا زمان صادفت فيه انقطاع ابهري
بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة وهو عرق يتعلق به القلب فاذا انقطع مات صاحبه من ذلك السم اي
من اثره بتاثيره سبحانه والسم مثلثة السين والضم اشهر والفتح اكثر هذا وفي النهاية الابهر عرق في الظهر
وهما ابهران وقيل هما الاكحلان اللذان في الذراعين وقيل هو عرق مستبطن القلب فاذا انقطع لم يبق معه
حيوة وقيل الابهر عرق منشاوه من الراس ويمتد الى القدم وله شرايين يتصل باكثر الاطراف والبدن فالذي
في الراس منه يسمى النامة ومنه قولهم اسكت الله نامته اي اماته ويمتد الى الحلق فيسمى الوريد ويمتد
الى الصدر فيسمى الابهر ويمتد الى الساق فيسمى الصافن والهمزة في الابهر زايدة رواه البخاري وروى
ابن السني وابو نعيم في الطب عن ابي هريرة ما زالت اكلة خيبر تعادني كل عام حتى كان هذا اوان
قطع ابهري قال الجزري الاكلة بضم الهمزة وقال لم الهمزة الاكلة واحدة انتهى وتعادني بضم التا
وتشديد الدال اي تعاودني وقطع بصيغة الماضي مضافا اليه وعن ابن عباس قال لما حضر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي مضافا اليه وعن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بصيغة المفعول اي حضره الموت وفيه تجوز فانه عاش بعد ذلك الي يوم وهو يوم الخميس الي يوم الاثنين
وقيل التقدير لما حضره حضر الموت وفي البيت رجال اي كثيرة وفيهم عمر بن الخطاب جملتان حاليتان معترضتان
بين لما وجوابه وهو قوله قال النبي صلي الله عليه وسلم هلموا اي تعالوا واحضروا اكتب لكم كتابا بالجزم جوابا
وقوله لن تضلوا بعده صفة كتابا قال النووي في شرح مسلم اعلم ان النبي صلي الله عليه وسلم معصوم من
الكذب ومن تغيير شيء من الاحكام الشرعية في حال صحته ومرضه ومعصوم من ترك بيان ما امر ببيانه وتبليغ
ما اوجب الله عليه تبليغه وليس هو معصوما من الامراض والاسقام العارضة للاجسام مما لا نقص فيه
بمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر عليه السلام حتي صار يخيل اليه انه فعل ولم يكن
يفعله لم يصدر منه في هذا الحال كلام في الاحكام يخالف لما سبق فاذا علمت ما ذكرناه فقد اختلفوا في
الكتاب الذي اراد كتابته فقيل اراد ان ينص علي الخلافة في انسان معين لئلا يقع نزاع قال وهذا بعيد
جدا اذ التنصيص علي خلافة ابي بكر وعمر والعباس او علي لا يحتاج الي كتابة بل كان مجرد القول كافيا للمقصود
وافيا مع انه قد اشار الي خلافة ابي بكر بنيابة الامامة مع التصريح بقوله يابي الله والمومنون
الا ابا بكر نعم لو قيل انه اراد ان يكتب الخلافة المستمرة خالفا وقائما لمن يستحقه واحدا بعد واحد
الي خروج المهدي عيسي عليه السلام لكان له وجه وجيه وتنبيه نبيه ولكنه اراد الله الامر
مستورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقيل اراد كتابا يبين فيه مهمات الاحكام ملخصة ليرتفع
النزاع ويحصل الاتفاق علي المنصوص عليه قلت لم يكن في زمانه نزاع ليرتفع ولا خلاف ليندفع واما
باعتبار ما بعده من الزمان مما سيقع الاختلاف في مكان فقد اخبر بوقوعه بقوله اختلاف امتي رحمة وبقوله
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وبقوله عليكم بالسواد الاعظم وبقوله وان افتاك المفتون
وقد قال تعالي ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم علي الاحكام الشرعية المتفرقة
في عشرين سنة كيف تصير ملخصة متصوبة في ساعة بكتب لا ينصور فيه اختلاف طاعة نعم لو اريد
به انه قصد ان يكتب كتابا يبين فيه بعض الاحكام التي قد توجد في الازمنة الاتية مما لا يبين مذكورا
في الكتاب ولا محفوظا في السنة لا يبعد من طريق الرافة وسبيل الرحمة علي كافة الامة من الايمة والعامة
او اراد ان يكتب كتابا يبين فيه طريق الفرقة الناجية ويفصل فيه احوال الفرق الضالة من المعتزلة
والخوارج والرافضة وساير المبتدعة فقال قد غلب عليه الوجع اراد بما ذكره التخفيف علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم عند شدة الوجع وقوله حسبكم كتاب الله اي كافيكم في امر الدين لقوله تعالي
واعتصموا بحبل الله جميعا وهو خطاب لمن نازعه في ذلك ورد عليه لا علي النبي صلي الله عليه وسلم مع انه
رضي الله عنه له موافقات وقعت في مواضع من المخالفات فيمكن حمل هذه القضية علي الموافقة
حتي تقع المخالفة ويدل عليه سكوته صلي الله عليه وسلم علي تلك المقالة وصرف عنانه عن امر الكتابة هذا
وقد عرف ان ذلك الامر لم يكن حتما منه بل دعاية لمصالحهم وكان اصحابه اذا امر بشيء غير جازم يراجعونه
فيه وكان يتركه لرايهم فاختلف اهل البيت اي من كان في البيت عنده من اصحابه واقاربه فمنهم من
يقول قربوا اي الدواة والقلم يكتب لكم رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجزم علي جواب الامر اي يملي عليكم ما اراد
كتابته ومنهم من يقول ما قال عمر اي من المنع لشدة الوجع فلما اكثروا اللغط بفتحتين اي الصوت الذي
لا يفهم معناه ولا يتبين مغزاه والاختلاف اي الموجب للنزاع والخلاف قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم قوموا عني اي فاني تركت قصد الكتابة اعتمادا علي ما ثبت عندكم من الكتاب والسنة قال النووي
وكان النبي صلي الله عليه وسلم هم بالكتاب حين ظهر له انه مصلحة او اوحي اليه بذلك ثم ظهر ان المصلحة تركه او اوحي
اليه بذلك ثم ظهر ان المصلحة تركه او اوحي اليه بذلك ونسخ اما قول عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله

فقد

فقد اتفقوا علي انه من دلايل فقهه وفضايله ودقايق نظره وفهمه لانه خشي ان يكتب النبي صلي الله عليه وسلم امورا
ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لكونها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيه واشار بقوله حسبكم كتاب
الله الي قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالي اليوم اكملت لكم دينكم قال عبيد الله اي ابن عبد
الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ولد اخي عبد الله بن مسعود وهو احد الفقهاء السبعة من التابعين
سمع ابن عباس وخلقا كثيرا من الصحابة فكان ابن عباس يقول ان الرزية بفتح الراء وكسر الزاء بعدها ياء
ساكنة ثم همزة وقد يسهل فيشدد الياء على ما في شرح البخاري اي المصيبة كل الرزية اي تمامها
وكمالها ما حال اي والحال الذي وقع حايلا وصار مانعا بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين ان يكتب
لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم متعلق بحال وكان ابن عباس مال الي خلاف ما قال عمر ومن
تبعه من الصحابة فتدبر قال البيهقي في كتاب دلايل النبوة انما قصد عمر رضي الله عنه بذلك التخفيف
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين غلب الوجع عليه ولو كان مراده صلي الله عليه وسلم ان يكتب ما لا يستغنون
عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالي بلغ ما انزل اليك من ربك كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة
من عاداه وكما امر في تلك الحالة باخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك مما بيني مما سياتي بيانه
قال وقد حكي سفيان ابن عيينة عن اهل العلم قبله انه صلي الله عليه وسلم اراد ان يكتب استخلاف
ابي بكر رضي الله عنه ثم ترك ذلك اعتمادا علي ما علمه من تقدير الله تعالي ذلك كما هم بالكتابة
في اول مرضه حين قال وارأساه ثم ترك الكتابة وقال يابي الله والمومنون الا ابا بكر ثم ذلك سبب
استخلافه ابا بكر في الصلوة وقال ايضا وان كان المراد به بيان احكام الدين ورفع الخلاف فيها فقد
علم عمر حصول ذلك من قوله تعالي اليوم اكملت لكم دينكم وعلم انه لا يقع واقعة الي يوم
القيامة الا وفي الكتاب والسنة بيانها نصا او دلالة وفي تكلف النبي صلي الله عليه وسلم
في مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة فراي الاقتصار علي ما سبق بيانه تخفيفا عليه
ولا ينسد باب الاجتهاد علي اهل العلم والاستنباط والحاق الفروع بالاصول فراي عمر الصواب
ترك الكتابة تخفيفا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وفضيلة للمجتهدين وفي تركه صلي الله
عليه وسلم الانكار علي عمر دليل علي استصواب رايه وكان عمر افقه من ابن عباس وموافقيه
وفي رواية سليمان بن ابي مسلم الاحول قال المولف هو خال ابي نجيح تابعي من ثقات الحجازيين
واثباتهم سمع طاوسا وابا سلمة وروي عنه ابن عيينة وابن جريج وشعبة قال ابن عباس
يوم الخميس مرفوع علي انه خبر مبتدا محذوف او عكسه وقوله وما يوم الخميس يستعمل
عند ارادة تفخيم الامر في الشدة والتعجب منه كقوله تعالي الحاقة ما الحاقة والقارعة ما
القارعة ثم بكي اي ابن عباس حتي بل دمعه الحصي اي حتي سال دموعه بلا احصاء ووصلت
الي ما في الارض من الحصا ثم بكاوه يحتمل ان يكون لتذكر وفاته وفقده ان حياته صلي الله عليه وسلم
لتجدد الحزن عليه ولفوات ما فات في معتقده من خير الذي كان يحصل لو كان كتب ذلك
الكتاب وهذا هو الاظهر في المقام والانسب فيما اراده من المرام قلت يا ابن عباس وما يوم
الخميس قال مبرك قايله سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس وظاهر ايراد المصنف يقتضي ان
قايله سليمان وليس كذلك وهذا ظاهر من سياق البخاري قال اشتد برسول الله صلي
الله عليه وسلم وجعه اي في ذلك اليوم فقال ايتوني بكتف اكتب لكم كتابا بالجزم في جميع النسخ
الحاضرة المصححة المقروة فعلي هذا اشكل جزم قوله لا تضلوا بعده ابدا ولعل وجهه ان يكون
جوابا لشرط مقدر اي ان كتبت لكم وعلمتم به لا تضلوا اي لا تضروا فانا في وفي نسخة انه لا تضلوا وهو

واضح جدا اي لئلا تضلوا او مخافة ان لا تضلوا فتنازعوا اي امرهم بينهم واختلفوا في رايهم ولا ينبغي
عند نبي تنازع قيل هو من جملة الحديث المرفوع ويؤيده ما تقدم في العلم بلفظ ولا ينبغي عندي
التنازع ويحتمل ان يكون مدرجا من قول ابن عباس وهو الظاهر المتبادر فقالوا اي بعضهم ما شانه
اي حاله صلى الله عليه وسلم اهجر بفتحات اي اختلف كلامه من جهة المرض على سبيل الاستفهام وفي
النهاية اي هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به من المرض ولا يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان
والقائل عمر ولا يظن به ذلك قال الخطابي ولا يجوز ان يحمل قول عمر على انه توهم الغلط على رسول الله
صلى الله عليه وسلم او ظن به غير ذلك مما لا يليق بحاله لكنه لما راى ما غلب عليه صلى الله عليه وسلم
من الوجع وقرب الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف ان يكون ذلك القول مما يقوله المريض
مما لا عزيمة له فيه فيجد المنافقون بذلك سبيلا الى الكلام في الدين وقد كان اصحابه يراجعونه
في بعض الامور قبل ان يجزم فيها بتحتم كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف وفي كتاب الصلح
بينه وبين قريش فاما اذا امر بالشيء امر عزيمة فلا يراجعه فيه احد منهم ومعلوم انه صلى الله عليه
وسلم وان كان الله تعالى رفع درجته فوق الخلق كلهم لم يتنزه من سمات الحدوث والعوارض البشرية
وقد سها في الصلوة فينبغي ان يتوقف في مثل هذا حتى تتبين حقيقته فلهذا المعنى وشبهه راجعه
عمر رضي الله عنه وفي شرح مسلم قال القاضي عياض اهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا في صحيح
مسلم وغيره اهجر على الاستفهام وهو اصح من رواية من روى هجر بغير همز لانه لا يصح منه صلى
الله عليه وسلم لان معنى هجر هذى وانما جاء هذا من قائليه استفهاما للانكار على من قال لا تكتبوا
اي لا تتركوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجعلوه كامر من هجر في كلامه لانه صلى الله عليه وسلم لا يهجر وان صحت
الرواية الاخرى كانت خطا من قائلها لانه قالها بغير تثبت لما اصابه من الحيرة والدهشة لعظم ما شاهده
من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة الدالة على وفاته وخوف الفتن والضلالة بعده خيانة اقول لو صحت
الرواية لزم حملها على تقدير الاستفهام كما يدل عليه قوله استفهموه بكسر الهاء وفي بعض النسخ بفتحها هذا
وفي فتح الباري قوله اهجر بهمزة عند جميع رواة البخاري في كتاب المغازي وفي رواية في الجهاد بلفظ
قالوا هجر بغير همزة وعند الكشميهني فقالوا هجر قال القاضي معنى اهجر افحش يقال هجر الرجل اذا هذى
واهجر اذا افحش وتعقب فانه يستلزم سكون الهاء والروايات كلها انما هي بفتحها وقد تكلم
القاضي وغيره في هذا الموضع فلخصه القرطبي تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه وحاصله ان قوله
هجر الراجح فيه اثبات الهمزة الاستفهامية وبفتحات على انه فعل ماض والمراد به هنا ما يقع من كلام
المريض مما لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته ووقوع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مستحيل
لانه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولقوله
صلى الله عليه وسلم اني لا اقول في الغضب والرضا الا حقا واذا عرفت ذلك فانما قاله من قاله منكرا
على من يتوقف في امتثال امره باحضار اسباب الكتابة فكانه قال اتتوقف في ذلك اتظن انه كغيره
يقول الهذيان في مرضه امتثل امره واحضر ما طلبه فانه لا يقول الا الحق وهذا احسن الاجوبة
قال ويحتمل انه قال ذلك عن شك عرض له ولكن يبعد ان لا ينكره الباقون عليه مع كونهم من كبار
الصحابة ولو انكروه لنقل ويحتمل ان يكون الذي صدر منه قال ذلك من دهشته وحيرته كما اصاب
كثيرا منهم عند موته وقال غيره يحتمل ان قائل ذلك اراد اشتداد وجعه وقيل قال الهجر لارادة سكوت
الذي لغطوا ورفعوا اصواتهم عنده فكانه قال ان ذلك يؤذيه ويفضي في العادة الى ذلك ويحتمل
ان يكون قوله اهجر فعلا ماضيا من الهجر بفتح اوله وسكون ثانيه والمفعول محذوف اي

وقف سعيد جل

الحيوة وذكر بلفظ الماضي مبالغة لما راى من علامات الموت عليه قلت ويظهر ترجيح ثالث الاحتمالات التي
ذكرها القرطبي ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الاسلام انتهى واقول هذا بعيد من مقام
الكلام فان مثله لا يكون مع الاصحاب الفخام وعلى التنزل فلا يسكتون عنه من غير رد جواب الكلام والله
اعلم بحقيقة المرام فذهبوا اي فشرع بعض اصحابه يردون عليه اي هذا الراي من نحا بخلاف قول
عمر فانه كان تلو بحا فقال دعوني اي اتركوني ذروني بمعناه تاكيد له والمعنى دعوني من
النزاع واللغط الذي شرعتم فيه فالذي انا فيه اي من مراقبة الله تعالى والتاهب للقائه
والتفكر في ذلك ونحوه خير مما تدعوني اليه اي افضل مما انتم عليه من الاختلاف
واللفظ قال الخطابي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف امتي
رحمة والاختلاف في الدين ثلاثة اقسام احدها في اثبات الصانع ووحدانيته وانكار
ذلك كفر وثانيها في صفاته وانكارها بدعة وثالثها في احكام الفروع المحتملة
وجوها فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء وقال المازري قيل كيف جاز للصحابة
الاختلاف في هذا الكتاب مع قوله ايتوني اكتب فالجواب ان الاوامر تقارنها قرائن تنقلها
من الندب الى الوجوب عند من قال اصلها الندب ومن الوجوب الى الندب عند من
قال اصلها الوجوب فلعله ظهر منه صلى الله عليه وسلم من القرائن ما دل على انه لم يوجب ذلك
عليهم بل جعله الى اختيارهم فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم وهو دليل على رجوعهم
الى الاجتهاد في الشرعيات وادى اجتهاد عمر رضي الله عنه الى الامتناع ولعله اعتقد
ان ذلك صدر منه صلى الله عليه وسلم من غير قصد جازم وكان هذا قرينة في ارادة عدم
الوجوب والله اعلم فامرهم بثلاث اي خصال فقال تفسيرا لما قبله اخرجوا المشركين من
جزيرة العرب مر بيانه في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب واجيزوا الوفد اي
اكرموا الوافدين عليكم والواصلين اليكم من حواليكم واعطوهم الجائزة والعطية
فيما بعد بنحو ما كنت اجيزهم اي كمية وكيفية والتمييز فيما بينهم بحسب ما يلزم
قال النووي امر صلى الله عليه وسلم باكرام الوفود وضيافتهم تطييبا لنفوسهم وترغيبا
لغيرهم من المولفة وقالوا سواء كان الوفد مسلمين او كفارا لان الكافر انما يفد غالبا
فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحه وسكت اي ابن عباس عن الثالثة اي نسيانا
منه او اقتصارا وقال الهاء اي ذكرها فنسيتها وفي نسخة بضم النون وتشديد السين
قال سفيان الظاهر انه ابن عيينة هذا اي قوله سكت من قول سليمان اي الاحول
قال النووي المساكت هو ابن عباس والناسي سعيد بن جبير قال المهلب الثالثة
تجهيز جيش اسامة وقال القاضي عياض ويحتمل ان قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذ وافي
وثنا يعبد متفق عليه وعن انس قال قال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما بصيغتي التثنية
اما لجلالتهما او لكونه من مقول انس وفي نسخة عنهم بصيغة الجمع ليعم النسا بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بنا الى ام ايمن هي ام اسامة بن زيد بن حارثة
كانت مولاة النبي صلى الله عليه وسلم فزوجها زيدا واسمها بركة وهي حاضنة النبي
صلى الله عليه وسلم ورثها النبي صلى الله عليه وسلم عن ابيه عبد الله وكانت تسقي
الماء وتداوي الجرحى وكانت من الحبشة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوما واما زيد
فملكته خديجة الكبرى فاستوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبته له فاعتقه

صلى الله عليه وسلم وله اذكره بعض المحققين ولم يذكر المولف ام ايمن في اصحابه تزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يزورها استئناف بيان كانه قيل لم تنطلق اليها ما حبيب تزورها لانها محتقنة لذلك فهو الحكم بلاغة فان
لو قيل تزورها حسب ما اقتضاه نقطم المرور فلما انتهينا اي انا والشيخان وهو كذا بصيغة المتكلم في نسخ صحيح
مسلم وفي بعض نسخ المشكاة فلما انتهيا بصيغة التثنية اي وصل ابو بكر وعمر اليها بكت فقالا لها ما يبكيك
اما تعلمين ان ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني لا ابكي اي لا علم بفتح الهمزة على انه مفعول
له لقوله لا ابكي والمعنى لا ابكي لاني لا اعلم ان ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لان هذا امر
ظاهر وظهوره باهر ولكن ابكي ان اي لان الوحي اي بالاحكام الالهية السماوية قد انقطع من السماء فهيجتهما
بتشديد الياء اي فحملتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها والبكاء بهذا المعنى لا ينقطع الى اخر الدنيا رواه
مسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد حال من المفعول وهو قوله علينا عاصبا راسه حال
من ضمير فاعل خرج اي رابطا راسه بخرقة اي عصابة حتى غاية لخرج اي الى ان اهوى اي قصد
نحو المنبر الى جهته فاستوى عليه واتبعناه بهمزة قطع واسكان تاء وفي نسخة بهمزة وصل وتشديد
تاء اي لحقناه وتبعناه كان قعدنا تحت المنبر قريبا لديه ومتوجها اليه صلى الله عليه وسلم قال اي
بعد الحمد والثناء والذي نفسي بيده اني لانظر الى الحوض اي الكوثر من مقامي هذا الماء ورد من
قوله ومنبري على حوضي وقد سبق بيانه وتحقيق شانه ثم قال ان عبدا اي عظيما وعند
الله وجيها كريما عرضت عليه الدنيا وزينتها اي الفانية فاختار الاخرة اي ونعيمها
الباقية وقد قال بعض العارفين لو ضيئا قبل بني فتحين احدهما خزف باق والاخر
ذهب فان لا اختار الخزف الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس فان الاخرة
ذهب باق والدنيا خزف فان كما اشار اليه سبحانه بقوله والاخرة خير وابقى فلم يفطن بفتح
الطاء ويضم من بابي فرح ونصر على ما في المصباح وفي القاموس فطن به واليه وله كفرح
ونصر وكرم فتبين ان ما في بعض النسخ من كسر الطاء سهو قلم نشأ من قلة فطانة الكاتب
والمعنى لم يتفطن لها اي لهذه النكتة او للوفاة ولم يفهمها احد غير ابي بكر فبكى ثم قال
بل نفديك بآبائنا وامهاتنا وانفسنا واموالنا اي عبيدنا وامائنا وغيرهما لو كان جائزا لفداء
شيء منها او بجميعها قال ابو سعيد ثم هبط اي نزل عن المنبر فما قام عليه حتى الساعة اي
الى الان قال الطيبي حتى هي الجارة والمراد بالساعة القيامة يعني فما قام عليه بعد ذلك في حياته رواه
الدارمي وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح اي الى اخر السورة المشيرة الى الكمال
المستعقب للزوال فكانه قال اذا صحت نصرتك فاشتغل بحد منك من تنزيه ربك وشكر نعمتك فقد تم
المقصود من بعثتك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة اي طلبها قال استيناف بيان او حال نعيت
الي نفسي بصيغة المجهول المونث اي اخبرت باني اموت قال الطيبي ضمن نعي معنى الانهاء وعدي بالى
اي انهى الي يعني نفسي كما يقول احد الكرع فلانا يقال نعى الميت ينعاه اذا اذاع موته واخبر به ولعل
السر في ذلك انه تعالى رتب قوله فسبح بحمد ربك على مجموع قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس ومسعو جل
فهو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة نفسه من الثناء على الله بصفات الجلال حامدا له على
ما اولى من النعم بصفات الاكرام وهي بذل المجهود فيما كلف به من تبليغ الرسالة ومجاهدة اعداء
الدين وبالاقبال على العبادة والتقوى والتاهب للمسير الى المقامات العليا واللحوق بالرفيق الاعلى
فبكت اي فاطمة رضي الله عنها حزنا على قرب فراقه قال لا تبكي فانك اول اهلي لاحق بي فضحكت اي

فرحا بسرعة

فرحا بسرعة وصاله فراها بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها عائشة رضي الله عنها وجمعه في
قوله فقلن تعظيما لشانها ذكره الطيبي ولا يبعد مشاركة غيرها معها في مارأتها وهو الظاهر من
قوله بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله فقلن يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت
ولعلهن كن في مكان متاخر عنها اوضا رأ النبي صلى الله عليه وسلم معها كما هو مصرح في رواية اخرى
حيث امتنعت عن الجواب ثم اخبرت بعد موته عليه السلام فقالت وفي النسخة الصحيحة
قالت انه اخبرني انه قد نعيت اليه نفسه فبكيت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لاحق بي
فضحكت قال الاكمل والصحيح انها عاشت بعده ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل ثلاثة
اشهر وقيل شهرين وقيل سبعين يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله
والفتح وجاء اهل اليمن عطف على جاء نصر الله وتفسير لقوله تعالى ورايت الناس يدخلون في دين
الله افواجا وايذان بان المراد بالناس هم اهل اليمن هم ارق افئدة اي ارحم قلوبا واليمن هو
والايمان يمان اي يمني والالف عوض عن يا النسبة قيل انما قال ذلك لان الايمان بدا من
مكة وهي تهامة وتهامة من ارض اليمن ولهذا يقال الكعبة اليمانية وقيل انه قال هذا القول
وهو بتبوك ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن فاشار الى ناحية اليمن وهو
يريد مكة وقال ابو عبيد المراد بهم الانصار لانهم يمانيون في الاصل فنسب الايمان
اليهم لكونهم انصاره وقال الشيخ ابو عمرو بل المراد به اهل اليمن كما هو الظاهر ونسب الايمان
اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف بشيء وقوي قيامه به نسب ذلك الشيء اليه لان
في ذلك نفي له عن غيره فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم الايمان في اهل الحجاز
ثم المراد به الموجودون في ذلك الزمان لا كل اهل اليمن في جميع الاحيان والحكمة وهي عبارة
عن اتقان العلم والعمل وقيل الاصابة في القول والفعل وهما متقاربان قال تعالى يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال الطيبي الحكمة كل كلمة صالحة تمنع
صاحبها عن الوقوع في المهالك يمانية بتخفيف اليا لكون الالف فيه عوضا وحكي
المبرد وغيره ان التشديد لغة رواه الدارمي وفي الجامع الصغير الايمان يمان رواه
الشيخان عن ابن مسعود وروى ابن عدي في الكامل وابو نعيم في الحلية الحكمة تزيد الشريف شرفا
وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وفي رواية لابن عدي وابن لال عن ابي هريرة
الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت وعن عائشة انها قالت اي شدة صداع
رأسها وارأساه ندبت راسها واشارت الى الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك بكسر الكاف
اشارة الى ما يستلزم مما ذكر من الموت لو كان اي ان حصل ذاك اي موتك وانا حي اي والحال اني
حي فاستغفر لك اي لمعاصيك وادعو لك اي لرفع درجاتك فقالت عائشة واثكلياه الثكل
بالضم وبتحريكها على ما في القاموس الموت والهلاك وفقدان الحبيب او الولد وقال غيره الثكل
فقد الموت او من يعز على الفاقد وليس حقيقته مرادة هنا بل هو كلام يجري على السنتهم
عند المصيبة والله اني لاظنك اي احسبك تحب موتي فلو كان ذلك اي لو حصل موتي في
يوم لظللت بكسر اللام اي صرت في ذلك النهار آخر يومك معرسا بضم ميم فسكون وفي نسخة
بتشديد الراء اي عروسا ببعض ازواجك والمعنى ان فقدتني وعشت بعدي تفرغت لغيري
ونسيتني سريعا يقال عرس واعرس اذا بنى على زوجته ثم استعمل في كل جماع ذكره ابن حجر
وفي النهاية التعريس نزول اخر الليل يقال منه عرس واعرس واعرس الرجل فهو معرس اذا بنى بامراته

ولا يقال عرس وفي القاموس اعرس اتخذ عرسا وباهله بني عليها والقوم نزلوا في اخر الليل للاستراحة
كعرسوا وهذا الاكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا وارأساه بل للاضراب اي دعي ما تجدين
من وجع راسك واشتغلي بي فانه اهم من امرك وفيه توافق محنتهما ايما الى كمال محبتهما
على وفق خروج الدم من يد المجنون العامري وقت افتصاد ليلى لقد هممت اي قصدت
او اردت تشك من الراوي ان ارسل الى ابي بكر وابنه اي عبد الرحمن واعهد اي اوصي لابي بكر
بالخلافة بعدي واجعله ولي عهدي ان يقول القايلون اي لئلا يقول القايلون او مخافة
ان يقول القايلون لم يعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر الخلافة الكبرى وانما اقتصر
على الخلافة الصغرى وهي الامامة مع ان فيها الاشارة الى اقامة تلك الامانة او يتمنى المتمنون
اي الخلافة لغيره من انفسهم او لغيرهم فاو للتنويع لا للشك وقال ابن الملك اي كراهة ان يقول
قايل انا احق منه بالخلافة او يتمنى احد ان يكون الخليفة غيره وقال الطيبي ان يقول مفعول
له على تقدير محذوف اي اجعل لابي بكر ولي عهدي كراهة ان يقول الى اخره وانت تعرف ان الفعل
المعلل مذكور وهو اعهد ولعله سهو وقع في اصل الطيبي والله اعلم ثم قلت اي في الخاطر وفي
الظاهر يابى الله اي الا خلافته ويدفع المومنون اي غير خلافة ابي بكر او يدفع الله شك من
الراوي ويابى المومنون اي ايضا الا استخلافه في الامامة الصغرى فانها امارة الامارة الكبرى
كما فهم بعض كبار الصحابة حيث قال عند المنازعة اختاره صلى الله عليه وسلم لامر ديننا افلا
نختاره لامور دنيانا فهذا برهان جلي وتبيان على عند كل ولي ثم في قوله ويابى الله والمومنون
اشارة الى تكفير من انكر حقيقة خلافة الصديق اللهم الا ان يقال المراد بالمومنين الذين هم
ففيه اثبات مخالفتهم لجمهور المسلمين وقال ابن الملك اي تركت الايصا اعتمادا على ان الله
تعالى يابى كون خليفة غيره ويدفع المومنون غيره وفيه فضيلة لابي بكر واخبار بما سيقع
فكان كما قال رواه البخاري وعنها اي عن عايشة قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم من جنازة اي من اجل جنازة فهو مفعول له من البقيع متعلق برجع فوجدني وانا اجد صداعا
بضم اوله اي صادفني والحال اني احس وجع راسي وانا اقول وارأساه قال بل انا يا عايشة
وارأساه قال وما ضرك لو مت قبلي بضم الميم وكسرها فغسلتك بالتخفيف وكفنتك بالتشديد
وصليت عليك ودفنتك وفيه ايما الى ان موتها في حياته خير من حياتها بعد مماته قلت لكاني
بك اي والله لكاني ملتبسة بك قال الطيبي اللام فيه جواب قسم محذوف والمذكور معترض
بين الحال وصاحبها المعنى والله لكاني ابصرك والحال كيت وكيت لو فعلت ذلك اي ما ذكر
من الغسل وغيره لرجعت الى بيتي اي مكاني فعرست فيه ببعض نسائك بتشديد الراء في
الصحاح اعرس الرجل باهله اذا بنى بها ولا تقل عرس والعامة تقوله انتهى والحديث حجة
على اللغويين اللهم الا ان يراد بالتعريس هنا النزول للاستراحة في اخر الليل او مطلقا على سبيل
التجريد ويكون كناية عن الجماع او يجعل من باب الاستعارة التبعية فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لما يدل عبارتها على كمال غيرتها حتى بعد وقوع مماتها ثم بدي بصيغة المجهول
اي شرع في وجعه الذي مات فيه رواه الدارمي وعن جعفر اي الصادق بن محمد الباقر عن
ابيه اي محمد ان رجلا من قريش دخل على ابيه اي ابي محمد علي بن الحسين بدل او بيان لابيه
والمراد به زين العابدين فقال اي علي بن الحسين رضي الله عنهم الا احدثك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اي الرجل بلى حدثنا عن ابي القاسم صلى الله عليه وسلم قال اي علي بن

الحسين رضي الله عنهم مرسلا فانه من اجلاء التابعين لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل اي للعيادة
والرسالة فقال يا محمد ان الله ارسلني اليك تكريما لك وتشريفا لك اي تعظيما خاصة لك اي في قوله يسالك
اي الله سبحانه عما هو اعلم به منك اي فانه اقرب الى المريض من حبل الوريد يقول كيف تجدك اي من الاحوال
قال اجدني يا جبريل مغموما اي مهموما واجدني يا جبريل مكروبا اي محزونا وانما اشكوا بثي وحزني
الى الله واقول في كل حال الحمد لله ثم جاءه اليوم الثاني اي جبريل فقال له ذلك اي ما سبق من السوال
فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما رد اول يوم اي من بيان الحال ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال
اول يوم اي بسبقه حقيقة او مضافه ورد عليه كما رد عليه اي فيما تقدم وجاء معه ملك اي في هذا اليوم
او يوما اخر يقال له اسماعيل على مائة الف ملك اي حاكم كل ملك على مائة الف ملك اي امير فاستاذن
عليه اي بالدخول فساله اي جبريل عنه ثم قال اي فقال او بعد تامل قال جبريل هذا ملك الموت
يستاذن عليك اي بالدخول ما استاذن على ادمي قبلك اي من الانبيا ولا يستاذن على
ادمي بعدك اي من الاوليا بالاولى فقال اي جبريل ايذن له فاذن له فسلم عليه اي فورد ثم
قال يا محمد ان الله ارسلني اليك اي حتى اعرض الامر عليك فان امرتني ان اقبض روحك قبضته
وان امرتني ان اتركه اي ان لا اقبض والروح بل يكون حيا تركته وفي نسخة تركته بالضمير فقال وتفعل
اي او تفعل بامري يا ملك الموت قال نعم بذلك اي بتخيير امرت وامرت ان اطيعك اي في
اخترت به هذا اولى من قول الطيبي قوله وامرت عطف على قوله بذلك امرت اي بقبض روحك
من العطف المخصص للمعطوف عليه قال اي ابن الحسين فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى
جبريل عليه السلام اي كالمستشير اليه فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقايك
اي والا لما ارسل الي موجب عتابك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض بكسر الهمزة
الوصل والضاد اي انفذ لما امرت به ولا تتوقف فيه قال الطيبي والى ها هنا ذكره الجوزي
في كتاب الوفا وفاه كذا بعده فقال جبريل عليه السلام عليك يا رسول الله هذا اخر موطئي الارض
انما كنت حاجتي في الدنيا فقبض روحه انا لله وانا اليه راجعون فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجاءت التعزية اي من كل جانب البيت سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام
عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله اي في كتابه عزا بفتح العين اي تسلية من
كل مصيبة اشارة الى قوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة او في ثوابه
عوضا من كل محنة وبلية قال صاحب النهاية وفي الحديث من لم يتعز بعزاء الله قيل اراده
بالتعزي في هذا الحديث التسلي والتصبر عند المصيبة وان يقول انا لله وانا اليه راجعون
قال الطيبي فعلى هذا يجوز ان يقدر مضاف في قوله في الله اي ان في لقاء الله تعالى تسليا
وتصبرا من كل مصيبة وان يراد ان في الله تسلية على التجريد اي اتسلى وتسلى نحو قوله
وفي الرحمن للضعفاء كاف ويويده القرينتان يعني قوله وخلفا بفتحتين اي عوضا من كل هالك
ودركا بفتح الدال والراء تداركا من كل ما فات وما احسن ما قال من ارباب الحال شعر

لكل شي اذا فارقته خلف ٭ وليس لله ان فارقت من عوض

فبالله اي اذا كان الامر كذلك فبعونه وحوله وقوته فثقوا اي الجوا والفزع اشارة الى قوله
تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وفي بعض النسخ موافقا لما في الحصن الحصين فثقوا
بكسر المثلثة وتخفيف القاف المضمومة اي فاعتمدوا به ايما الى قوله تعالى وتوكل على
الحي الذي لا يموت واياه فارجوا اي لا ترجوا سواه فانه لا اله الا الله او من عنده فارجوا الثواب

فانما المصاب اي الحقيقة من حرم الثواب بصيغة المفعول اي من منع المثوبة بسبب قلة الصبر
في قضية المصيبة والصبر المعتبر عند المولى هو الذي يكون عند الصدمة الاولى هذا وقال الطيبي
الفا في قوله فبالله جواب الشرط وبالله حال قدمت على عاملها اختصاصا كما في قوله تعالى فاياي فاعبدون
اي اذا كان الله معزيا ومخلفا ودركا مخصوصا بالتعزي مستعينين به والفا في فثقوا وردت لتأكيد
الربط وكذا في قوله فارجوا وتقديم المفعول ليس لارادة التخصيص بل لتتماد له القرينة في
اقتران الفا فانه لا منافاة بين ارادة الاختصاص المفيد للاخلاص وحصول الفا دالة على اقتران
التماثل فقال علي اي زين العابدين او علي بن ابي طالب اتدرون من هذا اي صاحب الصوت
هذا هو الخضر عليه السلام بفتح الخا وكسرها وفتح الخا وكسرها قال الطيبي وفيه دلالة بينة على ان الخضر
عليه السلام حي موجود رواه البيهقي اي الحديث بكماله في دلائل النبوة وقد علمت ان صدر الحديث
الى قوله فلما توفي ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفا ولما بعده فقد ذكره ابن الجزري في الحصن
ولفظه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ان في الله عزا من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فالمحروم من
من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الحاكم في مستدركه عن جابر
ثم قال ودخل رجل اشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة
فقال ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه
فارغبوا ونظره اليكم في البلا فانظروا فانما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال ابو بكر وعلي هذا
الخضر عليه السلام رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس قال ميرك وليس بصحيح وقال العسقلاني
هذا الحديث واهي الاسناد اي ضعيف بخصوص هذا السند لكن اذا انضم الى غيره
يتقوى ويرتقي الى درجة الحسن فان قيل ما قال الخضيري في حاشية المشكاة من ان هذا
الحديث موضوع رواه عبد الله بن محرز عن يزيد الاصم عن زين العابدين وابن محرز متروك
كما في مقدمة مسلم انتهى ولا يخفى انه لا يستلزم من كون احد الرواة متروكا كون الحديث موضوعا
لا سيما اذا جا الحديث من طريق آخر بل وتعدد طرقه فلا يشك في كونه ثابتا ولا يضر عدم كونه
صحيحا اذ لا يتعلق به حكم شرعي مع ان اكثر الاحكام انما ثبتت باحاديث الحسان لقلة
الصحاح حيث لا معارض والله اعلم **باب** بالرفع والاسكان **الفصل الاول** عن
عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا
اوصى بشيء قال النووي وفي رواية اخرى ذكروا عند عائشة رضي الله عنها ان عليا رضي
الله عنه كان وصيا فقالت متى اوصى اليه وقد كنت مسندته حتى مات فقيل اوصى ومعنى
لا اوصى بشيء لا اوصى بثلث ماله ولا غيره اذ لم يكن له مال ولا اوصى الى علي ولا الى غيره خلاف
ما يزعمه الشيعة واما الاحاديث الصحيحة في وصيته صلى الله عليه وسلم بكتاب الله ووصيته
لاهل بيته واخراج اليهود من جزيرة العرب واجازة الوفد فليست مرادة بقولها ولا اوصى
واما الارض التي كانت له صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك فقد سبلها صلى الله عليه وسلم في حياته
وجعلها صدقة للمسلمين رواه مسلم وكذا الترمذي في الشمائل الا قولها ولا اوصى بشيء ثم
قال ابن الحبشي الراوي عن عائشة والاشك في العبد والامة وسيأتي نفيهما ايضا واما
ما حكى بعض اهل السير من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له ابل كثيرة وكان له عشرون ناقة
يحفظونها في نواحي المدينة ويأتونه بالبانها كل ليلة وكان له سبع شياه يشربون البانها

وكان له

وكان له سبع معز يشربون من البانها فلا يصلح لمعارضة هذا الحديث الصحيح ولو صح لحمل على انها كانت من ابل
الصدقة وكان اصحابه الفقرا من اهل الصفة وغيرهم يشربون من البانها وعن عمرو بن الحارث اي الخزاعي
له صحابة على ما في الشمائل اخي جويرية بالتصغير احدى امهات المومنين قال ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة اي في الرق فيه دلالة على ما ذكر من رقيق النبي صلى
الله عليه وسلم في جميع الاخبار كان اما مات واما اعتقه ولا شيا تعميم بعد تخصيص الا بغلته البيضا اي التي
كان يختص بركوبها وسلاحه اي الذي يختص بلبسه من نحو سيف ورمح ودرع ومغفر وحربة
ولعل هذا الحصر اضافي مبني على عدم اعتبار اشيا اخر مثل الاثواب وامتعة البيت والا فقد ثبت
انه ترك اثوابا وغيرها فقد بينت في موضعها ولعل حكمة سكوت الراوي عن ذكرها كونها محقرة بالنسبة
للمذكورات وارضا جعلها صدقة قال شارح الضمير المفعول لما ذكر من البغلة والسلاح والارض والظاهر
المتبادر انه للارض قال العسقلاني اي تصدق بمنفعة الارض فصار حكمها حكم الوقف والمعنى انه
جعلها في حياته صدقة جارية باقية الى قيامها فيدوم ثواب الصدقة بدوامها فلا ينافي ان ما عداها من
املاكه ينفسل بالموت تصير صدقة كما لا يخفى قال العلامة الكرماني في شرح البخاري هي نصف ارض فدك
وثلث ارض وادي القرى وسهمه من خمس خيبر وحصته من ارض بني النضير وضمير جعلها راجع الى
كل الثلاثة لا الى الارض فقط فانه صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة
انتهى وسياتي تحقيقه رواه البخاري وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتسم
ورثتي دينارا اتيانه بالفعل ورفعه فهو اخبار حقيقة ومعناه ليس تقتسم ورثتي بعد موتي دينارا
اذ لست اخلف بعد موتي دينارا املكه فيقتسمونه لكن ويحتمل ان يكون اخبارا في الصورة ونهيا في المعنى فهو ابلغ من النهي
الصريح قال الطيبي ويجوز ان يكون بمعنى النهي فهو على منوال قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا دينار هناك فيقتسم
انتهى وفي نسخة بالتذكير وفي اخرى بالجزم وفي بعض النسخ لا تقتسم من الاقتسام مرفوعا ومجزوما قال ميرك هو
باسكان الميم على النهي وبضمها على النفي وهو الاشهر وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يترك
ما لا يورث عنه وتوجيه رواية النهي انه لم يقطع بانه لا يخلف شيا بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة ما يخلف ان
اتفق انه خلفه ذكره العسقلاني وقال ابن حجر في شرح الشمائل رواية مسلم لا يقتسم وهو نفي لا نهي لان المنهي عنه
شرطها الامكان ووارثا النبي غير ممكن فهو من الاخبار بانهم لا يقتسمون شيا لانه لا يورث انتهى وفيه ان الشرط هو الامكان
العقلي وهو متصور لا الامكان الشرعي لئلا يتعارضا ثم قوله ورثتي اي بالقوة والاحيث لا قسمة فلا وارث قال
ابن حجر اي من يصلح وارثي لو املكت وقال ميرك ورثته باعتبار انهم كذلك بالقوة لكن منعوا من الميراث بالدليل الشرعي
وهو قوله لا نورث ثم بين سببه وعلته منافيا ما تركت ما موصولة مبتدا او تركت صلة والعايد محذوف اي الذي تركته
بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة والفا لتضمن المبتدا معنى الشرط كقولهم الذي يأتيني فله درهم
وهو ضمير الفصل يفيد التاكيد والتأبيد وفي شرح السنة قال سفيان بن عيينة كان ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم في معنى المعتدات اذ كن لا يجوز لهن ان ينكحن ابدا فجرت لهن النفقة وقوله ومؤنة عاملي
اراد بالعامل الخليفة بعده وكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ نفقة اهله من الصفايا التي كانت له من
اموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح ابو بكر ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمان استغنى
عنها بماله فاقطعها مروان وغيره من اقاربه فلم تزل في ايديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز وقال شارح من
علمائنا ايذ بما تركه من الاموال الفيء التي كان يتصرف فيها تصرف الملاك ولم يكن حكمه لغيره وقوله بعد
نفقة نسايه لان نفقة نسايه بعده كانت تتعلق بحيوة كل واحدة منهن لكونهن محبوسات عن النكاح في
الله وفي رسوله وبقي حكم نكاح النبي صلى الله عليه وسلم باقيا مدة بقائهن فوجب لهن النفقة من مال الفي

جامعة الملك سعود
عمادة شئون المكتبات
قسم المخطوطات

وجوب نفقة النساء على ازواجهن انتهى والحاصل انه ليس معنى نفقة نسائي ارثهن منه بل لكونهن محبوسات وممنوعات عن الازواج بسببه فهن في حكم المعتدات ما دام حياتهن وقيل لا عدة عليهن لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذلك سائر الانبياء فعلى هذا الاشكال في نفقة النساء وقال بعضهم لعظم حقوقهن وقدم هجرتهن وكونهن امهات المؤمنين ولذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن قال الشارح واما نفقة عامله فانها تتعلق بعامل ذكر وهو العامل الذي استعمله على مال الفيء فاستحق العمالة بقدر عمله ولم يكن ياخذها فاستثنى وهو من مال الفيء انتهى ولفظ الحديث ومؤنة عاملي ففي شرح المشارق المؤنة الثقل فعولة من مانت القوم اي احتملت مؤنتهم وفي الصحاح المؤنة يهمز ولا يهمز وقال الفراء مفعلة من الاين وهو التعب والشدة وقيل هي مفعلة من الاون وهو الخرج والعدل لانها ثقل على الانسان انتهى وفي الحديث المعونة تاتي على قدر المؤنة وقال بعض المحققين اختلف في المراد بقوله مؤنة عاملي فقيل الخليفة بعده وهذا هو المعتمد وقيل يريد بذلك العامل على النخل والقيم على الارض وبه جزم الطبري وابن بطال وابعد من قال المراد بعامله حافر قبره عليه السلام وقال ابن دحية في الخصائص المراد بعامله خادمه العامل على الصدقة وقيل العامل فيها كالاجير واستدل به على اجرة القسام وقيل كل عامل للمسلمين اذ هو عامل له ونائب عنه في امته متفق عليه ورواه الترمذي في الشمائل بزيادة ولا درهما فقيل فائدة التقييد بها التنبيه على ان ما فوقها بذلك اولى وهذا الحكم عام في الانبياء لورود الحديث الاتي لا نورث ما تركنا صدقة يعني لا نورث نحن معاشر الانبياء فانا من جملة الفقراء ومن شرط الفقير عند الصوفية ان لا يملك ما في يده امانة اما امانة او وقف وصدقة وحاصل الحديث ان ميراثنا الواقع ومنحصر في صرف احوال الفقراء والمساكين كما جاء في حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث انما ميراثه في فقراء المسلمين والمساكين وقيل لئلا يفرح احد بموته من ورثته من حيثية اخذ تركته وخالف الحسن البصري في المسالة العامة وقال هذا الحكم مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى يرثني ويرث من ال يعقوب وقال وهي وراثة مال لا نبوة والا لم يقل واني خفت الموالي من ورائي اذ لا يخاف من على النبوة وصوب الجمهور خلاف قوله لخبر النسائي انا معاشر الانبياء لا نورث والمراد في الاية وراثة النبوة دون حقيقة الارث بل قيامه مقامه وحلوله مكانه وعلى هذا انما خاف من استيلاء الموالي على مرتبة الظاهرة بالعهر والقوة والغلبة هذا وقال الباجي اجمع اهل السنة ان هذا حكم جميع الانبياء وقال ابن علية ان ذلك لنبينا عليه الصلاة والسلام وقالت الامامية ان جميع الانبياء يورثون ذكره السيوطي وعن ابي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث بسكون الواو وفتح الراء اي نحن معاشر الانبياء لا نورث قال الطيبي اي لا يورث منا فحذف الجار واستتر ضمير الجمع في الفعل فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم انتهى وهذا بناء على انه لا يتعدى بنفسه وجعله بعض اللغويين متعديا بنفسه فحينئذ فلا حذف ولا تحويل على الاسناد كذا حققه الاستاذ مولانا عبد الله السندي رحمه الله وقد جاء اللغتان في التنزيل يرثني ويرث من ال يعقوب وفي القاموس ورث اباه ومنه بكسر الراء يرثه كيعده وارثا ثم جعله من ورثته وحكى نورث على صيغة المعلوم وكذا ضبط في نسخة اي لا نترك مالا ميراثا لا حد فعل الموت ورث اباه مالا ابت وارثه وهو وارث والاب والمال الميراث موروث ومنه انا معاشر الانبياء لا نورث وكسر الراء خطا رواية انتهى وبه اندفع زعم من قال انه هو الاظهر والمعنى انه ليس بخطا دراية لو صحت رواية لما قدمناه في المعنى المستفاد من القاموس ما تركناه الضمير راجع الى ما الموصولة صدقة بالرفع جملة مستانفة كانه لما قيل لا نورث فقيل ما تفعلون بتركتكم فاجيب ما تركناه صدقة ذكره الطيبي وروي صدقة بالنصب وتوكد كلوفي نسخة اي ما تركناه مبذول

صدقة فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض ونظيره قوله تعالى ونحن عصبة بالنصب في قراءة شاذة واما قول الشيعة ان ما نافية وصدقة مفعول تركنا فبهتان وزور ويرده وجود الضمير في تركناه في اكثر الروايات ووجود فهو صدقة في بعضها وصرايح بعض الاحاديث كقوله انا معاشر الانبياء لا نورث لما يلزم منه التناقض بين السابق واللاحق والله الموفق الصادق واما ما جاء في رواية ما تركنا صدقة من غير ضمير فهو كما قال المالكي ان ما في تركنا موصولة مبتدا وتركنا صلة والعائد محذوف وصدقة خبر وبه يحصل الجمع رواية ودراية متفق عليه وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا اراد رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بفتحتين فيهما والثاني تفسير للاول اي سابقا ومقدما وشفيعا بين يديها اي قدامها حتى مات راضيا عنها واذا اراد الله هلكة امة بفتحتين اي هلاكها عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر اي اليها او الى قدرة خالقها فاقر الله عينه بالتشبيه للمبالغة اي اسره بما تراه مما يشتفي غيظه بهلكتها اي بسبب هلاكها حين كذبوه اي من الكفار وعصوا امره اي من الفجار رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ليانين على احدكم يشمل الصحابة وغيرهم يوم اي زمان ولا يراني اي احدكم ثم الان يراني اي رؤيته اياي احب اليه من اهله وماله معهم اي مع اهله وهو يفيد التاكيد تعالما يتوهم من ان يكون الواو بمعنى او ويحتمل ان الاهل تارة وعلى المال اخرى رواه مسلم وفي الحديث ايماء الى معنى ما ورد من الحديث المشهور طوبى لمن راني وامن بي

باب مناقب قريش وذكر القبايل

المناقب جمع المنقبة وهي الشرف والفضيلة وذكر القبايل عطف على المناقب والمراد بذكرهم اعم من مدحهم وذمهم

الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم اي الناس كلهم تابعون لقريش في هذا الشان اي في الدين والطاعة وفي الخلافة وبويد المعنى الاول قوله مسلمهم اي مسلم عامة الناس تبع لمسلمهم اي مسلم قريش وكافرهم تبع لكافرهم قال شارح واذا قد علمنا ان احدا من قريش لم يبق بعد على الكفر علمنا ان المراد منه الاسلام لم ينقصهم ما كانوا عليه في الجاهلية من الشرف فهم سادة في الاسلام كما كانوا قادة في الجاهلية انتهى وقيل معناه ان كانوا خيارا سلط الله عليهم اخيارا منهم وان كانوا اشرارا سلط الله عليهم اشرارا منهم كما قيل اعمالكم عمالكم وكما روي كما تكونوا يولى عليكم وفي شرح السنة معناه تفضيل قريش على قبايل العرب وتقديمهم في الامامة والامارة وقال المظهر كانت العرب تقدم قريشا وتعظمها اذ كانت دارهم موسما والبيت الذي هم سدنته منسكا وكانت لهم السقاية والرفادة يقطعون الحجيج ويسقونهم فحازوا به الشرف والرياسة عليهم وقال القاضي المراد بهذا الشان الدين والمعنى ان مسلمي قريش قدوة غيرهم من المسلمين لانهم المتقدمون في التصديق السابقون في الايمان وكافرهم قدوة غيرهم من الكفار فانهم اول من رد الدعوة وكذب بالرسول واعرض عن الايات قال الاشرف فلا يكون قوله وكافرهم الخ في موضع المدح قلت فلا يكون ولا يجوز ان يكون مع انه قد يقال ليس مدحا شرعا لكنه يتضمن مدحا عرفيا وهو ان هذا الجنس متبوعون في الجملة لا تابعون كما سياتي من ان الناس تبع لقريش في الخير والشر ويؤيده انه لما بعث صلى الله عليه وسلم قال عامة العرب ينظر ما يصنع قومه فلما فتح مكة واسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله افواجا ولهذا استمرت خلافة النبوة في قريش ثم رايت الطيبي قال ويؤيده انه لما بعث صلى الله عليه وسلم قال عامة العرب ينظر ما يصنع قومه فلما فتح مكة واسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله افواجا ولهذا استمرت خلافة النبوة في قريش ثم رايت الطيبي قال ويؤيده قول القاضي

الحديث الذي يتلوه كانه قيل متبوعون في هذا الامر والناس يقتفون اثارهم ويرجعون ان كل ما صدر عنهم خير
ونحوه قول الشاعر • ونحن التاركون لما سخطنا • ونحن الاخذون لما رضينا • اقول وفيه اشعار بان
الخلق لا يا نفون من متابعتهم وان قابلية المتبوعية مجبولة في جبلتهم فينبغي ان لا يخرج عنهم
امر الخلافة لئلا يترتب عليه المخالفة وبه يحصل الجمع بين اقوال الائمة في معنى هذا الحديث
متفق عليه وعن علي قال سمعته اذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
تبع لقريش صالحهم تابع لصالحهم وشرارهم تبع لشرارهم اخرجه احمد في المناقب وعن جابر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش وجه تسميتهم بقريش مبسوط
في القاموس في الخير اي الاسلام والشر اي في الكفر رواه مسلم وكذا احمد وفي الجامع الصغير قريش
صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح ورواه ابن عدي في الكامل
عن عايشة مرفوعا وفي رواية ابن عساكر عن عمرو بن العاص قريش خالصة الله تعالى
فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والاخرة وروى ابن عدي
عن جابر مرفوعا قريش على مقدمة الناس يوم القيامة ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها
بما لمحسنها عند الله من الثواب وروى احمد والترمذي عن عمرو بن العاص مرفوعا
قريش ولاة الناس في الخير والشر الى يوم القيامة وفي رواية لاحمد عن ابي بكر وسعد
مرفوعا قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن ابي
ذيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار قريش خير شرار الناس اخرجه الشافعي
في مسنده وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وامانة رجل من قريش
تعدل امانة رجلين من غيرهم رواه احمد وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدات الا بكم
اخرجه احمد في المناقب وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر اي
امر الخلافة في قريش ما بقي منهم اي من الناس اثنان اي فيكون واحد خليفة وواحد
تابع له قال النووي هذه الاحاديث وما اشبهها فيها دليل ظاهر على ان الخلافة مختصة
بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم ومن
خالف فيه من اهل البدع فهو محجوج باجماع الصحابة وبين صلى الله عليه وسلم ان هذا الحكم مستمر
الى اخر الدهر ما بقي من الناس اثنان وقد ظهر ما قاله صلى الله عليه وسلم الى الان انتهى والتحقيق
ان هذا خبر بمعنى الامر اي من كان مسلما فليتبعهم ولا يخرج عليهم الا فقد خرج هذا الامر
عن قريش في اكثر البلاد ومن مدة اكثر من مايتي سنة ويحتمل ان يكون على ظاهره وانه
مقيد بقوله في الحديث الاتي ما اقاموا الدين ولم يخرج منهم الا وقد انتهكوا حرماته كذا ذكره
السيوطي وقيل هو على ظاهره والمراد بالناس اي ساير العرب ذكره ابن حجر فتدبر متفق عليه
وفي ذخاير العقبى نسبه الى البخاري ورواه احمد في مسنده وعن معاوية اي ابن
ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر اي امر الامارة
في قريش لا يعاديهم احد اي لا يخالفهم الا كبه الله اي اسقطه وفي رواية الا كبه الله على
وجهه والمعنى اذله واهانه ما اقاموا الدين اي قريش اي احكام دين الاسلام ثم ما مصدرية
والوقت مقدر وهو متعلق بقوله كبه الله قال ابن الملك اي مدة محافظتهم الدين واهله وقيل

المراد

المراد الصلوات لرواية ما اقاموا الصلوات لكن على هذا انما يستقيم المعنى اذا علق قوله ما اقاموا بكبه
لا بان هذا الامر في قريش لان منهم من لم يقم الصلوات ولم يصرف عنه الامر كذا قاله التوربشتي
وفيه دلالة على اختصاص الامامة بقريش وهم بنوا النضر بن كنانة وجميع بطونها في ذلك بمنزلة
واحدة ولعل ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم انه يوجد فيهم من هو جامع لاوامر الملك والدين
وصالح لامور المسلمين وفي شرح الطيبي قال المظهر ان الخلافة في قريش لا يعاديهم ولا يخالفهم احد
في ذلك الا اذله الله ما داموا محافظين الدين انتهى كلامه ويفهم من كلام الشيخ التوربشتي
ان قوله ما اقاموا الدين اذا علق بكب يستقيم المعنى اذا حمل الدين على الصلوات واما اذا حمل
على الدين باصوله وتوابعها فلا لان منهم من غير وبدل ولم يصرف عنه الامور وقيل معنى
الحديث لا يخالف قريشا احد في الامور المتعلقة في الدين بان اراد وانقصه وبطلانه وقريش
يريد اقامته واقتصاؤه الا اذله الله وقهره قال الطيبي واللفظ لا يساعد الا ما عليه المظهر
وهو اظهر قول الظاهر ان المراد بصلوات الدين وانما عبر عنه بها لانها عماد الدين ولكونها
ام العبادات وانها تنهى عن السيئات او ذكرها على منوال المثال اي الصلوات ونحوها من
امور الدين والله اعلم رواه البخاري وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابيه قال خاطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال ايها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها
ولا تعلموها اخرجه الشافعي في مسنده واحمد في المناقب وعن جابر بن سمرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال الاسلام عزيزا اي قويا شديدا ومستقيما سديدا
الى اثني عشر خليفة قال الطيبي الى ههنا نحو حتى في الرواية الاخرى لان التقدير لا يزال
الدين قايما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة في ان ما بعدها داخل فيما قبلها الكشاف في قوله
تعالى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق الى يفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم
وخروجها فامر يدور على الدليل فما فيه دليل على الخروج قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لانه لو
دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القران من اوله الى اخره
لان الكلام مسوق لحفظ القران كله كلهم من قريش قال بعض المحققين قد مضى منهم الخلفا
الاربعة ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة وقيل انهم يكونون في زمان واحد يفترق
الناس عليهم قال التوربشتي السبيل في هذا الحديث وما يتعقبه في هذا المعنى ان يحمل
على المقسطين منهم فانهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة ولا يلزم ان يكونوا على
الولاء وان قدر انهم على الولاء فان المراد منه المسمون بها على المجاز وفي شرح مسلم للنووي قال
القاضي عياض توجه هنا سوال وهو انه قد جاء الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا
وهو مخالف لهذا الحديث واجيب بان المراد بثلاثون سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرا في بعض
الروايات خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا ولم يشترط هذا في الاثني عشر وقيل المراد
بالاثني عشر ان يكونوا مستحقي الخلافة من العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا
العدد قبل قيام الساعة قلت وقد حمل الشيعة الاثني عشر على انهم من اهل بيت النبوة متوالية
اعم من ان تكون لهم خلافة حقيقة او استحقاقا فاولهم علي فالحسن فالحسين فزين العابدين
فمحمد الباقر فجعفر الصادق فموسى الكاظم فعلي الرضى فمحمد التقي فعلي النقي فحسن العسكري فمحمد
المهدي رضوان الله عليهم اجمعين على ما ذكرهم زبدة الاولياء خواجه محمد پارسا في كتاب فصل
الخطاب مفصلة ومنهم مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي في اخر شواهد النبوة وذكر

فضايلهم ومناقبهم وكراماتهم ومقاماتهم مجملة وفيه رد علي الروافض حيث يطعنون باهل السنة انهم يبغضون
اهل البيت باعتقادهم الفاسد ووهمهم الكاسد والا فاهل الحق يحبون جميع الصحابة وكل اهل
البيت لا كالخوارج الاعدا لاهل بيت النبوة ولا كالروافض المتقادين لجمهور الصحابة وعلما الامة
وفي رواية لا يزال الناس اي امر دينهم ماضيا اي جاريا مستمرا علي الصواب والحق ما وليهم اي مدة ما
تولي امرهم اثني عشر رجلا كلهم من قريش وفي رواية لا يزال الدين قايما حتي تقوم الساعة او يكون
الوا ولمطلق الجمع اي وحتي يكون عليهم اي علي الناس متواليا اثني عشر خليفة كلهم من قريش
متفق عليه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم غفار بكسر الغين
المعجمة وتخفيف الفا وبالراء علم قبيلة وفي القاموس بنو غفار ككتاب رهط ابي ذر الغفاري وهو
مبتدا خبره غفر الله لها قال ابن الملك اي اقول في حقهم واقول لهم مثل هذا الي نحو يدا ضرب حيث
لا يصح حمل الجملة الانشايية علي الاسم المرفوع بالابتدا اليه واسلم قبيلة اخري سالمها الله اي
صنع الله بهم ما يوافقهم من امر السلامة عن المكروه وعصية بالتصغير بطن علي ما في القاموس
والمراد به قبيلة او جماعة عصت الله ورسوله وفي الحديث ايما الي ان الاسما تنزل من السما
قال الطيبي الجملتان الاوليان يحتمل ان يكونا خبرين وان يحمل علي الدعا لهما واما قوله وعصية
عصت الله فهو اخبار ولا يجوز حمله علي الدعا لكن في الفاظها رتشكاية منهم بيستلزم الدعا عليهم بالخذلان
لا بالعصيان وفي شرح السنة قيل انما دعا لغفار واسلم لان دخولهما في الاسلام كان من غير
حرب وكانت غفار متهمة بسرقة الحجاج فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم بان يمحو عنهم تلك السبة
ويغفر لهم واما عصية فهم الذين قتلوا القرا ببير معونة فكان النبي صلي الله عليه وسلم يقنت عليهم
وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي هو من حسن الكلام والمجانسة في الالفاظ لما خوذ من
سلامة اذا لم تر فيه مكروها فكانه دعا لهم بان يضع الله عنهم التعب الذي كانوا فيه متفق
عليه ورواه احمد والترمذي ورواية احمد والطبراني والحاكم عن مسلمة بن الاكوع وعن ابي هريرة
مرفوعا اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها اما والله ما انا قلته ولكن الله قاله وفي رواية الطبراني
عن عبد الرحمن بن سعد بن سندر بلفظ اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وتجيب اجابوا
الله ففي القاموس تجيب بن كندة بطن وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم قريش اي مسلمهم من اهل مكة وغيرهم والانصار اي قبيلتهم من اهل المدينة
وفي القاموس ان انصار النبي صلي الله عليه وسلم قريش اي مسلمهم من اهل مكة وغيرهم
والانصار اي قبيلتهم من اهل المدينة وفي القاموس انصار النبي صلي الله عليه وسلم غلبت
عليهم الصفة وجهينة بالتصغير قبيلة ومزينة كذلك واسلم وغفار واشجع ابوا قبيلة والمراد
هنا اولاده المومنون موالي بفتح الميم وكسر اللام وتشديد اليا التحتية جمع مولي مضافا
الي يا المتكلم وقال شارح يروي علي الاضافة اي احبايي وانصاري ويروي موالي بفتح الميم وكسر
اللام وتشديد اليا التحتية جمع مولي مضافا الي يا المتكلم وقال شارح يروي علي الاضافة
اي احبايي وانصاري بالتنوين اي بعضهم لبعض احبار وانصار لا ولا لاحد عليهم الا الله ورسوله
وقال النووي اي هم ناصروه والمختصون به وهم ايضا وليهم والمتكفل بهم وبمصالحهم لقوله
ليس لهم مولي دون الله ورسوله اي غيرهما قال الطيبي جملة مقررة للجملة الاولي علي
الطرد والعكس وفي تمهيد ذكر الله لذكر رسوله وتخصيص ذكر الرسول ايذان بمكانته
ومنزلته عند الله واشعار بان توليهم اياهم بالغ مبلغا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه متفق عليه

وعن

وعن ابي بكرة بالتا وهو الثقفي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بني
تميم قال في القاموس تميم كامير ابو قبيلة ويصرف ومن بني عامر عطف باعادة الجار والحليفين اي ومن
الحليفين يعني المتحالفين علي التناصر بني اسد بفتح فسكون وغطفان بفتحتين وعا بدل من الحليفين
او عطف بيان قال النووي وتفضيل تلك القبايل لسبقهم الي الاسلام وحسن اثارهم في الاحكام متفق
عليها لان البخاري لم يذكر الحليفين ذكره ميرك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما زلت بكسر الزاي
اي ما برحت احب بني تميم منذ ثلاث اي خصال او كلمات وقوله سمعت صفة ثلاث والعايد محذوف
اي سمعتها من رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول فيهم جملة حالية اي قايلا اياها في حقهم والمعني اني دايما احبهم
من الوقت الذي قال النبي في حقهم ثلاث خصال وقال الطيبي قوله ثلاث صفة موصوف محذوف وكذا
سمعتها انتهي والاظهر ما سمعتها ثم قوله سمعته يقول بيان او بدل لقوله سمعت من رسول الله صلي الله عليه
وسلم دبا لجملة هو تفصيل للخصال الثلاث احدها قوله هم اشد امتي علي الرجال اي حين ظهوره وفيه
اشعار بوجودهم الي زمانه بكثرة قال اي ابو هريرة وجات صدقاتهم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
هذه صدقات قومنا شرفهم باضافتهم الي نفسه صلي الله عليه وسلم وهذه ثانيها قال ابو هريرة وكانت
سبية بفتح فكسر فتشديد تحتية اي اسيرة منهم عند عايشة قال ابن الملك فيه دليل علي جواز
استرقاق العرب انتهي وفي استدلاله نظر لا يخفي فقال النبي عليه السلام اعتقها فانها من ولد اسماعيل
بضم الواو وسكون اللام جمع ولد ذكره الطيبي وفي نسخة بفتحتين ففي الصحاح الولد يكون واحدا
وجمعا وكذلك الولد بالضم وقد يكون الولد جمع الولد كالاسد والاسد وهذه ثالثتها فانه دل
علي ان فضيلتهم لكونهم من بني اسماعيل متفق عليه الفصل الثاني عن سعد عن
النبي صلي الله عليه وسلم قال من يرد من الارادة اي من يقصد هوان قريش اي ذلهم واهانتهم
اهانه الله اي اذله واخزاه رواه الترمذي وكذا الامام احمد في مسنده والحاكم في مستدركه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش
اي يوم بدر والاحزاب نكالا بفتح النون اي بلاء وعذابا وقال شارح فسر هذا بالقحط والغلا
وقال الطيبي النكال العبرة وقيل العقوبة فاذق اخرهم نوالا اي انعاما وعطا رواه الترمذي
وعن ابي عامر الاشعري لم يذكره المولف في اسمايه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم الحي
اي القبيلة الاسد بفتح فسكون قال التوربشتي ابو حي من اليمن ويقال لهم الازد وهو
بالسين افصح وهما ازدان ازد شنوة وازد عمان انتهي وسياتي ان المراد هنا ازد شنوة
والاشعريون وفي نسخة والاشعريون باثبات يا النسبة قال الطيبي هو بسقوط اليا في جامع الترمذي
وجامع الاصول وباثباته في المصابيح قال الجوهري يقول العرب جاتك الاشعرون بحذف اليا لا يفرون في القتال
اي في حال قتالهم مع الكفار وهو حال من القبيلتين علي حد هذان خصمان اختصموا في ربهم ولا يغلون بفتح فضم
فتشديد اي ولا يخونون في المغنم هم مني اي من اتباعي في سنتي وطريقتي او من اوليايي وانا منهم اي من
اوليايهم وفيه اشعار بانهم متقون لقوله تعالي ان اولياوه الا المتقون رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
ورواه ابن سعد عن الزهري مرسلا الاشعريون في الناس كصرة فيها مسك وعن انس قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم الازد اي ازد شنوة وفي القاموس ازد بن الغوث وهو بالسين افصح ابو حي من اليمن ومن اولاده الانصار
كلهم ازد الله اي جنده وانصار دينه في الارض قد اكرمهم الله بذلك فهم يضافون اليه يريد الناس ان يضعوهم
اي يحقروهم ويذلوهم ويابي الله الا ان يرفعهم اي ينصرهم ويعزهم علي اعدايهم قال القاضي يريد بالازد
ازد شنوة وهو حي من اليمن اولاد ازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبا واضافهم الي الله

تعالى من حيث انهم حزبه واهل نصرة رسوله قال الطيبي قوله ازد الله يحتمل وجوها احدها انها رهم بهذا
الاسم لانهم ثابتون في الحرب لا يفرون على ما مر في الحديث السابق وعليه كلام القاضي وثانيها ان يكون
الاضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله وناقة الله على ما يدل عليه قوله يريد الناس ان يضعوهم
الى اخرهم وثالثها ان يراد به الشجاعة والكلام على التشبيه اي الازد اسد الله فجاء به اما مشاكلة
او قلب السين زايا انتهى وتبعه صاحب الازهار من شراح المصابيح لكن انما يتم هذا لو كان
الاسد بالفتح والسكون لغة في الاسد بفتحتين كما لا يخفى وهو ليس كذلك على ما يفهم من
القاموس وليأتين على الناس زمان يقول الرجل اي في ذلك الزمان ياليت ابي كان ازديا وياليت
امي كانت ازدية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك وقد روي مرفوعا على انس وهو
عندنا اصح انتهى ولا يخفى انه ولو كان موقوفا فهو في الحكم يكون مرفوعا لان مثله لا يقال من قبل
الراي والله اعلم وعن عمران بن حصين اسلمي خزاعي هو وابوه وسكن البصرة الى ان مات
بها سنة اثنتين وخمسين قال مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكره ثلاثة احيا جمع حي بمعنى
قبيلة ثقيف كامير ابو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن كذا في
القاموس وبني حنيفة كسفينة لقب اثال بن لجيم ابو حي منهم حنفلة بنت جعفر الحنيفة
ام محمد بن علي بن ابي طالب وبني امية بضم ففتح فتشديد تحتية قبيلة من قريش قال العلما انما كره
ثقيفا للحجاج وبني حنيفة لمسيلمة وبني امية لعبيد الله بن زياد قال البخاري قال ابن سيرين
اتي عبيد الله بن زياد براس الحسين فجعله في طست وجعل ينكبه بقضيب وقال الترمذي
في الجامع قال عمارة بن عمير لما جي براس عبيد الله بن زياد واصحابه في رحبة المسجد
فانتهيت اليهم فقالوا قد جاءت فاذا حية قد جاءت حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت
ساعة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك مرتين او ثلاثا قال الترمذي
هذا حديث صحيح كذا في الازهار رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثقيف كذاب اي مبالغ في الكذب ومبير بضم ميم
وكسر موحدة اي مفسد ومهلك من البوار وهو الهلاك والفساد وتنوينهما للتعظيم قال عبد
الله بن عصمة بفتح فسكون كوفي حنفي روى عن ابي سعيد وابن عمر وعنه اسرائيل وشريك يقال
الكذاب هو المختار بن ابي عبيد بالتصغير وهو ابن مسعود الثقفي قام بعد وقعة الحسين ودعا
الناس الى طلب ثاره وكان غرضه في ذلك ان يصرف الى نفسه وجوه الناس ويتوسل به الى الامارة
وكان طالبا للدنيا مدلسا في تحصيلها كذا ذكره القاضي وقيل كان يبغض عليا وقيل كان يدعي النبوة
بكوفة فسمي كذابا ومن جملة كذبه دعواه ان جبريل عليه السلام ياتيه بالوحي ذكره ابن الملك وقال
عبد البركان ابوه من جملة الصحابة ولد المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية ولا رؤية
واخباره غير مرضية وذكر منذ طلب الامارة الى ان قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين وكان
قبل ذلك معدودا في اهل الفضل والخير يظهر بذلك كله ولا يكتم الفسق فظهر منه ما كان يكتمه
الى ان فارق ابن الزبير وطلب الامارة وكان المختار يتزلف بطلب دم الحسين ويستر طلب الدنيا
والامارة فيأتي منه الكذب والجنون وانما كانت امارته ستة عشر شهرا وقيل كان في اول امره
خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا وكان يظهر بغض علي كرم الله وجهه ويظهر منه لضعف عقله احيانا
كذا نقله ميرك عن التصحيح وكذا ذكره المولف في اسمايه والمبير هو الحجاج بن يوسف وهو بفتح
الحاء مبالغة الحاج بمعنى الاتي بالحجة قال المولف هو عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان

ويعده لابنه الوليد مات بواسط في شوال سنة خمس وتسعين وعمره اربع وخمسون سنة وقال
هشام بن حسان بفتح فتشديد غير منصرف وقد ينصرف احصوا بفتح الهمزة والصاد اي ضبطوا
وعدوا ما قتل الحجاج صبرا بفتح فسكون اي مصبورا يعني محبوسا ما سوى الا في معركة ولا
خلسة فبلغ مائة الف وعشرين الفا رواه الترمذي وروى مسلم في الصحيح اي في صحيحه لا في كتاب
اخر من تصانيفه حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قالت اسماء اي امه بنت الصديق ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فرايناه اي ابصرناه او علمناه وتعني به المختار على
ما بيناه واما المبير فلا اخالك بكسر الهمزة ويفتح قال شارح اخال بالفتح هو القياس وبالكسر هو الافصح وفي
الازهار والكسر اشهر اي لا اظنك الا اياه قيل والظاهر فلا اخاله الا اياك فقدمت المفعول الثاني للاهتمام
وسيجي تمام الحديث اي بسطه في الفصل الثالث وعن جابر قال قالوا اي بعض الصحابة يا رسول الله
احرقتنا نبال ثقيف بكسر النون جمع نبل اي سهامهم ولعله في غزوة الطائف ومحاصرتهم فادع الله عليهم قال اللهم اهد
ثقيفا اي الى الاسلام او غالبهم الى طاعة الاحكام رواه الترمذي وعن عبد الرزاق قال المولف في فصل التابعين
هو ابن همام يكنى ابا بكر احد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما وعنه احمد واسحاق وصنف الكتب
مات سنة احدى عشرة ومايتين وله خمس وثمانون سنة عن ابيه اي همام بن الحارث التيمي سمع
ابن مسعود وعايشة وغيرهما من الصحابة وروى عنه ابراهيم التيمي عن مينا بميم مكسورة فمثناة تحتية
ساكنة فالف ممدودة هذا هو المشهور وقال صاحب المطالع بمد وقصر كذا ذكره الامام النووي في شرح مسلم
وقال المولف روى عن مولاه عبد الرحمن بن عوف وعثمان وابي هريرة وعنه والد عبد الرزاق فمتروك
عن ابي هريرة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل احسبه بكسر السين وفتحها اي اظنه من
قيس في القاموس قيس عيلان بالفتح ابو قبيلة واسمه الياس بن مضر فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم العن حميرا بكسر فسكون ففتح اي ادع عليهم بالبعد عن الرحمة وهو ابو قبيلة من اليمن
ففي القاموس حمير كدرهم موضع غربي صنعاء اليمن وابن سبا بن يشجب ابو قبيلة فاعرض عنه
اي عن الرجل بادبار وجهه عنه ثم جاءه من الشق الاخر فاعرض عنه ثم جاءه من الشق الاخر فاعرض
عنه والمعنى انه اعرض عنه من الجانبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله حميرا افواههم سلام اي ذات
سلام او محل سلام وايديهم طعام اي ذات طعام قاله شارح فالمضاف مقدر لصحة الحمل وقال ابن الملك
ويمكن ان يقال جعل افواههم نفس السلام وايديهم نفس الطعام مبالغة انتهى واقتصر عليه الطيبي
والمعنى انهم يفشون السلام ويطعمون الطعام فجمعوا بين الاحسان وحلاوة اللسان وهم اهل امن
اي من المضرة وايمان حتى تصديقه كامل بلغهم الى مرتبة الايقان رواه الترمذي وقال هذا حديث
غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرزاق اي من طريقه الى مينا ويروى بصيغة المجهول عن مينا هذا
اي المشار اليه احاديث مناكير قال ميرك قال ابو حاتم مينا يكذب وقال ابن معين ليس بثقة انتهى
وقال شارح للمصابيح قوله منكر هذا الحاق من بعض اهل المعرفة بالحديث لان المولف رحمه الله يعني
محيي السنة لو كان يعلم انه منكر لم يتعرض له لانه قد التزم الاعراض عن ذكر المنكر في عنوان
الكتاب والله اعلم بالصواب وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه وقد نص عليه السيد جمال الدين
قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ممن انت اي من اي قبيلة قلت من دوس بفتح فسكون قبيلة من اليمن
من الازد كذا في الازهار وفي القاموس هو دوس بن عدثان بن عبد الله ابو قبيلة قال ابو علي سبيل التعجب
ما كنت ارى بضم الهمزة على المجهول اي ما كنت اظن قبل ذلك ان في دوس احدا فيه خير قال في الازهار فيه منقبة
لابي هريرة ومذمة لدوس لولا ابو هريرة رواه الترمذي وعن سلمان قال قال لي اي خاصة في الخطاب

أو بيني وبينه بالإيجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبغضني فتفارق دينك بالنصب على جواب النهي كما
صرح به زين العرب قلت يا رسول الله كيف أبغضك أي كيف يتصور مني أن أبغضك وأنت حبيب
الله محبوب أمتك وبك هدانا الله أي إلى الإسلام وعاينه مكارم الأحكام قال تبغض العرب فتبغضني
أي حتى تبغض العرب عموما فتبغضني في ضمنهم خصوصا وإذا أبغضت جنس العرب فربما يجر ذلك
أي بغضك إياي نعوذ بالله والحاصل أن بغض العرب قد يصير سببا لبغض سيد الخلق فالحذر
الحذر كيلا يقع في الخطر قال الطيبي العرب ما يقابل العجم وفي النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف
من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المدن والنسبة إليهما أعرابي وعربي
وفي القاموس العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الأمصار أو عام والأعراب
منهم سكان البادية لا واحد له رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن عثمان
بن عفان بغير صرف وقد يصرف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب أي خانهم وقال
شارح أي أبغضهم لم يدخل في شفاعتي أي الصغرى لعموم الكبرى ولم تنله مودتي أي لم تصبه محبتي
إياه ولم تصل ولم يحصل له محبته إياي والمقصود نفي الكمال رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين حصين بن عمر وليس هو أي حصين المذكور
عند أهل الحديث بذاك القوي قال فليكن الحديث ضعيفا من طريقه وهو معتبر في الفضائل
وكيف وهو مؤيد بأحاديث كثيرة تكاد تصل إلى التواتر المعنوي كقوله صلى الله عليه وسلم
حب العرب إيمان وبغضهم نفاق رواه الحاكم عن أنس وفي رواية الطبراني في الأوسط عنه حب
قريش إيمان وبغضهم كفر وحب العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض
العرب فقد أبغضني وفي رواية الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد أحبوا قريشا فإن
من أحبهم أحبه الله وروى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة مرفوعا أحبوا الفقراء وجالسوهم
وأحب العرب من قلبك وليردك عن الناس ما تعلم من نفسك وهذا والحديث المذكور في المتن
رواه أحمد في مسنده أيضا وأقل مرتبة أسانيده أن يكون حسنا فالحديث حسن لغيره
وعن أم الحرير بفتح الحاء المهملة مصغرا ويقال بفتحها لا يعرف حالها من الرابعة مولاة طلحة
ابن مالك لم يذكرها المؤلف قالت سمعت مولاي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اقتراب الساعة أي من علامات قرب القيامة هلاك العرب أي مسلمهم أو جنسهم وفيه إيماء
إلى أن غيرهم تابع لهم ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس بل ولا يكون في الأرض من يقول الله
رواه الترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك بالضم
أي الخلافة في قريش أي غالبا وينبغي أن يكون فيهم وهو الأظهر المطابق لبقية القرائن الآتية
وهي قوله والقضاء في الأنصار أي الحكم الجزئي قال تطييبا لقلوبهم لأنهم آووا ونصروا وبهم عمود
الإسلام وفي بلدهم تم أمره واستقام وبنيت المساجد وجمعت الجماعات ذكره ابن الملك وقال
في الأزهار قيل المراد بالقضاء النقابة لأن النقباء كانوا منهم وقيل القضاء الجزئي وقال لأنه
صلى الله عليه وسلم قال أعلمكم بالحلال والحرام معاذ وقيل القضاء المعروف لبعثته صلى
الله عليه وسلم معاذا قاضيا إلى اليمن انتهى والتخيير هو الأظهر لقوله والأذان في الحبشة أي لأن
رئيس مؤذنيه صلى الله عليه وسلم كان بلالا وهو حبشي والأمانة في الأزد أي أزد شنوءة وهم
حي من اليمن ولا ينافي قول بعض الرواة يعني اليمن لكن الظاهر المتبادر من كلامه إرادة عمومهم
أهل اليمن فإنهم أرق أفئدة وأهل أمن وإيمان والله أعلم وفي رواية موقوفا أي جاء هذا الحديث

موقوفا

موقوفا ولو قال موقوف بالرفع لكان أظهر والمعنى أنه وقفه بعضهم على أبي هريرة ولم يرفعه إلى النبي
صلى الله عليه وسلم لكن مثله موقوفا يكون حكمه مرفوعا رواه الترمذي وقال هذا أي سنده موقوفا
أصح أي من إسناده مرفوعا ورواه الإمام أحمد في مسنده مرفوعا وروى الطبراني عن أبي معاوية
الأزدي الأمانة في الأزد والحياء في قريش **الفصل الثالث** عن عبد الله بن مطيع عن أبيه
قال المؤلف قرشي عدوي من أهل المدينة يقال ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب
به أبوه إليه وكان اسم أبيه العاص فسماه النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا وكان عبد الله من سادات
قريش هو الذي أمره أهل المدينة عليهم حين خلعوا يزيد بن معاوية سمع أباه وروى عنه الشعبي
وغيره وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين وكان ابن الزبير استعمله على
الكوفة فأخرجه منها المختار بن أبي عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم
فتح مكة لا يقتل بصيغة النفي مجهولا قرشي أي منسوب إلى قريش بحذف الزوائد وفي القاموس
قرشي وقريشي صبرا أي لا في المعركة إلا زجرا بعد هذا اليوم أي يوم الفتح إلى يوم القيامة قال
الحميدي وقد تأول بعضهم هذا الحديث فقال معناه لا يقتل قرشي بعد هذا اليوم صبرا ظلما سبق ومضى
من الزمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجد منهم من قتل صبرا وهو ثابت على الكفر انتهى والمعنى
لا يوجد قرشي مرتد فيقتل ويؤيده ما ورد من أن الشيطان قد أيس من جزيرة العرب وقال
الطيبي ويجوز أن يكون النفي بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي كما أن رحمك الله أبلغ من نحو
قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية في وجه قلت هذا وجه غير وجيه كما لا يخفى على كل نبيه ثم قال
وهذا الوجه أقرب إلى مدح قريش وتعظيمهم ويبقى الكلام على الإطلاق لأنه قد يجب القتل على قرشي
قصاصا أو حدا وهو لا يكون إلا صبرا فيكون حكمه كحكم غيره فلا يحصل لقريش مزية فضلا عن أن
يكون أقرب إلى مدحهم وتعظيمهم والله أعلم رواه مسلم وعن أبي نوفل معاوية بن مسلم قال المؤلف
سمع ابن عباس وابن عمر وروى عنه شعبة وابن جريج قال رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة
المدينة يريد على عقبة مكة واقعة في طريق أهل المدينة حين ينزلونه مكة وكان عبد الله
ابن الزبير مصلوبا هناك ولذا جعل له قبر إلى الحجون قريب العقبة لكن غير ثابت وكذا أسار قبور
الصحابة في مقبرة مكة ليستدل بمحل معين على وجه الصحة حتى تربة خديجة رضي الله عنها أيضا
وإنما بني عليها اعتمادا على رؤيا بعض الأولياء والله أعلم قال أبو نوفل فجعلت قريش تمر عليه أي
على ابن الزبير والناس أي وسائر الناس يمرون عليه أيضا حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه
فقال السلام عليك يا أبا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى بعدها تحتية ساكنة كنية ابن
الزبير كني بابنه خبيب أكبر أولاده السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب فيه استحباب
تثليث السلام على الميت ولو قبل الدفن لقد كنت أنهاك عن هذا المشار إليه بهذا إلى صلبه والمعنى
كنت أنهاك عما يؤديه إلى ما أراك فيه قال الطيبي فيما هذا هو من وادي قوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم
نارا يعني من جهة مجاز الأول نحو قوله أعصر خمرا أما بالتخفيف للتنبيه والله إن كنت أن هي المخففة
من المثقلة وضمير الشأن محذوف وقوله ما زائدة علمت أي علمتك صواما أي كثير الصيام في النهار قواما
كثير القيام في الليل وصولا بفتح الواو أي مبالغا في الصلة للرحم أي للقرابة وفي شرح مسلم قال
القاضي عياض هذا أصح من قول بعض الأخباريين ووصفه بالإمساك وقد عده صاحب
كتاب الأجواد فيهم وهو المعروف من أحواله انتهى وقد أراد ابن عمر بهذا القول براءة ابن الزبير
مما نسب إليه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه وإعلام الناس بمحاسنه وأن ابن الزبير

ووصه عز وجل

كان مظلوما مرحوما وعاش سعيدا ومات شهيدا أماكرره تأكيدا والله لامة أي لجماعة انت شرها أي
بزعمهم لامة سوء بفتح السين وبضم أي لفسادهم وسوء اعتقادهم فقوله لامة مبتدأ وانت
شرها صفتها أي ولامة انت أكثر من وصل اليه شر الناس لامة سوء فاحكم فرعي وتقدير أو
بمعنى وادعاي على طريق الانكار وفي رواية لامة خير فهو على سبيل التهكم والاستهزاء أي
وهو نظير ما قال بعضهم حيث احتاج ابي يزيد البسطامي من بلده بلد ابواني بيد شر اهله
نعم البلد وفي شرح مسلم للنووي هكذا وهو مروي عن مشيختنا وكذا نقله القاضي عن جمهور
رواه صحيح مسلم ونقل القاضي عن رواية السمرقندي لامة سوء قال وهو خطأ وتصحيف أي سهو
وتحريف لكن حيث صحت الرواية وطابقت الدراية فلا معنى للتخطية ثم نفذ بفتح النون
والفاء والذال المعجمة أي ذهب ومضى عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج اليه أي الى ابن الزبير فانزل بصيغة
المجهول عن جذعه أي المصلوب عليه فالقي بصيغة المجهول أي فطرح في قبور اليهود أي في
موضع قبورهم من سكان مكة او من واردها من غير اهلها وهذا لا ينافي ما سبق من انه مدفون
في اعلى المعلى لانه حمل بعد ذلك من ذلك المحل الادنى ودفن في الموضع الاول ثم ارسل أي
الحجاج الى امه اسماء بنت ابي بكر أي يطلبها فابت ان تأتيه أي فامتنعت من الاتيان اليه والوقوف
لديه والسلام عليه فاعاد عليها الرسول أي قاصدا لسانه لتأتيني بتشديد النون على
صيغة الخطاب لقوله اولا بعثن اليك أي لارسلن اليك الي من يسحبك بفتح الحاء أي
يجرك بقرونك أي بضفاير شعرك قال أي ابو نفيل فابت وقالت والله لا آتيك بمد الهمزة
أي لا أجيئك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني قال أي ابو نفيل فقال أي الحجاج أروني
سبتي بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وفتح الفوقية وتشديد التحتية أي نعلي
وكذا ضبطه النووي وقال هي النعل التي لا شعر عليها وفي نسخة مصححة سبتيني بكسر
فسكون فكسر فوقية فتشديد تحتية ففتح فوقية فتحتية مشددة ففي النهاية السبت
بالكسر الجلود المدبوغة بالقرظ وهو بالتحريك ورق السلم يتخذ منها النعال أي السبتية سميت
بذلك لان شعرها قد سبت عنها أي حلق وازيل وقيل لانها انسبتت بالدباغ أي لانت
ويقال للنعل المتخذ منها سبت اتساعا وصيد باصاحب السبتين وروي المستين على
النسب وقال ابو داود منسوب الى موضع يقال له سوق السبت وفي المشارق قوله
أروني سبتيني وياصاحب السبتين بيائين وذكر الهروي بياء واحدة مخففة تثنية سبت انتهى والمعنى
ائتوني بها او قدموها الي فاخذ نعليه أي فلبسهما ثم انطلق يتوذف بالواو والذال المعجمة المشددة
قال ابو عبيد معناه يسرع وقيل يتبختر حتى دخل عليها أي على اسماء فقال كيف رأيتني بكسر التاء
وفي نسخة باشباع كسرها بالياء أي كيف وجدتني صنعت بعدو الله اراد به ابنها على زعمه الفاسد
واعتقاده الكاسد قالت رأيتك افسدت عليه دنياه وافسد عليك اخرتك والاسناد
سببي فيهما ثم قالت بلغني انك تقول له أي في حياته او بعد مماته يا ابن ذات النطاقين بكسر
النون وهو ما يشد به المرأة وسطها عند معاناة الاشغال لترفع به ثوبها وسميت بذلك
لانها قطعت نطاقها نصفين عند مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدت باحدهما قربته
وبالاخر سفرته فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ذات النطاقين وقيل شدت باحدهما
سفرته وبالاخر وسطها للشغل وكان الحجاج من خبثه حمل قوله صلى الله عليه وسلم في حقها
ذات النطاقين على الذم وانها خدامة وخراجة ولاجة تشد نطاقها للخدمة فكانها سلمت انها

ذات نطاقين ولكن نطاق ليس هذا شانه واليه الاشارة بقولها انا والله ذات النطاقين اما احدهما
فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام ابي بكر من الدواب متعلق بارفع أي اربط
به سفرة طعامهما واعلقها مرفوعة خشية من الدواب كالفارة والذرة ونحوهما واما الاخر فنطاق
المرأة التي لا تستغني عنه اما لتخذ منها المنطقة في بيتها الممدوحة واما لتربطها القابلة لها خشية
ان تصير بطونها كما هو الان عادة العرب من الحزام المصنوع من الجلد للفقراء والحقو المصنوع
من الذهب والفضة للاغنياء قال الطيبي وهو نظير قوله تعالى ويقولون هو اذن قل اذن خير
لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين كانه قيل نعم هو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لا اذن شر فسلم
لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح وان كانوا قصدوا به كل المدينة اما بالتخفيف المتنبه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان بالفتح ويجوز الكسر على انه من جملة المحدث في ثقيف
كذابا ومبيرا أي مفسدا فاما الكذاب فرأيناه تعني المختار واما المبير فلا اخالك بكسر الهمزة ويفتح أي
ولا اظنك الا اياه أي ذلك المبير قال الطيبي الظاهر ان يقال لا اخاله الا اياك فقدم ثاني
مفعوليه اهتماما وان المحكوم عليه بهذا الحكم هو لا ان المبير من هو فهو نظير قوله وجعلوا
لله شركاء الجن قدم شركاء وهو المفعول الثاني على الاول وهو الجن وقدم ايضا لله عليهما
اهتماما ومزيدا للانكار قال النووي في سلام ابن عمر عليه وهو مصلوب استحباب السلام
على الميت وتكرير جمعيه الثناء على الموتى بجميل صفاته المعروفة وفيه منقبة عظيمة لابن عمر
لقوله الحق في الملا وعدم اكتراثه بالحجاج لانه يعلم ان مقامه وثناءه عليه يبلغه فلم يمنعه ذلك
ان يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما اشاع عنه الحجاج من قوله
عدو الله وظالم ونحوه فاراد ابن عمر رضي الله عنهما براءة ابن الزبير من الذي نسب اليه الحجاج
واعلام الناس بمحاسنه ومذهبنا ان ابن الزبير كان مظلوما انتهى ولا اظن ان فيه خلافا
من مذهب من المذاهب الا عند الخوارج قال أي ابو نفيل فقام عنها أي الحجاج فلم يراجعها
أي فلم يردها في الكلام ثم انها ماتت بعد قتل ابنها بعشرة ايام ولها مائة سنة ولم يقع لها
سن رواه مسلم وعن نافع أي مولى ابن عمر ان ابن عمر اتاه رجلان في فتنة ابن الزبير
أي قبل قتله فقالا ان الناس صنعوا ما ترى أي من الاختلاف وانت ابن عمر أي وقد كان
خليفة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ومن اصحابه ايضا فلا شك انك من
الوجهين اولى بالخلافة من عبد الملك الذي من جملة امرائه الحجاج فما يمنعك ان تخرج أي
عليه لظهور كمال ظلمه فقال يمنعني ان الله حرم على دم اخي المسلم فقالا أي الرجلان الم
يقل الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي لا توجد فتنة ويكون الدين لله فقال
ابن عمر قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة أي شرك وكان الدين لله أي وصار دين الاسلام
خالصا لله وانتم تريدون ان تقاتلوا حتى تكون فتنة أي تقع فتنة بين المسلمين ويكون
الدين لغير الله أي لتزلزل دينه وعدم ثبات امره والحاصل ان السائل يرى قتال من خالف
الامام الذي يعتقد هو طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك في حقه
كما يدل عليه قوله لقد كنت انهاك عن مثل هذا رواه البخاري وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال جاء الطفيل بن عمرو الدوسي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال
له ذو النور لانه لما اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى قومه فقال اجعل لي اية فقال اللهم نور
له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رسول الله اخاف ان يقولوا انه مثلة فتحول الى طرف سوطه

وكان يمشي في الليلة المظلمة فدعا قومه الى الاسلام فاسلم ابوه ولم تسلم امه واجابه ابو هريرة وحده وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن ابي حاتم انه قدم بخيبر مع ابي هريرة وكانه قدمته الثانية كذا ذكره ابن حجر وقال المولف اسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم رجع الى بلاد قومه فلم يزل بها حتى هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بمن تبعه من قومه فلم يزل مقيما عنده الى ان قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة شهيدا وقيل قتل عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه روى عنه جابر وابو هريرة وعداده في اهل الحجاز فقال اي الطفيل ان دوسا قد هلكت اي استحقت الهلاك عصت بيان لما قبله وابت اي امتنعت عن الطاعة فادع الله عليهم اي بوقوع العذاب فظن الناس انه يدعو عليهم فقال اي لكونه رحمة للعالمين وهدى للناس اللهم اهد دوسا وائت بهم اي الى المدينة مهاجرين او قربهم الى طريق المسلمين واقبل بقلوبهم الى قبول الدين متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث اي خصال او اسباب لاني عربي وكل ما ينسب الى المحبوب محبوب والقران بالنصب ويرفع عربي اي لانه نزل بلغتهم وبلغتهم تعرف بلاغته وفصاحته ولانهم تحملوا الشريعة ونقلوها الينا وضبطوا اقواله وافعاله ونقلوا الينا معجزاته ولانهم سادة الاسلام وبهم فتحت البلاد وانتشر الاسلام في اقطار العالم ولانهم اولاد اسماعيل عليه السلام ولان سؤال القبر بلسانهم ولذا قيل من اسلم فهو عربي وكلام اهل الجنة عربي ويفهم منه ان كلام اهل النار غير عربي رواه البيهقي في شعب الايمان وكذا الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه والعقيلي في الضعفاء

باب مناقب الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

قال القرطبي المنقبة بمعنى الفضيلة وهي الخصلة الجميلة التي يحصل بسببها شرف وعلو مرتبة اما عند الله واما عند الخلق والثاني لا عبرة به الا ان اوصل الى الاول فاذا قيل فلان فاضل فمعناه ان له منزلة عند الله ولا يوصل اليه الا بالنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره السيوطي وقال الطيبي الصحابي المعروف عند اهل الحديث وبعض اصحاب الاصول كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ثم يعرف كونه صحابيا بالتواتر كابي بكر وعمر رضي الله عنهما او بالاستفاضة او بقول صحابي غيره انه صحابي او بقوله عن نفسه انه صحابي اذا كان عدلا والصحابة كلهم عدول مطلقا لظواهر الكتاب والسنة واجماع من يعتد به وفي شرح السنة قال ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم اهل بدر ثم احد ثم بيعة الرضوان ومن له مزية من اهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى القبلتين وقيل اهل بيعة الرضوان وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة ايهما افضل وفي عائشة وفاطمة واما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة الاخيار والحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب انفسها بسببها وكلهم متاولون في حروبهم ولم يخرج بذلك احد منهم من العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا في مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم في مسائل ولا يلزم من ذلك نقص احد منهم

الفصل الاول عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي الخطاب بذلك للصحابة لما ورد ان سبب الحديث انه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فالمراد باصحابي اصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين في الاسلام وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم فخاطبه خطاب غير الصحابة

ذكره السيوطي ويمكن ان يكون الخطاب للامة الاعم من الصحابة حيث علم بنور النبوة ان مثل هذا يقع في اهل البدعة فنهاهم بهذه السنة وفي شرح مسلم اعلم ان سب الصحابة حرام من اكبر الفواحش ومذهبنا ومذهب الجمهور انه يعزر وقال بعض المالكية يقتل وقال القاضي عياض سب احدهم من الكبائر انتهى وقد صرح بعض علمائنا بانه يقتل من سب الشيخين ففي كتاب السير من كتاب الاشباه والنظائر لابن نجيم كل كافر تاب فتوبته مقبولة في الدنيا والاخرة الا جماعة الكافر بسب النبي وبسب الشيخين او لعنهما كفر وان فضل عليا عليهما فمبتدع كذا في الخلاصة وفي مناقب الكردري يكفر اذا انكر خلافتهما او ابغضهما لمحبة النبي لهما واذا احب عليا اكثر منهما لا يواخذ به انتهى ولعل وجه تخصيصهما لما روي في فضلهما من قوله صلى الله عليه وسلم في حقهما خاصة على ما سياتي في باب على حدة لهما او للاجماع على حقيتهما خلافا للخوارج في حق عثمان وعلي ومعاوية وامثالهم والله اعلم فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا زاد البرقاني كل يوم ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اي ولا بلغ نصفه من بر وشعير لحصول بركته ومصادفته لاعلاء الدين وكلمته مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة ولذا ورد سبق درهم مائة درهم وذلك معدوم فيما بعدهم وكذلك سائر طاعاتهم وعاداتهم وغزواتهم وخدماتهم ثم اعلم ان المد بضم الميم ربع الصاع والنصيف بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر وفي الضمير راجع الى المد وقيل النصيف مكيال يسع نصف مد فالضمير راجع الى الاحد قال القاضي النصيف النصف اي نصف مد وقيل هو مكيال دون المد والمعنى لا ينال احدكم بانفاق مثل احد ذهبا من الاجر والفضل ما ينال احدهم بانفاق مد طعام او نصفه لما يقارنه من مزيد الاخلاص وصدق النية وكمال النفس قال الطيبي ويمكن ان يقال ان فضيلتهم بحسب فضيلة انفاقهم وعظم موقعه كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقوله من قبل الفتح اي قبل فتح مكة يعني قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه وهذا في الانفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل ارواحهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يخفى ان هذا انما يتم على ما سبق من سبب الحديث المستفاد منه تخصيص الصحابة الكبار لكن يعلم نهي سب غير الصحابي للصحابي من باب الاولى لان المقصود وهو الزجر عن سب احد ممن سبقه في الاسلام والفضل اذ الواجب تعظيمهم وتكريمهم حيث قال الله تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا متفق عليه ورواه احمد وابو داود والترمذي عن ابي سعيد وكذا مسلم وابن ماجة عن ابي هريرة واخرجه ابو بكر البرقاني على شرطهما واخرج علي بن حرب الطائي وخيثمة بن سليمان عن ابن عمر قال لا تسبوا اصحاب محمد فلمقام احدهم ساعة خير من عمل احدكم عمره واخرج الخطيب البغدادي في الجامع وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال اذا ظهرت الفتن او قال البدع وسب اصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله له صرفا ولا عدلا واخرج الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ما ظهر اهل بدعة الا اظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه واخرج المحاملي والطبراني والحاكم عن عويم بن ساعدة مرفوعا ان الله اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي فيهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وروى العقيلي في الضعفاء عن انس ان الله اختارني واختار لي اصحابا وانصارا واصهارا وسياتي قوم يسبونهم

ووقع سهو وجل

ويستقصونهم فلا انتم السوهم ولا انتم ادركوهم ولا انتم الحقوهم ولا انتم كالوهم وروى احمد عن انس رضي عن
اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفقتم مثل احد ذهبا ما بلغتم اعمالهم وروى احمد وابو داود
والترمذي عن ابن مسعود لا يبلغني احد عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر وعن ابي بردة عن ابيه وهو ابو موسى الاشعري قال اي ابوه رفع يعني
النبي صلى الله عليه وسلم هذا قول ابي بردة وضمير يعني الى ابيه اي يريد ابو موسى بالضمير الفاعل
في قوله رفع النبي صلى الله عليه وسلم وترك اسمه لظهوره والمعنى رفع النبي صلى الله عليه وسلم
راسه الى السماء وكان كثيرا مما يرفع راسه الى السماء اي انتظار الوحي الالهي بالنزول الملكي
قال الطيبي من بيان لكثيرا ويجوز ان تكون من زائدة وهو خبر كان اي كان كثيرا رفع راسه
وما مصدرية انتهى والجملة معترضة حالية فقال النجوم امنة السماء بفتح الهمزة والميم اي
امن وقيل امان ومرحمة وقيل حفظة جمع امين وهو الحافظ ذكره شارح وقال الطيبي
يقال امنته وامنته غيري وهو في امن منه وامنة وفلان امنته وامنه بسكون الميم
كانها المرة من الامن ويجوز ان تكون جمع امين كبار وبررة فاذا ذهبت النجوم اي الشامل
الشمس والقمر اتى السماء ما توعد اي ما وعد له من الانشقاق والطي يوم القيامة والمراد بذهاب
النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها على ما في النهاية وغيره وانا امنة لاصحابي قال الطيبي اذا نسب امنة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجهين احدهما ان يكون مصدرا مبالغة نحو رجل عدل وجعلها فيكون من
باب قوله تعالى شهابا رصدا اي راصدين وقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا فجعل صلى الله عليه وسلم
امنا لاصحابه بمنزلة الجماعة فاذا ذهبت انا اتى اصحابي ما يوعدون اي من الفتن والمخالفات والمحن واصحابي
امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اي جميعهم اتى امتي ما يوعدون اي من ذهاب اهل الخير ومجي اهل الشر
وقيام الساعة عليهم قال في النهاية والاشارة في الجملة الى مجي الشر عند ذهاب اهل الخير فانه صلى الله عليه وسلم
لما كان بين اظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه فلما توفي وجالت الارا واختلفت الاهواء كان اصحابه يسندون
الامر اليه صلى الله عليه وسلم في قول او فعل او دلالة حال فلما فقدوا قلت الانوار وقويت الظلم وكذلك
حال السماء عند ذهاب النجوم قلت ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياتي على الناس زمان فيغزو بالتذكير ويونث اي يقاتل فيام بكسر الفاء فهمز ويجوز ابدالها بالياء اي جماعة من
الناس في القاموس لا واحد له من لفظه والجمع فيوم ككتب وفي شرح مسلم بفاء مكسورة ثم همزة اي جماعة وحكى
القاضي عياض بالياء مخففة بلا همزة ولغة اخرى بفتح الفاء عن الخليل والمشهور الاول فيقولون اي الذين
يغزون القيام لهم وفي نسخة فيقال هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن الموصولة صلته
صاحب فعل ماض ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المفعولية وفي نسخة بمن الزائدة على ان صاحب اسم
فاعل مضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم على بنا المفعول ثم ياتي على الناس زمان فيغزو
فيام من الناس فيقال كذا هنا بالاتفاق هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموصولة بلا خلاف
فيقولون نعم فيفتح لهم ثم ياتي على الناس زمان فيغزو فيام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالموصولتين فيقولون نعم فيفتح لهم في الحديث معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفضل الاصحابه والتابعين وتابعيهم متفق عليه وفي رواية لمسلم قال ابن حجر هذه رواية شاذة واكثر
الروايات مقتصرة على الطبقات قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو سعيد مرفوعا ياتي على الناس زمان
يبعث اي فيه منهم البعث اي المبعوث وهو الجيش فيقولون اي المبعوث اليهم انظروا هل تجدون فيكم

احدا

احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجد الرجل اي الواحد فيهم فيفتح لهم ابه ببركته ثم يبعث البعث
الثاني اي من الناس الى جمع اخر فيقولون انظروا هل فيكم وفي نسخة هل فيكم من راى اصحاب النبي وفي نسخة
رسول الله اي احدا من اصحابه صلى الله عليه وسلم فيوجد اي من راى الصحابة وهو يوجد في بعض النسخ فيفتح
لهم ثم يبعث البعث الثالث فيقال انظروا هل ترون فيهم من راى من راى الذي راى اي بالواسطة اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكون بعث الرابع بالاضافة وهو مصدر والموصوف محذوف اي بعث البعث الرابع
وفي نسخة البعث الرابع على الوصف فالمراد بالبعث الجيش المبعوث فيقال انظروا هل ترون فيهم احدا
راى من راى احدا راى اي ذكره الاحد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيكون والسطتين فيوجد الرجل فيفتح
له اي لاجل ذكره التابع للتابعين وفي نسخة لهم اي ببركته ولما كان اهل الخير نادرا في القرن الرابع اقتصر
على القرون الثلاثة في اكثر الروايات لكثرة اهل العلم والصلاح فيهم وقلة اهل السفه والفساد منهم ففي صحيح
مسلم عن عايشة مرفوعا خير الناس القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث وروى الطبراني عن ابن
مسعود مرفوعا خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجي قوم لا خير فيهم وروى الطبراني والحاكم
عن جعدة بن هبيرة خير الناس قرني الذين انا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والاخرون اراذل
وروى الحكيم الترمذي عن ابي الدردا خير امتي اولها واخرها اولهم فيهم رسول الله واخرهم فيهم عيسى
ابن مريم وبين ذلك همج اعوج ليسوا مني ولا انا منهم وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير امتي قرني اي الذين ادركوني وامنوا بي وهم اصحابي ثم الذين يلونهم اي يقربونهم في الرتبة
او يتبعونهم في الايمان والايقان وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين والمعنى ان
الصحابة والتابعين وتبعهم هولا القرون الثلاثة المرتبة في الفضيلة ففي النهاية القرن اهل كل
زمان وهو مقدار التوسط في اعمار اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي يقترن فيه
اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل
هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن قال السيوطي والاصح انه لا ينضبط بمدة فقرنه
صلى الله عليه وسلم هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث الى اخر من مات من الصحابة مائة وعشرين
سنة وقرن التابعين من سنة مائة الى نحو سبعين وقرن اتباع التابعين من ثم الى
نحو العشرين ومايتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا واطلقت المعتزلة
السنتها ورفعت الفلاسفة روسها وامتحن اهل العلم ليقولوا بخلق القران وتغيرت
الاحوال تغيرا شديدا ولم يزل الامر في نقص الى الان وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم
ثم يفشو الكذب قال الطيبي وثم فيه بمنزلته الفاء في قوله الاقضل فالافضل على انه لبيان
لتراخي الرتبة في النزول والخير المذكور اولا اطلق على ما اقتضاه معنى التفضيل من الاشتراك
حتى انتهى الى حد يتغوفيه الاشتراك فيختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله
ثم ان بعدهم قوما يشهدون فهو خير كما في قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
وقوله الصيف احر من الشتا قال شارح في اكثر نسخ المصابيح ثم ان بعدكم وليس بسديد
والصواب ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون بصيغة المجهول اي والحال انه لا يطلب
منهم الشهادة ولا يبعد ان يكون الواو عاطفة كبقية ما ياتي والحاصل انهم يشهدون قبل ان
يطلب منهم الشهادة فهو ذم على الشهادة قبل الاستشهاد قال النووي وهذا مخالف في الظاهر
للحديث الاخر خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان يسال قالوا والجمع بينهما ان الذم في ذلك لمن
بادر بالشهادة في حق من هو عالم بها قبل ان يسالها صاحبه واما المدح فهو لمن كانت عنده

شهادة لاحد لا يعلم بها فيخبره بها ليستشهد به عند القاضي ويلحق به من كانت عنده شهادة في حدود اي المصالح
في الستر هذا ما عليه الجمهور انتهي وقيل المدح في حقوق الله والذم في حقوق الناس ويخونون ولا
يوتمنون جمع بينهما تاكيدا او يخونون الناس عنه ايتمانهم اياه ولا يجعلون امنا وعند بعضهم لظهور
خيانتهم وقال النووي ومعني الجمع في قوله يخونون ولا يوتمنون انهم يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقي
معها ثقة بخلاف من خان حقيرا مرة فانه لا يخرج به عن ان يكون موتمنا في بعض المواطن وينذرون بضم الذال وكسر
علي ما في القاموس اي يوجبون علي انفسهم اشيا ولا يفوتون من الوفاي ولا يقومون بالخروج عن عهدتها
ولا يبالون بتركها بخلاف الابرار علي ما قال سبحانه في حقهم يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
وقد قال تعالي يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اي بالايمان والنذور والعهود ويظهر فيهم السمن
بكسر السين وفتح الميم مصدر سمن بالكسر والضم سمانته بالفتح وسمنا كعنب فهو سامن وسمين قال
صاحب النهاية في الحديث يكون في اخر الزمان قوم يتسمنون اي يتكبرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من
الشرف وقيل اراد جمعهم الاموال وقيل يحبون التوسع في الماكل والمشارب وهي اسباب السمن وقال التوربشتي
كني به عن الغفلة وقلة الاهتمام بامر الدين فان الغالب علي ذوي السمانة ان لا يهتموا بارتياض النفوس بل
معظم همتهم تناول الحظوظ والتفرغ للدعة والنوم وفي شرح مسلم قالوا والمذموم من السمن ما يستكسب
واما ما هو خلقه فلا يدخل في هذا انتهي وبه يظهر معني ما ورد من ان الله يبغض الحبر السمين وفي رواية
ويحلفون ولا يستحلفون اي يحلفون من غير ضرورة داعية اليه ومن غير حاجة باعثة عليه متفق عليه
وفي رواية لمسلم عن ابي هريرة ثم يخلف بضم اللام ثم يعقبهم ويظهر من بعدهم قوم يحبون السمانة بفتح السين
وروي احمد والشيخان والترمذي عن ابن مسعود ولفظه خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي اقوام تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته وروي الترمذي
والحاكم عن عمران بن حصين بلفظ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي بعدهم قوم
يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل ان يسالوها **الفصل الثاني** عن عمر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اكرموا اصحابي اي السابقين واللاحقين احيا واموات فانهم
خياركم والخطاب للامة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب اي يفشو كما في رواية حتي
ان الرجل بكسر ان ويفتح ليحلف بلام التاكيد ولا يستحلف ويشهد عطف علي يحلف او ليحلف ولا يستشهد
الا للتنبيه من سره اي من احبه بحبوحة الجنة بضم الموحدتين اي وسطها وخيارها فليلزم الجماعة
اي السواد الاعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فيدخل فيه حبهم واكرامهم
دخولا اوليا فان الشيطان مع الفذ بفتح الفا وتشديد الذال المعجمة اي مفارق للفرد الذي تفرد برايه
وهو اي الشيطان من الاثنين ابعد اي بعيد قال الطيبي افعل هنا لمجرد الزيادة ولو كان مع الثلاثة
لكان بمعني التفضيل اذ البعد مشترك بين الثلاثة والاثنين دون الاثنين والفذ علي ما لا يخفي ولا
يخلون رجل نهي تاكيد وتشديد بامراة اي اجنبية فان الشيطان ثالثهم اي فلا بد ان يغويهما ومن سرته
حسنة اذا وفقت منه وسائته سيئة اي احزنته اذا صدرت عنه فهو مومن اي كامل لان المنافق حيث
لا يومن بيوم القيامة استوت عنده الحسنة والسيئة وقد قال تعالي ولا تستوي الحسنة ولا
السيئة رواه هنا بياض في اصل المص والحق به النسائي واسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابراهيم
ابن الحسن الخثعمي فانه لم يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت ذكره الجزري فالحديث بكماله اما صحيح او حسن
وروي احمد وابن حبان في صحيحه والطبراني والحاكم والبيهقي والضيا عن ابي امامة مرفوعا اذا سرتك
حسنتك وساتك سيئتك فانت مومن ورواه الطبراني عن ابي موسي مرفوعا ولفظه من سرته حسنته

وسائته سيئته فهو مومن **وعن** جابر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا تمس النار مسلما راني او راي من راني
رواه الترمذي وكذا الضيا وحسنه الترمذي وروي عبد بن حميد عن ابي سعيد وابن عساكر عن واثلة
طوبي لمن راني ولمن راي من راني ولمن راي من راي من راني وروي الطبراني والحاكم عن عبد الله
ابن بسر طوبي لمن راني وامن بي وطوبي لمن راي من راني ولمن راي من راي من راني طوبي لهم
وحسن ماب وانشد **شعر**

واستنشق الارياح من نحو ارضكم • لعلي اراكم او اري من راكم •
وقال بعضهم **شعر**
سعدت اعين رانك وقرت • والعيون التي رات من راكا •

وكانه صلي الله عليه وسلم لما تذكر المحرومين من ذلك الجناب وعن روية الاصحاب ومن خدمة الاتباع
من اولي الالباب قال تسلية طوبي لمن راني وامن بي وطوبي لمن لم يرني وامن بي ثلاث
مرات رواه الضيا لنسبي وعبد بن حميد عن ابن عمر وقال ايضا طوبي لمن راني وامن بي مرة وطوبي
لمن لم يرني وامن بي سبع مرات رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم عن ابي امامة
ورواه احمد ايضا عن انس وحاصله انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل كما هنا
من الايمان بالغيب عن مشاهدة المعجزات التي قارب من يراها ان يكون ايمانه بالعيان **وعن**
عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الله الله بالنصب فيهما اي اتقوا الله
ثم اتقوا الله في اصحابي اي في حقهم والمعني لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم او التقدير اذكركم
الله ثم انشدكم في اصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم كما يقول الاب المشفق الله الله في حق اولادي
ذكره الطيبي او التقدير اتقوا مخالفته اتقوا عقابه في عداوة اصحابي المقربين بنا بي الملتجين
الي جنابي لا تتخذوهم غرضا بفتح الغين المعجمة والراي هدفا للكلام القبيح لهم في المحاورات ورميهم في غيبتهم بالوقايع
والمكروهات فمن احبهم فبحبي اي بسبب حبي اياهم احبهم وقال بسببه اياي احبهم وهو انسب بقوله ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم والمعني انما احبهم لانه يحبني وانما ابغضهم لانه يبغضني والعياذ بالله تعالي
فخف لذلك قول من قال ان من سبهم فقد استوجب القتل في الدنيا علي ما سبق من مذهب المالكية ومن
اذاهم فقد اذاني اي حكما ومن اذاني فقد اذي الله ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن اذي الله فيوشك
ان ياخذه اي يعاقبه في الدنيا وفي الاخرة ولعله مقتبس من قوله تعالي ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب **وعن** انس قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح استيناف مبين لوجه الشبه
ولا يلزم من التشبيه ان يكون من جميع الوجوه حتي يقال كثرة الملح يفسد الطعام كما قيل في
حق النحو انه في الكلام كالملح في الطعام بل المراد منه ان الطعام بدونه ليس كمال المرام قال الحسن
اي البصري فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح اي في حالنا قلت نصلح بكلامهم ورواياتهم ومعرفة مقاماتهم
وحالاتهم وبالاقتدا باخلاقهم وصفاتهم فان العبرة بهذه الاشيا دون صورهم وذواتهم رواه اي البغوي
في شرح السنة اي باسناده وكذا رواه ابو يعلي في مسنده عن انس مرفوعا **وعن** عبد الله بن بريدة
بالتصغير عن ابيه يعني ابا موسي الاشعري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من احد من اصحابي
من الاولي زائدة لتاكيد نفي الاستغراق والثانية بيانية يموت بارض الا بعث اي الا حشر ذلك الاحد
من اصحابي قائدا اي لاهل تلك الارض ونورا اي هاديا لهم يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب وكذا رواه ايضا وذكر حديث ابن مسعود لا يبلغني احد اي من اصحابي عن احد شيا

فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر اي مع كلكم فلو سمعت شيا منكم ربما تغير خاطري بمقتضي البشرية
فالاولي باب الذريعة المودية الي الازية في باب حفظ اللسان اي علي ظن انه اولي بذلك الباب
والله اعلم بالصواب **الفصل الثالث** عن ابن عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا رايتم
اي ابصرتم وعرفتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعنة الله علي شركم فيه اشارة الي ان لعنهم يرجع اليهم
فانهم اهل الشر والفتنة وان الصحابة من اهل الخير المستحقين للرضي والرحمة قال الطيبي وهو من كلام
المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك ومنه بيت حسان في حق
من هجا رسول الله صلي الله عليه وسلم **شعر**

اتهجوه ولست له بكفوء • فشركما لخيركما فدا

والتعريض والتورية اوصل بالمجادل الي الغرض واهجم به علي الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته
بالهوينا رواه الترمذي وكذا الخطيب رواه ابن عدي عن عايشة مرفوعا ان شرار امتي اجروهم
علي اصحابي وفي الحديث المرفوع يكون في اخر الزمان قوم يسمون الرفضة يرفضون الاسلام
فاقتلوهم فانهم مشركون وفي رواية ينتحلون حبنا اهل البيت وليسوا كذلك اية ذلك انهم يسبون ابا
بكر وعمر كذا في الصواعق ولعل الحكمة في سب الروافض بعض الصحابة والخوارج بعض اهل البيت
انهم لما انقطع عنهم اعمالهم بانتهاء اجالهم اراد الله ان يستمر لهم الثواب لمزيد حسن المآب وان يرجع اعمالهم
الي سوء الحساب وشدة العذاب **وعن** عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقول سالت ربي عن اختلاف اصحابي اي عن حكمة تخالفهم في فروع الشرايع من
بعدي فاوحي اي الله كما في نسخة الي يا محمد ان اصحابك عندي بمنزلة النجوم في السما اي في اظهار الهداية
وابطال الغواية كما قال تعالي وبالنجم هم يهتدون بعضها اقوي من بعض اي بحسب مراتب انوارها
المقدرة لها ولكل نور اي ولكن لكل من الاصحاب نور بقدر استعداده فمن اخذ بشي مما هم عليه بيان
شي من اختلافهم بيان ما فهو عندي علي هدي وفيه ان اختلاف الايمة رحمة للامة قال الطيبي المراد به
الاختلاف في الفروع لا في الاصول كما يدل عليه قوله فهو عندي علي هدي قال السيد جمال الدين الظاهر
ان مراده صلي الله عليه وسلم الاختلاف الديني في الدين من غير اختلاف الغرض الدنيوي فلا يشكل اختلاف
بعض الصحابة بعضهم في الخلافة والامارة قلت الظاهر ان اختلاف الخلافة ايضا من باب اختلاف فروع
الدين الناشي عن اجتهاد كل لا من الغرض الدنيوي الصادر عن الحظ النفسي فلا يقاس الملوك بالحدادين
قال اي عمر وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم اي فاقتدوا جميعهم او باكثرهم وان لم يتيسر
فبايهم اقتديتم اهتديتم وكانه اخذ من هذا بعضهم فقال من تبع عالما لقي الله سالما رواه رزين قال ابن
الديبع اعلم ان حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه ابن ماجة كذا ذكره الجلال السيوطي في
تخريج احاديث الشفا ولم اجده في سنن ابن ماجة بعد البحث عنه وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في تخريج
احاديث الرافعي في باب ادب القضي واطال الكلام عليه وذكر انه ضعيف واه بل ذكر عن ابن حزم انه موضوع
باطل لكن ذكر عن البيهقي انه قال ان حديث مسلم يودي بعض معناه يعني قوله صلي الله عليه وسلم النجوم امنة
السما الحديث قال ابن حجر صدق البيهقي هو يودي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم اما في الاقتدا فلا يظهر
نعم يمكن ان يتلمح ذلك من معني الاهتدا بالنجوم قلت الظاهر ان الاهتدا فرع الاقتدا قال وظاهر الحديث
انما هو اشارة الي الفتن الحادثة بعد انقراض الصحابة من طمس السنن وظهور البدع ونشر الجور في اقطار
الارض انتهي وتكلم علي هذا الحديث ابن السبكي في شرح ابن الحاجب الاصلي في الكلام علي عدالة الصحابة ولم يعزه
لابن ماجة وذكره في جامع الاصول ولفظه عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعا سالت ربي الحديث الي

قوله

قوله اهتديتم وكتب بعده اخرجه فهو من الاحاديث التي ذكرها رزين في تجريد الاصول ولم يقف عليها ابن الاثير
في الاصول المذكورة وذكره صاحب المشكاة وقال اخرجه رزين **باب مناقب ابي بكر رضي الله**
عنه الفصل الاول عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان من امن الناس
بفتح الهمزة والميم وتشديد نون اي انعمهم علي وابذلهم لاجلي في صحبته اي دوام ملازمته وبذل نفسه في
خدمتي وماله اي وبذل ماله بل وجميع ماله في طريقتي ابو بكر كذا هو في صحيح مسلم وفي البخاري ابا بكر
اي بالنصب وهو الظاهر لانه اسم ان والرفع مشكل ذكره الطيبي قال المظهر وفيه وجه الاول ان يكون من
زايدة علي مذهب الاخفش وقيل ان ها هنا بمعني نعم كما في جواب قوله لعن الله ناقة حملتني اليك ان وصاحبها
فقوله ابو بكر مبتدا ومن امن الناس خبره وقيل اسم ان ضمير الشان انتهي فالتقدير انه من امن الناس
وهو من باب علي بن ابو طالب واما ما توهم بعضهم من ان قوله ابو بكر خبر مبتدا محذوف هو هو علي انه جواب
عن سوال كانه قيل من امن الناس فقيل ابو بكر فغير صحيح لبقاء ان حينئذ بلا خبر قال التوربشتي يريد
ان من ابذلهم واسمحهم من امن عليه منا لا من من عليه منه اذ ليس لاحد ان يمن علي رسول الله صلي الله
عليه وسلم ثم انه ورد مورد الاسما واذا حمل علي معني الامتنان يعاد ذما علي صاحبه لان المنة تهدم الصنيعة
ولو كنت متخذا خليلا قال القاضي الخليل الصاحب الواد الذي يفتقر اليه ويعتمد عليه ويعتقد في الامور
عليه فان اصل التركيب من الخلة بالفتح وهي الحاجة والمعني ولو كنت متخذا من الخلق خليلا ارجع
اليه في الحاجات واعتمد اليه في المهمات لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن الذي الجا اليه واعتمد عليه في جملة
الامور ومجامع الاحوال هو الله تعالي وانما سمي ابراهيم عليه السلام خليلا من الخلة بالفتح التي الخصلة
فانه تخلق بخلال حسنة اختصت به او من التخلل فان الحب تخلل شغاف قلبه واستولي عليه او من
الخلة من حيث انه عليه السلام ما كان يفتقر حال الافتقار الا اليه وما كان يتوكل الا عليه فيكون فعيل بمعني
فاعل وفي الحديث بمعني مفعول ولكن اخوة الاسلام استدراك عن مضمون الجملة الشرطية وفحواها
كانه قال ليس بيني وبينه خلة ولكن بيننا في الاسلام اخوة فنفي الخلة المنبية عن الحاجة واثبت الاخا
المقتضي للمساواة في المحبة والالفة ولذا قال مودته اي مودة الاسلام الناشية عن المحبة الدينية
لا لغرض من الاغراض الدنيوية او النفسية الدنية قال السيد جمال الدين اي لكن بيني وبينه اخوة
الاسلام او لكن اخوة الاسلام حاصلة او لكن اخوة الاسلام افضل كما وقع في بعض الطرق فان اريد
فضيلة اخوة الاسلام ومودته من الخلة كما هو الظاهر من السوق يشكل فيجب ان يراد فضيلتها من غير
الخلة ويقال افضل بمعني فاضل او يقال اخوة الاسلام التي بيني وبين ابي بكر افضل من اخوة الاسلام التي
بيني وبين غيره او من اخوة الاسلام التي بينه وبين غيره والاول احسن تامل اقول ويمكن ان
يكون الحديث محمولا علي ما كان تعاهد العرب من عهد الاخوة وعقد الخلة والمحبة فيما بينهم فقال لو
كنت متخذا خليلا من الخلق لعهد الخلة وعهد المحبة لاتخذت ابا بكر خليلا من بين اصحابي ولكن اخوة
الاسلام ومودته الشاملة له ولغيره كافية او افضل حيث انه خالص لله وعلي وفق رضاه ومن غير
ملاحظة من سواه وقال ابن الملك اللام في قوله ولكن اخوة الاسلام للعهد اي ولكن اخوة الاسلام التي
سبق عن المسلمين افضل لان اتخاذه خليلا بفعله واخوة الاسلام بفعل الله تعالي فما اختاره الله
للنبي صلي الله عليه وسلم يكون افضل مما اختاره لنفسه لا تبقين بصيغة المجهول نهيا موكدا مشددا
وفي نسخة بفتح اوله والمعني لا تتركن باقية في المسجد اي في مسجد المدينة خوخة الا خوخة ابي بكر الخوخة
بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الواو كوة في الجدار يودي الضوء الي البيت وقيل باب صغير ينصب
بين لبنتين او دارين ليدخل من احدهما في الاخر قال التوربشتي وهذا الكلام كان في مرضه الذي توفي فيه

وهو لله عز وجل

في اخر خطبة خطبها ولا خفا ان ذلك تعريض بان ابا بكر هو المستخلف بعده وهذه الكلمة ان اريد بها
الحقيقة فذلك لان اصحاب المنازل اللاصقة بالمسجد قد جعلوا من بيوتهم مخترقا يمرون فيه الى
المسجد او كوة ينظرون اليه منه فامر بالسد جملتها سوى خوخة ابا بكر تكريما له بذلك اولا ثم تنبيها
للناس في ضمن ذلك على امر الخلافة حيث جعله مستحقا لذلك دون الناس وان اريد به المجاز
فهو كناية عن الخلافة وسد ابواب المقالة دون التطرق اليها والتطلع عليها واري المجاز فيه اقوى
اذ لم يصح عندنا ان ابا بكر كان له منزل بجنب المسجد وانما كان منزله بالسنح من عوالي المدينة ثم انه يهد
المعنى المشار اليه وقرره بقوله لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ليعلم انه احق الناس بالنيابة
عنه وكفانا حجة على هذا التاويل تقديمه اياه في الصلوة وابائه كل الابا ان يقف غيره ذلك الموقف
انتهى وقيل اراد صلى الله عليه وسلم بخوخة ابي بكر خوخة بنته عائشة فانه صلى الله عليه وسلم
امر بسد خوخات الازواج الا خوخة عائشة ووجه الاضافة الى ابي بكر ظاهر لما منه فيه باذنه
كما يشير اليه لفظ المسجد ذكره السيد جمال الدين وفي الرياض عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بسد ابواب الشوارع في المسجد الا باب ابا بكر اخرجه الترمذي وابو حاتم واخرجه ابن اسحاق وزاد
في اخره فاني لا اعلم رجلا كان افضل في الصحبة يدا منه وعن جبير بن نفير ان ابوابا كانت مفتحة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بها فسدت غير باب ابي بكر فقالوا سد ابوابنا غير باب
خليله وبلغه ذلك فقام فيهم فقال اتقولون سد ابوابنا وترك باب خليله فلو كان منكم خليل
كان هو خليلي ولكني خليل الله فهل انتم تاركون لي صاحبي فقد واساني بنفسه وماله وقال لي
صدق وقلتم كذب وفي رواية اي مستقلة لو كنت او في رواية بدلا مما قبله فكان المناسب ان يقول
متخذا خليلا غير ربي اي بافادة هذه الزيادة لاتخذت ابا بكر خليلا اي لكن لا يجوز لي ان اخذ غير
الله خليلا لا اكون له خليلا سواء يكون بمعنى الفاعل او المفعول متفق عليه رواه احمد والترمذي
وابو حاتم وفي مسند ابو يعلى عن ابن عباس ابو بكر صاحبي ومونسي في الغار سدوا كل خوخة في
المسجد غير خوخة ابي بكر واخرجه احمد والبخاري وابو حاتم واللفظ له عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا راسه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه
ثم قال انه ليس من الناس احد امن علي بنفسه وماله من ابن ابي قحافة لو كنت متخذا خليلا لاتخذته
ولكن خلة الاسلام سدوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة ابي بكر قال ابو حاتم وفي قوله سدوا
الى اخره دليل على حسم اطماع الناس كلهم من الخلافة الا ابا بكر وعن ابن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي زاد احمد في الدين
وصاحبي زاد احمد في الغار ذكره السيوطي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فيه ايما الى قوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون واشار من جعل غيره به خليلا يكون مجنونا يختل عقله ويصير مجنونا ولا دليلا قال الطيبي
وفي قوله اتخذ الله مبالغة من وجهين احدهما انه اخرج الكلام على التجريد حيث قال صاحبكم ولم يقل
اتخذني وثانيهما اتخذ صاحبكم بالمنصب عكس ما يحتاج اليه الحديث السابق من قوله غير ربي فدل
الحديثان على حصول المخالفة في الطرفين رواه مسلم ورواه احمد والبخاري عن ابن الزبير ورواه احمد والبخاري
ايضا عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتي خليلا دون ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي
وفي رواية البخاري لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذته خليلا ولكن اخوة الاسلام افضل وروى
مسلم عن جندب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكون لي منكم خليل فان الله
عز وجل قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا

واخرج الواحدي في تفسيره عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبي الا وله في امته خليلا الا وان خليلي ابو بكر واخرج الحافظ ابو الحسن علي بن عمر الحربي
السكري عن ابي بن كعب انه قال ان احدث عهدي بنبيكم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ليال دخلت عليه
وهو يقلب يديه وهو يقول انه لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا وان خليلي من امتي ابو بكر بن ابي قحافة الا وان
الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا الاحاديث النافية للاتخاذ اي واثبت فان صحت هذه
الرواية فيكون قد اذن الله له عند تجريه من خلقه غير الله مع تشوقه لخلة ابي بكر لولا حالة الله في اتخاذه خليلا
مراعاة لجنوحه اليه ونعظا لشان ابي بكر ولا يكون ذلك انصرافا عن خلة الله عز وجل بل الخلتان ثابتتان
كما تظمنه الحديث احديهما تشويق للمصطفى صلى الله عليه وسلم والاخرى تشريف لابي بكر رضي الله عنه والله اعلم
وفي الجملة هذا الحديث ظاهر على ان ابا بكر افضل الصحابة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه اي الذي توفي فيه ادعي لي بفتح همز وصل وكسر عين على ان اصله ادعوي نقل بالنقل والحذف وهو
امر مخاطبه اي نادي ابا بكر اباك بدل واخاك عطف على ابا بكر والمراد به عبد الرحمن وفي شرح مسلم ان طلبه لاخيها
ليكتب الكتاب فقوله حتى اكتب الكتاب اي امر ان يكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن اي الخلافة على تقدير
عدم الكتابة ويكون قايل اي واخاف ان يقول قايل ممن يتمني الامارة انا ولا اي انا مستحق للخلافة ولا يكون
مستحقا لها مع وجود ابي بكر كما يدل عليه قوله ويابي الله والمومنون اي خلافا للمنافقين والرافضة في
امر الخلافة الا ابا بكر قال شارح اي بيان خلافة لكل احد الا خلافة ابي بكر انتهى ومعنى يابي الله يمتنع لعدم
رضاه او لما قدره وقضاه رواه مسلم وفي كتاب الحميدي وهو جامع بين الصحيحين وقع في نسخة انا
اولى بدل انا ولا في شرح مسلم قوله انا ولا هكذا هو في بعض النسخ المعتمدة اي يقول انا احق بالخلافة ولا
يستحقها غيري وفي بعضها انا اولى اي انا احق بالخلافة قال القاضي عياض هذه الرواية اجود انتهى
فالجزم من المص انه رواه مسلم خلافا للحميدي ليس من الجزم قال النووي وهذا دليل لاهل السنة على
ان خلافة ابي بكر رضي الله عنه ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم صريحا بل اجمعت الصحابة على عقد
الخلافة له وتقديمه لفضله ولو كان هناك نص عليه او على غيره لم يقع المنازعة بين الانصار وغيرهم
ولا دولة لكان حافظ النص ما معه ورجعوا اليه واتفقوا عليه واما ما يدعيه الشيعة من النص على علي كرم الله
وجهه والوصية اليه فباطل لا اصل له باتفاق المسلمين واول من يكذبهم علي حين سيل هل عندكم شي ليس
في القران قال ما عندي الا في هذه الصحيفة واول ما في الحديث ولو كان عنده نص لذكره وعن جبير
ابن مطعم قال اتت النبي صلى الله عليه وسلم امراة فكلمته في شي اي من امرها فامرها ان ترجع اليه اي الى النبي
صلى الله عليه وسلم امراة اخرى حتى يعطيها شيا ذكره شارح قالت يا رسول الله ارايت اي اخبرني ان
جيت ولم اجدك ولعل مسكنها كان بعيدا من المدينة كانها اي قال جبير كان المراة تريد اي تعني
بعدم الوجدان الموت اي موته صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجديني فاتي ابا بكر اي فانه خليفتي مطلقا
او وصيي في هذا الامر والاول اظهر ولذا قال النووي ليس فيه نص على خلافته بل هو اخبار بالغيب
الذي اعلمه الله قلت ويؤيده ما اخرجه ابن عساكر عن ابن عباس قال جاءت امراة الى النبي صلى الله عليه
وسلم تساله شيا فقال تعودين فقالت يا رسول الله ان عدت فلم اجدك تعرض بالموت قال ان جيتني
فلم تجديني فاتي ابا بكر فانه الخليفة من بعدي متفق عليه وعن سهل بن ابي حثمة قال
بايع اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم بقلايص الى اجل فقال علي للاعرابي ايت النبي صلى الله عليه وسلم فسله
ان اتى عليه اجل من يقضيه قال يقضيك ابو بكر فرجع الى علي فاخبره فقال علي ارجع فسله ان
اتى على ابي بكر اجله من يقضيه فاتى الاعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله فقال يقضيك عمر فقال

ومعـــه لله عز وجل

علي الاعرابي سل من بعد عمر فقال يغضبك عثمان فقال علي الاعرابي ايت النبي صلى الله عليه وسلم فسئله ان
اتي علي عثمان احد من يقضيه فساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي علي ابي بكر اجله وعلي عمر وعثمان
فان استطعت ان تموت فمت اخرجه الاسماعيلي في معجمه وعن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعثه اي ارسله اميرا علي جيش ذات السلاسل باضافة الجيش قال القاضي السلاسل رمل ينعقد بعضه
ببعض وسمي الجيش بذلك لانهم كانوا مبعوثين اليها ضد رمل كذلك قال فاتيته اي قبيل السفر
ويحتمل ان يكون بعده فقلت اي الناس احب اليك اي الموجود في زمنك او المراد بهم اهل الجيش وذكره
لان سبب سواله لما امره النبي صلى الله عليه وسلم علي الجيش وفيهم ابو بكر وعمر لمصلحة كانت تقتضيه
وقع في نفسه انه مقدم عنده في المنزلة عليهما فساله لذلك لكن يويد الاول وهو ارادة العموم
الذي هو مفيد للمفهوم جوابه قال عايشة اي هي احبهم الي من النسا قلت من الرجال اي سوالي
عنهم او التقدير من احب اليك قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا اي فعد النبي صلى الله عليه
وسلم رجالا اخرين بعد اسيلة اخرى لي فسكت اي عن ذكري السوال مخافة ان يجعلني في اخرهم
اي اخر الناس مطلقا او اخر من سال عنهم لو سالته متفق عليه وعن محمد بن الحنفية سنذكرها
وهو ابن علي من غير فاطمة رضي الله عنهم قال قلت لابي اي لعلي كرم الله وجهه اي الناس خير بعد
النبي صلى الله عليه وسلم قال اي علي ابو بكر اي هو ابو بكر او ابو بكر هو الخير قلت ثم من قال عمر وخشيت
ان يقول عثمان اي لو قلت ثم من فعدلت عن منوال السوال لهذه الخشية قلت ثم انت قال ما
انا الا رجل من المسلمين وهذا علي سبيل التواضع منه مع العلم بانه حين المسالة خير الناس
بلا نزاع لانه بعد قتل عثمان رضي الله عنهم رواه البخاري وكذا احمد وعن ابن عمر قال كنا اي معشر
الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل اي لا نساوي بابي بكر احدا اي من الصحابة بل نفضل
علي غيره ثم عمر ثم عثمان اي ثم نعد لهما احدا او ثم نفضلهما علي غيرهما ثم نترك اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لا نفاضل اي لا نوقع المفاضلة بينهم والمعنى لا نفضل بعضهم علي بعض والمراد مفاضلة بعضهم
مثلهم والا اهل بدر واحد واهل بيعة الرضوان وساير علما الصحابة افضل ولعل هذا التفاضل بين
الاصحاب واما اهل البيت فهم اخص منهم وحكمهم يغايرهم فلا يرد عدم ذكر علي والحسنين والعمين
رضي الله عنهم اجمعين قال المظهر وجه ذلك انه اراد به الشيوخ وذوي الاسنان منهم الذين كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر شاورهم فيه وكان علي رضي الله عنه في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حديث السن وفضله لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة وقال التوربشتي [illegible]
ان اهل بدر واهل بيعة الرضوان واصحاب العقبتين الاولى والثانية يفضلون غيرهم وكذا كان علما
الصحابة وذوو الفهم منهم والمتبتلون عن الدنيا رواه البخاري وكذا في رواية لابي داود قال
كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم اي الذين هم خير الامم
بعده اي النبي وامثاله من الانبيا عليهم السلام او بعد وجوده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله
عنهم لا يخفى ان الاحاديث المتقدمة لها المناسبة التامة بباب مناقب الثلاثة الفصل
الثاني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد اي عطا وانعام
الا وقد كافاه بهمزة ساكنة بعد الفا ويجوز ابدالها الفا ففي القاموس كافاه مكافاة جازاه ذكره في
المهموز وكفاه مونته كفاية ذكره في المعتل ولا يخفى ان المناسب للمقام هو المعنى الاول وفي
بعض النسخ المصححة باليا ولا يظهر له وجه والمعنى جازيناه مثلا بمثل او اكثر ما خلا ابا بكر اي
ما عداه اي الا اياه فان له عندنا يدا قيل اراد باليد النعمة وقد بذل لها كلها اباه صلى الله عليه وسلم

وهي المال

وهي المال والنفس والاهل والولد ذكره شارح ويحتمل ان يكون المراد بتلك اليد اعتاق بلال كما
يشير اليه قوله وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا
وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وفسر بان المراد منه ابو بكر واليه ينظر قوله يكافيه الله اي يجازيه
بها يوم القيامة اي جزا كاملا واقتصر صاحب الرياض علي هذا المقدار من الحديث وقال رواه الترمذي
وقال حسن غريب وما نفعني مال احد قط ما نفعني ما مصدرية ومثل مقدر اي مثل ما نفعني مال
ابي بكر ولو كنت متخذا اي من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا المتنبه وان صاحبكم خليل
الله يحتمل ان يكون فعيلا بمعنى فاعل او مفعول والاول اظهر في هذا المقام فتدبر رواه الترمذي
وفي الجامع ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر رواه احمد وابن ماجه عن ابي هريرة
وفي الرياض عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني
مال ابي بكر فبكى ابو بكر وقال ما انا ومالي الا لك اخرجه احمد وابو حاتم وابن ماجة
والحافظ الدمشقي في الموافقات وعن ابي المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مال
رجل من المسلمين انفع لي من مال ابي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال
ابي بكر كما يقضي في مال نفسه اخرجه عبد الرزاق في جامعه قلت وكانه اشارة الي
قوله تعالى او صديقكم هذا وعن عايشة قالت انفق ابو بكر علي النبي صلى الله عليه وسلم
اربعين الفا اخرجه ابو حاتم وعن عروة قال اسلم ابو بكر وله اربعون الفا انفقها كلها علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله اخرجه ابو عمر وعن عروة قال اعتق ابو بكر
سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة اخرجه ابو عمر وعن اسماعيل بن
قيس قال اشترى ابو بكر بلالا وهو مدفون بالحجارة بخمس اواق ذهبا فقالوا لو ابيت
الا اوقية لبعناكه فقال لو ابيتم الا مائة اوقية لاخذته اخرجه في الصفوة وعن عمر رضي الله
عنه اي موقوفا قال اي عمر ابو بكر سيدنا اي نسبا وحسبا وخيرنا اي افضلنا موهبة
وكسبا واحبنا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حضورا وغيبا ذكره الترمذي وعن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي في الغار اي في غار ثور بمكة حالة
الهجرة من ديار الكفار حيث قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
فالمعنى انت صاحبي المخصوص حينئذ او انت صاحبي بشهادة الله اذ اجمع المفسرون علي ان المراد بصاحبه
في الاية هو ابو بكر وقد قالوا من انكر صحبة ابي بكر كفر لانه انكر النص الجلي بخلاف انكار صحبة غيره
من عمر او عثمان او علي وصاحبي اي المخصوص علي الحوض وفيه ايما الي انه صاحبه في الدارين كما
انه صاحبه الان في البرزخ رواه الترمذي وفي مسند الفردوس للديلمي عن عايشة ابو بكر مني وانا
منه وابو بكر اخي في الدنيا والاخرة وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
لقوم فيهم ابو بكر ان يومهم غيره وفي معناه من هو افضل القوم من غيرهم وفيه دليل علي انه
افضل جميع الصحابة فاذا ثبت هذا فقد ثبت استحقاق الخلافة ولا ينبغي ان يجعل المفضول
خليفة مع وجود الفاضل رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عمر رضي الله عنه قال
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق اي في بعض الجهات ووافق ذلك عندي مالا اي
صادف امره بالتصدق حصول مال عندي فعندي حال عن مال والجملة حال مما قبله يعني
والحال انه كان مال كثير في ذلك الزمان فقلت اليوم اسبق ابا بكر اي بالمبارزة او بالمغالبة
ان سبقته يوما من الايام فان شرطية دل علي جوابها ما قبلها او التقدير ان سبقه يوما

وقعه عز وجل

فهذا يومه وقيل ان تاويله اي ما سبقته يوما فهذا يومه قبل ذلك فهو استيناف تعليل قال
اي عمر فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله اي
ابقيت مثله يعني نصف ماله واتى ابو بكر بكل ما عنده وهو ابلغ من كل ماله بكسر اللام
واصرح من كل ماله بالفتح فقال يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله اي
رضاهما وحكي انه صلى الله عليه وسلم قال لهما ما بينكما كما بين كلمتيكما قلت اي في باطني واعتقدت
لا اسبقه الى شيء اي من الفضائل ابدا لانه اذا لم يقدر على مقابلته حين كثرة ماله وقلة مال
ابي بكر ففي غير هذه الحال اولى انه لا يسبقه رواه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حسن
صحيح ومما يناسبه ما اخرجه احمد عن ابن مسعود قال مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وانا احمد الله عز وجل واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال سل تعط ولم اسمعه
فادلج ابو بكر فبشرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد سبقك اليها ابو بكر قال عمر ما استبقنا
خيرا الا قد سبقنا اليه انه كان سباقا للخيرات فقال عبد الله ما صليت فريضة ولا تطوعا الا دعوت
الله في دبرها اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد صلى
الله عليه وسلم في اعلى جنة الخلد وانا ارجو ان اكون دعوت بهن البارحة اخرجه احمد
وابن شاهين وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع قراءة ابن مسعود
ليلا من سره ان يقرا القران رطبا فليقراه كما يقراه ابن ام عبد فلما اصبحت غدوت اليه لابشره
فقال قد سبقك ابو بكر قال ما سابقته الى خير قط الا سبقني اخرجه ومعناه في الصحيحين
وعن عائشة ان ابا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم انت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا قال الراغب العتيق المتقدم في الزمان
او في المكان او الرتبة ولذا قيل للقديم عتيق وللكريم عتيق ولمن خلي عن الرق عتيق
النهاية وسمي البيت العتيق لكرمه ولتقدم زمانه او رتبة مكانه او لانه عتق عن
الطوفان او عن تصرف الجبابرة ثم قوله فيومئذ سمي عتيقا اي لقب به منذ ذلك اليوم قال
المؤلف اسمه عبد الله بن عثمان بن ابي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مرة وصل بالاب السابع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى عتيق من النار
فلينظر الى ابي بكر شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ولم يفارقه في جاهلية ولا اسلام
وهو اول الرجال اسلاما كان ابيض نحيفا خفيف العارضين معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة له
ولابويه ولولده وولد ولده صحبة ولم يجتمع هذا الا حد من الصحابة كان مولده بمكة بعد الفيل
بسنتين واربعة اشهر الا اياما ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة
ثلاث عشرة بعد المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة واوصى ان تغسله زوجته اسما
بنت عميس فغسلته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر روى عنه
خلق كثير من الصحابة والتابعين ولم يرو عنه من الحديث الا القليل لقلة مدته بعد النبي صلى الله
عليه وسلم رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من
تنشق عنه الارض اي من الخلق ثم ابو بكر اي من امتي او من الاولياء مطلقا ثم عمر ثم اتي بصيغة المتكلم اي
اهل البقيع وهو مقبرة المدينة فيحشرون معي اي مجموعين تعالى وان يحشر الناس ضحى ثم انتظر اهل
مكة حتى احشر بين الحرمين اي بين اهلها فيحشر الى القيامة وفيه ايماء الى ما روي من احب قوما
حشر معهم وقال الطيبي اي اجمع صحبتهم بين حرم مكة وحرم المدينة وقال الشارح اي اجمع انا وهم حتى

يكون في وقت اجتماع بين الحرمين فذلك بظاهره مخالف لقوله انتظر اهل مكة لان كلامه يدل على انه صلى الله
عليه وسلم يتوجه الى حرم مكة وان اهل مكة يتوجهون اليه صلى الله عليه وسلم فيحصل الاجتماع بين الحرمين
والظاهر من كلامه صلى الله عليه وسلم انه ينتظرهم في البقيع الى ان يجتمعوا فيتوجهوا الى المحشر وهو
ارض الشام فيجتمعون هناك مع سائر الانام رواه الترمذي وذكر الحديث في الجامع الى قوله
انتظر اهل مكة وقال رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر هذا ولا يخفى ان هذا الحديث كان
انسب ان يذكر في مناقب الشيخين رضي الله عنهما وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي يدخل منه امتي
فقال ابو بكر يا رسول الله وددت بكسر الدال اي احببت كنت معك حتى انظر اليه اي الى
باب الجنة فقال اما للتنبيه انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي اي فسترى بابها
وتدخلها قبل كل احد من امتي وفيه دليل على انه افضل الامة والاسبقهم في دخول الجنة
فانه اسبق الامة ايمانا لقوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات
النعيم قال الطيبي لما تمنى رضي الله عنه بقوله وددت والتمني انما يستعمل فيما لا يستدعي
امكان حصوله قيل لا تتمنى انظر الى الباب فان لك ما هو اعلى منه واجل وهو دخولك
فيه اول امتي وحرف التنبيه ينبه على الرمزة التي لوحنا بها رواه ابو داود الفصل
الثالث عن عمر رضي الله عنه ذكر عنده ابو بكر جملة حالية وحاصله انه روي عن عمر انه ذكر
عنده ابو بكر فبكى اي عمر وقال وددت ان عملي كله اي في جميع الايام مثل عمله اي مثل عمل ابي بكر يوما
واحدا من ايامه اي في زمن حياته صلى الله عليه وسلم وليلة واحدة من لياليه اي او في حياته عليه
السلام والظاهر ان الواو بمعنى او فانه ابلغ في المبالغة باعتبار كل من الحالة او النوع بحسب
الوقتين المختلفين اما ليلته فليلته سار بالرفع والتنوين اي سافر وهاجر فيها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي نسخة مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الغار وفي بعض النسخ المصححة بفتح ليلة
بنيت للاضافة الى مبني وهو الاظهر فلما انتهيا اليه اي وصلا الى الغار قال اي ابو بكر والله لا
تدخله بالرفع وفي نسخة بالجزم حتى ادخل قبلك اي الغار لما ذكره بقوله فان كان فيه شيء اي مما
يؤذي من عدو وهوام اصابني دونك فدخل فكسحه اي كنسه ووجد في جانبه اي في احد
اطرافه ثقبا بضم مثلثة وفتح قاف جمع ثقبة كغرفة وغرف وقد جاء ثقب كقفل وفلس كل منهما
لغة في المفرد بمعنى الخرق والحجر لكن المراد هنا الجمع لقوله فشق ازاره وسدها به وبقي منها اثنان فالقمهما
رجليه اي جعل رجليه كاللقمتين لهما غاية للحرص على سدهما حيث لم يبق من ازاره ما يدخله ثم
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره بكسر الحاء وفي
نسخة بفتحها ففي القاموس الحجر بالكسر ويثلث الحضن وفي النهاية الحجر بالفتح والكسر الحضن والثوب
وكذا في المشارق وزاده واذا اريد به المصدر فالفتح لا غير وان اريد به الاسم فالكسر لا غير ونام
اي النبي صلى الله عليه وسلم فان نوم العالم عبادة كما ان نوم الظالم عبادة باعتبارين مختلفين
فلدغ ابو بكر في رجله بدل من ابو بكر بدل البعض وهي بفتح الياء لشدة تحمله اللدغ فيها
كما في قول الشاعر بجرح في عراقيبها نصالي من الحجر اي من الجحر فلم يتحرك اي ابو بكر
مخافة بان ينتبه من باب الافتعال وفي نسخة ان ينتبه من التفعل اي خشية ان
يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من عراوانه فتصبر على وجعه فسقطت دموعه
على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فانتبه فراى بكاءه فقال ما لك يا ابا بكر

قال لبعث فداك ابي وامي بفتح الفاء ويكسر ففي القاموس فداه يفديه فداو فدى ويفتح اعطى شيئا
فانقذه والفدا ككسا وكعلي والي ذلك المعطي انتهى وقال الاصمعي الفدا بمد ويقصر اما المصدر
من فاديت فممدود لا غير والفاء بمد ذلك مكسور وحكي الفرا فدا لك مقصور ومعدود ومفتوح
وفداك ابي وامي فعل ماض مفتوح الاول ويكون اسما على ما حكاه الفرا كذا في المشارق فتفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رجله كما في نسخة اي على موضع اللدغ فذهب ما يجده اي حاله من تكسه من
الالم ثم انتقض بالقاف المعجمة اي رجع اثر السم عليه وقال الطيبي اي نكس الجرح بعد ان اندمل لتفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اي الانتقاض سبب موته اي فحصل له شهادة في سبيل
الله حالة كونه رفيقا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه واما يومه اي ابا بكر فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي زكاة يحتمل ان يكون العطف تفسيرا
لما قال بعض علمائنا من قيل له اد الزكوة فقال لا ادي كفر فقال لو منعوني عقالا بكسر اوله
اي حبلا صغيرا لجاهدتهم عليه اي لقاتلتهم على اخذه او لاجل منعه ففي النهاية اراد بالعقال
الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة لان على صاحبها التسليم
وانما يقع القبض بالرباط وقيل اراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة وقيل اذا اخذ
المصدق اعيان الابل قيل اخذ عقالا اذا اخذ اثمانها قيل اخذ نقدا وقيل اراد بالعقال صدقة
العام يقال اخذ المصدق عقال هذا العام اذا اخذ منهم صدقة وبعث فلان على عقال بني
فلان اذا بعث على صدقاتهم واختاره ابو عبيد وقال هذا اشبه عندي بالمعنى وقال الخطابي
انما يضرب المثل في هذا بالاقل لا بالاكثر وليس بسائر في لسانهم ان العقال صدقة عام قلت ولهذا
قال ابو عبيد بالمعنى فلا اعتراض عليه بالمبنى وسببه استبعاد ان يقاتل على الشيء الحقير
وان كان قد يعبر عن الكثير بالقليل على قصد المبالغة كالنقير والقطمير ويؤيد ابا عبيد انه في
اكثر الروايات لو منعوني عناقا وفي اخرى جديا قال الطيبي قد جاء في الحديث ما يدل على
القولين فمن الاول حديث عمر رضي الله عنه انه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا فاذا جاءت الى
المدينة باعها ثم تصدق بها وحديث محمد بن مسلمة انه كان يعمل الصدقة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان يامر الرجل اذا جاء بفريضتين ان ياتي بعقاليهما وقرانيهما ومن الثاني حديث
عمر انه اخر الصدقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يامر الرجل اذا جاء بفريضتين ان ياتي
بعقاليهما وقرانيهما ومن الثاني حديث عمر انه اخر الصدقة عام الرمادة فلما احيا الناس بعث عامله
فقال اعقل عنهم عقالين فاقسم فيهم عقالا وائتني بالاخر يريد صدقة عامين انتهى والاختلاف
في اطلاق العقال على كل منهما وانما الخلاف في المراد به هنا والله اعلم فقلت يا خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم تالف الناس اي اطلب الفتهم لا فرقتهم وارفق بهم بضم الفاء اي الطف بهم ولا
تغلظ عليهم فقال لي اجبار في الجاهلية اي انت شجيع مشهور غضوب في زمن الجاهلية وخوار
بتشديد الواو اي جبان وعطوف في الاسلام اي في ايامه واحكامه مع انه ماورد من ان معادن العرب خيارهم
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا مشعر بان طباعهم الاصلية لم يتغير عن احوالهم الاولية وانما يختلف انفعالها
في الامور الدينية بعد ما كان يجري حصولها في الحالات التعصبية من الامور النفسية والعرفية ففي النهاية
يقوم خار يخور اذا ضعفت قوته ووهنت شوكته قال الطيبي انكر عليه ضعفه ووهنه في الدين ولم يرد ان
يكون جبانا بل اراد به التصلب والتشدد في الدين لكن لما ذكر الجاهلية قرنه بذكر الجبار قلت هذا اوجه فان
المراد به انه كان جبارا متسلطا متعديا على الخلق في الجاهلية وقد عفا الله عما سلف فهذا اما لا يضره ابدا

ولاشك

اي رق
مح

ولاشك ان ارادة هذا المعنى ايضا ابلغ في تحصيل المدعى من المودي انه اي الشان وهو استيناف تعليل قد
انقطع الوحي اي فلا نصل الى التعين فلا بد لنا من الاجتهاد المبين وتم الدين وفي نسخة فتم الدين اي لقوله
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي اينقص اي الدين وهو بصيغة الفاعل وفي نسخة على
بناء المفعول بناء على انه لازم او متعد وانا حي جملة حالية على طبق قولهم جاء زيد والشمس طالعة رواه
رزين وفي الرياض ذكر من قوله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ثم قال رواه النسائي بهذا اللفظ
ومعناه في الصحيحين ونقل الحلبي في حاشية الشفا للقاضي عياض عن ابي الحسن الاشعري
انه قال لم يزل ابو بكر بعين الرضا من الله واختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم لم يزل مؤمنا
قبل البعثة وبعدها وهو الصحيح المرضي وقال اخر بل اراد انه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى
بانه سيؤمن ويصير من خلاصة الابرار قال الشيخ تقي الدين السبكي لو كان هذا مراده لاستوى الصديق
وسائر الصحابة في ذلك وهذه العبارة التي قالها الاشعري في حق الصديق لم يحفظ عنه في حق غيره
فالصواب ان الصديق لم يثبت عنه في حالة كفر بالله انتهى وهو الذي سمعناه من مشايخنا ومن يقتدى به
وهو الصواب ان شاء الله ونقل ابن ظفر بل في ابناء نجباء الابناء ان القاضي ابا الحسن احمد بن محمد الزبيدي
روى باسناده في كتابه المسمى معالي العرش الى عوالي الفرش ان ابا هريرة قال اجتمع المهاجرون
والانصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعيشك يا رسول الله اني لم اسجد
لصنم قط وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة وان ابا قحافة اخذ بيدي وانطلق بي الى مخدع
فيه الاصنام فقال هذه الهتك الشم العلى فاسجد لها وخلاني ومضى فدنوت من الصنم فقلت
اني جائع فاطعمني فلم يجبني فقلت اني عار فاكسني فلم يجبني فاخذت صخرة فقلت اني ملق
عليك هذه الصخرة فان كنت الها فامنع نفسك فلم يجبني فالقيت عليه الصخرة فخر لوجهه
واقبل ابي فقال ما هذا يا بني فقلت هو الذي ترى فانطلق بي الى امي فاخبرها فقالت دعه
فهو الذي ناجاني الله تعالى به فقلت يا امة ما الذي ناجاك به قالت ليلة اصابني المخاض
لم يكن عندي احد فسمعت هاتفا يقول يا امة الله على التحقيق ابشري بالولد العتيق اسمه
في السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق قال ابو هريرة فلما انقضى كلام ابي بكر نزل جبريل عليه
السلام وقال صدق ابو بكر انتهى ومما يؤيده كنت انا وابو بكر كفرسي رهان لانه لو كان
على الكفر لما صدق عليه هذا الامر ولعل وجه ما قال صلى الله عليه وسلم لو اتخذت احدا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا هو انه صدر عنه ما سبق مشابها لما وقع من الخليل في هدم الصنم ومخالفة الاب والله
اعلم

باب مناقب عمر رضي الله عنه

الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم بيان لما بعدي من اي في الذين كانوا
قبلكم محدثون بفتح الدال المشددة اي ناس ملهمون كما فسره ابن وهب فان يك في امتي احد
اي واحد منهم فرضا وتقديرا فانه عمر اي وان يك الكثير فهو حج اول واظهر قال التوربشتي المحدث
في كلامهم هو الرجل الصادق الظن وهو في الحقيقة من القي في روعه شيء من قبل الملا الاعلى فيكون
كالذي حدث به وفي قوله فان يك في امتي احد فهو عمر لم يرد هذا القول مورد التردد فان امته
افضل الامم وان كانوا موجودين في غيرهم من الامم فبالحري ان يكونوا في هذه الامة اكثر عددا
واعلى رتبة وانما ورد مورد التاكيد والقطع به ولا يخفى على ذي الفهم محله من المبالغة
كما يقول الرجل ان يكون لي صديق فانه فلان يريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقة لا نفي
الاصدقاء انتهى وتوضيحه انك لا تريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقة لا نفي الاصدقاء انتهى وتوضيحه

مطلب

كذا ذكر القاري في جمعه

انك لا تتريد بذلك الشك في صداقته والتردد في انه هل كل صديق بل المبالغة في ان الصداقة مختصة به
لا تتخطاه وقيل هو على ظاهره لان الحكمة في كونهم في بني اسرائيل احتياجهم اليه لكن حيث لا يكون بينهم
نبي وكتبهم طرا عليه التبديل فاحتمل عنده صلى الله عليه وسلم ان لا يحتاج هذه الامة اليه ذلك
لاستغنائها بالقران المامون تبديله وتحريفه ذكره السيوطي وقال الطيبي هذا الشرط من باب
قول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يحتمل في كلامه ان تفريطك في
الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه فالمراد بالمحدث الملهم المبالغ فيه
الذي انتهى الى درجة الانبيا في الالهام فالمعنى لقد كان فيما قبلكم من الامم انبيا يلهمون من قبل الملا
الاعلى فان يكن في امتي احد هذا شانه فهو عمر جعله لانقطاع قرينه وتفوقه على اقرانه في هذا كانه تردد في
انه هل هو نبي ام لا فاستعمل ان ويؤيده ما ورد في الفصل الثاني لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
فلو في هذا الحديث بمنزلة ان على سبيل الفرض والتقدير كما في قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه متفق عليه قال ميرك ولفظه للبخاري ولمسلم نحوه عن عايشة ومن العجب
ان الحاكم اخرج حديث عايشة في مناقب عمر مستدركا على مسلم في كونه لم يخرجه وقد اخرجه في
المناقب ايضا قلت وقد سبق عنه الجواب والله اعلم بالصواب ثم لفظ الحديث في الجامع قد
كان فيما مضى قبلكم من الامم ناس محدثون فان يكن في امتي منهم احد فانه عمر بن الخطاب رواه احمد
والبخاري عن ابي هريرة واحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عايشة ففي قول المص متفق
عليه مسامحة لا تخفى كما اشار اليه ميرك ثم اعلم ان لفظ احمد ومسلم عن عايشة قد كان يكون
في الامم محدثون فان يكن في امتي احد فهو عمر بن الخطاب ذكره في الرياض ثم قال واخرجه
الترمذي وصححه ابو حاتم وخرجه البخاري عن ابي هريرة وخرج عليه عنه من طريق اخر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان
يكونوا انبيا فان يكن في امتي منهم احد فهو عمر ومعنى محدثون والله اعلم ملهمون الصواب
ويجوز ان يحمل على ظاهره بان تحدثهم الملايكة لا بالوحي بل بما يطلق عليه اسم حديث
وتلك فضيلة عظيمة وعن سعد بن ابي وقاص قال استاذن عمر بن الخطاب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة اي جماعة من النساء من قريش قال القسطلاني
هن عايشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وغيرهن وقال العسقلاني اي نسوة
من ازواجه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون معهن غيرهن لكن قرينة قوله يكلمنه ويكثرنه
يويد الاول اي يكثرنه في الكلام ولا يراعين مقام الاحتشام وقال النووي اي يطلبن
منه النفقات الكثيرة وفي رواية يسالنه ويستكثرنه عالية بالنصب على الحال وقال
السيوطي او بالرفع على الوصف انتهى وفي رواية رافعات اصواتهن بالرفع على الفاعلية قال
القاضي عياض يحتمل ان هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل
ان علو اصواتهن انما كان لاجتماعهن في الصوت لان كلام كل واحدة بانفراده اعلى من
صوته صلى الله عليه وسلم اقول ليس في الكلام دليل على ان رفع اصواتهن كان فوق صوت النبي
صلى الله عليه وسلم وحينئذ ليرد الاشكال بقوله تعالى يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الاية بل المراد انهن في تلك الحالة على خلاف عادتهن من الخفض رفعن
اصواتهن في كلامهن معه صلى الله عليه وسلم اعتمادا على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم فلما
استاذن عمر والحال انه من الاجانب بالنسبة الى اكثرهن لا سيما وهو غيور غضوب

غالب

وقف لله عز وجل

غالب عليه الصفة الجلالية قمن اي من مكانهن فبادرن الحجاب اي سارعن الى حجابهن على مقتضى
ادابهن فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك اي يتبسم ومن الغريب ان عمر مع غلبة قهره
وشدة سطوته كان مظهرا لبسطه صلى الله عليه وسلم فقال اي عمر كما في رواية اضحك الله سنك وفي
رواية يا رسول الله اي ادام الله فرحك الموجب لبروز سنك وظهور نورك ولكن لابد له من
سبب وظهور امر عجيب فاطلعني عليه وشرفني بالاشارة اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت
من هولا اللاتي كن عندي اي في حالة غريبة ومقالة عجيبة فلما سمعن صوتك الا بالاذن
ابتدرن الحجاب اي بالانتقال من مكانهن واخفا حالهن وشانهن خوفا منك وهيبة
لك قال عمر اي خطابا لهن يا عدوات انفسهن اتهبنني بفتح الها يقال هبت الرجل بكسر
الها اذا وقرته وعظمته من الهيبة اي اتوقرنني ولا تهبن اي ولا تعظمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلن نعم هذا غير راجع الى مجموع قول عمر بل الى قوله اتوقرنني فقط
والا فيشكل كما لا يخفى ولا يبعد ان يكون نعم تقريرا وتاكيدا ومقدما على قوله انت افظ
واغلظ اي انت كثير الفظاظة اي سيئ الكلام وكثير الغلظة اي شديد القلب بخلافه صلى الله عليه وسلم
فانه حسن الخلق كما اخبر الله سبحانه بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك وقد قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعا
خياركم خياركم لنسايهم قال الطيبي لم يردن اثبات مزيد الفظاظة والغلظة لعمر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه كان حليما مواسيا رقيق القلب في الغاية بل المبالغة في
فظاظة عمر وغلظته مطلقا انتهى وخلاصته ان فيك زيادة فظاظة وغلظة بالقياس
الى غيرك لا بالقياس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان رفيقا حليما جدا لكن
يشكل هذا بما ذكره البخاري في رواية اخرى في باب التبسم من كتاب الادب
فقلن انك افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن دفعه بان يجعل من
باب العسل احلى من الخل والشتا ابرد من الصيف فيرجع المعنى الى ان كلا منهما على
ما في حاله على اعلى مرتبة كماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه بكسر الهمزة والها
منونا وقد يترك تنوينه اي حدث حديثا ولا تلتفت الى جوابهن يا ابن الخطاب
وفي رواية يا عمر وقيل هو اسم فعل يطلب به الزيادة اي استزد على ما انت عليه من التصلب
ويويده قوله والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا اي سالكا طريقا
واسعا الا سلك فجا غير فجك فيه منقبة عظيمة لعمر الا ان ذلك لا يقتضي وجوب العصمة اذ
لا يمنع ذلك من وسوسته الموجبة لغفلته قال التوربشتي ايه اسم سمي به الفعل لان معناه
الامر تقول للرجل اذا استزدته من حديث او عمل ايه بكسر الها فان وصلت نونت وقلت
ايه حدثنا واذا اسكتته وكففته قلت ايها عنا ومن حقه في هذا الحديث ان يكون ايها
اي كف يا ابن الخطاب عن هذا الحديث ورواه البخاري في كتابه بجي ولا منونا
والصواب ابها وروى مسلم هذا الحديث في جامعه وليس لهذه الكلمة في روايته
ذكر وقول اذا صحت الرواية وطابقت الدراية على ما قدمناه من تصحيح معناه
فلا معنى للتخطية في مبناه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب وقال الطيبي معنى
قول عمر اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوقرنني ولا توقرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شرح السنة هو من قولهم هبت الرجل اذا وقرته وعظمته
يقال هب الناس يهابوك اي وقرهم يوقروك انتهى كلامه ولا شك ان الامر بتوقير رسول

الله صلى الله عليه وسلم مطلوب لانه تجب الاستزادة منه فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابة استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه ولذلك عقبه بقوله والذي نفسي بيده الى اخره
فانه يدل على استرضا ليس بعده استرضا احاداً فيه صلى الله عليه وسلم بفعاله كلها لا سيما هذه
الفعلة قال التوربشتي في قوله ما لقيك الشيطان سالكا تنبيه على صلابته في الدين واستمرار
حاله على الجد الصرف والحق المحض حتى كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف
الصارم والحسام القاطع ان امضاه مضى وان كفه كف فلم يكن له على الشيطان سلطان الا
من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو كالوازع بين يدي الملك فلهذا كان الشيطان
يتحرف عن الفج الذي سلكه وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة للعالمين مأمورا
بالعفو عن اهل زمنه معنيا بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمده من فعل
مكروه او سوء ادب بالفظاظة والغلاظة والزجر البليغ اذ لا يتصور الصفح والعفو مع تكدر
الخلال فلهذا انتشأ حوفها واستخمسن اشما رهن الهيبة من عمر رضي الله عنه
قال النووي هذا الحديث محمول على ظاهره وان الشيطان متى راه سالكا فجا هرب لهيبته
من عمر رضي الله عنه وفارق ذلك الفج لشدة بأسه قال القاضي عياض ويحتمل انه
ضرب مثلا بالشيطان واغوائه وان عمر رضي الله عنه فارق سبيل الشيطان وسلك طريق
السداد وخالف ما يأمر به والصحيح الاول متفق عليه وكذا اخرجه احمد واخرجه
النسائي وابو حاتم ولفظهما فلما سبق سمعن صوت عمر انقمعن وسكن اي ذللن وارتدعن
فقال عمر يا عدوات انفسهن الحديث من غير ذكر جوابهن وقال الحميدي اي في جامعه
بين الصحيحين زاد البرقاني بفتح الموحدة وقد يكسر منسوب الى برقان قرية من
قرى خوارزم بعد قوله يا رسول الله ما اضحكك انتهى فكانه نحذفه بعض الرواة نسيانا
او اختصارا لظهوره وهذا من زيادة بعض الثقاة او من ادراج بعض الرواة والمعنى
عليه كما اشرنا في شرح الحديث اليه وعن جابر قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخلت الجنة اي ليلة المعراج وفي عالم الكشف او حالة الرويا فاذا انا بالرميصا
بالصاد المهملة تصغير رمصا وهي امراة في عينها رمص بفتحتين وهو ما جمد من الوسخ
في الموق وهو هنا اسم ام انس او لقبها امراة ابي طلحة بدل او عطف بيان وجوز رفعها
وكذا نصبها سمعت خشفة بفتح المعجمتين والفا اي حركة وزنا ومعنى وفي نسخة
بالسكون اي صوتا ففي المشارق الخشفة بفتح الخا وسكون الشين هو الصوت ليس
بالشديد قال ابو عبيد وقال الفرا هو الصوت الواحد وبتحريك الشين الحركة وفي
النهاية الخشفة بالفتح والسكون الحركة وقال شارح هي صوت وقع النعل وهي في
الاصل الحركة انتهى والمراد هنا صوت النعل الناشي من حركة الماشي فقلت من هذا
اي المتحرك او صاحب الحركة فقال اي قايل من جبريل او غيره من الملايكة او حور
الجنة هذا بلال ورايت قصرا بفنايه بكسر الفا وتخفيف النون والمد اي ما امتد من
جوانبه جارية او مملوكة او حورا فقلت لمن هذا اي القصر وما فيه وفي حواليه
فقالوا وفي نسخة قالوا اي جماعة من اهل الجنة او من سكان القصر لعمر بن الخطاب
فاردت ان ادخله اي القصر فانظر اليه اي نظرا مفصلا او الى باطنه كما رايت ظاهره
فذكرت غيرتك اي شدتها وحدتها وفي القاموس تعالى غار على امراته وهي

عليه

وهمه سعو جل

عليه تغار غيرة بالفتح فقال عمر بابي انت وامي البا للتعدية وانت مبتدا وباقي خبره اي انت مفدي بابي
وامي كذلك وفي نسخة بابي وامي اي انت مفدي بهما والمعنى جعلهما الله فداك يا رسول الله اعليك
اي على فعلك او دخولك اغار منكم من الغيرة وقيل في الكلام قلب والاصل اعليها اغار منك وزاد عبد
العزيز وهل رفعني الله الا بك وهل هداني الله الا بك ذكره السيوطي متفق عليه وروى
احمد والترمذي وابن حبان والنسائي عن انس واحمد والشيخان عن جابر واحمد ايضا عن بريدة
وعن معاذ مرفوعا دخلت الجنة فاذا انا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لشاب من
قريش فظننت اني انا هو فقلت ومن هو قالوا عمر بن الخطاب فلولا ما علمت من غيرتك لدخلت وروي
احمد ومسلم والنسائي عن انس مرفوعا دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت
ما هذه الخشفة فقيل الغميصا ابنة ملحان ورواه عبد بن حميد عن انس والطيالسي
عن جابر بلفظ دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت ما هذه قالوا هذا بلال ثم دخلت
الجنة فسمعت خشفة فقيل الغميصا بنت ملحان قال في الرياض عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادخلت الجنة فرايت قصرا من ذهب ولولو فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فما
منعني ان ادخله الا علمي بغيرتك قال عليك اغار بابي انت وامي عليك اغار اخرجه ابو حاتم وخرجه
مسلم ولم يقل من ذهب ولولو وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادخلت الجنة فاذا انا
بقصر من ذهب قالوا لعمر بن الخطاب اخرجه احمد وابو حاتم وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بينا انا نايم رايتني في الجنة فاذا انا بامراة تتوضا الى جانب قصر قلت لمن هذا فقالت
لعمر بن الخطاب فذكرت غيرة عمر فوليت مدبرا قال ابو هريرة فبكى عمر ونحن جميع في ذلك المجلس ثم قال بابي
انت وامي يا رسول الله اعليك اغار اخرجه مسلم والترمذي وابو حاتم وعن بريدة قال لما
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة ما دخلت
الجنة الا سمعت خشخشتك امامي دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك امامي فاتيت على قصر مربع مشرف
من ذهب فقلت لمن هذا القصر فقالوا لرجل من قريش فقلت انا قرشي لمن هذا القصر قالوا لرجل من
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال انا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اذنت قط الا صليت ركعتين وما اصابني حدث قط الا توضات عندها ورايت ان لله علي
ركعتين قال صلى الله عليه وسلم بهما وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا انا نايم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص بضمتين جمع قميص والجملة حالية منها
اي من القميص ما يبلغ الثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد التحتية جمع الثدي وفي
نسخة بالفتح والسكون والتخفيف فهو مفرد اريد به الجنس ومنها ما دون ذلك اي قميص اقصر
منه او اطول منه والثاني منهما بنا على ان دون ذلك بمعنى غير ذلك لقوله تعالى ومنا الصالحون ومنا
دون ذلك وفي فتح الباري يحتمل ان يريد دونه من جهة السفل وهو ظاهر فيكون اطول ويحتمل ان يريد
دون من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيد الاول ما في رواية الحكيم الترمذي من طريق اخرى عن ابن المبارك
عن يونس عن الزهري في هذا الحديث فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبته ومنهم من كان
قميصه الى انصاف ساقيه قلت وفي رواية الرياض ومنها ما هو اسفل من ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب اي فيما
بينهم وعليه قميص اي عظيم يجره اي يسحبه في الارض لطوله قالوا اي بعض الصحابة من الحاضرين فما اولت ذلك
يا رسول الله اي فما عبرت جر القميص لعمر قال الدين بالنصب اي اولته الدين يا رسول الله وفي نسخة بالرفع اي المال به
هو الدين والمعنى بقاء الدين في ايام خلافته مع طول زمان امارته وبقاء اثر فتوحاته حال حياته ومماته او لان الدين يشمل

انا عمر

فقلت ما هذه قالوا هذه ...

الانسان ويحفظ وبقية المخالفات كوقاية الثوب وشموله قال النووي القميص الدين وجره يدل على بقاء اثاره الجميلة وسنته
الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليقتدي به واما تفسير اللبن بالعلم فلكثرة الانتفاع بهما وبانهما سببا الصلاح فاللبن
عند الانسان وسبب صلاحهم وقوة ابدانهم والعلم سبب الصلاح وغذا الارواح في الدنيا والاخرة متفق عليه ورواه
احمد وابو حاتم وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم اتيت بقدح لبن وفي رواية
اذ رايت قدحا اتيت به فيه لبن فشربت حتى اني لارى الري بكسر الراء وتشديد اليا
اي اثر اللبن من المخرج اي يظهر وفي رواية يجري في اظفاري ثم اعطيت فضلي اي سوري الكثير الخالص عمر بن
الخطاب فلا ينافي ان سورا حصل للصديق ايضا لانه كان قليلا جدا ولان سورا لعثمان وعلي ايضا وصل فانه فيهما
لم يكن صافيا خالصا او لانه اي اللبن وفي رواية فما اولت ذلك يا رسول الله قال العلم بالنصب وروي بالرفع على ما قدرناه
والمراد بالعلم هو علم الدين فاعلم قال العلما بين عالم الاجسام وعالم الارواح عالم اخر يقال له عالم المثال وهو نوراني
شبيه بالجسماني والنوم سبب لسير الروح للنوم في عالم المثال ورؤية ما فيه من الصور غير الجسمانية
والعلم مصور بصورة اللبن في ذلك العالم لمناسبة ان اللبن اول غذا البدن وسبب صلاحه والعلم اول غذا الروح
وسبب صلاحه وقيل التجلي العلمي لا يقع الا في اربع صور الما واللبن والخمر والعسل تناولتها اية فيها انهار
الجنة فمن شرب الما يعطى العلم اللدني ومن شرب اللبن يعطى العلم باسرار الشريعة ومن شرب الخمر يعطى العلم
بالكمال ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق الوحي وقد قال بعض العارفين ان الانهار الاربعة عبارة عن
الخلفا ويطابقه تخصيص اللبن بعمر رضي الله عنه في هذا الحديث واما الري في العلم فقد اختلف فيه فمنهم من
قال بوجوده لان الاستعداد متناه ولا يرد عليه ما لم يقبل فيحصل الري وظاهر الحديث معهم ومنهم من
قال بعدمه لقوله تعالى وقل رب زدني علما فالامر بطلب زيادة العلم بلا ذكر النهاية يدل على انه لا ينتهي
ولذا قيل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ولان التوقف ليس في طوق الانسان ويدل عليه حديث
منهومان لا يشبعان ومنه ما نقل عن ابي يزيد البسطامي قدس الله سره السامي انه قال
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت ويمكن الجواب عن دليل الاولين بان العلم اذا حصل
بقدر الاستعداد القابل اعطاه الله تعالى استعداد العلم اخر فيحصل له عطش اخر ولهذا قيل طالب العلم
كشارب البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وعن الحديث بانه محمول على البداية قبل الوصول الى النهاية حتى يدل
على عدم النهاية متفق عليه واخرجه محمد وابو حاتم والترمذي وصححه ولهذا بلغ علمه ما روي عن ابن
مسعود انه قال لو جمع علم احيا العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون
انه ذهب بتسعة اعشار العلم وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم
رايتني على قليب اي بير لم تطو وضدها المطوية بالحجارة والاجر عليها اي فوقها دلو ودلو
معلقة عليها فنزعت اي جذبت منها ما شاء الله اي ما قدره الله وقضاه ثم اخذها اي
الدلو ابن ابي قحافة بضم القاف فنزع منها ذنوبا بفتح الذال المعجمة وهو الدلو وفيها ما
او الملاي او دون الملاي كذا في القاموس او ذنوبين شك من الراوي والصحيح رواية
ذنوبين ذكره ابن الملك والاظهر ان او بمعنى بل فلا يحتاج ان يخلط الراوي ولا الى شك
وزيادته ويمكن ان يكون المراد بذكرهما اشارة الى قلته مع عدم النظر عن تحقيق عدده
وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه جملة حالية دعائية وقعت اعتراضية
مبينة ان الضعف الذي وجد في نزعه لما يقتضيه تغير الزمان وقلة الاعوان
غير راجع اليه بتنقيصه ثم استحالت اي انقلبت الدلو التي كانت ذنوبا غربا بفتح
فسكون اي دلوا عظيمة ما في القاموس وزاد ابن الملك التي تتخذ من جلد ثور واخذها

ابن الخطاب فلم ار عبقريا بتشديد اليا التحتية اي رجلا قويا من الناس ينزع نزع عمر اي جبذها وهو مفعول
مطلق حتى ضرب الناس بعطن بفتحتين اي حتى اروا ابلهم فابركوها وضربوا لها عطنا وهو مبرك الابل حول الما
قال القاضي لعل القليب اشارة الى الدين الذي هو منبع ما به تحيى النفوس ويتم المعاش ونزع الما منه
ذلك اشارة الى ان هذا الامر ينتهي من الرسول عليه السلام الى ابي بكر ومنه الى عمر ونزع ابي بكر ذنوبا
او ذنوبين اشارة الى قصر مدة خلافته وان الامر لا يكون بيده سنة او سنتين ثم ينتقل الى عمر وكان مدة
خلافته سنتين وثلاثة اشهر وضعفه فيه اشارة الى ما كان في ايامه من الاضطراب والارتداد واختلاف
الكلمة او الى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة والمداراة مع الناس ويدل على هذا قوله ويغفر
الله ضعفه وهو اعتراض ذكره صلى الله عليه وسلم ليعلم ان ذلك موضوع ومعفو عنه غير قادح في
منصبه ومصير الدلو في نوبته عمر غربا وهو الدلو الكبير الذي يستقي به البعير اشارة الى ما كان
في ايامه من تعظيم الدين واعلا كلمة الله وتوسيع خطته وقوته وجده في النزع اشارة الى ما اجتهد
في اعلاء امر الدين وافشائه في مشارق الارض ومغاربها اجتهادا لم يتفق لاحد قبله ولا
بعده والعبقري القوي وقيل العبقر اسم واد يزعم العربان الجن تسكنه فنسبوا اليه كل من
تعجبوا منه من امر كقوة وغيرها فكانهم وجدوا ما وجدوا منه خارجا عن وسع الانسان فحسبوا
انه جنى من العبقر ثم قالوا لكل شي نفيس وقال النووي قوله في نزعه ضعف ليس فيه حط لمنزلة ولا
اثبات فضيلة لعمر عليه وانما هو اخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتساع
الاسلام وفتح البلاد وحصول الاموال والغنائم واما قوله والله يغفر له ضعفه فليس فيه
نقص ولا اشارة الى ذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها كلامهم وقد جاء في صحيح مسلم
انها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك وفي قوله فنزعت منها ما شاء الله
ثم اخذها ابن ابي قحافة اشارة الى نيابة ابي بكر وخلافته بعده وراحته صلى الله عليه وسلم
بوفاته من نصب الدنيا ومشاقها وفي قوله ثم اخذها ابن الخطاب من يد ابي بكر الى قوله
وضربوا بعطن اشارة الى ان ابا بكر قمع اهل الردة وجمع شمل المسلمين وابتدا الفتوح ومهد
الامور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر رضي الله عنهما وفي رواية ابن عمر قال ثم
اخذها ابن الخطاب من يد ابي بكر فاستحالت في يده غربا فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه
يفري فريه بفتح فسكون وفي نسخة بفتح فكسر فتشديد يا اي يعمل عمله قال النووي يروى
باسكان الرا وتخفيف اليا وبكسر الرا وتشديد اليا وهما لغتان صحيحتان وانكر الخليل
التشديد ومعناه لم ار سيدا يعمل عمله ويقطع قطعه واصل الفري بالاسكان القطع يقول
العرب تركته يفري الفري اذا عمل العمل فاجاد متفق عليه المفهوم من الرياض ان الرواية
الاولى لمسلم وحده وان الرواية الاولى لمسلم وحده وان الرواية الثانية لهما ولاحمد وزاد
بعد قوله يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن وفي بعض الطرق الاتية اني انزع على حوض
فاخذ ابو بكر الدلو من يدي فنزع ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فاخذ ابن الخطاب
فاخذها حتى تولى الناس والحوض يتفجر وذكره واحد والحديث مناسبة لباب مناقب
الشيخين لكن لما كان فيه زيادة مدح لعمر خصه بباب مناقبه الفصل الثاني عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق اي اظهره او وضعه على لسان عمر وقلبه
قال الطيبي ضمن جعل معنى اجرى فعداه بعلى وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على
لسانه وفي وضع الجعل موضع اجرى اشعار بان ذلك كان خلقيا ثابتا مستقرا رواه الترمذي

وصححه وكذا رواه احمد وابو حاتم عن ابي هريرة وعن ابن عمر مثله وفي رواية بعد قوله وقلبه يقول الحق وان كان مرا
وفي رواية ان الله نزل الحق على قلب عمر ولسانه اخرجها البغوي في الفضايل وفي رواية ابي داود عن ابي ذر
قال ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به اي عمر به اي بالحق او التقدير يقول الحق بسبب ذلك
الموضع والجملة استيناف بيان او حال عيان وعن علي رضي الله عنه اي موقوفا قال ما كنا اي اهل
البيت او معشر الصحابة وقد قال ابن مسعود ويويده رواية ونحن متوافرون اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم نبعد من الابعاد بمعنى الاستبعاد وقيل معناه ما كنا نعد بعيدا ان السكينة
اي ما به تسكين النفس والميل اليه ويطمين به القلب ويقتدي عليه تنطق اي تجري على لسان عمر اي من قبله
وقد قال ابن مسعود ما رايت عمر الا وكان بين عينيه ملكا يسدده قال التوربشتي اي لم نكن نبعد
انه ينطق بما يستحق ان تسكن اليه النفوس وتطمين به القلوب وانه امر غيبي القي على لسانه
ويحتمل انه اراد بالسكينة الملك الذي يلهمه ذلك القول وفي النهاية قيل اراد بها السكينة التي ذكرها
الله في كتابه العزيز وقيل في تفسيرها انه حيوان له وجه كوجه الانسان مجتمع وسايرها خلق رقيق
كالريح والهوا وقيل هي صورة كالهرة كانت معهم في جيوشهم فاذا ظهرت انهزم اعداوهم وقيل هي ما كانوا
يسكنون اليه من الايات التي اعطيها موسى عليه السلام والاشبه بحديث عمر ان تكون من الصورة
المذكورة ذكره الطيبي ولا يخفى بعد ارادة القولين هنا فالاقرب هو القول الاخير الذي اشار اليه
التوربشتي اولا وهو الذي ينزل على معناه جميع ما جا في القران من لفظ السكينة كقوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين وقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
ونحو ذلك رواه البيهقي في دلايل النبوة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر
انه من المراسيل قال اللهم اعز الاسلام اي قوه وانصره بابي جهل بن هشام او بعمر بن الخطاب او للتنويع
لا للشك ولا يبعد ان يكون بل للاضراب فاصبح عمر اي في الصباح بعد دعايه عليه السلام قبله فغدا
اي اقبل غاديا ذاهبا في اول نهاره على النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي هو اما خبر اي غدا مقبلا
على النبي صلى الله عليه وسلم او غدا بمعنى اقبل ونحوه قوله تعالى وغدوا على حرد قادرين انتهى فعلى
الاول غدا من الافعال الناقصة وعلى الثاني يتعلق على بغدا فاسلم ثم صلى اي النبي صلى الله عليه
وسلم وفي نسخة بصيغة المجهول اي صلى المومنون في المسجد ظاهرا اي عيانا غير خفي وعلانا غير مخوف
روى الحاكم ابو عبد الله في دلايل النبوة عن ابن عباس ان ابا جهل قال من قتل محمدا فله على ماية
ناقة والف اوقية من فضة فقال عمر الضمان صحيح فقال نعم عاجلا غير اجل فخرج عمر فلقيه رجل فقال
اين تريد قال اريد محمدا لاقتله قال فكيف تامن من بني هاشم قال اني لا ظنك قد صبوت
قال الا اخبرك باعجب من هذا ان اختك وختنك قد صبوا مع محمد فتوجه عمر الى منزل اخته
وكانت تقرا سورة طه فوقف يستمع ثم قرع الباب فاخفوها فقال عمر ما هذه الهينمة فاظهرت
الاسلام فبقي عمر حزينا كييبا فباتوا كذلك اذ قامت الاخت وزوجها يقران طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى فلما سمع قال ناوليني الكتاب حتى انظر فيه فلما قرا الى قوله الله لا اله
الا هو له الاسما الحسنى قال اللهم ان هذا اهل ان لا يعبد سواه اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فبات ساهرا لهفيا يقول في كل ساعة واشوقاه الى محمد حتى اصبح فدخل
عليه خباب بن الارت فقال يا عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات الليلة ساهرا يناجي الله
عز وجل ان يعز الاسلام بك او بابي جهل وانا ارجو ان تكون دعوته قد سبقت فيك فخرج متقلدا
سيفه فلما وصل الى منزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعه [illegible]

وقال

وقال يا عمر اسلم او لينزلن الله بك ما انزل بالوليد بن المغيرة فارتعدت فرايص عمر ووقع السيف
من يده فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال اللات والعزى تعبد
على روس الجبال وفي بطون الاودية والله يعبد سرا والله لا يعبد الله سرا بعد يومنا هذا
رواه احمد والترمذي وانتهت روايته الى قوله فاسلم ثم صلى الى اخره وقال غريب
من هذا الوجه وفي سنده ابو عمرو بن النضر تكلم فيه بعضهم وقال يروي المناكير من قبل
حفظه انتهى وزيادة ثم صلى الى اخره رواه محيي السنة في شرح السنة من جملة الحديث
في هذا السند ذكره ميرك وقال ابن الديبع في مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي حديث
اللهم ايد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابي جهل او بعمر بن الخطاب رواه الامام احمد والترمذي
في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان
والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم ايد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ اعز الاسلام بعمر وقال
انه صحيح الاسناد وفيه عن عايشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح
على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت واما ما يدور على الالسنة من قوله اللهم ايد الاسلام باحد
العمرين فلا اعلم له اصلا انتهى كلامه وقال الزركشي حديث اللهم اعز الاسلام الى اخره رواه
الترمذي وروى الحاكم عن عايشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال صحيح على
شرط الشيخين وذكر ابو بكر التاريخي عن عكرمة انه سيل عن حديث اللهم ايد الاسلام
فقال معاذ الله دين الاسلام اعز من ذلك ولكنه قال اللهم اعز عمر بالدين او ابا جهل اقول
ليس فيما ورد من الحديث محذور بل هو من قبيل قوله تعالى فعززنا بثالث اي قوينا الرسولين
وما اتيا من الدين به او من باب قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم على انه يمكن
ان يكون من نوع القلب في الكلام كما في عرضت الناقة على الحوض ولذا ورد ايضا زينوا اصواتكم
بالقران والحاصل انه ان صحت الرواية وطابقت الدراية فلا وجه للتخطية ثم لا شك في
حصول عز الدين به رضي الله عنه ولا من اخفايه الى اعلانه كما في قوله تعالى يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وهو كمال الاربعين ايما الى ذلك واخرا من
فتوحات البلاد وكثرة ايمان العباد وفيما بينهما من غلظته على المشركين ولهذا فغيره كما
في قوله تعالى اشدا على الكفار اشعار اليه بل وما تم امر خلافة الصديق وجهاده مع المرتدين
الا بمعونته وما فتح باب النزاع والمخالفة الباغية على المقاتلة فيما بين المسلمين الا بعد موته
وبعد عينه ولعله صلى الله عليه وسلم اشار بذلك في قوله لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
وقال داود بن الحصين والزهري لما اسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد استبشر اهل السما
باسلام عمر وهو مروي عن ابن عباس على ما رواه ابو حاتم والدارقطني وقال المولف هو عدوي
قرشي يكنى ابا حفص اسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا
واحدى عشرة امراة ويقال به تمت الاربعون قال ابن عباس سالت عمر بن الخطاب لاي شي
سميت الفاروق فقال اسلم حمزة قبلي بثلاثة ايام ثم شرح الله صدري للاسلام فقلت الله
لا اله الا هو له الاسما الحسنى فما في الارض نسمة احب الي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اختي هو في دار الارقم عند الصفا
فاتيت الدار فاذا حمزة في اصحابه جلوس في الدار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت فضربت الباب
فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر بن الخطاب قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة فما ملكت ان وقعت على ركبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انت بمنته
يا عمر فقلت اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر اهل
الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلنا يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال
بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفا والذي بعثك
بالحق لنخرجن فاخرجناه صلى الله عليه وسلم في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر وله كديد
ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد فنظرت الي قريش والي حمزة فاصابتهم كابة لم تصبهم
مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل
انتهى وذكر اهل التفسير عن ابن عباس ايضا ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب ابن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فلم يرض بقضايه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم
فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال
هكذا اقضي لمن لم يرض بقضا الله ورسوله فنزلت الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت قيل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما كنت اظن ان يجتري عمر على قتل مومن فانزل الله تلك الاية فهدر دم ذلك الرجل وبرى عمر عن
قتله ظلما وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السيوطي ورد
ايضا بلفظ ابن عمر من حديث عمر نفسه اخرجه البيهقي في الدلايل ومن حديث انس اخرجه البيهقي ومن
حديث ابن مسعود اخرجه الحاكم ومن حديث ربيعة السعدي اخرجه البغوي في معجمه ومن حديث
ابن عباس وخباب اخرجهما ابن عساكر في تاريخه ومن حديث عثمان بن الارقم ومرسل سعيد بن
المسيب ومراسيل الزهري اخرجهما ابن سعد في الطبقات وورد بلفظ عايشة من حديث ابن عباس
رواه الحاكم ومن حديث ابن عمر اخرجه ابن سعد ومن حديث ابي بكر الصديق اخرجه الطبراني في الاوسط
ومن حديث ابن مسعود اخرجه ابن عساكر ومن حديث ثوبان اخرجه الطبراني ومن مراسيل الحسن
اخرجه ابن سعد وقال ابن عساكر في الجمع بين اللفظين انه دعا بالاول اولا فلما اوحي اليه ان ابا جهل لا يسلم
خص عمر بدعايه فاجيب فيه وقد اشتهر هذا الحديث على الالسنة بلفظ باحد العمرين ولا اصل له من
طرق الحديث بعد الفحص البالغ انتهى كلام السيوطي رحمه الله وعن جابر قال قال عمر لابي بكر يا خير
الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر اما للتنبيه انك ان قلت ذلك الكلام وعظمتني
بين الانام فاجازيك بمثل هذا المرام من التبشير في هذا المقام فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر وهو اما محمول على ايام خلافتهما ومقيد ببعد
ابي بكر والمراد في باب العدالة او في طريق السياسة ونحو ذلك جمعا بين الالفاظ الواردة في السنة
قال الطيبي جواب قسم محذوف وقع جوابا للشرط على سبيل الاخبار كانه انكر عليه قوله يا خير الناس بعد
رسول الله لقوله ما طلعت الشمس الى اخره ونحوه في الاخبار والانكار قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
انتهى والتحقيق ما قدمناه مع ان معنى الاية هو الاخبار عن كون النعم من الله على طريق الانحصار وان
كان يتضمن انكارا اذ يكون نعمة من الاغيار لا سيما في نظر الابرار ومشاهدة الاخيار كما قيل ليس في الدار غيره
ديار رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قيل نقل في الميزان عن اهل الحديث تضعيفه واقول
يقويه ما في الجامع من ان قوله ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي والحاكم في مستدركه

عن ابي بكر

عن ابي بكر مرفوعا وقد اخرج البغوي في الفضايل عن ثابت ابن الحجاج فقال خطب عمر ابنة ابي سفيان فابوا ان
يزوجوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة خير من عمر ولا شك ان المراد بعده صلى الله
عليه وسلم وبعد ابي بكر لما تقدم والله اعلم وعن عقبة بن عامر قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب زيادة حسن
في نسخة من الترمذي وقد نقله ابن الجوزي ايضا عنه ورواه ايضا احمد في مسنده والحاكم في صحيحه والطبراني
عن عصمة بن مالك وفي طرق الحديث لو لم ابعث لبعثت يا عمر وعن بريدة بالتصغير قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه اي ازمنة غزواته فلما انصرف جاته اي النبي صلى الله عليه
وسلم وفي نسخة جات جارية سودا فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا اي منصورا
وفي رواية سالما ان اضرب بين يديه اي قدميك وفي حضورك بالدف بضم الدال وتشديد الفا
وهو افصح واشهر وروي الفتح ايضا وهو ما يطبل به والمراد به الدف الذي كان في زمن المتقدمين واما ما فيه
الجلاجل فينبغي ان يكون مكروها اتفاقا وفيه دليل على ان الوفا بالنذر الذي فيه قربة واجب والسرور
بقدومه صلى الله عليه وسلم قربة سيما من الغزو الذي فيه تهلك الانفس وعلى ان الضرب بالدف مباح
وفي قولها والتغني دليل على ان سماع صوت المراة بالغنا مباح اذا خلي عن الفتنة فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نذرت فاضربي والا فلا ففيه دلالة ظاهرة على ان ضرب الدف لا يجوز
الا بالنذر ونحوه مما ورد فيه الاذن من الشارع كضربه في اعلان النكاح فما استعمله بعض مشايخ اليمن من ضرب الدف
حال الذكر فمن اقبح القبيح والله ولي دينه وناصر نبيه فجعلت تضرب فدخل ابو بكر وهي تضرب جملة
حالية ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فالقت الدف تحت استها بهمزة وصل
مكسورة وسكون سين اي اليتها بان رفعها ووضعته تحتها ثم قعدت عليها اي على استها للتستر عن
عمر هيبة وفي رواية ثم قعدت عاليه اي على الدف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليخاف
منك يا عمر يريد به تلك المراة السودا لانها شيطان الانس وتفعل فعل الشيطان والمراد شيطانها
الذي يحملها على فعلها المكروه وهو زيادة الضرب التي هي من جنس اللهو على ما حصل به اظهار الفرح
اني كنت جالسا استيناس تعليل وهي تضرب حال فدخل ابو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب
ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت انت يا عمر القت الدف اي تحت استها ثم قعدت عليها قال التوربشتي
وانما مكنها صلى الله عليه وسلم من ضرب الدف بين يديه لانها نذرت فدل نذرها على انها عدت انصرافه على حال السلامة
نعمة من نعم الله عليها فانقلب الامر فيه من صنعة اللهو الى صنعة الحق ومن المكروه الى المستحب ثم انه لم
يكره من ذلك ما يقع به الوفا بالنذر وقد حصل ذلك بادنى ضرب ثم عاد الامر في الزيادة الى حد المكروه ولم يكن
يمنعها لانه لو منعها صلى الله عليه وسلم كان يرجع الى حد التحريم فلهذا سكت عنها وحمد انتهاها عما كانت
فيه بمجي عمر انتهى وفيه ان كان يمكن ان يمنعها منعا لا ترجع الى حد التحريم قال الطيبي فان قلت كيف
قرر امساكها عن ضرب الدف ههنا بمجي عمر ووصفه بقوله الشيطان يخاف منك يا عمر ولم يقرر انتهاها
ابي بكر رضي الله عنه الجاريتين اللتين كانتا تدففان ايام منى قلت منع ابو بكر بقوله دعهما وعلله
بقوله فانها ايام عيد وقرره ذلك ههنا فدل ذلك على ان الحالات والمقامات متفاوتة فمن حالة تقتضي
الاستمرار ومن حالة لا تقتضيه اقول ويمكن ان يقال منع الصديق لهما عن فعلهما بخصوص الحضرة
النبوية لا يخلو انه من قصور اداب البشرية فلذا ما قرره ذلك وبين له سبب استمرار فعلهما هنالك
واما ههنا فلو دخل عمر وانهاها على حالها بحضرة سماع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لم يكن يمنعها كما هو
مقتضى حسن ادابه لكن لما جعل الله ما اتاه سببا لانتهايها عن فعلها المكروه بحسب اصله ولو صار

منذورا بموجب نذره استحسنه صلى الله عليه وسلم وقرر امتناعها وقرر صنعه بالقوة الالهية
الغالبة على الارادة الشيطانية وقيل انه صلى الله عليه وسلم علم انتهاها عملها انت ضربه مجي عمر فسكت
ليظهر بذلك فضل عمر ويقوله ما قاله انتهى ولا يخفى ان هذه العلة بدخوله فان الزيادة تبقى
معلولة ثم لا يبعد ان يكون انتهى مدة ضرب الدف على طريقة العرف بابتدا ماتي عمر في مجلس
الحضرة النبوية واظن ان هذا اظهر مما تقدم والله اعلم ثم ظهر لي وجه وهو ان يقال ان عمر رضي
الله عنه علم ان يحب ما صورته يتشبه بالطلا وان كان هو من وجه حق ونظيره ما روي
عن الاسود بن سريع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني قد
حمدت الله بمحامد فقال عليه السلام ان ربك تعالى يحب المدح هات ما امتدحت به ربك
قال فجعلت انشده فجا رجل فاستاذن قال فاستنصتني له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصف لنا ابو سلمة كيف استنصته قال كما يصنع بالهر فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج ثم
اخذت انشده ايضا ثم رجع بعد فاستنصتني فقلت يا رسول الله من ذا الذي تستنصتني
له فقال هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب اخرجه احمد واطلق على هذا باطلا وهو
متضمن حقا لانه حمد ومدح لله الا انه من جنس الباطل اذ الشعر كله من جنس واحد ومن
هذا القبيل ما روي عن عائشة انها قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بخزيرة
طبختها له فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لتاكلنه او
لالطخن وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة وطليت بها وجهها فضحك النبي صلى
الله عليه وسلم ايضا فمر عمر فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما قالت عائشة فما زلت اهاب عمر لهيبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياه رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي واخرجه الملا في سيرته
رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وعن عائشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا لغطا بفتح لام وغين معجمة اي صوتا
شديدا لا يفهم وصوت صبيان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية بفتحتين
اي جارية او امراة منسوبة الى الحبشة تزفن بسكون الزاي وكسر الفا وتضم اي ترقص
والصبيان حولها اي ينظرون اليها ويتفرجون عليها فقال يا عائشة تعالي بفتح اللام اي
تقدمي فانظري وهو امر مخاطبة من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن
كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم كذا ذكره البيضاوي في قوله تعالى قل تعالوا وقرى بضم لام
تعالوا فان الاصل فيه تعاليوا فنقل ضمة اليا الى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها وحذفت
اليا لالتقا الساكنين وعلى هذا يجوز كسر اللام في تعالي كما هو المشهور على السنة اهل زماننا
خصوصا اهل الحرمين الشريفين واما على فتح اللام في الجمع والمخاطبة فبنا على النقل والحذف
فجئت فوضعت لحيي بالاضافة الى المتكلم تثنية لحي بالفتح وسكون الحا المهملة منبت
الاسنان على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجتمع راس الكتف والعضد فجعلت اي شرعت
انظر اليها اي الى الحبشة ما بين المنكبين ظرف لانظر حذف منه في اي فيما بين المنكب الى راسه فقال
لي اي بعد ساعة وكان يقول لي اما شبعت اما شبعت اي مكررا فجعلت اقول لا اي لا الا لعدم
الشبع حرصا على النظر اليها بل كان قصدي من قولي لا لانظر منزلتي اي نهاية مرتبتي وغاية
حظي عنده اذ طلع عمر اي ظهر فارفض الناس عنها بتشديد الضاد المعجمة اي تفرق النظارة الذين

كانوا

كانوا حول الحبشة الراقصة عنها لهيبة عمر والخوف عن انكاره عليهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لانظر الى شياطين الجن والانس وفي رواية شياطين الانس والجن قد فروا من
عمر قالت اي عائشة فرجعت اي من عند النبي صلى الله عليه وسلم الى بيتي وفيه دليل على
عظمة خلقه عليه السلام وغلبته صفة الجمال عليه كما يدل على غلبته نعت الجلال على عمر
رضي الله عنه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب واخرجه ابن السمان
في الموافقة عن عائشة قالت دخلت امراة من الانصار الي فقالت اني اعطيت الله عهدا اذا
رايت النبي صلى الله عليه وسلم لانقرن على راسه بالدف قالت عائشة فاخبرت النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال قولي لها فلتف بما حلفت فقامت بالدف على راس النبي صلى الله عليه وسلم
فنقرت نقرتين او ثلاثا فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها واسرعت الى خدر عائشة فقالت
لها عائشة مالك قالت سمعت عمر فهبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
ليفر من حس عمر **الفصل الثالث** عن انس وابن عمر رضي الله عنهم قال وافقت ربي قال
الطيبي ما احسن هذه العبارة وما الطفها حيث ادعى فيها الادب الحسن ولم يقل وافقني
ربي مع ان الايات انما نزلت موافقة لرايه واجتهاده اقول ولعله رضي الله عنه اشار بقوله
هذا الى ان فعله حادث لاحق وقضا ربه قديم سابق في ثلاث لكن في الرياض عن انس قال قال
عمر وافقت ربي في ثلاث الحديث اخرجه الشيخان وابو حاتم قال الحافظ العسقلاني ليس في
تخصيص الصلوات ما ينفي الزيادة لانه حصلت له الموافقة في اشيا من مشهورها قصة اسارى
بدر وقصة الصلوة على المنافقين وهما في الصحيح واكثر ما وقفنا منها بالتعيين خمسة عشر
قاله صاحب الرياض منها تسع لفظيات واربع معنويات واثنتان في التورية فان اردت تفصيلها
فراجعها فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى لكان حسنا او لو للتمني والمراد ان
نجعل مصلى لصلوة الطواف بان يكون فيما حوله افضل فنزلت فاتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى بكسر الخا على ان الامر للاستحباب وقيل للايجاب وفي نسخة بفتح الخا وهي قراة نافع
والشامي من السبعة قال القاضي اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة
يصلون اليها انتهى والاظهر انه خبر معناه الامر وهو ابلغ في الحكم المقدر كانه امر به وامتثل فاخبروا
المراد بمقام ابراهيم الحجر الذي اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج
او رفع بنا البيت وللاضع من الحج وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي الله عنه
فقال هذا مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب
الشمس حتى نزلت والمراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ
من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
قال البيضاوي وللشافعي في وجوب الركعتين قولان انتهى وهما واجبتان عقب كل طواف
عندنا وقلت يدخل على نسائك البر بفتح الموحدة اي البار وهو الصالح والفاجر اي الفاسق
فلو امرتهن ان يحتجبن اي عن الاجانب مطلقا فنزلت اية الحجاب وهي قوله تعالى واذا
سالتموهن متاعا فسالوهن من ورا حجاب وقد اخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها
قالت كنت اكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فاكل فاصابت اصبعه اصبعي
فقال حس او لو اطاع فيكن ما راتكن عين فنزلت اية الحجاب وقوله حس بكسر السين والتشديد
كلمة يقولها الانسان اذا اصابه ما احرقه كالجمرة والضربة ونحوهما واجتمع نسا النبي صلى الله عليه وسلم

في الفتح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنوا من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له الحديث فنزل يايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله بالتشديد والتخفيف اي يعطيه بدلا عنكن ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وفي رواية لابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام ابرهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر بدل تفصيل باعادة الجار متفق عليه لكن الرواية الثانية منسوبة الى مسلم على ما في الرياض واخرج الواحدي في اسباب النزول وابو الفرج عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربع قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا فانه يدخل عليك البر والفاجر فانزل الله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم لتنتهين او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن ونزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر قلت فتبارك الله احسن الخالقين فنزل وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم تزيد في القران يا عمر فنزل جبريل بها وقال انها تمام الاية اخرجها السخاوي وندبي في تفسيره وقد روي مثل ذلك عن عبد الله بن ابي سرح كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما املى كذلك قال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فارتد وقد روي انه راجع الاسلام واستعمله عمر وعن ابن مسعود اي موقوفا قال فضل الناس بضم فاو وتشديد ضاد معجمة ونصب الناس على انه مفعول ثان مقدم على نائب الفاعل وهو قوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه اي فضله الله عليهم لاختصاصه باربع اي من الخصايل بذكر الاسارى اي بذكرهم اياهم اوبذكرهم عنده يوم بدر امر بقتلهم استيناف او حال فانزل الله تعالى لولا كتاب اي مكتوب وحكم من الله اي سبق اثباته في اللوح او في العلم بانه لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان اهل بدر مغفور لهم لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي من الفدا عوضا عن الاعدام عذاب عظيم اي في الدنيا قبل الاخرى وكان اخذهم الفدية يوم بدر من الكفار خطا في الاجتهاد مبنيا على ان اخذ المال منهم انسب لتتقوى المؤمنون به ولعلهم يؤمنون به بعد ذلك وذهب اليه ابو بكر ومن تبعه من ارباب الجمال او بل ينبغي قتلهم فانهم ايمة الكفر ورؤسايهم وهو قول عمر ومن وافقه من اصحاب الجلال ولما كان صلى الله عليه وسلم من كمال رحمته مايلا الى الجمال اختار قول الصديق في الحال وكان مطابقا لما في ازل الازال من حسن المال وتفصيله على ما في الرياض عن ابن عباس عن عمر قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هولاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله بنو العم وبنو العشيرة والاخوان غير انا ناخذ منهم الفدا فيكون لنا قوة على المشركين وعسى الله ان يهديهم الى الاسلام ويكونوا لنا عضدا قال فما ترى يا ابن الخطاب قلت يا رسول الله ما ارى الذي راى ابو بكر ولكن هولاء ايمة الكفر وصناديدهم فتقربهم فنضرب اعناقهم قال فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفدا فلما اصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر قاعدان يبكيان قلت يا نبي الله من اي شي تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت لبكايكما فقال لقد عرض علي عذابكم ادنى من الشجرة وشجرة قريبة

حينئذ فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة اخرجه مسلم وعند البخاري معناه وفي رواية لاحمد فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم الاية وفي طريق ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي عمر فقال لقد كاد يصيبنا بلا اخرجه الواحدي مسندا في اسباب النزول وفي بعضها لو كان يصيبنا بخلافك شر يا ابن الخطاب وفي رواية لو نزل عن السما نار ما نجا منها الا عمر وفي هذه الاحاديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم باجتهاده وبذكره الحجاب والضمير لعمر من نسا النبي صلى الله عليه وسلم ان تحتجبن فقالت له زينب اي بنت جحش وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم واحدى امهات المومنين وانك علينا اي تحكم وتقدر يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا جملة حالية فانزل الله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن بالكسر ونقله اي اطلبوهن حال كونهن من وراء حجاب اي ستارة وبدعوة النبي اي وباجابة دعايه صلى الله عليه وسلم في حقه بقوله اللهم ايد الاسلام اي اعزه بعمر وبرايه في ابي بكر رضي الله عنه اي وباجتهاده في شان ابي بكر حال خلافته كان اول ناس وفي نسخة صحيحة اول الناس بايعه اي ابا بكر في نسخة غيره تابعه رواه احمد وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الرجل ارفع امتي درجة في الجنة قال ابو سعيد والله ما كنا نرى بضم النون وفتح الرا اي ما كنا نظن ذلك الرجل الا عمر ابن الخطاب حتى مضى سبيله اي مات عمر وفيه دفع لتوهم انه وقع تغير في اخر عمره رواه ابن ماجة قال الطيبي فان قلت فيلزم من هذا انه افضل من ابي بكر قلت قوله صلى الله عليه وسلم ذاك الرجل اشارة الى مبهم والقصد فيه انه يجتهد ويتحرى كل واحد من امته ان ينال تلك الدرجة وانما ينال بتوخي العمل وتحري الاصوب من الاخلاق الفاضلة والاجتهاد في الدين والمواظبة على المبرات ولم يبنا هدهذه الخلال في احد كما شوهد منه رضي الله عنه من اول حاله الى منتهاه وبهذا القياس ضوال المشار اليه هو لا غيره ونحوه اخفا ليلة القدر في الليالي فلا يلزم من هذا انه افضل من ابي بكر وايضا يجوز ان يحمل على الخصوص ويويده التقرير الاول الحديث الذي يتلوه انتهى وحاصل كلامه ان كون المراد بذلك الرجل عمر امر مظنون فيه عند بعضهم فلا يدل على انه افضل من ابي بكر عند الجمهور كما تقرر عليه الانعقاد وحصل به الاعتماد مع انه قد يقال المراد به افضل اهل زمانه حال خلافته فيرتفع الاشكال من اصله لكن في ان المشار اليه بذلك ليس مبهما بل هو معين في الجملة كما هو مصرح في سياق حديث ابن ماجة من طريق عبد الرحمن ابن محمد المحاربي عن ابي امامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله انه قال انه لم تكن فتنة في الارض منذ ذرا الله ادم من فتنة الدجال وذكر الحديث الى ان قال طان من فتنته ان يسلط على نفس واحدة فيقتلها فينشرها بالمنشار حتى يلقى شقين ثم يقول انظروا الى عبدي هذا فاني ابعثه الان ثم يزعم ان له ربا غيري فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله وانت عدو الله انت الدجال والله ما كنت اشد بصيرة بك مني اليوم قال ابو الحسن الطنافسي فحدثنا المحاربي حدثنا عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الرجل ارفع امتي درجة في الجنة قال ابو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى سبيله انتهى سياق ابن ماجة فانظر وتامل سياق الملفق الحديث واختصاره حتى لم يفهم المقصود من الحديث ذكره بيرك فعلى هذا اقول والله ما كنا الى اخره معناه انا كنا نظن ان ذلك الرجل الذي يقتل على يد الدجال هو عمر حتى مات فتبين انه غيره ولكن يشكل افضلية ذلك الرجل ويدفع بان معناه ان ذلك الرجل المقتول على يد الدجال هو الخضر عليه السلام وقد تقدم عن الجزري في باب العلامات بين يدي الساعة انه زمانه فلا اشكال بنا على انه نبي كما هو اصح الاقوال والله اعلم بالحال وعن اسلم هو مولى عمر بن الخطاب كنيته ابو خالد كان حبشيا وقيل من سبي اليمن اشتراه عمر بمكة سنة احدى عشرة سمع عمر وغيره بعثه ابو بكر

وهـ ـــــــــ لله عزوجل

ليقيم الحج بالناس روى عنه زيد بن اسلم وغيره مات في ولاية مروان وله مائة واربع عشرة سنة قال سالني ابن
عمر بعض شانه وفي بعض النسخ عن بعض شانه يعني اي يريد بالضمير عمر ولعل المراد ببعض شانه المخفي
عن الناس من عاداته الكائنة بينه وبين الله على طريق الاخلاص فاخبرته فقال ما رايت احدا قط بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخلال وتعقيبه بقوله من حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على الاول
لان المراد بيان ابتداء استمراره على تلك الحالات وثباته عليها حتى مضى سبيله انتهى وضبط حين بالفتح وفي نسخة
بالجر كان اي ذلك الاحد اجد اي اجهد في الدين واجود اي احسن في طلب اليقين حتى انتهى اي الى اخر عمره
من عمر تنازع فيه اجد واجود ذكره الطيبي وقال السيوطي اي في زمن خلافته ليخرج ابو بكر رواه البخاري وعن
المسور بكسر فسكون ففتح ابن مخرمة بفتح فسكون خاء معجمة ففتح راء هو ابن اخت عبد الرحمن بن عوف ولد بمكة
بعد الهجرة بسنتين وقدم به الى المدينة في ذي الحجة سنة ثمان وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين
وسمع منه وحفظ عنه وكان فقيها من اهل الفضل والدين وتقدمت بقية ترجمته قال لما طعن عمر بصيغة المجهول
اي طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث
وعشرين جعل اي طفق عمر يألم اي يظهر الالم بالانين ونحوه فقال له ابن عباس وكانه اي ابن عباس وكانه
يجزعه بتشديد الزاي اي ينسبه الى الجزع ويلومه عليه ويقول له ما يسليه بما يزيل عنه الجزع نحو قوله
تعالى فزع عن قلوبهم اي ازيل عنهم الفزع والجملة معترضة بين القائل ومقوله يا امير المؤمنين ولئن كان ذلك بالرفع
وفي نسخة بالنصب والمعنى لا تبالغ فيما انت فيه من الجزع قال ميرك وفي نسخة ولئن كان ذلك كذا وقع عند
اكثر الرواة للبخاري والذي في الاصل رواية الكشميهني ولبعضهم ولا كان ذلك وكان دعاء اي لا يكون ما تخافه
او لا يكون الموت بتلك الطعنة لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنت صحبته ثم فارقك وهو
عنك راض اي بقوله لو كان بعدي نبي لكان عمر ثم صحبت ابا بكر فاحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض
اي حيث جعلك امير المؤمنين ثم صحبت المسلمين اي ايام خلافتك فاحسنت صحبتهم اي باظهار العدالة واتقان
السياسة ولئن فارقتهم اي في هذه القضية لتفارقنهم وهم عنك راضون اي وهذه امارة تدل على ان الله
عنك راض وانت راض عنه فانت مبشر بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
والموت تحفة المؤمن حيث يكون سببا للقاء المولى في المقام الاعلى قال اي عمر اما ما ذكرت من صحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فانما ذلك من بفتح ميم وتشديد نون اي منة عظيمة من الله من به علي
اي تفضل علي به من غير كسب بل بجذبة منه فلا انكر كرمه بل اشكره واحمده واما ما ذكرت من صحبة ابي بكر ورضاه
فانما ذلك من الله من به علي اي حيث وفقني على تعظيمه ومساعدته في تقويمه ولعل اعراضه عن
رضى الناس للاشعار بانه لا اعتبار لهم واما المدار على رضى الله كما قال تعالى والله ورسوله احق ان
يرضوه ولان يبان ان رضاهم ايضا من اثر رضى الله ورسوله ومن جملة ما من الله به عليه وهداه الله
اليه واما ما ترى من جزعي اي فزعي المتوهم انه من اجل موتي فهو من اجلك ومن اجل اصحابك عطف باعادة
الجار اي من جهة اني اخاف عليكم من وقوع الفتنة بينكم لما كان كالباب يسد المحن ومن هذه الجملة اخاف ايضا
على نفسي ولذا من من عذابي لذنبه فوالله لو ان لي طلاع الارض بكسر اوله اي ما يملاها ذهبا حتى
يطلع ويسيل لافتديت به من عذاب الله قبل ان اراه اي الله او عذابه وانما قال ذلك لغلبة الخوف الذي
وقع له في ذلك الوقت من خشية التقصير فيما يجب من حقوق الله او من الفتنة بمدحهم كذا في فتح
الباري وقال الطيبي كانه رضي الله عنه رجح جانب الخوف على جانب الرجاء لما اشعر من فتن تقع بعده
في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن لهم وترحم عليهم ومن استغنى الله عن العالمين كما قال عيسى
عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وكان جانب الخوف عليه غالبا فاستمر على ذلك هضما

لنفسه

لنفسه وانكسارا وتذكرا بسبب ما حصل له من الفضيلة الى منة الله تعالى وافضاله وفي الاستيعاب
ان عمر رضي الله عنه حين احتضر قال وراسه في حجر ابنه عبد الله ظلوم لنفسي غير اني مسلم اصلي صلاتي كلها
واصوم قال المؤلف ودفن يوم الاحد غاية محرم سنة اربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو
اصح ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وصلى عليه صهيب وروى عنه ابو بكر وباقي العشرة
وخلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين رواه البخاري وفي الرياض من جملة كراماته
ومكاشفاته ما روي عن عمرو بن الحارث قال بينما عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل
مرتين او ثلاثا ثم اقبل على خطبته فقال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لمجنون ترك
خطبته ونادى يا سارية الجبل فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال يا امير المؤمنين
تجعل للناس عليك مقالا بينما انت في خطبتك اذ ناديت يا سارية الجبل اي شيء هذا فقال والله ما ملكت
ذلك حين رايت سارية واصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون منه من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك
ان قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض ايام حتى جاء رسول سارية بكتابه بان القوم لقونا
يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصبح الى ان حضرت الجمعة ودر حاجب الشمس فسمعنا صوت
مناد ينادي الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى وروي ان مصر
لما فتحت اتى اهلها عمرو بن العاص وقالوا له ان هذا النيل يحتاج في كل سنة الى جارية بكر من احسن
الجواري فتلقيها فيه والا فلا يجري وتخرب البلاد وتقحط فبعث عمرو الى امير المؤمنين عمر يخبره بالخبر
فبعث اليه عمر الاسلام يجب ما قبله ثم بعث اليه بطاقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الى نيل مصر من عبد
الله بن عمر بن الخطاب اما بعد فان كنت تجري بامر الله فاجر على اسم الله وامره ان يلقيها في النيل فجرى
في تلك الليلة ستة عشر ذراعا فزاد على كل سنة ستة اذرع وفي رواية فلما القى كتابه جرى ولم
يعد يقف خرجها الملا في سيرته قلت الاول اخرجه البيهقي وابو نعيم واللالكائي وابن الاعرابي
والخطيب وابن مردويه عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن والثاني اخرجه ابو الشيخ في العظمة
بسنده الى قيس بن الحجاج عن حدثه ولما دخل ابو مسلم الخولاني المدينة من اليمن وكان الاسود بن
قيس الذي ادعى النبوة في اليمن عرض عليه انه يشهد انه رسول الله فابى فقال اتشهد ان محمدا رسول
الله قال نعم قال فامر بتاجيج نار عظيمة والقي فيها ابو مسلم فلم يضره فامر بنفيه من بلاده فقدم المدينة
فلما دخل من باب المسجد قال عمر هذا صاحبكم الذي زعم الاسود الكذاب انه يحرقه فنجاه الله منها ولم يكن
القوم ولا عمر سمعوا قصته ولا راوه ثم قام اليه واعتنقه وقال انت عبد الله بن ايوب قال بلى
فبكى عمر ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني في امة محمد صلى الله عليه وسلم شبيها بابراهيم الخليل عليه السلام
وروي انه عس ليلة من الليالي فاتى على امراة وهي تقول لابنتها قومي وامزجي اللبن فقالت لا تفعلي
فان امير المؤمنين عمر نهى عن ذلك قالت ومن اين يدري فقالت فان لم يعلم هو فان رب امير المؤمنين
يدري فذكر فلما اصبح عمر قال لابنه عاصم اذهب الى مكان كذا وكذا فان هناك صبية فان لم تكن مشغولة
فتزوج بها لعل الله ان يرزقك منها نسمة مباركة فتزوج عاصم تلك الصبية فولدت له ام عاصم بنت عاصم بن
عمر فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز خرجها في الفضائل وروي عن عمر انه
ابصر اعرابيا نازلا من جبل فقال هذا رجل مصاب بولده قد نظم فيه سبعة ابيات لو شاء لاسمعكم ثم قال
يا اعرابي من اين اقبلت فقال من اعلى هذا الجبل قال وما صنعت فيه قال اودعته وديعة لي قال وما
وديعتك قال بني لي هلك قد دفنته فيه قال فاسمعنا من مرثيتك فيه فقال ما يدريك يا امير المؤمنين فوالله
ما تفوهت بذلك وانما حدثت به نفسي ثم انشد شعرا

ووقف شعو جل

يا عابيا ما يوجب معز • عاجله عند موقفي على صفره • يا قرة العين كنت في انسا في طول لياليهم وفي قصره • يا نفع الدين حيث ما وقفت • في الحبيب من الاعلى اثره • شريت كاساعن الوكى تاربه • لابد منه لوعى كبره • يتوبيها والانام كلهم • من كان في بدوه وفي حضره • فالحمد لله لاشريك له • في حكمه كان ذا وفي قدره • قد رمونا على العباد فما يقدر يخلق في بيديهم عمره • قال فبكى عمر حتى بل لحيته ثم قال صدقت يا اعرابي ومن كثرة اتباعه للسنة ما رواه احمد عن عبد الله بن عباس قال كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جا فصلى بالناس فاتاه العباس وقال والله انه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر للعباس وانا اعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في موضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس اخرجه وهذه الاستقامة خير من الف كرامة ومع ذلك ان نفقته في حجة كانت ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول اسرفنا في هذا المال ولم يستظل الا تحت كساء او نطع ملقية على شجرة

باب مناقب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما

الفصل الاول عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة اي يدفعها من ورائها اذ اعيي بفتح الهمزة وفي نسخة صحيحة اذ اعيي بفتح العين وكسر اليا الاولى اي تعب الرجل من المشي فركبها فقالت انا اي جنس البقر لم نخلق لهذا اي للركوب انما خلقنا لحراثة الارض بفتح الحا اي اثارتها لزراعتها وفيه دلالة على ان ركوب البقرة والحمل عليها غير مرضي كما ذكره ابن الملك فالحصر اضافي لتاكيد ما قبله وقال ابن حجر استدل به على ان الدواب لا يستعمل الا فيما جرت العادة باستعمالها فيه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى تعظيم ما خلقت ولم يرد الحصر في ذلك لانه غير مراد اتفاقا لان من اجل ما خلقت له انها تذبح وتوكل بالاتفاق قلت لا اشكال ان الحديث يفيد نفي جواز ركوب البقر لا سيما وقد قرره صلى الله عليه وسلم وليس الكلام في ذبحها واكلها لانهما معلومان من الدين بالضرورة فهما مستثنيان شرعا وعرفا فقال الناس اي الحاضرون سبحان الله اي تعجبا تكلم بضم الميم مضارع حذف منه احدى التائين اي البقرة تتكلم والحال انها من الحيوان الصامتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اومن به جزا شرط محذوف اي فان كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فاني لا استغربه واومن به انا وابو بكر وعمر قال ثم ادرج عطف على المستكن في اومن وانا تاكيد له وقال الطيبي فان قلت ما فائدة ذكر انا وعطف ما بعده عليه وهلا عطف على المستتر في اومن مستغنيا عنه بالجار والمجرور قلت لعله لم يذكر انا لاحتمل ان يكون وابو بكر عطفا على محل ان واسمها والخبر محذوف فلا يدخل في معنى التاكيد ويكون هذه الجملة واردة على التبعية ولا كذلك في هذه الصورة يعني في زيادة انا فانه يفيد صحة الاشتراك وما هما ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم اي وليس ابو بكر وعمر في المكان الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه الكلام المذكور وفي رواية الترمذي فاني اومن به كلاهما ابو بكر وعمر وما هما في القوم يوميذ قال التوربشتي انما اراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذي بلغ عين اليقين وكوشف صاحبه بالحقيقة التي ليس وراءها للتعجب مجال قال ابن الملك قوله به اي اصدق انا بما اخبرت به مما كان من تكلم البقرة وابو بكر وعمر لقوة ايمانهما بما اخبرت قال ابن حجر هو محمول على انه صلى الله عليه وسلم كان اخبرهما به فصدقاه او اطلق ذلك لما اطلع عليه من انهما يصدقان بذلك ولا يترددان فيه انتهى والاخير هو الصحيح لما يدل عليه مقام المدح وكما يشعر اليه قول الراوي وما هما ثم والا فكل مومن يصدق النبي فيما اخبره به فلا بد من وجه يميزهما عن غيرهما كما يشير اليه مشاركتهما في الايمان المنسوب اليه صلى الله عليه وسلم عليه وقال اي النبي عليه السلام بينما

رجل

رجل في غنم له اي في قطعة غنم كاينة له ملكا او اختصاصا برعيها اذ عدا الذيب اي حمل ذيب من الذياب على شاة منها اي من قطعة الغنم فاخذها اي الذيب الشاة فادركها صاحبها فاستنقذها اي استخلصها من الذيب فقال له الذيب فمن لها اي فمن يحفظ الشاة يوم السبع بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وفي نسخة بضمها لا راعي لها غيري روي السبع بضم البا وسكونها كعضد وعضد والمراد بيوم السبع حين يموت الناس ويبقى الوحوش او يوم الاهمال من قولهم سبع الذيب الغنم اذا افترسها واهملها فالمراد به من لها عند الفتن حين يتركها الناس لا راعي لها نهبة للذياب والسباع فجعل السبع لها راعيا اذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم البا وقيل يسكن على لغة تميم وهذا انذار بما يكون من الشدايد والفتن التي يهمل الناس فيها مواشيهم فيتمكن منها السباع بلا مانع وقيل يوم السبع بسكون البا الموضع الذي عنده المحشر يريد بيومه يوم القيامة وهو ضعيف لا يناسب ما بعده من قوله لا راعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذيب يتكلم فقال اومن به انا وابو بكر وعمر وما هما ثم متفق عليه واخرجه احمد وعن ابن عباس قال اني لواقف في قوم فدعوا اي القوم لعمر وقد وضع على سريره بجملة حالية من والمعنى انه وضع عمر يوم مات على سريره للمغسل وحضره جمع من اصحابه اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه بكسر الميم وفتح الفا ويجوز عكسه على منكبي بفتح ميم وكسر كاف يقول اي مخاطبا لعمر رحمك الله وفي رواية رحمك الله اني لارجوا وفي نسخة اني كنت لارجوا ان يجعلك الله مع صاحبيك اي النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر في القبر وفي الجنة ذكره السيوطي قال الطيبي واللام في قوله لاني تعليل لقوله ان يجعلك الله مع صاحبيك اي ارجو ان يجعلك معهما فعلم ان ما في كثيرا ما كنت زايدة لافادة المبالغة في الكثرة عكس قوله تعالى وقليل ما هم قال الطيبي كذا في صحيح البخاري وما فيه ابهامية موكدة وليس في جامع الاصول لفظ ما فقوله كنت خبر ان وكثيرا ظرف وعامله كان قدم عليه ونحوه قليلا ما يشكرون وفي اكثر نسخ المصابيح وقع هكذا اني كثيرا مما كنت بزيادة من وليس له محل صحيح الا ان يتعسف ويقال اني اجد كثيرا مما كنت اسمع اقول ويمكن ان يكون ما موصولة بمعنى من والمعنى لاني في كثير من الاوقات ممن كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت اي في مكان كذا وابو بكر وعمر وفعلت اي الشي الفلاني من امور الطاعة العبادة او من رسوم العادة وابو بكر وعمر وانطلقت اي ذهبت اي الى مكان كذا وابو بكر وعمر ودخلت اي المسجد ونحوه وابو بكر وعمر وخرجت اي من نحو البيت وابو بكر وعمر قيل دل على جواز العطف على الضمير المرفوع المتصل بلا تاكيد وفصل وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر الا على ضعف والصحيح جواز نظما ونثرا كما قاله المالكي ونظيره قول عمر كنت وجار لي من الانصار وكذا قوله تعالى ما اشركنا ولا اباونا فان كلمة لا بعد العاطف ومع ذلك هي زايدة انتهى وفي رواية زاد هنا فاني كنت لارجو ان يجعلك الله معهما قال ابن عباس فالتفت اي اليه ورائي فاذا اي ذلك الرجل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وفي نسخة عنهم متفق عليه وفي رواية لهما عنه وانه وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي من ورائي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جيت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر واني كنت لارجو ان يجعلك الله معهما

الفصل الثاني عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراون بفتح اليا والهمز من الروية واصله يترايون من باب التفاعل اي يرى بعضهم

وقف ـــــ لله تعالى

وقف ـــــ شرعي وصل

بعض اهل عليين اي مقامهم ومنزلتهم في غاية من العلو والارتفاع كما ترون اي تبصرون الكوكب الدري
بضم الدال ويكسر وتشديد الياء التحتية ويهمز ايضا اي المضي لدرئه اي الدافع بنوره ظلمة ما حوله في افق
السما بضمتين ويسكن الثاني على ما في القاموس اي ناحيتها وجمعه افاق وان ابا بكر وعمر منهم اي من
اهل عليين وانعما اي زاد في الدرجة والرتبة وتجاوزا عن كونهما اهل عليين في المنزلة وقيل المعنى
دخلا في النعيم كما يقال اشمل اذا دخل في الشمال وهو عطف على المقدر في لمنهم اي استقرا منهم وانعما
رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وروى نحوه ابو داود والترمذي قال التوربشتي
وفي اكثر نسخ المصابيح لمنهم واللام زايدة في الرواية فانه نقل هذا الحديث عن كتاب الترمذي وفيه
منهم وانعما من غير لام قال الطيبي وكذا في سنن ابي داود وابن ماجة وجامع الاصول بغير لام
وقال السيوطي في الجامع الصغير ان اهل الجنة ليتراون اهل الغرف من فوقهم كما تراوون الكوكب
الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم رواه احمد والشيخان عن ابي سعيد
والترمذي عن ابي هريرة وزاد في الجامع الكبير قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم
قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين رواه ابن حبان والدارمي عن
ابي سعيد ورواه ابن حبان عن سهل بن سعد ان اهل الجنة ليتراون الكوكب في السما وفي رواية
لاحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عن ابي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر
عن ابن عمر وعن ابي هريرة ان اهل الدرجات العلى ليراهم من هو اسفل منهم كما ترون الكوكب
الطالع في افق السماوات وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وفي رواية لابن عساكر عن ابي سعيد ان اهل
عليين ليشرف احدهم على الجنة فيضي وجهه لاهل الجنة كما يضي القمر ليلة البدر لاهل الدنيا
وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر سيدا كهول
اهل الجنة الكهول بضمتين جمع الكهل وهو على ما في القاموس من جاوز الثلاثين او اربعا وثلاثين
الى احدى وخمسين فاعتبر ما كانوا عليه في الدنيا حال هذا الحديث والا لم يكن في الجنة كهل كقوله
تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقال الشارح يعني الكهول عند الدخول وهو معلول مدخول وقيل
سيدا من مات كهلا من المسلمين فدخل الجنة لانه ليس فيها كهل بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين
واذا كانا سيدي الكهول فاولى ان يكونا سيدي شباب اهلها انتهى وفيه بحثان لا يخفيان من
الاولين اي من اوليا الامم المتقدمين فيكونان افضل من اصحاب الكهف ومومن ال فرعون ومن
الخضر ايضا على القول بانه ولي والاخرين اي من اوليا هذه الامة وعلمايهم وشهدايهم الا النبيين
والمرسلين فخرج عيسى عليه السلام وكذا الخضر على القول بنبوته رواه الترمذي اي عن انس ورواه
ابن ماجة عن علي رضي الله عنه وفي الجامع الصغير رواه احمد والترمذي وابن ماجة عن علي وابن ماجة
عن ابي جحيفة وابو يعلى والضيا في المختارة عن انس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن ابي سعيد
وفي الرياض عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع ابو بكر وعمر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب واخرجه عن انس وقال حسن غريب واخرجه احمد
وقال سيدا كهول اهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين واخرجه المخلص الذهبي
ولم يقل شبابها وزاد قال يا علي فما اخبرته به حتى ماتا ولو كانا حيين حتى ما حدثت به قوله ولا تخبرهما
يا علي ربما يسبق الى الوهم انه عليه السلام خشي عليهما العجب والامن وذلك وان كان من طبع البشرية
الا ان منزلتهما عنده صلى الله عليه وسلم واعلى من ذلك وانما معناه والله لا تخبرهما يا علي قبلي لابشرهما

بنفسي

بنفسي فيبلغهما السرور مني وانما قال سيدا كهول اهل الجنة مع ان اهل الجنة شباب اشارة الى
كمال الحال فان الكهل اكمل الانسانية عقلا من الشباب ومدارج الجنة على قدر العقول كما روي انه صلى
الله عليه وسلم قال لعلي يا علي اذا تقرب الناس بانواع البر فتقرب انت بانواع العقل اخرجه الجندي
وعن الشعبي قال اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني ابي بكر وعمر فاقبل احدهما اخذ بيد صاحبه فقال صلى
الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى سيدي كهول اهل الجنة فلينظر الى هذين المقبلين رواه
الغيلاني وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقائي فيكم وفي رواية
الا قليلا قال الطيبي ما استفهامية اي لا ادري كم مدة بقائي فيكم اقليل ام كثير وفيه تعليق فاقتدوا
باللذين بالكلامين للاشعار بانه تثنية الذي من بعدي ابي بكر وعمر بدل من اللذين وفي رواية
واشار الى ابي بكر وعمر رواه الترمذي وفي الجامع اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رواه احمد
والترمذي وابن ماجة عن حذيفة وزاد الحافظ ابو الفضل العصار فانهما حبل الله الممدود فمن تمسك
بهما تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
لم يرفع احد اي من الصحابة راسه اي راس نفسه لهيبة مجلسه ورعاية الادب حال انبساطه
وانسه وابعد شارح حيث قال اي راس النبي صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بذكر الله تعالى غير ابي
بكر وعمر بالرفع على البدلية من احد وفي نسخة بالنصب على الاستثنا كانا يتبسمان اليه ويتبسم اليهما
استينا في بيان والتبسم مجاز عن كمال الانبساط فيما بينهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وفي الرياض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فلا يرفع اليه احد منهم بصره الا ابا بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان
اليه ويتبسم اليهما اخرجه احمد والترمذي وقال غريب والمخلص الذهبي والحافظ الدمشقي
وعن ابي هريرة قال كنا نجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم كان على روسنا الطير ما تكلم احد منا الا ابو
بكر وعمر وعن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على روسنا الطير ما تكلم احد منا الا ابو بكر
وعمر وعن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اي من الحجرة الشريفة ودخل المسجد
وابو بكر وعمر احدهما عن يمينه والاخر عن شماله الظاهر انه نوع لف ونشر مرتب فوض الى راي السامع لظهوره
عنده وهو اخذ بصيغة اسم الفاعل بايديهما اي بايديهما فقال هكذا اي بالوصف المذكور من الاجتماع
المسطور نبعث اي نخرج من القبور الى موضع الحشر يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث
غريب وعن عبد الله بن حنطب بفتح الحا والطا المهملتين بينهما نون ساكنة ومنهم من يروي بالظا
المعجمة ومنهم من يضمهما ذكره ابن الملك وهو تابعي ولم يذكره المولف في اسمايه ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى ابا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر اي نفسهما مبالغة كرجل عدل او هما في المسلمين او في
الدين كالسمع والبصر في الاعضا فحذف كاف التشبيه للمبالغة ولذا يسمى تشبيه بليغ او هما في العزة
عندي بمنزلتهما ويويد هذا ما ذهب اليه بعضهم من ان المراد بالاسماع والابصار في قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا ابو بكر وعمر قال القاضي ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم سماهما بذلك لشدة
حرصهما على استماع الحق واتباعه وتهالكهما على النظر في الايات المنبثة في الانفس والافاق والتامل
فيها والاعتبار بها انتهى وفيه دليل على فضل السمع على البصر كما يويده الايات القرانية من قوله وجعل
لكم السمع والابصار ونحوه في مواضع كثيرة بتقديم السمع على البصر ولعل وجهه ان حصول العلم بدون
البصر يتصور بخلاف فقد السمع مع انه يستلزم الصم البكم والله اعلم رواه الترمذي مرسلا
قال شارح وهذا الحديث مرسل لان عبد الله الراوي لم ير النبي صلى الله عليه وسلم زاد ميرك وقد

يقال له صحبة قلت وقد يقال له رؤية لكن ليس له رواية لكن قال السيوطي في الجامع الصغير ابو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الراس رواه ابو يعلى في مسنده عن المطلب بن عبد الله ابن حنطب عن ابيه عن جده مرفوعا قال ابن عبد البر وماله غيره ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس مرفوعا والخطيب عن جابر مرفوعا وروى الملا في سيرته عن ابن مسعود وابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر في امتي مثل الشمس والقمر في النجوم وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وله وزيران من اهل السما ووزيران من اهل الارض الوزير الموازر لانه يحمل الوزر اي الثقل عن اميره والمعنى انه اذا اصابه امر شاوره كما ان الملك اذا حزبه امر مشكل شاور وزيره ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري اي عضدي ليحصل به نصري واشركه في امري اي في تدبير امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان الهيئة الاجتماعية لها بركة كثيرة في العبادات الالهية فاما وزيراي من اهل السما فجبريل وميكايل فيه دلالة ظاهرة على فضله صلوات الله عليه على جبريل وميكايل عليهما السلام كما ان فيه ايماء الى تفضيل جبريل على ميكايل واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر فيه دلالة ظاهرة على فضلهما على غيرهما من الصحابة وهم افضل الامة وعلى ان ابا بكر افضل من عمر لان الواو وان كان لمطلق الجمع ولكن ترتيبه في لفظ الحكيم لابد له من اثر عظيم رواه الترمذي وقال حسن غريب ورواه الحاكم عن ابي سعيد والحكيم عن ابي هريرة بلفظ ان لي وزيرين من اهل السما ووزيرين من اهل الارض فوزيراي من اهل السما جبريل وميكايل ووزيراي من اهل الارض ابو بكر وعمر وروى ابن عساكر عن ابي ذر ولفظه ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر واخرج الحافظ ابو الحسن علي ابن نعيم البصري عن انس بن مالك قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره قال فمد يده المباركة بين كتفي ابي بكر وعمر ثم قال لهما انتما وزيراي في الدنيا وانتما وزيراي في الاخرة هكذا ينشق الارض عني وعنكما وهكذا ازور وانتما رب العالمين وعن الحسن البصري قال مكتوب على ساق العرش او في ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ووزيراه ابو بكر الصديق وعمر الفاروق اخرجه صاحب الديباج وعن عبد العزيز بن عبد المطلب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ايدني من اهل السما بجبريل وميكايل ومن اهل الارض بابي بكر وعمر اخرجه السمرقندي وعن ابي بكرة اي الثقفي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم رايت كان بتشديد النون ميزانا نزل من السما فوزنت بصيغة المجهول المخاطب انت ضمير فصل وتاكيد لتصحيح العطف وابو بكر فرجحت بفتح الجيم وسكون الحا اي ثقلت وغلبت انت للتاكيد المجرد ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان وفيه ايما الى وجه ما اختلف في تفضيل علي وعثمان فاستا بهمز وصل وسكون سين فتا فالف فهمز اي فحزن لها اي للرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عند قول الراوي فساءه اي فاحزن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي ما ذكره الرجل من رؤياه وذلك لما علم صلى الله عليه وسلم من تاويل رفع الميزان انحطاط رتبة الامور وظهور الفتن بعد خلافة عمر ومعنى رجحان كل من الاخر في الميزان ان الراجح افضل من المرجوح وانما لم يوزن عثمان وعلي لان خلافة علي على اختلاف الصحابة فرقة معه وفرقة مع معاوية فلا يكون خلافة مستقرة متفقة عليها ذكره ابن الملك وفي النهاية استا بوزن افتعل من السوء وهو مطاوع سا يقال استا فلان بكذا اي ساءه ذلك وقوله فاستالها اي طلب تاويلها بالنظر والتامل قال التوربشتي انما ساءه والله اعلم من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه من تاويل

رفع الميزان فان فيه احتمالا لانحطاط رتبة الامر في زمان القائم به بعد عمر رضي الله عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتاييد ويحتمل ان يكون المراد من الوزن موازنة ايامهم لما كان نظر فيها من رونق الاسلام وبهجته ثم ان الموازنة انما تراعى في الاشيا المقاربة مع مناسبة فيظهر الرجحان فاذا تباعدت لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان فقال اي النبي عليه السلام خلافة نبوة بالاضافة ورفع خلافة على الخبر اي الذي رايته خلافة نبوة وقيل التقدير هذه خلافة ثم يوتي الله الملك من يشا وقيل اي انقضت خلافة نبوة يعني هذه الرويا دالة على ان الخلافة بالحق ينقضي وينتهي حقيقتها بانقضا خلافة عمر رضي الله عنه وقال الطيبي دل اضافة الخلافة الى النبوة على ان لا شوب فيها من طلب الملك والمنازعة فيه لاحد وكانت خلافة الشيخين على هذا وكون المرجوحية انتهت الى عثمان رضي الله عنه دل على حصول المنازعة فيها وان الخلافة في زمن عثمان وعلي مشوبة بالملك فاما بعدهما فكانت ملكا عضوضا رواه الترمذي وابو داود واخرج احمد في مسنده عن ابن عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غدوة بعد طلوع الشمس فقال رايت قبل الفجر كاني اعطيت المقاليد والموازين فاما المقاليد فهي المفاتيح واما الموازين فهذه التي يوزن بها ووضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت ثم جي بابي بكر فوزن بهم فرجح ثم جي بعمر فوزن بهم فرجح ثم جي بعثمان فوزن بهم فرجح ثم رفعت قلت ولعل في راجحية كل احد منهم بجميع الامة ايما الى اتفاق جميع الامة على خلافته وكان قعد بهم وفا بحلهم وفي رفع الميزان اشارة الى الاختلاف الواقع بعد ذلك ولا تنافي بين هذا الحديث وبين حديث اخرجه احمد ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال رايت الليلة في المنام كان ثلاثة من اصحابي وزنوا فوزن ابو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح انتهى بل يحملها على معنيين مختلفين جمعا بين الحديثين بقدر الامكان فان ذلك اولى من الغا احدهما فيحمل قوله السابق فرجح ابو بكر على ما تقدم من الاتفاق على خلافته ويحمل قوله فوزن على موافقة رايهم وان رايه وازن لهم فجاموا معتدلا معهم لم يخالفوه في رايه ومن احاديث الباب ما اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ينشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين ومما يناسبه ما روي عن مالك بن انس وقد ساله الرشيد كيف كان منزلة ابي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته قال لقرب قبريهما من قبره بعد وفاته قال شفيتني يا مالك اخرجه البصري والحافظ السلفي ونحوه اخرجه ابن السمان في الموافقة عن علي بن الحسين ومما يناسبه ايضا ما اخرجه القلعي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم استسلف من اليهودي شيا الى الحول فقال ارايت ان جيت ولم اجدك فالى من اذهب قال الى ابي بكر قال فان لم اجده قال الى عمر قال ان لم اجده قال انه استطعت ان تموت اذا مات عمر فمت ومن احاديث الباب ما اخرجه احمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة مرفوعا اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر واخرجه الطبراني من حديث ابي الدردا والحاكم من حديث ابن مسعود

الفصل الثالث

عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يطلع بتشديد الطاء اي يشرف او يظهر او يدخل عليكم رجل من اهل الجنة فاطلع ابو بكر ثم قال يطلع عليكم رجل من اهل الجنة فاطلع عمر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عايشة رضي الله عنها قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري بفتح الحا وكسرها في ليلة ضاحية اي مقمرة اذ قلت يا رسول الله هل يكون

لاحد من الحسنات عدد نجوم السما قال نعم عمر قلت فاين حسنات ابي بكر قال انما جميع حسنات عمر
كحسنة واحدة من حسنات ابي بكر ولعلها سبقه الي الاسلام والله اعلم بالمرام رواه رزين وان
اتفق خلاف ذكرته في باب النظر راجعا اليه في ثانيه متصوبين رايه معترفين بان الحق كان
معه كما في قتال اهل الردة ونحو ذلك وهذا المعني فقد في عثمان فانهم خالفوا لا يخفي
كثير من وقايعه فلم يرجعوا اليه بل امروا الي انكارهم عليه حتي قتل وكان مع ذلك علي الحق
علي ما تشهد به الاحاديث وكان رجلا صالحا علي ما دل عليه هذا الحديث فالنقص انما كان
عما ثبت للشيخين قبله كذا احققه الطيبي في الرياض النظرة في فضايل العشرة باب
مناقب عثمان رضي الله عنه الفصل الاول عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه او ساقيه قال النووي احتج به المالكية وغيرهم ممن
يقول ليست الفخذ عورة ولا حجة فيه لانه شك الراوي في المكشوف هل هما الساقان
ام الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ قلت ويجوز ان يكون المراد بكشف الفخذ كشفه
عما عليه من القميص لا من الميزر كما سيأتي مما يشير اليه من كلام عايشة وهو الظاهر من احواله صلى الله
عليه وسلم مع اله وصحبه فاستاذن ابو بكر فاذن له وهو علي تلك الحالة فتحدث ثم استاذن
عمر فاذن وهو كذلك فتحدث ثم استاذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بعد ما كان مضطجعا وسوي ثيابه اي ابعد عدم تسويته وفيه ايما الي انه اما لم
يكن كاشفا عن نفس احد العضوين بل عن الثياب الموضوعة عليها ولذا لم ينقل وستر
فخذه فارتفع به الاشكال واندفع به الاستدلال والله اعلم بالاحوال فلما خرج اي عثمان
ومن معه او تقديره فلما خرج القوم قالت عايشة دخل ابو بكر فلم تهتش له بتشديد الشين
اي لم تتحرك لاجله وفي شرح مسلم الهشاشة هي البشاشة وطلاقة الوجه وحسن الالتقا ولم
تباله اي ابا بكر وفي نسخة بها السكت ففي القاموس ما باليه مبالاة اي ما اكترث والمعني
ثبت علي اضطجاعك وعدم جمع ثيابك ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست
وسويت ثيابك فقال الا استحي من رجل تستحي منه الملائكة بالياء بين في الفعلين وهي اللغة الفصحي
قال النووي فيه فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وان الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة
قال المظهر وفيه دليل علي توقير عثمان رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن لا يدخل علي حط منصب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما عنده صلى الله عليه وسلم وقلة
الالتفات اليهما لان قاعدة المحبة اذا كملت واشتدت ارتفع التكلف كما قيل اذا حصلت الالفة بطلت
الكلفة قلت فانقلب الحديث دلالة علي فضلهما لا انه لما كان الظاهر المتبادر منه تعظيمه وتوقيره ذكر
في باب مناقبه واغرب ابن الملك حيث جزم ان المراد بالاستحيا التوقير وسياتي في الرواية الاتية
ما يدل علي ان المراد به حقيقة الاستحيا وذلك لان مقتضي حسن المعاملة والمجاملة في المعاشرة
هو المشاكلة والمقابلة بالنسبة الي كل احد من غلبة الصفة والحالة التي يكون فيه الا ترى
ان من راعي صاحبه بكثرة التواضع يقتضي له زيادة التواضع معه وكذا اذا كان كثير الانبساط
يوجب الانبساط واذا كان كثير الادب يحمل صاحبه علي تكلف الادب معه وعلي هذا القياس ساير
الاحوال من السكوت والكلام والضحك والقيام وامثال ذلك وقد قال الحافظ السيوطي في فتاويه سئلت
عن الموطن الذي استحت فيه الملايكة من سيدنا عثمان رضي الله عنه فاجبت لم اقف عليه في
حديث يعتمد ولكن افاد شيخنا البدر النسابة في بعض مجاميعه عن الجمال الكازروني انه لما اخي

ووقف سبع وجل

بين المهاجرين والانصار بالمدينة في عتبة انس بن مالك وتقدم عثمان لذلك كان صدره
مكشوفا فتاخرت الملائكة حيا فامره النبي صلى الله عليه وسلم بتغطية صدره فعادوا الي مكانهم
فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب تاخرهم فقالوا حيا من عثمان انتهي فهذا ايد على ان
الحيا يوجب الحيا وان حيا الملائكة صار سببا لحيا عثمان وكان استمر عليه وبالغ فيه حتي صار سببا
لاستحيا غيره وعنه والله اعلم وعن الحسن وذكر عثمان وشدة حيائه فقال ان كان ليكون
في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الما يمنعه الحيا ان يقيم
صلبه كذا اخرجه احمد وصاحب الصفوة في رواية قال ميرك ظاهر ايراد المص يقتضي ان الرواية
الثانية من التي قبلها في حديث واحد وانما هما حديثان فما تقدم من حديث عايشة والرواية
الثانية من حديث سعيد بن العاص ان عثمان وعايشة حدثاه ان ابا بكر استاذن علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع علي فراشه لابس مرط عايشة فاذن لابي بكر وهو كذلك
فقضي اليه حاجته ثم انصرف ثم استاذن عمر فاذن له وهو علي تلك الحالة فقضي اليه حاجته
ثم انصرف قال عثمان ثم استاذنت عليه فجلس وقال لعايشة اجمعي عليك ثيابك يعني المرط
قال فقضيت اليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عايشة يا رسول الله ما لي لم اراك فزعت
لابي بكر وعمر كما فزعت لعثمان فقال ان عثمان رجل حيي فعيل بمعني كثير الحيا واني
خشيت ان اذنت له علي تلك الحالة ان لا يبلغ الي في حاجته اي ان اذنت له في تلك الحالة
اخاف ان يرجع حيا مني عندما يراني علي تلك الهيئة ولا يعرض علي حاجته لغلبة ادبه
ولكثرة حيائه رواه مسلم وكذا احمد وابو حاتم وروي احمد عن حفصة قالت دخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع ثوبه بين فخذيه فجا ابو بكر يستاذن فاذن له وهو علي
هيئته ثم جا عمر يستاذن فاذن له وهو علي هيئته ثم جا عثمان يستاذن فتجلل ثوبه
ثم اذن له فتحدثوا ساعة ثم خرجوا قالت يا رسول الله دخل ابو بكر وعمر وعلي وناس من
اصحابك وانت علي هيئتك لم تتحرك فلما دخل عثمان تجللت ثوبك فقال الا استحي ممن يستحي
منه الملائكة وخرجه ابو زرعة في مختصر وقال البخاري قال محمد ولا اقول ذلك في يوم واحد
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان رجل ذو حيا فسالت ربي ان لا يوقفه للحساب فشفعني
فيه وفي رواية اني سالت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسالت الله ان لا يحاسب عثمان وفي
رواية فسالت الله ان يحاسبه سرا وهذه من خصايصه اذ ورد ذكره في سياق اول من
يحاسب ابو بكر ثم عمر ثم علي وقد اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا اشد امتي
حيا ابن عفان واخرج ابن عساكر عن ابي هريرة مرفوعا عثمان حيي يستحي منه الملايكة
واخرج ابو نعيم عن ابن عمر مرفوعا عثمان احيي امتي واكرمها واخرج ابو نعيم عن ابي امامة
مرفوعا اشد هذه الامة بعد نبيها حيا عثمان بن عفان واخرج ابو يعلي عن عايشة مرفوعا
قال ان عثمان حيي ستير تستحي منه الملايكة الفصل الثاني عن طلحة بن عبيد الله وهو
احد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي رفيق اي خاص ورفيقي يعني
في الجنة عثمان خبر للمبتدا والجملة معترضة بينهما من كلام طلحة او غيره تفسيرا وبيانا لمكان الرفاقة
والاظهر انه من كلامه صلى الله عليه وسلم علي سبيل الاطلاق الشامل للدنيا والعقبي جزما فانهم هولا
ينافي كون غيره ايضا رفيقا له صلى الله عليه وسلم كما ورد عن ابن مسعود في رواية الطبراني ولفظه
ان لكل نبي خاصة من اصحابه وان خاصتي من اصحابي ابو بكر وعمر ثم يستفاد منه ان لكل نبي

رفيقا وانه له رفقا ولا منع من ذكره في مقام الجمع ومع هذا في تخصيص ذكره اشعار بتعظيم منزلته ورفعة قدره رواه الترمذي اي عن طلحة ورواه ابن ماجة عن ابي هريرة قال وفي نسخة وقال الترمذي هذا حديث غريب والغرابة لا تنافي الصحة ولذا قال وليس اسناده بالقوي وهو اي الحديث او اسناده منقطع وهو ان يكون الساقط من الرواة اثنين متواليين او سقط واحد فقط او اكثر من اثنين لكن بشرط عدم التوالي فيتحصل منه ان الحديث ضعيف لكنه يعتبر قويا في الفضائل ويؤيده ما رواه ابن عساكر عن ابي هريرة مرفوعا لكل نبي خليل في امته وان خليلي عثمان بن عفان واورد السيوطي حديث الاصل في الجامع بلفظ لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان رواه الترمذي عن طلحة وابن ماجة عن ابي هريرة وعن الرباح عن زيد بن اسلم قال شهدت عثمان يوم حوصر ولو القي حجر لم يقع الا على راس رجل فرايت عثمان اشرف من الخوخة التي مقام جبريل على الناس فقال لطلحة انشدك الله اتذكر يوم كنت انا وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع كذا وكذا ليس معه احد من اصحابه غيري وغيرك قال نعم قال فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طلحة انه ليس من نبي الا ومعه من اصحابه رفيق في الجنة وان عثمان رفيقي في الجنة يعنيني قال طلحة اللهم نعم ثم انصرف اخرجه احمد واخرجه الترمذي مختصرا عن طلحة بن عبيد الله ولفظه لكل نبي رفيق ورفيقي عثمان ولم تقل في الجنة وعن عبد الرحمن بن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم اي حضرته وهو يحث بضم حاء وتشديد مثلثة اي يحرض الناس على جيش العسرة اي على ترتيب غزوة تبوك وسميت جيش العسرة لانها كانت في زمان اشتداد الحر والقحط وقلة الزاد والماء والمراكب بحيث تعذر عليهم الخروج من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم لما كان المناهضة الى عدو جم العدد شديد الباس بالنسبة الى المسلمين مع كثرتهم ح فانه قيل على ما ذكره شارح كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ويوم احد سبعمائة ويوم الحديبية الف وخمسمائة ويوم الفتح عشرة الاف ويوم حنين اثنا عشر الفا وهي اخر مغازيه فقام عثمان اي يوم حثه عليه السلام فقال يا رسول الله علي اي نذر علي مائة بعير باحلاسها اي مع جلالها واقتابها اي رحالها قال التوربشتي وغيره الاحلاس جمع حلس بالكسر وسكون اللام وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة والاقتاب جمع قتب بفتحتين وهو رحل صغير على قدر اسنام البعير وهو للجمال كالاكاف لغيره يريد على هذه الابل بجميع اسبابها وادواتها في سبيل الله اي في طريق رضاه ثم حض بتشديد المعجمة اي حث وحرض على الجيش اي في ذلك المكان او في غيره من الزمان فقام عثمان فقال علي مائتا بعير اي غير تلك المائة لا بانضمامها كما يتوهم والله اعلم باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض اي ثالثا وفي رواية ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال علي ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فالتزم عثمان رضي الله عنه في كل مرتبة بحكم رتبة المقام ففي المقام الاول عين مائة واحدة وفي الثاني مائتين وفي الثالث ثلثمائة فالمجموع ستمائة ونسيا في له من الزيادة قال طلحة فانا اي بنفسي من علي ان اسمع من غيري رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما هذه نافية بمعنى ليس ما عمل بعد هذه موصولة اسم ليس عليه ولا تضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى انها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيئاته الآتية كما ورد في ثواب صلوة الجماعة وفيه اشارة الى بشارة له بحسن

وهـ —— لله عز وجل

الخاتمة وقال شارح ما فيه اما موصولة اي ما باس عليه الذي عمله من الذنوب بعد هذه العطايا في سبيل الله او مصدرية اي ما على عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا لان تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل قال المظهر اي ما عليه ان لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لان تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل انتهى وهو حاصل المعنى والا فلا يطابق المبنى بنا على عثمان ما عمل بعد هذه كرره تاكيدا للمامورة قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث حاطب بن ابي بلتعة لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم انتهى ولا يخفى ما بينهما من الفرق عند ذوي النهى اذ الاول مجزوم به قطعا والثاني مبني على الرجا رواه الترمذي وكذا رواه احمد وقال في اخره قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها واخرج عبد الصمد يحرك يده كالمتعجب ما على عثمان ما عمل بعدها وقال ابو عمر جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا واتم الالف بخمسين فرسا وعن ابن شهاب الزهري قال حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعمائة واربعين بعيرا وستين فرسا اتم الالف بها اخرجه القزويني والحاكمي وعن عبد الرحمن بن سمرة اي القرشي اسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابن عباس والحسن وخلق سواهما قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار في كمه حين جهز بتشديد الهاء اي حين رتب واعان جيش العسرة فنثرها اي كبها في حجره بكسر الحاء وفتحها اي ثوبه او حضنه صلى الله عليه وسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها اي الدنانير بيده في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل فاعل ضر والمعنى لم يضر عثمان الذي عمل اي من الذنوب سابقا ولاحقا بعد اليوم اي بعد عمله اليوم مرتين ظرف يقول ولعل التكرار فيه وفيما قبله للاشعار بعدم ضرره ودوام نفعه في الدارين والمراد بالتثنية التكرير للتكثير ويؤيده انه في رواية احمد يرددها مرارا هذا وقال السيد جمال الدين في تكملة رجال جيش العسرة روايتان احديهما انها سبعون الف رجل والاخرى انها عشرون الفا وعلى اختلاف الروايتين جهز عثمان رضي الله عنه ثلث جيش العسرة فعلى هذا لا يكون الف دينار الذي جاء به عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كمه ثمن ثلاثمائة بعير والله اعلم انتهى وفي الرياض عن عبد الرحمن بن عوف قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بسبعمائة اوقية من ذهب اخرجه الحافظ السلفي وهذه الاختلافات في روايات قد توهم التضاد بينهن والجمع ممكن بان يكون عثمان دفع ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها على ما تضمنه الحديث السابق ثم جاء بالالف لاجل المؤن التي لا بد للمسافر منها ثم لما اطلع على ان ذلك لا يكفي زاد في الابل واردف بالخيل تتميما للالف ثم لما يكتف بذلك تمم الالف ابعرة وزاد عشرين فرسا على تلك الخمسين وبعث بعشرة الاف دينار للمؤن وفي رواية اخرجها الدارقطني عن عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال من يجهز هؤلاء غفر الله له يعني جيش العسرة فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاما رواه احمد واخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن حذيفة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان لف جيش العسرة فبعث اليه عثمان بعشرة الاف دينار فصب بين يديه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها اخرجه الملا في سيرته والفضائل وعن انس رضي الله عنه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان وهي البيعة التي كانت تحت الشجرة علم

الحديبية سميت بها لانه نزل في اهلها لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
كان عثمان رضي الله عنه ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رسولا منه اليهم مرسلا
من الحديبية الى مكة وفي رواية الى اهل مكة اي لتبليغ بعض الاحكام فشاع انهم
قتلوه فبايع اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اي بيعا خاصا على الموت فبايعوه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله اي نصرة دينه حيث احتاج خلقه اليه
ونظيره قوله سبحانه يخادعون الله والذين امنوا حيث نزل ذاته العزيزة منزلة
المومنين تشريفا وتعظيما او تقديره مضاف وبقاه في حاجة خلقه وحاجة رسوله اي
تخصيصا او ذكر الله للتزيين زيادة الكلام من التحسين وقال الطيبي هو من باب
قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة عند
الله ومكانة وان حاجته حاجته تعالى الله عن الاحتياج علوا كبيرا انتهى ولا يخفى ان
ظاهر معنى الاية ان الذين يخالفونهما كما حقق في حديث يوذيني ابن ادم وكانه
علم قصره باحدى يديه على الاخرى اي في البيعة على جهة عثمان على فرض انه حي
في المكان والزمان والمعنى انه جعل احدى يديه نائبة عن يد عثمان فقيل هي اليسرى وقيل هي اليمنى وهو
الصحيح لما سياتي بيانه في التصريح فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا اي في رواية لعثمان اي له كما في
رواية من ايديهم اي من ايدي بقية الصحابة لانفسهم فغيبته ليست بمنقصة بل سبب منقبة رواه
الترمذي وقال حسن صحيح غريب وعن ثمامة بضم المثلثة بن حزن بفتح الحاء المهملة وسكون زاي فنون القشيري
بالتصغير يعد في الطبقة الثانية من التابعين راى عمر وابنه عبد الله وابا الدرداء وسمع عائشة وروى عنه
الاسود بن شيبان البصري قال شهدت الدار اي حضرت دار عثمان التي حاصروه فيها وتفصيل قضيته
مذكور في الرياض وغيره حين اشرف عليهم عثمان اي اطلع على الذين قصدوا قتاله فقال انشدكم الله والاسلام
بفتح السين ونصب الاسمين اي اسالكم بالله والاسلام اي بحقهما هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة وليس بها ماء يستعذب اي يعد عذبا اي حلوا غير بير رومة برفع غير ويجوز نصبه والبير مهموزة ويبدل
رومة بضم الراء وسكون الواو وميم اسم بير في العقيق الاصغر اشتراها عثمان رضي الله عنه بثمانية الف درهم وفي
المدينة عقيقان سميا بذلك لانه عقا عن حرة المدينة اي قطعا فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم من يشتري بير
رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بكسر الدال جمع دلو وهو كناية عن الوقف العام وفيه دليل على جواز وقف السقاية
وعلى خروج الموقوف عن ملك الواقف حيث جعله مع غيره سواء ذكره ابن الملك وجملة يجعل مفعول له او حال
اي رواه ان يجعل او قاصدا ان يجعل دلوه مساويا او مصاحبا مع دلائهم في الاستقاء ولا يخصها من بينهم
بالملكية فقوله مع دلاء المسلمين هو المفعول الثاني ليجعل اي يجعل دلوه روي عن عثمان رضي الله عنه انه
قال ان لها جرين قدموا المدينة واستنكروا ماها وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع
القربة منها بمد فقال صلى الله عليه وسلم هل بيعتها بعين في الجنة قال يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي سواها
فلا استطيع ذلك فقال من يشتري بير رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير متعلق بيشتري والباء
للبدل قال الطيبي وليست مثلها في قولهم اشتريت هذا بدرهم ولا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والمعنى من يشتريها بثمن معلوم ثم يبدلها بخير منها اي بافضل واكمل او بخير حاصل له
اي لاجلها منها اي من تلك البير او من جهتها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي بضم الصاد اي من اصله او خالصه
في الرياض قال فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف درهم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
اتجعل لي مثل الذي جعلته له عينا في الجنة قال نعم قال قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين اخرجه الفضايلي وانتم اليوم

[illegible] عز وجل

تمنعوني

تمنعونني ان اشرب منها حتى اشرب من ماء البحر اي مما فيه ملوحة كماء البحر والاضافة فيه للبيان اي ماء يشبه البحر
فقالوا اللهم نعم قال المطرزي قد يوتى باللهم قبل الا اذا كان المستثنى عزيزا نادرا وكان قصدهم
بذلك الاستظهار بمشية الله تعالى في اثبات كونه ووجوده الا ما انه ابلغ من الندرة وبعد الشذوذ
وقيل كلمتي الجحد والتصديق في جواب المستفهم كقولهم اللهم لا ونعم قال انشدكم الله والاسلام
هل تعلمون ان المسجد اي مسجد المدينة ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يشتري بقعة آل فلان فيزيدها بالرفع وفي نسخة بالنصب اي فيزيد تلك البقعة في المسجد بخير له منها
في الجنة فاشتريتها من صلب مالي اي بعشرين الفا او خمسة وعشرين الفا على ما رواه الدارقطني وروى
البخاري عن ابن عمر ان المسجد كان على عهد رسول الله مبنيا باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب
النخل فلم يزد فيه ابو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنائه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد
واعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة
منقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي عن سالم
ابن عبد الله بن عمر انه كان من شان عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اهل مكة يا فلان الا تبيعني
دارك ازيدها في مسجد الكعبة ببيت اضمنه في الجنة فقال الرجل يا رسول الله ما لي بيت غيره فان انا
بعتك داري لا يوويني وولدي بمكة شي قال الا بل بعني دارك ازيدها في مسجد الكعبة ببيت اضمنه
لك في الجنة فقال الرجل والله ما لي الى ذلك حاجة فبلغ ذلك عثمان وكان الرجل صديقا له في الجاهلية
فاتاه فلم يزل به عثمان حتى اشترى منه داره بعشرة الاف دينار فقال يا رسول الله بلغني انك اردت
من فلان داره لتزيدها في مسجد الكعبة ببيت تضمنه له في الجنة وانما هي داري فهل انت اخذها ببيت
تضمنه لي في الجنة فاخذها منه وضمن له بيتا في الجنة واشهد له على ذلك المومنين كذا في الرياض
وانتم بالفاء هنا خلافا لما تقدم اليوم تمنعونني ان اصلي فيها ركعتين اي في تلك البقعة فضلا عن
ساير المسجد فقالوا اللهم نعم قال بلا فاء هنا وفيما بعد خلافا لما قبل انشدكم الله والاسلام هل تعلمون
اني جهزت جيش العسرة من مالي اي وقال الحق ما قال ما ابالي على حسن حالي قالوا اللهم نعم قال
انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة بفتح مثلثة وكسر موحدة
وتحتية ساكنة فراء جبل بمكة وفي المصباح جبل بين مكة ومنى وهو يرى من منى وهو على يمين الذاهب
منها الى مكة وقال الطيبي ثبير جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى وهو جبل كبير مشرف على الجبل
بمنى وبمكة جبال كم منها اسمه ثبير انتهى والمشهور انه جبل مشرف على منى من جمرة العقبة الى تلقاء مسجد الخيف
وامامه قليلا على يسار الذاهب الى عرفات كذا حكاه عز الدين بن جماعة وقال عياض في المشارق انه على يسار الذاهب
الى منى وقال ابن جماعة وقيل وهو جبل عظيم بالمزدلفة على يمين الذاهب الى عرفة قال الطبري وقيل هو
اعلم جبل بمكة عرف برجل من هذيل كان اسمه ثبيرا دفن فيه وقال الجوهري والسهيلي والمطرزي في المغرب
هو جبل من جبال مكة اي بقربه مكة وقيل هو جبل مقابل لجبل حراء وفي رواية قال حراء مكان
ثبير ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل اي اهتز اهتزازا حتى تساقطت حجارته اي بعضها بالحضيض اي اسفل
الجبل وقرار الارض فركضه اي ضربه برجله قال اسكن ثبير اي يا ثبير فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان اي حقيقتان حيث قتلا عقب الطعن وماتا قريبا من اثر الضرب وهما عمر وعثمان ولا ينافيه
ان النبي والصديق شهيدان حكميان حيث كان اثر موتهما من السم القديم لهما قالوا اللهم نعم قال الله
اكبر كلمة يقولها المتعجب عند الزام الخصم وتبكيته ولذلك قال شهدوا ورب الكعبة اني شهيد
بفتح الهمز مفعول شهدوا اي شهد الناس اني شهيد ثلاثا اي قال الله اكبر الى اخره ثلاث مرات زيادة للمبالغة

واثبات الحجة علي الخصم وذكره لانه لما اراد ان يظهر لهم انه علي الحق وان خصماه علي الباطل بما هو طريق يلجيهم
الي الاقرار بذلك اورد حديث ثبير مكة وانه من احد الشهيدين مستفهما عنهم فاقروا بذلك واكد
اقرارهم بقولهم اللهم نعم فقال الله اكبر تعجبا وتجهيلا لهم واستهجانا لفعلهم ونظيره قوله تعالى هل
يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فانه تعالى لما ضرب مثل عابد الاصنام وعابد الله تعالى
برجلين احدهما له شركا بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه وهو متحير
في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته والاخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو يلتزم خدمته فهمه واحد
وقلبه مجتمع واستفهم منهم بقوله هل يستويان مثلا فلا يجدون ان يقولوا استويا وقالوا لا فقال الحمد
لله بل اكثرهم لا يعلمون كذا حققه الطيبي رواه الترمذي والنسائي والدارقطني وفي بعض الروايات
زاد وانشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الي المشركين
اهل مكة فقال هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي فانتشد له رجال زاد الدارقطني في بعض
طرقه وانشدكم بالله هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني احدي ابنتيه بعد الاخري
رضا بي ورضا عني قالوا اللهم نعم وعن مرة بن كعب بضم ميم وتشديد را قال المولف في فصل
الصحابة عداده في اهل الشام روي عنه نفر من التابعين مات بالاردن سنة خمس وخمسين قال
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل في زيادة من تاكيد افادة السماع بلا واسطة وذكر الفتن
جملة حالية فقربها بتشديد الراي اي قرب النبي صلى الله عليه وسلم الفتن يعني وقوعها فمر رجل مقنع
بفتح النون المشددة اي مستتر في ثوب جعله كالقناع فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا اي هذا الرجل المقنع يومئذ اي يوم وقوع تلك الفتن علي الهدي من قبيل قوله تعالى اولئك
علي هدي من ربهم فهو لسمعت محذوف فدل عليه قوله هذا يومئذ علي الهدي فقمت اليه اي
الي قرب الرجل لاعرفه فاذا هو عثمان بن عفان قال اي الراوي فاقبلت عليه اي علي النبي
صلى الله عليه وسلم بوجهه اي بوجه عثمان فالمعني ادرت وجهه اليه ليتبين الامر عليه فقلت
هذا اي اهذا هو الرجل الذي يومئذ علي الهدي قال نعم فيه مبالغة في استحضار القضية
وتاكيدها بتحقيق الصورة الجالية رواه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي هذا
حديث حسن صحيح وفي الرياض عن كعب بن عجرة قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة
فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال هذا يومئذ علي الحق فانطلقت
فاخذت بضبعيه فقلت هذا يا رسول الله قال هذا فاذا هو عثمان ابن عفان اخرجه
احمد واخرج الترمذي معناه عن مرة بن كعب البهزي وقال هذا يومئذ علي الهدي ورواه
احمد ايضا عن مرة بن كعب البهزي قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق
من طرق المدينة قال كيف تصنعون في فتنة تثور في اقطار الارض كانها صياصي بقر قالوا نصنع
ماذا يا رسول الله قال عليكم بهذا واصحابه قال فاسرعت حتي عطفت الرجل فقلت هذا
يا نبي الله قال هذا فاذا هو عثمان بن عفان وفي رواية لاحمد قال الغاس عن حتي عييته
فلحقت بالرجل فقلت هذا يا نبي الله الخ وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اي لعثمان ذات يوم كما في رواية يا عثمان انه اي الشان لعل الله وفي رواية ان الله
لعله يقمصك بتشديد الميم اي يلبسك قميصا قيل اي خلافة والمراد خلعة الخلافة فان
ارادوك اي حملوك علي خلعه اي نزعه فلا تخلعه لهم وفي رواية فلا تخلعه ثلاثا والمعني ان قصدوا
عزلك فلا تعزل نفسك عن الخلافة لاجلهم لكونك علي الحق وكونهم علي الباطل وفي قبول الخلع

ايهام وتهمة فلهذا الحديث كان عثمان رضي الله عنه ما عزل نفسه حين حاصروه يوم الدار قال الطيبي
استعار القميص للخلافة ورشحه بقوله علي خلعه قال في اساس البلاغة ومن المجاز قمصه الله
وشي الخلافة وتقمص لباس العز ومن هذا الباب قوله تعالى الكبريا ردائي والعظمة ازاري وقولهم
المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه انتهي ورواه الترمذي وابن ماجة وكذا ابو حاتم وقال
الترمذي حسن غريب وفي رواية فان ارادك المنافقون علي خلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها
مرتين او ثلاثا وفي رواية فان ارادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتي تلقاني يا عثمان ان
الله عسي ان يلبسك قميصا فذكره ثلاث مرات اخرجها احمد وقال الترمذي في الحديث قصة
طويلة وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة اي عظيمة فقال يقتل هذا فيها
مظلوما لعثمان بيان لهذا رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب اسنادا اخرجه
احمد وقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان وعن
ابي سهلة قال المولف في فصل الصحابة هو السايب بن خلاد يكني ابا سهلة الانصاري الخزرجي
مات سنة احدي وتسعين روي عنه ابنه خلاد وعطا ابن يسار انتهي والظاهر ان المراد به هنا
مولي عثمان لما سياتي قريبا والله اعلم قال قال لي عثمان يوم الدار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد عهد الي عهدا اي اوصاني اي لا اخلع بقوله وان ارادوك علي خلعه فلا تخلعه لهم
وانا صابر عليه اي علي تحمل ذلك العهد رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
وعن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا لي بعض اصحابي قلت ابا بكر قال
لا قلت عمر قال لا قلت ابن عمك قال لا قلت عثمان قال نعم فلما جا قال تنحي فجعل يساره ولون عثمان
يتغير فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا يا امير المومنين الا تقاتل قال لا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الي عهدا واني صابر نفسي عليه رواه احمد

الفصل الثالث

عن عثمان بن
عبد الله بن موهب بفتح الميم وسكون الواو وفتح الها والبا الموحدة علي ما في الجامع والمغني
وفي القاموس موهب كمقعد اسم تما وقع في شرح ابن حجر من ضبطه بكسر الها وهم قال المولف هو
تيمي روي عن ابي هريرة وابن عمر وغيرهما وعنه شعبة وابو عوانة قال جا رجل من اهل مصر
اي الي مكة يريد حج البيت فرأي قوما جلوسا اي جالسين فقال من هولاء القوم قالوا اي
قال بعض من سيل هولاء قريش اي الاكابر هم قال فمن الشيخ اي العالم المفتي فيهم فان الشيخ
في قومه كالنبي في امته قالوا عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر اني سايلك عن شي فحدثني اي
اخبرني عند جوابه هل تعلم ان عثمان فر يوم احد يعني والفرار منقصة عظيمة قال نعم قال هل
تعلم انه تغيب عن بدر ولم يشهد اي ولم يحضرها ذكره تاكيدا واراد انه فاته فضل اهلها قال
نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله اكبر قال الطيبي قوله
الله اكبر بعد ما عد من الامور بمنزلة الله اكبر في الحديث السابق فانه اراد ان يلزم ابن عمر ويحط
من منزلة عثمان علي الطريقة المذكورة فلما قال ابن عمر نعم قال الله اكبر تعجبا وتعجيبا واظهارا لافحامه
اياه فقال ابن عمر تعال اي ارتفع عن حضيض مقامك من الجهل الي علو فهم القضايا المبهمة
المنسية عند ارباب العلم والمعرفة ابين لك بالجزم علي جواب الامر وفي نسخة بالرفع اي انا ابين
لك اما فراره يوم احد فاشهد ان الله عفا عنه وفي رواية وعفوله يعني لقوله تعالى ان الذين
تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان
الله غفور رحيم ومن المعلوم ان المعفو خارج عن مرتبة المغيبة بالمعيبة واما تغيبه عن

بدرٍ فانه كانت تحته اي تحت عقده رقية بالتصغير بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهذا
علامة كمال رضى النبي صلى الله عليه وسلم حيث زوجه بنته ثم الاخرى وهي ام كلثوم وبه
سمي ذا النورين ثم قال لو كانت لي بنت اخرى لزوجتها اياه وفي الرياض عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان ازوج كريمتي عثمان بن عفان اخرجه الطبراني
واخرجه خيثمة بن سليمان عن عروة بن الزبير عن عايشة وزاد بعد قوله كريمتي يعني رقية وام
كلثوم وعن ابي هريرة قال لقي النبي صلى الله عليه وسلم عثمان عند باب المسجد فقال يا عثمان هذا جبريل
اخبرني ان الله قد امرني ان ازوجك ام كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها اخرجه ابن
ماجة القزويني والحافظ ابو بكر الاسماعيلي وغيرهما وعنه قال قال عثمان لما ماتت امراتي بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكيت بكاء شديدا فقال رسول الله ما يبكيك فقلت ابكي على انقطاع
صهري منك قال فهذا جبريل يامرني الله عز وجل ان ازوجك اختها وعن ابن عباس معناه
وزاد فيه والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يموت واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى
حتى لا يبقى من المائة شيء هذا جبريل اخبرني ان الله عز وجل يامرني ان ازوجك اختها وان
اجعل صداقها مثل صداق اختها اخرجه الفضائلي وفي الذخاير عن سعيد بن المسيب قال
ايم عثمان من رقية وايمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال هل لك في حفصة وكان
عثمان قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال هل لك في خير من ذلك اتزوج انا حفصة وازوج عثمان خيرا منها ام كلثوم اخرجه ابو
عمرو وقال حديث صحيح وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فامرني ان
ازوج عثمان ابنتي وقالت عايشة كنا لما لا نرجوه ارجى منكم لما نرجوه فان موسى عليه السلام
خرج يلتمس نارا فرجع بالنبوة اخرجه الحافظ ابو نعيم البصري وكانت اي رقية مريضة اي في المدينة وفي الذخاير
عن ابن شهاب انها كانت اصابتها الحصبة فمرضت وتخلف عليها عثمان وماتت بالمدينة وجاء زيد بن حارثة بشيرا بالفتح
بدر وعثمان قائم على قبرها فيما اخرجه ابو عمرو وعن ابن عباس قال لما عزي رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته
رقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات اخرجه الدولابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه اي جمع له بين اجر العقبى وغنيمة الدنيا فلا نقصان في حقه اصلا
فيكون نظير تغيبه على عن تبوك حيث جعله خليفة على اهله وامره بالاقامة فيهم لكن لم يعرف انه جعل
لعلي سهم من الغنيمة ايضا والله اعلم ثم رايته في الرياض انه كذلك واما تغيبه عن بيعة الرضوان
فلو كان احد اعز اي اكثر عزة من جهة العشيرة من بقية الصحابة ببطن مكة من عثمان لبعثه اي
مكانه كما في رواية لكنها فقد الا نظير حتى امتنع عمر رضي الله عنه خوفا على نفسه معللا يا رسول
الله ما لي قوم بمكة يغيثوني ويحفظوني ويظهري فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان اي الى
مكة فاستقبله اهله واركبوه قدامهم واجاروه من تعرض احد له وقالوا طف بالبيت
لفريضتك فقال حاشا ان اطوف في غيبته صلى الله عليه وسلم وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان
الى مكة اي وشاع عندهم ان المشركين تعرضوا لحرب المسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي صلى
الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا يفروا وقيل بل جاء الخبر بان عثمان قتل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي اشار بيده اليمنى هذه اي قائلا هذه يد عثمان فضرب بها على يده اي اليسرى وقال هذه اي
هذه البيعة او هذه اليد لعثمان اي لاجله او عنه على فرض وجود حياته او اشارة الى تكذيب خبر مماته
ثم قال ابن عمر اذهب بها اي بالكلمات التي اجبت لك عن اسئلتك الان معك فانه لا يضرها بل ينفعك وقال الطيبي

قد نقض ابن عمر كل واحد مما بناه واقلعه من اصله قال تهكما اذهب بها اي بما اجبت وتمسكت به بعد
ما بينت لك الحق المحض الذي لا ارتياب فيه انتهى والمعنى لا ينفعك اعتقادك الفاسد في
عثمان بعد ما بينت لك الحق الصريح بالجواب الصحيح رواه البخاري وكذا الترمذي مختصرا والمعنى
واحد وعن ابي سهلة مولى عثمان رضي الله عنهما بلفظ التثنية تغليبا ولم يذكره المؤلف في
اسمايه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم يسر عثمان فتغير وجهه اي يخفي الكلام الى عثمان ولون
عثمان يتغير اي من البياض والحمرة الى الصفرة فلما كان يوم الدار بالرفع وينصب قلنا الا تقاتل بتخفيف
الا وتشديد قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استيناف تعليل اي لانه عهد الي امرا فانا صابر
بالتنوين نفسي عليه قال الطيبي اي وصاني بان اصبر ولا اقاتل ولا يجوز ان يقال هي قوله فان
ارادوك على خلعه فلا تخلعه لانه كان ذلك يوم المقاتلة معهم للدفع فعلى هذا ينبغي ان يحمل
الحديث الاخير في الفصل الثاني على هذا المعنى بقي قلت الاظهر ان العهدة كان مركبا من عدم
الخلع وترك القتال للدفع بل لمجرد الصبر للوصول الى مقام الجمع وعن ابي حبيبة اسمه عمرو بن نصر
الحارثي الهمداني روى عن علي بن ابي طالب ذكره المؤلف في التابعين انه دخل الدار وعثمان محصور
فيها وانه اي ابا حبيبة سمع ابا هريرة يستاذن عثمان في الكلام اي معه او على الحاضرين من
الحاضرين ويؤيده الثاني قوله فاذن له فقام فحمد الله واثنى عليه اي على الله وهو عطف تفسيري
بيان او الحمد بمعنى الشكر ثم قال اي ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم اي ايها
الامة او ايها الصحابة ستلقون بعدي فتنة اي محنة عظيمة واختلافا اي كثيرا او قال اختلافا وفتنة
شك الراوي في تقديم احد اللفظين فقال له اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائل فمن لنا يا رسول الله
قال الطيبي هو متوجه الى قوله اختلافا اي ستلقون اختلافا بين الامير ومن خرج عليه فمن تامرنا ان
نتبعه ونلزمه فيكون لنا العاقبة لا علينا او وما تامرنا به شك من الراوي بين اللفظين مع ان مرادهما
في المعنى واحد قال عليكم بالامير واصحابه وهو اي ابو هريرة او الاظهر اي النبي صلى الله عليه وسلم يشير
الى عثمان بذلك اي بقوله الامير بان يكون حاضرا في ذلك المجلس والمذكور انفا رواهما اي الحديثين السابقين
البيهقي في دلايل النبوة قال المؤلف كان اسلامه في اول الاسلام على يد ابي بكر قبل دخول النبي صلى الله عليه
وسلم دار الارقم وهاجر الهجرتين الحبشة والمدينة وكان ابيض ربعة حسن الوجه عظيم اللحية يصوها استخلف
اول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين وقتله الاسود التجيبي من اهل مصر وقيل غيره ودفن ليلة السبت
بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وكانت خلافته اثنتي عشرة
سنة الا اياما وروى عنه خلق كثير باب مناقب هولاء الثلاثة رضي الله عنهم الفصل
الاول عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد تكسر العين اي طلع احدا اي جبل احد وابو بكر وعمر وعثمان
اي معه فرجف اي تحرك احد بهم اي انتعاشا واهتزازا بقدومهم فضربه اي النبي عليه السلام برجله فقال اثبت
احد اي ولا تطهر شيئا على ظاهرك كما لا تملك باطنك على ما حكي ان الجنيد سيل ما بالك عن السماع ظاهرا
مع تحقق حالك وباطنا فقرا وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
اي وصحبة اهل التمكين والوقار لا يليق لهم ان تاثر حالك عن الاظهار وتقدم مثله في جبل ثبير رواه البخاري
وكذا احمد والترمذي وابو حاتم واخرجه احمد عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا على
حرا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت حرا فانه ليس عليك
الا نبي وصديق او شهيد وفي رواية عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو
بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فانما

وقف لله عز وجل

عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية سعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجها مسلم وخرجه الترمذي
ولم يذكر سعدا وقال اهدا مكانك اسكن وقال حديث صحيح وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد
وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال ابن حجر الحديث في اختلاف الروايات محمول على تعدد
القضية في الاوقات واثبات الشهادة لبعضهم حقيقة والباقين حكما والله اعلم وعن ابي موسى
الاشعري قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حايط اي بستان من حيطان المدينة بكسر الحاء جمع فجا
رجل اي لا يعرف حاله فاستفتح اي طلب الفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح وبشره بالجنة اي العالية
ففتحت له فاذا ابو بكر فبشرته بما قاله رسول الله وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله اي شكره
على تلك البشارة ففي رواية قال اللهم حمدا وفي رواية قال اللهم الحمد لله ثم جا رجل فاستفتح فقال
النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا عمر فاخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي ابرزه هنا لكمال الاهتمام بعرفته القضية افتح له وبشره بالجنة على
بلوى اي مع بلية عظيمة تصيبه على ما ذكره الاشرف وقال الطيبي اذا جعل على متعلقا بقوله
بالجنة يكون المبشر به مركبا واذا جعل حالا من ضمير المفعول كانت البشارة مقارنة بالانذار ولا يكون
المبشر به مركبا وهو الظاهر وعلى بمعناه اي مع والاظهر الاول لان البلا نعمة عند ارباب الولا فاذا عثمان
وانما خص عثمان به مع ان عمر ايضا ابتلي به لعظيم ابتلا عثمان لاستجماع امتداد الزمان وقلة الاعوان
من الاعيان فاخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال الله المستعان اي المطلوب منه المعونة
على جميع المونة ومنه الصبر على مرارة تلك البلية ثم في تلك البلية ثم ترتيب ما تاخر الى الجنة التي
فيها النبي صلى الله عليه وسلم اي الى مراتبهم العلية في الجنة العالية في مقعد صدق عند مليك مقتدر
من القرب بحضرة النبي البشير متفق عليه ذكر في الرياض عن ابي موسى انه خرج الى المسجد فسال
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه هاهنا فخرجت في اثره حتى دخل بير اريس فجلست عند الباب
وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت اليه فاذا هو جالس على بير
اريس وتوسط قفها وهو بالضم ما ارتفع من الارض فجلست عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى
الله عليه وسلم فجا ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ايذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى
قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن
يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد
الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب
فقلت على رسلك ثم جيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذن فقال ايذن
له وبشره بالجنة فجيت فقلت ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البير فرجعت وجلست وقلت ان يرد
الله بفلان خيرا يات به فجا انسان فحرك الباب فقلت من هذا قال عثمان بن عفان فقلت على
رسلك ثم جيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ايذن له وبشره بالجنة على بلوى
تصيبه فجيت وقلت ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف
قد ملي فجلس وجاهه من الشق الاخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم
اخرجه احمد ومسلم وابن ابي حاتم واخرجه البخاري وزاد بعد قوله فاولتها قبورهم اجتمعت وانفرد

عثمان واخرجه مسلم ايضا من طريق اخرى عن ابي موسى واللفظ قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متكيا في حايط من حيطان المدينة وهو يركز بعود في الما والطين تبلل به فجا رجل فاستفتح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة فاذا ابو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة
ثم استفتح اخر فجلس ساعة ثم قال افتح له وبشره بالجنة فاذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة
ثم استفتح اخر فجلس ساعة ثم قال افتح له وبشره بالجنة على بلوى قال ففتحت له فاذا هو عثمان
فبشرته بالجنة فقلت له الذي قال فقال اللهم صبرا واخرج الترمذي معناه عنه ولفظه انطلقت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل حايطا للانصار فقضى حاجته فقال لي يا ابا موسى املك علي
الباب فلا يدخلن احد علي الا باذن فجا رجل فضرب الباب فقلت من هذا قال ابو بكر قلت يا رسول
الله هذا ابو بكر يستاذن قال ايذن له وبشره بالجنة ثم ذكر نحوه في عمر وعثمان وهذا الحديث
يدل على تكرر القضية فان ابا موسى ذكر في حديث مسلم الاول انه سال عن النبي صلى الله عليه
وسلم فقيل وجه هاهنا فتبع اثره وهذا الحديث ينطق بانه انطلق معه ويحتمل ان يكون لما
اتبع اثره لحق به قبل دخول الحايط الذي فيه بير اريس ثم انطلق معه حتى دخل فقال له تلك
المقالة ويكون ابو موسى ذكر سبب جلوسه بوابا في رواية ولم يذكره في رواية واستوفى
القصة في رواية واختصرها في رواية والقصة واحدة والله اعلم **الفصل الثاني** عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي جملة حالية معترضة بين القول
ومقوله ابو بكر وعمر وعثمان اي على هذا الترتيب عند ذكرهم وبيان امرهم رضي الله عنهم وقال شارح
وابو بكر وما عطف عليه مبتدا خبره رضي الله عنهم والجملة مقول نقول ورسول الله حي جملة معترضة
اي كنا نذكر هولا الثلاثة بان الله تعالى رضي عنهم وفي بعض النسخ بعد قوله حي افضل امة النبي صلى
الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم اي ونسكت عن الباقي رواه الترمذي وفي رواية له عنه
قال كنا نفاضل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول ابو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وعنه كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفضل
ابا بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه البخاري وعنه كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة محمد
بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه ابو داود والحافظ في الموافقات وعنه قال اجتمع المهاجرون والانصار
على ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر وعثمان وعنه كنا نتحدث في حيوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه اوفر ما كانوا ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه خيثمة
بن سعد وخرج معناه الحاكمي وزاد فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره كذا في الرياض النضرة
الفصل الثالث عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اري بضم الهمزة وكسر الراء
وفتح اليا اي ابصر في منامه الليلة اي البارحة رجل صالح كان ابو بكر نيط بكسر اوله اي علق برسول الله
صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بابي بكر ونيط عثمان بعمر قال الطيبي كان من الظاهر ان يقال رايت نفسي الليلة
وابو بكر نيط بي فجرد منه صلى الله عليه وسلم لكونه رسول الله وحبيبه رجلا صالحا ووضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم موضع رجلا تفخيما غب تفخيم انتهى خلاصته ان قوله رجل صالح بيان للضمير المرفوع
في اري على سبيل التجريد وانما يتم هذا على ان اري بفتح الرا بصيغة المجهول المتكلم على ما في
نسخة لكن قيد وصحح بانه اري بصيغة الماضي المجهول ورجل صالح مفعول ما لم يسم فاعله ويؤيده
انه قال لما كان الرجل الصالح على مرافقته ايهامه قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلنا اما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالاجتهاد والظن الغالب والا فيحتمل صالحا كعلي

ومعسع وجل

مثلا راى تلك الروايا فاخبره صلى الله عليه وسلم انا كشف له حور النبوة فاطهره لكن الحكمة اخمده وستره
ويويده ما قال صاحب الرياض اخرجه ابو حاتم في صحيحه وهكذا اريت والصواب ارجعوا الليلة واما
نوط بعضهم اي تعلقهم وانضمامهم فهم ولاة الامراي امر الدين الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ببعضهم
رواه ابو داود وفي الرياض ذكر باب ما جاء في مناقب ابي بكر وعمر وعلي عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من تحت الصور رجل من اهل الجنة فطلع ابو بكر فهنيناه ثم
قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من اهل الجنة اللهم اجعله عليا ثلاث مرات فطلع علي اخرجه احمد
والصور جماعة النخل وسياق حديث علي في الفصل الثاني من باب مناقب العشرة من المختصات
بالثلاثة باب مناقب علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال احمد والنسائي وغيرهما لم يرو في
حق احد من الصحابة بالاسانيد الجياد اكثر مما جاء في علي كرم الله وجهه وكان السبب في ذلك انه
تاخر ووقع الاختلاف في زمانه وكثر محاربوه والخارجون عليه فكان ذكره سببا لانتشار مناقبه لكثرة
من كان يرويها من الصحابة ردا على من خالفه والا فالثلاثة قبله لهم من المناقب ما يوازيه ويزيد
عليه كذا ذكره السيوطي وقد جاء في الصحيح ما شعره رضي الله عنه انا الذي سمتني امي حيدرة
اسم الاسد وكانت فاطمة امه لما ولدته سمته باسم ابيها فلما قدم ابو طالب كره الاسم فسماه عليا وعن
سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فامره ان يشتم
عليا فابى فقال اما اذا ابيت فقال لعن الله ابا تراب فقال سهل ما كان لعلي اسم احب اليه من ابي تراب
ان كان ليفرح به اذا دعي به فقال له اخبرنا عن قصته لم سمي ابا تراب قال جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت فقال اين ابن عمك فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني
فخرج ولم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان انظر اين هو فقال يا رسول
الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن
شقه واصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم ابا تراب قم ابا
التراب اخرجه الشيخان وخلو بياض عن ابي سعيد التيمي قال كنا نبيع الثياب على عواتقنا
ونحن غلمان في السوق فاذا راينا عليا قد اقبل قلنا بزرك اشكم قال علي ما تقولون قال نقول
عظيم البطن قال اجل اعلاه علم واسفله طعام وعن ابي لبيد قال رايت علي بن ابي طالب يتوضأ
محسر العمامة عن راسه فرايت راسه مثل راحتي عليه مثل خط الاصابع من الشعر اخرجه
ابن الضحاك وعن قيس بن عباد قال قدمنا المدينة اطلب العلم فرايت رجلا عليه بردان وله ظفيرتان
قد وضع يده على عاتق عمر فقلت من هذا قالوا علي اخرجه ابن الضحاك ايضا ولا تضاد بينهما اذ
يكون الشعر انحسر عن وسط راسه وكان في جانبيه شعر مسترسل جمع فظفر باثنتين الفصل
الاول عن سعد بن ابي وقاص احد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي انت
مني بمنزلة هارون من موسى يعني في الاخوة وقرب المرتبة والظاهرة به في امر الدين كما قاله شارح من
علمائنا وقال التوربشتي كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم بمخرجه الى غزوة تبوك وقد
خلف عليا رضي الله عنه على اهله وامره بالاقامة فيهم فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا
له وتخففا منه فلما سمع به علي اخذ سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
نازل بالجرف فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم زعم المنافقون كذا فقال كذبوا انما خلفتك
لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك اما ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى
يأوله قول الله سبحانه وتعالى وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي والمستدل بهذا

الحديث

الحديث على ان الخلافة كانت له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم زائغ عن منهج الصواب فان الخلافة
في الاهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الامة بعد مماته والمقايسة التي تمسكوا بها تنتقض عليهم
بموت هارون قبل موسى عليهما السلام وانما يستدل بهذا الحديث على قرب منزلته واختصاصه
بالمواخاة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسلم قال القاضي عياض هذا مما تعلقت
به الروافض وسائر فرق الشيعة في ان الخلافة كانت حقا لعلي رضي الله عنه انه وصى له بها
فكفرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لانه لم يقم في طلب حقه وهؤلاء
اسخف عقلا وافسد مذهبا من ان يذكر قولهم ولا شك في تكفير هؤلاء لان من كفر الامة كلها
والصدر الاول خصوصا فقد ابطل الشريعة وهدم الاسلام ولا حجة في الحديث لاحد منهم بل
فيه اثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه افضل من غيره وليس فيه دلالة على استخلافه بعده
لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال هذا حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا ان
هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لانه توفي قبل وفاة موسى بنحو اربعين سنة وانما
استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة وقال الطيبي تحريره من جهة علم المعاني ان قوله مني
خبر للمبتدأ ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص والباء زائدة كما في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما
امنتم به اي فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم يعني انت متصل بي ونازل مني منزلة هارون من موسى
وفيه تشبيه ووجه الشبه مبهم لم يفهم انه رضي الله عنه فيما شبه به صلى الله عليه وسلم فبين
بقوله الا انه لا نبي بعدي ان اتصاله به ليس من جهة النبوة فبقي الاتصال من جهة
الخلافة لانها تلي النبوة في المرتبة اما ان يكون حال حياته او بعد مماته فخرج من ان يكون
بعد مماته لان هارون عليه السلام مات قبل موسى فتعين ان يكون في حياته عند مسيره الى غزوة تبوك انتهى
وحاصله ان الخلافة الجزئية في حياته لا تدل على الخلافة الكلية بعد مماته لا سيما وقد عزل عن تلك
الخلافة برجوعه صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي شرح مسلم قال بعض العلماء في قوله الا انه لا نبي
بعدي دليل على ان عيسى بن مريم اذا نزل نزل حكما من حكام هذه الامة يدعو بشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم ولا ينزل نبيا اقول ولا منافاة بين ان يكون نبيا ويكون متابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم
في بيان احكام شريعته واتقان طريقته ولو بالوحي اليه كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى
حيا لما وسعه الا اتباعي اي مع وصف النبوة والرسالة والا فمع سلبهما لا يفيد زيادة المزية فالمعنى
انه لا يحدث بعده نبي لانه خاتم النبيين السابقين وفيه ايماء الى انه لو كان بعده نبي لكان عليا وهو
لا ينافي ما ورد في حق عمر صريحا لان الحكم فرضي وتقديري فكانه قال لو تصور بعدي نبي لكان جماعة
من اصحابي انبياء ولكن لا نبي بعدي هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو عاش ابراهيم لكان نبيا
واما حديث علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فقد صرح الحفاظ كالزركشي والعسقلاني والدميري والسيوطي
انه لا اصل له ثم رايت بعضهم ذكروا زيادة ولو كان الكفة لكن قال الخطيب هذه الزيادة لا نعلم رواها الا
ابن الازهر وكان يضع وقال ابن النجار المتن صحيح والزيادة غير محفوظة الله اعلم بواضعها متفق
عليه ورواه ابن ماجة وابو بكر المطيري في جزء عن ابي سعيد ولفظه علي مني بمنزلة هارون من
موسى الا انه لا نبي بعدي وروى الخطيب عن البراء والديلمي في مسند الفردوس عن ابن
عباس بلفظ علي مني بمنزلة راسي من بدني وعن زر بكسر الزاي وتشديد الراء ابن حبيش
بضم مهملة وفتح موحدة فسكون تحتية فشين معجمة قال المؤلف اسدي كوفي عاش في الجاهلية
ستين سنة وفي الاسلام ستين وهو من اجلة القراء المشهورين من اصحاب عبد الله بن

وقف ...

مسعود وسمع عمر روى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم قال قال علي رضي الله عنه والذي
فلق الحبة اي شقها فاخرج النبات منها وبرا النسمة اي خلق ذي روح انه لعهد النبي الامي
الي اي الذي ذكره وبالغ علي حتي كانه عهد الي وفي نسخة بسكون الياء علي انه مصدر مرفوع
مضاف الي النبي الامي وهو فاعله لقوله الي وان في قوله ان لا يحبني مصدرية او تفسيرية
لما في العهد من معنى القول والمعنى لا يحبني حبا مشروعا مطابقا للواقع من غير زيادة ونقص
ليخرج النصيري والخارجي الا مومن اي كامل الايمان فمن احبه وابغض الشيخين مثلا فما احبه
حبا مشروعا ايضا كما اشار اليه السيد جمال الدين لكن عبارته قاصرة بل موهمة خبث
قال اي لا يحبني حبا مشروعا فلا ينتقض بمن يحبه ويبغض ابا بكر وعمر ولا يبغضني
الا منافق اي حقيقة او حكما رواه مسلم واخرجه الترمذي ولفظه عهد الي من غير قسم
وقال حسن صحيح وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين
وا باهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة اخرجه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن
ام سلمة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحب عليا منافق ولا يبغضه
مومن اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعلي لا يبغضك مومن ولا يحبك منافق اخرجه احمد في المسند وعن المطلب بن عبد الله بن
حنطب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اوصيكم بحب ذي قرابتي
اخي وابن عمي علي بن ابي طالب فانه لا يحبه الا مومن ولا يبغضه الا منافق من احبه فقد احبني
ومن ابغضه فقد ابغضني اخرجه احمد في المناقب وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من احب عليا في حياته
وبعد موته اخرجه احمد وروى الحاكم عن انس مرفوعا حب العرب ايمان وبغضهم نفاق وروى
ابن عدي عن انس حب ابي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وروى ابن عساكر عن جابر حب ابي بكر وعمر
من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب
من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه
يوم القيامة وعن سهل بن سعد اي الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر
اي زمن محاصرته او لخرابه من ايامه ملاقي النجاري فلما كان مسا الليلة التي فتحها الله في صباحه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاعطين هذه الراية اي العلم الذي علامة للامارة غدا اي في غد رجلا يفتح الله علي يديه اي
بسببه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وفيه ايما الي قوله تعالى يحبهم ويحبونه ويحبه
طويل الذيل عريض النيل وفي رواية قال فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطى فالدوك الخوض فلما اصبح
الناس غدوا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اتوه وقت الغدوة كلهم يرجون اي يتمنون ان
يعطاها اي الراية التي اية الفتح بجمع الضمير في يرجون نظرا الي معنى كلهم وافرد في يعطى نظرا الي لفظه
وفيه لطيفة وهي شمول الرجا دون حصول الاعطا فقال اين علي بن ابي طالب وفيه انه وقع في هذا المقام
مراد وغير مريد والله غالب علي امره يعطي المزيد لمن يريد فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه
والمعنى انه حصل عذر لديه قال الطيبي اي ابن عليا لي لا اراه حاضرا فيستقيم جوابهم هو يا رسول
الله يشتكي عينيه ونحوه قوله تعالى ما لي لا ارى الهدهد كانه صلى الله عليه وسلم استبعد غيبته عن
حضرته في مثل ذلك الموطن لا سيما وقد قال لاعطين هذه الراية الي اخره وقد حضر الناس كلهم طمعا بان
يكون هو الذي يفوز بذلك الوعد وتقديم القوم الضمير وبنا يشتكي عليه اعتذار منهم علي سبيل التوكيد

قال فارسلوا

قال فارسلوا اليه بكسر السين والمعنى فارسلوا اليه فاتي به اي فجي به فبصق وفي رواية فلما جا بصق رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي القى بزاقه في عينيه وفي رواية ودعا له فبرا بفتح الرا وقد يكسر اي فصح يا من جهة عينه
وعوفي عافية كاملة حتي كان لم يكن به وجع اي ولا سبب وجع من الرمد ولا ضعف بصر اصلا فاعطاه الراية
فقال علي يا رسول الله اقاتلهم بهمزة مقدرة او بدونها حتي يكونوا مثلنا اي حتي يسلموا قال انفذ بفتح الفا
اي امض علي رسلك بكسر فسكون اي رفقك ولينك حتي تنزل بساحتهم اي حتي يبلغ فناهم من ارضهم ثم
ادعهم الي الاسلام اي اولا واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه اي في الاسلام وكان هنا محذوف او جملة مطوية
وهي فان ابوا عنه فاطلب الجزية فان ابوا فقاتلهم حتي يسلموا حقيقة او حكما ومعناه ينقادوا قال الطيبي كانه
صلى الله عليه وسلم استحسن قوله اقاتلهم حتي يكونوا مثلنا واستحمده علي ما قصده من مقاتلته اياهم حتي يكونوا
امثالنا مهتدين اعلا لدين الله ومن ثم حثه صلى الله عليه وسلم علي ما نواه بقوله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك من ان يكون لك حمر النعم يراد به حمر الابل وهي اعزها وانفسها ويضربون بها المثل في نفاسة الشي وانه ليس شي
اعظم منه قال النووي تشبيه امور الاخرة باعراض الدنيا انما هو للتقريب الي الافهام والا فذرة يسيرة من الاخرة
خير من الدنيا باسرها وامثالها معها اقول والظاهر ان قوله فوالله الخ تاكيد لما ارشده من دعائهم الي الاسلام
اولا فانه ربما يكون سببا لايمانهم من غير حاجة الي قتالهم المتفرع عليه حصول الغنائم من حمر النعم وغيرها
فان ايمان مومن واحد خير من اعلام الف كافر علي ما صرح به ابن الهمام في اول كتاب النكاح معللا به علي وجه
تقديمه علي كتاب السير والجهاد والحمر بضم فسكون جمع احمر واما بضم الميم فهو جمع حمار والنعم بفتحتين وقد
تكسر عينه علي ما في القاموس الابل والشا او خاص بالابل واما النعم بكسر ففتح فهو جمع نعمة متفق عليه وروى
الطبراني عن ابي رافع مرفوعا لان يهدي الله علي يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس اي خير من الدنيا
وما فيها فقيل اراد ان تكون له فيتصدق بها وفي الرياض عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ابي هريرة يوم خيبر لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه وقال عمر ما احببت الامارة
فتشارفت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاعطاه اياها وقال امش ولا تلتفت فسار علي شيا
ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علي ما اقاتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم حتي يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم علي الله
عز وجل اخرجه مسلم وعن سلمة ابن الاكوع قال كان علي قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان به
رمد فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت الليلة التي فتحها
الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية او لياخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله او
قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فاذا نحن بعلي وما نرجوه فقال هذا علي فاعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففتح الله عليه اخرجاه البخاري ومسلم وعن بريدة قال حاصرنا خيبر فاخذ اللوا ابو بكر فانصرف
ولم يفتح له ثم اخذه عمر من الغد فخرج ورجع ولم يفتح له واصاب الناس يوميذ شدة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني دافع غدا الي رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتي يفتح عليه فبتنا
طيبة انفسنا ان الفتح غدا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم قام قايما فدعا باللوا والناس علي مصافهم فدعا عليا
وهو ارمد فتفل في عينه ودفع اللوا اليه ففتح له قال بريدة وانا ممن تطاول لها اخرجه احمد في المناقب وعن سلمة
ابن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق براية وكانت بيضا الي بعض حصون
خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ولم يكن فتح وقد
جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله علي يديه
ليس بفرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وهو ارمد فتفل في عينه ثم قال خذ هذه الراية

وقـــــــعز وجل

فامض حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج والله بها يهرول هرولة وانا خلفه نتبع اثره حتى ركض رايته
في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودي من راس الحصن فقال من انت قال انا علي بن ابي طالب قال
اليهودي علوتم وما انزل على موسى او كما قال فما رجع حتى فتح الله على يديه اخرجه ابن اسحاق وعن
ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود وطرح ترسه من يده فتناول
علي بابا كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل بيده حتى فتح الله عليه ولم يكن القاه من يده حتى
فرغ فلقد رايتني في نفر من سبعة انا منهم نجتهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه اخرجه احمد في المناقب
وعن جابر بن عبد الله ان علي بن ابي طالب حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها
وبعد ذلك لم يحمله اربعون رجلا وفي طريق ضعيف ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم ان اعادوا
الباب اخرجه الحاكم في الاربعين وعن علي قال ما رمدت بعد تفل النبي صلى الله عليه وسلم في عيني اخرجه
احمد واخرج احمد ايضا عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان ابي يسمر مع علي وكان يلبس ثيابا بالصيف
في الشتا وثياب الشتا في الصيف فقيل له لو سالته فساله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
الي وانا ارمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله اني ارمد العين قال فتفل في عيني وقال اللهم
اذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ وقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله ليس بفرار فتشرف لها اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاعطانيها وذكر حديث البرا قال لعلي انت
مني وانا منك في باب بلوغ الصغير لما كان له تعلق بالحضانة والحديث هناك مشتمل على فضل علي وجعفر
وزيد بن حارثة رضي الله عنهم اجمعين الفصل الثاني عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان عليا مني وانا منه اي في النسب والمصاهرة والمسابقة والمحبة وغيره ذلك من المزايا لا في
محض القرابة والا فغيره مشارك له فيها وهو ولي كل مؤمن اي حبيبه كما قاله ابن الملك او ناصره ومتولي
امره قال الطيبي هو اشارة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون وفي الكشاف قيل نزلت في علي رضي الله عنه فان قلت كيف يصح ان
يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة قلت جي به ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية
المومنين يجب ان يكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان قال البيضاوي قوله وهم راكعون
اي متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيوتون اي يوتون الزكوة في حال ركوعهم
في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في علي كرم الله وجهه حين ساله سائل وهو
راكع في صلوته فطرح له خاتمه انتهى والحديث رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه بروايات مختلفة
قال القاضي واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف
فيهم والظاهر ما ذكرناه مع انه تعالى لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما لم يقل
وليكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمومنين على التبع مع ان حمل الجمع على الواحد
ايضا خلاف الظاهر قال السيد معين الدين الصفوي ما قبل الاية يدل على ان المراد من الولاية ليس
التولي للامور والمستحق للتصرف كما قالت الشيعة بل ذكره بلفظ الجمع تحريضا على المبادرة على
الصدقة فيدخل فيه كل من بادر فلا يستدل بهذه الاية على امامة علي رضي الله عنه انتهى والحاصل
ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما واللفظ بصيغة الجمع فيدخل علي كرم الله وجهه
فيه دخولا اوليا لان المراد محصور فيه حقيقيا رواه الترمذي وفي الرياض عن عمران بن حصين قال بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها عليا قال فمضى علي في السرية فاصاب جارية فانكروا عليه وتعاقد

اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرناه بما صنع
علي قال عمران وكان المسلمون اذا قدموا من سفر بدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه ثم
تفرقوا الى رحالهم فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام احد الاربعة فقال
يا رسول الله الم تر ان عليا صنع كذا وكذا فاعرض عنه ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فاعرض عنه ثم
قام الثالث فقال مثل مقالته فاعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا فاقبل اليه صلى الله عليه
وسلم والغضب يعرف في وجهه فقال ما تريدون من علي ثلاثا ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن
بعدي اخرجه الترمذي وقال حسن غريب واخرجه احمد وقال فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الرابع وقد تغير وجهه فقال دعوا عليا دعوا عليا ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي وله طريق اخر
عن بريدة واصله في صحيح البخاري واخرجه احمد في المناقب عن ابي رافع قال لما قتل علي اصحاب الالوية
يوم احد قال جبريل يا رسول الله ان هذه المواساة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انه مني وانا منه فقال
جبريل وانا منكما يا رسول الله وعن زيد بن ارقم مر ذكره تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه
فعلي مولاه قيل معناه من كنت اتولاه فعلي يتولاه من الولي ضد العدو اي من كنت احبه فعلي
يحبه وقيل معناه من يتولاني فعلي يتولاه كذا ذكره شارح من علمائنا وفي النهاية المولى
يقع على جماعة كثيرة كالرب والمالك والسيد والمنعم المعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن
العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه واكثرها قد جاءت في الاحاديث فيضاف
كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه وقوله من كنت مولاه يحمل على اكثر هذه الاسماء المذكورة قال
الشافعي يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول
عمر لعلي اصبحت مولى كل مومن اي ولي كل مومن وقيل سبب ذلك ان اسامة قال لعلي لست مولاي
انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه
وفي شرح المصابيح للقاضي قالت الشيعة هو المتصرف وقالوا معنى الحديث ان عليا رضي الله عنه
يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول صلى الله عليه وسلم التصرف فيه ومن ذلك امور المومنين
فيكون امامهم قال الطيبي لا يستقيم ان تحمل الولاية على الامامة التي هي التصرف في امور المومنين لان
المتصرف المستقل في حياته صلى الله عليه وسلم هو هو لا غيره فيجب ان يحمل على المحبة وولاء الاسلام ونحوهما
انتهى وقيل سبب وروده هذا الحديث كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن اسحاق ان عليا
تكلم بعض من كان معه باليمن فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجه خطب بها تنبيها على قدره وردا على من
تكلم فيه كبريدة كما في البخاري وسبب ذلك كما رواه الذهبي وصححه انه خرج معه الى اليمن فراى منه جفوة
فنقصه للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتغير وجهه عليه السلام ويقول يا بريدة الست اولى بالمومنين
من انفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه رواه احمد والترمذي وفي الجامع
رواه احمد وابن ماجة عن البرا واحمد عن بريدة والترمذي والنسائي والضيا عن زيد بن ارقم ففي
اسناد المصنف الحديث عن زيد بن ارقم الى احمد والترمذي مسامحة لا تخفى وفي رواية لاحمد والنسائي
والحاكم عن بريدة بلفظ من كنت وليه فعلي وليه روى المحاملي في اماليه عن ابن عباس ولفظه علي
ابن ابي طالب مولى من كنت مولاه والحاصل ان هذا حديث صحيح لا مرية فيه بل بعض الحفاظ
عده متواترا اذ في رواية لاحمد انه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما
نوزع ايام خلافته وسياتي زيادة تحقيق في الفصل الثالث عند حديث البرا وعن حبشي بضم حا وسكون
موحدة فكسر فتشديد تحتية ابن جنادة بضم الجيم قال المولف راى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وله

محدث عداده في اهل الكوفة روى عنه حبشي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا منه اي مرضعا ه
ولا يؤدي عني اي نبذ العهد الا انا او علي كان الظاهر ان يقال لا يؤدي عني الا علي فادخل انا تاكيدا
لمعنى الاتصال في قوله علي مني وانا منه قال التوربشتي كان من داب العرب اذا كان بينهم مقاولة في نقض وابرام
وصلح ونبذ عهد ان لا يؤدي ذلك الا سيد القوم او من يليه من ذوي قرابته القريبة ولا يقبلون
من سواهم فلما كان العام الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ان يحج بالناس راى
بعد خروجه ان يبعث عليا كرم الله وجهه خلفه لينبذ الى المشركين عهدهم ويقرا عليهم سورة براءة
وفيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الى غير ذلك من الاحكام فقال قوله
هذا اكراما له بذلك قلت واعتذارا لابي بكر في مقامه هنالك ولذا قال الصديق لعلي حين لحقه من ورائه
امير او مامور فقال بل مامور وفيه ايماء الى ان امارته انما تكون متاخرة عن خلافة الصديق كما لا يخفى على
ذوي التحقيق رواه الترمذي وكذا احمد والنسائي وابن ماجة عن حبشي على ما في الجامع ورواه احمد عن ابي
جنادة فلعل احمد له روايتان ثم لم يذكر المولف ابا جنادة في اسمائه وعن ابن عمر قال اخى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد الهجرة اي جعل المواخاة في الدين بين اصحابه اي اثنين اثنين كابي الدرداء وسلمان فجاء علي تدمع
عيناه اي حزينا بسبب ما له فقال وفي رواية يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بالعمر ونحوه ابدا له
وبين احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جبرا له بما فاته جبرا له انت اخي في الدنيا والاخرة رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن غريب واخرجه احمد في المناقب عن عمر بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اخى بين الناس وترك عليا حتى بقي اخرهم لا يرى له اخا فقال يا رسول الله اخيت
بين الناس وتركتني قال ولم تراني تركتك لنفسي انت اخي وانا اخوك فان ذكرك احد فقل انا
عبد الله واخو رسوله لا يدعيها بعدك الا كذاب وعن انس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم
طير اي مشوي او مطبوخ اهدي اليه صلى الله عليه وسلم وفي رواية اهدت امراة من الانصار الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمت اليه فقال اللهم ائتني باحب خلقك اليك وفي رواية والى
رسولك بالرفع وفي نسخة بالجر معي هذا الطير فجاءه علي فاكل معه رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب اي اسنادا او متنا ولا منع من الجمع قال ابن الجوزي موضوع وقال الحاكم ليس بموضوع
وفي المختصر قال له طرق كثيرة كلها ضعيفة وفي الرياض رواه احمد في المناقب قال الامام التوربشتي نحن
وان كنا لا نجهل بحمد الله فضل علي رضي الله عنه وقدمه وسوابقه في الاسلام واختصاصه برسول الله صلى
الله عليه وسلم لقرابته القريبة ومواخاته اياه في الدين ونتمسك من حبه باقوى واولى مما يدعيه الغالون
فيه فلسنا نرى ان نضرب عن تقرير امثال هذه الاحاديث في نصابها صفحا لما نخشى فيه من تحريف
الغالين وتاويل الجاهلين وانتحال المبطلين وهذا باب امرنا فيه فطنة وحي امر بالذب عنه فحقيق علينا
ان نبصر فيه الحق ونقدم فيه الصدق وهذا حديث به المبتدع شانه وتوصل به المنتحل جماعه ليتخذه
ذريعة الى الطعن في خلافة ابي بكر رضي الله عنه التي هي اول حكم اجمع عليه المسلمون في هذه الامة
واقوم عماد اقيم به الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق هذا الحديث لا يقاوم
ما اوجب تقديم ابي بكر والقول بخيريته من الاخبار الصحاح منضما اليها اجماع الصحابة لمكان سنده فان
فيه لاهل النقل مقالا ولا يجوز حمل امثاله على ما يخالف الاجماع لا سيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل
في هذا الاجماع واستقام عليه مدة عمره ولم ينقل عنه خلافه فلو ثبت عنه هذا الحديث فالسبيل
ان يؤول على وجه لا ينتقض عليه ما اعتقده ولا يخالف ما هو اصح منه متنا واسنادا وهو ان يقول
يحمل قوله باحب خلقك على ان المراد منه ائتني بمن هو من احب خلقك اليك فيشاركه فيه غيره

وهـــــلله عز وجل

وهم المفضلون باجماع الامة وهذا مثل قولهم فلان اعقل الناس وافضلهم اي من اعقلهم وافضلهم ومما
يبين لك ان حمله على العموم غير جائز هو ان النبي صلى الله عليه وسلم من جملة خلق الله ولا جائز ان يكون
علي احب الى الله منه فان قيل ذلك شيء عرف باصل الشرع قلنا والذي نحن فيه عرف ايضا بالنصوص
الصحيحة واجماع الامة فيؤول هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه او على انه اراد به احب
خلقه اليه من بني عمه وذويه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلق القول وهو يريد تقييده
ويعم به ويريد تخصيصه فيعرفه ذوو الفهم بالنظر الى الحال او الوقت او الامر الذي هو فيه قال الطيبي
والوجه الذي يقتضيه المقام هو الوجه الثاني لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره ان ياكل وحده لانه
ليس من شيمة اهل المروات فطلب من الله تعالى ان يتيح له من يواكله وكان ذلك دلوا واحسانا
منه اليه وابر المبرات بذوي الرحم وصلته كان قال باحب خلقك اليك من ذوي القرابة القريبة
ومن اوليه باحساني وبري اليه انتهى وفيه انه لا شك ان الحسنين لعم اولى من ابنه وكذا البنت
ولادها في امر البر والاحسان على ان قول الطيبي هذا انما يتم اذا لم يكن احد هناك ممن يواكله ولا شك
في وجوده لا سيما وانس حاضر وهو خادمه ولم يكن من عادته انه لا ياكل معه فالوجه الاول هو
المعول ونظيره ما ورد احاديث بلفظ افضل الاعمال في امور لا يمكن جمعها الا ان يقال في بعضها
ان التقدير من افضلها وعن علي رضي الله عنه قال كنت اذا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي طلبت شيئا اعطاني اي المسؤول او جوابه واذا سكت ابتداني اي بالتكلم او الاعطاء ففيه
اشعار بان حسن الادب هو السكوت وتفويض الامر الموجب للتفضل المتفرع عليه الاقبال
بالمنح للاعطاء اولا ويؤيده حديث من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
ومما يدل على كرمه وزهده ما ذكره اصحاب المناقب عن علي قال لقد رايتني مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم واني لاربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم اربعون الفا وفي رواية
وان صدقة مالي لتبلغ اربعون الف دينار اخرجهما احمد وربما يتوهم متوهم ان مالي يبلغ زكوته هذا
القدر وليس كذلك فانه كان ازهد الناس فقيل معناه ان الذي تصدقت به منذ كان لي مال الى
اليوم كذا او كان القائم ذكره لذلك انما هو في معرض الشكر على هذه الخلة وعلم الاكثر اذ بما خرج الله
تعالى وان اخراجها بلغ في الزهد من عدمه وابعد من قال ويحتمل ان يكون في معرض التوبيخ لنفسه
بنقل الحال الى مثل هذا بعد تلك الحال وعن سهل بن سعد ان علي بن ابي طالب دخل على فاطمة
والحسن والحسين يبكيان فقال ما يبكيهما قالت الجوع فخرج علي فوجد دينارا في السوق فجاء
الى فاطمة فاخبرها فقالت اذهب الى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقا فجاء الى اليهودي
فاشترى به دقيقا فقال اليهودي انت ختن هذا الذي يزعم انه رسول الله قال نعم قال فخذ
دينارك ولك الدقيق فخرج علي حتى جاء به فاطمة فاخبرها فقالت اذهب الى فلان الجزار فخذ لنا
بدرهم لحما فذهب فرهن الدينار بدرهم على لحم فجاء به فعجنت ونصبت وخبزت وارسلت الى ابيها
فجاءهم فقالت يا رسول الله اذكر لك فان رايته حلالا اكلناه واكلت من شانه كذا قال كلوا بسم الله
فاكلوا فبينا هم مكانهم اذ غلام ينشد الله والاسلام الدينار فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا له فساله فقال سقط مني في السوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي اذهب الى الجزار
فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ارسل الي بالدينار ودرهمك علي فارسل به فدفع
اليه اخرجه ابو داود ومما يدل على تواضعه ما اخرجه البغوي في معجمه عن ابي صالح بياع الاكسية
عن جدته قال رايت عليا اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل يا امير المومنين الا نحمله عنك

قال ابو الهيال احق بجماله وعن زيد بن وهب ان الجعد بن بعجة من الخوارج عاتب عليا في لباسه
فقال مالي وللباس هذا ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي به المسلم اخرجه احمد وصاحب الصفوة
ومما يدل على ورعه ما اخرجه احمد عن عبد الله بن رزين قال دخلت على علي يوم الاضحى فقرب الينا
حريرة فقلت اصلحك الله لو قربت الينا من هذا البط يعني الاوز فان الله قد اكثر الخير فقال يا ابن
رزين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو
واهله وقصعة يضعها بين ايدي الناس وعن علي بن ابي طالب ربيعة ان علي بن ابي طالب
جاءه ابن التياح فقال يا امير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء قال الله اكبر فقام
متوكيا على ابن التياح حتى قام وامر فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المسلمين وهو
يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم امر بنضحه وصلى
فيه ركعتين اخرجه احمد في المناقب وفي رواية عند احمد نصلي فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة
وعن علي قال جعت بالمدينة جوعا شديدا فخرجت اطلب العمل في عوالي المدينة فاذا انا بامرأة
قد جمعت مدرا فظننتها تريد بله فاتيتها فقاطعتها كل دلو بتمرة فمددت ستة عشر ذنوبا حتى
مجلت يدي ثم اتيتها فقالت بكلتي يدي هكذا بين يديها وبسط اسماعيل راوي الحديث
يديه جميعا فعدت لي ست عشرة تمرة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فاكل معي منها
وقال لي خيرا ودعا لي اخرجه احمد في المناقب وصاحب الصفوة والفضائلي رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب واخرج ابن سعد عن علي انه قيل له ما لك اكثر اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اني كنت اذا سألته انبأني واذا سكت ابتدأني وعنه اي عن علي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا دار الحكمة وفي رواية انا مدينة العلم وفي رواية انا دار العلم وعلي بابها
بابهن ابوابها ولكن التخصيص يفيد نوعا من التعظيم وهو كذلك لانه بالنسبة الى بعض الصحابة وعلمه
ومما يدل على ان جميع الاصحاب بمنزلة الابواب قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
الايماء الى اختلاف مراتب انوارها في الاهتداء ومما يحقق ذلك ان التابعين اخذوا انواع العلوم الشرعية من القراءة
والتفسير والحديث والفقه من سائر الصحابة غير علي رضي الله عنه ايضا فعلم عدم انحصار الباب في حقه
اللهم الا ان يختص بباب القضاء فانه ورد في شانه انه اقضاكم كما انه جاء في حق ابي انه اقرأكم وفي حق
زيد بن ثابت انه افرضكم وفي حق معاذ بن جبل انه اعلمكم بالحلال والحرام ومما يدل على جزالة علمه ما في الرياض
عن معقل بن يسار قال وضأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل لك في فاطمة تعودها فقلت نعم فقال
متوكيا علي فقال انه سيحمل ثقلها غيرك ويكون اجرها لك قال فكأنه لم يكن علي شيء حتى دخلنا على فاطمة فقلنا
كيف تجدينك قالت لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي قال عبد الله بن احمد بن حنبل وجدت
بخط ابي في هذا الحديث قال اما ترضين اني زوجتك اقدمهم سلما واكثرهم علما واعظمهم حلما اخرجه
احمد وعن ابن عباس وقد سأله الناس فقالوا اي رجل كان عليا قال كان قد ملئ جوفه حكما وعلما وباسا
ونجدة مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه احمد في المناقب وعن سعيد بن المسيب
قال عمر كان يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن اخرجه احمد قال الطيبي لعل الشيعة يتمسك بهذا
التمثيل ان اخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطة رضي الله عنه لان الدار انما
يدخل من بابها وقد قال تعالى واتوا البيوت من ابوابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من
دار الحكمة ولها ثمانية ابواب رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا وقال اي الترمذي
روى بعضهم هذا الحديث عن شريك وهو شريك بن عبد الله قاضي بغداد ذكره شارح ولم يذكروا

ومعه عز وجل

ايذكر

اي ذكر البعض فيه اي في اسناد هذا الحديث عن الصنابحي بضم الصاد وكسر موحدة ومهملة ولا نعرف
اي نحن هذا الحديث عن احد من الثقات غير شريك بالنصب على الاستثناء وفي نسخة بالجر على انه
بدل من احد قيل وفي بعض نسخ الترمذي عن شريك بدل غير شريك والله اعلم ثم اعلم ان حديث
انا مدينة العلم وعلي بابها رواه الحاكم في المناقب من مستدركه من حديث ابن عباس وقال
صحيح تعقبه الذهبي فقال بل هو موضوع وقال ابو زرعة كم خلق افتضحوا فيه وقال يحيى بن
معين لا اصل له كذا قال ابو حاتم ويحيى بن سعيد وقال الدارقطني ثابت ورواه الترمذي في المناقب
من جامعه وقال انه منكر وكذا قال البخاري قال ليس له وجه صحيح واورده ابن الجوزي في
الموضوعات وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل لكن قال الحافظ ابو
سعيد العلائي الصواب انه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف فضلا عن ان يكون موضوعا
ذكره الزركشي وسئل الحافظ العسقلاني عنه فقال انه حسن لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما
قال ابن الجوزي قال السيوطي وقد بسطت كلام العلائي والعسقلاني في التعقبات التي على الموضوعات
انتهى وفي خبر الفردوس انا مدينة العلم وابو بكر اساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها
وتشبث بعضهم فاجاب ان معنى وعلي بابها انه فعيل من العلو على حد قراءة صراط علي مستقيم برفع علي
وتنوينه كما قرأ به يعقوب وعن جابر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف قال شارح اي
يوم ارسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا الى الطائف فانتجاه من باب الافتعال من النجوى اي فساره وقال
له نجوى فقال الناس اي المنافقون او عوام الصحابة لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما انتجيته اي ما خصصته بالنجوى انا ولكن الله انتجاه تنتشد لكن وتخفف والمعنى اني بلغته من
الله ما امرني ان ابلغه اياه على سبيل النجوى فحينئذ انتجاه الله لا انتجيته فهو تلميح قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى قال الطيبي كان ذلك اسرارا الهية وامورا غيبية جعله من خزانتها انتهى
وفيه ان الظاهر ان المراد المناجى به من الاسرار الدنيوية المتعلقة بالاخبار الدينية من امر الغزو ونحوه
اذ ثبت في صحيح البخاري انه سئل علي كرم الله وجهه هل عندكم شيء ليس في القرآن فقال
والذي خلق الحبة والنوى وبرأ النسمة ما عندنا الا ما في القرآن الا فهما يعطى رجل في كتابه وما
في الصحيفة فقال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر ثم هذا التناجي يحتمل انه بعد نزول
اية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة واختلفوا في ان امره
للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل تلاوة لم يتصل به نزولا حتى يكمل العمل
به وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم رواه الترمذي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي
لا يحل لاحد يجنب بضم اوله وكسر نونه قال الطيبي ظاهره ان يجنب فيكون فاعلا لقوله لا يحل وقوله في
هذا المسجد ظرف ليجنب وفيه اشكال ولذا اوله فراربه صرد صفة لاحد غيري وغيرك بالنصب
على الاستثناء وفي كثير من النسخ بالرفع ولا يظهر له وجه الا ان يقال خبر مبتدأ محذوف اي هو غيري
وغيرك قال علي بن المنذر قال المولف هو كوفي عرف بالطريقي روى عن ابن عيينة والوليد ابن
مسلم وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم قال ابن ابي حاتم سمعت منه مع ابي وهو
ثقة صدوق وقال النسائي شيعي محض ثقة مات سنة ست وخمسين ومائتين فقلت لضرار بكسر
الضاد المعجمة بن صرد بضم ففتح فتنوين يكنى ابا نعيم الكوفي الطحان سمع المعتمر سليمان وغيره وروى
عنه علي بن المنذر ما معنى هذا الحديث قال لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك قال القاضي ذكر في شرح

لاحدهم

ان لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك وهذا انما يستقيم اذا جعل يجنب صفة لاحد ومتعلق الجار
محذوفا فيكون تقدير الكلام لا يحل لاحد يصيبه الجنابة يمر في المسجد غيري وغيرك وكان ممر دارهما فيه
في المسجد قال الطيبي والاشارة في هذا المسجد مشعرة بان له اختصاصا بهذا الحكم ليس لغيره من
المساجد وليس ذلك الا لان باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح في المسجد وكذا باب علي ويويده
حديث ابن عباس في الفصل الثالث امر بسد الابواب الا باب علي رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وقال الجزري هذا الحديث ضعيف باتفاقهم انتهى وسياتي بحث وارد هنا في الفصل الثالث عند قوله
امر بسد الابواب الا باب علي وعن ام عطية قال المولف هي نسيبة بضم النون وفتح السين المهملة وسكون
اليا وفتح البا الموحدة بنت كعب وقيل بنت الحارث الانصارية بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فتمرض
المرضى وتداوي الجرحى قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم علي قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يقول اي حين ارساله او عند توقع اقباله اللهم لا تمتني بضم فكسر
اي لا تقبض روحي حتى تريني بضم فكسر اي تبصرني عليا اي رجوعه باسلامه رواه الترمذي وعن
الحسن انه قال حين قتل علي لقد فارقكم رجل ما سبقه الاولون بعلم ولا ادركه الاخرون كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعثه بالسرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح عليه
اخرجه احمد الفصل الثالث عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مومن اي كامل رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن
غريب اسنادا وقد سبق ما يويده وعنها اي عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سب عليا اي من جهة النسب فقد سبني او من شتم عليا فكانه شتمني فمقتضاه
ان يكون سب علي كفرا وهو محمول على التهديد والوعيد او مبني على الاستحلال والله اعلم بالحال رواه
احمد وكذا الحاكم وروى الطبراني عن ابن عباس من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملايكة
والناس اجمعين وفي رواية للطبراني عن علي من سب الانبيا قتل ومن سب اصحابي جلد وفي
الرياض عن عمرو بن شاس الاسلمي وكان من اصحاب الحديبية قال خرجت مع علي الى اليمن
فجفاني في سفري حتى وجدت في نفسي عليه فلما قدمت المدينة اظهرت شكايته في المسجد حتى
بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فلما راني امدني عينيه يقول حدد الي
النظر حتى اذا جلست قال يا عمرو والله لقد اذيتني قلت اعوذ بالله ان اوذيك يا رسول الله فقال
بلى من اذى عليا فقد اذاني اخرجه احمد وعن ابن عباس قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى علي بن ابي طالب فقال له انت سيد في الدنيا سيد في الاخرة من احبك فقد احبني وحبيبك
حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله الويل لمن ابغضك اخرجه
احمد في المناقب وعن ابن عباس ايضا لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا
فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله عز وجل اكبه الله على منخره اخرجه ابو عبد
الله الملائي وعن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني اخرجه
احمد وعن عروة بن الزبير ان رجلا وقع في علي بن ابي طالب بمحضر من عمر فقال عمر اتعرف صاحب هذا القبر
هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا تذكر عليا الا بخير فانك ان تنقصته اذيت صاحب هذا القبر صلى
الله عليه وسلم اخرجه احمد في المناقب وعن ابي سعيد الخدري قال اشتكى الناس يوما عليا فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فسمعته يقول يا ايها الناس لا تشكوا عليا فوالله انه لاخشن
في ذات الله او في سبيل الله اخرجه احمد وعن علي رضي الله عنه قال قال لي اي مخصوصا به النبي صلى

و[illegible] عز وجل

الله عليه

الله عليه وسلم فيك مثل اي في حقك شبه من عيسى اي من وجهين متعارضين لقومين مثنى القوم ابغضته
اليهود اي بغضا مفرطا حتى بهتوا امه من بهته كمنعه قال عليه ما لم يفعل والمعنى انهم افتروا عليها
بان نسبوها الى الزنى واحبته النصارى اي حبا بليغا حتى انزلوه بالمنزلة التي ليست له اي مع اختلافهم
له في ذلك المنزلة ثم قال اي علي موقوفا يهلك في اي يضل في حقي رجلان اي احدهما رافضي
والاخر خارجي محب مفرط بضم فسكون اي مبالغ عن الحد يقرظني بكسر الرا المشددة اي يمدحني
بما ليس في اي بتفضيلي على جميع الصحابة او على الانبيا او باثبات الالوهية كطايفة النصيرية ومبغض
وانما لم يقل هنا مفرطا لان البغض باصله ممنوع بخلاف اصل الحب فانه ممدوح يحمله اي يبعثه ويكسبه
شناني بفتحتين وبسكون الثاني وحكي تركه الهمز اي عداوتي على ان يبهتني ان يتكلم علي بالبهتان وينسب
الي الزور والعصيان رواه احمد اي في المسند وعنه قال ليحبني اقوام حتى يدخلوا النار في حبي ويبغضني
اقوام حتى يدخلوا النار في بغضي رواه احمد في المناقب وعن السدي قال قال علي اللهم العن كل مبغض
لنا وكل محب لنا غال اخرجه احمد في المناقب وعن البرا بن عازب وزيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نزل اي في مرجعه من حجة الوداع في حال اصحابه من الاجتماع بغدير خم بضم خا وتشديد ميم
غيضة على ثلاثة اميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف الى الغيضة اخذ بيد علي رضي الله
عنه فقال الستم تعلمون اني اولى بالمومنين اي بجنسهم من انفسهم وفيه ايماء الى قوله تعالى
النبي اولى بالمومنين من انفسهم قالوا بلى قال الستم تعلمون اني اولى بكل مومن اي بخصوصه
من نفسه اي فضلا عن بقيته اهاله قالوا بلى قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وفي رواية واحب من احبه وابغض من ابغضه وانصر من نصره واخذل
من خذله وادر الحق معه حيث دار فلقيه عمر رضي الله عنه بعد ذلك فقال له هنيا اي
طوبى لك او عش عيشا هنيا يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت اي صرت في كل وقت مولى
كل مومن ومومنة تمسكت الشيعة انه من النص المصرح بخلافة علي رضي الله عنه حيث
قالوا معنى المولى الاولى بالامامة والا لما احتاج الى جمعهم كذلك وهذه من اقوى شبههم ودفعه
علماء اهل السنة بان المولى بمعنى المحبوب وهو علي كرم الله وجهه سيدنا وحبيبنا وله معاني
اخر تقدمت ومنه الناصر وامثاله فخرج عن كونه نصا فضلا عن ان يكون صريحا ولو سلم انه بمعنى
الاولى بالامامة فالمراد به المال والا لزم ان يكون هو الامام مع وجوده عليه السلام فتعين ان
يكون المقصود منه حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافيه تقديم الايمة الثلاثة عليه لانعقاد
اجماع من يعتد به حتى من علي ثم سكوته عن الاحتجاج به الى ايام خلافته قاض على من له ادنى
مسكة بانه علم منه انه لا نص فيه على خلافته عقيب وفاته عليه السلام مع ان عليا كرم الله وجهه
صرح نفسه بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص عليه ولا على غيره ثم هذا الحديث مع كونه احادا مختلف في
صحته فكيف ساغ للشيعة ان يخالفوا ما اتفقوا عليه اشتراط التواتر في احاديث الامامة
ما هذا الا تناقض صريح وتعارض قبيح رواه احمد اي في مسنده واقل مرتبته ان يكون حسنا
فلا التفات لمن قدح اي قطع في ثبوت هذا الحديث وابعد من رده بان عليا كان باليمن لثبوت
رجوعه منها وادراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم ولعل سبب قول هذا القايل انه وهم انه
صلى الله عليه وسلم قال هذا القول عند وصوله من المدينة الى غدير خم ثم قول بعضهم ان زيادة اللهم
وال من والاه موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها والله اعلم وفي الرياض
عن رياح بن الحارث قال جا رهط الى علي بالرحبة فقالوا السلام عليك يا مولانا قال كيف اكون مولاكم

وانتم عرب قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه قال رباح
فلما مضى تبعتهم فسألت من هولاء قالوا نفر من الانصار فيهم ابو ايوب الانصاري اخرجه احمد وعن
بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرايت منه جفوة فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت
فتنقصته فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال يا بريدة الست اولى بالمومنين
من انفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه اخرجه احمد وعن بريدة
قال خطب ابو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وفي رواية فسكت
ولعلها محمولة على مرة اخرى ثم خطبها علي فزوجها منه يوهم انه مما يدل على افضلية علي عليهما
وليس كذلك او يحتمل انها كانت صغيرة عند خطبتهما ثم بعد مدة حتى كبرت ودخلت
في خمسة عشر خطبها علي او المراد انها صغيرة بالنسبة اليهما لكبر سنهما وزوجها من علي لمناسبة
سنه لها ولوحي نزل بتزويجها له ويويده ما في الرياض انه قال لابي بكر وعمر وغيرهما ممن خطبها
لم ينزل القضا بعد فارتفع الاشكال واندفع الاستدلال رواه النسائي واخرج ابو الخير القزويني
الحاكمي عن انس بن مالك قال خطب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فقال صلى الله عليه
وسلم يا ابا بكر لم ينزل القضا ثم خطبها عمر مع عدة من قريش كلهم يقول له مثل قوله لابي بكر فقيل
لعلي لو خطبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عسى ان يزوجكها قال وكيف خطبها اشراف
قريش فلم يزوجها فخطبتها فقال صلى الله عليه وسلم قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ايام فقال لي يا انس اخرج وادع لي ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان
ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة والزبير وبعدة من الانصار قال
فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم واخذوا مجالسهم وكان علي غايبا في حاجة النبي
صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه
وسطوته النافذ امره في سمايه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه
واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اسمه وعظمته جعل المصاهرة سببا
لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزمه للانام فقال عز من قايل وهو الذي خلق من
الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى يجري الى قضايه وقضاه يجري
الى قدره ولكل قضا قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده
ام الكتاب ثم ان الله تعالى امرني ان ازوج فاطمة بنت خديجة من علي بن ابي طالب فاشهدوا
اني زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي بن ابي طالب ثم دعا بطبق من بسر فوضعه
بين ايدينا ثم قال انهبوا فنهبنا فبينا نحن ننهب اذ دخل علي على النبي صلى الله عليه وسلم
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال
فضة ان رضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله قال انس فقال النبي صلى الله عليه
وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس والله لقد اخرج
منهما كثيرا طيبا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بسد الابواب اي المفتوحة
في المسجد الا باب علي ولذا قال لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قيل ولا يشكل
هذا الحديث بما مر في مناقب ابي بكر من امره بسد الخوخ جميعها الا خوخة ابي بكر لان
ذاك فيه التصريح ان امرهم بالسد كان حال مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على
امر تقدم على المرض وبذلك يتضح قول العلما ان ذلك فيه اشارة الى خلافة ابي بكر على ان ذكر

ومعه لله عز وجل

الحديث

الحديث اصح من هذا واشهر فانه حديث متفق عليه وهو كما قال المولف رواه الترمذي وقال
هذا حديث غريب اي متنا او اسنادا ومما لكن قد اخرج احمد والضيا عن زيد بن
ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني امرت بسد هذه الابواب غير باب علي ففي
الرياض اخرجه احمد عن زيد بن ارقم قال كان لنفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابواب شارعة في المسجد قال فقال يوما سدوا هذه الابواب الا باب علي قال
فتكلم فيه ناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني
امرت بسد هذه الابواب غير باب علي فقال فيه قايلكم واني والله ما سددت شيا ولا فتحته
ولكن امرت بشي فاتبعته وعن ابن عمر قال لقد اوتي ابن ابي طالب ثلاث خصال لان
يكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم زوجه صلى الله عليه وسلم ابنته وولدت له وسد
الابواب الا بابه في المسجد واعطاه الراية يوم خيبر اخرجه احمد وعن عبد الله بن شريك
عن عبد الله بن ارقم الكناني قال خرجت الى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك فقال
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب الشارعة في المسجد وترك باب علي اخرجه
احمد قال السعدي عبد الله بن شريك كذاب وقال ابن حبان كان غاليا في التشيع وقد
روي هذا الحديث عن ابن عباس وجابر رجاله صحيح وان الصحيح ما اخرج في الصحيحين عن ابي
سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى باب في المسجد الا سد الا باب ابي بكر
وان صح الحديث في علي ايضا حمل ذلك ايضا على حالين مختلفين توفيقا بين الحديثين
والله اعلم وعن علي رضي الله عنه قال كانت لي منزلة اي مرتبة قرب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الخلايق فيه مبالغة لا تخفى حيث عبر عن الصحابة
بجميع الخلايق التي لا تحصى ايته بالمد استيناف بيان لتلك المنزلة اي احيته
بالعلي سحر اي باول اوقاته وهو السدس الاخير على ما ذكره الكشاف فاقول السلام
عليك يا رسول الله اي سلام استيذان فان تنحنح اي مع جواب السلام او بدونه
بنا على ان سلام الاستيذان هل له جواب واجب ام لا انصرفت الى اهلي اي رجعت
الى اهل بيتي علما بان هناك مانع شرعي او عرفي والا اي وان لم يتنحنح دخلت
عليه اي وتشرفت بالحضور لديه ومطالعة النظر اليه رواه النساي وعنه
اي عن علي قال كنت شاكيا اي مريضا فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذاهبا
او عايدا وانا اقول اللهم ان كان اجلي اي انتهاء عمري قد حضر اي وقته فارحني اي
بالموت من الاراحة وهي اعطا الراحة بنوع ازاحة للبلية وان كان اي اجلي متاخرا
فارفغني بفتح الفا وسكون الغين المعجمة اي وسع لي في المعيشة باعطا الصحة فان
عافيتك اوسع وفي نسخة صحيحة بالعين المهملة ويويد الاول ما في النهاية في
حديث علي ارفغ لكم اي اوسع وعيش رافغ اي واسع ذكره الطيبي وهو مشعر بان
ارفغني من باب الافعال والله اعلم بالحال وفي القاموس الرفغ السعة والخصب
وزاد في الصحاح يقال رفغ عيشه رفاغة اي اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ اي واسع
طيب وترفغ الرجل توسع في رفاغته من العيش قال ميرك والظاهر ان رفغ لازم فقوله
في الحديث وقول الطيبي اي وسع لي عيشي لا يخلو عن تاويل قلت يعني به الحذف
والايصال ثم قال والذي صح في اصل سماعنا فارفعني بالعين المهملة من الرفع ومعناه

ظاهر وهو الانسب بالمقام كما لا يخفى على المتامل قلت اذا وقع حق التامل في المقام يظهر انه غير ملايم للكرام لان
الدفع المتعدي بمعنى القبض ومنه قوله تعالى ودافعكم الى نعم ان صحت الرواية فينبغي ان التقدير فارفع اي
المرض عني وان كان عطف على ان كان الاول فتامل والمعنى وان كان المرض بلاء اي مما قدرته لي فقضا
وصبرني بتشديد الموحدة المكسورة اي اعطني الصبر عليه ولا تجعلني من اهل الجزع لديه وفيه
ايماء الى قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فاعاد اي
علي عليه ما قال اي اولا فضربه برجله اي لينبهه عن غفلة امره وينهاه عن شكاية حاله وليصل
اليه بركة قدمه وليحصل له كمال متابعته وقال اللهم عافه بهاء الضمير وفي نسخة بهاء السكت وكذا
في قوله او اشفه شك الراوي وهذا كلام احد الرواة المتاخرين وفيه تنبيه نبيه على ان عليا ونحوه
ينبغي ان يقول في مرضه اللهم عافني او اشفني من غير تدبير فان الله تعالى لا مستكره له قال اي
علي فما اشتكيت وجعي ذلك بعد اي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح قال المولف هو امير المومنين علي بن ابي طالب القرشي يكنى ابا الحسن وابا تراب وهو اول من
اسلم من الذكور في اكثر الاقوال وقد اختلف في سنه يومئذ فقيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ثمان
سنين وقيل عشر سنين شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها غير تبوك فانه خلفه
في اهله وفيها قال له الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى كان ادم شديد الادمة عظيم العينين
اقرب الى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية ابيض الراس واللحية استخلف يوم قتل عثمان
وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي
بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين ومات بعد ثلاث ليال من
ضربته وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن سحرا
وله من العمر ثلاث وستين سنة وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون
وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر واياما روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق
من الصحابة والتابعين انتهى ولا يخفى انه كان مقتضى ما سبق من ترتيب الابواب ان يذكر هنا
بابا في مناقب هولاء الاربعة ولعله اكتفى بما يذكر في ضمن العشرة المبشرة وسياتي في حديث
على في حق الاربعة بخصوصهم في اواخر الفصل الثاني **باب مناقب العشرة المبشرة**
رضي الله عنهم اراد بذكرهم ان يكونوا مجتمعين في حديث واحد ومتفرقين في احاديث وفيه
ايماء الى ان افضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة على ما صرح به السيوطي في النقاية **الفصل**
الاول عن عمر رضي الله عنه اي موقوفا قال اي قرب موته يوم الشورى ما احد احق بهذا الامر اي امر
الخلافة من هولاء النفر وهم ستة من العشرة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض
في كمال الرضا بحيث انه كان معلوما لكل احد بلا شبهة او المراد بالرضا الرضا المخصوص وهو الذي يستحقون
به الخلافة قال الطيبي علل الاحقية لقوله رسول الله عنهم راض والحال انه صلى الله عليه وسلم كان راضيا
عن الصحابة كلهم فيحمل رضاه عنهم على الزيادة لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة وكلهم من قريش والائمة
منهم فسمى عليا اي فعده وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن اي فهم افضل الناس في ذلك
الزمان فلما دفن عمر اجتمعوا على خلافة عثمان وسياتي في ترجمة الاربعة عند ذكر كل منهم منفردا ان شاء الله
تعالى ثم اعلم ان اقتصار عمر على الستة من العشرة لا اشكال فيه لانه منهم وكذلك ابو بكر ومنهم ابو عبيدة
وقد مات قبل ذلك واما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبري وقد صرح من
رواية المدائني باسانيده ان عمر عد سعيد بن زيد فيمن مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض الا انه استثناه

من اهل

من اهل الشورى لقرابته منه رواه البخاري وفي الرياض عن عمرو بن ميمون انهم قالوا لعمر بن الخطاب لما طعنه
ابو لولوة اوص يا امير المومنين واستخلف قال ما ارى احق بهذا الامر من هولاء النفر الذي توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وطلحة وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص
قال ويشهد عبد الله بن عمر وليس له من الامر شي كهيئة التعزية له فان اصاب الامر سعدا فهو ذاك والا فليستعن
به ايكم ما امر فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة فلما توفي وفرغ من دفنه ورجعوا اجتمع هولاء الرهط فقال عبد
الرحمن اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت امري الى علي وقال سعد قد جعلت امري الى عبد
الرحمن وقال طلحة قد جعلت امري الى عثمان فخلا هولاء الثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمن فقال عبد الرحمن
للاخرين ايكما تبرا من هذا الامر ويجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن الى افضلهم في نفسه وليحرصن
على صلاح الامة قال فاسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اتجعلونه الي والله علي ان لا الو عن افضلكم
قالا نعم فاخذ بيد علي فقال ان ذكر من القدم والاسلام والقرابة ما قد علمت الله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن
ولي امرت عليك لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بعثمان فقال له مثل ذلك فلما اخذ الميثاق قال لعثمان
ارفع يدك فبايعه ثم بايعه علي ثم ولج اهل الدار فبايعوه اخرجه البخاري وابو حاتم وفي رواية ذكرها ابن
الجوزي في كتاب منهاج اهل الاصابة في محبة الصحابة ان عبد الرحمن لما قال لعلي وعثمان اتجعلونه
الي قالا نعم قال لعلي اتبايع على سيرة ابي بكر وعمر فقال علي واجتهاد رايي فخاف ان يترخص من المباح ما يحتمل
من الفتن لكل المتشدد من سيرة الشيخين فقال لعثمان اتبايع على سيرة ابي بكر وعمر فقال نعم فبايعه فسار
سيرة ابي بكر وعمر مدة ثم ترخص في مباحات لم يتحملوها حتى انكروا عليه واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي
عن اسامة بن زيد عن رجل منهم انه كان يعني عبد الرحمن بن عوف كلما دعا رجلا منهم يعني من اهل الشورى
لكل ما الليلة وذكر مناقبه وقال انك لها اهل فان اخطاتك فمن تقول ان اخطاتني فعثمان انتهى والحكمة الخفية
في ترتيب الاربعة ما قاله بعض العارفين من انه اراد الله ان يتشرف كل منهم بمنصب الخلافة وكان امر الله
قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقد اجاب محمد بن جرير الطبري لما قيل له ان العباس مع جلالته
وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته لم يدخله في الشورى فقال انما جعلها في اهل السبق من
المهاجرين البدريين والعباس لم يكن مهاجرا ولا سابقا ولا بدريا وسياتي ان عثمان وطلحة وسعيد في حكم
اهل بدر حيث اعطى لهم من سهمها واجرها ثم اعلم ان الامامة تثبت اما بعقدها من اهل العقد والحل لمن عقدت
له من اهلها كابي بكر واما بنص من الامام على استخلاف واحد من اهلها كابي بكر على عمر او بنص من الامام كعمر ويجوز
نصب المفضول مع وجود من هو افضل منه باجماع العلماء من الخلفاء الراشدين على امامة بعض من قريش مع
وجود افضل منه منهم الا ان عمر جعل الخلافة بين ستة منهم عثمان وعلي وهما افضل زمانهما بعد عمر فلو تعين
الافضل لعين عمر عثمان او عليا فدل عدم تعيينه انه يجوز نصب غيرهما مع وجودهما اذ غير الافضل قد يكون اقدر
منه على القيام بمصالح الدين واعرف بتدبير الملك واوفق لانتظام حال الرعية واوثق في اندفاع الفتنة واما
اشتراط العصمة في الامام وكونه هاشميا وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه من خرافات الشيعة وجهالاتهم
وتوطية وتمهيد لهم على ما لا يتهم عن بطلان خلافة غير علي مع انتفاء ذلك في علي كرم الله وجهه وعن قيس
ابن ابي حازم قال المولف بجلي ادرك زمن الجاهلية واسلم وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده قد توفي
يعد في تابعي الكوفة روى عنه العشرة الا عن عبد الرحمن بن عوف وعن جماعة كثيرة من التابعين شهد
النهروان مع علي بن ابي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة سنة ثمان وتسعين قال رايت يد طلحة شلاء بتشديد
اللام فعلاء من الشلل وهو نقص في الكف وبطلان العمل وليس معناه القطع كما زعم بعضهم وفي استئناف بيان علة
اي حفظ بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اي جعل يده وقاية له يومئذ فحصل لها ما حصل بسببه من طعنة

وقعت عليها رواه البخاري قال المولف هو طلحة بن عبد الله يكنى ابا محمد القرشي اسلم قديما وشهد
المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت
لقريش مع ابي سفيان بن حرب فعادا يوم التقا بدر وجرح يوم احد اربعة وعشرين جراحة وقيل
كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وكان ادم كثير الشعر حسن الوجه قتل في وقعة
يوم الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة وله اربع وستون
سنة وعن جابر قال قال النبي وفي نسخة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياتيني باثبات اليا التي
هي لام الفعل فان من هنا موصولة وفي نسخة صحيحة بحذفها تخفيفا وعليها من شرطية بحذوفة
الجواب والمعنى من يجيبني بخبر القوم اي قوم الكفار يعني الاحزاب وهو يوم الخندق قال الزبير انا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا بتشديد اليا ويجوز تخفيفها اي ناصرا مخلصا وحواري
بتشديد اليا المفتوحة وفي نسخة بكسرها وفي نسخة وحواري الزبير وفي شرح مسلم قال القاضي
عياض ضبط جماعة من المحققين بفتح اليا المشددة وضبط اكثرهم بكسرها انتهى ولا يخفى ان الخبر يحتمل
ان يكون بعد اليا المشددة يا اضافة مفتوحة على وفق القراة المتواترة في قوله تعالى ان ولي الله الذي
نزل الكتاب ويحتمل ان يكون يا الاضافة ساكنة بحذف وصلا وتثبت وقفا ويحتمل ان يكون باليا
المشددة المكسورة فقط لما روي عن السوسي في ان ولي الله بكسر اليا المشددة ثم لا يخفى
انه على تقدير اليا المشددة المفتوحة او المكسورة بلا يا الاضافة لا ينبغي ان يكون مرسوما بيا واحدة
كما وجدناه في بعض النسخ المصححة ومنها نسخة الجزري وهو الظاهر من نقل النووي والموافق للرسم
القراني ثم توجيه المشددة بلا يا بعدها هو انه جا الحواري بتخفيف اليا وقد قرئ قال الحواريون
بالتخفيف شاذا فالثانية يا اضافة وهي قد تكون مفتوحة وقد تكون ساكنة وتكسر لالتقا الساكنين
هذا وفي شرح السنة المراد منه الناصر وحواري عيسى عليه السلام انصاره سموا به لانهم كانوا
يغسلون الثياب فيحورونها اي يبيضونها قال المولف هو ابن الزبير بن العوام ابو عبد الله القرشي
وامه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم اسلم قديما وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه
عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من سل
السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد كان ابيض طويلا يميل الى الخفة في
اللحم قتله عمرو بن جرموز بسفوان بفتح السين والفا من ارض البصرة سنة ست وثلاثين وله اربع
وستون سنة دفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها وروى عنه ابناه عبد الله
وعروة وغيرهما متفق عليه وفي الجامع ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير رواه البخاري والترمذي عن
جابر والترمذي والحاكم عن علي وفي الرياض عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري
الزبير اخرجه البخاري والترمذي والحاكم بزيادة ولفظه ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي
حواري وحواري الزبير واخرجه الترمذي عن علي وقال حسن صحيح واخرجه احمد عن عبد الله
بن الزبير بزيادة ولفظه لكل نبي حواري والزبير حواري وابن عمتي وعن الزبير قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ياتي بني قريظة اي من يذهب وهم طائفة من اليهود من سكان حوالي المدينة
فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه اي في الفدا فقال فداك
ابي وامي بفتح الفا وقد يكسر وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بامره ذلك لان
لان الانسان لا يفدي الا من يعظمه فيبذل نفسه او اعز اهله وقال صاحب النهاية في الحديث

فاعقر

فاعقر فداك الله ما اقتفينا اطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والاستعارة لانه انما
يفدي من المكاره من يلحقه فيكون المراد بالفدا التعظيم متفق عليه واخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وهذا القول لم يقل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب لغيره واخرج احمد عنه
قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه يوم احد والمشهور في ذكر يوم احد انه كان لسعد
ويحتمل ان يكون جمعه لهما واشتهر في سعد لكثرة ترديد القول له بذلك وقد روي عنه انه قال
جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه مرتين في احد وفي قريظة وعن عروة قال اوصى الزبير الى
ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال يا بني ما من عضو الا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتهى ذلك الى الوجه اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن عبد الله بن
الزبير قال قلت للزبير ما يمنعك ان تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تحدث
عنه اصحابه قال اما والله لم افارقه منذ اسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي متعمدا فليتبوا
مقعده من النار اخرجه البخاري وعن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع
ابويه اي في الفدا لاحد من الصحابة الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم احد يا سعد ارم
فداك ابي وامي قيل الجمع بينه وبين خبر الزبير ان عليا لم يطلع على ذلك او اراد بذلك تقييده بيوم
احد انتهى والظاهر الاطلاق المقيد بنفي السماع بلا واسطة وهو لا ينافي انه اطلع على تفدية الزبير
بواسطة الغير قال المولف سعد بن ابي وقاص يكنى ابا اسحاق واسم ابي وقاص مالك بن وهيب
الزهري القرشي اسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالث الاسلام وانا اول
من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مجاب
الدعوة مشهورا بذلك تخاف دعوته وترجى لاشتهار اجابتها عندهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فيه اللهم سدد سهمه واجب دعوته وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وللزبير
ابويه فقال لكل واحد منهما فداك ابي وامي ولم يذكر لاحد غيرهما وكان ادم اشعر الجسد
مات في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان
ابن الحكم وهو يومئذ والي المدينة ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون
سنة وهو اخر العشرة موتا وولاه عمر وعثمان الكوفة روى عنه خلق كثير من الصحابة
والتابعين متفق عليه وعن سعد بن ابي وقاص قال اني لاول العرب اللام فيه للجنس
وقوله رمى بسهم في سبيل الله صفة لهم فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ذكره الطيبي
وخلاصته ان رمى صفة اول اي اول عربي رمى واللام في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني
متفق عليه وتمامه على ما في الرياض ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق
الحبلة وهذا السمر حتى ان كان احدنا ليضع كما يضع الشاة ما له خلط اخرجه الشيخان وعن
عامر بن سعد قال بينا سعد في ابله جاء ابنه عمر فلما راه سعد قال اعوذ بالله من شر هذا الراكب
فقال له نزلت في ابلك وتركت يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد صدره وقال اسكت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي اخرجه مسلم
قال ابن قتيبة كان اخر العشرة موتا وقال الفضلي بل كان اخرهم جريب وفاة وعن
عايشة قالت سهر كفرح اي لم ينم وفي رواية ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه اي
وقت قدومه المدينة ليلته وفي رواية ذات ليلة قال الطيبي قوله مقدمه مصدر ميمي ليس
بظرف لعمله في المدينة ونصبه على الظرفية على تقدير مضاف وهو الوقت اوان الزمان وليلة بدل البعض

ومصـــــــسبل

من المقداد اي سهر ليلة من الليالي وقت قدومه المدينة من بعض الغزوات فقال ليت رجلا صالحا
وفي رواية من اصحابي يحرسني بضم الراء وفي رواية الليلة اي يحفظني بقية الليلة لانام مستريح
الخاطر مطمئن القلب اذ سمعنا وفي رواية فسمعنا صوت سلاح بكسر اوله وفي رواية خشخشة
السلاح فقال من هذا قال انا سعد قال ما جاء بك قال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجئت احرسه وفي رواية احرسك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وفي
رواية حتى سمعنا غطيطه متفق عليه وفي الرياض اخرجه مسلم والترمذي وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة وفي رواية ان لكل امة امين اي ثقة ومعتمد
ومرضي وامين هذه الامة وفي رواية وان امينا ايتها الامة ابو عبيدة بن الجراح بتشديد
الراء وانما خصه بالامانة وان كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة لغلبتها فيه بالنسبة
اليهم وقيل لكونها غالبة بالنسبة الى ساير صفاته واخرج ابو حذيفة في فتوح الشام
ان ابا بكر لما توفي وخالد على الشام واليا واستخلف عمر كتب الى ابي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل
خالدا فكتم ابو عبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب وكتب خالد الامان لاهل
دمشق وابو عبيدة الامير وهم لا يدرون ثم لما علم خالد بذلك بعد مضي نحو من عشرين ليلة
دخل على ابن عبيدة وقال يغفر الله لك جاءك كتاب امير المومنين بالولاية فلم تعلمني وانت تصلي
خلفي والسلطان سلطانك فقال له ابو عبيدة يغفر الله لك ما كنت لاعلمك حتى تعلمه من غيري
وما كنت لاكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله وقد كنت اعلمك ان شاء الله تعالى وما سلطان
الدنيا اريد ولا للدنيا اعمل وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان وقوم
بامر الله عز وجل وما يضر الرجل ان يلي عليه اخوه في دينه ولا دنياه بل يعلم ان الوالي يكاد ان
يكون ادناهما الى الفتنة واوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة الا من عصمه الله عز وجل وقليل
ما هم فدفع ابو عبيدة عند ذلك الكتاب الى خالد وتوفي رضي الله عنه بالاردن بضم الهمزة
وتشديد النون كورة باعلى الشام سنة ثماني عشرة في خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين
متفق عليه وروى احمد عن عمر مرفوعا ان لكل نبي امينا واميني ابا عبيدة ابن الجراح وعن
حذيفة جا السيد والعاقب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ابعث معنا
امينك فقال سابعث معكم امينا حق امين فتشرف لها الناس فبعث ابا عبيدة اخرجه
الشيخان وعن ابي مسعود قال جا العاقب والسيد صاحبا نجران ارادا ان يلاعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما لصاحبه لا تلاعنه فوالله لين كان نبيا ولاعناه لا نفلح
نحن ولا عقبنا ابدا قال فاتياه فقالا لا نلاعنك ولكنا نعطيك ما سالت فابعث معنا
رجلا امينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعث رجلا امينا حق امين قال
فاستشرف لها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قفى قال
هذا امين هذه الامة اخرجه احمد واخرجه الترمذي وقال فبعث ابا عبيدة مكان قم يا ابا
عبيدة فلم يذكر ما بعده ومن كلامه بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات والا كذا
مبيض لثيابه مدنس لدينه الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين قال المولف هو عامر بن عبد
الله بن الجراح الفهري القرشي اسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد
المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم احد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في
وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد من حلقي المغفر فوقعت ثنيتاه كان طوالا معروق الوجه خفيف

اللحم مات في طاعون عمواس بفتح العين بالاردن سنة ثماني عشرة ودفن ببيسان وصلى عليه معاذ بن جبل وهو
ابن ثمان وخمسون سنة يلتقي ابا النبي صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك روى عنه جماعة من الصحابة وعن
ابن ابي مليكة بالتصغير قال المولف هو عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة واسم ابي مليكة زهير
زهير بن عبد الله التيمي القرشي الاحول من مشاهير التابعين وعلمائهم وكان قاضيا على عهد
عبد الله بن الزبير سمع ابن عباس وابن الزبير وعايشة روى عنه ابن جريج وخلق كثير
سواه مات سنة سبع عشرة ومائة قال سمعت عايشة وسيلت اي والحال انها سيلت من
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا اي جاعله خليفة لو استخلفه اي صريحا على الفرض
قالت ابا بكر فقيل ثم من بفتح الميم اي الذي بعد ابي بكر قالت عمر قيل من بعد عمر قالت ابو عبيدة
ابن الجراح ففيه ان اعتقاد عايشة على ان ابا عبيدة كان اولى بالخلافة بعد الشيخين من
بقية اصحاب الشورى رواه مسلم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا
بكسر الحاء مقصورا وقد لا يصرف هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة
فقال رسول الله وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم اهدا بفتح الدال وسكون الهمزة اي اسكن
فما عليك الا نبي او صديق او شهيد يريد به الجنس لان المذكور في الحديث بعد
الصديق كلهم شهدا ام او للتنويع او بمعنى الواو وقال النووي في الحديث معجزات
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاخباره ان هولا شهدا فقتل عمر وعثمان وعلي مشهور وقتل
الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفا تاركا للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركا
للقتال فاصابه سهم فقتله وقد ثبت ان من قتل ظلما فهو شهيد وفيه فضيلة هولا وفيه
اثبات التمييز في الحجارة وجواز التزكية انتهى واغرب السيد جمال الدين حيث قال
في كون من اصابه سهم مقتولا ظلما تامل ولا دخل بعضهم اي في الحديث قوله وسعد بن
ابي وقاص ولم يذكر اي ذلك البعض عليا فقوله زاد فيه مسامحة اذ فيه معاوضة
ومبادلة ثم تقدم ان سعدا مات في قصره بالعقيق فتوجيه هذه الرواية ان يكون بالتغليب
او كما قال السيد جمال الدين انه ينبغي ان يقال كان موته بمرض من الامراض التي
تورث حكم الشهادة انتهى ومع هذا فيه نوع تغليب كما لا يخفى رواه مسلم وعن عبد
الله بن ظالم عن سعيد بن زيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرا فتحرك فقال
اثبت حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد قيل ومن هم يا رسول الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن
ابن عوف قال قيل فمن العاشر قال انا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الرياض
انه مات بالمدينة على فراشه فوجه شهادته انه شهيد حكمي كسعد وعبد الرحمن حيث
ماتا على فراشهما ايضا او دخلوا في صفة الصديقية ولا بعد فيه فانه قال تعالى والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهدا عند ربهم

الفصل الثاني

عن عبد الرحمن بن عوف قال المولف يكنى ابا محمد الزهري القرشي اسلم قديما على يد ابي بكر
الصديق وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه
وسلم وثبت يوم احد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك واتم ما فاته
كان طويلا رقيق البشرة ابيض مشربا بالحمرة ضخم الكفين اقنى اصيب يوم احد عشرين
جراحة او اكثر فاصابه بعضها في رجله فعرج ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة

وقف لله عز وجل

اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله اثنتان وسبعون سنة روى عنه ابن عباس وغيره وفي الرياض
كان اسمه في الجاهلية قيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ووصفه بانه الصادق
البار ذكره الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة
وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة
عامر بن الجراح في الجنة الظاهر ان هذا الترتيب هو المذكور على لسانه صلى الله عليه وسلم كما يشير
اليه ذكر اسم الراوي بين الاسماء والكلام مقتضى التواضع ان يذكره في اخرهم فينبغي ان يعتمد عليه
في ترتيب البقية من العشرة رواه الترمذي عن عبد الرحمن ورواه ابن ماجة وكذا احمد والضيا والدار
قطني عن سعيد بن زيد قال المولف يكنى سعيد بن زيد ابا الاعور العدوي اسلم قديما وشهد
المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة يطلبان خبر عير قريش وضرب
له النبي صلى الله عليه وسلم بسهم وكانت فاطمة اخت عمر تحته وبسببها كان اسلام عمر كان آدم طوالا اشعر
مات بالعقيق فحمل الى المدينة ودفن بالبقيع سنة احدى وخمسين وله بضع وسبعون سنة
روى عنه جماعة انتهى ولم يذكر المولف حديثا يدل على مناقبه منفردا اكتفاء بما سبق عنه
في باب الكرامات وفي الرياض عن عمر بن الخطاب بن عم ابيه كان ابوه زيد يطلب دين الحنيفية
دين ابراهيم قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يذبح للانصاب ولا ياكل الميتة ولا الدم
وخرج يطلب الدين هو وورقة بن نوفل فتنصر ورقة وابى هو التنصر فقال له الراهب انك
تطلب دينا ما هو على وجه الارض اليوم قال وما هو قال دين ابراهيم كان يعبد الله لا يشرك به شيئا
ويصلي الى الكعبة وكان زيد عليه كذلك حتى مات وعن سعيد بن زيد قال خرج ورقة بن نوفل
وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام فاما ورقة فتنصر واما زيد فقيل له ان الذي تطلب امامك
قال فانطلق حتى اتى الموصل فاذا هو براهب قال ما تطلب قال الدين فعرض عليه النصرانية قال لا
حاجة لي فيها وابى ان يقبلها فقال ان الذي تطلب سيظهر بارضك فاقبل وهو يقول لبيك حقا حقا
تعبدا ورقا مهما تجشمني اني محملي ويكلفني فاني جاثم عندك بما عاذ به ابراهيم قال ومر النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه ابو سفيان بن الحارث يأكلان من سفرة لهما فدعواه الى الغداء فقال يا ابن اخي
اني لا آكل مما ذبح على النصب حتى بعثه صلى الله عليه وسلم قال فاتاه سعيد بن زيد فقال ان زيدا كان
كما قد رايت وبلغك استغفر له فقال نعم فاستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة امة واحدة اخرجه
ابو عمر وعن اسما قالت رايت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله
ما منكم على دين ابراهيم غيري وكان يحيي الموودة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها وانا
اكفيك مونتها فياخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مونتها
اخرجه البخاري وعن ابن سعيد عن ابيه قال في قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها نزلت
في ثلاثة نفر كانوا يوحدون الله عز وجل زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر وسلمان اولئك الذين هداهم الله
بغير كتاب ولا نبي اخرجه الواحدي وابو الفرج في اسباب النزول وعن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ارحم امتي اي اكثرهم رحمة بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله اي اقواهم في دين الله عمر وفي رواية عمر
واصدقهم حياء عثمان وافرضهم اي اكثرهم علما بالفرائض زيد بن ثابت اي الانصاري كاتب النبي صلى الله
عليه وسلم وكان حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم له احدى عشرة سنة وكان احد فقهاء الصحابة الاجلة القايم بالفرائض
وهو احد من جمع القران وكتبه في خلافة ابي بكر ونقله من المصحف في زمن عثمان روى عنه خلق كثير مات
بالمدينة سنة خمس واربعين وله ست وخمسون سنة واقروهم اي اعلمهم بقراءة القران ابي بن كعب

اي الانصاري

اي الانصاري الخزرجي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي وهو احد الستة الذين حفظوا
القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه ابا المنذر وعمر ابا الطفيل وسماه النبي صلى
الله عليه وسلم سيد الانصار وعمر سيد المسلمين مات بالمدينة سنة تسع عشرة روى عنه خلق
كثير واعلمهم بالحلال والحرام وفي نسخة بالحرام والحلال معاذ بن جبل يكنى ابا عبد الله الانصاري
الخزرجي وهو احد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد
وبعثه صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا ومعلما روى عنه عمر وابن عباس وخلق سواهم واسلم وهو
ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم واستعمله عمر على الشام بعد ابي عبيدة بن الجراح فمات في
عامه ذلك من طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وثلاثون سنة وقيل غير ذلك ولكل امة
امين اي مبالغ في الامانة وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ومما يدل على كمال زهده ما ذكر
في الرياض عن عروة بن الزبير قال لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه امراء الاجناد وعظماء الارض
فقال عمر اين اخي قالوا من قال ابو عبيدة قالوا ياتيك الان فلما اتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته
فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورحله فقال عمر الا اتخذت ما اتخذ اصحابك فقال يا امير المومنين
هذا يبلغني المقيل اخرجه صاحب الصفوة والفضائلي وزاد بعد قوله ياتيك الان فجاء على ناقة
مخطومة بحبل وفي رواية ان عمر قال له اذهب بنا الى منزلك قال فدخل منزله فلم ير شيئا قال اين متاعك
ما ارى الا لبدا وصحفة وسيفا وانت امير اعندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخذ منها كسيرات
فبكى عمر وقال غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا ابا عبيدة رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن
صحيح وروي بصيغة المجهول اي الحديث عن معمر عن قتادة مرسلا اي بحذف الصحابي وفيه
اي في الحديث المروي واقضاهم علي اي اعلمهم باحكام الشرع قال شارح وقد ظهر ان معناه اعلم باحكام
الخصومة المحتاجة الى القضاء قال النووي في فتاويه قوله اقضاكم علي لا يقتضي انه افقه من ابي
بكر وعمر لانه لم يثبت كونهما من المخاطبين مع بعضهم ولا يلزم من كون واحد اقضى ان يكون اعلم
من غيره ولا يلزم من كونه اعلم كونه افضل يعني لا يلزم من كونه اكثر فضيلة كونه اكثر مثوبة كذا
في الازهار وفيه بحث لان المدار عندنا على الظاهر اذ لا نطلع على السرائر وقد قال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم واما حديث ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة ولكن بشيء
وقر في قلبه فقد ذكره الغزالي بلفظ ما فضل ابو بكر الناس بكثرة صلوة ولا بكثرة صوم وقال العراقي
لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي من قول ابي بكر عبد الله المزني ثم لو لوحظ اعتبار الاسبقية
الى الكثرة الثواب بالاخروية مع المشاركة في ساير الابواب له وجه وجيه الى صوب الصواب فقد قالوا المعتبر في
السبق هو ابو بكر وان شاركه علي وخديجة وزيد اذ انه في الصغير والمراة والمولى لا سيما وهم
من الاتباع ليس له شان عند الاعداء ولهذا قوي الايمان بحمزة وعز باسلام عمر كما قاله عز وجل فعززنا
بثالث والحاصل ان الاحاديث متعارضة والادلة متناقضة فالعبرة بما اتفق عليه جمهور الصحابة وبما
اجمع عليه ائمة اهل السنة مع هذا فالمسالة ظنية لا يقينية خلافا لمن خالف وقد صرح به الشيخ
شهاب الدين السهروردي في علم الهدى حيث قال فان قبلت النصح فامسك عن التصرف في امرهم واجعل بحثك
للكف على السوء من غير ان ترجح محبة احدهم على الاخر وامسك عن التفضيل والغلو فان خامرك
فضل احدهم على الاخر فاجعل ذكره مندمجا في ابرارك فلا يلزمك اظهاره ولا يلزمك ان تحب احدهم اكثر من
الاخر وتعتقد فضله اكثر من الاخر بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك العقيدة
السليمة ان تعتقد صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تعلم ان عليا ومعاوية لما على القتال والخصا

وكان الطايفتان يسب بعضهم بعضا وما حكم احد منهم بكفر الاخرين فانما كانتا تتأذوا بالهم فلا نكفر احدا بما زيد منه من الجهل والسب واعتقدنا ان امير المومنين عليا كان مستحق الخلافة واصاب في الاجتهاد وكان احق الناس بالخلافة اذ ذاك وان معاوية اجتهد في ذلك واخطا في الاجتهاد ولم يكن مستحقا لها مع علي رضي الله عنه والله تعالى ينفعنا بمحبتهم ويحشرنا في زمرتهم وعن الزبير قال كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم احد اي مبالغة في امتثال قوله تعالى خذوا حذركم وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فانها تشمل الدرع وانه قسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالقوي افرادها حيث قال الا ان القوة الرمي فنهض اي قام منتهيا او متوجها الى الصخرة اي التي كانت هناك ليستوي عليها وينظر الى الكفار ويشرف على الابرار وينظهر الكرار والفرار وفي رواية فذهب لينهض على صخرة فلم يستطع اي لثقل درعيه فقعد طلحة تحته اي وجعل نفسه تحته وصار رقية قدره وفي رواية فبرك طلحة تحته حتى استوى اي النبي وفي رواية فصعد على الصخرة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوجب طلحة اي الجنة كما في رواية والمعنى انه اثبتها بعمله هذا او بما فعل في ذلك اليوم فانه خاطر بنفسه يوم احد وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت يده وجرح بضع وثمانين جراحة رواه الترمذي وكذا احمد وقال الترمذي حسن صحيح وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان عتبة بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فكسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان ابن قميئة جرح وجنته فدخل حلقتان من حلق الدرع في وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قايما ومص مالك بن سنان ابو سعيد الخدري الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تمسه النار اخرجه ابن اسحاق وعن جابر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طلحة بن عبيد الله قال استيناف او حال من احب ان ينظر الى رجل يمشي على وجه الارض وقد قضى نحبه اي نذره والمراد به الموت اي مات وان كان حيا فلينظر الى هذا قال السيوطي في مختصر النهاية النحب النذر كانه الزم نفسه ان يصدق اعداء الله في الحرب فوفى به وقيل الموت كانه الزم نفسه ان تقاتل حتى تموت وقال النوربشتي النذر النحب المدة والوقت ومنه يقال قضى فلان نحبه اذا مات وعلى المعنيين يحمل قوله سبحانه فمنهم من قضى نحبه فعلى الاول اي نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق في المواطن القتال والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الموت اي مات في سبيل الله وذلك انهم عاهدوا الله عليه من الصدق في المواطن القتال والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الموت اي مات في سبيل الله وذلك انهم عاهدوا الله ان يبذلوا نفوسهم في سبيله فاخبر ان طلحة ممن وفى بنفسه او ممن ذاق الموت في سبيله وان كان حيا ويدل عليه قوله وفي رواية من سره اي احبه واعجبه وافرحه ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وكان طلحة قد جعل نفسه يوم احد وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عقرت يومئذ في ساير جسدي حتى عقرت في ذكري وكانت الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروا يوم احد قالوا ذاك يوم كان كله لطلحة واقول الرواية الثانية تحتمل ان يكون ايماء الى حصول الشهادة في ماله الدالة على حسن خاتمته وكماله وفي شرح الطيبي قال شيخنا شيخ الاسلام ابو حفص السهروردي ان هذا ليس على سبيل

المجاز ضيا به التعبير بالحال عن المآل بل هو ظاهر في معناه جلي من حيث فحواه اذ الموت عبارة عن الغيبوبة عن عالم الشهادة وقد كان هذا حاله من الانجذاب بكليته الى عالم الملكوت وهذا انما يثبت بعد احكام المقدمات من كمال التقوى والزهد في الدنيا والخروج من الارتهان بنظر الخلق وامتطاء صهوة الاخلاص وكمال الشغل بالله عز وجل نيتا وباعمال القلب والقالب وصدق العزيمة في العزلة واغتنام الوحدة والفرار عن مساكنة الانس بالجلساء والاخوان رواه الترمذي ووافقه الحاكم في الرواية الثانية بلفظ من احب بدل من سره ورواه ابن ماجة عن جابر وابن عساكر عن ابي هريرة وابي سعيد طلحة شهيد يمشي على وجه الارض وروى الترمذي وابن ماجة عن معاوية وابن عساكر عن عايشة طلحة ممن قضى نحبه وفي الرياض عن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال غريب وعن طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الاعرابي فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما راني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السايل عمن قضى نحبه قال الاعرابي انا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الرياض ان محمدا ولده وهو السجاد سمي به لكثرة عبادته ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسموه محمدا وكنوه ابا القاسم فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه محمدا وكناه ابا سليمان وقال لا اجمع بين اسمي وكنيتي اخرجه الدارقطني وروي ان عليا مر به قتيلا فقال ان هذا السجاد قتله بره بابيه رواه الدارقطني وعن علي رضي الله عنه قال سمعت اذني بضم الذال ويسكن في رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من فمه وهو وقوله اذني لما لغة على طريق رأيت بعيني يقول وفي رواية وهو يقول طلحة والزبير جاراي في الجنة وهو كناية عن كمال قربهما له رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وكذا رواه الحاكم وعن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ يوم احد هذا تفسير من رواه بعد سعد اللهم اشدد بضم الدال الاولى اي قو رميته بفتح فسكون اي رميه وفي رواية سدد سهمه واجب دعوته رواه اي البغوي في شرح السنة وعنه اي عن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب اي الدعاء لسعد اي ابن ابي وقاص على ما يفهم من الترمذي اذا دعاك اي كلما دعاك رواه الترمذي واخرجه ايضا عن قيس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث وعن علي رضي الله عنه قال ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وامه اي في التفدية وفي رواية ابويه لاحد الا لسعد اي يوم احد او بناء على سماعه وعلمه الاول قوله قال له اي لاجله يوم احد ارم فداك ابي وامي بفتح الفاء وقد يكسر وقال له اي ايضا ارم ايها الغلام اي الشاب القوي الحزور بفتح الحاء المهملة والزاي والواو المشددة وفي نسخة بسكون الزاي وتخفيف الواو ولد الاسد ذكره شارح ومن النهاية وهو الذي قارب البلوغ والجمع الحزاورة ذكره الطيبي قال السيد جمال الدين هذا اصل معناه ولكن المراد هنا الشاب لان سعدا جاوز البلوغ يومئذ انتهى وقد سبق انه اسلم وهو ابن سبع عشرة سنة فليحمل على انه قارب بلوغ كمال الرجولية في الشجاعة ففي القاموس الحزور كعملس الغلام القوي والرجل القوي رواه الترمذي وفي رواية غير سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم احد ارم فداك ابي وامي رواه الترمذي وفي رواية غير سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم احد فداك ابي وامي رواه مسلم والترمذي وقال حسن صحيح واخرجه من طريق اخر ولفظه سمعت رسول

وصف سعد ومعل

الله صلى الله عليه وسلم يفدي احدا بابويه الحديث وقال حسن صحيح واخرجه من طريق اخر ولفظه
ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى رجلا غير سعد فانه قال يوم احد ويوم حنين ارم
فداك ابي وامي اخرجه الملا في سيرته وعنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم له ابويه يوم
احد قال كان رجل من المشركين قد احرق المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك
ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فاصبت جنبه فسقط وانكشفت عورته
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رايت نواجذه اخرجه الشيخان واخرجه الترمذي
منه جمع ابويه يوم احد وفي بعض طرقه مثل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم
احد وقال ارم فداك ابي وامي اخرجه الشيخان وفي الرياض ان سعدا كان ممن لزم بيته في الفتنة
وامر اهله ان لا يخبروه من اخبار الناس بشي حتى يجتمع الامة على الامام وعن سعد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عاده عام حجة الوداع بمكة من مرض اشفى فيه فقال سعد يا رسول
الله قد خفت ان اموت بالارض التي هاجرت منها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشف سعدا اللهم اشف
سعدا وفيه ذكر الوصية وقوله والثلث كثير وفيه ان صدقتك من مالك صدقة وان نفقتك
على عيالك صدقة وان ما تاكل امراتك من مالك صدقة اخرجه الشيخان وعن جابر قال اقبل
سعد اي الى المجلس الا سعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي اي من قوم امي فليرني
بضم يا وكسر را امرؤ خاله امرئ اي كل امري يعني شخص خاله اي ليظهر انه ليس لاحد
خال مثل خالي رواه الترمذي وقال غريب وقال اي الترمذي وكان سعد بن بني زهرة بضم
الزاي هي من قريش كانت ام النبي صلى الله عليه وسلم من بني زهرة وزهرة اسم امراة كلاب بن
مرة بن كعب بن لوي بن غالب فلذلك اي لما ذكر من الكون قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا خالي وفي المصابيح فليكرمن امرؤ خاله بدل من الاكرام موكلا بدل فليرني قال ابن حجر
هو تصحيف قلت بل هو تحريف فقد قال الطيبي الفا فيه على تقدير الشرط في الكلام
كان الاشارة بهذا المزيد التميز وكمال التعيين فهو كالاكرام له اي انا اكرم خالي هذا
واذا كان كذلك فليتبع كل سنتي فليكرمن كل احد خاله وعلى رواية الكتاب كما في
الترمذي والجامع تقديره انا اميز خالي بما تميز وتعين لا باهي به الناس فليرني كل امري
خاله مثل خالي ونحوه في التميز قول الشاعر شعر اولئك اباي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

الفصل الثالث عن قيس بن ابي حازم قال سمعت سعد بن ابي وقاص
يقول اني لاول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله سبق معناه في تحقيق مبناه
ونفذ القدر من الحديث اخرجه الشيخان ورايتنا اي جماعة من الصحابة نغزو مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الحبلة بضم الحا المهملة وسكون الموحدة ثمر السمر يشبه
اللوبيا قاله ابن الاعرابي وقيل ثمر العضاة وورق السمر بفتح السين وضم الميم شجر معروف
واحدها سمرة ويقال سمر كذا في القاموس وان مخففة من الثقيلة كان احدنا ليضع
واللام لام الفارقة والمعني يخرج منه كما تضع الشاة اي من البعر والمعني ان نجوهم يخرج بعرا
لليبسة وعدم الغذا المالوف ماله خلط بكسر الخا المعجمة اي لا يختلط بعضه ببعض لجفافه
ويبسه ثم اصبحت اي صارت بنو اسد اي قبيلتهم تعزرني بتشديد الزاي اي توبخني على
الاسلام اي على الصلوة لانها عماد الاسلام او على عمدة شرايعه والمراد انهم كانوا يودبوني ويعلموني
الصلوة ويعيروني باني لا احسنها لقد خبت بكسر الخا المعجمة وسكون الموحدة اي خسرت اذا

بالتنوين اي اذا لم احسن الصلوة وافتقر الى تعليم بني اسد اياي وضل عملي اي جميع طاعاتي ومجاهداتي
ومسا بقتي الى الاسلام وصدق قدمي في الدين وكانوا اي بني اسد حين ولاه عمر العراق وشوا بفتح
الشين المعجمة اي نموا وسعوا به اي بعيبه على عهد عمر رضي الله عنه اي بالرسالة او الكتابة وقالوا
لا يحسن اي سعد الصلوة اي اركانها وشرايطها وسننها ومراعاة احوالها هذا وفي النهاية التعزير
الاعانة والتوقير والنصرة مرة بعد مرة قالت ومنه قوله تعالى وتعزروه وتوقروه قال واصل التعزير
المنع والرد وكان من نصرته قد رددت عنه اعداه ومنعتهم من اذاه ولهذا قيل للتاديب الذي
هو دون الحد تعزير لانه يمنع الجاني ان يعاود الذنب فهو من الاضداد ومنه حديث سعد
اصبحت بنو اسد تعزرني على الاسلام اي توقفني عليه وقيل توبخني على التقصير فيه قال
الطيبي عبر عن الصلوة بالاسلام كما عبر عنها بالايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
ايذانا بانها عماد الدين وراس الاسلام متفق عليه وعن جابر بن سمرة قال شكى اهل الكوفة
سعد بن مالك الى عمر فقالوا لا يحسن الصلوة قال سعد اما انا فكنت اصلي بهم صلوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم امد في الاوليين واخفف في الاخريين فقال عمر ذاك الظن بك يا ابا اسحاق
قال فبعث رجالا يسالون عنه في مساجد الكوفة قال فلا ياتون مسجدا من مساجد الكوفة
الا اثنوا عليه خيرا وقالوا معروفا حتى اتوا مسجدا من مساجد بني عبس قال فقال رجل يقال له
ابا سعدة اللهم انه كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية قال فقال سعد
اما والله لادعون بثلاث اللهم ان كان كاذبا فاطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن فكان بعد ذلك
يقول اذا سيل شيخ كبير مفتون اصابتني دعوة سعد قال جابر بن سمرة فانا رايته بعد قد
سقط حاجباه على عينيه من الكبر وانه يتعرض للجواري في الطريق فيغمزهن وفي رواية واما
انا فامد في الاوليين واحذف في الاخريين ولا الو ما اقتديت به من صلوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عمر صدقت ذلك الظن بك او ظني بك يا ابا اسحاق اخرجه البخاري واخرجه البرقاني
على شرطهما بنحوهما وقال فقال عبد الملك بن عمر الراوي عن جابر فانا رايته يتعرض للاما في السكك
واذا قيل له كيف انت يا ابا سعدة قال كبير مفتون اصابتني دعوة سعد وعنده اللهم ان كان
كاذبا فاعم بصره واطل عمره ثم ذكرها بعده وعن سعد قال رايتني وانا ثالث الاسلام والاخران ابو
بكر وخديجة ذكره السيوطي وهذا يدل على ان ايمان علي متاخر ويمكن دفعه بان الكلام
في البلغا او في الاجانب وما اسلم احد اي ممن اسلم قبلي الا في اليوم الذي اسلمت فيه ولقد
مكثت بفتح القاف وضمها اي لبثت سبعة ايام اي على ما كنت عليه من الاسلام ثم اسلم بعد ذلك
من اسلم والمعنى مكثت سبعة ايام على هذه الحالة وفي قوله واني لثالث الاسلام بضم
اللام ويسكن قال ابو عبد الله معنى ثلث الاسلام يعني انه ثالث لانه حين اسلم
قال بعض المحققين الجمع بينه وبين خبر عمار رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه
الا خمسة اعبد وامراتان وابو بكر بان يحمل قول سعد على الاحرار البالغين ليخرج العبد
المذكورين وعلي او لم يكن اطلع على اولئك رواه البخاري واخرجه البغوي في معجمه وقال ما اسلم احد
قبلي وقال ستة ايام وعن جابر بن سعد عن ابيه قال لقد رايتني واني ثالث الاسلام اخرجه
البخاري وفي رواية الفضايلي ان الاثنين ابو بكر وعلي وعن عايشة وفي الرياض عن ابي
سلمة بن عبد الرحمن عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنسايه ان امركن
اي شانكن لمما يهمني بفتح اليا وضم الها وتشديد الميم وفي نسخة بضم فكسر اي مما يوقعني في

لهم ورواية لهما يعني من بعدي اي من بعد وفاتي حيث لم يترك لهن ميراثا وهن قد آثرن الحياة الاخرة
على الدنيا حتى خيرن ولن يصبر عليكن اي على بلاء مؤنتكن الا الصابرون اي على مخالفة النفس من
اختيار القلة واعطاء الزيادة والصديقون اي كثيرو الصدق في البذل والسخاوة قالت عايشة
يعني اي يريد بهم المتصدقين ثم قالت عايشة لابي سلمة بن عبد الرحمن اي ابن عوف قال المولف
ابو سلمة روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي احد الفقهاء السبعة
المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم ويقال ان اسمه
كنيته وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وابا هريرة وابن عمر وغيرهم روى عنه الزهري ويحيى
ابن كثير والشعبي وغيرهم مات سنة سبع وتسعين وله اثنتان وسبعون سنة انتهى ولا يخفى
انه مخالف لاصل الحديث سقى الله اباك من سلسبيل الجنة وهي عين في الجنة سميت لسلاستها انحدارها
في الحلق وسهولة مساغها في الباطن ومنه قوله تعالى يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا
عينا فيها تسمى سلسبيلا يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في
التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة وقيل المعنى سل سبيلا اليها
وكان ابن عوف من كلام الراوي حال من عايشة والعامل قالت كذا افاده الطيبي ولا يبعد
ان يكون من قول عايشة بيانا لتصدقه وتبيانا لقولها يعني المتصدقين قد تصدق على امهات
المومنين بحديقة بيعت باربعين الفا اي من درهم او دينار رواه الترمذي وفي رواية وقد
رصد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بيع باربعين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن اوصى بحديقة لامهات المومنين بيعت باربعمائة
الف اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن الزهري قال تصدق عبد الرحمن بن عوف
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار
ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة
ماله من التجارة اخرجه في الصفوة وعن عروة بن الزبير انه قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين الف
دينار في سبيل الله اخرجه الفضايلي وعن ابن عباس قال مرض عبد الرحمن بن عوف فاوصى بثلث ماله
فصح فتصدق بذلك بيد نفسه ثم قال يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل من كان اهل بدر له
على اربعمائة دينار فقام عثمان وذهب مع الناس فقيل له يا ابا عمرو الست غنيا قال هذه صلة من
عبد الرحمن لا صدقة وهو من مال حلال فتصدق عليهم في ذلك اليوم مائة وخمسين الف دينار فلما
جن عليه الليل جالس في بيته وكتب جريدة بتفريق جميع المال على المهاجرين والانصار حتى كتب
ان قميصه الذي على بدنه لفلان وعمامته لفلان ولم يترك شيئا من ماله الا كتبه للفقراء فلما صلى
الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط جبريل وقال يا محمد ان الله تعالى يقول اقرا مني عبد الرحمن
السلام واقبل منه الجريدة ثم ردها عليه وقل له قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ووكيل رسوله
فليصنع في ماله ما شاء وليتصرف فيه كما كان يتصرف قبل ولا حساب عليه وبشره بالجنة اخرجه الملا في سيرته
وعن جعفر بن برقان قال بلغني ان عبد الرحمن اعتق ثلاثين الفا اخرجه صاحب الصفوة وعن محمد ان عبد
الرحمن بن عوف توفي وكان فيما خلفه ذهب قطع بالفووس حتى مجلت ايدي الرجال منه وترك اربع نسوة
فاصاب كل امراة ثمانون الفا اخرجه في الصفوة وعن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن قال صالحنا امراة عبد
الرحمن التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثمانين الفا وفي رواية من ربع الثمن اخرجه ابو عمر وقال
الطايي قسم ميراثه على ستة عشر سهما فبلغ نصيب كل امراة ثمانين الف درهم وعن ام سلمة وهي احدى

وقف لله تعالى

امهات المومنين قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لازواجه ان الذي يحنو اي يجود ويبر عليكن
اي ما تنفقن بعدي اي بعد موتي هو الصادق اي الصادق الابرار اي البار الرشيد بد الراي صاحب الاحسان
اللهم اسق بوصل الهمزة وقطعها عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة وهذا دعاء له قبل ان يصدر منه
ما صدر من الخير كانه صنع الصنيعة فشكر ودعا له ومن هنا دعت الصديقة له بهذا الدعاء حين تصدق
على امهات المومنين بالحديقة رواه احمد وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الطيبي ولا يبعد
ان يكون الدعاء هنا ايضا من كلامها رضي الله عنها وعن حذيفة اي ابن اليمان صاحب سر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكره قال جاء اهل نجران بفتح نون فسكون جيم موضع باليمن فتح سنة
عشر سمي بنجران بن زيدان بن سبا وموضع بحوران قرب دمشق وموضع بين الكوفة وواسط
كذا في القاموس والمراد به الاول على ما هو الظاهر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ابعث اي ارسل الينا رجلا امينا اي وليكون اميرا وقاضيا وعاملا فقال لابعثن اليكم رجلا امينا حق
امين بالنصب على انه مفعول مطلق نحو قولهم قوم حق خبر مقدم اي امينا صادق الامين وثابته ومستحقا
ان يقال له الامين قال الطيبي فيه توكيد ولذا اضافه نحو ان زيد العالم حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا
يعني عالم يبالغ في العلم جدا ولا يترك من الجد المستطاع منه شيئا ومنه قوله تعالى وجاهدوا في الله حق
جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة فاستشرف اي طمع
لها اي للامارة وتوقعها الناس اي حرصا منهم على تحصيل صفة الامانة لا على الولاية من حيث هي قال اي
حذيفة فبعث ابا عبيدة بن الجراح متفق عليه وعن علي رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله من
نؤمر بضم نون وفتح همزة وكسر ميم مشددة فهما كنص فلا اي من نجعله اميرا علينا بعدك اي بعد
فوتك وفي نسخة صحيحة بالتاء الفوقية بدل النون اي من تجعله اميرا علينا بعدك وهو بالاول قوله
قال ان تؤمروا ابا بكر تجدوه امينا اي دينا لا يخل الا بالامانة وعلى وجه العدالة زاهدا في الدنيا
راغبا في الاخرة فيه اشعار الى ان الخليفة ينبغي ان يكون بهذه الصفة ليتم الاخلاص لموجب الخلاص
وفي رواية تجدوه مسلما امينا وفي رواية تجدوه قويا في امر الله ضعيفا في نفسه وان تؤمروا عمر تجدوه
قويا اي قادرا على حمل ثقل اعباء الامانة امينا اي لا يجي منه الخيانة لا يخاف في الله لومة لايم اي لا يرايي
احدا في امر الدين والمعنى انه صلب في الدين اذا شرع في امر من امور الله لا يخاف انكار منكر ومضى فيه كالمسمار
المحمي لا يرده قولة قايل ولا اعتراض معترض ولا لومة لايم يشفق عليه جده واللومة المرة من اللوم وفيها
وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخاف شيئا قط من لوم احد من اللوام وفي رواية تجدوه قويا في
امر الله قويا في نفسه وان تؤمروا عليا ولا اراكم فاعلين اي والحال اني لا اظنكم فاعلين اي التامير
له بلا خلاف حاله خلافة تجدوه هاديا اي مرشدا اكملا مهديا بفتح ميم وتشديد تحتية اي مهتديا
كاملا ياخذ بكم الطريق المستقيم قال الطيبي يعني الامر مفوض الى الله لانكم امناء مجتهدون
مصيبون في الاجتهاد لا تجتمعون الا على الحق الصرف وهولاء المذكورون كالحلقة المفرغة لا يدرى ايهم
اكمل فيما يرجع اليه ما يستحق به الامارة قيل وفي تقديم ابي بكر ايماء الى تقدمه ولم يذكر عثمان صريحا
لكن في قوله ولا اراكم اشارة الى انه المتقدم على علي ثم ابعد من قال قوله ولا اراكم فاعلين متعلق بامارة عمر وعلي
نعم يمكن ان يقال المعنى لا اراكم فاعلين تامير علي مقدما عليهم لما علم من قضاء الله وقدره ان عمر علي
اطول من اعمارهم فلو قدم لفات عليهم الخلافة مع انه كتب لهم الخلافة ايضا فيتبين انكم غير فاعلين فالظن
بمعنى اليقين والله اعلم وهو الموفق والمعين رواه احمد وعن حذيفة قال قالوا يا رسول الله
الا تستخلف قال اني ان استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب قالوا الا تستخلف ابا بكر قال

ان تستخلفوه تجدوه قويا في امر الله ضعيفا في نفسه قالوا الا تستخلف عمر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في
امر الله قويا في بدنه قالوا الا تستخلف عليا قال ان تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الطريق
المستقيم خرجه ابن اليمان وعنه اي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر فيه جواز الدعا
بالرحمة للاحيا زوجني ابنته بجزم وصل والجملة استيناف تعليل وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فله
صنيع عليه من جهة تزوجها وحملني الي دار الهجرة اي على بعيره ولو على قبول ثمنه وصحبني في الغار اي حين
هجر في الاغيار واعتق بلالا من ماله اي وجعله خادما لي في ماله رحم الله عمر يقول الحق اي الصرف او
القول الحق وان كان اي ولو كان الصرف او القول الحق مرا اي صعبا على الخلق تركه والحق استيناف بيان
وماله من صديق جملة حالية اي صيره قول الحق بهذه الصفة او خلاه بهذه الحالة وهي انه لا صديق
له الكتفا برضي الله ورسوله والمعنى من صديق تكون صداقته للمراعاة والمداراة لا مطلقا والا فلا شك
ان الصديق كان صديقا له قال الطيبي قوله تركه الح اخره جملة مبينة لقوله يقول الحق وان كان مرا
لان تمثيل الحق بالمرارة يؤذن باستبشاع الناس من سماع الحق استبشاعهم من ذوق العلقم فيقلّ
لذلك صديقه وقوله وماله من صديق حال من المفعول اذا جعل ترك بمعني خلي واذا ضمن معنى صبر
كان هنا مفعولا ثانيا والواو فيه داخلة على المفعول الثاني كما في بعض الانشعار رحم الله عثمان تستحي
منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق امر من الادارة اي اجعل الحق دائرا وسائرا معه حيث دار اي علي
اذا الحق رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب باب مناقب اهل بيت النبي صلى الله
عليه وسلم وفي نسخة صحيحة زيادة ورضي الله عنهم الفصل الاول عن سعد بن ابي وقاص
قال لما نزلت هذه الاية اي المسماة باية المباهلة ندع ابنانا وابناكم اولها فمن حاجك فيه من بعد
ما جاك من العلم فقل تعالوا ندع ابنانا وابناكم ونسانا ونساكم وانفسنا وانفسكم دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والاخوة وفاطمة اي لانها اخص النسا من اقاربه
وحسنا وحسينا فنزلهما منزلة ابنيه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم هولا اهلي اي اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا رواه مسلم وعن عايشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة اي صباحا وفي رواية ذات غدوة
وعليه مرط بكسر ميم وسكون كسا يكون من خز وصوف فيه علم مرحل بفتح الحا المهملة المشددة ضرب من
برد اليمن لما عليه من تصاوير الرحل كذا ذكره شارح وروي بجيم وهو ما عليه صورة الرجال بمعنى القدور
من شعر بفتح عين وسكون اسود فجا الحسن بن علي فادخله اي تحت المرط بالامر او الفعل وفي
رواية فادخله فيه ثم جا الحسين فدخل معه اي بادخال او بغيره للصغر وفي رواية فادخله فيه ثم
جات فاطمة فادخلها اي فيه كما في رواية ثم جا علي فادخله اي فيه كما في رواية ثم قال اي قرا انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس ثم وكل ما يستنقذر مروة اهل البيت نصب على النداء او المدح وفيه دليل على ان
نسا النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته ايضا لا مسبوق بقوله يا نسا النبي لستن كاحد من النسا وملحوق
بقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن فضمير الجمع اما للتفطيم او لتغليب ذكور اهل البيت على ما يستفاد من الحديث
ويطهركم تطهيرا من التلوث بالارجاس والادناس المبتلي بها اكثر الناس قال الطيبي استعار الذنب
الرجس وللتقوي الطهر لان عرض المقترف للمقبحات ان يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس
واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب
عما كره الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به وسياتي تراجم الحسنين وامهاتهم
محالها المختصة بهم رواه مسلم واخرجه احمد عن واثلة وزاد في اخره اللهم هولا اهل بيتي واهل بيتي
احق وفي الرياض عن سعد قال امر معاوية سعدا ان يسب ابا التراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن اسبه لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول له وخلفه في بعض مغازيه فقال علي تخلفني مع النسا والصبيان فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وسمعته يقول يوم خيبر
لاعطين الراية وذكر القصة ولما نزلت هذه الاية تعالوا ندع ابنانا وابناكم دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين وقال اللهم هولا اهل بيتي اخرجه مسلم والترمذي وعن ام سلمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كسا وقال اللهم هولا اهل بيتي وحامتي اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية للترمذي قالت ام سلمة وانا معهم يا رسول
الله قال انت على مكانك وانت الي خير وعن ام سلمة قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يوما
اذ قالت الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة اي الباب قالت فقال لي قومي فتنحي لي عن اهل بيتي
قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران
فاخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا باحدى يديه وفاطمة بالاخرى وقبل
فاطمة وقبل عليا واغدف اي ارسل عليهم خميصة سوداء ثم قال اللهم اليك لا الى النار انا واهل بيتي
قالت قلت وانا يا رسول الله صلى الله عليك قال وانت اخرجه احمد والظاهر ان هذا الفعل تكرر منه صلى الله
عليه وسلم في بيت ام سلمة والمنع وقع من دخولها معهم فيما جللهم وعليه يحمل قولها في الحديثين الاولين وانا
معهم اي ادخل معهم لانها ليست من اهل البيت بل هي منهم ولذلك لما قالت في الحديث الاخر ولما و لم
تقل معهم اي انا ايضا الى الله لا الى النار قال وانت الى الله لا الى النار وكذا لما قالت وانا من اهل البيت
في رواية قال وانت من اهل البيت وانتك ايضا على انه قد ورد انه صلى الله عليه وسلم اذن لها في الدخول
معهم في الكسا وعن ابي سعيد الخدري في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا قال نزلت في خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين اخرجه
احمد في المناقب واخرجه الطبراني وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة
الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه احمد
وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انا واياك وهذين حسنا وحسينا وهذا الراقد يعني
عليا في مكان واحد يوم القيامة اخرجه احمد وعن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قالوا يا رسول الله من قرابتك هولا الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما اخرجه
احمد في المناقب وعن البرا قال لما توفي ابراهيم اي ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية سريته ولد
بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان ومات وله ستة عشر شهرا او قيل ثمانية عشر ودفن بالبقيع عند عثمان
ابن مظعون عمه الرضاعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا بضم الميم وكسر الضاد اي من يكمل
رضاعه وفي نسخة صحيحة بفتحها اي موضع رضاع كامل في الجنة فيه دلالة ظاهرة ان ارباب الكمال
يدخلون الجنة في الحال عقيب الانتقال وان الجنة الموعودة مخلوقة موجودة قال الخطابي هذا يروى
على وجهين احدهما مرضعا بفتح الميم اي رضاعا والاخر مضمومة الميم اي من يتم رضاعه يقال امراة مرضع
بلا ها وارضعت المرضعة فهي مرضعة اذا بني الاسم من الفعل قال التوربشتي اصوب الروايتين الفتح لان
العرب اذا ارادوا الفعل الحقوا به ها التانيث واذا ارادوا انها ذات رضيع اسقطوا الها فقالوا امراة مرضع
بلا ها وما كان المراد من هذا اللفظ ان الله يقيم له من ذات الجنة وزوجها ما يقع منه موقع الرضاع فانه كان
رضيعا لم يستكمل مدة الرضاع كان المصدر فيه اقوم واصوب ولو كان على ما ذكره من الرواية لكان من حقه
ان يلحق به ها التانيث قال الطيبي هنا اريد ثبوت حالة الارضاع والمقام المرضعة التي في الصبي

في مشاهدة السامع كأنه ينظر اليها قال الكشاف في قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت فان قيل لم
قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها
ان ترضع وان لم يباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به
هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت اي عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل ووجه القاضي في شرحه مجيبا عنه بقوله وانه له من يقوم مقام
المرضعة في المحافظة والانس انتهى ولا يخفى ان ارتكاب المجاز غير جائز مع امكان الحقيقة بل لاجل المبالغة
في تحقيق الارضاع عبر عن المرضع بالمرضعة ايماء الى انه حالة ارضاعه امر مشاهد له صلى الله عليه وسلم رواه
البخاري وعن عائشة قالت كنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم نصبه على النداء على سبيل الاختصاص
او تفسير للضمير المبهم على تقدير اعني وخبر كان قولها عنده اي جالسين او مجتمعين وفي رواية لم تغادر
منهن واحدة فاقبلت فاطمة روي انما سميت بها لان الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وفي رواية
فاقبلت فاطمة تمشي ما تخفى ما تمتاز وفي رواية ما تخطئ مشيتها بكسر الميم لان المراد هيئتها من مشية
رسول الله وفي نسخة من مشية النبي صلى الله عليه وسلم اي شيئا ما في رواية ما للنفي والمعنى مشيتها
مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا في مرض موته فلما رآها قال مرحبا بابنتي ثم اجلسها
اي امرها بالجلوس عنده اي قريبا منه وفي رواية عن يمينه وعن شماله ثم سارها بتشديد الراء وفي
رواية فسارها اي كلمها سرا فبكت بكاء شديدا فلما رأى حزنها بضم فسكون وفي نسخة بفتحتين اي
شدة حزنها وكثرة بكائها وفي رواية جزعها سارها الثانية فاذا هي اي فاطمة تضحك اي تتبسم وتنبسط
وتنشرح وفي رواية فضحكت فقلت لها خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسرار
ثم انت تبكين فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم اي للطهارة او صلاة سألتها عما سارك الظاهر عما سارك
على ان ما موصولة لكن النقد برسمها لانها قابلة عما سارك ما استفهامية وفي رواية سألتها ما قال لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت ما كنت لافشي من الافشاء اي لاذيع واظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره بكسر
السين اي ما اخفاه لانه لو اراد افشاءه لما اسره فلما توفي قلت عزمت اي اقسمت عليك بما لي عليك
من الحق اي من نسبة الامومية الثانية او الاخوة او المحبة الصادقة والمودة السابقة فما موصولة لما بفتح
لام وتشديد ميم اي الا اخبرتني وفي نسخة باشباع التاء وفي رواية لما حدثتني ما قال لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الطيبي يعني ما اطلب منك الا اخبارك اياي بما سارك ونحوه انشدك بالله ان لا فعلت
قالت اما الآن فنعم اي اخبرك وتفصيله هذا اما حين سارني في الامر الاول اي الموجب للحزن وفي رواية في
المرة الاولى فانه اخبرني ان جبريل كان يعارضني وفي رواية يعارضه القران كل سنة مرة يدارسني جميع ما نزل
من القران من المعارضة المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب اي قابلته كذا في النهاية ولعل سبب المقابلة
القاء الحفظة وليظهر الناسخ والمنسوخ من المقابلة وفيه اشارة الى استحباب المدارسة وانه بكسر الهمزة وفي
نسخة بالفتح عارضني به العام اي هذه السنة وفي رواية انه عارضه الآن مرتين فيه ايماء الى عدد
الحديث بعد رمضان الاخر من عمره ولا اري بضم الهمزة وفتح الراء ولا اظن وفي رواية ولا ارى الاجل
اي انتهاءه الا قد اقترب فاتقي الله اي دومي على التقوى او زيدي فيها ما استطعت واصبري اي على
الطاعة وعن المعصية وعلى البلية لا سيما على مفارقتي فاني وفي رواية فانه نعم السلف اي الفرط انا
لك اي على الخصوص والجملة بتأويل مقول في حقي خبر لان قال الطيبي انا مخصوص بالمدح
ولك بيان كانه لما قيل نعم السلف انا قيل لمن قيل لك فبكيت وفي رواية قالت فبكيت الذي رأيت
فلما رأى جزعي اي قلة صبري سارني الثانية قال وفي رواية فقال يا فاطمة الا ترضين وفي رواية

وقف عوض

اما ترضين

اما ترضين ان تكوني سيدة اهل الجنة اي جميعها او مخصوصة بهذه الامة وفي رواية سيدة نساء هذه الامة
ونساء المؤمنين شك من الراوي والحديث بظاهره يدل على انها افضل النساء مطلقا حتى من خديجة
وعائشة ومريم وآسية وقد تقدم الخلاف والله اعلم وفي رواية فسارني فاخبرني انه يقبض اي يموت
في وجعه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهل بيته اتبعه بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بتشديد
التاء الفوقية وكسر الموحدة اي الحقه فضحكت وتوضيحه ما في الذخائر انه قال وفي رواية بعد
قوله عائشة حتى اذا قبض سألتها فقالت انه حدثني انه كان جبريل يعارضه القرآن كل عام مرة وانه
عارضني به في العام مرتين ولا اراه الا قد حضر اجلي وانك اول اهلي لحوقا بي ونعم السلف انا لك ثم
سارني فذكر مثل الاول اخرجها مسلم وعن عائشة قالت ما رأيت احدا اشبه سمتا ودلا وهديا
وحديثا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت وكانت اذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام اليها فقبلها واجلسها
في مجلسه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت فقبلته واجلسته في مجلسها فلما
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم اتت فاطمة فاكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها فبكت ثم
اكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت فقلت ان كنت لاظن ان هذه من اعقل نسائنا فاذا هي من
النساء فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لها ارأيت حين اكببت على النبي صلى الله عليه وسلم
ورفعت رأسك فبكيت ثم اكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت ما حملك على ذلك قالت اني اذا
لبذرة اخبرني انه ميت من وجعه هذا فبكيت ثم اخبرني اني اسرع اهله لحوقا به فذاك
حين ضحكت اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقال الترمذي حسن غريب وفي الذخائر
عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر اخر عهده اتيان فاطمة واول من يدخل
عليه اذا قدم فاطمة اخرجه احمد وعن ابي ثعلبة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قدم من غزو او سفر بدا بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم اتى فاطمة ثم اتى ازواجه اخرجه
ابو عمر وقال المؤلف هي فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وامها خديجة وهي
اصغر بناته في قول وهي سيدة نساء العالمين تزوجها علي بن ابي طالب في السنة الثانية
من الهجرة في شهر رمضان وبنى عليها في ذي الحجة فولدت منه الحسن والحسين والمحسن
وزينب وام كلثوم ورقية وماتت بالمدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بستة اشهر
وقيل بثلاثة اشهر ولها ثمان وعشرون سنة وغسلها علي وصلى عليها ودفنت ليلا روى
عنها علي وابناها الحسن والحسين وجماعة سواهم قالت عائشة ما رأيت احدا قط اصدق من فاطمة
غير ابيها متفق عليه وروى الحاكم عن ابي سعيد فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران
وعن المسور بن مخرمة سبق ذكره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة وفي رواية ان
فاطمة بضعة بفتح موحدة اي قطعة لحم مني وقد تكسر الباء على ما في النهاية وفي القاموس البضعة
بفتح الموحدة وحكي ضمها وكسرها وسكون المعجمة قطعة من اللحم والمعنى انها جزء مني كما ان
القطعة جزء من اللحم وتم ما قال الامام مالك ولا افضل احدا على بضعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن اغضبها اغضبني اي فكأنما اغضبني ففيه نوع من التشبيه البليغ فاندفع
ما استدل به السهيلي على ان من سبها يكفر اذ لا يخفى ان مثل هذا الكلام محمول على
المبالغة في مقام المرام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام على ما رواه ابن عساكر عن علي من اذى
مسلي فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومنه ما رواه احمد والبخاري في تاريخه عن معاوية

وابن حبان عن البراء من احب الانصار فقد احبه الله ومن ابغض الانصار ابغضه الله ومنها ما رواه
الطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا حب قريش ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني
ومن ابغض العرب فقد ابغضني وفي رواية اي بعد قوله فمن ابغضني وفي رواية اي بعد
قوله فمن ابغضني او زيادة عليه يريبني من الارابة بالموحدة اي يقلقني في الظاهر
ما رابها ويؤذيني اي في الباطن ما اذاها في شرح السنة رابني الشيء واربني بمعني شككني
واوهمني ما استيقنته قال الطيبي بغير الف معناه يسوءني ما يسوءها ويزعجني ما ازعجها
قلت الظاهر انهما لغتان الا ان الثاني له مزية ومناسبة لقوله ما اذاها ويؤيده اتفاق النسخ علي
الضم والله اعلم ثم اول الحديث قال مسور سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
وهو علي المنبر ان بني هاشم بن المغيرة استاذنوني في ان ينكحوا علي ابن ابي طالب فلا اذن
ثم لا اذن لا اذن الا ان يريد ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة
مني يريبني الحديث وفي شرح مسلم قالوا في الحديث تحريم ايذا النبي صلي الله عليه وسلم
بكل حال وعلي كل وجه وان تولد الايذا مما كان مباحا وهو من خواصه صلوات
الله وسلامه عليه وهو لوجهين احدهما ان ذلك يؤدي الي اذا فاطمة فيتاذي
النبي صلي الله عليه وسلم فيهلك من اذاه فنهي عن ذلك لكمال شفقته
علي علي وثانيهما انه خاف الفتنة عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد بقوله لا اذن النهي
عن جمعهما بل معناه انه صلي الله عليه وسلم علم من فضل الله تعالي انهما لا تجتمعان كما قال
انس بن النضر والله لا تكسر ثنيتها متفق عليه وفي لفظ البخاري عن المسور بن
مخرمة انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم علي المنبر وهو يقول ان بني هشام بن المغيرة
استاذنوني في ان ينكحوا ابنتهم علي ابن ابي طالب فلا اذن لهم ثم لا اذن لهم ثم لا اذن لهم
الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني
ما رابها ويؤذيني ما اذاها اخرجه الشيخان والترمذي وصححه وعن المسور بن ابي طالب
خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلي الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة
بنت النبي صلي الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي
ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي فسمعته حين تشهد ثم قال اما بعد فاني
انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان فاطمة بضعة مني وانا اكره ان
يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا قال
فترك علي الخطبة وعنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يخطب علي منبره هذا وانا
يومئذ محتلم فقال ان فاطمة مني واني اخاف ان تفتن في دينها ثم ذكر صهرا له من بني عبد
شمس فاثني عليه في مصاهرته اياه فاحسن قال حدثني فصدقني ووعدني فاوفي
لي واني لست احرم حلالا ولا احل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت
عدو الله مكانا واحدا ابدا وعن يحيي بن سعيد القطان قال ذكرت عبيد الله بن داود
قول النبي صلي الله عليه وسلم لا اذن الا ان يحب علي ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم قال ابن
داود حرم الله علي علي ان ينكح علي فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا فلما قال النبي صلي الله عليه وسلم لا اذن لم يكن يحل لعلي ان ينكح علي فاطمة الا
ان ياذن رسول الله صلي الله عليه وسلم وسمعت عمر بن داود يقول لما قال النبي صلي الله عليه وسلم

وصه تعالى

فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما اذاها حرم الله علي علي ان ينكح علي فاطمة ويؤذي رسول الله
صلي الله عليه وسلم لقوله الله تعالي وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اخرجه الحاكم فقط ابو القاسم الدمشقي وعن
المسور بن مخرمة انه بعث اليه حسن بن الحسن يخطب ابنته فقال له قل له فليلقني في العتمة فلقيه فحمد المسور
الله عز وجل واثني عليه وقال اما بعد فما من نسب ولا سبب ولا صهر احب الي من نسبكم وصهركم ولكن
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها
وان الانساب يوم القيامة تنقطع الا نسبي وسببي وصهري وعندك ابنة ولو زوجتك لقبضها
ذلك فانطلق عاذرا اخرجه احمد وفيه دليل ان الميت يراعي منه ما يراعي في الحي وقد ذكر الشيخ ابو علي
السنجي في شرح التلخيص انه يحرم التزوج علي بنات النبي صلي الله عليه وسلم ولعله يريد من ينسب اليه
بالنبوة ويكون هذا دليله وفي الجامع فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها
وان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري رواه احمد والحاكم عن المسور
فاطمة احب الي منك وانت اعز علي منها قاله لعلي رواه الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة رضي
الله عنه وروي عن ابي ايوب ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادي مناد
من بطنان العرش يا اهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم حتي تمر فاطمة بنت محمد علي الصراط فتمر
مع سبعين من الحور العين كمر البرق وعن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلي الله عليه وسلم
يوما فينا خطيبا بما اي بموضع فيه ماء يدعي اي يسمي ذلك الماء وذلك المكان خما بضم فتشديد
وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة وتقدم انه كان حين رجوعه من مكة وتوجهه الي المدينة
عام حجة الوداع فحمد الله اي شكره واثني عليه اي بما هو ذاته وحلي صفاته ووعظ اي نصحهم
بما نفعهم وذكر بتشديد الكاف اي نبههم من نوم غفلتهم ثم قال اما بعد اي بعد الحمد والثنا
الا بتخفيف اللام للتنبيه زيادة في الاهتمام علي التوجيه ايها الناس انما انا بشر اي مثلكم لكن
امتيازي عنكم بانه يوحي الي يوشك اي يقرب ان ياتيني رسول ربي اي جبريل ومعه عزرائيل والمراد بهلاك
الموت فاجيبه بالنصب وانا تارك فيكم الثقلين بفتحتين الامرين العظيمين سمي كتاب الله واهل بيته
بهما لعظم الله قدرهما ولان العمل بهما ثقيل علي تابعيهما قال صاحب الفائق الثقل المتاع المحمول علي
الدابة وانما قيل للجن والانس الثقلان لانهما اثقال الارض فكانهما ثقلاها وقد شبه بهما الكتاب والعترة
في ان الدين يستصلح بهما ويعمر عامرة الدنيا بالثقلين وفي شرح السنة سماهما ثقلين لان الاخذ
والعمل بهما ثقيل وقيل في تفسير قوله تعالي انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي اوامر الله ونواهيه
لانه لا يؤدي الا بتكلف ما يثقل وقيل قولا ثقيلا اي له وزن وسمي الجن والانس ثقلين لانهما فضلا
بالتمييز علي سائر الحيوان وكل شيء له وزن وقدر متنافس فيه فهو ثقل اولهما كتاب الله فيه الهدي اي
الهداية عن الضلالة والنور اي نور القلب للاستقامة او سبب ظهور النور يوم القيامة فخذوا
بكتاب الله اي استنباطا وحفظا وعملا واستمسكوا به اي وتمسكوا به اعتقادا وعملا ومن جملته
كتاب الله العمل باحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم لقوله سبحانه وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وفي رواية فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث بتشديد المثلثة اي
فحرض اصحابه علي كتاب الله اي علي محافظته ومراعاة مبانيه ومعانيه والعمل بما فيه ورغب فيه
بتشديد الغين المعجمة اي ذكر المرغبات من حصول الدرجات في حقه ثم يمكن انه رهب وخوف بالعقوبات
لمن ترك متابعة الايات فيكون حذفه من باب الاكتفاء ويمكنه انه اقتصر علي البشارة ايماء الي سعة

حة الله تعالى وان رحمته للعالمين وامته امة مرحومة ثم قال اي النبي عليه السلام واهل بيتي اي وثانيهما اهل بيتي
اذكركم الله بكسر الكاف المشددة اي احذركموه في اهل بيتي وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشانهم واشعارا بالعلة
انبهكم حق الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم واكرامهم ومحبتهم ومودتهم وقال الطيبي اي احذركم الله
في شان اهل بيتي واقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم فالتذكير بمعنى الوعظ يدل عليه قوله وعظ وذكر
قلت وقد تقدم التغاير بينهما والحمل على التاسيس اولى اذكركم الله في اهل بيتي كرر الجملة لافادة المبالغة ولا
يبعد ان يكون اراد باحدهما آله وبالاخرى ازواجه لما سبق من اهل البيت يطلق عليهما وفي رواية قال ثلاث مرات
وفي رواية اي بدل اولهما كتاب الله الخ كتاب الله هو حبل الله اي ما يوصل العبد اليه ويتوسل به الى قربه
والترقي من حضيض البشرية الى اوج رفقة الملائكة بالحضور في الحضرة الالهية والغيبة عن شهود امور
الكونية وهو مقتبس من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا من اتبعه اي ايمانا وحفظا وعلما وعملا واخلاصا
كان على الهدى اي على الهداية الكاملة ومن تركه اي بجهة من الجهات المتعددة كان على الضلالة اي الغواية
الشاملة فالقران كالحبل ذو وجهين يمكن ان يكون وسيلة للترقي وان يكون ذريعة التنزل والتدلي كالنيل
ما للمحبوبين ودما للمحجوبين يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا القران حجة لك او عليك
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا نفعنا الله به ورفعنا
بسببه رواه مسلم وفي الذخاير فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان
نساءه من اهل بيته من حرم الله عليه الصدقة بعده قال ومن هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
عباس قال كل هولاء حرم عليهم الصدقة قال نعم اخرجه مسلم واخرج معناه احمد عن ابي سعيد ولفظه
انه صلى الله عليه وسلم قال اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب
الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعن ابن عمر اي موقوفا انه كان اي ابن عمر والاظهر ان
يكون التقدير كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم على ابن جعفر الخ ابن ابي طالب وابن جعفر هو عبد الله
ولم يذكره المولف في اسمائه قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين بفتح الجيم قال القاضي لما راى جعفر في
الجنة يطير مع الملائكة لقبه بذي الجناحين ولذلك سمي طيارا ايضا قال المولف اسلم قديما بعد احد وثلاثين
انسانا وكان اكبر من اخيه علي ابن ابي طالب بعشر سنين وكان اشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله
صلى الله عليه وسلم روى عنه ابنه عبد الله وخلق كثير من الصحابة قتل شهيدا يوم موتة سنة ثمان وله
احدى واربعون سنة فوجد فيما اقبل من جسده تسعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف رواه البخاري
وعن البراء قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي بالرفع والواو للحال على عاتقه بكسر التاء وهو
ما بين المنكب والعنق يقول اللهم اني احبه اي حبا بليغا فاحبه ولا شك انه احبه الله فيجب التخلق
باخلاق الله والتعلق بشمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في جميع احيانه واحواله قال المولف
كنيته ابو محمد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وسيد شباب اهل الجنة ولد في النصف من
شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو اصح ما قيل في ولادته ومات سنة خمسين وقيل سنة تسع
واربعين وقيل سنة اربع واربعين ودفن بالبقيع روى عنه ابنه الحسن بن الحسن وابو هريرة
وجماعة كثيرة ولما قتل ابوه علي بن ابي طالب بالكوفة بايعه الناس على الموت اكثر من اربعين الفا وسلم
الامر الى معاوية بن ابي سفيان في النصف من جمادى الاولى سنة احدى واربعين واما الحسين
فكنيته ابو عبد الله ولد لخمس خلون من شعبان سنة اربع وكانت فاطمة علقت به بعد ان ولدت
الحسن بخمسين ليلة وقتل يوم الجمعة يوم عاشورا سنة احدى وستين بكربلا من ارض العراق فيما

بين الكوفة والحلة وقتله سنان بن انس النخعي ويقال ايضا سنان بن ابي سنان وقيل قتله شمر بن ذي
الجوشن واجهز عليه خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وكسر اللام وتشديد الياء ابن يزيد الاصبحي
من حمير حز راسه واتى به عبيد الله بن زياد وقال شعر

اوقر ركابي فضة وذهبا ۞ اني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس اما وابا ۞ وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقيل انه قتل مع الحسين من ولده واخوته واهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا روى عنه ابو
هريرة وابنه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة بضم السين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء والنون
ابنتاه وكان للحسين يوم قتله ثمان وخمسون سنة وقضى الله تعالى ان قتل عبيد الله بن زياد
يوم عاشورا سنة سبع وستين قتله ابراهيم بن مالك بن الاشتر النخعي في الحرب وبعث راسه الى
المختار وبعثه المختار الى ابن الزبير وبعث به ابن الزبير الى علي بن الحسين متفق عليه وعن
ابي هريرة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار اي قطعة منه حتى اتى خباء
فاطمة بكسر الخاء المعجمة وبموحدة بعدها الف فهمزة اي بيتها كما قاله النووي قال الطيبي ومن المجاز
على نحو استعمال المشعر على الشفقة وفي رواية مخبئا وهو المخدع وفي بعض نسخ المصابيح خباب فاطمة
والظاهر انه مغير انتهى وفيه نظر اذ قال شارح للمصابيح الخباب بالفتح مقدم الباب وقال ابن الملك
اراد به حجرتها وقيل حول دارها وقال الجزري جناب بفتح الجيم والنون والباء الموحدة فناء
الدار فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اثم بفتح المثلثة وتشديد الميم اي هناك لكع بضم اللام وفتح
الكاف من غير انصراف كعمر وزفر وفي نسخة بصرفه قال شارح اللكع الصبي الصغير معدود
من اللكع بكسر الكاف يقال لكع الرجل يلكع فهو لكع اذا خس اي صار خسيسا وهو على البناء للاستقبال
في الصغير المذكر ويقال للانثى لكاع مبنية وقيل هو ليس بمعدود وانما هو مثل نفر وصرد مخففه
ان ينون لانه ليس بمعدود وقال ابن الملك لكع بضم اللام وفتح الكاف الصغير قدرا وجثة والثاني
هو المراد هنا وقال غيره يقال للصبي الصغير لكع مصروفا ذهابا الى صغر جثته ويطلق على العبد والليم
والاحمق لصغر قدرهم وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم ومن لا يتجه بمنطق ولا غيره ويقول
في النداء يا لكع ولا يصرف في المعرفة لانه معدول من لكع وفي النهاية اللكع عند العرب العبد ثم استعمل
في الحمق والذم وقد يطلق على الصغير ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم جاء يطلب الحسن بن
علي قال اثم لكع فان اطلق على الكبير اريد به الضعيف العلم والعقل قال القاضي المراد بهذا الاستصغار
الرحمة والشفقة كالتصغير في يا حميرا اي اثم لكع كرره للاهتمام في تحصيله يعني حسنا تفسير
من الراوي فلم يلبث بفتح الموحدة اي لم يمكث بمجيئه ان جاء يسعى اي ساعيا حتى اعتنق كل واحد منهما
صاحبه اي طالب صحبته قال ابن الملك فيه جواز المعانقة وقال النووي فيها استحباب ملاطفة الصبي
في معانقته وملاعبته رحمة ولطفا واستحباب التواضع مع الاطفال وغيرهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه اللهم اجعلنا من محبيه ومواليه ولا تجعلنا من
مبغضيه ومعاديه فان محبوب المحبوب محبوب وقلب المحب المغلوب مطلوب متفق عليه وعن
ابي بكرة اي الثقفي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي بالرفع ويجوز
نصبه الى جنبه يحتمل الايمن والايسر وهو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل على الناس
مرة وعليه اي وعلى الحسن اخرى وفي رواية الزخاير ينظر الى الناس واليه مرة ويقول ان
ابني هذا سيد اصله سيود قلبت الواو ياء وادغمت قيل وهو من لا يغلبه غضبه وقيل الذي

يفوقه في الخير والاول اليق بما بعده الاتي والاظهر الثاني لانه انما يطلق حقيقة على من جمع السيادة نسبا
وحسبا وعلما ولعل الله اتى بصيغة الرجا اي الى عدم وجوب شي على المولى فالمعنى ارجوا منه سبحانه
ان يصلح به اي بسببه بين فيتين عظيمتين من المسلمين قال التوربشتي كفى به شرفا وفضلا فلا اسود
ممن سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدا وانما وصف الفيتين بالعظيمتين لان المسلمين كانوا يوميذ
فرقتين فرقة معه وفرقة مع معاوية وكان الحسن رضي الله عنه يوميذ احق الناس بهذا الامر فدعاه ورعه
وشفقته على امة جده الى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ولم يكن ذلك لقلة ولا لذلة فلقد بايعه
على الموت اربعون الفا فقال والله ما احببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني ان الي امر محمد صلى
الله عليه وسلم على ان يهراق في ذلك محجمة دم وعن ابي هريرة قال كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم العشا
فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فاذا رفع راسه اخذهما بيده من خلفه اخذا رفيقا فيضعهما
على الارض فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته فاقعدهما على فخذيه قال فقمت اليه فقلت يا رسول الله
اردهما فبرقت برقة فقال الحقا بامكما قال فمكث ضوءها حتى دخلا اخرجه احمد وعن معاوية
قال كان رسول الله يمص لسان الحسن او شفته وانه لن يعذب الله لسانا او شفة مصهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجه احمد وفي الذخاير قال ابو عمر ولما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر
من اربعين الفا كلهم قد بايع اباه قبله على الموت وكانوا اطوع للحسن واحب فيه منهم في ابيه فبقي
سبعة اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما ترايا
الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد علم انه لن يغلب احدى الفيتين حتى
يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط عليه ان لا يطلب
احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشي مما كان في ايام ابيه فاجابه معاوية الا انه قال عشرة فلا
فلا اومنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه يقول اني قد اليت اني متى ظفرت بقيس بن سعد ان اقطع
لسانه ويده فراجعه الحسن اني لا ابايعك ابدا وانت تطلب قيسا او غيره بتبعة قلت او كثرت فبعث
اليه معاوية حينيذ برق ابيض وقال اكتب ما شيت فيه فانا التزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه
الحسن ان يكون الامر له من بعده فالتزم ذلك كله معاوية واصطلحا على ذلك وكان كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فيتين عظيمتين من المسلمين وكان رضي الله عنه يقول
ما احببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني ان الي امر محمد صلى الله عليه وسلم على ان يهراق في ذلك محجمة دم وعن
ابي العريف قال كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنى عشر الف مستميتين حرصا على قتال اهل الشام
فلما جانا صلح الحسن كانما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن فلما جا الحسن الكوفة اتاه شيخ منا
يكنى ابا عمرو سفيان بن ابي ليلى فقال السلام عليك يا مذل المومنين فقال لا تقل يا ابا عمرو فاني لم اذل المومنين
ولكني كرهت ان اقتلهم في طلب الملك وعن عبد الله بن بريدة ان الحسن دخل على معاوية فقال لاجيزنك
بجايزة لم اجز بها احدا قبلك ولا اجيز بها احدا بعدك فاجازه باربعة الف الف فقبلها وروي انه لما جرى
الصلح بين معاوية والحسن فقال له معاوية قم فاخطب الناس واذكر ما كنت فيه فقام الحسن فخطب
فقال الحمد لله الذي هدانا وحقن بنا دماكم الا ان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور وان هذا
الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية اما ان يكون احق به مني او يكون حقي وتركته لله واصلاح امة
محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمايهم ثم التفت فقال وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم نزل
فقال عمرو بن العاص لمعاوية ما اردت الا هذا وفي رواية ان الحسن قال في خطبته يا معاوية ان الخليفة
من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ

الدنيا

الدنيا اما وابا وعن عبد الرحمن بن ابي نعم بضم نون وسكون عين كذا في المغني وهكذا في النسخ المعتمدة وساير
النسخ الحاضرة ولم يذكره المولف في اسمايه بل ذكر عبد الرحمن بن ابي غنم وقال بفتح الغين المعجمة وسكون النون
قال سمعت عبد الله بن عمر وساله رجل عن المحرم جملة حالية قال شعبة اي احد رواة هذا الحديث لم
يذكره المولف في اسمايه احسبه بكسر السين وفتحها اي اظنه اي السايل ساله عن المحرم في الخطاب عن ابن
عمر وقد سيل عن المحرم يقتل الذباب يعني بحذف قبله ام لا والجملة معترضة قال وفي رواية فقال اي
ابن عمر في جوابه نعم اهل العراق اي الكوفة فانها والبصرة تسميان عراق العرب تسالوني بتشديد
النون ويخفف عن الذباب اي عن قتل الذباب كما في نسخة والمعنى انهم يتظهرون رعاية التقوى في نسكهم
قال الطيبي قوله قال اهل العراق حال من سمعت وقد مقدرة والاصل سمعت قول عبد الله وقوله وساله
رجل عن المحرم ايضا حال وقوله قال شعبة احسبه يقتل الذباب قال بعض الرواة تفسير سوال الرجل
واستفتاوه اي ما يقول في شان المحرم يقتل الذباب انتهى وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حال من ضمير الفاعل في يسالوني وقال في رواية وقد قال اي والحال انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي في حقه ابن بنته هما يعني الحسنين ريحاني ضبط في جميع النسخ بفتح النون وتشديد اليا
بالمتكلم وسياق الكلام عليه وفي الذخاير هما ريحانتاي من الدنيا اي من رزق الله الذي رزقنيه
من الدنيا يقال سبحان الله وريحانه اي اسبح الله واسترزقه وهو مخفف من ريحان مشدد انه
فيعلان من الروح لان انتعاشه بالرزق ويجوز ان يراد بالريحان المشموم لان الشما ما يسمى ريحان
ويقال حياه بطاقة نرجس وبطاقة ريحان فيكون المعنى انهما مما اكرمني الله به وحباني لان الاولاد
يشمون ويقبلون فكانهما من جملة الرياحين التي انبتها الله وفي النهاية الريحان الرحمة والرزق وبه
سمي الولد ريحان وكل نبت طيب الريح من انواع المشموم وقال الطيبي موقع من الدنيا ههنا كموقعه
في قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من الدنيا الطيب والنسا اي نصيبي منها ونصيب ريحاني على المدح
اقول الظاهر من كلام الفايق انه جعل ريحاني خبر المبتدا ومن الدنيا بمعنى في الدنيا لكن يشكل على رواية
الكتاب بغير رفعه ولعله مبني على ما روي ريحانتاي او ريحاناي بكسر النون وتخفيف اليا
والافراد باعتبار كل منهما او التقدير كانا ريحاني ثم رايت القاضي عياض قال في المشارق قوله وهما
ريحاناي من الدنيا الولد يسمى ريحان ومن هنا بمعنى اي في الدنيا وقيل ريحاناي من الجنة في
الدنيا كما قال في الحديث الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة وقد قيل يوجد منهما ريح الجنة
والريحان ما يستراح اليه ايضا وقيل سميا بذلك لان الولد يشم الريحان انتهى وعن جابر بن عبد الله
على ما رواه المحب في مناقب احمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب سلام عليك يا ابا الريحانتين
فعن قليل يذهب ركناك والله خليفتي عليك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي هذا احد
الركنين فلما ماتت فاطمة قال هذا الركن الاخر رواه البخاري وعن ابي عبد الرحمن بن ابي نعم
ان رجلا من اهل العراق سال ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا الى هذا
يسال عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا اخرجه الترمذي وصححه وعن انس قال لم
يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وقال اي انس في الحسين ايضا كان
اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وسياتي في حديث علي في الفصل الثاني تفصيل معنى
هذا الحديث رواه البخاري وكذا الترمذي وعن ابن عباس قال ضمني بتشديد الميم اي احتضنني
النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره ايما الى انه منبع العلم ومعدن الحكم فقال اللهم علمه الحكمة اي اتقان العلم

وقف سعود جل

جامعة الملك سعود – قسم المخطوطات – عمادة شؤون المكتبات

والعمل قال تعالى تؤتي الحكمة من تشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وليس المراد بها حكم
الفلاسفة ففي النهاية الحكمة عبارة عن معرفة فضل الاشيا بافضل العلوم والحكيم الذي
يحكم الاشيا ويتقنها وفي فتح الباري واختلف في المراد بالحكمة ههنا فقيل الاصابة في القول
وقيل الفهم عن الله وقيل ما يشهد العقل بصحته وقيل نور يفرق بينه وبين الالهام والوسواس
وقيل سرعة الجواب وقيل غير ذلك قلت لا منع من الجمع شعر
عباراتنا شتى وحسنك واحد ۞ فكل الى ذاك الجمال يشير
وفي رواية علمه الكتاب اي علمه وما يتعلق به من سائر العلوم الشرعية وحكي عن ابن عباس
انه قال ۞ جميع العلم في القران لكن ۞ تقاصر عنه افهام الرجال
وهذه الرواية تؤيد قول من فسر الحكمة بعلم الكتاب ولذا يقال لابن عباس ترجمان الكتاب وقال الطيبي
ان يراد بالحكمة السنة قال يعلمهم الكتاب والحكمة قلت الاظهر ان يراد بالكتاب لفظه وقراءته وبالحكمة معرفة
احكامه وتبيين اياته فانه رضي الله عنه كان مشهورا بالعلمين اعني القراءة والتفسير على
ان تفسير الحكمة بالسنة في الاية لوقوعها عطفا على الكتاب والاصل التغاير في العطف
لكن سياتي انه دعا له بالفقه ايضا وهو العلم بالكتاب والسنة اصولا وفروعا فهو جامع العلوم
رضي الله عنه قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث
عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وقيل عشر كان حبر هذه الامة وعالمها دعا له صلى الله عليه
وسلم بالحكمة والفقه والتاويل وراى جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في اخر عمره ومات بالطايف
سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وهو ابن احدى وسبعين روى عنه خلق كثير من الصحابة
والتابعين رواه البخاري وعنه اي عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلا بالفتح
والمد اي مكان البراز فوضعت له وضوءا بفتح الواو وما الوضوء فلما خرج قال من وضع هذا اي طرف
الما فاخبر بصيغة الماضي المجهول اي فاخبره مخبر وهو يحتمله وغيره فقال اللهم فقهه بكسر
القاف المشددة اي اجعله فقيها عالما في الدين اي اصوله وفروعه وليس المراد به الفقه
المتعارف المختص بفروع المعاملات والخصومات قال النووي فيه فضيلة الفقه واستحباب
الدعا بظهر الغيب واستحباب الدعا لمن عمل خيرا وقد اجاب الله دعاه في حقه فكان من
الفقه بالمحل الاعلى متفق وعن اسامة بن زيد اي ابن حارثة القضاعي وامه ام ايمن
واسمها بركة وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مولاة لابيه عبد الله بن
عبد المطلب واسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه وحبه وابن حبه قبض النبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن عشرين وقيل غير ذلك ونزل وادي القرى وتوفي به بعد قتل عثمان وقيل سنة
اربع وخمسين قال ابن عبد البر وهو عندي اصح روى عنه جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان ياخذه اي
ياخذ اسامة والحسن فيقول اللهم احبهما فاني احبهما فيه اشعار بان محبته لله ولذا رتب محبة الله على
محبته وفي ذلك اعظم منقبة لهما ولفظ البخاري اللهم احبهما فاحبهما او كما قال رواه البخاري وفي رواية
قال اي اسامة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذني فيقعدني بضم اليا وكسر العين اي يجلسني على فخذه
اي اليمنى او اليسرى ويقعد الحسن بن علي على فخذه الاخرى ثم يضمهما كذا في المصابيح وجامع الاصول
وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ذكره الطيبي والظاهر انه في غيرهما بضمنا على تغليب المتكلم كما في ان يضمهما
تغليب الغائب ففي تسميته التفاتا نوع مسامحة ثم يقول اللهم ارحمهما اي رحمة شاملة كاملة تغنيهما عن رحمة
من سواك فاني ارحمهما اي رحمة خاصة والا فرحمته عامة للمومنين بل شاملة للعالمين رواه البخاري

وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا اي ارسل جيشا وامر بتشديد الميم اي جعل
امير عليهم اسامة بن زيد فطعن بفتح العين من طعن كمنع في العرض والنسب واما بالرمح ففي البدن فيه
هما لغتان والمعنى فتكلم بعض الناس اي المنافقون او اجلاف العرب في امارته بكسر الهمزة اي ولايته لكونه
مولى فقال رسول الله وفي نسخة نبي الله صلى الله عليه وسلم ان كنتم تطعنون في امارته فقد كنتم تطعنون
في امارة ابيه يشير الى امارة زيد بن حارثة في غزوة موتة من قبل اي من قبل هذا الوقت قبل امارة
ابنه قال الطيبي قوله فقد كنتم طعنتم هذا الجزا انما يترتب على الشرط بتاويل التنبيه والتوبيخ اي طعنكم
الان فيه سبب لان اخبركم ان ذلك من عادتكم الجاهلية وهجيراكم ومن ذلك طعنكم في ابيه من قبل نحو قوله تعالى
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وايم الله بهمزة وصل وقيل قطع اي واسم الله ان مخففة اي الشان كان اي ابوه
لخليقا اي جديرا وحقيقا للامارة اي لفضله وسبقه وقربه مني وفي اصل المالكي وايم الله لقد كان
وفي نسخة عنده ان كان خليقا فقال استعمل ان المخففة المتروكة العمل عاريا بعدها من اللام
الفارقة لعدم الحاجة اليها قال التوربشتي انما طعن من طعن في امارتهما لانهما كانا من
الموالي وكانت العرب لا ترى تامير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف فلما جاء الله
بالاسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى وعرف حقهم
المحفوظون من اهل الدين فاما المرتهنون بالعادة والمستحسنون بحب الرياسة من الاعراب ورؤسا
القبايل فلم يزل يختلج في صدورهم شي من ذلك لاسيما اهل النفاق فانهم كانوا يسارعون
الى الطعن وشدة النكير عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث زيد بن حارثة رضي
الله عنه اميرا على عدة سرايا واعظمها جيش موتة وسار تحت رايته في تلك الغزوة خيار الصحابة
منهم جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وكان خليقا بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم كان يبعث اسامة وقد امره في مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة
الصحابة وفضلائهم وكان راى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة ان يمهد الامر ويوطيه لمن يلي الامر
بعده لئلا ينزع احد يده من طاعة وليعلم كل منهم ان العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت
معالمها وان كان اي ابوه لمن احب الناس الي وان هذا اي اسامة لمن احب الناس الي بعده
اي بعد ابيه زيد متفق عليه وعند النسائي عن عايشة قالت ما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط الا امره عليهم قال بعض المحققين فيه جواز امارة المولى وتولية
الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل قلت ولعل تاميره مع تامير ابنه وقع جبرا لما اختاره من
عبودية له صلى الله عليه وسلم حين خيره كما قال المؤلف زيد بن حارثة امه سعدى بنت ثعلبة
من بني معن خرجت به تزور قومها فاغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على ابيات من بني معن
فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يقال له ثمان سنين فوافوا به سوق عكاظ فعرض
للبيع فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بارب مائة درهم فلما تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهبته له فقبضه ثم ان خبره اتصل باهله فحضر ابوه حارثة وعمه كعب في فدائه
فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين نفسه والمقام عنده وبين اهله والرجوع اليهم فاختار النبي صلى
الله عليه وسلم لما راى من بره واحسانه اليه فحينئذ خرج به النبي صلى الله عليه وسلم الى الحجر فقال
يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه فصار يدعى زيد بن محمد الى ان جاء الله بالاسلام
ونزل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فقيل له زيد بن حارثة وهو اول من اسلم من
الذكور في قول وكان النبي صلى الله عليه وسلم اكبر منه بعشر سنين وقيل بعشرين سنة وزوجه رسول

ووقف لله عز وجل

الله صلى الله عليه وسلم مولاته ام ايمن فولدت اسامة ثم تزوج زينب بنت جحش بنت عمة النبي صلى
الله عليه وسلم ثم طلقها لتنكرها عليه فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسم الله تعالى في القران
احدا من الصحابة غيره في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على
المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا روى عنه ابنه اسامة وغيره
وقتل في غزوة موتة وهو امير الجيش في جماد الاول سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين
سنة وفي رواية لمسلم نحوه اي نحو الحديث المتفق عليه سابقا وفي اخرها اي رواية
مسلم اوصيكم به اي باسامة فانه من صالحيكم اي ممن غلب عليه الصلاح فيما بينكم والاظهر
الصحابة صالحون فالخطاب لجماعة من الحاضرين او المبعوثين معه وعنه اي عن عبد الله بن
عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايراد هذا الحديث
في هذا الباب للاشعار بان مولى الرجل من اهل بيته ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد قال النووي
كان صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا ودعاه ابنه وكانت العرب يتبنى مواليهم وغيرهم فيصير ابنا له
يوارثه وينتسب اليه حتى نزل القران اي الاية منه ادعوهم لابائهم قبله وما جعل ادعياءكم
ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم اي انسبوهم
لابائهم هو اقسط اي اعدل عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم الاية
فرجع كل انسان الى نسبه متفق عليه وذكر حديث البرا قال لعلي انت مني في باب بلوغ الصغير
وحضانته بكسر الحا وفتحها اي تربيته

الفصل الثاني

عن جابر قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته القصوا بفتح القاف ممدودا
ويقصر قيل سميت قصوا لا لانها مجدوع الاذن بل لان القصوى لقب لها تخالف حالا فسمعته
يقول يا ايها الناس اني تركت فيكم ما موصولة صلتها ان اخذتم به اي تمسكتم به علما وعملا
لن تضلوا بعده اي بعد اخذكم كتاب الله بالنصب بيان ما في ما ان اخذتم به او بدل او بتقدير
اعني وفي نسخة بالرفع اي هو كتاب الله وعترتي في محل نصب او رفع وقوله اهل بيتي معرب من
وجهين قال التوربشتي عترة الرجل اهل بيته ورهطه الادنون ولاستعمالهم العترة على انحاء كثيرة
بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اهل بيتي ليعلم انه اراد بذلك نسله وعصابته الادنين وازواجه
انتهى والمراد بالاخذ بهم التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم وهو
لا ينافي اخذ السنة من غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولقوله تعالى
فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال ابن الملك التمسك بالكتاب العمل بما فيه وهو الايتمار
باوامر الله والانتهاء بنواهيه ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم زاد السيد
جمال الدين اذا لم يكن مخالفا للدين قلت في اطلاقه صلى الله عليه وسلم اشعار بان من يكون من عترته
في الحقيقة لا يكون هديه وسيرته الا مطابقا للشريعة والطريقة رواه الترمذي وعن زيد
ابن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي اي بعد
فوتي احدهما وهو كتاب الله اعظم من الاخر وهو العترة كما بينه بقوله كتاب الله بالنصب وبالرفع
وهو اظهر هنا لقوله حبل ممدود بين السما والارض اي نازل الترقي والتنزل كما مر بيانه وسبق رهانه
وعترتي اهل بيتي قال الطيبي في قوله اني تارك فيكم اشارة الى انهما بمنزلة التوامين الخلفين عن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يوصي الامة بحسن المخالقة معهما وايثار حقهما على انفسهم كما
يوصي الاب المشفق الناس في حق اولاده ويعضده الحديث السابق في الفصل الاول اذكركم الله

في اهل

في اهل بيتي كما يقول الاب المشفق الله الله في حق اولادي واقول الاظهر هو ان اهل البيت يكونون
غالبا اعرف بصاحب البيت واحواله فالمراد بهم اهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على
طريقته العارفون بحكمه وحكمته وبهذا يصلح ان يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه كما قال ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويؤيده ما اخرجه احمد في المناقب عن حميد بن عبد الله بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر عنده قضا قضى به علي بن ابي طالب فاعجبه وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة اهل البيت واخرج
ابن ابي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن مسعر اليربوعي قال قال علي للحسن كم بين الايمان واليقين
قال اربع اصابع قال بين قال اليقين ما رايته عينك والايمان ما سمعته اذنك وصدقت به قال اشهد
انك ممن انت منه ذرية بعضها من بعض وقارف الزهري ذنبا فهام على وجهه فقال له زين العابدين
قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء اعظم عليك من ذنبك فقال الزهري الله اعلم حيث يجعل
رسالاته فرجع الى اهله وماله ولن يتفرقا اي كتاب الله وعترتي في مواقف القيامة حتى يردا على
الحوض اي الكوثر قال الطيبي في تفصيل مجمل الحديث ما موصولة والجملة الشرطية صلتها وامساك
الشي التعلق به وحفظه قال تعالى ويمسك السما ان تقع على الارض وتمسك بالشي اذا تحرى الامساك
به ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالتمسك به صريحا وهو الحبل في قوله كتاب الله حبل ممدود من
السما الى الارض وفيه تلويح الى قوله تعالى ولو شينا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع
هواه كان الناس واقفون في مهواة طبعهم مشتغلون بشهواتهم وان الله تعالى يريد بلطفه
رفعهم فادلى حبل القران اليهم ليخلصهم من تلك الورطة فمن تمسك به نجا ومن اخلد الى الارض
هلك ومعنى كون احدهما اعظم من الاخر ان القران هو اسوة للعترة وعليهم الاقتدا به وهم اولى الناس
بالعمل بما فيه ولعل السر في هذه التوصية واقتران العترة بالقران ان ايجاب محبتهم لايح من معنى
قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فانه تعالى جعل شكر انعامه واحسانه
بالقران منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر فكانه صلى الله عليه وسلم يوصي الامة بقيام الشكر وقيد تلك
النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن اقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن
يفترقا فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يردا الحوض فشكرا صنيعه عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ هو بنفسه يكافيه والله تعالى يجازيه بالجزاء الاوفى ومن اضاع
الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس وعلى هذا التاويل حسن موقع قوله فانظروا كيف تخلفوني
فيهما والنظر بمعنى التامل والتفكر اي تاملوا واستعملوا الروية في استخلافي اياكم هل تكونون
خلف صدق او خلف سوء لي وقوله تخلفوني بتشديد النون وتخفف رواه الترمذي
ورواه احمد والطبراني عن زيد بن ثابت ولفظه اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود
ما بين السما والارض وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وعنه اي
عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين
اي لاجلهم وفي حقهم انا حرب اي محارب وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة اخرجه احمد والترمذي
وقال كان معي في الجنة وقال حديث غريب لمن حاربهم جعل صلى الله عليه وسلم نفسه نفس
الحرب مبالغة كرجل عدل وسلم بكسر اوله ويفتح لمن سالمهم والمعنى من احبهم احبني
ومن ابغضهم ابغضني رواه الترمذي وعن جميع بن عمير بالتصغير فيهما قال المولف تيمي
من الكوفة قال البخاري سمع عمر وعايشة روى عنه العلا بن صالح وصدقه ابن المثنى قال

ومسعود جل

دخلت مع عمتي على عايشة فسالت اي انا فيه بصيغة التانيث اي عمتي اي
الناس كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اي عايشة فاطمة اي
هي كانت احب فقيل من الرجال اي هو اجواكن من النسا فمن احب اليه من الرجال
قالت زوجها رواه الترمذي وفي الرياض عن عايشة سيلت اي الناس احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة فقيل من الرجال قالت زوجها ان كان ما علمت صواما
قواما اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الازهار رواه السدي وقال الحاكم السدي
شيعي بسبب الشيخين انتهي وقد ذكروان السدي شيعي كبير وهو سني وضيع
وعوراً فضي قال السيوطي في شرحا لتقريب من امارات كون الحديث موضوعا
ان يكون الراوي رافضيا والحديث في فضايل اهل البيت قال الشيخ الحافظ علي ابن
عراق في كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة او في ذم من
حاربهم وذكر بعض شيوخي انه روي عن شيخه الحافظ المحدث البرهان التاجي بالنوع
من امارات الموضوع ان يكون فيه واعطي ثواب نبي او النبيين ونحوها قالت كلام
السيوطي وابن العراق ليس على الاطلاق بل ينبغي ان يكون مقيدا بما اذا وجد
فيه مبالغة زايدة غير معروفة في مدح اهل البيت او ذم اعدايهم والا فضل اهل البيت
وذم من حاربهم مما يجمع عليه عند علما السنة واما براية الامة لا يليهم من اكثرية المحبة
تحقيق الافضلية اذ محبة الاولاد وبعض الاقارب امر جبلي مع العلم القطعي بان
غيرهم قد يوجد افضل منهم واما بالنسبة الى الاجانب فالافضلية توجب زيادة المحبة
وبهذا ينمدفع الاشكال والله اعلم بالاحوال وعن عبد المطلب بن ربيعة اي ابن
الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي سكن المدينة ثم تحول عنها الى دمشق
ومات بها سنة اثنتين وستين روى عنه عبد الله بن الحارث ذكره المولف في
فصل الصحابة ان العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا بصيغة
المفعول وانا عنده فقال ما اغضبك اي اي شي جعلك غضبان قال يا رسول الله
ما لنا اي معشر بني هاشم ولقريش اي بقيتهم اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة
على صيغة المفعول من الابشار وروي من التبشير وعليه بعض النسخ قال الطيبي
كما هو في جامع الترمذي وفي جامع الاصول مسفرة يعني على انه اسم فاعل من
الاسفار بمعني مضيئة قال التوربشتي هو بضم الميم وسكون البا وفتح الشين يريد
بوجوه عليها البشر من قولهم فلان مودم مبشر اذا كانت له ادمة وبشرة محمودتان
انتهي والمعني تلاقي بعضهم بعضا بوجوه ذات بشر وبسط واذا لقونا بضم القاف لقونا
بغير ذلك اي بوجوه ذات قبض وعبوس وكان وجهه انهم يحسدون الناس على
ما اتاهم الله من فضله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من اظهار ذلك او من
اجل هذه الصفة الذميمة حتى احمر وجهه اي اشتد حمرته من كثرة غضبه ثم قال
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان اي مطلقا واريد به الوعيد الشديد او
الايمان الكامل فالمراد به تحصيله على الوجه الشديد الاكيد حتى يحبكم اي اهل البيت
لله ولرسوله اي من حيث اظهر رسوله فيكم والله اعلم حيث يجعل رسالاته وقد كان
يتفوه ابو جهل حيث يقول اذا كان بنو هاشم احق بالراية والسقاية والنبوة والرسالة
فما بقي لبقية قريش ثم قال يا ايها الناس من اذى عمي خصوصا فقد اذاني اي

فكانه اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه بكسر الصاد وسكون النون اي مثله واصله ان يطلع نخلتان
او ثلاث من اصل عرق واحد فكل واحدة منهن صنو يعني ما عم الرجل وابوه الا كصنوين من
اصل واحد فهو مثل ابي او مثلي رواه الترمذي اي عن عبد المطلب وفي المصابيح عن المطلب
قال المولف هو المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي كان عاملا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عداده في اهل الحجاز روى عنه عبد الله بن الحارث
قدم مصر لغزو وافريقية سنة تسع وعشرين ولم يقع الى اهل الحديث عنه رواية
انتهي فما وقع في المصابيح سهو سببه وهم وفي الجامع روى الترمذي عن ابي هريرة العباس
عم رسول الله وان عم الرجل صنو ابيه وروى ابن عساكر عن علي مرفوعا العباس عمي وصنو
ابي فمن شا فليباهي بعمه وفي ذخاير العقبي عن ابن عباس قال ان العباس قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انا لنخرج فنرى قريشا تتحدث فاذا راونا سكتوا فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودر عرق الغضب بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امري ايمان حتى
يحبكم الله ولقرابتي رواه احمد وعن ابي ايوب الانصاري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لفاطمة نبينا خير الانبيا وهو ابوك وشهيدنا خير الشهدا وهو عم ابيك
حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شا وهو ابن عم ابيك ومنا سبطا هذه
الامة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي اخرجه الطبراني في معجمه وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس مني اي من اقاربي او من اهل بيتي
او متصل بي وانا منه رواه الترمذي وكذا الحاكم وروى الخطيب عن ابن عباس مرفوعا
العباس وصيي ووارثي وكان العباس اكبر منه صلى الله عليه وسلم بسنتين ومن لطايف
طبعه وحسن ادبه انه لما قيل له انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو اكبر وانا
اسن قال المولف وامه امراة من النمر بن قاسط وهي اول عربية كست الكعبة الحرير
والديباج واصناف الكسوة وذلك ان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان
تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك وكان العباس رييسا في الجاهلية واليه
كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية فهي معروفة واما العمارة فانه كان يحمل قريشا
على عمارته وبالخير وترك السباب فيه وقول الهجر قال مجاهد اعتق العباس عند
موته سبعين مملوكا ولد قبل سنة الفيل ومات يوم الجمعة لاثني عشرة خلت من
رجب سنة ٣٢ وهو ابن ثمان وثمانين ودفن بالبقيع وكان اسلم قديما وكتم اسلامه وخرج مع المشركين
يوم بدر مكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مكرها فاسره ابو اليسر
كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة ثم اقبل الى المدينة مهاجرا روى عنه جماعة وعنه اي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذا كان غداة الاثنين بهمزة وصل وقد
عدي اقول الشاعر ٥ كما سرجاوز الاثنين شاع لحنا العدو اترانه الا بهمز القطع مع انه قد يجوز
لضرورة الشعر فاتني انت وولدك بفتحتين وبضم وسكون اي اولادك حتى ادعو لهم اي للاولاد معك قال
الطيبي وهو كذا في الترمذي وفي جامع الاصول وبعض نسخ المصابيح لكم انتهي والمعني حتى ادعو لكم
جميعا بدعوة ينفعك الله بها وولدك اي وينفعهم اولادك قال ابن عباس فغدا اي
العباس وغدونا اي نحن معاشر الاولاد معه والمعني فذهبنا جميعا اليه صلى الله عليه وسلم
والبسنا شارح في قوله اي ابن عباس فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالبسنا اي النبي صلى الله عليه

وفيه سعروجل

وسلم جميعنا او تحت الاولاد مع العباس كساه اي لباسه الخاص علي وجه الاختصاص وارادة الاخلاص ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده اي اولاده مغفرة ظاهرة وباطنة اي ما ظهر من الذنوب وما بطن من العيوب التي لم يعلمها الا علام الغيوب لا تغادر اي لا تترك تلك المغفرة ذنبا اي غير مغفور اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وزاد رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه وقال الترمذي هذا حديث غريب قال التوربشتي اشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الى انهم خاصة وانهم بمثابة النفس الواحدة التي يشملها كساء واحد وانه يسال الله تعالى ان يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم وانه يجمعهم في الاخرة تحت لوائه وفي هذه الدار تحت رايته لاعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دعوة رسوله اللهم احفظه في ولده اي اكرمه وراع امره كيلا يضيع في شان ولده وهذا معنى رواية رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه وعنه اي عن ابن عباس انه اي ابن عباس كما صرح به شارح راى جبريل مرتين روى ابن النجار عن ابن عباس قال دخلت انا وابي على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا من عنده قلت لابي اما رايت الرجل الذي كان مع النبي ما رايت رجلا احسن وجها منه فقال لي اهو كان احسن وجها ام النبي صلى الله عليه وسلم قلت هو فقال فارجع بنا فرجعنا حتى دخلنا عليه فقال له ابي يا رسول الله اين الرجل الذي كان معك زعم عبد الله انه كان احسن وجها منك قال يا عبد الله رايته قال نعم قال اما انه كان جبريل اما انه حين دخلتما قال لي يا محمد من هذا الغلام قلت ابن عمي عبد الله بن عباس قال انه لمحل الخير قلت يا روح الله ادع الله له فقال اللهم بارك عليه اللهم اجعل منه كثيرا طيبا انتهى ولا يخفى ان قوله احسن يحتاج الى توجيه حسن وتاويل مستحسن وعوانه لما راه اول نظرة استحسنه بحيث انه ظن احسن كما هو مشاهد في المرئيات المستحسنة اولا او لان جبريل كان متوجها اليه منبسطا عليه او لعدم تمييز ابن عباس ح مع المناسبة الطفولية المشابهة بالصفة الملكية التي لا زلة علاقة الضم والا فجبريل عليه السلام كان يظهر على صورة دحية ثم يقال احد من الصحابة انه كان احسن صورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له اي لابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين اي مرة باعطاء الحكمة او علم الكتاب حين ضمه الى صدره ومرة بتعليم الفقه حين خدمه بوضوء ما دخل به رواه الترمذي وعنه اي عن ابن عباس انه قال دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤتيني الله الحكمة اي العلم باصول الشريعة وفروعها مرتين اي مرة بلفظ الحكمة ومرة بعبارة الفقه والظاهر انهما في مجلسين كما تقدم والله اعلم رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال كان جعفر يحب المساكين اي محبة ظاهرة زائدة ويجلس اليهم اي ويتواضع لديهم ويحدثهم ويحدثونه اي بالمؤانسة فكان وفي نسخة صحيحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنيه لكثرة ما ذكر بابي المساكين اي ملازمهم ومداومهم كما كنى عليا بابي تراب لمباشرته ومعاشرته بقعوده ورقوده عليه وكما يقال للصوفي ابو الوقت وابن الوقت وللمسافر ابن السبيل رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام جعفرا يطير اي باجنحة روحانية او جسمانية في الجنة مع الملائكة قال التوربشتي كان جعفر قد اصيب بمؤته من ارض الشام وهو امير بيده راية الاسلام بعد زيد بن حارثة فقاتل في الله حتى قطعت يداه ورجلاه فاري نبي الله صلى الله عليه وسلم فيما كوشف به ان له جناحين ملطخين بالدم يطير بهما في الجنة مع الملائكة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة قال المظهر يعني هما افضل من مات شابا في سبيل الله من اصحاب الجنة ولم يرد به سن الشباب لانهما ماتا وقد كهلا بل ما يفعله الشباب من المروة كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته او انهما سيدا اهل

الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك لان اهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل قال الطيبي ويمكن ان يراد هما الان سيدا شباب من هم من اهل الجنة من شبان هذا الزمان رواه الترمذي وكذا احمد عن ابي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن اسامة بن زيد وعن البراء بن عازب وعن ابن مسعود ورواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر ولفظه الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وكذا رواه الطبراني عن قرة وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود ورواه احمد وابو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن ابي سعيد بلفظ الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان من مريم بنت عمران وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحسن والحسين هما ريحاني بفتح نون وتشديد ياء كما سبق وفي نسخة صحيحة هما ريحاناي وفي نسخة ريحاناي بكسر النون من الدنيا رواه الترمذي وقد سبق اي هذا الحديث في الفصل الاول قال السيد جمال الدين فيه اشارة الى الاعتراض على صاحب المصابيح قلت ويدفع بان الاول رواية البخاري وقعت في محله وهذا رواية الترمذي جاء في موضعه فلا تكرار مع ان المعنى متغاير في الجملة وعن اسامة بن زيد اي ابن حارثة قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم اي طلبته الطريق اليه ففي القاموس الطرق الاتيان بالليل كالطروق ففي الكلام تجريد او تاكيد والمعنى اتيته ذات ليلة اي ليلة من الليالي وذات مقحمة لتاكيد الابهام في بعض الحاجة اي لاجل عرض حاجة من الحاجات الحادثة في الاوقات فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل اي محتجب على شيء لا ادري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي انت مشتمل عليه فكشفه اي ازال ما عليه من الحجاب او المعنى فكشف الحجاب عنه على انه من باب الحذف والايصال فاذا الحسن والحسين على وركيه بفتح فكسر وفي القاموس بالفتح والكسر وككتف ما فوق الفخذ فقال هذان ابناي اي حكما وابنا ابنتي حقيقة اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما ولعل المقصود من اظهار هذا الدعاء حمل اسامة زيادة على محبتهما رواه الترمذي وعن سلمى بفتح اوله زوجة ابي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم قابلة ابراهيم بن نبي الله صلى الله عليه وسلم روي عنها ابنها عبيد الله بن علي قالت دخلت على ام سلمة وهي من امهات المؤمنين وهي تبكي اخرج احمد في المناقب عن الربيع بن منذر عن ابيه قال كان حسين بن علي يقول من دمعت عيناه فينا دمعة او قطرت عيناه قطرة اتاه الله عز وجل الجنة فقلت ما يبكيك بضم اوله وكسر كافيه قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني في المنام هذا من كلام سلمى ومن بعدها اي تريد ام سلمة بالرؤية في المنام وعلى راسه ولحيته التراب اي اثره من الغبار فقلت ما لك اي من الحال يا رسول الله قال شهدت اي حضرت قتل الحسين انفا بمد الهمزة ويجوز قصرها اي هذه الساعة القريبة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي سنده حسن بن اسامة بن زيد ضعيف قاله الذهبي ولم يصحح خبره قلت لكن لقربه خبر ابن عباس الاتي في الفصل الثالث وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اهل بيتك احب اليك قال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة ادعي لي ابني بسكون الياء وفتحها اي اطلبي لاجلي ابني بصيغة التثنية فيشمهما بضم الشين وقد يفتح ففي القاموس الشم حس الانف شممته بالكسر اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم قال غيره شممت الشيء من باب نصر لغة فيه والمعنى فيحضران فيشمهما لانهما ريحاناه ويضمهما اليه اي بالاعتناق والاحتضان رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الذخائر حسن غريب وعن يعلى بن مرة قال جاء الحسن والحسين يستبقان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء احدهما قبل الاخر فجعل يده في

عنقه فضمه الى بطنه صلى الله عليه وسلم ثم على الاخر فجعل يده الاخرى في رقبته ثم ضمه الى بطنه صلى الله
عليه وسلم وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال اني احبهما فاحبوهما ايها الناس الولد مبخلة مجبنة مجهلة
رواه احمد وعن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين عليهما
وفي نسخة بزيادة الواو والحالية قميصان احمران اي فيهما خطوط حمر يمشيان ويعثران بضم المثلثة
ويجوز تثليثها ففي القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم كبا والمعنى انهما يسقطان على الارض لصغرهما
وقلة وفي رواية الكشاف يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما اي
على كتفيه ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله اي في قوله انما اموالكم واولادكم اي بالخطاب
العام فتنة اي محنة فنظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر اي عنهما لتأثير
الرحمة والرقة في قلبي حتى قطعت حديثي اي كلامي في الخطبة ورفعتهما اي عندي ليحصل لهما الرفعة
عند الله وعند خلقه ثم اخذت في خطبته على ما في الكشاف رواه الترمذي وابو داود والنسائي وقال
الترمذي حسن غريب وعن يعلى بن مرة بضم فتشديد بدر تقي شهد الحديبية وخيبر والفتح
وحنينا والطايف روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسين مني وانا من حسين قال القاضي كان صلى الله عليه وسلم علم بالوحي بنور ما يستحدث
بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين انهما كالشي الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض
والمحاربة واكد ذلك بقوله احب الله من احب حسينا فان محبته محبة الرسول ومحبة الرسول
محبة الله حسين سبط بكسر السين وفتح الموحدة اي ولد البنت من الاسباط وماخذه من
السبط بالفتح وهي شجرة لها اغصان كثيرة واصلها واحد كان الوالد بمنزلة الشجرة والاولاد بمنزلة
اغصانها وقيل في تفسيره انه امة من الامم في الخير قال القاضي السبط ولد الولد اي هو من اولاد
اولادي اكد به البعضية وقررها ويقال للقبيلة قال تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا
اي قبايل ويحتمل ان يكون المراد هنا على معنى انه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق
كثير فيكون اشارة الى ان نسله يكون اكثر وابقى وكان الامر كذلك رواه الترمذي وكذا سعيد بن
منصور في سننه وقال الترمذي حسن وعن خالد بن معدان قال وفد المقدام بن معدي كرب وعمرو
ابن الاسود الى معاوية فقال معاوية للمقدام اعلمت ان الحسن بن علي توفي فرجع المقدام فقال له معاوية
اتراها مصيبة قال وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره وقال هذا مني وحسين من علي اخرجه
احمد وهو لا ينافي ما رواه احمد وابن عساكر عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا الحسن مني والحسين
من علي لانه اراد قسمة الوالدين للابوين فالكبير للجد والصغير للاب كما هو معروف في العرف ولفظ
الجامع حسين مني وانا منه احب الله من احب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط
خرجه البخاري في الادب المفرد والترمذي والنسائي والحاكم في مستدركه عن يعلى بن مرة وعن
علي رضي الله عنه قال الحسن اشبه فعل ماض اي يشابه في الصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر
الى الرأس قال الطيبي بدل من الفاعل مضمر في اشبه او من المفعول بدل البعض وكذا قوله ادنى ما كان اسفل
والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك اي كالساق والقدم فكان الاكبر اخذ الشبه
الاقدم لكونه اسبق والباقي للاصغر فتحقق وفيه اشعار بانهما باخذ الشبه كثيرا من والديهما رواه
الترمذي وكذا ابو حاتم وقال الترمذي حسن غريب وعن حذيفة قال قلت لامي دعيني
اي اتركيني وخلي سبيلي اتي باثبات الياء فهو استيناف اي انا اتي النبي صلى الله عليه وسلم فاصلي معه
المغرب ولعلها كانت منعته لبعد مجلسه خوفا عليه وعليها واسأله ان يستغفر لي ولك اي فاذنت

لي فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب فصلى اي النبي صلى الله عليه وسلم النوافل
حتى صلى العشاء ثم انفتل اي انصرف رجع فتبعته فسمع صوتي اي صوت حركة رجلي فقال من هذا
حذيفة اي وقال قبل جوابي حذيفة لما علم من نور النبوة او طريق الفراسة وهو خبر مبتدا
محذوف اي اهذا او هو وانت حذيفة قلت نعم قال ما حاجتك غفر الله لك ولامك وعند الابهام وتبيين
الحاجة السابقة ثم استانف وقال ان هذا اي المحسوس عنده صلى الله عليه وسلم الملحوظ حكم
عند حذيفة ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة فيه ايماء الى تعظيم الامر الذي نزل فيه استاذن
ربه ان يسلم علي ويبشرني بان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب
اهل الجنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الجامع اخرجه احمد والترمذي وقال حسن
غريب وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن علي وفي رواية حامل
للحسين على عاتقه بكسر التاء اي ما بين منكبه وعنقه فقال رجل نعم المركب اي هو ركبت اي ركبته
يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو رواه الترمذي اي وقال غريب وعن عمر رضي الله
عنه انه فرض اي قدر اي اماراته وظيفة لاسامة في ثلاثة الاف وخمسماية اي من اموال بيت المال
رزق له وفرض اي عمر لعبد الله بن عمر اي ولده بل اعز اولاده في ثلاثة الاف اي بنقص خمسماية من وظيفة
اسامة فقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة علي اي في الوظيفة المشعرة بزيادة الفضيلة فوالله
ما سبقني الى مشهد اي محضر من الخير علما وعملا وقال الطيبي اراد بالمشهد مشهدا لقتال ومعركة
الكفار قال لان زيدا اي ابا اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك فيه دلالة على ما قدمناه
من انه لا يلزم من كون احد احب ان يكون افضل وكان اسامة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك
وسببه انهم من اهل البيت فان موالي القوم منهم فاثرت بهم محبوب اي اخترت حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكسر الحاء وفتحها اي محبوبه على حبي اي مع قطع النظر عن ملاحظة الفضيلة بل رعاية
لجانب المحبة وايثارا للمروة ومخالفة لما تشتهيه النفس من هوى الزيادة الظاهرة رواه الترمذي
وعن جبلة بفتح الجيم والموحدة بن حارثة قال المؤلف في فصل الصحابة هو اكبر من اخيه زيد بن حارثة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه اسحاق السبيعي وغيره قال قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث معي اخي زيدا بيان له او بدل قال هو ذا هو عائد الى
زيد وذا اشارة اليه اي هو حاضر مخير فان انطلق معك لم امنعه قال قال زيد يا رسول
الله والله لا اختار عليك اي على ملازمتك احدا اي لا اخا ولا ابا ولا اما ابدا قال اي جبلة فرايت
اي فعلمت بعد ذلك راي اخي اي زيد افضل من رايي حيث اختار الملازمة للحضرة المتفرع عليه خير الدنيا
والاخرة رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قال لما ثقل بضم القاف اي ضعف من مرضه الذي مات فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم هبطت اي نزلت من مسكني التي كانت في عوالي المدينة وهبط الناس اي الصحابة
جميعهم من منازلهم المدينة اي اليها على طريق الحذف والايصال نحو قوله تعالى واختار موسى قومه
اي منهم قال الشراح انما قال هبطت لانه كان يسكن العوالي والمدينة منها اي جهة توجهت اليها يصح فيها
الهبوط لانها واقعة في غايط من الارض ينحدر اليها السيل واطرافها ونواحيها من الجوانب كلها
مستعلية عليها فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصمت على بناء المفعول لقال اصمت العليل
اذا اعتقل لسانه فلم يتكلم اي اصلا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده علي اي على بدني ويرفعها
اي عني فاعرف اي بنور الولاية وظهور الفراسة انه يدعو لي اي لمحبته ورعاية خدمته حتى حين
غيبة حضرته رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة قالت اراد النبي صلى الله عليه وسلم

ان يحي تتشد بد الحا المكسورة اي يزيل مخاط اسامة بضم الميم وهو ما يسيل من الانف قالت
عائشة دعني اي اترك لي حتى انا الذي افعل اي خدمة قال يا عائشة احبيه فاني احبه رواه الترمذي
وعن اسامة قال كنت جالسا اي عند بابه عليه السلام اذ جاء علي والعباس يستاذنان اي يريدان
طلب الاذن في دخولهما فقالا لاسامة استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله كان صغيرا
اذ ذاك فقلت يا رسول الله علي والعباس يستاذنان اي على الباب فقال اتدري ما جاء بهما اي ما سبب
مجيئهما قلت لا قال لكني ادري ايذن لهما بهمزة ساكنة وصلا وبابدالها ياء فدخلا اي بعد اذنهما فقالا يا رسول
الله جئناك نسالك اي اهلك احب اليك قال فاطمة بنت محمد قال ما جئناك نسالك عن اهلك اي عن
ازواجك واولادك بل نسالك عن اقاربك ومتعلقيك قال احب اهلي اي من الرجال من قد انعم الله
عليه اي بالاسلام والصحابة والاكرام وانعمت عليه اي انت بالعتق والتبني والتربية وهذا وان ورد
في حق زيد لكن ابنه تابع له في حصول الانعامين قالا ثم من قال ثم علي بن ابي طالب وفي نسخة بن وثم
هذا نص جلي على انه لا يلزم من الاحبية الافضلية فان عليا افضل من اسامة وزيد بالاجماع قال
الطيبي اي اهلك احب اليك مطلق ويراد به المقيد اي من الرجال بينه ما بعده وهو قوله احب اهلي
الي من قد انعم الله عليه وفي نسخ المصابيح قوله ما جئناك نسالك عن اهلك مقيد بقوله من النسا
وليس في جامع الترمذي وجامع الاصول هذه الزيادة ولم يكن احد من الصحابة الا وقد انعم الله
عليه ورسوله الا ان المراد المنصوص عليه في الكتاب وهو قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه وهو زيد لا خلاف في ذلك ولا شك وهو وان نزل في حق زيد لكنه لا يبعد ان يجعل اسامة تابعا
لابيه في هاتين النعمتين وحمل ما جاء من الله تعالى في التنزيل من الانعام على بني اسرائيل نعمتي التي انعمت
عليكم نعم اسداها الى ابائهم فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك اخرهم اي اخر اهلك قال ان عليا
سبقك بالهجرة اي وكذا بالاسلام فهذا اوجب تقديم الاحبية المترتبة على الافضلية لا على الاقربية
ونظيره انه جا العباس وابو سفيان وبلال وسلمان الى باب عمر يستاذنونه فقال خادم عمر بعد اعلامه
بالجماعة يدخل بلال فقال ابو سفيان للعباس اما ترى انه يقدم علينا موالينا فقال العباس
نحن تاخرنا فهو اخرنا رواه الترمذي وروى الديلمي في الفردوس عن عائشة مرفوعا خير
اخوتي علي وخير اعمامي حمزة وذكر ان عم الرجل صنو ابيه في كتاب الزكوة اي حيث قاله صلى الله عليه
وسلم في قصة زكوة العباس **الفصل الثالث** عن عقبة بن الحارث قرشي اسلم يوم الفتح عداده
في اهل مكة روى عنه عبد الله بن ابي مليكة وغيره قال صلى ابو بكر العصر اي في زمن خلافته او قبلها
ثم خرج يمشي ومعه علي فراى اي ابو بكر الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال بابي قال
الطيبي يحتمل ان يكون التقدير هو مفدي بابي فقوله شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون خبرا بعد
خبر او فديته بابي فعلى هذا شبيه خبر مبتدا محذوف وفي تنكيره لطف وفيه اشعار بعلية الشبه
للتفدية انتهى ولا يعارضه هذا قوله علي لم ار قبله ولا بعده مثله لان النفي محمول على عدم الشبه
والمثبت على معظمه كما اشار اليه الطيبي بقوله وفي تنكيره لطف اي لما لطيف اي ان المراد به نوع مشبه
وقوله ليس اي الحسن شبيها بعلي وعلي يضحك اي فرحا والجملة حال رواه البخاري قال ميرك كذا
وقع في المشكاة قوله شبيها بالنصب على انه خبر ليس وهو ظاهر لكن في البخاري في جميع الروايات
ليس شبيه بالرفع واعرابه لا يخلو من خلفا فقيل ليس حرف عطف وهو مذهب الكوفي وقيل يجوز ان
يكون شبيه اسم ليس ويكون خبرها ضميرا متصلا حذف استغنا عنه بلفظ شبيه ونحوه قوله
في خطبته يوم النحر اليس ذو الحجة انتهى ولا يخفى ظهور الوجه الاول لخلوه عن التكلف وقيل لا يخفى

وبه عوجل

ما في التوجيهين من التعسف وان ظهر ان يقال ان اسم ليس ضمير الشان وشبيه خبر مبتدا محذوف
اي هو شبيه والجملة خبر ليس قلت وفيه ان هذا التوجيه يشتمل على التعسفين بخلاف ما سبق فانه
متضمن لتعسف واحد من اوفق الحديث على ما في الذخاير عن عقبة بن الحارث قال رايت ابا بكر حمل الحسن
على رقبته وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وهو يضحك اخرجه
البخاري وفي رواية خرجت مع ابي بكر من صلوة العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي يمشي
الى جانبه فمر الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته يعني ابا بكر وهو يقول الحديث وفي الحديث
رد على الغرابية وهم على ما في حواشي الشفا طايفة من الرفضة لقبوا بذلك لقولهم كان محمد اشبه بعلي من الغراب
بالغراب فبعث الله جبريل الى علي فغلط وعن انس قال اتي اي جي عبيد الله بن زياد براس
الحسين قال المولف هو عبيد الله بن عبد الله بن زياد وهو الذي سير الجيش لقتل الحسين وهو
يومئذ امير الكوفة ليزيد بن معاوية قتل بارض الموصل على يد ابراهيم بن مالك بن الاشتر النخعي في
ايام المختار بن ابي عبيد سنة ست وستين فجعل بصيغة المفعول اي وضع راس الحسين
في طست بفتح طا وسكون سين مهملة وسبق تحقيقه فجعل اي ابن زياد ينكت بفتح اليا وضم
الكاف والفوقية اي يضرب براس القضيب في انفه كما سيأتي وفي النهاية قوله ينكت اي يفكر
ويحدث بنفسه واصله من النكت بالحصا وهو ضرب الارض به ونكت الارض بالقضيب وهو
ان يوثر فيها بطرفه كفعل المفكر المهموم وقال اي ابن زياد في حسنه اي في حسن الحسين
شيا اي من المدح كما سيجي قال انس فقلت والله انه كان اشبههم اي اشبه الصحابة او اهل
البيت برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اي الحسين حينئذ مخضوبا بالوسمة بكسر السين
وقد يسكن فقال بعض الشراح الوسمة نبت يخضب به ويميل الى السواد وتسكين السين
لغة فيه وفي المصباح لغة الحجاز بكسر السين وهي افصح من السكون بل انكر الازهري السكون وقال
كلام العرب بالكسر نبت يخضب بورقه انتهى وهو بفتح الواو واخطا من ضمها وقيل يجوز فتح سينها
وفي القاموس الوسمة وكفرحة ورق النيل او نبات يخضب بورقه وفي النهاية الوسمة نبت يخضب
به رواه البخاري وفي رواية الترمذي قال اي انس كنت عند ابن زياد فجي براس الحسين
اي اليه فجعل اي شرع يضرب بقضيب في انفه ويقول ما رايت مثل هذا حسنا [illegible]
قيل هذا لا يلايم السياق الا ان يحمل على الاستهزا انتهى فتحسينه يحمل استهزاوه على المكابرة
وزيادة المعاندة فقلت اما بالتخفيف للتنبيه انه اي الحسين كان من اشبههم برسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال اي الترمذي هذا حديث صحيح حسن غريب وللطبراني فجعل يجعل
قضيبا في يده في عينه وانفه فقلت ارفع قضيبك فقد رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في موضعه وفي رواية البزار قال فقلت له اني رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلثم حيث يقع قضيبك قال فانقبض كذا في فتح الباري وفي الذخاير عن عمارة
ابن عمير قال لما جي براس بن زياد واصحابه نضدت في المسجد في الرحبة فانتهيت اليهم
وهم يقولون قد جاءت فاذا حية قد جاءت تتخلل الروس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن
زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيب ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك مرتين
او ثلاثا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ام الفضل بنت الحارث اسمها لبابة العامرية
امراة العباس بن عبد المطلب وام اكثر بنيه واخت ميمونة ام المومنين ويقال انها اول امراة اسلمت
بعد خديجة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة فعنها انها دخلت على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني رايت حلما بضم فسكون وبضمتان ففي النهاية الحلم
بضمتين وبضم فسكون ما يراه النايم منكرا بفتح الكاف المخففة اي مهولا الليلة اي البارحة
قال وما هو قالت انه شديد اي صعب سماعه قال وما هو قالت رايت كان قطعة من جسدك
قطعت بصيغة المجهول وكذا قوله فوضعت في حجري بالكسر وبفتح ويقدم ان الحجر بالكسر اشهر
في الحضن وبالفتح في التربية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت خيرا تلد فاطمة ان
شا الله غلاما يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره وفي نسخة في حجري ثم
كانت مني التفاتة اي وقعت مني ملاحظة فنظرت الى جانبه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم تهريقان الدموع بفتح الها وتسكن اي تسيلان ما الغين للبكا قالت فقلت يا نبي الله
بابي انت وامي مالك اي من الحال الذي يبكيك قال اتاني جبريل وفي نسخة عليه السلام فاخبرني
ان امتي اي امة الاجابة ستقتل ابني هذا اي ظاهرا فقلت اي لجبريل هذا اي ابني هذا الزيادة
التاكيد قال نعم واتاني بتربة من تربته اي من ترابه الذي يقتل به حمرا بالفتح صفة لتربة وفي
الدخاير عن سلمى قالت دخلت على ام سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنام وعلى راسه ولحيته التراب فقلت ما لك يا رسول الله
قال شهدت قتل الحسين انفا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والبغوي في الحسان وعن
ابن عباس انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النايم اي بعد موته عليه السلام
ذات يوم بنصف النهار وفي الدخاير زيادة وهو قايم اشعث اغبر اي حال كونه متفرق
الشعر مغبر البدن بيده قارورة فيها دم فقلت بابي انت وامي ما هذا اي الدم قال هذا دم
الحسين واصحابه لم ازل وفي نسخة ولم ازل التقطه منذ اليوم قال الطيبي هذا من كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون خبرا بعد خبر لقوله هو ويجوز ان يكون خبرا ودم الحسين بدل
من هذا وقوله فاحصي ذلك الوقت من كلام ابن عباس انتهى اي احفظ تاريخ ذلك الوقت من
زمن الرويا فاجد قتل ذلك الوقت اي فوجدته قتل في ذلك الوقت والعدول عن الماضي الى
المضارع لاستحضار الحال الغريبة ولا يخفى ان هذا انما يتم اذا كان وقت القتل محفوظا في نفس
الرويا بان قال صلى الله عليه وسلم هذا دم الحسين واصحابه يقتلون في وقت كذا لكن يشكل بقوله
لم ازل التقطه منذ اليوم اللهم الا ان يقال تصوير ان الرايي راى في نومه كانه مضى عليه بعض
سنين ثم قال في اخر سنة منها يوم عاشورا سنة كذا رواه صلى الله عليه وسلم بالوصف المذكور
طالقول المسطور فحفظ تاريخ الوقت فوجده مطابقا والمنقت موافقا والله اعلم ثم رايت الحديث
في الدخاير من غير قوله فاحصي ذلك الوقت فاجد الى اخره بل لفظه بعد قوله لم ازل التقطه منذ
اليوم فوجد قد قتل في ذلك اليوم اخرجه ابن بنت منيع وابو عمر والحافظ السلفي والله اعلم رواهما
اي حديثي ام الفضل وابن عباس البيهقي في دلايل النبوة واحمد الاخير اي روى احمد الحديث
الاخير وهو حديث ابن عباس فقط وعن علي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان
قلت يا نبي الله اغضبك احد ما شان عينيك يفيضان قال قام من عندي جبريل قبل حديثي
وحدثني ان الحسين يقتل بشط الفرات قال فهل لك الى ان اشمك من تربته قلت نعم فمد يده
فقبض قبضة من تراب فاعطانيها فلم املك عيني اذ فاضتا اخرجه احمد وعنه اي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم اي به كما في وهو بفتح اليا وضم

تقادم
ومع سعو جل

الذال المعجمة اي يرزقكم من نعمته اي من اي نعمة لقوله تعالى فما بكم من نعمة فمن الله وفي نسخة صحيحة
من نعمة بكسر النون وفتح العين فهم مضاف اليها الضمير والمعنى ان كنتم لا تحبون الله الا لما يغذوكم
به من نعمة فاحبوه والا فلا فهو سبحانه محبوب لذاته وصفاته عند العارفين من المحبين سوا
نعم ام لا فهو على منواله قوله سبحانه فليعبدوا رب هذا البيت فاحبوني اي اذا ثبت محبة الله
فاحبوني لحب الله لان محبوب المحبوب محبوب ولقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وفي نسخة واحبوني بالواو عطفا على ما قبله واحبوا اهل بيتي لحبي اي اياهم او لحبكم اياي رواه
الترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وقال الترمذي حسن غريب وعن ابي ذر قال المولف هو جندب
ابن جنادة الغفاري وهو من اعلام الصحابة وزهادهم اسلم قديما بمكة ويقال كان خامسا في الاسلام
ثم انصرف الى قومه فاقام عندهم الى ان قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الخندق ثم سكن
ربذة الى ان مات بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين انه قال اي ابو ذر وهو اخذ اي متعلق بباب الكعبة
قال الطيبي اراد الراوي بهذا مزيد توكيد لاثبات هذا الحديث وكذا ابو ذر اهتم بشان روايته فاورده
في هذا المقام على رووس الانام ليتمسكوا به سمعت النبي وفي نسخة صحيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا ان مثل اهل بيتي بفتح الميم والمثلثة اي شبههم فيكم مثل سفينة نوح اي في سببية الخلاص
من الهلاك الى النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدارين
والا فهلك فيهما ولو كان بفوق المال والجاه او احدهما رواه احمد وكذا الحاكم لكن بدون لفظ الا قال الطيبي
وفي رواية اخرى لابي ذر يقول من عرفني فانا من قد عرفني ومن انكرني فانا ابو ذر سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم الا ان مثل اهل بيتي الحديث اراد بقوله فانا من عرفني وبقوله فانا ابو ذر انا المشهور بصدق
اللهجة وثقة الرواية وان هذا الحديث صحيح لا مجال للرد فيه وهذا تلميح الى ما روينا عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اظلت الخضرا ولا اقلت الغبرا اصدق من ابي
ذر وفي رواية لابي ذر من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبه عيسى بن مريم فقال عمر بن
الخطاب كالحاسد يا رسول الله افتعرف ذلك له قال اعرفوا ذلك فاقول اخرجه الترمذي وحسنه
الصغاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والجهالات والاهوا الزايغة
ببحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد احاط باكنافه
واطرافه الارض كلها وليس منه خلاص ولا مناص الا تلك السفينة وهي محبة اهل بيت الرسول
صلى الله عليه وسلم وما احسن انضمامه مع قوله مثل اصحابي مثل النجوم من اقتدى بشي منها اهتدى
ونعم ما قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره نحن معاشر اهل السنة بحمد الله ركبنا سفينة
محبة اهل البيت واهتدينا بنجم هدى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنرجوا النجاة من اهوال القيامة
ودركات الجحيم والهداية الى ما يوجب درجات الجنان والنعيم المقيم انتهى وتوضيحه ان من لم
يدخل السفينة كالخوارج هلك مع الهالكين في اول وهلة ومن دخلها ولم يهتد بنجوم كالروافض
ضل ووقع في ظلمات ليس بخارج منها هذا رواه احمد عن انس مرفوعا ان مثل العلما في الارض كمثل
النجوم في السما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة ويوبده
ما اخرجه احمد في المناقب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم امان لاهل السما واهل بيتي امان
لاهل الارض فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض

باب مناقب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة ورضي عنهن

الفصل الاول

عن علي رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها اي نساء زمانها او عالمها مريم بنت عمران وخير نسائها
خديجة بنت خويلد قال القرطبي الضمير عائد الى غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني
به الدنيا والذي يظهر لي ان قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم فكانه قال مريم خير نساء
زمانها متفق عليه وكذا رواه الترمذي والنسائي ورواه الحارث عن عروة مرسلا خديجة
خير نساء عالمها ومريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها وفي رواية قال ابو كريب بالتصغير
واشار وكيع الى السماء والارض قال التوربشتي والضمير في الاولى عائد الى الامة التي كانت فيهم مريم
وفي الثانية الى هذه الامة ولهذا كرر القول من اولها تنبيها على ان حكم كل واحدة منهما غير حكم الاخرى
وكلا الفصلين كلام مستانف واشارة وكيع الذي هو من جملة رواة هذا الحديث الى السماء والارض منبئة
عن كونهما خيرا من هو فوق الارض وتحت اديم السماء وهو نوع من الزيادة في البيان ولا يستقيم ان
يكون تفسيرا لقوله خير نسائها لان اعادة الضمير الى السماء غير مستقيمة فيه ثم انهما شيئان مختلفان
والضمير راجع الى شي واحد قال القاضي انما وحد الضمير لانه اراد جملة طبقات السما واقطار الارض او
ان مريم خير من صعد بروحهن الى السما وخديجة خير نسائهن على وجه الارض والحديث
ورد في ايام حياتها وقال الطيبي يجوز ان يرجع الضمير الى السما والارض وان اختلفنا باعتبار الدنيا
مجازا كما عبر بهما عن العالم في قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما الكشاف اي
لا يخفى عليه شي في العالم فعبر عنه بالسما والارض ونحوه قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات
وما في الارض وقوله الحمد في الاخرة على معنى له الحمد في الدنيا والاخرة فعبر بهما عن الدنيا ويؤيد هذا
التاويل ما سبق في الفصل الثاني حديث حسبك من نسا العالمين مريم الحديث وتفسير
وكيع انما يستقيم اذا بين ما ابهم في الحديث والمبهم فيه كل واحد انتهى قال النووي الاظهر في معناه
ان كل واحدة منها خير من نسا الارض في عصرها واما الفضل بينهن فمسكوت عنه ذكره الجزري
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم اي وهو صلى الله عليه وسلم
بحرا فقال يا رسول الله هذه اشارة الى ما في ذهن جبريل خديجة قد اتت اي توجهت من مكة
معها اناء فيه ادام اي مع خبز وطعام اي مشتمل عليها فاذا اتتك اي تحقق ما اتاها عندك فاقرا
عليها بفتح الرا اي ابلغها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب بفتحتين
اي لولو مجوف واسع كالقصر المنيف وقال ابن حجر اي من قصب اللولو ولم يقل من لولو اذ في
لفظ القصب مناسبة لانها احرزت قصب السبق لمبادرتها الى الايمان دون غيرها قلت
ويويده حديث خديجة سابقة نسا العالمين الى الايمان باسناد جيد رواه الحاكم في مستدركه
عن حذيفة لا صخب بفتح الصاد والخا المعجمة ولا لغو الحبشي اي لا صياح او لا اختلاط صوت
فيه اي في القصب المعبر به عن القصر وفي نسخة فيها فالضمير راجع الى الجنة ويويده قوله ولا
نصب بفتحتين قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال قال شارح اي
لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ الجنة ولا تعب ينغصها وقال القاضي نفى عن القصب
الصخب والنصب لانه ما من بيت في الدنيا يسكنه قوم الا كان بين اهله صخب وجلبة والا كان في
بنايه واصلاحه نصب وتعب فاخبر الله تعالى ان قصور اهل الجنة خالية عن هذه الافات قال الطيبي
ويويد الوجه الثاني ان بنا بيت الجنة حاصل بقوله كن ليس كما ينبته الدنيا انما يستتب بناوها
بصخب ونصب وكذا السكون فيها لا تخلو عنهما وليس حكم بيت الجنة كذلك متفق عليه ورواه النسائي
وعن عائشة قالت ما غرت على احد من نسا النبي صلى الله عليه وسلم بكسر الغين المعجمة من غار يغار كخاف يخاف

وقد عز وجل

ما غرت على

ما غرت على خديجة ما الاولى نافية والثانية موصولة او مصدرية اي ما غرت مثل التي غرتها او
مثل غيرتي عليها والغيرة الحمية والانف وما رايتها الجملة حالية وهي تقتضي عدم الغيرة لعدم الباعث
عليها غالبا ولذا قالت ولكن كان يكثر ذكرها اي في مقام المدح وربما بالتشديد وتخفف ذبح الشاة
اي شاة من الشياه ثم يقطعها بتشديد الطاء اي يكثر قطعها اعضاء اي عضوا بان يجعل كل عضو قطعة
ثم يبعثها اي اعضاء الشاة في صدايق خديجة اي اصدقائها جمع صديقة وهي المحبوبة فربما قلت له
كانه اي الشان لم تكن في الدنيا امراة الا خديجة بالرفع وفي نسخة صحيحة بالنصب فيقول انها
كانت وكانت اي كانت صوامة وقوامة ومحسنة ومشفقة الى غير ذلك قال الطيبي كرر كانت ولم
يرد به التشبيه ولكن التكرير ليتعلق به كل مرة من خصالها ما يدل على فضلها كقوله تعالى اما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا ولم يذكر هنا متعلقة للشهرة
تفخيما وكان لي اي مع هذا منها ولد بضم فسكون وفي نسخة صحيحة بفتحتين والمراد بها جمع
ولد ومنهم فاطمة قال المولف خديجة بنت خويلد بن اسد القرشية كانت تحت ابي هالة بن زرارة
ثم تزوجها عتيق بن عابد ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة ولم ينكح صلى
الله عليه وسلم قبلها امراة ولا نكح عليها حتى ماتت وهي اول من امن من كافة الناس ذكرهم وانثاهم
وجميع اولاده منها غير ابراهيم فانه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل باربع
سنين وقيل بثلاث وكان قد مضى من النبوة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة
وكان مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ودفنت بالحجون متفق عليه ورواه
الترمذي وعن ابي سلمة قال المولف هو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
القرشي احد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم
ان عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائش بضم الشين وفي نسخة بفتحها على
الترخيم هذا جبريل يقريك السلام من الاقرا ففي القاموس قراه عليه السلام كما اقراه او لا يقال اقراه الا اذا
كان السلام مكتوبا قالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت اي عائشة وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم
يرى ما لا ارى وابعد شارح حيث قال اي يرى جبريل ما لا اراه انتهى واستنبط من هذا الحديث
فضل خديجة على عائشة لانه ورد في حقها ان جبريل يقريك السلام من ربك وههنا من جبريل
نفسه متفق عليه وعن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اريتك بصيغة
المجهول المتكلم من الاراءة اي اعلمتك في المنام ثلاث ليال يجي بك اي جاءني بصورتك الملك في سرقة
بفتحتين من حرير اي في قطعة من جيد الحرير قيل وهو معرب سره فقال اي الملك لي هذه اي هذه
الصورة امراتك اي صورتها فكشفت عن وجهك الثوب فاذا انت هي اي تلك الصورة قال
الطيبي يحتمل وجهين احدهما كشفت عن وجه صورتك فاذا انت الان تلك الصورة وثانيهما
كشفت عن وجهك عند ما شاهدتك فاذا انت مثل الصورة التي رايتها في المنام وهو تشبيه
بليغ حيث حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحمله عليه كقوله تعالى هو الذي رزقنا من قبل
ومنه مسالة الكتاب كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هي اي فاذا الزنبور مثل
العقرب فحذف الاداة مبالغة تحصل التشابه واليه يلمح الاية والتشابه متشابها وعلى المفاجاة في اذا يساعد
هذا الوجه انتهى والجمع بينه وبين قولها ان جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تزوجني بان المراد ان صورتها كانت في الخرقة والخرقة في راحته ويحتمل ان يكون نزل بالكيفيتين لقوله
في نفس الخبر مرتين اي نزل جبريل بصورتها في راحته وملك اخر في سرقة فقلت اي في جوابه الملك

مطلب

ان يكون هذا اي ما رايته في المنام من عند الله يمضه بضم اليا من الامضا اي ينفذه لديه ويوصله اليه
ويظهره عليا وفي نسخة بها السكت قال الطيبي هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الامر المدل بصحته
تقديرا الوقوع الجا محققه ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك اي
السلطنة مقتضية للانتقام وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ان كانت هذه الرويا قبل النبوة وقبل
تخليص احلامه صلى الله عليه وسلم من الاضغاث فمعناها ان كانت رويا حق وان كانت بعد النبوة
فلها ثلاث معان احدها المراد ان يكون الرويا على وجهها وظاهرها لا يحتاج الى تعبير وتفسير فيمضه
الله وينجزه فالشك عايد الى انها رويا على ظاهرها ام تحتاج الى تعبير وصرف عن ظاهرها وثانيها ان المراد
ان كانت هذه الزوجية في الدنيا يمضها الله تعالى فالشك انها زوجية في الدنيا ام في الجنة وثالثها
انه لم يشك ولكن اخبر على التحقيق واتى بصورة الشك وهو نوع من البديع عند اهل البلاغة
يسمونه تجاهل العارف وسماه بعضهم مزج الشك باليقين قال الطيبي وهذا هو الذي حققناه
فيما سبق ويكون من توارد الخاطر قال المولف خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها بمكة في شوال
سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك واعرس بها بالمدينة في شوال سنة
ثنتين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل دخل بها بالمدينة بعد سبعة
اشهر من مقدمه وبقيت معه تسع سنين ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها
وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام
العرب واشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين
وقيل سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثا لسبع عشرة خلت من رمضان وامرت ان تدفن ليلا فدفنت بالبقيع
وصلى عليها ابو هريرة وكان يوميذ خليفة مروان على المدينة في ايام معاوية متفق عليه وعنها اي عن عايشة
قالت ان الناس كانوا يتحرون بتشديد الرا المفتوحة من التحري وهو طلب الحري بمعنى اللايق او قصد
الاحرى بمعنى اللاحق والاولى قال الطيبي هو الرواية وفي بعض نسخ المصابيح يتحينون وما وجدناها
في الاصول وفي النهاية التحري القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشي بالفعل والقول
ومنه الحديث تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر اي تعمدوا طلبها فيها انتهى والمعنى يطلبون زيادة
الثواب بهداياهم يوم عايشة اي في اليوم الذي هو نوبة عايشة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها
يبتغون بذلك اي بارسال هداياهم اليه في يومها مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي زيادة مرضاته
لزيادة محبته لها وقالت ان نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزبين اي طايفتين اتفقت مزاج كل طايفة
دلالها في عشرتها وصحبتها فحزب اي جمع منهن فيه عايشة وسبق ذكرها وحفصة وهي بنت
عمر بن الخطاب وامها زينب بنت مظعون كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة
السهمي هاجرت معه مات عنها بعد غزوة بدر فلما تاتت ذكرها عمر على ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد
منهما فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحه اياها في سنة ثلاث وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها
حيث نزل عليه الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة
من الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس واربعين وهي ابنة ستين وصفية وهي
بنت حيي بن اخطب من بني اسرائيل سبط هارون بن عمران عليه السلام وكانت تحت كنانة بن ابي الحقيق
قتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وقعت
في سهم دحية بن الكلبي فاشتراها منه بسبعة ارؤس فاسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وماتت
سنة خمسين ودفنت بالبقيع روى عنها انس وابن عمر وغيرهما وسودة اي بنت زمعة اسلمت

قديما

قديما وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو فلما مات زوجها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها
بمكة وذلك بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عايشة وهاجرت الى المدينة فلما كبرت اراد طلاقها فسالته
ان لا يفعل وجعلت يومها لعايشة فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين والحزب
الاخر اي من امهات المومنين ام سلمة وهي بنت ابي امية اسمها هند وكانت قبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت ابي سلمة فلما مات ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث تزوجها النبي صلى الله عليه
وسلم في ليال بقين في شوال من السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت
بالبقيع وكان عمرها اربعا وثمانين سنة روى عنها ابن عباس وعايشة وزينب ابنتها وابن
المسيب وخلق سواهم وخلق سواهم كثير من الصحابة والتابعين وساير نسا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي وباقيهن وهن زينب وام حبيبة وجويرية بالتصغير وميمونة اما زينب فهي بنت
جحش وامها امية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي
صلى الله عليه وسلم فطلقها ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وهي اول من مات من ازواجه
بعده وكان اسمها برة فجعله النبي صلى الله عليه وسلم زينب قالت عايشة في شانها لم تكن امراة خيرا
منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها
في العمل الذي يتصدق به ويتقرب الى الله تعالى ماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين
ولها ثلاث وخمسون سنة روى عنها عايشة وام حبيبة وغيرهما واما ام حبيبة فاسمها رملة
بنت ابي سفيان بن صخر بن حرب وامها صفية بنت ابي العاص عمة عثمان بن عفان فقد اختلف في
نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد فقيل انها عقد بارض الحبشة سنة ست
زوجه منها النجاشي وامهرها اربعمائة دينار وقيل اربعة الاف درهم من عنده وبعث النبي صلى الله عليه
وسلم شرحبيل بن حسنة فجا بها اليه ودخل بها بالمدينة وقيل انه عقد عليها بالمدينة وزوجه
منها عثمان بن عفان وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين روى عنها جماعة كثيرة واما جويرية فهي
بنت الحارث بن ضرار سباها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة
خمس فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كتابتها ثم اعتقها وتزوجها
وكان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وماتت في ربيع الاول سنة ست وخمسين
ولها خمس وستون سنة روى عنها ابن عباس وابن عمر وجابر واما ميمونة فهي بنت الحارث الهلالية
العامرية ويقال ان اسمها كان برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وكانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي
في الجاهلية ففارقها فتزوجها ابو درهم وتوفي عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع
في عمرة القضا بسرف على عشرة اميال من مكة وقدر الله تعالى انها ماتت في المكان الذي تزوجها فيه بسرف سنة احدى
وستين وقيل احدى وخمسين وقيل غير ذلك وصلى عليها ابن عباس وهي اخت ام الفضل امراة العباس واخت
اسما بنت عميس وهي اخر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة منهم عبد الله بن عباس كذا
في الاسما للمولف فكلم حزب ام سلمة اي اياها والمعنى فكلمنها فقلن لها كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكلم الناس بالرفع على ما في نسخة السيد على انه استيناف تعليل وقال ابن حجر بالجزم والميم مكسورة
لالتقا الساكنين ويجوز الرفع قلت الصواب الرفع لقوله فيقول والمعنى ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس فيقول لهم من اراد ان يهدي بضم اليا وكسر الدال اي يرسل هدية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليهده وضع السيد في نسخة علامة الشك فوق الضمير وفيه انه يستوي وجوده وعدمه في المعنى المراد
نعم قد يحذف ضمير المفعول لكن النسخ اجتمعت على وجوده وهو اوضح من تقديره فلا وجه للشك ونظيره

والمعنى فلم ترسل مهداة اي هديته اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان اي من جملة الامهات ومراده
انه لا يقع التحري في ذكرى لا لهن ولا لغيرهن بل تحسب ما يتفق الامر فيهن ليرتفع التمييز الباعث للغيرة
عنهن فقال اي فكلمته ام سلمة فقال لها لا توذيني في عايشة فانه يفيد من ان ما اذيها يوذيه فان
الوحي يا تيني وانا في ثوب امراة اي لحاف زوجة الا عايشة قال الطيبي الا بمعنى غير عايشة
انتهى والمعنى الا في ثوب عايشة ففي كتاب الخميس قال عايشة نزلت انك لا تهدي من احببت وانا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحاف قالت اي ام سلمة اتوب الى الله من ذلك اي مما يجر الى ذلك
يا رسول الله ثم انهن اي حزب ام سلمة دعون فاطمة اي طلبنها فارسلن اي فبعثنها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي لتتكلم في هذه القضية فكلمته ولعلها ما اطلعت على قصة ام سلمة السابقة
فقال يا بنية تصغير للشفقة والمرحمة الا تحبين ما احب قالت بلى قال فاحبي هذه اي عايشة
بعيني ولا تذكري ما يكون سببا لكراهية خاطرها متفق عليه ورواه النسايي وذكر حديث انس
فضل عايشة على النسا تمامه كفضل الثريد على ساير الاطعمة في باب بدء الخلق برواية ابي موسى
وتقدم الخلاف في ان المراد بالنسا جنسهن وازواجه صلى الله عليه وسلم عموما او بعد خديجة والاظهر
انها افضل من جميع النسا كما هو ظاهر الاطلاق من حيث الجامعية للكمالات العلمية والعملية المعبر
عنها في التشبيه بالثريد فانما يضرب المثل بالثريد لانه افضل طعام العرب وانه مركب من
الخبز واللحم والمرقة ولا نظير لها في الاغذية ثم انه جامع بين الغذا واللذة والقوة وسهولة
التناول وقلة المونة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم والمري فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بها المثل به ليعلم انها اعطيت مع حسن الخلق حسن الخلق وحسن الحديث وحلاوة المنطق
وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الراي ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهي
تصلح للتقبد والتحدث والاستيناس بها والاصغا اليها والى غير ذلك من المعاني التي اجتمعت
فيها وحسبك من تلك المعاني انها عقلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من
النساء وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال والله اعلم بالحال **الفصل الثاني** عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسبك اي بالخطاب العام والمعنى يكفيك من نسا العالمين اي الموصلة
الى مراتب الكاملين في الاقتدا وذكر محاسنهن ومناقبهن وزهدهن في الدنيا واقبالهن على العقبى
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون والظاهر ان مراتبهن
على وفق ذكرهن ولعل هذا الحديث قبل حصول كمال عايشة ووصولها الى وصال الحضرة ثم رايت في
الجامع روى احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن ابي موسى مرفوعا كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النسا الا اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عايشة على النسا كفضل
الثريد على ساير الاطعمة قال الطيبي حسبك مبتدا ومن نسا متعلق به ومريم خبره والخطاب اما
عام او لانس اي كافيك معرفتك فضلهن من معرفة ساير النسا انتهى قال السيوطي في النقاية
فاعتقد ان افضل النسا مريم وفاطمة وافضل امهات المومنين خديجة وعايشة وفي التفضيل
بينهما اقوال ثالثها التوقف اقول التوقف في حق الكل اولى اذ ليس في المسالة دليل قطعي والظنيات
متعارضة غير مفيدة للعقايد المنبية على اليقينيات رواه الترمذي وكذا احمد وابن حبان
والحاكم في مستدركه عن انس ورواه احمد والطبراني عنه ايضا بلفظ خير نسا العالمين اربع مريم
بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون ورواه الحاكم في مستدركه
عن عايشة بلفظ سيدة نسا اهل الجنة اربع مريم وفاطمة وخديجة واسيه وعن عايشة

ان جبريل جا بصورتها اي بصورة عايشة والبا للتعدية في خرقة حرير خضرا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة رواه الترمذي وعن انس قال بلغ صفية ان
حفصة قالت اي في حق صفية انها بنت يهودي اي نظرا الى ابيها فبكت فدخل عليها النبي
صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت اي صفية قالت حفصة اي في حقي اني ابنة
يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي اي نظرا الى جدها الاكبر وهو اسحاق او
هارون وان عمك لنبي وهو اسماعيل او موسى فالاول فيهما ذكره المظهر وقال الطيبي لعل الاخير
هو الاظهر وانك اي الان لتحت نبي ففيم تفخر بفتح الخا اي تتفخر حفصة عليك وفيه ايما الى ظهور
بحثا الطيبي فان الاول يشترك فيه غايته ان ابا حفصة اسماعيل وعمه اسحاق واما الثاني
فيختص بصفية وبه يحصل لها المزية ففي جامع الاصول هي بنت حيي بن اخطب من سبط هارون
ابن عمران عليه السلام ثم قال اتقي الله اي مخالفته او عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من
عادات الجاهلية يا حفصة رواه الترمذي والنسايي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا فاطمة عام الفتح بل كان هذا في عام حجة الوداع او حال مرض موته عليه السلام فناجاها اي
كلمها بالسر فبكت ثم حدثها اي حفية ايضا فضحكت وتقدم ان عايشة سالتها في حياته
فلم تخبرها وبعد مماته اجابته نحو ما ذكرت ام سلمة بقولها فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالتها عن بكايها وضحكها اي عن سببهما فقالت وفي نسخة قالت اخبرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه يموت اي قريبا فبكيت ثم اخبرني اني سيدة نسا اهل الجنة الا مريم بنت عمران
فضحكت وهو لا ينافي ما قال لها ايضا من انك اول من يلحقني من اهلي على ما سبق قال الطيبي
هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب انما يناسب باب مناقب اهل البيت لكن ذكره
مستطرد الحديث الاول من هذا الفصل حيث ذكرت فيه فاطمة مع ذكر خديجة ومريم وهو
فن من بديع الكلام انتهى فيكون تفصيلا لبعض ما سبق مجملا ولا يبعد ان يكون تلميحا الى
ما ورد من ان مريم زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة رواه الترمذي وفي الجامع فاطمة سيدة
نسا اهل الجنة الا مريم بنت عمران رواه الحاكم في مستدركه **الفصل الثالث** عن ابي
موسى قال ما اشتكل ما اشتبه وفي نسخة ما اشكل اي ما اغلق علينا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالنصب في جميع النسخ الحاضرة المعتمدة وقال الطيبي بالجر بدل من المجرور ويكون
النصب على الاختصاص حديث قط اي معنى حديث او فقه حديث يتعلق بمسالة مهمة فسالنا
عايشة الا وجدنا عندها منه اي من ذلك الحديث ومتعلقاته علما اي نوع علم بان يوجد
الحديث عندها نصا صريحا او قايلا لان يوخذ الحكم منه تلويحا رواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح غريب واما حديث خذوا شطر دينكم عن الحميرا يعني عايشة فقال الحافظ ابن حجر
العسقلاني لا اعرف له اسنادا ولا رواية في شي من كتب الحديث الا في النهاية لابن الاثير ولم
يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير انه سال المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال
السخاوي ذكره في الفردوس بغير اسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه خذوا ثلث دينكم من بيت
الحميرا وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له اسنادا وقال السيوطي لم اقف عليه وعن
موسى بن طلحة قال المولف يكنى ابا عيسى التيمي القرشي سمع جماعة من الصحابة مات سنة اربع
ومائة قال ما رايت احدا افصح من عايشة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب
باب جامع المناقب الفصل الاول عن عبد الله بن عمر اي ابن الخطاب القرشي

العدوي اسلم مع ابيه بمكة وهو صغير وشهد ما بعد الخندق من المشاهد وكان من اهل الورع والعلم
والزهد شديد التحري والاحتياط قال قال جابر بن عبد الله ما منا احد الا مال به الدنيا ومال اليها
ما خلا عمر وابنه عبد الله قال نافع ما مات ابن عمر حتى اعتق الف انسان او زاد وكان يتقدم الحجاج في المواقف
بعرفة وغيرها الى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها وكان يعز على الحجاج وخطب الحجاج
يوما واخر صلوة العصر فقال ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت ان اضرب
الذي فيه عيناك قال لا تفعل فانك سفيه مسلط وقيل انه اخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه
فامر الحجاج رجلا فسم زج رمحه وزحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه وكانت ولادته قبل الوحي
بسنة وموته سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة اشهر وقيل بستة اشهر وكان
اوصى ان يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من اهل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله
اربع وثمانون سنة روى عنه خلق كثير قال رايت في المنام كان بالتشديد يدل على التشبيه لا للعطف
في التعبير في يدي وفي نسخة بالتثنية سرقة بفتحتين اي قطعة من حرير اي كانية منه لا اهوي
بكسر الواو اي لا اقصد بها الى مكان في الجنة الا طارت بي اليه اي تبلغني الى ذلك المكان مثل جناح
الطاير والبا للتعدية وقال الطيبي اي لا اريد الميل بها الى مكان في الجنة الا كانت مطيرة لي ومبلغة
اياي الى تلك المنزلة فكانها لي مثل جناح الطير للطاير فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخاك رجل صالح او ان عبد الله رجل صالح قال شارح
المصابيح تاول هذا على ان السرقة كانت ذاتية من العمل الصالح وبياض السرقة منبي عن خلوص
من الهوى وصفا به عن كدر النفس لنتي ولعله منبي على ان في المصابيح سرقة من حرير بيضا
والله اعلم متفق عليه قال ميرك ولفظ مسلم ارى عبد الله رجلا صالحا وقال السيد جمال الدين
ورواه الترمذي والنسائي وعن حذيفة سياتي ترجمته قال ان اشبه الناس دلا بفتح
الدال المهملة وتشديد اللام اي طريقة وسمتا اي سيرة وهديا اي هداية ودلالة برسول
الله صلى الله عليه وسلم متعلق باشبه لابن ام عبد بفتح لام التاكيد الداخل على خبر ان والمراد به
عبد الله بن مسعود وكانت امه تكنى ام عبد قال القاضي الدل قريب من الهدي والمراد به السكينة
والوقار وما يدل على كمال صاحبه من ظواهر احواله وحسن مقاله وبالسمت القصد في الامور
وبالهدي حسن السيرة وسلوك الطريقة المرضية وقال شارح السمت يستعار لهيئة
اهل الخير من حين يخرج متعلق باشبه والمعنى ان اكثرية الشبه فيما ذكر مستمرة عليه من حين
يخرج من بيته الى ان يرجع اليه اي الى بيته وهذا بحسب الظاهر الذي كنا نطلع عليه لا ندري
ما يصنع في اهله اي في حال كونه عند اهله اذا خلا اي معهم من غير ان يكون هناك احد قال الطيبي
لا ندري جملة مستانفة يعني انا نشهد له بما يستبين لنا من ظاهر امره ولا ندري ما بطن منه رواه
البخاري وعن ابي موسى الاشعري سياتي منقبته قال قدمت انا واخي من
اليمن فمكثنا بفتح الكاف وضمها اي فلبثنا حينا اي زمانا كثيرا ما نرى بضم النون وفتح الراء على ما
صرح به النووي اي ما نظن الا ان عبد الله بن مسعود رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه
وسلم لما نرى بفتح النون اي لما نبصر من دخوله ودخول امه اي من كثرة دخولها على النبي صلى
الله عليه وسلم قال الطيبي قوله ما نرى حال من فاعل مكثنا ويجوز ان يكون صفة حينا اي
زمانا غير ظانين فيه شيئا الا كون عبد الله بن مسعود كذا قال المولف يكنى ابا عبد الرحمن
الهذلي كان اسلامه قديما في اول الاسلام قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم

وقبل

وقبل عمر بزمان وقيل كان سادسا في الاسلام ثم ضمه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ونعاله وطهوره
في السفر هاجر الى الحبشة وشهد بدرا ثم ما بعدها من المشاهد وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة وقال رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد وكان خفيف اللحم قصيرا
شديد الادمة نحيفا يكاد طوال الرجال يوازيه جالسا وولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان
ثم صار الى المدينة فمات بها سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة روى عنه ابو بكر وعمر وعثمان
وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين انتهى وهو عند ائمتنا افقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة متفق
عليه ورواه الترمذي والنسائي وعن عبد الله بن عمرو بالواو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
استقرئوا القران من اربعة اي اطلبوا القران من هولاء الاربعة فانهم حفظة الصحابة من عبد الله بن مسعود
بزيادة من لمزيد البيان وسالم مولى ابي حذيفة وابي بن كعب ومعاذ بن جبل في شرح مسلم قالوا هولاء
الاربعة تفرغوا لاخذ القران منه صلى الله عليه وسلم مشافهة وغيرهم اقتصروا على اخذ بعضهم من بعض ولان
هولاء تفرغوا لان يوخذ عنهم او انه صلى الله عليه وسلم اراد الاعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من
تقدم هولاء الاربعة وانهم اقرا من غيرهم قال المولف سالم بن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة
كان من اهل فارس من اصطخر وكان من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم شهد بدرا روى
عنه ثابت بن قيس وابن عمر وغيرهما واما ابي ومعاذ بن جبل فقد تقدم ذكرهما متفق عليه وعن علقمة
تابعي مشهور وقد سبق ذكره قال قدمت الشام فصليت ركعتين اي في مسجد دمشق ثم قلت اللهم
يسر اي سهل لي جليسا صالحا اي عالما عاملا وقائما بحق الله وحق عباده فاتيت قوما فجلست
اليهم فاذا شيخ اي كبير وعظيم قد جاء حتى جلس الى جنبي روي ان لله ملائكة تجر الاهل الى الاهل
قلت اي للقوم من هذا قالوا ابو الدرداء قلت اي له اني دعوت الله ان ييسر اي يسهل لي جليسا
صالحا فيسره لي فقال ممن انت فقلت من اهل الكوفة قال الطيبي اي رجل من اهل الكوفة ولعل لفظ
اي سقطت من القلم او من بعض الرواة او صحفا بن بانت ومن الجارة بمن الاستفهامية انتهى ولا يخفى
انه يلزم منه تخطية جماعة من الرواة الثقات الاثبات في الحفظ والتيقظ فالاحسن ان يقال ان الجواب
يدل على ان السوال يعني معرفة ما او معرفة بلده او يحمل على ان المجيب مقصرا ومقتصر ويكون رجلي
او علقمة محذوفا او تقديره فقلت في جملة الجواب من اهل الكوفة وانما اقتصر عليه لما يترتب عليه
ما بعده وينشا عنه وهذا هو الاظهر لئلا ينسب احد من الاكابر الى الخطاء وعلى تقدير الاضمار
فنسبته الى التابعي اولى من الصحابي خصوصا السايل فانه لا يقال للسايل سواله غير مطابق
للجواب بل الامر بالعكس والله اعلم بالصواب ثم رايت نظير هذا الاشكال في باب الحبشي الله عنه قوله
ابن تريد فقال اريد خالي فاجابوا بان السوال متضمن لقولنا ابن تريد ومن تريد فقد بهم ثم رايت
انه وقع في البخاري في رواية تعالى من انت كذا في جامع الاصول وفي رواية من ابن انت كذا في الحميدية
قال اي ابو الدرداء اوليس عندكم ابن ام عبد صاحب النعلين والوسادة بكسر الواو والمخدة والمطهرة بفتح الميم
ويكسر ففي القاموس المطهرة بالكسر والفتح انا يتطهر به وفي الخلاصة فتح الميم في المطهرة اعلى ولا يخفى
ما فيه من العبارة اللطيفة قال القاضي يريد به انه كان يخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ويلازمه في الحالات
كلها فيصاحبه في المجلس وياخذ نعله ويضعها اذا جلس وحين نهض ويكون معه في الخلوات فيسوي
مضجعه ويضع وسادته اذا اراد ان ينام ويهيي له طهوره ويحمل معه المطهرة اذا قام الى الوضوء انتهى وحاصله
انه لشدة ملازمته له صلى الله عليه وسلم في هذه الامور ينبغي ان يكون عنده من العلم الشرعي ما يستغني
طالبه عن غيره وفيه اشعار بما ذكر في اداب المتعلمين من ان الطالب لا يحيط بعلم علماء بلده ثم يرحل الى

غيره من البلدان في طلب زيادة الهيان من الاعيان وقيل اي وليس فيكم الذي اجاره الله اي انقذه وخلصه
من الشيطان على لسان نبيه اي بناء على لسانه مما صدر عنه من دعائه يعني يجيري ابو الدرداء به عمارا
وهذا اقول بعض الرواة اوليس فيكم صاحب السر اي صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه اي ذلك
السر غيره اي غير حذيفة يعني تفصيل من تلك الاطوار اعيان المنافقين وانسابهم اسر بها اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكاد ل عليه حديث المذكور قبل هذا يعني حذيفة قال المولف عمار بن ياسر العبسي مولى بني مخزوم وحليفهم
وذلك ان ياسرا والد عمار قدم مكة مع اخوين له يقال لهما الحارث ومالك في طلب اخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك
الى اليمن واقام ياسر بمكة فحالف ابا حذيفة بن المغيرة فزوجه امة له يقال لها سمية فولدت له عمارا فاعتقه
ابو حذيفة فعمار مولى وابوه حليف اسلم عمار قديما وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة ليرجعوا
عن الاسلام واحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به فيمر يده عليه ويقول
يا نار كوني بردا والمشاهد كلها وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الطيب المطيب قتل بصفين وكان
مع علي بن ابي طالب سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة روى عنه جماعة منهم
علي وابن عباس رضي الله عنهم واما حذيفة فهو ابن اليمان واسم اليمان حسيل بالتصغير واليمان
لقبه وكنية حذيفة ابو عبد الله العبسي بفتح العين وسكون الباء روى عنه علي وعمر وابو الدرداء وغيرهم
من الصحابة والتابعين مات بالمدائن وبها قبره سنة خمس وثلاثين وقيل ست وثلاثين بعد قتل عثمان
باربعين ليلة رواه البخاري وكذا النسائي وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت الجنة
بصيغة المجهول فرايت امراة ابي طلحة وهي ام سليم تزوجها مالك بن النضر ابو انس بن مالك
فولدت له انسا ثم قتل عنها مشركا واسلمت فخطبها ابو طلحة وهو مشرك فابت ودعته الى الاسلام
فاسلم فقالت اني اتزوجك ولا اخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها ابو طلحة روى عنها خلق كثير
وسمعت خشخشة بالخائين والشينين المعجمات اي صوتا يحدث من تحرك الاشياء اليابسة اي
واصطكاكها كالسلاح والنعل والثوب امامي اي قدامي تقدم الخادم على المخدوم فاذا بلال وهو
ابن رباح مولى ابي بكر الصديق اسلم قديما وهو اول من اظهر اسلامه بمكة شهد بدرا وما بعده من
المشاهد وسكن الشام اخرا ولا عقب له روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ومات بدمشق سنة
عشرين ودفن بباب الصغير وله ثلاث وستون سنة وقيل مات بحلب ودفن بباب الاربعين
وكان ممن يعذبه اهل مكة على الاسلام وممن كان يعذبه ويتولى ذلك بنفسه امية بن خلف الجمحي
وكان من قدر الله تعالى ان قتله بلال يوم بدر قال الجزري كان عمر يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني
بلالا انتهى واخرج احمد في مسنده ان اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي
طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم
في الشمس فما منهم احد الا وانه واتاهم على ما ارادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه
فاخذه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد كذا في الرياض رواه مسلم
وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد جمال الدين وعن سعد بن ابي وقاص احد العشرة قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ستة نفر اي اشخاص فقال المشركون اي من الكفار صناديد قريش للنبي صلى الله عليه
وسلم اطرد اي ابعد عن حضرتك هولاء اي الموالي والفقراء لا يجترؤن علينا اي لا يكون لهم جراءة علينا في مخاطبتنا
بان كنت تريد ان نومن بك وندخل عليك قال اي سعد وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل
بالتصغير وبلال ورجلان لست اسميهما بتشديد الميم وجوز تخفيفها اي لا اذكرهما قال صاحب الازهار

ورجلان

ورجلان خباب وعمار وانما قال لست اسميهما لمصلحة في ذلك عند التكلم وقيل للنسيان والاول اقرب الى اللفظ
قال المولف خباب بن الارت يكنى ابا عبد الله التميمي لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امراة من
خزاعة واعتقته اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على اسلامه فصبر
نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة روى عنه جماعة فوقع في نفس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع اي من الميل الى طردهم طمعا في اسلام الاكابر المتفرع عليه اسلام
الاصاغر فحدث نفسه اي للتالف بهم ان يطردهم صورة بان لا ياتوه حال وجود الاكابر عنده او
يقوموا عنه اذا هم جلسوا عنده مراعاة للجانبين وقال الطيبي ورد في تفسير الاية ان المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هولاء جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم
ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم طمعا في ايمانهم فانزل الله تعالى اي عتابا بسيد
الانبيا في حق الفقرا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة بفتح الغين والدال بعدها الف مبدلة من
واو وفي قراءة بضم وسكون وفتح واو والعشي اريد بهما طرفا النهار او الملوان يريدون وجهه جملة
حالية اي يريدون بعبادتهم رضا الله تعالى لا شيئا اخر من اغراض الدنيا رواه مسلم وعن ابي موسى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا موسى لقد اعطيت مزمارا بصيغة المجهول اي صوتا حسنا ولحنا
طيبا من مزامير ال داود اي ابن الحانه والاول مفتح واستعير المزمار بكسر الميم وهو الالة للصوت الحسن
والنغمة الطيبة قال القاضي اي اعطيت حسن صوت يشبه بعض الحسن الذي كان لصوت داود والمراد
بال داود نفسه اذ لم يكن له مشهورا بحسن الصوت قال المولف هو عبد الله بن قيس الاشعري اسلم
بمكة وهاجر الى ارض الحبشة ثم قدم مع اهل السفينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وولاه عمر
بن الخطاب البصرة سنة عشرين ففتح ابو موسى الاهواز ثم لم يزل على البصرة الى صدر من خلافة
عثمان ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة فاقام بها وكان واليا على اهل الكوفة الى ان قتل عثمان ثم انتقل
ابو موسى الى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها الى ان مات سنة اثنتين وخمسين متفق عليه وعن
انس رضي الله عنه قال جمع القران اي قراءة كله ذكر تتابع والاظهر اي حفظه كلهم جميعا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمانه اربعة اي من الرجال اراد انس بالاربعة اربعة من رهطه
وهو الخزرجيون اذ روي ان جمعا من المهاجرين ايضا جمعوا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل
وزيد بن ثابت وقد سبق ذكرهم وابو زيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي بفتح العين
والميم اي احد اعمامي قال المولف في اسمائه هو الذي جمع القران حفظا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في اسمه فقيل سعيد بن عمرو وقيل قيس بن السكن انتهى والحاصل
ان الذين حفظوا القران كله في حياته صلى الله عليه وسلم وهم من الانصار هذه الاربعة فلا منافاة
بينه وبين خبر استقرؤا القران على اربعة مفهوم العدد غير معتبر وعلى انه لا يلزم من الاخذ بالقران
منهم ان يكونوا استظهروا القران جميعه هذا وفي شرح مسلم قال المازري هذا الحديث مما تعلق
به بعض الملاحدة في تواتر القران وجوابه من وجهين احدهما انه ليس فيه تصريح بان غير الاربعة لم
يجمعه فيكون المراد الذين علمهم من الانصار اربعة والمراد نفي علمه لا نفي غيره من القراء وقد روى
مسلم حفظ جماعات من الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وذكر منهم المازري خمسة عشر
صحابيا وثبت في الصحيح انه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القران وكانت اليمامة قريبا
من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهولاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل
ممن حضرها ومن لم يحضرها ولم يذكر في هولاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار

الصحابة الذين يجيئون بعد البعد انهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم في الخير وحرصهم على ما هو دون ذلك من الطاعات
وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى اهل عصرنا يحفظه منهم في كل بلدة الوف فثبت انه لو ثبت انه لم يجمع الا اربعة
لم يقدح في تواتره اذ ليس من شرط التواتر ان ينقل جميعه جميعهم بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت
الجملة متواترة بلا شك قال التوربشتي المراد من الاربعة اربعة من رهط انس وهم الخزرجيون ويحتمل انه اراد انه
من الانصار اوسيهم وخزرجيهم وهو اشبه وكان بين الحيين منافاة قبل الاسلام بقيت منها بقية من العصبية
بعد الاسلام والعلم ذكره لكن على سبيل المفاخرة لما روي عن انس انه قال افتخرت الاوس والخزرج فقالت
الاوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن الكاتب ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته
سعد بن معاذ وقالت الخزرج منا اربعة قرأوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم زيد بن ثابت
وابو زيد ومعاذ بن جبل وابي بن كعب فقوله لم يقرأه غيرهم اي لم يقرأه احد منكم يا معشر الاوس متفق
عليه وعن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى بن الارت بفتح همزة وراء وتشديد فوقية قال هاجرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله تعالى اي رضاه فوقع اجرنا على الله تعالى اي ثبت اجرنا الدنيوي
والاخروي عنده سبحانه فمنا من مضى اي مات لم يأكل من اجره اي الدنيوي شيئا من الغنائم ونحوه مما
تناولها من ادرك زمن الفتوح فيكون اجره كاملا فالمراد بالاجر ثمرته فليس مقصورا على اجر الآخرة منهم
مصعب بصيغة المجهول بن عمير بالتصغير قتل يوم احد اي استشهد فلم يوجد له ما يكفن فيه بتشديد
الفاء المفتوحة الا نمرة بفتح نون فكسر ميم اي كساء غليظ فيه خطوط بيض وسود فكنا اذا غطينا راسه
اي بها خرجت رجلاه اي ظهرتا واذا غطينا رجليه اي بها خرج راسه اي انكشف فتحيرنا في امره فقال
صلى الله عليه وسلم غطوا بها راسه اي لانه اشرف واجعلوا على رجليه من الاذخر بكسر الهمزة والخاء وهو
نبت معروف ومنا من اينعت بهمز مفتوح وسكون تحتية وفتح نون اي نضجت له ثمرته وادركت وطابت
وبلغت اوان الجداد وهو كناية عن حصول بعض المراد والينع بفتح اليا ادراك الثمار ومنه قوله
تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه وفي النهاية اينع الثمر يونع وينع ينيع فهو مونع ويانع اذا ادرك ونضج
والينع اكثر استعمالا فهو اي من اينعت له ثمرته يهدبها بفتح اليا وكسر الدال وبضم على ما اقتصر عليه النووي
وحكى ابن التين تثليثها اي يجتنيها قال الطيبي هذه الفقرة قرينة لقوله فمنا من مضى لم يأكل من اجره
شيئا كانه قيل ومنهم من لم يعجل شيء من ثوابه ومنهم من عجل بعض ثوابه وقوله يهدبها على صيغة المضارع لاستمرار
الحال الماضية والآتية استحضارا له في مشاهدة السامع وفي الحديث ما من غازية تغزو في سبيل
الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي اجرهم في الآخرة ويبقى لهم الثلث وفيه بيان فضيلة مصعب
بن عمير وانه ممن لم ينقص له من ثواب الآخرة شيء قال المؤلف مصعب قرشي عبدري من اجلة الصحابة وفضلائهم
هاجر الى ارض الحبشة في اول من هاجر اليها ثم شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا
بعد العقبة الثانية الى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وهو اول من جمع الجمعة بالمدينة
قبل الهجرة وكان في الجاهلية من انعم الناس عيشا والينهم لباسا فلما اسلم زهد في الدنيا وقيل انه بعثه
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى فكان ياتي الانصار في دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم
الرجل والرجلان حتى فشى الاسلام فيهم فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه ان يجمع بهم فاذن
له ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثالثة فاقام بمكة
قليلا وفيه نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار
الارقم متفق عليه وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز العرش بتشديد
الزاي اي تحرك لموت سعد بن معاذ وفي رواية اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ والمعنى اهتز اهتزازا فرحا

وسرورا بتنقله من دار الفانية الى دار الباقية وذلك لان ارواح السعداء والشهداء مستقرها تحت
العرش تأوي الى قناديل معلقة هناك وقيل اهتز استعظاما لتلك الواقعة وقيل اهتز وفرح
حملة العرش بقدوم روحه فاقام العرش مقام حامليه وقيل محمول على ظاهره ويكون اهتزازه اعلاما
للملائكة بوقوع امر عظيم وقال النووي اختلفوا في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز
العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله في العرش تمييزا ولا مانع منه كما قال تعالى وان
منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو المختار وقال المازري قال بعضهم هو على حقيقته
لا ينكر هذا من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون وقيل
المراد اهتزاز اهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز
الاستبشار ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما
يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقال الحربي هو كناية عن تعظيم شأن وفاته والعرب
تنسب الشيء المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون اظلمت بموت فلان الارض وقامت له القيامة
وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل ترده الرواية الاخرى
وانما اول هذا التاويل لانه لم يبلغهم هذه الرواية قال المؤلف سعد بن معاذ الانصاري الاشهلي
الاوسي اسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية واسلم باسلامه بنو عبد الاشهل
ودارهم اول دار اسلمت من الانصار وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانصار وكان مقدما
مطاعا شريفا في قومه وهو من اجلة الصحابة واكابرهم وخيارهم شهد بدرا واحدا وثبت مع النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد ورمي يوم الخندق في اكحله فلم يرقا الدم حتى مات بعد شهر وذلك في ذي
القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن بالبقيع روى عنه نفر من الصحابة
متفق عليه وفي الجامع اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ رواه احمد ومسلم عن انس ورواه
احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن جابر وعن البراء قال اهديت بصيغة المجهول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يلمسونها اي يمسونها ويمسحونها
ويتعجبون من لينها اي نعومتها ورقتها فقال اتعجبون من لين هذه اي الحلة لمناديل سعد بن
معاذ في الجنة خير منها والين اي المناديل التي يمسح بها سعد يده خير من هذه والمعنى ان ارفع شيء من
هذه لا يقاوم اوضع شيء تلك قال النووي المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يحمل في اليد قال ابن
الاعرابي وغيره هو مشتق من الندل وهو النقل لانه ينقل من واحد الى واحد وقيل هو من الندل
وهو الوسخ لانه يندل به قال الخطابي انما ضرب المثل بالمناديل لانها ليست من علية الثياب
بل هو تبتذل في انواع من المرافق فيمسح بها الايدي وينفض بها الغبار عن البدن ويغطى
ما يهدى في الاطباق ويتخذ لفافا للثياب فصار سبيلها سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل
المخدوم فاذا كان ادناها هكذا فما ظنك باعلاه متفق عليه ورواه الترمذي وعن ام سليم
وهي ام انس انها قالت يا رسول الله انس خادمك ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده بفتحتين
وضم فسكون اي اولاده وبارك له فيما اعطيته اي من المال والولد والبركة زيادة النماء في افادة
النفع قال انس فوالله ان مالي لكثير اي غاية الكثرة ونهاية البركة على وفق السبقية وان
ولدي اي بلا واسطة وولد ولدي ليتعادون بضم الدال المشددة اي يزيدون في العدد
على نحو المائة اليوم اي في هذا الوقت من الحديث روي انه قال رزقت من صلبي سوى
ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا لا بنتين على ما قيل وان ارضي تثمر في السنة

مرتين ذكره ابن حجر في شرح الشمائل وقال صاحب المشكاة في اسماء رجاله انس بن مالك بن النضر الخزرجي
كنيته ابو حمزة قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وانتقل الى البصرة في خلافة
عمر ليفقه الناس وهو اخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة احدى وتسعين وله من العمر
مائة وثلاث سنين وقيل تسع وتسعون سنة قال ابن عبد البر وهو اصح ويقال انه ولد له
مائة ولد وقيل ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكرا واثنتان انثى روى عنه خلق كثير
انتهى ما ذكره ابن حجر بظاهره يخالف هذا النقل وكذا يخالف ظاهر الحديث لانه دال على مجموع
اولاده واولادهم يتجاوزون عن المائة لا لاولاد الاولاد والله اعلم بالعباد والمراد وقال النووي
هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه دليل لمن يفضل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص
بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بارك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه
ضرر ولا تقصير في اداء حق الله وفيه استحباب انه اذا دعى بشيء يتعلق بالدنيا ينبغي ان يضم اليه
دعاء بطلب البركة فيه والصيانة وقد ثبت في صحيح البخاري عن انس انه دفن من اولاده قبل
مقدم الحجاج مائة وعشرين قلت وكانه اراد بالاولاد معنى الاعم الشامل للصبي وغيره والا لذكر
اولاد الاولاد ايضا اذ المقام يقتضيه والله اعلم متفق عليه ورواه الترمذي وعن سعد
ابن ابي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض صفة
موكدة لاحد كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض لمزيد التعميم والاحاطة انتهى وفيه نظر يخفى
اذ الحديث ليس من قبيل الاية فان الدابة ما تدب على الارض داخلة في مفهوم الدابة فذكرها
يفيد التاكيد ونظيره رايته بعيني وسمعته باذني بخلاف لفظ احد فانه يفيد معنى
العموم القابل للتقييد فقوله يمشي على وجه الارض صفة احترازية عمن كان قبله من
العشرة فكانه قال لاحد هو حي الان على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام ذكره
ميرك ان قوله على وجه الارض صفة مخصصة لاهل الجنة لكن يرد عليه ما حيث التكلم عنه انتهى
وقال النووي ليس هذا مخالفا لقوله صلى الله عليه وسلم ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة الى اخر
العشرة وغيرهم من المبشرين بالجنة قال سعد اقاله ما سمعت ونفي سماعه ذلك لا يدل
على نفي البشارة للغير واذا اجتمع النفي والاثبات فالاثبات مقدم عليه انتهى ويؤيده ما قدمنا
ما ذكره الحافظ العسقلاني بان الحديث استشكل بانه صلى الله عليه وسلم قال لجماعة انهم من اهل
الجنة غير عبد الله بن سلام ويبعد ان لا يطلع سعد على ذلك وينفي سماع ذلك عن نفسه
كراهية تزكية نفسه فالظاهر ان ذلك بعد موت المبشرين لان عبد الله بن سلام عاش بعدهم
ولم يتاخر بعده من العشرة غير سعد وسعيد ويوخذ ذلك من قوله يمشي على وجه الارض
ووقع عند الدارقطني ما سمعت النبي يقول لحي يمشي انه من اهل الجنة انتهى ولا يخفى ما فيه
من الغموض على حصول المدعى اللهم الا ان يقال ان سعدا لم يذكر نفسه بناء على ان تبشيره بلغه
من غيره وهذا بنفسه كما يشير اليه صنيع الحديث لكن يبقى الكلام في وجود سعيد حيا ويمكن
دفعه به ايضا ويمكن ان يراد بقوله يمشي انه وقع بشارته صلى الله عليه وسلم لعبد الله حين كان
يمشي على وجه الارض بمعنى انه بشير بخلاف بشارات غيرهم وبه يزول الاشكال والله اعلم
بالاحوال متفق عليه ورواه النسائي وعن قيس بن عباد بضم عين وتخفيف موحدة
بصري من الطبقة الاولى من تابعي البصرة روى عن جماعة من الصحابة قال كنت جالسا في
مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه اثر الخشوع اي السكون والوقار والحضور فقالوا اي

بعض الحاضرين

بعض الحاضرين هذا رجل من اهل الجنة فصلى ركعتين اي تحية المسجد وغيرها تجوز بتشديد الواو اي اختصر
فيهما على ما لا بد منه وخففهما ففي النهاية فاتجوز في صلاتي اي اخففها واقللها ثم خرجت وتبعته فقلت
ايوله انك حين دخلت المسجد قالوا هذا رجل من اهل الجنة قال والله ما ينبغي لاحد ان يقول ما لا يعلم
قال النووي هذا انكار من عبد الله بن سلام عليهم حيث قطعوا له بالجنة فيحتمل ان هولاء بلغهم خبر
سعد بن ابي وقاص ان ابن سلام من اهل الجنة ولم يسمع هو ذلك ويحتمل انه كره الثناء عليه بذلك تواضعا
وايثارا للخمول وكراهية الشهرة قال الطيبي فعلى هذا الاشارة بقوله فساحدثك لم ذاك وهو بيان
اي انكاره اياهم يعني اني احدثك سبب انكاري عليهم وهو هذا رايت رؤيا الى اخره وهذا لا يبعد
على النص بقطع النبي صلى الله عليه وسلم على انه من اهل الجنة كما نص على غيره ويمكن ان يكون الاشارة
بذلك الى قولهم هذا رجل من اهل الجنة يعني لا ينبغي لاحد ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
ان يقول بما لا يعلم فانهم علموا ذلك وقالوا وانا ايضا اقول رايت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي في زمانه فقصصتها عليه ورايت بيان لما قبله كانني في روضة ذكر ابي عبد الله بن سلام
من سعتها بفتح اولها وخضرتها وسطها بالنصب على انه ظرف وقع خبرا مقدما لمبتدا موخر وهو قوله عمود
من حديد اسفله اي اسفل العمود في الارض واعلاه في السماء والجملتان صفتان لعمود في اعلاه اي العمود
عروة بضم العين اي حلقة ففي القاموس العروة من الكوز المقبض فاستعيرت لما يوثق ويعول عليه
فقيل لي ارقه بفتح القاف وسكون الها للسكت وفي نسخة بضم الها على الضمير ففي القاموس رقي
كرضي صعد وقال ابن الملك من رقي رقي اذا صعد والها للسكت ويجوز ان يعود الى العمود فقلت
لا استطيع اي الرقي والصعود فاتاني منصف بكسر الميم وفتح الصاد ذكره النووي وعليه
النسخ المعتمدة وقال القاضي عياض ويقال بفتح الميم وهو الخادم من نصف نصافة اذا خدم
وفي شرح مسلم قالوا هذا الوصيف الصغير المدرك للخدمة فرفع اي المنصف ثيابي من خلفي وقيل
بكسر القاف وقال ميرك وحكي بفتحها اقول وفيه نظر اذ رقي كرضي من الرقية ولا معنى لها ههنا
بل المراد فصعدت حتى كنت في اعلاها اي اعلى العمود وفي نسخة في اعلاها اي اعلى العروة فاخذت وفي
نسخة اخذت بالعروة فقيل لي استمسك اي بالغ في المسك بمعنى الاخذ فاستيقظت وانها لفي يدي
اي ان الاستيقاظ كان حال الاخذ من غير فاصل فلم يرد انها بقيت في يده حال يقظة ولو حمل على ظاهره
لا امتنع في قدرة الله تعالى لكن يظهر خلافه ويحتمل ان يريد ان اثرها بقي في يدي بعد الاستيقاظ
كان يصبح في يدي مقبوضة فقصصتها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الروضة الاسلام
وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة مبتدا خبره قوله الوثقى وفي نسخة صحيحة العروة
الوثقى قال الطيبي الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انقطاعها فانت على الاسلام
حتى تموت انتهى كلامه صلى الله عليه وسلم فقال قيس وذلك الرجل عبد الله بن سلام ولا يبعد ان
يكون من قول عبد الله بن سلام ان يخبر عن نفسه متفق عليه وعن انس قال كان
ثابت بن قيس بن شماس بتشديد الميم خطيب الانصار اي فصيحهم في النثر كما يقال الشاعر في النظم
قال قال المولف خزرجي شهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخطيب الانصار واستشهد يوم اليمامة مع مسيلمة الكذاب سنة اثني عشر روى عنه
انس بن مالك وغيره فلما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى اخر الاية وهو
قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون جلس ثابت في بيته احتبس
اي نفسه عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ استشكل بان الاية

المذكورة نزلت سنة تسع وسعد بن معاذ مات قبل ذلك سنة خمس واجيب بان ما نزل في
قصة ثابت مجرد الصوت لا اول السورة وهو لا تقدموا بين يدي الله فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
لسعد حيث كان رئيسهم ما شأن ثابت اي حيث انه غير ثابت معنا اشتكى اي مرضا او وجعا
فكانه تحير في الجواب ولم يعرف طريق الصواب فأتاه اي ثابتا سعد فذكر اي سعد له اي لثابت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في تفقده فقال ثابت انزلت هذه الاية اي المتقدمة ولقد
علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بحسب الجبلة فانا من اهل النار ولم
يعرف ان المراد به رفع صوت يكون اختياريا يقتضي قلة الادب فذكر ذلك اي تقليل ثابت سعد
النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة اي حيث بالغ في الادب
حتى لم يجوز رفع الصوت الجبلي ايضا ووقع مصداق ذكره انه قتل باليمامة شهيدا وقد نقل الكواني
عن انس كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس الكفن فقاتل حتى قتل في كفنه رواه مسلم
والنسائي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا اي جالسين عند النبي صلى الله عليه وسلم
اذ نزلت سورة الجمعة بضم الجيم والميم ويسكن فلما نزلت واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال الطيبي
هذا على ان يكون اخرين عطفا على الاميين يعني انه تعالى بعثه في الاميين الذي على عهده وبعث
في اخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم بعد الصحابة رضي الله عنهم قالوا من
هؤلاء اي واخرين منهم يا رسول الله قال اي ابو هريرة وفينا سلمان الفارسي بكسر الراء ويسكن
قال ابو هريرة فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان اي على كتفه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا
لناله رجال من هؤلاء قال الطيبي جمع اسم الاشارة والمشار اليه سلمان وخذ ارادة الجنس ويحتمل
ان يراد بهم العجم كلهم لوقوعه مقابلا للاميين وهم العرب ولئن يراد به اهل فارس ولو هنا بمعنى
ان لمجرد الفرض والتقدير على سبيل المبالغة قال المؤلف سلمان الفارسي يكنى ابا عبد الله مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصله من فارس من رامهرمز ويقال بل كان اصله من اصفهان من
قرية يقال لها جي سافر يطلب الدين فدان اولا بدين النصرانية وقرأ الكتب وصبر في ذلك على
مشقات متتالية فاخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود ثم انه كوتب فاعانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كتابته ويقال انه تداوله بضعة عشر سيدا حتى افضى الى النبي صلى الله
عليه وسلم واسلم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال سلمان منا اهل البيت وهو احد
الذين اشتاقت اليهم الجنة وكان من المعمرين قيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة
وخمسين سنة والاول اصح وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه ومناقبه كثيرة وفضائله
غزيرة اثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه في كثير من الاحاديث ومات بالمدائن سنة خمس
وثلاثين روى عنه انس وابو هريرة وغيرهما متفق عليه وفي الجامع لو كان الايمان عند الثريا لتناوله
رجال من فارس رواه الشيخان والترمذي عن ابي هريرة ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
ايضا ولفظه لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من ابناء فارس وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك بالتصغير للشفقة هذا اي المشار
اليه يعني ابا هريرة تفسير منه او من غيره مدرج فيه معترضة وامه عطف على عبيدك
الى عبادك المؤمنين متعلق بحبب وحبب اليهم وفي نسخة اليهما المؤمنين قال ميرك كذا وقع
بضمير الجمع في اصل سماعنا من المشكوة وهو الموافق لاصل السماع من صحيح مسلم واكثر النسخ
الحاضرة منه وتوجيهه باعتبار ان اقل الجمع اثنان او باعتبار اهلهما واولادهما والمنتسبين اليهما ليكون

وصلت قوبل

اشمل والله

اشمل والله اعلم البيتين ويمكن ان يقال نزلا منزلة الجماعة تعظيما لهما كما ينزل الواحد احيانا منزلة جمع رواه
مسلم وعن عائذ بن عمرو بالواو وهو اسم فاعل من العود بمعنى اللوذ قال المؤلف هو مدني من اصحاب
الشجرة سكن البصرة وحديثه في البصريين روى عنه جماعة ان ابا سفيان اي ابن حرب اتى اي مر على
سلمان وصهيب بالتصغير وبلال في نفر اي معهم بلا لاه جمع قال النووي هذا الاتيان كان لابي
سفيان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية فقالوا اي سلمان واصحابه ما اخذت سيوف
الله من عنق عدو الله يعنون ابا سفيان ما اخذها بفتح الخاء المعجمة اي حقها وفي نسخة صحيحة وهو
اصل السيد ماخذها بهمزة ممدودة وكسر خاء على انه جمع روعي فيه مقابلة الجمع لسيوف قال الطيبي
ما نافية واما ماخذها فقيل مفعول به وقيل مفعول فيه ويجوز ان يكون مصدرا والكلام اخبار فيه
معنى الاستفهام المتضمن للاستبطاء يعني لم يستوف حقها من حقه واستعار الاخذ للسيف تشبيها
له بمن له حق على صاحبه وهو يلزمه ويطالبه والغريم ممتنع عن ايفاء حقه ويماطله فقال ابو
بكر اي لهم اتقولون هذا لشيخ قريش اي لكبيرهم وسيدهم اي رئيسهم فاتى اي ابو بكر النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره اي بخبرهم وخبره فقال يا ابا بكر لعلك اغضبتهم لعل هاهنا للاشفاق
نحو قوله تعالى فلعلك باخع نفسك وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي لا اعيش بعد عامي هذا لئن كنت اغضبتهم
حيث انهم مؤمنون محبون محبوبون لله تعالى لقد اغضبت ربك اي لحيث مراعيته جانب الكافر به
فاتاهم اي ابا بكر فقال يا اخوتاه بالهاء الساكنة اغضبتكم اي فاعفوا عني والاظهر ان الاستفهام مقدر اي اغضبتكم
قالوا لا اي لا اخرج علينا او لا غضب لنا بالنسبة اليك يغفر الله لك جملة دعائية قال الطيبي يجب ان يوقف
على لا ولو لا لتوهم واواطا في جواب البزيدي عن سؤال المأمون لا وجعلني الله فداك لحسن موقعه وقوله
يا اخي الظاهر ان يقال يا اخانا ولعله حكاية قول كل واحد واحد قال النووي ضبطوه بضم الهمزة على التصغير
وهو تصغير تحبيب وفي بعض النسخ بفتحها انتهى وفي نسخة السيد جمال الدين وكثير من الاصول
المعتمدة بالتصغير وفتح الياء وفي بعض النسخ بكسرها وقد روي فيها بهما وفي نسخة بفتح الهمزة
وسكون الياء ويجوز فتحه هذا وقال المؤلف صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى
ابا يحيى كانت منازلهم بارض الموصل فيما بين دجلة والفرات فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته
وهو غلام صغير فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان
فاعتقه فاقام معه الى ان هلك ويقال انه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم وقدم مكة فحالف عبد الله بن
جدعان واسلم قديما بمكة يقال انه اسلم وعمار بن ياسر في يوم واحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم بدار الارقم
بعد بضعة وثلاثين رجلا وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله روى عنه جماعة مات سنة ثمانين بالمدينة وهو ابن سبعين سنة ودفن بالبقيع
واما ابو سفيان فيأتي ترجمته في مناقبه رواه مسلم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اية الايمان اي علامة كماله
حب الانصار قال ابن الملك المراد حب جميعهم لان ذلك انما يكون للدين ومن ابغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض
به فليس داخلا في ذلك وهو تقرير حسن واية النفاق بغض الانصار وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشأنهم
واشعارا بالعلة في حبهم وبغضهم وهو جمع ناصر ونصير واللام للعهد والمراد انصار رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الاوس والخزرج وكانوا يعرفون قبل الاسلام بابناء قيلة وهي الام التي تجمع القبيلتين فسماهم
النبي صلى الله عليه وسلم الانصار فصار علما لهم ونزل القران بمدحهم وقد اطلق على اولادهم وحلفائهم ومواليهم
وانما فازوا بهذه المنقبة لاجل ايوائهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته حيث تبوءوا الدار والايمان
وجعلوه مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك فكان ذلك موجبا

لمعاداة الروب والعجم فافضى ذلك الى لحسد وهو يجر الى البغض فلذا جاء الترهيب عن بغضهم والترغيب
في حبهم فمن احبهم فذلك من كمال ايمانه ومن ابغضهم فذلك من علامة نفاقه ونقصان ايمانه متفق
عليه ورواه احمد والنسايي وكذا ابن ماجة عنه لكن لفظه حب الانصار ايمان وبغض الانصار
اية النفاق وعن البرا اي ابن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الانصار لا يحبهم الا مومن
اي كامل ولا يبغضهم الا منافق اي حقيقي او مجازي وهو الفاسق الشبيه بالمنافق فمن احبهم
اي لله احبه الله ومن ابغضهم اي بغير سبب شرعي بالنسبة الى بعض افرادهم ابغضه الله متفق
عليه وعن انس قال ان ناسا اي جمعا من الانصار قالوا حين افاء الله على رسوله اي اعطاه فيا اي غنيمة
من اموال هوازن وهي قبيلة شهيرة ما افا الله اي شيا افاه عليه فطفق اي فاخذ وشرع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة حين مرجعه من الطايف يعطي رجالا من قريش المائة من الابل ومن
جملتهم ابو سفيان وولده معاوية وكان اعطاه تالفا لهم بالاسلام ولذا كان يعطي الانصار دون من المهاجرين
والانصار اقل من المائة فقالوا اي ناس من الانصار زعما منهم انه صلى الله عليه وسلم يراعي بعض قومه من
قريش يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا اي شيا كثيرا ويدعنا اي يتركنا في اعطا الكثير
وسيوفنا تقطر بدمهم الحال اي والحال ان سيوفنا نحن معاشر الانصار تتقطر من دمايهم اي من دما
كفار قريش بمحاربتنا اياهم حتى يسلموا قال الطيبي قولهم يغفر الله توطية وتمهيد لما يرد بعده
من العتاب كقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقولهم وسيوفنا تقطر من دمايهم من باب قول العرب
عرضت الناقة على الحوض انتهى ولا يبعد ان يكون التقدير وسيوفنا باعتبار ما عليها تقطر من دمايهم
وهو اشعار بقرب قتلهم كفار قريش وايمانهم وبحث باب الثمرة فالجملة حال مقررة لجهة الاشكال فحدث
بضم حا وتشديد دال مكسورة اي فحكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم اي بقول ذلك البعض من الانصار
فارسل الرسول رسولا الى الانصار فجمعهم اي الرسول او امر بجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة
اي خيمة من ادم بفتحتين اي جلد وهو جمع بسكون الدال وضم العين اي لم يطلب وفي نسخة بفتح الدال
وسكون العين اي لم يترك معهم احدا غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث
اي اي شي خبر عظيم بلغني عنكم فقال فقهاوهم اي علماوهم وعقلاوهم اما ذووا رايتنا اي اصحاب عقولنا
وفهومنا يا رسول الله فلم يقولوا شيا اي من هذا الباب واما اناس بفتح الهمزة لغة في ناس اي جماعة منا حديثة
حدثية اي حديدة اسنانهم جمع السن بمعنى العمر والمراد منهم الشبان قالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يعطي قريشا ويدع الانصار اي يتركهم وسيوفنا تقطر من دمايهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني اعطي اي من هذا المال رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم اي اطلب الفتهم بالاسلام باعطا المال
لكونهم من قريش او لغرض اخر من الاحوال اما ترضون ان يذهب الناس اي من غيركم من المولفة
قلوبهم بالاموال وترجعون الى رحالكم بكسر الرا اي منازلكم في المدينة برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
صلى الله عليه وسلم قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا خبر تاكيد لما فهم من بلى وما احسن من قال من ارباب
الذوق والحال رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعدا مال فان المال يفنى عن قريب وان العلم يبقى لا
يزال متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت
امرا من الانصار في شرح السنة ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادي لانه حرام مع ان نسبه
صلى الله عليه وسلم افضل الانساب واكرمها وانما اراد به النسب البلادي ومعناه لولا الهجرة من الدين
ونسبتها دينية لا يسعني تركها لانها عبادة كنت مامورا بها لانتسب الى داركم ولا نتقلب عن هذا
الاسم الكريم وقيل اراد صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام اكرام الانصار والتعريض بان لا رتبة بعد الهجرة

اعلى من

اعلى من النصرة وبيان انهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا انه صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الى المدينة
لعد نفسه من الانصار لكرامتهم عند الله تعالى قال المظهر لولا فضلي على الانصار بسبب الهجرة
لكنت واحدا منهم وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم وحث للناس على اكرامهم واحترامهم لكن لا يبلغون
درجة المهاجرين السابقين الذين اخرجوا من ديارهم وقطعوا عن اقاربهم واحبابهم وحرموا
اوطانهم واموالهم وهم رضي الله عنهم ما بالوا لذلك بالة لاجل رضى الله ورسوله واعلاء دين الله
وسنة رسوله والانصار وان اتصفوا بصفة النصرة والايثار والمحبة والاخا ولكنهم مقيمون
في مواطنهم ساكنون مع اقاربهم واحبابهم وحسبك شاهدا في فضل المهاجرين قوله هذا الان
فيه اشارة الى جلالة رتبة الهجرة فلا يتركها فهو نبي مهاجري لا انصاري ولو سلك الناس واديا
اي طريقا حسيا او معنويا وسلكت الانصار واديا اي سبيلا اخر وشعبا فسكون شك من الراوي
اذ مالهما واحد لسلكت وادي الانصار او شعبها اي شعب جماعة الانصار ونسكت بسلوكي واديا سلكه
الناس قال الخطابي اراد ان ارض الحجاز كثيرة الاودية والشعاب فاذا ضاق الطريق عن الجميع فسلك رئيس شعبا
اتبعه قومه حتى يفضوا الى الجادة وفيه وجه اخر وهو انه اراد بالوادي الراي والمذهب كما يقال فلان في وادي وانا
في واد قيل اراد صلى الله عليه وسلم بذلك حسن موافقته اياهم وترجيحهم في ذلك على غيرهم لما شاهد منهم حسن الوفا
بالعهد وحسن الجوار وما اراد بذلك وجوب متابعته اياهم فان متابعته حق على كل مومن لانه صلى الله عليه وسلم
هو المتبوع المطاع لا التابع المطيع الانصار شعار بكسر اوله ويفتح وهو الثوب الذي يلي شعر البدن والناس
دثار بكسر الدال وهو الثوب الذي فوق الشعار شبه الانصار بالشعار لرسوخ صداقتهم وخلوص مودتهم والمعنى
انهم اقرب الناس الي مرتبة واولاهم مني منزلة انكم التفات اليهم متضمن للترحم عليهم سترون بعدي اثرة بفتحتين
وبضم فسكون اي استيثارا يستاثر عليكم امراوكم بامور الدنيا من المغانم والفي ونحوها ويفضل عليكم غيره
نفسه او من هواه ناكم فاصبروا اي على ذلك الاستيثار حتى تلقوني على الحوض اي في حينية تحصل جبر
خاطركم المنعطش الى لقاي بسقيكم شربة لا تظماون بعدها رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اي فتح مكة فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن اي ذو امن
والامن ضد الخوف وقيل اي مامون قال النبي انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك حين اسلم ابو سفيان
وقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابي سفيان
فهو امن قال المولف هو ابو سفيان بن صخر بن حرب الاموي القرشي والد معاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين
وكان من اشراف قريش في الجاهلية وكان انتهى اليه راية الروسا في قريش اسلم يوم فتح مكة وكان من المولفة قلوبهم
وشهد حنينا واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير واربعين اوقية فيمن اعطاه من المولفة قلوبهم وفقيت عينه
يوم الطايف فلم يزل اعور الى يوم اليرموك فاصاب عينه الاخرى حجر فعميت روى عنه عبد الله بن عباس مات
سنة اربع وثلاثين بالمدينة ودفن بالبقيع ومن القى السلاح اي الة الحرب فهو امن فقالت الانصار اي بعضهم
اما الرجل اي النبي صلى الله عليه وسلم فقد اخذت رافة اي شدة رحمة بعشيرته اي قبيلته رغبة اي محبة في قريته
اي في اهل بلدته او بالسكون في قريته ونزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بما قالوا قال قلتم
اما الرجل اخذته وفي نسخة فقد اخذته رافة بعشيرته ورغبة في قريته كلا ردع اي ليس الامر كما توهمتم
من اقامتي بمكة لان هجرتي الى المدينة كانت خالصة لله كما بينه بقوله اني عبد الله ورسوله اي كوني على
هذه الصفة يقتضي ان لا اعود الى داري كانها لله وان لا ارغب في بلدة هاجرت منها الى الله هاجرت الى
الله اي الى ثوابه او ما موره واليكم اي والى دياركم لمتابعتكم الى والى المهاجرين اليكم كما قال تعالى والذين
تبوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم وخلاصته ان القصد في الهجرة كان الى الله وان

التهاجر كان من دار قومي الي ولدكم المحيا محياكم والممات مماتكم اي مماتي مماتكم والمعني ما حييت احيي في بلادكم
كما تحيون فيه واذا توفيت في بلدكم كما تتوفون لا افارقكم حيا ولا ميتا قالوا اي الانصار والله ما قلنا
اي ما قلناه الا ضنا بكسر الضاد المعجمة وتشديد النون اي شحا وبخلا بالله ورسوله اي من شرف الجوار
والصحبة واسم الله للتحسين والتزيين وقال الطيبي يريدون ما قلناه ذلك الا ضنة بما اتانا الله من كرامته
خشية ان يفوتنا فينا له غيرنا وشحا برسوله صلى الله عليه وسلم ان ينتقل من بلدتنا الي بلدته انتهي وتوضيحه انهم
عنوا ان الادمي مجبول علي حب الاقارب والاوطان فخشينا ان تميل عنا اليهم فحركنا بهذا الكلام وجرنا كن ليبين
لنا المرام فلا يرد انهم كيف قالوا ذلك مع قوله تعالي لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا علي ما اورده
الطيبي قال فان الله ورسوله يصدقانكم اي في اخباركم عن اخباركم ويعذرانكم بفتح اوله وبضم اي
يقبلان ما ذكرتم من اعتذاركم فيما قلتم من دعوي الضنة وفيه دلالة علي جواز البخل بالعلماء والصلحاء وعدم
الرضا بمفارقتهم رواه مسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم راى صبيانا ونساء مقبلين اي راجعين من عرس
وهو بضم العين طعام الوليمة ذكره ابن الملك والاظهر ما في القاموس العرس الاقامة في الفرح وبضم وبالضم وبضمتين
طعام الوليمة والوليمة طعام العرس وكل طعام صنع لدعوة وغيرها فقام النبي صلى الله عليه وسلم اي عن طريقهم اوالي
لقيهم فقال اللهم انتم فيه التفات والتقدير اللهم انك تعلم صدقي فيما اقول في حق الانصار ثم خاطبهم بقوله انتم
من احب الناس الي كرره للتاكيد وفي الخطاب التفات وتغليب للصبيان علي النساء او للغائبين علي الحاضرين
ويؤيده قول الراوي يعني الانصار اي يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انتم طائفة الانصار متفق عليه
وعنه اي عن انس قال مر ابو بكر اي الصديق والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم اي والحال انهم اهل
ذلك المجلس يبكون اي في ايام مرضه صلى الله عليه وسلم فقال اما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
يعنون نخاف فوته ان قدر الله موته فدخل احدهما وهو انه العباس علي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك اي بما ذكر من بكائهم وسبب عنائهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب بتشديد الصاد اي
ربط وشد علي راسه حاشية برد اي علي هيئة عصابة بالرفع وجع راسه من الشدة فصعد بكسر
الصاد اي طلع المنبر ولم يصعد بعده بعد ذلك اليوم فحمد الله اي شكره علي ما انعم واثني عليه اي بالوجه الاتم
ثم قال اوصيكم اي ايها الناس او المهاجرون بالانصار اي برعايتهم وحمايتهم فانهم كرشي بفتح فكسر
وفي نسخة بكسر فسكون اي بطانتي وعيبتي بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة اي
وخاصتي كذا ذكره الزركشي وفي القاموس الكرش بالكسر وككتف لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان
مؤنة وعيال الرجل وصغار ولده والجماعة وفي النهاية اراد انهم بطانته وموضع سره وامانته
اوار اد الجماعة اي جماعتي واصحابي وفي المصباح اي انهم في المحبة والرافة بمنزلة الاولاد الصغار لان
الانسان مجبول علي محبة ولده الصغير قال التوربشتي الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان والعرب
تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن والبطن مستودع مكتوم السر والعيبة مستودع مكنون
المتاع والاول امر باطن والثاني امر ظاهر فيحتمل انه ضرب المثل بهما ارادة اختصاصهم به في اموره الظاهرة
والباطنة وفي شرح السنة عيبتي اي خاصتي وهو موضع سري والعرب تكني عن القلب
والصدر بالعيبة لانها مستودع السرائر علي ان العياب مستودع الثياب وقد قضوا اي ادي
الانصار الذي عليهم اي من الوفاء ما وقع لهم من المبايعة ليلة العقبة فانهم بايعوا علي انهم ينصرون
النبي صلى الله عليه وسلم ولهم الجنة فوفوا بذلك ذكره العسقلاني وبقي الذي لهم اي من الاجر
والثواب عند الله تعالي فاقبلوا من محسنهم اي ان اتوا بعذر فيما صدر عنهم وتجاوزوا عن
مسيئهم اي ان عجزوا عن عذر رواه البخاري وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه اي من حجرته واستمر علي مشيه حتي جلس علي المنبر فحمد الله اي
علي ما وجد من النعمة لديه واثني عليه اي بما هو اهله ثم قال اما بعد اي بعد الحمد والثناء فان
الناس اي اهل الاسلام لانهم خلاصة الناس يكثرون بضم المثلثة اخبار بالغيب ويقل الانصار بفتح
اليا وكسر القاف وتشديد اللام قال التوربشتي لان الانصار هم الذين اووا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونصروه في حال الضعف والعسرة وهذا امر قد انقضي زمانه لا يلحقهم اللاحق ولا يدرك شاوهم
اللاحق السابق فكلما مضي منهم واحد مضي من غير بدل فيكثر غيرهم ويقلون حتي يكونوا في الناس
بمنزلة الملح في الطعام اي من حيث ان الملح يوصف القلة بسبب كمال الطعام في اللذة وهذه الجملة
الاخيرة يؤيد ما قال الطيبي وهذا المعني اي من التقليل فانهم في حق المهاجرين الذين هاجروا من
مكة الي المدينة ولعل الحمل علي الحقيقة اظهر لان المهاجرين واولادهم كثروا وتبسطوا في البلاد
انتشروا فيها وملكوها بخلاف الانصار انتهي وهذا امر مشاهد في الاشراف والعلويين والعباسيين
وبني خالد فاما بعد فمن ولي منكم بفتح الواو وكسر اللام وفي نسخة بضم فتشديد اي من تولي
منكم ايها المهاجرون مثلا شيئا يجوز ان يكون مفعولا به وان يكون في موضع مصدر اي قليلا
من الولاية وقوله يضر فيه قوما اي مسيئين وينفع فيه اخرين اي محسنين صفة كاشفة فليقبل
اي المتولي منكم من محسنهم اي احسانهم وليتجاوز عن مسيئهم اي اساءتهم رواه البخاري وعن اسيد
بالتصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار اي افضل قبائلهم بنو النجار ثم بنو
عبد الاشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير اي فضل بالنسبة الي غيرهم من
اهل المدينة وهو تعميم بعد تخصيص قال العسقلاني الخير الاول بمعني افضل والثاني بمعني الفضل يعني الخير
حاصل في جميع الانصار فان تفاوتت مراتبهم وقال النووي خير دور الانصار خير قبائلهم وكانت كل قبيلة تسكن
محله فسمي تلك المحلة دار بني فلان ولهذا جاء في كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار قالوا تفضيلهم علي قدر
سبقهم في الاسلام وماثرهم فيه وفي هذا دليل علي جواز تفضيل القبائل والاشخاص من غير مجازفة ولا هوي
ولا يكون هذا غيبة قال القاضي ان اراد به ظاهرها فقوله بنو النجار علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويكون خيريتها بسبب خيرية اهلها وما يوجد فيها من الطاعات والعبادات متفق عليه ورواه الترمذي
والنسائي وفي الجامع خير دور الانصار بنو النجار رواه الترمذي عن جابر وفي رواية للترمذي عنه خير
دور الانصار بنو عبد الاشهل وعن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كذا في
جميع النسخ الحاضرة والظاهر اني مكانه من باب استعارة المرفوع للمنصوب والزبير اي ابن العوام وقد سبق
ذكره في العشرة والمقداد بكسر الميم وهو ابن عمرو الكندي وذلك ان اباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمي بن الاسود
لانه كان حليفه او لانه كان في حجره وقيل بل كان عبدا فتبناه وكان سادسا في الاسلام روي عنه طارق بن شهاب
وعلي وغيرهما مات بالجرف علي ثلاثة اميال من المدينة فحمل علي رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن
سبعين وفي رواية وابا مرثد بدل المقداد بفتح الميم والمثلثة وسكون الراء بينهما قال المولف هو كناز بن حصين ويقال
ابن حصين الغنوي مشهور بكنيته شهد بدرا هو وابنه مرثد وهو من كبار الصحابة روي عنه حمزة وعنه واثلة
ابن الاسقع وعبد الله بن عمر مات سنة اثنتي عشرة وقال السيد جمال الدين هو وابنه حليفا حمزة بن عبد المطلب
قال الواقدي وابن اسحاق اخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبادة بن الصامت قال محمد بن سعد شهد
ابو مرثد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة في خلافة ابي بكر الصديق
وهو ابن ست وستين سنة ثم الحاصل من الجمع بين الروايتين انه صلى الله عليه وسلم بعث الاربعة الا ان المذكور
في بعض الروايات المقداد وفي بعضها ابو مرثد وتوضيحه ما قال الطيبي انه لم يرد بذلك ان العدد منحصر بل المراد انه وكل

في رواية هذا اوفي رواية ذكره لان الاربعة قد بعثوا لهذا الامر انتهي ولا يخفي ان المبدل منه في الرواية الثانية
ولذا قال بدل المقداد وان كان في نفس الامر غير منحي عن المراد وفي شرح مسلم وعن علي رضي الله عنه قال بعثني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وفي الرواية السابقة والمقداد بدل ابي مرثد
ولا منافاة بل بعث الاربعة عليا والزبير والمقداد وابا مرثد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ بخا بين
معجمتين مصروفا وقد لا يصرف قال الطيبي بالخائين المعجمتين هو الصواب وهي موضع بين مكة والمدينة
بقرب المدينة وفي القاموس وخاخ يصرف ويمنع فان بها ظعينة اي امراة اسمها سارة وقيل ام سارة مولاة لقريش
معها كتاب اي مكتوب من اهل المدينة الي اهل مكة فخذوه منها فانطلقنا تتعادي اي تتسابق بنا خيلنا حتي
اتينا الي الروضة اي روضة خاخ فاذا نحن بالظعينة اي المراة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب
من زائدة لمزيد تاكيد النفي فقلنا لتخرجن بفتح لام فضم فسكون فكسر تاء وتشديد نون اي لتظهرن
الكتاب او لتلقين بفتح فضم فسكون نحو فتشديد وفي نسخة صحيحة بكسر التحتية وفي نسخة بحذفها
وهو الظاهر اي لترمين الثياب وتتجردن عنها ليتبين لنا الامر وفي نسخة بصيغة المجهول ورفع
الثياب وهو ظاهر ايضا قال ميرك كذا جاءت الرواية باثبات الياء مكسورة ومفتوحة فان قلت القواعد العربية
تقتضي ان تحذف تلك الياء ويقال لتلقن قلت القياس ذلك واذا صحت الرواية بالياء فتاويل الكسرة
انها لمشاكلة لتخرجن والفتح بالحمل علي المؤنث الغائب علي طريق الالتفات من الخطاب الي الغيبة وفي
بعض النسخ بفتح القاف ورفع الثياب كذا قاله الكرماني في شرح البخاري وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه
كذا فيه باثبات الياء والوجه حذفها وقيل انما اثبتت للمشاكلة لتخرجن والفتح بالحمل علي المؤنث الغائب
علي طريق الالتفات من الخطاب الي الغيبة وفي بعض النسخ بفتح القاف ورفع الثياب كذا قاله الكرماني في
شرح البخاري وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه كذا فيه باثبات الياء والوجه حذفها وقيل
انما اثبتت لمشاكلة لتخرجن قال وظهر لي ان صواب الرواية لتلقين الثياب بالنون بلفظ الجمع وهو ظاهر
جدا لا اشكال فيه البتة ولا يحتاج الي تخرج تكلف والله اعلم انتهي كلامه اقول ويؤيده ما وقع عند البخاري
في باب فضل من شهد بدرا بلفظ لتخرجن الكتاب او لنجردنك انتهي فاخرجته من عقاصها وهو بكسر العين
جمع عقيصة وهي الشعر المظفور قال العسقلاني والجمع بينه وبين رواية اخرجته من حجزتها بضم الحاء
وسكون الجيم وبالزاي اي معقد الازار ان عقيصتها طويلة بحيث تصل الي حجزتها فربطته في عقيصتها
وغرزته بحجزتها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه اي الكتاب من حاطب بكسر الطاء ابن ابي بلتعة
الي ناس من المشركين قال الطيبي ليس هذا حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوي وضع موضع قوله الي فلان
وفلان وفلان من اهل مكة يخبرهم اي حاطب او مكتوبه مجازا ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ببعض شانه وحاله وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فنزل جبريل فاخبره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لحاطب ما هذا اي الفعل الشنيع فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تعجل علي اي في الحكم بالكفر ونحوه ثم استانف ببيان عذره في فعله بقوله اني كنت امرا ملصقا بصيغة
المجهول اي حليفا في قريش اي فيما بينهم ولم اكن من انفسهم قال النووي كان حليف الزبير بن العوام
وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة اي ذو قرابة اي اقارب او قراباتهم مع ناس يحمون اي الاقارب
او الناس الذين اقاربهم يحفظون ويرعون بها اي بتلك القرابة اموالهم اي اموال المهاجرين واهليهم بمكة
يحتمل ان يكون ظرفا ليحمون والاقرب ان التقدير اموالهم واهليهم الكائنين بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك
اي القرب من النسب فيهم اي في قريش قال الطيبي اذ فاتني تعليل وقع بين الفعل ومعموله وهو قوله ان
اتخذ فيهم يدا اي صنيعة يحمون اي قريش بها اي بتلك اليد قرابتي اي العائلة بمكة قال الطيبي قوله

يحمون صفة يدا واراد باليد يد انعام وقدرة وما فعلت اي ذلك كفرا اي اصليا ولا ارتدادا عن ديني
اي حادثا ولا رضي بالكفر اي بوجوده بعد الاسلام اي بعد حصوله وهو تاكيد لما قبلها ونفي لانواع
حدوث الكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خطابا للاصحاب انه قد صدقكم بتخفيف الدال
اي قال الصدق فقال عمر دعني اي اتركني يا رسول الله اضرب بالجزم اي اقطع عنق هذا المنافق وانما
قال ذلك مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب في معذرته لما كان عند عمر من قوة في الدين وبغض
لمن ينتسب الي النفاق وظن ان من خالف ما امره النبي صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك
فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه اظهر خلاف ما ابطن وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متاولا
ولا ضرر فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اي حاطبا قد شهد بدرا اي حضرها وما يدريك اي اي شيء يعلمك
انه مستحق للقتل لعل الله اطلع بتشديد الطاء اي اقبل علي اهل بدر ونظر اليهم نظر الرحمة والمغفرة فقال
اعملوا ما شئتم اي من الاعمال الصالحة والافعال النافلة قليلة او كثيرة فقد وجبت لكم الجنة اي ثبتت او وجبت
لموجب تعالي من الوعد الواجب وقوعه قال الطيبي معني التوجه فيه راجع الي عمر رضي الله عنه لان وقوع هذا
الامر محقق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واورد علي التحقيق بعثا له علي التفكر والتامل فلا يقطع العرف
كل شيء انتهي والاوجه ان ذكر لعل ليلا يتكل من شهد بدرا عليه ذلك وينقطع عن العمل بقوله اعملوا ما شئتم فان
المراد به اظهار العناية لا الترخص لهم في كل فعل بل الحديث الاتي عن حفصة صريح في انه صلى الله عليه وسلم
تمني في مقام الرجاء في حال القطع والله اعلم وفي رواية فقد غفرت لكم وهي ادل مما قبلها كما لا يخفي قال
النووي هذا اي في الاخرة واما في الدنيا فلو توجه علي احد منهم حد او غيره اقيم عليه وقد اقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم علي مسطح حد الفرية وكان بدريا وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وجواز هتك استار الجواسيس وقراءة كتبهم وفيه هتك ستر المفسد اذا كان فيه مصلحة او كان في الستر
مفسدة وما فعله حاطب كان كبيرة قطعا لانه يتضمن ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالي ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ولا يجوز قتله لانه لا يكفر به انتهي كلامه وفيه انه لو كان كبيرة
كبيرة متضمنة لاذي النبي صلى الله عليه وسلم لكان كفرا لصواب انه لم يقصد به اذي النبي صلى الله عليه وسلم
بل انما قصد دفع اذي الكفار عن قرابته علي ظن انه لا يضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الابلاغ وقد صدق
النبي صلى الله عليه وسلم علي ذلك نعم قصر في جنبه حيث اخفي امره ولم يستاذن منه صلى الله عليه وسلم
في فعله ذلك والله اعلم فانزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اي الذين اعاديهم ويعادونكم
اي الذين يعادونكم وهم الكفار اولياء اي احباء وما بعده تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون
اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا
لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم
القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه
اذ قالوا لقومهم ~~ربنا ابعث لنا ملكا~~ انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الاية فانما عم الخطاب
ليدخل فيه امثال الحاطب ولذا قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب متفق عليه وعن
رفاعة بكسر الراء ابن رافع يكني ابا معاذ الزرقي الانصاري شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع علي الجمل وصفين مات في اول ولاية معاوية روي عنه ابناه عبيد ومعاذ
وابن اخيه يحيي بن خلاد قال جاء جبريل الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي جبريل ما تعدون بضم عين
فتشديد دال اي ما تعتبرون اهل بدر فيكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له

وقف لله تعالى

ولمن كان من اصحابه معه والمعنى اي شيء من مراتب الفضل تحسبونها لاهل بدر قال من ايهم من افضل
المسلمين اي كلمة نحوها والظاهر انها هم افضل المسلمين قال اي جبريل وكذلك اي عندنا حكم من شهد بدرا من
الملائكة انهم افضل ممن لم يشهد منهم فيكونون افضل الملائكة او من افاضلهم قال الطيبي اي ممن يعرفون
ليطابقه الجواب وهو من افضل المسلمين واتى بما بدله من تعظيما لشانهم نحو قولهم سبحان ما سخركن لنا انتهى
ولا يخفى عدم ظهور افادة التعظيم من العدول من الى ما او انما جاء ما في مواضع بمعنى او اريد به الوصف كما في
المثال المذكور ونحوه قوله ونفس وما سواها رواه البخاري وعن حفصة اي بنت عمر ام المؤمنين قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله احد شهد بدرا والحديبية بالتخفيف
ويشدد قلت يا رسول الله اليس قد قال الله وان منكم الا واردها اي مارها وحاضرها وكانت
حفصة ظنت ان معنى واردها داخلها قال فلم تسمعيه اي افلم تسمعي كلام الله يقول اي بعد ذلك ثم ننجي
الذين اتقوا اي من الدخول وقال ابن الملك اي فينجي الله المتقين يفصلهم عنها فيكون عليهم بردا وسلاما كما
كانت على ابراهيم ويترك الكافرين فيها بعد له انتهى ويوافقه قول الطيبي يعني اردت بقولك ان لا يدخل النار دخولا
يعذب فيها ولا نجاة منها انتهى ويؤيد ما اخترناه سابقا ما قاله النووي في شرح مسلم الصحيح ان المراد بالورود
المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها اهلها وينجو الاخرون قال الطيبي والاول هو الوجه
على ما يظهر لادنى تامل قلت تاملنا كثيرا فلم يظهر وجه ارجحيته ولا قدر يسيرا بل ظهر ان المعنى الثاني ابلغ واتم
والله اعلم قال الطيبي وفيه جواز المناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة
لانها ارادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم قلت وفي تسميته مناظرة واعتراضا وجوابا لا يخلو عن
سوء ادب يرجى مسامحته بل الصواب انها استشكلت معنى الحديث حيث ظاهره على ظنها غير موافق
للاية فسالت سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض كما هو طريقة ارباب المناظرة بل على سبيل ما هو واجب
على كل من لم يفهم معنى الاية او حديث او جمع بينهما او غيره كلاما من المسائل ان يسال واحدا من العلماء كما قال تعالى
فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وانما سمي بالمناظرة المباحثة والمجادلة بين النظير والامثال في المعاصرة وفي
رواية لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحت الشجرة بيان لاصحاب الشجرة او بدل
رواه مسلم وكذا ابو داود والترمذي وابن ماجة ذكره السيد جمال الدين وقال ميرك ظاهر ايراد المص يقتضي ان هذا
الحديث في صحيح مسلم من مسند حفصة وليس كذلك فان فيه من مسند ام مبشر الانصارية انها سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند حفصة يقول لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها
فقالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله
عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا هذا في صحيح مسلم وليس في حديث حفصة في واحد
من الصحيحين بل هو في صحيح مسلم من حديث ام مبشر نعم رواه ابن ماجة من طريق ام مبشر عن حفصة
كما هو في المصابيح بلفظ وكذا رواه في شرح السنة والله اعلم هذا محصل ما اورده الجزري في تصحيح المصابيح
انتهى ولا يخفى ان معنى الحديث مروي عن حفصة في صحيح مسلم فصح اسناده اليه وعن جابر قال كنا يوم
الحديبية الفا واربعمائة قد سبق الخلاف فيه قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض ولذا
قال بعض العلماء منهم السيوطي ان افضل الخلق الاربعة ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل الحديبية متفق عليه
وعنه اي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصعد الثنية بكسر اللام على انه مجزوم حرك لالتقاء
الساكنين وفي نسخة بالرفع على ان من موصولة مبتدا متضمن معنى الشرط والثنية هي الطريق العالي
في الجبل وقوله ثنية المرار بالنصب بدل او عطف بيان والمراد بضم الميم وهو المشهور على ما في النهاية وبعضهم
يكسرها وبعضهم يقوله بالفتح وهو موضع بين مكة والمدينة من طريق المدينة وانما حثهم على صعودها لانها

عقبة

عقبة شاقة وصلوا اليها ليلا حين ارادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم في صعودها بقوله فانه يحط عنه بصيغة المجهول
اي يوضع عنه ما حط اي مثل ما وضع عن بني اسرائيل اي لو قالوا ما امروا به وفيه ايماء الى قوله تعالى ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم اي حطتنا ذنوبنا حطة فكان بالفاء وفي نسخة وكان اول من صعدها خيلنا
بالرفع والبدل منه خيل بني الخزرج والمعنى انه كان خيلنا اول خيل من صعدها ثم تتام بتشديد الميم
تفاعل من التمام اي تتابع الناس وجاؤا كلهم وصعدوا والمعنى صعد الثنية كلهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر وهو عبد الله بن ابي رئيس المنافقين فالاستثناء منقطع
نحو جاء القوم الا حمارا فاتيناه فقلنا تعال اي الى الحضرة العلية يستغفر بالجزم على جواب الامر وفي
نسخة ان يستغفر فالتقدير لان يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان اجد ضالتي احب جمل
او خيل احب الي من ان يستغفر لي صاحبكم وهذا الكفر صريح منه وقد اشار اليه قوله تعالى واذا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم رواه مسلم وذكر حديث انس قال اي النبي عليه السلام لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا
عليك اي القران قراءة المعلم على المتعلم تعليما وفيه منقبة عظيمة ومرتبة جسيمة حيث ان الله تعالى نوه
ذكره وميزه عن اقرانه بالقراءة عليه ليكون اماما لحافظه رئيس القراء في باب بعد فضائل القران متعلق بقوله
ذكر

الفصل الثاني

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين
بصيغة التثنية وفي نسخة الذين بصيغة الجمع ولعله للتعظيم او بناء على ان اقل الجمع اثنان من بعدي
اي من بعد موتي او من بعد الاقتداء بي من اصحابي اي من جملة اصحابي ابي بكر وعمر بدل او بيان
للذين واهتدوا بهدي عمار اي سيروا بسيره وكان الاقتداء اعم من الاهتداء حيث يتعلق القول
والفعل بخلاف الاهتداء فانه يختص بالفعل وتمسكوا بعهد ابن ام عبد اي بوصية ابن مسعود
وقوله ولذا اخترنا رواما ما منا الاعظم روايته وقوله على سائر الصحابة بعد الخلفاء الاربعة لكمال فقاهته
ونصح وصيته قال التوربشتي يريد بعهد عبد الله بن مسعود وهو ما عهد اليه فيوصيهم به
وراى انسبه الاشياء بما اراد من عهده امر الخلافة فانه اول من شهد بصحتها واشار الى استقامتها
من افاضل الصحابة واقام عليها الدليل فقال لا نؤخر من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نرضى
لدنيانا من ارتضاه لديننا ويؤيد هذا المعنى المناسبة الواقعة بين اول الحديث واخره فنبه بقوله اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر في اخره وتمسكوا بعهد ابن ام عبد ومما يدل على صحة ما ذهبنا اليه قوله
وفي رواية حذيفة ما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وهذه اشارة الى ما اسر اليه من امر الخلافة في الحديث
الذي نحن فيه ونشهد لذلك ان الاسناد ركل الذي اوصله بحديث الخلافة فقال لو استخلفت عليكم فعصيتموه
عذبتم ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه وحذيفة هو الذي يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ولم ار في التعريض بالخلافة في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوضح من
هذين الحديثين ولا اصح من حديث ابي سعيد سدوا عني كل خوخة الا خوخة ابي بكر رضي الله عنه
ثم قوله بدل وتمسكوا بعهد ابن ام عبد الظاهر بدل تمسكوا فان الواو العاطفة لا بد من وجودها
على التقدير بين رواه الترمذي الرواية الاولى رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب
لا نعرفه الا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل وهو يضعف في الحديث والرواية الثانية رواه الترمذي
ايضا لكن من حديث حذيفة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ادري ما بقائي
فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود
فصدقوه وقال حديث حسن نقله ميرك عن التصحيح اقول وحديث حذيفة رواه احمد والترمذي

وابا ماجة وابن حبان في صحيحه وفي الجامع الصغير اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رواه احمد والترمذي
وابن ماجة ثم اورد الحديث الذي في المشكوة وقال رواه الترمذي عن ابن مسعود والروياني عن
حذيفة وابن عدي عن انس وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت مومرا
وفي نسخة زيادة احدا على انه مفعوله وهو بتشديد الميم المكسورة اي جاعل احدا اميرا يعني امير جيشه
بعينه وفي رواية لو كنت مستخلفا من غير مشورة بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بفتح فضم والوجهان
في الصحاح وفي القاموس مشورة مفعلة لا مفعولة يعني كمقولة لامرت عليهم ابن ام عبد رواه الترمذي
وابن ماجة وفي الجامع بلفظ لو كنت مومرا على امتي احدا من غير مشورة منهم لامرت عليهم ابن ام عبد قال
التوربشتي ومن اي وجه روي هذا الحديث فلابد ان يؤول على انه صلى الله عليه وسلم اراد به تاميره على
جيش بعينه او استخلافه في امر من اموره حال حياته ولا يجوز ان يحمل على غيره لانه فانه وان كان من العلم
والعمل بمكان وله الفضائل الجمة والسوابق الجلة فانه لم يكن من قريش وقد نص رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ان هذا الامر في قريش فلا يصح حمله الا على الوجه الذي ذكرناه وعن خيثمة بفتح الخاء المعجمة وسكون
الياء التحتية وفتح الثاء المثلثة ابن ابي سبرة بفتح السين المهملة فسكون الباء الموحدة قال المولف هو
خيثمة بن عبد الرحمن بن ابي سبرة الجعفي وكان خيثمة من كبار التابعين سمع عليا وابن عمر وغيرهما وعنه
الاعمش ومنصور وعمرو بن مرة وورث مايتي الف فانفقها على العلما قال اتيت المدينة فسالت الله ان
ييسر اي يسهل لي جليسا يصلح ان يجلس معه ويستفاد من مجالسته فيسر لي ابا هريرة فجلست
اليه فقلت اني سالت الله ان ييسر لي جليسا صالحا فوفقت اي جعلت انت موافقا لي واتفق لي مجالسة
فقال من اين انت قلت من اهل الكوفة جئت التمس الخير اي العلم المقرون بالعمل المعبر عنه بالحكمة التي قال الله
فيها ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقد يقال لا خير خير منه ولا خير غيره وطلبه عطف تفسير
يفيد بيان المبالغة فقال اليس فيكم اي في بلدكم سعد بن مالك وهو سعد بن ابي وقاص مجاب الدعوة
وقد تقدم ذكره وبيان اجابة دعوته وابن مسعود صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح
الطاء اي ما يطهر به فانه كان صاحب مطهرته ونعليه وكان صاحب وسادته ونحوها مما يدل على
كمال خدمته وقربه المنتجة لكمال معرفته وحسن ادبه وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمار الذي اجاره من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وسلمان صاحب الكتابين يعني الانجيل
والقران فانه امن بالانجيل قبل نزول القران وعمل به ثم امن بالقران ايضا وهو المعروف بسلمان الخير ولم
يعرف اسم ابيه فسيل عنه فقال انا ابن الاسلام وكان يأكل من كسب يده بعمل الخوص وقد سبق بعض
ترجمته رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابو بكر نعم الرجل
عمر نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح وقد تقدم ذكرهم نعم الرجل اسيد بن حضير بالتصغير فيهما قال المولف
انصاري اوسي كان ممن شهد العقبة الثانية وكان بين العقبتين سنة شهد بدرا وما بعدها من
المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع نعم الرجل ثابت
ابن قيس بن شماس بتشديد الميم نعم الرجل معاذ بن جبل وسبق ذكرهما نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح
بفتح جيم وضم ميم قال المولف انصاري خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وابوه عمرو وهو الذي قتل مع
معاذ بن عفرا ابا جهل وذكرهما ذكر في باب قسمة الغنايم روى ابن عبد البر عن ابي اسحاق ان معاذ بن عمرو
قطع رجل ابي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن ابي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفرا حتى
اثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز راسه حين امره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يلتمس ابا جهل في القتلى روى عنه عبد الله بن عباس ومات في زمان عثمان رواه الترمذي

وكذا

وكذا النسايي وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تشتاق
اشتياقا كثيرا الى ثلاثة اي اشخاص على الجد وجوز رفعه علي وعمار وسلمان قال الطيبي سبيل اشتياق
الجنة الى هولاء الثلاثة سبيل اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ قلت ولعل وجه الاختصاص ان عليا
وعمارا وقعا بين طايفة غريبة من اهل البغي والفساد والتعدي والعناد فقاتلا على طريق السداد حتى قتلا
فيهن قتل من العباد وسلمان وقع في الغربة مدة كبيرة من الزمن وابتلى بالعبودية والمحن رواه الترمذي
وعن علي رضي الله عنه قال استاذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له مرحبا بالطيب المطيب فيه
مبالغة كظل ظليل رواه الترمذي وكذا ابن ماجة وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما خير عمار بضم فتشديد تحتية اي ما جعل مخيرا بين امرين الا اختار ارشدهما وهو اصل الترمذي
اي اصلحهما وفي نسخة مصححة وهو اصل المصابيح اشدهما بالشين المعجمة اي اصعبهما فقيل هذا بالنظر الى
نفسه طلبا في رواية ما اختير عمار بين امرين الا اختار ايسرهما فانه بالنظر الى غيره وفي نسخة اسدهما
بالسين المهملة اي اصوبهما والنظر في الجمع بين الروايات انه كان يختار اصلحهما وهو اصلحهما واصوبهما
فانه يبني ترجيحه والا فاختار ايسرهما رواه الترمذي وكذا النسايي وابن ماجة وفي الجامع بلفظ ارشدهما قال
رواه الترمذي والحاكم وروى ابن عساكر عن عايشة مرفوعا كم ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره
وعن انس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ اي لما حملها الناس وراوها خفيفة قال المنافقون ما اخف جنازته
اما للتعجب وذلك اي استخفافه واستحقاره لحكمه في بني قريظة اي بان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية
فنسبه المنافقون الى الجور والعدوان وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالاصابة في حكمه سبقا في
محله فبلغ ذلك اي كلامهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الملايكة كانت تحمله اي ولذا كانت جنازته
خفيفة على الناس وايضا ثقل الميت مشعر بتعلقه الى الدنيا وخفته الى قوة شوقه للموطن وسرعة
طيران روحه الى المقصد الاعلى قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون
قال الطيبي كانوا يريدون بذلك حقارته وازدرايه فاجاب صلى الله عليه وسلم بما يلزم منه ذلك الخفة
تعظيم شانه وتفخيم امره رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمرو اي ابن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما اظلت الخضراء اي على احد ولا اقلت بتشديد اللام اي حملت ورفعت
الغبراء اي الارض اصدق من ابي ذر مفعول اقلت وصفة لاحد المقدر وهو نوع من التنازع والمراد
بهذا الحصر التاكيد والمبالغة في صدقه لا انه اصدق من غيره مطلقا اذ لا يصح ان يقال ابو ذر
اصدق من ابي بكر رضي الله عنه وهو صديق هذه الامة وخيرها بعد نبيها وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم اصدق من ابي ذر وغيره كذا قالوا وفيه انه صلى الله عليه وسلم وساير
الانبيا مستثنى شرعا واما الصديق لكثرة تصديقه لا يمنع ان يكون احد اصدق في قوله
وقد جاء في الحديث اقراكم ابي وافرضكم علي ولا بدع اذ يكون في المفضول ما لا يوجد في الفاضل او
يشترك هو والافضل في صفة من الصفات على وجه التسوية رواه الترمذي وعن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة بفتح فسكون وقيل بفتحتين
وهي اللسان وقيل طرفه والمعنى من ذوي نطق وقيل لهجة اللسان ما ينطق به اي من صاحب
كلام اصدق اي اكثر صدقا واوفى اي بكلامه من الوعد والعهد من ابي ذر قال الطيبي من
زايدة وذي لهجة مفعول اقلت وقد تنازع فيه العاملان فاعمل الثاني وهو مذهب البصريين
وهذا دليل ظاهر لهم كقوله تعالى يستغفر لكم رسول الله لو اعمل الاول لنصب رسول الله قلت
هذا اصدق في الحديث صفة موصوف محذوف اي ولا اقلت الغبراء احدا ذا لهجة اصدق ثم قوله واوفى

قالت الموصوف الذي ذكر بعينه مذكور لكنه محتاج الى موصوف اخر فالتقدير ولا اقلت الغبرا
احدا والجملة اصدق ثم قوله لو اعمل الاول لنصب رسول الله فيه مسامحة لان تعالوا غير متعد بنفسه
بل بحرف كما في قوله تعالى يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة فالاظهر ان متعلقه محذوف للاكتفا بظهوره
فلا يكون من هذا الباب والله اعلم بالصواب شبيه عيسى بن مريم بالجر بدل اي شبيهه وفي الاستيعاب
من الحديث من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم فلينظر الى ابي ذر انتهى فالتشبيه يكون من
جهة التواضع فقول الراوي يعني في الزهد مبني على عدم اطلاعه للحديث المذكور مع انه لا منافاة بين
ان يكون متواضعا وزاهدا بل الزهد هو الموجب للتواضع ثم قوله يعني في الزهد يعني في المصابيح وانما
هو من زوايد صاحب المشكوة رواه الترمذي قال ميرك وزاد فيه فقال عمر بن الخطاب افنعرف ذلك له
قال نعم فاعرفوه له انتهى وهو حديث رجاله موثقون وفي الجامع رواه احمد والترمذي وابو داود والحاكم
في مستدركه عن ابن عمرو ما اظلت الخضرا ولا اقلت الغبرا من ذي لهجة اصدق من ابي ذر قال التوربشتي
قوله اصدق من ابي ذر مبالغة في صدقه لا انه اصدق من كل على الاطلاق لانه لا يكون اصدق من ابي بكر
بالاجماع فيكون عاما قد خص قال الطيبي يمكن ان يراد به انه لا يذهب الى التورية والمعاريض
في الكلام فلا يرخي عنان كلامه ولا يواسي مع الناس ولا يسامحهم ويظهر الحق البحت والصدق
المحض ومن ثم عقبه بقوله ولا اوفى اي يوفي حق الكلام ايضا لا يغادر شيا منه وقد روى الامام احمد
عن ابي ذر انه استاذن على عثمان فاذن له وبيده عصاه فقال عثمان يا كعب ان عبد الرحمن توفي وترك
مالا فما ترى فيه فقال ان كان يصل فيه حق الله تعالى فلا باس عليه فرفع ابو ذر عصاه فضرب كعبا وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب لو ان لي هذا الجبل ذهبا انفقه ويتقبل مني اذر خلفي
منه ست اواقي انشدك بالله يا عثمان اسمعته ثلاث مرات قال نعم وروى ابن عبد البر ان
عثمان استقدمه لشكوى معاوية منه فاسكنه الربذة فمات بها وقال علي في حقه ذاك
رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم اوكى عليه شيئا وعن معاذ بن جبل لما حضرت الموت قال
اي معاذ التمسوا العلم اي علم الكتاب والسنة او علم الحلال والحرام وهو الاظهر لقوله صلى
الله عليه وسلم اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وبهذا نظهر ايضا وجه الخصوصية عند
اربعة اي من الرجال عند عويمر تصغير عامر ابي الدردا قال المولف هو عويمر بن عامر الانصاري
الخزرجي واشتهر بكنيته والدردا ابنته تاخر اسلامه قليلا وحسن اسلامه وكان فقيها عالما
سكن الشام ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين وعند سلمان وعند ابن مسعود وعند
عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فاسلم صفة كاشفة قال الطيبي ليس بصفة مميزة لعبد
الله لانه لا اشتراك في اسمه غيره بل هو مدح له في التوصية بالتماس العلم منه لانه جمع بين الكتابين
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه اي عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة
اي مثل عاشر عشرة ونحوه ابو يوسف ابو حنيفة اذ ليس هو من العشرة المبشرة كذا
ذكره ميرك وهو مؤدى كلام الطيبي والمعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة في الجنة ذكره
السيد جمال الدين وفيه انه يلزم تقدمه على بعض العشرة فلعله العاشر من الذين اسلموا
من اليهود او ما عدا العشرة المبشرة فيدخل الجنة بعد تسعة عشر من الصحابة والله اعلم رواه الترمذي
وكذا النسائي وعن حذيفة قال قالوا اي بعض الصحابة بعد امتناعه من الاستخلاف يا رسول الله
لو استخلفت اي ان استخلفت شخصا فمن يكون وقال الطيبي لو هذه للتمني اي ليتنا او الامتناعية
وجوابه محذوف اي لكان خيرا انتهى وفيه انه نوع اعتراض قال ان استخلفت عليكم اي احدا فعصيتموه

اي استخلافي او مستخلفي عذبتم اي عذابا شديدا قال الطيبي عذبتم جواب الشرط ويجوز
ان يكون مستانفا والجواب فعصيتموه والاول اوجه لما يلزم من الثاني ان يكون الاستخلاف
اي سببا للعصيان والمعنى ان الاستخلاف المستعقب للعصيان سببا للعذاب وقوله ولكن
ما حدثكم حذيفة فصدقوه وما اقراكم عبد الله اي ابن مسعود فاقروه من الاسلوب الحكيم لانه
زيادة على الجواب كانه قيل لا يهمكم استخلافي فدعوه ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا
بهما وخص حذيفة لانه كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنذرهم من الفتن الدنيوية
وعبد الله بن مسعود لانه كان منذرهم من الامور الاخروية انتهى والاظهر انه استدراك من مفهوم
ما قبله والمعنى ما استخلف عليكم احدا واكلكم الى الله ثم وجه اختصاصهما بهذا المقام انهما
شاهدان على صحة خلافة الصديق على ما تقدم والله اعلم ففيه اشارة الى الخلافة دون العبارة
لئلا يترتب على الثاني شيء من المعصية الموجبة للتعذيب بخلاف الاول فانه ينفي للاجتهاد مجالا
رواه الترمذي قال ميرك وفي اسناده شريك وفيه مقال قلت واخرجه ابن السمان عن حذيفة
ولفظه قالوا يا رسول الله الا تستخلف قال اني ان استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب
بكم قالوا الا نستخلف ابا بكر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في امر الله ضعيفا في نفسه قالوا
الا نستخلف عمر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في دين الله قويا في بدنه قالوا الا نستخلف
عليا قال لا ان تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الطريق المستقيم وعنه اي
عن حذيفة قال ما احد من الناس تدركه الفتنة اي البلية الدنيوية الا انا اخافها عليه الا محمد
ابن مسلمة بكسر فسكون ففتح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اي مخاطبا له لا
تضرك الفتنة قال المولف انصاري حارثي شهد المشاهد كلها الا تبوك روى عنه جمع وغيره
من الصحابة وكان من فضلاء الصحابة وكان من الذين اسلموا على يد مصعب بن عمير بالمدينة
ومات بها سنة ثلاث واربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة رواه هنا بياض في اصل المص وكتبوا
فيه رواه ابو داود وسكت عنه واقره عبد العظيم وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى في بيت الزبير اي ابن العوام مصباحا اي سراجا فقال يا عايشة ما ارى بضم الهمزة
وفتح الراء اي ما اظن اسما وهي اخت عايشة زوجة الزبير الا قد نفست بضم النون وكسر
الفا وقد يفتح النون اي ولدت وصارت ذا نفاس ولا تسموه بالواو وفي المصابيح فلا تسموه وهو
بصيغة الخطاب تغليبا للحاضر على الغايب والضمير للمولود حتى اسميه فسماه عبد الله وحنكه بتمرة
بتشديد النون بيده يقال حنكت الصبي اذا مضغت تمرا او غيره ثم دلكته بحنكه وفيه انه
اذا ولد لاحد ولد ان يطلب من شريف القوم ان يسمي ذلك الولد ويحنكه بتمرة او عسل ونحوهما
من الحلاوة تبركا بيراقه قال المولف هو اسدي قرشي كناه النبي صلى الله عليه وسلم بكنية جده لامه ابي
بكر الصديق وسماه باسمه وهو اول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة اول سنة من
الهجرة واذن ابو بكر في اذنه ولدته امه اسما بقبا واتت به النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره فدعا
بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه وكان اول شي دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم دعا له وبرك عليه وكان اطلس لا شعر في وجهه كان كثير الصيام والصلوة شهما ذا انفة
شديد الباس قايلا بالحق وصولا للرحم اجتمع له ما لم يجتمع لغيره ابوه حواري رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامه اسما بنت الصديق وجده الصديق وجدته صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم وبايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني سنين قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه يوم الثلاثا

مطلب مناقب معاوية

سبع عشرة خلت من جمادى الاخرى سنة ثلاث وسبعين وكان بويع له بالخلافة سنة اربع وستين
وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة فاجتمع على طاعته اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان
وغير ذلك ما عدا الشام او بعضه وحج بالناس ثمان حجج روى عنه خلق كثير رواه الترمذي
وعن عبد الرحمن بن ابي عميرة بفتح فكسر مدني صحابي كذا ذكره ميرك وقال المؤلف مزني وقيل
قرشي مضطرب الحديث لا يثبت في الصحابة قاله ابن عبد البر وهو شامي روى عنه نفر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاوية الظاهر المتبادر من الاطلاق انه معاوية بن ابي
سفيان والا فمعاوية بن الحكم ومعاوية بن حاجة ايضا من الصحابة على ما ذكره المؤلف اسما
رجاله اللهم اجعله هاديا اي للناس او دالا على الخير مهديا بفتح الميم وتشديد الياء اي
مهتديا في نفسه واهد به اي بمعاوية الناس فيه تاكيد لمعنى الهداية المتعدية اعلم
ان الهداية اما مجرد الدلالة او هي الدلالة الموصلة الى البغية قال الامام محمد بن اسماعيل
البخاري فهديناه دللناه على الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين والهدى الذي
للارشاد بمعنى الاسعاد من ذلك قوله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال غيره معنى الهداية في اللغة الدلالة هداه في الدين يهديه اذا دله على الطريق والهدى
يذكر لحقيقة الارشاد ايضا ولهذا جاز النفي والاثبات قال تعالى انك لا تهدي من احببت
وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال الطيبي لو حمل قوله هاديا على المعنى الاول
كان قوله مهديا تكميلا له لانه رب هاد لا يكون مهديا وقوله واهد به تتميما لان الذي
فاز بهوله فوزا بتعة كل احد فكمل ثم تمم واذا ذهب الى المعنى الثاني كان مهديا تاكيدا
وقوله اهد به تكميلا يعني انه كامل مكمل ولا ارتياب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب
فمن كان هذا حاله كيف يرتاب في حقه ومن اراد زيادة بيان في معنى الهداية فعليه
بفتوح الغيب فان فيه ما يكفيه قال المؤلف قرشي اموي وامه هند بنت عتبة كان
هو وابوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم وهو احد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل لم يكتب له من الوحي شيئا انما كان يكتب له كتبه روى عنه ابن عباس
وابو سعيد تولى الشام بعد اخيه يزيد في زمن عمر ولم يزل بها متوليا حاكما الى ان مات
وذلك اربعون سنة منها في ايام عمر اربع سنين او نحوها ومدة خلافة عثمان وخلافة
علي وابنه الحسن وذلك تمام عشرين سنة ثم استوثق له الامر بتسليم الحسن بن
علي اليه في سنة احدى واربعين ودام له عشرين سنة ومات في رجب بدمشق وله
ثمان وسبعون سنة وكان اصابته لقوة في اخر عمره وكان يقول في اخر عمره يا ليتني كنت رجلا
من قريش بذي طوى ولم ار من هذا الامر شيئا وكان عنده ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورداؤه وقميصه وشيء من شعره واظفاره فقال كفنوني في قميصه وادرجوني في ردائه
وازروني بازاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره واظفاره وخلوا بيني
وبين ارحم الراحمين رواه الترمذي وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلم الناس التعريف فيه للعهد والمعهود مسلمة الفتح من اهل مكة وامن عمرو بن العاص اي
قبل الفتح بسنة او سنتين طايعا راغبا مهاجرا الى المدينة فقوله صلى الله عليه وسلم هذا تنبيه
على انهم اسلموا رهبة وامن عمرو رغبة فان الاسلام يحتمل ان يشوبه كراهة والايمان لا يكون الا
عن رغبة وطواعية كذا ذكره الطيبي وغيره وقال ابن الملك انما خصه بالايمان رغبة لانه وقع

اسلامه

اسلامه وهو في الحبشة حين اعترف النجاشي بنبوته فاقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا من غير ان يدعوه
احد اليه فجاء الى المدينة في الحال ساعيا فامن فامره النبي صلى الله عليه وسلم على جماعة فيهم الصديق والفاروق
وذلك لانه كان مبالغا قبل اسلامه في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم واهانة اصحابه فلما من الله تعالى
عليه وسلم ان يزيل عن قلبه اثر تلك الوحشة المتقدمة حتى يامن من جهته ولا يياس من رحمة الله
تعالى رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وليس اسناده بالقوي وعن جابر قال لقيني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر ما لي اراك منكسرا اي منكسر البال والخاطر يعني مهموما حزينا مغموما قلت استشهد
ابي وترك عيالا اي كثيرا ودينا اي ثقيلا لما جمع الحزن قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك قالت بلى
يا رسول الله قال ما كلم الله احدا قط اي قبل ابيك ففيه ايماء الى انه بخصوصه افضل من سائر الشهداء
الماضية حيث ما كلم الله احدا منهم الا من وراء حجاب فيه اشارة الى ان قوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب الاية مقيد بالدنيا لقوله واحيا اباك فكلمه كفاحا بكسر الكاف اي
مواجهة عيانا فقال النهاية اي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول وقال شارح اي كلمه بلا من
غير واسطة بينه وبين الله تعالى فان قلت كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى بل احياء
عند ربهم لان التقدير هم احياء فكيف يحيي الحي قال المظهر قيل جعل الله تعالى ارواحهم في جوف
طير خضر فاحياه كما قال الطيبي بتكرار الروح فصح الاحيا واراد بالاحيا زيادة قوة روحه فشاهد الحق
بتلك القوة قال الطيبي وهذا الجواب ايضا من الاسلوب الحكيم اي لا تهتم بشان امر دنيا من هم
عياله وقضاء دينه بان الله يقضي عنه دينه ببركة نبيه ويلطف بعياله ولكن انشرك بما هو فيه من
القرب عند الله سبحانه وما لقيه به من الكرامة والمنحة قال يا عبدي اي التماس تمن علي اي ما تريد اعطك
اي اياه مع المزيد قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية اي استشهد في سبيلك مرة اخرى ليكون وسيلة
الى زيادة مرضاة المولى قال الرب تعالى انه قد سبق مني انهم اي الاموات لا يرجعون اي الى الدنيا بحيث
انهم يعيشون فيها مدة طويلة يعملون فيها الطاعة فلا ينافي وقوع احياء بعض الاموات لعيسى وغيره والاظهر
ان الضمير راجع الى الشهداء ومعناه لا يرجعون بالتناسخ وتمنيهم فلا يشكل بشهداء رجاله ايضا وقال السيد
جمال الدين انهم اي اهل احد او مطلق الشهداء فلا يشكل بقصة عزير فنزلت اي في حقه واصحابه من شهداء
احد ولا تحسبن بالخطاب مع فتح السين وكسرها اي لا تظن ايها المخاطب وفي قراءة بالغيبة اي لا يحسبن حاسب
الذين قتلوا وفي رواية بالتشديد قتلوا اي استشهدوا في سبيل الله امواتا مفعول ثان الاية يعني
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل اي الى قوله وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين رواه الترمذي اي وقال حسن غريب وعنه اي عن جابر رضي الله عنه قال استغفر لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة يحتمل ان يكون في مجلس او مجالس ويؤيد الاول قوله رواه
الترمذي حيث لفظه استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا وعشرين وقال حديث
حسن وقصة البعير سبقت قال المؤلف جابر بن عبد الله كنيته ابو عبد الله الانصاري السلمي من
مشاهير الصحابة واحد المكثرين من الرواية شهد بدرا وما بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثماني
عشرة غزوة وقدم الشام ومصر وكف بصره في اخر عمره روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة اربع
وسبعين وله اربع وتسعون سنة وهو اخر من مات بالمدينة سنة اربع وسبعين من الصحابة في قول
وما ابوه يذكره المؤلف في اسمائه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من اشعث كناية اي
متفرق شعر الراس اغبر اي مغبر البدن ذي طمرين بالكسر فسكون اي صاحب ثوبين خلقين لا يؤبه

بضم يا وسكون حا وقد يهمز وفتح موحدة في النهاية يقال لا يبالي به ولا يلتفت اليه لحقارته وتقاله اما وصهت لم يتج
البا وكسرها وبها وويه بالسكون طالفتح واصل الواو الهمزة انتهى والمفهوم من القاموس ان الهمز قال ابن
الملك كم خبرية مبتدا ومن مبين لها وخبره لا يوبه انتهى والظاهر ان الخبر هو قوله لو اقسم على الله لابره اي
لامضاه على الصدق وجعله بارا في الحلف منهم البرا بن مالك وهو اخو انس شهد احدا وما بعدها من المشاهد
وكان من الابطال الاشدا قتل من المشركين مائة مبارزة سوى من شارك فيه ولم يذكره المولف في اسمايه
رواه الترمذي والبيهقي في دلايل النبوة وكذا الضيا وعن ابي سعيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الا
للتنبيه ان عيبتي اي خاصتي التي اوي اي اميل وارجع اليها اهل بيتي وان كرشي اي بطانتي
الانصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن وفي نسخة من محسنهم والضمير راجع الى الصنفين من اهل
البيت والانصار على حد قوله تعالى هذان خصمان اختصموا ويحتمل ان يرجع الى الاخير والاول يفهم
بالطريق الاولى رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يبغض الانصار اي جميعهم او جنسهم احد يومن بالله واليوم الاخر رواه الترمذي وقال هذا
حديث حسن صحيح وعن انس عن ابي طلحة اي زوج امه قال قال لي اي بخصوصي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقرى بفتح الهمز وكسر الرا وفي نسخة كما في المصابيح بكسر همزة وفتح را ابلغ قومك السلام في
النهاية يقال اقري فلانا السلام واقرا عليه السلام وكانه حين يبلغه السلام يحمله على ان يقرا السلام
وفي المغرب اقرا سلامي عليه فلانا واقريه سلامي اي عامي وفي القاموس قرا عليه السلام ابلغه كاقراه ولا يقال
اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا وفي الصحاح فلان قرا عليك السلام واقراك السلام بمعنى واقراه القران
فهو مقري وفي المصباح قرات على زيد السلام اقراه عليه قراة واذا امرت منه قلت اقرا عليه السلام قال الاصمعي
وتعديته بنفسه خطا فلا يقال اقراه السلام لانه بمعنى اتل عليه وحكى ابن القطان انه يتعدى بنفسه
رباعيا فيقال فلان يقريك السلام فانهم اي قومك ما علمت ما موصولة اي بناي ما علمته فيهم من الصفات
اعفة بفتح فكسر فتشديد جمع عفيف وهي خبر ان وما علمت معترضة صبر بضمتين جمع صابر كبزل وبازل
وفي نسخة بضم فتشديد مفتوحة كركع جمع راكع قال الطيبي ما موصولة والخبر محذوف اي الذي علمت منهم
انهم كذلك يتعففون عن السوال ويتحملون الصبر عند القتال وهو مثل ما في الحديث يقلون عند الطمع ويكثرون
عند الفزع وقال شارح ما مصدرية يعني انهم يتعففون ويتحملون مدة علمي بحالهم او في علمي بحالهم
او موصولة اي فيما علمت منهم رواه الترمذي وعن جابر ان عبدا لحاطب اي ابن ابي بلتعة جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن حاطب النار اي لكثرة
ما ظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت اي حيث جزمت واكدت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية
اي ومن حضرهما لا يدخل النار جزما او رجاء وما بدر منه اي انه خطا بمقتضى عتابه بقوله في كتابه يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية رواه مسلم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه
الاية اي قوله تعالى وان تتولوا اي ان تعرضوا وتنصرفوا وتخرجوا عن الايمان بمحمد ونصرة دينه يستبدل اي
الله قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم اي خيرا منكم قالوا اي بعض الصحابة من هولاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا
بنا ثم لا يكونوا امثالنا وفيه رد على ابن الملك حيث قال الخطاب لعشاير قريش فضرب اي النبي صلى الله عليه
وسلم بيده على فخذ سلمان الفارسي رضي الله عنه اي قربه ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا
لتناوله رجال من الفرس بضم فسكون اي طايفة العجم مطلقا او من يكون لسانه فارسيا او من
بلده فارس وهو اقليم منه شيراز والاول اظهر لما يدل عليه الحديث الذي يليه رواه الترمذي
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ذكرت الاعاجم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

بل يكونون صح

اي بالمدح

اي بالمدح او الذم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا بهم او ببعضهم شك من الراوي والظاهر ان المراد بهم
بمجموعهم فلا ينافي قوله او ببعضهم اوثق اي ارجى في الاعتماد على طلب الدين مني بكم او ببعضكم قيل فيه
تفضيل الاعاجم اقول والظاهر ان هذا مقتبس من قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما
كانوا به مومنين ومن قوله ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمي وعربي ومن الاية
السابقة هذا قال المظهر انا مبتدا واوثق خبره ومني صلة اوثق والبا في بهم مفعوله واو عطف على بهم
والبا في بكم مفعول فعل مقدر يدل عليه اوثق ولو في او ببعضكم عطف على بكم متعلق ايضا باوثق اذ هو
في قوة الوثوق وزيادة فكانه قال انا جاز ان يعمل في مفعولين او باخر دل عليه الاول والمعنى وثوقي
واعتمادي بهم او ببعضهم اكثر من وثوقي بكم او ببعضكم قال الطيبي الاول من باب العطف على السياق
والثاني من باب العطف على التقدير والمخاطبون بقوله بكم او ببعضكم قوم مخصوصون دعوا الى الانفاق
في سبيل الله فتقاعدوا عنه فهو كالتانيب والتعيير عليهم ويدل عليه قوله تعالى في الحديث
السابق وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه جاء عقيب قوله تعالى ها انتم هولاء تدعون لتنفقوا
في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني انتم هولاء المشاهدون بعد ما رسمنا لكم الاحوال وعلمكم بان الانفاق
في سبيل الله خير لكم تدعون اليه فتتثبطون عنه وتتولون فان استمر توليكم يستبدل الله قوما غيركم
يبذلون لارواحهم واموالهم في سبيل الله ولا يكونون امثالكم في الشح المبالغ فهو تعريض وحث لهم
على الانفاق فلا يلزم منه التفضيل قلت ان كان مراده انه لا يلزم التفضيل مطلقا فهو خلاف
الكتاب والسنة مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وان كان مراده انه لا يلزم التفضيل
المطلق فهو صحيح اذ يدل على انهم في بعض الصفات افضل من العرب ولا يبعد ان يوجد في المفضول
زيادة فضيلة بالنسبة الى بعض فضايل الفاضل فجنس العرب افضل من جنس العجم بلا شبهة
وانما الكلام في بعض الافراد والله اعلم بالعباد رواه الترمذي

الفصل الثالث

عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي سبعة نجبا فبالاضافة سبعة
نجبا على وزن فعلا جمع والنجيب هو الكريم المختار والرقيب الحافظ على الاقتدار والمراد بهم الموجودون
في زمن كل نبي لقوله واعطيت انا اربعة عشر اي نجيبا رقيبا بطريق الضعف تفضلا فقلنا من هم
اي الاربعة عشر قال انا قال الطيبي فاعل قال ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وانا ضمير علي رضي الله عنه يعني هو
عبارة عنه نقله بالمعنى اي بقوله انا وابناي اي الحسنان وجعفر اي اخو علي وحمزة قال المولف حمزة
بن عبد المطلب كنيته ابو عمارة بضم العين عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاعة ارضعتهما
ثويبة مولاة ابي لهب وهو اسد الله اسلم قديما في السنة الثانية من المبعث وقيل بل كان اسلام حمزة
بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم في السنة السادسة فاعز الله الاسلام باسلامه
وشهد بدرا واستشهد يوم احد وحشي بن حرب وكان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
باربع سنين قال ابن عبد البر ولا يصح هذا عندي لانه رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يكون
ثويبة ارضعتهما في زمانين وقيل كان اسن منه بسنتين روى عنه علي والعباس وزيد
ابن حارثة انتهى وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود وابو
ذر والمقداد وقد تقدم تراجمهم والواو لمطلق الجمع رواه الترمذي وعن خالد بن الوليد قال
المولف مخزومي وامه لبابة الصغرى اخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان احد اشراف
قريش في الجاهلية سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله مات سنة احدى وعشرين واوصى
الى عمر بن الخطاب وروى عنه ابن خالته ابن عباس وعلقمة وجبير بن نفير قال كان بيني وبين

عمار بن ياسر كلام اي مكالمة في معاملة فاغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاء خالد قال الطيبي هذا الكلام من الراوي يعني خالد وقال محذوف يدل عليه قوله بعده قال
خالد فخرجت وقال ميرك يحتمل ان يكون من كلام خالد على الالتفات وهو اي عمار يشكوه اي
خالدا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اي الراوي فجعل اي خالد يغلظ له اي لعمار في الكلام ولا يزيده
اي خالد عمارا الا غلظة اي شدة في الغضب والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم تأكيد لما قبله فبكى
عمار اي من قلة صبره وكثرة غضبه وراي انه صلى الله عليه وسلم خافض راسه كانه متفكر في امره
فتضرع اليه وقال اي عمار يا رسول الله الا تراه اي الا تعلم خالدا فيما يقول في حقي من الغلظة فرفع النبي
صلى الله عليه وسلم راسه وقال من عادى عمارا اي بلسانه عاداه الله ومن ابغض عمارا اي بقلبه ابغضه الله
قال خالد فخرجت اي من عنده صلى الله عليه وسلم اي تسكينا للقضية وعلى قصد ارضاء عمار بالطيبة
مما يدل عليه قوله فما كان شيء احب الي من رضى عمار اي بعد ما خرجت فلقيته اي فواجهته بما رضي اي من
التواضع والاستحلال والاعتناق ونحوها من اسباب الرضى فرضي اي عمار عني رضي الله عنهما وعن
ابي عبيدة بن الجراح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خالد سيف الله
اي كسيف سله الله على المشركين وسلطه على الكافرين اونه واسيف من سيوف الله عز وجل اي حيث
يقاتل مقاتلة شديدة في سبيله اعداء دينه وقال الطيبي هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم جعل بالادعاء جنس السيوف نوعين متعارف وغير متعارف وخالد من
احد نوعيه انتهى والظاهر ان الاية ليست من هذا القبيل بل هو استثناء منقطع اي لكن من
اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه سلامة قلبه في ذلك اليوم او المضاف مقدر اي الا مال وابن من
اتى الله فالاستثناء متصل والتقدير يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم
ونعم فتى العشيرة اي في بني مخزوم والمخصوص بالمدح محذوف اي هو رواهما احمد
وفي الجامع خالد بن الوليد سيف من سيوف الله رواه البغوي عن عبد الله بن جعفر ورواه
ابن عساكر عن عمر مرفوعا خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ورواه
الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة اسد الله واسد
رسوله وابو عبيدة بن الجراح امين الله وامين رسوله وحذيفة بن اليمان من اصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من
تجار الرحمن عز وجل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امرني بحب اربعة
اي على الخصوص واخبرني انه اي سبحانه وتعالى يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا اي حتى نحب
حبهم ايضا تبعا لمحبة الله ورسوله قال علي منهم وفي نسخة الجامع منهم علي يقول ذلك ثلاثا اي للاشعار
بانه افضلهم او يحبه قدر ثلاثتهم وابو ذر والمقداد وسلمان امرني بحبهم واخبرني انه يحبهم هذه
فذلكة مفيدة لتاكيد ما سبق رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ولفظ الجامع ان الله
امرني بحب اربع واخبرني انه يحبهم علي منهم وابو ذر والمقداد وسلمان رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم
في مستدركه وعن جابر قال كان عمر يقول ابو بكر سيدنا اي خيرنا وافضلنا واعتق اي ابو بكر سيدنا يعني
اي يريد عمر بقوله سيدنا الثاني بلالا وانما قاله تواضعا فان عمر افضل منه اجماعا وقال التين يعني ان بلالا من
السادة ولم يرد انه افضل من عمر وقال غيره السيد الاول حقيقة والثاني قاله عمر تواضعا على سبيل المجاز
اذ السيادة لا تنفي الافضلية وقد قال ابن عمر ما رايت اسود من معاوية مع علمه انه راى ابا بكر وعمر كذا
ذكره العسقلاني في فتح الباري والاظهر انه قال ابن عمر بعد الخلفاء الاربعة فالمراد به انه اسود في زمانه
رواه البخاري وعن قيس بن ابي حازم قال المؤلف هو احمسي بجلي ادرك زمن الجاهلية واسلم وجاء الى

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده توفي في تابعي الكوفة روى عن العشرة الا عن عبد الرحمن بن عوف
وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة الا هو وروى
عنه جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين شهد النهروان مع علي بن ابي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة ومات
سنة ثمان وتسعين ان بلالا قال لابي بكر اي حين اراد التوجه الى الشام بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم لعدم صبره على رؤية المسجد النبوي بغير حضوره صلى الله عليه وسلم وعدم القدرة على الاذان فيه
ولا على تركه في زمن غيره وسيجيء انه صار سيد الابدال ومحلهم غالبا هو الشام ومنعه ابو بكر رضي الله عنه
اي عن الرواح بالالزام على المجاورة ومحاجتيا والاذان ان كنت انما اشتريتني لنفسك اي لرضاها فقط
من عداها فامسكني اي فاحكم علي بالقعود وان كنت انما اشتريتني لله فدعني اي فاتركني وعمل الله
اي العمل الذي اخترته لله او الامر الذي قدره الله وقضاه واما حديث رحيل بلال ورجوعه الى
المدينة بعد رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام واذانه بها وارتجاج المدينة فلا اصل له وهي بينة الموضع
ذكره السيوطي في الذيل رواه البخاري وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني مجهود اي فقير اصابه الجهد وهو المشقة والحاجة والجوع فارسل اي النبي عليه السلام
الى بعض نسائه اي من الازواج الطاهرات فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي اي من الماكول والمشروب
الا ماء ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك اي وهكذا حتى ارسله الى كل واحدة منهن وقلن كلهن
مثل ذلك ولعل هذا كان في اول الحال قبل ان يفتح خيبر وغيرها وتحصل الغنائم والاموال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه بصيغة من باب التفعيل وفي نسخة من باب الافعال وهو مرفوع
من موصولة مبتدا خبره جملة يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة وهو زيد بن سهل
الانصاري زوج ام انس بن مالك وسبق ذكره فقال انا اي اضيفه يا رسول الله فانطلق به الى رحله
اي منزله فقال لامراته هي ام سليم ام انس هل عندك شيء اي من الطعام قالت لا الا قوت صبياني بالرفع
وقيل بالنصب اي الا قوت الصغار بناء على انهم يجوعون في كل ساعة من الليل والنهار ولا يفي
المعلوم انه لا يجوز اجاعة الصبيان وايثار غيرهم واطعام الضيفان واطاعتهم قال فعلليهم اي
سليهم من عللهم بشيء اي الهيهم به ونوميهم اي رقديهم وكانه فصله انهم لن يروا اكل الضيف
فيشتهوا كما هو عادة الاولاد فاذا دخل ضيفنا فاريه اي فاحضري الاناء كانت عجوزا والقضية
قبل الحجاب واطعميه انا جميعا فاطمه اي من هذا الطعام فان الضيف اذا راى ان احدا امتنع
من الاكل ربما تشوش خاطره فاذا اهوى اي قصد الضيف ومد يده للاكل فقومي الى السراج كي
تصلحيه اي لاصلاحه فيه تعليلية فاطفئيه اي ليقع الظلام فلا يطلع على امتناعنا من اكل الطعام
ففعلت فقعدوا اي ثلاثتهم واكل الضيف وباتا طاويين اي جائعين فلما اصبح اي الضيف قال
الطيبي هو ههنا تامة وقوله غدا اي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب لما وفيه معنى
الاقبال اي لما دخل في الصباح اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم غاد بالنصب في النسخ المصححة
الى رسول الله فالمعنى ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغدوة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي بنور الكشف او من طريق الوحي لقد عجب الله او ضحك الله والمعنى رضي
من فلان وفلانة اي ابي طلحة وزوجته وفي رواية مثله بالنون وفي نسخة بالنصب اي مثل
ما ذكر من الحديث المتقدم ولم يسم ابا طلحة اي في هذه الرواية وفي اخرها فانزل الله تعالى ويؤثرون
اي اضيافهم او غيرهم على انفسهم اي على حظوظها ولو كان اي وقع بهم خصاصة اي حاجة
ومجاعة قال الطيبي والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض اي يؤثرون على انفسهم مفروضة خصاصتهم

متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فجعل الناس يمرون
اي علينا من كل جانب فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا يا ابا هريرة فاقول فلان اي اسميه
باسمه ووصفه فيقول نعم عبد الله هذا ويقول اي فيما غيره من هذا فاقول فلان فيقول بئس
عبد الله هذا وهذا من باب ما روى ابو يعلى وغيره مرفوعا اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس
حتى مر اي استمر هذا السؤال والجواب حتى مر خالد بن الوليد فقال من هذا فاقول خالد بن الوليد
وفي هذا اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان في خيمة وابو هريرة خارجها والا فمثل خالد بن الوليد
لا يخفى عليه صلى الله عليه وسلم فقال نعم عبد الله اي هذا خالد بن الوليد سيف من سيوف الله
او التقدير نعم عبد الله خالد بن الوليد هو سيف من سيوف الله والجملة على التقديرين مبنية
لسبب المدح رواه الترمذي وعن زيد بن ارقم قال قالت الانصار يا نبي الله لكل نبي اتباع
وانا قد اتبعناك بتشديد التاء اي بالغنا في اتباعك لانا اخذنا تبعناك فادع الله ان يكون
اتباعنا منا اي متصلين بنا مقتفين اثارنا باحسان كما قال تعالى والتابعين لهم باحسان وقال
غيره اتباع الانصار حلفاؤهم والموالي والمعنى ادع الله ان يقال لهم الانصار حتى يتبينوا ولهم الوصية
لهم باحسان اليهم وغير ذلك فجعل اي النبي عليه السلام اي يجعل اتباعهم منهم رواه البخاري وعن
قتادة تابعي جليل مشهور سبق ذكره قال ما نعلم حيا اي ما نعرف قبيلة وقوما من احياء العرب
اي من قبائلهم اكثر شهيدا صفة حيا بعد صفة وكذا قوله اعز اي شهيدا يوم القيامة اي يتحقق
فيه من الانصار والجار متعلق بالافعلين على التنازع قال اي قتادة دليلا على ما ذكره قال انس
قتل منهم اي من الانصار يوم احد سبعون ظاهره ان الجميع من الانصار وهو كذلك الا القليل
اذ روى ابن منده من حديث ابي قتل من الانصار يوم احد اربعة وستون من المهاجرين
ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه ويوم بئر معونة بفتح فضم سبعون ويوم اليمامة على عهد
ابي بكر سبعون رواه البخاري وعن قيس بن حازم قال كان اي في زمن الصديق عطاء البدريين
اي الذين حضروا قضية بدر خمسة الاف خمسة الاف كرره ليفيد ان لكل واحد منهم له خمسة الاف
وقال عمر لافضلنهم على من بعدهم اي على غيرهم في المرتبة يعني كان عطاياهم كلهم بخلاف غيرهم وانا ايضا
لافضلنهم على غيرهم وان زدت على هذا المقدار رواه البخاري تسمية من سمي من اهل بدر في
جامع البخاري رحمه الله رضي الله عنهم اجمعين اي هذا ذكر من ذكر من اهل بدر باسمائهم في صحيح البخاري
حقيقة او حكما ليدخل عثمان دون من لم يسم فيه ودون من لم يذكر فيه اصلا قال ميرك والمراد
بمن سمي من جاء ذكره فيه برواية عنه او عن غيره بانه شهد بدرا لا مجرد ذكره دون التنصيص على
انه شهدها وبهذا يجاب عن ذكر ابي اده مثل ابي عبيدة بن الجراح فانه شهدها باتفاق
اهل الحديث والسير وذكره في صحيح البخاري في عدة مواضع الا انه لم يقع فيه التنصيص على
انه شهدها انتهى وقد سبق في رواية ابي داود عن ابن عمر انه خرج يوم بدر ثلاثمائة وخمسة
عشر وجاء في رواية ان المشركين كانوا الفا والصحابة ثلاثمائة وسبعة عشر النبي محمد بن
عبد الله الهاشمي بدا به صلى الله عليه وسلم تيمنا بذكره وتبركا باسمه ذكره ميرك ودفعا لتوهم انه
لم يكن معهم عبد الله بن عثمان اسم الصديق عبد الله وعثمان اسم ابيه ابي قحافة وكنيته ابو
بكر الصديق القرشي يعني التيمي وكان انيسه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجليسه في العريش
وحافظه من العدو وشاهرا سيفه على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه احد الا هوى
اليه عمر بن الخطاب العدوي منسوب الى عدي بن كعب بطن من قريش عثمان بن عفان القرشي

وممن سعد وجل

يعني الاموي خلفه النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد اللام اي تركه خلفه خليفة للاطلاع على ابنته رقية
على ما في نسخة السيد لكنه ليس في البخاري والمعنى لمراعاة حالها فانها كانت مريضة فتح وضرب له بسهمه
اي وقدر له بنصيبه من الغنيمة علي بن ابي طالب الهاشمي عن ابن عباس قال كانت راية رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال الحاكم يوم بدر والمشاهد اخرجه احمد في المناقب ثم اعلم ان المص الى ههنا
راعى المراتب الرتبية ثم اعتبر ترتيب الحروف الهجائية ايا من بكسر الهمزة وبفتح ابن البكير بتصغير البكر
هو المولف هو ليثي شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكان اسلامه في دار الارقم مات سنة اربع
وثلاثين بلال بن رباح بفتح الراء مولى ابي بكر الصديق حمزة بن عبد المطلب الهاشمي عم النبي صلى الله عليه
وسلم حاطب بن ابي بلتعة حليف لقريش وسبق انه حاطب الى بدر ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة
القرشي قيل اسمه مهشم وقيل هاشم كان من فضلاء الصحابة شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وقتل
يوم اليمامة شهيدا وهو ابن ثلاث وخمسين سنة حارثة بن الربيع بضم ففتح فتشديد بكتبه
مكسورة وهو اسم امه واسم ابيه سراقة الانصاري قتل يوم بدر هو اول قتيل من الانصار وهو
حارثة بن سراقة كان اي حال قتاله في النظارة بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة اي من الذين طلبوا
مكانا مرتفعا ينظرون الى العدو ويخبرون عن حالهم ففي الصحاح النظارة قوم ينظرون الى شي وزاد في القاموس
وبالتخفيف بمعنى النظر لحن تستعمله بعض الفقهاء وقال الحافظ العسقلاني اي خرج نظارا على ما اخرجه
احمد والنسائي وزاد ما خرج لقتال اقول لعله كان به عذر يمنعه عن القتال فيعني ان يكون عينا للمسلمين
خبيب بضم معجمة وفتح موحدة بن عدي الانصاري اي الاوسي شهد بدرا واسر في غزوة الرجيع
سنة ثلاث فانطلق به الى مكة فاشتراه بنو الحارث بن عامر وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر كافرا
فاشتراه بنوه ليقتلوه فاقام عندهم اسيرا ثم صلب بالتنعيم وهو اول من صلب في الاسلام روى عنه الحارث
ابنه ابو صالح خنيس بضم معجمة وفتح نون بن حذافة بضم اوله السهمي اي القرشي وهو الذي كان زوج
حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي صلى الله عليه وسلم شهد بدرا ثم احدا فجرح فمات بالمدينة من جراحته
ولا عقب له رفاعة بن رافع الانصاري شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهد مع علي الجمل وصفين ومات في اول ولاية معاوية رفاعة بن عبد المنذر ابو لبابة الانصاري عطف
بيان لما قبله قال المولف رفاعة بن عبد المنذر الانصاري الاوسي هو ابو لبابة غلبت عليه كنيته كان
من النقباء وشهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها وقيل لم يشهد بدرا بل امره رسول الله صلى الله عليه
وسلم على المدينة وضرب له بسهم مع اصحاب بدر مات في خلافة علي بن ابي طالب الزبير بن العوام
القرشي وهو احد العشرة المبشرة زيد بن سهل ابو طلحة الانصاري عطف بيان لما قبله قال المولف
ابو طلحة زيد بن سهل الانصاري النجاري وهو مشهور بكنيته وهو زوج ام انس بن مالك وكان من
الرماة المذكورين قال النبي صلى الله عليه وسلم لصوت ابي طلحة في الجيش خير من فئة مات سنة احدى
وثلاثين وهو ابن سبع وسبعين سنة شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدرا وما بعدها من
المشاهد ابو زيد الانصاري هو الذي جمع القران حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في اسمه قيل سعد بن عبيد وقيل قيس بن السكن سعد بن مالك الزهري هو سعد
ابن ابي وقاص احد العشرة سعد بن خولة بفتح الخاء المعجمة القرشي شهد بدرا ومات بمكة
في حجة الوداع سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بفتح النون ففتح فاء القرشي هو احد العشرة سهل بن حنيف
بالتصغير الانصاري اي الاوسي شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد وصحب عليا بعد النبي صلى الله عليه وسلم واستخلفه على المدينة ثم ولاه فارس مات بالكوفة

سنة ثمان وثلاثين ظهير بالتصغير بن رافع الانصاري اي الاوسي شهد العقبة الثانية وبدرا وما
بعدها من المشاهد واخوه اي اخو ظهير واسمه مظهر بضم الميم وفتح المعجمة وكسر الهاء المشددة ولم
يسمه البخاري وذكر انهما شهدا بدرا لكن قال ابو عمر ان ظهيرا لم يشهدها وشهد احدا وما بعدها وكذا
قيل لم يشهدها مظهر فيسقط الواو من قوله واخوه كذا قاله القسطلاني عبد الله بن مسعود الهذلي
بضم ففتح نسبة الى قبيلة بني هذيل من غير قبايل قريش وسبق ذكره عبد الرحمن بن عوف
الزهري بضم فسكون نسبة الى بني زهرة قبيلة من قريش وهو احد العشرة عبيدة بن الحارث القرشي
لم يذكره المولف في اسمايه عبادة بضم عين وتخفيف الموحدة بن الصامت الانصاري كان نقيبا وشهد
العقبة الاولى والثانية والثالثة وشهد بدرا والمشاهد كلها قيل مات ببيت المقدس سنة اربع
وثلاثين عمرو بن عوف اي المزني كان قديم الاسلام وهو ممن نزل فيه تولوا واعينهم تفيض من الدمع
سكن بالمدينة ومات بها في اخر ايام معاوية حليف بني عامر بن لوي بدل او بيان لما قبله ولوي بضم
ففتح فتشديد ياء عقبة بن عمرو الانصاري يكنى قال المولف يكنى ابا مسعود البدري
شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدرا عند جمهور اهل العلم بالسير وقيل انه شهدها والاول اصح وانما
نسب الى ماء بدر لانه نزله فنسب اليه انتهى ولذلك خطي البخاري بعده من اصحاب بدر عامر بن
ربيعة العنزي بفتح العين وسكون النون ففي المقدمة العنزة بفتح النون والزاي ينسب اليه
العنزي وقال المغني واما عامر بن ربيعة فبسكون النون وكذا يفهم من القاموس وفي نسخة
العدوي والظاهر انه تصحيف قال المولف هاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها اسلم قديما
مات سنة اثنتين وثلاثين عاصم بن ثابت يكنى ابا سليمان شهد بدرا وهو الذي حمته الدبر وهي النحل
من المشركين ان يحتزوا راسه في غزوة الرجيع حين قتله بنو لحيان فسمي حمي الدبر عويم تصغير
عام بمعنى سنة بن ساعدة الانصاري هو اوسي شهد العقبتين وبدرا والمشاهد كلها ومات في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبان بكسر فسكون بن مالك الانصاري خزرجي سلمي بدري
مات زمن معاوية قدامة بضم القاف بن مظعون بالظاء المعجمة قرشي جمحي خال عبد الله بن عمر
هاجر الى ارض الحبشة وشهد بدرا وسائر المشاهد مات سنة ست وثلاثين قتادة بن
النعمان بضم اوله الانصاري عقبي بدري وشهد بعدها المشاهد كلها وابو سعيد الخدري اخوه
لامه مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة معاذ بن عمرو بن الجموح بفتح
جيم وضم ميم قال المولف خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وابوه عمرو وهو الذي قتل مع معاذ ابن عفرا
ابا جهل ولهما ذكر في باب قسمة الغنايم ثم روى ابن عبد البر عن ابي اسحاق ان معاذ بن عمرو قطع
رجل ابي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن ابي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفرا حتى
اثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز راسه حين امره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يلتمس ابا جهل في القتلى قلت لما كان قتل ابي جهل موجبا للثواب الكثير قدر الله ان
جماعة تشاركوا في قتله معوذ بتشديد الواو المكسورة او المفتوحة والذال معجمة قال السيوطي
هو بتشديد الواو وفتحها على الاشهر وجزم الوقشي انه بالكسر على ما في فتح الباري واقتصر
عليه المغني وهو ظاهر ما في القاموس وكذا ضبط المولف بن عفرا بفتح عين فسكون فا قال المولف
هو معوذ بن الحارث اخو معاذ وعفرا امه شهد بدرا وهو الذي قتل ابا جهل مع اخيه
معاذ وهما اصحاب زرع ونخل وقاتل في بدر حتى قتل بها واخوه اي اخو معوذ قال صاحب جامع
الاصول شهد بدرا معاذ واخواه عوف ومعوذ والحارث ابوهم وعفرا امهم وقال المولف معاذ بن

الحارث

الحارث بن رفاعة الانصاري الزرقي وعفرا امه وهي بنت عبيد بن ثعلبة وكان هو ورافع بن
مالك اول انصاريين من الخزرج اسلما شهد بدرا واخواه عوف ومعوذ وقتل اخواه عوف
ومعوذ وقتل اخواه هذان ببدر وشهد بعد بدر من المشاهد في قول بعضهم وبعضهم يقول
انه خرج يوم بدر فمات بالمدينة من جراحته وقيل انه عاش الى زمن عثمان مالك بن ربيعة
ابو اسيد الانصاري بالتصغير كنيته مالك وهو مشهور بكنيته وهو ساعدي شهد
المشاهد كلها مات سنة ستين وله ثمان وسبعون بعد ان ذهب بصره وهو اخر من مات من البدريين
مسطح بكسر فسكون ففتح بن اثاثة بضم الهمزة بن عباد بفتح فتشديد موحدة بن المطلب بن عبد
مناف اي القرشي شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها بعدها وهو الذي قال في عايشة ام المومنين ما قاله
من حديث الافك وجلده النبي صلى الله عليه وسلم فيمن جلد وقيل ان مسطحا لقبه واسمه عوف قال
ابن عبد البر لا خلاف في ذلك مات سنة اربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين مرارة بضم الميم بن الربيع
بفتح فكسر الانصاري عامري شهد بدرا وهو احد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم
ونزل القران في شانهم معن بن عدي الانصاري بفتح ميم فسكون عين شهد بدرا وما بعدها من
المشاهد وقتل يوم اليمامة في خلافة الصديق شهيدا وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخى بينه وبين
زيد بن الخطاب فقتلا معا يوميذ مقداد بكسر الميم بن عمرو الكندي بكسر الكاف حليف بني زهرة
بدل او بيان وقال المولف ان اباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمي بن الاسود لانه كان حليفه
او لانه تبناه وكان سادسا في الاسلام مات بالجرف على ثلاثة اميال من المدينة فحمل على رقاب الناس
ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة هلال بن امية بالتصغير الانصاري
احد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم شهد بدرا وهو الذي قذف امراته بشريك
له ذكر في اللعان روى عنه جابر وابن عباس فتحصل ان عدد المجموع خمسة واربعون وفي نسخة رضي
الله عنهم اجمعين **باب ذكر اليمن والشام وذكر اويس القرني** في المغرب اليمن ماخوذ من
اليمين بخلاف الشام لانها بلاد على يمين الكعبة والنسبة اليها يمني بتشديد اليا ويماني بالتخفيف
على تعويض الالف من احدى ياءي النسبة وفي القاموس اليمن محركة ما على يمين القبلة من بلاد
الغور وهو يمني ويماني ويمان والشام بلاد عن مشامة القبلة وسميت بذلك لان قوما
من بني كنعان تشاءموا اليها اي تياسروا وسمي بشام بن نوح فانه بالشين بالسريانية او لان
ارضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا تهمز وقد تذكر قلت وعلى الاولين تهمز وتكون بدلها
وهو الاشهر في الاستعمال والاشمل للمعاني ثم المراد بذكر اليمن والشام اعم من ان يكون الحديث متعلقا
بذكر المكانين او باهلهما فقوله وذكر اويس القرني تخصيص بعد تعميم للتشريف ثم القرني
فبفتحتين ففي القاموس القرن بفتح فسكون ميقات اهل نجد وهي قرية عند الطايف واسم الوادي
كله وغلط الجوهري في تحريكه وفي نسبة اويس القرني اليه لانه منسوب الى قرن بن ردمان بن ناجية
بن مراد احد اجداده **الفصل الاول** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان رجلا ياتيكم من اليمن يقال له اويس تصغير اوس لا يدع اي لا يترك باليمن غير ام له
والمعنى انه ليس له اهل وعيال في اليمن غيرها وانما منعه عن الاتيان اليكم خدمتها قد كان به
اي باويس بياض اي برص فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار او الدرهم شك من الراوي ولعله
ابقاه للعلامة ثم كما قيل في ظفر ادم انه اثر من جلده السابق وترك ذلك البعض ليكون سبب تذكره
ولهذا كان يحب الخمول والعزلة ويكره الشهرة والخلطة فمن لقيه منكم فليستغفر لكم قال النووي هذه

منقبة ظاهرة لاويس القرني وفيه طلب الدعا والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل
منهم اقول وفي رواية لمسلم عن عمر انه قال لاويس القرني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد من اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرا منه
الا موضع درهم له والدة وهو لها بر لو اقسم على الله لابره فلو استطعت ان يستغفر لك فافعل
فاستغفر لي فاستغفر له وفي رواية قال ابي عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان خير التابعين اي من حيث انه من المخضرمين وحصل له مانع شرعي عن حضور حضرته
ونور طلعته صلى الله عليه وسلم رجل يقال له اويس قال النووي وهذا الحديث يدل على انه خير التابعين
وقال احمد بن حنبل وغيره افضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب ان مرادهم ان سعيد
افضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في كونه اكثر ثوابا عند الله تعالى
وله والدة اي ام هو بار لها وكان به بياض اي برص وذهب الله به اي اذهبه كله الا قدر اليسير
وفيه معجزة ظاهرة فمروه اي فالتمسوه او مروه بناء على امرنا اياكم او اياه فليستغفر لكم قال ابن الملك
امر صلى الله عليه وسلم اصحابه باستغفار اويس لهم وان كان الصحابة افضل من التابعين ليدل على
ان الفاضل يستحب له ان يطلب الدعا من المفضول او قاله صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلبه لانه كان
يمكنه الوصول الى حضرته لكن منعه بر والدته فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم به ليبشره بانه مسبي
في التخلف انتهى وهو لا ينافي ما نقل انه ترك امه وحجا واجتمع بالصحابة فان امتناعه من الاتيان كان
بعذر عدم من يكون في خدمتها وقايما بمؤنتها فلما وجد السعة توجه الى الصحابة وما فرض حجة الاسلام
تعين ما تاه او اذنت له بالسير في سبيل الله رواه مسلم وفي الرياض عن اسيد بن جابر قال كان عمر
ابن الخطاب اذا اتى عليه امداد اهل اليمن سالهم افيكم اويس بن عامر حتى اتى على اويس فقال انت
اويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرات منه الا موضع درهم
قال نعم قال الك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي عليكم اويس
ابن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرا منه الا موضع درهم له والدة
وهو لها بر لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له
فقال عمر اين تريد قال الكوفة قال الا اكتب لك الى عاملها قال اكون في غبراء الناس احب الي قال فلما
كان في العام المقبل حج رجل من اشرافهم فوافق عمر فساله عن اويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ثم قال فان استطعت ان يستغفر لك فافعل فاتى اويسا فقال
استغفر لي فقال انت احدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له
الناس فانطلق على وجهه اخرجه مسلم انتهى ولا يخفى ان وجه خفائه انه كان مستجاب الدعوة
في مادة الاستغفار للكل ولامتناعه عن البعض لما يوجب من الابحاث وكشف الحال والله
اعلم بالحال وروى الحاكم عن علي مرفوعا خير التابعين اويس وروى ابن عدي وعن ابن عباس سيكون
في امتي رجل يقال له اويس بن عبد الله القرني وان شفاعته في امتي مثل ربيعة ومضر وعن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة اي من سائر
من ياتيكم والرقة ضد القساوة والغلظة والفؤاد القلب وقيل باطنه وقيل غشاوه والمعنى هم اكثر رقة
ورحمة الباطن والين قلوبا اي اكثر لينة لقبول النصيحة والموعظة من قلوب سائر الناس بحسن
الظاهر قال المظهر وصف الافئدة بالرقة والقلوب باللين وذلك انه يقال ان الفؤاد غشاء القلب واذا رق
نفذ القول فيه وخلص الى ما وراءه واذا غلظ تعذر وصوله الى داخله فاذا ما صادف القلب لينا علق

به ويجع

ومصـــــــــتعز وجل

علق به ونجع فيه وقال القاضي الرقة ضد الغلظة والصفاقة واللين مقابل القساوة فاستعيرت في احوال
القلب فاذا نبا عن الحق واعرض عن قبوله فلم يتاثر عن الايات والنذر يوصف بالغلظة فكان شغافه صفيق
لا ينفذ فيه الحق وجرمه صلب لا يوثر فيه الوعظ واذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين فكان حجابه
رقيق لا ياني نفوذ الحق وجوهره لين يتاثر بالنصح ثم لما وصفهم بذلك اتبعه ما هو كالنتيجة والغاية فقال
الايمان يمان والحكمة يمانية فان صفا القلب ورقته ولين جوهره يودي به الى عرفان الحق والتصديق
به وهو الايمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه والتيقظ والاتقان فيما ياتيه ويذره وهو الحكمة فتكون
قلوبهم معادن الايمان وينابيع الحكمة وهي قلوب منشاها اليمن نسب اليه الايمان والحكمة معا انتسابا
اليه تنويها بذكرهما وتعظيما لشانهما وقال الطيبي يمكن ان يراد بالفؤاد والقلب ما عليه اهل اللغة في
كونهما مترادفين فكرر ليناط به معنى غير المعنى السابق فان الرقة مقابلة الغلظة واللين مقابل
للشدة والقسوة فوصفت اولا بالرقة يشير الى التخلق مع الناس وحسن المعاشرة مع الاهل
والاخوان قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وثانيا باللين ليوذن بان الايات
النازلة والدلايل والمنصوبة ناجعة فيها وصاحبها مقيم على التعظيم لامر الله فقوله الايمان يمان والحكمة
يمانية يشمل حسن المعاملة مع الله تعالى والمعاشرة مع الناس فلشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل
فيهم ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وللين جانب المومنين وصفوا بقوله ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله انتهى وقال شارح الايمان يمان هو نسبته الى اليمن والالف فيه عوض
عن يا النسبة فلا يجتمعان قال ابو عبيد مكة من ارض تهامة وتهامة من ارض اليمن ولهذا سميت مكة وما وليها
من ارض الحجاز تهايم فمكة على هذا التقدير يمانية وفيها ظهر الايمان قال وفيه وجه اخر وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال هذا القول وهو بتبوك مكة والمدينة وقيل عنى بهذا القول الانصار لانهم يمانيون وهم نصروا
الايمان والمومنين واووهم فنسب اليهم وهذه وجوه متقاربة مع ما فيها من بعد التناسب بين الفصل
الاول من الكلام والثاني فانه اتاكم اهل اليمن يخاطب به كافة اصحابه والجمهور منهم اهل الحرمين وما حولهما
فعلمنا ان المبشر بهم غير المخاطبين وقيل المراد اهل اليمن وينسب اليهم الايمان اشعارا بكماله فيهم والمراد
الموجودون منهم في ذلك الزمان لا كل اهل اليمن في جميع الاحيان فالمقصود تفضيل اهل اليمن على غيرهم
من اهل المشرق ويويد هذا قوله اتاكم اهل اليمن ثم قوله الايمان يمان لا ينافي كونه حجازيا وانما ينبي عن
استعداد اهل اليمن لقبول ذلك وفشوه فيهم واستقرار امرهم عليه فانهم هم الذين فتحت بامدادهم الشام
العراق زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ثم قوله والحكمة يمانية بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد فقيل اراد بها
الفقه في الدين وقيل كل كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في الهلكة وحيث كانت قلوبهم معادن الايمان
وينابيع الحكمة وكانت الخصلتان منتهى هممهم نسب الايمان والحكمة الى معادن نفوسهم ومساقط
روسهم نسبة الشي الى مقره والفخر اي الافتخار بالمباهاة والمنافسة في الاشيا الخارجة عن نفس
الانسان كالمال والجاه والخيلا بضم ففتح ممدودة وهي الكبر بتخيل انه افضل من غيره وتمنعه عن قبول
الحق والانقياد في اصحاب الابل وفي معناه الخيل بل هي ادهى بالويل وسياتي الجمع بينهما في رواية والسكينة
والوقار اي التاني والحلم والانس في اهل الغنم قال القاضي تخصيص الخيلا باصحاب الابل والوقار باهل
الغنم يدل على ان مخالطة الحيوان توثر في النفس وتعدي اليها هيئات واخلاقا تناسب طباعها وتلايم
احوالها قلت ولهذا قيل الصحبة توثر ولعل هذا ايضا وجه الحكمة في ان كل نبي رعى الغنم وخلاصة الكلام
ورابطة النظام بين فصول الحديث ان اهل اليمن يغلب عليهم الايمان والحكمة كما ان اهل الابل يغلب عليهم الفخر
واهل الغنم السكون فمن اراد صحبة اهل الايمان والعرفان فعليه بمصاحبة نحو اهل اليمن على وجه الايمان

قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفيه اشعار الى اظهار معجزة وهي انه يظهر في
اليمن كثير من الاولياء مع قلة اهله بخلاف ساير الاطراف فانه وان ظهر منهم الصالحون فهم بالنسبة الى
كثرة خلايقهم قليلون متفق عليه وفي الجامع الايمان يمان رواه الشيخان عن ابي مسعود ورواه
الشيخان والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان
والحكمة يمانية وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس الكفر اي
معظمه ذكره السيوطي والاظهر ان يقال منشأه نحو المشرق بالنصب قال الطيبي نحوه راس الامر
الاسلام اي ظهور الكفر من قبل المشرق وقال ابن الملك اي منه يظهر الكفر والفتن كالدجال ويأجوج
ومأجوج وغيرهما وقال النووي المراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط الشيطان على اهل المشرق
وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وقال السيوطي نقلا
عن الباجي يحتمل ان يريد فارس وان يريد نجدا والفخر والخيلاء في اهل الخيل والابل قال الراغب
الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للانسان من نفسه ومنها تتأول لفظ الخيل لما قيل
انه لا يركب احد فرسا الا وجد في نفسه نخوة والخيل في الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا انتهى والاظهر
ان الخيل اسم جنس للفرس لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل واما قوله صلى الله
عليه وسلم يا خيل الله اركبوا فمجاز والفدادين بالتشديد وتخفف اي وفي الفلاحين عطف على اهل الخيل
وقوله اهل الوبر بفتح الواو والموحدة شعر الابل وهو بالجر بدلا او بيان والمراد بهم سكان الصحاري لان
بيوتهم غالبا خيام من الشعر قال صاحب النهاية الفدادون بالتشديد الذين تعلو اصواتهم في
حروثهم ومواشيهم واحدهم فداد يقال فد الرجل يفد فديدا اذا اشتد صوته وقيل هم المكثرون من
الابل وقيل هم الجمالون والبقارون والحمارون والرعيان وقيل الفدادون بالتخفيف جمع فدان مشددا وهي
البقرة التي يحرث بها واهلها اهل جفاء وغلظة وقال التوربشتي اذا روي بالتخفيف تقديره وفي اهل الفدادين
واري اصوب الروايتين بالتشديد لما في حديث ابي مسعود الذي يتلو هذا الحديث والجفاء والغلظ
في الفدادين والتخفيف في هذه الرواية غير مستقيم وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية ومعنى فرددنا
المختلف فيه الى المتفق عليه وهذا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى سكة وشيئا من الات
الحرث فقال ما دخل هذا دار قوم الا دخل عليهم الذل وان ابتاع الفخر والخيلاء مع موقع الذل قلت
لعله صلى الله عليه وسلم اخبر عما سيقع في اخر الزمان من ان كثرة الزراعة تكون سببا للافتخار والتكبر كما هو
مشاهد من ارباب الدنيا من اهل المزارع الكبيرة في العجم بحيث انهم يتقدمون في المحافل على اصحاب الابل والخيل
بل لهم اعتبار عظيم عند الملوك حتى يصير اكثرهم وزراءهم وكبراء عسكرهم وعيبتهم والسكينة اي الوقار
والتأني والحلم والانس في اهل الغنم متفق عليه وكذا رواه الامام مالك قال ميرك الا ان مسلما لم يقل والفدادين
بالواو بل هي محذوفة فيه وفي البخاري ثابتة فعلى رواية مسلم نعت لاهل الخيل وعلى اثباته عطف
عليه قلت فعلى هذا رواية مسلم مراد الجمع بين الوصفين وعلى رواية البخاري يراد التغاير بينهما
فيكون عطفا على الخيل برواية تخفيف الفدادين وعلى اهل الخيل برواية التشديد والله اعلم بالتسديد
وعن ابي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ها هنا جاءت الفتن نحو المشرق حال
متعلق بمحذوف اي قال صلى الله عليه وسلم من ها هنا جاءت الفتن مشيرا نحو المشرق كذا ذكره الطيبي
ولا يبعد ان يكون من الراوي مدرجا على قصد التفسير لقوله صلى الله عليه وسلم ها هنا والجفاء بالمد
وهو ضد الوفاء وفي القاموس الجفاء نقيض الصلة ويقصر والاظهر ان المراد به ها هنا غلظ الالسنة
بقرينة قوله وغلظ القلوب في الفدادين اهل الوبر بيان للفدادين واراد باهل الوبر الاعراب او

و ـــــ لله عز وجل
سكان

سكان الصحاري وانما ذمهم لبعدهم عن المدن والقرى الموجب لقلة العلم الحاصل به حسن الاخلاق
وساير علوم الشريعة قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على
رسوله وفي الحديث من بدا جفا عند اصول اذناب الابل والبقر اي هم تبع لاصولها ويمشون
خلفها للرعي فيها ولاثارة الارض خلف البقر ولسقي الماء خلفها فالمراد بهم الاكارون وفيه ايماء الى انهم جعلوا
المتبوع تابعا والتابع متبوعا فعكسوا ما هو معتبر موضوعا ومشروعا واشارة الى قوله تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل وقال الطيبي قوله عند ظرف لقوله الفدادين على تأويل الذين بهم جلبة وصياح عند
سوقهم لها لانه ليس في الرواية انما يعلوا اصواتهم خلفها في ربيعة ومضر ما خبر مبتدا محذوف اي هذه الطائفة
فيهم او خبر بعد خبر لقوله والجفاء وقال الطيبي بدل من قوله الفدادين باعادة العامل متفق عليه وعن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء في المشرق ولفظ الجامع في اهل المشرق
والايمان في اهل الحجاز اي مكة والمدينة وحواليها وقال ابن الملك اراد به الانصار رواه مسلم وكذا
الامام احمد في مسنده وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا لعله قدمه
على اليمن مشيرا الى انه مبارك في اصله لقوله تعالى الذي باركنا حوله ولوجود كثير من الانبياء فيه فيكون المراد
زيادة البركة او البركة الحاصلة لاهل المدينة وساير المؤمنين على الخصوص اللهم بارك لنا في يمننا اي بركة
ظاهرة ومعنوية ولهذا اكثر الاولياء فيهم والظاهر في الكل وجه تخصيص المكانين بالبركة لان طعام اهل المدينة
مجلوب منهما قالوا اي بعض الصحابة يا رسول الله وفي نجدنا عطف تلقين والتماس اي قل وفي نجدنا ليحصل البركة
لنا في صوابه ايضا والنجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز على ما في النهاية وقال ابن الملك
هو خلاف الغور من بلاد العرب قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قال الاشرف انما دعا لهما بالبركة
لان مولده بمكة وهي من اليمن ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام وناهيك من فضل الناحيتين
ان احديهما مولده والاخرى مدفنه فانه اضافهما الى نفسه واتى بضمير الجمع تعظيما وكرر الدعاء ثلاث مرات
قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فاظنه قال في الثالثة يعني وفي الثانية هناك اي في ناحية نجد وهو
المعني بقوله نحو المشرق الزلازل الحسية او المعنوية وهي تزلزل القلوب واضطراب اهلها والفتن
اي البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وقلة الديانة فلا يناسبه دعوة البركة له وبها اي بتلك
البقعة ونواحيها يطلع بضم اللام اي يظهر قرن الشيطان اي حزبه واهل وقته وزمانه واعوانه ذكره السيوطي
رواه البخاري وكذا مسلم والترمذي نقله السيد جمال الدين الفصل الثاني عن انس عن زيد بن
ثابت هذا نقل الصحابي عن مثله فيكون من باب نقل الاقران والاظهر انه من نقل الاصاغر عن الاكابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم نظر قبل اليمن بكسر القاف وفتح الموحدة اي جانبه فقال اللهم اقبل من الاقبال والباء
في قوله بقلوبهم للتعدية والمعنى اجعل قلوبهم مقبلة الينا وانما دعا بذلك لان طعام اهل المدينة
كان ياتيهم من اليمن ولذا اعقبه ببركة الصاع والمد لطعام يجلب اليهم من اليمن فقال وبارك لنا في صاعنا ومدنا
والمراد بهما الطعام المكيال بهما فهو من باب اطلاق الظرف وارادة المظروف او المضاف مقدر اي طعام صاعنا ومدنا
ثم الصاع على ما في القاموس اربعة امداد كل مد رطل وثلث والرطل بالكسر اثنا عشر اوقية والاوقية اربعون
درهما قال الداودي معيار المد الذي لا يختلف اربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا
بصغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وجربت ذلك فوجدته صحيحا تم
كلامه وقال التوربشتي وجه التناسب بين الفصلين ان اهل المدينة ما زالوا في شدة من العيش
وعوز من الزاد لا يقوم اقواتهم بحاجتهم فلما دعا الله بان يقبل عليهم بقلوب اهل اليمن الى دار الهجرة وهم
الجم الغفير دعا الله بالبركة في طعام اهل المدينة ليتسع على القاطن بها والقادم عليها فلا يسأم المقيم عن القادم

ولا يتفق الاقامة على المهاجر اليها رواه الترمذي وفي الجامع اللهم ان ابراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لاهل مكة بالبركة وانا محمد عبدك ورسولك ادعوك لاهل المدينة ان تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لاهل مكة مع البركة بركتين رواه الترمذي عن علي وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام اي حالة طيبة لها ولاهلها قال الطيبي طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا قلنا لاي ذلك يا رسول الله بتنوينها العوض اي لاي شيء كما في بعض نسخ المصابيح قال الطيبي كذا في جامع الترمذي على حذف المضاف اليه اي لاي سبب قلت ذلك ووقع اثبت في بعض نسخ المصابيح لفظ شيء واغرب ميرك حيث قال حذف المضاف اليه واجرى اعرابه على المضاف والمتن وغرابته لا تخفى قال لان ملائكة الرحمن فيه ايماء الى ان المراد بهم ملائكة الرحمة باسطة اجنحتها عليها اي على بقعة الشام واهلها بالمحافظة عن الكفر رواه احمد والترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وفي رواية الطبراني عنه بلفظ طوبى للشام ان الرحمن لباسط رحمته عليه اي على بلد الشام فهو يذكر ويؤنث بالاعتبارين وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستخرج نار تحتمل ان يكون حقيقة وهو الظاهر على ما ذكره الجزري ويحتمل ان يراد بها الفتنة من نحو حضرموت بفتح فسكون ففتحتين فسكون ففتح في القاموس حضرموت وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت ويضاف فيقال حضرموت بضم الواو ان شئت لا تنون الثاني اي من حضرموت اي من جانبها المقتضي عنها تحشر الناس اي تجمعهم النار وتسوقهم على ما في النهاية قلنا يا رسول الله فما تامرنا اي في ذلك الوقت قال عليكم بالشام اي خذوا طريقه والزموا فريقه فانها سالمة من وصول النار الحسية او الحكمية اليها حينئذ لحفظ ملائكة الرحمة اياها قال التوربشتي يحتمل ان يكون النار اي عينه وهو الاصل ويحتمل انها فتنة عبر عنها بالنار وعلى التقديرين فلا وجه لخيفان قبل قيام الساعة لانهم قالوا فما تامرنا يعنون في التوقي عنها فقال عليكم بالشام رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها اي القصة ستكون هجرة بعد هجرة قال الشارحون كان من حق الثانية ان يؤتى بها مع لام العهد لان المراد منها الهجرة الواجبة قبل الفتح وانما اتى بها منكرة لتساوق الاولى في الصيغة مع اضمار في الكلام ان بعد هجرة حقت ووجبت وانما حسن الحذف اعتمادا على معرفة السامعين والمعنى ستكون هجرة الى الشام بعد هجرة كانت الى المدينة قال التوربشتي وذلك حين تكثر الفتن ويقل القائمون بامر الله في البلاد ويستولي الكفرة الطغام على بلاد الاسلام ويبقى الشام تسوسها العساكر الاسلامية منصورة على من ناواهم ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال فالمهاجر اليها حينئذ فار بدينه ملتجئ اليها لاصلاح اخرته يكثر سواد عباد الله الصالحين القائمين بامر الله تعالى ولعل الحديث اشارة الى العصر الذي نحن فيه قال الطيبي ويمكن ان يراد التكرير كما في قولك لبيك وسعديك اي الكل البابا بعد الباب والفا في قوله فخيار الناس يلوح اليه لانه تفصيل للمجمل كانه قيل سيحدث للناس مفارقة من الاوطان وكل احد يفارق وطنه الى اخر ويهجره هجرة بعد هجرة فخيارهم من يهاجر ويرغب الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو الشام انتهى وقوله الى مهاجر ابراهيم بفتح الجيم اي موضع هجرته والى مخففة الياء المنقلبة الى الالف على انها حرف جر مجرد وهو الرواية يتعلق بمحذوف هو خبر المبتدا تقديره فخيار الناس المهاجرون الى مهاجر لان المهاجر فار بدينه وفي بعض النسخ الى بتشديد الياء على انها مضافة الى ياء المتكلم فهو يتعلق بخيار ومهاجر مرفوع على انه خبر المبتدا بتقدير حذف المضاف تقديره فخيار الناس مهاجرهم مهاجر ابراهيم فحذف المضاف واعرب المضاف اليه باعرابه والمراد بمهاجر ابراهيم الشام فان ابراهيم لما خرج من العراق مضى الى الشام وفي رواية فخيار اهل الارض

الزمهم

الزمهم اي الزمهم لزوما مهاجر ابراهيم بفتح الجيم اي الشام مهاجره بالنصب ظرف الزم وهو افعل التفضيل عمل في اسم الظاهر ويبقى في الارض شرار اهلها اي اهل الارض من الكفار والفجار تلفظهم بكسر الفاء اي ترميهم ارضوهم بفتح الراء والمعنى ترمي شرار الناس اراضيهم من ناحية الى اخرى قال الشراح يعني ينتقل من الاراضي التي يستولي عليها الكفرة خيار اهلها ويبقى خساس تخلفوا عن المهاجرين رغبة في الدنيا ورهبة عن القتال وحرصا على ما لهم فيها من ضياع ومواشي ونحوها من متاع الدنيا فهم لخسة نفوسهم وضعف دينهم كالشيء المستقذر المستقذر عنده النفوس الزكية وكان الارض تستنكف عنهم فتقذفهم والله سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته ومحل كرامته ابعاد من يستقذر الشيء وينفر عنه طبعه فلذلك منعهم من الخروج وثبطهم قعودا مع اعداء الدين نحوه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم تقذرهم نفس الله من التمثيلات المركبة التي لا تطلب لمفرداته ممثلا وممثلا به مثل شابت لمة الليل وقامت الحرب على ساق ثم اعلم ان قوله تقذرهم بفتح الذال المعجمة من قذرت الشيء بالكسر اي كرهته ونفس الله بسكون الفاء اي ذاته قال التوربشتي وهو وان كان من حيث انه حصل له مضاف ومضاف اليه يقتضي المغايرة واثبات شيئين لكنه جاز من حيث الاعتبار على سبيل الاتساع تعالى عن الاثنوية ومشابهته للمحدثات علوا كبيرا وتحشرهم النار مع القردة والخنازير اي تلازمهم النار ليلا ونهارا وتجمعهم مع الكفرة الذين هم باعتبار صغيرهم وكبيرهم كالقردة والخنازير تبيت اي النار معهم اذا باتوا وتقيل بفتح التاء اي تضحي وتظل النار معهم اذا قالوا اي اضحوا وظلوا وهو من القيلولة وهي الاستراحة بالنهار فالجملة مستانفة مبينة لدوام الملازمة وقال الطيبي جملة مؤكدة لما قبلها وحال منه واما الجملة السابقة فهي مستانفة اجوبة للاسئلة المقدرة وقال المظهر النار ههنا الفتنة يعني تحشر نار الفتنة التي هي نتيجة افعالهم القبيحة واقوالهم مع القردة والخنازير لكونهم متخلقين باخلاقهم فيظنون ان الفتنة لا تكون الا في بلدانهم فيختارون جلاء اوطانهم ويتركونها والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون وينزلون ويرحلون رواه ابو داود وعن ابن حوالة بفتح الحاء يذكره المؤلف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الامر اي امر الاسلام او امر القتال ان تكونوا جنودا اي عساكر مجندة بتشديد النون المفتوحة اي مجموعة في كلمة الاسلام او مختلفة في مراعاة الاحكام جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق اي عراق العرب وهو البصرة والكوفة او عراق العجم وهو ما وراءها دون خراسان وما وراء النهر فقال ابن حوالة خر لي بكسر الخاء وسكون الراء امر من الخير بمعنى الاختيار اي اختر لي جند الزمه يا رسول الله ان ادركت ذلك اي ذلك الوقت فقال عليك بالشام فانها اي الشام خيرة بكسر الخاء وفتح التحتية وقد يسكن اي مختارة الله من ارضه اي من بلاده يجتبي اليها خيرته من عباده قال الطيبي الخيرة بسكون الياء الاسم من اختار واما بالفتح فهي الاسم من قولك اختاره ومحمد خيرة الله من خلقه بالفتح والسكون انتهى والمعنى اختارها الله من جميع الارض للاقامة في اخر الزمان يجتبي اليها خيرته بالنصب على ما في اكثر النسخ المعتمدة وفي نسخة بالرفع ثم من تبعيضية في قوله من عباده قال شارح يجتبي يفتعل من جبوت الشيء وجبيته جمعته فالمعنى يجمع الله الى ارض الشام المختارين من عباده وتجوز ان يكون يجتبي لازما اي يجتمع اليها المختارون من عباده وقال السيد جمال الدين خيرته مرفوع بانه فاعل يجتبي ان كان من الاجتباء اللازم وهو بمعنى الاجتماع او منصوب بانه مفعوله ان كان من الاجتباء المتعدي وهو بمعنى الاصطفاء والاختيار انتهى والمختار انه من الثاني موافقة لما ورد في التنزيل الله يجتبي اليه من يشاء فاما ان ابيتم اي امتنعتم من القصد الى الشام فعليكم بيمنكم واسقوا بضم الوصل ويجوز قطعها اي اسقيكم دوابكم من غدركم بضم معجمة وفتح مهملة اي حياضكم فان الله توكل اي تكفل لي اي لاجلي واكراما لي في امتي وقيل صوابه تكفل لي اي ضمن القيام بالشام اي بامر الشام وحفظ اهله قال التوربشتي قوله فاما ان ابيتم هذا الكلام معترض ادخله بين قوله عليكم بالشام وبين قوله واسقوا من غدركم اي الزموا الشام واسقوا من غدركم فان الله عز وجل قد تكفل لي بالشام واهلها رخص لهم في النزول بارض اليمن ثم عاد الى ما بدا منه وانما اضاف اليمن اليهم لانه خاطب به العرب واليمن من ارض العرب ومعنى قوله واسقوا من غدركم ليستق كل واحد من غديره الذي يختص به والاجناد المجندة بالشام لا سيما اهل الثغور والنازلين في المروج

من تماخلهم ان يتخذ كل رقعة لنفسه غديرا يستنقع فيها الما للشرب والتطهر وسقي الدواب فوصاهم بالسقي مما
يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سببا للاختلاف وتهييج الفتنة وقال الطيبي كان قوله
فاما ان ابيتم وارد على التانيث والتعيير يعني ان الشام مختارة الله تعالى من ارضه فلا تختاروا الا الله الا خيرة الله
من عباده فان ابيتم ايها العرب ما اختاره تعالى واخترتم بلادكم ومسقط رؤسكم من البوادي فالزموا يمنكم
واسقوا من غدرها لانه اوفق لكم من مياه البوادي الا ترى كيف جمع الضمير في القرينتين بعد افراده في قوله
عليكم بالشام فعلم من هذا ان الشام اولى بالاختيار واليمن عند الاضطرار والغدر جمع غدير وهو حفرة
ينقع فيها الما والعرب اكثر الناس اتخاذا لها ولذلك اضيفت اليهم قال التوربشتي في سائر نسخ المصابيح ان
الله قد توكل لي بالشام والصواب قد تكفل لي وهو سهو اما في اصل الكتاب او من بعض رواة الحديث فنقل
على ما وجد قال القاضي اراد بالتوكل التكفل فان من توكل في شي فقد تكفل بالقيام به والمعنى ان الله
ضمن لي حفظها وحفظ اهلها من باس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية رواه احمد وابو
داود قال الطيبي في مسند احمد وجامع الاصول عن ابي داود كما في المصابيح وقوله لي ليس بصلة توكل وصلة
اما على او الباء ولا يجوز الاول فتعين الثاني اي توكل بالشام لاجلي وفي النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به
الفصل الثالث
عن شريح بن عبيد بالتصغير تابعي حضرمي تابعي وروى عن ابي امامة وجبير
ابن نفير وعنه صفوان بن عمرو ومعاوية بن صالح قال ذكر اهل الشام عند علي رضي الله عنه اي بالسوء وقيل العنهم يا
امير المومنين قال لا اي لا يجوز لعنهم اولا العنهم اني بالكسر على انه استيناف تعليل سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث
اي المطر وينتصر بهم على الاعدا اي من الكفار ويصرف عن اهل الشام بهم اي ببركتهم او بسبب وجودهم فيهم
العذاب اي العذاب الشديد كما سياتي ان هذا الحديث رواه احمد واخرج ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود
مرفوعا ان لله تعالى ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب ادم وله اربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم
على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاث قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه
على قلب اسرافيل كلما مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة ابدل الله مكانه
من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد ابدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة ابدل
الله مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثمائة وكلما مات واحد
من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة بهم يدفع البلا عن هذه الامة قال بعض العارفين لم يذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان احدا على قلبه اذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والامر اعز واشرف والطف من
قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يساويه ولا يحاذيه قلب احد من الاوليا سواكانوا ابدالا او اقطابا قال
الشيخ علا الدولة السمناني في كتاب العروة له والابدال من بدلا السبعة كما اخبر عنه عليه السلام فقال
هو من السبعة وسيدهم وكان القطب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم عم اويس القرني عصام بحري
ان يقول اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاص التجلي الرحماني كما كان النبي صلى الله عليه وسلم
مظهرا خاصا للتجلي الالهي المخصوص باسم الذات وهو الله سبحانه انتهى وفيه نظر ظاهر فانه على تقدير ثبوته
بالنقل او الكشف يشكل بانه كيف يكون القطبية وجود الخلفا الاربعة الذين هم افضل الناس بعد الانبيا
بالاجماع مع ان عاصما هذا ليس له ذكر لا في الصحابة ولا في التابعين وقد قال صلى الله عليه وسلم خير التابعين
اويس القرني على ان الامام اليافعي رحمه الله على ما نقله السيوطي عنه انه قال وقد سترت احوال القطب
وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه وعن رجل من الصحابة تقدم ان جهالة الصحابي لا تضر
فان الصحابة كلهم عدول ومراسيلهم حجة اتفاقا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح الشام اي بلادها

فاذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق بكسر الدال وفتح الميم ويكسر على ما في القاموس وهو ان
مشهور بالشام فانها اي مدينة دمشق معقل المسلمين بفتح ميم وكسر قاف اي ملاذهم من الملاحم بفتح ميم
وكسر حا جمع الملحمة وهي الحرب والقتال والمعنى يتحصن المسلمون ويلتجئون اليها كما يلتجي الوعل الى راس الجبل
وفسطاطها بضم الفا وقد يكسر وهو البلدة الجامعة للناس ومنها اي من اراضي دمشق ارض يقال لها
اي لتلك الارض الغوطة بضم الغين وهو اسم البساتين والمياه التي عند دمشق وقيل لها غوطة
دمشق قال الزمخشري جنان الدنيا اربع غوطة دمشق ونهر الابلة وشعب بوان وسمرقند قال ابن
الجوزي رايتها كلها وفضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرها رواهما اي الحديثين السابقين
احمد اي في مسنده وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة اي الحقة بالمدينة
اي غالبا لكونه على في الكوفة زمن خلافته او الخلافة المستقرة بالمدينة والملك بالشام وفيه اشعار بان
معاوية بعد تسليم الحسن له صار خليفة ويؤيده ما رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة
الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت عمودا بفتح العين اي اسطوانة من نور ولعله امر الخلافة المشبه بالعمود في انه عماد بنا الاسلام
واحكام ثبات الاحكام خرج من تحت راسي ساطعا اي رافعا لامعا واصلا اثره في الافاق والانفس حتى
استقر اي ثبت ذلك العمود واستمر بالشام رواهما اي الحديثين البيهقي في دلائل النبوة ووافقه
في الحديث الاول البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه وعن ابي الدردا رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين اي مكان الفيئة منهم يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال
لها دمشق من خير مداين الشام رواه ابو داود وعن عبد الرحمن بن سليمان لم يذكره المولف في اسمائه قال
سياتي ملك من ملوك العجم فيظهر اي يغيب على المداين كلها اي البلدان كلها اي جميعها الا دمشق اي الا مدينة
دمشق الشام رواه ابو داود باب ثواب هذه الامة اي الطايفة الجامعة بين الاجابة
والمتابعة المعبر عنهم بالفرقة الناجية فخرج المبتدع فليس في الامة على الاطلاق قال في التوضيح
المراد بالامة المطلقة اهل السنة والجماعة وهم الذين طريقتهم كطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم دون اهل البدع قال صاحب التلويح لان المبتدع وان كان من اهل القبلة فهو
من امة الدعوة دون المتابعة كالكفار
الفصل الاول
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انما اجلكم قال الطيبي الاجل المدة المضروبة للشي قال تعالى لتبلغوا اجلا مسمى ويقال
للمدة المضروبة لحيوة الانسان اجل فيقال دنا اجله وهو عبارة عن دنو الموت واصله استيفا الاجل
اي مدة الحياة والمعنى ما اجلكم في اجل من مضى من الامم السابقة في الطول والقصر الا مقدار ما بين
صلوة العصر الى صلوة المغرب من الزمان انتهى وتوضيحه ان الاجل تارة يعبر عن جميع الوقت المضروب
للعمر سواء يكون معلقا او مبرما كما في قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وتارة يطلق على انتهائه وآخرها
وهو المعنى بقوله سبحانه اذا جا اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والمراد بالاجل هنا هو
المعنى الاول فالمعنى انما مدة اعماركم القليلة في اجل من خلا من الامم اي في جنب آجال من مضى من
الامم الكثيرة ما بين صلوة العصر الى مغرب الشمس اي مثل ما بينهما في جنب ما بين صلوة الظهر
الى العصر او ما بين الفجر والظهر لا ما بين الفجر والعصر للمثل المضروب الاتي وخلاصته اي مدتكم
في العمل قليلة واجرتكم كثيرة على قياس ما ذكر من المثل وهو قوله وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى
اي مع الرب سبحانه وتعالى كرجل استعمل عمالا بضم فتشديد جمع عامل اي طلب منهم العمل فقال اي على
طريق الاستفهام من يعمل لي الى نصف النهار وهو من طلوع الشمس الى الزوال فالمراد بالنهار العرفي

لانه عرف عمل العمال على قيراط قيراط اي نصف دانق على ما في الصحاح وقيل القيراط جزء من اجزاء الدنيا وهو نصف
عشر في اكثر البلاد والياء فيه بدل من الراء كما انها بدل من النون في الدنيا ويدل عليه جمعها على دنانير وقناطير
وكرر قيراط للدلالة على ان الاجر لكل واحد منهم قيراط لان المجموع الطائفة قيراط فعملت اليهود اي اتباع
موسى السابق في الزمان الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال اي الرجل المستعمل للعمال من يعمل
لي من نصف النهار الى صلوة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى اي اتباع عيسى بعد اليهود من
نصف النهار الى صلوة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلوة العصر الى مغرب الشمس
على قيراطين قيراطين الا للتنبيه فانتم الذين تعملون بالخطاب وبلا بيد ما في رواية للبخاري فانتم
تعملون وفي نسخة صحيحة بالغيبة وهو الظاهر من ايراد الموصول اي فانتم مثل الذين يعملون او فانتم
هم الذين يعملون مثلا من صلوة العصر الى مغرب الشمس الا للتنبيه لكم الاجر مرتين اي مثلي ما لليهود
والنصارى وكانه مقتبس من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
فانه هذه الامة صدقوا بنبيهم والانبيا الماضية ايضا فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا
اي قال اهل الكتاب ربنا اعطيت امة محمد ثوابا كثيرا مع قلة اعمالهم واعطيتنا ثوابا قليلا مع كثرة اعمالنا
ولعلهم يقولون ذلك يوم القيامة وقد حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة المضي لتحقق ذلك
او صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا على فضايل لهذه الامة في كتبهم او على السنة رسلهم وعلمائهم تقديرا ففي الحديث
دليل على ان الثواب للاعمال ليس على قدر التعب والا على جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه لخدمته
اجرا بل المولى يعطيه من فضله وله ان يتفضل على من شا من العبيد على وجه المزيد فانه يفعل ما
يشا ويحكم ما يريد قال الطيبي لعل هذا تخييل وتصوير لا ان ثمة مقاولة ومكالمة حقيقة اللهم الا ان يحمل ذلك
على حصولها عند اخراج الذر فيكون حقيقة انتهى واستدل به علماونا تقوية لقول ابي حنيفة ان اول
العصر بصيرورة ظل كل شي مثليه اكثر منه الى اخر النهار فيتحقق كون النصارى اكثر عملا على هذا التقدير
واجيب بان التفاوت بين هذين الوقتين لا يعرفه الا الحساب والمراد من الحديث تفاوت يظهر لكل احد من الامة
او لاكثرهم فان الاحكام الفقهية مبنية على الاعتبارات الغالبية فالنادر لا حكم له وقال الكرماني في شرح البخاري
لا دليل فيه مع كونهم اكثر عملا اكثر زمانا لاحتمال كون العمل اكثر في الزمان الاقل فله ان يقول هذا الاحتمال بعيد معارض
باحتمال كون العمل اقل في الزمان الاكثر فاذا تعارضا احتمالان العقليان تساقطا والعرف حاكم باعتبار الغالب
ان الزمان معيار للعمل فيكون العمل الكثير في الزمن الازيد وكذا عكسه مع ان في نفس الحديث الشريف
دلالة على اعتبار هذا المعيار قال الله تعالى فهل ظلمتكم اي هل نقصتكم من حقكم شيا مفعول به او مطلق قالوا
اي اهل الكتاب لا قال الله تعالى فانه اي الشان فضلي اي عطائي الزايد اعطيه من شيت والتقدير فان
العطا الكثير المدلول عليه بالسياق فضلي وقال الطيبي الضمير واقع موقع اسم الاشارة والمشار اليه قوله الاجر مرتين
وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا ان يعملوا به فكان فضله مع النصارى على اليهود اشراطه في
زمان اقل من زمانهم مع انهما في الاجرة متساويان واما المسلمون فمدة عملهم اقل من نصف الاجرة وذلك
فضل الله يوتيه من يشا انتهى لكن قوله انهما في الاجرة متساويان ليس في محله لان المراد باليهود والنصارى
الممثلين في هذا الحديث هم الذين ثبتوا على دين الحق من متابعة الكتابين والنبيين دون الكفار من
الطائفتين فانهم ليس لهم من الاجر شي ولا شك ان النصارى حيث امنوا بعيسى والانجيل مع ايمانهم
بموسى والتورية لهم من المثوبة الحسنى ما ليس لليهود الذين كان ايمانهم بكتابهم ونبيهم
فقط كما حقق في تفسير قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين فعلم من هذا الحديث ان تكرار الاجر غير مختص
بالكتابي اذا دخل في دين الاسلام كما هو مفهوم من ظاهر الحديث يوتكم كفلين من رحمته اولئك يوتون

اجرهم مرتين

ومعه ... عز وجل

اجرهم مرتين ومن حديث ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوه
ما في تفسير البغوي بسنده مرفوعا قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون
له عملا الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا
باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية عملكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر قوما اخرين بعدهم فقال
اكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوة العصر قالوا ما عملناه باطل
ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم وانما بقي من النهار شي يسير فابوا واستاجر قوما
ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا اجر الفريقين فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا
من هذا النور يعني في قوله تعالى يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به رواه البخاري وفي شرح
السنة قال الخطابي يروى هذا الحديث على وجوه مختلفة في توقيت العمل من النهار وتقديرالاجرة ففي
هذه الرواية قطع الاجرة لكل صنف قيراط قيراط وتوقيت العمل عليهم زمانا زمانا واستيفاء منهم وايفاؤهم
الاجرة وفيه قطع الخصومة ورد حال العنت عنهم ولا يرادهم من الذنب وهذا الحديث مختصر وانما اكتفى
الراوي منه بذكر حال العاقبة فيما اصاب كل واحدة من الفرق وقد روى محمد بن اسماعيل هذا الحديث
باسناده عن سالم بن عبد الله عن ابيه وقال اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار
عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا
قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فهذه الرواية تدل على ان مبلغ الاجرة
لليهود لعمل النهار كله قيراطان واجرة النصارى للنصف الباقي قيراطان فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه لم
يصيبوا الا قدر عملهم فاعطوا على قدر عملهم وهو قيراط ثم انهم لما راوا المسلمين قد استوفوا قدر اجرة الفريقين
حاسدوهم فقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا انتهى وبالجملة فيدل الحديث على ان زمن هذه الامة اقل من زمن النصارى
كما ان زمن النصارى اقل من زمن اليهود وعلى ان دين هذه الامة متصل الى قيام الساعة لا ينسخه ناسخ وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اي انه يعني الشان وقد روي صاحب المشارق في انواع ثمنه
بحرف ان وكذا هو في الجامع الصغير بلفظ من اشد امتي لي حبا اي بالنسبة الى غيرهم في زمانهم ناس بالرفع على
انه مبتدا موصوف بقوله يكونون بعدي اي يوجدون بعد موتي يود احدهم لو راني اي يتمنى ان راني مفديا
باهله وماله قال المظهر لو راني باهله باء التعدية كما في قوله بانت والمعنى يتمنى احدهم ان يكون يفدي
باهله وماله لو اتفق رويتهم ووصولهم الي قال الطيبي لو ههنا كما في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين فلا بد ليود من مفعول فلو مع ما بعده نزل منزلة كانه قيل يود احدهم ويحب ما يلازم قوله لو راني
باهله ان يفدي اهله وماله لبراني فعلى الامر كلام المظهر على ما اختاره البيان لو ههنا حرف مصدري بمنزلة
ان الا انها لا تنصب واكثر وقوعها بعد ود او يود ويجوز دوا لو تدهن فيدهنون يود احدهم لو يعمر الف سنة
قال المغني واكثرهم يثبتوا ورود لو المصدرية والذي اثبته الفرا وابو علي وابو البقا والتبريزي وابن
مالك ويقول المانعون في نحو يود احدهم لو يعمر الف سنة انها شرطية وان مفعول يود وجواب لو محذوفان
والتقدير يود احدهم التعمير لو يعمر الف سنة لسره ذلك ولا خفا في ذلك من
التطف رواه مسلم وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال وفي نسخة بالفوقية
من امتي اي من جملة امتي بالاجابة امة اي طايفة قايمة بامر الله اي بامر دينه واحكام شريعته من حفظ الكتاب
وعلم السنة والاستنباط منهما والجهاد في سبيله والنصيحة لخلقه وسايره فرض الكفاية كما يشير اليه قوله
تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يضرهم اي لا يضر دينهم
وامرهم من خذلهم اي من ترك عونهم ونصرهم بل ضر نفسه وظلم عليها باساتها ولا من خالفهم اي لم يوافقهم على

وعمه عزوجل

اي علي القيام بامره وفيه اشارة الي ان وجه
امرهم حتي ياتي امر الله اي موتهم او انقضا عصرهم وهم علي ذلك
الارض لا تخلو من الصلحا الثابتين علي اوامر الله المتباعدين الحافظين لامور الشريعة فيستوي عندهم
معاونة الناس ومخالفتهم اياه وفسر شارح امر الله بالقيامة ويشكل عليه حديث لا تقوم الساعة حتي
لا يكون في الارض من يقول الله وقال شارح قايمة بامر الله اي متمسكة بدينه قيل هم الامة القايمة
بتعليم العلم وحفظ الحديث لاقامة الدين وقيل هم المقيمون علي الاسلام المديمون له من قام الشيء دام
والباقي بامر الله بمعني مع او للتعدية اي دايمة مع امر الله او مديمة اياه وقيل يحتمل ان المراد به ان
شوكة اهل الاسلام لا تزول بالكلية فان ضعف امر في قطر قوي وعلي في قطر اخر وقام باعلايه طايفة
من المسلمين وقال التوربشتي الامة القايمة بامر الله وان اختلف فيها فان المعتد به من الاقاويل
انها الفية المرابطة بثغور الشام نصر الله بهم وجه الاسلام لما في بعض طرق هذا الحديث وهم بالشام وفي
بعضها حتي يقاتل اخرهم المسيح الدجال وفي بعضها قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس فان
قيل ما وجه هذا الحديث وما في معناه من الاحاديث التي وردت في الشام وقد عانت الديار بغي الغطيلة
وعبرت الجنود العاتية عن الفرات واباحت علي ما وراه من البلاد كنبج وسروج وحلب وما حولها قلت
انما اراد بقوله لا يضرهم لهم الضرر وقد اضر الكفار يوم احد باصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ولما كانت العاقبة
للتقوي لم يعد ذلك ضررا عليهم مع ان الفية الموعودة لهم بالنصر هم الجيوش الغازية بها ولم يصبهم
بحمد الله الي يوم عضاضة ولا هوان بل كان لهم النصرة وعلي عدوهم الدبرة متفق عليه ورواه ايضا ابو
داود والنسايي وابن ماجة كذا افاده السيد جمال الدين ورواه الشيخان عن المغيرة ولفظه لا تزال طايفة من
امتي ظاهرين حتي ياتيهم امر الله وهم ظاهرون ورواه ابن ماجة عن ابي هريرة ولفظه لا تزال طايفة من امتي
قوامة علي امر الله لا يضرها من خالفها ورواه الحاكم عن عمر ولفظه لا تزال طايفة من امتي ظاهرين علي الحق
حتي تقوم الساعة وذكر حديث ان من عباد الله اي من لو اقسم علي الله لابره في كتاب القضا
الفصل الثاني عن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر يحتمل ابهام افراد الجنس لا يدري
اوله اي اوايل المطر او المطر الاول خير اي انفع ام اخره اي اواخره او المطر الاخير قال التوربشتي لا يحمل
هذا الحديث علي التردد في فضل الاول علي الاخر فان القرن الاول هم المفضلون علي ساير القرون من غير
شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي وانما المراد بهم نفعهم
في بث الشريعة والذب عن الحقيقة قال القاضي نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية
واراد به نفي التفاوت كما قال تعالي قل اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي بما ليس فيهن
كانه قال لو كان يعلم لانه امر لا يخفي ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها
كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فايدة في النشو والنما لا يمكنك انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين
امنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صلي الله عليه وسلم بالاجابة والايمان والاخرين
امنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الايات واتبعوا من قبلهم بالاحسان وكما ان المتقدمين اجتهدوا في
التاسيس والتمهيد فالمتاخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم في التقرير والتاكيد
فكل مغفور وسعيهم مشكور واجرهم موفور انتهي وحاصله انه لما لا يحكم بوجود النفع في بعض الامطار
دون بعض فكذا لا يحكم بوجود الخيرية في بعض افراد الامة دون بعض من جميع الوجوه اذ الحيثيات
مختلفة الكيفيات ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ومع هذا فالفضل للمتقدم وانما هذا
تسلية للمتاخر اي ان باب الله مفتوح وطلب الفيض من جنابه مفسوح قال الطيبي تمثيل
الامة بالمطر انما يكون بالهدي والعلم كما ان تمثيله صلي الله عليه وسلم الغيث بالهدي والعلم فتختص

هذه الامة

هذه الامة المشبهة بالمطر بالعلما الكاملين منهم والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع فلا
يلزم من هذا المساواة في الافضلية ولو ذهب الي الخيرية فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها واولها واخرها
بالخير وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاه وفي المكلمة
ويلمح الي هذا المعني قول الشاعر ان الخيار من القبايل واحد وبنو احنيفة كلهم خيار
فالحاصل ان الامة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث ابهم امرها فيها وارتفع التمييز بينها وان كان بعضها
افضل من بعض في نفس الامر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره وفي معناه انشد مروان بن ابي حفصة

تشابه يوماه علينا فاشكلا • فما نحن ندري اي يوميه افضل

ايوم بدا العمر ام يوم باسه • وما منهما الا اغر محجل

ومن المعلوم علما جليا ان يوم بدأة العمر افضل من يوم باسه لكن البدأة لما لم يكن وليتتب الا بالباس
اشكل عليه الامر فقال ما قال وكذا امر المطر والامة انتهي وخلاصته ان هذه الامة كلها لا تخلو عن
الخير كما اشار اليه بقوله هذه امة مرحومة لكون نبيها نبي الرحمة بخلاف ساير الامم فان الخير في سابقهم
ثم جا الشر في لاحقهم حيث بدلوا كتبهم وحرفوا ما كان عليها اولهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وروي احمد عن عمار بن ياسر وابن حبان في صحيحه عن سلمان فقول النووي في فتاواه ضعيف متعقب وقد
يتمحل ان مراده بانه ضعيف في بعض طرقه لكن في عرف المحدثين ينافيه الاطلاق فالاحسن ان يقال انه ضعيف
في نفسه حسن لغيره بل قال بعض المحققين حديث مثل امتي مثل المطر حديث حسن له طرق قد يرتقي
بها الي الصحة انتهي وفي الجامع الصغير رواه احمد والترمذي عن انس واحمد عن عمار وابو يعلي عن علي والطبراني
عن ابن عمر وعن ابن عمرو **الفصل الثالث** عن جعفر اي الصادق عن ابيه اي محمد الباقر عن
جده اي زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وسمي مثل هذا السند سلسلة
الذهب قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ابشروا امر من الابشار وفي القاموس ابشر فرح ومنه ابشر بخير
وابشروا كرره للتاكيد او احدهما للدنيا والاخر للعقبي ولا يبعد ان يكون الثاني بمعني بشروا علي ما في
القاموس انما مثل امتي اي افراد امتي الاجابة مثل الغيث اي مثل انواع المطر في حصول المنفعة لا يدري
اخره خير ام اوله ولعل عكس الترتيب هنا لافادة زيادة المبالغة في تحقيقه او للتنويع او التخيير والمعني
او كمثل بستان ذي اشجار ذات اثمار شبه به الدين باعتبار رسوخ اصله وارتفاع فروعه وشعبه واغصانه اطعم بصيغة
المجهول اي انتفع منها اي من بعضها فوج اي جمع عاما اي سنة ثم اطعم منها اي من بعضها الاخر فوج عاما
لعل اخرها فوجا منصوب علي التمييز ان يكون اي اخرها اعرضها عرضا واعمقها عمقا واحسنها حسنا بالنصب
علي انها خبر يكون وجوز الطيبي رفعها كما سياتي لكنه غير موجود في النسخ الحاضرة كيف تهلك امة اي
بالكلية انا اولها والمهدي وسطها بفتح السين ويسكن والمسيح اي عيسي عليه السلام اخرها
اي اخر الامة ولكن بين ذلك اي بين ما ذكر من اولها واوسطها المتصل باخرها فيج بفتح فاء وسكون بالجيم
اي فوج افوج دافوج باعتبار لفظ الفوج قال في المصباح الفيج الجماعة وقد يطلق علي الواحد فيجمع علي فيوج
وافياج كبيوت وابيات وقال الازهري اصل فيج فيج بالتشديد لكنه خفف كما قيل في هين هين ليسوا
اي ذلك الفوج وجمعه باعتبار المعني مني متصلا بي ومتبعا لي اومن اتباعي واحبابي ولا انا منهم بل انا
متبري منهم وغير راض عنهم بفسقهم وظلمهم هذا وقال الطيبي في قوله او حديقة او هذه مثلها في قوله تعالي
او كصيب من السما في انها مستعارة للتساوي في غير الشك كقولك جالس الحسن او ابن سيرين يريد انهما
سيان في استصواب ان يجالسا ومعناه ان كيفية صفة امتي مشبهة بكيفية المطر والحديقة وانهما
سوا في استقلال كل واحدة منها بوجه التمثيل فايهما مثلها فانت مصيب في تمثيلها به او بهما جميعا فان قلت اي

خرق بين التمثيلين قلت شبهت الامة في التمثيل الاول بالمطر في نفع الناس بالعلم والهدي وفي الثاني بالاستفادة
من علم الرسول وهداه في انباته الكلا والعشب الكثير وحصول الاخاذات ثم انتفاع الناس منهما بالرعي والسقي
وهو المعني بالفوج الذي اطعم من الحديقة عاما والحديقة كل ما احاط به البنا من البساتين وغيرها
وقوله ان يكون خبر لعل وادخل فيها ان تشبيها للعل بعسي واسم يكون يحتمل ان يكون ضميرا عائدا الي
اخرها خبره ووصف الامة بالطول والعرض والعمق باعتبار ملابستها بالحديقة وان يكون اعرضها
صفة موصوف محذوف هو اسم يكون والخبر مقدر اي يكون الحديقة لعرضها عرضها لما ان روي موضحا
واعرض واعمق واحسن جي بها مبالغة اي ابلغها عرضا وعمقا وحسنا نحو قولك العسل احلي من
الخل والصيف احر من الشتا اقول لا يخفي الفرق بينهما علي ذوي النهي ثم قال وقوله احسنها
حسنا كقوله جد جده وجن جنونه وعرضا يحتمل ان يكون اسم عين بدليل قوله واعمقها عمقا وان
يكون اسم معني بدليل واحسنها حسنا رواه رزين ينبغي ان يقال مرسلا لان الامام زين العابدين
روي عنه جعفر الصادق وغيره واما جعفر الصادق فذكره المولف في التابعين واظن انه سهو
او وهم فانه لم يدرك احدا من الصحابة بل روي عن ابيه وغيره وسمع منه الايمة الاعلام كابي حنيفة
ومالك بن انس والثوري وابن عيينة وغيرهم ودفن بالبقيع في قبر فيه ابوه محمد الباقر وجده زين
العابدين وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقد سبق الكلام علي ما يتعلق بهذا السند من
المرام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الخلق اي المخلوقات اعجب اي اغرب اليكم ايمانا تمييز
قالوا اي بعض الصحابة الملايكة اي اعجب الخلق ايمانا لتقدسهم الملايكة قال ومالهم لا يومنون
وهم عند ربهم اي مقربون ومشاهدون عجايب الملكوت وغرايب الجبروت فالعجب بخلافه في
ايمانهم قالوا اي ذلك البعض او بعض اخر فالنبيون اي ان لم يكن الملايكة فالنبيون اي ان لم يكن
الملايكة فالنبيون قال ومالهم لا يومنون والوحي ينزل عليهم بصيغة الفاعل وفي نسخة
بالمفعول قالوا فنحن قال وما لكم لا تومنون وانا بين اظهركم اي فيما بينكم تشاهدون
معجزاتي واتلو عليكم اياتي قال اي الراوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعجب الخلق الي
اي ايمانا لقوم يكونون اي يوجدون من بعدي اي من بعد مماتي من التابعين واتباعهم الي يوم
الدين يجدون استيناف بيان اي يجدون صحفا بضمتين جمع صحيفة اي مصاحف واجزا
فيها كتاب اي مكتوب من عند الله وهو القران يومنون بما فيها اي بما في تلك الصحف ولا يبعد
ان يفسر الصحف بما يشمل الكتاب والسنة وحيث ورد الكلام في الاعجبية والاغربية فلا
استدلال بالحديث في الافضلية بوجه من الوجوه لمزية هذا وقال الطيبي قوله اعجب ايمانا
يحتمل ان يراد به اعظم ايمانا علي سبيل المجاز لان من تعجب في شي عظمه فجوابهم مبني علي المجاز
ورده صلى الله عليه وسلم مبني علي ارادة الحقيقة والفا في قوله فالنبيون وفي قوله فنحن
كما في قولك الامثل فالامثل والافضل فالافضل ولا يلزم من هذا افضلية الملايكة علي
الانبيا لان القول في كون ايمانهم متعجبا منه بحسب الشهود والغيبة قيل في تفسير قوله
تعالى يومنون بالغيب اي بما غاب عن المومن به ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي
لا اله غيره ما امن مومن افضل من ايمان بالغيب ثم قرا هذه الاية انتهى ولا يخفي ان الصحابة ايضا
كانوا مومنين بالغيب لكن باعتبار بعض المومن به مع مشاهدة بعضه بخلاف التابعين فان
ايمانهم بالغيب كله فمن هذه الحيثية ايمانهم اعجب وافضل والله اعلم وعن عبد الرحمن بن

العلا الحضرمي لم يذكره المولف في اسمايه وذكر اباه العلا فقال هو عبد الله بن حضرموتي كان عاملا
للنبي صلى الله عليه وسلم علي البحرين واقره ابو بكر وعمر عليها الي ان مات العلا سنة اربع عشرة وروي
عنه السايب بن يزيد وغيره قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون اباه
او غيره يقول اي النبي صلى الله عليه وسلم انه اي الشان سيكون في اخر هذه الامة قوم لهم مثل اجر اولهم
يامرون بالمعروف استيناف بيان وينهون عن المنكر ويقاتلون اي بايديهم او بالسنتهم اهل الفتن
اي من البغاة والخوارج والروافض وساير اهل البدع رواهما اي الحديثين البيهقي في دلايل النبوة
وعن ابي امامة اي الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبي لمن راني يعني وامن بي وطوبي
سبع مرات لمن لم يرني وامن بي ولا يبعد ان يكون هذا قيدا لهما قال الطيبي قوله وطوبي جملة
معطوفة علي السابقة اي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبي لمن لم يرني وامن بي سبع مرات
فعلي هذا سبع مرات ظرف لقال معترض تخلل بين طوبي وما يتعلق به ويحتمل ان يكون سبع
مرات مصدر الطوبي ومقولا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به التكثير لا التحديد
انتهي ومحصله ان سبع مرات علي الاول قول الراوي وهو بعيد والاقرب ما قررنا ثانيا كما
يويده الروايات الاتية رواه احمد وفي الجامع طوبي لمن راني وامن بي وطوبي لمن لم يرني
وامن بي سبع مرات رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه
عن ابي امامة وكذا احمد ايضا عن انس ورواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر بلفظ
طوبي لمن راني وامن بي وطوبي لمن امن بي ولم يرني ثلاث مرات ورواه احمد وابن حبان عن ابي
سعيد ولفظه طوبي لمن راني وامن بي ثم طوبي لمن امن بي ولم يرني وعن ابن محيريز بضم
ميم وفتح حا وسكون تحتية فرا مكسورة فتحتية ساكنة فزاي لم يذكره المولف في اسمايه
قال قلت لابي جمعة بضمتين وسكون الثاني رجل بدل من ابي جمعة من الصحابة بيان رجل
قال المولف يقال له الانصاري ويقال الكناني واختلف في اسمه فقيل حبيب بن سباع وقيل
جنيد بن سباع وقيل غير ذلك له صحبة يعد في الشاميين حدثنا بصيغة الامر استدعا
والتماسه حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم اي قالت احدثكم حديثا جيدا
بفتح جيم وتشديد يا مكسورة اي حسنا تغدينا اي اكلنا الغدا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعنا ابو عبيدة بن الجراح وهو احد العشرة المبشرة فقال اي ابو عبيدة يا
رسول الله احد اي واحد خير منا اي ممن بعدنا او من السابقين واللاحقين اسلمنا اي علي يديك
وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم يومنون بي ولم يروني والمعني انهم خير منكم من هذه
الحيثية وان كنتم خيرا منهم من جهة المسابقة والمشاهدة والمجاهدة قال الطيبي قوله معك
حال من الجملة الثانية ومثله مقدر في الجملة الاولي اي اسلمنا معك كقوله تعالى قالت رب اني
ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان وحرف الاستفهام محذوف ويحتمل ان يكون لمجرد الاستفهام
واسلمنا وجاهدنا حال ونعم وقعت موقعها وان يكون الاستفهام للانكار واسلمنا استيناف
لبيان نفي خيرية الغير عنه وعلي هذا وقعت نعم موقع بلي فالخيرية بسبب الشهود والغيبة
كما سبق بيانه انفا والله اعلم رواه احمد والدارمي وروي رزين عن ابي عبيدة من قوله
قال يا رسول الله احد خير منا الي اخره وعن معاوية بن قرة بضم قاف فتشديد را فتا قال المولف
معاوية بن قرة يكني ابا اياس البصري سمع اباه وانس بن مالك وعبد الله بن مغفل روي عنه
قتادة وشعبة والاعمش عن ابيه وهو قرة بن اياس المزني سكن البصرة ولم يرو عنه غير

ابنه معاوية قتله الازارقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فسد اهل الشام فلا خير فيكم اي المقصود
فيها او التوجه اليها ولا يزال طائفة من امتي منصورين اي غالبين على اعداء الدين لا يضرهم من خذلهم
اي ترك نصرتهم ومعاونتهم حتى تقوم الساعة اي قيامها كما سبق من انها لا تقوم وفي الارض من يقول
الله قال ابن المديني هم اي تلك الطائفة اصحاب الحديث اي المحدثون من حفاظ
الحديث ورواتهم او العاملون بالسنة المبينة للكتاب فالمراد بهم اهل السنة والجماعة قال الطيبي
لا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله على ما
مر فان المراد منها الغيبية المراد بها بتغور الشام لان اللفظ يحتمل كلا المعنيين اقول يحتمل ايضا الجمع
بين الوصفين قال واما قوله لا يضرهم من خذلهم فيحتمل الخذلان على ترك المعاونة لهم على المتبوعة
فيكون هنا مجازا وهنالك حقيقة انتهى والظاهر ان كلا المعنيين حقيقة ففي القاموس خذله
وعنه خذلا وخذلانا بالكسر ترك نصرته رواه الترمذي اي الحديث فقوله قال ابن المديني
جملة معترضة لبيان الحديث وتفسيره ويحتمل ان يكون مدرجا داخلا تحت قوله رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وسبق جواب الاشكال من هذا الاسناد وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز اي عفا ولا في الجامع لي اي لاجلي
عن امتي اي الاجابة الخطا بفتحتين ويجوز مده وهو ضد الصواب والمراد به هنا ما لم يتعمده والمعنى
انه عفا عن الاثم المترتب عليه بالنسبة الى سائر الام والا فالمواخذة المالية كمن قتل النفس خطا
واتلاف مال الغير ثابتة شرعا ولذا قال علماؤنا في اصول الفقه الخطا عذر صالح لسقوط حق الله تعالى
اذا حصل من اجتهاد ولم يجعل عذرا في حقوق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان والنسيان
وهو لا ينافي الوجوب في حق الله تعالى لكن النسيان اذا كان غالبا كما في الصوم والتسمية في الذبيحة
يكون عفوا ولا يجعل عذرا في حقوق العباد حتى لو اتلف مال انسان بالنسيان يجب عليه الضمان
وما استكرهوا عليه بصيغة المجهول اي ما طلب منهم من المعاصي على وجه الاكراه وهو حمل الانسان
على ما يكرهه ولا يريد مباشرته لو الحمل عليه بالوعيد كالقتل والضرب الشديد وله تفصيل في حق
الله وحق العباد ومحله كتب اصول الفقه رواه ابن ماجة والبيهقي وفي الجامع رواه ابن ماجة عن ابي
ذر والطبراني والحاكم في مستدركه عن ابن عباس وفي رواية للطبراني عن ثوبان وعن بهز بفتح موحدة
وسكون هاء فزاي ابن حكيم اي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري قد اختلف العلماء فيه
عن ابيه اي حكيم بن معاوية قال البخاري في صحته نظر وروى عنه ابن اخيه معاوية ابن حكيم وقتادة
عن جده اي معاوية بن حيدة لم يذكره المولف في اسمائه انه اي جده سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في قوله تعالى كنتم خير امة المعنى انتم كانوا كذلك في علم الله او اللوح المحفوظ او بين الامم المتقدمة
والمراد جميع المومنين من هذه الامة على الاظهر ويدل له هذا الحديث وقيل خاص بالمهاجرين او بالاصحاب
وقيل مبهم كما في تفسير شيخنا المرحوم مولانا زين الدين عطية السلمي المكي وفي تفسير الكواشي
وقيل خاص بالشهدا والصالحين وقيل كان بمعنى صار وقال البغوي قوله كنتم اي انتم كقوله تعالى
واذكروا اذ كنتم قليلا وقال في موضع اخر واذكروا اذ انتم قليل وقال البيضاوي قوله كنتم دل على
خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله وكان الله غفورا رحيما انتهى وروي عن عمر رضي الله عنه
ان هذه الاية تكون لاولنا ولا تكون لاولنا ولا تكون لاخرنا كذا ذكره البغوي وايده بحديث خير القرون
قرني ثم قال وقال الاخرون هم جميع المومنين من هذه الامة قال السيد الصفوي وهو الاصح اخرجت
للناس اي اظهرت لهذا الجنس والجملة صفة لامة وقال الصفوي يعني انتم خير الناس وانفع

الناس للناس ويوضحه ما قال البغوي انه قال قوم للناس من صلة قوله خير امة اي انتم خير الناس للناس
وقال ابو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيبون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يومر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير امة
للناس وقيل قوله للناس من صلة قوله اخرجت ومعناه ما اخرج الله للناس امة خيرا من امة محمد صلى
الله عليه وسلم وقد اشار اليه صاحب البردة بقوله ● لما دعا الله داعينا لطاعته ● باكرم الرسل كنا اكرم الامم
اشارة خفية الى ان المفهوم من كون الامة موصوفا بصفة الخيرية ان يكون رسولهم منعوتا بنعت الاكرمية
ولكنه عكس القضية الاستدلالية اجلالا لمرتبة الرسالة العلية فان كونها خير امة من قضايا جاءت تم
وجد وهي متابعته لان تكريم التبع من تكريم المتبوع على مقتضي المعقول والمشروع والا فعكس الحكم
والموضوع ولا يظهر حسن المصنوع قال اي النبي صلى الله عليه وسلم انتم متمون بفتح تكسر فتشديد اي
متكملون ويوفرون سبعين امة اي من الامم الكبار انتم خيرها واكرمها على الله قال الطيبي قوله يقول
في قوله تعالى اي في تفسير قوله تعالى فالمراد بسبعين التكثير لا التحديد ليناسب اضافة الخير الى
المفرد النكرة لانه لاستغراق الامم الفائتة للحصر باعتبار افرادها اي اذا تقصيت امة من الامم كنتم خيرها
وتتمون علة للخيرية لان المراد به الختم كما ان نبيكم خاتم الانبيا انتم خاتم الامم انتهى وفيه ايما الى
ان ختامه مسك في الاختتام كما اشار لفظ النبوي في لفظ الحديث الشريف بالاتمام رواه الترمذي
وابن ماجة والدارمي وكذا رواه الامام احمد في مسنده والطبراني والحاكم في مستدركه وقال الترمذي
هذا حديث حسن وفيه اشارة الى حسن المقطع وقد ذكر البغوي بسنده مرفوعا قال ان الجنة حرمت
على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي انتهى وهذا اشارة الى حسن الخاتمة
المنبية على حسن البراءة كما اشار اليه قوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فنحن
الاخرون الاولون واللاحقون السابقون والحمد لله الذي جعلنا من اهل الاسلام وعلى دين نبينا
محمد عليه الصلوة والسلام والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزيد البركات والخيرات وقد
فرغت من تسويد هذا الشرح انامل العبد المفتقر الى كرم ربه الغني الباري علي بن سلطان
محمد الهروي القاري الملتجي الى الحرم المحترم المكي خادم الكتاب القديم والحديث النبوي
عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي وعفا عما زل قدمه او خل قلمه وختم له بالحسنى وبلغه
المقام الاسنى مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن
اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وذلك عاشر ربيع الثاني في عام ثمان والف
بعد الهجرة النبوية على صاحبها الوف من الصلوة والاف من التحية ووافق الفراغ من نسخه
صبيحة يوم الجمعة ثاني يوم غرة شهر شوال المبارك الذي هو من شهور سنة ١١٧٩ على يد كاتبه

اقفر العباد الى رحمة ربه الحنان المنان محمد بن احمد
نعمان بالمنيتين بلدة من اقليم المنوفية من
اولاد سيدي عبد المنعم المنيتيني
عفى بركاته على كل من قرا فيها وطالعه
او كتب منه ورأى فيه خللا واصلحه
والحمد لله رب العالمين
تم بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه

وقف